



ملخصات بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



**ملخصات بحوث
المؤتمر العالمي العاشر
للإعجاز العلمي في القرآن والسنة**



MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

ملخصات بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار جياذ للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

١٥	كلمة فضيلة الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز المصلح
٢٣	آثار ظلام الليل وضوء النهار على النبات ١.د. / قطب عامر فرغلى عمران
٢٩	إشارات إعجازية في تكوين لبن الأنعام الأستاذ الدكتور حامد عطيه محمد
٣٣	الإعجاز العلمي في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا) الأستاذ الدكتور / مصطفى إبراهيم حسن
٣٧	الإعجاز في خلية النحل كفاءة الأعسال المضادة للميكروبات أ.د. أحمد جعفر حجازى
٤١	أهمية الندى «الطل» الاسم: ملوك محمد خزان الخزان
٤٥	تطور الحموضة واللون ومدة تخزين اللحوم المذكاة د. محمد بورباب د. حمد إد عمر

٥٣ دراسة نسيجية وتركيبية دقيقة ومقارنة لتأثير نبات القسط و عقار أمفوتريسين (ب)

أ.د. سناء أحمد خليفة

أ.د. رحمة علي أحمد العلياني

٥٧

معجزة الاستشفاء بالعسل

أسماء سيب

٦١

إعجاز التمر في الشفاء والوقاية من الميكروبات الضارة والممرضة

دكتوراة / أروى عبد الرحمن أحمد

٦٥

الإعجاز العلمي في لون العسل وعلاقته بحصوات الكلى

أحمد بن سطات

٧١

دراسة نسيجية لتأثير الخوف على النسيج الكبدي

د. لطيفة بنت إسحاق عبد الملك خياط

٧٩

تأثير القسط الهندي

د. منال عثمان حمزة كردي القطان

٨٣

التحلل في علم الميكروبيولوجي حقيقة علمية دونت في القرآن والسنة

د. أحلام بنت أحمد العوضي

٨٩

الإعجاز العلمي في تحريم لحم الخنزير

أ.د / حنفي محمود مدبولي

العنب إعجاز، بين غذاء وشفاء

٩٣

أ.د. ميساء محمد الراوي

تأثير الحبة السوداء على مستويات السكر والدهون عند مرضى داء ارتفاع السكر في الدم ٩٧

د. عبد الله عمر باموسى

١٠٥

الأسس العلمية لاختبار البصمة الوراثية في القرآن والسنة

د. محمود عبد الله إبراهيم نجا

١١١

المسح على رأس اليتيم

د. مها يوسف جار الله الحسن الجار الله

١١٥

إعجاز الحبة السوداء في القضاء على البكتيريا المسببة للداء

أ.د. محمد محمود شهاب

د. إيمان محمد حلواني

١٢١

العلاج النبوي بتمر العجوة في حالات التسمم والتليف الرئوي بالجازولين

د. ثيلى أحمد طيب الحمدي

أ.د. دينا أحمد إبراهيم موصلى

١٢٧

إعجاز القرآن في إنباب الذرية

أ.د. مجاهد أبوالمجد

أ.د. سامي هلال

١٣٣ دراسة فعالية الحبة السوداء في علاج الملاريا مقارنة بعلاج الكلوروكوين

د. خالد بن سعيد عسيري

١٣٧

خريطة المخ بيئة علمية

د. محمد دودح

١٤٥

الإعجاز العلمي في زيت الزيتون

الدكتور / حسان شمسي باشا

١٥١

التضاد الميكروبي والتأثير العلاجي لمستخلص نبات اليقطين

دكتورة / أمينة علي صديق

١٥٧

دراسة تأثير عسل النحل والحبة السوداء على خلايا الكبد السرطانية

أ.د. محمود إسماعيل حسن

أ.د. جمال مبروك

د. حنان حسين شحاتة،

د. مروة محمود أبو الحسين

١٦٣

الإعجاز العلمي في حديث (إذا وقع الكلب في إناء أحدكم . .)

أ. نهى طلال إبراهيم زيلعي

أ. ناجية الزنبيقي

١٦٧

تقييم الحالة المناعية لدى مريضات سرطان الثدي

مجموعة من الباحثين

١٧٣

الهدى النبوي في منع ومعالجة الغضب سبق طبي معجز

د. محمد العجرودي

١٧٩

الإعجاز البياني في القرآن الكريم

أ.د. محمد محمد داود

١٨٥

بعض أوجه الإعجاز في حديث النهي عن بيع ما ليس عندك

أ. عبد الكريم أحمد قندوز

١٨٩

من وجوه الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة تظافر أوجه الإلزام

د. صالح عسكر

١٩٧

إعجاز القرآن الكريم في الإخبار عن الغيبات

أ.د. محمد أمحزون .

ملامح الإعجاز الإعلامي في قوله تعالى: «يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبا فتبينوا» ٢٠٥

د.رحيمة الطيب عيساني

٢١٣

من حكم التشريع لمسائل علم المواريث

د. نجيب بوحنيك

الأستاذة : سلاف القبيقت

٢١٩

إعجاز القرآن في دلالة الفطرة على الإيمان

د / سعد بن علي الشهراني

٢٢٣

شهادة الأنجيل بصدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

أ. أسماء عبد المجيد الزنداني.

٢٢٧

الإعجاز التشريعي في الطلاق

أ.د. محمد نبيل محمد السيد غنאים

الإعجاز التشريعي في الحقوق الاقتصادية المشتركة بين الرجل والمرأة كدليل على تكريم المرأة

٢٣١

د. شيرين فتحي عبد الحميد مصطفى

٢٣٥

الإعجاز العلمي في أحاديث منع التداوي بالخمر

د. محمد علي البار

٢٤١

الإعجاز التشريعي في تعريم الربا

د. كوثر عبدالفتاح الأبجي

٢٤٧

خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى

د. مها عبد الرحمن أحمد نتو

٢٥١

عدة المطلقة

د. فوزي محمد رمضان

٢٥٩

ظاهرة السراب بين العلم وحقائق الكتاب

حسن يوسف شهاب الدين

٢٦٥

مرور البرق بين العلم والإيمان

المهندس عبد الدائم الكحيل

٢٧١

مصاييح الكون

د. يس بن محمد المليكي

٢٧٧

إثبات توسط مكة المكرمة لليابسة

أ.د. يحيى حسن وزيرى

٢٨٣

كثرة حوادث الزلازل والبراكين وخسف الأرض

أنيس الرحمن الندوي

٢٨٩

الإعجاز في تقسيم الرياح البحرية

د. صالح بن عبد القوي بن إسماعيل السنباني

٢٩٣

الفساد البيئي براً.. وبحراً.. وجواً..

د. أحمد مليجي

٢٩٧

أسس علم الجيولوجيا من الآية (٧٤) في سورة البقرة

د. شريف على صادق

٣٠٣

القرآن وأنظمة الأرض الدينامكية

أ.د. زكريا هميمي

أ.د. محمد هداية الله قاري

د. محمد إبراهيم متساه

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة . . .

إحدى هيئات رابطة العالم الإسلامي ذات الشخصية الاعتبارية المستقلة؛ تسعى لإظهار أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، والعمل على نشرها . أنشئت بقرار من المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته السادسة لعام ١٤٠٤ هـ .

أهدافها :

تعمل الهيئة على تحقيق الأهداف التالية :

- ١) وضع الأسس والقواعد التي تضبط الإجتهد في بيان الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .
- ٢) الكشف عن دقائق معاني الآيات في كتاب الله والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالعلوم الكونية في ضوء أصول التفسير ووجوه الدلالة اللغوية ومقاصد الشريعة الإسلامية دون تكلف .
- ٣) ربط العلوم الكونية بالحقائق الإيمانية، وإدخال مضامين الأبحاث المعتمدة في مناهج التعليم في شتى مؤسساته ومراحله .
- ٤) الإسهام في إعداد علماء وباحثين لدراسة المسائل العلمية، والحقائق الكونية؛ في ضوء ما ثبت في القرآن والسنة .
- ٥) توجيه برامج الإعجاز العلمي لتصبح وسيلة من وسائل الدعوة .
- ٦) تنسيق الجهود المبذولة في العالم في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والتعاون مع المؤسسات والمراكز ذات الإختصاص .

كلمة فضيلة الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز المصلح

الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأخواتي :

جمهور الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .. في العالم أجمع ..

أحييكم بتحية الإسلام؛ فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فقد تداعى أهل الاهتمام بشأن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في عالمنا من المشارق والمغرب والتقوا في حمى الكعبة وتحت ظلال الحرم المكي الشريف وضمتهم أروقة رابطة العالم الإسلامي لتنبثق من هذا اللقاء الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

إنها العلم؛ وهل يردُّ العلم إلا من سفه نفسه.

إنها اليقين؛ وهل يصد عن اليقين إلا من رضي الجهل له قريناً.

إنها النظر المتأمل في الآيتين المتألفتين الثابتتين :

الآية المنظورة والآية المسطورة.

آية في الكون والإنسان والحياة؛ في دقتها المذهلة وانتظامها في هذا الملكوت الرحب .. المسبح بحمد ربه، وآية في هذا الكتاب.

والسنة حدثتنا عن هذه الحقائق في توافق تام، وانسجام بديع مع كونه قد تنزل في

زمن لم يكن في مقدور البشر ولا في علمهم معرفة به ولا إحاطة بتلك الحقائق.

إنها الحجة البالغة الدالة على أن من خلق الأكوان هو من أنزل القرآن.

إن رسالة هذه الهيئة أن تبين هذه الحقيقة الناصعة، وأن تكون قنطرة للتواصل العلمي نحقق من خلالها خدمة الإنسانية في البحث عما ينفع الناس ويمكث في الأرض، ولنثبت للعالم أن ديننا دين علم ومعرفة يبحث عن الحق ويدعو إلى الإبداع والتقدم، والأخذ بأسباب الرقي المادي وصناعة الحضارة من أجل حياة إنسانية كريمة يسودها العدل ويصير العلم فيها خادماً للناس معيناً لهم - لا معول هدم وسبب دمار - وبذلك يصبح الناس جميعاً في أمن وأمان ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩).

أما أنتم معاشر العلماء والباحثين..

يا من تحرصون على التواصل مع الهيئة التي هي بكم ولكم ومنكم وإيكم؛ لكم مني ومن إخوتي العلماء والباحثين والإداريين في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة الشكر والعرفان بالفضل، ولم لا يكون ذلك كذلك وأنتم شهود الله على ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وعظيم نعمائه ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨).

إن هذه الهيئة - التي هي جامعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - تجمع من العلماء صفوتهم ومن الباحثين أعلامهم رتبة في بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وعندها وفي رحابها تلتقي الكفاءات العلمية العاملة بهذا الشأن المهم من شؤون قرآنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لتدعو كل قادر على السير في هذا المنهج السوي والمنهل الروي إعلاءً للحق، وإظهاراً للحقيقة، واكتشافاً لما أودع الله في الكون والحياة والأحياء مما ينفع الناس، ويكشف نعماء الله علينا التي استودعها

في ملكوته الرحيب (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٩).

لقد ألزمت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة نفسها بمقتضى المنهج العلمي وضوابط البحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ما يمكن أن نجمله في الآتي:

١. تجاوز الفرضية والنظرية، وتخطي هذه المرحلة إلى مرحلة الحقيقة العلمية؛ التي لا تقبل النقض ولا التغيير.
 ٢. وجود الدلالة الظاهرة على تلك الحقيقة في كتاب الله، أو ما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
 ٣. الربط بين هذه الحقيقة ودلالة النص بأسلوب ميسر وسهل.
 ٤. أن تكون تلك الدلالة وفق مفهوم العرب الذين نزل القرآن بلغتهم.
 ٥. أن لا نبحت في الأمور الغيبية؛ التي اختص الله نفسه بعلمها، والتي آمنّا بها وصدقنا بمقتضاها.
 ٦. أن يكون تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة الصحيحة ثم بالآثار التي صححت عن سلف هذه الأمة ثم بدلالة اللغة العربية التي تنزل بها القرآن الكريم.
- ونود أن نبين هنا أن الشبهات التي أثرت حول التفسير العلمي - وكذلك ما سبق من التردد بشأن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - إنما هي عند التحقيق منسّبة في مجملها على البحوث غير المنضبطة بضوابط البحث في الإعجاز المذكورة آنفاً؛ حيث وقع أصحابها في التسرع أو الغفلة عن بعض الضوابط المقررة؛ علماً بأن مثل تلك البحوث لا تمثل إلا حالات قليلة ومرفوضة، لذلك فإن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة عندما تنظر في بحث من

البحوث تضعه في مكانه على حسب قربه من تحقيق ما يشترط في البحوث أو بُعده عن تلك الشروط والقواعد..

إن معاناة البحث في هذا المجال، وما نلاقه من صعوبات ومتاعب وعوائق -لنشر تلك القضايا- يذهب أثرها وينقشع غبارها عندما نرى عياناً آثار وثمار بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وجدير بنا أن نذكر بعضاً منها تحفيزاً لهمم الباحثين كي يسلكوا هذا الطريق وينصروا دين الله من خلاله؛ ومن أهمها:

١. الأثر البالغ الذي تتركه في قلوب المسلمين، والذي يترجم بزيادة اليقين عندهم لدى معرفتهم بهذه الحقائق الباهرة؛ لأنها وردت في القرآن الكريم وعلى لسان النبي الأمي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وهكذا فإنها خير محرض للتمسك بالقرآن والسنة والاهتداء بهما.

٢. الرد العلمي الدامغ على الأفكار التشكيكية بصحة الرسالة المحمدية؛ حيث إن عرض تلك الحقائق التي جاءت في القرآن الكريم أو أخبر عنها النبي الأمي في زمن لا يوجد فيه تقدم علمي كما أنه لا توجد في المجتمع وكذا البيئة التي عاش فيها أية إثارة من علم في تلك الميادين الكونية؛ ولذلك فهذا الإعجاز العلمي يعتبر مجالاً خصباً لإقناع المنصفين من العلماء بربانية القرآن الكريم وصدق رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

٣. الإثبات العملي المقترن بالبرهان الساطع لحقيقة أن الدين الإسلامي هودين العلم حقاً؛ فمع إشادة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم - والترغيب في تحصيله والتنويه بفضل العلماء - فقد ذكر كثيراً من الحقائق العلمية وأشار إلى كثير من الأسرار الكونية مما هو موضوع العديد من التخصصات في آفاق الكون، ولم يستطع أحد إلى الآن أن يثبت وجود تعارض في أي دلالة

كونية واردة في القرآن الكريم أو حديث شريف صحيح، مع ما استقر من الحقائق العلمية اليوم، وأنى له ذلك.

٤. الإعجاز العلمي يعتبر خير محرض لهمم المسلمين كي يتابعوا مسيرة البحث والتجريب والمقارنة، وغير ذلك من وسائل الكشوف العلمية والتقدم المعرفي، وفي الوقت نفسه فإن ذلك يفضي إلى توسيع دائرة شواهد الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٥. هذا الإعجاز العلمي يعتبر قناة آمنة ترفد بقية قنوات الدعوة إلى الله، في هذا العصر الذي هو عصر العلم؛ والذي يتتبع أسباب دخول كثير من الناس في الإسلام - ممن كانوا نصارى أو بوذيين أو يهود - يجد بحق أن فريقاً منهم قد ابتداء سيره في الطريق إلى الحق من خلال معاينة لطائف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٦. ولا شك أن ظاهرة الرجوع إلى دين الإسلام - من قبل الذين كانوا قدماً من الشاردين الغافلين - وأيضاً إسلام غير المسلمين؛ كل ذلك أثمر مع ازدياد يقين المسلمين بدينهم، رجوعاً لحالة العزة في نفوس أبناء الأمة الإسلامية بعد الكبوة التي حصلت لهم عقب سقوط الخلافة الإسلامية، وهيمنة الدوائر الاستعمارية عليهم.

٧. وهذا كله يذكرنا بالحقيقة التي لا تتخلف أبداً؛ والتي أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال لا يضرهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتي أمر الله).

إننا في هذه الهيئة العالمية نعلنها دعوة عالية عالمية جادة للعلماء والباحثين والمهتمين بمجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة أن يشاركونا بعلمهم وبرأيهم وبنصحهم؛ فنحن وإياهم شركاء في هذا الطريق، ولإخواننا الذين يسكنون ديار الغرب - خارج العالم الإسلامي - دعوة خاصة أن يكونوا دعاة لله في تلك الديار؛ باستخدام هذه الوسيلة الدعوية المؤثرة، مستفيدين مما نعرضه من أبحاث محققة مدققة، آمليين أن نصل مع الجميع إلى أن تكون الهيئة العالمية درة العاملين في هذا المجال وجوهه ...

هذه دعوة لأن نجعل من الهيئة العالمية للإعجاز العلمي التي تأسست في موطن تنزل الوحي مكانا رحباً يجمعنا بكم على مائدة كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ..

فيا معشر الإخوة والأخوات كونوا أنصار الله في هذه المسؤولية ..

والله ولي التوفيق،،،



**المؤتمر العالمي العاشر
للإعجاز العلمي في القرآن والسنة**

**ملخصات بحوث
محور الطب وعلوم الحياة**



آثار ظلام الليل وضوء النهار على النبات

١. د. / قطب عامر فرغلي عمران

- قسم النبات - كلية العلوم - جامعة أسيوط - مصر
- حالياً أستاذ بقسم علم الأحياء - كلية العلوم - جامعة أم القرى بمكة المكرمة
- دكتوراه في فلسفة العلوم
- التخصص العام: نبات
- التخصص الدقيق: بيئة نباتية

ملخص البحث

خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض بالحق وقدر في الأرض أقواتها من خلال حركتها. فالأرض تدور حول نفسها، ومنها تنشأ آيتا الليل والنهار، وتكمل الأرض دورتها حول الشمس فتنبثق منها فصول السنة المناخية . وتقلب الليل والنهار بين الطول والقصر يؤدي إلى نشأة الفصول المناخية، والتي تختلف فيما بينها نتيجة العوامل المناخية مثل: درجات الحرارة والإضاءة كما ونوعا، والرطوبة الجوية، وعوامل مناخية أخرى فوجب التفكير فيها حيث يقول جل وتعالى شأنه : (يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) [٤٤ : النور].

إن من أسرار الحياة على سطح الأرض وسريان الطاقة في النظام الحيوي إنما يكمن في تقلب وتعاقب الليل والنهار خاصة مع الكائنات النباتية (المنتجات) التي تقوم بالعمليات الضوء حيوية مثل التمثيل الضوئي ، والانتحاء الضوئي ، والانبساط الورقي والتزهير ، وإنبات البذور ، وتساقط الأوراق ، وغير ذلك من عمليات التحكم الضوئي ، والتي تنظم الشكل التركيبي والفسولوجي للنبات .

لقد كشف العلماء عن ظاهرتين تتحكمان في التغيرات الفسيولوجية التي تحدث عند كل مرحلة من مراحل نمو النبات ، وهما التواقيت الضوئي photoperiodism والتواقيت الحراري thermoperiodism ، وهما ظاهرتان تسييران جنبا إلى جنب في التأثير على النبات من حيث ساعات الإضاءة ، وكمية الاشعاع الساقط ونوعيته ، وكذلك درجات الحرارة الليلة والنهارية .

ولقد كشف العلماء والباحثون بعد ذلك بقرون عديدة من نزول القرآن الكريم عن ظاهرة التآقيت الضوئي والتي على أساسها قسمت النباتات في سلوكها التزهيري إلى:

- ١ . نباتات النهار الطويل .
- ٢ . نباتات النهار القصير .
- ٣ . نباتات النهار المتعادل .
- ٤ . نباتات النهار المحايد .

وتوصل العلماء إلى حقيقة أن فترة الظلام هي الجزء الحرج لدورة التعاقب هذه، وأن عملية تزهير النباتات لايمكن استحثاثها ما لم تستقبل النباتات فترة إظلام

متصلة. لذلك فإن فترة الظلام تلعب دورا عظيما في تحديد إنشائية البراعم الزهرية الأولية، أما أهمية فترة الإضاءة فتكمن في التأثير على عدد المنشئات الزهرية. ولهذا فقد قسم العلماء مرة اخرى النباتات على أساس طول فترة الظلام (الليل) وليس طول فترة الإضاءة (النهار). وهذا في حد ذاته يمثل إعجازا قرآنيا عظيما حيث إن كلمة الليل سابقة لكلمة النهار في معظم الآيات الواردة في القران الكريم .

وتتابع الفصول المناخية من الفصل البارد ذات النهار القصير إلى الفصل الدافئ ذات النهار الطويل له تأثير كبير على الحالة المظهرية phenology للنباتات. كما أن درجة الحرارة تؤثر على النضج السليم والطعم الممتاز للثمار نتيجة تعرضها لدرجات حرارة منخفضة خصوصا أثناء الليل. وأفضل النباتات نموا وإنتاجا هي تلك التي تتعرض إلى تعاقب درجات حرارة نهائية مع درجات حرارة ليلية. دون الأخرى التي تتعرض إلى درجات حرارة ثابتة طوال اليوم. قال تعالى: « وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا» [٦٢ سورة الفرقان]

إن سريان الطاقة في الأنظمة البيئية للكورة الحية يرتبط ارتباطا وثيقا بعملية البناء الضوئي التي من خلالها تتكامل تفاعلات الضوء مع تفاعلات الظلام لتعطى المادة العضوية (الطاقة الكيميائية) بتعاقب النهار والليل . ولقد جاء ذلك الإثبات متخلفا عما جاء به القرآن الكريم بأكثر من ١٢ قرنا من الزمان قال تعالى : « وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا....» [٩٩ سورة الأنعام].

ويتضح الإعجاز القرآني في قوله تعالى « فأخرجنا منه خضرا..» حيث :- تنشأ

البلاستيدات الخضراء من مولدات البلاستيدات الأولية في الخلية النباتية والتي مع استمرار تعرضها للضوء تتكون المادة الخضراء المعروفة «بالكلوروفيل». وهذا هو المفهوم العلمي الدارج لمعنى هذه الكلمة الكريمة (خضرا)، إلا أنه مع التقدم العلمي والخاص بامتصاص وانعكاس أطيف الضوء المرئي ثبت مفهوم علمي جديد جاء به القرآن الكريم قبل ذلك بقرون عديدة، وهذا التفسير العلمي يوضح أنه عند سقوط الأشعة أو الطيف المرئي على مركب الكلوروفيل، والمسئول عن اقتناص الطاقة الضوئية فإن هذا المركب يمتص الأطياف المختلفة للضوء المرئي عدا الطيف الأخضر الذي يرتد وينعكس إلى خارج البلاستيدة، وبالتالي خارج أجزاء النبات الخضراء. وفي قوله تعالى « نخرج منه حبا متراكبا... » كانت تشير المفاهيم السابقة إلى أن المقصود بالكلمات المباركات هو السنبله التي تشتمل على الحبوب مثل التي في نبات القمح أو غيرها من نباتات الفصيلة النجيلية، إلا أن الإعجاز القرآني كما أفهمه يشير إلى خروج حبيبات النشا من المادة الخضراء بالخلايا النباتية. والحب المتراكب في الآية الكريمة يشير إلى حبيبات النشا بأنواعها المختلفة المتكونة سواء أكانت داخل البلاستيدة الخضراء أو أماكن التخزين الرئيسية فكل حبيبة نشا تتمثل في ذرة helium تتراكم وتتراكب حولها طبقات من النشا حسب نوع النشا الخاص بكل نبات (البطاطس (لامركزية) - الفاصوليا (متفرعة) - الذرة والقمح (مركزية) - الأرز...) فهذه الكلمة الكريمة «..متراكبا...» تدل على أن كل حبيبة تتكون من طبقات وحافة كل طبقة لها وضع خاص مع الطبقة التي تليها.

إن الطاقة الضوئية تتحول إلى طاقة كيميائية ليلا، وهذه الطاقة الكيميائية تنتقل في

النظام الحيوي إلى الطاقة الحرارية أثناء عملية تنفس الاوكسجين بواسطة الكائنات الحية (أو الاحتراق) حيث تنطلق الطاقة الحرارية ، وهكذا تنتقل الطاقة من صورة إلى أخرى حسب قانون بقاء الطاقة الذي يؤكد أن الطاقة لا تفنى ولا تستحدث، وإنما تتحول من صورة إلى اخرى ، وصدق الله العظيم حيث يقول : « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون» [٨٠ : يس].

إن تغير المناخ المتمثل في آيات اختلاف الليل والنهار للفصول المختلفة ، هو أحد المصادر الطبيعية الضخمة التي ترتبط بالحياة النباتية ، والتي يمكن استغلالها من الطاقة الشمسية بصورة أفضل لإنتاج الطاقة الكيميائية ، والمثلة في المواد الغذائية النباتية والحيوانية .

إشارات إعجازية في تكوين لبن الأنعام

في قوله تعالى : (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه
من بين فرث و دم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) . (سورة النحل : الآية ٦٦)

الأستاذ الدكتور حامد عطيه محمد

• أستاذ بكلية الطب البيطرى

• جامعة الزقازيق

ملخص البحث

لقد أدرك البشر منذ زمن بعيد العلاقة بين إدرار اللبن وما يتناوله الحيوان من
غذاء، وأن الحيوان يهلك إذا ما حرم من الغذاء، ولكنهم لم يعرفوا العملية التي يتم
بها تحول هذا الغذاء إلى لبن أو لحم أو عظم أو أي مادة أخرى. وجاء العلم الحديث
ليبين لنا مراحل تكوين اللبن خالصاً سائغاً للشاربين فيكشف لنا من آيات الله
اللطيف الخبير ما جاء مطابقاً لما أخبرنا به القرآن عن أسرار تكون اللبن في بطون
الأنعام، ويظهر عظمة إنعام الخالق المنعم على عباده .

المعنى اللغوى :

اختلف المفسرون فى معنى الآية الكريمة بسبب اختلافهم فى فهم مدلولات بعض الألفاظ فتصور البعض أن عبارة «من بين» جاءت للتبعيض أى من بعض الفرث أو من بعض الدم ، بينما رأى آخرون أنها مكانية أى من مكان بين الدم والفرث .

الإعجاز اللغوى فى قوله تعالى : (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً) .

ذكرت (عبرة) هنا بصيغة «نكرة» حيث تعتبر دليلاً على أهميتها الفائقة . وكما يقول الراغب فى كتاب المفردات «عبرة» من مادة عَبَّرَ وتعني العبور والانتقال من حالة الى أخرى، وهنا حيث يرى المعتبر حالةً يدلّك من خلالها على حقيقة لا يمكن ملاحظتها أطلقوا على ذلك «عبرة». وعليه فإنّ مفهوم الآية هو بمقدوركم أن تصلوا الى معرفة الله وعظمة وعلم وقدرة مبدىء الخلق العظيم من خلال ملاحظة أسرار وعجائب الحيوانات.

مراحل تكون اللبن من بين الفرث والدم :

يتم تكوين اللبن فى الأنعام بالتنسيق المحكم والتدرج الدقيق بين الجهاز الهضمى والجهاز الدورى والجهاز التناسلى عن طريق الغدد اللبنية فى الضروع وغيرها من الأجهزة حيث جعل الله لكل جهاز وظيفة وأعمالاً خاصة يقوم بها ليتكون - فى نهاية المطاف - اللبن الخالص السائغ للشاربين. ويمكن أن نجمل مراحل تكون اللبن كالتالى :

- عملية الهضم في الكرش (تحول العلف الى فرث)
- عملية استخلاص الأحماض الدهنية من بين الفرث

عملية استخلاص من بين الدم :

يتم تكوين اللبن بواسطة الغدد الثديية او الضرع عن طريق عمليتين هامتين:

- المرحلة الأولى: ترشيح بعض مكونات اللبن من مجرى الدم
- المرحلة الثانية: تركيب مكونات اللبن الأخرى بواسطة التمثيل الغذائي الخلوي

التركيب التشريحي للضرع:

صمم الخالق (سبحانه وتعالى) ضرع الأنعام وضرع غيرها من الحيوانات الثديية بحكمه بالغة كي يمكنها من إنتاج اللبن لإرضاع صغارها، واستفادة الإنسان منه. فضرع الأنعام رباعية التركيب، وتبدلي أربطه خاصة من الحوض لرفعها وحمايتها مما تتعرض له من صدمات خاصة عندما تمتلئ باللبن، ويثقل وزنها.

وقد استطاع العلماء حديثا معرفة كيف يتكون اللبن في بطون الأنعام بعد اكتشاف أسرار الجهاز الهضمي ومعرفة وظائف أعضائه ، وبعد اكتشاف الدورة الدموية وعلاقتها بعملية امتصاص المواد الغذائية من الأمعاء ودخولها في الدم، وقد استغرق ذلك فترة من الزمن لتطوير الأجهزة واكتشاف الأسرار استمرت قرابة خمسة قرون .يتم تكوين اللبن في الأنعام بالتنسيق المحكم والتدرج الدقيق

بين الجهاز الهضمي والجهاز الدوري والجهاز التناسلي عن طريق الغدد اللبنية في الضروع وغيرها من الأجهزة حيث جعل الله لكل جهاز وظيفة وأعمالاً خاصة يقوم بها ليتكون - في نهاية المطاف - اللبن الخالص السائغ للشاربين.

يكفي أن نعلم أنه من أجل إنتاج لتر واحد من الحليب في ثدي الحيوان يجب أن يمر ما يقارب خمسمائة لتر من الدم خلال هذا العضو كي يتم امتصاص المواد اللازمة من البروتينيات، والكربوهيدرات، والدهون، والعناصر والفيتامينات والهرمونات اللازمة لتكوين ذلك اللتر من اللبن. وقد استطاع العلماء حديثاً معرفة كيف يتكون اللبن في بطون الأنعام بعد اكتشاف أسرار الجهاز الهضمي ومعرفة وظائف أعضائه، وبعد اكتشاف الدورة الدموية وعلاقتها بعملية امتصاص المواد الغذائية من الأمعاء ودخولها في الدم، وقد استغرق ذلك فترة من الزمن تمكن العلماء فيها من تطوير الأجهزة واكتشاف الأسرار، استمرت قرابة خمسة قرون .

وجاء العلم الحديث ليبين لنا مراحل تكوين اللبن خالصاً سائغاً للشاربين فيكشف لنا من آيات الله اللطيف الخبير ما جاء مطابقاً لما أخبرنا به القرآن عن أسرار تكون اللبن في بطون الأنعام، ويظهر عظمة إنعام الخالق المنعم على عباده .

الإعجاز العلمي في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا)

الأستاذ الدكتور/ مصطفى إبراهيم حسن

- أستاذ علم الحشرات الطبية
- مدير أبحاث ناقلات الأمراض
- كلية العلوم - جامعة الأزهر

ملخص البحث

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) [٢٦: البقرة].

الحقيقة العلمية :

ينتمي البعوض إلى رتبة الحشرات ذات الجناحين، التي تشتمل على ٣٠٠٠ نوع من البعوض. ينقل البعوض العديد من الأمراض الخطيرة للإنسان. حيث تقوم

بعوضة الأنوفيلس بنقل مرض الملاريا للإنسان في مناطق كثيرة من العالم وخاصة في إفريقيا، كما تقوم بعوضة الكيولكس بنقل العديد من الأمراض للإنسان مثل: الفيلاريا، حمى غرب النيل، إلتهاب الدماغ، كما تقوم بنقل مرض حمى الوادى المتصدع للحيوان ومنه للإنسان وأيضاً مرض اللسان الأزرق للحيوان. وتنقل بعوضة الأيدس مرض الحمى الصفراء خاصة في إفريقيا. وتتضمن دورة حياة البعوض أربعة اطوار: البيضة، اليرقة، العذراء والحشرة الكاملة. وتلعب الأنثى الدور الرئيسي في نقل المرض للإنسان والحيوان. وتستطيع البعوضة الوصول لعوائلها عن طريق شعيرات حسية دقيقة توجد على أرجلها ورأسها. وترتبط البعوضة مع كثير من الكائنات الأكبر أو الصغر منها بعلاقات متميزة أهلتها للتواجد على الأرض منذ أكثر من ١٥٠ مليون سنة.

وجه الإعجاز في قوله تعالى: (بعوضة فما فوقها)

إذا أخذنا معنى كلمتي (فما فوقها) بأنه ما أدناها في الحجم أو ما أصغر منها، كما جاء في تفسير الطبرى، فقد وجد أن البعوضة ترتبط بعلاقات معقدة مع الكائنات التي أصغر منها والتي تعيش داخل معدة البعوضة مثل: البكتريا، الفطريات الفيروسات والأوليات. ووجد أن بعض هذه الكائنات مفيدة وضرورية لحياة البعوضة، وبعضها ضار بها. وتساعد البكتريا الموجودة في معي البعوضة في تصنيع مضادات للفيروسات التي تهاجم البعوضة. وإن السبب في قدرة البعوضة على نقل الأمراض تكمن في سر (فما فوقها) أى ما أصغر منها من كائنات، وهى البكتريا التي تعيش في معدة البعوضة. وإن هذه البكتريا تدافع عن البعوضة ضد

المسببات المرضية المختلفة التي تدخل مع وجبة الدم التي تأخذها من إنسان أو حيوان مصاب بالمرض. تحاول البكتريا قتل المسببات المرضية ولكن إذا نجحت تلك المسببات في القضاء على البكتريا المتعايشة مع البعوضة أو إضعافها، فإن تلك المسببات تتكاثر في العدد و تسبب الأمراض . ولعل نتائج البحث قد كشفت عن بعض السر المعجز في التعبير القرآني (فما فوقها). إن هذه الكائنات تحمي البعوضة والشئ المعجز أنها تحمي الإنسان أيضاً عن طريق قتل المسببات المرضية التي تنتقل إليه إذا تغذت البعوضة على دمه . أما إذا أخذنا معنى (فما فوقها) على أنه فما فوق جسم البعوضة، فلقد وجدت كائنات دقيقة أصغر من البعوضة تعيش فوق جسمها من الخارج، تفترس البعوضة وتقتلها مثل: الحلم والفطريات. وإذا أخذنا معنى (فما فوقها) بأنه ما أكبر منها في الحجم، فإننا سنجد أن البعوضة ترتبط بعلاقات معقدة مع الكائنات الأكبر منها وخاصة الإنسان والحيوان. فلقد وجد أن البعوضة تصيب الإنسان والحيوان بالعديد من الأمراض. ولكن كل المسببات المرضية التي تسبب هذه الأمراض تقع تحت التفسير الأول لمعنى بعوضة فما فوقها أي الكائنات الأصغر منها والتي سبق ذكرها. وأيضاً نجد أن البعوضة ترتبط مع معظم أفراد المملكة الحيوانية بعلاقات كثيرة. مثل الاسماك ، الزواحف ، البرمائيات و الثدييات. ولقد عبر القرآن الكريم عن كل تلك العلاقات سواء التي بين الكائنات الأكبر من البعوضة أو الكائنات الأصغر منها (المسببات المرضية) في تعبير معجز "بعوضة فما فوقها" .

في نهاية هذا البحث لا أستطيع إلا أن أقف عاجزاً عن التعليق عن تأويل (فما فوقها) في الآية الكريمة، فهي تستطيع أن تحتوى أقوال كل المفسرين سواء

المخلوقات الأدنى منها في الحجم أو الأكبر أو الأعظم منها في الخلق، أو بمعنى
المخلوقات التي فوق جسم البعوضة نفسها.

الإعجاز في خلية النحل كفاءة الأعسال المضادة للميكروبات

أ.د. أحمد جعفر حجازي

• المركز القومي للبحوث - جمهورية مصر العربية

ملخص البحث

«وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون» (النحل: ٦٨-٦٩).

الحقيقة العلمية: العسل مادة غذائية هامة تحتوي على محلول سكري مركز يتكون أساسا من السكر والماء والأملاح المعدنية والفيتامينات وبعض المواد البروتينية والخمائر والإنزيمات وبعض مركبات كيميائية ذات صفات دوائية. يتم تصنيع العسل من رحيق الأزهار التي تجمعها شغالات النحل من الأزهار المتنوعة المحيطة بالمنحل؛ تقوم شغالات النحل بتحويل الرحيق المتجمع من خلال عمليات الهضم الجزئي وتقليل الرطوبة إلى سائل سكري مركز يخزن بالعيون السداسية. والتعريف الأمثل للعسل بأنه المصدر الطبيعي للطاقة الحيوية؛ كما أنه يحتوي

على العديد من المنتجات المعقدة. ينضج العسل ليس فقط في حوصلة العسل في شغالات النحل ولكن أيضا في العيون السداسية بأقراص الشمع من خلال عمليات فسئوكيمائية معقدة (البخر) وأيضا من خلال عملية ميكانيكية يطلق عليها التقبيل بين الشغالات حيث تعلق الشغالة العسل وتوصله إلى لسان الشغالة الأخرى فبذلك يتيح فرصة للتعرض للبخر من خلال التعرض الحرارى بين الشغالتين وذلك من خلال توصيل قطرة الرحيق إلى أن تصل إلى العين السداسية كما أن النحل من أنشط المجتمعات ؛ إن لم يكن أنشطها وأدقها تنظيماً؛ حيث يتقاسم أفراد المجتمع العمل ؛ فكل يؤدي واجبة الموكل إليه بكل إخلاص وتفان وإتقان ؛ ولا يسمح أفراداه أن يعيش بينهم فرد كسول ؛ فإذا تكاسل فرد منهم وأصبح عبئاً على بقية أفراد المجتمع ، كان مصيره التشريد والطرده حيث يلفظه المجتمع لكونه عبئاً على العاملين المجدين ؛ وهذا المجتمع التعاونى يقدم العون للصغير والضعيف حتى يكبر ويقوى ليكون زادا للمجتمع وقوة فعالة به . فمجتمع النحل ؛ هو مجموعة من الأفراد لكل فرد فيه دور مستقل ؛ فتكون الخلية بمثابة جسم نابض بالحياة ، يحافظ على استتباب النظام داخل الخلية ؛ فإذا ألم بها مكروه أو ما يهدد أمنها ؛ تألمت وحزنت وتقوم بإصلاح ما أصابها ويزول ما يهدد الأمن والاستقرار ويعكر صفوه ؛ كما أن مجتمع النحل لا يعرف اليأس و كل فرد في الخلية يعمل المستحيل للمحافظة على استقرار وأمن الخلية ؛ فاذا ما شاهدنا هذا المجتمع المثالى لا يسعنا إلا أن نردد سبحان الله تبارك الله أحسن الخالقين.

وجه الإعجاز

معضلة لم تحل ولم تتضح كقيمتها إلا حديثاً في عصر العلم ومن هذا المنطلق فإن القرآن الكريم ورد به تكريم الله سبحانه وتعالى للنحل بجعل سورة باسم النحل لذلك أتجه البحث إلى دراسة كفاءة الأعسال المضادة للميكروبات.

كما ورد في الصحيحين (البخاري ح ٥٦٨٢) : أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء ، وما أحب أن أكتوي » فمن هنا قد افرد النبي صلى الله عليه وسلم كل ألوان وصنوف العلاج المتبعة الآن ، ومن التدخل الجراحي والعلاج التحفظي والعلاج الظاهري ، وقوله صلى الله عليه وسلم : عليكم بالشفائين العسل والقرآن فإن النحل والعسل في الحديث النبوي الشريف قد أخذ قسطاً وافراً من اهتمام سيد الخلق صلى الله عليه وسلم لما للنحل من آية في خلق الله واهتداء بسلوكه ونتاجه ، وما يخرج من الطيب ، وأهميته لكافة نواحي الحياة فان ذلك يدعوننا نحن أهل العلم للتدبر والتفكر لما وصانا به الله في محكم آياته « إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ». ومن هذه الآية الكريمة في سورة النحل « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون » تنشأ فكرة هذا البحث حيث أن العلم الحديث قد أثبت بلا مجال من الشك في قدرة عسل النحل العلاجية حيث يحتوي على عدد من الخصائص البيولوجية ، وهذا البحث قد تناول إحدى هذه الخصائص الهامة

أهمية الندى «الطل»

كإمدادات مائية للزراعة لإظهار الإعجاز العلمي في القرآن
(فإن لم يصبها وابل فطل)

الاسم: ملوك محمد خزان الخزان

- تاريخ الميلاد: ١٣٨٠ هـ
- الجنسية: السعودية
- آخر مؤهل دراسي: دكتوراه
- التخصص العام: أحياء - نبات
- التخصص الدقيق: بيئة نباتية
- المرتبة العلمية: أستاذ مساعد
- دولة الإقامة: المملكة العربية السعودية
- العمل الحالي: رئيسة قسم الأحياء - كلية العلوم للبنات

ملخص البحث

في هذه الدراسة تم إظهار حقيقة علمية مرتبطة بعلم البيئة كإعجاز علمي في القرآن وهو الطل المسمى علميا بالندى وورد ذلك في قوله تعالى: (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) [البقرة: ٢٦٥].

الحقيقة العلمية : أثبت العلم حديثاً أن الندى يلعب دوراً مهماً في حياة النبات حيث إن هناك مدد مائي لا يتقطع ، وهو الندى الذي تعتمد عليه النباتات أكثر من اعتمادها على مياه الأمطار في بعض البيئات لكونها تستطيع أن تمتص قطرات الماء المتكاثفة على سطح أوراقها (أصول الجغرافيا الزراعية ١٤٠٦ هـ) ، ولما له من أهمية كبرى فإن الوسائل التكنولوجية الحديثة اتجهت إلى إنشاء مصائد للضباب في سقاية مزارع المناطق الجافة .

أوجه الإعجاز :

مما سبق ذكره تتضح لنا أهمية الطل لسقيا النبات ، وإذا علمنا أن النبات لا يستفيد من المطر إلا إذا تغلغل إلى التربة وبعدها يمتصه النبات ، لذلك فإن المطر الخفيف لا يمكنه الوصول إلى باطن التربة حتى يتمكن النبات من امتصاصه ، وقد وضح الله سبحانه وتعالى أهمية الطل في صورة علمية مترابطة ومقننة ، حيث ربط الإمداد المائي الذي ذكره بمسمى وابل وطل باللجنة التي معناها أصناف مختلطة من النباتات، ومنها ما هو ذو جذور ضحلة ، ومنها كذلك ذو جذور عميقة ومتوسطة العمق ، وهذا يظهر ما ذكره الخالق من أهمية بالغة للإمداد المائي الحاصل من الندى لتلك النباتات باختلافاتها من أشجار وزروع والتي لها القدرة

على امتصاص الندى من على سطح أوراقها ، وهذا ما أثبتته العلم حديثاً . ولو كان الإمداد هو المطر الخفيف كما ورد في معنى كلمة (الطل) الذي جاء في تفسير بعض المفسرين لوجدنا أن هذا الإمداد يفقد جزءاً منه أثناء هطوله بالتبخير ، وذلك في طبقات الجو ؛ خصوصاً إذا كان الهواء حاراً ، وكذلك لا يمكن أن يستقر هذا المطر على سطح الأوراق بعكس ماء (الندى) الذي يستقر على الأوراق لفترة تمكن النباتات من امتصاصه للاستفادة منه ؛ حيث إن النباتات تمتص الندى المتجمع على أوراقها عن طريق أدمة الخلايا العادية ، أو عن طريق خلايا متخصصة في بعض المناطق الجافة ، وقد يتساوى ما يتجمع من الندى خلال العام بما يعادل حوالي ١,٥ بوصة من الأمطار ، ويعتبر هذا كافياً لاستحثاث نمو الأنسجة المرستيمية مما يحقق نمو النبات .

ومما سبق يتضح بأن ما ذكره الخالق عز وجل عن أهمية الندى للنبات يمثل سابقة علمية وردت في القرآن ، وبحساب تاريخها بطريقة العوضي ٢٠٠٩ م اتضح تاريخها ما بين ٦٢٢ م إلى ٦٣٢ م في الوقت الذي اكتشفت فيه هذه الحقيقة حديثاً ، وهذا يعنى بأن هذه الظاهرة البيئية ذكرت في القرآن قبل بداية تاريخ أسس علم البيئة ؛ والذي يقدم لنا بالتالي أنموذجاً من نماذج الإعجاز العلمي في هذا الكتاب الكريم .

تطور الحموضة واللون ومدة تخزين اللحوم المذكاة

د. محمد بورباب

- دبلوم البيولوجيا والجيولوجيا للمدرسة العليا للأساتذة بالرباط
- دبلوم الدراسات المعمقة في بيولوجيا التغذية والصحة جامعة عبد المالك السعدي بتطوان
- دبلوم الدراسات المعمقة في العلاج بالزيوت النباتية جامعة عبد المالك السعدي بتطوان
- دبلوم العلاج بالنباتات الطبية جامعة أندلوسيا بإسبانيا
- عضو الجمعية المغاربية للبيوتكنولوجيا
- عضو الجمعية التونسية لعلوم البيولوجيا باحث في ميدان البيولوجيا والتطور والإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية من مؤلفاته:
- قاعدة علوم البيولوجيا بالقرآن الكريم باللغة الفرنسية
- كتاب دليل الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية
- كتاب المعطيات العلمية للقرآن الكريم والسنة النبوية باللغة الفرنسية

- كتاب تحليل نظريات التطور في ثلاث طبعات..
- شارك في مؤتمرات الإعجاز بأكدال الرباط وبتطوان ٢٠٠٧ و٢٠٠٥..
- شارك في المؤتمر الدولي الخامس للبيوتكنولوجيا والملتقى العشرين للعلوم البيولوجية بتونس ٢٢ - ٢٥ مارس ٢٠٠٩.
- يحاضر باللغتين العربية والفرنسية، ألقى عدة ندوات علمية بالإذاعة والتلفزة ..

د. حمد إد عمر

جامعة عبد الملك السعدي

- كلية العلوم - علم الأحياء
- تخصص علم الوراثة وعلم الأحياء الجزيئية وعلم السموم الخليوي
- له مشاركات عديدة في مجال التدريس والتوجيه
- له ابحاث علمية منشورة

مباخص البحث

قال تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ...)

في عام ٢٠٠٥، تم إنتاج ٢٦٧ مليون طن من اللحوم في العالم ، ويمكن ان

يرتفع هذا الإنتاج إلى حوالي ٣٠٠ مليون طن بحلول عام ٢٠١٦.. تحتل فيها السوق العالمية للأغذية الحلال التي يستهلكها المسلمون وغيرهم ما لا يقل عن ١٢٪ من التجارة العالمية ففي فرنسا مثلاً تشكل "٨٠٪ من الأغنام و ٢٠٪ من الأبقار و ٢٠٪ من الدواجن وهي تحقق نمواً سريعاً ومطرداً. ومع ظهور جنون البقر وإنفلونزا الخنازير ازداد سوق اللحوم المذكاة تقدماً..

وإذا قامت بعض الدراسات السابقة بتتبع ومقارنة مستوى التغيير الجرثومي للحوم مذكاة وغير مذكاة فهذا عنصر واحد فقط لا يتدخل إلا في تخزين اللحوم من بين عدة عناصر تقوم هذه الدراسة بتغطيتها.. حيث تهدف هذه الدراسة إلى مقارنة جودة اللحوم المذكاة بغيرها من حيث تطور الحموضة وأثرها على اختلاف لون الأنسجة وتطور النمو الجرثومي و مدة التخزين لذبائح خضعت لإفراغ الدم بمستويات مختلفة..

واللحم حسب المعجم الغربية هو جميع أجزاء الحيوانات الصالحة للأكل بما فيها الدم، أما الإسلام فيحرم :

- لحم الميتة ومشتقاتها.
- ولحم الخنزير ومشتقاته، والحيوانات آكلة اللحوم ومشتقاتها.
- لحوم الحيوانات المذبوحة وفقاً لطقوس غير إسلامية أو ماتت قبل الذبح
- والدم
- ولحوم الجلالة.

وكل من اللحم و الدم مادة غذائية عالية وذات حساسية ميكروبيولوجية عالية بما يسمح بتكاثر البكتيريا و اليرقات الطفيلية المسببة للأمراض ...

مواد وطرق البحث :

أجرينا التجارب على ٨٠ عينة من عضلات أرانب (لحوم حمراء) ودجاج (لحوم بيضاء) خضعت لإفراغ الدم بمستويات مختلفة..ولتفادي تدخل العوامل الخارجية في البحث تم اختيار الذبائح المتجانسة من حيث: الوراثة، العمر، العرق، الجنس، النظام الغذائي، السكن، الخ...سواء عند الأرانب أو عند الدجاج ..

تقنيات أخذ العينات :

- تم أخذ العينات من داخل العضلات لتفادي الجراثيم السطحية (كارتية وآخرون ١٩٩٠) ومن مواقع مختلفة من جسم الذبائح (LaTouze وآخرون ١٩٨٥).
- اقتطعنا ١٠٠ غرام من كل عينة وتم جمعها في أكياس بلاستيكية ملائمة معقمة لتخضع لتحاليل مختلفة: مقارنة الحموضة للحوم و وانعكاسها على اختلاف لون الأنسجة و تطور النمو الجرثومي و مدة تخزينها...

دراسة قيمة pH بواسطة آلة القياس الخاصة :

تعتبر هذه الدراسة من أهم عناصر التطور الفيزيائي الكيميائي للحوم بعد الذبح وقد أخذنا القياسات من داخل عضلتي الفخذ والكتف. و تتموضع

معظم القياسات في مجال ضيق ما بين ٥ و٧ الشيء الذي يحتم أخذ القياسات بدقة لتحديد الفرق بين pH اللحوم المذكاة وغيرها.

نتائج واستنتاجات:

تبين النتائج ٣ امتيازات للحوم المذكاة:

- قيمها غالباً منخفضة عن الأخرى مباشرة بعد الذبح.
 - بقاؤها قريبة من القيم المسجلة للحوم غير المذكاة .
 - حمضيتها نسبياً أضعف من حمضية اللحوم غير المذكاة.
- فهي تحتوي على كمية أقل من الماء.

(مما يجعلها غير مواتية لنمو الكائنات الدقيقة ولونها أكثر استقراراً ومدة تخزينها أفضل وسرعة لتعفنها بطيئة).

دراسة تطور لون اللحوم:

اعتمدت دراستنا المقارنة البصرية إضافة إلى استعمال الآلات الخاصة في الميدان: وتبين النتائج:

- بقاء الدم على مستوى الأوردة والمفاصل والأنسجة في اللحوم الغير المذكاة مما يعكس لونا داكنا في اللحوم البيضاء وبروز لون الدم الأحمر القاتم في اللحوم الحمراء عند الأنواع غير المذكاة..
- ترتبط (قيمة pH) بدرجة سطوع لون اللحم وظهور اللون الأصلي

لألياف العضلة في اللحوم المذكاة.

وبالمقارنة مع سطوع لون الذبائح غير المذكاة يمكننا استنتاج ما يلي :

- قيم أكبر من $L^* = 52,6$ حيث اللون الأصلي الجذاب لعضلة الذبيحة المذكاة حسب الطريقة الإسلامية المرتبط بكمية الصباغ الأحمر في العضلات ، الغني بالحديد ، والذي يحدد مستوى التشبع اللوني.
- قيم ما بين $L^* = 52,6$ و $L^* = 48$ في اللحوم الغير المذكاة مما يعكس لونا داكنا أقل جاذبية في اللحوم البيضاء

التحليل الجرثومي :

اقتطعنا عينات من ١٠٠ غرام من نوع كل عينة وأخضعناها للتحليل الجرثومي مع تقييم التلوث الإجمالي لتعداد البكتيريا الهوائية FMAT الدالة على درجة التلوث الجرثومي الشامل (كارتية ، ١٩٩٣).

نتائج واستنتاجات :

- تقاربت أعداد الجراثيم المحصاة ساعة بعد الذبح مع انخفاض نسبي في اللحوم المذكاة .
- تكاثرت الجراثيم مع مرور الزمن بسرعة أكبر في اللحوم الغير المذكاة

عامل الحرارة وقيمة pHu وأثرهما على مدة التخزين:

قمنا بقياس (قيمة pHu) في فصلي الشتاء والصيف :

- فلاحظنا ارتفاع معدلات قيمة pHu في فصل الصيف بصفة عامة وفي اللحوم الغير المذكاة بصفة خاصة وبسرعة أكبر.
- واستنتجنا ضرورة البحث عن توازن بين العنصرين (قيمة pH) ودرجة حرارة التخزين مع الإفراغ التام للذبائح من الدم.

خلاصة:

لتفادي تدهور قيمة pHu وللمحافظة على التشبع اللوني ومواجهة الخطر الجرثومي وتقلص مدة التخزين ينفق الإنسان أموالا طائلة يمكن تفاديها فقط بتجنب دم الذبيحة.

دراسة نسيجية وتركيبية دقيقة ومقارنة لتأثير نبات القسط وعقار أمفوتريسين (ب)

على رئة ذكور الجرذان المصابة بفطراسبيرجيليس نيجر
لإظهار الإعجاز العلمي في السنة

أ.د. سناء أحمد خليفة

- جامعة الملك عبد العزيز
- كلية العلوم للبنات جدة

أ.د. رحمة علي أحمد العلياني

- تاريخ الميلاد: ١ / ٧ / ١٣٧٦ هـ
- الجنسية: سعودية
- آخر مؤهل دراسي: دكتوراة
- التخصص العام: خلية وأنسجة
- التخصص الدقيق: الأنسجة وكيمياء أنسجة

- المرتبة العلمية: أستاذ
- دولة الإقامة: المملكة العربية السعودية
- العمل الحالي: وكيلة كلية العلوم والآداب بمحافظة رابغ

١. داليا مصطفى محمد دمياطي

- تاريخ الميلاد: ١٣ / ٥ / ١٣٩٦ هـ
- الجنسية: سعودية
- آخر مؤهل دراسي: ماجستير
- التخصص: خلية وأنسجة
- المرتبة العلمية: محاضر
- دولة الإقامة: المملكة العربية السعودية
- العمل الحالي: طالبة دكتوراة بجامعة الملك سعود

ملخص البحث

يهدف هذا البحث لدراسة الإعجاز العلمي في خصائص اختبار استخدام نبات القسط في علاج التهابات الرئة المصابة بفطراسبيرجيلس نيجر كبديل للعلاج الكيميائي (أمفوتريسين - ب) تأسيماً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (تداؤوا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت) خاصة وأن البحوث في هذا الجانب محدودة جداً فتم اجراء التجارب على ذكور الجرذان البيضاء ؛ و قسمت حيوانات التجارب إلى المجموعات التالية:

- **المجموعة الأولى :** واشتملت على الحيوانات الضابطة حيث أعطيت الماء المقطر عن طريق الفم طوال مدة التجربة.
- **المجموعة الثانية :** اشتملت هذه المجموعة على جرذان عوملت بمعلق الفطر اسبيرجيلس نيجر *Aspergillus niger*.
- **المجموعة الثالثة :** واشتملت على الحيوانات المعاملة بمستخلص نبات القُسط وقسمت إلى (٤) فئات كالتالي:

١. اشتملت جرذان عوملت بمستخلص القُسط فقط وحقنت بجرعة ١ عن طريق الفم.
٢. اشتملت جرذان عوملت بمستخلص القُسط فقط وحقنت بجرعة ٢ عن طريق الفم .
٣. اشتملت جرذان عوملت بمعلق الفطر ثم عوملت بمستخلص القُسط بجرعة ١ عن طريق الفم.

٤. اشتملت جرذان عوملت بمعلق الفطر ثم عوملت بمستخلص القُسط بجرعة ٢ عن طريق الفم.

- **المجموعة الرابعة:** مجموعة الجرذان المعاملة بعقار أمفوتريسين- ب واشتملت على جرذان عوملت بمعلق الفطر ثم عوملت بعقار أمفوتريسين- ب وريدياً.

وكان من أهم النتائج المتحصل عليها في هذه الدراسة:

١. اكتشاف أن المعاملة بنبات القُسط فقط لم تظهر أي تغيرات نسيجية وتركيبية دقيقة على الخلايا السليمة الحية.
٢. ظهور تغيرات مرضية نسيجية وتركيبية دقيقة في الجرذان المعاملة بمعلق الفطر تمثلت في تشوه معظم مناطق نسيج الرئة.
٣. استمرارية الأضرار النسيجية والتركيبية الدقيقة في معظم اجزاء نسيج الرئة في الجرذان المعاملة بمعلق الفطر ثم المعاملة بالعقار.
٤. الأثر الفعال والدور الايجابي اثناء دراسة القطاعات النسيجية والتركيبية الدقيقة لنبات القُسط في معالجة الجرذان المعاملة بمعلق الفطر.

معجزة الاستشفاء بالهسل

دراسة علمية مقارنة للأثر المضاد ميكروبي (بكتيري وفطري)
لمجموعة من الأعسال من مختلف مناطق الوطن (الجزائر) ٢٠٠٧

أسماء سيب

- تاريخ ومكان الإزدياد: ٠٤ ديسمبر ١٩٨٤ بوهران.
- الحالة الاجتماعية: متزوجة.
- الجنسية: جزائرية.
- القسم: بيولوجيا.
- مجال التخصص: علم الأحياء الدقيقة و الأمن الصحي للأغذية.

المؤهلات العلمية:

- بكالوريا علوم سنة ٢٠٠١.
- دبلوم دراسات عليا تخصص علم الأحياء الدقيقة سنة ٢٠٠٥ كلية العلوم جامعة تلمسان.
- ماجستير علم الأحياء الدقيقة و الأمن الصحي للأغذية.

موضوع الرسالة : دراسة الجودة الغذائية والأثر الضد مكروبي لمجموعة من الأعسال المحلية والمستوردة.

المشاركة في التظاهرات العلمية:

- المشاركة في الأسبوع الوطني الرابع لجامعات الوطن في محور السموم الفطرية و الأمن الغذائي سنة ٢٠٠٥ بجامعة تلمسان.
- المشاركة في ملتقى للمكر وبيولوجيا بجامعة متنوري قسنطينة ٢٠٠٥.
- المشاركة في المنتدى العلمي للبيئة والمحيط ٢٠٠٦ بجامعة تلمسان.
- المشاركة في ندوة الجزائر الدولية حول الإعجاز الطبي والبيولوجي في القرآن والسنة فيفري ٢٠٠٩.

ملخص البحث

قال تعالى: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

سورة النحل (٦٨-٦٩).

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الشفاء في ثلاثة، شرطة محجم أو شربة عسل أو كية نار وأنهى أمتي عن الكي" أخرجه البخاري.
عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم

بالشفاءين العسل و القرآن " رواه ابن ماجه في سننه حديث ٣٤٥٢

لقد ظل العسل قرونا عديدة يعتبر منحة عجيبة من منح الله عز وجل امتزجت مزاياه كطعام ممتاز، بمزاياه الطبية العلاجية التي لم يتم إثباتها إلا في عصرنا الحديث رغم أن النبي صلى الله عليه و سلم حث عليها منذ أكثر من ١٤ قرنا، فالأولى أن نكون السابقين كمسلمين لهذه الأبحاث

و في هذا السياق تم دراسة تأثير أنواع من العسل المحلي و المستورد على النمو الميكروبي وذلك باستخدام عشرين نوعا من العسل المختلفة الأصل النباتي و الجغرافي ، وكان منها الطبيعي من المناحل مباشرة و المعبأ تجاريا. وذلك على عدة أنواع من البكتيريا المتسببة في أكثر الأمراض خطورة و انتشارا في مستشفياتنا ، وعلى الفطريات الممرضة المتلفة للأغذية في طور تخزينها، و التي تلحق أضرارا جسيمة على الصحة و الاقتصاد .

من حيث النشاط المضاد للميكروبات جميع أنواع العسل تمنع نمو البكتيريا و الخميرة بمستويات متفاوتة :حسب نوع العسل المكروب و مدة التحضين. كما أن عينات أخرى أحادية الأزهار أظهرت نشاطاً هاماً مضاداً للفطور و خصوصا مع عسل سدر جبلي *Ziziphus lotus* و *Eucalyptus globulus* ، و العسل المتعدد الأزهار بجبال تلمسان (عين غرابة).

نلاحظ أنه من بين جميع السلالات المدروسة كانت ايشيريا القولونية *E.coli* الأكثر حساسية للعسل ، وهذه النتائج قد نساهم بها في تفسير حديث المصطفى صلى الله عليه و سلم عندما قال للأعرابي الذي أتى الرسول يشكو أن أخيه استطلق بطنه هذه البكتيريا تسبب الإسهال و الارتبكات المعوية.

تتفاوت مستويات الحساسية حسب الأصل النباتي والجغرافي للعسل، مما دفعنا لمزج عينات مختلفة من العسل ساهم في تحسين كبير في نشاطها المضاد للميكروبات. هذه النتائج تتوافق مع العديد من الأبحاث العلمية المخبرية و الإكلينيكية على حروق وجروح المرضى المتعفنة الصعبة أو مستحيلة المعالجة بالمضادات الحيوية الكلاسيكية ، وما زال بحثنا مستمرا لمحاولة استخلاص و التعريف الكيميائي بالعناصر المسؤولة عن تثبيط النمو الميكروبي.

إعجاز التمر في الشفاء والوقاية من الميكروبات الضارة والممرضة

دكتورة/ أروى عبد الرحمن أحمد

- قسم علوم الحياة-ميكروبيولوجي-كلية العلوم - جامعة صنعاء - صنعاء-اليمن

ملخص البحث

النص المعجز: يكفي للدلالة على بيان إعجاز التمر والنخيل في الشفاء والوقاية من البكتريا الضارة في الفم وغيره ورود ذكرها في القرآن الكريم في مواضع متعددة منها قوله تعالى:

(والنخل باسقات لها طلع نضيد)، وقوله: (ونخل طلعا هضيم)، وقوله: (فيهما فاكهة ونخل ورمان).

كما ورد في الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير تمراتكم البرني، يذهب الداء، ولا داء فيه".

وقال صلى الله عليه وسلم: "من اصطحب كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل" رواه البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم: "العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم" رواه أحمد بإسناد صحيح من هنا كانت انطلاقة البحث لمعرفة اثر التمر في القضاء على بعض الميكروبات الضارة المعزولة من الفم واللوز الملتهبة.

الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص:

لقد اهتم البحث بـ:

- بيان إعجاز التمر في الشفاء والوقاية من الأمراض وبالذات أمراض الفم.
- اثر التمر في تثبيط مجموعة من البكتريا المعزولة من أفواه الصائمين عند المساء.
- اثر التمر في تثبيط مجموعة من البكتريا المعزولة من مرضى التهاب اللوز.

البحث:

في هذا البحث عزلت الأنواع البكتيرية المتواجدة في أفواه الصائمين لتسعة وعشرين من الذكور الذين تتراوح أعمارهم من ٢١-٢٣ سنة وقد تم اخذ العينات عند المساء قبل الإفطار بحوالي ساعة. ووجد أن للتمر بتركيزه المختلفة تأثيراً فعالاً في التثبيط و القضاء على هذه البكتريا المعزولة من أفواه الصائمين.

كما أجريت الدراسة أيضا على ٣٠ عينة من المرضى (٢١ من الإناث و ٩ ذكور) الذين تم تشخيصهم إكلينيكيًا بأن لديهم التهاب اللوز وقسم من هؤلاء المرضى كان لديهم التهاب حاد كخراجات على اللوز قبل إزالتها، والقسم الآخر كانوا يعانون من التهاب اللوز بعد أن خضعوا لعملية إزالتها، لكن ASO كان لديهم مرتفعاً. وبعد دراسة تأثر المستخلصات المائية للتمر على السلالات البكتيرية المعزولة من

التهاب اللوز ومقارنته بنباتات طبية أخرى مثل الليمون والثوم وغيره. أظهرت الدراسة أن مستخلص التمر أعلى تأثير من غيره على كل البكتيريا المعزولة من مرضى التهاب اللوز.

وجه الإعجاز في النص:

قال صلى الله عليه وسلم في الصائمين: "فان خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك" ونعلم أن سبب الرائحة الكريهة في فم الصائم حين يمسى هي ناتجة عن وجود البكتريا والتي تغير رائحة الفم، لذا كان صلى الله عليه وسلم يفطر على التمر عن أنس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي على رطبات فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء" رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن. وقد وجدنا في هذا البحث أن التمر يشبط معظم الأنواع البكتريا المعزولة من فم الصائمين عند المساء.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير تمراتكم البرني، يذهب الداء، ولا داء فيه" رواه الطبراني والحاكم وقال الألباني: حديث حسن والتمر البراني نوع من أنواع التمر ومعلوم أن من أهم المسببات للأمراض البكتريا، لذا فقد قمنا بعزل البكتريا المسببة لمرض التهاب اللوز ودرسنا اثر التمر في القضاء عليها ووجدنا أن للتمر أثر كبير في القضاء على هذه البكتريا.

كما قال صلى الله عليه وسلم: "من اصطحب كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل" رواه البخاري، وقال صلى الله عليه وسلم: "العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم" رواه أحمد بإسناد صحيح ويقول الدكتور النسيمي:

السموم أنواع، والتسمم إما أن يكون خارجي المنشأ، يدخل الجسم عن طريق الجروح أو لدغات الأفاعي، أو عن طريق طلاء الحروق الواسعة بمواد تعدُّ سامة بمقدارها الكبير كالمكروكروم، أو عن طريق الفم مع الطعام والشراب أو عن طريق التنفس، وإما أن يكون التسمم داخلي المنشأ كالانسام بالبولة (أوريميا) أو الانسام نتيجة التفسخات المعوية وظيفانات الجراثيم والطفيليات. وقد اهتم هذا البحث بالسموم الميكروبية وبالذات السموم البكتريا ومعرفة اثر التمر في القضاء على بعض الميكروبات الضارة سواء تلك التي تفرز سموما داخلية أو خارجية المعزولة من الفم واللوز الملتهبة ووجد أن للتمر فعالية عالية في القضاء على تلك البكتريا.

الإعجاز العلمي في نون العسل وعلاقته بحصوات الكلى

أحمد بن سطل

- أستاذ الكيمياء بجامعة الجلفة
- اللغات : عربية ، فرنسية ، إنجليزية

المؤهلات العلمية :

- شهادة البكالوريا تخصص رياضيات دورة جوان ١٩٨٩
- شهادة الدراسات العليا تخصص كيمياء دورة جوان ١٩٩٤ جامعة وهران - الجزائر.
- شهادة الماجستير تخصص كيمياء عضوية ٢٠٠١ جامعة وهران - الجزائر.
- مسجل لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة بسكرة - الجزائر -

النشاط التدريسي داخل الجامعة

- أستاذ الكيمياء العامة لطلبة السنة أولى علوم وتقنيات
- أستاذ الكيمياء العضوية لطلبة السنة أولى بيولوجيا
- أستاذ بنية المادة لطلبة السنة أولى تكنولوجيا
- أستاذ الديناميك الحرارية لطلبة السنة أولى علوم المواد

نشاطات:

- إجراء تجارب معملية حول تثبيط بعض أنواع الجراثيم المصاحبة للتسمم الغذائي باستعمال النباتات الطبية للمنطقة السهبية وذلك بالتعاون مع الأستاذ الدكتور شريف صبري رجب المكاوي رئيس قسم التغذية وعلوم الأطعمة بكلية الإقتصاد المنزلي لجامعة المنوفية
- إجراء تجارب حول الفعل التثبيطي لمستخلصات بعض النباتات الطبية على تشكل الحصيات الكلوية على مستوى فئران التجارب وهذا بالتعاون مع الأستاذ الدكتور شريف صبري رجب المكاوي رئيس قسم التغذية وعلوم الأطعمة بكلية الإقتصاد المنزلي لجامعة المنوفية
- مثقال ذرة من منظور رقمي ندوة الجزائر الدولية (المؤتمر التاسع للهيئة) حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة جامعة فرحات عباس - سطيف- الجزائر ١٠-١٢ مارس ٢٠٠٨م.
- إعجاز القرآن المجيد في آيات الحديد الملتقى الوطني الخامس للإعجاز

العلمي في القرآن والسنة النبوية ٢٨/٢٩/٣٠ أبريل ٢٠٠٨ جامعة
جيجل بالجزائر .

• مهمتهم بقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية.

ملخص البحث

(أ) النص المعجز الآية :

يقول تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ
وَمَا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ
بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) ﴾
سورة النحل.

الحديث : قال صلى الله عليه وسلم : « نعم الشراب العسل يرعى القلب
ويذهب برد الصدر».

(ب) الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص

• للعسل ألوان مختلفة تتراوح بين الأبيض المائي والناصح و العنبري
الفاتح والفاتح جدا، وكذلك الغامق، وهذه الأصباغ هي من مشتقات
الكلورفيل والكاروتين والزازنتوفيل وصبغات غير معروفة بعد ، كما أن
من أكثر الأسباب تأثيرا بلون العسل هي كمية الأملاح المعدنية التي تسبب

زيادتها زيادة في درجة اللون الأغمق للعسل ، كما أن اختلاف تركيب التربة الكيماوي يؤدي إلى اختلاف لون العسل ، وذلك أن رحيق الأزهار يعتمد اعتماداً كبيراً على ما يمتصه النبات من المعادن التي في التربة.

- حصوات الكلى هي كتل صلبة مكونة من بلورات صلبه صغيره جداً ، يتفاوت حجمها من حجم صغير لا يرى بالعين المجردة إلى حجم كبير ، قد تتكون هذه الحصوات في أحواض الكلى ، أو في الحالبين أو تسقط في المثانة ، مما قد يحدث انسداداً في مجرى البول أو قلة إدراره ، وهذا بالطبع يؤدي إلى تضخم في الكلية أو حدوث التهابات شديدة في المسالك البولية، وحصوات الكلى أنواعاً متعددة نذكر منها:

حصاوى الكالسيوم : وهي بدورها أنواع متعددة مثل

- أو كسالات الكالسيوم (Calcium Oxalate) حيث تشكل ٧٠٪ إلى ٨٠٪ من الحصوات
 - و فوسفات الكالسيوم (Calcium Phosphate)
 - و الحصيات الإنتانية المختلطة (Mixed Infective Stones)
- و التي تُشكل ١٥٪ من إجمالي الحصيات البولية وتكون أكثر حدوثاً عند النساء. تظهر هذه الحصوات نتيجة لحدوث خلل في تمثيل الكالسيوم والفسفور في الجسم و حدوث ارتفاع للكالسيوم و للأوكسالات في البول مما يؤدي لتكوين أو كسالات الكالسيوم الغير ذائبة نسبياً في البول وتمثل النسبة العظمى خصوصاً عند الرجال.

كثيرا ما كانت الأبحاث الخاصة بالإعجاز العلمي تقوم بعملية المطابقة بين الحقيقة العلمية وبين النص القرآني أو الحديث الشريف ، لكن في بحثنا هذا نحاول ربط ما جاءت به الآية من اختلاف لألوان العسل وتأثير ذلك على حصوات الكلى ، وكيف أن المولى عز وجل ربط اختلاف الألوان بالشفاء، وذلك بالاعتماد على طريقة التطبيق إذ أننا قمنا داخل المخبر باختيار نوعين من العسل يختلفان في اللون ، وأجرينا عليهما تجارب لمعرفة مدى تأثير كل نوع على تشكل حصوات الكلى هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى سنحاول لماذا أوصى المصطفى عليه السلام بشراب العسل وكيف أن استخدام العسل مذابا في الماء وينسب مختلفة يؤدي إلى نتائج مختلفة.

(ج) وجه الإعجاز في النص

من خلال بحثنا هذا تبين أن اختلاف ألوان العسل له دور في الوقاية من حصوات الكلى ، وخلصنا أيضا إلى أن النص القرآني معجز في كل كلمة من كلماته، وليس هذا فحسب بل حتى كلام المصطفى عليه الصلاة والسلام كان معجزا عندما أوصى بشراب العسل ، وذلك من خلال إيجاد علاقة بين الشراب المختلف ألوانه المذكور في الآية السابقة وبين تشكل حصوات الكلى.

دراسة نسيجية لتأثير الخوف على النسيج الكبدي

د. لطيفة بنت إسحاق عبد الملك خياط

- الجنسية : سعودية.
- المؤهل العلمي : دكتوراه
- التخصص العام : علم حيوان
- التخصص الدقيق : علم الأنسجة والخلية
- جهة العمل : جامعة أم القرى

المؤهلات العلمية :

- - درجة البكالوريوس من جامعة أم القرى عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م تخصص أحياء-كيمياء مع إعداد تربوي.
- - درجة الماجستير من جامعة جلاسجو/ بريطانيا عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م تخصص بيولوجيا الخلية.
- - درجة الدكتوراه من جامعة الملك عبدالعزيز / كلية التربية الأقسام العلمية عام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م تخصص علم الأنسجة والخلية.

التدرج الوظيفي:

- محاضرة في كلية التربية للبنات الأقسام العلمية / قسم الكيمياء (١٤١٩ - ١٤٢٠ هـ)
- محاضرة في كلية التربية للبنات الأقسام العلمية / قسم الأحياء (١٤٢١ - ١٤٢٨ هـ)
- أستاذ مساعد في كلية التربية الأقسام العلمية / قسم الأحياء ١٤٢٨ هـ.
- أستاذ مساعد في جامعة أم القرى / كلية العلوم التطبيقية / قسم الأحياء ١٤٢٩ هـ

المهام الإدارية:

- رئيسة لشئون الطالبات لعام ١٤١٩ هـ.
- مساعدة رئيسة لجنة رصد الدرجات من عام ١٤١٩ إلى عام ١٤٢٣ هـ.
- وكيلة قسم الأحياء لمدة عامين من عام ١٤٢٠ - إلى عام ١٤٢٢ هـ.
- مساعدة رئيسة لجنة سير الاختبارات (دور المواد المحمولة) عام ١٤٢٢ هـ.
- رئيسة النشاط اللامنهجي لمدة عامين ١٤٢٣ - ١٤٢٤ هـ.
- رئيسة لجنة رصد الدرجات لمدة عامين ١٤٢٤ - ١٤٢٥ هـ.
- عضوة في لجنة سير الاختبارات عام ١٤٢٦ هـ.
- رئيسة لجنة المعادلات لعامين ١٤٢٧ / ١٤٢٨ هـ
- مساعدة رئيسة لجنة سير الاختبارات لعام ١٤٢٧ هـ.

- وكيالة قسم الأحياء عام ١٤٢٨ / ١٤٢٩ هـ
- عضوه في مجلس الكلية عام ١٤٢٨ / ١٤٢٩ هـ و عام ١٤٢٩ / ١٤٣٠ هـ
- وكيالة كلية العلوم التطبيقية (فرع الطالبات) للشئون التعليمية المكلفة لعامين ١٤٣٠ / ١٤٣١ هـ.
- عضوة في لجنة التأديب لعامين ١٤٣٠ / ١٤٣١ هـ.
- عضوة في لجنة سير الاختبارات لعام ١٤٣٠ / ١٤٣١ هـ.
- خامساً : عضوية اللجان:
- عضوة في لجنة التأديب عام ١٤١٩ هـ.
- عضوة في لجنة الأمن والسلامة .
- عضوة في لجنة حماية البيئة.
- عضوة في لجنة الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.
- عضوة في لجنة الاحتفال باختيار مكة عاصمة الثقافة.
- نائبة رئيسة لجنة التنظيم والإستقبال في حفل تخرج الطالبات لعامي ١٤٢٨ / ١٤٢٩ هـ، ١٤٢٩ / ١٤٣٠ هـ
- عضوة في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- عضوة في الجمعية السعودية لعلوم الحياة.
- عضوة في الجمعية المصرية للعلوم البيولوجية.
- عضوة في الجمعية السعودية للتقنية الحيوية.

ملخص البحث

النص المعجزة:

قال صلى الله عليه وسلم ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)) رواه مسلم كتاب الصيد والذبائح ٣/١٥٤٨ ح ١٩٥٥

الحقيقة العلمية:

أظهرت العديد من الأبحاث العلمية الحديثة حقائق مذهلة عن مظاهر الخوف الفسيولوجية التي تحدث داخل الجسم نتيجة التعرض للخوف الشديد كالخوف من القتل والذبح.

يعد الجهاز الهرموني هو المسؤول الأول عن حدوث هذه التغيرات الفسيولوجية بما يفرزه من هرمونات تؤثر في الحالة الفسيولوجية للجسم وتنظم عمله، ففي حالة الخوف الشديد يتم استحداث الغدة النخامية لإفراز هرمون يعمل على حث الغدة الكظرية لإفراز هرمون الأدرينالين الذي تزيد نسبته في الدم عن المستوى الطبيعي، مما يؤدي إلى حدوث العديد من التفاعلات الكيميائية والفسيولوجية داخل الجسم مثل ارتفاع درجة الحرارة مع زيادة دقات القلب ومعدل التنفس وارتفاع علي في ضغط الدم وتحرير الجلوكوجين من مخازنه في الكبد والعضلات.... وغيرها.

وقد أظهرت الدراسة النسيجية الحالية التي تم إجراؤها على بعض الخرفان والتي تعرضت للخوف قبل الذبح بطرق مختلفة ولفترات مختلفة وجود تغيرات مرضية عديدة في نسيج الكبد شملت تحلل العديد من الخلايا الكبدية واتساع

الوريد المركزي وركود وترسيب لخلايا الدم الحمراء مع تحللها، كما يظهر الوريد المركزي محطم البطانة الداخلية ومتصلا بالجيوب الدموية التي تظهر متسعة ومنفصلة البطانة الطلائية، وكذلك زيادة ملحوظة في خلايا كوفر بين الخلايا الكبدية.

كما أظهرت الدراسة القناة الصفراوية وقد تحلل معظم خلاياها مع تهتك لجدار القناة وزيادة خلايا كوفر في تلك المنطقة أيضا.

ومع زيادة فترة الخوف التي يتعرض لها الحيوان تشتد حدة الأعراض المرضية للكبد مثل تحلل الخلايا الكبدية في مناطق متعددة، وكذلك اتساع كبير للوريد المركزي مع تهتك وانفصال البطانة الداخلية له وترسيب لخلايا الدم الحمراء وتحللها، ويظهر اتصال الوريد المركزي بالجيوب الدموية داخل الفصوص الكبدية وترشيح لخلايا الدم الحمراء داخلها، كما يشاهد الوريد الباني متهتك البطانة الطلائية مع تليف لجداره وتغير شكله.

وجه الإعجاز:

١. بين الرسول عليه السلام الهدى الصحيح في الذبح مما يؤكل من بهيمة الأنعام فربط عليه الصلاة والسلام بين الرفق والإحسان إلى الحيوان وبين سلامة اللحوم وما يؤكل من الحيوان كالكبد والعضلات. فقد أظهرت الدراسة المجهرية الحالية أن إخافة الحيوان يؤثر في التركيب النسيجي للكبد ويتلفها، ويزداد هذا التلف بزيادة فترة التعرض وطرق التخويف، وذلك لأن الخوف يزيد من إفراز هرمون الأدرينالين الذي تزيد نسبته في الدم

بسرعة و ينتشر مع الدورة الدموية إلى الأعضاء المعنية بسرعة، وقد أظهرت نتائج الدراسة الحالية التأثير السلبي لزيادة هرمون الأدرينالين على الخلايا الكبدية ، حيث يعمل على تدمير بعض الخلايا الكبدية وتحللها، ويظهر تلف في البطانة الطلائية للوريد المركزي مع اتساع في حجم الوريد يزداد مع زيادة نسبة هرمون الأدرينالين المفرزة، كما يظهر ترسيب لخلايا الدم الحمراء مع تحللها داخل الوريد المركزي و ظهور اتساع في حجم الجيوب الدموية واتصالها مع الوريد المركزي ، وترسيب للخلايا الدموية الحمراء بداخلها وتحللها ، مع زيادة في عدد خلايا كوفر. كما تظهر الدراسة الحالية تحطم الخلايا المبطنة للقنوات الصفراوية مما يؤدي إلى انتشار العصارة الصفراوية بين الخلايا الكبدية وقد تنتشر مع الدورة الدموية إلى جميع أنسجة الجسم منها العضلات.

٢. نهي الرسول عليه السلام عن إخافة المسلم واتضح السر لهذا النهي باكتشاف التغيرات الفسيولوجية للجسم والنسجية للخلايا الكبدية التي تتأثر بزيادة إفراز جزيئات هرمون الأدرينالين المسؤولة عن الخوف، ولأن الكبد يعد من الأعضاء الهامة في الجسم لما يقوم به من دور اساس في عمليات التحول الغذائي وتخزين الجليكوجين فقد أظهرت الدراسة النسيجية الحالية الأضرار الشديدة التي تصيب الكبد نتيجة التعرض للخوف الشديد ، وهذا يتوافق مع نهى الرسول عليه السلام عن إخافة المسلم، وكذلك مع رفقته وإحسانه عند الذبح.

وهكذا يتجلى الإعجاز العلمي لهذا النهى مع الحقائق العلمية الحديثة التي بينت الأضرار الجسيمة التي يحدثها الخوف داخل الجسم سواء على المستوى

الفسيولوجي للأعضاء أو المستوى النسيجي للخلايا الكبدية ذلك أن القرآن الكريم كلام الخالق عز وجل وأن أحاديث الرسول عليه السلام وحى من الله، فمن أين لهذا النبي الأُمي أن يعلم بكل هذا الضرر الذي يلحق بالإنسان والحيوان عند تعرضه للخوف الشديد وينهى عن إخافته. كما يتجلي لنا عطفه ورحمته وإحسانه عليه السلام إلى الحيوان حتى عند ذبحه وبذلك يكون قد سبق الغرب في الدعوة إلى الرفق بالحيوان قبل ألف وأربعمائة وثلاثون عاما.

تأثير القسط الهندي

Speciosus Costus

على فطر *Aspergillus niger* و *A.fumigatus* و خميرة *Candida albicans* التي تصيب الجهاز التنفسي في الإنسان

د. منال عثمان حمزة كردي القطان

- تاريخ الميلاد: ١٣٩٣ هـ
- مكان الميلاد: مكة المكرمة
- الوظيفة: أستاذ مساعد .
- الجهة: كلية التربية بجدة _ الأقسام العلمية
- الإنتاج العلمي والفكري المنشور (كتب، مقالات، لوحات ، دواوين شعر ، مجموعة شعرية... إلخ) :-
- المشاركة في كتاب عجائب وأسرار العلاج بأبوال الإبل .
- المشاركة في بحث منشور عن عجائب وأسرار العلاج بأبوال الإبل بمؤتمر دبي للإعجاز العلمي عام ٢٠٠٤ م .

الوظائف وعضوية الجمعيات والمؤسسات ومجالس الإدارة الخائلية والسابقة

- عضوة في لجنة سير الاختبارات .
- المشاركة في تدريب طالبات التربية العملية .
- تدريس مقررات المواد العملية للطالبات بقسم النبات .

مشاركات العضو الداخلية والخارجية :-

- المشاركة في ندوات عن الإعجاز العلمي للعلاج بأبوال الإبل .
- المشاركة بالحضور في مؤتمر خاص بالإعجاز العلمي .
- المشاركة في الجنادرية (١٧) .
- المشاركة في النشاط اللامنهجي داخل الكلية .

المجالات العلمية والفكرية والأدبية التي تهتم بها مرتبة حسب الأهمية

- الاهتمام بعلوم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية .
- الإبداعات الفنية (رسومات فنية ، أشغال يدوية) .
- مجال استخدام الحاسب الآلي .

ملخص البحث

بدأت في الآونة الأخيرة دعوة "للعودة إلى الطبيعة من أجل صحة آمنة"، وذلك من خلال التطب بالإعشاب للتقليل من الأخطار الناتجة عن الإفراط في استخدام العقاقير أدى في السنوات الأخيرة إلى تفاقم مشكلة ظهور سلالات من الأحياء الدقيقة مقاومة لمضادات الحيوية في أنحاء مختلفة من العالم، وقد أصبح الناس أكثر إدراكاً لهذه الحقيقة وللآثار الجانبية الناجمة عن مضادات الحيوية، وقد بدءوا يبحثون عن البدائل الطبيعية في علاج الكثير من الأمراض التي تصيب الإنسان، ومنها أمراض الجهاز التنفسي الذي قد يلحقه الضرر نتيجة لدخول بعض تلك الأحياء من خلال عملية التنفس عن طريق الأنف إلى جسم الإنسان، ويسبب أمراضاً خطيرة في الرئة من أبرزها داء الرشاشيات الذي يسببه فطر *Aspergillus niger* الذي ينمو في القصبات الهوائية، كما أن هناك حالة من الرشاشية الدخناء *A. fumigatus* الذي يغزو التجاويف الجراحية في الرئتين أو نسيج الرئتين بالإضافة إلى الإصابات المتعددة في الجيوب الأنفية، الرئة، القلب، الكلى، المخ والجلد، وغالباً ما تظهر الإصابة بتلك الفطريات لدى الأشخاص الذين لديهم ضعف في المناعة أو نتيجة الاستخدام المفرط لمضادات الحيوية بالإضافة إلى صعوبة علاج الإصابات المتسببة عن تلك الفطريات. كما تعد خميرة *Candida albicans* من مسببات الأمراض الانتهازية التي تسبب أمراضاً وخيمة في الصدر، والذي يعرف بالفطار *Mycosis*. ومن هذا المنطلق نجد أن الطب النبوي الذي أورثه لنا رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الأعجاز الذي وقف العلم الحديث في تفسير أدق نتائجه حيث أوصانا صلى الله عليه وسلم بالتداوي بالقسط الهندي من خلال حديثه صلى الله عليه وسلم [لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة

وعليكم بالقسط] البخاري (٥٦٩٦) كتاب الطب . بالإضافة إلى قوله [عليكم بهذا العود الهندي ، فإن فيه سبعة أشفية : يستعط به العذرة ، ويلد به من ذات الجنب] البخاري (٥٦٩٢) كتاب الطب . والقسط الهندي أو البحري الذي ذكر في الأحاديث السابقة هو نوع من الجذور النباتية المستخدمة في علاج الإصابات الصدرية حيث إن المقصود بالسعوط في الحديث هو الاستنشاق بالقسط عن طريق الأنف ، ويكون ذلك عند الإصابة بأمراض الجهاز التنفسي عامة كالربو ، نزلات البرد ، التهاب اللوزتين والحلق والبلعوم والسعال والحمى والسل ، أما العذرة (بضم العين) وجع في الحلق يهيج من الدم وهذا التفسير يوافق في الطب أمراض الحلق التي تترافق باحتقان دموي سواء أكان التهاب لوزات أو التهاب لهاة أم التهاب بلعوم لأنه يحل البلغم المتجمد في القصبة الهوائية ، يسهل عملية التقشع ، ويفيد في معالجة الالتهابات الشعبية والرئوية بجميع أنواعها بما في ذلك السل الرئوي خصوصاً وأنه يعتبر مادة مطهرة تخفف من عسر التنفس (متولي، ٢٠٠٥م). وقد أثبتت هذه الدراسة العلمية الحديثة أن للقسط الهندي فعالية عالية في تثبيط نمو كلاً من *A.niger* ، *A.fumigatus* and *C. albicans* المستخدمة فيها خاصة في التركيزات العالية منه ، ولهذا تتضح أهمية العلاج بهذا النبات والذي أوصانا به نبينا الكريم e منذ ١٤٠٠ قرن ، وقبل وصول الإنسان إلى التطور والتكنولوجيا وهو العلم الذي تلقاه من لدن حكيم خبير لقوله تعالى : [وما ينطق عن الهوى ! إن هو إلا وحيٌ يوحى] [النجم : ٤].

وهذا هو الأساس العلمي الذي يجب علينا كمسلمين اتباعه حيث إننا نملك أكبر الكنوز العلمية في البحث العلمي ألا وهي القرآن الكريم والسنة النبوية .

التحلل في علم الميكروبيولوجي حقيقة علمية دونت في القرآن والسنة

د. أحلام بنت أحمد العوضي

- جامعة الملك عبدالعزيز
- **الدرجة العلمية** : أستاذ مشارك ميكروبيولوجي
- **جهة العمل** : جامعة الملك عبدالعزيز / كلية التربية للعلوم / جدة.
- عضوة سابقة في اللجنة العلمية التابعة لكلية التربية للأقسام العلمية في جامعة الملك عبدالعزيز.
- المشاركة في عضوية العديد من اللجان داخل الكلية : الكونترول ، سير الإختبار، الدراسات العليا
- عضوة في اللجنة النسائية في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .
- المشاركة في المؤتمرات والملتقيات العلمية شاركت في العديد منها داخل وخارج المملكة .
- الحضور والمشاركة بإختراعين في المعرض العالمي للمخترعين في جنيف بدعوة من مؤسسة المهويين لتمثيل المملكة العربية السعودية في المعرض ٢٠٠٥ م .

- أول باحثة في المملكة العربية السعودية في أبحاث الإبل الذي ورد في الطب النبوي حيث أن بداية أبحاثي ب عام ١٩٦٩م وأول بحث تم نشره عام ١٩٩٧م
- صور من الإعجاز العلمي في الطب النبوي لتأثير بول الإبل المانع لنمو إحدى الفطريات الممرضة (١٩٩٧ م) . المؤتمر العربي الأول للكيمياء التطبيقية .
- صور من الإعجاز العلمي لتأثير بول الإبل على خميرة *Candida albicans* الممرضة وعلاج بعض الأمراض الجلدية (١٩٩٨ م) المؤتمر الثاني للمرأة والبحث العلمي .
- فتحت الأبواب البحثية في أبحاث الإبل للعديد من التخصصات العلمية في العديد من جامعات وكليات المملكة مثل جامعة الملك عبدالعزيز سواء لأعضاء هيئة التدريس أو طلبة الدراسات العليا .
- أول باحثة تسجل براءات إختراع في أبحاث الإبل في المملكة العربية السعودية وتبعني العديد من أعضاء هيئة التدريس في العديد من جامعات المملكة.
- تأليف ٥ كتب في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

ملخص البحث

في هذا البحث تم إظهار العديد من الحقائق العلمية الدقيقة المرتبطة بعلم الميكروبيولوجي كإعجاز علمي في القرآن والسنة وأختصرها في التالي :

وجود الكائنات الحية الدقيقة ← التحلل ← نتائج التحلل

أولاً :- نصوص الأحاديث النبويه :

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقيقة العلمية للتحلل في عدة أحاديث ومنها :

جاء في مسند أحمد :

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ (يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبَ ذَنْبِهِ قِيلَ وَمِثْلُ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْهُ تَنْبُتُونَ)

ولكن ركزت العديد من البحوث على جانب علمي واحد وهو علم الأجنة بينما احتوت الأحاديث على علم الوراثة، علم الأرض وعلم الميكروبيولوجي .

الحقيقة العلمية في الحديث المرتبطة بعلم الميكروبيولوجي :

أثبت العلم بأن الإنسان بعد موته يتحلل جسمه في الأرض بالكائنات الحية الدقيقة .

أوجه الإعجاز :

يتضح من نص الأحاديث السابقة حقيقة علمية متقدمة ومقننة وهي عملية

التحلل التي جاءت هنا بمعنى الفعل الدال على الأكل . حيث أثبتت الدراسات العلمية بأن الكائنات الحية الدقيقة تقوم بتحلل الجثث الميتة بعد دفنها في الأرض وذلك عن طريق تحول المواد المعقدة التركيب إلى مواد بسيطة التركيب بفعل الإنزيمات لتستطيع أن تتغذى عليها لتستفيد منها خلاياها مثل عملية هضم الطعام في الإنسان وعليه يمكننا أن نطلق على الكائنات الحية الدقيقة الفعل تأكل كما ورد في الأحاديث النبويه وهي سابقه علمية في علم الميكروبيولوجي .

ثانياً : - التحلل في القرآن الكريم :

إن الحديث السابق كان موضحاً ومفسراً لحقيقة التحلل التي وردت في نصوص القرآن الكريم ومنها :

- ضم الأرض للكائنات الحية الدقيقة مع الأموات : (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا) [٢٦: المرسلات]

الحقيقة العلمية : أن جميع الأجسام تحتوي على الكائنات الحية الدقيقة ويعد موتها تتواجد تلك الكائنات مع الجسم الميت في باطن الأرض .

أوجه الإعجاز : ذكرت تلك الحقيقة كسابقة علمية وضح فيها سبحانه بأن هناك كائنات حية تلازم الجثث الميتة وتكفّت أي تضم معها ضم إلزامي في باطن الأرض فقال المميت سبحانه أن الأرض تضم بمعنى تكفّت الأحياء (أَحْيَاءً) وهي الكائنات الحية الدقيقة وتجمع (وَ) مع الميت (أَمْوَاتًا) في نفس المكان لتقوم بمهمة التخلص من جسمه الميت .

ثانياً : نصوص توضح نتائج تحليل الجثث :

١ - خروج الكائنات الدقيقة الحية من الجثث الميتة وهي ٣ آيات (٢٧) آل عمران ، (٣١) يونس و (١٩) الروم ومنها :

(تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَزُوقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (٢٧) آل عمران .

الحقيقة العلمية : الكائنات الحية الدقيقة المترمة تتغذى على الأموات لتتكاثر وتزداد أعدادها .

أوجه الإعجاز : الكائنات الدقيقة تتواجد مع الأموات لتتمكن من التغذية عليها لتتكاثر وتخرج منها جيوشاً بعد أن أدت مهمتها التي أوكلمها الله إليها لتخرج أحياء من الجثث الميتة كما ورد في الآيات السابقة.

٢ - تحول الجسد الميت بعد تحلله إلى تراب :

توضح تلك الحقيقة ٨ نصوص (٣٥) المؤمنون ، (٨٢) المؤمنون ، (٦٧) النمل ، (١٦) الصافات ، (٥٣) الصافات ، (٣) ق و (٤٧) الواقعة منها :

(أَيَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ) (٣٥) المؤمنون .

الحقيقة العلمية : الإنسان بعد موته يتحلل بالكائنات الدقيقة إلى المكونات العضوية البسيطة وغير العضوية وهي من مكونات التراب .

أوجه الإعجاز : المقصود به علمياً هنا بأن نتاج تحليل الميت هو مكونات التراب حيث أن الكائنات الحية الدقيقة لا تستطيع أن تتغذى على المواد المعقدة التي تتكون منها الأجساد الميتة مما يدفعها لإفراز إنزيمات تحلل مكونات الجسد

المعقدة لتحويلها إلى مكونات بسيطة من المواد العضوية وغير العضوية التي أثبت العلم بأنها من المكونات الرئيسية للتراب .

تصحيح تاريخ نشأة علم الكائنات الدقيقة :

باستخدام الطريقة الجديدة (أحلام العوضي ٢٠٠٩م) لحساب الحقائق العلمية التي وردت في القرآن أتضح أن تاريخ علم الميكروبيولوجي عام ١٩٦٧م ولكن دون في القرآن ما بين عام ٦٠٩ م وعام ٦٢٢ م بسبق زمني بلغ ما بين ١٠٥٤ و ١٠٦٧ عام .

الإعجاز العلمي في تحريم لحم الخنزير

أ.د/ حنفي محمود مدبولي

- رئيس قسم الفيروسات بكلية الطب البيطري جامعة بنى سويف مصر
- ليسانس أصول الدين قسم التفسير - جامعة الأزهر ١٩٩٩
- جائزة الدولة التشجيعية في العلوم البيولوجية ٢٠٠٢

ملخص البحث

حرم الله عز وجل لحم الخنزير وذلك من قول الله تعالى:

(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) الأنعام: ١٤٥ .

وبين ربنا عز وجل وهو العليم الخبير أن العلة في تحريم لحم الخنزير هي (إنه رجس) أى نجس ، ضار ومؤذونتن وهذه علة ذاتية قائمة لا تنفك عن لحم الخنزير أبدا . وهذا يبين أن العلة في التحريم ليست عارضة أو مكتسبة . والعلة العارضة كأكله القاذورات والقمامة وهذا يحدث في بعض البلدان دون غيرها لأن الغرب يطعمون الخنازير أعلافا طيبة ويربونها في حظائر نظيفة مغلقة ومكيفة وهناك

تنتفي هذه العلة العارضة. كما أن العلة التي ليست مكتسبة تزول بزوال سببها كإصابته ببعض الأمراض الطفيلية والبكتيرية والفيروسية لأن كل هذه الأمراض مكتسبة ومن الممكن السيطرة عليها إما بالعلاج بالمضادات الحيوية ضد مسببات هذه الأمراض أو باستخدام اللقاحات وهي الآن شائعة وتستخدم على نطاق واسع وبذلك تنتفي هذه العلة المكتسبة . وإنتفاء العلة العارضة أو العلة المكتسبة ينتفي الحكم وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى الذي يتلى إلى أن تقوم الساعة. ولكن تبقى العلة الذاتية التي لا تنفك عن لحم الخنزير في كونه نجساً وضاراً ومؤذياً لمن يأكله والتي هي الأصل في بقاء هذا الحكم الشرعى.

وقد تحققت نجاسة لحم الخنزير كما تحقق الضرر من أكل لحمه من خلال الأبحاث العلمية العديدة وهذه بعض نتائجها :

١. أن الخنزير حيوان سبعى له أنياب يأكل الجيف والفئران ولو سمحت له الفرصة لأكل الأطفال لأكلهم وهو عكس الأنعام تماماً فهى بدون أنياب ولا تتغذى إلا على العشب والكلأ فقط

٢. أن عدم وجود انزيمى Xanthin oxidase &Uricase في بلازما الخنزير وقلة وجوده في الكليتين يجعله يحتفظ بكمية كبيرة من حمض البوليك في أنسجته فالخنزير يتخلص من ٢٪ فقط من هذا الحمض والباقي يخترن في جسده وهذا عكس الأنعام فهى تتخلص من حمض البوليك بكميات كبيرة لوجود Xanthin oxidase في بلازما الأبقار وهو يقوم بتكسير حمض البوليك إلى ألتوتين والذي يفرز في بول الأبقار بكميات عالية جدا وبالتالي تتخلص الأبقار منه عن طريق البول وينقى الدم منه وبالتالي يكون لحم الأبقار طاهراً طيباً . كما يوجد في بلازما الأغنام انزيم اليوريكاز

(Uricase) والذي يقوم بتكسير حمض البوليك وتتخلص الأغنام منه عن طريق الكليتين مما يجعل لحم الأغنام أيضا طاهرا طيبا

٣. أن كثرة وجود حمض البوليك في دم ولحم الخنزير دليل على نجاسته ولهذا وصفه ربنا عز وجل بأن رجس

٤. أن كمية انزيم اليوريكاز في كلى الأبقار حوالى ستة أضعاف الموجود في كلى الخنازير

٥. أن الخنزير بطبعه الخبيث يأكل روثه المختلط ببوله وما به أيضا من حمض البوليك يجعل تراكم هذا الحمض في لحمه بكميات كبيرة تضر بصحة الإنسان وهذا يدل على نجاسة لحمه كما بين ربنا عز وجل في علة التحريم للحم الخنزير وهى أنه رجس وهذا من الإعجاز العلمي لهذه الآية التي تحرم لحم الخنزير

٦. تمثل الدهون مانسبته ٥٠٪ من لحم الخنزير وأن هذه الدهون منها ٣٨٪ دهون مشبعة تراى جلسريد ولا يستطيع الإنسان هضمها بينما الأبقار تحتوى على ٦٪ فقط من الدهون وهى سهلة الهضم والأغنام تحتوى على ١٧٪ دهون أيضا سهلة الهضم وهذا يدل أيضا على الضرر المحقق من تناول لحم الخنزير

٧. أن الخنزير يحتوى على كميات عالية من هرمونات النمو وهى تسبب ستة أنواع من السرطانات بينما تفتقر الأنعام إلى هذه الهرمونات مقارنة بالخنزير وهذا أيضا ضرر آخر محقق من تناول لحم الخنزير وعلة ذاتية على التحريم

٨. أن لحم الخنزير يحتوي على كميات كبيرة من الكبريت على عكس الأنعام وهذه علة أخرى ذاتية لتحريم لحم الخنزير

٩. أن لحم الخنزير يحتوي على كميات كبيرة من الهستامين والإميدازول المسبب للحساسية واكزيما الجلد لمن يأكله بينما لحم الأنعام لا تحتوي على هذا الهرمون

١٠. وأن نسبة الكوليسترول في لحم الخنزير خمسة عشر ضعفاً لما في البقر، ولهذا الحقيقة أهمية خطيرة لأن هذه الدهون تزيد مادة الكوليسترول في دم الإنسان، وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي تترسب في الشرايين، ولاسيما شرايين القلب، وتسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط، وهو السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية". وهذه أضرار شديدة على صحة الإنسان.

١١. وتعتبر هذه الأضرار علل ذاتية للتحريم ويبقى الحكم ببقاء العلة ويكون الخنزير محرماً على التأييد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

من خلال نتائج هذا البحث يتضح بيان الإعجاز العلمي في حرمة لحم الخنزير حيث إن كل هذه الأضرار الموجودة في لحم ودهن ودم الخنزير تجعل الخنزير محرماً لذاته وليس لعلل عارضة أو مكتسبة وهذا الذي بينه ربنا عز وجل من قوله (فإنه رجس) أى نجس، ضار ومؤذنتن ومن هنا يتضح وجه الإعجاز العلمي في هذا النص القرآني لحرمة لحم الخنزير

وصدق الله العظيم الحكيم العليم الخبير الذي بلغ رسوله النبي الأمي بتحريم لحم الخنزير كما بلغ الرسل الكرام من قبله بحرمة هذا الحيوان القدر النجس.

العنب إعجاز، بين غذاء وشفاء

أ.د. ميساء محمد الراوي

- قسم الأحياء - كلية العلوم التطبيقية للبنات - جامعة أم القرى
- تاريخ الميلاد: ٣/٤/١٣٨١ هـ
- الجنسية: سعودية
- آخر مؤهل دراسي: دكتوراه
- التخصص العام: علم الحيوان
- التخصص الدقيق: علم الأنسجة والخلية
- المرتبة العلمية: أستاذ
- دولة الإقامة: المملكة العربية السعودية
- العمل الحالي: عضو هيئة تدريس بجامعة أم القرى

ملخص البحث

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه وبعد:
فإن الله سبحانه وتعالى يمتن على عباده بالنعم التي أسبغها عليهم ، ومنها أنواع
الغذاء قال تعالى:

(ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب) [سورة النحل: ١١].

وقال جل وعلا : (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا
حسنًا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون) [النحل: ٦٧] .

تبحث الدول عبر وسائل متعددة لزيادة إنتاجها الزراعي منها استخدام
الهرمونات النباتية المتميزة باحتوائها على حمض الجبريليك الذي يمرض على
استطالة الخلايا النباتية وتكوين الشار اللابذرية. وقد أجريت دراسات بحثية
بغرض استخدام هرمون حمض الجبريليك النباتي على الحيوانات وقد وجد أنه
يزيد من خصوبتها فيعمل على زيادة عدد الحيوانات المنوية الحية مع زيادة حركتها
وتركيزها في السائل المنوي ونقص عدد الحيوانات المنوية الميتة كما يعمل على
مضاعفة الدورة الشبقية في إناث الفئران، من ناحية أخرى فقد استنتج العلماء
أن لهذا الهرمون تأثيراً على التمثيل الغذائي في الخلايا الحيوانية ويمكنه إحداث
تغيرات مرضية.

وعلى الجانب الآخر أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن مستخلص بذر العنب
ومستخلص قشر العنب الأحمر سيدخلان قريباً في صناعة الدواء المستخدم في
علاج أمراض السرطان بأنواعه والوقاية منه حيث وجد أن أي منهما يقتل خلايا
سرطان الدم البيضاء (اللوكميا) بنسبة تصل إلي ٧٦٪ خلال ٢٤ ساعة ولا يؤثر

على الخلايا السليمة. وقد سجل من نتائج الأبحاث العلمية أن لبذر العنب وما تحتويه من عناصر فعالة تأثير في سلامة وصحة الجلد. وذكر العلماء أن مستخلص بذر العنب يحتوي على نسبة كبيرة من مضادات الأكسدة القوية والفعالة وله دور وقائي في منع تكون الجلطات الدموية عن طريق تثبيط تكوين الصفائح الدموية كما يخفض من استجابة الخلايا الالتهابية المتزايدة في مريض الجلطة الدموية.

صممت الدراسة الحالية لمعرفة التأثير المضاد لمستخلص بذر العنب على التأثير السام لحمض الجبريليك على أنسجة الكبد والكلية في الجرذان كما يلي: تم استخدام ١٨ من ذكور الجرذان البيضاء (*Rattus rattus*) البالغة قسمت إلى ٣ مجموعات، المجموعة الأولى كمجموعة ضابطة والمجموعة الثانية عوملت بالهرمون النباتي حمض الجبريليك بتركيز ٧٥ ملجم/ لتر/ كجم من وزن الجسم مذاباً في ماء الشرب. المجموعة الثالثة معاملة بالهرمون النباتي كما في المجموعة الثانية ثم أعطيت مستخلص بذر العنب بجرعة ١٠٠ ملجم/ كجم من وزن الجسم بواسطة الأنوية المعوية يومياً. استمرت التجربة لمدة شهرين ثم قتل الحيوانات وشرحت وجمعت عينات الكبد والكلية وسجلت النتائج. أوضح فحص قطاعات كبد الجرذان المعاملة بالهرمون النباتي تمدداً بالوريد المركزي مع تحلل للخلايا المبطنة لجداره، كذلك بدت الخلايا المحيطة به تعاني من الموت الخلوي مع زيادة عدد خلايا كبر. لوحظ ارتشاح واضح للخلايا اللمفية في المنطقة البابية إشارة إلى وجود التهاب. أوضح فحص قطاعات كبد الجرذان المعالجة بمستخلص بذور العنب تحسناً ملحوظاً على المستوى الخلوي والنسيجي حيث أظهر الفحص النسيجي استعادة الأوردة المركزية لأحجامها الطبيعية وظهر المظهر الطبيعي لأشرطة الخلايا الكبدية كذلك ظهر تحسن ملحوظ في المنطقة البابية حيث انخفض ارتشاح الخلايا اللمفية

بشكل واضح وظهرت الشرايين والأوردة البابية بصورة أقرب للطبيعية.

أوضح الفحص النسيجي بالمجهر الضوئي لقطاعات كلي الجرذان في المجموعة المعاملة بالهرمون النباتي تغيراً مرضياً في الوحدات الكلوية فلو حظ ضمور شديد في الكبة وتحلل واضح في خلايا الأنبيبات البولية المحيطة بها حيث فقدت معظم خلاياها وبعضها الآخر لوحظ بها مراحل من الموت الخلوي. أوضح الفحص النسيجي بالمجهر الضوئي لقطاعات كلي الجرذان في المجموعة المعالجة بمستخلص بذور العنب تحسناً ملحوظاً على المستوى الخلوي والنسيجي فلم يلاحظ تشوهات في أشكال وتركيب الكبات كذلك لوحظ احتفاظ محفظة بومان بالتركيب الطبيعي لجدارها كذلك فإنّ بعض الأنبيبات الكلوية قد استعادت التركيب الطبيعي لها. وبهذه النتائج لكل من نسيجي الكبد والكلى يتضح التأثير العلاجي الفعال لمستخلص بذر العنب وحمائته لتلك الأنسجة من التأثير السمي الممرض للهرمون النباتي.

وعليه نرى أنّ العلم يكشف لنا اليوم بعضاً من أسرار الفوائد الصحية القيمة للعنب الذي ورد ذكره في عدة نصوص من القرآن الكريم مما يعني أن في ذلك دلالة إعجاز حيث ثبت أنه من الأغذية المتكاملة كما أن له فوائد صحية يحتاجها الفقراء والمساكين لحمايتهم من الأمراض والمحافظة على صحتهم.

تأثير الحبة السوداء على مستويات السكر والدهون عند مرضى داء ارتفاع السكر في الدم

د . عبد الله عمر باموسى

- باحث رئيس
- أستاذ مشارك- قسم وظائف الأعضاء.

الفريق البحثي:

- د. فاطمة علي لبدة - أستاذ - قسم وظائف الأعضاء.
- د. علي إبراهيم السلطان - أستاذ مشارك - قسم الباطنية.
- د. عبدالمحسن حبيب العلق - أستاذ مساعد - قسم الباطنية.
- د. هدى عبدالله قعطي - طالبة دكتوراه بقسم وظائف الأعضاء.

ملخص البحث

صممت هذه الدراسة لبحث تأثير الحبة السوداء على مستويات السكر و الدهون في الدم لدى مرضى السكر، بالإضافة إلى تقييم تأثيرها على بعض المؤشرات الحيوية الديناميكية (ضغط الدم و سرعة نبضات القلب) وكذلك معامل كتلة الجسم.

وقد أجريت هذه الدراسة على ٩٤ من المرضى المصابين بالسكر من النوع الثاني وغير المتحكم بنسبة السكر عندهم بواسطة أدوية تخفيض السكر عن طريق الفم. وقد تم تزويد المرضى بالحبة السوداء على هيئة كبسولات تحتوي كل منها على ٥٠٠ مجم من الحبة السوداء الكاملة وتم تقسيمهم إلى مجموعتين كالتالي:

- المجموعة -١: شملت ٣٠ مريضا: تناول كل منهم ١ جم من الحبة السوداء يوميا و لمدة ١٢ أسبوعاً متوالية.
- المجموعة -٢: شملت ٣٢ مريضا: تناول كل منهم ٢ جم من الحبة السوداء يوميا و لمدة ١٢ أسبوعاً متوالية.
- المجموعة -٣: شملت ٣٢ مريضا: تناول كل منهم ٣ جم من الحبة السوداء يوميا و لمدة ١٢ أسبوعاً متوالية.

وقد تم إخضاع جميع المرضى لما يلي:

١. فحص طبي شامل (إكلينيكي) ، و يشمل في الأساس قياس ضغط الدم و النبض ، و من ثم حساب معامل ضرب كل من ضغط الدم الانقباضي ،

وسرعة نبضات القلب، وشمل كذلك قياس الطول ، ووزن الجسم، ومن ثم حساب معامل كتلة الجسم.

٢. تحاليل مخبريه أجريت على عينات دم أخذت من المرضى بعد صيام ١٠ - ١٢ ساعة ما عدا في حالة الجلوكوز ، فقد تم قياسه أيضا في عينة دم أخذت بعد الإفطار بساعتين.

وقد أجريت هذه التحاليل قبل البدء في العلاج مباشرة (كتحاليل أولية أساسية) ثم أجريت بعد ١، ٢، ٤، ٨، و ١٢ أسبوعا من العلاج بالحبة السوداء.

وقد شملت القياسات التالية :

- مستوى الجلوكوز في الدم (صائم وبعد الإفطار بساعتين).
- النسبة المئوية للهيموجلوبين المتحد بالجلوكوز.
- معدل الأنسولين في الدم أثناء الصيام. Fasting C-peptide
- مستويات الدهون في الدم و تشمل: الجلسريدات الثلاثية، الكوليسترول الكلي، وكوليسترول البروتينات الدهنيه القليلة الكثافة، و كوليسترول البروتينات الدهنيه العالية الكثافة.

٣. تم تزويد المرضى بأجهزة لقياس الجلوكوز في المنزل مرتين في الأسبوع، على أن يتم التحليل أثناء الصيام ، و كذلك بعد الإفطار بساعتين في كل مرة .

إضافة إلى ذلك تم حساب مؤشر مقاومة الأنسجه لعمل الأنسولين باستخدام صيغة Homa-IR كما أجريت للمرضى تحاليل روتينيه أخرى شملت معدلات الهيموجلوبين ، والخلايا الدموية ، بالإضافة إلى مؤشرات التجلط (الصفائح

الدمويه، وزمن البروثرومبين ، و زمن الثرومبوبلاستين الجزئي، ومستوى الفيبرينوجين) ، وكذلك اختبارات بعض وظائف الكبد و الكلى، وذلك تحسبا لأي أعراض جانبية محتملة نتيجة استخدام الحبة السوداء.

وقد أظهرت نتائج الدراسة ، أنه في المجموعة الأولى من المرضى والتي تناولت ١ جم من الحبة السوداء يوميا، لم يكن مستوى انخفاض الجلوكوز أو الهيموجلوبين المتحد بالجلوكوز ذا دلالة إحصائية ، على الرغم من أن نتائج قراءات الجلوكوز باستخدام أجهزة القياس المنزليه كانت ذات دلالة احصائية ابتداءً من الأسبوع الثالث بعد العلاج لكل من مستوى الجلوكوز في حالتي الصيام وبعد الإفطار بساعتين، كما لم يكن هناك تغير يُذكر في مستوى الانسولين أو مؤشر مقاومة الأنسجة للأنسولين.

كما أظهرت النتائج في المجموعة الثانية من المرضى؛ و التي تناولت ٢ جم من الحبة السوداء يوميا، انخفاضا واضحا ، وذا دلالة إحصائية في مستويات الجلوكوز في الدم أثناء الصيام بمعدل ٨, ٢٥٪ / ٢, ٢٨٪ / ٥, ٢٠٪ / ٦, ١٠٪، وذلك بعد ٢ ، ٤ ، ٨ و ١٢ أسبوعا من بدء العلاج على التوالي، كما انخفضت نسبة الجلوكوز في الدم بعد الإفطار بساعتين بنسبة ٤, ٢٦٪، ١, ٢٠٪، بعد ٤ و ٨ أسابيع من العلاج على التوالي. بالإضافة إلى انخفاض كل من نسبة الهيموجلوبين المتحد بالجلوكوز بنسبة ٧, ١٦٪ و معدل المقاومة للأنسولين بنسبة ٣٤ و ٨٥٪. بنهاية الأسبوع ١٢ من العلاج، كما ترافق ذلك الانخفاض مع انخفاض نسبة الأنسولين في الدم Fasting C-peptide بمعدل ٩, ١١٪.

أما في المجموعة الثالثة من المرضى، فقد انخفض مستوى السكري في الدم أثناء الصيام ، وإن لم يصبح ذو دلالة إحصائية إلا بعد الأسبوع الثامن من

العلاج ١٦,٦٪ بالإضافة إلى انخفاض غير ذي دلالة إحصائية في مستوى السكر بعد الإفطار بساعتين. كما كان تأثير الحبة السوداء واضحا على درجة تركيز الهيموجلوبين المتحد بالجلوكوز، حيث انخفض بنسبة حيث انخفض بنسبة (١٩,٨٪) هذا بالإضافة إلى انخفاض طفيف ، وغير ذي مغزى في Fasting C-peptide ومعدل مقاومة الأنسولين .

كما أظهرت النتائج أن تناول ١ جم يوميا من الحبة السوداء لم يحدث تغييرا ذا قيمة إحصائية في مستوى الدهون بينما تناولها بجرعة ٢ جم يوميا أحدث انخفاضا ذا مغزى إحصائي في مستويات الدهون، حيث انخفضت الجلوسيدات الثلاثية بنسبة ٣٣,١٪، ٢٠٪، ١٧,٤٪، ٢, ٢٢٪، وكذلك الكوليسترول الكلي بنسبة ١٤,٦٪، ١١,٣٪، ١٥,٢٪، ١١,١٪ وذلك بعد ٢، ٤، ٨ و ١٢ أسبوعا من العلاج على التوالي، هذا بالإضافة إلى انخفاض ذي مغزى إحصائي في مستوى كوليسترول البروتينات الدهنية قليلة الكثافة بنسبة ١٥,٨٪ و ١٦,٨٪ بعد ٨ و ١٢ أسبوعا من العلاج، وعلى الرغم من أن الزيادة في مستوى كوليسترول البروتينات الدهنية العالية الكثافة كانت غير ملحوظة إحصائيا، فإن الزيادة في نسبته إلى كل من الكوليسترول الكلي و كوليسترول البروتينات الدهنية قليلة الكثافة كانت ذات دلالة إحصائية .

أما تناول ٣ جم يوميا من الحبة السوداء فقد أدى إلى خفض مستوى الجلوسيدات الثلاثية ، غير أنه لم يكن ذا دلالة وقد انخفض كذلك مستوى الكوليسترول الكلي وأصبح ذا دلالة إحصائية بعد الأسبوع الأول والرابع والثاني عشر من العلاج بنسبة ١٥,٧٪ ١٥,٧٪ و ١٠,٧٪ على التوالي. أما مستوى كوليسترول البروتينات الدهنية قليلة الكثافة فقد أظهر انخفاضا بلغ مستوى ذا

مغزى إحصائي بعد الأسبوع الأول فقط من العلاج (٨,١٪) كما ارتفع مستوى كوليسترول البروتينات الدهنية العالية الكثافة في مراحل العلاج المختلفة وإن لم يبلغ مستوى الدلالة الإحصائية. كما ارتفعت نسبته إلى كل من الكوليسترول الكلي و كوليسترول البروتينات الدهنية القليلة الكثافة وإن كانت ذات دلالة إحصائية بعد الأسبوع الأول من العلاج فقط (١٤,٧٪) بالنسبة إلى البروتينات الدهنية القليلة الكثافة.

كما تبين من نتائج دراسته أن الجرعة ١ جم يوميا من الحبة السوداء، لم تكن ذات تأثير واضح على مؤشرات ضغط الدم، أو سرعة نبضات القلب، وكذلك على معامل كتلة الجسم، ولكن بالنسبة للجرعة ٢ جم يوميا فقد كان لها تأثيرا واضحا وذا دلالة إحصائية في تخفيض كل من ضغط الدم الانقباضي والانساضي ومتوسط الضغط الشرياني، وكذلك متوسط سرعة نبضات القلب، وبالتالي كان هناك انخفاضاً في حاصل ضرب ضغط الدم الانقباضي، وسرعة نبضات القلب، مما يشير إلى انخفاض نسبة استهلاك القلب للأوكسجين. كما كان هناك ارتفاعاً طفيفاً وغير ذي دلالة إحصائية في معامل كتلة الجسم. أما في المجموعة الثالثة فإن الانخفاض في مستوى ضغط الدم الانقباضي بلغ مستوى الدلالة الإحصائية بعد الأسبوع الثاني عشر (٥,٣٪) وفي مستوى ضغط الدم الانساضي بعد الأسبوع الأول (٨,٢٪)، وفي متوسط الضغط الشرياني بعد الأسبوع الأول (٤,٥٪) والأسبوع الثاني عشر (٤٪) على التوالي. ومن المثير للاهتمام أن متوسط سرعة نبضات القلب قد ازداد في هذه المجموعة بخلاف المجموعات الأخرى إلا أن هذا الارتفاع كان ذا دلالة إحصائية بعد الأسبوع الرابع والثامن من العلاج فقط. بالإضافة إلى ذلك لم يكن هناك تغيير يذكر في معدل كتلة الجسم في هذه المجموعة.

كما لوحظ من خلال التحاليل الروتينية الأخرى عدم وجود تغييرات ذات دلالة إحصائية في أي منها، فيما عدا انخفاض الفيبرينوجين بعد الأسبوع الثاني من العلاج في المجموعة الأولى، وارتفاعه بعد كل من الأسبوع الثامن و الثاني عشر في المجموعة الثانية و ارتفاعه في المجموعة الثالثة بعد الأسبوع الأول والثاني عشر من العلاج وكذلك انخفاض مستوى الهيموجلوبين بعد الأسبوع الثاني عشر في المجموعة الأولى، وكذلك بعد كل من الأسبوع الثامن، و الثاني عشر في المجموعة الثانية، وبعد الأسبوع الرابع والثاني عشر في المجموعة الثالثة غير أن هذه التغييرات ظلت ضمن مستويات الحدود الطبيعية للأشخاص البالغين.

وبمقارنة المجموعات الثلاث وجد ارتفاعا في مستوى الفيبرينوجين ذات مغزى إحصائي في المجموعة الثانية بعد الأسبوع الرابع مقارنة بالمجموعة الأولى وكذلك انخفاضا في مستوى الهيموجلوبين في المجموعة الثالثة بعد كل من الأسبوع الأول و الرابع مقارنة بالمجموعة الأولى.

وبتحليل النتائج السابقة يمكن استنتاج أن تناول مرضى السكري ل ٢ جم من الحبة السوداء يوميا، يخفض نسبة الجلوكوز في الدم، بنسبة معتبرة إحصائيا، و هذا الانخفاض يعزى و لو جزئيا إلى النقص الملحوظ في مؤشر مقاومة الأنسجة لعمل الأنسولين، كما أن تناول الحبة السوداء يحدث تحسنا في مستوى دهون الدم بما يؤدي إلى تقليل الإصابة بتصلب الشرايين، و كذلك يؤدي إلى تخفيض ضغط الدم الشرياني المرتفع في المرضى المصابين بالسكر من النوع الثاني .

الأسس العلمية لاختبار البصمة الوراثية في القرآن والسنة

د . محمود عبد الله إبراهيم نجا

- تاريخ الميلاد: ١٩٧٣ / ٣ / ٩
- دكتوراة كلينيكال فارماكولوجى
- ماجستير كلينيكال فارماكولوجى ٢٠٠٧
- بكالوريوس الطب و الجراحة ١٩٩٩
- بكالوريوس العلوم (تشريح و فيسيولوجى) ١٩٩٤
- التخصص العام: كلينيكال فارماكولوجى
- العمل الحالي : مدرس م. بقسم الكلينيكال فارماكولوجى
- الجنسية: مصري
- دولة الإقامة: مصر

نشاطات أخرى:

- عضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن و السنة
- المدير التنفيذي لموقع آيات معجزات (التابع لموقع الطريق الى الله)
- عضو لجنة التحكيم بموقع شبكة الإعجاز العلمي
- عضو لجنة التحكيم للمؤتمر المغاربي الثالث بتطوان (يونيو-٢٠١٠)

أنشطة علمية سابقة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:

- مؤتمر الكويت ٢٠٠٦ للهيئة العالمية (حديث القرآن و السنة عن الحمض النووي في الأمشاج)
- مؤتمر المنصورة (مصر) ٢٠٠٧ (الحامض النووي و الدورة الخلوية في القرآن و السنة)
- المؤتمر المغاربي الثاني ٢٠٠٧ (ارتباط اسم الله المصور بالحمض النووي مع بيان الفوارق الدقيقة بين الخالق و البارئ و المصور)
- مؤتمر البصمة الوراثية بسطيف-الجزائر ٢٠٠٨ (حديث القرآن و السنة عن إثبات النسب بالبصمة الوراثية)
- مؤتمر المنصورة (مصر) ١٦ أبريل ٢٠٠٨ (ارتباط اسم الله المصور بالحامض النووي مع بيان الفوارق الدقيقة بين الخالق و البارئ و المصور)
- مؤتمر السودان ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٨ (النشأة من آدم و حواء باستخدام الحمض النووي)

- مؤتمر المنصورة (مصر) ٢٤-٢٦ مارس ٢٠٠٩
- (حديث القرآن و السنة عن استخدام الحمض النووي في اثبات النسب أو نفيه)
- مؤتمر المنصورة (مصر) ١٣-١٥ أبريل ٢٠١٠ (معجزات باهرات في آية الخلق في ظلمات بطون الأمهات)

النشر العلمي في مجال الإعجاز (على العديد من مواقع الانترنت)

- حديث القرآن و السنة عن الحمض النووي في الأمشاج
- وسطية الإعجاز العلمي بين الإفراط و التفريط
- لا صحة في الصيام إلا بإتباع وسطية الإسلام في العبادة و نظم التغذية
- القرآن و السنة يسبقان واطسون و كريك الى معادلة توريث الصفات
- حديث القرآن و السنة عن الانقسام الميتوزي و خلق الذرية قبل سجود الملائكة لآدم
- حديث القرآن و السنة عن زواج الكر و موسومات و تحسين النسل بالانقسام الميوزي
- كشف الفبركات في فيلم الكعبة و النسبة الذهبية
- صيام الأيام البيض لله و تأثير القمر على الإنسان خرافة
- نقد الإعجاز المزعوم في حديث نفص الفراش
- الإعجاز الغيبي في وصف قتال اليهود من وراء الجُدُر

- ما هو دليل استخدام الرُّطْب لتسهيل الولادة
- إسلام اليابانيين بسبب التين و الزيتون فبركة أكيد

أبحاث الاعجاز العلمي التي قمت بالإشراف عليها :

- إظلام المصاييح ليلا إعجاز نبوي بقي من التلوث الضوئي
- القعود و فقدان الرجاء في النكاح بعد اليأس من المحيض

ملخص بحث

النص المعجز :

من أحاديث الفراه : (الولد لصاحب الفراش).

من أحاديث القيافة : (أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء. فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم، لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن)، و حديث الرجل الذي اشتكى أن لون ابنه غير لونه (فلعل ابنك هذا نزع عرق).

من آيات التصوير: (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ)، (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ).

ومن أحاديث التصوير: (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر أم أنثى فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك).

الحقيقة العلمية :

إذا كان الجماع الأول بين الرجل و المرأة في الفراش ينتهي بانتهاج الشهوة، فان كل جماع أدى إلى الولد لا يمكن أن ينفص أبداً أو أن يُجهل أطرافه، و ذلك لأن هناك جماعاً ثانياً لا يمكن أن ينفص أبداً يتم بين ماء الرجل و ماء المرأة، و يؤدي إلى تكوين النطفة الأمشاج التي منها الولد بكل صفاته الشكلية المميزة له و التي تأتي من الحمض النووي بداخل النطفة الأمشاج، مع العلم بأن كل صفة شكلية في الجنين يقابلها صفة جينية علي الحمض النووي.

وجه الإعجاز :

في زمن لم يكن فيه للعلم التجريبي وجود يُذكر أو آلة تُعرف، و لم يكن بمقدور أي أحد معرفة كيف تُخلق الأجنة في بطون الأمهات، أو كيف تنتقل الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء عبر الحمض النووي للنطفة الأمشاج، في ذلك الزمن البعيد منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان، جاء الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى بالحق المبين و بالعلم اليقين الذي لم يعرفه العلم الحديث إلا منذ أعوام قليلة، فقرر أن ولد المرأة إذا حدث على نسبه نزاع فانه يكون لصاحب الفراش أي للذي جامع في الفراش، ثم بين لنا كيف نتعرف علي صاحب الفراش دون هتك لستر أحد، فبين كيف نستخدم أبرز الصفات الشكلية للجنين في التعرف علي أبيه الحقيقي الذي جاءت منه النطفة من خلال القيافة المبنية على أسس علم الوراثة كما نعرفها في زماننا، فأخبرنا صلى الله عليه وسلم عن الفرق بين الصفة الموروثة و الصفة المكتسبة، مبينا أن هناك تصوير من النطفة قبل خلق الأعضاء و هو ما أسماه العلم الحديث نسخ الحامض النووي الموجود في النطفة وترجمته إلى بروتينات الأعضاء. كما بين صلى الله عليه وسلم أن الصفات الموروثة

تأتي من كلا الأبوين، و بين أيضا أن الصفات الوراثية للولد قد تميل إلى نطفة الأب أو نطفة الأم أو كليهما، ولهذا أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بالشبه وبين سببه، بل انه صلى الله عليه وسلم قد بين لنا أن الصفات الوراثية منها السائد والمتنحي، و أن الصفة السائدة هي التي تستخدم في القيافة أما المتنحية فلا تستخدم.

و لما كان الحمض النووي يعتبر بمثابة الصورة للجسد، فالتصوير هو أدق الألفاظ لوصف العلاقة بين الحمض النووي والجسد، و لوصف انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء. و باستخدام كلمتي الخلق و التصوير بين لنا رب العزة في القرآن الأسس العلمية للبصمة الوراثية، و شرح لنا العلاقة بين الحمض النووي والجسد، فبين أن الحمض النووي يعتبر صورة مطابقة للجسد، و أن الحمض النووي يطلق عليه صورة حسنة لأنها تطابق صاحبها و تدل عليه، و أنه لا يوجد كائنان لهما نفس الحمض النووي، و لذا أطلق على نفسه اسم المصور، أي (الذي صَوَّرَ جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة يتميز بها على كثرتها). ثم بين لنا رب العزة أنه لا يمكن أن يتشابه الحمض النووي لفردين من نفس الجنس البشرى لحدوث التصوير التحسيني. و ختم رب العزة كلامه عن التصوير في القرآن بوصفه للحمض النووي لذرية بني آدم بأنه يعتبر بمثابة صورة مركبة للجسد، نصفها من الأب و الآخر من الأم، و يمكن فصل النصفين عن بعضهما، و التعرف على كروموسومات الأب و الأم بسهولة (اختبار البنية). فالبصمة الوراثية تعتبر رؤية غير مباشرة لأصحاب الفراش دون كشف للعورات، و تعتبر أقوى من القيافة، لأنها تمكننا من أن نحيط بكل الصفات الجينية، فكأننا بالبصمة الوراثية عقدنا مقارنة كاملة بين كل الصفات الشكلية للولد و أبيه و لكن من خلال الصفات الجينية المقابلة للصفات الشكلية.

المسح على رأس اليتيم

د . مها يوسف جار الله الحسن الجار الله

- تاريخ الميلاد: ٢٩ أغسطس ١٩٦٣ م
- الجنسية: كويتية
- آخر مؤهل دراسي: دكتوراه
- التخصص العام: تفسير وعلوم القرآن
- التخصص الدقيق: تفسير موضوعي
- دولة الإقامة: دولة الكويت
- **العمل الحالي:** كبير اختصاصي دراسات إسلامية - قسم التفسير والحديث - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت

مأخص بأء

أءمء الله آالء الأءوان؁ ومظم الأء باءزان؁ وواهب الإنسان عقل فنان؁ به ىنبر ءربه إلى الأء والصواب إن اءبع هءى آىر الأنام؁ وأصلى وأسلم على المصطفى العءنان؁ المبلأ لشرىعة ربه برأمة وأمان.. وبعء

فءء ءءلء ءءرة المولى الألىل فى ءشرىعه للأءكام بالءوفىء؁ وفى ملاء مءءها للأءلء بالأءمىل؁ فهى ربانىة من علم آكىم؁ وهى ءائمة من على آبىر؁ ومن منءلء آءور العلم الإنسانىة والأءم ءشرىعىة؁ سلءء الضوء على المسأ على رأس الءىم.

فءء روى الإمام أءمء فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً شكأ إلى النبى صلى الله علیه وسلم ءسوة قلبه فءال : « إن أردء أن ىلن قلبك فأءعم المساكىن وامسأ رأس الءىم »^(١).

وروى الطبرانى فى الأءء الصأىء؁ عن أبى ءرءاء ءال : أءى النبى صلى الله علیه وسلم رجل ىشكو ءسوة قلبه ءال : « أءب أن ىلن قلبك وءءرك آاءءك : ارحم الءىم؁ وامسأ رأسه؁ وأءعمه من طعامك ىلن قلبك وءءرك آاءءك »^(٢).

(١) رواه أءمء فى المسءء؁ ءاب مسءء المءنىن؁ باب آءء أبى هريرة آ (٧٥٦٦) آ (٢/٢٦٣)؁ مؤسسة ءرطبة؁ ءاهرة؁ والبىهقى فى السنن : آ (٧٣٤٥) آ (٤/٦٠)؁ ط الأولى؁ ١٣٤٤ هـ؁ طبعة مجلس ءائرة المعارف النظامىة؁ الهءء؁ وآسنه الألبانى.

(٢) ءال نور الءىن على بن أبى بكر الهىشمى : رواه الطبرانى وفى إسناءه من لم ىسم وبقىة مءلس . انظر : مآمع الزواءء ومنع الفواءء؁ ءاب البر والصلة؁ باب ما آءاء فى الأءام والأرامل والمساكىن آ (١٣٥٠٩) آ (٨/٢٩٣١)؁ ١٤١٢ هـ؁ ءار الفكر؁ بىروت. وصأه الألبانى فى سلسلة الأءاءء الصأىءة برقم (٨٤٢).

نظرية الملامسة (Proximity Theory) :

يرى جون بولي من منظري نظرية الملامسة والاتصال أن علم التطور البيولوجي المعاصر يفرض علينا إعادة النظر بنظرية التحليل النفسي فهو يرى أن الفرد يولد بنزعة تقوم على أساس بيولوجي لطلب الاقتراب الحامي (Proximity Protective) من الكبار خاصة الأم، ثم كلا الوالدين فيما بعد وحسب هذه النظرية تعتمد شخصية الراشد فيما بعد على نوع الملامسة والاتصال التي حصل عليها في الفترات المبكرة من عمره، فهو يكون متعاوناً اجتماعياً متفاعلاً مع الآخرين إذا حصل على الملامسة في تلك الفترة، أما الذين لم يحصلوا عليها فيميلون إلى الانسحاب هذا الأساس يمكن إرجاع السلوك السايكوباتي إلى اضطراب علاقات الحب أو الارتباط الانفعالي بين الأبناء ومن يرونهم.

وأكدت الدراسات العلمية وتطبيقاتها على الحيوان والإنسان أن الطفل الذي يلمس مقارنة بالطفل الذي لا يلمس، يزيد وزنه بمعدل ٤٧ بالمائة، وجهازه العصبي ينضج أسرع، ويكون أكثر نشاطاً، ويتشافى من الأمراض والالتهابات أسرع.

وأثبت علم النفس أن للمسات أثر عميق في نفسية وسلوك الإنسان، فهي الأساس لاعتبار الناس والاعتراف بوجودهم وإعطائهم قيمتهم.

وجه الإعجاز في الإرشاد النبوي إلى المسح على رأس اليتيم، يكمن في أمرين:

الأول: في المسح على رأس اليتيم:

فمنطقة الرأس هي منطقة الاتصال المحيطي بالآخرين، ففيها الجهاز العصبي، فعندما يضع الشخص (الماسح) يده على رأس اليتيم يحدث اتصال بينهما، فهو عند

المسح يقوم بإزاحة وإزالة تلك الشحنات السلبية التي يحملها ذهن اليتيم، وبتكرار تلك العملية يهدأ ذهن اليتيم ويطمئن ويرتاح جسده، والبديع في تلك العملية أنه يحدث لكلا الشخصين (الماسح واليتيم) أثراً إيجابية في ذات الوقت.

الثاني: في الأثر على الماسح:

في تخلصه من الأمراض القلبية مثل القسوة، فمن ابتلي بداء من الأخلاق الذميمة يكون تداركه بما يضاده من الدواء، فالتكبر يداوى بالتواضع، والبخل بالسماحة، وقسوة القلب بالتعطف والرفقة.

فالعلاقة هي علاقة تبادل (أخذ وعطاء) (قسوة ولين)، فكلما قسى قلب المرء عليه أن يلينه بالمسح على رأس اليتيم، وكلما أراد حاجة، عليه أن يسعى في تلبية حاجات الآخرين.

إعجاز الحبة السوداء في القضاء على البكتيريا المسببة للداء

أ.د. محمد محمود شبيب

- أستاذ التقنية الجزيئية
- كلية العلوم جامعة الطائف

د. إيمان محمد حلواني

- أستاذ البكتيريا الطبية
- كلية العلوم جامعة الطائف

ملخص البحث

الإسم العلمي للحبة السوداء " نيجيلا ساتيفا" (Nigella sativa). استخدمت كإحدى المواد الطبيعية معالجة في العديد من الحضارات قبل أكثر من ألفي عام ، فقد جاء في كتاب القانون في الطب لابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧هـ) ما يوضح الأهمية التاريخية للحبة السوداء كحبة نافعة للعلاج

الحبة السوداء في رحاب السنة :

ثبت في الصحيحين من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام . والسام الموت والحبة السوداء الشونيز . (صحيح مسلم ، حديث : ٢٢١٥) .

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن خالد بن سعد قال خرجنا ومعنا غالب بن أبجر فمرض في الطريق فقدمنا المدينة وهو مريض فعاده بن أبي عتيق فقال لنا: عليكم بهذه الحبيبة السوداء فخذوا منها خمساً أو سبعمائة فاسحقوها ثم أقطروها في أنفه بقطرات زيت في هذا الجانب وفي هذا الجانب فإن عائشة رضي الله عنها حدثتني أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام . قلت : وما السام ؟ قال : الموت) . (صحيح البخاري ، حديث : ٥٦٥٧) .

وجاء في لفظ آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام) ، والسام الموت

(سنن الترمذي ، حديث : ٢٠٤١) .

وفي شرح بعض علماء الحديث لأحاديث الحبة السوداء . قال المناوي (عليكم بهذه الحبة السوداء) أي الزموا استعمالها بأكل أو غيره فإن فيها شفاء من كل داء (عبد العزيز ، ١٩٨٩) .

وقال الحافظ ابن حجر : (ويؤخذ من ذلك أن معنى كون الحبة شفاء من كل داء أنها لا تستعمل في كل داء صرفاً ، بل ربما استعملت مفردة ، وربما استعملت مركبة ، وربما استعملت مسحوقة وغير مسحوقة ، وربما استعملت أكلاً وشراباً وسعوطاً وضماً وغير ذلك . .

الحقيقة العلمية

هذه الدراسة تعد إضافة علمية إلى سلسلة الأبحاث التي أثبتت دور الحبة السوداء في القضاء معملياً على البكتيريا الممرضة للإنسان والمسببة للتسمم الغذائي " Antisalmonellosis " .

كما يمكن استخدامها كمنشط للمضادات الحيوية لإثبات تأثيرها التعاوني مع الدواء synergism effect .

وقد اتضح من نتائج هذه الدراسة أن مستخلصات الحبة السوداء الزيتية والمائية احتوت على المركبات الفعالة ضد الميكروبات أهمها القلويدات وبعض المركبات الزيتية العطرية الطيارة والثابتة الثيموكنيون (TQ) والهيدروثيموكنيون (HTQ) التي تم فصلها معملياً وأثبتت كفاءتها في القضاء على أنواع البكتيريا المعوية (السالمونيلا ، الشيغلا ، ايشريشيا كولاي وستفيلوكوكس أورياس) عديدة المقاومة لمضادات الحيوية .

وجه الإعجاز في النص

تؤكد نتائج الدراسة فعالية الحبة السوداء أو مستخلصاتها ضد البكتيريا الممرضة (كما جاء في لفظه صلى الله عليه وسلم في الحبة) أي من بذور هذه النبتة فقط وعلى وجه الخصوص ، هذا والله تعالى أعلم . وقد تبينت هذه الحقيقة من خلال التجربة والبرهان لتؤكد مفعول الحبة السوداء في القضاء على البكتيريا الممرضة السالبة والموجبة الجرام . وخاصة بكتيريا السالمونيلا التي تعتبر أحد أهم مسببات التلوث الغذائي في معظم بلدان العالم وبالتالي إمكانية التغلب عليها عند الإصابة بها والشفاء من أعراض التسمم دون مضاعفات .

والجدير بالذكر أنه قد تم التعرف على تأثير بعض مستخلص الحبة السوداء على الجهاز الهضمي ومعالجة حالات الإسهال ، وذلك بآليات حيوية أخرى داخل جسم الإنسان ، يتعاون معها التأثير المباشر للحبة والقاتل للبكتيريا . فقد ثبت أن مكونات مستخلص الأثير البترولي (Petroleum ether fraction) نافعة جداً لعلاج الإسهال (diarrhea) ، الذي يعد أحد أكثر الأعراض تسبباً للوفاة عند الأطفال ولدى مرضى نقص المناعة وكبار السن . فمكونات المستخلص تعمل بآلية فردية وتضاد تشنجات العضلات المعوية ، وذلك عن طريق منع تدفق الكالسيوم داخل العضلة ، والذي يُعد المسئول الرئيسي لعملية الانقباض ، مما يقلل من حركة الأمعاء ويخفف بالتالي من حدة الإسهال مشابهاً بذلك عمل بعض العقاقير الطبية . (Gilani et al.، 2001)

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن في الحبة السوداء شفاء من كل داء، وباعتبار أن العموم هو الأصل لورود الاستثناء بلفظ إلا الموت ، فإن هذا يعني أن في الحبة السوداء على الأقل نسبة من الشفاء لكل داء ، لأن الشفاء هنا نكرة ، ولكن

معناه أن فيها قدراً من الشفاء يقل أو يكثر حسب المرض وبإذن الله أولاً وآخرًا مصداقاً لما جاء في القرآن العظيم (وإذا مرضت فهو يشفين) .

هذا والله أعلم بأن معجزات الشفاء من كل داء تستند على ركيزتين هامتين أولاهما معظم الشفاء لدورها غير المباشر، و الفعال في تنشيط الجهاز المناعي عند الإنسان الذي يُعد خط الدفاع الرئيسي لجميع الأمراض وعليه فإن أي خلل في هذا الجهاز يسمح بغزو الميكروبات الشرسة للجسم ويسبب أعراضاً مرضية خطيرة تؤدي في النهاية إلى الوفاة كما في مرض الإيدز مثلاً . و الثانية التأثيرات الحقيقية المباشرة التي وجدت على أمراض بعينها مثل تأثيرها كمضاد للبكتيريا ،مضادة للالتهابات ،مضادة للسموم ،مضادة لارتفاع السكر وضغط الدم وغيرها .

العلاج النبوي بتمر العجوة في حالات التسمم والتليف الرئوي بالجازولين

د. ليلى أحمد طيب الحمدي

- تاريخ الميلاد: ١٩/٥/١٣٨٨ هـ الموافق ١٣/٨/١٩٦٨ م
- الجنسية: سعودية
- آخر مؤهل دراسي: دكتوراه
- التخصص العام: علم الأحياء
- التخصص الدقيق: خلية وأنسجة
- المرتبة العلمية: أستاذ مشارك
- دولة الإقامة: جدة المملكة العربية السعودية
- العمل الحالي: عضو هيئة تدريس بكلية العلوم للبنات جامعة الملك عبدالعزيز

أ.دينا أحمد إبراهيم موصلي

- تاريخ الميلاد: ١٥-١١-١٤٠٣هـ
- الجنسية: سعودية
- آخر مؤهل دراسي: ماجستير
- التخصص العام: علم الحيوان
- التخصص الدقيق: علم الأنسجة والخلية
- المرتبة العلمية: معيدة
- دولة الإقامة: المملكة العربية السعودية - جدة
- العمل الحالي: عضو هيئة تدريس بكلية العلوم للبنات - جامعة الملك عبدالعزيز

ملخص البحث

- تم في هذا البحث استخدام منقوع تمر العجوة
أولاً؛ لمعرفة التأثير الذي يطرأ على التركيب النسيجي الطبيعي للرتة في ذكور الفئران البيضاء البالغة Adult Albino mice Balb /C
 - وبالفحص المجهرى والدقيق لنسيج الرتة في جميع المجموعات المعاملة بمنقوع التمر لم يلاحظ أي تغير يذكر في التركيب النسيجي، ما يدل على الأثر الإيجابي لاستخدام منقوع تمر العجوة ويتيح أمامنا الفرصة لمعالجة النسيج المريض والشفاء من العديد من الامراض وهو ما يتفق مع ما أوحى به الله عز وجل على لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم في تمر العجوة :
- كما في حديث سعد بن أبي وقاص : (من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سمٌ ولا سحر) . (صحيح مسلم، الأشربة حديث رقم ١٥٥)
- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن في عجوة العالية شفاء أو أنها ترياق أول البكرة) . (صحيح مسلم الأشربة حديث رقم ١٥٦)
- ثانياً : استخدم منقوع تمر العجوة لعلاج التسمم والتليف الرئوي الناتج عن استنشاق وقود السيارات (الجازولين) المستخدم حديثاً ٢٠٠٧ / ١ / ١ في المملكة العربية السعودية للعاملين بالمحطات ومرتاها ومن يسكن حولها .

التوصيات

١. لقد ورد ذكر التمر في القرآن الكريم في آيات كثيرة قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا﴾ سورة النحل (٦٧).
٢. وفي حديث سعد بن أبي وقاص قال: «من تصبى بسبع تمرات عجوة، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر». (صحيح مسلم، ٥٣٣٩)، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن في عجوة العالية شفاء، أو أنها ترياق، أول البكرة». (صحيح مسلم، الأشربة حديث رقم ١٥٥) وحيث يعتبر الجازولين ذو سمية عالية حيث تتسبب مكوناته في سمية الدم والجينات.
٣. دلائل على الإعجاز العلمي في الطب النبوي لتأثير تمر العجوة على التركيب النسيجي لرئة الفئران.
٤. دراسة تأثير تمر العجوة لأول مرة على سلوك حيوانات التجارب ونسبة بقائها.
٥. معرفة التأثير الفعال لتمر العجوة أيضا لأول مرة على الخلايا والأنسجة الرئوية السليمة.
٦. دراسة التأثير العلاجي لتمر العجوة لأول مرة لعلاج التسمم والتليف الرئوي بالجازولين.
٧. اكتشاف أن تمر العجوة لا يؤثر على الخلايا السليمة الحية ويعالج التسمم والتليف الرئوي الناتج عن استنشاق وقود السيارات (الجازولين).

أوضحت هذه الدراسة انه لم يكن هناك أي تأثير ضار لتمر العجوة على التركيب النسيجي للأنسجة الرئوية الحية السليمة وتأثيره العلاجي على التسمم والتليف الرئوي الناتج من استنشاق أبخرة الجازولين مما يتيح الفرصة أمامنا للوصول الى إثبات الأثر الإيجابي لهذا التمر في معالجة الأنسجة المريضة في الأعضاء المختلفة وهذا ما أوحى به الخالق عز وجل على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في استخدام العجوة للشفاء من عديد من الأمراض كما ورد في الطب النبوي.

إعجاز القرآن في إنجاب الذرية

أ.د. مجاهد أبو المجد

- أستاذ السكر والغدد الصماء كلية الطب جامعة المنصورة
- عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (لجنة الإعجاز العلمي).
- عضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي بمكة المكرمة.
- شارك بأبحاث في كل مؤتمرات الهيئة العالمية للإعجاز العلمي بمختلف الأقطار.
- عدة مقالات منشورة عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمجلة الإعجاز العلمي التابعة للهيئة العالمية للإعجاز العلمي .
- أشرف على أكثر من ٥٠ رسالة في العلوم الطبية.

أ.د. سامي هلال

- عميد كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

ملخص البحث :

حديث القرآن والسنة عن قواعد الإخصاب :

١. في صدر أول سورة نزلت من القرآن وهي سورة العلق تجد أن القرآن تحدث عن إنجاب الذرية في قوله " اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق".

٢. « فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق » دافق إسم فاعل فهو يشير إلى ذاتية الحركة دفع النهر والوادي إذا امتلأ حتى يفيض من جوانبه.

والدفاق : المطر الواسع.

وسير أدفق أي سريع.

دفق: الدال تشير إلى امتداد طولي مع احتباس والفاء تشير إلى النفاذ بقوة والقاف إلى متجمع متعقد.

وشروط الإخصاب لماء الرجل :

- التدفق.
- الاندفاع بسرعة.
- وجود عدد كبير من الحيوانات المنوية أكثر من ٢٠ مليون في الدفقة الواحدة للرجل.
- حيوية الحيوانات المنوية.

انظر إلى المعاني اللغوية لوصف الماء بالدافق فستجدها في كلمة القرآن المعجزة دافق .
وفي لسان العرب دافق أي مدفوق وأهل الحجاز كانوا يجعلون المفعول فاعلاً إذا
كان في موضع نعت وهذا يشير بوضوح إلى ماء المرأة فالبويضة مدفوقة لا تتحرك
حركة ذاتية.

تلك روعة البيان القرآني فكلمة واحدة (دافق) أشارت إشارة علمية دقيقة إلى
شروط الإخصاب عند الرجل والمرأة.

ويتم الإخصاب طبقاً لقواعد ثلاث:

القاعدة الأولى :

أن الخلق يبدأ باتحاد عنصرين من الذكر والأنثى معاً. وسأل يهودي رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن خلق الإنسان فأجابه المصطفى يا يهودي من نطفة
الرجل والمرأة.

القاعدة الثانية :

ليس كل ماخرج من البويضة او من ماء الرجل إلى رحم المرأة يشارك في
التخصيب. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من كل الماء يكون الولد)
صحيح مسلم.

القاعدة الثالثة :

أن الجنين يمر بأطوار . (مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا).

ملخص الجزء الثاني من البحث

الأسباب المانعة لإنجاب الذرية :

١. أشار القرآن إلى الأسباب المانعة من الإنجاب للذرية في وصفين إحداهما يشير إلى المنع الجزئي والآخر يشير إلى المنع الكلي وهما عاقر وعقيم.
٢. عاقر آل عمران (٤٠) - مريم (٥،٨) وورد الفعل عقر في عدة مواقع كلها يشير إلى ناقة ثمود.
٣. عقيم وردت في أربع مواقع في كتاب الله :

الحج ٥٥ ، الشورى ٥٠ ، الذاريات ٢٩ ، الذاريات ٤٢، ٤١

تلاحظ من الآيات الكريمات :

١. زوجة سيدنا زكريا وصفت بلفظة عاقر.
٢. زوجة سيدنا إبراهيم وصفت بلفظة عقيم.
٣. لفظة عقيم شملت وصف الرياح ويوم القيامة

المدلول اللغوي لكلمة عاقر كما في مجامع اللغة :

١. رجل عاقر لا يولد له .
٢. عقره العلم النسيان.
٣. كانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه أي قطعوا إحدى قوائم

المدلول اللغوي لكلمة عقيم:

١. هزيمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد.
 ٢. ريح عقيم غير لاقح.
 ٣. ويوم عقام أي شديد.
 ٤. رحم معقومة أي مسدودة.
 ٥. العقم: القطع.
- وهكذا فإن عقيم أشد في الدلالة على عدم الإنجاب من عاقر.

المدلول العلمي الطبي:

هناك سببان رئيسيان لعدم الإنجاب:

- عدم المقدرة بتاتا على الإنجاب → sterility
 - عدم القدرة على الإنجاب مع وجود أسباب مانعة.
- ولهذا فإن sterility هي العقم و infertility هي العقر.

ونلاحظ روعة البيان القرآني حين وصف زوجة سيدنا زكريا بالعقر في سورتي آل عمران ومن ثم أعقب ذلك في سورة الأنبياء بقوله (فاستجبنا له وأصلحنا له زوجه ...) عقيم وعاقر أصلهما « عقر وعقم » يشترك الفعلان في حرف العين ويختلفان في الحرف الأخير الراء و الميم من صفات حرف الراء التكرار وهذا يناسب الإنجاب أما الميم فتخرج بانطباق الشفتين وهذا يناسب عدم القابلية للإنجاب.

دراسة فعالية الحبة السوداء في علاج الملاريا مقارنة بعلاج الكلوروكوين

د. خالد بن سعيد عسيري

• استشاري طب المجتمع ومستشار الطب البديل

ملخص البحث

الطب النبوي مصطلح معروف لدى المسلمين وهو عبارة عن نصائح تعنى بصحة الانسان والتي مصدرها القرآن والسنة المطهرة. وهذا الهدي يغطي كثيرا من الجوانب الوقائية والعلاجية والتي تشكل مزيجا مابين الروح والعقل والجسد. وللطب النبوي تطبيقات وقائية وعلاجية وفيما يلي بعض هذه التطبيقات:

تطبيقات وقائية ومنها:

١. الحجر والامراض المعدية الوبائية.
٢. الهدي النبوي في الغذاء.
٣. الرضاعة الطبيعية.

٤ . صحة البيئة.

٥ . النظافة الشخصية.

٦ . الامراض التناسلية.

تطبيقات علاجية ومنها :

١ . الحجامة.

٢ . الحبة السوداء.

٣ . البان الابل وابوالها.

٤ . العسل.

٥ . الكي.

٦ . النباتات العشبية الوارد ذكرها في القرآن والسنة.

من خلال هذا الهدي النبوي نستطيع تعزيز الصحة في كل مكان بغض النظر عن الفروقات بين البشر.

وللتدليل العملي فقد أجرى الباحث البحث التالي تحت عنوان الحبة السوداء واثرها في علاج الملاريا

هدف الدراسة :

دراسة فاعلية الحبة السوداء في علاج الملاريا مقارنة بعلاج الكلوروكوين .
طريقة الدراسة: تم تحقيق الهدف من خلال التجربة السريرية المنضبطة في
مرحلها الثانية(٣٤ حالة غير شديدة لكل مجموعة).

النتائج :

اظهرت النتائج تفوق العلاج بالحبة السوداء مقارنة بالكلوروكوين في هذه
المرحلة (٩٥٪ ، ٧٢٪ بالترتيب)
بالرغم من ذلك لا يمكن تعميم نتائج هذا البحث حتى نجري التجربة السريرية
في المرحلة الثالثة.

التوصيات :

- ١ . الطب النبوي رحمة للعالمين بكل شعوبهم .
- ٢ . يحتاج الطب النبوي لايجاد مرجعيات علمية .
- ٣ . فتح باب الاوقاف لدعم هذا النوع من الطب .
- ٤ . وضع هذا العلم في منهج يمكن تدريسه وتدريب العاملين في القطاع
الصحي عليه .

خريطة المخ بيئة علمية

د. محمد دودح

- الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
- الباحث العلمي في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة.
- محاضر في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في منطقة مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية.
- أخصائي أمراض جلدية وتناسلية وعقم، الزمالة الدولية موسكو ١٩٩٣م، دراسات إسلامية في الجمهورية العربية اليمنية.
- قدم العديد من الدراسات في موضوع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- شارك في المؤتمرات الدولية والندوات العلمية حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في عدة دول منها: مؤتمر القاهرة الطبى الإسلامى ١٩٨٥ برعاية الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر، مؤتمر الباكستان بالاشتراك مع الجامعة الإسلامية العالمية بمدينة إسلام آباد بالباكستان

برعاية الرئيس ضياء الحق ١٩٨٧، مؤتمر القاهرة في مبنى جامعة الدول العربية بالاشتراك مع الأزهر ورعاية الرئيس محمد حسني مبارك ١٩٨٨، ندوة علمية في مدينة القيروان بتونس ١٩٨٩، لقاءات علمية في الجزائر بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية ١٩٨٩، لقاءات علمية في اسطامبول ١٩٩٣، لقاءات علمية في دبي بدعوة من رئيس جامعة آل لوتاه العالمية وبنك دبي الشيخ سعيد أحمد آل لوتاه ١٩٩٢، المؤتمر العالمي في موسكو بالتعاون مع أكاديمية العلوم الطبية الروسية والمركز الإسلامي الثقافي ١٩٩٣، مؤتمر الفيزيائيين والفلكيين العرب في عمان بالأردن ١٩٩٣، المشاركة في الإعداد لافتتاح مركز أبحاث الإيمان بالخرطوم ١٩٩٣، المؤتمر العالمي في باندونج بأندونيسيا بمشاركة رابطة العالم الإسلامي ١٩٩٤، لقاءات علمية في البحرين ١٩٩٦، المؤتمر العالمي في بيروت لبنان برعاية الرئيس رفيق الحريري ٢٠٠٠، لقاءات علمية في نواكشوط بموريتانيا ٢٠٠٢، المؤتمر العالمي في دبي بالتعاون مع جائزة دبي للقرآن الكريم برعاية سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ٢٠٠٤، مؤتمر جامعة الزرقاء بالأردن عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بالاشتراك مع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ٢٠٠٥، وشارك كمحاضر في دورة تدريبية عن الإعجاز العلمي لمنسوبي وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية ٢٠٠٦.

ملخص البحث

يحتوي دماغ الإنسان على فصوص رئيسية أربعة هي:

- الفص الأمامي Frontal Lobe
- والفص الخلفي Occipital Lobe
- والفص الصدغي Temporal Lobe
- والفص الجداري Parietal Lobe

ولكل فص دور وظيفي ينفرد به عن الآخر، وفي نفس الوقت هي مكملة لبعضها البعض، والفص الأمامي يتميز عن نظيره في الحيوان بأن المناطق المسئولة عن السلوك وعن الكلام متطورة وبارزة من الناحية التشريحية والوظيفية، وهو يحتوي على عدة مراكز عصبية تختلف فيما بينها من حيث الموقع والوظيفة وهي: القشرة الأمامية الجبهية Pre-Frontal Cortex وتقع مباشرة خلف الجبهة وهي تمثل الجزء الأكبر من الفص الأمامي للمخ، وترتبط وظيفتها بتكوين شخصية الفرد ولها أيضاً تأثير في تحديد المبادرة Initiative والتمييز Judgment، ثم مركز بروكا لحركات النطق Motor Speech Area of Broca ويقوم بتنسيق الحركة بين الأعضاء التي تشترك في عملية الكلام كالحنجرة واللسان والوجه، ثم مناطق الحركة وتشمل الحقل العيني الجبهي Frontal Eye Field ويقوم بالتحريك المتوافق للعينين إلى الجهة المقابلة، ومركز حركة العضلات الأولي والثانوي Primary & Secondary Motor Areas وكليةها مسئولان عن حركة العضلات الإرادية، وهكذا ثبت أن مقدمة الفص الأمامي القابضة في عمق الناصية هي الموجهة للسلوك والمميزة

للشخصية، وقد تؤدي إصابتها إلى هبوط في المعايير الأخلاقية ودرجة التذكر والقدرة على حل المشكلات العقلية.

وفي قوله تعالى: (كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) العلق ١٥ و١٦؛ لم يتخير القرآن الكريم للمؤاخذه على سوء السلوك وضلال الاختيار والكذب في القول والخطأ في الفعل إلا منطقة الناصية أو مقدمة الدماغ حيث يوجد الفص الأمامي من المخ والذي عرف حديثاً أنه يتميز بوجود مناطق مهمة سلوكياً تقوم فعلاً بتلك الوظائف وبنفس الترتيب في النص الكريم، فالمنطقة الأولى من الفص الأمامي تسمى بمقدمة الفص الأمامي Pre-frontal area وتقع في الأمام وتقوم بوظيفة اتخاذ القرار وتوجيه السلوك الاجتماعي خاصة ولا يصدر قرار إلا من خلالها ولذا تسمى حارس البوابة Gate Keeper، وتقع خلفها منطقة صياغة الأقوال وتسمى تبعاً للعالم الذي اكتشفها بمنطقة بروكا Area of Broca، تليها نحو الخلف المنطقة المسؤولة عن الأفعال الحركية.

يوجد الفص الأمامي من المخ في منطقة الناصية وهو مسئول عن تميز الشخصية واتخاذ القرارات.

وقد لوحظ أن ترتيب الأعضاء في نظم القرآن الكريم يتفق مع الواقع فتمنح العناية بتقديم الأهم وظيفاً والممنوح أكبر مساحة أو المتقدم وظيفياً وتشريحياً، فالعين نحو الأمام تليها الأذن وفي النظم تسبق العين الأذن، ومركز الإبصار يسبقه مركز السمع وفي النظم يسبق السمع البصر، ويقع بينهما مركز الكلام وهو كذلك في النظم، ويغلب التصوير في الكتاب العزيز فترد الوظائف العقلية مسلوقة واصفة من لا ينتفعون بها بالصمم والبكم والعمى، وبانقلاب

الهيئة خزيا في مشهد إهانة المعذبين في الآخرة ينقلب الترتيب في النظم محافظا على الترتيب في الحلقة السوية، وفي المنطقة الحركية في المخ أبرز الأعضاء هم الوجه تليه اليد يليها القدم؛ وهو تماما نفس الترتيب في النظم، ولا يختلف الترتيب عنها في المنطقة الحسية سوى بزيادة منطقة الرأس قبل القدم والعجيب أنه تماما نفس الترتيب في النظم، ويكتفي الكتاب الكريم بالأهم في مقام بيان أهم المناطق في الجلد إحساسا فيتخير الوجه واليد والبنان خاصة الأنامل ويحفظ الترتيب وفق درجة الإحساس وعدد المستقبلات والمساحة الممنوحة بالدماغ فيقدم الجباه والجنوب على الظهور.

(١) تتقدم العين في النظم على الأذن تماما كما هي في الواقع

(٢) تتقدم وظيفة السمع في النظم على وظيفة البصر وفق أصلها المركزي في المخ

(٣) توجد منطقة بالمخ تسمى منطقة فيرنينيكي Wernicke's area وظيفتها الوعي بالكلام ولذا تسمى منطقة اللغة Language areaH، وتؤدي إصابتها إلى البكم بفقدان القدرة على الكلام السوي لفقدان الوعي باللغة Wernicke's Aphasia، وهي تتوسط مركزي السمع والبصر بالمخ، والبكم في النظم يتوسط الصمم والعمى كوظيفتين مسلوبتين بتعطيلهما

(٤) تنعكس الهيئة في مشهد انتكاس المعذبين في الآخرة لترسيخ الخزي والمخالفة للحلقة السوية بمشهد حسي بلغ الانتكاس فيه الغاية، والعجيب المذهل أن ينعكس ترتيب الوظائف كذلك نظما حفاظا على أصل الترتيب في الحلقة السوية

(٥) تترتب الأجهزة في النظم وفق تطورها الوظيفي في مقام تدرج التكوين (السمع ثم البصر)، والمعلوم أن الجنين يستطيع السمع للأصوات كضربات قلب

- الأم من الشهر الخامس بينما يتأخر اكتمال الجهاز البصري إلى ما بعد الولادة
- (٦) في النظم الجلد والأحشاء من أهم المناطق إحساسا بالألم تماما كما هو في الواقع. والطبقة الخارجية من الأمعاء هي الأكثر ثراء بالأعصاب الحسية ولذا من العجيب أن يشترط النظم تقطيع الأمعاء ليلبغ الشعور بالألم أقصاه.
- (٧) ترتيب أعضاء الحركة في النظم وفق ترتيبها المخبوء في الدماغ (الوجه ويمثله اللسان والفم ثم اليد ثم القدم):
- (٨) تتفاضل مناطق الجلد الحسية وتتوالى في النظم وفق ترتيبها المخبوء بالدماغ (الوجه ثم اليد ثم الرأس ثم القدم).
- (٩) الاكتفاء بالوجه وتعقبه اليدين وهما أهم منطقتين في الجلد إحساسا واعتبارا في المخ.
- (١٠) الاكتفاء بالوجه وهو من أهم منطقتين في الجلد إحساسا واعتبارا في المخ.
- (١١) الاكتفاء باليد خاصة الأنامل أو البنان وهي من أهم منطقتين في الجلد إحساسا واعتبارا في المخ.
- (١٢) النظم يحفظ الترتيب في مقام بيان أهم مناطق الجلد إحساسا فيقدم الوجه ومقدمة الجسم ويؤخر المنطقة الخلفية والمعلوم أنها أقل ثراء في الاعصاب الحسية. وظاهرة الحفاظ على الرتبة في نظم الكتاب العزيز بما يتفق تماما مع أصل الحلقة لمواضع الوظائف العليا بالدماغ لا توجد في أي كتاب ينسب للوحي سوى القرآن الكريم، ومعضلة تخصيص القرآن منطقة الناصية أو مقدم الدماغ دون بقية الأعضاء بالكذب والخطأ وتجريمها بلفظ السفح؛ وهو القبض على الشيء وجذبه

بشدة تصويرا لمحاسبة المسئول حقيقة عن السلوك لم تتضح كيفيتها إلا حديثا، ومؤاخذتها وحدها قبل اكتشاف دورها في توجيه السلوك لا تفسره مصادفة وإنما تحقق وعد قطع به القرآن الكريم، قال تعالى: "لِكُلِّ نَبِيٍّ مَّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ" الأنعام ٦٧.

الإعجاز العلمي في زيت الزيتون

الدكتور/ حسان شمسي باشا

- استشاري أمراض القلب في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة
- زميل الكليات الملكية للأطباء في لندن
- زميل الكليات الملكية للأطباء في غلاسجو
- زميل الكليات الملكية للأطباء في أيرلندا
- زميل الكلية الأمريكية لأطباء القلب

ملخص البحث

أمران لطيفان معجزان من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة)^(١).

فحتى عام ١٩٨٥ لم يأبه أحد من الباحثين الأمريكيين والأوروبيين بزيت الزيتون، بل إن كافة المراجع الطبية حتى ذلك الحين كانت تحذّر المصابين بارتفاع الكولسترول أو بمرض شرايين القلب من تناول زيت الزيتون حيث كان من المعتقد أنه يزيد من الكولسترول ويرفع دهون الدم!!.

وما أن طلع علينا الدكتور غرندي في دراسته الشهيرة التي ظهرت عام ١٩٨٥، والتي أثبت فيها أن زيت الزيتون يخفض كولسترول الدم حتى توالى الدراسات والأبحاث تركز اهتمامها حول فوائد زيت الزيتون، وتستكشف يوماً بعد يوم المزيد من أسرار هذا الزيت المبارك الذي أتى من شجرة مباركة.

وكيف لا تكون الشجرة مباركة، وقد أقسم الله تعالى بها أو بأرضها - على اختلاف بين المفسرين - في قوله تعالى: (**والتين والزيتون × وطور سينين**)

وكيف لا تكون مباركة، وقد شبه الله تعالى نوره بالنور الصادر عن زيتها حين قال: (**يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية**)

فالشجرة مباركة .. والزيت مبارك .. ولكن كثيراً من الناس عنه غافلون .

فزيت الزيتون هبة السماء للإنسان . عرف القدماء بعضاً من فوائده ، وأدرك الطب الحديث - منذ سنوات معدودات - بعضاً آخر .

كلوا الزيت :

عرفنا حديثاً أن زيت الزيتون يقي من مرض العصر .. جلطة القلب ، ويؤخر من تصلب الشرايين . وتلاشت الأسطورة التي كانت تقول أن زيت الزيتون يزيد كولسترول الدم ، ذلك الشبح الذي يقصّ مضاجع الكثيرين . وتبين للعلم الحديث أن زيت الزيتون عدو للكولسترول ، يحاربه أُنّى كان في جسم الإنسان .

والحقيقة أن الأميركيان يغبطون سكان حوض البحر الأبيض المتوسط على غذائهم ، فهم يعرفون أن مرض شرايين القلب التاجية أقل حدوثاً في إيطاليا وأسبانيا وما جاورها مما هو عليه في شمال أوروبا والولايات المتحدة . ويعزو الباحثون انخفاض معدل حدوث أمراض القلب، وبعض أنواع السرطانات في دول حوض البحر المتوسط جزئياً إلى تناول زيت الزيتون المنتظم كجزء من غذاء سكان حوض البحر المتوسط، حيث يتناول هؤلاء ما بين ٢٥ - ٥٠ من زيت الزيتون يومياً.

- وقد استعرضت مقالة مطولة نشرت في مجلة Sci Int J Mol في شهر فبراير ٢٠١٠ الأبحاث العلمية في السنوات الأخيرة، والتي ركزت على دور المركبات الفينولية الموجودة في زيت الزيتون البكر، حيث تلعب دوراً فيزيولوجياً كبيراً في دهون الدم، والوقاية من التخرّب التأكسدي، ومؤشرات الالتهاب ، ووظائف صفيحات الدم، إضافة إلى تأثيراتها كمضاد للجراثيم ومحافظ على صحة العظام. ولا يخفّض زيت الزيتون الكولسترول الضار فحسب، بل إنه - حسب الدراسات الحديثة - يرفع الكولسترول المفيد بنسبة ١, ٥ - ٦, ٧٪

- ونشرت مجلة J Cardiovasc Pharmacol الصادرة في شهر ديسمبر ٢٠٠٩ مقالاً استعرضت فيه فوائد زيت الزيتون على القلب، وكيف أن استهلاك زيت الزيتون المنتظم عند سكان حوض البحر المتوسط قد أدى إلى انخفاض معدلات الوفيات من أمراض شرايين القلب في الدول الأوروبية الجنوبية المطلة على حوض البحر المتوسط رغم ارتفاع معدلات عوامل الخطورة المهيئة لمرض شرايين القلب عندهم
- ونشرت مجلة Nut Metac Cardiovasc في شهر مايو ٢٠١٠ ملخصاً لتقرير المؤتمر العالمي الثاني الذي عقد حول زيت الزيتون وحضره خمسون من أكبر علماء العالم في أمراض القلب والسرطان وغيره.

وخلص هؤلاء في تقريرهم إلى أن تناول زيت الزيتون كجزء من النظام الغذائي يقلل من احتمال حدوث أمراض شرايين القلب، والبدانة، والمتلازمة الاستقلابية، ومرض السكري الكهلي، وارتفاع ضغط الدم.
- كما أن هذا الغذاء الغني بزيت الزيتون يحسّن من العوامل المهيئة لأمراض شرايين القلب مثل ارتفاع دهون الدم وضغط الدم، ويقلل من اضطراب وظيفة بطانة الشريان، والتخرب التأكسدي وتختثر الدم.
- وليس هذا فحسب، بل إن الدراسات تشير إلى أن زيت الزيتون يمكن أن يحمي من تدهور الذاكرة ومرض الزهايمر.

وادهنوا به :

- يوصي رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم بالادهان بزيت الزيتون ..
- وتأتي الدراسات العلمية الحديثة لتثبت فوائد زيت الزيتون على الجلد. فقد نشرت مجلة Clin Dermatol (وهي من أشهر المجلات العالمية في أمراض الجلد) في شهر إبريل ٢٠٠٩ مقالاً مطولاً استعرضت فيه فوائد زيت الزيتون على الجلد.
- كما ذكرت دراسة نشرت في مجلة Pediatr Dermatol الصادرة في شهر إبريل ٢٠٠٨ فوائد استخدام زيت الزيتون كمطرب وملطف للجلد عند الوليد الخدج.
- وأشارت أحدث الإحصائيات المنشورة في مجلة Infectious diseases in Children إلى أن المركبات التي كانت فعالة في القضاء على قمل الرأس لم تعد فعالة جداً. وأظهرت الدراسات التي أجريت في جامعة Hebrew University الأمريكية وفي المعهد الأمريكي لقمل الرأس أن وضع زيت الزيتون على الرأس المصاب بالقمل لعدة ساعات يقتل القمل الموجود في الرأس.
- كما نشرت مجلة Dermatology Times في عددها الصادر في شهر آب (أغسطس) ٢٠٠٠ دراسة أشارت إلى أن الإدهان بزيت الزيتون موضعياً بعد السباحة والتعرض للشمس ، يمكن أن يقي من حدوث سرطان الجلد القتامي Melanoma

وبعد فهذا غيض من فيض ما نشر من أبحاث حول زيت الزيتون خلال الأعوام القليلة فطوبى لمن نال من خيرات هذه الشجرة المباركة .

ولا نملك إلا أن نقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « **كلوا الزيت وادهنوا به ، فإنه من شجرة مباركة** » . وهنيئاً لمن نال تلك البركات .

التضاد الميكروبي والتأثير العلاجي لمستخلص نبات اليقطين

ضد بعض الميكروبات المسببة للتسمم الغذائي

دكتورة/ آمنة علي صديق

ملخص البحث:

النص المعجز (الآية أو الحديث).

ورد ذكر نبات اليقطين في قصة يونس عليه السلام حين التقمه الحوت (فَالْتَقَمَهُ
الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ) سورة الصافات (١٤٢)

فسخر الله له شجرة اليقطين غذاء ودواء قال تعالى (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ
يَقِطِينَ) سورة الصافات (١٤٦).

وهو من أغذية الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيحين من حديث
أنس بن مالك، قال: (فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدباء من حوالي
الصحفة، فلم أزل أحب الدباء من ذلك اليوم) والدباء هو القرع أو اليقطين.

الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص:

يتميز نبات اليقطين *Cucurbita* بمحتواه الكيميائي من الزيوت الثابتة غير المشبعة حيث تشكل ٣٠٪ من مكونات البذور، كما تدخل فيها عدة أحماض مثل حمض اللينوليك، الأوليك، الأحماض الدهنية، مركبات الكوكوربيتاسين، فيتامينات أ، ب ومعادن من أهمها الزنك و المغنيسيوم، أما ثماره فتحتوي على فيتامينات وحوامض مثل اللوسين، النيروزين والبيوريزين بالإضافة إلى المواد السكرية، النشا والبروتينات (القحطاني، ٢٠٠٧)، ويمكن استخدام اليقطين كملين للبطن، وفي علاج الصداع وفي الوقاية من العطش نتيجة احتوائه على ٩٦٪ من وزنه ماء، بالإضافة إلى أنه يعطي وقاية من أمراض القلب، زيادة الكولسترول وفي حالات ارتفاع ضغط الدم (السيد، ٢٠٠٧م). كما أثبتت الدراسات العلمية أن المعالجة بنبات اليقطين أعطى نتائج باهرة في حالات النزلات المعوية التي كثيرا ما تصيب الأطفال في سنهم المبكر، فيما يسمى بالإسهال الصيفي والذي يرجع سبب العدوى به إلى شرب اللبن الملوث بميكروبات القولون أو بعض الميكروبات السبحية، وأثبتت فعالية أيضاً في تخفيض نسبة السكر في الدم، فعند تعاطي الجرذان المصابة بمرض السكري لعصير اليقطين عن طريق الفم أحدث انخفاض في مستوى سكر الدم مع زيادة في بلازما الأنسولين والهيموجلوبين (Ramos et al., 1995; Aguilar et al., 2002 & Xia and Wang, 2006a)

لذا هدفت هذه الدراسة لمعرفة التأثير التضادي لمستخلص ثمار نبات اليقطين من النوع *C. moschata* وبذوره على نمو بكتيريا، *Staphylococcus aureus* و *Escherchia coli* والفطر *Aspergillus flavus*، بالإضافة لدراسة التأثير الوقائي والعلاجي لمستخلص ثماره على أنسجة وأنزيمات الكبد لمجموعتين من الجرذان

، حُقنت بمعلق الفطر *A. flavus* والأخرى حُقنت بمادة الأفلاتوكسين ب ١، وما ينتج عنها من أضرار عديدة على الكبد باعتباره من أهم أعضاء الجسم الطاردة للسموم .

وجه الإعجاز في النص .

١ . إعجاز اليقطين كغذاء فهو يتميز بسهولة هضمه ، وغناه بالعديد من العناصر المفيدة ، وقد أثبتت الأبحاث أن عصارة نبات الدُّبَّاء وعصارة ثمرته تعيد صبغات الجلد وتنمي أنسجته وتقوي الجسم ، هذا ما دلل عليه القران الكريم حين اختار الله عز وجل اليقطين لنبيه يونس عليه السلام، وهو هزيل الجسم بعد إخراجه من بطن الحوت .

٢ . نبات اليقطين غني بمادة البيتاكاروتين التي تكسبه اللون الأصفر والتي لها دور فعال في وقاية الجسم من الإصابة بالسرطان ، حيث تخلص أنسجة الجسم من بعض المواد الضارة والتي يطلق عليها اسم الجذور الخالية من الأوكسجين Oxygen-Free radicals والتي لها تأثير هدمي لجدر الأوعية الدموية ، كما أنها تزيد من حدة الالتهابات وتسرع عملية الشيخوخة، وتؤدي إلى تغيرات بنية الخلايا مما قد يسبب السرطان (باشا، ١٩٩٣).

٣ . يتميز نبات اليقطين في شكله المورفولوجي فهو متعدد الأشكال ، الأحجام وألوانه ، منه الحلو والعادي ، كما كان لكبر مساحة أوراقه وملمسها المخملي المغطى بشعيرات صلبة بمثابة حماية لنبي الله يونس عليه السلام، من إيذاء الهوام ، الحشرات وحر الشمس إلى أن استعاد قوته ونشاطه، فلطف الله تعالى عليه بتلك الشجرة .

٤. إعجاز اليقطين كعلاج بالإضافة لكونه مسكن، ملين، مدر للبول، ومفيد في التهاب المجاري البولية، حصر البول، الإمساك وعسر الهضم، وبذوره تترد الدودة الوحيدة وتخفف ضغط الدم وتعالج الأرق والبواسير .
٥. أثبتت الأبحاث العلمية أن حزم البروتين عديدة التسكر المستخرجة من نبات اليقطين تعمل على زيادة مستوى الأنسولين في السيرم وخفض مستوى الجلوكوز في الدم. (Quanhon et al، 2005).
٦. يتضح من نتائج هذا البحث المجال التضادي الواسع لنبات اليقطين ضد بعض الأحياء الدقيقة الممرضة كالفطريات والبكتيريا .
٧. أتضح دور اليقطين في الحد من التسمم الكبدي الفطري، وتحسين وظائف الجسم .

المستخلص للبحث العلمي :

تسبب الميكروبات الممرضة المسؤولة عن حدوث التسمم الغذائي أمراض خطيرة للإنسان، وذلك نتيجة تواجدها أو إفرازها للسموم الميكروبية، وقد تم اختبار التأثير المضاد للمستخلص المائي لثمار نبات اليقطين وبذوره على نمو البكتيريا الممرضة *Staphylococcus aureus* و *coli Escherchia* والفطر الممرض *Aspergillus flavus*، وقد أظهرت النتائج تأثيرات مثبطة معنوية للمستخلصات المائية ضد الميكروبات الثلاثة المختبرة، حيث ثبت التركيز ٢، ٠٪ نمو بكتيريا *aureus* S. و *E. coli* بقطر ٠٢، ١٨، ١٢، ١٥ على التوالي بعد ٢٤ ساعة من التحضين، بينما ثبت نفس التركيز نمو الفطر الممرض *A. flavus* بقطر ٣٣، ٢١ بعد ٦ أيام من التحضين، بالإضافة إلى ذلك تم تأكيد النتائج بدراسات تطبيقية لمعرفة التأثير

العلاجي لمستخلص ثمار اليقطين على مجموعتين من الجرذان، حقنت المجموعة الأولى داخل التجويف البريتوني بمعلق الفطر *A. flavus* وحقنت المجموعة الثانية بمادة الأفلاتوكسين ب ١، ثم تم معالجة المجموعتين بجرعة مقدارها (٠,٢٠ / كجم من وزن الجسم) لمدة ١٥ يوم . وقد أظهرت نتائج الفحص النسيجي لأنسجة الكبد والتحليل لأنزيمات الكبد أنها مماثلة للطبيعية ، مما يدل على إمكانية استخدام اليقطين كمضاد طبيعي لتثبيط نمو الفطر الممرض *A. flavus* والحد من الأضرار الناتجة عنه .

دراسة تأثير عسل النحل والحبة السوداء على خلايا الكبد السرطانية

أ.د. محمود إسماعيل حسن

أ.د. جمال مبروك

د. حنان حسين شحاتة،

د. مروة محمود أبو الحسين

- وحدة التشخيص المبكر للأورام، قسم الكيمياء الحيوية الطبية، كلية الطب، جامعة عين شمس، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

ملخص البحث

يعتبر سرطان الكبد من أكثر السرطانات شيوعاً وأكثرها مميتة في العالم. حيث تزداد الإصابة به سنوياً. وأغلب سرطانات الكبد يبدأ بعد ما يصاب الكبد بالتليف وغالباً ما يكون ذلك ناتجاً عن الإصابة المزمنة بفيروسات الكبد HBV أو HCV. وقد وجد أن الجهد التأكسدي يلعب دوراً هاماً في ولید ونشوء هذا المرض، وكذلك اضطراب عملية الموت المنظم والمبرمج للخلايا. ويعتبر التهاب الكبد المزمن ثم تليفه وسرطانه من الأمراض المستعصي علاجها ولم يستطع الطب إلى يومنا هذا بالرغم من تقدمه أن يجد لهم علاجاً فعالاً، حيث أن وسائل العلاج المستخدمة غير مجدية ولا تؤدي إلى الشفاء المرجو. في حين انه قد انتشر في عصرنا الحاضر التداوى من كثير من الأمراض عن طريق العسل والحبة السوداء - رغم أنه عصر العلم والتكنولوجيا - ولكن الله - سبحانه وتعالى - يود دائماً نصرته دينه ونبيه وبيان الحق والصدق الذي جاء به من لدنه ويوضح حتى لأعدائه مدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة رغم مرور أربعة عشر قرناً من الزمان عليهما، فقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث شريف. بالتداوي بحبة البركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام»، السام: هو الموت «أخرجه الشيخان والإمام أحمد والترمذى.

وفي رواية أخرى « مامن داء إلا في الحبة السوداء منه شفاء » وهى حبة البركة وإن اختلفت مسمياتها من بلد إلى آخرى إلا أن العلم الحديث قد اكتشف تأثيرها العظيم على جهاز المناعة في الإنسان حيث تزيد نسبة الخلايا اللمفاوية النائية المساعدة وتحديث تحسن في نشاط الخلايا القاتلة للأمراض وقدرتها على الوقاية من سرطانات القولون والثدي. ويكمن الإعجاز في كلمة الرسول - صلى الله

عليه وسلم «داء» و«شفاء» فكلتاهما جاءت نكرة مما يؤكد أن للحبة السوداء نسبة من الشفاء من كل داء وقد توصل العلم الحديث إلى أن حبة البركة السوداء، تحتوي على عناصر كثيرة مفيدة للجسم وهي.. «الفوسفات، الحديد، الفوسفور، الكربوهيدرات، والمضادات الحيوية المدمرة لكل أنواع الجراثيم، مادة الكاروتين المضادة للسرطان، وهرمونات جنسية مقوية ومخضبة ومنتشطة ومدرة للبول والصفراء، وإنزيمات مهضمة ومضادة للحموضة، كما أن بها مادة مهدئة ومنبهة في الوقت نفسه.

و تعتبر النصوص القرآنية والأحاديث التي وردت أيضا في شأن العسل من أوائل النصوص التي جازمت بالفوائد المطلقة وبالخواص العلاجية الثابتة لهذا المادة القيمة. يقول الحق تبارك وتعالى (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) (سورة النحل آية ٦٨، ٦٩)

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي). رواه البخارى

وعن أبي سعيد، أن رجلاً، أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخي يشتكي بطنه. فقال (اسقه عسلاً). ثم أتى الثانية فقال (اسقه عسلاً). ثم أتاه فقال فعلت. فقال (صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً). فسقاه فبرأ. رواه البخارى

ومن إعجازه صلى الله عليه وسلم في ذلك قوله أيضا :

(عليكم بالشفائين العسل والقرآن).. رواه ابن ماجه و عن ابي هريرة، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء). رواه ابن ماجه.

وأثبت العلم الحديث فائدة عسل النحل العظيمة في علاج أمراض التيفود والنزلات المعوية والمعدية والدوستاريا وايضا في مقاومة بعض السرطانات. وصدق الله تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيُّ يُوحَى » - صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا وتمضى الأبحاث العلمية بغزارة على العسل و حبة البركة لتوقف الإنسان أمام قدرة الله تعالى، والكل مازال يشعر أنه مازال في هذا المركبين العجيبين الكثير والكثير من الأسرار الطبية.....

ايماننا و يقينا وتسليما منا بصدق الله تعالى ورسوله العظيم ، قد أجريت هذه الدراسة لاثبات فاعلية كل من العسل و خلاصة حبة البركة في الوقاية والعلاج من التهاب الكبد الفيروسي المزمن (سي) و سرطان الكبد. ومحاولة استكشاف العمليات الكيميائية و البيولوجية التي يتم تنشيطها داخل خلايا الكبد السرطانية عند العلاج بالعسل و حبة البركة.

وتحقيقا لذلك فقد تمت زراعة خلايا كبد الانسان السرطانية الناتجة عن الاصابة بالمزمنة بفيروس (سي) في المعمل (HepG2). و بعد نموها الشبه كامل، تمت معالجتها بجرعات متزايدة من كل من العسل (٢٠٪-٥٪) و خلاصة حبة البركة (1000ug/ml-5000ug/ml) و كذلك مزيجا من كليهما معا، وذلك لفترات زمنية متزايدة من ست ساعات الى اثنتان وسبعون ساعة.

ثم قمنا باختبار حيوية الخلايا السرطانية و قدرتها على الصمود و التضاعف. و

كذلك قياس بعض المؤشرات الكيميائية الدالة على الجهد التأكسدي داخل الخلايا السرطانية وهي مادة (NO) وتعتبر من المواد المؤكسدة التي قد تؤدي الى السرطان وتساعد على سرعة تضاعف الخلايا. وكذلك قياس (TAS) وهي تعبر عن قدرة الخلية على التصدي لعوامل الأوكسدة مما يؤدي الى الحماية من حدوث السرطان. علاوة على ذلك قد قمنا بقياس معدل نشاط مادة (Caspase 3) وهي العنصر الفعال في تنشيط عملية الموت المبرمج لخلايا الكبد السرطانية وهو المطلوب في حالة العلاج الناجح. قد تمت كل القياسات السابق ذكرها في كل من الخلايا التي أضيف إليها العسل وخلاصة حبة البركة اثناء زراعتها ونموها في المختبر، وأيضا الخلايا التي لم يضاف إليها العسل و حبة البركة باعتبارها مجموعة ضابطة، وبذلك تمكنا من مقارنة النتائج بين المجموعتين واطهار فاعلية العسل و حبة البركة وقدرتها على مقاومة سرطان الكبد.

وقد أظهرت النتائج تأثيرا سلبيا ذات دلالات احصائية قوية على حيوية الخلايا السرطانية وكذلك معدل مادة NO حيث وصل معدل الانخفاض الى -٨٩٪ و ٥٥٪ بالترتيب وذلك في الخلايا المعالجة بمزيج من أعلى تركيز لعسل النحل وخلاصة الحبة السوداء لمدة اثنان وسبعون ساعة مقارنة بالخلايا الضابطة. وأشارت النتائج ايضا الى تأثيرا ايجابيا ذات دلالات احصائية قوية على TAS و Caspase 3 حيث وصل معدل الارتفاع الى ٩٧٪ و ٨٨٪ بالترتيب وذلك في الخلايا المعالجة بمزيج من أعلى تركيز لعسل النحل وخلاصة الحبة السوداء لمدة اثنان وسبعون ساعة عند مقارنتها بالخلايا الضابطة. مما أظهر الدور الفعال لعسل النحل وللحبة السوداء كمضادين للأوكسدة ومنشطين لعملية الموت المبرمج للخلايا ومن ثم كوسائل دفاعية وواقية من السرطان.

وعلاوة على ما سبق ذكره فقد لوحظ في هذه الدراسة ايضاً وجود انحدار خطي ذات دلالة احصائية قوية بين الإنخفاض الملحوظ في حيوية خلايا الكبد السرطانية المعالجة بالعسل و حبة البركة من جهة ومعدل مادة النيتريك اكسيد و نشاط مادة الكسبيز من جهة أخرى و أظهرت نتائج التحليل الإحصائي أيضاً أن إنخفاض معدل مادة النيتريك أكسيد كان له التأثير الأقوى و المباشر على إنخفاض حيوية الخلايا السرطانية يليه في ذلك ارتفاع نشاط مادة الكاسبيز . أما قدرة الخلايا مقاومة الأكسدة وبالرغم من ارتفاعها الملحوظ في الخلايا التي تم علاجها بالعسل و خلاصة حبة البركة ، فلم يكن لها دوراً مباشراً في موت الخلايا السرطانية، إنما ينحصر دورها في الوقاية من السرطان أو الحد من تفاقمه وإنتشاره.

وفي إطار هذه الدراسة نخلص الى فاعلية هذا الدواء الإلهي العجيب (عسل النحل والحبة السوداء) في مقاومة سرطان الكبد. حيث ان لهما تأثيراً واقعياً وكذلك تأثيراً معالجاً فعالاً. وذلك بأسلوب مزدوج وهو تقليل الجهد التاكسدي و تنشيط عملية موت الخلايا السرطانية المنظم.

هذه نقطة واحدة من هذا المعين الزاخر الذي لا ينضب ومازال العلم يقف أمامها عاجزاً عن اكتشافاتها إلى أن تتجدد على مدار الأيام.

وصدق الله العظيم إذ يقول: (وما أوتيتم من العلم الا قليلاً)

صدق الله العظيم

الإعجاز العلمي في حديث (إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم . .)

أ. نهى ظلال إبراهيم زيلعي

أ. ناجية الزنبيقي

• قسم العلوم البيولوجية، كلية العلوم، جامعة الملك

ملخص البحث

النصوص التي تعكس الإعجاز العلمي هي:

حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرار) ، (صحيح مسلم ح ٢٧٩).

تم نقل هذا بواسطة عدة ناقلين لم يذكروا قوله (فليرقه).

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً) ، (صحيح البخاري ح ١٧٢).

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ظهور إناء أحدكم إذا

ولغ الكلب فيه أن يغسله سبع مرات أو لاهن بالتراب).

عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عليه وسلم قال: (**ظهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات**) (صحيح مسلم ح ٩٢) .

عن ابن مغفل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب ، ثم قال ما بالهم وبال الكلاب ؟ ثم رخص في كلب الصيد و كلب الغنم وقال: (**إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات وعضّوه الثامنة بالتراب**) ، (صحيح مسلم ح ٩٣) .

الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص :

هي أن لعاب الكلب يحتوي على كائنات ممرضة تؤثر على الإنسان ، وتسبب له العديد من الأمراض . أظهرت العديد من الدراسات أن لعاب الكلب يمرض الإنسان ، كما قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

أوضحت إحدى الدراسات عدوى في الجيوب بعد العملية سببتها المكورات العنقودية انتريميديس المقاومة للميثيسيلين . توضح هذه الحالة إمكانية انتقال البكتيريا المقاومة للمضاد الحيوي المسببة للمرض من الكلب إلى الإنسان . تبين حالة أخرى لأول مرة أن المكورات العنقودية انتريميديس - المتعايشة عامة والمرضة في الكلاب- تسبب خرايج جلدية في الإنسان بعد الحقن المباشر لهذا الممرض في الجلد والأنسجة الرخوة . تدعم هذه الدراسات دراسة حديثة استخرج فيها الباحث البكتيريا الموجودة في الإفرازات الرئوية الشعبية للكلاب . وقد وجد العديد من البكتيريا المعروفة في السائل المفحوص مثل بسيدوموناس ،

اسينوباكتر، سينوتروفوموناس مالتوفيليا، مايكروكوككس ليوتيس، باسيلس، مايكروكوككس، ستافيلوكوككس و فلافوبكتيريم.

في الدراسة الحالية:

تم تقدير النشاط المحلل للدم المرتبط بالقدرة المرضية لنوعين من الستريبتوكوكس الفموية بعد معاملتها بلعاب الكلب. أحد هذه الستريبتوكوكس هو الستربتوكوكس ميوتانس الذي يستوطن الطبقة الميكروبية السنية في الإنسان ، ويسبب تسوس الأسنان. أما الآخر فهو ستريبتوكوكس نيمونيا الذي يوجد في حنجرة الإنسان ، ويسبب الالتهاب الرئوي وأمراض أخرى. لوحظ زيادة النشاط المحلل للدم للستريبتوكاي المعاملة باللعاب الخام للكلب، ثم تناقص عند تخفيف اللعاب بالماء ، ومن ثم اختفاه بعد ست أو سبع تخفيفات بالماء.

تم اعتبار وجه الإعجاز العلمي في النص من ثلاث جهات:

١. **الجهة الأولى** أن لعاب الكلب يحتوي عوامل تزيد المرضية والتي تزيد النشاط المحلل للدم للستريبتوكوكس نيمونيا وستريبتوكوكس ميوتانس.
٢. **الجهة الثانية** هي إجبارية استخدام التراب ؛ وذلك لأن الماء لا يقتل الميكروبات؛ وإنما يقلل مرضيتها فقط.
٣. **الجهة الثالثة** مرتبطة بالغسلات السبع حيث إن مرضية بعض الميكروبات لا تتأثر إلا إذا تم غسلها سبع مرات بالماء.

تقييم الحالة المناعية لدى مريضات سرطان الثدي

اللاتى تلقين بعض المكملات الغذائية الطبيعية باعتبارها علاج مساعد بعد الإنتهاء من تلقي العلاجات المضاد للسرطان.

مجموعة من الباحثين

- رجاء حسني محمد
- آمال محمد البسطاويسي
- محمد جميل عبد المنعم
- ذكرى خالد ذكرى
- حسين عبد الرحمن المحضار
- أماني عبد الباسط الباسمي
- مصطفى الحداد
- صبري محمد شعراوي
- محمود محمد المرزبانى.

ملخص البحث

أدت كثرة القلق من مخاطر طرق العمليات الجراحية وكذلك الخوف من الأعراض الجانبية مع زيادة سمية العلاج الكيميائي إلى مزيد من التركيز على سبل الوقاية من سرطان الثدي. في الآونة الأخيرة، وكذلك التركيز على العديد من الدراسات السريرية والأساسية التي تركز على الوقاية من سمية العلاج الكيميائي ومخاطره الجانبية، عن طريق استخدام المواد التي تحدث تحسن بشكل طبيعي وهذه المواد يمكن أن تكون موجودة في النظام الغذائي العادي، لأنها يمكن أن تفيدة في منع حدوث سرطان الثدي مع خفض الحد الأدنى من من سمية العلاج الكيميائي.

والهدف من دراستنا:

هو تقييم فعالية العلاج الكيماوي والوقاية من سميته وذلك عن طريق إستخدام ثلاثة أنواع من المكملات الغذائية، واثنين منهم من النباتات العشبية: وهما (حبة البركة والبيو بران) ودواء آخر **فيتامين هـ** المصنع هذه المكملات الدوائية وقد تم اختيارها في دراستنا بسبب استخدامها على نطاق واسع كمكملات غذائية ونتيجة لدورها الوقائي المحتمل ضد الأعراض الجانبية الناتجة من العلاج الكيماوي.

وقد تم إجراء هذه التجربة على عدد يساوى ١٦٨ مريضة من مرضى سرطان الثدي تم تشخيصهم وتم إجراء العملية الجراحية لهم ثم تم أخذ عينات من جميع المرضى قبل تطبيق الخطة العلاجية لجميع المرضى عولجوا بستة دورات من العلاج الكيميائي القياسي ثم تبع ذلك علاجهم بالإشعاعى ثم بعد ذلك تم إعطاء المرضى تاموكسافين لمدة سنة على الأقل. ثم قسموا المرضى الى أربعة مجموعات فرعية عدد كل مجموعة ٤٢ مريضه الأولى منهم لم يتلقوا أى

علاج سوى العلاجات القياسية المقررة ، أما باقى المجموعات تلقي المرضى الذين عولجوا بالإضافة إلى العلاج المذكور أعلاه بواسطة حبة البركة يبو بران وفيتامين هـ مع وجود أكثر من ٢٠ شخص من الأصحاء بمثابة مجموعة ضابطة.

واظهرت النتائج :

إن البيانات التي تم الحصول عليها حتى الآن فعالية حبة البركة على قياس دلالات البيوكيميائية في مرضى سرطان الثدي عالية جداً وواضحة وكان تأثيرها أكثر بكثير من باقى المكملات الغذائية المختلفة. نستنتج من هذه الدراسة تشير هذه الدراسة إلى فعالية العالية لحبة البركة ، حيث أنه أحدث تحسن بشكل وواضح إحصائياً في مستويات جميع الدلالات المقاسة والحالة الصحية العامة للمرضى أكثر من اللتن بلس ١٠٠٠ بالإضافة إلى فيتامين هـ في مرضى سرطان الثدي الذين يخضعون للعلاج الكيماوى والإشعاعى وكذلك التاموكسيفين ، و كذلك أحدث حبة البركة نقصاً واضحاً في مستويات الدلالات المقاسة في مصلى المرضى مقارنة بالمرضى اللذين لم يتناولوا المكمل الغذائى لحبة البركة وكذلك المكملات الأخرى ، وبالتالي حبة البركة يؤدى إلى التخفيف من خطر تكرار السرطان وكذلك حدوث ثنوياته.

نستنتج من هذه الدراسة : إن إستخدام حبة البركة كعلاج مكمل مع العلاج الكيمايى القياسى والعلاج الإشعاعى والهرمونى في مرضى السرطان الثدي أن تكون مفيدة في الحد من تكرار حدوث المرض وتحسين معدلات بقاء المرضى.



**المؤتمر العالمي العاشر
للإعجاز العلمي في القرآن والسنة**

ملخصات بحوث

محور العلوم الإنسانية والحكم التشريعية



الهدى النبوي في منع ومعالجة الغضب سبق طبي معجز

د . محمد العجرودي

- عضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن و السنة
- صيدلي وباحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

ملخص البحث

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. أما بعد ،

فمن نعمة الله تعالى على المسلمين أن جعل لهم أسوة حسنة ؛ تتمثل فيها مكارم الأخلاق ؛ وذلك هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الذي أثنى عليه ربه عز وجل فقال: « وإنك لعلي خلق عظيم» (القلم-٤). ومن أكرم الأخلاق مجاهدة النفس في عدم الغضب.

النص المعجز:

- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله دلني علي عمل يدخلني الجنة» قال: «لا تغضب» (البخاري ٦١١٦)
- وعن أبي هريرة رضي الله «أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني فقال: «لا تغضب» فردد مراراً فقال: «لا تغضب» (رواه البخاري)
- وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قلت يا رسول الله ما يمنعني من غضب الله قال: «لا تغضب» (الألباني في صحيح الترغيب: ٢٧٤٧ صحيح)

الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص:

الغضب ممرض للجسم البشري مهدر لقواه بكيفيات مهلكة منها:

١. الغضب يجهد القلب لأنه يجبره علي زيادة معدلات عمله عن المعتاد
٢. يصاب الغاضب بارتفاع ضغط الدم وتنفذ الشرايين بتكرار الغضب مرونتها، كما ترتفع شحوم الدم فيحدث تصلب الشرايين.
٣. قد يؤدي الارتفاع المفاجئ للضغط إلي النزف الدماغي.
٤. الغضب يرفع مستوى السكر الدموي فيؤهب للإصابة بالسكري.
٥. الغضب يؤدي لتشيط حركة الأمعاء فيحدث الإمساك.
٦. الغضب يؤدي لنقص المناعة وفتح الطريق لحدوث الالتهابات الميكروبية.
٧. الغضب يهيب لحدوث قرحة المعدة أو ارتفاع الحموضة بها.
٨. أثبتت الدراسات العلاقة الوثيقة بين الغضب وبين ظهور الأورام الخبيثة إذ أن الاضطراب الهرموني بالغدد يهيب لظهور بؤرة سرطانية.

وجه الإعجاز :

لقد أهدانا النبي صلى الله عليه وسلم منهجاً هو في حد ذاته إعجاز إذ يتألف من سبع أسس نبوية لمنع وقوع الغضب و خمس أخرى هي بمثابة أدوية لعلاج الغضب إذا وقع ،قمنا -بفضل الله- بترتيبها و بيان أوجه الإعجاز الطبي والنفسي فيها:

أولاً : منهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منع وقوع الغضب :

يتكون المنهج من سبع أسس نورانية:

٩ . النهي المباشر «لا تغضب»

١ . التذكرة برضا الله و حب الله

٢ . الترغيب في كظم الغيظ بالجنة

٣ . الترغيب بتوصيف الشجاعة في حجز النفس عن الغضب(وهو ما يجب
العرب)

٤ . الترهيب من غضب الله و لفتح النار

٥ . القدوة بالمثال :التحلم والتبسم في مواطن الغضب للنفس

٦ . نهي الصائم عن الغضب

في الوقت الذي يجأر فيه العالم بالشكوى من الغضب فتقول مؤسسة الصحة النفسية الأمريكية : **لا يتم التعامل مع الغضب إلا بعد أن يرتكب الغاضب جريمة عنف** في إشارة واضحة إلى أنه ليس هناك منهج لمنع وقوع الغضب!

ويقول التقرير أيضاً: نحتاج للمزيد من البحث وطرق التعليم لمواجهة الغضب والتدخل المبكر قبل المشاكل الناتجة عنه.

أما المعهد البريطاني لإدارة الغضب فيؤكد ما سبق بقوله: لقد أصبح التعامل مع الغضب اليوم أمراً في غاية التعقيد.

وهنا يبرز السبق النبوي المعجز من قبل مئات السنوات حيث وضع النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين المتبعين لمنهجه الشريف برنامجاً متكاملًا من القواعد السبعة السالفة وبها سبق نبوي علمي ونفسي في الوقت الذي تتحير فيه المؤسسات والمعاهد الطبية في إيجاد مناهج لمنع وقوع الغضب قبل حدوثه.

ثانياً: المنهج النبوي في علاج الغضب :

يتكون المنهج من خمس قواعد نورانية:

- ١- السكوت فور الغضب
- ٢- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم
- ٣- تغيير الغاضب لوضعه
- ٤- الوضوء
- ٥- إصاق الخد بالأرض عند شدة الغضب

هذا ما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه ربه :

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَأَوْفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة - ١٢٨)

وهكذا فبينما نرى العالم يعاني من مشكلة الغضب و يكاد لا يرى لها حلولا عملية يسهل تطبيقها ، يبرز لنا الإعجاز و السبق النبوي حين نستعرض سوياً ما أبرزته «مؤسسة مايو للتعليم الطبي و الأبحاث»

Mayo Foundation for Medical Education & Research (MFMER)

من علاجات للغضب في ٢٠٠٧ و أضع لكم النص الانجليزي وترجمته و بجواره بين قوسين النص النبوي المعجز بسبقه و دقته في مجال علاج الغضب لنؤصله للإسلام و نثبته للنبي عليه الصلاة والسلام كالتالي:

Anger management tips: Tame your temper

نصائح معالجة الغضب: روض انفعالك (لا تغضب)

Take a «time out» ..counting to 10 before reacting

خذ فترة صمت و عد إلى عشرة قبل رد فعلك (إذا غضب أحدكم فليستك)

Do something physically

تحرك بجسدك (المعنى: غير وضعك) (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)

Swim

اسبح (المعنى: باشر الماء) (...وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)

Find ways to calm yourself. Repeat calming word or

phrase to yourself such as «Take it easy!»

كرر كلمة تهدئك مثل خذها ببساطة (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد
لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)

Think carefully before you say anything

فكر بعناية قبل قول أي شيء (... وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)

لقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بنور الوحي خطورة الغضب قبل الطب
بقرون فكثرت أحاديثه التي وردت بها النصيحة الغالية (لا تغضب) والتي ثبت
نفعها العظيم طبياً ونفسياً، وقدم النبي صلى الله عليه وسلم منهجاً شمل أساليب
مختلفة في منع وقوع الغضب و علاجه إذا وقع رحمة بالمسلمين وحفاظاً علي صحة
أبدانهم من الأمراض المهلكة كما بينا ذلك بفضل الله.

الإعجاز البياني في القرآن الكريم

أ. د. محمد محمد داود

- أستاذ. م. علم اللغة بجامعة قناة السويس.
- عميد معهد معلمي القرآن الكريم بالمركز الإسلامي بالعمرانية.
- الخبير بمجمع اللغة العربية.

ملخص البحث

لا يزال القرآن الكريم يستنهض همم الباحثين لمزيد من البحث آفاقه الممتدة التي لا تقف عند نهاية، فكم هي كثيرة وجوه الإعجاز في هذا الكتاب العزيز. ومن بين هذه الوجوه (الإعجاز الصوتي) لذا فقد وقفت في هذا البحث على الظواهر الصوتية التي تفرّد بها القرآن الكريم والتي تلفت الانتباه، ويظهر وجه من وجه الإعجاز.

والدراسة في هذا البحث: تعالج ما يأتي:

المسألة الأولى: أثر صوتيات القرآن في حفظ اللغة العربية واستقرارها عبر الزمان والمكان.

١. حفظ اللغة العربية حية على ألسنة المسلمين في بقاع العالم.

فإذا ما قورنت العربية بغيرها من اللغات وما حدث لها، يظهر أثر القرآن في الاستقرار الصوتي للغة العربية وحفظها من الاندثار.

٢. استقرار اللغة العربية:

فعلى الرغم من أن التطور سُنَّةٌ جارية في كل اللغات وأكثر مظاهره يكون في الدلالات، إلا أن العربية ظلت محتفظة بكل مستوياتها اللغوية (صوتية، صرفية، نحوية، دلالية)، وما تطور منها كان في إطار المعاني الأصلية وبسبب منها.

٣. تهذيب اللغة العربية (تنقية صوتية):

فقد نَحَى القرآن الكريم عن اللغة التَّقَرُّر في الكلام والألفاظ الحُوْشِيَّة الثقيلة على السمع. فكان القرآن بمثابة غربال لأصوات العربية، ومصفاةً لها أخرجت منها ما ينبو عنه السمع وما يقل على اللسان، والناظر في هذا الكتاب الكريم يجد بين دفتيه أمثلة ناصعة للنقاء الصوت والسلاسة وتجسيد المعنى عن طريق الصوت بصورة إعجازية لا نجد لها مثيلاً في أرقى مستويات الفصاحة اللغوية لهذه اللغة.

المسألة الثانية : الإيقاع والنغم القرآني الخالد.

١. الإيقاع في العربية.

مصطلح الإيقاع في العربية مستمد من وَقَعَ المطر. وهو في عرف أهل اللغة عبارة عن اتفاق الأصوات والألحان وتوقيعها في الغناء أو العزف.

٢. الإيقاع في القرآن.

إن موسيقى القرآن وإيقاعه لا ينبعان من جرس الحروف والكلمات، ولا من تجانس الأصوات والتراكيب فحسب، بل من هذا التآزر بين الصوت والمعنى، بين الأنغام الخارجية والنغم الداخلي المنبعث من المعاني وظلالها المرهفة الباعثة على التأمل العميق والتدبر المتأنى لكلماته وآياته، فترتعد لَوْقِعِهِ القلوب، وتقشعر الجلود، ثم تلين وترقّ خاشعة لذكر الله.

المسألة الثالثة : الفاصلة بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى.

فالفاصلة في القرآن قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية، ورعايتها تؤدي إلى تقديم عنصر أو تأخير، ليس رعاية للتناسق الصوتي فقط، بل رعاية للمعنى أيضاً، وهذا هو الإعجاز.

المسألة الرابعة : إيجاد الصوت بالمعنى.

فإن من إعجاز القرآن وتفرده الرائع في الدلالة: ارتباط الصوت بمعانية ارتباطاً وثيقاً. وقد تأكّد لعلماء العربية أن الجانب الصوتي ركن أساسي في بناء التعبير القرآني في مواضع عدة من التنزيل.

المسألة الخامسة: الإيجاد الصوتي للتركييب.

فقد ينهض التركيب الصوتي بإيجاءٍ معيّنٍ منبعث من خصائصه في صورته المركبة، من ذلك قوله تعالى: (فَدُوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ) حيث وُصف الدعاء في هذه الآية بأنه (عريض) أي كثير ممتد، ولعل إثثار العرض على الطول هو الأقوى دلالةً على أنه دعاء الاستصراخ والاستغاثة الملهوفة، وذكر العرض يومئٍ إلى سعة الدعاء التي تُومئ إلى حركة جاهدة من أعضاء النطق، وهذه الحركة تُومئ بدورها إلى أن ذلك الإنسان قد امتلأت جوانبه بذلك الدعاء.

المسألة السادسة: التناسب والتناسق بين نوع الحركة والمعنى.

التناسب والتناسق بين الحركة (فتحة وكسرة وضمّة وسكون) ومعنى الكلمة في سياقها أمر يثير الانتباه أمام هذه العظمة في لغة القرآن الكريم. ومن ذلك قوله تعالى: (مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا تُمْسِكُهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ).

فبتأمل حركة الكاف في كلمة (ممسك) في الآية نجد أن السكون في الثانية موافق لمعنى الإمساك؛ لما بها من إغلاق وعدم حركة، في حين أن الأولى مفتوحة وهي مناسبة لمعنى قوله تعالى (يفتح).

المسألة السابعة: عوثة الصوت وعامية النغم القرآني الخالد، تأملات في

الواقع المعاصر.

التناسب والتناسق بين الحركة (فتحة وكسرة وضمّة وسكون) ومعنى الكلمة في سياقها أمر يثير الانتباه أمام هذه العظمة في لغة القرآن الكريم. ومن ذلك

قوله تعالى: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ).

مفهوم العالمية:

يُقصدُ بالعالمية: سعة الانتشار عبر الزمان والمكان.

ومفهوم العولمة تعني: تنميط الثقافات المتنوعة وقصرها على التشكُّل في قوالب يُقال إنها عالمية.

عولمة الصوت:

حيث سعى دعاة العولمة إلى تحويل الصوت إلى سلعة يتم تداولها عبر وسائط العولمة الاقتصادية والتكنولوجية كشرائط الكاسيت والفيديو والإذاعة والتلفزيون وبرامج الكمبيوتر وشبكاته.

عالمية الصوت:

فالإبداع العظيم يفرض نفسه في كل زمان ومكان، ومن هنا جاء خلود الصوت القرآني وعظمة أدائه وعمق تأثيره في القلوب والمشاعر.

بعض أوجه الإعجاز في حديث النهي عن بيع ما ليس عندك

أ. عبد الكريم أحمد قندوز

• كلية إدارة الأعمال، جامعة الملك فيصل

الشهادات

• الليسانس (البكالوريوس) في علوم التسيير (الإدارة): تخصص العلوم

المالية ٢٠٠٤

• الماجستير في الاقتصاد: تخصص نقود ومالية

• مسجل بالسنة الرابعة دكتوراه في العلوم الاقتصادية (تخصص مالية) ٢٠٠٧

الخبرات

• معيد (مكلف بالأعمال الموجهة)، بجامعة الشلف (الجزائر) السنة

الجامعية: ٢٠٠٤/٢٠٠٥ السنة الجامعية: ٢٠٠٥/٢٠٠٦

• أستاذ مساعد مؤقت بجامعة الشلف (الجزائر)، من سنة ٢٠٠٦ إلى

سنة ٢٠٠٨.

- محاضر بقسم العلوم المالية (كلية إدارة الأعمال - العلوم الإدارية والتخطيط سابقاً) - جامعة الملك فيصل (المملكة العربية السعودية) من سنة ٢٠٠٨ إلى يومنا هذا (٢٠١١)

الكتب

- كتاب: «الهندسة المالية الإسلامية: بين النظرية والتطبيق»، دار الرسالة ناشرون، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨.
- كتاب تحت النشر بعنوان: «المشتقات المالية».
- كتاب تحت النشر بعنوان: «إدارة المخاطر».
- إنجاز مطبوعة تدريسية حول: «المشتقات المالية» (للتدريس بقسم المالية - جامعة الملك فيصل)
- مطبوعة تحت الإعداد حول: «نظم التخطيط والرقابة المالية».

ملخص البحث

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: يا رسول الله: يأتيني الرجل فيريد مني البيع ليس عندي، أفأبتاعه له من السوق؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تبع ما ليس عندك». وفي رواية قال: ابتعت طعاماً من طعام الصدقة، فترجّحت فيه قبل أن أقضه، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له فقال: «لا تبعه حتى تقبضه». [أخرجه أحمد (٤٠٢/٣)، وأبو داود (٣٥٠٣)، والترمذي (١٢٣٢)، والنسائي (٤٦١٣)، وابن ماجه (٢١٨٧)، وابن حبان (٤٩٦٢)، وابن الجارود (٦٠٢)، والطبراني في الكبير (٣٠٩٧)] (حسن)

وقد استرعى انتباه الباحث، أن سبب حدوث الكثير من الأزمات التي عصفت بأسواق المال المحلية والعالمية كان سببه هو عدم تملك الأصول محل التعاقد.

لهذا يستهدف البحث استكشاف بعض أوجه الإعجاز في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تبع ما ليس عندك». وكيف أدى الإخلال بهذا الشرط إلى حدوث الكثير من الأزمات، مستعرضين في ذلك الكثير من المعاملات التي تتم اليوم في أسواق المال دون الحاجة إلى تملك الأصول، في حين يمكن التصرف في تلك الأصول بيعاً وشراءً أو قرضاً واقتراضاً أو غيرها من المعاملات المالية، كالبيع المكشوف وبعض أنواع المشتقات المالية...

وقد توصلنا - في محل الإعجاز- إلى إن حديث النهي عن بيع ما لم يملك يؤدي إلى منع الفصل ما بين ملكية الأصل والمخاطر التابعة له (وما يستتبع ذلك

من متاجرة في المخاطرة شأنها شأن السلع، هذه الأخيرة - المتاجرة بالمخاطرة- تؤدي إلى زيادة المخاطر (لوجود من يتربح بالمتاجرة فيها) وبالتالي حدوث الأزمات الاقتصادية والمالية الدورية حينما تبلغ تلك المخاطر حدا لا يمكن معه الاستمرار في النشاط الاقتصادي. كما أثبت الواقع (من أسواق المال) أن التعامل في الأصول من دون تملكها يدفع إلى أن تستخدم نفس الأصول بعينها لتوليد ما لا يحصى من الديون (فالتعامل يمكنه بمجرد شرائه أصلا معيننا يبعه نقداً دون الحاجة إلى تملكه لكي يشتريه منه متعامل آخر يمكنه يبعه مرة أخرى دون تملك وهكذا)، ولما تصل الديون إلى حد كبير جدا تنفجر فقاعة الديون ويتضرر من ذلك جميع الفاعلين الاقتصاديين.

من وجوه الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة تظافر أوجه الإلزام

د. صالح عسكر

- تاريخ ومكان الميلاد: ١٥ / ٠٦ / ١٩٧٠ م بمدينة باتنة/ الجزائر
- الوظيفة: أستاذ بكلية العلوم الإسلامية-جامعة باتنة/ الجزائر.
- الرتبة: أستاذ محاضر.
- الشهادة: دكتوراه
- التخصص: الكتاب والسنة.

البحوث والمقالات:

- رسالة دكتوراه في التفسير الموضوعي بعنوان: « أثر العقيدة على الفرد والمجتمع من خلال القرآن الكريم».
- رسالة ماجستير في التفسير الموضوعي بعنوان: « أثر النفاق على الفرد والمجتمع من خلال القرآن الكريم».
- تفسير سورة الأنعام صدر منه الجزء الأول من الآية ١ إلى الآية ٩١.

- مقال: « القوة النورية للقرآن ومسؤولية المسلمين اليوم في الجهاد بها»، بحث مقدم لمؤتمر «الإسلام والمسلمون في القرن الخامس عشر الهجري» ومنشور بالعدد الثامن من مجلة الإحياء الصادرة عن كلية العلوم الإسلامية بباتنة.
- مقال: « دور العلوم الكونية في تأييد الدين الحق»، بحث مقدم لمؤتمر «العلوم الشرعية الكونية» ومنشور بالعدد العاشر من مجلة الإحياء الصادرة عن كلية العلوم الإسلامية بباتنة.
- مقال: « الباحثون عن الحقيقة: دراسة لدوافع مجموعة من القساوسة إلى اعتناق الإسلام في القرن العشرين الميلادي»، منشور بالعدد الرابع عشر من مجلة الإحياء الصادرة عن كلية العلوم الإسلامية بباتنة.
- بحث: «صفة نزول القرآن الكريم: أثرها في تعلمه وكيفية الاستفادة منها في بناء منهج تعليمي صحيح» مقدم لمؤتمر التعليم القرآني المنعقد بقسنطينة.
- بحث: «المنهج النبوي في الحفاظ على أمن الأمة الداخلي والخارجي وكيفية الاستفادة منه في بناء إستراتيجية أمنية» مقدم لمؤتمر السيرة النبوية المنعقد على هامش الأسبوع الوطني العاشر للقرآن الكريم بالعاصمة.
- بحث: « المعاملات المالية التعاونية والتشاركية الإسلامية وأثرها في الوقاية من الأزمات الاقتصادية وعلاجها» مقدم لمؤتمر الأزمة المالية المنعقد بجامعة الجنان-طرابلس-لبنان.

- بحث « المؤثرات الإشارية وإشكالية نقلها في النص المترجم - نماذج من ترجمات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم - » قدم لليوم الدراسي حول « الترجمة وعملية التواصل » بكلية العلوم الإنسانية - جامعة باتنة.
- بالإضافة إلى بعض البحوث والمقالات غير المنشورة

ملخص البحث

تدق المجتمعات اليوم ناقوس الخطر بسبب انتشار العدوان على الأنفس والأموال والأعراض وانتشار ترويع الآمنين من بسطاء الناس، مما ينطق بعجز الأنظمة القانونية عن الحد من الإجرام الذي أصبح ظاهرة متنامية يوما بعد يوم. وليس الأمر مقصورا على المجتمعات والدول الفقيرة والضعيفة، بل للمدنيات والدول الكبرى منها نصيب وافر. وبيانات الجرائم المسجلة في دولة يفترض أنها تقود ركب المدنية اليوم، يكشف أن التشريعات والقوانين - إذا لم تصاحبها أسباب تلزم الناس بالعمل بها - تظل حبرا على ورق، ولا يكون لها معنا حقيقي.

من هذا المنطلق حاولت هذه الدراسة أن توازن بين أسباب الإلزام في التشريع الإسلامي الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية والقوانين الوضعية، لتكشف النظام القانوني المعجز والفريد الذي جاء به الإسلام.

- وقد بدأت الدراسة ببيان فكرة الإلزام في القانون الوضعي والذي يزعم القانونيون أنه خاصة تفرقه عن القواعد الدينية والأخلاقية وقواعد الآداب والمجاملات، ومفهوم الإلزام ما يترتب عن القواعد القانونية من جزاء.

- ثم تناولت طبعه الإلزام فى النصوص والتشريعات الإسلامية والذى وقعت الإشارة إليه فى حديث :

(إن الحلال بئى وإن الحرام بئى وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالرعى يرمى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، إلا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)

وقد تضمن الحديث الإشارة إلى المنهج الربانى الفريد فى الإصلاح الفردى والجماعى وبناء الرقابة الذاتية والجماعية المانعة من الفساد؛ فلقد وضع الإسلام منهجا يتضمن ثلاثة أصناف من أسباب الإلزام:

- **أولها:** الحاجز الدينى ممثلا فى التقوى والخوف من مواقعة الحرمات، وإليه الإشارة بـ « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ».
- **الثانى:** الحاجز الاجتماعى: وإليه الإشارة ببراءة العرض فى قوله صلى الله عليه وسلم: « استبرأ لدينه وعرضه ».
- **الثالث:** الحاجز العقابى ممثلا فى الحدود والتعازير .

وقد خلاص البحث إلى النتائج الآتية:

١. إن انتشار العدوان على الأنفس والأموال والأعراض ينطق بعجز الأنظمة القانونية عن الحد من الإجرام الذي أصبح ظاهرة متنامية يوما بعد يوم.
٢. يزعم القانونيون أن إلزام القواعد القانونية هو الخصيصة التي تميزها عن قواعد الأخلاق والدين، وتبرز خاصة الإلزام في الجزء الذي يوقع على من يخالف تلك القاعدة القانونية.
٣. دل حديث الحلال والحرام على أن للإلزام في التشريع الإسلامي أبعادا ثلاثة: أولها: البعد الديني. والثاني: البعد الاجتماعي. والثالث: البعد العقابي.
٤. البعد الإيماني يجعل ملايين من الناس في شتى أنحاء العالم يتورعون عن الجرائم حتى وهم لا يخافون العقوبة القانونية عليها لكونها غير مجرمة في قوانين بعض الدول.
٥. بعض القوانين والتشريعات التي لا يمكن أن تفرض في غير التشريع الإسلامي لأن الرقابة المدنية عليها غير ممكنة.
٦. الجزء في التشريع الإسلامي يَصِفُ الجزء الحسن على التزام التشريعات إلى جانب العقاب على مخالفتها، وهو ما لا يوجد في القوانين الوضعية، وأحيانا قد يكون سبب الإلزام ترغيبا فقط، وقد يتجاوز أحيانا الجزء والعقاب إلى أمور أخرى منها: الإقناع بفائدة الالتزام للإنسان كفرد وللجماعة والتنبيه على مآلات الفعل وعلى عظمة الجرم....
٧. ينفرد التشريع الإسلامي بخاصة الارتباط بالقرآن الكريم والسنة النبوية

- المطهرة، ولذلك يعرفه العالم والأمي ويتلونه في عباداتهم.
٨. من تجاوز الحاجز الإيماني يواجه الحاجز الأدبي والاجتماعي، فيحس المخالف للتشريعات الإسلامية بأنه منبوذ بين المؤمنين مما يجعله يقيم حساباً لعواقب فعله على المستوى الأدبي والاجتماعي حتى ولو كان لا يملك من التقوى والورع ما يجعله يلتزم هذه الأحكام.
٩. تشريعات الإسلام بالنظر إلى كونها علاقة بين العبد وربّه هي تدين، وبالنظر إلى الإلزام الاجتماعي والعقابي أيضاً هي أحكام قانونية متعلقة بالنظام العام.
١٠. هذا الجزء الأدبي والاجتماعي قد يكون تلقائياً كالمشار إليه في حديث الحلال والحرام وهو وقوع الناس في عرض المواقع للشبهات أو المحرمات. وقد يكون ناشئاً عن سبب ديني وعلى هذا يحمل تغيير المنكر بالقلب في الحديث المشهور، وقد يكون عقوبة صادرة بأمر من ولي الأمر تأديباً، كالذي حدث لكعب بن مالك رضي الله عنه.
١١. هناك بعد اجتماعي آخر لا يوجد إلا في التشريع الإسلامي، وهو الاستعاضة عن التحكيم القضائي السلطوي بتحكيم اجتماعي أقرب إلى الإصلاح والإحاطة بحقائق الأشياء وأقدر على معرفة خبايا العلاقات الأسرية في حالة تنازع الزوجين.
١٢. إذا تجاوز الإنسان الحاجز الإيماني ثم الحاجز الأدبي فعند ذلك يواجه الحاجز الأخير وهو حاجز الخوف من العقاب الدنيوي العاجل وهو فقط

ما يوجد في القوانين البشرية، مما يجعل التشريع الإسلامي متفوقا في هذا المجال بما لا وجه فيه للمقارنة.

١٣. النص على تحريم بعض الجرائم لم يأت إلا في أواخر عهد النبوة بعد نشوء دولة الإسلام وتجزره في قلوب الناس وأعمالهم، وعامة آيات الحدود والعقوبات جاءت في السور المدنية.

١٤. مبنى التزام الأحكام الشرعية في الإسلام قائم على التقوى والورع، وإن كان لا يقف عند هذا الحد، ولكن يرد إلى الحق بالسلطان من لم يرتد إليه بالقرآن.

١٥. الحدود والعقوبات في الإسلام هي تويج لجملة من الإجراءات الاحترازية الأخرى، وعلاج الإسلام للإجرام لا يعتمد على العقوبة الحدية فقط، ولكنها جزء من منظومة كبرى

١٦. للعقاب في التشريع الإسلامي بعدان: بعد تأديبي للجاني وبعد ردعي لغيره.

إعجاز القرآن الكريم في الإخبار عن الغيبات

أ.د. محمد أمجزون .

- التخصص :تاريخ الإسلام الوسيط.
- أستاذ التعليم العالي.
- جامعة المولى إسماعيل - كلية الآداب، شعبة التاريخ - مكناس .

المؤهلات العلمية :

- البكالوريوس : جامعة الملك سعود- الرياض - ١٤٠١هـ / ١٩٨١م
- الماجستير : جامعة الملك سعود- الرياض - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
- الدكتوراه : جامعة محمد الأول- وجدة - ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م

المؤلفات :

- تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين (مجلدان) ط٣، دار طيبة للنشر ، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨ م .
- المدينة المنورة في رحلة العياشي (دراسة وتحقيق) ، دار الأرقم ، الكويت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨ م.
- أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين (دراسة وتحقيق) ، دار

- الغرب الإسلامي ، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- تاريخ العلاقات الشيوعية الصهيونية ، مطبعة النجاح: الدار البيضاء، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- منهج دراسة التاريخ الإسلامي ، دار طيبة للنشر : الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- تاريخ بلدة خنيفرة (تحقيق) ، مطبعة النجاح: الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
- منهج النبي - صلى الله عليه وسلم - من خلال السيرة الصحيحة، القاهرة : دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- حقيقة الإيمان، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- أبحاث في الدعوة والتاريخ والاجتماع، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- العولمة بين منظورين، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- النهضة بين الحداثة والتحديث: قراءة في تاريخ اليابان ومصر الحديث، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- الفرق الباطنية: المنهاج والتاريخ. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- السنن الاجتماعية في القرآن الكريم وعملها في الأمم والدول (٣ أجزاء)

الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

- كما له مجموعة من الأبحاث الموثقة المنشورة:

نشاطات أخرى

- المشاركة بأبحاث في ندوات علمية
- تدريس طلبة الدراسات العليا والإشراف على رسائل جامعية
- مناقشة أطروحات لنيل الدكتوراه
- رئاسة وحدة البحث والتكوين لنيل الدكتوراه
- المساهمة في أعمال إدارية
- القيام بزيارات إلى مكاتب عالمية
- القيام بمهام علمية

ملخص البحث

الحرب بين الفرس والروم

أ. النص المعجز:

الآية الكريمة: (ألم، غلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم) سورة الروم: ١-٥

ب - الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص:

الحقيقة العلمية المرتبطة بهذا النص: هي أن أحدا من المعاصرين لهذا الحدث لم يكن يعتقد أن تقوم للروم قائمة بعد الغزو الذي حصل لها في عقر دارها من قبل الفرس. ولكن الله تعالى القادر المطلع على الغيب لا يخلف وعده، فتحقق النصر للروم على الفرس بعد بضع سنوات من تلك الحادثة، بل وتحققت النبوءة القرآنية بتحقيق نصرين في وقت واحد: نصر الروم على الفرس، ونصر المؤمنين على المشركين يوم بدر طبقا لما جاء في الآية الكريمة. وهذا يستحيل أن ينبأ به بشر، لأنه ربط لأموال الغيب، وحوادث لا صلة لإحداها بالأخرى، فلا توجد أسباب ووسائل تربط بين معركة المسلمين مع قريش ومعركة الفرس مع الروم.

والعجب أن الروم كانوا قد بلغوا من الضعف حدا كبيرا كما سبق ذكره، حتى غزوا وهزموا في عقر دارهم. وهذا يجعل المنتبئ يحجم عن الكلام في انتصارهم على الفرس، فسبحان العليم الخبير المحيط بكل شيء.

ج - وجه الإعجاز في النص :

وجه الإعجاز هاهنا أنه لم يتوقع أحد أن يكون النصر حليفا للروم، فقد كانت فارس حينئذ قاهرة لهم، حيث بلغت دولة الروم من الضعف حدا يكفي من دلائله أنها غزيت في عقر دارها وهزمت في بلادها وفي أحب البقاع إليها : البيت المقدس .

تجميع يهود الشتات في فلسطين

أ. النص المعجز :

الآية الكريمة: (وَقُلْنَا مَنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) الاسراء: ١٠٤

ب. الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص :

الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص هي أن المتبعين للشأن اليهودي لاحظوا أنه منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى نهاية القرن العشرين توافد مئات الألوف من اليهود على فلسطين من مختلف أنحاء العالم لدعم دولة اسرائيل المحتلة بالرجال والعتاد .

فالدلائل الواقعية الملموسة تشير بقوة إلى أن اليهود في هذا العصر سعوا بكل ما أوتوا من قوة لتهيئة كل ما يلزم لتنفيذ وعد الآخرة (الثانية) عليهم. فقد خططوا بكل ما أوتوا من دهاء و مكر لتأسيس نواة لدولة يهودية كبيرة ذات علو في الأرض، أغرت إلى الأمس الدابر عددا كبير من يهود الشتات أن يهاجروا إليها (انظر الإحصائيات في البحث). وتم ذلك بمساعدة دول كبرى ذات عقيدة إنجيلية - توراتية.

ج- وجه الإعجاز في النص :

وجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة، أن القرآن الكريم كشف لنا عن مستقبل اليهود الذي ينبئ عن فساد آخر معه علو كبير. و يبدو أن الفساد الثاني المقرون بالعلو هو فسادهم الآن الذي ملاء الدنيا في هذا العصر، بعد أن أسسوا دولتهم في أرض فلسطين السليبية.

إنجاء بدن فرعون

أ. النص المعجز:

الآية الكريمة: (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لَتَكُونَنَّ مِنْ خَلْفِكَ آيَةً) يونس: ٩٢.

ب. الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص :

أما الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص هي أنه في عصر نزول القرآن الكريم كان الناس يجهلون كل شيء عن هذا الأمر؛ فلم تكتشف جثث الفراعنة إلا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. و بالتالي فإن جثة فرعون موسى التي ما زالت ماثلة للعيان إلى اليوم شهادة مادية لجسد محنط لشخص طغى و تجبر، فأهلكه الله عز و جل و أنقذ جثته من التلف لتصير آية للناس كما ذكر القرآن الكريم.

ج- وجه الإعجاز في النص :

وجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى لم ينج جثة فرعون لمعاصريه فقط لتكون لهم آية، وإنما أنجى جثته من الفناء، و بقيت محفوظة في مقابر وادي الملوك في «طيبا» بالضفة المقابلة للأقصر من النيل، كما أكد علماء الآثار، حتى أخرجت من هناك و رآها الناس في عصرنا في حالة الموميات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة.

تغيير لقب الحاكم من ملك إلى فرعون

أ- النص المعجز:

الآية الكريمة: (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي) يوسف ٥٤.

والآية الكريمة: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ) غافر ٢٦.

ب- الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص:

الحقيقة العلمية المرتبطة بهاتين الآيتين الكريمتين هي أن العرب في عصر النبي و قبله كانوا لا يعرفون إلا اليسير عن أنظمة الحكم السائدة في عصرهم، بله الكيانات السياسية الموغلة في القدم. و من الملفت أن آيات القرآن الكريم أشارت إلى تغيير نظام الحكم في مصر القديمة. فقد كان حاكم مصر زمن يوسف عليه السلام يلقب «بالملك»، بينما في زمن موسى عليه السلام كان يلقب «بفرعون». وهذه القضية لم يعرفها علماء الآثار إلا منذ عهد قريب بعد اكتشاف حجر رشيد و معرفة الكتابة المصرية القديمة.

ج- وجه الإعجاز في النص :

وجه الإعجاز هاهنا أن القرآن الكريم فرق بين حقتين مختلفتين؛ إحداهما كان فيها الحكم للملك و هي كلمة عربية أصيلة، و بعد إطلاقها على حاكم مصر زمن يوسف عليه السلام دليل على أن حكام مصر وقتها كانوا عربا. أما فرعون فإنها كلمة أعجمية ليست مشتقة. ولعل إطلاقها على حاكم مصر زمن اضطهاد بني إسرائيل دليل على عودة مصر إلى الفراعنة.

ملاح الإعجاز الإعلامي في قوله تعالى: «يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا»

د. رحيمة الطيب عيساني

- الوظيفة: أستاذ مساعد بكلية الاتصال، جامعة الشارقة. بدولة الامارات العربية المتحدة.

المؤهلات العلمية :

- دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، بكلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية وعلوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر (٢٠٠٦م).
- ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، بقسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة باجي مختار، عنابة، سنة (٢٠٠٠م).
- ماجستير ثانية في الفكر الإسلامي، بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، سنة (٢٠٠٥م).
- وليسانس في الدعوة والإعلام، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة (١٩٩٦م)
- ومسجلة للتحضير لدكتوراه ثانية في العلوم الإسلامية، بقسم أصول الدين، جامعة باتنة، الجزائر.

الخبرات العملية :

- أستاذ معيد بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة (١٩٩٦-٢٠٠٠).
- أستاذ مساعد بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم الخدمة الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (٢٠٠٠-٢٠٠١م).
- أستاذ مساعد بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة (٢٠٠١-٢٠٠٥).
- أستاذ مساعد مكلف بالدروس، بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية (٢٠٠٥- إلى ٢٠٠٨).
- أستاذا محاضر بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية (٢٠٠٨- إلى ٢٠١٠).
- أستاذ مشارك بقسم الإعلام والاتصال، كلية الحقوق، جامعة باتنة، الجزائر (٢٠٠٤- إلى ٢٠١٠).
- وتشغل حاليا منصب أستاذ مساعد بكلية الاتصال، جامعة الشارقة بدولة الامارات العربية المتحدة.

المؤلفات والمنشورات العلمية :

- كتاب: الميسر في أحكام الترتيل برواية ورش عن نافع، صدر عن دار الهدى الجزائر (١٩٩٩م)
- كتاب: «مدخل إلى الإعلام والاتصال، المفاهيم الأساسية والوظائف

الجديدة في عصر العولمة الإعلامية»، عالم الكتب الحديث، إربد (٢٠٠٨).

• كتاب: «العولمة الإعلامية وآثارها على مشاهدي الفضائيات الأجنبية». صدر عن الدار نفسها (٢٠١٠).

• كتاب: «الوسائط التقنية الحديثة وأثرها على الإعلام المرئي والمسموع»، جهاز إذاعة وتلفزيون الخليج، الرياض (٢٠١٠)

• مقال بعنوان: «ثقافة الاستهلاك ومخاطر تدمير الهوية الوطنية في زمن العولمة الثقافية»، مجلة «الإحياء»، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر، عدد (١٠)، (٢٠٠٦).

• مقال: «التعليم الجامعي في الوطن العربي وتحديات العولمة»، مجلة عالم التربية، الدار البيضاء، المغرب، عدد (١٧)، (٢٠٠٧).

• مقال بعنوان: «خصائص وسمات الإعلام في ظل ثورة تكنولوجيا الإعلام»، مجلة الإحياء، الجزائر، عدد (١١)، (٢٠٠٧).

• مقال بعنوان: «العولمة مظاهر وتجليات»، مجلة الحكمة، الجزائر العاصمة، عدد (١)، أبريل ٢٠٠٩

• مقال بعنوان: «القيم المعولمة؛ خصائصها ومرتكزات انتشارها»، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، عدد (٠٢)، جوان ٢٠٠٩

المشاركات في المؤتمرات والندوات العلمية:

• الملتقى الوطني: «العلوم الإسلامية والبيداغوجيا»، بجامعة وهران، الجزائر (٢١، ٢٢ أبريل ٢٠٠٢).

- الملتقى الوطني الثاني: «التعليم العالي في القرن الواحد والعشرين» جامعة باتنة، الجزائر (١٠، ١١ ماي ٢٠٠٤).
- الملتقى الوطني: «دور وسائل الإعلام في الحفاظ على التراث الثقافي»، متحف سطيف، الجزائر، (٢٤، ٢٥ أفريل ٢٠٠٥).
- الملتقى الدولي: «الفصائيات العربية والهوية الثقافية»، كلية الاتصال، جامعة الشارقة، الإمارات (١١، ١٢ ديسمبر ٢٠٠٧).
- الملتقى الدولي: «اللغة العربية والعولمة»، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، يومي ٢٥، ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٨.
- الملتقى الدولي: «تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي»، قسم الإعلام بجامعة الملك سعود، الرياض، ١٧، ١٦، ١٥ مارس ٢٠٠٩.
- الملتقى الدولي: «الإعلام ورهانات المستقبل»، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية بأدار، أيام ١٥، ١٦، ١٧ نوفمبر ٢٠٠٩.
- الملتقى الدولي: «الإرهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف»، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، أيام ٢٨-٣١ مارس ٢٠١٠.

ملخص البحث

تركز معظم الكتابات التي تتحدث عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية الشريفة على المجال العلمي والطبي والبياني (اللغوي)، وقل ما تتحدث عن المجال الإنساني النفسي والاجتماعي، إلا في بعض البحوث والدراسات المتفرقة في هذا المجال. وهي في هذا محجمة -ربما- بسبب أن القوانين الاجتماعية والنفسية المفسرة للظواهر الاجتماعية متغيرة، غير ثابتة وغير مطردة، لأن الدارس والمدرس إنسان كذلك، بعكس الظواهر الطبيعية والعلمية التي تحكمها قوانين ثابتة وأزلية.

لذلك وجدنا أنه تكاد تنعدم الدراسات المهمة بالإعجاز الإعلامي في القرآن والسنة، ذلك أن معظم الكتابات التي تناولت مصطلح «الإعلام الإسلامي» بالتأليف والدراسة انطلقت من العمل على محور أسلمة المعرفة في مجال الإعلام والاتصال، مغفلة العمل على محور إسلامية المعرفة، مع أن المصطلح يوحي مضمونه في اتجاه المحور الثاني وليس الأول، وهي معذورة في ذلك كون أكثر الباحثين في المجال (الإعلام الإسلامي) ذوي تخصص بعيد (الإعلام والاتصال)، ليس لهم خلفيات كبيرة في مجال العلوم الإسلامية، خاصة علوم القرآن والسنة، مصدرى التنظير لمثل هذا العمل، إضافة إلى السبب الأول.

لذلك بقي الحديث عن الإعلام في القرآن والسنة، وقواعده وأسس، وكذا الإعجاز الإعلامي فيها؛ حديثا محتشما تتناوله بعض الكتابات التي لم تصل أصواتها العميقة إلى الباحثين والمهتمين، ناهيك عن عامة الناس. ومن منطلق أننا لسنا بحاجة إلى الآخرين لينظروا لنا في علم معين، ثم نتجه نحن إلى القرآن

الكريم أو السنّة النبوية الشريفة لنؤكد أوجه الإعجاز فيهما، وأوجه موافقتها لما قعد وذكر، وكذا من منطلق الإعجاز البياني في القرآن والسنة، حق لنا أن نقف عند كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، لنستجلي أوجه الإعجاز الإعلامي تقعيدها للعملية، وتنظيرها لأساسياتها ومضامينها، بعيدا عن مجاراتها للبحوث والدراسات الأجنبية في هذا المجال.

فقد أكدت القراءة المتأنية لعديد من الآيات القرآنية الكريمة أنّها تتناول العمل الإعلامي بكل أبعاده وأساسياته وأخلاقياته وأهدافه تفصيلا لم تعهده الدراسات الإعلامية من قبل، بل وقد أشارت هذه الآيات إلى نظرات مخالفة، وقواعد مغايرة كليلة لما في هذه الدراسات والأعمال في جمل قصيرة معجزة لذوي الكفاءات البيانية والعلمية على أن تختزلها في مثل هذه الجمل والكلمات.

وكمثال على ذلك وفي آية واحدة فقط، قوله تعالى: «يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» [٦: الحجرات]. وبالعودة إلى التفاسير، وكتب شروح السنّة، والمعاجم العربية، وجدت أنّ الآية الكريمة قد قعدت لمكونات العملية الإعلامية في صورة إعجازية كبيرة، تجيب على كثير من التساؤلات المحيرة تفسيرا للعملية، في تساؤلات:

١. لماذا وجه المولى عزّ وجلّ النداء للمؤمنين، ولم يوجهه للناس؟ فقال: «يا أيها الذين ءامنوا»، ولم يقل «يا أيها الناس»، مع أنّ العملية الإعلامية والاتصالية ليست مقتصرة على المؤمنين فقط؟ وما وجه الإعجاز في ذلك؟

٢. لماذا وصف المولى (عزّ وجلّ) المرسل «بالفاسق»؟

٣. لماذا وصفت الرسالة «بالنبأ» ولم تكن «الخبر»، وما وجه الإعجاز في ذكر «الأول» وعدم ذكر «الثاني»؟

٤. ما سمات الجمهور المستقبل لهذه الرسالة؟
٥. ما دور ردود الأفعال في توجيه العمليات الإعلامية والاتصالية؟ وما مدى فعاليتها وأهميتها؟
٦. ثم في إعجاز بياني وبلاغي واضح استطاعت الآية في (١٨) كلمة مكوَّنة لجملة واحدة في السورة أن تستجمع العناصر الأساسية المكوَّنة للعملية الإعلامية، وشروط كل عنصر، في حين فشلت كثير من الكتابات المقتردة في المجال أن تفعل ذلك؟

ومن أجل الإجابة على هذه التساؤلات لاستجلاء ملامح الإعجاز الإعلامي في الآية، تأتي هذه المداخلة محاولة للوقوف بالألباب والأفتدة الواعية عند هذه الملامح، ولا ندعي في ذلك القدرات العلمية المميزة، ولا القول في كتاب الله بغير علم، بل الحق في محاولات التدبر في كتاب الله، ونحن حفظته، ومبلّغي علومه إلى الناس.

من حكم التشريع لمسائل علم المواريث

د. نجيب بوحنيك

- أستاذ مادة المواريث بكلية الشريعة بجامعة باتنة - الجزائر -
- متحصل على شهادة : الماجستير والدكتوراه في الفقه وأصوله
- شارك في الملتقيات الدولية والوطنية الآتية :
- مؤتمر القاضي عبد الوهاب المالكي المنعقد بإمارة دبي .
- مؤتمر الإعجاز العلمي - السابع - في القرآن والسنة المنعقد بإمارة دبي
- مؤتمر دولي حول الإسلام والمسلمون في القرن الخامس عشر الهجري المنعقد بالجزائر .
- ملتقى وطني حول قانون الأسرة وتحولات المجتمع الجزائري المنعقد بالجزائر .
- ملتقى وطني حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم المنعقد في الجزائر
- مؤتمر الإعجاز العلمي - الثامن - في القرآن والسنة المنعقد بدولة الكويت.
- مؤتمر القيم الحضارية في السنة النبوية المنعقد بإمارة دبي .

الأستاذة : سلاف القيقط

- أستاذة مادة القراءات بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - الجزائر.
- متحصلة على شهادة : الماجستير في الحديث.

تحضر بحثها للدكتوراه في الحديث تحت عنوان :

- سؤالات الصحابييات - رضي الله عنهن للرسول صلى الله عليه وسلم "جمعا ودراسة من خلال الموطأ والكتب الستة"

شاركت في الملتقيات الدولية الآتية :

- مؤتمر القاضي عبد الوهاب المالكي المنعقد بإمارة دبي سنة .
- مؤتمر الإعجاز العلمي - السابع - في القرآن والسنة المنعقد بإمارة دبي.
- مؤتمر الإعجاز العلمي - الثامن - في القرآن والسنة المنعقد بدولة الكويت.
- مؤتمر القيم الحضارية في السنة النبوية المنعقد بإمارة دبي .

ملخص البحث

(١) النص المعجز آيات الميراث في:

قوله تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ ...) إلى (...نَصِيبًا مَّفْرُوضًا) النساء: (٧)

وقوله تعالى: (يُوَصِّيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ...) إلى (...وَلَهُ عِزَابٌ مُّهِينٌ)

النساء: (١١، ١٢، ١٣، ١٤)

وقوله تعالى: (يَسْتَفْتُونَكَ ...) إلى (...وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) النساء: (١٧٦)

(ب) الحكم التشريعية المراد بيانها والمرتبطة بالنص المعجز :

نظرا للمعاني الربانية العميقة والحكم التشريعية الأصيلة، التي تضمنتها منظومة الميراث في شريعة الإسلام الحنفية السّميحة .. جاء هذا البحث لتجلية بعض الأسرار واللّطائف واللمسات التي احتواها هذا التّشريع المعجز لفريضة الميراث من خلال تتبع ما استنبطه هؤلاء الجهابذة من علمائنا الأفاضل أثناء بيانهم وتفسيرهم لآيات الفرائض، ووقفاتهم الفاحصة المتأملّة لتلك السياقات القرآنية من سورة النّساء، وهي تعرض للأمة مقادير وأنصبة وسهام الورثة وشروط استحقاقهم لها بدقّة فائقة، تتجلى فيها حكمة الباري عز وجل وعلمه المطلق بأحوال عباده، وحلمه الفياض على خلقه رجالا ونساء .. صغارا وكبارا .. على مرّ الزّمان كله .. وكيف لا ! وقد ذبل آيات الميراث وختمها قائلًا عن نفسه .. (إِنَّ اللّاهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) .. (وَاللّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ) ... (وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

فأردنا من خلال المادة العلمية لهذا البحث بيان: مرتبة علم الميراث بين المعاني التعبدية المحضة غير المعقولة المعنى والمعاني المعللة المعقولة المعنى ، والحكم التشريعية : من إجمال الميراث في بداية تشريعه ، ومن مجيء آيات الميراث الثلاث بهذا الترتيب وهذا التوالي ، ومن مجيء الحقوق المتعلقة بالتركة بهذا الترتيب ، ومن تصدير آيات الميراث بلفظ : (يوصيكم) و (أولادكم) ، ومن مضاعفة حظ الذكر لحظ الأنثى في الميراث ، ومن تقديم البنوة على الأبوة في الميراث ، ومن حجب الأب للإخوة دون الأم ، ومن أن الإخوة لأم يتساوى ذكرهم وأنثاهم في الميراث ، ومن تذييل آيات الموارث الثلاث بأسماء الله الحسنى ، ومن ترتب الوعد والوعيد بعد بيان مقادير الميراث ..

(ج) وجه الإعجاز التشريعي في النص المعجز :

بعد رحلتنا مع هذا البحث انتهينا - بعون الله - إلى أن من وجوه الإعجاز التشريعي في هذا النص المعجز : أن فريضة الميراث وإن كان الأصل فيها والغالب عليها التعبد المحض ، إلا أن فيها ما هو معقول المعنى ، ظاهر القصد ، جلي الحكمة وذلك لدورانها حول موضوع المال الذي قننته الشريعة أحسن تقنين .. وقد أجمل الله عز وجل الكلام عن الميراث تمهيدا وتهيئة لنفوس المؤمنين حتى يكونوا على أتم استعداد لما سيشرعه من أحكام جزئية وتفصيلية في هذه المنظومة العادلة للرجال وللنساء على حد سواء .. وترتيب الورثة كان مبنياً على أساس حكمة بالغة ونظر دقيق : فالقريب إلى الميت أولى بالميراث من البعيد عنه فجاء ترتيب الورثة حسب هذا التسلسل العادل وفق هذه القواعد المنضبطة التي لا تحابي أحداً على حساب

آخر.. ورتب الله الحقوق المتعلقة بالتركة ترتيباً بديعاً، فقدم حقّ التجهيز لأنّ الميت أولى بماله من غيره ثمّ قدّم الدّين على الوصيّة لأنّه قد تعلقت به ذمّته ثمّ قدّمت الوصيّة على الميراث حتّى يستدرك ما فاتته من الخير والبرّ..

وصدر الله أحكام الميراث بلفظ: (يوصيكم) لبيان أن الله أعدل وأرحم بخلقه حتى من الوالدين بأولادهم وجاء التعبير بلفظ: «أولادكم» دون لفظ «أبنائكم» لأن لفظ «الولد» أعمّ من لفظ «الابن».. وأخذ الذّكر ضعف ما تأخذه الأنثى ليس فيه محاباة لجنس على حساب جنس وإنّما هي حالة توازن وعدل بين أعباء الذكور المتعدّدة وأعباء الأنثى المحدودة.. وقدم الله الأبناء على الآباء في الميراث لأنّ البنوّة أقوى من الأبوة بالنسبة إلى مدى احتياج الطرفين إلى المال.. وفضل الله الأب على الأمّ في الميراث لامتياز ترتب النفقة ووجوبها على الأب دون الأمّ وهذا من عدل الله وقسطه، وفيه من حسن الشريعة ما فيه.. وجعل الشارع الحكيم مقدار ما يأخذه الذّكر يتساوى مع ما تأخذه الأنثى في الإخوة لأم، لأنهم يدلون إلى الميّت بواسطة الأمومة - الأنوثة - فلم يفضل ذكرهم على أنثاهم بخلاف غيرهم من الورثة فإنّهم يدلون إلى الميّت بأنفسهم أو بالذكورة.. وختمت آيات الموارث بأسماء الله الحسنى، وحكمة الباري في ذلك كأنّه يريد أن يقول لعباده بعد تشريعه لمنظومة الميراث أن الله: عليم بمصالحكم المالية التي من أجلها جمعتم هذا المال ونميتموه، وإذا كان الأمر كذلك فاعلموا أن قسمته لهذا المال على مستحقيه من ورثتكم بعد هلاككم كانت وفق حلمه البالغ وحكمته العادلة، فسلموا له بالقسمة التي اختارها فيها تملكون من مال سمعا وطاعة له فيها شرع لأنّه هو: «العليم»، «الحكيم»، «الحليم».

إعجاز القرآن في دلالة الفطرة على الإيمان

د/ سعد بن علي الشهراني

• عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة جامعة أم القرى

ملخص البحث

فقد عظم الإسلام أمر الفطرة وأعلى شأنها، حيث وصف الله تعالى في القرآن الكريم الدين بها، وأمر بتابعها وحذر العباد من تغييرها مبيناً أن اتباعها هو سلوك للدين الذي ارتضاه الله وجعله مستقيماً قيماً لجميع ما يحتاجه البشر في أمر دينهم وديناهم، قال تعالى:

(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق

الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [الروم: ٣١] ومن تعظيم الإسلام للفطرة أنه جعلها الأساس السابق لأي دليل شرعي أو عقلي. فرسالة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وشرائعهم مكملة للفطرة ومذكرة بها، وهذا ما بينه الله تعالى في كتابه الكريم في مواضع عدة، منها قوله تعالى: (فذكر إنما أنت مذكر) [الغاشية: ٢١] وقوله

تعالى: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) [ق: ٣٧]

لقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة التي أجريت على فئات مختلفة من الناس في مناطق متعددة وبواسطة علماء من جامعات أكاديمية مشهورة: (أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هي إحدى النزعات العالمية الخالدة).

وتلك النتائج العلمية الباهرة تتوافق مع ما جاء به الإسلام، وقرره علماء الإسلام قبل ألف وأربعمائة سنة!! وفي ذلك دليل قاطع على صدق القرآن ومبلغه الذي هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

كما أنه دليل صريح على صحة عقيدة الإسلام، وانسجام ذلك مع طبيعة الإنسان وتكوينه الفطري.

وأنه حينما ينسجم عقدياً مع تلك الفطرة المركوزة فإن آثار ذلك لا ينعكس على مستقبله الأخروي فحسب، بل إن ذلك ينفعه في دنياه من الناحية النفسية والصحية.

وصدق الله القائل: (وَيَفِيْ أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) والقائل: (أَفَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)، والقائل: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ

الناس لا يعلمون) [الروم: ٣٠]

أهم ما توصلت إليه من نتائج:

١. أن الفطرة في اللغة لها معانٍ عديدة، كالشق والخلقة والابتداء والاختراع وغيرها.
٢. أن العلماء اختلفوا في بيان معنى الفطرة إلى عدة أقوال، بيد أن الذي عليه أكثر السلف وجماهير العلماء هو تفسيرها بالإسلام.
٣. أنه ليس المراد بالقول أن المولود يولد على فطرة الإسلام: أنه يولد وهو يعلم هذا الدين ويريده، ولكن المراد أن فطرة المولود تستلزم الإقرار بالخالق ومحبه، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض.
٤. أن في نصوص الكتاب والسنة غنية بالأدلة العقلية اليقينية على أصول الاعتقاد، خلافاً لمن زعم أنها مجرد أدلة سمعية تحتاج إلى براهين خارجية.
٥. أن معرفة الله تعالى فطرية خلافاً للمتكلمين الذين يقررون بأنها نظرية.
٦. أن الأدلة القرآنية قد جلت المراد بحقيقة الفطرة موضحة لمعناها وجاءت السنة النبوية مكملة لهذا المعنى مؤكدة عليه.
٧. إثبات الفطرة وتأصيلها فيه رد على العلمانيين الذين يريدون فصل الدين عن شتى مجالات الحياة، ذلك أن هذه الفطرة السليمة تجمع بين الأخذ بأسباب الحضارة دون إخلال بالقيم والمقاصد النبيلة.
٨. توجد أبحاث تجريبية يجريها علماء الغرب على المخ البشري تقرر أن الإيمان له مواضعه في المخ، وهذه الدراسات لا تزال نظريات ولعلّه يظهر لنا بعض

ما كنا نجعله عن «المخ البشري» (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً). والدلائل النقلية والعقلية والحسية تؤكد لنا فطرية المعرفة من قبل هذه الدراسات التجريبية الطبية.

توصيات

١. الاعتماد على المنهج القرآني في ترسيخ الإيمان واليقين.
٢. إبراز الأدلة القرآنية في مخاطبة العقول، فإنه ما من أصل من أصول الاعتقاد يمكن الاستدلال عليه عقلاً، إلا وفي النقل التنبيه على ذلك، علمه من علمه وجهله من جهله.
٣. تنقية المناهج الدراسية مما علق بها من مسائل ودلائل المتكلمين والفلاسفة التي عطلت الفكر الإسلامي وأخرت المسلمين وأشغلتهم بالمسائل التي لا يبنى عليها علم نافع وعمل صالح.
٤. المزيد من الدراسات المؤصلة التي تبرز عظمة وإعجاز القرآن التشريعي في مختلف المجالات، والملاحظ هو انشغال كثير من الباحثين بالإعجاز العلمي، وعدم إعطاء هذا المجال حقه الكافي من الدراسات.
٥. دراسة "آية الميثاق" دراسة موضوعية مفصلة تجمع أقوال المفسرين فيها، والروايات الحديثية وتمييز صحيحها من ضعيفها.

شهادة الأناجيل بصدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

أ. أسماء عبد المجيد الزندانى .

المؤهلات العلمية :

- بكالوريوس علوم سياسية .
- درجة المشيخة العالمية في الفقه المالكي - جامعة الإيمان اليمن
- ماجستير في مقارنة الأديان ، وقريبا مناقشة الدكتوراه بإذن الله.

العمل :

- رئيسة قسم الدراسات العليا بجامعة الإيمان قسم الطالبات.
- رئيسة المعهد الإسلامي لحوار الأديان.
- رئيسة مجلس إدارة المدارس الأكاديمية الإسلامية.

ملخص البحث

عندما بعث الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كان اليهود يزعمون بأن المسيح عليه السلام كاذب وساحر، واتهموه بأنه ابن غير شرعي، وما زال هذا اعتقادهم إلى اليوم. أما النصارى فقد جعلوا من المسيح عليه السلام إلهًا وخالقًا، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم ليقول فيه القول الحق، قال تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) [المائدة/ ٧٦]

وقال تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) [المائدة/ ٧٢]

ومن خلال بحثي في أناجيل النصارى مع أنها محرفة إلا أن الله أبقى فيها ما ينطق بصدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وتكذب ما يعتقده النصارى.

أولاً : المسيح يدعو بني إسرائيل لمعرفة الله عز وجل.

- ١ . الله إله المسيح وإله الناس هو إله واحد [مرقس (٢٨/ ١٢_٢٩)]
- ٢ . الله ليس لحمًا ودمًا [إنجيل متى (١٧/ ١٦)]
- ٣ . الله ليس على الأرض ، بل هو إله واحد في السماء [إنجيل متى (٩/ ٢٣)]
- ٤ . يخبر المسيح عليه السلام بأن جميع تعاليمه ليست من عنده بل من عند الله الذي أرسله [إنجيل يوحنا (١٦/ ٧_١٧)]
- ٥ . الساعة لا يعلمها المسيح بل علمها عند الله وحده [مرقس (٣٢/ ١٣)]

٦. الله في العهد الجديد هو: السيد المبارك الأوحى ، مللك الملوك ، ورب الأرباب ، الذي وحده لا فناء له ، الساكن في نور لا يدنى منه ، الذي لم يره أي إنسان ولا يقدر أن يراه. [١ تيموثاوس (٦ / ١٥ - ١٦)].

ثانياً: المسيح يعرّف بنفسه.

١. المسيح أخبر بأنه إنسان كلّم بني إسرائيل بالحق الذي من عند الله. [إنجيل يوحنا (٨ / ٢٩)]

٢. المسيح يجتهد في عمله ليرضي الله [إنجيل يوحنا (٨ / ٢٩)].

٣. المسيح يقرّ بأنه لا يقدر أن يفعل شيئاً من نفسه [إنجيل يوحنا (٥ / ٣٠)].

٤. يخبر بأنه سيصعد إلى الله ، إله وإله الناس [إنجيل يوحنا (١٧ / ٢٠)].

٥. سيخضع المسيح عند عودته لله الذي يخضع له كل شيء [١ كورونثوس (١٥ / ٢٨)]

ثالثاً : إيمان الناس بنبوة المسيح بعد أن رأوا معجزاته

١. شهادة الأعمى [إنجيل يوحنا (٧ / ٩)].

٢. إقرار المشاهدين لإحياء الميت بنبوة المسيح [إنجيل يوحنا (٤١ / ٤٢ - ٤٣)].

٣. حزن المسيح لعدم تصديق أهل الجليل بنبوته [إنجيل متى (١٣ - ٥٧)].

٤. إقرار المشاهدين لمعجزة المائدة بنبوة المسيح [إنجيل يوحنا (١٤ / ٦)].

٥. تعريف الناس للمسيح بأنه النبي الذي من الناصرة [إنجيل متى (١٠ / ٢١ - ١١)]

رابعاً: تشهد الأناجيل بأن المسيح عبد الله.

١. كاتب إنجيل متى يدعو بني إسرائيل للإيمان بالمسيح، العبد الذي اختاره

الله ليوحى إليه [إنجيل متى (١٧/١٢ - ١٨)]

٢. المسيح يقضي الليل كاملاً يصلي لله. [إنجيل لوقا (٦/١٢)].

٣. المسيح يسجد لله [إنجيل مرقس (٣٥/١٤)]

٤. المسيح يركع لله (إنجيل لوقا (٤١/٢٢))

(اللهم أرنا الحق حقاً وأرزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وأرزقنا اجتنابه).

الإعجاز التشريعي في الطلاق

أ.د. محمد نبيل محمد السيد غنايم

- الجنسية: مصري
- آخر مؤهل دراسي: دكتوراه في الشريعة الإسلامية
- التخصص العام: شريعة إسلامية
- التخصص الدقيق: فقه مقارن
- المرتبة العلمية: دكتورة
- دولة الإقامة: مصر
- العمل الحالي: أستاذ جامعي ومدير مركز الدراسات الإسلامية

ملخص البحث:

فهذا بحث عن الإعجاز التشريعي في الطلاق .. جاءت كتابته بناء على دعوة كريمة من هيئة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية . التابعة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة ومكتب الهيئة في القاهرة .

والبحث يكشف عن جوانب الإعجاز في تشريع الطلاق من خلال آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال الأئمة الفقهاء وذلك بياناً وتصحيحاً لما يظنه أو يدعيه بعض الناس من المسلمين وغير المسلمين من أن تشريع الطلاق شر وظلم للمرأة والأسرة والمجتمع فيبين أنه خير وصالح لجميع الأطراف لأنه تشريع الحكيم الخبير الذي لا يشرع إلا الخير ولا يدعو إلا إلى الرحمة والمصلحة لجميع الأطراف فالتشريع الإسلامي كله خير وصالح لكل الأحوال ويلبي احتياجات جميع الأطراف ويلائم جميع الظروف والبيئات ولولاه لوقع الناس في حرج عظيم وعاشوا في مشقة بالغة .

وليس ذلك دعوة للطلاق وإذناً فيه على الإطلاق؛ بل في ذلك بيان لحلول وعلاج يحتاجه الناس في بعض الأحوال وتقتضيه الضرورة في بعض الظروف فيكون الحل التشريعي أحسن الحلول وأطيبها ومحققاً لمصالح جميع الأطراف ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في فقرات متسلسلة تكشف كل فقرة منها عن جانب من جوانب الإعجاز التشريعي من خلال الآيات ذات الصلة أو الحديث المتصل بها .

والله أسأل أن ينفع به المسلمين في كل مكان ، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم نلقاه (يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم إنه نعم المولى ونعم النصير)

وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق

تبين لنا من فقرات هذا البحث جملة من وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق نجملها فيما يلي :

١. أن الأصل هو استمرار الحياة الزوجية في جو من السكينة والمودة والرحمة والحفاظ عليها بكل الوسائل .

٢. أن الأصل في الطلاق الحظر والمنع إلا للضرورة وتتنوع هذه الضرورة فتجعل الحكم يتفاوت بين الوجوب والتحريم والكرهه والندب والإباحة .

٣. أن الفطرة والظروف تستدعي أن يكون إلى الفرقة سبيل وقاية من ضرر أكبر وخطر أعظم.

٤. أن التشريع الإسلامي بتشريع الطلاق تميز على سائر التشريعات والبيئات بالوسطية والاعتدال والتكريم والمساواة .

٥. أن التشريع الإسلامي سن من التدابير الواقية من الطلاق ما يحول دون وقوعه إلا في أضيق الحدود فتدابير قبل الزواج ، وتدابير أثناء الزواج ، وتدابير للحيلولة دون الوصول إلى باب الطلاق، وتدابير عند ضرورة إيقاع الطلاق وكل تدبير منها يحمل وجهاً من وجوه الإعجاز .

٦. أن التشريع الإسلامي قيد الطلاق بقيود عديدة للحد من إيقاعه فجعل منه السني والبدعي والرجعي والبائن .

٧. أن التشريع الإسلامي جعل الطلاق للرجال لحكمة واضحة وأعطى المرأة البديل في الخلع .

٨. أن التشريع الإسلامي قيد الطلاق بألفاظ معينة وصيغ محددة حتى يفوت على المتلاعبين الأعيبهم
٩. أن التشريع الإسلامي أهتم بحقوق المرأة بعد الطلاق بما يكفل لها حياة كريمة وتعويضاً كافياً .
١٠. أن الله تعالى تكفل للمتقين المستقيمين من الأزواج ذكوراً وإناثاً بالخير والسعة وتوعد الظالمين بالعقاب الأليم وهكذا تعددت وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق بما يلجم الأفواه البغيضة والأفكار المسمومة ضد التشريع الإسلامي بعامة والطلاق بخاصة .

الإعجاز التشريعي في الحقوق الاقتصادية المشتركة بين الرجل والمرأة كدليل على تكريم المرأة

د . شيرين فتحي عبد الحميد مصطفى

- تاريخ الميلاد: ١٩٥٩ / ١ / ٢٢
- الجنسية: مصريه
- آخر مؤهل دراسي: ماجستير اقتصاد إسلامي - كلية التجارة - جامعة الأزهر.
- التخصص العام: اقتصاد إسلامي
- التخصص الدقيق: اقتصاد إسلامي
- المرتبة العلمية: ماجستير
- دولة الإقامة: مصر

ملخص البحث:

لما كان الدين الإسلامي دين عقيدة وشريعة ونظام مجتمع، يقوم على سلسلة من الشرائع والأحكام التي تنظم حياة المسلم في علاقته بربه وبنفسه وبأخيه الإنسان، فإن القرآن الكريم - وهو دستور المسلمين - يخاطب النساء كما يخاطب الرجال، حتى شملت أحكامه الجنسين معاً.

ولأن المرأة في نظر الشرع الإسلامي إنسان مكلف يتمتع بكامل الأهلية، فهي تمثل نصف المجتمع البشري، ولا بد لهذا النصف إلا أن يشارك نصفه الثاني، ليساهم النصفان معاً في بناء المجتمع الجديد، الذي بنى أساسه على قواعد ثابتة من الحرية والعدالة والمساواة من غير محاباة جنس على حساب جنس آخر.

هذا يعني في عرف التشريع الإسلامي أن المرأة صنو الرجل في إنسانيته، لها ما له، وعليها ما عليه من الحقوق والواجبات مراعيًا في ذلك طبيعة كل منهما وإمكاناته. من هذا المنطلق نجد هناك حقوقاً خص الإسلام بها المرأة فيما يتعلق بجميع مراحل الحياة الزوجية، وحقوقاً أخرى يشترك فيها الرجال والنساء.

أما عن الحقوق التي خص بها الإسلام المرأة فيما يتعلق بجميع مراحل الحياة الزوجية فهي:

- ١- حق المرأة في المهر عند الزواج.
- ٢- حق المرأة في النفقة بموجب الزوجية.
- ٣- حق المرأة في أجره الرضاع.
- ٤- حق المرأة في أجره الحضانة.
- ٥- حق المرأة في المتعة.

وأما عن الحقوق الاقتصادية المشتركة بين الرجل والمرأة فهي:

- ١- حق المرأة في التصرفات المالية.
- ٢- حق المرأة في النفقة بموجب درجة القرابة.
- ٣- حق المرأة في الميراث.
- ٤- حق المرأة في العمل والكسب واستقلالها الاقتصادي.
- ٥- حق المرأة في التعليم والتعلم.

وسوف نخص بالدراسة والتفصيل في هذا البحث حق المرأة في الميراث، وحالات ميراث المرأة في الشريعة الإسلامية، ثم نعقد مقارنة سريعة بين ما أعطى الإسلام للمرأة من حقوق، وما استطاعت الجهود البشرية المبذولة أن تقدمه لها، وعلى رأسها اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة CEDAW حيث تعتبر بياناً عالمياً بحقوق المرأة الإنسانية.

الإعجاز العلمي في أحاديث منع التداوي بالخمر

د . محمد علي البار

ملخص البحث

لقد كان الأطباء يزعمون في الأزمنة الغابرة وعلى زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبعده، وحتى عهد قريب أن الخمر دواء وأن شربها باعتدال معين على الصحة. وسندهل للمفارقات العجيبة

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إنها داء وإنما ليست بشفاء).

والأطباء يصرون في زمنه والأزمنة التي قبله والتي بعده أنها دواء! حتى جاء الطب في العصر الحديث وأبان زيف ما كان الأطباء يقولونه؛ إن في الخمر منافع شتى وعديدة للبدن وإنما تهضم الطعام وتشحذ الأذهان وتصفى الكبد وإنما معين عظيم على الصحة!!

الأحاديث الشريفة في منع التداوي بالخمر :

١ . (عن وائل بن حُجر أن طارق بن سُويْد الحضري سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخمر يجعل في الدواء فقال - صلى الله عليه وسلم - (إنها داء وليست دواء) أخرجه مسلم وغيره

٢. عن طارق بن سويد قال: يا رسول الله إن بأرضنا أعنابا نعصرها فنشرب قال: لا فراجعته قلت: إنا نستشفى للمريض. قال: إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء). أخرجه مسلم وابن حبان في صحيحه.

٣. جاء ديلم الحميري مع وفد اليمن وسأل النبي - صلى الله عليه وسلم (إنا بأرض باردة نعالج فيها عملا شديدا، وإنا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وبرد بلادنا؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: هل يسكر؟ قال: نعم، قال: فاجتنبوه. قال: إن الناس غير تاركيه. قال: فإن لم يتركوه فقاتلوهم) رواه أبو داود

ولا تزال الخمر تشرب حتى اليوم بناء على وهم أنها تدفع الإنسان من البرد. وهي توسع الأوعية الدموية تحت الجلد فيشعر بالدفء ويفقد حرارة جسمه، كما أنها تمنع المناطق المخية المسؤولة عن تنظيم حرارة الجسم فيما يسمى تحت المهاد Hypothalamus فيؤدي ذلك إلى فقدان حرارة الجسم... ومن المآسي التي تحدث كل عام في أعياد الميلاد ورأس السنة أن يتوفى المئات في روسيا والولايات المتحدة وأوروبا من فقدان حرارة أجسامهم بعد شرب الخمر والانغماس فيها، والبقاء في الحدائق والأماكن المفتوحة فيموتون من البرد وهو يتمتعون بالدفء الكاذب وقد نشرت المجلة الطبية لأمریکا الشمالية Medical clinics of North America عدد يناير ١٩٨٤م أن شرب الخمر هو أهم سبب لحدوث الوفيات الناتجة عن انخفاض درجة حرارة جسم الإنسان.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم). أخرجه البخاري

وقال الله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) البقرة ٢١٩

وقد اتفق أهل التفسير في معنى الإثم الكبير أنه في الدين، وفي ضياع العقل بشرب الخمر، وما يحدث في شربها من النزاع والخصام، وحدوث الجرائم وارتكاب الموبقات. والخمر أم الخبائث كما قال - صلى الله عليه وسلم - وجماع الإثم.

قال ابن كثير: (وأما المنافع الدنيوية من حيث إن فيها نفع البدن، وتهضيم الطعام وإخراج الفضلات، وتشحيد بعض الأذهان، ولذة الشدة المطربة). ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين، ولهذا قال الله تعالى: (وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)

إن الخمر لا تقوي الضعيف عكس ما زعمه الأقدمون بل تزيده ضعفاً وهزالاً، ولا تهضم الطعام بل تسبب التهاب الجهاز الهضمي ابتداء من الفم وانتهاء بالأمعاء مروراً بالبلعوم والمريء والمعدة والبنكرياس والكبد. ولا تعين على الباه بل تفقد المرء عقله، فيقدم على الجرائم الجنسية ويعتدي على أمه وأخته، ونصف جرائم الاغتصاب على الأقل في العالم تقع تحت تأثير الخمر، وهي لا تسلي المحزون إذ إن تسليتها إذا حدثت وقتية سريعة الزوال وتعقبها الحسرات وتكثر المعارك والعداوات والبغضاء بين من يشربونها. وأما تشجيعها الجبان فهو ناتج عن فقدان العقل وحدوث التهور، وتقول الإحصائيات الحديثة إن ٨٦ بالمئة من جرائم القتل تمت تحت تأثير الخمر فأأي شجاعة هذه؟؟ وإن ما لا يقل عن ٥٠ بالمئة من حوادث المرور ناتجة عن شربها.

وأما تصنيفتها اللون فهو ما يحدث من الحمرة في وجه شارب الخمر وذلك بسبب تمدد الأوعية الدموية تحت الجلد، وبسبب إصابة الكبد وتليفها، فيحدث ذلك الاحتقان، وهو علامة المرض لا علامة الصحة.

المنظمات الصحية العالمية والأبحاث العلمية تحذر من مخاطر شرب الخمر:

يقول تقرير منظمة الصحة العالمية رقم ٦٥٠ لعام ١٩٨٠م عن الكحول ومشكلاتها (إن شرب الخمر يؤثر على الصحة ويؤدي إلى مشكلات تفوق المشكلات الناتجة عن الأفيون ومشتقاته)

ويقول تقرير الكلية الملكية للأطباء النفسيين بالمملكة المتحدة (١٩٨٦م) عن مشكلة تعاطي الخمر: (إن الكحول مادة تسبب تحطيم الصحة بما لا يقاس معها الخطر على الصحة الذي تسببه المخدرات مجتمعة. وإن معظم المخاطر على الصحة العامة من العدد الكبير الذي يتناول كميات معتدلة من الكحول). ويؤكد هذا المعنى تقرير الكلية الملكية للأطباء بالمملكة المتحدة والصادر عام ١٩٨٧م وعنوانه:

(العواقب والمخاطر الصحية لتعاطي الكحول وباء خطير وشر مستطير)

حيث يقول: إن المخاطر الصحية المتعلقة بتعاطي الكحول ليست ناتجة بالدرجة الأولى من العدد القليل الذي يتناول كميات كبيرة من الكحول، ولكن الخطر الأعظم على الصحة العامة هو من العدد القليل الذي يتناول كميات كبيرة من الكحول باعتدال وانتظام. إن تعاطي ٦٠ جراماً من الكحول يومياً يؤدي إلى زيادة كبيرة في حدوث ضغط الدم والسكتات الدماغية (Stroke)، وأمراض الكبد، والعقم، وضعف الباءة، وأمراض الجهاز العصبي أما بالنسبة للمرأة فإن نصف هذه الكمية كفيلة بإحداث هذه الأمراض الوييلة) ويذكر كتاب (ألف

باء الكحول) الصادر عن المجلة الطبية البريطانية الشهيرة (BMJ) عام ١٩٨٨ م: (أن ما بين خمسٍ وثُلث جميع الحالات التي أُدخلت إلى الأقسام الباطنية في بريطانيا كانت بسبب الكحول. وفي إنجلترا وحدها دون ويلز واسكتلندا وإيرلندا الشمالية) يدخل إلى الأقسام الباطنية كل عام ما بين ثلاثمائة ألف ونصف مليون شخص بسبب أمراض متعلقة بتعاطي الخمر. وفي السويد أثبتت دراسة مالمو أن ٢٩٪ من جميع أيام دخول المستشفيات في السويد كانت بسبب تعاطي الخمر). ويقول الدكتور برنت في كتاب (مواضيع في العلاج) (إصدار الكلية الملكية للأطباء بلندن عام ١٩٧٨ م)

(لم يكتشف الإنسان شيئاً شبيهاً بالخمر في كونها باعثة على السرور الوقتي وفي نفس الوقت ليس لها نظير في تحطيم حياته وصحته، ولا يوجد لها مثل في كونها مادة للإدمان وسماً ناقعاً، وشرّاً اجتماعياً خطيراً) وقد أثبتت الدراسات الحديثة في بريطانيا والولايات المتحدة وأوروبا أن ٤٠٪ من نزلاء المستشفيات العامة يعانون من مشكلات متعلقة بالخمر، وأن ما بين ثلث ونصف نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية في الأمريكيتين وأوروبا يعانون من مشكلات متعلقة بالخمر، وأن سبب دخولهم إليها هو تعاطيهم الكحول بكثافة. ويذكر تقرير منظمة الصحة العالمية في الاجتماع الثالث والستين لعام ١٩٧٩ م (الدورة ٣٢) أن تعاطي الخمر هي إحدى المشكلات الصحية الكبرى في العالم، وأن الاستمرار في تعاطيها يعيق التقدم الصحي والاجتماعي والاقتصادي في معظم المجتمعات بل وتشكل عائقاً كبيراً في المجال الصحي، وتعتبر أحد العوامل الهامة جداً التي تؤدي إلى تحطيم الصحة العامة والتي لا يوجد حل لها.

وتقول مجلة اللانست (lancet) الطبية، المقال الافتتاحي (العدد الثاني لعام ١٩٨٧م) إن على الأطباء تبليغ رسالة واحدة للناس وهي: **أن الخمر ضارة بالصحة، وتؤدي إلى حدوث الذبجات الصدرية وجلطات القلب واضطراب نظمية القلب وموت الفجأة.**

وقد ثبت علمياً تأثير الخمر الضار على وظائف أعضاء الجسم المختلفة ابتداء من الجهاز الهضمي والجهاز الدوري والتنفسي والجهاز البولي والغدد الصماء والكفاءة الجنسية والتمثيل الغذائي داخل الجسم وقد بينا ذلك بالدليل العلمي القاطع في ثنايا البحث مما يؤكد كلام النبي صلى الله عليه وسلم أن الخمر داء وليست بدواء كما زعم الأطباء.

الإعجاز التشريعي في تحريم الربا

د. كوثر عبد الفتاح الأبي

- الدرجات العلمية : درجة دكتور الفلسفة في المحاسبة والمجستير والبيكالوريوس من جامعة القاهرة .
- البحوث المنشورة : نشر ست وعشرين بحثا في مجالات علمية محكمة تناول الجوانب المحاسبية في المصارف الاسلامية ودراسة الجدوى وتقييم الاستثمار في ضوء الفقه الاسلامي والاعجاز في الزكاة ..
- المراجع والمؤلفات العلمية : أحد عشر مؤلفا محاسبيا منها ما يتناول المصارف الاسلامية والزكاة .
- الاشتراك في الندوات والمؤتمرات العلمية : الاشتراك في عشرات المؤتمرات العلمية المحلية والدولية التي تناول العلوم المحاسبية والمصارف الاسلامية والاعجاز العلمي في القرآن والسنة .
- الإشراف والاشتراك في مناقشة الرسائل العلمية : الاشراف والمشاركة في مناقشة ثلاثين رسالة ماجستير ودكتوراه في كليات التجارة بجامعة القاهرة وبنبي سويف والازهر ومعهد الدراسات الاسلامية ...

- التحكيم في المجالات والجهات العلمية المختلفة : تحكيم الأبحاث في مجلة الدراسات العالية والتجارية -بكلية التجارة ،جامعة القاهرة وبني سويف وللمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب ببنك التنمية الإسلامي بالسعودية ،الأبحاث العلمية والدراسات لمركز الدراسات المعرفية بالقاهرة ، الأبحاث العلمية للمجلة العلمية لكلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود ، الأبحاث المقدمة إلى البنك الإسلامي للتنمية لاختيار الفائز بجائزة البنك لعام ١٤٢٢ هـ في مجال البنوك الإسلامية بالمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب ، الأبحاث العلمية المقدمة إلى وزارة البحث العلمي بالقاهرة في المحاسبة والتأمين والاقتصاد.

ملخص البحث

ولت العقيدة السوية والتشريع الحكيم الذي تناول كل ما يصلح حياة الأمة ويبعث فيها الحياة والنهضة والترقي والعزة ، تهدي من اتبعها الى صراط مستقيم ويهلك من تركها في ظلمات الضلال ، ولذلك كان الهدي القرآني هو المنارة التي يجب أن تضيء حياة الأمة بتشريعاتها وحقا على أبنائها أن يتدارسوا هذا الهدى بالاستنباط العلمي ليضعوا أساسه ومنهجهم أمام العالم نبراسا تهتدي به البشرية دوما إلى يوم القيامة .

ويتناول هذا البحث وجه جديد من أوجه اعجاز التشريع الإسلامي الحنيف وهو تحريم الربا الذي ورد في خمسة مواضع من سور القرآن الكريم ، تناولت فيها تحريم الربا بتهديدات شديدة للمجتمع المسلم إن لم ينتهي عن التعامل بالربا "

فإن لم تنتهوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله " وهو ما لم يذكر في أي كبيرة أخرى حتى الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وهما أشد الكبائر . كما تناولت الأحاديث الشريفة تحريم الربا وتفضيحه ، وهو ما يؤكد أهمية إلقاء الضوء على أسباب التحريم القاطعة وتأثير الربا من خلال المنهج العلمي ، ومن خلال نتائجه وأثره السلبي على المال ، والاقتصاد ، والتي تمثل إعجازا تشريعا للمجتمعات البشرية التي ما فتأت تنقطع في كل مراحل الحضارة عن التعامل بهذه المعاملة التي تخالف كافة الشرائع السماوية ، وهو في عصرنا الحاضر المعروف باسم الفائدة المشروطة مقدما على الأموال النقدية سواء في شكل قروض وسندات ، أو في الحسابات المصرفية المعروفة باسم الودائع لأجل أو بإخطار .. الخ.

هدف البحث :

إثبات الإعجاز في تشريع تحريم الربا عن طريق تحقيق الأهداف الفرعية التالية :

١- إثبات سبق في التحريم مع تقنين بدائل متكاملة ، تقوم بالوظائف الاقتصادية والمالية التي تغني المجتمع عن الحاجة للربا .

٢- صلاحية المنهج المالي الإسلامي للتطبيق في كل زمان ومكان .

٣- إثبات توافق تشريع تحريم الربا مع المنهج العلمي الموضوعي وعلى العكس تعارض الربا مع المنهج العلمي .

٤- إثبات الأضرار الجسيمة التي تنال المجتمع من التعامل بالفائدة الربوية للمجتمعات البشرية كافة.

حدود البحث : لا يتطرق البحث لمناقشة تحريم الربا فقها وعلاقته بسعر الفائدة باعتبار أن هذا الموضوع سبق بحثه من العلماء المعاصرين ، وتم الاستقرار على تحريم الفائدة المصرفية في الودائع والقروض المصرفية باعتبارها ربا محرم .

منهج البحث : ينهج البحث منهجين :

استنباطي : يهدف للوصول إلى المنهج العلمي للاستثمار وتوظيف الأموال بما يتوافق مع كل من التشريع الإسلامي الحنيف ، والمنهجية العلمية الرشيدة ، لتحقيق سلامة وأمن المجتمع البشري .

استقرائي : من خلال :

- ١- دراسة علمية للحجج التي تبرر سعر الفائدة باعتباره حتمية لا مناص من استخدامها
- ٢- دراسة علمية وتطبيقية لتأثير الربا على الإقتصاد المعاصر من ناحية الإنتاج والاستثمار والتوزيع على مستوى محلي ودولي .

فروض البحث :

- ١- حرمت الشريعة الإسلامية الربا واستبدلته بكل من القرض الحسن والشركة ، ليقوما بالوظائف الاقتصادية والاجتماعية ، التي يحتاجها المجتمع وكذلك نظمت أحكام النقود بما يتناسب مع وظائفها ويحقق العدل وسلامة وأمن المجتمع .
- ٢- يبني نظام سعر الفائدة على فروض نظرية لم يثبت صحتها ولا تتبع المنهج العلمي السليم .

- ٣- ينقص نظام سعر الفائدة من حقوق أحد طرفي العقد ، المدين أو الدائن لحساب الطرف الآخر بدون مقابل عادل .
- ٤- سعر الفائدة له تأثير سلبي شديد الأثر على الإنتاج والاستثمار والتوزيع .
- ٥- تعتبر السياسة المالية هي المسئول الأول عن تطبيق نظام سعر الفائدة ، بإصدار الأذون والسندات الحكومية لتمويل الحكومة بالعجز .
- ٦- الفائدة سبب رئيسي في الفساد المالي والإداري على المستوى المحلي والدولي .

خطة البحث :

- لتحقيق هدف البحث يتم تغطية موضوعاته من خلال ثلاثة فصول تتناول ما يلي :
- الفصل الأول : مقومات المنهج المالي الإسلامي في تحريم الربا .
 - الفصل الثاني : دراسة تحليلية لتبرير سعر الفائدة (الربا) في ضوء المنهج العلمي، وتتضمن دراسة تطبيقية للبنوك التجارية ؛ لاختبار فروض البحث.
 - الفصل الثالث : دراسة تحليلية لتأثير سعر الفائدة (الربا) على الاقتصاد المعاصر.
 - وتتضمن دراسة تطبيقية على كل من: مصر، الولايات المتحدة الأمريكية.

خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى

د . مها عبد الرحمن أحمد نتو

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

أما بعد : ففي نظري أن مثل هذا الموضوع مهم جداً في عصر افتتن الناس فيه بالعلم الحديث ، وظنوا أنه شيء فوق التصورات العقائدية والشرائع السماوية، وأنه مبنوت الصلة بدين الله - تعالى - .

ولا شك أن هذا ظن عقيم ، وتصور خاطيء ، فمن المفروض أن يهتدي الإنسان بهذه القدرات العلمية ، لاسيما وقد تمخضت تلك القدرات العلمية الحديثة عن نتائج مذهلة دعت إليها نصوص الإسلام كتاباً وسنة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان أو أشارت إليه بتصريح أو تلميح .

وليس لشك في تلك النصوص يُستدل لها بالعلم التجريبي ، لاسيما قد تكون تلك النتائج اجتهاداً أو نظرية فليس معنى أن تكون النظرية أو الاجتهاد خطأ أن

نخطىء النص الشرعى ، وفى كل ما أوردته هنا لم أحمل نصاً فوق ما يحتمل أو أتكلف فى فهمه وفق تلك النتيجة التى تمخض عنها العلم الحديث ، بل أوردت ما لا يمكن أن يهمل أو يترك أو يُنظر إليه بعين الارتياب ، **ومن ذلك :**

١ . كشفت الدراسات الحديثة التى قام بها مجموعة من العلماء المتخصصين فى دراسة الظواهر الأرضية أن هناك علاقة بين الزلازل والبراكين ، وأنه يسبق ظهور البراكين حدوث الزلازل وهو ما حدث فى عام (٦٥٤هـ) .

٢ . خروج نار من أرض الحجاز هى من علامات الساعة الصغرى التى وقعت ولا زالت مستمرة .

٣ . هذه النار ليست هى النار التى تخرج فى آخر الزمان ، تحشر الناس إلى محشرهم ، والتى تكون من علامات الساعة الكبرى .

٤ . تشير الدراسات العلمية التى أجريت على منطقة الحجاز إلى أن الثورات البركانية التى كونت حرة رهط قد بدأت منذ عشر ملايين من السنين على الأقل ، وأنها تميزت بتتابع عدد من الثورات البركانية التى تخللتها فترات من الهدوء النسبى ، ونحن نحيا اليوم فى ظل إحدى هذه الفترات الهادئة نسبياً .

٥ . بعد رسم خريطة الحرارة الأرضية فى العالم تبين أن أعلى قدر من الحرارة الأرضية كانت تحت الحجاز وبخاصة تحت حرة خبير .

٦ . تم تسجيل زلزالين كبيرين وقعا فى حرة خبير ، أحدهما فى سنة (٤٦٠هـ) (١٠٥٧م) ، والآخر فى سنة (٦٥٤هـ) (١٢٥٦م) ، وقد سبقت الزلزال الأخير أصوات إنفجارات عالية ، تلتها ثورة بركانية كبيرة ، وصاحبته

هزات أرضية ، وقد كونت هذه الثورة البركانية الأخيرة عدداً من المخاريط البركانية ، ودفعت بملايين الأطنان من الحمم في اتجاه الجنوب ، ولا تزال تلك المخاريط البركانية تتعرض لأعداد كبيرة من الارتفاعات الاهتزازية الخفيفة التي توحى بأن الصهارات الصخرية تحت هذه المخاريط البركانية لا تزال نشطة ، مما يؤكد حتمية وقوع ثورات بركانية عارمة تخرج من أرض الحجاز في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله .

فسبحان الله الذي أعطانا هذا العلم الصحيح الذي لم تصل إليه مدارك الإنسان إلا منذ سنوات قليلة ، ونطق به المصطفى صلى الله عليه وسلم منذ حوالي (١٤٢٩) سنة مؤكداً على صدق نبوته ورسالته وصدق اتصاله بوحى السماء الذي وصفه الله - تبارك وتعالى - في كتابه .

عدة المطلقة

(الحكمة الإلهية والمعجزة العلمية)

د. فوزي محمد رمضان

- تاريخ الميلاد: ١٩٠٧-١٩٦٧
- الجنسية: جزائرية
- آخر مؤهل دراسي: شهادة ميكروبيولوجي من فرنسا
- التخصص العام: صيدلة
- التخصص الدقيق: ميكروبيولوجي
- المرتبة العلمية: دكتور في الصيدلة
- دولة الإقامة: الجزائر
- العمل الحالي: صاحب صيدلية خاصة

ملخص البحث

قال تعالى : (**وَالْمَطَّلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**) البقرة (آية ٢٢٨)

- حكمة العدة كما قال علماء السلف ، براءة الرحم من الحمل .
- إن العلم يتثبت عن طريق تحليل الدم والبول لهرمون HCG لتؤكد في اليوم التاسع من تلقيح البويضة، وكذلك التصوير بالموجات الصوتية لتؤكد من عدم الحمل . إذا زالت العلة والسبب .

إن الله سبحانه وتعالى شدد على احترام العدة ولو بليلة لقوله تعالى :

(**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ**)

الطلاق (الآية ١) .

إذن هناك سبب يأتي من حكمة العدة، حيث أثبت العلم الحديث أن بويضة المرأة تخلق في ثلاثة قروء وهي مراحل خلق البويضات في المبيض وتسمى باللغة الأجنبية Oovogenesis . وتبدأ هذه المرحلة والمرأة جنين في رحم أمها .

عدة المطلقة التي تحيض وهي ثلاثة قروء لقوله تعالى : (**وَالْمَطَّلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**) .

فإذا طلقت المرأة في طهر ثم حاضت، ثم طهرت، ثم حاضت، ثم طهرت ثم حاضت . فإذا طهرت أنقضت عدتها . يبدأ إنتاج البويضة في الحيضة رقم ١ وتنتهي في طهر الحيضة الثالثة .

يبدأ إنتاج البويضة في الحيضة رقم ١ وتنتهي في طهر الحيضة الثالثة.



مدة تكوين البويضة $٢٨ + ٢٨ + ١٤ = ٧٠$ يوماً .

إذا طلق الرجل زوجته في طهر بعد اليوم العاشر من بداية الحيضة تكون في المبيض ثلاثة بويضات .

• البويضة الكبرى عمرها (مدة تكوينها) $٢٨ + ٢٨ + ١٠ = ٦٦$ يوم

• البويضة الوسطى عمرها (مدة تكوينها) $٢٨ + ١٠ = ٣٨$ يوم

• البويضة الصغرى عمرها (مدة تكوينها) ١٠ أيام

علماً أن البويضة تخرج من المبيض في اليوم ١٤ عشر من يوم بداية الحيض .

ففي الحيضة الأولى بعد الطلاق تخرج من المبيض البويضة الكبرى مع دم الحيض لأنها لم تلقح .

وفي الحيضة الثانية بعد الطلاق تخرج البويضة الوسطى .

وفي الحيضة الثالثة بعد الطلاق تخرج البويضة الصغرى .

الخلاصة :

لقد تخلص الرحم من البويضات الثلاث التى كانت فى طور التكوين بالحيضات الثلاث، أما البويضة الرابعة فقد كانت فى المخزن وبدأت رحلتها التكوينية بعد الطلاق وهذه البويضة لا علاقة لها بالزوج الثانى لأنها لم تعش مع الرجل الأول ولا تحمل شفرته ولم تسقى بهائه . وصدق رسول الله فى قوله : « لَا يَحُلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُسْقِيَ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ »

هناك رواية يسقى ماءه ولد غيره ولكن بعد البحث تأكدنا أن الرواية الصحيحة هي زرع غيره. لذلك نقول إن المقصود هنا ليس الولد كما ذكر بعض المفسرين لأن الولد قد تكون جينيا وأصبح ثمرة . والمقصود هنا بالزرع والله أعلم وهي البويضات، لأن الولد هو ثمرة الزرع والبويضة هي الزرع الحقيقى قبل النضج . فمن أخبر محمد بن عبد الله بأن هناك زرع للرجل الأول وهو البويضات. الذى أخبره هو الذى أرسله وهو الذى خلق هذه البويضة وهذه المرأة.

البصمة أو العلامة الوراثية : Code

بالنسبة للإنسان نحن نعلم أن الرجل يقذف من ١٥٠ مليون إلى ٤٥٠ مليون حيوان منوى فى قذفة واحدة. ولكن المعجزة الإلهية أن هناك واحد فقط يدخل البويضة. وهناك عندنا فيلم حقيقى يصور مرحلة اختراق الحيوان المنوى للبويضة. بعد ذلك تغلق البويضة ولن يدخلها آخر وتموت البقية كمدا وحسرة على جدارها، وهي الظاهرة التى أطلق عليها العلماء - علاقة القفل والمفتاح - أى عند هذا الحيوان المنوى المفتاح الذى يفتح به ونحن عندما شاهدنا الفيلم السابق لاحظنا أن الحيوان المنوى الذى دخل البويضة لم يكن من الأوائل الذين وصلوا إلى جدارها.

هذه الشفرة (Code) تصنع والبويضة في رحم الزوجة والحيوان المنوي في خصية الرجل مع العلم أن مدة تخليق الحيوانات المنوية هي نفسها مدة تخليق البويضة - فسبحان الله؛ إذ إن مادة الهستون هي المسؤولة على الشفرة (Code) وتوجيه الحيوان المنوي لتلقيح البويضة وطبقت هذه التجربة على الفئران حيث نزعَت هذه المادة من DNA فأصبحت الحيوانات المنوية غير ملقحة، وهذه التجربة قام بها الدكتور سعيد كشبان .

هذا هو الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهو حجة علينا نحن المسلمين وخاصة الأطباء منا والمختصين. وصدق الله العظيم في قوله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق».

وهو حجة على اللذين ينكرون هذا الدين ويتطاولون على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

لنثبت للعالمين أننا على حق وكتابنا حق. ورسولنا حق. ونتحداهم أن يأتوا بحقيقة علمية واحدة جلية ذكرت في كتبهم وأثبتها العلم الحديث، ثبوتا واضحا لا غبار عليه .

لذلك إن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة هو السد المنيع والدرع الواقي لشبابنا المتعلم، ضد كل التيارات الإلحادية والمسيحية منها، و اليهودية التي تريد النيل من عقيدتنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بدعوى العلم والعولمة. ولكن يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

وإن هذا القرآن لا تنقضي عجائبه فسبحان الذي قدر فهدي، سبحان الذي خلق الإنسان من نطفة تمنى ، سبحان الذي خلق فسوى، سبحان الذي ما شرع إلا للحكمة وما حكم إلا لغاية.



**المؤتمر العالمي العاشر
للإعجاز العلمي في القرآن والسنة**

**ملخصات بحوث
محور الفلك وعلوم الفضاء**



ظاهرة السراب بين العلم وحقائق الكتاب

حسن يوسف شهاب الدين

- الميلاد: ١٩٨٠ / ١ / ٢٢
- مكان الإقامة: سوريا/ ريف دمشق / قطنا.
- الشهادة: بكالوريوس في العلوم الفيزيائية، جامعة دمشق ٢٠٠٤.
- العمل: مدرس مادة الفيزياء.
- متفرغ للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

كتب قيد الإنشاء:

- قضايا فيزيائية من وحي القرآن والسنة النبوية.
- السيف البتار على شاتم المختار.

ملخص البحث

النص المعجز:

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابًا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ {٣٩} . [سورة النور].

الحقيقة العلمية

تعريف ظاهرة السراب هي خدعة بصرية (ضوئية) تحدث نتيجة ظروف البيئة المحيطة من اشتداد درجة الحرارة والأرض المستوية ، واختلاف في معامل الانكسار مما يجعلها في حالة توهج شديد ، حيث تبدو كالماء الذي يلتصق بالأرض ليعكس صوراً وهمية للأجسام ، وكأنها منعكسة عن سطح مرآة كبير، وترجع تسمية السراب عند العرب إلى سرب الماء أي جرى وسار.

السبق العلمي لدراسة ظاهرة السراب:

كان السبق في دراسة هذه الظاهرة للعالم المسلم، الحسن ابن الهيثم البصري الذي كان رائداً في هذا المجال وكان أول من أعطى تفسيراً لهذه الظاهرة بشكل علمي وفيزيائي.

أنواع السراب

١. السراب الصحراوي

هو السراب المألوف والمعروف يحدث في المناطق الصحراوية

٢. السراب في المدن

هو سراب يظهر في الطرقات المعبدة

٣. السراب الجانبي

يظهر هذا النوع على جدران الأبنية الملساء

٤. السراب القطبي

يظهر في المناطق الساحلية

شروط وصفات ظاهرة السراب

١ - المكان المناسب لحدوثها.

٢ - اشتداد الحرارة.

٣ - السراب يشبه سطح الماء.

٤ - وجود الهواء المتحرك.

٥ - كلما اقتربنا منه ابتعد عنا، (ثبات المسافة بين عين الناظر والسراب).

وجه الإعجاز العلمي:

سيتين للقارئ المتأمل في الآية الكريمة أن كل كلمة من كلماتها تحمل إعجازاً

مبهراً وإليكم التفصيل:

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ ﴾.

لا يحدث السراب إلا في الأرض القيعية والتي تعني الأرض المستوية أو ما انبسط من الأرض ولا يتكون السراب إلا بوجود هذا المكان الخاص.

ولكن الكفار ليسوا فقط من أهل الصحراء الذين ألفوا السراب وعرفوه، بل هم في كل مكان مأهول، فمنهم من يعيش في المدن ذات الطرقات المرصوفة والأبنية الشاهقة، ومنهم من يعيش في المناطق الساحلية.

وهنا يكمن إعجاز القرآن الكريم في أن السراب يحدث في كل الأماكن التي تكون فيها الأرض منبسطة ومستوية، وهذه المعلومات عن أنواع السراب سابقة الذكر لم تكن معروفة في زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأنها اقتصرنا على السراب الصحراوي.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ﴾. الظمان: ما اشتد عطشه و يصبح كذلك تحت ظروف الجو الحار، وهذا يدل على الشرط الثاني.

والإعجاز المبهر والذي لا جدال فيه عند أصحاب الاختصاص، تشبيه السراب بالماء وليس بالمرأة مثلما قال العلماء الغربيون فشتان ما بين الانعكاس عن سطح الماء و سطح المرأة، لأن ظاهرة السراب لا تحدث إلا بوجود الهواء المتحرك (تيارات الحمل) فتظهر طبقات الهواء متموجة مثل الماء، وهذا هو الشرط الثالث والرابع.

والمعادلة الفيزيائية لظاهرة السراب تكمن بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ

شَيْئًا ﴿﴾، نستنبط من هذه الكلمات الربانية أنه كلما اقتربنا من السراب ابتعد عنا وبالتالي فإن المسافة بين عين الناظر والسراب ثابتة وهذا هو الشرط الخامس.

وجه الإعجاز البياني:

استعمال الفعل (يحسب) دون الفعل (يظن).

نستدل على دقة اللفظ القرآني في هذه الآية الكريمة من سر اختيار الله سبحانه وتعالى للتعبير عن أعمال الذين كفروا كالسراب بفعل ﴿ يَحْسِبُهُ ﴾، دون الفعل (يظنه)، لأن الفرق في المعنى بينهما دقيق جداً وكل فعل منهما له معنى مختلف عن الآخر. وجيء به على صيغة المضارع، ليفيد معنى التجدد والاستمرار.

فالفعل (حسب): الحِسْبَانُ هو أن يحكم الحاسِبُ لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله.

ومنه يأتي الفعل (حسب) مناقض لما ترى.

والسراب في الحقيقة خدعة بصرية يحسبه الرائي ماء لا وجود له.

أما فعل (يظن) فهو أن يخطر النقيضان ببال الظانِّ، فيُغلبُ أحدهما على الآخر. فالظنُّ: التردُّدُ الرَّاجِحُ بين طَرَفَيِ الاعتقادِ غيرِ الجازِمِ.

ويكمن الإعجاز البياني في استعمال الفعل (حسب) دون الفعل (ظن)، لأنه يستعمل لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر ببال الحاكم.

مرور البرق بين العلم والإيمان

المهندس عبد الدائم الكحيل

- باحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة
- مواليد مدينة حمص عام ١٩٦٦
- متزوج ولديه ولدان فراس وعلاء.

المؤهل العلمي

- يحمل إجازة في الهندسة الميكانيكية من جامعة دمشق ١٩٩٥. وحاصل على دبلوم في التربية وآخر في هندسة الموائع بتقدير جيد جداً من جامعة دمشق..
- العمل: موظف في مجال الإشراف الهندسي بوزارة العدل.

النشاط الفكري

- شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العالمية، منها المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في الكويت عام ٢٠٠٦، والندوة الثانية للإعجاز بدبي عام ٢٠٠٧، والتي أقامتها جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم حول موضوع الإعجاز العددي، كذلك شارك في عدد من الندوات العلمية

التي تقيمها الهيئة المغربية للإعجاز العلمي بالرباط والمدن المغربية عام ٢٠٠٧.

- لديه عدد من الأبحاث والاكتشافات العلمية الجديدة في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.
- يحرص على متابعة كل جديد في أخبار العلم والحقائق العلمية، والبحث عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن هذه الحقائق.

الأهداف:

يهدف من خلال دراساته العلمية إلى:

- الدعوة إلى الله تعالى بأسلوب العلم والحوار العلمي بعيداً عن التعصب والجهل.
- تقديم البراهين المادية العلمية على أن القرآن لا يتناقض مع الحقائق العلمية اليقينية.
- إظهار الصورة الصحيحة للإسلام.

الأعمال المنشورة

- ١- إشراقات الرقم سبعة في القرآن الكريم (إصدار جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم).
- ٢- الله يتجلى في آياته.

- ٣- أسرار الكون بين العلم والقرآن.
- ٤- معجزة السبع المثاني.
- ٥- أسرار (الم) في القرآن الكريم.
- ٦- حقائق تكشف أسرار القصة القرآنية.
- ٧- معجزة القرن الحادي والعشرين.
- ٨- معجزة (قل هو الله أحد).
- ٩- معجزة القرآن في عصر المعلوماتية.
- ١٠- معجزة (بسم الله الرحمن الرحيم).
- ١١- الإعجاز القصصي في القرآن الكريم.
- ١٢- آفاق الإعجاز الرقمي في القرآن.
- ١٣- سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (كتيبات ١-١٢).
- ١٤- سلسلة معجزة الرقم سبعة في القرآن الكريم (كتيبات ١-١٢).
- ١٥- أسرار إعجاز القرآن: ٧٠ حقيقة رقمية تشهد على صدق القرآن.
- ١٦- روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

ملخص البحث

بيّنت التجارب الجديدة أن أي ومضة برق ليست مستمرة كما نراها، بل تتألف من عدة أطوار، أهمها طور المرور، وهو الشعاع الذي يمرّ ويخطو من الغيمة باتجاه الأرض، وطور الرجوع، وهو الشرارة التي ترجع باتجاه الغيمة.

وهذا يعني أن شعاع البرق يمرّ ثم يرجع خلال زمن غير مدرك بالعين المجردة، وهذا الزمن يقدر وسطياً بعشرات الأجزاء من الألف من الثانية.

يقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام متحدثاً عن ظاهرة البرق: **(ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟)**^(١).

ففي هذه الكلمات معجزة علمية شديدة الوضوح، خصوصاً إذا علمنا أن العلماء يستخدمون الكلمة ذاتها التي استخدمها النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وذلك من خلال تعبيرهم عن طوري المرور والرجوع، وأن هذين الطورين يستغرقان مدة من الزمن تساوي الزمن اللازم لطرفة العين!

في هذا البحث سوف نرى أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد تحدّث عن أطوار البرق، بل وحدّد زمنها أيضاً، وربما نذهل إذا علمنا أن الزمن اللازم لضربة البرق هو الزمن ذاته اللازم لطرفة العين!

مع العلم أن الزمن اللازم لكل طور يقاس بأجزاء من الألف من الثانية، وبالطبع لا تستطيع العين أن تحلّل المعلومات القادمة إليها خلال زمن كهذا.

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب: «أدنى أهل الجنة منزلةً فيها»، رقم ٣٢٩ / ١٩٥، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٥.

وهذا يثبت أن الرسول الكريم يحدثنا عن أشياء لم نتمكن من رؤيتها إلا بأجهزة التصوير المتطورة والتي تلتقط أكثر من ألف صورة في كل ثانية.

سوف نرى أيضاً معجزة نبوية في هذا الحديث تتمثل في إشارة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام إلى سرعة البرق، وأنه يستغرق زمناً ليُمرّ ويرجع، وليس كما كان الاعتقاد السائد أن البرق يقطع أي مسافة بلمح البصر دون الحاجة إلى زمن.

وهذا يدلّ على أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يوافق الناس في ذلك الزمن على معتقداتهم العلمية الخاطئة، بل صحّح لهم هذه المعتقدات بكل صراحة ووضوح. ولو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً من عند الله، إذن لامتزج حديثه بخرافات عصره.

فعندما نتأمل ظاهرة البرق، وكيف أن العلماء لم يكتشفوا مرور البرق ورجوعه وكذلك زمن ومضة البرق إلا في أواخر القرن العشرين ولم يتأكدوا منه كحقيقة يقينية إلا في القرن الحادي والعشرين، وعندما ندرك التطابق الكامل بين ما جاء به النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم، وبين هذه الحقائق لا بد أن ندرك أن هذا النبي الأمي لا ينطق عن الهوى بل جاء بالحق، وأن الإسلام هو دين العلم ودين الحقائق العلمية.

والشيء المعجز حقاً أن الرسول الأعظم استخدم هذه المعجزة العلمية أثناء الحديث عن القيامة التي ينكرها الملحدون، وكأنه يريد أن يخاطبهم بلغة العلم التي يفهمونها جيداً ويؤكد لهم: كما أنهم رأوا حقيقة مرور البرق ورجوعه، وهي حقيقة يقينية، فكذلك سوف يرون حقيقة يوم القيامة والمرور على الصراط.

فالمؤمن يزداد إيماناً عندما يرى هذه المعجزة النبوية، وإذا لم تتيسر له رؤية هذه المعجزة أو غيرها، فلن يختل إيمانه أبداً! أما الملحد فلا تقنعه إلا البراهين العلمية المادية، وهذا الحديث هو واحد منها.

ويمكن القول إن كل كلمة نطق بها سيد البشر وخير الخلق، هي وحيٌّ من عند خالق البرق سبحانه وتعالى، وأن الرسول على حق وأن الإسلام دين العلم. وأن هذا الحديث الشريف من دلائل نبوة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وأنه حقاً كما وصفه الله تبارك وتعالى بقوله:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

نسأل الله تعالى أن يجعل في هذا البحث الخير والهداية والإقناع لكل من يشك برسالة الإسلام وبنبوة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام.

مصاييح الكون

د . يس بن محمد المليكي

• الفلك وعلوم الفضاء - جامعة الملك عبدالعزيز

ملخص البحث

يقول المولى تبارك وتعالى:

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

سنتناول في بحثنا هذا مصاييح السماء الدنيا، وجديد ما اكتشفته أحدث السفن الفضائية والمناظير بشقيها الأرضي والفضائي من النجوم المنتشرة في أرجاء الكون بدءاً من اقربها لنا وهي شمسنا حيث أنها أوضح وأقرب المصابيح الينا موضحين خواصها الفيزيائية معرجين على انواع شتى تختلف في الحجم والطاقة ثم نتناول الأبعد وهي ما تسمى بالنجوم المحلية ثم الأبعد في مجرات بعيدة وسنرى من عجائب صنيع الخالق تبارك وتعالى ما يجلي بعضاً من دلائل عظمته وقدرته وإتقانه في كونه العظيم فتبارك الله أحسن الخالقين.

تعريف المصابيح :

هى السرج المنيرة المتألاة المضىئة بذاتها والتى تمدنا بالضوء والحرارة وهى النجوم المنتشرة فى أرجاء الكون العظيم - وهى مفاعلات نووية كروية الشكل بلازمية الحالة ، هائلة الكتلة ، عظيمة الحجم ، عالية الحرارة. ومعظم عناصرها الهيدروجين والهليوم ترصد مجمعة بالمجرات كحشود نجمية ثنائية أو فردية أو أكثر، متماسكة بقوة الجاذبية على الرغم من بنائها البلازمى ، وتشع كلا من الضوء المرئى وغير المرئى بجميع موجاته . ويمكن من خلال المطاييف دراسة ضوء النجم الواصل إلينا والتعرف على العديد من صفاته الطبيعية مثل درجة لمعانه، شدة إضاءته ، درجة حرارته ، حجمه ، كتلته ، موقعه منا ، سرعة دورانه حول محوره ، وسرعة حركته فى مداره ، تركيبه الكيمىائى ، ومستوى التفاعلات النووية فيه الى غير ذلك من صفات فىزيائية.

وقد أمكن تصنيف النجوم العادية على أساس درجة حرارة سطحها إلى نجوم حمراء (٣٢٠٠ درجة مطلقة) وهى أقلها حرارة ، إلى نجوم برتقالية ، وصفراء ، وبيضاء مائلة إلى الصفرة ، وبيضاء ، وبيضاء مائلة إلى الزرقة ، وزرقاء (٣٠,٠٠٠ درجة مطلقة) وأشدها حرارة السوداء وتعد شمسننا من النجوم القزمة الصفراء متوسطة الحرارة إذ تبلغ درجة حرارة سطحها حوالي ستة آلاف درجة مطلقة.

مصاييح الكون

من المسلم به أن الكون مليء بالدخان والدخان به الغاز والتراب التى تشكل النجوم والتراب عبارة عن ذرات من الكربون والسيليكون وقد صورت كسدم وسحب منتشرة فى جميع أرجاء الكون والسدم هى أجنة لنجوم جديدة. وجميع

علماء الفضاء يقررون أن الكون كان وما زال مليئاً بغز حار ثم تبرد وأول ما تشكل منها هو النجوم. والقرآن يقرر بأن السماء أو الكون كان دخاناً ثم زين الله السماء بالنجوم وسماها المصابيح كما ذكر تبارك وتعالى.

مراحل المصابيح

تمر النجوم بمراحل من الميلاد والشباب والشيخوخة قبل أن تنفجر أو تتكسد على ذاتها فتطمطمسا كاملاً.

بعض أنواع المصابيح

- قلب العقرب وهو فوق عملاق أحمر
- أبط الجوزاء المستسعر القادم
- الفا قنطورس توأم الشمس
- نجم عملاق أحمر قيفاوي
- الذنب - أبيض فوق عملاق حار جدا
- ميرا - عملاق أحمر
- كايلا - نجم ثنائي أصفر عملاق
- آركتوروس - برتقالي عملاق
- الدبران - نجم عملاق أحمر
- آريداني - قزم أبيض
- الألماس - BPM 37093 -



**المؤتمر العالمي العاشر
للإعجاز العلمي في القرآن والسنة**

**ملخصات بحوث
محور الأرض وعلوم البحار**



إثبات توسط مكة المكرمة لليابسة

دراسة باستخدام القياسات وصور الأقمار الصناعية

أ.د. يحيى حسن وزيرى

- أستاذ العمارة المساعد ومحاضر بكلية الآثار - جامعة القاهرة.
- حاليا مدير عام المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والى اغائة.
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بمصر.
- عضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة.
- عضو اتحاد الأثاريين العرب.

الشهادات والمؤهلات والنجان العلمية :

- دكتوراه وماجستير فى العمارة البيئية.
- دبلوم الموارد الطبيعية، ودبلوم الدراسات الإسلامية.
- مهندس استشارى فى مجال التصميم الداخلى، وخبير فى مجال العمارة الإسلامية والبيئية.
- شارك فى أعمال المراجعة والصياغة النهائية بلجنة إعداد كود مباني المعوقين بمركز أبحاث البناء عام ٢٠٠٠-٢٠٠١م.

- اختارته منظمة المدن العربية عام ١٩٩١م ضمن اللجنة التي تقوم بالترشيح للجوائز المعمارية للمنظمة.

الجوائز:

- ١- جائزة السلطان قابوس المعمارية عام ٢٠٠٢م (ديوان البلاط السلطاني بسلطنة عمان).
- ٢- الجائزة الأولى في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم عام ٢٠٠٥م (مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف).
- ٣- جائزة نادى الأهرام للكتاب لأفضل كتاب لعام ٢٠٠٦م (مؤسسة الأهرام المصرية).
- ٤- جائزة العلوم الهندسية في مجال العمارة والتخطيط العمرانى لعام ٢٠٠٦م (أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا).
- ٥- الجائزة الأولى في مجال التأليف المعماري لعام ٢٠٠٧م (منظمة العواصم والمدن الاسلامية).
- ٦- جائزة البحث العلمي بمسابقة الأقصى الدولية لعام ٢٠٠٧م (وزارة الأوقاف الكويتية).

الأبحاث و المؤلفات العلمية :

- له أكثر من مائة مقالا وبحثا ومؤلفا علميا منشورا، كما شارك في مؤتمرات ومحاضرات في القاهرة والمغرب والسعودية وسلطنة عمان والأردن ودي الكويت والجزائر وقطر والسودان وأسبانيا وتركيا.

ملخص البحث:

أولاً: وسطية مكة في القرآن الكريم:

- يقول تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً» (البقرة: من الآية ١٤٣).
- يقول تعالى: «ولتنذر أم القرى ومن حولها» (الأنعام: من الآية ٩٢).
- كما يقول تعالى: «وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها» (الشورى: من الآية ٧).

ثانياً: وسطية مكة المكرمة عند علماء التفسير:

- يقول القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، المعنى: وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطاً».
- ويقول ابن عطية: «وأم القرى مكة سميت بذلك لوجوه أربعة، منها أنها منشأ الدين والشرع، ومنها ماروي أن الأرض منها دحيت، ومنها أنها وسط الأرض وكالمنطقة للقرى، ومنه ما لحق عن الشرع من أنها قبلة كل قرية، فهي لهذا كله أم وسائر القرى بنات».
- ويقول أبو حيان: «﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، أم القرى مكة وسميت بذلك لأنها منشأ الدين، ودحو الأرض منها، ولأنها وسط الأرض، ولكونها قبلة وموضع الحج ومكان أول بيت وضع للناس».
- ويقول النسفي: «وسميت أم القرى لأنها سرّة الأرض...».

ثالثاً: إثبات توسط مكة لليابسة بالقياسات وصور الأقمار الصناعية :

استخدمت في بحثي لاثبات توسط مكة المكرمة لليابسة على برنامجين يعتمدان على صور الأقمار الصناعية الحقيقية للكرة الأرضية، وهما:

أ- جوجل إيرث Google Earth: وهو برنامج معروف بإمكانياته العالية لتحديد المسافات بين أي نقطتين على سطح الكرة الأرضية بدقة متناهية.

ب- Qibla locator: وهو برنامج مصمم خصيصاً لتحديد اتجاه القبلة بدقة متناهية من أي نقطة على سطح الكرة الأرضية، كما يحدد المسافة بين أي نقطة على الكرة الأرضية ومكة المكرمة (القبلة) بدقة متناهية أيضاً.

توسط مكة للعالم القديم (أفريقيا وأوروبا) :

- نقاط القياس: جنوب أفريقيا والساحل الغربي لأفريقيا وجزيرة أيسلندا.

المسافة المتوسطة بين مكة وأبعد النقاط في أفريقيا وأوروبا هي ٦٥١١ كم.

توسط مكة المكرمة لحدود العالم الجديد القريبة :

- نقاط القياس: الحدود القريبة لآستراليا والقارة الجنوبية والأمريكتين ومضيق برنج واليابان.

• المسافة المتوسطة بين مكة وتلك النقاط هي ٩٣٢٠ كم.

توسط مكة المكرمة لحدود العالم الجديد البعيدة :

- نقاط القياس: الحدود البعيدة لآستراليا والقارة الجنوبية والأمريكيتين.
المسافة المتوسطة بين مكة وتلك النقاط هي ١٣٢٦٩ كم.

توسط مكة المكرمة للمراكز الجغرافية قارات العالم الجديد :

- يقصد بالمركز الجغرافي لكل قارة بأنه النقطة التي تتوسط القارة من حيث المساحة.
- المسافة المتوسطة بين مكة وتلك النقاط هي ١١٤٩٤ كم.

رابعاً: شهادة عالم غربي :

طالب البروفيسور «أرنولد كيسر لنج» الأستاذ السابق بجامعة فيينا، أن يكون خط طول مكة هو خط التوقيت العالمي بدلاً من جرينتش، انظر الموقع الإلكتروني التالي:

www.chanceandchoice.com

الخلاصة :

تعتبر مكة المكرمة بمثابة مركز لأربعة دوائر، كل واحدة منها تمر بحد معين من حدود اليابسة وكذلك المراكز الجغرافية لقارات العالم الجديد، وهو ما يوضح الحكمة الالهية من اختيارها لتكون قبلة ومكان حج الأمة الاسلامية، كما يوضح اعجاز القرآن الكريم في وصفها باسم «أم القرى».

كثرة حوادث الزلازل والبراكين وخسف الأرض

دراسة مقارنة بين القرآن والسنة وعلم الجيولوجية الحديثة

أنيس الرحمن الندوي

• باحث في علوم القرآن والسنة ومعارفها، بنجلور (الهند)

ملخص البحث

كثرة الزلازل في الحديث النبوي

حديث ١ :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، حتى يكثروا فيكم المال فيفيض».

حديث ٢ :

عن سلمة بن نفيل السكوني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...بين يدي الساعة مؤتان شديد وبعده سنوات الزلازل».

آراء العلماء : الاحترار العالمي وصلته بالزلازل

إن كثرة حوادث الزلازل والبراكين لها صلة وثيقة بالارتفاع في شدة الحرارة العالمية، وإن ذوبان الصفائح الجليدية بسبب الاحترار العالمي على الأرض ليعتبر المسئول عن ظهور هذه الحوادث الخطيرة حسب رأي الخبراء:

«إن ثقل هذا الجليد السميك يضغط كثيرا على الأرض، وإن هذا الضغط يدفع الزلازل، ولكن لو أذبت هذا الجليد لتثير هذه الزلازل.» (خبير علم الأرض ببيترك وو، جامعة البرتا)

«إن علماء المنظمة الفضائية الأمريكية والمنظمة الجيولوجية الأمريكية اكتشفوا في الدراسة الحديثة وقالوا: إن ذوبان الصفائح الجليدية بجنوب ألاسكا يمهد إمكانية حدوث الزلازل في المستقبل، وإن هذه الدراسة قامت بالفحص ووصلت إلى أن إمكانية تصاعد النشاطات الزلزالية في جنوب ألاسكا قد قويت واشتدت نتيجة لسرعة ذوبان الصفائح الجليدية المتواجدة فيها. وكلما تذوب الصفائح الجليدية فإنها تقلل الثقل من على القشرة الأرضية، ومن هنا فإنه من المحتمل أن تتحرك الألواح التكتونية للأرض التي هي أجزاء متحركة للقشرة الأرضية بحرية أكثر لتلك العلة. (المنظمة الفضائية الأمريكية والمنظمة الجيولوجية الأمريكية)

الوضع الزلزالي الرهيب في العقود القادمة

الحديث الشريف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يوشك أن لا تجدوا بيوتا تكنكم، تهلكها الرواجف. ولا دواب تبلغوا عليها في أسفاركم، تهلكها الصواعق. (الفتن، نعيم بن حماد)

آراء علماء الجيولوجيا:

- «إن الشواهد والأدلة تتجمع من جميع أنحاء العالم على أن حوادث الزلازل والبراكين والانزلاق الأرضي الخطير على قاع البحر تحمل أن تتزايد بل ستكون بالفعل نتيجة للتغيرات الموسمية العالمية». (بل ميك كير، خبير جيولوجي بريطاني)
- آراء علماء المنظمة الفضائية الأمريكية والمنظمة الجيولوجية الأمريكية التي سبقت ذكرها.

حوادث خسف الأرض

١- حوادث الخسف في القرآن الكريم:

﴿أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر.﴾ الإسراء: ٦٨

٢- حوادث الخسف العامة في الحديث:

فعن طارق بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف». (سنن ابن ماجه ومستدرک حاکم)

عن عبد الرحمن بن سابط قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه كائن فيكم مسخ، وخسف، وقذف....». (الفتن، نعيم بن حماد)

٣- حوادث الخسف الثلاثة الكبيرة في الحديث:

عن حذيفة بن أسيد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تكون الساعة حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب..» (صحيح مسلم وغيرها)

٤- إمكانية وقوع حوادث خسف الأرض في ضوء الاكتشافات الجيولوجية الحديثة:

إن ذوبان الصفائح الجليدية على النطاق الواسع يسبب خللا وأخطار كبيرة في الاتزان الثابت للقشرة الأرضية isostasy. فمن ثم يرى العلماء أن هذا الوضع ينتج في وقوع حوادث رهيبه مثل:

- خسف الجزء القاري بسبب ارتفاع مستوى البحر submarine landslides
- خسف الجزء القاري بسبب خروج غاز هيدرات gas hydrates
- خسف القشرة الأرضية sinking of earths crust / subsidence

الوضع الرهيب لحوادث الخسف في العقود القادمة

في الحديث:

عن أبي زيد الأنصاري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده ليأتين على هذه الأمة يوم يمسون فيه يتسائلون فيه بمن خسف الليلة. كما يتسائل أهل الموتى من بقي من آل فلان. (مسند الحارث)

آراء علماء الجيولوجيا :

«إن الشواهد والأدلة تتجمع من جميع أنحاء العالم على أن حوادث الزلازل والبراكين والانزلاق الأرضي الخطير على قاع البحر تشمل أن تتزايد بل ستكون بالفعل نتيجة للتغيرات الموسمية العالمية». (بل ميك كير، خبير جيولوجي)

وجه الإعجاز

إن العلم الحديث قام بالتصديق على سائر بيانات القرآن والسنة بصدد ظاهرة كثرة الزلازل وخسف الأرض على وجه شامل. ومن هنا فإنه كما يسطع إعجاز معارف القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حرفا فحرفا في ضوء الدراسات العلمية الحديثة، فكذلك يتحقق علم قرب القيامة في نفس الوقت، وكما يعلم منها وجود الإله العليم الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

الإعجاز في تقسيم الرياح البحرية

د. صالح بن عبد القوي بن إسماعيل السنباني

- محل وتاريخ الميلاد: اليمن عام ١٣٨٥هـ الموافق ١٩٦٥م.
- العمل الحالي: رئيس قسم الإعجاز العلمي - جامعة الإيوان

الدراسة العلمية :

- من أوائل الجمهورية اليمنية في المرحلة الابتدائية والثانوية.
- بكالوريوس علوم الفيزياء جامعة الملك سعود بالرياض (السعودية).
- التحق معيداً بجامعة الإيوان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥.
- التحق بالدراسات العليا جامعة الإيوان (علوم شرعية لمدة ثلاث سنوات).
- عين مدرساً مساعداً في جامعة الإيوان (١٤٢١هـ - ٢٠٠١).
- حصل على درجة المشيخة تخصص الإعجاز العلمي في الطب الوقائي (٢٠٠٢).
- حصل على ثلاثة مؤهلات من كلية التربية (جامعة صنعاء):

- دبلوم تربية.

- تمهيدي ماجستير

- ماجستير (مناهج وطرق تدريس العلوم)

- عين رئيساً لقسم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (٢٠٠٣)، كلية الإيـان - جامعة الإيـان.
- حصل على درجة الدكتوراه بامتياز من جامعة أم درمان الإسلامية في الدراسات الإسلامية، عن أطروحته (الاكتشافات العلمية لعلوم الأرض «الجيولوجيا» في ضوء القرآن والسنة).

البحوث العلمية :

- اشترك في تأليف كتب علم الإيـان المقررة في جامعة الإيـان.
- اشترك في تأليف مناهج الإعجاز العلمي في المقررة في جامعة الإيـان.
- اشترك في تأليف وإعداد مفردات ومساقات ومناهج قسم الإعجاز العلمي كلية الإيـان.

الإنتاج العلمي المنفرد :

- كتاب الإعجاز العلمي في الطب الوقائي (مطبوع).
- كتاب الإعجاز العلمي في الطب العلاجي.
- كتاب الإعجاز العلمي تاريخه ومؤسساته (مطبوع).
- مجموعة بحوث في الفيزياء.

ملخص البحث

تناول البحث دراسة الإعجاز القرآني في تقسيم الرياح البحرية:

قال تعالى (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) الشورى: ٣٣.

وقال تعالى (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِيَمِهِمُ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) يونس: ٢٢،

وقال تعالى (أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) الإسراء: ٦٩

أوجه الإعجاز

١- يكون هذا الموج ذو القمم المتراكمة على بعضها مع وجود فجوات تحتها على شكل ظلل، والقرآن الكريم أتى معبراً عن هذا النوع بأدق الألفاظ الموضحة لذلك فعبر عن الموج « غشيهم موج » ووصف شكله « كالظلل » ولم يقل ظلة لأنها عبارة عن عدة ظلل متتابعة.

٢- إن لفظ « غشيهم » يدل على أن هذا الموج غطاهم من فوقهم لكنه لم يحط

بهم من كل الاتجاهات فهو موج بارتفاع هائل يغطي السفينة كما رأيناه في الصورة فهو يختلف عن الموج الذي رأيناه في الريح العاصف من حيث سبب التكوين والشكل وتأثيره على السفينة وراكب البحر.

٣- هدد الله عز وجل الكافرين بالريح القاصف وأخبر بأنها تغرق السفينة ولم يهدد بهذا النوع من الموج مع أنه بشكل مخيف وبارتفاع هائل، لأن هذا الموج وإن كان بشكل مخيف وبارتفاع هائل وقد يغطي السفينة كما وصفت الآية (يغشاهم)، إلا أن هذا الموج لا تصل خطورته إلى خطورة الموج الذي ينشأ عن الريح القاصف فالسفينة تستطيع اختراق هذا الموج الذي يتشكل كالظلل ولا يصيبها أي ضرر ولذلك فقد جعل الله عز وجل الأمل للنجاة من هذا النوع فبين حالة راكب البحر عند مواجهة هذه الأمواج قال تعالى: (وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) لقمان: ٣٢.

وجعل التهديد بالغرق بالريح القاصف لأن الظواهر المصاحبة لها تدمر السفينة وتقصنها ولا يبقى أمل للنجاة وهذا وجه من أوجه الإعجاز القرآني،

قال تعالى (سُنُّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فصلت: ٥٣..

الفساد البيئي براً.. وبحراً.. وجواً..

د. أحمد مليجي

- المؤهل: دكتوراة في فلسفة العلوم
- التخصص العام : الجيولوجيا
- التخصص الدقيق: الجيولوجيا البيئية
- الوظيفة: استاذ مشارك
- عنوان العمل: المركز القومي للبحوث-الدقي-القاهرة.
- القاء المحاضرات المتخصصة في أماكن عديدة خارج مصر وداخل مصر وكذلك دورات لإعداد الدعاة بالأزهر الشريف .
- نشر العديد من الأبحاث العلمية المتخصصة في مجال الجيولوجية البيئية (٢٣ بحثاً).

ملخص البحث

النص المعجز:

قال تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [سورة الروم: ٤١].

إن من أشد الأسلحة الفتاكة التي تستخدم في قتل الإنسان وبصورة جماعية، ولا ترحم قوياً أو ضعيفاً، أو غنياً أو فقيراً، ألا وهو سلاح الفساد البيئي، وكأن ذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سورة الروم: ٤١]. وتشير الآية الكريمة بجلاء ووضوح إلى الفساد الذي يدمر البر والبحر نتيجة لتدخل الإنسان في قوانين المنظومة البيئية المتزنة. كما توضح الآية الكريمة الضرر البالغ الذي يحل بالإنسان من جراء عمله هذا، قال تعالى: {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا}. فإذا فسد الناس تركهم الله - سبحانه وتعالى - وشأنهم حتى يذوقوا بعض نتائج أعمالهم، لعلهم يرجعون ويتبهبون إلى الله - عز وجل.

أما من الناحية العلمية فقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن التلوث البيئي يؤدي إلى اختلال المنظومة البيئية، وبالتالي يسبب الأمراض القاتلة التي تودي بحياة البشر وباقي الكائنات الحية التي تعيش في البر والبحر. ومشكلة الفساد البيئي وإن بدت في أول الأمر مشكلة إقليمية تعاني منها بعض الدول، إلا أنها تحولت إلى مشكلة عالمية وعائق من عوائق تقدم الحضارة البشرية. والتلوث ليس له وطن واحد لأنه ينتقل بواسطة الرياح والأمواج والطيور عبر القارات حاملاً معه الملوثات الخطرة لتصيب البلدان التي تمر بها. ولقد تصاعدت ملوثات الغازات

المنبعثة مثل غازات الصوبة الخضراء «greenhouse gases» مسببه حدوث ظاهرة الاحتباس الحراري Global Warming ، كما تصاعدت معدلات الغازات الملوثة المنبعثة من البر والبحر لتتفاعل مع طبقة الأوزون محدثة الثقوب السوائية في هذه الطبقة «Ozone Hole» ومسببة اضطراباً بالغاً في الحياة على اليابسة نتيجة تسرب الأشعة فوق البنفسجية من خلال طبقة الأوزون.

ولقد أشارت الآية الكريمة إلى ظهور الفساد في البر والبحر والتي جاءت بصيغة الماضي كما في كلمة {ظَهَرَ} ، وذلك لأن المستقبل عند الله هو حقيقة واقعة لا بد منها وكأنها وقعت حتماً بالنسبة لله تعالى ولا مفر من حدوثها. وقد حدث التلوث وأصبح في يومنا هذا أخطر مشكلات العصر وأكثرها تعقيداً وأصعبها حلاً . ولقد اقتضت الآية الكريمة على ذكر الفساد الناتج عن الإنسان في البر والبحر ولم تذكر في الجو ، وهذا من أسرار البيان في التعبير القرآني حيث إنه يأتي بأمور تتناسب مع فهم المعاصرين آنذاك عند نزول الآية دون أن يتعارض مع المستقبل الذي حدث فيه الفساد جواً بسبب الإنسان. كما أن فساد الجو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بفساد الإنسان براً وبحراً ، وكل ما أصاب الجو من ملوثات وتغيرات مناخية تؤثر تأثيراً مباشراً بالضرر أو السقوط بفعل الجاذبية الأرضية مرة أخرى على البر والبحر.

إن الهدف من هذا البحث المتواضع الذي ارتكز أساساً على الآية المعجزة ، آية حدوث ظاهرة الفساد في البر والبحر ، هو دق ناقوس الإنذار على أن تحقيق التنمية التي هي ضالة كل مجتمع ، لا ينبغي أبداً أن تتم على حساب التوازن الإيكولوجي . كما أظهر البحث الحلول التي أشار لها القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان ، فالإسلام حقيقة يتمتع بنظرة أعمق

وأوسع للبيئة، حيث طالب الإنسان بأن يتعامل معها من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها حتى يستمر الوجود .

قال تعالى: (**وَلَا تَقْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**) [سورة الأعراف: ٨٥].

أسس علم الجيولوجيا من الآية (٤٧) في سورة البقرة

د. شريف على صادق

قسم الجيولوجيا - كلية العلوم - جامعة القاهرة

- العمل : مدرس بكلية العلوم - قسم الجيولوجيا - جامعة القاهرة
- محل العمل : قسم الجيولوجيا - كلية العلوم - جامعة القاهرة
- تاريخ الميلاد : ١٠ / يونيو / ١٩٧٥
- محل الميلاد : القاهرة - مصر.
- الجنسية : مصري
- الحالة الإجتماعية : متزوج
- الحصول على درجة الدكتوراه في فلسفة العلوم (جيولوجيا)
- التخصص الدقيق : طبقات و حفريات
- الجهة المانحة : كلية العلوم - جامعة القاهرة.
- الحصول على درجة الماجستير في العلوم (جيولوجيا)
- التخصص الدقيق : طبقات و حفريات

- الجهة المانحة : كلية العلوم - جامعة القاهرة.
- الحصول على شهادة المقررات التمهيدية المكملة لدرجة الماجستير.
- الحصول على درجة البكالوريوس في العلوم الجيولوجية.

ملخص البحث

إن البحث الذى بين أيدينا يتناول بالتفصيل الإعجاز العلمي و البلاغي للآية رقم ٧٤ من سورة البقرة إذ يقول الله تبارك و تعالى...

بسم الله الرحمن الرحيم...

(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة و إن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار و إن منها لما يشقق فيخرج منه الماء و إن منها لما يهبط من خشية الله و ما الله بغافل عما تعملون) (البقرة ٧٤).

ففى هذه الآية يصف الله عز وجل - فى المقطع الأول منها - مدى قسوة وشدة قلوب بنى إسرائيل ومدى كفرهم للحق الظاهر و إنكارهم لنعم الله عليهم و عدم خشيتهم منه بالرغم من كل ما رأوا من الآيات والنعم . . . ثم يضع الله قلوبهم موضع المقارنة مع الحجارة و التى تعتبر - فى نظر الإنسان - من أشد ما خلق الله قساوة وشدة.

و فى المقطع الثانى يضرب الله لهم الأمثال فى أن هذه الحجارة القاسية هى فى الحقيقة مصدر للخير والنماء وتحمل فى جوفها نبع الحياة كثنى الأم لولدها بل إنها من أكثر المخلوقات تضرعاً و خشية لله.

و من الناحية العلمية الجيولوجية فإن الآية تضمنت في طياتها كما كبيرا من أفرع علم الجيولوجيا والتي تم استخراجها من معانى الكلمات و الأفعال و الحروف بل و أيضاً من حيث ترتيب الجمل .

و نظراً لتنوع المعلومات التى احتوت عليها الآية و كبر حجمها فلقد تم تقسيم المقطع الثانى من الآية إلى ثلاثة جمل الا و هى :

الجملة الأولى : (و إن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار)

الجملة الثانية : (و إن منها لما يشقق فيخرج منه الماء)

الجملة الثالثة : (و إن منها لما يهبط من خشية الله)

و فيما يلي ذكر أفرع علم الجيولوجيا التى تطرقت اليها الجمل القرآنية الثلاثة:

١ - علم تصنيف الصخور و المعادن Rock Petrology & Mineralogy

٢ - علم الصخور الرسوبية Sedimentary Rocks

٣ - علم الجيولوجيا الهندسية Engineering Geology

٤ - علم جيولوجيا المياه Hydrogeology

٥ - علم المياه Hydrology

٦ - علم الجيولوجيا التركيبية Structural Geology

٧ - علم الطبقات Stratigraphy

الحقيقة العلمية :

وتتمثل الحقيقة العلمية بالنسبة للجملة الأولى في شرح و وصف دور الماء ، و كيفية عمله لإنشاء مجموعة من الشقوق في طريق محدد داخل الحجر المخترن فيه . و أما في الجملة الثانية فتمثل الحقيقة العلمية في وجود ما يعرف باسم «كهوف الحجر الجيري» . أما بالنسبة للجملة الثالثة فتمثل الحقيقة العلمية أيضاً في وجود ظاهرة « الهبوط الأرضي» بصور متعددة، والتي تم وصفها ودراسة أسبابها و علاج الأضرار الناشئة منها .

وجه الإعجاز

يتمثل وجه الإعجاز في أن علم الجيولوجيا هو علم وصى - في المقام الأول - يتناول بكل فروعه وصف و دراسة كل ما تحتويه ، وتظهره الصخور والجبال و الطبقات الصخرية ، وكذلك الحال التي تكون عليها . . . فنجد أن الآية قد احتوت على وصف دقيق و بليغ بل و شديد العمق العلمي ، وكذا على مجموعة من أهم الظواهر الجيولوجية ؛ كما أنه يتبين لنا من ذلك الوصف أنه ما كان ليكون بهذه الدقة إلا بناءً على معرفة تامة و شاملة بالأفرع العلمية العديدة لعلم الجيولوجيا .

فتمثلت أوجه الإعجاز في الإختيار الأمثل للكلمات و الحروف الوصفية ألا و هي كالتالى:

الجملة الأولى : الفعل « يتفجر » و حرف « الهاء » في « منه »

الجملة الثانية : الفعل « يشقق » و حرف « الهاء » في « منه »

الجملة الثالثة : الفعل « يهبط » و شبه الجملة « من خشية الله »

فكيف يتأتى ذلك كله من رجل أمي كان يرعى الغنم و يتاجر في الأسواق...؟؟

أجل! لقد تأتي هذا لأنه رسول و نبي مرسل من رب العالمين قد جاء بالحق المبين.

فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أزكى الصلاة والتسليم....

و الحمد لله رب العالمين

القرآن وأنظمة الأرض الدينامكية

أ.د. زكريا هميمي

أ.د. محمد هداية الله قاري

د. محمد إبراهيم متساه

- قسم الجيولوجيا البنائية والاستشعار عن بُعد، كلية علوم الأرض، جامعة الملك عبد العزيز

ملخص البحث

ثمة فرعٌ من أفرعِ علمِ الجيوفيزياء، يُعرف باسم «الجيوديناميكيا» (ديناميكيا الأرض) Geodynamics، يهدف إلى دراسة تطور الغلاف الصّخري ووشاح الأرض (الستار-اللّحاف) Mantle ولُبّها الدّاخِلي Core، ويقوم على استخدام البياناتِ المتّاحة من أنظمة تحديد المواقع العالمية الجيوديسية Geodetic GPS، وعلم الزلازل، والنماذج الرقمية Numerical models، بجانب تقنيات الاستشعار عن بُعد بأنظمة الرادار المُستخدمة في الجيوديسيا والمجالات العلمية المُختلفة InSAR or IfSAR.. ولقد تبيّن من خلال هذا الفرع وغيره من أفرع علوم الأرض، وبخاصة «الجيوتكتونيكيا» (تكتونية الأرض) Geotectonics،

أن الغلاف الصّخري للأرض ونطق الأرض المختلفة (القشرة-الوشاح-اللّب) في حالة حركة دائبة، ومن ثمّ خرجت إلى حيز الوجود نظرية «بنائية الألواح» (تكتونية الألواح-تكتونية الصفيح) Plate Tectonics التي تنص على أنّ الغلاف الصخري للأرض (الليثوسفير) Lithosphere يتألف من مجموعة من الألواح التكتونية (الصفائح التكتونية)، تطفو فوق نطاق لدن يُعرف باسم «نطاق المور» (الريوسفير-الأيثنوسفير-نطاق السرعات الضعيفة) Rheosphere، وهذه الألواح تتحرك متباعدة عن بعضها في مناطق ومُتقاربة في مناطق أخرى.. وتعدُّ نظرية «بنائية الألواح» واحدة من أشهر وأكبر خمس نظريات في المجالات العلمية على الإطلاق؛ بجانب النظرية النسبية Relativity لـ«ألبرت أينشتاين»، ونظرية الانفجار العظيم Big Bang التي أرسى أسسها «جورج ليمتريه»، والجدول الدوري Periodic Table لـ«ديمتري مندليف» ونظرية التطور والنشوء Evolution لـ«شارلز دارون»، مع ضرورة التأكيد على أنّ الفكرة التي تقوم عليها نظرية التطور والنشوء ثبتت عدم صحتها وتمّ دحضها علمياً، كما أنها تتنافى مع جاءت به الرسالات السماوية، وبخاصة شريعة الإسلام الغراء.. وفي كل يوم تراكم الأدلة العلمية المؤكدة لصحة نظرية «بنائية الألواح» من خلال سبر قيعان البحار والمحيطات بأجهزة عالية الدقة، ومن خلال مشروع الحفر في البحار العميقة، ومن خلال المستشعرات الفضائية وأجهزة المسح الجيوديسي التي ترصد تحركات الكتل القارية.

وإذا كان الغلاف الصّخري للأرض في حالة حركة مُستمرة وديناميكية لكنها تتم ببطء شديد للغاية يصعب إدراكها بالعين المجردة، إذ يتراوح معدل الحركة الجانبية للألواح التكتونية من ٦٦، ٠ إلى ٨، ٥٠ سنتمتر في العام، فإنّ هنالك

دورةً أخرى أسرع حركةً وأظهر ديناميكية تُعرف باسم «الدورة المائية» أو «الدورة الهيدرولوجية» Hydrologic cycle تقوم على تتبع ووصف حركة المياه فيما بين الغلافين المائي والهوائي وداخل المسامات الصخرية.. وإزاء هذا يُصنّف العلماء أنظمة الأرض الديناميكية إلى نظامين رئيسين، هما: النظام التكتوني (النظام الحركي) Tectonic System، والنظام المائي (النظام الهيدرولوجي) Hydrologic System.. وترتبط حركة النظام الأول بطاقة حرارية كامنة في باطن الأرض وبتيارات حمل كامنة في نطاق المور (الريوسفير- الأئينوسفير- نطاق السرعات الضعيفة)، بينما ترتبط حركة النظام الثاني بالطاقة الشمسية وبالجاذبية الأرضية.

وبإمعان النظر في كتاب الله عزَّ وجلَّ نجدُ أنَّ هناك إيماءات كثيرة تُشير إلى النظام التكتوني (الظام الحركي) من ضمنها على سبيل المثال لا الحصر:

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨)

﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا﴾ (النازعات: ٣٢)

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (الطارق: ١٢)

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠)

وفي الآية (٨٨) من سورة النمل يُشير القرآن الكريم إلى أن الجبال ليست جامدة ولا هامة، ولكنها تتحرك، وحركتها أشبه ما تكون بحركة السحاب في جو السماء.. وفي الآية (٣٢) من سورة النازعات يُشير القرآن الكريم إلى ثلاث حقائق علمية مهمّة؛ أولاها: أن الجبال تتحرك، وثانيها: أن حركتها حركة أفقية

(وهذا ما نقول به نظرية بنائية الألواح)، وثالثها: أنها تتحرك فوق وسط سائل أو منصهر أو مائع.. وفي الآية (١٢) من سورة الطارق تُوصف الأرض بأنها مُتَصَدِّعَةٌ، والتعريف العلمى للصدع Fault: هو كسر أو شق فى الغلاف الصخري للأرض يكون مصحوبًا بحركة ظاهرة على جانبيه.. وفي الآية (٣٠) من سورة الأنبياء إشارة واضحة إلى أن السموات والأرض كانتا مُلتصقتين وملتحمتين فى بداية الخلق، ثم فُتِّقَتَا وانفصلتا عن بعضها البعض، وتحتل الآية أيضًا أن يكون المقصود احتواء الأرض على بعض نطاقات الفتق أو التَّخَدُّد Rift zones.

وهناك إيماءات قرآنية كثيرة أيضًا إلى النظام المائى (النظام الهيدرولوجى)، منها:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف : ٥٧)

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (السجدة : ٢٧)

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت : ٣٩)

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَبْتَنَّا فِيهَا حَبًّا. وَعَبْنَا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدائقَ غَلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (عبس : ٢٤-٣٢)

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون : ١٨)

والآيات سالفة الذكر، وغيرها الكثير، تُشير إلى طلاقةِ القُدرةِ الإلهيةِ التي أبدعت أياً ابداع حين جعلت الدّورة المائيّة (الدّورة الهيدرولوجية) تتم وفقّ ناموس مُحكم، لا يعتريه الخلل، ولا يُمكن أن يُصيبه عوّار؛ فعندما تتساقط أشعة الشمس على صفحات البحار والمحيطات تحدث عملية بخر Evaporation، ثم عملية تكاثف Condensation، ثم يتساقط الماء فوق سطح الأرض في صورة مطر أو برد ليتستفيد منه الإنسان والحيوان والنبات، وبعض الماء يأخذ طريقه ويستقرّ في مكان مناسب في جوف الأرض لتتشكل بذلك المياه الجوفية (المياه الباطنية) Groundwater.

فمن الذي أخبر رسولنا الأُمّيّ، صلوات الله وسلامه عليه، بهذه الحقائق العلمية التي لم تكن معروفةً على الإطلاق زمن نزول الوحي، والتي كان الحديد والوُلوج فيها يُعدُّ ضرباً من ضروب الخيال العلميّ حتى عُقودٍ قريبةٍ.. إنَّ الذي أخبره وأوحى إليه هو الذي خَلَقَ فَسَوَّى، والذي قَدَّرَ فَهَدَى، والذي أعطى كُلَّ شيءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى، سبحانه وتعالى.



MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH



بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



محور الطب وعلوم الحياة
الجزء الأول

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH



الطب وعلوم الحياة
الجزء الأول



MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

بحوث
المؤتمر العالمي العاشر
للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

محور الطب وعلوم الحياة
الجزء الأول

دار جياذ للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

٧	مقدمة
١٣	آثار ضوء النهار وظلام الليل على النبات
٢٧	إشارات إعجازية في تكوين لبن الأنعام
٤٥	(إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها)
٦٣	كفاءة الأسعال المضادة للميكروبات
٧٥	أهمية الندى «الطل»
٩١	تطور الحموضة واللون ومدة تخزين اللحوم المذكاة
١٠١	دراسة نسيجية وتركيبية دقيقة ومقارنة لتأثير نبات القسط وعقار أمفوتريسين (ب)
١٤٣	معجزة الاستشفاء بالعسل
١٥٩	إعجاز التمر في الشفاء والوقاية من الميكروبات الضارة والمرضة
٢٠٧	الإعجاز العلمي في لون العسل وعلاقته بحصوات الكلى
٢٣٩	دراسة نسيجية لتأثير الخوف على النسيج الكبدي

٢٦١	تأثير القسط الهندي
٢٧٩	التحلل في علم الميكروبيولوجي حقيقة علمية دوتت في القرآن والسنة
٣٠٥	الإعجاز العلمي في تحريم لحم الخنزير
٣٥٩	العنب إعجاز، بين غذاء وشفاء
٣٨٧	تأثير الحبة السوداء على مستويات السكر والدهون عند مرضى داء ارتفاع السكر في الدم

مقدمة

كلمة فضيلة الدكتور / عبد الله بن عبد العزيز المصلح
الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأخواتي :

جمهور الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .. في العالم أجمع ..

أحييكم بتحية الإسلام؛ فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فقد تداعى أهل الاهتمام بشأن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في عالمنا من المشارق والمغرب والتقوا في حمى الكعبة وتحت ظلال الحرم المكي الشريف وضمنتهم أروقة رابطة العالم الإسلامي لتنبثق من هذا اللقاء الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

إنها العلم؛ وهل يردُّ العلم إلا من سفه نفسه.

إنها اليقين؛ وهل يصد عن اليقين إلا من رضي الجهل له قريناً.

إنها النظر المتأمل في الآيتين المتألفتين الثابتتين :

الآية المنظورة والآية المسطورة.

آية في الكون والإنسان والحياة في دقتها المذهلة وانتظامها في هذا الملكوت الرحب ..
المسبح بحمد ربه، وآية في هذا الكتاب.

والسنة حدثتنا عن هذه الحقائق في توافق تام وانسجام بديع مع كونه قد تنزل في زمن لم يكن
في مقدور البشر ولا في علمهم معرفة به ولا إحاطة بتلك الحقائق.

إنها الحجة البالغة الدالة على أن من خلق الأكوان هو من أنزل القرآن.

إن رسالة هذه الهيئة أن تبين هذه الحقيقة الناصعة وأن تكون قنطرة للتواصل العلمي
نحقق من خلالها خدمة الإنسانية في البحث عما ينفع الناس ويمكث في الأرض ولتثبت
للعالم أن ديننا دين علم ومعرفة يبحث عن الحق ويدعو إلى الإبداع والتقدم والأخذ بأسباب
الرقى المادي وصناعة الحضارة من أجل حياة إنسانية كريمة يسودها العدل ويصير العلم
فيها خادماً للناس معيناً لهم لا معول هدم وسبب دمار وبذلك يصبح الناس جميعاً في أمن
وأمان ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ
لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩).

أما أنتم معاصر العلماء والباحثين..

يا من تحرصون على التواصل مع الهيئة التي هي بكم ولكم ومنكم وإليكم؛ لكم مني
ومن إخوتي العلماء والباحثين والإداريين في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
الشكر والعرفان بالفضل ولم لا يكون ذلك كذلك وأنتم شهود الله على ربوبيته وألوهيته
وأسمائه وصفاته وعظيم نعمائه ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨).

إن هذه الهيئة التي هي جامعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة التي تجمع من العلماء
صفوتهم ومن الباحثين أعلاهم رتبة في بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وعندها
وفي رحابها تلتقي الكفاءات العلمية العاملة بهذا الشأن المهم من شؤون قرآننا وسنة نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم لندعو كل قادر على السير في هذا المنهج السوي والمنهل الروي إعلاءً للحق وإظهاراً للحقيقة واكتشافاً لما أودع الله في الكون والحياة والأحياء مما ينفع الناس ويكشف نعماء الله علينا التي استودعها في ملكوته الرحب (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٩).

لقد ألزمت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة نفسها بمقتضى المنهج العلمي وضوابط البحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ما يمكن أن نجمه في الآتي:

١. تجاوز الفرضية والنظرية وتخطى هذه المرحلة إلى مرحلة الحقيقة العلمية التي لا تقبل النقض ولا التغيير.
 ٢. وجود الدلالة الظاهرة على تلك الحقيقة في كتاب الله أو ما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
 ٣. الربط بين هذه الحقيقة ودلالة النص بأسلوب ميسر وسهل.
 ٤. أن تكون تلك الدلالة وفق مفهوم العرب الذين نزل القرآن بلغتهم.
 ٥. أن لا نبحت في الأمور الغيبية التي اختص الله نفسه بعلمها والتي أمانا بها وصدقنا بمقتضاها.
 ٦. أن يكون تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة الصحيحة ثم بالآثار التي صحت عن سلف هذه الأمة ثم بدلالة اللغة العربية التي تنزل بها القرآن الكريم.
- ونود أن نبين هنا أن الشبهات التي أثيرت حول التفسير العلمي - وكذلك ما سبق من التردد بشأن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - إنما هي عند التحقيق منصبّة في مجملها على البحوث غير المنضبطة بضوابط البحث في الإعجاز المذكورة آنفاً؛ حيث وقع أصحابها

في التسرع أو الغفلة عن بعض الضوابط المقررة؛ علماً بأن مثل تلك البحوث لا تمثل إلا حالات قليلة ومرفوضة، لذلك فإن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة عندما تنظر في بحث من البحوث تضعه في مكانه على حسب قربه من تحقيق ما يشترط في البحوث أو بعده عن تلك الشروط والقواعد..

إن معاناة البحث في هذا المجال وما نلاقه من صعوبات ومتاعب وعوائق لنشر تلك القضايا يذهب أثرها وينقش غبارها عندما نرى عياناً آثار وثمار بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وجدير بنا أن نذكر بعضاً منها تحفيزاً لهمم الباحثين كي يسلكوا هذا الطريق وينصروا دين الله من خلاله؛ ومن أهمها:

١. الأثر البالغ الذي تتركه في قلوب المسلمين، والذي يترجم بزيادة اليقين عندهم لدى معرفتهم بهذه الحقائق الباهرة؛ لأنها وردت في القرآن الكريم وعلى لسان النبي الأمي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وهكذا فإنها خير محرض للتمسك بالقرآن والسنة والاهتداء بهما.

٢. الرد العلمي الدامغ على الأفكار التشكيكية بصحة الرسالة المحمدية؛ حيث إن عرض تلك الحقائق التي جاءت في القرآن الكريم أو أخبر عنها نبي أمي في زمن لا يوجد فيه تقدم علمي كما أنه لا توجد في المجتمع وكذا البيئة التي عاش فيها أية إثارة من علم في تلك الميادين الكونية؛ ولذلك فهذا الإعجاز العلمي يعتبر مجالاً خصباً لإقناع المنصفين من العلماء بربانية القرآن الكريم وصدق رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

٣. الرد العملي المقترن بالبرهان الساطع على أن الدين الإسلامي هو دين العلم حقاً؛ فمع إشادة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم - والترغيب في تحصيله والتنويه بفضل العلماء - فقد ذكر كثيراً من الحقائق العلمية وأشار إلى كثير من الأسرار الكونية مما هو موضوع العديد من التخصصات في آفاق الكون ولم يستطع أحد إلى

الآن أن يثبت وجود تعارض بين أي دلالة كونية واردة في القرآن الكريم أو حديث شريف صحيح مع ما استقر من الحقائق العلمية اليوم وأنى له ذلك.

٤. الإعجاز العلمي يعتبر خير محرض لهمم المسلمين كي يتابعوا مسيرة البحث والتجريب والمقارنة وغير ذلك من وسائل الكشوف العلمية والتقدم المعرفي، وفي الوقت نفسه فإن ذلك يفضي إلى توسيع دائرة شواهد الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٥. هذا الإعجاز العلمي يعتبر قناة آمنة ترفد بقية قنوات الدعوة إلى الله في هذا العصر الذي هو عصر العلم؛ والذي يتتبع أسباب دخول كثير من الناس في الإسلام - ممن كانوا نصارى أو بوذيين أو يهود - يجد بحق أن فريقاً منهم قد ابتدأ سيره في الطريق إلى الحق من خلال معاينة لطائف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٦. ولا شك أن ظاهرة الرجوع إلى دين الإسلام من قبل الذين كانوا قدماً من الشاردين الغافلين، وأيضاً إسلام غير المسلمين؛ كل ذلك أثمر مع ازدياد يقين المسلمين بدينهم رجوعاً لحالة العزة في نفوس أبناء الأمة الإسلامية بعد الكبوّة التي حصلت لهم عقب سقوط الخلافة الإسلامية وهيمنة الدوائر الاستعمارية عليهم.

٧. وهذا كله يذكرنا بالحقيقة التي لا تتخلف أبداً؛ والتي أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال لا يضرهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتي أمر الله).

إننا في هذه الهيئة العالمية نعلنها دعوة عالمية جادة للعلماء والباحثين والمهتمين بمجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة أن يشاركونا بعلمهم وبرأيهم وبنصحهم فنحن وإياهم شركاء في هذا الطريق، ولإخواننا الذين يسكنون ديار الغربة خارج العالم الإسلامي دعوة

خاصة أن يكونوا دعاة لله في تلك الديار باستخدام هذه الوسيلة الدعوية المؤثرة مستفيدين من أبحاث محققة مدققة، آملين أن نصل مع الجميع إلى أن تكون الهيئة العالمية درة العاملين في هذا المجال وجوهره ...

هذه دعوة لأن نجعل من الهيئة العالمية للأعجاز العلمي التي تأسست في موطن تنزل الوحي مكاناً رحباً يجمعنا بكم على مائدة كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ..

فيا معشر الإخوة والأخوات كونوا أنصار الله في هذه المسؤولية ..
والله ولي التوفيق ،،،



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

وجعلنا الليل والنهار آيتين

آثار ضوء النهار وظلام الليل على النبات

أ.د. / قطب عامر فرغلي

قسم النبات - كلية العلوم - جامعة أسيوط



مقدمة

خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض بالحق ، وقدر في الأرض أوقاتها من خلال حركتها . فالأرض تدور حول نفسها ، ومنها تنشأ آيتا الليل والنهار وتكمل الأرض دورتها حول الشمس فتنبثق منها فصول السنة المناخية . والشمس وكواكبها وما يدور حولها من أقمار تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز الحكيم . وتدور الأرض على محور مائل بزاوية مقدارها ثلاث وعشرين درجة ونصف عن المحور العمودي . ولو اختلف الأمر عن ذلك ، وكان دوران الأرض حول محور متعامد مع الشمس ما حدث اختلاف بين ساعات الليل وساعات النهار ، ولتساويا على مدار العام ، وما كانت هناك فصول مناخية . ولو كانت الأرض ثابتة لا تدور حول محورها لغطى نصفها ليل دائم والنصف الآخر نهار دائم ، وصدق الله تعالى: في قوله الكريم : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٧١-٧٢ سورة القصص .

لعلنا ندرك بعض من فضل الله ورحمته في آيات اختلاف ، وتقلب الليل والنهار ، وحكمته البالغة في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ أَحْسَنَ آيَةً وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ ١٢ سورة الإسراء . وتقلب الليل والنهار بين الطول ، والقصر يؤدي إلى نشأة الفصول المناخية ، والتي تختلف فيما بينها من العوامل المناخية مثل: درجات الحرارة والإضاءة كما ونوعا ، والرطوبة الجوية ، وعوامل مناخية أخرى ، وجب التفكير فيها حيث يقول جل وتعالى شأنه : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ ٤٤ سورة

النور. إن من أسرار الحياة على سطح الأرض ، وسريان الطاقة في النظام الحيوي يكمن في تقلب وتعاقب الليل والنهار خاصة مع الكائنات النباتية (المنتجات) التي تقوم بالعمليات الضوء حيوية مثل التمثيل الضوئي والانتحاء الضوئي والانبساط الورقي والتزهير وإنبات البذور وتساقط الأوراق وغير ذلك من عمليات التحكم الضوئي والتي تنظم الشكل التركيبي والفسيوولوجي للنبات.

* عملية التزهير Flowering :

تتأثر كثير من العمليات الفسيولوجية في النباتات بالزيادة أو النقصان في عدد ساعات الليل والنهار، ومنها عملية التزهير التي تمثل تحولا فسيولوجيا أساسيا من مرحلة إنتاج المجموع الخضري إلى إنتاج براعم زهرية تعطى الأزهار عند البلوغ، ثم تنضج وتنشأ منها الثمار والبذور. ويتمتع كل نبات بميعاد ثابت للتزهير لا يتأخر عنه إلا عند حدوث اختلال في عدد الساعات النهارية التي يتعرض لها النبات عندئذ ينمو النبات نموا خضرية دون الدخول في مرحلة الأزهار إذا ازدادت ساعات الإضاءة عن ساعات الإظلام.

لقد كشف العلماء عن ظاهرتين تتحكمان في التغيرات الفسيولوجية التي تحدث عند كل مرحلة من مراحل نمو النبات، وهما التوافق الضوئي والتوافق الحراري thermoperiodism وهما ظاهرتان تسييران جنبا إلى جنب في التأثير على النبات من حيث ساعات الإضاءة، وكمية الإشعاع الساقط، ونوعيته، وكذلك درجات الحرارة الليلة والنهارية.

أولاً : التوافق الضوئي : Photoperiodism

لقد جاءت كلمات القرآن الكريم في مواضع كثيرة معبرة عن تلك الساعات المتغيرة لكل من الليل والنهار مثل قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢٩ سورة لقمان. فعندما يلج الليل في النهار تقل ساعاته عن ساعات النهار، والعكس صحيح، ولهذا تحدث

زيادة في عدد ساعات النهار كما هو الحال صيفا أما في فصل الشتاء فإن ساعات الليل تطول لولوج النهار في الليل. كما أن الصيف يتميز بدرجات حرارة أعلى عن تلك التي نشعر بها شتاء أما التساوي بينها فيحدث في فصلي الربيع والخريف. ومن هنا حث القرآن الكريم على التفكير في عظمة الخالق سبحانه وتعالى في آيات اختلاف الليل والنهار، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ١٩٠-١٩١ سورة آل عمران .

ولقد كشف العلماء والباحثون بعد ذلك بقرون عديدة عن ظاهرة التأقيت الضوئي والتي على أساسها قسمت النباتات في سلوكها التزهيري إلى :

١ - نباتات النهار الطويل، وتحتاج ما بين ١٤-١٥ ساعة إضاءة يومياً

٢- نباتات النهار القصير، وتحتاج إلى ١٠ ساعات إضاءة يومياً

٣- نباتات النهار المتعادل، وتحتاج إلى ١٢ ساعة إضاءة يومياً

٤- نباتات النهار المحايد، ويلزمها أي عدد من ساعات الإضاءة يومياً.

وتظهر النباتات حساسية شديدة للتوقيت الضوئي عند خطوط العرض المختلفة على سطح الأرض، وعلية يجب معرفة احتياجات كل جنس نباتي إلى شدة الإضاءة من حيث النوع والكمية، والتي تدفع بالنبات إلى عملية التزهير. وطوال الأربع والعشرين ساعة (وهي طول يوم الأرض) يتعاقب دائريا كل من الليل والنهار أو الضوء والظلام. ولقد توصل العلماء إلى حقيقة أن فترة الظلام هي الجزء الحرج لدورة التعاقب هذه، وأن عملية تزهير النباتات لا يمكن استحثائها ما لم تستقبل النباتات فترة إظلام متصلة. لذلك فإن فترة الظلام تلعب دورا عظيما في تحديد إنشائية البراعم الزهرية الأولية أما أهمية فترة الإضاءة فتكمن في التأثير على عدد المنشئات الزهرية - مع مراعاة شدة الإضاءة المؤثرة على عملية التمثيل الضوئي، والتأثير الكمي والنوعي للفترة الضوئية. ومن ذلك يتضح أن العامل المحدد في التوقيت الضوئي هو طول الليل، وليس طول النهار على أساس أن التفاعلات

الكيميائية التي ترهص للأزهار إلى الساق ومنه إلى حيث تتكون الأزهار. كما أن هذه المادة تتجمع أثناء الليل ، ويزداد تركيزها إذا طال الليل إلى حد يؤدي إلى تثبيط عملية التزهير.. وهذا ما يحدث في حالة نباتات الليل القصير .

أما في حالة نباتات الليل الطويل فإن المادة المنبه للأزهار ليس لها ما يحميها من أثر النهار الضار فالنبات يحتاج إلى ليل طويل كي تتراكم فيه تلك المادة لدرجة تكفي لتنبية الأزهار وتنشيطه. ولهذا فقد قسم العلماء مرة أخرى النباتات على أساس طول فترة الظلام (الليل) وليس طول فترة الإضاءة (النهار)، وهذا في حد ذاته يمثل إعجازاً قرآنياً عظيماً حيث إن كلمة الليل سابقة لكلمة النهار في معظم الآيات الواردة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ٢٠ سورة المزمل. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ ١-٢ سورة الليل.....الخ.

إن أوراق النبات هي المدركة للتأقيت الضوئي المحثة للتزهير ومن المعروف علمياً أن المنطقة الحمراء والزرقاء والبنفسجية من الطيف الكهرومغناطيسي هي المؤثرة على عملية التمثيل الضوئي من خلال امتصاصها بواسطة صبغ الكلوروفيل والأصبغ المساعدة فإن المنطقة الحمراء البعيدة هي المؤثرة في عملية التزهير من خلال الصبغ النباتي المعروف بالفيتوكروم phytochrome ، وهو الصبغ المختص بالإدراك الحسي والاستحثاثي لظاهرة التأقيت الضوئي والمتحكم في عملية التزهير والإنبات وبعض الظواهر المورفولوجية الوراثية. إن عملية التحول الداخلي للفيتوكروم ما هو إلا جزء من تجسيد ميكانيكية قياس الزمن في النبات ، والتعبير عن متى تحدث فترة الظلام التي تتفاعل مع الإيقاع الداخلي أو العمليات الدائرية النباتية وهذه العمليات الإيقاعية المترنة أو حفظ الزمن (الوقت) الدائري الخلوي ما هو إلا تجسيد وانعكاس للساعة البيولوجية الحيوية biological clock في النبات . وعندما يتعرض النبات إلى نظام بيئي متغير فإن الساعة البيولوجية يعاد تركيبها أو تكيفها مع الوقت مما يدل على مرونة عملية ميكانيكية التأقيت الزمني من خلال التأثير لنظام الفيتوكروم على الساعة البيولوجية أثناء فترة الإظلام.

ثانياً : التوقيت الحراري Thermoperiodism

ويعنى به الفترة الحرارية اللازمة للوصول بالنبات إلى مرحلة الإنتاجية والتي يستقبلها النبات طوال حياته. لذلك فإن كل نبات يحتاج إلى دورة حرارية للوصول إلى مرحلة النضج أو الإنتاجية. كما أن لكل مرحلة من مراحل نمو النبات درجة حرارة مثلى تعطى أعلى كفاءة حرارية للمرحلة التي ينمو فيها النبات بداية من مرحلة الإنبات ووصولاً إلى مراحل الأزهار ونضج الثمار.

وفي هذا الصدد فإن النباتات تتأثر بعاملين هما درجات الحرارة وتغير طول النهار. وتتابع الفصول المناخية من الفصل البارد ذات النهار القصير إلى الفصل الدافئ ذات النهار الطويل له تأثير كبير على الحالة المظهرية phenology للنباتات. كما أن درجة الحرارة تؤثر على النضج السليم والطعم الممتاز للثمار نتيجة تعرضها لدرجات حرارة منخفضة خصوصاً أثناء الليل. وأفضل النباتات نمواً وإنتاجاً هي تلك التي تتعرض إلى تعاقب درجات حرارة نهائية مع درجات حرارة ليلية. دون الأخرى التي تتعرض إلى درجات حرارة ثابتة طوال اليوم. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ ٦٢ سورة الفرقان.

عملية البناء الضوئي Photosynthesis

على الرغم من أن الضوء يلعب دوراً هاماً وعظيماً في عملية التمثيل الضوئي إلا أن أهميته لم تثبت إلا في عام ١٧٧٩م بواسطة العالم انجنهوس الذي تعرف على عملية البناء الضوئي. ولقد جاء ذلك الإثبات مختلفاً عما جاء به القرآن الكريم بأكثر من ١٢ قرناً من الزمان قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَّتْرَاكِبًا ﴾ الآية ٩٩ سورة الأنعام. وأشارت الآية الكريمة إلى العنصر الأول بل الأهم في عملية التمثيل الضوئي وهو الماء الذي تثبت به البذور وتخرج أجنة النباتات إلى الحياة وينتقل النبات إلى مرحلة البادرة التي تظهر أجزائها

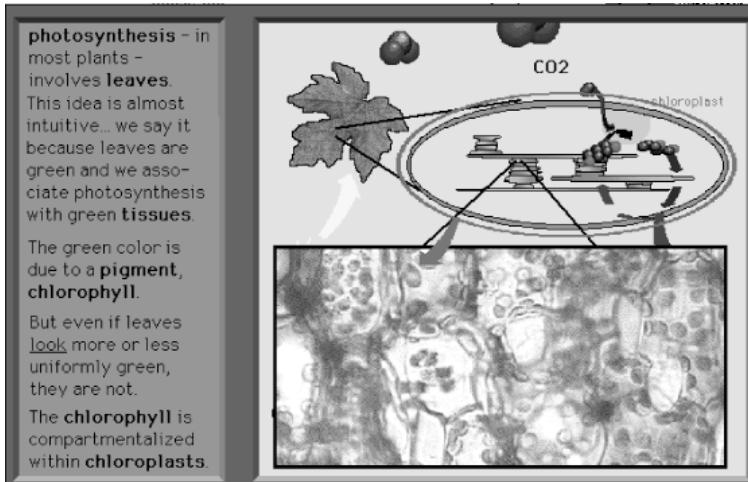
الهوائية الخضراء المكونة من ساق يحمل أوراقا (شكل ١) في خلاياها تنشأ البلاستيدات الخضراء الحاملة للأصبغ الخضراء (الكلوروفيل) والأصبغ المساعدة المختصة باقتناص الطاقة الضوئية من أشعة الشمس (شكل ٢) والمستخدم في تفاعل الماء مع غاز ثاني أكسيد الكربون لتكوين السكريات.



تكوين الأوراق الخضراء

خروج النبات من الأرض

شكل (١) النبات البذرة

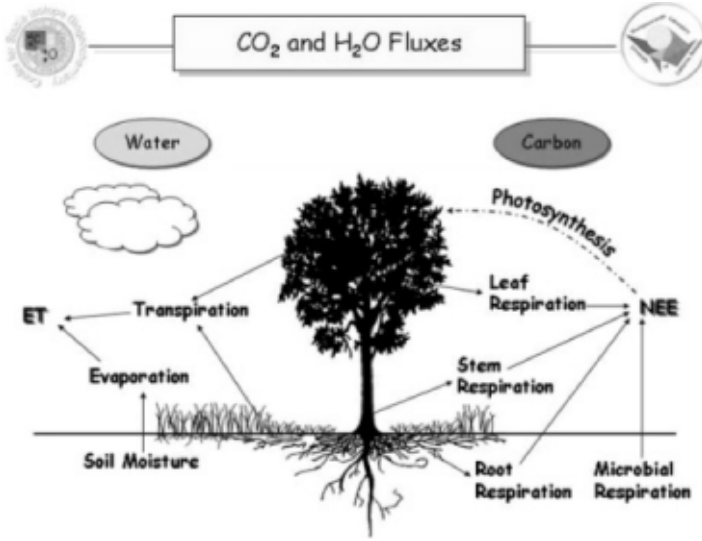


(شكل ٢)

وبذلك تتحول الطاقة الضوئية إلى طاقة كيميائية (السكريات) كما يلي :



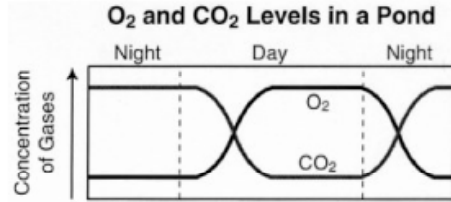
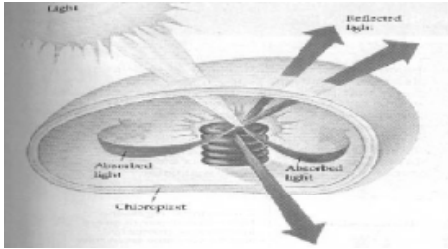
وتتضح عناصر عملية التمثيل الضوئي من خلال فهمنا لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ سورة الجاثية. وهذه العناصر موجودة في السماء القريبة والبعيدة ويعطينا القرآن الكريم تلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ٢٢ سورة الذاريات، ففي السماء توجد الطاقة الشمسية وثاني أكسيد الكربون والماء (شكل ٣).



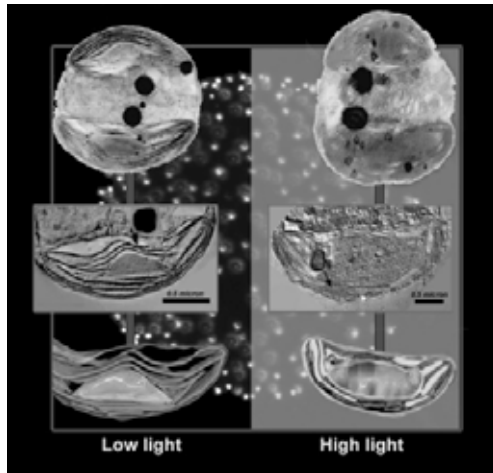
شكل (٣)

ولاغنى للنهار عن الليل والعكس صحيح، ويذكرنا القرآن الكريم بذلك فيقول: ﴿يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾ ٥٤ سورة الأعراف. وتتجلى آيات الإعجاز القرآني في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٢ سورة الإسراء. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ٢٩ سورة النازعات. ففي عملية البناء الضوئي

تتم التفاعلات سالفة الذكر في النهار وتعرف بتفاعلات الضوء ، أما في الليل فتستكمل التفاعلات بما يعرف بتفاعلات الظلام ، وفيها تزداد كميات ثاني أكسيد الكربون فينخفض الرقم الهيدروجيني pH في الخلية النباتية ، وتتحوّل السكاكر إلى مادة أكثر تعقيدا ، وهي النشا الذي ينتقل إلى مراكز تخزين النشا في البلاستيدة الخضراء ، ومنها إلى أنسجة خاصة في الحبة أو البذرة (نسيج الأندوسبرم أو الفلقات) أو بعض السيقان ، أو الجذور النباتية (شكل ٤).



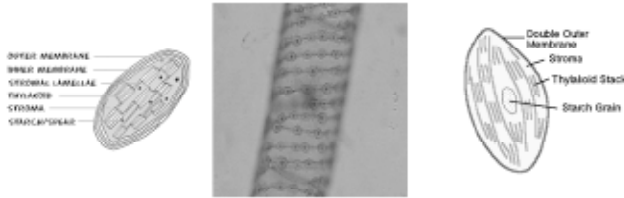
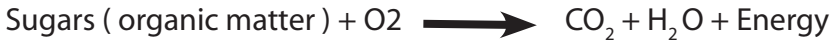
شكل (٤) : مستويات ثاني أكسيد الكربون والأوكسجين أثناء الليل والنهار في الأماكن الخضراء بالنبات



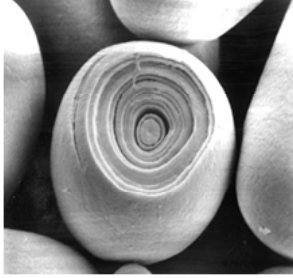
البلاستيدات الخضراء تحت تأثير الضوء العال والمنخفض عن (Moisan et al ٢٠٠٦)

وهكذا تخرج حبيبات النشا من البلاستيدات الخضراء ، وصدق الله العظيم ﴿ فَأَخْرَجْنَا

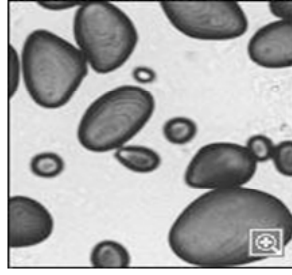
مِنْهُ خَضِرًا مُّخْرِجٍ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴿٩٩﴾ الأنعام. وتدل عبارة ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ على عملية امتصاص وانعكاس ألوان الطيف، وقد ثبت أن اللون الأخضر ينعكس ولا تمتصه النباتات إلا بقدر ضئيل جدا، وكذلك الاستفادة منه للعمليات الحيوية في النبات، وهو بذلك يخرج من النبات بينما تمتص الأطياف الأخرى للاستفادة منها. أما كلمتي ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ (الترابك يعنى كيفية وضع حافة الطبقة للأخرى المشتركة معها في تركيب حبة أو حبيبة النشا) فتشير إلى حبيبات النشا (شكل ٥) المتكونة سواء أكانت داخل البلاستيده الخضراء (مراكز تجمع النشا) أو أماكن التخزين الرئيسية (حبوب - درنات - ثمار - بذور - جذور... الخ) فكل حبيبة نشا تتمثل في سرة helium تتراكم حولها طبقات من النشا كل حسب نوع النشا الخاص بكل نبات (البطاطس - الفاصوليا - الذرة - القمح - الأرز...). لذلك فإن الطاقة الضوئية تتحول إلى طاقة كيميائية ليلا، وهذه الطاقة الكيميائية تنتقل في النظام الحيوى إلى الطاقة الحرارية أثناء عملية تنفس الأوكسجين بواسطة الكائنات الحية (أو الاحتراق) حيث تنطلق الطاقة الحرارية كما يلي:



شكل (٥) مراكز تجمع النشا في البلاستيدات القرصية والحلزونية

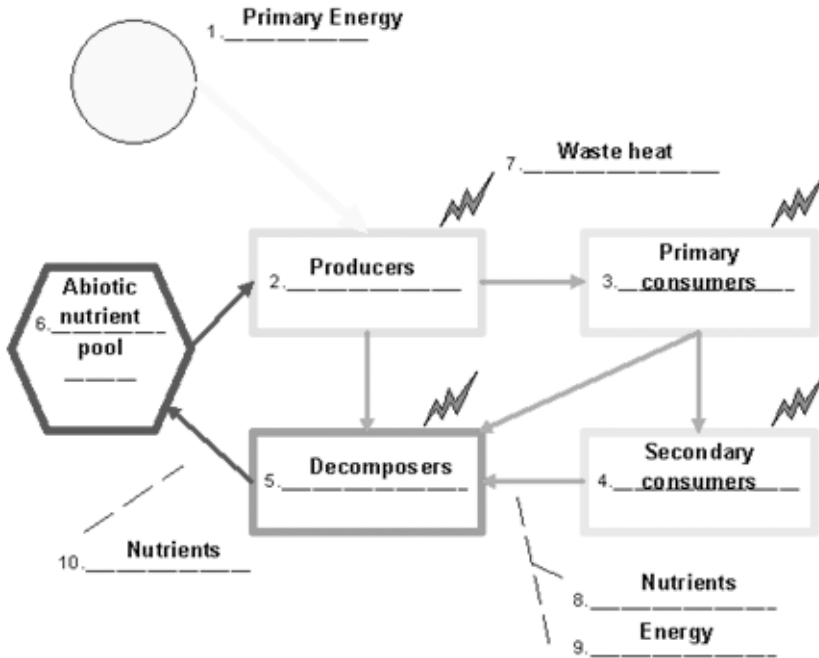


نشا القمح



حببيبات نشا البطاطس

و تنتقل الطاقة من صورة إلى أخرى (شكل ٦) حسب قانون بقاء الطاقة الذي يؤكد أن الطاقة لا تبنى ولا تستحدث وإنما تتحول من صورة إلى أخرى، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ ٨٠ س يس.



شكل (٦): سريان الطاقة في النظام البيئي

وخلاصة القول:

إن سريان الطاقة في الأنظمة البيئية للككرة الحية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية البناء الضوئي التي من خلالها تتعاقب تفاعلات الضوء مع تفاعلات الظلام لتعطي المادة العضوية (الطاقة الكيميائية)، وينطلق الأكسجين اللازم للأنظمة الحوية المختلفة. وهذه التفاعلات ماهي إلا إرهابات لاختلاف الليل والنهار. وبذلك يتبين أن الماء هو أساس حياة كل حي لأن منه ينشأ الأوكسجين اللازم للتنفس، والماء يشارك بالهيدروجين في تصنيع المادة العضوية (المادة الغذائية)، والماء بذاته، وبذلك تنشأ من الماء المواد الثلاث اللازمة لحياة أي كائن على سطح الارض وتصديقاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة الأنبياء . ٣٠

كما أن تزايد وتناقص ساعات الليل والنهار كل على حساب الآخر في يوم مقداره ٢٤ ساعة لم يثبت فقط دورة الفصول المناخية، والكشف عن ظاهري التوقيت الضوئي والحراري فحسب بل أثبت ظاهرة حيرت العلماء طوال قرون عديدة ولم يتحققوا منها إلا في عصر مركبات الفضاء ألا وهي كروية الأرض، وفي هذا الشأن يقول القرآن الكريم: ﴿ يُكْوَرُ أَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ أَلْتَهَكَارَ عَلَى أَلَيْلٍ وَسَحَرَ أَلشَّمْسُ وَأَلْقَمَرُ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلأَهُ أَلْعَزِيزُ أَلْعَفُّرُ ﴾ سورة الزمر . ٥

لقد لاحظ العلماء أن نشأة الأزهار وعدد المنشآت الزهرية يهيمن عليها اختلاف الليل والنهار، كما أن التوقيت الحراري له باع كبير في نضج الثمار وطعمها، وبالتالي خلفتها من البذور، ويقول الله تعالى: ﴿ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ٩٩ س الأنعام.

إن تغير المناخ المتمثل في آيات اختلاف الليل والنهار للفصول المختلفة هو أحد المصادر الطبيعية الضخمة التي ترتبط بالحياة النباتية، والتي يمكن استغلالها من الطاقة الشمسية بصورة افضل لانتاج الطاقة الكيميائية، والمثلة في المواد الغذائية النباتية والحيوانية علماً بأن ما يحصد من ضوء الشمس لا يزيد عن ٢٪ من أشعة الشمس الساقطة على الكرة الحية.

وهكذا تتجلى رحمة الله وفضله على عباده في آيات اختلاف الليل والنهار في الأرض قال تعالى: (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) ٧٣ سورة القصص.

صدق الله العظيم.

المراجع :

- القرآن الكريم.
- روبرت أم. ديفلين وفرانسيس هه. ويذام (١٩٨٥): فسيولوجيا النبات. المجموعة العربية للنشر - مصر.
- د. عماد الدين وصفي (١٩٩٥): منظمات النمو والأزهار. المكتبة الأكاديمية - الإسكندرية - ج. مصر ع.
- قطب عامر فرغلي ١٩٨٧ اختلاط الماء بالأرض الهامدة. مجلة الاعجاز العلمى في القرآن الكريم والسنة النبوية - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

إشارات إعجازية في تكوين لبن الأنعام

في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا بِطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمِ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ سورة النحل: الآية ٦٦

إعداد: دكتور / حامد عطيه محمد

أستاذ بكلية الطب البيطري

جامعة الزقازيق

مقدمة

لقد أدرك البشر منذ زمن بعيد العلاقة بين إدرار اللبن وما يتناوله الحيوان من غذاء، وأن الحيوان يهلك إذا ما حرم من الغذاء، ولكنهم لم يعرفوا العملية التي يتم بها تحول هذا الغذاء إلى لبن أو لحم أو عظم أو أي مادة أخرى. وجاء العلم الحديث ليبين لنا مراحل تكوين اللبن خالصاً سائغاً للشاربين فيكشف لنا من آيات الله اللطيف الخبير ما جاء مطابقاً لما أخبرنا به القرآن عن أسرار تكون اللبن في بطون الأنعام، ويظهر عظمة إنعام الخالق المنعم على عباده.

استطاع العلماء حديثاً معرفة كيف يتكون اللبن في بطون الأنعام بعد اكتشاف أسرار الجهاز الهضمي ومعرفة وظائف أعضائه، وبعد اكتشاف الدورة الدموية وعلاقتها بعملية امتصاص المواد الغذائية من الأمعاء ودخولها في الدم، وقد استغرق ذلك فترة من الزمن لتطوير الأجهزة واكتشاف الأسرار استمرت قرابة خمسة قرون.

وقد سلك العلم التجريبي طرقاً دقيقة لمعرفة وظائف أعضاء الجهاز الهضمي بعد أن اخترعت الآلات التي تم بها إجراء التجارب والأبحاث لتحقيق النتائج الدقيقة. وسار التقدم في الأجهزة العلمية التي استعملت في معرفة أسرار عملية الهضم بخطوات متتالية حتى انكشف للباحثين الكثير من أسرار الهضم.

تم التوصل في القرن العشرين إلى توضيح الأعمال المتتالية لعملية الهضم كما تم توضيح تركيب وتأثير أهم العصائر الهضمية، والتثبت من إنزيمات عديدة ذات دور كبير في عملية الهضم.

١ - أقوال المفسرين في معنى الآية:

المعنى اللغوي:

اختلف المفسرون في معنى الآية الكريمة بسبب اختلافهم في فهم مدلولات بعض الألفاظ فتصور البعض أن عبارة «من بين» جاءت للتبعيض أي من بعض الفرث أو من بعض الدم، بينما رأى آخرون أنها مكانية أي من مكان بين الدم والفرث - ونجمل فيما يأتي حصيلة ما قاله المفسرون رحمهم الله تعالى: .

(١) وردت رواية ضعيفة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) مفادها: «أن الدابة تأكل العلف فإذا استقر في كرشها طحنته فكان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً». وقد أورد هذا الأثر كثير من المفسرين، منهم البيضاوي والقرطبي وأبو السعود والشوكاني وابن الجوزي في زاد المسير والألوسي في روح المعاني وغيرهم. وقد علق بعض هؤلاء المفسرين على القول المنسوب لابن عباس (رضي الله عنهما) بعد أن لاحظوا أنه يخالف الواقع المشهود، فقال كل من: أبو السعود والبيضاوي والألوسي أن اللبن والدم لا يتكونان في الكرش. ففي روح المعاني يقول الألوسي «وتعقب ذلك أي قول ابن عباس الرازي بقوله ولقائل أن يقول اللبن والدم لا يتولدان في الكرش والدليل عليه الحس، فإن الحيوانات تذبح دائماً ولا يرى في كرشها شيء من ذلك ولو كان تولد ما ذكر فيه لوجب أن يشاهد في بعض الأحوال والشئ الذي دلت المشاهدة على فسادها لم يجز المصير إليه».

(٢) ذكر بعض المفسرين أن الفرث هو مصدر الدم واللبن أي يخرج الدم من الفرث ويخرج اللبن من الفرث كذلك. قال بهذا البيضاوي عندما أول الكلام المنسوب لابن عباس بقوله: إن صح فالمراد أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم لانهما لا يتكونان في الكرش وقال به الشوكاني (فتح القدير).

(٣) وذكر كثير من المفسرين ما يتفق مع جاء به العلم الحديث من أن مكونات اللبن تستخلص من الفرث ثم تستخلص من الدم. وممن قال بذلك القرطبي وأبو السعود وصاحب معاني القرآن، وفي زاد المسير لابن الجوزي في قوله «الفرث ما في الكرش والمعنى

أن اللبن كان طعاماً فخلص من ذلك الطعام دم وبقي فرث في الكرش وخلص من ذلك الدم ﴿لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ .

وهكذا نلاحظ اختلاف المفسرين في هذه المسألة بسبب عدم توافر المعرفة العلمية في زمانهم ، ومع ذلك فقد هدى الله تعالى: بعض المفسرين إلى الفهم الصحيح لمعنى «من بين» وأنها تعنى من بعض الفرث ثم من بعض الدم ، على الرغم من عدم معرفتهم للكيفية التي لم يطلع عليها البشر إلا بعد قرون من نزول هذه الآية الكريمة .

(٤) أن لفظ «خالصاً» في الآية دليل آخر على أن مواد اللبن تخلص من بين الدم بعد أن خلصت من الفرث ، وقد ألمح إلى هذا المعنى الطبري بقوله: خلص من مخالطة الدم والفرث فلم يختلطا به . إلا أن المفسرين رحمهم الله لم يشيروا إلى هذا المعنى الظاهر وإنما اقتصروا على القول بأن «خالصاً» تعنى أن اللبن لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث كما قاله البيضاوي والبغوي ؛ أو حمرة الدم وقذارة الفرث كما قاله القرطبي والشوكاني ؛ أو خالصاً عن شائبة ما في الدم والفرث من الأوصاف كما قاله أبو السعود وورد في تفسير الجلالين .

الإعجاز اللغوي في قوله تعالى: (وَأَنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً).

ذكرت (عبرة) هنا بصيغة «نكرة» حيث تعتبر دليلاً على أهميته الفائقة. وكما يقول الراغب في كتاب المفردات «عبرة» من مادة عَبَّرَ وتعني العبور والانتقال من حالة إلى أخرى، وهنا حيث يرى المعتبر حالة يدلُّك من خلالها على حقيقة لا يمكن ملاحظتها أطلقوا على ذلك «عبرة». وعليه فإن مفهوم الآية هو بمقدوركم أن تصلوا إلى معرفة الله وعظمة وعلم وقدره مُبدئ الخلق العظيم من خلال ملاحظة أسرار وعجائب الحيوانات. الفرث هو ما في الكرش وقيل هو السرجين ما دام في الكرش

الإشارات الإعجازية في تكوين لبن الأنعام

في هذه الآية الكريمة يلفت الله نظرنا إلى ظاهرة عجيبة تحمل لنا العبرة من قدرة الخالق جل جلاله . فاللبن الذي يعتبر من أهم الأغذية عند الإنسان يخرج إلينا من بطون الأنعام بعملية مذهشة .

مراحل تكون اللبن من بين الفرث والدم

يتم تكوين اللبن في الأنعام بالتنسيق المحكم والتدرج الدقيق بين الجهاز الهضمي والجهاز الدوري والجهاز التناسلي عن طريق الغدد اللبينية في الضروع وغيرها من الأجهزة حيث جعل الله لكل جهاز وظيفة وأعمالاً خاصة يقوم بها ليتكون - في نهاية المطاف - اللبن الخالص السائغ للشاربين. ويمكن أن نجمل مراحل تكون اللبن كالآتي :

١ - عملية الهضم في الكرش (تحول العلف إلى فرث) :

يتم الهضم على عدة أشكال فمنه الهضم (الحركي) والهضم الكيماوي والهضم الميكروبي بواسطة (خمائر) الميكروبات الموجودة في كرش الأنعام حيث تبدأ عملية الهضم في الفم بنوعيتها : الهضم (الحركي) و(الخمائري) حيث يتم تقطيع مواد العلف بالمضغ وخلطها باللعاب الذي يحتوي على إنزيم (الأميليز) الذي يقوم بهضم مبدئي ثم في المعدة المركبة حيث يتم هضم ميكانيكي وميكروبي وكيماوي ثم يتم اجترار الكتلة الغذائية من الكرش إلى الفم ليعاد مضغها وخلطها باللعاب ثم إعادة بلعها لتعمل عليها بكتريا الكرش فتحلل (السكريات) و(البروتينات) ثم يحدث الهضم (الخمائري) في المعدة الحقيقية (بالبيسين والرنين). وبعمليات الهضم هذه يتحول العلف إلى فرث .ويتحول الفرث الصلب بعد هضمه في الأمعاء إلى فرث رائق.

٢ - عملية استخلاص الأحماض الدهنية من بين الفرث :

يحدث تخمر و تغيير في تركيب الفرث من جراء هدم قلورا الكرش لهذا السليلوز، والمواد السكرية، مما يؤدي إلى إنتاج ثلاثة أحماض دهنية ، وهي حمض الخليك و حمض البيوترك، وحمض البروبيونيك ، فتمتص الشعيرات الدموية المنتشرة حول الكرش هذه الأحماض،

وذلك دون مرورها في القناة الهضمية إلى الأمعاء ، كما هو متبع مع باقي الغذاء، كما بينت الآية الكريمة (من بين فرث ودم) فتصل إلى الغدد اللبنية.

وبانتقال الفرث إلى الأمعاء الدقيقة تستمر عملية الهضم فيتعرض الفرث للإنزيمات الهاضمة في الأمعاء والبنكرياس والعصارة الصفراء في الكبد .وبهذا يتم تحليل الأطعمة المحتوية على الجزيئات المعقدة جداً إلى جزيئات بسيطة، فالنشاء والسكريات المعقدة تتحول إلى سكريات بسيطة ، والدهون تتحول إلى أحماض دهنية ، والبروتينات تتحول إلى أحماض أمينية وبيبتيدات، أما الفيتامينات والأملاح والماء فلا تحتاج إلى هضم قبل امتصاصها . كما تقوم الخملات في الأمعاء الدقيقة بامتصاص المواد الغذائية المحللة بعدة طرق . وتصل هذه المواد إلى داخل الأوعية الدموية الصغيرة الواقعة تحت النسيج الطلائي ، ومنها إلى الأوعية الدموية الأكبر فتدخل في تيار الدورة الدموية .

٣- عملية استخلاص من بين الدم (من بين فرث ودم) :

بعد امتصاص الأحماض الدهنية عن طريق الشعيرات الدموية المنتشرة حول الكرش تصل هذه الأحماض وتسير في الدم ومنه إلى الكبد حيث تتم عمليات معقدة يتحول فيها حمض البروبينك إلى مادة الأوكسال اسيتيت والتي تتحول بدورها لانتاج جزئ جيليكوز والذي يمر عبر الأوعية الدموية التي تغذى الضرع ليتحد مع جزئ الجللاكتوز لينتج جزئ اللكتوز (سكر اللبن).

٤- تكوين اللبن في ضروع الأنعام:

يتم تكوين اللبن بواسطة الغدد الثديية أو الضرع عن طريق عمليتين هامتين:

أ- المرحلة الأولى: ترشيح بعض مكونات اللبن من مجرى الدم.

ب- المرحلة الثانية: تركيب مكونات اللبن الأخرى بواسطة التمثيل الغذائي الخلوي

داخل الضرع.

أ- المرحلة الأولى: ترشيح بعض مكونات اللبن من مجرى الدم :

يقوم الدم بنقل هذه المواد الغذائية إلى جميع خلايا الجسم والتي منها خلايا الضروع التي يتم فيها امتصاص مكونات الحليب من بين الدم .

حمض الخليك يقوم بتكوين دهن اللبن، وحمض البيوترك يقوم بتكوين بروتين اللبن، وحمض البروبيونيك يقوم بتكوين سكر اللبن عن طريق اتحاد جزئ من الجلوكوز مع جزئ من اللاكتوز .

١- عملية تكوين الأحماض الدهنية في اللبن :

غالبية الدهون في اللبن تنتج أصلاً من الزيوت والدهون النباتية المستمدة من العلف والمهضومة هضماً جزئياً في معدة الاجترار (الفرث) ثم ينقلها الدم إلى الغدد المفرزة للبن في الضرع وهنا تنكسر إلى رقائق صغيرة حتى تتمكن من اختراق جدر خلايا تلك الغدد . وعلي ذلك فإن تمام عملية اجترار الأعلاف التي يتناولها الواحد من الأنعام بكفاءة، وعملية تخمرها في معدة الاجترار بكفاءة مسئولان عن زيادة أو نقص الدهون في اللبن .

أثبتت الدراسات الحديثة أن وجود الدهن في اللبن هو السبب في وجود الطعم المستساع له وكلما قلت نسبة الدهن قل استساغة طعم اللبن عند الشرب . كما وجد أيضاً أنه كلما زادت نسبة السليلوز في الغذاء زادت نسبة حمضي الخليك ، و بذلك تزيد كمية الدهن في اللبن و بالتالي تزداد استساغته وصدق الله القائل (لبنا خالصاً سائغاً للشاربين).

٢- تكوين المواد البروتينية في اللبن :

أما المواد البروتينية فتنتج في الخلايا المفرزة للبن من الأحماض الأمينية التي يحملها إليها الدم من معدة الاجترار (الفرث) هذا باستثناء كل من المواد الزلائية، والجلوبيينات المناعية التي ينقلها الدم مباشرة إلى الخلايا المفرزة له. واللبا الذي يتكون في الفترات المتأخرة من الحمل في أماكن أخرى من جسم الحيوان وينقله الدم مباشرة إلى ضروعه.

٣- تكوين الأملاح المعدنية والفيتامينات:

في اللبن العديد من آثار العناصر التي من أهمها الكالسيوم، والفوسفور، والبوتاسيوم، والمغنيسيوم، ويليهما في الأهمية كل من الصوديوم، والكلور وكلهما مستخلصة من غذاء الحيوان (العلف) بعد تخمره في معدة الاجترار (الفرث).

ب- المرحلة الثانية: تركيب مكونات اللبن الأخرى بواسطة التمثيل الغذائي

الخلوي:

بعض مكونات اللبن الأخرى تتكون داخل الضرع بواسطة التمثيل الغذائي الخلوي داخل الأسناخ حيث تمر المواد الغذائية المستخدمة في تكوين اللبن من الدم خلال جدار الخلية فقد وجد أن بروتينات اللبن تنتج من الترشيح والتركيب معاً حيث إن الكازين واللاكتوبليومين واللاكتوجلوبولين غير موجودة في الدم ولذلك يجب تركيبها من طلائع الأحماض الأمينية المتواجدة في الدم وتمثل هذه البروتينات ٩٤٪ تقريباً من النيتروجين البروتيني في اللبن البقري. أما الجلوبيولينات المناعية وألبومين السيرم فهي مصنفة في الدم واللبن ولذلك نجد أن انتشارها ظاهرياً في اللبن لا يتغير عنه في الدم. أما الكريوهيدرات الأساسية في اللبن هي سكر اللاكتوز والذي يتكون من جزئ جلوكوز وجزئ جاللاكتوز ويحتوى الدم على سكر الجلوكوز أما اللاكتوز فلا يوجد في الدم ولذلك يتم تركيبه في الغدة الثديية .

وقد وجد أن الجلوكوز يتم أخذه بواسطة الأنسجة الثديية مما يؤدي إلى فقدان حوالي ٢٥٪ من محتوى جلوكوز الدم الشرياني من ناحية أخرى وجد أن حوالي ٧٠ - ٨٠٪ من الكربون في اللاكتوز يتم الحصول عليه من جلوكوز البلازما (كما ينتج سكر اللاكتوز أيضاً من الأحماض الدهنية قصيرة السلسلة وبالنسبة للدهن فقد وجد أن ٧٥٪ من دهن اللبن تقريباً يصنع في الغدة الثديية وفي المجترات يكون الخلات وهي الطلائع الأساسية للأحماض الدهنية ذات سلسلة الكربون الطويلة

ويمثل الماء معظم تركيب اللبن (٨٧٪) حيث يتم ترشيحه من الدم إلى اللبن وهو يختلف عكسياً مع محتوى المواد الصلبة اللبن .

٤ - عملية تكوين وإفراز اللبن :

لا بد قبل شرح عملية تكوين اللبن أن نشير إلى إعجاز الخالق سبحانه وتعالى في تركيب ضروع الأنعام:

التركيب التشريحي للضرع :

صمم الخالق (سبحانه وتعالى) ضروع الأنعام وضروع غيرها من الحيوانات الثديية بحكمه بالغة كي يمكنها من إنتاج اللبن لإرضاع صغارها، واستفادة الإنسان منه. فضروع الأنعام رباعية التركيب، وتتدلي أربطة خاصة من الحوض لرفعها وحمايتها مما تتعرض له من صدمات خاصة عندما تمتلئ باللبن، ويثقل وزنها.

وكل ربع من الضرع يعمل مستقلا في إنتاج وتخزين اللبن، وهو يتكون من العديد من الغدد اللبنية المبطنة لجداره والمتصلة مع بعضها البعض بالشعيرات الدموية المغذية لها، وينتهي الضرع بالحلمة التي تمثل نهاية قناة اللبن ويحكم شكلها، ووضعها، وطولها، والعضلات المتحكمة فيها ضوابط وراثية في غاية من الدقة تحكم تدفق اللبن فيها، وتمنع تسربه منها إلا عند الضرورة كما تضبط إحكام غلقها حتى لا تتسرب إليه البكتيريا وغيرها من الملوثات الحيوية وغيرها. والغدد اللبنية المبطنة لضروع الأنعام هي غدد ذات فراغات كبيرة (أسناخ) يتكون فيها اللبن باستخلاصه من الشرايين الحاملة للدم المؤكسد، والأوعية اللمفاوية الحاملة لسوائلها العديمة اللون (الليمف) وما بها من مواد غذائية مستمدة من الفرث المهضوم في معدة الحيوان. وهذه الغدد المفترزة للبن والتي تبطن فراغان أسناخ الضرع تتكون من خلايا متخصصة علي أعلي درجات التخصص حيث إنها تتحكم بمشيئة الله في كمية اللبن المفرز وتركيبه، وهي في نفس الوقت محكومة بسنن وراثية منضبطة وبالنسبة لأنثى الأنعام الحامل فإنه عند اقتراب وقت المخاض فإن جسمها يفرز عددا من الهرمونات الخاصة التي تضعف من ارتباط الجنين بجسم الأم عن طريق المشيمة بالتدريج، وتثير في الجسم كله تحرك المركبات.

أ- مراحل تكوين اللبن :

أثبتت الأبحاث عن طريق أستخدم النظائر المشعة داخل الضرع أن أهم المكونات الخاصة باللبن يتم تخليقها داخل الضرع في الأبقار . وهناك كثير من مكونات اللبن لم يتم التعرف على طريقة تخليقها في اللبن حتى الآن وبعض العلماء يعتقد أن هذه المكونات يتم تخليقها على مراحل متتالية ومعقدة من الصعب تتبعها حتى الآن وفي الواقع فأن عملية انتقال المكونات من الدم إلى اللبن تخضع إلى عدة عوامل منها ألا يزيد ضغط اللبن داخل البصيلات عن ضغط الدم داخل الشرايين المغذية لها وذلك لضمان استمرارية انتقال المكونات من الدم إلى اللبن بطريقة طبيعية . وتعتبر عملية الضغط داخل البصيلات من الأمور الهامة التي تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على سرعة عملية الحليب في المزارع .

ب- مرحلة إفراز اللبن :

تقوم الحويصلات اللبنية بإفراز اللبن . وفيها يفرز اللبن من سيتوبلازم الخلايا المبطنة للحويصلات اللبنية إلى فراغ الحويصلات ويتم الإفراز تحت تأثير هرمونات البرولاكتين والإستروجين والبروجسترون وبعض الإستروولات المفترزة من غدة فوق الكلية بالإضافة إلى هرمون الثيوركسين . ومن أهم العوامل التي تقلل أو تمنع إفراز اللبن أثناء الحمل هو زيادة نسبة الإستروجينات المشيمية أثناء الحمل .

ج- مرحلة إخراج اللبن :

وفي هذه المرحلة يبدأ خروج اللبن من القنوات اللبنية والفجوات الحويصلية (مخزن الضرع) عن طريق الحلمات إلى خارج الضرع . وتنظم عملية الإخراج هذه العضلات اللاإرادية المبطنة للقنوات اللبنية والتي تقع بدورها تحت تأثير هرمون الأوكسيتوتسين والذي يفرز من الفص الخلفي للغدة النخامية . ويحتاج تفريغ اللبن من الضرع إلى رفع الضغط الداخلي للغدة اللبنية وفتح قناة الحلمة . وتتم هذه العملية بتأثير الجهاز العصبي والهرموني للحيوان حيث يبدأ بتعرض الحيوان عادة للمنبهات المختلفة المصاحبة لعملية الحلب (مثل أصوات جرادل الحليب أو ماكينة الحليب الآلي أو صوت الحلاب وخلافه مما يصاحب عملية الحليب وسبق أن تعود عليها الحيوان) ينقل تأثير هذه المنبهات إلى

الهيوثالاموث الذي ينقلها عن طريق الألياف العصبية إلى النخامية الخلفية التي تفرز بدورها هرمون الأوكسيتوتسين في الدم . يصل هذا الهرمون الأخير إلى الخلايا المغلفة للبصيلات التي تنقبض لتفرغ محتوياتها في الغدة اللبنية مما يزيد من الضغط داخل الغدة ويدفع اللبن بالتالي نتيجة عملية الحلب وفتح قناة الحلمة إلى الخارج وفي حالة انزعاج الحيوان نتيجة أي مؤثر خارجي فإن ذلك يؤدي إلى انخفاض الضغط داخل الغدة اللبنية مما يستحيل معه تفريغ الضرع للبن . ويرجع ذلك إلى إفراز هرمون الأدرينالين الذي يؤثر على خفض الضغط الداخلي للغدة . وعادة ما يزول إفراز هذا الهرمون بزوال المؤثر حيث يعود الضغط داخل الغدة إلى ما كان عليه في الحالة الطبيعية .

وبالرغم من أن هذا الجزء من الضرع يخترن كمية لا بأس بها من اللبن يظل جزء كبير من اللبن الكلي موجودا عند الحلب في فراغات التخزين الصغيرة و القنوات الشعرية و تجاويف الانساخ و الخلايا الطلائية المفرزة. وقد قدرت بعض الدراسات متوسط ما تنتجه كل ربع أمامي بحوالي ٢٠٪ من اللبن بينما ينتج كل ربع خلفي حوالي ٣٠٪ في حين ينتج النصف الايمن و النصف الأيسر للضرع كلا على حدة حوالي ٥٠٪ تقريبا مع وجود تباين فردي من حيوان لآخر.

التحكم الهرموني لإفراز اللبن :

من المعروف حدوث تغييرات حيوية نتيجة تأثير هرمونات مختلفة تفرز و ينظم إفرازها بواسطة التأثيرات التي يلاقيها الجهاز العصبي في الحيوان الحلوب . و هناك مجموعة من الغدد الصماء يكتمل نموها في مناطق عديدة من جسم الحيوان المدر للبن نتيجة شعور الحيوان بضرورة أدائه لبعض الوظائف الحيوية التي تحددها طبيعة حياته وذلك خلال الفترات المختلفة من أطوار نموه الطبيعي . فعندما يكتمل نمو جسم الحيوان بعد سن معين مع اكتمال بعض الغدد المنظمة لعمليات التناسل و التكاثر يشعر الحيوان عن طريق جهازه العصبي بضرورة أداء هذه الوظيفة الحيوية و تبدأ الغدد المتخصصة في إفراز الهرمونات المختلفة في الدم لتقوم بوظيفة اكتمال النضج الجنسي و اكتمال الأجهزة الحيوية في الجسم و المتخصصة في عمليات الحمل وإفراز اللبن .

ومجموعة الغدد المهمة في عملية إفراز اللبن من الحيوان المدر للبن هي:

١- الغدة الكظرية أو الجار كلوية :

وهي مهمة لوظائف الجسم الطبيعية وتعمل على إفراز هرمون الأدرينالين الذي يساعد على اكتمال النضج الجنسي ولكن معدلاته العالية تخفض افراز اللبن وهرمون استيرويدات القشرة) والذي ينشط عملية تكوين اللبن.

٢- المبايض :

وتفرز هرمونات تساعد على اكتمال النضج الجنسي مثل هرمون الاستروجين والذي يحفز نمو و تطوير جهاز القنوات وهرمون البروجستيرون الذي يحفز نمو وتطوير القنوات الدقيقة والجهاز السنخي الفصيصى. وتفرز الهرمونات الجنسية تحت تأثير الهرمون الليوتينى والهرمون الخاص للحويصلات والمفرزان من الغدة النخامية

٣- الغدة الدرقية :

و توجد على جوانب النهاية العليا للقصبة الهوائية وتفرز هرمون الثيروكسين وتأتى أهميته للحيوان المدر حيث يزيد الشهية ومعدل ضربات القلب وسريان الدم إلى الغدد الثديية ومعدل إفراز اللبن. كما يعتبر المنظم الأساسي في عمليات التمثيل الغذائي وعند توفر هذا الهرمون بصورة كافية يزداد استهلاك خلايا الجسم للطاقة وتعمل في أعلى معدل مما يحفز إفراز اللبن وقد وجد أن معدل الإفراز اليومي لهذا الهرمون بواسطة حيوانات اللحم يكون نصف ما يفرز بواسطة الحيوانات المدرة للبن كما أن معدل إفرازه في الشتاء يكون أكثر من الصيف وذلك يفسر جزئيا بطى إفراز اللبن في الطقس الحار .وعند إزالة هذه الغدد يقل إفراز اللبن بصورة واضحة حتى ٧٥٪ كما يقل إفراز هرمون الثيروكسين نتيجة لنقص التغذية ويفرز هرمون الثيروكسين تحت تأثير الهرمون الحاث للغدة الدرقية والمفرز من الغدة النخامية. وهناك الغدة الجار درقية وهي عادة أربع غدد وتفرز هرمون الباراثيرويد والذي يتحكم في مستوى أملاح الكالسيوم والفسفور في الدم .

٤- الغدة النخامية: وتقع عند قاع المخ وتفرز الهرمونات الآتية:

أ - هرمون النمو:

ويفرز من الغدة النخامية الأمامية وبالرغم من كونه أساسا في معدل النمو للحيوانات الصغيرة وجد تجريبياً أنه ذات تأثير واضح على إفراز اللبن وهو مهم في عملية تكوين اللبن حيث يؤدي إلى زيادة جلوكوز الدم والأحماض الأمينية والدهنية في خلال الغدد الثديية كما يساعد على استمرارية إفراز اللبن في الأبقار والماعز .

ب - هرمون البرولاكتين:

ويفرز من الغدة النخامية الامامية و زيادة كميات الاستروجين التي تفرز في مراحل الحمل الأخيرة بواسطة المشيمة يعتبر منبه لإفراز البرولاكتين الذي يساعد في بدء إفراز اللبن والمحافظة عليه في معظم الحيوانات فيما عدا الأبقار والماعز . أما بعد الولادة فيعمل الحلب أو الرضاعة كمنبه على إفراز ذلك الهرمون الذي يخزن في الغدة النخامية الأمامية وينبه الحلب الجهاز العصبي مسبباً تفرغ البرولاكتين في مجرى الدم الذي يسير إلى الغدد الثديية . وقد وجد أن هرمون البرولاكتين يزيد النشاط الإنزيمي للخلايا الطلائية التي تحول المكونات المختلفة للدم إلى مكونات لبنية. ومن ناحية أخرى لوحظ أن الحيوان المدر المرضع ينتج كميان من اللبن أكثر من الحيوان الذي يتم حله بواسطة ماكينة الحلب حيث إن رضاعة الحيوانات الصغيرة تؤدي إلى تحرر كميات كبيرة من البرولاكتين.

ج- هرمون الأوكسيتوسين:

ويفرز من الغدة النخامية الخلفية ويؤثر على الاعضاء الملساء والخلايا الطلائية العضلية .

وجه الإعجاز في تكوين اللبن

ما كان أحد يعلم قبل اكتشاف أجهزة التشريح في القرنين الماضيين أسرار ما يجري في الجهاز الهضمي عند الحيوان والإنسان ووظائف ذلك الجهاز المعقد وعلاقته بالدورة الدموية ومراحل تكون اللبن في بطون الأنعام. فلما تكاملت صناعة الأجهزة والتجارب العلمية عبر قرون عرف الإنسان أن مكونات اللبن تستخلص بعد هضم الطعام من بين الفرث وتجري مع مجرى الدم لتصل إلى الغدد اللبنية في شروع الأناث التي تقوم باستخلاص مكونات اللبن من بين الدم دون أن يبقى أي آثار في اللبن من الفرث أو الدم وتضاف إليه في حوصلات اللبن مادة سكر اللبن التي تجعله سائغاً للشاربين.

هذه الأسرار كانت محجوبة عن البشر فلم يكتشفوها إلا بعد رحلة طويلة من التجارب والبحوث العلمية التي استغرقت قروناً واستعملت فيها أجهزة صنعت لأول مرة على أيدي الباحثين لم يكن لها وجود عند البشر قبل ذلك. ولكن القرآن الكريم كشفها أمام قارئه بأجمل عبارة وأوجز لفظ قبل ألف وأربعمائة عام. فمن علم محمداً صلى الله عليه وسلم من بين سائر البشر في ذلك الزمن أسرار الجهاز الهضمي والجهاز الدوري ودقائق ما يجري في غدد اللبن إلا الذي يعلم السر في الأرض والسماء ويعلم أسرار ما خلق من الكائنات .

وكذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيمة اللبن الغذائية المتميزة في زمن لم يكن يدرك الناس وقتئذ تركيب اللبن وما يحتوي عليه من عناصر ومركبات الغذاء الحيوية المهمة التي لا تجتمع في شراب غيره. ثم لما تقدم العلم وتوفرت الأجهزة توصل العلماء والباحثون إلى اكتشاف هذه المواد الغذائية التي يحتوي عليها اللبن من البروتينات والكاربوهيدرات، والسكريات، والدهون، والمعادن والفيتامينات، وغير ذلك. كل ذلك يكون شاهداً على أن القرآن نزل بعلم الله وأن محمداً رسول الله. قال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِأَنْزَلِ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (١٦٦) ﴿النساء: ١٦٦﴾ .

ملخص البحث

بعد استعراض هذا الشرح التفصيلي لعملية تكوين اللبن في ضروع الحيوانات ووصف القرآن الكريم إلى خروج اللبن سائغاً طيب الطعم وخالصاً نقياً من اللون والطعم والرائحة غير المرغوبة ، إنما يدل ذلك على نعمة الخالق جل جلاله وقدرته . استطاع العلماء حديثاً معرفة كيف يتكون اللبن في بطون الأنعام بعد أن اكتشف أسرار الجهاز الهضمي ومعرفة وظائف أعضائه ، وبعد اكتشاف الدورة الدموية وعلاقتها بعملية امتصاص المواد الغذائية من الأمعاء ودخولها في الدم، وقد استغرق ذلك فترة من الزمن لتطوير الأجهزة واكتشاف الأسرار استمرت قرابة خمسة قرون . يتم تكوين اللبن في الأنعام بالتنسيق المحكم والتدرج الدقيق بين الجهاز الهضمي والجهاز الدوري والجهاز التناسلي عن طريق الغدد اللبنة في الضروع وغيرها من الأجهزة حيث جعل الله لكل جهاز وظيفة وأعمالاً خاصة يقوم بها ليتكون - في نهاية المطاف - اللبن الخالص السائغ للشاربين .

يكفي أن نعلم أنه من أجل إنتاج لتر واحد من الحليب في ثدي الحيوان يجب أن يمرّ ما يقارب خمسمائة لتر من الدم خلال هذا العضو كي يتم امتصاص المواد اللازمة من البروتينيات والكربوهيدرات، والدهون، والعناصر والفيتامينات والهرمونات اللازمة لتكوين ذلك اللتر من اللبن . و مما يلفت النظر أن غدتي الثديين تقومان بعملية التصفية والتميز والاختيار ، و انتخاب المواد النافعة والمغذية من الدم والابتعاد عن المواد الضارة كالسموم و حمض البولة مع كونها مختلطين بالدم ، و يسيران في الجسم مع مجاري الدم ، فتجتمعان اللبن في كيس الثدي انتظاراً لحلبه ، و تقديمه لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، بينما تقوم غدتان أخريان في الجسم وهما الكليتان بعكس هذا العمل فتقومان بعملية أخرى مختلفة تماماً عن العملية الأولى . فتقوم الكلية بامتصاص سموم الدم و حمض البولة لطرحة خارج الجسم عن طريق الجهاز البولي . فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

المراجع العلمية

المراجع العربية:

١. القرآن الكريم .
٢. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة القرآن والسنة-(١٣٩٧هـ-١٩٧٧م) .
٣. المنتخب في تفسير القرآن الكريم- الطبعة السادسة- مطابع الأهرام التجارية.
٤. عبدالرازق نوفل(١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
٥. محمد على الصابوني (١٤٠١هـ- ١٩٨١م). صفوة التفاسير- المجلد الثالث- الطبعة الرابعة- الناشر دار القرآن الكريم-بيروت.
٦. الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزي دلالتها العلمي-سلسلة مقالات بجريدة الأهرام المصرية) الأستاذ الدكتور زغلول النجار .
٧. الرازي التفسير الكبير، ط٣- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٨. القرآن الكريم نصوص وترجمة معانيه وتفسيره، منشورات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر.
٩. مجلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
١٠. موسوعة الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية.

المراجع الأجنبية :

- 1 - Jelliffee D.B.and Jelliffe E.F.P.(1978).Human Milk in the Modern World.Psychosocial Nutritional and Economic Significance. Oxford University Press.
- 2 - Campbell J.R.and Mrshall R.T.(1975).The Science of providing Milk for Man.McGraw - Hill Book Co.N.Y.
- 3 - Falconer I.R.(ed.) (1971).Lactation.Butterworths London.
- 4 - Fomon S.J.(1974).Infant Nutrition.(2nd Ed.) W.B.Saunders Philadelphia.
- 5 - Oser B.L.(1979).Hawk's Physiological Chemistry. 14th Ed. Tata McGraw - Hill publishing Co.Ltd. New Delhi.
- 6 - Grimmonon prez L.(1966).C.R.Acad.Sci.(Paris) 2630 1269.
- 7 - Rose D.(1970).J.Dairy Sci.53 1.
- 8 - Shahani K.M. Harper W.J. Jensen R.G.Parry R.M.and Zittle C.A.(1973).Enzymes in Bovine Milk:A. Review J.Dairy Sci. 56 531.
- 9 - Rawford M.A. Hassam A.G.and Hall B.W.(1977). Nutr. Metab. 21 (Supplement 1) 187.
- 10 - Frieman G.and Goldberg S.J.(1975).Amer J. Clin. Nuir. 28.42.
- 11 - Roberts S.A. Cohen M.D.and Forfar J.O.(1973).Lancet iv 809
- 12- Glade B.E.and Buchanan G.R.(1976).Pediatrics 58 548.
- 13- Haartman A.M.and Dryden L.P.(1965).Vitamins in Milk and Milk Products American Dairy .



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

**الإعجاز العلمي في قوله تعالى:
(إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما
بعوضة فما فوقها)**

الأستاذ الدكتور / مصطفى إبراهيم حسن
أستاذ علم الحشرات الطبية مدير أبحاث ناقلات الأمراض
كلية العلوم - جامعة الأزهر



قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) [البقرة: ٢٦].

تفسير القرطبي:

- قوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا » قال ابن عباس في رواية ابن صالح: لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين: يعنى «مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً» وقوله: «أو كصيب من السماء» قالوا: الله أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال، فأنزل الله هذه الآية.
- وفي رواية عطاء عن ابن عباس قال: لما ذكر الله آله المشركين فقال: «وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه»: وذكر كيد الألهة فجعله كبيت العنكبوت، قالوا: رأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد، أى شئ يصنع؟ فأنزل الله الآية. وقال الحسن وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل، ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله الآية.
- **تفسير ابن كثير:** معنى فما فوقها، فيه قولان أحدهما: فما دونها في الصغر والحقارة. والثانى لما هو أكبر منها لأنه ليس شئ أحقر ولا أصغر من البعوضة.
- **تفسير الطبري:** اتفق مع ابن كثير في تفسيره لمعنى (فما فوقها).
- **وقال الكسائي وأبو عبيدة وغيرهما:** معنى فما فوقها - والله أعلم - ما دونها، أى إنها فوقها في الصغر، قال الكسائي: وهذا كقولك في الكلام: أتره قصيراً؟ فيقول القائل: أو فوق ذلك، أى هو أقصر مما ترى. وقال قتادة وابن جريج: المعنى في الكبر، والضمير في أنه عائد على المثل، أى أن المثل حق.

• تفسير الجلائين :

(فما فوقها) أى أكبر منها أى لا يترك بيانه لما فيه من الحكم (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه) أى المثل (الحق) الثابت الواقع موقعه (من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) تمييز أى بهذا المثل، وما إستفهام إنكار مبتدأ، جوابهم وذا بمعنى الذى بصلته خبره أى: أى فائدة فيه قال تعالى: في (يضل به) أى بهذا المثل (كثيراً) عن الحق لكفرهم به (ويهدى به كثيراً) من المؤمنين لتصديقهم به (وما يضل به إلا الفاسقين).

مقدمة

ينتمى البعوض إلى رتبة الحشرات ذات الجناحين، والتي تنقسم إلى ثلاث (تحت رتبة) هي : نيماتوسيرا، سيكرورافا وبراكيسرا. وتقع رتبة ذات الجناحين في تقسيم (تحت رتبة) نيماتوسيرا. وينتمى البعوض إلى عائلة كيوليسيدى والتي بدورها تنقسم إلى ثلاث (تحت عائلة) : Culicinae anolphelinae toxorhynchitinae.

وينتشر البعوض في المناطق الإستوائية وتحت الإستوائية وفي المناطق المعتدلة. يوجد حوالي أكثر من ٣٠٠٠ نوع من البعوض منتشرة في المناطق السابقة. تشمل Toxorhynchitinae ٦٩ نوعاً، بينما تشمل Anophelinae ٤٠٠ نوعاً وتشمل Culicinae ٨٠٠ نوعاً.

ينقل البعوض العديد من الأمراض الخطيرة للإنسان. حيث تقوم بعوضة الأنوفيلس بنقل مرض الملاريا للإنسان في مناطق كثيرة من العالم وخاصة في إفريقيا، كما تقوم بعوضة الكيولكس بنقل العديد من الأمراض للإنسان مثل : الفيلاريا، حمى غرب النيل، التهاب الدماغ، كما تقوم بنقل مرض حمى الوادى المتصدع للحيوان ومنه للإنسان وأيضاً مرض اللسان الأزرق للحيوان. وتنقل بعوضة الأيدس مرض الحمى الصفراء خاصة في إفريقيا.

الهدف من البحث :

- ولإلقاء الضوء على العلاقات المختلفة التي بين البعوضة والكائنات التي فوقها سواء في الصغر أو الكبر، أو فوق جسمها، فقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة أجزاء رئيسية:
- دراسة التركيب المجهرى الدقيق لقرنى الإستشعار وأجزاء الفم للبعوضة وتم ذلك بإستخدام المجهر الإلكتروني الماسح.
 - دراسة التركيب المجهرى الدقيق داخل معدة البعوضة من أجل التعرف على تركيب خلايا البعوضة العجيبة، ولقد تم ذلك بإستخدام المجهر الإلكتروني النافذ.
- التعرف على الكائنات الدقيقة التي تعيش داخل معدة البعوضة مثل:**
- البكتريا: تم التعرف على أنواع البكتريا المختلفة وذلك باستخدام أوساط غذائية إختيارية وغير إختيارية.
 - الأوليات مثل طفيل الملاريا والميكروفيلاريا باستخدام صبغة جيمسا.
 - الفيروسات وذلك بإستخدام جهاز تفاعل البلمرة المتسلسل PCR.
 - التعرف على الكائنات التي تعيش على جسم البعوضة:
 - الفطريات والحلم باستخدام الأوساط الغذائية والميكروسكوب الضوئى.

الطرق والوسائل المستخدمة

لعزل الكائنات الدقيقة التي تعيش داخل البعوضة :

- تم أخذ عشرة عينات من البعوضة، وتم تشريحها تحت ميكروسكوب التشريح، وذلك تحت ظروف تعقيم شديدة وباستخدام أدوات تشريح دقيقة جداً ومعقمة في الأوتوكلاف وتم بعد ذلك طحنها في هاون دقيق ثم بعد ذلك تم وضعها في أنبوبة اختبار تحوي محلول رينجرز. وتم تخفيف محلول رينجرز حتى ٥ - ١٠ .

الأوساط الغذائية التي تم إستخدامها لعزل البكتريا والفطريات:

- Nutrient blood medium
- Brain heart infusion medium (Difco)
- Dox agar amended with yeast extract
- Starch nitrate agar medium
- Azide blood medium
- Staphylococcus medium
- Mac conkey s No.3 medium
- Salmonella – Shigella medium

- تم استخدام صبغة جيمسا لعزل طفيل الملاريا والميكروفيلايريا وذلك تحت الميكروسكوب الضوئي. تم عزل اللحم تحت ميكروسكوب التشریح الضوئى.
- تم عزل الفيروسات من البعوضة وذلك باستخدام تفاعل البلمرة المتسلسل PCR.
- تم فصل البروتينات المختلفة من معدة البعوضة باستخدام جهاز الفصل الكهربائى Polyacremide Gel Electrophoresis.
- (PAGE).

تم استخدام الميكروسكوب الإلكتروني الماسح (SEM) في تصوير الشعيرات الحسية الدقيقة المصاحبة لقرون الاستشعار وأجزاء فم البعوضة.

تم استخدام الميكروسكوب الإلكتروني النافذ (TEM) في تصوير معدة البعوضة والكائنات الدقيقة التي تعيش بداخلها.

النتائج

دورة حياة البعوض

ينتمي البعوض إلى رتبة ذات الجناحين Diptera والتي تعتبر من الحشرات ذات التطور الكامل. وهذه الحشرات تمر في خلال دورة حياتها بأربعة مراحل هي: البيضة واليرقة والعدراء والحشرة البالغة. وتعيش الأطوار الثلاثة الأولى في الماء بينما يعيش الطور البالغ على الأرض، تتغذى اليرقة على الكائنات الدقيقة التي تعيش في الماء مثل البكتيريا والخميرة وأيضاً المواد العضوية.

من ناحية أخرى فإن أنثى البعوض تتغذى على دم الإنسان والحيوان، بينما يتغذى الذكر على المواد السكرية مثل عصير النبات ورحيق الزهور. وتختلف الأطوار الأربعة في أنواع البعوض المختلفة. وتضع بعوضة الكيولكس البيض في شكل عنقود بينما يكون شكل البيض في الأنوفيلس على شكل قارب، أما بعوضة الأيدس فيكون البيض غير ملتصق ببعضه ولا يشبه القارب ويكون على شكل بويضات مفردة غير ملتصقة ببعضها.

تتميز يرقات الكيولكس بأن لها Siphon في نهاية البطن وتتعلق بسطح الماء بنهاية البطن حيث تقوم بالحصول على الأكسجين بواسطة الأنابيب التنفسية وتكون متعامدة على سطح الماء. بينما تتعلق بعوضة الأنوفيلس موازية لسطح الماء. وتتشابه عدراء الأنوفيلس والكيولكس إلا أن Siphon في الأولى يكون على شكل قمع بينما في الثانية يكون ضيق.

الطور البالغ

يختلف كل من الذكر والأنثى في أنواع البعوض المختلفة. حيث تقف أنثى بعوضة الأنوفيلس بزواوية ميل 40° درجة على السطح الذي تقف عليه، بينما تكون أنثى الكيولكس موازية للسطح. أيضاً تكون الملامس الفكية لكل من الذكر والأنثى في الأنوفيلس أطول من مثلتها في الكيولكس. ويتميز ذكر الأنوفيلس بأن الملامس الفكية تكون منتفخة في نهايتها، بينما في الكيولكس تكون مستقيمة ومنحنية إنحناءة خفيفة.

كيف تستطيع البعوضة تحديد مكان الإنسان أو الحيوان:

تقوم البعوضة بتحديد مكان العائل بواسطة الشعيرات الحسية الدقيقة التي تتواجد على قرون الاستشعار وأجزاء الفم. وتنقسم هذه الشعيرات إلى نوعين: مستقبلات ميكانيكية Mechnoreceptor sensilla ومستقبلات كيميائية Chemoreceptor sensilla. وتقوم الأخيرة باستقبال رائحة غاز ثاني أكسيد الكربون ودرجة الحرارة. وأيضاً تقوم بتحديد جزيئات الماء الذي سوف تضع فيه البيض.

أوجه الإعجاز العلمي في البعوضة:

١. قال الله تعالى: بعوضه بجنس الأنثى.
٢. دورة حياة البعوضة (بيضه - يرقة - عذراء - حشرة كاملة).
٣. قدرة البعوضة على وضع البيض في الظروف غير المناسبة.
٤. قدرة البعوضة على تحديد العائل (إنسان - حيوان).
٥. قدرة البعوضة على تحديد مكان الماء (عذب - مالح).
٦. قدرة الخلية الواحدة في معدة البعوضة على القيام بكل الوظائف الحيوية التي تقوم بها خلايا معدة الإنسان مجتمعة: إفراز إنزيمات، إمتصاص، تصنيع إنزيمات، إفراز البروتينات المضادة للمسببات المرضية المختلفة (بكتيريا - فطريات - فيروسات - أوليات).
٧. قدرة خلايا البعوضة على تدمير خلايا فيروس الإيدز وفيروس الإلتهاب الكبدي الوبائي C.
٨. قدرتها على وضع أعداد كبيرة من البيض ٣٠٠ بيضة، وأيضاً قدرتها على الطيران مما يمكنها على التواجد على الأرض ما يقرب من ١٥٠ مليون سنة (٣٧٣٧ نوع).
٩. يوجد جنس توكسوريبيكيتس يتغذى على يرقات أنواع البعوض الأخرى.
١٠. ينقل أمراض عديدة للإنسان (والملاريا - الفيلايريا - حمى الوادى المتصدع -

حمى غرب النيل - التهاب المخ - الحمى الصفراء - وأمراض عديدة للحيوان
مثل : الحمى القلاعية والجلد العقدي وغيرها)، ولقد أمكن تصنيع مضادات لهذه
الأمراض من البعوضة نفسها.

شرح وجه الإعجاز في (بعوضة فما فوقها)

إذا أخذنا معنى كلمة (فما فوقها) بأنه ما أدناها في الحجم أو ما أصغر منها، كما جاء
في تفسير الطبري، فلقد توصل البحث الحالي إلى أن البعوضة ترتبط بعلاقات معقدة مع
الكائنات التي هي أصغر منها والتي تعيش داخل معدة البعوضة وفي غددها اللعابية
مثل: البكتريا (١٧ نوعاً) الفطريات (نوعان) الفيروسات (حوالي ستة أنواع) والأوليات
(نوعان) وأخيراً الديدان الخيطية (ميكرو فيلاريا). ولقد وجد أن بعض هذه الكائنات
مفيدة وضرورية لحياة البعوضة مثل البكتريا والخميرة. وبعضها ضار بالبعوضة مثل
الفيروسات والأوليات والديدان الخيطية.

تعريف البكتيريا المستوطنة للمعي الأوسط:

البكتيريا موجبة الجرام التي تم عزلها من المعى الوسطى هي:

باسيلس ساتيلس، باسيلس سيرياس، باسيلس ثورينجينسيس، ستريبتوكوكس بنوموني،
ستوماتوكوكس ميوسيلاجنوساس، ليستيريا دينتريفيكانس.

والبكتيريا سالبة الجرام التي تم عزلها هي:

تم تعريف سبعة عشر نوعاً من البكتيريا موجبة وسالبة الجرام.

- ايشريشيا كولاي، سيراشيا ليكويفاشيانس، اسينيتوباكتر كالكويسيتكاس،
نيسيريا الونجاتا، نيسيريا مكوزا، ادواردزيلا تاردا، كليسيلا تيريجينا، سالمونيلا
انترديز، انتروباكتر كلواكي، سيتروباكتر دايفيرساس وشيجيلا. وهذه الأنواع
مفيدة للبعوضة.

- بكتريا ولبشتيا والتي تتواجد في مبيض البعوضة. وهي مفيدة للبعوضة.
 - بكتريا باسيلس سفريكس وباسيلس ثرينجوينسس. وهذه البكتيريا تقتل البعوضة.
- لا تستطيع البعوضة نقل هذا الفيروس من إنسان إلى إنسان آخر، وذلك لأن كمية الفيروس المتواجدة في وجبة الدم التي تمتصها البعوضة تكون قليلة جداً وتكون غير كافية لنقل المرض. ولكن البعوضة تقوم بهضم هذا الفيروس أثناء هضم وجبة الدم وتحوله إلى أحماض أمينية تستخدمها البعوضة في بناء خلاياها المختلفة.

فوائد البكتريا المستوطنة لمعدة البعوضة :

تساعد البعوضة في تصنيع مضادات للفيروسات التي تهاجم البعوضة والتي تدخل مع وجبة الدم مثل فيروسات: حمى غرب النيل WNV وحمى الدنج Dengue Fever حمى الوادى المتصدع Rift Valley Fever، التهاب الدماغ والمخ Encephalities، الحمى الصفراء Yellow Fever فيروس الالتهاب الكبدي الوبائي HCV ولقد تمكن البحث الحالي من عزل مركب وزنه الجزيء ٢٦ كيلو دالتون وذلك بواسطة جهاز الفصل الكهربائي Electrophoresis يستطيع القضاء على هذا الفيروس ويحوّله إلى أحماض أمينية تستفيد منها البعوضة في زيادة خصوبة البيض ومنها الحمض.

ما هو السبب في أن البعوضة تنقل الأمراض ؟

إن إجابة هذا السؤال تكمن في سر (فما فوقها) أى ما أصغر منها من كائنات، وهى البكتريا التي تعيش في معدة البعوضة.

إن هذه البكتريا كما قلنا تدافع عن البعوضة ضد المسببات المرضية المختلفة التي تدخل مع وجبة الدم التي تأخذها من إنسان أو حيوان مصاب بالمرض. تظل البكتريا تحاول قتل تلك المسببات المرضية ولكن إذا نجحت تلك المسببات في القضاء على البكتريا المتعايشة مع البعوضة أو إضعافها، فإن تلك المسببات تتكاثر في العدد وتصل إلى مرحلة البكتيريميا Bacteraemia في حالة البكتريا.

كيف تقوم البعوضة بنقل المرض ؟

- أو تصل الفيروسات إلى مرحلة الفيرويميا Viraemia وعندها تصبح البعوضة قادرة على نقل المرض للإنسان، عندما تصل الفيروسات إلى الغدد اللعابية للبعوضة.
- أو تصل الطفيليات إلى مرحلة البارسيتميا Parasitaemia وعندها تكون البعوضة قادرة على نقل مرض الملاريا أو الفيالاريا أو غيرها من الطفيليات.
- ولعل تلك النتائج قد كشفت عن بعض السر المعجز في التعبير القرآني (فما فوقها). إن الربط القرآني بين البعوضة فما فوقها قد ألقى الضوء على تلك العلاقات المعقدة التي توجد بين الكائنات الدقيقة (الأدنى منها) التي تعيش داخل معدة البعوضة وبين قدرة البعوضة على نقل المرض للإنسان وقتله في أحيان كثيرة. فهذه الكائنات تحمي البعوضة والشئ المعجز أنها تحمي الإنسان أيضاً عن طريق قتل المسببات المرضية التي تنتقل إليه إذا تغذت على البعوضة على دمه إذا نجحت هذه المسببات في القضاء على .

كيف تحمي الكائنات الأدنى (فما فوقها) الإنسان ؟

إن البعوضة لكي تنقل الأمراض للإنسان أو الحيوان لابد أن تنجح المسببات المرضية المختلفة (بكتريا - فيروسات - طفيليات) في القضاء على الكائنات الأدنى من البعوضة (فما فوقها) التي تعيش داخل معدة البعوضة. ولكن هذه الكائنات الدقيقة كما قلنا تفرز مضادات تقتل هذه المسببات المرضية في معظم الأحيان وبذلك لا تنتقل هذه المسببات المرضية من البعوضة إلى الإنسان، ومن هنا نجد أن هذه الكائنات الدقيقة تلعب دوراً حيوياً وهاماً في المحافظة على حياة الإنسان. وقد تم التأكد من ذلك حيث قام الباحث الحالي بتغذية ١٠٠ بعوضة على دم ملوث بتلك المسببات المرضية وكانت النتيجة المذهلة أنه من بين ١٠٠ بعوضة لم تستطع سوى إثنين فقط بنقل المرض بينما ٩٨ بعوضة لم تستطع نقل المرض على الرغم من أنهم تغذوا على نفس الدم الملوث بالمسببات المرضية. ومن هنا نرى سر التعبير القرآني المعجز، فوجود هذه الكائنات في معدة البعوضة من أجل المحافظة على حياة الإنسان.

تابع وجه الإعجاز في بعوضة (فما فوقها)

أما إذا أخذنا معنى (فما فوقها) على أنه فما فوق جسم البعوضة، فلقد توصل البحث الحالي إلى أنه هناك كائنات دقيقة تعيش فوق جسم البعوضة من الخارج وخاصة على منطقتي الصدر والبطن وهذه الكائنات تفترس البعوضة وتقتلها مثل: الحلم والذي يشبه العنكبوت ويتبع رتبة Acarina والفطريات، ويوجد من كل منهما عدة أنواع تتغذى على البعوضة ولا تتركها إلا بعد أن تقتلها. والحلم يقتل البعوضة عن طريق مص دمها أو التغذية على مناطق اتصال الجناح بالصدر فيكسر الجناح وبذلك لا تستطيع البعوضة الحصول على غذائها وتموت. وهناك أنواع من الحلم يسمى ساياسيدس ديتناتا *Thyasides dentate* الذي يفترس يرقات البعوض وهى في الماء، أما النوع أرينيورس جلوباتر *Arrenurius globatert* فيفترس إناث البعوض وخاصة بعوضة الأيدس التي تنقل للإنسان مرض الحمى الصفراء وهو مرض قاتل ينتشر في إفريقيا.

الفطريات التي تتغذى على البعوضة :

هناك من الفطريات فطر يسمى ليجينديم جيجاتم *Legenidium giganteum*، ونوع آخر يسمى يعيش على جسم البعوضة ويتغذى عليها. ولقد تم استخدام هذا الفطر في مقاومة البعوضة الناقلة لمرض الملاريا في إفريقيا. ويسمى هذا النوع من المقاومة بالمقاومة الحيوية وقد أتى بنتائج ناجحة كان من أبرزها الحد من انتشار مرض الملاريا في تنزانيا. ولقد اعتمدت تلك الطريقة على غمس رقائق سوداء مغطاة بالفطر، وعندما تقف عليها البعوضة المتغذية على الدم لترتاح فإنها تموت. لقد لوحظ أن ٩٠٪ من البعوض المصاب بهذا الفطر يموت، والأكثر من ذلك فإنه بعد أسبوعين تقل قدرته على نقل مرض الملاريا، وهى الفترة نفسها اللازمة لكي يتطور طفيل الملاريا داخل البعوض. يموت من هذا المرض ٧٧, ٠٠٠ - ٣ مليون فرد كل عام، بينما يقدر عدد المصابين به على مستوى العالم بحوالي ٤ مليون شخص.

تابع وجه الإعجاز في (بعوضة فما فوقها) :

إذا أخذنا معنى (فما فوقها) بأنه ما أكبر منها في الحجم، كما في تفسير الجلالين، فإننا سنجد أن البعوضة ترتبط بعلاقات معقدة مع الكائنات الأكبر منها وخاصة الإنسان والحيوان. فلقد وجد أن البعوضة تصيب الإنسان والحيوان بالعديد من الأمراض. ولكن كل المسببات المرضية التي تسبب هذه الأمراض تقع تحت التفسير الأول لمعنى بعوضة فما فوقها أى الكائنات الأصغر منها والتي سبق ذكرها. أيضاً نجد أن البعوضة ترتبط مع معظم أفراد المملكة الحيوانية بعلاقات كثيرة. فهي تعتبر مصدراً للغذاء لسماك الجامبوزيا، وكالسحالي للزواحف وغيرها، والبرمائيات كالضفدعة والطيور كالعصفور، وللثدييات مثل الخفاش، وفي الناحية الأخرى فإنها أيضاً تنقل العديد من الأمراض لها مثل بعوضة الكيولكس التي تنقل مرض الملاريا للطيور والزواحف (كائنات أكبر من البعوضة) ويسببه نوع مختلف من طفيل الملاريا (الأدنى من البعوضة) والذي يتطور في معدة هذه الحيوانات وهو غير الذى يصيب الإنسان. للطيور والزواحف ولقد عبر القرآن الكريم عن كل تلك العلاقات سواء التي بين الكائنات الأكبر من البعوضة (الحيوان والإنسان) أو الكائنات الأصغر منها (المسببات المرضية) في تعبير معجز «بعوضة فما فوقها».

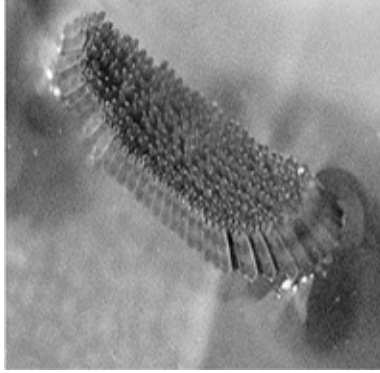
كلمة ختامية

في نهاية هذا البحث لا أستطيع إلا أن أقف عاجزاً عن التعليق على تأويل (فما فوقها) في الآية الكريمة، فهي تستطيع أن تحتوي أقوال كل المفسرين سواء المخلوقات الأدنى منها في الحجم أو الأكبر أو الأعظم منها في الخلق، أو بمعنى المخلوقات التي فوق جسم البعوضة نفسها. وصدق الله العظيم الذى قال : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [آل عمران : ٧].

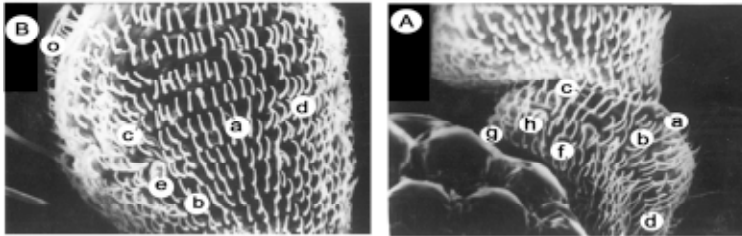
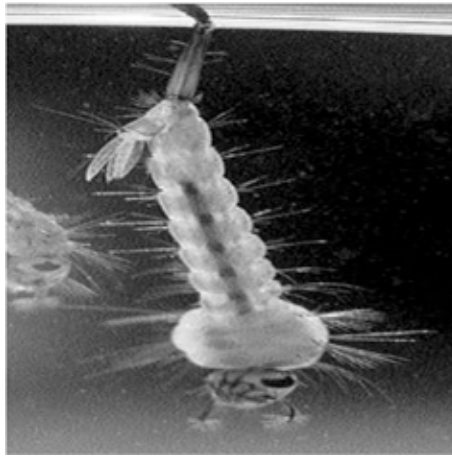
توجد البعوضة على الأرض من حوالي ١٥٠ مليون سنة



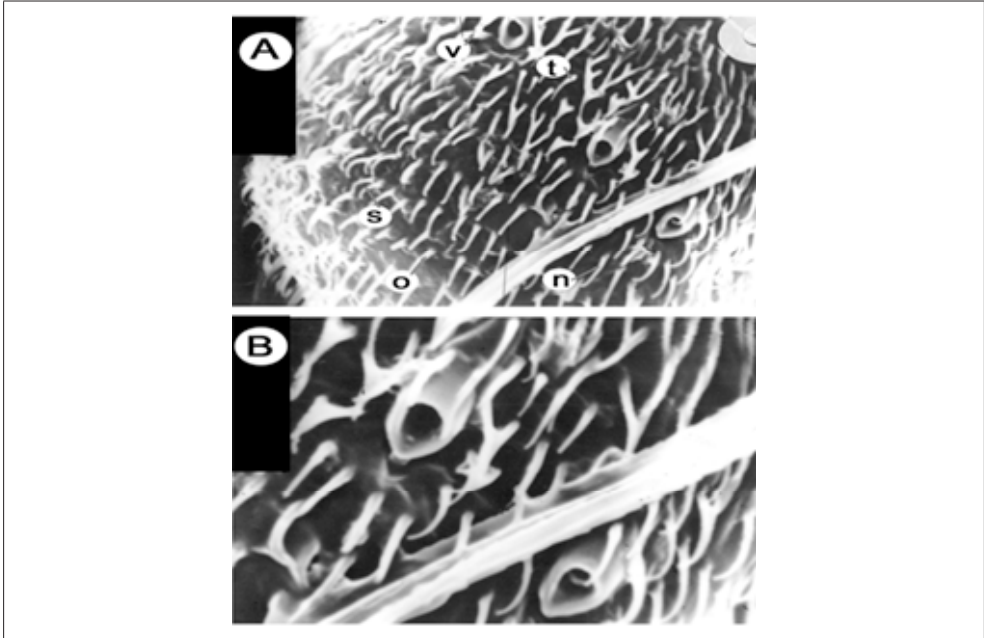
بيض بعوضة الایدس



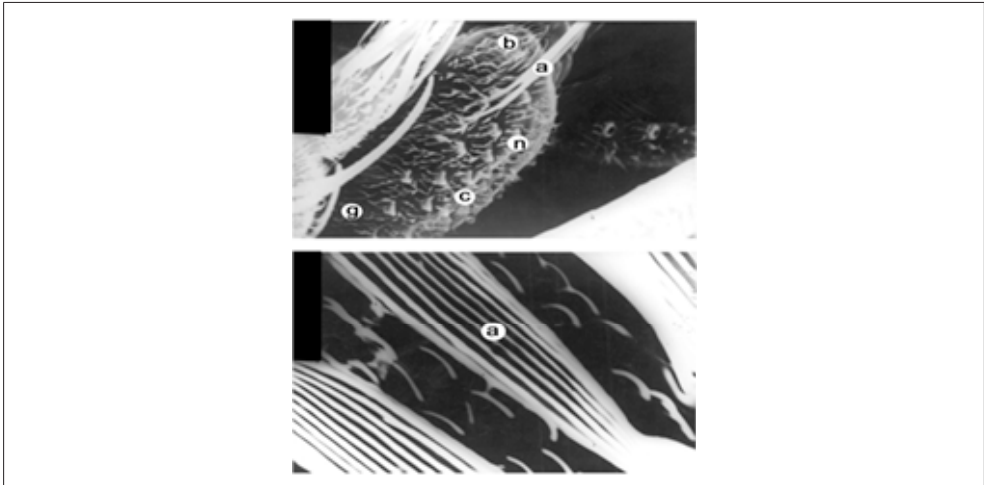
بيض بعوضة الكيولكس



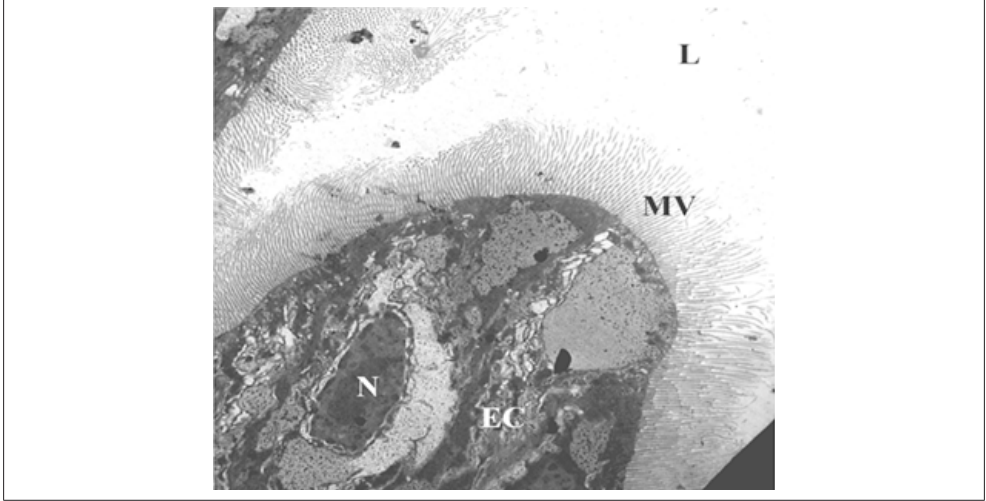
مستقبلات الرائحة في قرن استشعار



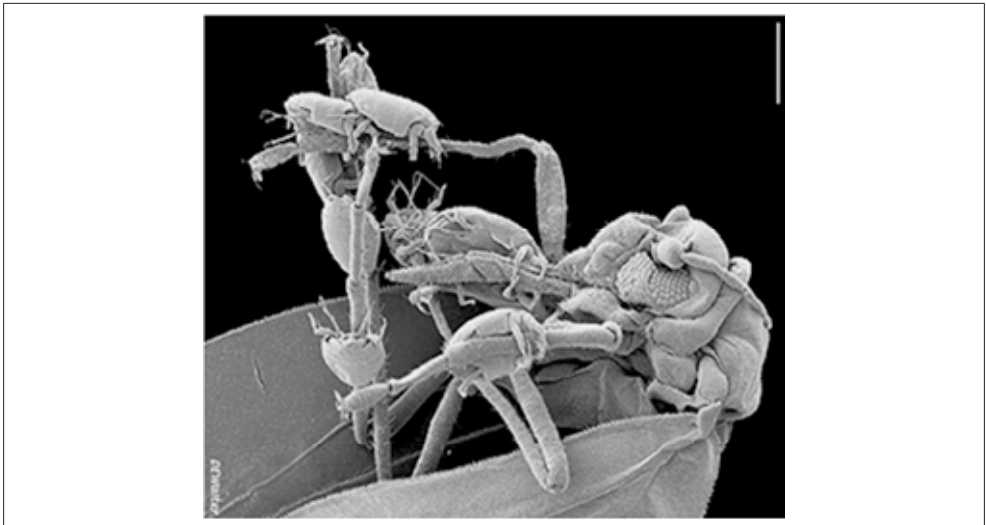
الشعيرات الحسية الدقيقة مستقبلات رائحة غاز ثاني أكسيد الكربون الصادرة من الانسان



مستقبلات ترددات الهواء والتي عن طريقها تقيس البعوضة سرعة الرياح وضغط الهواء وأيضا الاستدلال على الأنتى للتزاوج



خلية من معدة البعوضة مكبرة ١٥٠٠٠ مرة والتي يعيش بداخلها الكائنات الأدنى من البعوضة مثل الملاريا
الفيروسات والبكتيريا فيروس الايدز التي تستطيع البعوضة أن تهضمه وتحوّله إلى غذاء لها



الكائنات الأدنى من البعوضة والتي تعيش فوق جسمها و تتطفل عليها وهي نوع من العنكبوتيات الدقيقة وتسمى اللحم

المراجع

المراجع العربية :

- تفسير القرطبي
- تفسير الطبري
- تفسير الجلالين
- تفسير ابن كثير

المراجع الأجنبية :

- Ahmed M.S. Hassan M.I. and Zayed A.B.(1995): Micobial flora associated with some species of biting and non-biting flies(Diptera) .J. Fac.Educ. Ain Shams Univ. 20:477-489.
- Al-Daly A.G. Fouda M.A. Hassan M.I. and Hammad K.M.(2000):the midgut bacterial flora of *Culex pipiens* L.(Diptera: Culicidae) in Egypt.
- Hassan M.I.;Zayed A.B. and Ahmed M.S.(1996): The influence of symbiotic bacteria on digestion and youlk protein synthesis in *Culex pipiens* L (Diptera: Culicidae).J.Egypt. Ger. Soc.Zool. 21(E)269-248.
- Hassan M.I. Mahdy H. and Lotfy N.M.(1998):Biodiversity of the microbial flora associated with two species of the sandflies *Phlebotomus papatasi* and *P. langeroni* (Diptera: Psychodidae).J.Egypt. Ger. Zool. 26 (E) Entomol. :25-36.
- Hassan M.I. El-Kordy E. Wahba M. and Mady H.(2000):The effect of different species of bacteria on certain biological aspects of the sand fly *Phlebotomus papatasi* Scopoli (Diptera: Psychodidae).J.Union Arab Biol. (13 A) Zool. 223-231.
- Hassan M.I. Mangoud A.M. Etewa S. Amin A. Morsy T.A.El-hady G. El-Basher Z. and Hammad K.(2003): Experimental demonstration of Hepatitis C Virus (HCV) in an Egyptian strain of *Culex pipiens* complex.J.Egypt.Soc.Parasitol. 33(2).373-384.
- Fouda M.A. (1984): Significance of symbiotic bacteria in *Hippobosca equina* (Diptera: Hippoboscidae).Zaug.ent. 97:376-378.
- Fouda M.A. Hassan M.I. Al-Daly A.G. and Hammad K.M.(2001):Effect of midgut bacteria of *Culex pipens* L. on digestion and reproduction.J.Egypt.Soc.Parasitol. 31 (3) 767-780.
- Mahdy H.M. Hassan M.I.Abbas.A.A. and Moawad W.A.(2006): identification and impact of midgut bacteria on electrophoresis proteins of symbiotic and aposymbiotic mosquito *Culex pipiens*.Egypt.J. Biotechnol. Vol.24 261-284.
- Steinhaus E. A.(1940):The microbiology of insects with special reference to biologic relationships between bacteria and insects. Bact. Rev. 4 :16-57.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

**الإعجاز في خلية النحل:
كفاءة الأعسال المضادة للميكروبات**

أ.د. أحمد جعفر حجازي

المركز القومي للبحوث - جمهورية مصر العربية



قال تعالى: { وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (النحل: ٦٨ - ٦٩)

الحقيقة العلمية :

العسل مادة غذائية هامة تحتوي على محلول سكري مركز يتكون أساسا من السكر والماء والأملاح المعدنية والفيتامينات، وبعض المواد البروتينية، والحمائر والإنزيمات، وبعض مركبات كيميائية ذات صفات دوائية . يتم تصنيع العسل من رحيق الأزهار التي تجمعها شغالات النحل من الأزهار المتنوعة المحيطة بالمنحل ؛ تقوم شغالات النحل بتحويل الرحيق المتجمع من خلال عمليات الهضم الجزئي وتقليل الرطوبة إلى سائل سكري مركز يخزن بالعيون السداسية. والتعريف الأمثل للعسل بأنه المصدر الطبيعي للطاقة الحيوية ؛ كما أنه يحتوي على العديد من المنتجات المعقدة. ينضج العسل ليس فقط في حوصلة العسل في شغالات النحل ، ولكن أيضا في العيون السداسية بأقراص الشمع من خلال عمليات فسيوكيميائية معقدة (البخر)، وأيضا من خلال عملية ميكانيكية يطلق عليها التقبيل بين الشغالات حيث تعلق الشغالة العسل وتوصله إلى لسان الشغالة الأخرى فبذلك يتيح فرصة للتعرض للبخار من خلال التعرض الحرارى بين الشغالتين وذلك من خلال توصيل قطرة الرحيق إلى أن تصل إلى العين السداسية .

كما أن النحل من أنشط المجتمعات ؛ إن لم يكن أنشطها وأدقها تنظيماً؛ حيث يتقاسم أفراد المجتمع العمل ؛ فكل يؤدي واجبة الموكل إليه بكل إخلاص ونفان وإتقان ؛ ولا يسمح أفراداه أن يعيش بينهم شخص كسول ؛ فإذا تكاسل فرد منهم وأصبح عبئا على بقية أفراد المجتمع ، كان مصيره التشريد والطرد حيث يلفظه المجتمع لكونه عبئا على العاملين المجدين ؛ وهذا المجتمع التعاوني يقدم العون للصغير والضعيف حتى يكبر ويقوى ليكون زادا للمجتمع وقوة فعالة به . فمجتمع النحل ؛ هو مجموعة من الأفراد لكل فرد فيه دور

مستقل ؛ فتكون الخلية بمثابة جسم نابض بالحياة ، يحافظ على استتباب النظام داخل الخلية؛ فإذا ألم بها مكروه أو ما يهدد أمنها ؛ تألمت وحزنت ، وتقوم بإصلاح ما أصابها، ويزول ما يهدد الأمن والاستقرار أو ما يعكر صفوه ؛ كما أن مجتمع النحل لا يعرف اليأس و كل فرد في الخلية يعمل المستحيل للمحافظة على استقرار وأمن الخلية ؛ فإذا ما شاهدنا هذا المجتمع المثالي لا يسعنا إلا أن نردد سبحان الله وتبارك الله أحسن الخالقين .

وجه الإعجاز :

معضلة لم تُحل وتوضح كيفيتها إلا حديثا في عصر العلم ، ومن هذا المنطلق نلاحظ أن القرآن الكريم ورد به تكريم الله سبحانه وتعالى للنحل بجعل سورة باسم النحل لذلك اتجه البحث إلى دراسة كفاءة الأعسال المضادة للميكروبات .

كما ورد في الصحيحين : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء ، وما أحب أن أكتوي » فمن هنا قد أفرد النبي صلى الله عليه وسلم كل ألوان وصنوف العلاج المتبعة الآن ، ومنها التدخل الجراحي ، والعلاج التحفظي ، والعلاج الظاهري، وقوله صلى الله عليه وسلم : عليكم بالشفائين العسل والقرآن (ابن ماجه ح ٣٤٥٢ ، بإسناد صحيح) فإن النحل والعسل في الحديث النبوي الشريف قد أخذوا قسطا وافرا من اهتمام سيد الخلق صلى الله عليه وسلم لما للنحل من آية في خلق الله وما جبله عليه من اهتمامه بسلوكه ونتاجه، وما يخرج من الطيب ، وأهميته لكافة نواحي الحياة فإن ذلك يدعونا نحن أهل العلم للتدبر ، والتفكير لما وصانا به الله في محكم آياته « إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون» . ومن هذه الآية الكريمة في سورة النحل « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون» تنشأ فكرة هذا البحث حيث إن العلم الحديث قد أثبت بلا مجال للشك في قدرة صمغ النحل العلاجية من خلال احتوائه على عدد من الخصائص البيولوجية ، وهذا البحث قد تناول إحدى هذه الخصائص الهامة .

مقدمة

أكثر من نصف الطاقة المولدة في الجسم الإنساني تخرج من السكر، ومعلوم أن السكر الذي يدخل في أصل تكوين العسل يعتبر أساساً كغذاء ؛ علماً بأن سكر العسل أسرع هضماً من بين عناصر التغذية ؛ حيث يتجه العسل إلى الكبد مباشرة ليتحول إلى جليكوجين دون الحاجة إلى عمليات أخرى. في حين أنه يجب أن يتحول السكر الأبيض العادي في الجسم إلى مركباته البسيطة بفعل إنزيم الإنفرتيز لكي يتحول السكر إلى سكر عنب فيتجه إلى الكبد ، يتحول إلى جليكوجين ؛ وهكذا فقد كتبت آلاف المراجع العلمية في مجال التركيب الكيميائي للعسل ؛ كما يوجد الملايين من النباتات التي توجد على سطح الكرة الأرضية مما يمكن للنحل أن يرتشف من رحيقها منفردة أو مع نباتات أخرى بحيث يكون تركيبها ممثلاً لهذا النبات في حالة النباتات المنفردة ؛ بينما إذا أخذ من رحيق عدد من النباتات فإن ذلك سينعكس على تركيب العسل الناتج من الناحية الكيميائية ؛ حيث يختلف تركيب العسل حسب نوع النباتات الموجودة في المرعى المجاور للمنحل وأيضا تبعا للظروف الجوية والترية.

درس جردون وآخرون ١٩٧٩ م وبوتشى وآخرون ١٩٨٨ م التركيب الكيميائي للعسل وتعرفوا على الكثير من ذلك ، وفصلوا بعض المواد العضوية من العسل ؛ وأكد هويت ١٩٧٥ م على أن الحموضة في العسل تؤدي لعدم فساده بينما ذكر مولان وآخرون أن عسل البرسيم يحتوي على مواد إضافية أخرى. واكتشف تان وآخرون ١٩٩٠ م الأحماض الأروماتية والفنولية والألفاتية والكاروتينات المختزلة . حيث قام روسيل وآخرون ١٩٩٠ م بالتعرف على ميثيل سيرنجيت وحمض السيرنجيك و ٣-٤-٥ تيرايميثوكسى حمض البنزويك في عسل المنيوكا ؛ ووجد بوناج وآخرون ١٩٩٦ م بعض الهيدروكربون في عسل البندق ؛ وأمكن لتان وآخرين ١٩٨٨ م من التعرف على مجموع (٦١) مركب مختلف مثل الهيدروكربون والأحماض الإلفاتية المحتوية على مجموعة واحدة من من الكربوكسيل

والأحماض المحتوية على مجموعتين من الكربوكسيل والأحماض الأروماتية، وأيضا الديكان داى ايويك ونونان داى اويك والأؤكتان داى اويك لأول مرة في مستخلصات أعسال المنيوكا والكنيوكا والبرسيم. كذلك فلافون البينوسميرين (بونديانوف ١٩٨٩).

تعتمد الخواص العلاجية للعسل على التركيب الكيميائي ؛ وهذه التراكيب الكيميائية وما يحتوي العسل عليه من مواد فعالة تكسب هذه الخواص التي تجعل العسل متميزاً بعدة خواص منها :

أولاً - أهم خواص العسل أنه وسط غير صالح لنمو البكتيريا والفطريات؛ لذلك فهو قاتل للجراثيم ، مبيد لها أينما وجدت .

ثانياً - وجود الجلوكوز (سكر العنب) في العسل ينعكس على الخواص العلاجية للجلوكوز :

- أمراض الدورة الدموية.
- زيادة التوتر و النزيف المعوي.
- قروح المعدة .
- بعض أمراض المعى في الأطفال.
- الأمراض المعدية مثل التيفوس و الحمى القرمزية و الحصبة.
- أنه علاج ناجح للتسمم بأنواعه .
- الجلوكوز المدخر في الكبد عبارة عن الجليكوجين حيث إن وجوده في خلايا الكبد، وبنسبة ثابتة تقريباً ، يشير إلى دوره في تحسين وبناء الأنسجة و التمثيل الغذائي ولقد استعمل الجلوكوز حديثاً، وعلى نطاق واسع، ليزيد من معاونة الكبد للتخلص من التسمم والعسل بمثابة مقوى لخلايا الكبد.

من هذا المنطلق فإن القرآن الكريم ورد فيه تكريم الله سبحانه وتعالى للنحل بجعل سورة باسم النحل وقال الله وقوله الحق في محكم آياته، بسم الله الرحمن الرحيم « وأوحى

ربك إلى النحل أن اتخذني من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون» (النحل: ٦٨، ٦٩).

الجانب الشرعي :

سورة النحل من السور المكية التي تعالج موضوعات العقيدة الكبرى «الألوهية، والوحي، والبعث والنشور» وإلى جانب ذلك تتحدث عن دلائل القدرة والوحدانية في هذا العالم الفسيح الذي يشمل السماوات والأرض، والبحار والجبال، والسهول والوديان، والماء الهاطل، والنبات النامي، والفلك التي تجري في البحر، والنجوم التي يهتدي بها السالكون في ظلمات الليل، إلى آخر ما هنالك من المشاهد التي يراها الإنسان في حياته، ويدركها بسمعه وبصره، وهي صورٌ حيةٌ مشاهدة، دالةٌ على وحدانية الله جلّ وعلا، وناطقةٌ بآثار قدرته التي أبدع بها الكائنات.

سميت هذه السورة الكريمة «سورة النحل» لاشتغالها على تلك العبرة البليغة التي تشير إلى عجب صنع الخالق، وتدل على الألوهية بهذا الصنع العجيب.

ولقد هدفت السورة الكريمة إلى تقرير مبدأ «وحدانية الله» جلّ وعلا بلفت الأنظار إلى قدرة الله الواحد القهار، فخاطبت كل حاسة في الإنسان، وكل جراحة في كيانه البشري، ليتجه بعقله إلى ربه، ويستنير بما يرى من آثار صنع الله على عظمة الله سبحانه.

وختمت السورة الكريمة بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والصبر والعفو عما يلقاه من الأذى في سبيل تبليغ دعوة الله.

فقال تعالى: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} المراد من الوحي: الإلهام والهداية أي أهمها مصالحها وأرشدتها إلى بناء بيوتها المسدسة العجيبة تأوي إليها في ثلاثة أمكنة: الجبال، والشجر والأوكار التي يبنها الناس {ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ} أي كلي من كل الأزهار والثمار التي تشتهينها من الحلو، والمر،

والحامض، فإن الله بقدرته يجعلها إلى عسل {فَأَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا} أي ادخلي الطرق في طلب المرعى حال كونها مسخرة لك لا تضلين في الذهاب أو الإياب. {يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} أي يخرج من بطون النحل عسل متنوع منه أحمر، وأبيض، وأصفر، فيه شفاء للناس من كثير من الأمراض قال الرازي فإن قالوا: كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بالصفراء؟ فالجواب أنه تعالى: لم يقل: إنه شفاء لكل الناس، ولكل داء، وفي كل حال، بل لما كان شفاء للبعض ومن بعض الأدوية لذلك صلح بأن يوصف بأن فيه شفاء {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} أي لعبرة لقوم يتفكرون في عظيم قدرة الله، وبديع صنعه.

ولقد ورد في السنة المطهرة فضل النحل فقد حثنا المصطفى صلى الله عليه وسلم على عدم قتل النحل، كما أرشدنا إلى استخدام العسل كدواء وشفاء من الأسقام وأرشدنا إلى أن منزلة النحل عظيمة فالنحلة لا تأكل إلا طيبا مثلها النبي بالمؤمن.

كما ورد في الصحيحين : عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير ففي شربة عسل أو شربة عسل أو لدعة بنار توافق الداء، وما أحب أن اکتوي ». فمن هنا قد افرد النبي صلى الله عليه وسلم كل ألوان وصنوف العلاج المتبعة الآن: من التدخل الجراحي والعلاج التحفظي والعلاج الظاهري وقوله صلى الله عليه وسلم: « عليكم بالشفائين العسل والقرآن » فإن النحل والعسل في الحديث النبوي الشريف قد أخذ قسطا وافرا من اهتمام سيد الخلق صلى الله عليه وسلم لما للنحل من آية في خلق الله واهتداء بسلوكه وتناجه وما يخرج من الطيب وأهميته لكافة نواحي الحياة فإن ذلك يدعوننا نحن أهل العلم للتدبر والتفكير؛ لما وصانا به الله في محكم آياته « إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ».

أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه: كتاب (٧٦) الطب (٤) باب الدواء بالعسل وقوله تعالى: فيه شفاء للناس ٥٦٨٣ / ١٣٩ / ١٠ فتح الباري وأيضا كتاب الطب (٧٦) باب (١٥) الحجامة من الشقيقة والصداع ٥٧٠٢ / ١٥٣ / ١٠. الشقيقة: هو وجع يأخذ نصف الرأس والوجه: مختار الصحاح ص ١٤٤ مكتبة لبنان.

كما جاء عن أبي هريرة موقوفا ومرفوعا « عليكم بالشفائين : العسل والقرآن » أخرجه ابن ماجة كتاب (٣١) الطب باب (٧) : العسل ٣٤٥١ / ١١٤٢ / ٢ . قال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقة . أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب الطب - باب الشفاء شفاء ان شفاء قراءة القرآن وشرب العسل ٢٠٠ / ٤ . وقال إسناده صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقد أوقفه وكيع عن شيبان وتعقبه الذهبي . وعنه أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الضحايا باب أدوية النبي صلى الله عليه وسلم سوى ما مضى في الباب قبله ص : ٣٤٤ / ٩ وقال عقبه : رفعه غير معروف والصحيح موقوف رواه وكيع بن الجراح عن سفيان موقوفا أخرجه المقریزی في مشکاة المصابيح كتاب الطب والرقى ٤٥٧١ / ١٢٨٨ / ٢ . وقال عقبه : والصحيح موقوف .

عن أبي سعيد أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أخي يشتكى بطنه ؛ فقال : إسقه عسلاً . ثم أتاه الثانية فقال : إسقه عسلاً ، ثم أتاه الثالثة فقال : إسقه عسلاً ؛ ثم أتاه فقال : صدق الله وكذب بطن أخيك إسقه عسلاً فبراً . . وبنص آخر عن أبي سعيد الخدري قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخي استطلق بطنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إسقه عسلاً فسقاه ؛ ثم جاءه فقال : إنى سقيته عسلاً فلم يزد إلا استطلاقاً ؛ فقال له ثلاث مرات ؛ ثم جاء الرابعة فقال : إسقه عسلاً ؛ فقال : لقد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبراً . . أخرجه مسلم كتاب الطب (٣٩) باب (٣١) : التداوى بالعسل ٢٢١٧ / ١٧٣٦ / ٤ ورواه أيضا بلفظ عرب بطنه . استطلق : معناه الإسهال ؛ وعرب : معناه : فسدت معدته ؛ أخرجه البخارى (٧٦) كتاب الطب (٤) باب الدواء بالعسل وقوله تعالى : (فيه شفاء للناس) ٥٦٨٤ / ١٣٩ / ١٠ فتح البارى كما أخرجه (٧٦) كتاب الطب (٢٤) : باب دواء المبطون ٥٧١٦ / ١٦٨ / ١٠ فتح البارى .

فإن شرب العسل كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم من استطلاق البطن عن تخمة أصابته من امتلاء ؛ فإن الأمر بشرب العسل هو لدفع الفضلات المجتمعة في الأمعاء . فالعسل فيه جلاء كما أن العسل من أحسن ما عولج به في داء الاستطلاق ؛ وكذلك عندما عرب بطن الشاكي والسائل لرسول الله أي عن الإمساك ، فكان العلاج أيضا

بالعسل مما يدل على فوائد العسل المتعددة والجدير بالذكر أن عرضين يمكن أن يعالجا بدواء واحد مع العلم بأن الداءين متضادين ، وهذا يرجع إلى ما في العسل من مواد فعالة قد أثبت فاعليتها العلم الحديث وقد نبهنا إليها سيد الخلق أجمعين منذ أربعة عشر قرناً مضت من الزمان.

ولقد كان تكرر الأمر بسقي العسل الذي أشار به صلى الله عليه وسلم معنى طبي نبوي جليل من حيث تعدد الجرعات الدوائية ، وأيضا المقدار المسموح بتعاطيه ووقت أخذ الدواء حتى يتم الشفاء المرجو ، ويؤيد ذلك الدراسات الفارماكولوجية لتعاطى الدواء وفترة الامتصاص وإحداث الأثر. وعندما نتكلم عن قوله صلى الله عليه وسلم : « صدق الله وكذب بطن أخيك » فإننا نريد الإشارة إلى تحقق نفع الدواء وأن بقاء المرض أو الداء ليس لقصور فعل الدواء المستخدم ؛ ولكن لشدة المرض من حيث الاستطلاق أو عرب البطن ؛ فإن ذلك تفسير لما جاء في النص علاوة على أن طبه صلى الله عليه وسلم ليس كطب الأطباء ، فإن طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن قطعي إلهي ؛ صادر عن الوحي ، ومشكاة النبوة ، وكمال العقل ؛ وطب غيره أكثره حدث وظنون وتجارب ؛ ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة ، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به ، وكمال التلقى له بالإيمان والإذعان ؛ وصدق الله إذ يقول في محكم آياته : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء : ٨٢). وقد أخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الأدوية الطبية النبوية .

ولقد همم الله النحل أن يعتمد في غذائه الطبيعي على الأزهار إذ تجمع الشغالات منها الرحيق وحبوب اللقاح بطريقة تختلف عن طريق الحشرات الأخرى إذ تحدد زيارتها لنوع واحد من النباتات غالبا وتدور بداخل أزهارها لكي تلحق كل ما فيها من رحيق فتلامس حبوب اللقاح العالقة بأجسامها مع مياسم هذه الأزهار لتكوين البذور بتجانس تام فتنمو الثمار بانتظام .

ومن هذه الآية الكريمة في سورة النحل « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون » تنشأ فكرة هذا البحث حيث إن العلم الحديث قد أثبت بلا مجال له من الشك في قدرة عسل النحل على الشفاء من خلال احتوائه على عدد من الخصائص البيولوجية ، وهذا البحث قد تناول إحدى هذه الخصائص الهامة .

هدف البحث :

يهدف البحث لاكتشاف الكفاءة القاتلة للميكروبات للأعسال المختلفة ضد البكتيريا سالبة وموجبة الجرام لذلك قيمت الكفاءة المضادة للميكروبات لثماني عينات لأنواع مختلفة من الأعسال المصرية والسعودية التي جمعت من مناطق مختلفة. وأيضا يهدف البحث إلى دراسة التركيب الكيميائي. كذلك دراسة تأثير التخزين على هذه الكفاءة خاصة عسل البرسيم .

الطرق والمواد المستخدمة :

لذلك صممت التجربة باستخدام البكتيريا: البكتيريا موجبة الجرام : Staphylococcus aureus Streptococcus pyogenes Corynebacteria pseudotuberculosis البكتيريا سالبة الجرام: Klebsiella pneumoni و Pseudomonas aeruginosia و Escherichia coli جمعت ثمانية أنواع من الأعسال المختلفة وتم حفظها على درجة حرارة (٤) درجات حتى الاستعمال وعينات العسل المستخدمة : عسل الموالح وعسل الأكاسيا وعسل القطن وعسل السمسم وعسل الكسبرة وعسل البرسيم وعسل البلح وعسل السدر . تم عمل تخفيفات متعددة من الأعسال المختلفة تحت ظروف التعقيم باستخدام ماء معقم، وقيمت الكفاءة القاتلة للميكروبات، كما تم دراسة التركيب الكيميائي للأعسال ثم تم استنباط النتائج.

النتائج :

في هذه الدراسة تم تقييم الكفاءة المضادة للميكروبات لعدد ثمانية أنواع من الأعسال المختلفة ضد ستة أنواع من البكتيريا منها ما هو يتبع موجبة الجرام وسالبة الجرام. كانت البكتيريا موجبة الجرام هي الميكروب المكور العنقودي الذهبي والميكروب السبحي والكريني باكتيريا أسيدوتيركلوزيس بينما سالبة الجرام هي الكلبسيلا والإسيدوموناس

والميكروب القلوني وكانت الأعسال المختلفة المصرية هي الأكاسيا والموالح و البرسيم والكسبرة والقطن والبلح والسَّمسم وعسل السدر.

أسفرت النتائج على أن كل الأعسال قد أعطت كفاءة مضادة للميكروبات التي تم دراستها حيث أدت إضافة الأعسال إلى تثبيط نمو الميكروبات وكان أفضل تخفيف للعسل هو ٣٠. ٢٠٪ الذي أدى إلى تثبيط تام لنمو الميكروبات تحت الدراسة . وكان الملفت للنظر أن الميكروب القولوني - أدنى ميكروب - تم التأثير عليه من الأعسال المختلفة.

الناحية الإعجازية في البحث :

عسل النحل (هذا المنتج الطبيعي الآمن ذو التركيب الكيميائي المعقد) والذي تجمعه شغالات النحل له كفاءة مضادة للميكروبات وهذا التأثير ممكن ان يكون بمثابة تأكيداً لقوله سبحانه في الآية الكريمة: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل : ٦٩)، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدق الله وكذب بطن أخيك إسقه عسلاً فبراً» ؛ كذلك لأن العلم الحديث قد واكب هذا النص المعجز، لذلك فهو يفتح طاقة أمل للمرضى الذين يعانون من العدوى الميكروبية لكي يلجأوا للصيدلية الربانية التي حباها الله سبحانه وتعالى للنحل، ويبين أن هذا القول من لدن حكيم عليم وتصديقاً للحبيب المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

(فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ)

أهمية الندى «الطل»

كإمدادات مائية للزراعة لإظهار الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

د. ملوك محمد الخزان

أستاذ مساعد في علم البيئة النباتية



المقدمة

الحمد لله خالق كل شيء ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وبعد:

فهذا بحث حول قوله تعالى: (فَإِن لَّمْ يَصِبْهَا وَأَبْلُ فَطَلَّ)، المستمد من قوله تعالى:

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَاهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة ٢٦٥).

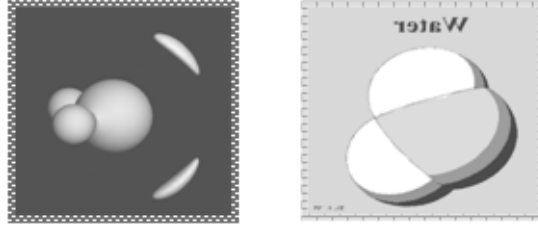
عندما يشخص رجال الفضاء بأبصارهم إلى الأرض فإنها تبدو لهم كأنها كوكب من المياه الزرقاء، ذلك الخداع البصري يرجع إلى كون الماء يغطي ما يزيد عن ٧٠٪ من سطح الأرض معظمه مالح وقليله عذب - والقليل من الماء العذب هو المتاح لبني البشر حيث يجري هذا الماء أنهاراً أو يملأ منخفضات الأرض أو يغوص في باطنها مكوناً المياه الجوفية. ويعتبر الماء العنصر الرئيسي لحياة جميع الكائنات فهو النعمة الكبرى، وهو المنة العظمى التي أنعم الله بها على بني البشر، أقام حياتهم، وقسم أرزاقهم، ومنه خلقهم. وهذا يقودنا إلى أن للماء أهمية كبيرة لجميع ما يحيط بنا سواء أحياء أو جمادات، وهذا يشوقنا إلى معرفة التركيب الكيميائي لماهية الماء.

التركيب الكيميائي للماء

قد يدesh الإنسان عندما يلاحظ السبب في كون الماء عنصراً أساسياً لاستمرار الحياة على سطح المعمورة حين يعلم أن الأكسجين يدخل في تركيبه.

وقد دلت كثير من الأبحاث أن جزئ الماء يتركب من ذرتين هيدروجين + ذرة أكسجين ويرمز له بالرمز H₂O، ومنه تتضح الأهمية في أن الله عزوجل قد جعل خلق

الماء يسبق جميع الخلائق: الإنسان، الحيوان والنبات علماً بأن النبات يعتبر من الأحياء الهامة في كونه أساس سلسلة الحياة على سطح الأرض .



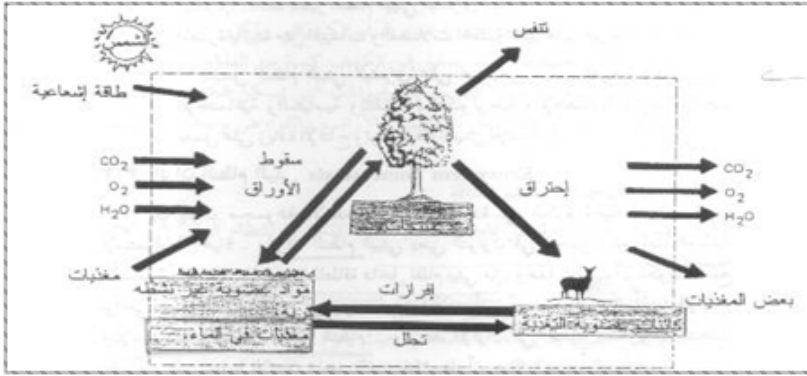
شكل: (١)

ولاتغيب عنا أهمية الماء لحياته والتي يترتب عليها استمرار الحياة لجميع الكائنات الحية، ويتضح ذلك من خلال العملية التي اختص الله بها النبات ألا وهي عملية البناء الضوئي حيث يمثل الماء عنصراً أساسياً لإتمام هذه العملية التي توضحها المعادلة التالية :



شكل (٢) عملية التمثيل الضوئي

ومن الواضح أن إتمام هذه العملية يؤدي إلى تصاعد غاز الأوكسجين O_2 حيث أثبتت الأبحاث أن الماء هو المصدر الأساسي لإنبعاث غاز الأوكسجين . الذي يعيد التوازن إلى النظام البيئي ، وأقصد بالتوازن البيئي أن المدخلات = المخرجات إلى ذلك النظام (شكل ٣) فلو تمعنا في المعادلة السابقة لا يسعنا إلا أن نقول سبحان الخالق عز وجل الذي جعل الماء يحتوي على أكسير الحياة ألا وهو الأوكسجين ، كما أن ناتج البناء الضوئي يكون الأوكسجين الغازي الذي يتصاعد إلى الجو المحيط ليحفظ لنا نسبة الأوكسجين التي تحفظ لنا الحياة .



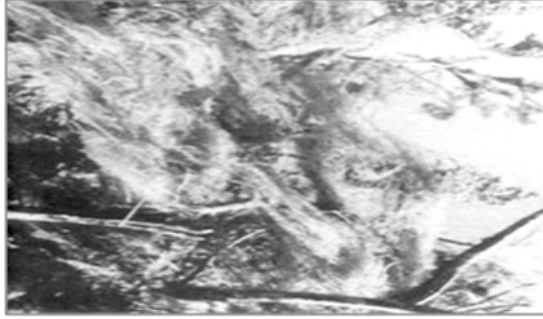
اللاتزان البيئي

ولكن هل يوجد الماء في صورة واحدة؟

لقد صنف الباحثون الصور التي يوجد عليها الماء في الطبيعة إلى ثلاث صور :

١- بخار ماء غير مرئي (الرطوبة) : تعتبر الرطوبة النسبية من عوامل البيئة الهامة نظراً لكونها تؤثر على معدل عمليتي التتح في النبات ، والتبخر من سطح التربة ، وهناك نباتات محبة للرطوبة والتي لا تتحمل الجفاف الجوي ، ويقتصر نموها ووجودها على البيئات ذات الرطوبة العالية مؤشراً لمثل هذه البيئات .

مثال على ذلك الأشنات المعلقة التي تنمو على أشجار العرعر في مرتفعات عسير جنوب المملكة العربية السعودية ، وهي تستطيع امتصاص بخار الماء من الجو المشبع دون أن يتكثف .



(شكل ٣) أشنة تنمو على نبات العرعر

ومن ذلك تتضح أهمية هذه الصورة من الماء حيث تظهر قدرة الحق تبارك وتعالى في جعل تلك الصورة من الماء متاحة للنبات ، وإن تكونت من مياه البحار المالحة، ويظهر ذلك من خلال دورة الماء في الطبيعة .



(شكل ٤) دورة الماء في الطبيعة

٢- بخار الماء المرئي ممثلة في السحب والضباب:

لقد قسم العلماء السحب إلى أنواع عدة منها:

١- السحب الركامية :

وهي السحب التي تبدأ بالتكون على هيئة خلايا صغيرة أو وحدات من السحب التي تثيرها تيارات الهواء الصاعدة فتتحد مكونة السحب الركامية، وقد سميت هذه السحب بالركامية لتراكمها في طبقات بعضها فوق بعض ، والرياح الصاعدة من الأرض تحمل شحنة كهربائية موجبة وبتحداها مع الشحنة الكهربائية الموجودة في الفضاء يتكون مجال كهربائي يسبب تحول البخار إلى قطرات دقيقة من الماء تكبر شيئاً فشيئاً إلى أن تسقط مطراً، ومن مظاهر السحب الركامية أنها تظهر كالجبال الشاخحة لمن ينظر إليها من الطائرات.

(ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً) (النور: ٤٣)

٢- السحب الثقال:

هي السحب التي تتمتع بحمولة ضخمة من الأمطار ، وهي في جميع الأحوال تكون مطرة وقادرة على إغراق منطقة كبيرة في غضون ساعات قلائل ، وتكون كبيرة التكاثف وتحجب الشمس ، وتبدو مائلة للسواد في لونها لشدة تكاثفها ، وهي تزن ملايين الأطنان من الماء ، لذلك يستغرب العلماء كيف تقدر السحاب على حمل هذه الجبال المائية وتنقلها عبر آلاف الكيلومترات وهي بطيئة نسبياً بسبب ثقلها الضخم ولكن ما يميزها عن السحب الأخرى هي فائدتها العظيمة لكل أنواع الثمار والسبب أن حبات مطرها الكبيرة تساعد على اختراق أكبر الأعماق للتربة مما يزيد من مخزون الماء داخل التربة ويقلل من عملية تبخرها وهذا عكس الأمطار القليلة (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) . (الأعراف: ٥٧) .

٣- السحب البساطية :

هو السحاب الذي يتم فرشته على شكل بساط مستقيم ليس له قمم عالية ولا قواعد عريضة، ولا يرتفع إلى مناطق عالية في الجو، الأمر الذي من شأنه أن يبعد هذا النوع من السحب عن إنزال الثلوج أو البرد لأن المناطق العالية بعيدة عن هذا النوع من السحب، وهي تنشأ على شكل قطع صغيرة من الغيوم بعد أن تثيرها الرياح من سطح الأرض لترفعها على شكل قطع متفرقة مختلفة في شحنتها الكهربائية، فإذا وصلت إلى طبقات الجو المتوسطة الارتفاع حدثت عملية التفريغ، وينزل المطر، وعادة يكون مطر السحب البساطية أقل غزارة من أمطار السحب الثقيلة أو الركامية (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فتري الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون). (الروم: ٤٨).

٤- الضباب :

يحدث نتيجة لتبريد الهواء على سطح الأرض أو بالقرب منها، ولذلك يبدو عادة ممتداً من سطح الأرض إلى أعلى، ويمكن أن يتكون الضباب عندما يمر هواء دافئ فوق سطح تيار مائي بارد (على طول شاطئ المحيط الهادي)، أو عندما يصعد هواء دافئ عبر سطح أرض ترتفع بميل إلى أعلى (منحدرات الجبال المتوسطة الارتفاع)، أو عندما يكون الهواء ساكناً بالليل وتبرد الأرض نتيجة لفقد الحرارة بالإشعاع (يشاهد في الصباح الباكر).

الماء المترسب على شكل قطرات ماء سائل كالأمطار وبالرغم من أن أكثر أشكال الماء تأثيراً على النباتات هي الأمطار إلا أن الأشكال الأخرى (الرطوبة، الندى) لها أهمية كبرى في حياة النباتات، وهذا ليس بكشف حديث حيث ورد ذكر ذلك واضحاً قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة ٢٦٥).

دعونا نستعرض بعض المعاني لتلك الآية !!! .

المعنى اللغوي لمفردات الآية

جنة : أي البستان كثير الشجر والزرع قيل لها ذلك لأنها تغطي الأرض بظلالها، والعرب تسمي البستان ذا النخل الطوال جنة، وإذا خلا البستان من النخل سُمي حائط .

ربوة : الأرض المرتفعة عن الأرض وقد تأتي بمعنى الراية والرباه.

وابل : المطر الغزير الشديد الضخم القطر.

طل : المطر الضعيف أو أخف المطر وأضعفه أو فوقه ودون المطر (وهذه المعاني وردت في كثير من كتب التفسير) .

أكلها : أي ثمرتها.

أهمية كون الجنة على ربوة

كون الجنة على ربوة فهذا الارتفاع يعطيها مميزات خاصة تجعلها مختلفة عن باقي الأراضي المزروعة ، وبما أنها جنة أي تحتوي على مزروعات متنوعة من النخل والأشجار المثمرة، وهي متداخلة، ويستر بعضها بعضاً؛ أي يضلل بعضها بعضاً، لذلك لا بد من تعرضها لأشعة الشمس قال تعالى: ((كمثل جنة بربرة)) وبما أنها على ربوة فهذا يجعلها تتعرض لأشعة الشمس في أول النهار وأوسطه وآخره .

فتصبح الجنة أكثر كفاءة للقيام بعملية البناء الضوئي ، لذلك، تكون الانتاجية الصافية عالية ، وأقصد بالانتاجية الصافية أي الطاقة المتبقية من المواد المصنعة في النباتات ناقصاً عملية التنفس ، لذلك تكون ثمارها أكثر جودة من الجنات الأخرى. وهذا الارتفاع يوفر لها الحماية من العشب ، ويوفر لها الخصوصية ويعطيها منظرًا جمالياً متميزاً بارزاً .

و يجنبها تجمع الأمطار الغزيرة المستمرة فالأمطار حين هطولها بغزارة يتسرب إلى باطن الأرض والزائد منها يذهب بالانسياب السطحي .

أهمية الوايل للجنة

إن كمية الأمطار الهاطلة هي الأساس في تحديد كمية المياه التي يمكن أن تمتصها التربة، وأن العوامل الأخرى ذات تأثير ثانوي لأن الأمطار الغزيرة التي تهطل يومياً تستطيع أن تحيل التربة رطبة مهما كانت صفاتها أو درجة إنحدارها، وهذا ما جعل خيرها يتضاعف:

وهذا مما أشار إليه القرآن بإيجاز ينم عن الإعجاز العلمي في قوله تعالى: (أصابها وابل) بينما الأمطار التي تهطل في شكل زخات عنيفة ولفترات قصيرة قد لا تتيح الفرصة للماء ليتسرب إلى داخل التربة بسرعة كافية مما يتسبب عنه ضياع كميات كبيرة عن طريق الانسياب السطحي خصوصاً أن اللجنة التي تحدث عنها القرآن على ربوة أي مرتفع عن مستوى سطح الأرض، وهذا ما جعل خيرها يتضاعف.

تفسير الآية

هذه الآية تمثل المنظر الثاني من المشهد الأول لصورة الإنفاق، والآية التي سبقتها مثلت المنظر الأول (٢٦٤) البقرة، وقد اتسم المنظرين بفن العرض وتمثيل المشاعر وإحيائها، والمشهد الثاني يعرض الحق تبارك وتعالى نهاية المن والأذى في آية (٢٦٦) البقرة.

وقد ذكر الله سبحانه في الآية أن هذا مثل المنفقين أموالهم على وجه تزكو عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم فقال تعالى: (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله) أي: قصدهم بذلك رضوان الله والفوز بقربه وقوله (وتثبیتاً من أنفسهم) أي على وجه راضية به أنفسهم لا على التردد وضعف النفس، وذلك أن النفقة يعرض لها آفتان إما أن يقصد بها محمداً أي الرياء أو يخرجها على ضعف عزيمة وتردد، ولكن الله حمى هؤلاء من هاتين الآفتين (وتثبیتاً من أنفسهم) أي تصديقاً وقيناً لمرضاة الله وقد قيل: أي يتشبثون أين يضعون صدقاتهم. فمثل نفقة هؤلاء « كمثل جنة » أي كثيرة الأشجار غزيرة الظلال، وهي من الاجتنان والستر، وهذه الجنة «بربوة» أي المكان المرتفع «أصابها وابل» أي: تلك الجنة التي بربوة «أصابها وابل» وهو المطر الغزير.

« فأتت أكلها ضعفين » أي : تضاعفت ثمراتها لطيب أرضها ووجود الأسباب الموجبة لذلك وحصول الماء الكثير الذي ينميها ويكملها « فإن لم يصبها وابل فطل » أي ماء قليل يكفيها لطيب منبتها، فهذه حالة المنفقين أهل النفقات الكثيرة والقليلة أي عمل المؤمن لا يبور أبداً بل يتقبله الله ويكثره وينمي كل عامل بحسبه ولهذا قال تعالى: (والله بما تعملون بصير).

إجتهد العلماء في تفسير قوله تعالى: (فإن لم يصبها وابل فطل):

أي إذا لم تصبها الأمطار الغزيرة فإن المدد المائي لن ينقطع وذلك بإمداده بصوره أخرى من صور الماء التي تحدث عنها القرآن وهي (الطل). وقد اجتهد علماءنا السابقون في تفسير هذه الآية الكريمة حيث وردت فيها تفسيرات مختلفة شملت:

١. ذكر القرطبي في أن الطل هو المطر المستمد من القطر الخفيف قاله ابن عباس وغيره، وهو مشهور اللفظ.
٢. في تفسير الجلالين ذكر أن الطل هو المطر الخفيف وهو يكفيها لارتفاعها.
٣. في تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الطل هو المطر الصغير القطر القليل.
٤. في تفسير القرآن الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الطل هو المطر القليل.
٥. في ظلال القرآن: الطل هو المطر الخفيف.
٦. في تفسير ابن كثير الطل هو الرذاذ وهو اللين من المطر وأشار إلى أنه قد يكون الندى. وبعد اطلاعي على التفسيرات السابقة فقد أوقفني تفكيري، وما وهبني الله من علم تجاه معنى الكلمة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مرة واحدة فقط، وذلك في قوله تعالى: (فإن لم يصبها وابل فطل) وجدت أن معظم التفسيرات أجمعت على أن (الطل) هو المطر الخفيف ما عدا تفسير ابن كثير الذي ذكر أنه المطر الخفيف أو الندى أي: لم يجزم بذلك. وعندما تم عمل مقارنة بين المطر الخفيف والندى وفائدته للجنة، وجدت أن

الندى هو الأقرب لمعنى كلمة (طل)، وأن فائدته أشمل وأعم من المطر الخفيف ، وهذا أقرب للتفسير العلمي .

وإذا علمنا أن النبات لا يستفيد من المطر إلا إذا تغلغل إلى التربة ، وبعدها يمتصه النبات ، والمطر الخفيف لا يمكنه الوصول إلى باطن التربة حتى يتمكن النبات من امتصاصه ، وبما أن اللجنة مختلطة من أصناف النباتات منها ما هو ذو جذور ضحلة ، ومنها ذات جذور عميقة متوسطة العمق لذلك كان أوقع وأقرب للمعنى هو الإمداد المائي (الندى) لتلك النباتات باختلافاتها من أشجار وزرع تستطيع أن تمتص الندى من على سطح أوراقها ، وهذا ما أثبتته العلم حديثاً (أصول الجغرافيا الزراعية ١٤٠٦ هـ)، ولو كان الإمداد هو المطر الخفيف كما ورد في معنى كلمة (الطل) لوجدنا أن هذا الإمداد يفقد جزء منه أثناء هطوله بالتبخير ، وذلك في طبقات الجو خصوصاً إذا كان الهواء حاراً ، وكذلك لا يمكن أن يستقر هذا المطر على سطح الأوراق كما في الندى. وبما أن اللجنة على ربوة فإن الماء لا ينفذ إلى داخل التربة بسبب الانحدار .

ما هو الندى وكيف يتكون

هو عبارة عن قطرات من الماء تتكون على سطوح الأوراق يتكون نتيجة لانخفاض درجة الحرارة فيتكاثف الضباب مكوناً قطرات من الماء تعرف بالندى .

ومن الأمثلة على ذلك : ما نراه على أوراق الحشائش والنباتات وأسطح السيارات بعد الغسق حيث تبرد هذه الأسطح بسرعة بعد غروب الشمس والصبح الباكر مما يجعل بخار الماء يتكثف على شكل ندى . ويعتبر الندى مورداً من أهم موارد الماء للنباتات ، ولكن لم تبدئ العناية به ورصده ، وتقدير كميته إلا منذ عهد قريب حيث إن القرآن الكريم سبقهم إلى ذلك قبل ألف وأربعمائة سنة ، وقد ثبت بها لاشك فيه أن الماء المستمد من هذا المصدر غير المنظور (الندى) قد يكون معادلاً لكمية المطر في بعض المناطق الصحراوية ، ويمتاز الندى عن المطر بانتظام سقوطه .

والأمر الذي لا جدال فيه أن من أهم فوائد الندى أنه يعمل على موازنة المحتوى المائي في أنسجة النباتات ، وذلك بتعويض ما ينقص منه بالنتح ، ويؤيد هذه النتيجة تجارب أجريت

على أكثر من ٢٠٠ نوع من النباتات، فقد عرضت هذه النباتات لنقص مائي كبير ثم عرضت بعد ذلك للندى، فوجد أن النقص المائي قد قل أو زال .

ولكن السؤال الهام هو هل النباتات تستطيع حقاً أن تمتص الماء بأجزائها الهوائية (الأوراق) ؟

فإن تلك الظاهرة تكون ذات أهمية بيئية بالغة بالنسبة لنباتات الأقطار التي يكثُر فيها سقوط الندى، وقد ذكر العلماء أن الأوراق تمتص قطرات الماء المتكاثفه عليها مباشرة ، وهذا مما يزيد من أهمية الندى (أصول الجغرافيا الزراعية) (١٤٠٦ هـ).

ومما يزيد من أهمية الندى فإن الوسائل التكنولوجية الحديثة اتجهت إلى إنشاء مصائد للضباب في صحارى بيرو وشيلي والأرجنتين بأمريكا الجنوبية، وقد تطورت هذه التكنولوجيا على يد الأستاذ كارلوس أسبينوسا في شيلي .

وتتكون المصيدة من أنابيب معدنية ونسيج يشبه الناموسية يقوم بتكثيف الضباب واستخلاص ألف لتر من الماء يومياً .

وقد اهتدى إلى أهمية الندى والإفادة منه في سقاية المزروعات سكان المناطق الحارة الجافة وشبه الجافة منذ زمن طويل فابتكروا وسيلة بسيطة لاصطياد الندى وتجميعه وعرقلة تبخره. فهم يحيطون بحيط الحقل أو المزرعة بسياج من الأحجار الصغيرة التي يتراكم عليها الندى، ويتجمع أثناء الليل فيما بينها من فراغات، وقد ينساب في جداول دقيقة فيستفيد منه النبات . وقددر بعض الباحثين المعدل السنوي للندى في بعض جهات أخرى من نفس الساحل بحوالي (٦) سم . وهو مهم للغاية في إنجاز زراعة البن فوق سفوح هضبة اليمن . وقد أشار بعض علماء النبات إلى أن بعض النباتات تمتص الندى مباشرة عن طريق الأوراق مما يزيد من أهمية الندى.

وقد أوضح بعض العلماء أن الندى يلعب دوراً هاماً في حياة النباتات إذ يمثل المصدر الرئيسي للمياه السطحية في التربة ، والتي تعتمد عليها النباتات الموسمية في أواخر الشتاء وبداية الربيع إذ يتسبب الندى بكميات وفيرة ليلاً مما يؤدي إلى تبريد سطح الأرض Weaver

(and Clements 1938) وتمتص النباتات الندى المتجمع على أوراقها عن طريق أدمة الخلايا العادية أو عن طريق خلايا متخصصة ، وفي بعض المناطق الجافة قد يساوي ما يتجمع من الندى خلال العام ما يعادل حوالي ٥, ١ بوصة من الأمطار ، ويعتبر هذا كافياً لاستحثاث نمو الأنسجة المرستيمية مما يحقق نمو النباتات (Tali and Durgham, 1966).

وقد تعتمد النباتات الصحراوية على الندى أكثر من اعتمادها على ماء المطر لأن الندى إمداده لا ينقطع (Daubenmire, 1974). وذلك أن الأجزاء الشرقية من الربع الخالي تمتاز بغطاء نباتي كثيف إلى حد ما من النباتات المعمرة بسبب تكون الندى الكثيف في الصباح الباكر والمساء والله أعلم .

كيف يمكن للمملكة العربية السعودية الاستفادة من هذا المورد المائي الهام ؟ ؟

بما أن المملكة تقع أجزاء واسعة منها ضمن الحزام الصحراوي المداري الضخم ، لذلك فهي تفتقد إلى الموارد المائية التي تسهم في ازدهار الغطاء النباتي ، وحيث إن هناك العديد من دول العالم اتجهت للاستفادة من المورد المائي المتمثل في الندى، كما أوضحنا ذلك سابقاً وعليه من الضروري وضع طرق يمكن الاستفادة منها ومن تلك الطرق : وضع المصائد له حتى لا تهدر هذه الطاقة الهائلة من الماء خصوصاً في المناطق التي يكثر فيها التكاثر والاستفادة منه في زراعة بعض المحاصيل الزراعية أو الرعوية .

المراجع

المراجع العربية

- زيدان، حسين زكي (٢٠٠٤م) : الأضرار البيئية وأثرها على الإنسان وكيف عالجها الإسلام . جامعة طنطا ، الناشر دار الفكر الجامعي ، القاهرة .
- سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (أبحاث الحاسب الآلي).
شبكة المعلومات (www. Yahoo.com)
- طاهر، عبدالله أحمد سعد (١٤٢٤هـ) : الجغرافيا الحيوية قسم الجغرافيا .
كلية الآداب جامعة الملك سعود ، الطبعة الأولى
- فرغلي، قطب عامر، زيدان السيد محمد (١٤١٧هـ) : من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم النبات . الناشر: مطبعة الأمل ، الطبعة الأولى .
- سيد قطب ، في ظلال القرآن .
- مجاهد، أحمد محمد . أمين ، عبدالرحمن . البازيوني ، أحمد . عبدالعزيز ، مصطفى . (١٩٩٠م) علم البيئة النباتية . الناشر: مكتبة الأنجلو المصري
- مجاهد، أحمد محمد . العودات ، محمد عبده . عبدالله ، عبدالسلام محمود . الشيخ ، عبدالله محمد . باصهي، عبدالله يحيى . (١٤٢٢هـ) علم البيئة النباتية . الناشر: جامعة الملك سعود الطبعة الثالثة .
- بطرس البستاني : (١٩٨٧م) : محيط المحيط . الناشر : تيبو - بدس . لبنان . الطبعة الثانية .
- السعيدى ، محمد عيد (١٤٠٧) : أساسيات إنتاج المحاصيل الحقلية . الناشر : مطبعة العمال ، بغداد .
- العروس ، حسين (٢٠٠٠م) : تلوث البيئة وملوثاتها . الناشر : مكتبة العمعار الحديثة، الاسكندرية .
- النافع ، عبداللطيف بن محمود (١٤٢٥هـ) : الجغرافيا النباتية للمملكة العربية السعودية . الطبعة الأولى ، الناشر : مكتبة الملك فهد الوطنية .
- الكومي ، جمال عبدالمنعم : الماء سائل الحياة ، السلسلة العلمية للشباب المسلم (علوم تحدث عنها القرآن) . الناشر : دار الاعتصام .
- بابكر ، عبدالباقي وإبراهيم فؤاد (١٩٨٣م) : مشكلة التصحر في السودان . الناشر : المجلة الجغرافية السورية ، المجلد : (٧ - ٨)
- المحلي ، جلال الدين محمد أحمد والسيوطي ، جلال الدين بن عبدالرحمن أبي بكر : تفسير الجلالين . الناشر: دار المعرفة . بيروت . لبنان .
- إبن كثير ، أبي الفداء إسماعيل (١٤٢٥هـ) : تفسير القرآن العظيم . الطبعة الجديدة . المجلد الأول . الناشر : المطبعة العصرية . بيروت .
- السعيدى ، عبدالرحمن (١٤٢١هـ) : تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان ، الطبعة الأولى ، الناشر : مركز فجر للطباعة .

المراجع الإنجليزية :

- Daubenmire. R.F. (1974). Plants and Environments (2nd ed.) Will Eastern Private Ltd .
- Talli A.R. and Durgham A.H. (1968) .Dew as a biological factor in arid and semiarid regions.Beit. Trop. Subtrop. Landwirt. Tropenveterinaarmed. 6:57-62.
- Weaver J.E.and Clements.F.E.(1938).Plant Ecology.(2nd Ed) McGraw-Hill Book Company Inc. New York and London.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

تطور الحموضة واللون ومدة تخزين اللحوم المذكاة

د. محمد بورياب - د. حمد إد عمر



قال تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ...) (البقرة: ١٧٣)

وقال تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ...) (المائدة: ٣)

وقال تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ...) (الأنعام: ١٤٥)

وقال تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ...) (النحل: ١١٥).

في عام ٢٠٠٥، تم إنتاج ٢٦٧ مليون طن من اللحوم في العالم، ويمكن ان يرتفع هذا الإنتاج إلى حوالي ٣٠٠ مليون طن بحلول عام ٢٠١٦..تحتل فيها السوق العالمية للأغذية الحلال التي يستهلكها المسلمون وغيرهم ما لا يقل عن ١٢٪ من التجارة العالمية ففي فرنسا مثلا تشكل « ٨٠٪ من الأغنام و ٢٠٪ من الأبقار و ٢٠٪ من الدواجن، وهي تحقق نموا سريعا ومطردا.^(١) ومع ظهور جنون البقر وإنفلونزا الخنازير ازداد سوق اللحوم المذكاة تقدما.

وإذا قامت بعض الدراسات السابقة بتتبع، ومقارنة مستوى التغيير الجرثومي للحوم مذكاة وغير مذكاة فهذا عنصر واحد فقط لا يتدخل إلا في تخزين اللحوم من بين عدة عناصر تقوم هذه الدراسة بتغطيتها..حيث تهدف هذه الدراسة إلى مقارنة جودة اللحوم المذكاة بغيرها من حيث تطور الحموضة، وأثرها على اختلاف لون الأنسجة وتطور النمو الجرثومي، ومدة التخزين لذبائح خضعت لإفراغ الدم بمستويات مختلفة..

واللحم حسب المعجمات الغربية هو جميع أجزاء الحيوانات الصالحة للأكل بما فيها الدم^(٢).

(1) Le rapport COPERCI intitulé "Enquête sur le champ du Halal"

(2) encyclopédie encarta définition « viande »

أما الإسلام فيحرم :

- لحم الميتة ومشتقاتها .
- ولحم الخنزير ومشتقاته ، والحيوانات آكلة اللحوم ومشتقاتها .
- ولحوم الحيوانات المذبوحة وفقا لطقوس غير إسلامية^(١) أو ماتت قبل الذبح .
- والدم .
- ولحوم الجلالة.^(٢)

وكل من اللحم والدم مادة غذائية عالية وذات حساسية ميكروبيولوجية عالية بما يسمح بتكاثر البكتيريا ، واليرقات الطفيلية المسببة للأمراض .

مواد وطرق البحث :

أجرينا التجارب على ٨٠ عينة من عضلات أرانب (لحوم حمراء) ودجاج (لحوم بيضاء) خضعت لإفراغ الدم بمستويات مختلفة..ولتفادي تدخل العوامل الخارجية في البحث تم اختيار الذبائح المتجانسة من حيث: الوراثة ، العمر ، العرق ، الجنس ، النظام الغذائي ، السكن ، الخ. -..سواء عند الأرانب أو عند الدجاج ..

تقنيات أخذ العينات :

- تم أخذ العينات من داخل العضلات لتفادي الجراثيم السطحية (كارتبيه وآخرون ١٩٩٠) ومن مواقع مختلفة من جسم الذبائح (LaTouze وآخرون ١٩٨٥)

(١) تتعرض المخلوقات التي سخرها لنا المولى لتوفير الغذاء للبشرية في الغرب لأساليب ذبح همجية: كالصعق الكهربائي أو الخنق في غرف الغاز عن طريق تنفس غاز CO2 المركز وغيرها

(٢) حرم الإسلام (الجلالة) وهي التي تأكل العذرة من الإبل والبقر والغنم والدجاج والإوز وغيرها حتى يتغير ريحها . فقد نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرب لبن الجلالة ، رواه الخمسة إلا ابن ماجه . وإذا ما حبست الجلالة بعيدا عن العذرة وعلقت علقا طاهرا وطاب لحمها جاز أكلها وذهب اسم الجلالة عنها .

- اقتطعنا ١٠٠ غرام من كل عينة وتم جمعها في أكياس بلاستيكية ملائمة معقمة لتخضع لتحاليل مختلفة: مقارنة الحموضة للحوم ووانعكاسها على اختلاف لون الأنسجة و تطور النمو الجرثومي و مدة تخزينها.

١- دراسة قيمة pH بواسطة آلة القياس الخاصة :

تعتبر هذه الدراسة من أهم عناصر التطور الفيزيائي الكيميائي للحوم بعد الذبح^(١)، وقد أخذنا القياسات من داخل عضلتي الفخذ والكتف. وتتموضع معظم القياسات في مجال ضيق ما بين ٥ و٧ الشيء الذي يحتم أخذ القياسات بدقة لتحديد الفرق بين pH اللحوم المذكاة وغيرها.

نتائج واستنتاجات:



تبين النتائج ٣ امتيازات للحوم المذكاة:

- قيمها غالبا منخفضة عن الأخرى مباشرة بعد الذبح.
- بقاءها قريبة من القيم المسجلة للحوم غير المذكاة.
- حمضيتها نسبيا أضعف من حمضية اللحوم غير المذكاة

(١) جزء قدمناه بالمؤتمر الدولي الخامس للبيوتكنولوجيا والمتمنى العشرين للعلوم البيولوجية بتونس ٢٣ - ٢٥ مارس ٢٠٠٩ م

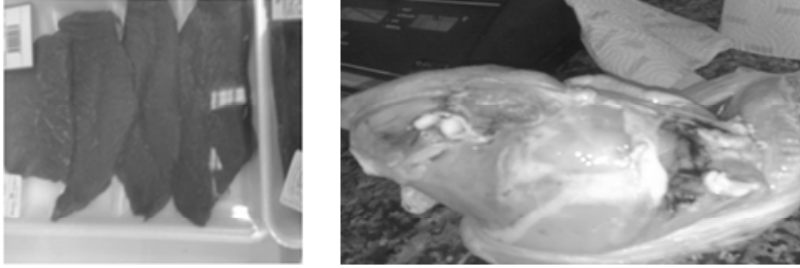
فهي تحتوي على كمية أقل من الماء (مما يجعلها غير مواتية لنمو الكائنات الدقيقة ولونها أكثر استقرارا ومدة تخزينها أفضل وسرعة لتعفنها بطيئة).

٢- دراسة تطور لون اللحوم :

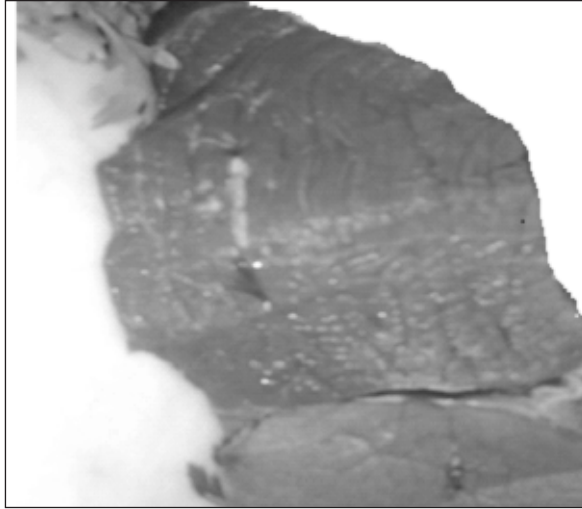
اعتمدت دراستنا المقارنة البصرية إضافة إلى استعمال الآلات الخاصة في الميدان، وتبين النتائج :

- بقاء الدم على مستوى الأوردة والمفاصل والأنسجة في اللحوم الغير المذكاة مما يعكس لونا داكنا في اللحوم البيضاء ، وبروز لون الدم الأحمر القاتم في اللحوم الحمراء عند الأنواع غير المذكاة..
- ترتبط (قيمة pH) بدرجة سطوع لون اللحم :

نوع اللحم	قيمة pH النهائي	طبيعة اللون	خصائص ملاحظة
اللحوم المذكاة	٥,٧-٥,٥ قيمه عادية	اللون الأصلي لألياف العضلة	الحد من استهلاك الأوكسجين واستقرار اللون الأصلي
اللحوم غير المذكاة	٦,٧-٦,٣ قيمة مرتفعة نسبيا	لون يميل إلى الداكن (٨)	ارتفاع استهلاك الأوكسجين وعدم استقرار اللون الأصلي وتفاعل نمو البكتيريا على سطح اللحم أثناء التخزين



بقاء الدم على مستوى الأوردة والمفاصل والأنسجة في اللحوم غير المتداكاة بحيث يميل لونها للدكونة.



اللون الأصلي لألياف العضلة في اللحوم المتداكاة

ولقياس لون اللحوم البيضاء :

تستعمل آلة قياس اللون colorimètre ou un spectrocolorimètre التي تقيس ٣ عناصر :

- *L سطوع لون اللحم من الأسود إلى الأبيض .
- A سطوع لون اللحم من محور الأحمر إلى الأخضر .
- B سطوع لون اللحم من محور الأصفر إلى الأزرق .

وبالمقارنة مع سطوع لون الذبائح غير المذكاة يمكننا استنتاج ما يلي :

قيم أكبر من $L^* = 52.6$ حيث اللون الأصلى الجذاب لعضلة الذبيحة المذكاة حسب الطريقة الإسلامية المرتبط بكمية الصباغ الأحمر فى العضلات ، الغنى بالحديد ، والذي يحدد مستوى التشبع اللوني.

قيم ما بين $L^* = 48$ و $L^* = 52.6$ فى اللحوم الغير المذكاة مما يعكس لونا داكنا أقل جاذبية فى اللحوم البيضاء.

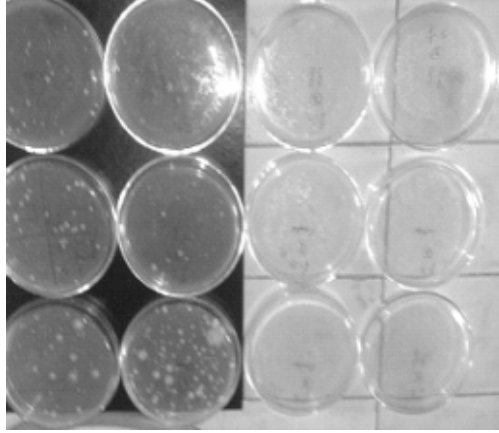
٣- التحليل الجرثومي :

اقتطعنا عينات من ١٠٠ غرام من نوع كل عينة ، وأخضعناها للتحليل الجرثومي مع تقييم التلوث الإجمالي لتعداد البكتيريا الهوائية FMAT الدالة على درجة التلوث الجرثومي الشامل (كارتيه ، ١٩٩٣).

نتائج واستنتاجات :

تقاربت أعداد الجراثيم المحصاة ساعة بعد الذبح مع انخفاض نسبي فى اللحوم المذكاة .
تكاثر الجراثيم مع مرور الزمن بسرعة أكبر فى اللحوم الغير المذكاة . (٨) (٩)

العد الجرثومي ساعة بعد الذبح مع تخزين فى 4°C	
39.10 ²	لحوم خضعت لإفراغ تام من الدم
53.10 ²	لحوم خضعت لإفراغ ضعيف من الدم
العد الجرثومي ٢٤ ساعة بعد الذبح مع تخزين فى 4°C	
13.10 ²	لحوم خضعت لإفراغ تام من الدم
88.10 ²	لحوم خضعت لإفراغ ضعيف من الدم



لحوم خضعت لإفراغ

لحوم خضعت

ضعيف من الدم لحوم

لإفراغ تام من الدم

٤ - عامل الحرارة وقيمة pHu وأثرهما على مدة التخزين :

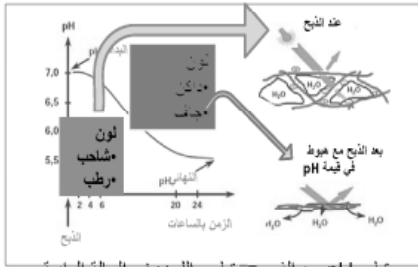
- قمنا بقياس (قيمة pHu) في فصل الشتاء والصيف :
- فلاحظنا ارتفاع معدلات قيمة pHu في فصل الصيف بصفة عامة ، وفي اللحوم الغير المدكاة بصفة خاصة وبسرعة أكبر.
 - واستنتجنا ضرورة البحث عن توازن بين العنصرين (قيمة pH) ودرجة حرارة التخزين مع الإفراغ التام للذبائح من الدم.

نتائج التحمض السريع وظهور اللون الفاتح

Dans le cas de la viande normale, on observe une diminution naturelle, normale et complète du pH, qui se stabilise entre un pH de 5,4 et 5,8, 24 heures après l'abattage.

تحلل جزئي لبعض بروتينات العضلة خصوصا بروتينات لون العضلة عند تحمض سريع

تطور pH بعد الذبح مع تطور اللون: في الحالة العادية



قدرة كبيرة لانعكاس الضوء وظهور لون فاتح

- soit une coloration plus claire.
- La viande PSE a une mauvaise rétention d'eau

تطور pH بعد الذبح مع تطور اللون: في الحالة العادية

عند تحمض سريع: pH: تنخفض خلال 45 د حتى قيمة viande PSE: 5.8

٥ - قياس وقت موت الذبيحة بعد عملية الذبح

لقياس تأثير محتمل لنوعية عملية الذبح على جودة اللحوم قمنا بقياس وقت موت الذبيحة بعد عملية الذبح.. ففي التعاليم الإسلامية تتمثل عملية الذبح في قطع الأوداج لإفراغ الحيوان من الدم؛ حيث وجدنا أن موت الحيوان يتم أحيانا في بضعة ثوان ويمكن أن يمتد من ٢٠ ثانية إلى ٢ دقيقة وتبقى نتائج هذه الدراسة للتتبع.

وتكمن أوجه القصور التكنولوجية الرئيسية لنوعية اللحوم بشكل عام في خمسة عيوب لا يمكن كشفها بصريا، باستثناء اللحوم الحمضية التي تظهر أحيانا شاحبة اللون:

١. لحوم بالية، شاحبة اللون و لينة.
٢. لحوم بلون مظلم، وداكنة، وجافة.
٣. لحوم بلونين مختلفين يظهران بين عضلات نفس عينة اللحم.

٤. اللحوم الحمضية: حيث قيمة pH النهائي للحوم منخفضة.

٥. لحوم تبدو أليافها غير منتظمة عند إزالة العظم.

خلاصة:

لتفادي تدهور قيمة pHu والتشبع اللوني والمستوى الجرثومي وتقلص مدة

التخزين ينفق الإنسان أموالاً طائلة يمكن تفاديها فقط بتجنب دم الذبيحة.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

دراسة نسيجية وتركيبية دقيقة ومقارنة لتأثير نبات القسط وعقار أمفوتريسين (ب)

على رثة ذكور الجرذان المصابة بفطر اسبيرجيلس نيجر
لإظهار الإعجاز العلمي في السنة

سناء أحمد خليفة ، رحمة علي العلياني ، داليا مصطفى دمياطي
جامعة الملك عبد العزيز - كلية العلوم للبنات - جدة

الملخص

يهدف هذا البحث لدراسة الإعجاز العلمي في خصائص اختبار استخدام نبات القسط في علاج التهابات الرئة المصابة بفطراسبيرجيللس نيجر كبديل للعلاج الكيميائي (أمفوتريسين - ب) تأسياً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت) خاصة وأن البحوث في هذا الجانب محدودة جداً فتم إجراء التجارب على (٩٠) من ذكور الجرذان البيضاء؛ حيث قسمت حيوانات التجارب إلى المجموعات التالية:

- **المجموعة الأولى** : واشتملت على الحيوانات الضابطة وعددها (٣٠) جرذاً؛ حيث أعطيت الماء المقطر عن طريق الفم طوال مدة التجربة.

- **المجموعة الثانية** : اشتملت هذه المجموعة على (١٠) جرذان . عوملت بمعلق الفطر اسبيرجيللس نيجر *Aspergillus niger* وحقنت بجرعة مقدارها (٤, ٠ ملجم/كجم) عن طريق التقطير داخل الأنف بستة جرعات كل يومين لمدة أسبوعين ثم شرحت بعد اسبوعين من آخر جرعة.

- **المجموعة الثالثة** : واشتملت على الحيوانات المعاملة بمستخلص نبات القسط وعددها (٤٠) جرذاً وقسمت إلى (٤) فئات كالتالي:

اشتملت ١٠ جرذان عوملت بمستخلص القسط فقط وحقنت بجرعة مقدارها (٢, ٠ ملجم/كجم) عن طريق الفم، يومياً لمدة ثلاثة أسابيع ثم شرحت.

اشتملت ١٠ جرذان عوملت بمستخلص القسط فقط وحقنت بجرعة مقدارها (٤, ٠ ملجم/كجم) عن طريق الفم، يومياً لمدة ثلاثة أسابيع ثم شرحت.

ج - اشتملت ١٠ جرذان عوملت بمعلق الفطر بجرعة مقدارها (٤, ٠ ملجم/كجم) عن طريق التقطير داخل الأنف بستة جرعات كل يومين ، لمدة أسبوعين ، ثم عوملت بعد

مرور أسبوعين بمستخلص القُسط بجرعة مقدارها (٢, ٠ ملجم/ كجم) عن طريق الفم يومياً ولمدة ١٠ أيام ثم شرحت.

د- اشتملت ١٠ جرذان عوملت بمعلق الفطر بجرعة مقدارها (٤, ٠ ملجم/ كجم) عن طريق التقطير داخل الأنف بستة جرعات كل يومين ولمدة أسبوعين ثم عوملت بعد مرور أسبوعين بمستخلص القُسط بجرعة مقدارها (٤, ٠ ملجم/ كجم) عن طريق الفم يومياً ولمدة ١٠ أيام ثم شرحت.

- **المجموعة الرابعة:** مجموعة الجرذان المعاملة بعقار أمفوتريسين- ب واشتملت على (١٠) جرذان عوملت بمعلق الفطر بجرعة مقدارها (٤, ٠ ملجم/ كجم) عن طريق التقطير داخل الأنف بستة جرعات كل يومين ولمدة أسبوعين ، ثم عوملت بعد مرور أسبوعين بعقار أمفوتريسين- ب بجرعة مقدارها (٢, ٠ ملجم/ كجم) وريدياً ويومياً ولمدة ١٠ أيام ثم شرحت.

وكان من أهم النتائج المتحصل عليها في هذه الدراسة :

١. الكشف عن أن المعاملة بنبات القُسط لوحده لم تظهر أي تغيرات نسيجية وتركيبية دقيقة على الخلايا السليمة الحية.
٢. ظهور تغيرات مرضية نسيجية وتركيبية دقيقة في الجرذان المعاملة بمعلق الفطر تمثلت في تشوه معظم مناطق نسيج الرئة.
٣. استمرارية الأضرار النسيجية والتركيبية الدقيقة في معظم أجزاء نسيج الرئة في الجرذان المعاملة بمعلق الفطر ثم المعاملة بالعقار.
٤. الأثر الفعال والدور الايجابي أثناء دراسة القطاعات النسيجية والتركيبية الدقيقة لنبات القُسط في معالجة الجرذان المعاملة بمعلق الفطر.

المقدمة

أولاً: اسبرجيلس نيجر : *Aspergillus niger*

تقسم الفطريات إلى سبع فصائل - تبعاً لتقسيم Bessey، 1950 المؤيد من قبل Alexopoulos (1979، and mims - منها الفصيلة اليورثية Family: Eurotiaceae والتي تعتبر من وجهة نظر المهتمين بعلم الفطريات من أهم الفصائل؛ نظراً لشهرة الفطريات التابعة لها، ولأهميتها الاقتصادية الكبيرة.. وتسمى هذه الفصيلة كذلك بالفصيلة الاسبيرجيلية *Aspergillus*.. ونظراً لكون الأطوار الكونيدية للفطر واضحة صارت لها الأفضلية في الدراسة على الأطوار الكاملة..

وتعد مجموعة العفن الأسود أو اسبيرجيلس نيجر *Aspergillus niger* من أشهر فطريات جنس اسبيرجيلس، كما تعتبر الأنواع التابعة لهذا الجنس من أوسع الفطريات انتشاراً في الطبيعة؛ حيث توجد جراثيم الفطر في التربة والهواء، وتنمو على أي وسط غذائي غير حي، وهي من أكثر مسببات التلوث في المختبرات، كما أن أغلب الأنواع ضارة، وتسبب أمراضاً في أنسجة الإنسان والحيوان ويطلق على مثل هذه الأمراض مجتمعة بالأمراض الاسبيرجيلية *Aspergillosis* (الرحمة، ١٤١٤هـ)

وفي البحث الذي أجراه (Ueno et al.، 1978) وجد أن *A.niger* ينتج حامض الأوكساليك وحمض كوجيك بوفرة، وهذان المنتجان لهما فقط سمية حادة طفيفة، كما أشار إلى أنه عند حقن الجرذان بريتونياً بحمض الأوكساليك تكون الجرعة نصف المميتة LD50 عند ١٥٠ ملجم/ كلجم، وعند حقن الفئران الصغيرة بريتونياً بحمض الكوجيك تكون الجرعة نصف المميتة LD50 عند ٢٥٠ ملجم/ كلجم

وذكر (Bennett، 1980) أن الدور الذي يلعبه الاسبيرجيلس في أمراض الرئة غير

المنتشرة لم يكن واضحاً، حيث وجد أن سدادات الهيفات تعرقل القصبات، والتأثيرات السامة والحساسية لمستضدات الفطر يمكن أن تسبب ضرر انقباض قصبي بالغ، كما أكد أن الاحتلال الفطري لنسيج الرئة انحصر كلياً في مرضى ناقصي المناعة..

كما ذكر (Hoshino et al., 1984) ان الإصابة بفطر *A. niger* تسبب في حدوث امراض اسبيرجيللية شُعبية رئوية تحسسية *Allergic bronchopulmonary Aspergillosis* وقد لوحظ في امرأة عمرها ٦٥ سنة مصابة بهذه الحالة أعراض سعال جاف وارتشاح رئوي، وقد أوضحت صور الصدر الإشعاعية انحسار مخاطي وزيادة في عدد الخلايا الحمضية بالدم وارتفاع في تركيز المستضد IgE لفطر *A. niger* بمصل الدم.

وتتميز الإصابة بهذا الفطر *Aspergillosis* بوجود التهاب تحبيبي في الجلد والأذن الخارجية والجيوب الأنفية ومحجر العين والعين والرئتين والتجويف الجنبى والتجويف الصدري والعظام والدماغ والسحايا وصمامات القلب ونادراً البلعوم الأنفي والمهبل والرحم (المشني، ١٩٩٨م)..

وذكر (عبد الحميد، ٢٠٠٠م) أن المستخلص الجرثومي لبعض أنواع فطر الاسبيرجيللس يحدث تأثيراً مسرطناً على صغار البط، وفي عام ١٩٦٢م تم اكتشاف وجود الأفلاتوكسين ب ١ *Aflatoxin B1* وطبيعته من هذه الفطريات..

كما أشار (Johnson، 2005) أن تطور ذات الرئة ينشأ من نظام مناعة شاذ غير قادر على مقاومة العدوى مسبباً عدم القدرة على أكسدة الدم مما يؤدي إلى الخمود وضيق التنفس يصاحبه إفراز مفرط من المخاط في الممرات الهوائية يؤدي إلى السعال وصعوبات تنفسية وزيادة في عدد خلايا الدم البيضاء *neutrophils* و *monocytes*.

يشير التشخيص الداخلي لذات الرئة بالتهاب الأكياس الهوائية وضيق الشعبات وارتشاح *Oedema* رئوي وازدياد في عدد خلايا الدم الحمضية الرئوية (Davidson ، 2006).

ثانياً : القسط Costus :

القسط : بضم القاف وسكون السين، وهو العود فيصح أن نقول : القسط البحري، ويصح أن نقول :العود البحري، ويقال مثل هذا في الهندي ..

والقسط نوعان : النوع الأول هو البحري أو الأبيض أو الحلو، والنوع الثاني هو الهندي أو الأسود أو المر، والهندي أشد حرارة من البحري..

وهذا العود يؤخذ من نبتة القسط التي تبلغ ارتفاعها ٥, ١ م ولها أوراق وساق وجذر وهو يعيش في الهند، والقسم المستعمل منه في العلاج هي قشور جذوره التي تكون بيضاء أو سوداء وسمي البحري لأن العرب كانت تجلبه عن طريق البحر وأما تسميته بالحلو أو المر فذلك متعلق بطعمه (المويل، ٢٠٠٦م) ..

التصنيف العلمي لنبات القسط :

Kingdom: Plant	المملكة: النباتية
Division: Spermatophyta	قسم: النباتات البذرية
Sub.D :Angiospermae	تحت قسم: كاسيات البذور
Class :Monocotyledoneae	طائفة: ذوات الفلقة الواحدة
Order :Scitamineae	رتبة: الموزيات
Order :Scitamineae	الفصيلة: الزنجيرية

وقد قسم لوييز (١٩٣٠) الفصيلة إلى فصيلتين هما : الزنجبراوية والكوستوية، وقسم الأولى إلى ثلاث قبائل ؛ (هيديكية وجلوبية وزنجيرية)، وأما الثانية فتتكون من أربعة أجناس فقط ولم تقسم إلى قبائل ؛ منها جنس الكوستوس (Costus) (لورانس، ١٩٦٩م) ..

فوائد القسط واستعمالاته الطبية كما في السنة :

روى الترمذي في جامعه من حديث زيد بن أرقم، قال : أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم : (أن نتداوى من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت).. (انظر حديث رقم ٢٠٧٩) وقال حسن غريب صحيح. وفي رواية للبخاري عن أم قيس بنت محسن أنها قالت :سمعت

النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفيه: يستعط به من العذرة ويلد به من ذات الجنب)، (ح ٥٦٩٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم: (فإن فيه سبعة أشفية) قال البخاري: قال الراوي: سمعت الزهري يقول: بين لنا اثنتين ولم يبين لنا خمسة .. (ح ٥٧١٣). وقال ابن حجر: كذا وقع الاختصار في الحديث عن السبعة على اثنتين فإما أن يكون ذكر السبعة فاختصره الراوي أو اقتصر على الاثنتين لوجودها حيثئذ دون غيرها..

وقوله: (يلد به من ذات الجنب) يعني يسقاه في أحد شقي فمه وهو تنبيه إلى طريقة لسقي المريض دواءه عندما لا يتمكن من الجلوس أو من تناوله بيده عندما يثير ذلك ألماً شديداً لديه، واللدود ما يسقى الانسان في أحد شقي الفم. قال الموفق البغدادي: (وفي جمعه صلى الله عليه وسلم بين الحجامة والقسط سر لطيف وهو أنه إذا طلي به مشط الحجامة لم يتخلف في الجلد أثر المشاريط وهذا من غرائب الطب فإن هذه الآثار اذا نبتت في الجلد قد يتوهم من رآها أنها بهق أو برق والطباع تنفر من هذه الآثار فحيث علم ذلك مع الحجامة ما يؤمن من ذلك..

والقسط قد جعله النبي صلى الله عليه وسلم أمثل ما يتداوى به لكثرة منافعه ينفع الفالج ويحرك الباه وهو ترياق لسلم الأفاعي، واشتداه على الزكام يذهبه، ودهنه ينفع وجع الظهر..

مكانة القسط في الطب الحديث:

ذكر (فول ومالييفا، ١٩٥٢م) أن للقسط أنواعاً كثيرة وأكد على المنافع الطبية لثلاثة أنواع:

القسط العربي (Costu Arabicus) وهو منتشر في جنوب شرقي آسيا ويزرع في الهند واندونيسيا ويستعمل علاجياً في آفات الصدر والسعال والربو.

القسط الأفريقي (Costu Afrri) وهو منتشر في افريقيا الاستوائية ويستعمل طبياً مسحوق سوقه لمعالجة السعال، أما الصبغة المحضرة من جذوره فتدخل في عداد تركيبة دوائية من داء النوم، وتطبق أوراقه المسلوقة موضعياً لمعالجة الرثية، أما الجذور المسلوقة فتفيد موضعياً لشفاء التقرحات الجلدية.

القسط الموير (Costus Spicatus):

وينتشر في كولمبيا وأمريكا الاستوائية وخاصة في البيرو وغويانا ويستعمل طبياً لعلاج
النزلات الشعبية وخاصة المعوية منها وفي حمى التيفوس .

أفادت التجارب التمهيديّة التي أجريت من قبل (Dutt et al., 1960 & Sastry and Dutta, 1961) فعالية القسط كعلاج مفيد ضد التهاب القصبات الهوائية المزمن والربو..
كما وجد (Cruz, 1965) أن الحقن بالأجزاء الهوائية للقسط تفيد في معالجة البرودة وقرحة
الحناجر والزحار والإسهال..

أوضحت النتائج العقاقيرية الحاصل عليها (Whistler et al., 1976) من النشاط
الحيوي لعديدات التسكر في القسط واستعمال جذوره في الطب التقليدي البرازيلي في
تحسين المساهمة البلعمية والحماية الوعائية في الجهاز الشبكي البطاني للوعاء الدموي.

كما يعتبر القسط المكون الرئيسي لـ Brahmyadi Ghanavati والمستخدم كضابط لارتفاع
ضغط الدم (Rathet al., 1999).

وفي البحث الذي أجراه (Otrero et al., 2000) وجد أن ١٣ من ٧٤ مستخلص
لنباتات القسط مستعملة من قبل المعالجين التقليديين للدغات الأفعى في المنطقة الشمالية
الغربية لكولمبيا، وكانت المستخلصات فعالة ضد التأثير القاتل من سم Bothropsatrox.

وفي الدراسة التي أجراها (Pandey et al., 2007) تمكن من عزل عدة مركبات حيوية
من نبات القسط أهمها *costunolide*، *dehydrocostus*، *cynaropicrin* والتي تعمل على
تطوير النشاط الحيوي للجزيئات ولهذا السبب قام الباحثين بتحضير القسط كدواء.

كما ذكر (Vigayalakshmi & Sarada, 2008) أن محتوى Polyphenol لمستخلصات
نبات القسط كانت عالية في الجذر وقشرة الجذع مقارنةً بالأوراق وبالتالي فعالية هذه
الأجزاء كمجاميع بديلة لمضادات التأكسد الصناعية.

ثالثاً: عقار أمفوتريسين (ب) Amphotericin B :

تم اكتشاف أمفوتريسين (ب) في عام ١٩٥٦ م بواسطة Gold and coworkers الذين درسوا عزله من جرثومة فطرية Streptomyces nodosus والفطر الشعاعي اللاهوائي المعزول من نهر Orinoco في فنزويلا..

ينتمي أمفوتريسين (ب) لعائلة Polyene macrolide - وهي واحدة من ٢٠٠ عائلة من المضادات الحيوية - وهو يعالج الالتهاب الفطري المخاطي المتقدم سريعاً وغزو الأمراض الاسبيرجيلية، ويملك فعالية محدودة ضد الأوليات ولايمكك العقار فعالية ضد البكتريا (Goodman and Gilman, 2001)

يطلق العقار من مركباته ديوكسي كولات في مجرى الدم أما بقايا الأمفوتريسين (ب) في البلازما تكون أكثر من ٩٠٪ تحيط بالبروتين وبشكل أساسي بيتا-ليبوبروتين، وتعتمد فعالية مضاد الفطر أمفوتريسين (ب) على الجزء الموجود على حزم الاستيرول والأرجسترول الأساسي الموجود في الغشاء الحساس للفطر، وبمقتضى ذلك فإن التفاعل مع استيرولات غشاء الخلية يجعل البولينيبيدو على شكل ثقب أو قنوات فيحدث زيادة في نفاذية الغشاء تسمح بتسرب مجموعة من الجزيئات الصغيرة بالإضافة إلى ميكانيكيات تفاعل إضافية تعمل على تلف الأكسدة بخلايا الفطر لأقل درجة..

وجد (Demarie et al., 1994) تراكم أمفوتريسين (ب) في الكبد والطحال، كما أشار إلى أن السمية الكبدية لا تعتبر أساساً راسخاً لتأثيرات العقار..

وجد (Johnson et al., 1998) أن الآلام المرتبطة بالحقن كما في الظهر والبطن أو التي تحدث أحياناً في الصدر تكون عادة في المرضى الذين اعطوا الجرعات الاولى القليلة..

كما ذكر (Bekersky et al., 1999) أن الجرعات فوق ١٠ ملجم/كلجم والتي تعطى نادراً للمرضى لم تسبب حالات موت، أما جرعات ٨ ملجم/كلجم فقد أعطت سمية عالية في الكلاب. وتكون الجرعة العلاجية للأمفوتريسين (ب) من ٥, ٦ إلى ٠, ٠ ملجم/كلجم يومياً بالحقن الوريدي البطيء، ومن أهم التأثيرات الأساسية للأمفوتريسين (ب)

الحمى والقشعريرة، وبعض الأحيان يمكن أن تحدث زيادة في سرعة التنفس مع ظهور صوت معتدل أو عال، ونقص لضغط الدم، ونادراً ما يحدث تشنج شعبي حقيقي أو فرط حساسية، كما يمكن أن تتأثر المتطلبات الأيضية. وأيضاً يعمل الأمفوتريسين (ب) على نقص إنتاج الهيموجلوبين مسبباً أنيميا كريات الدم الحمراء والتي تبطل العلاج التالي ببطء، ويلاحظ أحياناً حدوث قلة الصفيحات الدموية ونقص لكريات الدم البيضاء. كما لوحظ ظهور تلف نسيجي مستمر للأنايب الكلوية حتى خلال مجموعة الجرعات القصيرة بأمفوتريسين (ب)، وكذلك اختلالات وظيفية كلوية مستمرة في المرضى (Goodman and Gilman, 2001).

لاحظ (Vogelsinger et al., 2006) عند قياس مستويات أمفوتريسين - ب للمرضى المعالجين به أنها كانت عالية في الكبد والطحال يأتي بعدها الكلية والرئة وعضلة القلب والدماغ في حين وجد أن تراكيز أمفوتريسين - ب الدهني كانت عالية في الرئة..

مواد وطرق الدراسة

Materials and Methods

أولاً : المواد Material :

١ - حيوانات التجارب Experimental Animals :

استخدم في هذه الدراسة (٩٠) من الجرذان البيضاء Albino rats من نوع Wister rats وتعرف علمياً *Rattus norvegicus*، بعمر ٢١ يوم (سن ما بعد الفطام) وتتراوح أوزانها ما بين (٥٠-٦٠ جم). تم الحصول عليها من مركز الملك فهد للبحوث الطبية التابع لجامعة الملك عبد العزيز، وضعت الحيوانات تحت ظروف بيئية مناسبة.

أُجريت جميع المعاملات من حقن وتشريح وأخذ للعينات ومعاملة القطاعات النسيجية وصباغتها وفحصها في المعامل الخاصة بكلية التربية للنبات بجدة.

٢- فطر اسبيرجيلس نيجر *Aspergillus niger* :

تم الحصول على فطر اسبيرجيلس نيجر وتعريفه من قسم الميكروبيولوجي في كلية التربية للأقسام العلمية بجدة ويستخدم بشكل معلق جرثومي . كما تم معاملة الحيوانات بمعلق جراثيم الفطر عن طريق التقطير داخل الأنف تبعاً لطريقة (Hadecek and Greger, 2000).

٣- عقار أمفوتريسين- ب *Amphotericin B* :

وهو عبارة عن بودرة جافة صفراء اللون تحتوي ٥٠ ملجم أمفوتريسين- ب، ٤١ ملجم ديوكسي كولات (املاح الصفراء) ومقدار ضئيل من فوسفات صوديوم متعادل.

الصيغة الجزيئية له $C_{47}H_{75}NO_{17}$ ووزنه الجزيئي ٩٢٤, ٠٨٤، يجهز العقار بإضافة ١٠ مل من الماء المعقم للحقن إلى البودرة المجففة التي تزن ٥٠ ملجم ليصبح تركيزه ٠, ١ ملجم/ مل ويحفظ في درجة حرارة ٢-٨ م°.

تم معاملة الحيوانات بهذا العقار عن طريق الحقن في الوريد الذيلي (I.V). (Goodman and Gilman, 2001).

٤- القُسط البحري *Costus* :

استخدم في هذا البحث مادة طبيعية فعالة ذات فائدة عظيمة في علاج التهابات الرئة تأسياً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «تداؤوا من ذات الجنب بالقُسط البحري والزيت» ألا وهي القُسط، وتم تحضير مستخلصه النباتي بتسخين ١٠٠ مل من الماء ثم إضافة ١٠ جم من مطحون جذور القُسط لها ثم تغلى ٣ دقائق وتغطى وتحفظ في الثلاجة عند درجة أقل من ٢٥ م°.

تم معاملة الحيوانات بهذه المادة عن طريق الشرب بالأنبوبة المعدية («-» Stomach tube) التي توضع في الفم مباشرة (ابن القيم، ١٤٢٥ هـ).

ثانياً : الطرق : Methods:

تقسم حيوانات التجارب إلى المجموعات التالية:

١- المجموعة الأولى G1 First Group :

واشتملت على الحيوانات الضابطة وعددها ٣٠ جرذاً حيث أعطيت الماء المقطر عن طريق الفم طوال مدة التجربة.

٢- المجموعة الثانية G2 Second Group :

اشتملت هذه المجموعة على ١٠ جرذان عوملت بمعلق الفطر اسبيرجيلس نيجر *Aspergillus niger* وحقنت بجرعة مقدارها (٤, ٠ ملجم/ كجم) عن طريق التقطير داخل الأنف بستة جرعات كل يومين لمدة أسبوعين ثم شرحت بعد أسبوعين من آخر جرعة.

٣- المجموعة الثالثة G3 Third Group :

واشتملت على الحيوانات المعاملة بمستخلص القُسط وعددها ٤٠ جرذاً وقسمت إلى (٤) مجموعات كالتالي:

مجموعة اشتملت ١٠ جرذان عوملت بمستخلص القُسط فقط ، وحقنت بجرعة مقدارها (٢, ٠ ملجم/ كجم) عن طريق الفم، يومياً لمدة ثلاثة أسابيع ثم شرحت.

مجموعة اشتملت ١٠ جرذان عوملت بمستخلص القُسط فقط ، وحقنت بجرعة مقدارها (٤, ٠ ملجم/ كجم) عن طريق الفم، يومياً لمدة ثلاثة أسابيع ثم شرحت.

ج- واشتملت ١٠ جرذان عوملت بمعلق الفطر بجرعة مقدارها (٤, ٠ ملجم/ كجم) عن طريق التقطير داخل الأنف بستة جرعات كل يومين لمدة أسبوعين ثم عوملت بعد مرور أسبوعين بمستخلص القُسط بجرعة مقدارها (٢, ٠ ملجم/ كجم) عن طريق الفم يومياً ولمدة ١٠ أيام ثم شرحت.

د- واشتملت ١٠ جرذان عوملت بمعلق الفطر بجرعة مقدارها (٤, ٠ ملجم/ كجم) عن طريق التقطير داخل الأنف بستة جرعات كل يومين لمدة أسبوعين ثم عوملت بعد

مرور أسبوعين بمستخلص القُسط بجرعة مقدارها (٤, ٠ ملجم/كجم) عن طريق الفم يومياً ولمدة ١٠ أيام ثم شرحت.

٤ - المجموعة الرابعة G4 Fourth Group :

مجموعة الجرذان المعاملة بعقار أمفوتريسين- ب واشتملت ١٠ جرذان عوملت بمعلق الفطر بجرعة مقدارها (٤, ٠ ملجم/كجم) عن طريق التقطير داخل الأنف بستة جرعات كل يومين لمدة أسبوعين ثم عوملت بعد مرور أسبوعين بعقار أمفوتريسين- ب بجرعة مقدارها (٢, ٠ ملجم/كجم) وردياً يومياً لمدة ١٠ أيام ثم شرحت. (van etten et al., 2000) علماً بأنه تم تعيين الجرعات الفعالة، وأيضا التراكيز المختلفة لجميع المعاملات بعد إجراء عدة تجارب أولية لكل مادة من المواد المستخدمة في هذا البحث.

ثالثاً: الدراسة النسيجية بالمجهر الضوئي

(Histological study by light microscope)

وزنت الحيوانات في نهاية كل أسبوع طوال مدة التجربة والتي تبلغ ستة أسابيع، وبعد انتهاء مدة التجربة تم قتلها بالكلوروفورم وشرحت وأخذت عينات الرئة عضو الدراسة لكل المجاميع حيث وزنت وقطعت لقطع صغيرة، ووضعت في مثبت الفورمالين متعادل Neutral Formalin لمدة ٤٨ ساعة. وتم إتباع الطرق القياسية لنزع الماء dehydration والترويق clearing والظمر في شمع البرافين paraffin embedding ثم التقطيع بسمك ٣ ميكرون من نسيج الرئة للعينات الضابطة والمعاملة للجرذان وصبغها بصبغة الهيماتوكسيلين-أيوسين (H&E) Haematoxylin and Eosine stain وصبغة أزرق التلودين (الخليفة والصالح، ١٩٩٥).

رابعاً: دراسة التركيب الدقيق بالمجهر الإلكتروني النفاذ :

Ultrastructure studies by Transmation electronic microscope (Robenson et al .,1987)

تم اختيار بعض العينات لكل المجاميع وتثبيتها في محلول ٣٪ الجلوتراالدهيد في محلول الفوسفات المنظم pH:7.4 واتباع الطرق المناسبة كتقطيع النسيج لأجزاء صغيرة بسمك ٥, ٢ ميكرون ثم إعادة تثبيتها في محلول الجلوتراالدهيد المنظم والمبرد عند ٤م لمدة ٢٤ ساعة ثم غسلت القطاعات في محلول الفوسفات المنظم وتمت إعادة التثبيت في رابع أكسيد الأزميوم، يليها نزع الماء بإمرار العينات في محاليل متدرجة من الكحول الإيثيلي ثم الطمر الايون وعمل القطاعات النصف رقيقة بسمك ٥, ٠ ميكرون حيث تصبغ بأزرق التولويدين وقطاعات رقيقة بسمك ٥٠-٧٠ميكرون باستخدام الميكروتوم الدقيق وتثبيتها على الشباك النحاسية وصبغها بصبغة مزدوجة ثم الفحص والتصوير باستخدام المجهر الإلكتروني.

النتائج والمناقشة

RESULTS AND DISCUSSION

الدراسات النسيجية والتركيبية الدقيقة

Histological & Ultrastructure studies

١- المجموعة الأولى (G1) First Group

- العينات الضابطة -

يتكون الجهاز التنفسي من الرئتين والمسارات الهوائية، والتي تنقسم بدورها إلى مسارات هوائية (الجزء الموصل) ومسارات تنفسية (الجزء التنفسي).

تنشأ الرئتان (Lungs) في الجنين نشأة شبيهة بنشأة الغدد من الأدمة المبطنة للمعي

الأمامي، وتقع الرئتان محميتين داخل القفص الصدري.

تتألف الرئة أساساً من الشعب داخل الرئة والشعبيات والحوصلات الهوائية إضافة للأوعية الدموية والألياف العصبية وقليل من النسيج الضام.

ومن المكونات الرئوية من الخارج إلى الحويصلة الهوائية ما يلي :

الشعب الأولية (Primary Bronchi) وشعب ثانوية أو فصية (Secondary Bronchi) شعب ثلاثية أو صغيرة (Teritary Bronchi) والشعبيات (Bronchioles) والشعبيات النهائية (Terminal bronchioles) والشعبيات التنفسية (Respiratory bronchioles) والقنوات الحويصلية (Alveolar Ducts) والأكياس الحويصلية (Alveolar Sacc) والحوصلات (Alveolus) (شكل - ١).

التركيب النسيجي للشعبيات (Bronchiole) :

تتكون الشعبية من طبقة داخلية عبارة عن ثنيات واضحة بها خلايا طلائية عمادية مهدبة بها قليل من الخلايا الكأسية (Goblet cells) وطبقة عضلية ملساء تحيط بالطبقة الأصلية (Lamina propria) وتحاط من الخارج بالطبقة البرانية (Adventitia) ولا توجد غدد أو غضروف، وبالقرب من الشعبية يوجد فرع من الشريان الرئوي (Pulmonary artery)، وتحاط الشعبية بحوصلات الرئة (Alveoli) (شكل ٢، ٣، ٤).

التركيب النسيجي للشعبيات النهائية (الطرفية) (Terminal bronchioles) :

تبطن الشعبية النهائية بطلائية مكعبة مهدبة وتختفي منها الخلايا الكأسية وتستبدل بخلايا كلارا (خلايا عمادية طويلة مع حبيبات افرازية قمية)، تحيط طبقة سميكة من العضلات الملساء بصفحة خاصة رقيقة وتحاط من الخارج بالغلالة البرانية، لا يوجد غضاريف أو غدد في الشعبيات النهائية، كما يصاحب الشعبية النهائية فرع من الشريان الرئوي (الأشكال ٥، ٦، ٧).

التركيب النسيجي للشعبيات التنفسية (Respiratory bronchioles) :

تبطن الشعيبات التنفسية بخلايا طلائية مكعبة مهدبة وأعداد قليلة من خلايا غير مهدبة تدعى خلايا كلارا تحل محل الخلايا الكأسية، تحاط بطبقة ناقصة من الخلايا العضلية الملساء المحيطة بنسيج ضام ليفي مرن.

تقسم كل شعيبة تنفسية بعيدة إلى عدة قنوات حويصلية والتي تنتهي بكيس حويصلي يفتح تباعاً إلى عدة حويصلات (شكل ٦).

التركيب النسيجي للحويصلات والحوارج ال : بين حويصلة

(Alveolus & Inter-alveolar septum):

كل حويصلة تشمل جيب يفتح في جانب واحد أما الجدار الحويصلي فيشمل ثلاث مكونات نسيجية: الطلائية السطحية، النسيج الداعم أو الساند، الأوعية الدموية.

الطلائية هي البطانة المستمرة إلى كل حويصلة وتشمل نوعين من الخلايا:

أغلب المنطقة السطحية الحويصلية مغطاة بشكل كبير بالخلايا الحرفشية ، وتدعى خلايا النوع I للخلايا المبطنة للحويصلات الهوائية الرئوية (خلايا البطانة الحويصلية) P1 (Pneumocytes) النوع الثاني لخلايا الطلائية المعروف بالنوع II للخلايا المبطنة للحويصلات الهوائية الرئوية P2 (Pneumocytes) والتي تحتل نسبة قليلة حوالي ٥٪ للمنطقة السطحية الحويصلية.

الأوعية الشعرية تكون معظم الجدار الحويصلي والتي تتفرع وتتشابك لتكوين ترتيب يشبه السلة حول كل حويصلة.

تستند خلايا البطانة الحويصلية على الجانب المحدب للأغشية القاعدية بينما خلايا البطانة الوعائية الشعرية على الجانب المقعر والمجاور لخلايا الدم الحمراء ضمن الأوعية الشعرية.

أما سيتوبلازم الجدر الحويصلية فمملوء لاحتواء الحويصلات على دهون فوسفاتية على شكل أجسام رقائقية والتي تساهم في تحفيز التوتر السطحي لطبقة الطلائية ووصلة الهواء.

إن الحاجز بين الحويصلات متكون من الأوعية الشعرية الحويصلية المحاطة بشبكة

متناثرة رفيعة من الألياف المطاطية والكولاجينية مع طبقة طلائية حرشفية من الحويصلتين المتجاورتين على كل جوانب الشبكة الشعرية، كما تحتوي الحواجز الحويصلية على مسامات حويصلية والتي تسمح لبعض حركة للهواء بين الحويصلات المتجاورة.

تسمك الألياف الكولاجينية والمطاطية في الحاجز حول فتحات الحويصلات وتشكل إنسناداً لنسيج الرئة الحشوي (Gartner, 2006) (الأشكال ٨، ٩).

وعند دراسة التركيب الدقيق لقطاعات الرئة في مجموعة الحيوانات الضابطة اتضح التالي:

الشعبيات (Bronchioles) :

تبتن الشعبيات النهائية Terminal bronchioles بخلايا طلائية مكعبة مهدبة أو غير مهدبة كما في شكل (١٢)، وتقوم الخلايا المهذبة بتحريك الإفرازات كما تمنع وصول الجزيئات إلى داخل الحلق أما الخلايا غير المهذبة وهي ما تسمى خلايا كلارا Clara cells المميزة للشعبيات النهائية فتقوم بوظيفة افرازية كما في (شكل ١٣)

وتتصف خلايا كلارا أن لها رأساً كالقبة لامتلاء المنطقة القمية بحبيبات افرازية كثيفة غير منتظمة الشكل لمادة الكلايكوز أمينوكلايكانات التي ربما تحافظ على بطانة الشعبيات (شكل ١٤)، كما وتحتوي خلايا كلارا أساساً على ميتوكوندريا كبيرة ومنطقة قاعدية تحتوي نواة وشبكة اندوبلازمية خشنة مع رقع من الجليكوجين، وقمم لشبكة اندوبلازمية ملساء (شكل ١٥) وجهاز جولجي غير متطور (شكل ١٦) (Johnson; 1999, Gross, 1991)

الحويصلات الهوائية (Alveoli) :

الحويصلات هي وحدة التركيب وفيها تتم الوظيفة الأساسية للرئة، يتألف الجدار الحويصلي Interalveolar Septum من خمسة أنواع رئيسية من الخلايا هي:

الخلايا البطانية للوعاء الشعري (Endothelial cells) ٣٠٪.

الخلايا الرئوية النوع الأول (Type I Pneumocytes) ٨٠٪.

الخلايا الرئوية النوع الثاني (Type II Pneumocytes) ١٦٪.

الخلايا الخلالية (Interstitial cells) وتشمل الأرومات الليفية (Fibroblasts) والخلايا البدنية (Mast cell) ٣٦٪.

البلعيمات الكبيرة في الحويصلات الهوائية (Alveolar macrophages) ١٠٪. (الحمود، ٢٠٠٣).

المجموعة الثانية (G2) Second Group :

- مجموعة الجرذان المصابة بمعلق الفطر اسبيرجيليس نيجر *Aspergillus niger* بجرعة (٤، ٠ ملجم / كجم)

عند فحص القطاعات النسيجية لرئة الجرذان المصابة بمعلق الفطر بجرعة (٤، ٠ ملجم / كجم) لوحظ فقد كبير للتركيب النمطي للرئة بسبب التحلل النسيجي وظهور النسيج الحشوي بصورة مشوهة نتيجة الإصابة (شكل ٦٥) وطغى على معظم النسيج ظهور التجمعات الالتهابية للخلايا اللمفية على الشعبيات الهوائية وحوها (شكل ٦٦) كما شوهد في بعض الشعبيات الهوائية فقد تام للشكل العام لها وتشوها وتمثل ذلك في تمددها وضمورها والتحامها وتحلل البطانة الداخلية لها (شكل ٦٧).

وبدراسة التركيب النسيجي للطبقة الطلائية الداخلية لبعض الشعب الهوائية المشوهة وجدت غير منتظمة التركيب وذات قمم متحللة وظهرت الأوعية الدموية المجاورة محتقنة؛ وبها تجمع لكريات الدم الحمراء (شكل ٦٨).

وعند فحص القطاعات نصف الرقيقة للحويصلات الهوائية وجدت مشوهة، وأصبحت ذات جدر سميكة وذات تجاويف ضيقة، والذي يعرف بظاهرة الإنغلاق Colups (شكل ٦٩) كما زاد عدد الخلايا الرئوية النوع الثاني P٢ في الجدار الحويصلي (IS) (شكل ٧٠).

ونظراً لشدّة الإصابة تعرضت رئة الجرذان لتغيرات مرضية تمثلت في انغلاق الحويصلات الهوائية وقلة عدد الشعبيات النهائية وتشوها مما أدى إلى اختفاء خلايا كلارا.

وعند فحص قطاعات التركيب الدقيق لرئة الجرذان المصابة بمعلق الفطر بجرعة (٤، ٠ ملجم / كجم) وجدت مناطق كثيرة مغطاة بكميات كبيرة من النزف (شكل ٧١).

وبدراسة الحويصلات الهوائية وجد أنها قد زادت حدة التغيرات النسيجية المرضية بها مقارنةً بمثيلاتها من الجرذان المصابة السابقة وتمثلت هذه التغيرات في قلة عدد خلايا P1 المحاطة بالنزف (شكل ٧٢) بشكل عام وحدوث تحلل سيتوبلازمي لها (شكل ٧٣)، في حين زاد عدد خلايا P2 بشكل كبير مما أدى إلى انعدام الفراغات الهوائية (شكل ٧٤) في النسيج مما يقلل مساحة التبادل الغازي في النسيج، ولم تقتصر تلك التغيرات على العدد فقط بل وتعدت إلى التركيب الداخلي لخلايا P2 حيث لوحظ زيادة كبيرة للأجسام الصفائحية بها مقارنةً بالجرذان المصابة السابقة (شكل ٧٥) وقلة عدد الميتوكوندريا والتي حدث تحلل لأعرافها وأعشيتها الداخلية (شكل ٧٦) بالإضافة إلى انقسام النواة وازدياد حجمها بشكل كبير في بعض خلايا P2 (شكل ٧٧) أو ضمور النواة وتشوهها في خلايا أخرى (شكل ٧٨)، واختزال لجهاز جولجي بها (شكل ٧٩).

ونتيجة للإصابة فإن الخلايا البلعمية قد تفاقم عددها في الجدار الحويصلي بشكل يؤكد تلك الإصابة (شكل ٨٠) كما ظهرت الليسوسومات بكثرة (شكل ٨١، ٨٢) لتوافي عملية البلعمة لتلك الخلايا الدفاعية.

وقد أوضح Bennett، 1979 إن فطر الاسبيرجيللس ينمو في أنسجة الانسان أو خلال الفراغات التنفسية للجسم مثل القصبات أو التجويف الرئوي وهذا ما يسمى بالأمراض الفطرية الرئوية Aspergillosis ..

ويمكن أن تصاب القصبات والرئتان بالجراثيم والتي تؤثر على الغشاء الجنوبي، كما يمكن أن يدخل الهواء إلى الغشاء الجنوبي بسبب تمزق أحد الحويصلات الرئوية (الجماس، ١٤٠٤هـ).

وقد عرفت العدوى بفطريات الاسبيرجيللس Aspergillosis في الإنسان منذ ما يزيد عن قرن ونصف من الزمان خاصة في الجهاز التنفسي مؤدياً إلى التهاب رئوي فطري أو التهاب شعبي فطري، كما تسبب جراثيم الفطر المستنشق نوعاً من الحساسية (عبد الحميد، ١٤٢١هـ).

ذكر (Luther et al.، 2007) أن الخلايا البلعمية الرئوية تشكل جزءاً هاماً من الدفاع

المناعي المبكر ضد عدوى اسبيرجيللس وبالتالي فإن عملية ابتلاع الأبواغ الفطرية شرط ضروري للقضاء عليه.

كما أوضح (Lai et al.، 2007) أن تخثر الدم المنتشر في الأوعية الدموية هو العامل الوحيد الذي تعزى إليه الوفيات الناتجة عن داء اسبيرجيلوسس الرئوي المنتشر.

المجموعة الثالثة (G3) Third Group :

أ-ب / مجموعة الجرذان المعاملة بمستخلص القسط بجرعة مقدارها

(٢, ٠ ملجم / كجم - ٤, ٠ ملجم / كجم)

أوضح الفحص النسيجي لقطاعات رئة الجرذان - المعاملة بمستخلص القسط فقط وبكلا الجرعتين (٢, ٠ ملجم / كجم - ٤, ٠ ملجم / كجم) - احتفاظ النسيج الحشوي بتركيبه النمطي المعتاد حيث ظهرت معظم المكونات النسيجية في وضعها التنظيمي الطبيعي تقريبا. ففي (الأشكال ١٠، ١١، ١٢) نلاحظ الشعبية الهوائية وسط نسيج رئوي منتظم مكونة من طبقة طلائية داخلية منتظمة ذات انثناءات ممتدة بصورة جيدة داخل التجويف وتحاط بطبقة عضلية تحيط بها من الخارج إلى جانب وجود الوعاء الدموي المجاور بصورة جيدة التكوين عندما عوملت بالقسط بجرعة (٢, ٠ ملجم / كجم).

وعند المعاملة بمستخلص القسط بجرعة (٤, ٠ ملجم / كجم) ظهرت الشعبية الهوائية منتظمة كما في (الشكل ١٣) حيث نلاحظ انتظام الطبقة الطلائية الداخلية وهي عبارة عن خلايا عمادية مهدبة تتخللها خلايا كأسية وتحاط من الخارج بطبقة عضلية منتظمة.

كما لوحظت الشعبات الإنتهائية جيدة التكوين (الأشكال ١٤، ١٥) حيث تتكون الشعبية الإنتهائية من نفس تركيب الشعبية الهوائية إلا أن الطبقة الطلائية الداخلية عبارة عن خلايا مكعبة مهدبة، وتتميز بوجود خلايا كلارا التي تحل محل الخلايا الكأسية ويتصل تجويف الشعبية الإنتهائية بالشعبية التنفسية والتي بدورها تتفرع إلى عدة قنوات حويصلية تنتهي بتكون الأكياس الحويصلية والحويصلات الهوائية. وفي (الأشكال ١٦، ١٧) يتضح

تركيب جدار الحويصلة الهوائية الذي يتكون من خلايا متنوعة هي خلايا P1 ، P2 .
وأظهر الفحص بالمجهر الإلكتروني لقطاع رئة الجرذان المعاملة بمستخلص القُسط
 - فقط بجرعة (٢, ٠ ملجم/كجم - ٤, ٠ ملجم/كجم) - أن معظم المكونات النسيجية كانت في وضعها التنظيمي الطبيعي تقريباً حيث ظهرت الجدر الحويصلية بسمك مماثل لما كانت عليه في العينات الضابطة كما شوهد انتظام الخلايا البطانية للوعاء الشعري (شكل ١٠٢، ١٠٣) وبدت خلايا P1 و P2 بشكل جيد التكوين (شكل ١٠٤) حيث ظهر في شكل (١٠٥) تتالي خلايا P1 في الجدار الحويصلي بشكل مثالي، أما خلايا P2 فبدت بتركيب داخلي منتظم ونواة واضحة وعدد من الأجسام الصفائحية الطبيعي وميتوكوندريا سليمة وشبكة اندوبلازمية واضحة (شكل ١٠٦)، وكذلك أثبت الفحص بالمجهر الإلكتروني وجود الخلايا البدنية بصورة ماثلة للعينات الضابطة شكل (١٠٧) والخلايا البلعمية امتازت بعدد طبيعي من الليسوسومات شكل (١٠٨).

ج- مجموعة الجرذان المصابة بمعلق الفطر بجرعة ٤, ٠ ملجم/كجم (والمعاملة بمستخلص القُسط بجرعة ٢, ٠ ملجم/كجم) :

أوضح الفحص المجهرى للتركيب النسيجي لرئة الجرذان المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) والمعاملة بنبات القُسط بجرعة (٢, ٠ ملجم/كجم) استعادة النسيج الحشوي للرئة شكله الطبيعي تقريباً (شكل ٦٠)، وظهر خالياً من التحلل السيتوبلازمي.

وعند دراسة القطاعات النسيجية للرئة وجدت الشعبيات الهوائية ذات تركيب نسيجي جيد التكوين حيث كانت منتظمة تقريباً كما في شكل (٦١)، وتمثلت الطبقة الطلائية الداخلية فيها على شكل انشاءات واضحة حول تجويف منتظم إلى حد ما في (شكل ٦٢).

وشوهدت الأكياس الحويصلية ذات تركيب نسيجي منتظم إلى حد ما (شكل ٦٣)، حيث ظهرت الحويصلات ذات جدر طبيعية تميزت خلاياها بوضوح (شكل ٦٤).

د- مجموعة الجرذان المصابة بمعلق الفطر بجرعة ٤, ٠ ملجم/كجم (والمعاملة بمستخلص القُسط بجرعة ٤, ٠ ملجم/كجم) :

لوحظ عند الفحص النسيجي لرئة الجرذان المصابة بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) والمعاملة بنبات القُسط بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) الأثر الإيجابي لنبات القُسط في عودة النسيج الرئوي لتركيبه النمطي المعتاد واختفاء معظم الآثار السلبية والتغيرات النسيجية المرضية للإصابة.

ويتضح من الشكل (٧١) انتظام الشعبيات الهوائية تقريباً عند مقارنتها بمثيلاتها في الحيوانات المصابة، كما ظهرت جيدة التكوين وامتازت بطبقة طلائية داخلية ذات خلايا عمادية مهدبة بينها الخلايا الكأسية منتظمة في ثنيات داخل تجويف واضح. وظهرت الأوعية الدموية منتظمة الجدر وغير محتقنة وتحتل موقعاً مجاوراً للشعبيات الهوائية (الشكلين، ٧٢-٧٣).

ووجدت الأكياس الحويصلية (شكل ٧٤، ٧٥) ذات جدر منتظمة، امتازت بخلايا واضحة و متميزة إلى نوعيها P1 ، P2، كما فقدت تماماً ظاهرة الإنغلاق.

وقد أكد الفحص الدقيق لقطاعات الرئة في الجرذان المصابة بمعلق الفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) والمعاملة بمستخلص القُسط بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) عودة المظهر الطبيعي لسلمك الجدر الحويصلية (شكل ١٣٧) وانخفاض عدد خلايا P٢ للحد الأمثل (شكل ١٣٨) واستعادتها لتركيبها المعتاد من حيث شكل النواة وعودة الميتوكوندريا وأعرافها لمظهرها شبه الطبيعي كما في الشكلين (١٣٩، ١٤٠)، كما وظهرت الخلايا البلعمية قليلة الليسوسومات كدليل على انخفاض عملية البلعمة الناتجة من ضرر الإصابة (شكل ١٤١).

ونظراً لما لوحظ من تفشي الامراض وعدم فعالية العقاقير التي فقدت قيمتها الأصلية في العلاج - وما لها من آثار تدميرية على خلايا أخرى سليمة - بالإضافة إلى تكلفتها العالية، لذا نرغب بتسليط الأضواء على جانب كبير من الثروات العظيمة في مجال الطب النبوي الذي يعتبر أصدق وأسلم وأنجع طب في الوجود لأنه من الله سبحانه وتعالى، حيث قال تعالى: (ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى) سورة النجم: آية ٥ ، ومن هديه صلى الله عليه وسلم ما روى الترمذي من حديث زيد بن أرقم، أن النبي صلى

الله عليه وسلم قال: (تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت).

وذات الجنب: قرحة تصيب الانسان في داخل جنبه ، كما يزعم بعض أطباء العرب قديماً، وفي الطب الحديث: هي التهاب الغشاء الرقيق المغلف للرئتين وأعراضه هي أعراض الالتهاب الرئوي الناشئ عنه فيتهدج الألم بالتنفس إلا أن السعال يكون جافاً والاضطراب شديداً والنفث خالياً من الدم كما أن الحمى تكون خفيفة أو غائبة أحياناً (ابن القيم، ١٤٢٥هـ)

وفي رواية للبخاري عن أم قيس بنت محصن أنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية: يستعط به من العذرة ويلد به من ذات الجنب)..

أفادت التجارب التمهيديّة التي أجريت من قبل (Dutt et al., 1960 & Sastry and Dutta, 1961) فعالية القسط كعلاج مفيد ضد التهاب القصبات الهوائية المزمن والربو.. ووجد Tsarong et al., 1994 أن أكثر الاستعمالات التقليدية للقسط الواسعة الانتشار كانت لمعالجة التهاب الرئتين والسعال والبرودة والقرحة والروماتيزم .. أكدت بعض البحوث الحديثة أن لمستخلصات أنواع القسط نشاط مانع للتأكسد ، ومضاد للميكروبات Habsah et al., 2000.

وقد ذكر (متولي، ١٤٢٦هـ) من فوائد القسط أنه يقطع البلغم- يعالج الزكام- يقوي الكبد والمعدة- يعالج وجع الجنب- ينفع من السموم ويقي من أثرها الضار- وينفع من الكزاز ووجع الجنين- ويعالج الكلف..

يعتبر القسط من النباتات الطبية المشهورة التي وصفت كثيراً في الأنظمة الأصلية المختلفة من الأدوية خاصة في الهند والتبت والصين وكوريا، كما أكدت نتائج الدراسات المختلفة بشكل تجريبي فعالية القسط ضد السرطان والتقرحات والالتهابات ونشاطات حماية الكبد .Pandey et al., 2007

توصل (parekh & chanda, 2008) بأن المستخلص الميثانولي لنبات القسط و Saussurea

lappa التابعان لنفس العائلة compositae قد أظهرها أفضل نشاط مضاد للفطريات عندما قورنت بالمضادات الفطرية القياسية أمفوتريسين- ب وفلوكونازول.

كما ذكر (parekh & chanda، 2008) بأن المستخلصات الميثانولية لعدة نباتات طبية منها القُسط أظهرت نشاطاً مضاداً للفطريات وجيداً ضد ثلاثة نماذج متنوعة من فطر الإسبيرجيلس حيث منعت النوع الفطري من تغيير درجة الحساسية، كما أشار إلى أن تأثير مستخلصات النبات يختلف باختلاف النوع الفطري حيث أظهر التركيز الأقل لكل النباتات نشاطاً مضاد لفطر A.flavus بينما التركيز الأعلى أظهر تأثير تشيبي لـ A.flavus و A.niger.

وفي الدراسة التي أجراها كل من (Vigayalakshmi & Sarada، 2008) على مستخلصات أنواع من نبات القُسط تحقق من احتوائها على Polyphenol وامتلاكها نشاطاً مضاداً للتأكسد يتمثل في كثرة وجود جذور الهيدروكسيل التي تعمل على اخمد نشاط الجذور الحرة.

المجموعة الرابعة (G4) Fourth Group :

مجموعة الجرذان المصابة بمعلق الفطر بجرعة ٠,٤ ملجم/كجم (والمعاملة بعقار أمفوتريسين- ب) :

عند دراسة القطاعات النسيجية في رئة الجرذان المصابة بالفطر اسبيرجيلس نيجر Aspergillus niger بجرعة ٠,٤، والمعاملة بعقار أمفوتريسين- ب ، فقد شوهد النسيج الرئوي مشوهاً بشكل عام نتيجة الإصابة. وفي الشكل (٥٣) يتضح التحلل السيتوبلازمي، وامتلاء النسيج الحشوي الرئوي بالفراغات الهوائية نتيجة الإصابة بالرغم من المعاملة بالعقار.

وأوضح الفحص المجهرى للتركيب النسيجي للشعبات الهوائية استمرار تشوهاها وعدم انتظامها (شكل ٤٤)، وكانت بعض الشعبات الهوائية متصلة مع بعضها في بعض المناطق (شكل ٤٥)، وبعضها ذات تركيب نسيجي غير منتظم ، حيث فقدت سمكها وشكلها المعتاد وسط نسيج رئوي مشوه (شكل ٤٦)، وظهرت تجمعات الغزو الإلتهابي بصورة كبيرة (شكل ٤٧).

كما لوحظ أن الطبقة الداخلية للشعبيات الهوائية غير منتظمة وقمم الشنيات متهتكة (شكل، ٤٨)، وظهرت الأوعية الدموية مشوهة وممتدة بصورة كبيرة حيث طغت على مساحات واسعة من الرئة وكونت قنوات متصلة محتقنة بالدم (شكل، ٥٠).

ولم يكن هناك تأثير ملحوظ لتحسن الجدر بين الحويصلية عند المعاملة بعقار أمفوتريسين-ب للحيوانات المصابة حيث ظهرت سميكة ومتغلظة، ووجدت مناطق من النسيج الرئوي تعاني من ظاهرة الانغلاق نتيجة سمك جدر الحويصلات والتي أمكن تمييزها أيضاً من خلال فحص القطاعات نصف الرقيقة (شكل ١٧٢) (شكل، ٥١-٥٢).

أوضح الفحص الدقيق للتركيب النسيجي لثروة الجردان المصابة بمعلق الفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) والمعاملة بعقار أمفوتريسين-ب استمرار الآثار السلبية للإصابة بالرغم من المعاملة بالعقار، كما أنه لم يكن هناك تحسن ملموس بعد المعاملة بعقار أمفوتريسين-ب على الخلايا الرئوية P1 و P2، حيث ظهرت خلايا P1 ضامرة (شكل ١٧٨) وذات أنوية غير سوية (شكل ١٧٩)، في حين ظهرت خلايا P2 بكثرة (شكل ١٨٠)، كما أنه لم يطرأ أي تحسن لتراكيبها الداخلية من اختلاف شكل النواة وزيادة عدد الأجسام الصفائحية وتحلل للميتوكوندريا كما في شكل (١٨١)، وظهرت الأوعية الشعرية مشوهة (شكل ١٨٢) وضامرة الخلايا البطانية مع ظهور تحلل سيتوبلازمي لها (شكل ١٨٣)، أما الخلايا البلعمية فظهرت كبيرة الحجم عديدة الليسوسومات (شكل ١٨٤).

وقد لوحظ من الدراسات المرجعية أن لهذا العقار آثاراً جانبية خطيرة على الكلى والمخ حيث وجد Tolins and Raij، 1988 في معالجة الفئران بالأمفوتريسين (ب) زيادة في مقاومة الأوعية الكلوية الداخلية نتيجة السمية الكلوية..

كما أكد Chavanet et al.، 1992 ظهور السمية الكلوية عند استعمال أمفوتريسين (ب) للمرضى عند ١ ملجم/كجم..

وأيضاً وجد كل من Carlson and Condon، 1994 ظهور أعراض نترجة الدم البولي في ٨٠٪ للمرضى الذين يأخذون أمفوتريسين (ب) لحالات الالتهاب الفطري المتأخر..

وفي البحث الذي أجراه Wingard et al.، 1999 وجد في بعض المرضى حدوث عبء اضافي من التسمم الكلوي للأمفوتريسين (ب) يساعد على انفصال عالي المستوى للترشيح الكلوي.. ولاحظ (Walsh et al.، 1999) بعد العلاج بأمفوتريسين (ب) بعدة أسابيع تسمماً كلوياً، وتلفاً كلوياً للبتوتاسيوم والماغنيسيوم ، ونقصاً للكالسيوم ، وأمراضاً حمضية في الأنابيب الكلوية بالإضافة للتأثيرات المرتبطة بالحقن كالحمى والقشعريرة ونقص ضغط الدم لبعض المرضى وارتفاع ضغط الدم للبعض الآخر ..

كما لوحظ ظهور تلف نسيجي مستمر للأنابيب الكلوية حتى خلال مجموعة الجرعات القصيرة بأمفوتريسين (ب)، وكذلك اختلالات وظيفية كلوية مستمرة في المرضى (Goodman and Gilman، 2001)

وأظهرت نتائج الدراسة التي قام بها (Olson et al.، 2006) لمعرفة مدى فعالية عقار أمفوتريسين- ب في علاج الفئران المصابة بداء اسبيرجيلوسس وأخرى ناقصة المناعة غير مصابة أن مستويات نيتروجين بولينا الدم (BUN) كانت عالية بصورة واضحة في الفئران غير المصابة المعاملة بالعقار مع تغيرات في الأنبيبات الكلوية وتآكل حاد في أنبيبات كلية الفئران المصابة بعد علاجها..

ذكرنا Balmaceda and Walker، 1994 أن المرض الدماغى Encephalopathy يكون بسبب استخدام الأمفوتريسين (ب)، وأن الحقن الوريدي المتكرر يومياً بجرعة ٥, ٠ ملجم/ كلجم للأمفوتريسين (ب) ينتج عنه ظهور تراكيذه في البلازما بحوالي ١ إلى ٥, ١ ميكروجرام/ مل والذي يهبط بعد ٢٤ ساعة لحوالي ٥, ٠ إلى ١ ميكروجرام/ مل، وقد وجدت تراكيز عالية للجرعة في سوائل الجسم المختلفة، كما ينفذ القليل من الأمفوتريسين (ب) خلال السائل المخي الشوكي.

وقد وجد أن إعطاء امفوتريسين (ب)، وريدياً ينجح أحياناً في إيقاف، أو علاج الأمراض الفطرية الاسبيرجيلية Aspergillosis المنتشرة، إلا أنه في بعض الأحيان استجابة المرض الفطري الرئوي للتحسن تكون جراحياً (Bennett، 1980)..

كما يعمل الأمفوتريسين (ب) على نقص إنتاج الهيموجلوبين مسبباً أنيميا كريات الدم

الحمراء والتي تبطل العلاج التالي ببطء، كما يلاحظ أحياناً حدوث قلة الصفيحات الدموية، ونقص لكريات الدم البيضاء (Goodman and Gilman, 2001).
أكد (Croll et al., 2006) أن عقار أمفوتريسين - ب و تركيباته المختلفة تتسم بتراكم متزايد في أنسجة الرئة وبلاعم الأكياس التنفسية الرئوية (PAM)..

الأشكال

شكل (١) : صورة مجهرية لقطاع في رئة جرد من المجموعة الضابطة توضح الشعبية الهوائية (Br)، الطبقة العضلية المحيطة بها (SM)، طبقة الطلائية المبطن لها (Ep)، الوعاء الدموي (BV)، والكيس الحويصلي (AS)، والحويصلات (x٤٠٠). (H&E : A)

شكل (٢) : صورة مجهرية لقطاع نصف رقيق في رئة جرد من المجموعة الضابطة توضح الخلايا الطلائية (Ep) المهذبة المبطن للشعبية النهائية (TB) وخلايا كلارا (CC) غير المهذبة (أزرق التلويدين: x١٠٠٠).

شكل (٣) : صورة مجهرية لقطاع في رئة جرد من المجموعة الضابطة توضح الشعبية النهائية (TB)، الطبقة الطلائية المبطن لها (Ep)، وجزء من الشعبية التنفسية (RB)، الوعاء الدموي (x٤٠٠) (H&E : BV).

شكل (٤) : صورة مجهرية لقطاع نصف رقيق في رئة جرد من المجموعة الضابطة توضح الخلايا الرئوية النوع الأول (P١) والنوع الثاني (P٢)، الأوعية الشعرية (Ca) والخلايا البطانية الوعائية (En) وكريات الدم الحمراء (RBC) وخلايا بلعمية (Ma) (أزرق التلويدين: x١٠٠٠)

شكل (٥) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرد من المجموعة الضابطة توضح الخلايا الطلائية (Ep) المهذبة المبطن لتجويف الشعبية النهائية وخلايا كلارا (CC) غير المهذبة (x٢٦٠٠).

شكل (٦) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرد من المجموعة الضابطة توضح استناد خلايا البطانة الوعائية الشعرية (En) على الجانب المقعر للغشاء القاعدي في الوعاء الشعري (x١٩٥٠) (Ca).

شكل (٧) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرد من المجموعة الضابطة توضح الخلايا الرئوية النوع الأول (P١) والنوع الثاني (P٢) (x١٤٥٠).

شكل (٨) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرذ من المجموعة الضابطة توضح الأرومات الليفية (F) إحدى خلايا النسيج الضام في الجدار الحويصلي والألياف المطاطية (x٤٦٠٠) (Ef).

شكل (٩) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرذ من المجموعة الضابطة توضح الخلايا البدنية (MC) أحد مكونات النسيج الضام في الجدار الحويصلي (x٧٩٠٠).

شكل (١٠) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرذ من المجموعة الضابطة توضح نواة (N) الخلايا البلعمية (MC) والليسوسومات (Ly) والقطرات الدهنية (x٧٩٠٠) (Ld).

شكل (١١) : صورة مجهرية لقطاع في رئة جرذ من المجموعة المعاملة بنبات القُسط بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح الشعبية الهوائية (Br)، والطبقة العضلية (SM) المحيطة بها، وانتظام الطبقة الطلائية المبطنة لها (x٤٠٠) (H&E : Ep).

شكل (١٢) : صورة مجهرية لقطاع في رئة جرذ من المجموعة المعاملة بنبات القُسط بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح خلايا كلارا (CC) المبطنة للشعبية النهائية (TB) (أزرق التلويدين: x١٠٠٠).

شكل (١٣) : صورة مجهرية لقطاع في رئة جرذ من المجموعة المعاملة بنبات القُسط بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح الطبقة الطلائية (Ep) المبطنة للشعبية النهائية (TB)، خلايا كلارا (CC)، الشعبية التنفسية (x٤٠٠) (H&E : RB).

شكل (١٤) : صورة مجهرية لقطاع نصف رقيق في رئة جرذ من المجموعة المعاملة بنبات القُسط بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح الحويصلات الهوائية (A) والخلايا المبطنة لجدارها (P١, P٢) (أزرق التلويدين: x١٠٠٠).

شكل (١٥) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرذ من المجموعة المعاملة بنبات القُسط بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح انتظام الخلايا الرئوية (P١) في تبطين الجدار الحويصلي (IS) وخلايا البطانة الشعرية (En) في تبطين الوعاء الشعري (x١٤٥٠) (Ca).

شكل (١٦) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرذ من المجموعة المعاملة بنبات القُسط بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح خلية بدنية (MC) أحد مكونات النسيج الضام المكون للجدار الحويصلي (x٣٤٠٠).

شكل (١٧) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جردز من المجموعة المصابة بنبات القُسط بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح خلية بلعمية (Ma) تحتوي على قطرات دهنية (Ld) وليسوسومات (Ly) (x٧٩٠٠).

شكل (١٨) : صورة مجهرية لقطاع في رئة جردز من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح تلاشي الطبقة الطلائية (Ep) المبطنة للشعبية الهوائية (Br) واستبدالها بالخلايا الالتهابية (H&E : I) (x٢٠٠).

شكل (١٩) : صورة مجهرية لقطاع في رئة جردز من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح تغلغل الغزو اللمفاوي (LN) في النسيج المحيط حول الشعبية الهوائية (x٤٠) (Br : H&E).

شكل (٢٠) : صورة مجهرية لقطاع في رئة جردز من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح نزفاً في الأوعية الدموية (H) وزيادة شديدة في سمك الجدر الحويصلية وبين الحويصلية وضيق تجويف بعض الحويصلات واتساع بعضها وتشوه للشعبية الهوائية (Brm) والتحامها. (H&E : x٤٠).

شكل (٢١) : صورة مجهرية لقطاع نصف رقيق في رئة جردز من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح اتساع تجاويف الحويصلات الهوائية (A) في بعض المناطق وضيقها في المناطق الأخرى والذي يعرف بظاهرة الإنغلاق (أزرق التلويدين : x١٠٠٠).

شكل (٢٢) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جردز من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح ازدياد عدد خلايا (P٢) في الجدار الحويصلي وقلة عدد خلايا (P١) (x١٩٥٠).

شكل (٢٣) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جردز من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح ضيق التجاويف الحويصلية وانغلاقها وانتشار كريات الدم الحمراء (RBC) في الجدر الحويصلية مع تشوه أنوية خلايا (P١) (x١٤٥٠).

شكل (٢٤) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جردز من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم) توضح خلية بلعمية يكثر بها الليسوسومات (Ly) (x٥٨٠٠).

شكل (٢٥) : صورة مجهرية لقطاع في رئة جردز من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/كجم)

كجم) ثم المعاملة بنبات القُسط بجرعة (٢, ٠ ملجم/ كجم) توضح شعبية هوائية (Br) جيدة التكوين ووعاءاً دموياً (BV) محتقناً مع استعادة الجدر الحويصلية وبين الحويصلية والأكياس الحويصلية (AS) سمكها المعتاد، ورجوع التركيب النسيجي الرئوي لوضعه الطبيعي تقريباً (H&E: x٢٠٠).

شكل (٢٦): صورة مجهرية لقطاع في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) ثم المعاملة بنبات القُسط بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) توضح استعادة الشعبية الهوائية (Br) شكلها المنتظم تقريباً، وتلاشي الغزو اللمفاوي، واستعادة الوعاء الدموي (BV) شكله المعتاد وخلوه من الإحتقان (H&E: x٢٠٠).

شكل (٢٧): صورة مجهرية لقطاع نصف رقيق في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) ثم المعاملة بنبات القُسط بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) توضح الخلايا المبطنة للحويصلات الهوائية (P١, P٢) (أزرق التلويدين: x١٠٠٠).

شكل (٢٨): صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) ثم المعاملة بنبات القُسط بجرعة (٢, ٠ ملجم/ كجم) توضح الخلية البلعمية (Ma) ضمن الجدار الحويصلي (x٥٨٠٠).

شكل (٢٩): صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) ثم المعاملة بنبات القُسط بجرعة (٢, ٠ ملجم/ كجم) توضح الخلايا الرئوية (P١, P٢) ضمن الجدار الحويصلي (x٤٦٠٠).

شكل (٣٠): صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) ثم المعاملة بنبات القُسط بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) توضح الخلايا الرئوية (P١, P٢) ضمن الجدار الحويصلي (x٥٨٠٠).

شكل (٣١): صورة مجهرية لقطاع في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) ثم المعاملة بعقار أمفوتريسين- ب توضح شعبية هوائية (Br)، وزيادة سمك الجدر الحويصلية وامتلائها بالارتشاح (O) والنزف (H) (H&E: x٤٠٠).

شكل (٣٢): صورة مجهرية لقطاع في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم)

كجم) ثم المعاملة بعقار أمفوتريسين- ب توضح آثار الغزو الإلتهابي على الطبقة الطلائية للشعبية الهوائية مع تشوه الوعاء الدموي (BVm) وامتلاءه بالنزف (x100) (H&E : H).

شكل (٣٣) : صورة مجهرية لقطاع في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) ثم المعاملة بعقار أمفوتريسين- ب توضح تشوه الوعاء الدموي (BVm) بشكل كبير وامتلاءه بالارتشاح والتجمعات الدموية (x100) (H&E).

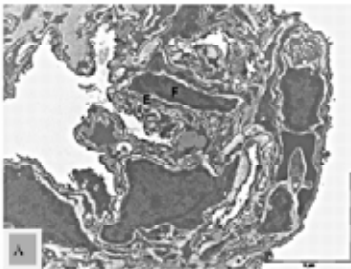
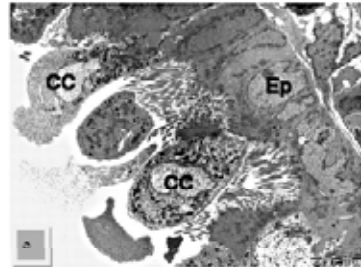
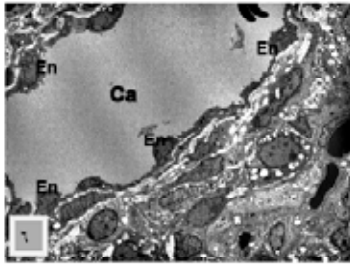
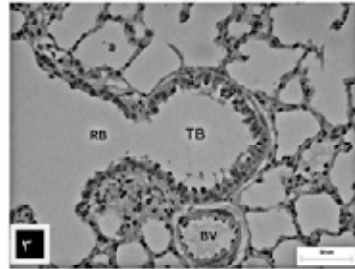
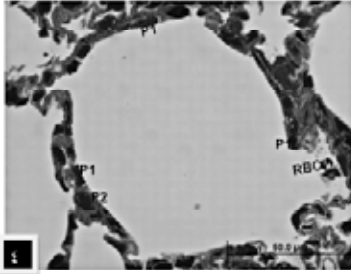
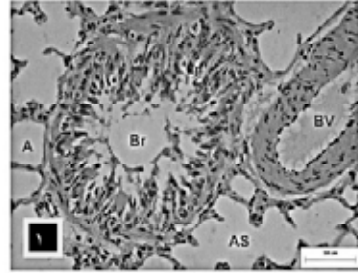
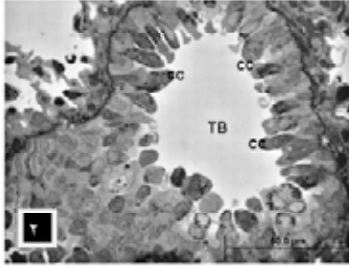
شكل (٣٤) : صورة مجهرية لقطاع نصف رقيق في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) ثم المعاملة بعقار أمفوتريسين- ب توضح امتلاء تجويف الشعبية النهائية (TB) بافرازات خلايا كلارا (CC) (أزرق التلويدين: x1000).

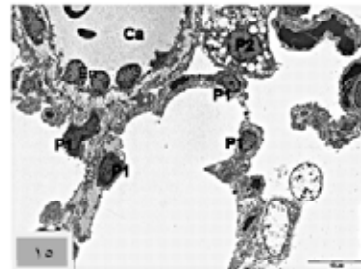
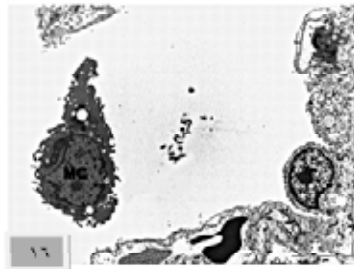
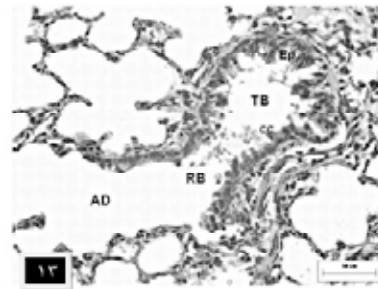
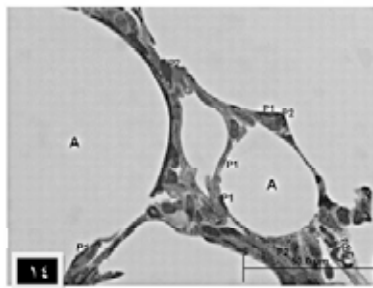
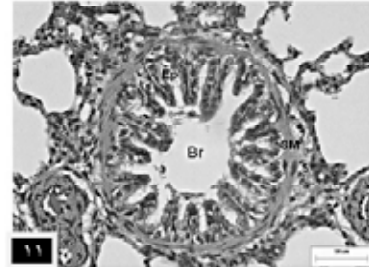
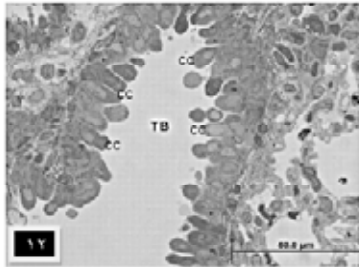
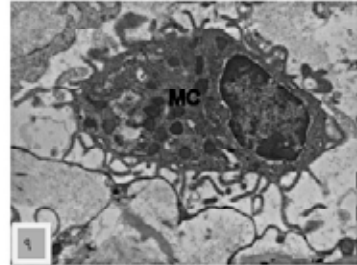
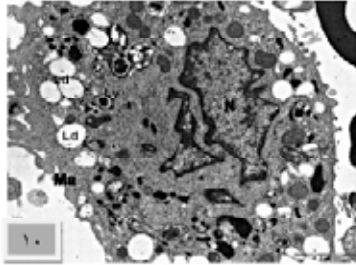
شكل (٣٥) : صورة مجهرية لقطاع نصف رقيق في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) ثم المعاملة بعقار أمفوتريسين- ب توضح سمك وتغلظ الجدر الحويصلية (أزرق التلويدين: x1000).

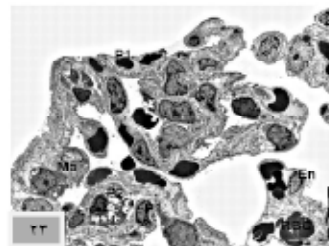
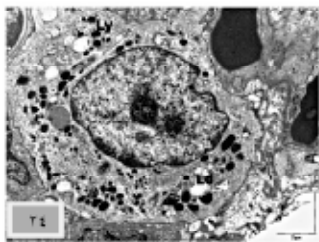
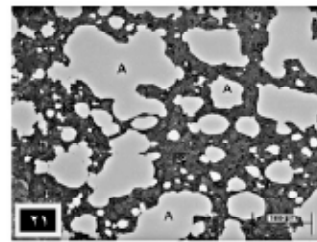
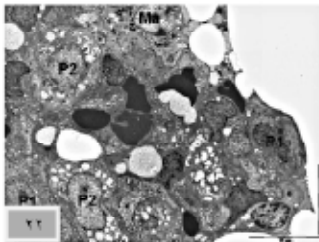
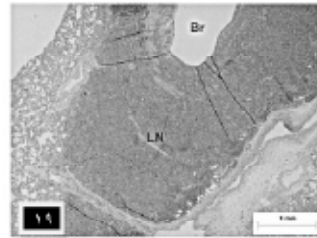
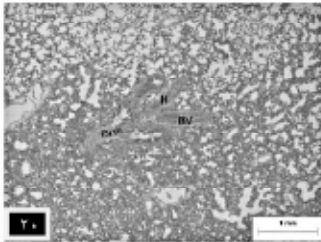
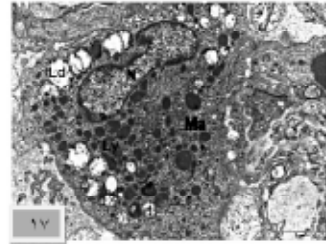
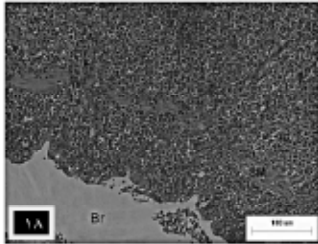
شكل (٣٦) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) ثم المعاملة بعقار أمفوتريسين- ب توضح ظاهرة انغلاق الحويصلات الهوائية بسبب سمك شديد في الجدر الحويصلية (x1450).

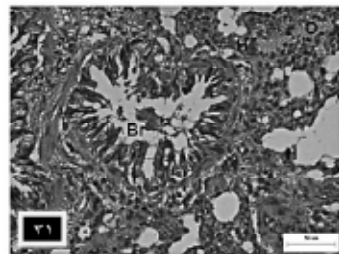
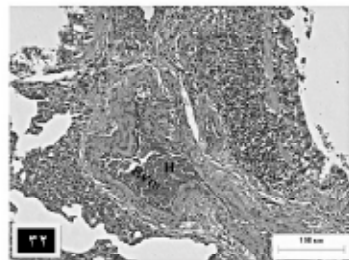
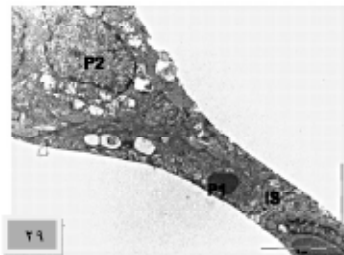
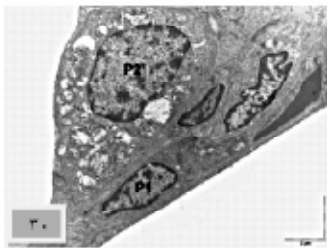
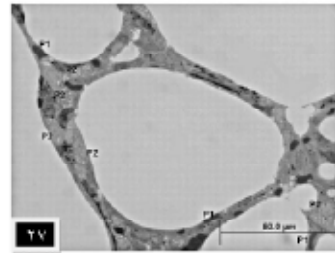
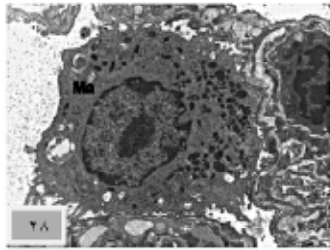
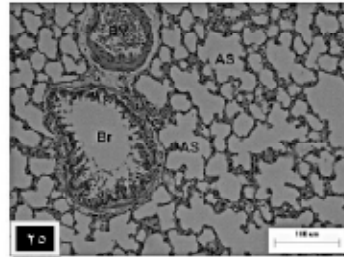
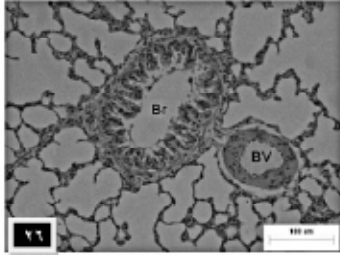
شكل (٣٧) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) ثم المعاملة بعقار أمفوتريسين- ب توضح عدداً من الخلايا الرئوية (P٢) التي تتميز باختلاف أشكال أنويتها وزيادة عدد أجسامها الصفائحية (x3400).

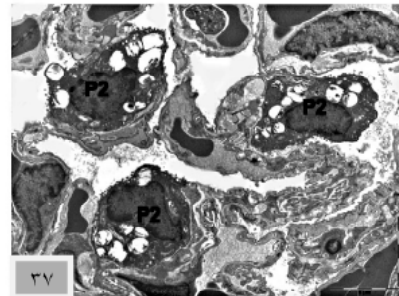
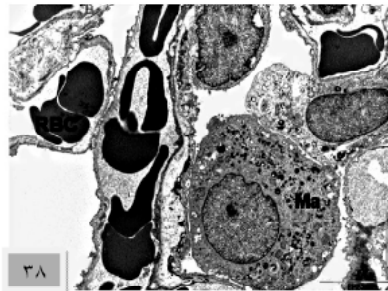
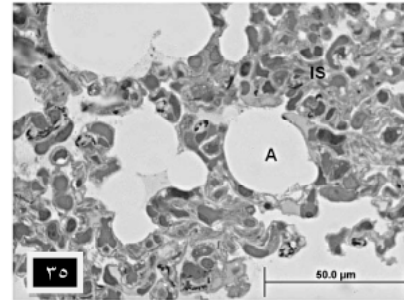
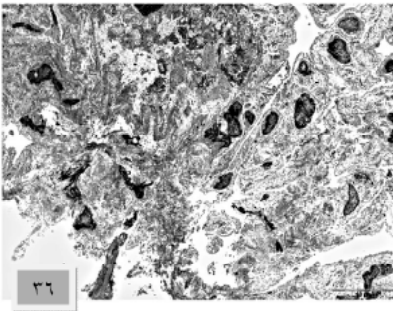
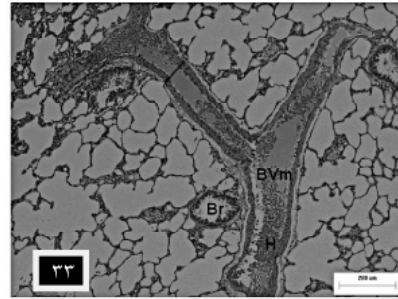
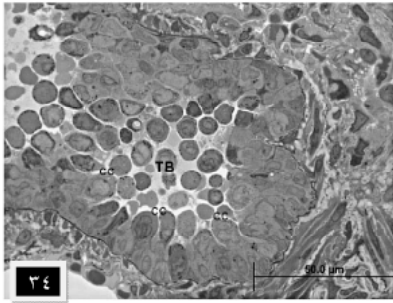
شكل (٣٨) : صورة بالمجهر الإلكتروني لقطاع في رئة جرد من المجموعة المصابة بالفطر بجرعة (٤, ٠ ملجم/ كجم) ثم المعاملة بعقار أمفوتريسين- ب توضح توارد الخلايا البلعمية (Ma) حول الأوعية الشعرية (Ca) التي تظهر مليئة بكريات الدم الحمراء (x3400) (RBC).











المراجع

أولاً: المراجع العربية :

- القرآن الكريم
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الزرعي الدمشقي (٦٩١-٧٥١) ١٤٢٥_تحقيق: محمد الأنور أحمد البلتاجي_ شرح الطب النبوي_ الجزء الأول_ بيروت_ المكتبة العصرية للطباعة والنشر_ص ١٤٣_١٤٩.
- الجماس، ضياء الدين_١٤٠٤_الدليل الموجز في أمراض الصدر_المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية_الكويت_ص ١٢١.
- الحمود، محمد حسن ويوسف، وليد حميد_٢٠٠٣_علم الأنسجة (القناة الهضمية/ الجلد/ الجهاز التناسلي/ العين والأذن)_ الطبعة الأولى_ المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع_عمان_ص ١٥٩.
- الرحمة، عبد الله بن ناصر_١٤١٤_أساسيات علم الفطريات_ الطبعة الثانية_ مطابع جامعة الملك سعود_الرياض_١٩٦_١٩٨.
- المشني، يوسف ابراهيم_١٩٩٨_علم الأحياء الدقيقة الجراثيم الجزء الثاني الطبي والتشخيصي_ الطبعة الثالثة_ دار المستقبل للنشر والتوزيع_عمان_ص ٢٥٠.
- المويل، كمال_٢٠٠٦_الإعجاز الطبي في السنة النبوية_ دار ابن كثير_دمشق.
- جعفر، حسّان وجعفر، غسان_١٤١٥_أمراض الجهاز التنفسي_ الطبعة الأولى_ دار المناهل للطباعة والنشر_بيروت_ص ٥٦_٥٧.
- عبد الحميد، محمد عبد الحميد_٢٠٠٠_الفطريات والسموم الفطرية_ الطبعة الأولى_ دار النشر للجامعات_مصر_ص ٧٠_٩٥.

- عرفالي، مهندس_٢٠٠٥_ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة_جريدة // <http://www.55a.net> _العدد٢٦٧.
- فول ومالييفا_١٩٥٢_ المرشد إلى المصادر العالمية للنباتات النافعة_موسكو.
- لورانس، جورج_١٩٦٩_ تصنيف النباتات الوعائية_مكتبة الأنجلو المصرية_القاهرة_ص٥٨٦.
- متولي، أحمد مصطفى_١٤٢٦_ الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية_ الطبعة الأولى_ دار ابن الجوزي_القاهرة.
- متولي، أحمد مصطفى_١٤٢٦_ الطب البديل_ الطبعة الأولى_ دار ابن الجوزي_القاهرة.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Balmaceda, C.M.; Walker, R.W.; Castro-Malaspina, H. and Dalmau, J. (1994): Reversal of Amphotericin B related encephalopathy. Neurology,44:11831184-.
- Bekersky, I.; Boswell, G.W.; Hiles, R.; Fielding, R.M.; Buell, D. and Walsh, T.J., (1999): Safety and toxicokinetics of intravenous liposomal Amphotericin B (AmBisome) in beagle dogs. Pharm. Res.,16:16941701-.
- Bennett,J.E., (1979a): Aspergillosis.In, Beeson, Mcdermott, and Wyngaarden`sCecil textbook of medicine, 15th ed.Saunders,W.B., Philadelphia,PP.546547-.
- Bennett,J.E. (1980): Aspergillosis. In,Isselbacher,Adams,Braunwald,Petersdorff, and Wilson`s Harrison`s principles of Internal medicine. Mcgraw-Hill, New york,PP.742744-.
- Carlson, M.A. and Condon, R.E., (1994): Nephrotoxicity of Amphotericin B. J. Am. Coll. Surg.,179:361381-.
- Chavanet, P.Y.;Garry, I.;Charlier, N.;Caillot, D.;Kisterman, J.P.;D`athis, M. and Portier, H., (1992): Trial of glucose versus fat emulsion in preparation of Amphotericin for

use in HIV infected patients with candidiasis. J. B.M.,305:921925-.

-Cruz, G.L. (1965): Livro verde das plantas medicinaise industriais do Brasil. Belo Horizonte. Velloso S.A.

-Demarie, S.; Janknegt, R. and Bakker-Woudenberg, I.A.J.M., (1994): Clinical use of liposomal and lipid-complexed Amphotericin B. J. Antimicrob. Chemother.,33:907916-.

-Dutta, N.K.; Sastry, M.S. and Tamhane, R.G., (1960): Pharmacological actions of an alkaloidal fraction isolated from Saussurea lappa (Clarke). Indian Journal of pharmacy,P:22:67-.

-Fujita,A.;Sekine,K.and Abe,S., (1999): Allergic Bronchopulmonary Aspergillosis due to Aspergillus niger without Bronchial Asthma. J.Respiration., 66:369372-.

-Goodman and Gilman`s (2001):The Pharmacological Basis of Therapeutics.10th ed. Joel, G.; Hardman LEE E. Limbird, New york,P:12951299-.

-Habsah, M.; Amran, M.; Mackeen, M.M.; Lajis, N.H.; Kikuzaki, H.; Nakatani, N.; Rahman, A.A.; Ghafar, and Ali, A.M., (2000): Screening of Zingiberaceae extracts for antimicrobial and antioxidant activities. J.Ethnopharmacology,72:403410-.

-Hoshino,H.;Tagaki,S.;Kon,H.;Shibusa,T.;Takabatake,H.;

Jain, S.P. (1984): Ethnobotany of Morni and Kalesar (Ambala,Haryana). J.Economic and Taxonomic Botany, 5:809813-.

-Johnson, M.D.; Drew, R.H. and Perfect, J.R., (1998): Chest discomfort associated with liposomal Amphotericin B: report of three cases and review of the literature. J. Pharmacotherapy, 18:10531061-.

-Kapoor, L.D., (2001): Handbook of Ayurvedic medicinal plants. CRC press, Washington, D.C., pp:299300-.

-Kaul, S.C., (1941): Some wild flowers of Kashmir and their indigenous use. J.Bombay Natural History society,42:452454-.

-Loesener, T. (1930): Zingiberaceae. In:Engler and Prantl's Die natürlichen pflanzenfamilien,2nd.ed.,P:15:541640-.

-Nautiyal, S.; Maikuri, R.K.; Rao, K.S. and Saxena, K.G., (2003): Ethnobotany of the Tolcha Bhotia tribe of the buffer zone villages in Nanda Devi Biosphere reserve India. J.Economic and Taxonomic Botany,27:119142-.

-otero, R.;Nunez, V.;Jimenez, S.L.;Fonnegra, R.;Osorio, R.G.;Carcia, M.E. and Diaz, A., (2000): Snakebites and ethnobotany in the northwest region of Colombia. Part Neutralization of lethal and enzymatic effects of Bothrops atrox venom. J.Ethnopharmacology,71:505511-.

-Pandey, M.M.;Rastogi, S. and Rawat, A.K.S., (2007): Saussurea costus: Botanical, chemical and pharmacological review of an ayurvedic medicinal plant. J.Ethnopharmacology 110:379390-.

-Rath, S.T.; Mishra, R. and Das, B.K., (1999): Management of Raktavata vis-à-vis arterial hypertension with Brahmyadi Ghana vati. J.Research in Ayurveda and Siddha,20:2946-.

-Rawat, G.S. and Pangtey, Y.P.S., (1987): A contribution to the ethnobotany of Alpine regions of kumaon. J.Economic and Taxonomic Botany,11:139148-.

-Singh, G., (1999): Ethnobotanical study of useful plants of Kullu districts in north western Himalayas. J.Economic and Taxonomic Botany, India,23:185198-.

-Tolins, J.P. and Raij, L.,(1988): Adverse effect of Amphotericin B administration on renal hemodynamics in the rat-Neurohumoral mechanisms and influence of calcium channel blockade. J. Pharmacol. Exp. Ther.,245:594599-.

-Tsarong, T. (1994): Tibetan medicinal plants, Tibetan medical publications. India.

-Ueno, Y. and Ueno, I. (1978): Toxicology and Biochemistry of mycotoxins. In: Uruguchi, and Yamazaki's Toxicology, Biochemistry and Pathology of mycotoxins, (Wiley, J. and Sons, and Press, H., eds) New York.

-Walsh, T.J.; Finberg, R.W.; Arndt, C.; Hiemenz, J.; Schwartz, C.; Bodensteiner, D.; Pappas, P.; Seibel, N.; Greenberg, R.N.; Dummer, S.; Schuster, M. and Holcenberg,

J.S. (1999): liposomal Amphotericin B for empirical therapy in patients with persistent fever and neutropenia-National institute of Allergy and infectious diseases mycoses study group. N. Engl. J. Med.,340:764771-.

-Whistler. R.L.; Bushway. A.A.; Singh. P.P.; Nakahara. W. and Tokuzen. R. (1976): Noncytotoxic. antitumor polysaccharides. Advances in carbohydrate chemistry and biochemistry,32:235275-.

-Wingard. J.R.; Kubilis. P.; Lee. L.; Yee. G.; Walshe. L.; Bowden. R.; Ainaissie. E.; Hiemenz. J. and Lister. J. (1999): Clinical significance of nephrotoxicity in patients treated with Amphotericin B for suspected or proven aspergillosis. Clin. Infect. Dis.,29:14021407-.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

معجزة الاستشفاء بالعسل

دراسة علمية مقارنة للأثر المضاد ميكروبي (بكتيري و فطري) لمجموعة
من الأعسال من مختلف مناطق الوطن (الجزائر) ٢٠٠٧

تقديم السيدة سييب أسماء

علم الأحياء الدقيقة مخبر المواد الطبيعية

(LAPRONA) laboratoire des produits naturels

قسم العلوم معهد البيولوجيا بجامعة تلمسان



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، الذي أنزل عليه القرآن الكريم، معجزاً، ومتحدياً للناس أجمعين، أن أتوا بمثله إن استطعتم، و بعد ذلك بإعجازه العلمي واللغوي، متحدياً العلماء العالمين، وكل اكتشافاتهم الحديثة، إنه قرآن رب العالمين، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنفذ حكمه، ولا تقهر حججه، ومن مثل ذلك إعجاز القرآن في النحل فهو القائل جلت عظمته:

« وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » سورة النحل (٦٨-٦٩).

ذلكم العسل، العلاج الذي يجمع بين القديم والجديد، القديم الأزلي، منذ أن أوحى الله ذلك إلى النحل، وجعل فيها شفاء للناس، والحديث جداً، إذ ما زالت الأبحاث الطبية تأتينا كل يوم بفتح جديد، ينبى عن روعة هذا العقار الممتاز، وعن فاعليته في معالجة الكثير من الحوادث المرضية المعقدة والمحيرة، والتي وقف كبار الأطباء العالميين عاجزين عن معالجتها فإذا كانت هناك مراكز متخصصة للبحث والمعالجة بالعسل ومنتجات النحل الأخرى في أنحاء العالم المتطور، فينبغي أن نكون نحن السباقين إلى القيام بتلك الأبحاث.

وقد يقول قائل: تذكرون أيها المسلمون أن قرآنكم جاء بأن في العسل شفاء «فيه شفاء للناس»، ونحن نعلم أن كثيرا من الأمم القديمة كالفراعنة واليونانيين والرومان كانوا يستعملون العسل في علاجاتهم، كما أن ذكر العسل قد ورد في الكتب السأوية السابقة **فأبي إعجاز هنا؟ ونقول لهذا السائل:** أن إعجاز آية النحل لا يكمن في ذكر أن العسل شفاء للناس فحسب، ولكن الإعجاز بياني يكمن في ثلاثة أمور حسب تفسير الدكتور حسان شمسي باشا:

• **الأول:** أن الله تعالى: لم يذكر العسل صراحة في الآية فقال: « يخرج من بطونها شراب» ولم يقل (يخرج عسل) وترك الله للإنسان أن يدرس ماذا يخرج من النحل من عسل... وغذاء ملكي... وعكبر... وشمع... وسم نحل. فيدرس خصائص هذه المواد ويعلم تركيبها، وهذه هي مرحلة التعرف.

• **الثاني:** أن في هذا الذي يخرج من النحل شفاء: ففي العسل شفاء... وفي غذاء الملكة شفاء... وفي العكبر شفاء، وفي الشمع شفاء... حتى في سم النحل ذاته شفاء. وكيف يتأكد للإنسان أن في هذه المواد شفاء دون أن يبحث فيها ويتدبر، ويجري الدراسات والأبحاث، ليتعرف على الخصائص العلاجية الشافية لهذه المواد، أفياها ما يقتل الجراثيم الفتاكة؟... أم فيها مقو للمناعة؟... أم أنها تشفي العيون والجلد والأسنان؟... أم سوى ذلك؟ وهذه هي مرحلة البحث العلمي في المختبرات.

• **الثالث:** قوله تعالى: « شفاء للناس» فلم يقل سبحانه شفاء لكل الناس أو لكل الأمراض بل ترك الأمر مطلقا ليجتهد العلماء عن الأمراض التي جعل الله شفائها في هذه المواد.

وفي هذا حث للإنسان أن يقوم بإجراء الدراسات لمعرفة هذه الفئة من الناس.

وهنا يكمن الإعجاز: ففي كلمات ثلاث «فيه شفاء للناس»... أرسى الله قواعد البحث العلمي في الطب وعلم الأدوية، فحين يعتقد العلماء أن في النبات مادة دوائية، يدرسون تركيبها وخصائصها أولا... ثم يجرون أبحاثا في المختبرات، ليتعرفوا على الخصائص الشافية فيها، وهذه هي المرحلة الثانية، ثم ينتقل البحث إلى الإنسان فتجربى الدراسات على أولئك المرضى الذين يمكن أن تكون لهم شفاء. ألم يختم الله تعالى: آية النحل بقوله: « إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون».

وإذا أردنا الحديث عن العسل في القرآن الكريم فالحديث ذو شجون، وآراء المفسرين والعلماء تختلف؛ ولكنها تصب جلها في محاولة شرح الإلهام الرباني لواحدة من أضعف مخلوقاته.

ويجب التنويه إلى أن آية النحل هي الآية الوحيدة في القرآن التي ذكر فيها الشفاء منسوباً إلى شيء مادي ، وهو ما يخرج من بطون النحل في حين وردت كلمة الشفاء في ثلاث آيات قرآنية أخرى كلها نسبت للقران الكريم نفسه:

- ١ . قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْيَدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) الإسراء آ ٨٢
- ٢ . وقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) يونس آ ٥٧
- ٣ . وقال أيضاً: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِي وَعَرَبِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) فصلت آ ٤٤

أما عن العسل في السنة النبوية الشريفة فوردت عدة أحاديث تذكر فوائده وتحدد أهميته في العلاج ، نذكر فيما يلي بعضها:

- ١ . عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « الشفاء في ثلاثة، شرطة محجم أو شربة عسل أو كية نار وأنهى أمتي عن الكي» أخرجه البخاري حديث ٥٦٨٠
- ٢ . عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عليكم بالشفاءين العسل والقرآن» رواه ابن ماجه في سننه حديث ٣٤٥٢ بإسناد صحيح
- ٣ . وعن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إسقه عسلاً. فسقاه. ثم جاءه فقال: إنني سقيته عسلاً فلم يزد إلا استطلاقاً. فقال له ثلاث مرات. ثم جاء الرابعة فقال إسقه عسلاً فقال له قد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً فقال رسوله الله صلى الله عليه وسلم: صدق الله وعرب بطن أخيك فسقاه فبرأ. رواه البخاري حديث (٥٧١٦) ومسلم حديث (٢٢١٧) وهذا سياقه .

وحتى ظهور الدعوة المحمدية الخالدة كان يستخدم العسل منذ قديم الزمن ، وربما قبل تاريخ الطب نفسه ؛ فلقد استخدمه المصريون القدماء في عهد الفراعنة، الإغريق و الرومان، الصينيين القدماء، الهند القديمة ، وروسيا القديمة في استطببات شتى : معالجة الأمراض والتقرحات، أمراض المعدة والأمعاء، مضاد للسموم، ومعالجة الأمراض الصدرية، والسل الرئوي، الآفات الجلدية والجروح المتعفنة ، وحتى في تحنيط الموتى، وفي السنوات الأخيرة، ومع ظهور الجراثيم الفتاكة المقاومة للمضادات الحيوية اتجه العلماء للبحث عن الطب البديل المعتمد أساسا على المواد الطبيعية من أعشاب طبية وغيرها، احتل عسل النحل الصدارة في ذلك حيث أصبح العلماء العالميون يستعملونه للحروق والجروح المتعفنة الصعبة الالتئام بالطرق الكلاسيكية ، وازدهر البحث المخبري و السريري ؛ بل وأنشئت حتى مستشفيات خاصة لا تعالج إلا بالعسل و الغذاء الملكي.

والعسل ليس فقط منتجا طبيعيا لذيذ الطعم؛ بل هو جملة غذائية متكاملة، و يمكن استخدامه كغذاء علاجي مع أدوية أخرى، ولا يمكن مقارنته حتى الآن مع أي غذاء آخر (سكر، مربيات... الخ)، ورغم ذلك كله فهو لا يستخدم كثيرا كما هو واجب في المشافي والمصحات. فهو يحتوي على أكثر من مئتي مادة منها ما عرف تركيبها الكيميائي، ومنها ما يزال في طور البحث أهمها الماء، السكريات، الأحماض الأمينية، الفيتامينات، المعادن والإنزيمات، غرويات، حبوب لقاح، صبغات نباتية ، وغيرها تم إجمالها في الجدول التالي:

جدول يبين التركيب الكيميائي والقيمة الغذائية لـ ١٠٠ غ من العسل.

١٨ غ	فوسفور	٧٦,٤ غ	كربوهيدرات
٠,٤ ملغ	حديد	٢٣ غ	ماء
٠,٠٥ ملغ	نحاس	٠,٤ غ	بروتين
١ ملغ	كبريت	/	دسم
١٨ ملغ	كلور	١١ ملغ	صوديوم

٠,٠٥ ملغ	ريبوفلاتين	٥ ملغ	بوتاسيوم
٠,٢ ملغ	حمض النيكوتين	٥ ملغ	كالسيوم
٢٨٨	سعيرات حرارية	٢ ملغ	ماغنيزيوم

وفي سياق دراستنا في أثر العسل الشافي قمنا بالحصول على ٢١ عينة من العسل منها ١٩ عينة محلية، تم الحصول عليها من مربى النحل مباشرة من مناطق مختلفة من الوطن الجزائر (تلمسان، عنابة، الطارف، عين تموشنت) و عيتتين من العسل المعالج من المحلات التجارية بفرنسا، وجميع أنواع العسل تم جنيها بين صيف ٢٠٠٥ و ٢٠٠٧ وذات أصول نباتية عدة.

أما عن الأنواع الميكروبية المستخدمة فقد استخدمت الجراثيم بنوعها سلبية غرام - Gram وإيجابية غرام + Gram ، منها عزلات قياسية حصلنا عليها من معهد باستور وهي:

• جراثيم الايتسيريشيا القولونية ، Escherichia coli ATCC 25922

• المكورات العنقودية Staphylococcus aureus ATCC 25923 ،

• عصيات القيقح الأزرق Pseudomonas aeruginosa ATCC 27853 ،

• عصيات، Enterococcus faecalis ATCC 29212

• وفطر Candida albicans ATCC10231 .

وعينات جرثومية أخرى تم عزلها من عدة مصالح طبية بالمستشفى الجامعي بتلمسان (الأكبر بالولاية) والتي عرفت بخبثها وإحداثها لالتهابات معوية ورئوية وكلوية، ومنها ما يعند على الكثير من المضادات الحيوية المتوفرة لدينا وهي:

• المكورات العنقودية (Staphylococcus aureus)، السالمونيا المسببة للتيفود

Salmonella typhi، الجرثومة المتقبلة Proteus، عصيات Enterobacter

cloaceae، الكلابسيلا ذات الالتهاب الرئوي Klebsiella

Leuconostoc pneumoniae، وعصيات قيقح أزرق Pseudomonas aeruginosa.

- أما عن الفطريات فاستخدمنا منها ما تصيب الأغذية في طور تخزينها مؤثرة بذلك على جودتها الغذائية *A. niger* *Rhizopus* أو ما يفرز (mycotoxines) سموم فطرية مسرطنة: *Aspegillus flavus*، *Penicillium spp* ومنها ما يسبب أمراض النباتات مثل *Altermaria* أو فطر *Fusarium oxysporum forme specifique* *albidus* المسؤول عن وباء النخيل في صحراء الجزائر.
- أما عن خطة البحث فقد اعتمدت على محورين أساسيين الأول مراقبة جودة الأعسال، والثاني تقييم قدرة العسل المضادة للميكروبات البكتيرية والفطرية.
- في الأول قمنا بدراسة بعض الخصائص الفيزيوكيميائية للأعسال قيد الدراسة: حامضيتها pH، نسبة الماء الموجودة فيه، ونسبة السكريات، ودراسة ميكروبية تم فيها البحث عن البكتيريا والفطريات المعدية التي تقوم بتسميم العسل، وإنقاص قيمته الغذائية و التجارية أثناء وجودها، أما عن المحور الأساسي في هذا البحث وهو تقييم قدرة العسل المضادة للجراثيم فقد قمنا بتجارب عديدة توصلنا من خلالها للطريقة الأكثر نجاعة في إثبات فعالية هذا الأخير سيتم تفصيلها فيما بعد.

مراقبة جودة الأعسال:

I- الخصائص الفيزيوكيميائية :

- تم مباشرة بأجهزة مخبرية قياس درجة الحموضة pH بجهاز pH metre .
- ونسبة الماء والسكر بجهاز Réfractomètre .

II- الجودة الميكروبية :

- تم فيها قياس الفلورة البكتيرية والفطرية الإجمالية الموجودة في العسل المركز والمخفف بتركيز ١/١٠، ١/١٠٠، ١/١٠٠٠
- وذلك من خلال زرعها في بيئة الآجار المغذي (Gelose nutritive) والفطور في بيئة PDA الحامضي .

تقييم قدرة العسل المضادة للجراثيم:

I- تجهيز العزلة القياسية:

فطريات	بكتيريا وفطر
--------	--------------

زرعها في بيئة PDA Ca
تتضمن من ٥ - ٧ أيام

زرعها في بيئة المرق المغذي
تحتضن ٢٤ ساعة

II- تجربة الأثر ضد البكتيري طريقة الانتشار: Action antibactérienne

- تجهيز بيئة Mueller Hinton الخاصة بعمل الحساسية.
- توزيعها على أطباق بيتري ٢٠ مل / العلبة.
- وضع ١, ٠, ٠ مل من العزلة البائنة ذات ٦١٠ مستعمرة/مل.
- وضع العسل الخام والمخفف ٠.١٠٪، ٠.٧٥٪، ٠.٥٠٪، ٠.٢٥٪ داخل آبار.
- تحضين ٢٤ ساعة.

III- تجربة الأثر ضد الفطري:

- تجهيز بيئة PDA ac.
- خلط البيئة السائلة مع عينات العسل بنسب متفاوتة و صبها في أطباق بيتري.
- أخذ أقراص مزروعة بالفطر وزرعها في أطباق بيتري والتحصين ٥ - ٧ أيام.
- ملاحظة: تعاد كل تجربة ٣ مرات لأخذ النتيجة بعين الاعتبار.

النتائج:

١. مراقبة جودة الأعسال:

تتميز جميع الأعمال المدروسة بحامضية معتبرة محصورة بين ٣,٧٥ و ٩,٤ ، نسبة الماء الموجودة فيه ما بين ١٥ ٪ و ٢٠ ٪، أما نسبة السكريات فيين ٧٥ ٪ و ٨٣ ٪.

أما جودتها الميكروبية فتعتبر الأعمال ذات جودة عالية فعالية الأعسال لا تتعدى فلورتها البكتيرية الإجمالية ٣٠ إلى ٤٠ مستعمرة مع وجود بعض الخمائر في حالات نادرة. أما عن الفلورة الفطرية فثمانية أعسال لا تحتوي تماما على أي فطر، وثمانية عينات أخرى عدد فلورتها محصور بين ١ إلى ٤ مستعمرات، ما تبقى تحتوي على بعض الفطور التي تصيب الأغذية أثناء تخزينها ، وهي *Penicillium Alternaria* *Rhizopus* *A. niger* *A. flavus*

٢- تقييم قدرة العسل المضاد للجراثيم:

تجربة الأثر ضد البكتيري

يتضح من خلال النتائج المتحصل عليها أن جميع أنواع العسل لها تأثير واضح ومتفاوت على أنواع الميكروبات المختبرة ،

ويظهر ذلك في اتساع قطر منطقة التثبيط التي أحدثتها الأعسال المختلفة، ومن الملاحظ أن أكثر الأنواع تأثرا بأنواع العسل المختلفة كانت الايشيريشيا القولونية *E.coli*. ATCC25922 ، و *P.aeruginosa* ATCC 27853 حيث يتراوح قطر منطقة التثبيط من ٣٠,٥ مم في العسل التجاري و عسل السدر إلى ٤٦,٥ مم بعسل الاوكليبتوس بالنسبة للأول، أما الثاني فيتراوح قطر هذه الأخيرة بين ٢٨,٢٥ مم بعسل قديم إلى ٤٦,٥ مم بعسل الكالبيتوس، و جد تأثير جيد لجميع أنواع العسل على الجرثومية المتقلبة *Proteus mirabilis* و *Enterobacter cloaceae* بقطر منطقة تثبيط متراوحة بين ٢٧ مم و ٣٥,٥ مم للأول و

٥, ٢٤ إلى ٢٥, ٣٦ للثاني، وكذا عصيات *Enterococcus faecalis* ATCC 29212 كان لها تأثير جيد بجميع أنواع العسل، أما باقي السلالات فلم تبد تأثيرها بمعظم الأعسال أما جزئياً كالمكورات العنقودية بنوعيتها، وكلاسيلا ذات الالتهاب الرئوي، وفطر *Candida albicans* أو كلياً.

ومن خلال دراسة تأثير العسل الخام والمخفف تبين أن أقل تركيز مؤثر في البكتيريا محصور بين ٢٥٪ و ٣٠٪، والبعض منها لا يتأثر بتركيز أقل من ٥٠٪.

تجربة الأثر الضد الفطري

ونرى من خلال تجربة الأثر الضد الفطري فعالية العسل المتفاوتة على السلالات الفطرية حيث كان فطر *Fusarium* الذي يعتبر الأعظم ضراوة في مقاومته للمضادات الفطرية الأكثر تأثيراً بالعسل، ونقص قطر مستعمرته من ٥٨ مم إلى ١٦, ٥ مم بعسل الكاليتوس، بعده يأتي فطر *Alternaria* حيث تقلص قطر المستعمرة من ٣٥ مم إلى ١٧, ٣ مم بفعل العسل البري المتعدد الأزهار أما عن بنسليوم *Penicillium* فتقلص من ٣٣ مم إلى ٢٠ مم متأثراً بعسل عين غرابة الجبلي والسلالات الأخرى، *A. flavus* و *A. niger* و *Trichoderma* لم تبد تأثيراً بالعسل، بل كان هناك بعض التغير في خصائصها الفيزيولوجية كلون المستعمرة، كثافة النمو... الخ، كما نرى فعالية مزج أنواع العسل في القضاء على المكروبات حتى التي كانت أكثر مقاومة بوجود كل عسل على حدة فالخليط جمع مزايا كل الأعسال فساهم في زيادة قطر منطقة تثبيط البكتيريا و تقلص قطر المستعمرة الفطرية.

المناقشة:

نلاحظ في التجارب المدونة بطريقة الانتشار أن أنواع العسل أظهرت منطقة تثبيط كبيرة حول أبار العسل، وهذا يتفق مع كثير من الأبحاث التي أشار إليها (عادل محمد عشي) Molan et al 1988، Allen et al 1991، Effen et al 1992، Obe et al 1994، Alsomali، 2000 et al 1994، وعند أخذ مسحة من تلك المنطقة وتنميتها على بيئة أخرى وجدنا أن البكتيريا نمت، وهذا يوضح أن للعسل تأثيراً تثبيطياً، وليس قاتلاً (effet bactériostatique).

أما التأثير المتفاوت للأعسال على النوع نفسه من السلالات البكتيرية أو الفطرية فهذا راجع لاختلاف أصل العسل النباتي والجغرافي، وحتى التركيب الكيميائي الذي يؤدي إلى وجود عوامل مثبطة مختلفة، ما يؤكد ذلك فعالية الخليط الباهرة على جميع الأنواع الميكروبية حتى المقاومة منها (وللتذكير فقط فإن فكرة خلط الأعسال لم توجد في الدراسات السابقة بل كانت فكرة مقترحة من مختبر). وأوضح (Allen et al 1991) أن الاختلاف بين المصدر الزهري له أهمية كبرى في النشاط المضاد للبكتيريا حيث اختبر ٣٤٥ عينة من العسل النيوزيلاندي.

نلاحظ أنه من بين جميع السلالات المدروسة كانت ايشيريا القولونية E.coli الأكثر حساسية للعسل، وهذه النتائج قد نساها في تفسير حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما قال للأعرابي الذي أتى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: إن أخي استطلق بطنه فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم أسقه عسلاً؛ فنلاحظ هنا، وكما ذكرنا سابقاً أن هذه البكتيريا تسبب الإسهال والارتباكات المعوية، وهذا يتفق مع أبحاث أخرى لرضوان ورفاقه ١٩٨٤. إبراهيم ١٩٨١، Dilnawz et al، ١٩٨٤، وفي تجارب قام بها (عادل محمد عشي ٢٠٠٠) تم القضاء عليها بعد مرور ٧٢ ساعة، وهذا يمكن أن يفسر تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على الأعرابي ثلاث مرات بسقي العسل لأخيه.

ويلى E.coli في الحساسية P.aeruginosa وهي من أكثر أنواع البكتيريا مقاومة للمضادات الحيوية (Sberris 1990) وباستطاعتها النمو في أصعب الظروف، مع ذلك لم تستطع مقاومة العسل، وهذا ما أكدته هالات التثبيط الكبيرة في دراسات مشابهة

تأتي بعد ذلك العصيات القولونية Karoyli et al 2000، Cooper et al 1999، و Helicobacter و Proteus اللتان أظهرتا حساسية كبيرة لجميع أنواع العسل فهالات التثبيط كانت محصورة بين ٣٢ و ٣٦ مم رغم ما تبديه هاتان السلالتان من مقاومة للعديد من العقارات المستخدمة. أما Enterococcus faecalis ATCC 29212 فتعدى قطر تثبيطها ٣٠ مع جل الأعسال قيد البحث.

أما عن S.aureus ظهرت مقاومة مع أغلب أنواع العسل فلم تتأثر بها في حين أبدت حساسية مع أخرى، وذلك بالنسبة للسلالتين القياسة ATCC25922 والتي عزلت من جروح المرضى، وهذا ما يتناقض مع دراسات في نفس السياق قام بها عادل م.ع ٢٠٠٠م حيث كانت سلالته المدروسة حساسة بدرجة كبيرة لجميع أنواع العسل بالمملكة العربية السعودية. أما عن Klebsiella ذات الالتهاب الرئوي فكانت حساسة لـ ٦ أعسال فقط ومقاومة للبقيّة.

وخميرة C.albicans ATCC10231 فإنها تأثرت بالعسل نسبياً مع ٥ أنواع من العسل في حين أبدت مقاومتها لجميع العينات الأخرى، وهذا ما يتوافق مع أعمال عادل م.ع ٢٠٠٠م حيث لاحظ أن هذه الخميرة لم تستطع النمو بتركيز ١٠٠٪ ولكنها نمت في تركيز ٥٠٪ وبدأت أعدادها تتزايد بعد مرور ٢٤ ساعة، ٤٨ ساعة، و٧٢ ساعة، وهذا دليل على تأقلمها على العسل، وقد يكون سبب عدم تأثرها مقارنة بالبكتيريا هو أن البكتيريا من الكائنات بدائيات النواة، والخمائر من الكائنات حقيقية النواة، (Frans Theunissen et al;2003) أثبت أن العسل مثبط لنمو خميرة Candida ودراسة أخرى لأحمد ٢٠٠٧م أظهرت أن أصغر تركيز يثبط نمو هذه الخميرة محصور بين ٤٠ و ٤٥٪.

فيما يخص البكتيريا Leuconstoc و Salmonella فقد أظهرت مقاومتها للعسل، ولم يتأثروا بأي نوع من أنواعه.

باننتقالنا للحديث عن الأثر الضد الفطري نجد أن جميع الفطريات قيد الدراسة أظهرت تأثرهما حيث نقص قطر المستعمرة الفطرية بشكل كبير بتركيز ٢٥٪ فقط، ونسبة التثبيط تعدت ٧٠٪ في بعض عينات العسل، وقد أظهر د.أمين كشميري ورفقاه

١٩٨١م أن سلالات *Aspergillus*، *Rhizopus*، *Penicillium spp* لم تستطع النمو تماماً في تركيز ١٠٠٪.

من خلال بحثنا المتواضع وضمن أبحاث أخرى أشارت إلى فعالية العسل على الميكروبات حاولنا أن نفهم سر العسل الشافي أو ما هي العوامل التي لها تأثير مضاد لنمو الميكروبات بشكل عام ما تفسير قوله تعالى: «فيه شفاء للناس»؟؟؟ ولكن الجواب لم يكن حاسماً بل مجرد فرضيات لا زال العلم عاجزاً عن إثباتها. فقد درس مجموعة من العلماء المصريين آلية تأثير العسل ضد الجراثيم في مقال (نشر في مجلة عالم الجراثيم عام ١٩٨٤م)، و لخصوا الآليات التي يمكن بها العسل أن يقوم بفعله المضاد للجراثيم على الشكل التالي:

١. فعل العسل المضاد للجراثيم يكمن أساساً في كونه ذا ضغط تناضحي مرتفع (high osmotic pressure) هذا بالإضافة إلى عدم احتوائه على أكثر من ٢٠٪ من الماء.

٢. العامل الثاني هو كونه ذو وسط حامضي $pH=3.5$

٣. العامل الثالث هو مادة تسمى -Inhibine- المانعة اكتشفوا أنها مادة بيروكسيد الهيدروجين (Peroxyde d'hydrogène) لتأتي بعدها أبحاث تفند ذلك حيث قضاوا على فاعلية هذه المادة بإنزيم Catalase فلم يتأثر فعل المضاد للمكروبات.

وهذه العوامل الثلاثة لا تثبط نمو الجراثيم فحسب بل أنها تحطم السموم التي تفرزها بعض الفطور. وبعد بحوث مخبرية قام بها باحثون مصريون على العسل توصلوا أن في العسل مادة غير معروفة حتى الآن هي التي تثبط فعل العديد من الجراثيم السلبية الغرام، وأنواع عديدة من الفطور.

وليست هناك حتى الآن أية معلومات في الأبحاث الطبية تكشف الغطاء عن سر هذا المجهول في العسل، وعن هذه المادة التي بها يكون العسل شفاء للناس. فسبحان من أودع في العسل هذا السر الإلهي ليكون إحدى الدلالات على عظمة الخالق.

(فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) (النحل ٦٩).

وما زال البحث مستمرا إلى يومنا هذا في هذا المجال لمحاولة معرفة السر الكامن وراء هذا الشافي، والمجالات الطبية والصيدلانية العالمية لا تفتأ تنشر المزيد من المقالات العلمية الحديثة في هذا الصدد، ولكن المهم هو كيف نحسن استخدامه في مستشفياتنا وبيوتنا كدواء، وفي حياتنا اليومية كغذاء صحي، وشفاء، وكيف يمكن أن تشعر الأمة بأهمية هذا الكنز الرباني اللذيذ: العسل.

المراجع:

- 1-Anonyme 1. 2006 . « Miracle dans l'univers : le miel entre coran et la science ». En ligne. <<http://www.babnet.net/cadredetail-3126.asp/>>. Consulte le 25/09/2006- Maurizio 1981
- 2-Snowdon JA Cliver DO.1996 « Microorganisms in honey» Int J Food Microbiol. 1996 Aug;vol 31 n°(1-3) p.1-26.
- 3-Monica S Finola Mirta C. Lasagno Jean M. Marioli. 2005 : « Microbiological and chemical characterization of honeys from central Argentina ». Food chemistry. Vol. 100 (2007) p. 1649-1653.
- 4-Bogdanov. S. 1997 : "Nature et origine des substances antibactériennes en miel". Lwt Lebensmittel- wissenschaftund- Technologie. Vol30 n°7 (novembre 1997) p. 748-753.
- 5-Waikato Honey Research Unit (MHRU): « Honey as antimicrobial agent ». En ligne. <http://biowaikato.ac.nz/honey/honey-intro.shtml/> Consulté le 20 novembre 2006
- 6-Peter Molan. 2003 : « antibacterial proprieties of honey ». Hivelights vol. 15 n°1 p.19. En ligne <http://www.honeycouncil.ca/users/folder.asp> consulté le 09.05.2007.
- 7-Zaiss. 1934 : « traité de biologie de l'abeille ». Ed. Masson et Cie
- 8-Bogdanov. S. 1997 : "Nature et origine des substances antibactériennes en miel". Lwt Lebensmittel- wissenschaftund- Technologie. Vol30 n°7 (novembre 1997) p. 748-753.
- 9-Monzur Ahmed 2003 : « bees and the hidden miracles of honey ». In Muslim Technologist journal. Saudi Medical journal Vol. 10 N°3. En ligne <http://www.angelfire.com/journal/sunnah/sciences/miel.p> 177-179.
- 10-Hassen chemsi bacha. 1999 : « le miracle de guérison par le miel et la gelée royale vérités et preuves ». Arabie Saoudite. Edition Dar El Kalam. Damas Syrie
- 11-Harun yahia. 2007. « le miracle du miel ». en ligne <http://www.harunyahia.com>

12-Bergman A Yanai J Weiss J Bell D MP de David. 1983 .« Accélération de blessure guérissant par application topique de miel : Un modèle animal ». Le journal américain de la chirurgie ; vol145 : p.374-376 33- Molan.PC .1999.« Le rôle du miel dans la gestion des blessures ». Journal du soin de blessure ; vol 8 n°8 p.415-418

13-Postmes T Van Den Bogaard EA Hazen M.1993.«le miel pour la conservation de blessures d'ulcères et de greffe de peau». The Lancet ;vol 341 p.756-757

١٤- الشفاء بالنباتات و الأعشاب و الطب الطبيعي من القانون في الطب للشيخ ابن سينا - دار الكتب العلمية بيروت لبنان- الطبعة الثانية ٢٠٠٥

١٥- الطب النبوي تأليف الإمام شمس الدين ابن القيم مؤسسة المعارف بيروت لبنان - ٢٠٠٣- الطبعة الأولى .



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

إعجاز التمر في الشفاء والوقاية من الميكروبات الضارة والممرضة

دكتورة / أروى عبد الرحمن أحمد

قسم علوم الحياة- ميكروبيولوجي-كلية العلوم - جامعة صنعاء



ملخص البحث

النص المعجز: يكفي للدلالة على بيان إعجاز التمر والنخيل في الشفاء والوقاية من البكتريا الضارة في الفم وغيره، ورود ذكرها في القرآن الكريم في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ (ق: ١٠)، وقوله: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ (الشعراء: ١٤٨)، وقوله: ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (الرحمن: ٦٨). كما ورد في الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير تمراتكم البرني، يذهب الداء، ولا داء فيه»، (ذكره الألباني في الصحيحة ١٨٤٤)، وقال صلى الله عليه وسلم: «من اصطبغ كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل» رواه البخاري (ح ٥٧٦٨)، وقال صلى الله عليه وسلم: «العجوة من الجنة وهي شفاء من السم» رواه أحمد (٣٠٥ / ٢) بإسناد حسن، من هنا كانت انطلاقة البحث لمعرفة أثر التمر في القضاء على بعض الميكروبات الضارة المعزولة من الفم واللوز الملتهبة.

الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص:

لقد اهتم البحث بـ:

- بيان إعجاز التمر في الشفاء والوقاية من الأمراض . بالذات أمراض الفم.
- أثر التمر في تثبيط مجموعة من البكتريا المعزولة من أفواه الصائمين عند المساء.
- أثر التمر في تثبيط مجموعة من البكتريا المعزولة من مرضى التهاب اللوز.

البحث: في هذا البحث عزلت الأنواع البكتيرية المتواجدة في أفواه الصائمين لتسعة وعشرين من الذكور الذين تتراوح أعمارهم من (٢١-٢٣) سنة وقد تم أخذ العينات عند المساء قبل الإفطار بحوالي ساعة. ووجد أن للتمر بتراكيزه المختلفة تأثير فعال في تثبيط و

القضاء على هذه البكتريا المعزولة من أفواه الصائمين. كما أجريت الدراسة أيضا على ٣٠ عينة من المرضى (٢١ من الإناث و ٩ ذكور) الذين تم تشخيصهم إكلينيكيًا ، وتبين بأن لديهم التهاب اللوز وقسم من هؤلاء المرضى كان لديهم التهاب حاد كخراجات على اللوز قبل إزالتها، والقسم الآخر كانوا يعانون من التهاب اللوز بعد أن خضعوا لعملية إزالتها، لكن الـ : ASO كان لديهم مرتفعاً. وبعد دراسة تأثير المستخلصات المائية للتمر على السلالات البكتيرية المعزولة من التهاب اللوز ومقارنته بنباتات طبية أخرى مثل الليمون والثوم وغيره. أظهر مستخلص التمر أعلى تأثير على كل البكتيريا المعزولة من مرضى التهاب اللوز.

وجه الإعجاز في النص:

قال صلى الله عليه وسلم: «فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك» ونعلم أن سبب الرائحة الكريهة في فم الصائم حين يمسي هي ناتجة عن وجود البكتريا والتي تغير رائحة الفم، لذا كان صلى الله عليه وسلم يفطر على التمر عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلى على رطبات فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء» رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن. وقد وجدنا في هذا البحث أن التمر يثبط معظم أنواع البكتريا المعزولة من فم الصائمين عند المساء.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير تمراتكم البرني، يذهب الداء، ولا داء فيه» رواه الطبراني والحاكم وقال الألباني: حديث حسن والتمر البرني نوع من أنواع التمر ومعلوم أن من أهم المسببات للأمراض هي البكتريا، لذا فقد قمنا بعزل البكتريا المسببة لمرض التهاب اللوز، ودرسنا أثر التمر في القضاء عليها، ووجدنا أن للتمر أثراً كبيراً في القضاء على هذه البكتريا.

كما قال صلى الله عليه وسلم: «من اصطحب كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل» رواه البخاري، وقال صلى الله عليه وسلم: «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم» رواه أحمد بإسناد صحيح، ويقول الدكتور النسيمي: السموم أنواع،

والتسمم إما أن يكون خارجي المنشأ، يدخل الجسم عن طريق الجروح أو لدغات الأفاعي، أو عن طريق طلاء الحروق الواسعة بمواد تعدُّ سامة بمقدارها الكبير كالمكروكروم، أو عن طريق الفم مع الطعام والشراب أو عن طريق التنفس، وإما أن يكون التسمم داخلي المنشأ كالانسام بالبوله (أوريميا) أو الانسام نتيجة التفسخات المعوية وذيوانات الجراثيم والطفيليات. وقد اهتم هذا البحث بالسموم الميكروبية، وبالذات السموم البكتريا، ومعرفة أثر التمر في القضاء على بعض الميكروبات الضارة سواء تلك التي تفرز سموما داخلية أو خارجية، والمعزولة من الفم واللوز الملتهبة، ووجد أن للتمر فعالية عالية في القضاء على تلك البكتريا.

المقدمة

إن ورود ذكر النخيل في القرآن يكفي للدلالة على بيان إعجاز التمر والنخيل في الشفاء ، والوقاية من الأمراض ، فقد ورد ذكر النخيل في القرآن الكريم في مواضع متعددة منها قوله تعالى: (والنخل باسقات لها طلع نضيد) الآية ١٠ سورة ق، وقوله: (ونخل طلعتها هضيم) (الآية ١٤٨ سورة الشعراء)، وقوله: (فيها فاكهة ونخل ورمان) (الآية ٦٨ سورة الرحمن).

كما يؤكد هذا الإعجاز ورود ذكر النخيل والتمر في الحديث الشريف حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكرموا عمتنا النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران» ويقول أيضا: «يا عائشة، بيت لا تمر فيه جياح أهله، أو جاع أهله، قالها مرتين أو ثلاثا». وقد قالت عائشة رضي الله عنها لابن أختها عروة: «والله يا ابن أخي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله عليه السلام نار» فقلت: يا خالة، ما كان يعيشكم؟ قالت: «الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله عليه الصلاة والسلام جيران من الأنصار كانت لهم منائح وكانوا يمنحون رسول الله عليه السلام من ألبانهم فيسقيننا»، من هنا كانت انطلاقة البحث لمعرفة أثر التمر في القضاء على بعض الميكروبات الضارة المعزولة من لوز الفم الملتهبة.

موطن النخل و التمر بلاد العرب:

والنخل قديم قدم الانسانية. واختلف في تحديد مكان نشأته ويرى العالم بكارى أن موطنها الأصلي هو الخليج العربي. ويذكر ابن وحشية رأيين: أحدهما: أن موطن النخيل الأصلي هو البحرين، والثاني: أنها الاحساء، ثم انتشرت في شبه الجزيرة العربية. وتمر ثمرة النخيل بخمسة أطوار، ويحتاج تكوينها إلى (٦) أشهر تقريبا. وطورها الأول يسمى الحبابوك أو السدي الذي يتشكل فور إلقاح الزهرة حيث تكون كروية الشكل، مرّة الطعم، والثاني: البلح حيث تأخذ بالنمو والاستطالة مخضرة اللون ذات طعم عفصي. والثالث: البسر أو

الخلال حيث تبدو صفراء محمرة حلوة الطعم مشوبة بطعم عفصي، والرابع: الرُّطب عندما يصبح نصفها السائب لحمي القوام عسلية اللون مطاوعة لينة حلوة سكرية الطعم، وأخيراً تصبح الثمرة تمر فيعتم لونها، وتتجدد قشرتها، وكلمة (تمر) هي العامة والعجوة ما هي إلا نوع من أنواع التمر. [١]

وقد جاء نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ليؤكد أهمية هذه الثمرة حيث خاطب عائشة رضي الله عنها: «يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله، قالها مرتين أو ثلاثاً» [٢] صحيح مسلم (ح ٢٠٤٦/١٥٣). واستطاع المسلمون الأوائل فتح ربع المسكون من الأرض في ثلث قرن، وإدارة التموين في جيوشهم لا تقدم لهم في غالب الأحيان سوى جراب من التمر وقليل من الماء. عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت له: والله يا ابن أختي، إننا كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في بيت رسول الله نار. قال: فقلت يا خالة ما كان يُعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء [٢،٣] رواه البخاري (ح ٢٥٦٧) ومسلم (ح ٩٧٢)، وعن عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شبنا من الأسودين: التمر والماء [٢،٣] رواه البخاري (ح ٥٣٨٣) ومسلم (ح ٢٩٧٥).

قال ابن حجر: فالمراد أنه عليه الصلاة والسلام شبع حين شبعوا واستمر شبعهم وابتدأه من فتح خيبر، وذلك قبل موته صلى الله عليه وسلم بثلاث سنوات. ومراد عائشة من الشبع هو من التمر خاصة دون الماء، ولكن قرنته به لتشير إلى أن تمام الشبع حصل بهما. أما كلمة - الأسودان - فقد ذكر [٤] لسان العرب عن الأصمعي قوله: الأسودان التمر والماء وإنما الأسود التمر دون الماء وهو الغالب على تمر المدينة، والعرب تفعل ذلك في الشيين يصطحبان يسميان معاً بالاسم الأشهر منهما حيث قالوا: القمران، للشمس والقمر.

تركيب التمر:

يحتوي التمر على عشرات المواد الغذائية الهامة والتي تفي حاجات البدن لقيامه بأنشطته الحيوية. فهو غني بالسكريات، غني بالألياف، فقير بالدهون، فيمثل بذلك الغذاء المثالي الذي توصي به الجمعيات الصحية العالمية.

فالتمر يعتبر أغنى المواد الغذائية بالسكريات وأرخصها على مدار السنة إذ يمكن تخزينه لكل الفصول. وتمثل السكريات Carbohydrate/ ٧٠-٧٣ من وزن القسم المأكل من التمر منها سكاكر أحادية (سكر العنب والفواكهة) كمكون أساسي ذي امتصاص سريع وسهل، ومنها سكاكر ثنائية (سكر القصب أو السكر العادي) موجودة في الثمرة الناضجة بكميات قليلة حيث يكون معظمها قد تحول إلى سكاكر أحادية في فترة النضج. وتحتوي التمور على نسبة عالية من السكريات، والتي قد تزيد عن ٧٢٪ من وزنها الجاف، ومن هنا يمكن اعتبار التمور من أغنى الفواكه في محتواها من الطاقة الحرارية فمحتوى ثمار التمر من الطاقة يزيد عن أربعة أضعاف ما تحتويه ثمار التفاح، وسبعة أضعاف ما تحتويه ثمار البرتقال، و ثلاثة عشرة ضعف ما تحتويه ثمار البطيخ، حيث نجد أن كيلو جرام التمر يمد الجسم بما يزيد عن ٣٠٠٠ سعر حرارية والتي تعادل ١٠ كيلو جرام من اللحم.

و يحتوي التمر على ٢٪ من وزنه على البروتينات، وهي رغم قلتها تفوق نسبتها ما تحويه كل أنواع الخضار والفواكه الأخرى من هذه المواد القيمة، والتي تعتبر المادة الأساسية لبناء الخلايا. وتشير الدراسات الحديثة إلى أن معظم هذه البروتينات موجود على شكل أحماض أمينية هامة، حيث إن كلاً من اللب والنواة تحتوي على ١٢ حمضاً أمينياً منها حمض الغلوتاميك والأسبارتيك والغليسين والسيرين والأرجينين والتربتوفان، كما وجد أن التمر من أغنى المصادر بالحمض الأميني النادر Pepicolic acide.

أما الدهون فقد وجد كلفلاند أن نسبتها تبلغ ٣١٪، ٩، ١ من وزن الثمار الناضجة (منزوعة النوى). ومعظمها موجودة في قشرة الثمرة على هيئة شمع. وللألياف التي تدخل في تركيبه بنسبة ٨، ٥٪ أهمية خاصة، وتشمل المادة السليولوزية المكونة لجدران خلايا الثمرة، كما تشمل الهميسليولوز، وهي من السكريات المعقدة التي تختلف عن السليولوز في إمكانية تحولها إلى سكر العنب. [٥]

أما العفص (Tannin) المادة القابضة فتوجد في معظم التمور في مرحلة البُسر والبلح، ويكون في الطبقة القريبة من القشرة، ويترسب تدريجياً في مراحل النضج محمولاً إلى حبيبات غير قابلة للذوبان. والأصناف التي تكاد تكون خالية من العفص في مرحلة البلح - مثل

حلوة المدينة _ يمكن أن تؤكل وهي في ذلك الطور. هذا وإن كل ١٠٠ جم من التمر (ما يعادل ١٠_١٢ ثمرة) تعطي ما بين ٢٤٨_٢٩٧ حريرة تبعاً لصنف التمر ودرجة نضجه.

و يحتوي كل ١٠٠ جم من التمر على ٦٠_١٧٤ وحدة دولية من الفيتامين أ (A). كما يتوفر في التمر الفيتامين ب ١ (B١)، وفيتامين ب ٢ (B٢) كما يحتوي على نسبة عالية من فيتامين د (D) الذي يساعد في تثبيت الكلس.

و التمر أغنى المصادر الغذائية بالأملاح المعدنية فهو يحتوي على الماغنيسيوم والبوتاسيوم والكالسيوم والحديد والفوسفور والفلور ، وفيه قليل من الصوديوم. ويعتبر من أغنى الفواكه بالفوسفور فكل ١٠٠ جم من التمر تحتوي على ٤٠_٧٢ ملجم فوسفور. و تقدر كمية الفلور في التمر بـ ٤ أضعاف ما تحتويه الفواكه الأخرى [٦]

أهمية التمر في الوقاية والعلاج:

ومن العادات المحببة لدى المسلمين الإفطار على التمر في رمضان حيث يعطي الصائم جرعة مركزة من الغذاء تخفف من شعوره بالجوع وشراسته للأكل، كما ينشط التمر العصارات الهضمية ، ويبقي من الإمساك، ويعدل الحموضة في المعدة وفي الدم ، كما يقوم بزيادة إفراز الهرمونات التي تحفز إفراز اللبن للمرضعة (مثل هرمون برولاكتين)، وذلك لما يحتويه من جليسي و ثريونين. ويستخدم لعلاج حالات الإمساك المزمن لتنشيطه حركة الأمعاء ومرونتها بما تحتويه من ألياف سيليلولوزية.

ويزيد التمر في وزن الأطفال، ويحفظ رطوبة العين وبريقها ، ويمنع جحوظ كرتها والحوص، ويكافح الغشاوة، ويقوي الرؤية وأعصاب السمع، ويهدئ الأعصاب ويقويها، ويحارب القلق العصبي، وينشط الغدة الدرقية، ويشيع السكينة والهدوء في النفس بتناوله صباحاً مع كأس حليب، ويلين الأوعية الدموية، ويرطب الأمعاء ويحفظها من الضعف والالتهاب، ويقوي حجيرات الدماغ والقوة الجنسية، ويقوي العضلات ويكافح الدوخة وزوغان البصر والتراخي والكسل عند الصائمين والمرهقين، والتمر سهل الهضم سريع التأثير في تنشيط الجسم ، ويدر البول وينظف الكبد ويغسل الكلى، ومنقوعه يفيد ضد

السعال والتهاب القصبات والبلغم وأليافه تكافح الإمساك، وأملاحه المعدنية القلوية تعادل حموضة الدم التي تسبب حصيات الكلى والمرارة والنقرس والبواسير وارتفاع ضغط الدم، وإضافة الجوز واللوز عليه أو تناوله مع الحليب يزيد في مفعوله، ولا يمنع التمر إلا عن البدينين والمصابين بالسكري.

فقد جاءت الأبحاث الطبية لتكشف عن آثار الرطب التي تعادل آثار العقاقير الميسرة لعملية الولادة، والتي تكفل سلامة الأم والجنين معاً. ومن المعروف طبيّاً أن الفص الخلفي من الغدة النخامية تفرز هرمون الأوكسي توسين oxytocin اللازم لعملية الولادة لأنه ينشط انقباض عضلات الرحم لتيسير هذه العملية، وبعد نزول الجنين يساعد هذا الهرمون على إعادة الرحم إلى سيرته الأولى فيتضاءل حدوث النزيف الرحمي بعد الولادة، وقد أثبت العلماء والباحثين أن التمر يحتوي على مادة تنبه تقلصات الرحم، وتزيد من انقباضها، وخاصة أثناء الولادة، وهذه المادة تشبه هرمون الأوكسي توسين، والذي يتألف من تسعة أحماض أمينية، والهرمون يساعد في توسيع عنق الرحم تمهيداً للولادة، وبعد الولادة يساعد في وقف النزف تدريجياً، ويساعد كذلك على استعادة الرحم لحجمه الطبيعي، ويسهم كذلك هذا الهرمون بشكل فعال في عملية إدرار الحليب للمولود، كما يحتوي التمر الرطب أيضاً على المغنيسيوم، وكذلك المنجنيز، والمغنسيوم يعمل على تهدئة الجهاز العصبي ومنع توتره وهياجه، ومهم جداً لحماية العظام والأسنان كما أنه خافض طبيعي للحرارة. [٧].

إن ثمرة النخيل الناضجة تحتوي على مادة قابضة لعضلات الرحم، وتقوي عملها في الأشهر الأخيرة للحمل فتساعد على الولادة من جهة، كما تقلل كمية النزف الحاصل من جهة أخرى بعد الولادة. ومن آثار الرطب أيضاً أنه يخفف ضغط الدم عند الحامل فترة ليست طويلة ثم يعود لطبيعته، وهذه الخاصية تقلل كمية الدم النازفة. كما يعتبر التمر منجماً كاملاً من المعادن والفيتامينات والهرمونات التي تحتاجها المرأة الحامل والتي تلد وللنفساء المرضع، حيث إن الهرمونات الموجودة في الرطب تساعد على انقباض الرحم وعودته إلى وضعه الطبيعي، وتزيد من رقة القلب والحنان والعطف والحب والإحساس المرهف، ولين العريكة والطبع وإرهاق الفؤاد. والرطب من المواد المليئة التي تنظف القولون، كما أن احتواء التمر على نسبة عالية من

البوتاسيوم، وهو لازم لتوازن كمية الماء داخل خلايا الجسم وخارجها، ولعمليات التمثيل الغذائي للعضلات والمخ. كما أن الرطب وما يحتويه من جلوكوز ذو الأهمية في علاج العديد من الأمراض مثل أمراض الدورة الدموية وزيادة التوتر، والنزيف، والتهاب أمعاء الأطفال، والأمراض المعدية المختلفة مثل التيفوس والملاريا، والتهاب الزور، والحمى القرمزية، والتسمم بأنواعه. كما أنه طعام ممتاز لخلايا الجسم وأنسجته وأعضائه حيث يزيد السكر الحيواني «جليكوجين» في الكبد، وهو منبع الطاقة في جسم الإنسان، كما يفيد في تحسين عملية بناء الأنسجة والتمثيل الغذائي، وتقوية الجهاز الدوري إذا كان هناك نقص في السكر الموجود بالدم.

وتحتوي التمور أيضاً على كميات لا بأس بها من فيتامين (A) ومن مجموعة فيتامينات (B) وخاصة الثيامين والريبوفلافين والنياسين، كما أنها تعتبر مصدراً جيداً لحمض الفوليك.

أما فيتامين (أ) الذي يحتويه التمر فهو يساعد على النمو ويقي من العشا (عمى الليل)، ويساعد الجلد والأغشية الناعمة الرطبة التي تبطن الأنف والحلق على أن تظل سليمة. وفيتامين أ (A) يعد ضرورياً أيضاً لنمو الأطفال، ويحفظ رطوبة العين ويقوي البصر، ويزيد مقاومة الأغشية المخاطية ضد الجراثيم، ويصلح الكثير من الاضطرابات الجلدية. إنه يحفظ رطوبة العين وبريقها، ويمنع الخوص، وجحوظ الكرة العينية، ويحقق في الطبقة المشيمية الداخلية للعين عملاً طبيعياً لأنه يعمل على تكوين الأرجوان الشبكي، وبذلك يحارب الغشاوة الليلية، ويجعل البصر نافذاً ثاقباً في الليل فضلاً عن النهار، وقد استعمله الطيارون الأميركيون إبان الحرب العالمية الأخيرة أثناء غاراتهم الليلية كي يعاونهم على تمييز الأهداف بالظلام. لذا فإن غنى التمر بالفيتامين (أ) يجعلنا نؤكد فائدته في تقوية الأعصاب البصرية، وفي مكافحة العشى الليلي، ومن المعروف أن سكان الصحراء مشهورون بالرؤية من مسافات بعيدة. والأطباء الأخصائيون في الأذن، يصفون الفيتامين (أ) اليوم لتقوية الأعصاب السمعية، وعلى هذا فالتمر يفيد الشيوخ الذين بدأوا يعانون قلة السمع والوشيش أو بالأصح ضعف الأعصاب السمعية. وبما أن الفيتامين (أ) يسمى بفيتامين النمو فإنه يساعد جسم الفتيان والفتيات والأطفال على النمو والتكامل فيغدو الفتى رشيقاً

نشيطا، وكذلك لا يخشى منه على الفتيات إذ أنه لا يورث السمنة عندهن، ولا يسيء إلى قاماتهن، لخلوه من المواد الشحمية والدهنية [٩][١٠][١١]

والفيتامين (ب) في التمر يحافظ على سلامة الجهاز العصبي ويقى من توتر الأعصاب وانسداد الشهية، ويساعد على هضم الكربائية والدهنية ويحافظ على سلامة اللسان والشفيتين والجفون ، ويقى من البلاجر (علة يصحبها طفح جلدي وضعف واضطراب الأمعاء والجهاز العصبي)

كما يتوفر في التمر الفيتامين ب١ (B1) المضاد لالتهاب الأعصاب ، والمفيد في معالجة الإجهاد الفكري والعضلي فهو ضروري للمحافظة على سلامة الأعصاب، ونقصه يؤدي إلى فقدان الشهية والإصابة بمرض البري بري، والفيتامين ب٢ (B2) (الريبو فلافين) الضروري لعمل الكبد ويعالج تشقق الشفاه وتكسر الأظافر وجفاف الجلد ، و يدخل في تركيب كثير من الإنزيمات، ليشترك في عمليات الأكسدة الحيوية، ونقصه يؤدي إلى تشققات في زاويا الفم.

كما يحتوي التمر على نسبة عالية من فيتامين د (D) الذي يساعد في تثبيت الكلس في العظام والأسنان. وفيتامين (د) مضاد لمرض الكساح، ويحافظ على تركيز الكالسيوم في الدم ، وله دور في حركة العضلات والفعل الحيوي للغدد [٩][١٠]

كما يحتوي على حمض البانثوثينيك ، وهو فيتامين مضاد للإجهاد، ويساعد في عمليات التمثيل الغذائي ، ونقصه يؤدي إلى اضطراب في عمليات التمثيل الغذائي، وتساقط شعر الرأس.

ويوجد حمض الفوليك في التمر أيضا ، وهو العامل المضاد للأنيميا الحادة، يلعب دوراً هاماً في تخليق الأحماض النووية، يقي من مرض تصلب الشرايين

وأما سكريات التمر فهي الغليكوز والليكولوز والسكراروز التي يمتصها الجسم، ويتمثلها بسهولة فتصل سريعاً إلى الدم فإلى الأنسجة والخلايا في الدماغ والعضلات فتمنحها القوة والحرارة ، وهي مدرة للبول ، ونافعة للكليتين والكبد.

والكربوهيدرات: مثل السكريات والألياف الخام والبكتين والسليولوز واللجنين.

فالجلوكوز والفركتوز: سكريات حلوة الطعم، متبلورة، تذوب في الماء، وتولد الطاقة التي تستخدم في تسيير كثير من التفاعلات الحيوية التي تجري داخل الخلايا، والفركتوز: يتميز بعدم احتياجية إلى انسولين عند استخدامه في إنتاج الطاقة، وبالتالي لا يمثل عبئاً على مرض السكر (مرض البول السكري). والألياف: أهمها السيلوز والهيموسيليلوز والبكتين. ولها دورها في منع أمراض سوء الهضم والإمساك وأمراض القولون.

والبكتين له تأثير جيد على تقليل نسبة الكوليسترول في الدم، و يحمي من تصلب الشرايين. كما أكدت دراسة حديثة أن التمر يساعد على خفض نسبة الكوليسترول في الدم، والوقاية من تصلب الشرايين لاحتوائه على البكتين، كما أنه يمنع تسوس الأسنان ويتسبب في إعطاء راحة ذكية للفم لاحتوائه أيضاً على الفلور، إضافة إلى أن التمر يعالج فقر الدم لاحتوائه على الحديد والنحاس وفيتامين «ب». وأوضحت الدراسة أن التمر يعالج ضعف العظام، ومن فوائده أيضاً أنه علاج لحفقان القلب والضعف العام، لاحتوائه على النحاس. ويحذر الأطباء مرضاهم الذين يعانون من اضطرابات القولون من تناول منقوع التمر باللبن حيث يسبب لهم تقلصات وانتفاخات نتيجة نشاط بكتريا ميكروفلورا الموجودة بالأمعاء، ولتجنب هذه الأعراض ينصح بعدم ترك البلح في اللبن مدة طويلة حتى لا تحدث له عملية تخمر، ويمكن لهؤلاء الأشخاص استبدال هذا المنقوع بكوب عصير طبيعي [١١][١٢]

ومن دلائل القيمة الغذائية للتمور هو احتوائها على البروتينات والدهون، وعلى كميات كبيرة من الأملاح المعدنية، والعناصر النادرة ذات الأهمية الغذائية الكبيرة، ولقد أطلق على التمر لقب منجم لغنائه بالمعادن. وتحتوي التمور على عنصر الفلورين الذي يقدر بخمسة أضعاف مما تحتويه الفواكه الأخرى من هذا العنصر، وهذا يؤكد الإدعاء أن تناول التمور لا يؤدي إلى تسوس الأسنان بل يحافظ عليها، ويؤكد ذلك احتفاظ الأشخاص الذين يعتمدون على التمر في وجباتهم اليومية بأسنان سليمة رغم تناولهم كميات كبيرة من التمور.

والتمر غني بالمعادن حيث توصل علماء التغذية إلى أن التمر غني بالفسفور، فهو أغنى من المشمش والعنب ففي كل مائة غرام من التمر نجد أربعين مليغراماً من الفسفور بينما لا تزيد كمية الفسفور الموجودة في أي فاكهة عن عشرين مليغراماً في نفس الكمية. وإذا

عرفنا الفسفور يدخل في تركيب العظام والأسنان أدركنا قيمته ؛ خاصة وأنه يستخدم التمر لعلاج نقص البوتاسيوم Hypokalemia لاحتوائه على كميات كبيرة من البوتاسيوم علاوة على ذلك، فإن بضع حبات من التمر تزيد في مفعولها عن فائدة زجاجة كاملة من شراب الحديد أو أخذ إبرة كالسيوم، لأن الحديد والكالسيوم موجودان في التمر بشكل طبيعي يتقبله الجسم ويتمثله بسرعة بينما أدوية الحديد والكالسيوم تمجها المعدة ، وتثقل غشائها المخاطي ، وقد لا يهضمها كاملة والدليل على ذلك اصطبغ لون براز من يتعاطى الأدوية الحديدية بالسواد.

ويحتوي التمر على المغنيسيوم ، وقد لوحظ أن الذين يتناولون التمر بكثرة لا يعرفون مرض السرطان إطلاقاً، ومن العناصر النادرة والمهمة في التمر البورون BORON الذي يعتبر مهماً لنمو بعض الكائنات الحية ، ويلعب البورون دوراً كبيراً في عمل الفيتامينات التي تكون ذات أهمية لعلاج الروماتيزم ، وهناك تأثير للبورون على الهرمونات الجنسية ، ولقد دلت الدراسة على أن التمر يحتوي على البورون بنسبة تصل إلى ٦٣ ملجم/ ١٠٠ جرام في الجزء اللحمي والنوى على حد سواء ، كما قرر العلماء أخيراً إطلاق عبارة (نقّب عن المعادن في مناجم التمر) في كل حبة تمر. [١٠] [٩]

ولأن التمر من أغنى الفواكه بالفسفور فكل ١٠٠ جم من التمر تحتوي على ٤٠_٧٢ ملجم فوسفور، لذا فهو الغذاء المفضل لحجيرات الدماغ ، وينشط الفكر للعاملين بأدمغتهم، كما يساعد أيضاً في تنشيط الوظيفة الجنسية ، ويقوي الباه، كما يدخل في بناء العظام والأسنان. فالتمر غني بالفسفور الذي يزيد في حيوية الدماغ والنشاط الجنسي.

وهو غني بالبوتاسيوم الذي يعتبر هاماً للعديد من وظائف البدن ، ويوجد في كل خلية من خلاياه، فهو ضروري لعمل القلب والعضلات والجهاز العصبي ، وللمحافظة على سكر الدم.

كما أن تناول ١٠٠ جم من التمر تمونّ البدن بسدس حاجته اليومية من الحديد الذي يعتبر نقصه من أهم المشاكل الغذائية شيوماً ، وما ينجم عن ذلك من آفات يأتي في طليعتها فقر الدم. كما أن التمر يزود البدن بخمس حاجته من الماغنسيوم ، وإن نقصه يعتبر عاملاً مساعداً

في حدوث ارتفاع الضغط الدموي، كما يؤدي إلى الإعياء والتشنجات العضلية والضعف العام والرجفان، وقد يحدث تسرع في القلب وإعياء في الذهن. ويرى بعض العلماء أن خلو سكان الواحات من مرض السرطان يعود إلى كثرة تناولهم للتمر الغني بالمغنسيوم.

وتقدر كمية الفلور في التمر بـ ٤ أضعاف ما تحتويه الفواكه الأخرى، وهو يلعب دوراً في المحافظة على سلامة الأسنان ومنع تسوسها، وهذا يفسر احتفاظ سكان البوادي بأسنان سليمة وقوية لتناولهم اليومي لكميات كبيرة من التمر الذي يحتوي أيضاً على الكالسيوم والفوسفور وهما الضروريان لذلك.

ويعتقد العلماء أن وجود الأملاح المعدنية القلوية في التمر يسبب تعادل حموضة الدم المتأتية عن تناول النشويات بكثرة، والمعروف أن حموضة الدم هي السبب في الإصابة بعدد من الأمراض الوراثية كحصى الكلى والمرارة والنقرس وارتفاع ضغط الدم والبواسير وغيرها. [١٣]

يعتبر التمر من أهم الأغذية التي لها دور وقائي ضد مرض السرطان، وذلك لما تحتويه من فينولات ومضادات أكسدة. فقشرة التمور غنية بالفلافونويدات التي اكتسبت أهمية كبيرة في السنوات الأخيرة كمضادات للأكسدة، فلها نشاطات فيسيولوجية متعددة، من أهمها أنها تعمل منشطاً ومحفزاً للقلب، وهي تعمل حتى في وجود كميات قليلة منها. كما أنها تقوي جدران الأوعية الدموية الشعرية، وتمنع نفاذيتها ونزيفها كما أنها تعمل كمضادات للفطريات والبكتيريا والفيروسات وكمواد مانعة للسرطان.

ويعد التمر من أهم الأغذية الغنية في محتواها من المركبات التي تنشط الجهاز المناعي فهي غنية في محتواها من مركب «بيتا ١-٣ دي جلوكان»، و من أهم فوائد هذا المركب تنشيط الجهاز المناعي بالجسم، وأيضا له مقدرة على الاتحاد والإحاطة، والتغليف للمواد الغريبة بالجسم. وكذلك يتعرف على مخلفات الخلايا المدمرة بالجسم نتيجة تعرضها للأشعة (مثل أشعة الحاسب الآلي أو أشعة اكس الطبية أو أشعة التليفون الجوال أو الأشعة فوق البنفسجية أو الأشعة المنبعثة من الرحلات الجوية) ويحتويها ويدمرها.

يتميز التمر باحتواءه على نسبة عالية من الألياف الغذائية والتي تعتبر مصدرا مهما

وعاملاً صحياً ، حيث تقوم بكتريا حامض اللاكتيك (تكون موجودة في الحليب المتخمر) بتخميرها مكونة نواتج ميتابولزمية مميزة وأحماض دهنية قصيرة السلسلة تؤدي بدورها إلى زيادة نشاط الإنزيمات المضادة للأكسدة مثل الجلوتاتاسيون-س- ترانسفيريز والجلوتاتاسيون بيروكسيديز، والتي تؤدي بدورها إلى زيادة تركيز الجلوتاتاسيون في الدم ، وتنشيط امتصاص أملاح الصفراء وزيادة كفاءة الكبد في التخلص من السموم وزيادة كفاءة الجهاز المناعي بالجسم.

وفي تجارب على نوى التمر في تغذية الحيوانات تبين أنها تحتوي على هرمون أنثوي له تأثير خاص على وزنها ، كما أنها تفيد في إزالة المغص والإسهال عندها. و تدل الأبحاث العلمية أن للتمر خواصّ مثبطة للنشاط الدرقي المفرط ، والذي يسبب المزاج العصبي عند الأطفال، لذا ينصح الأطباء بإعطاء التمر صباحاً لأمثال هؤلاء الأطفال لتضفي على نفوسهم الهدوء والسكينة. وهذا معناه أن للتمر قيمة غذائية عظيمة ، وهو مقو للعضلات والأعصاب ، ومرمم ، ومؤخر لمظاهر الشيخوخة، وإذا أضيف إليه الحليب كان من أصلح الأغذية وخاصة لمن كان جهازه الهضمي ضعيفاً. [١٤]

إن القيمة الغذائية في التمر تضارع بعض ما لأنواع اللحوم من هذه القيمة، وثلاثة أمثال ما للسمك من قيمة غذائية، وهو يفيد المصابين بفقر الدم والأمراض الصدرية، ويعطى على شكل عجينة أو منقوع يغلى ويشرب على دفعات، ويفيد خاصة الأولاد والصغار والشبان والرياضيين والعمال والناقهين والنحيفين والنساء الحاملات. [٩]. [١١]

ولقد وجد أن الرطب يحوي مادة مقبضة للرحم تشبه الأكسيتوسين فتناول الرطب يساعد على خروج الجنين وتقليل النزف بعد الولادة، وبما أن الرطب فيه مواد حافظة للضغط الدموي فهذا يساعد أيضاً على تقليل النزف، وكذلك فإن عملية الولادة مجهدة، مما يتطلب طاقة والرطب غني بالسكر الذي يعطي هذه الطاقة.

كما أنه يحتوي على مضادات السرطان وعلى المنشطات الجنسية ؛ فإذا استخدم مع الحليب فإنه يزيد في الباءة ، ويخصب البدن فالتمر فيه معدن الفسفور ، وهو غذاء للحجيرات النبيلة، وهي حجرات التناسل ، وهذا يعطي القوة الجنسية بالإضافة إلى حامض الأرجين،

وهو من الأحماض الأمينية الأساسية ، وهذا الحامض له دوره المؤثر في الذكور حيث يؤدي نقصه عند الذكور إلى نقص تكوين الحيوانات المنوية ، ومن ثم فله أهمية ، وخاصة لبعض من يعانون العقم نتيجة نقص الحيوانات المنوية، لذلك فهو غذاء هام ومفيد يصلح للرجال، ويساعدهم على الحفاظ على قدراتهم الجنسية، والهرمونات المهمة مثل هرمون البيتوسين الذي له خاصية تنظيم الطلق عند النساء بالإضافة إلى أنه يمنع النزيف أثناء وعقب الولادة، ويخفض لضغط الدم عندما تتناوله الحوامل. [١٥]

وهناك صفة نفسية مهمة للتمر ، وهو أنه يضيء السكينة والدعة على النفوس القلقة المضطربة. ويرد الطب الحديث حصول المزاج العصبي إلى فرط نشاط الغدة الدرقية الرابضة في مقدم العنق وإلى ازدياد إفرازها، وقد عرف أخيراً بأن بعض النباتات والثمار لها خاصية (ضد الدرقية) تحد من نشاطها، وتلجم فرزها، نذكر منها الجزر، والسبانخ، واللوز، والمشمش، وفي طليعة هذه النباتات التمر. فإدخالها في أطعمة العصبيين مما يفيد من تهدئتهم، ويخفف من تحسسهم وتأففهم وتبرمهم بالحياة. ويعلل الطب الحديث تميز هذه الأغذية بتلك الفوائد لاحتوائها على الفيتامين (أ) الذي يلعب دوراً مهماً مضاداً للدرق، مما جعل العلماء المتبعين، ينادون بمعالجة المصابين بالعصي (أي باشتداد الودي)، ومعالجة المضطربة أعصابهم بالفيتامين (أ) وبخاصة إعطائه من مصادره الطبيعية كالتمر، وهم يرجحونه على المركبات اليودية التي كانت تعطى للحد من نشاط الدرق، لأن الفيتامين المذكور أشد فعالية من اليود وأبعد أثراً، وهم يرجحونه أيضاً على المهدئات والمسكنات العصبية التي تورث الإدمان أولاً، وتثبط العزائم ، وتدخل الخمول والكسل إلى متعاطيها ثانياً. لذلك يُنصح بإعطاء كل طفل نائر عصبي المزاج بضع تمرات في صباح كل يوم لتضيء السكينة والهدوء على نفسه، فتحد من تصرفاته واضطرابه، ويُنصح كل من لا يستسيغ تناول فطور الصباح بأخذ بضع تمرات مع كأس من الحليب صباح كل يوم، فإنه بذلك سيستقبل نهاره مزوداً بالوقود اللازم لفكره وجسمه، وبالعلاج اللازم لتهدئة أعصابه التي ستوفرها أحداث النهار. [١١][٩].

والتمر يجوي على الألياف السللوزية التي تكسبه الشكل الخاص به وتساعد هذه الألياف

الأمعاء على حركتها الاستدارية وبذلك تجعل التمر مليناً طبيعياً، ويساعد التمر على تجنب أمراض البواسير وهو سبب للوقاية من الإمساك، فتناول التمر والرطب الذي هو غني بالألياف - حيث وجد أن كل ١٠٠ جرام من التمر تعطي نحو ٥, ٨ جرامات من الألياف - وهذه الألياف مهمة للوقاية من الإمساك ، وقد ظهرت في هذا المجال دراسة حديثة نشرت في إحدى مجلات التغذية الأمريكية ، وهي مجلة Journal Of American Dietetic أوضحت فوائد التمر في علاج الإمساك والوقاية منه ، ومن أمراض البواسير. وتحتوي التمور على بعض الإنزيمات أشهرها الإنزيم المسمى (انفرتيز) الذي يساعد على نضج التمور ، وهو أهم إنزيم يؤثر على جودة التمر إذ يستمر عمله بعد قطف الثمار ، ويعتبر سبباً في قصر مدة حفظ التمور على صورة رطب إذ أنه يعمل على إنضاجها وتحويلها إلى تمر. حيث تمر ثمرة التمر بأدوار وأطوار حتى يتم نضجها وهي الطور الأول الطلع ثم البسر والرطب ، وتصبح التمرة في هذا الطور مائة حلوة وفترة هذا الطور تتراوح بين (٢ - ٤) أسابيع والطور الأخير التمر وهو الطور النهائي لنضوج الثمرة. [١٧] [٩]

النص المعجز :

لقد ذكر النخل في كتاب الله سبحانه وتعالى في عدة مواضع وذلك في معرض امتنانه - جلا وعلا - على خلقه بثمرها وجمالها، وكذلك ترغيبه سبحانه وتعالى لهم في جنته وما أعد لهم فيها فقال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (إبراهيم : ٢٤ - ٢٥)

- قال تعالى: ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعُّ نَضِيدٌ ﴾ (الآية ١٠ سورة ق)
- وقال عز وجل: ﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ (الآية ١٤٨ سورة الشعراء)
- وقوله: ﴿ فِيهَا فَكِّهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ (الآية ٦٨ سورة الرحمن)

أما في السنة فقد ذكر النخيل والتمر بجلاء ووضوح وذكر من أهميته في نصوص كثيرة نورد منها ما يلي:

- عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير تمراتكم البرني، يذهب الداء، ولا داء فيه» رواه الطبراني [١٩] والحاكم [١٨] وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: حديث حسن (صحيح الجامع الصغير) [٢٠].
 - وقال صلى الله عليه وسلم: «من تصبّح بسبع ثمرات عجوة لا يصيبه في هذا اليوم سم ولا سحر» رواه أبو نعيم [٢٠] و أبو داود [٢١]، و الحاكم [١٨]، و الإمام الترمذي [٢٢]، ورؤي في الطب النبوي للإمام الذهبي [٢٣].
 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» رواه الترمذي [٢٢] وأحمد بإسناد صحيح [٢٤].
 - وقال صلى الله عليه وسلم: «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي» رواه مسلم [٢].
 - وروى البخاري [٣]: «من اصطبّح كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل».
- وكما نعلم أن البكتريا تفرز سموما داخلية وخارجية مسببة العديد من الأمراض ، وقد وجد من خلال هذا البحث أن للتمر أثراً فعالاً في القضاء على بعض البكتريا الضارة الموجودة في الفم واللوز والتهابات الأذن وغيرها ، وهذا مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم «يذهب الداء» وقوله «لا يصيبه في هذا اليوم سم»
- قال عليه الصلاة والسلام (بيت لا تمر فيه جياع أهله) أخرجه مسلم
 - عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي على رطبات فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء» رواه أبو داود [٢١] والترمذي وقال حديث حسن [٢٢].

• عن سلمان بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة فمن لم يجد تمراً فالماء فإنه طهور» رواه الترمذي وقال حديث حسن [٢٢].

• عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (ولدي غلام فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فسماه إبراهيم فحنكه بتمر ودعا له بالبركة ودفعه إلي) صحيح البخاري [٣].

ونعلم أن سبب الرائحة الكريهة في فم الصائم حين يمسي هي ناتجة عن وجود البكتريا وغيرها من الميكروبات لذا كان صلى الله عليه وسلم يفطر على التمر، وهذا يثبط بعض البكتريا المتواجدة في فم الصائم، ومن هنا كانت انطلاقة البحث لمعرفة أثر التمر في القضاء على بعض الميكروبات الضارة المعزولة من الفم واللوز الملتهبة.

أقوال العلماء في شرح الآية وفهم الأحاديث :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (إبراهيم: ٢٤ - ٢٥)

فمن عظم قدر هذه الشجرة وكبير نفعها ذهب أهل التفسير من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم على أن الشجرة الطيبة التي شبهت بكلمة التوحيد، فقد روى الحاكم في كتابه المستدرک على الصحيحين [١٨] عن أنس مالك رضي الله عنه قال: « ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع من بسر فقرأ مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هي النخلة. » قال الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

قال تعالى: (والنخل باسقات لها طلع نضيد) (الآية ١٠ سورة ق) أي طوال شاهقات قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وغيرهم الباسقات الطوال، ونضيد أي منضود. [٢٥]

وقال عز وجل: (ونخل طلوعها هضيم) (الآية ١٤٨ سورة الشعراء) قال العوفي عن ابن

عباس أئبع وبلع فهو هضم. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول معشبة ، وقال إسماعيل بن أبي خالد عن عمرو عن ابن عباس قال إذا رطب واسترخى ، وقال أبو إسحاق عن أبي العلاء هو المزب من الرطب ، وقال مجاهد هو الذي إذا يبس تهشم وتفتت وتناثر ، وقال ابن جريج : سمعت عبد الكريم أنبانا أمية سمعت مجاهد قال حين يطلع يقبض عليه فهو من الرطب الهضم تقبض عليه فتهشمه ، وقال عكرمة وقتادة : الهضم الرطب اللين ، وقال الضحاك : إذا كثر حمل الثمرة وركب بعضها بعضها فهو هضم ، وقال مرة : هو الطلع حين يتفرق ويخضر ، وقال الحسن البصري هو الذي لا نوى له ، وقال أبو صخر: ما رأيت الطلع حين ينشق عنه الكم فترى الطلع قد لصق بعضه ببعض فهو الهضم. [٢٥]

وقوله: (فيها فاكهة ونخل ورمان) (الآية ٦٨ سورة الرحمن)، وهو هنا من باب عطف العام على الخاص وأنه سبحانه أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما. [٢٥]

وفي الحديث روى أبو داود، وروى الحاكم، وروى الإمام الترمذي، ورؤي في الطب النبوي للإمام الذهبي، قال: « من تصبغ بسبع تمرات عجوة لا يصيبه في هذا اليوم سم ولا سحر » . قال الخطابي: كون العجوة تنفع من السمّ والسحر إنما ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لتمر المدينة لا خاصة في التمر. [٢٦]

وقال ابن حجر: وأما خصوصية السبع فالظاهر أنها لسر فيها. [٢٧] وقال القرطبي: وظاهر الأحاديث خصوصية عجوة المدينة بدفع السمّ وإبطال السحر. [٢٨]

وقال المناوي في فيض القدير: وليس ذلك عاماً في العجوة بل خاصاً بعجوة المدينة بدليل رواية مسلم: « من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها أي المدينة لم يضره في ذلك اليوم سمّ ». قال المناوي: وتخصيصه بسبع لخاصية هذا العدد علمها الشارع، وقد جاء في مواضع كثيرة فما جاء من هذا العدد مجئ التداوي فذلك لخاصية لا يعلمها إلا الله ومن أطلع عليه، وما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن في عجوة العالية شفاءً أو أنها ترياق أول البكرة » [رواه مسلم] [٢٩]، وقال النووي في شرحه: والعالية ما كان من الحوائط والقرى والعمارات من جهة المدينة العليا وهي جهة نجد. [٣٠]

وفي هذه الأحاديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها، وفضيلة التصبغ بسبع تمرات منها، وعدد

السبع من الأمور التي علمها الشارع وقد نعلم نحن بعض حكمتها ولكن يجب الإيمان بها واعتقاد فضلها والحكمة فيها، وما زال العلم يكتشف إعجاز الوحي الرباني المنزل على سيد الثقلين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم والكفاة من المنّ وماؤها شفاء للعين» [رواه أحمد والترمذي وابن ماجة]، هذه الرواية تتفق مع رواية البخاري بعدم تخصيص لتمر المدينة أو عجوتها.

قال القرطبي: ومن أئمتنا من تكلف فقال: إن السموم إنما تقتل لفرط برودتها فإذا داوم على التصبّح بالعجوة تحكمت فيه الحرارة وأعانتها الحرارة الغريزية فقاوم ذلك برودة السمّ ما لم يستحکم، قال: وهذا يلزم رفع خصوصية عجوة المدينة. [٣١] وقال ابن القيم: عجوة المدينة من أنفع تمر الحجاز، وهو صنف كريم من ألين التمر وألذّه. والتمر في الأصل من أكثر الثمار تغذية لما فيه من القوة الترياقية. فإذا أديم أكله على الريق جفف مادة الدود وأضعفه أو قتله. [٣٢] قال ابن حجر: وفي كلامه إشارة إلى أن المراد نوع خاص من السمّ وهو ما ينشأ عن الديدان التي في البطن لا كل السموم، لكن السياق يقتضي التعميم لأنه نكرة في سياق النفي. [٢٧]

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلي وفي رواية: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان صائماً لم يصل حتى تأتيه برطب وماء ففي الجامع الصحيح «كان إذا كان الرطب لم يفطر إلا على الرطب وإذا لم يكن الرطب لم يفطر إلا على التمر».

احترار العلماء والمفسرون قديماً وحديثاً في سبب الإفطار على الرطب أو التمر، واستنبط الكثير منهم أسباباً عديدة فبعضهم قال إن الرطب والتمر فاكهتان مباركتان، وقال آخرون لأن الرطب والتمر من الفاكهة الحلوة التي تعطي الجسم القوة والنشاط في سرعة فائقة، ومنهم من قال: أنهما يقويان النظر ومنهم من قال غير ذلك.

ذكر ابن حجر في فتح الباري ما يلي: «والحكمة في استحباب التمر لما في الحلو من تقوية البصر الذي يضعفه الصوم ولأن الحلو مما يوافق الإيمان ويعبر به المنام ويرق به القلب وهو أيسر من غيره ومن ثم استحباب بعض التابعين أنه يفطر على الحلو مطلقاً كالعسل رواه ابن

أبي شيبة عن معاوية بن قرة وابن سيرين وغيرهما» . [٢٧]

قال ابن القيم: في فطره عليها تدبير لطيف فإن الصوم يخلي المعدة من الغذاء فلا يجد الكبد منها ما يجذبه ويرسله إلى القوى والأعضاء فيضعف، والحلو أسرع شيئاً وصولاً إلى الكبد وأحبه إليها سيما الرطب فيشتد قبولها فتنتفع به هي والقوى فإن لم يكن فالتمر لحلاوته وتغذيته فإن لم يكن فحسوات الماء تظفيء لهيب المعدة وحرارة الصوم فتنتبه بعده للطعام وتتلقاه بشهوة» [٣٢] وقد ذكر البجيرمي: فإن قلت ما الحكمة في استحباب التمر قلت لما في الحلو من تقوية البصر الذي يضعفه الصوم وهو أيسر من غيره [٣٣]

أما الطحاوي فقد قال: «الحكمة في تخصيص التمر لما في الحلو من تقوية البصر الذي أضعفه الصوم وترقيق القلب وهو أيسر من غيره ومن ثمة استحباب بعض التابعين أن يفطر على الحلو مطلقاً كالعسل وقيل لأنه يحسن البول وقيل لأن النخلة مثل بها المسلم فثمرها أفضل المأكول وقيل لأنها الشجرة الطيبة» [٣٤]

وقال الشوكاني: «وإنما شرع الإفطار بالتمر لأنه حلو، وكل حلو يقوي البصر الذي يضعف بالصوم، وهذا أحسن ما قيل في المناسبة وبيان وجه الحكمة، وإذا كانت العلة كونه حلواً، والحلو له ذلك التأثير فيلحق به الحلويات كلها، أما ما كان أشد منه حلاوة فبفحوى الخطاب، وما كان مساوياً له فبلحنه» [٣٥]

أما عبد الرؤوف المناوي فقد ذكر في كتابه «فيض القدير»: كان إذا كان الرطب أي زمنه لم يفطر من صومه إلا على الرطب وإذا لم يكن الرطب لم يفطر إلا على التمر لتقويته للنظر الذي أضعفه الصوم ولأنه يرق القلب. [٢٩]

وجاء في تذكرة أولي الألباب لداود الأنطاكي: التمر هو المرتبة السابقة من تمر النخيل، يقطع السعال المزمن، وأوجاع الصدر، ويستأصل شأفة البلغم خصوصاً إذا أكل على الريق، ويغذي كثيراً، ومع الحليب يقوي الباه. [٣٦]، وأكد ابن البيطار هذه الفوائد فقال: والتمر يسخن البدن، وهو صالح للصدر والرئة والمعوي، وإذا نقع في الحليب أنعظ إنعاضاً قوياً. [٣٧]

أما ابن قيّم الجوزية فقد شرح فوائد التمر في كل مراحلها [عن كتابه الطب النبوي] فقال: البُسْر حارٌّ يابس يجبس البطن ، وينفع اللثة والفم وأنفعه ما كان هشاً وحلواً. والرطب يقوي المعدة الباردة ، ويزيد في الباه ، ويخصب البدن ، ويغذي غذاءً كثيراً. أما التمر فهو مقوٌّ للكبد ملين للطبع يزيد في الباه ، ولا سيما مع حب الصنوبر، ويبرئ من خشونة الحلق. وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن وأكله على الريق يقتل الدود وهو فاكهة وغذاء. [٣٢]

وقد قال أبو قراط أبو الطب : ليكن غذاؤك دواءك : وعالجوا كل مريض بنبات أرضه فهي أجلب لشفائه.

وقال ابن النفيس : صحتك في تنظيم غذائك، وعليك بالحذر من اللجوء إلى الأدوية إلا عند الضرورة القصوى .

وقال ابن القيم: إن من شرط انتفاع العليل بالدواء قبوله ، واعتقاده النفع به فتقبله الطبيعة فتستعين به على دفع العلة حتى أنّ كثيراً من المعالجات تنفع بالاعتقاد ، وحسن القبول وكمال التلقي. [٣٢]

وقال فضيلة الشيخ سليمان بن ناصر العلوان: (وإن تيسر التصبّح بسبع تمرات من تمر العجوة ، فهذا سبب شرعي ، وحصن حصين من كل ساحر مريد ، ففي الصحيحين وغيرهما من حديث عامر بن سعد عن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من تصبّح بسبع تمرات من تمر العجوة لم يصبه سم ولا سحر » (متفق عليه)، وهذا الكلام للشيخ ابن باز رحمه الله قلت : والذي أراه في هذه المسألة أن المنفعة والفائدة باقية في تمر العجوة خاصة ، وتمر المدينة عامة إلى قيام الساعة ، وأن ذلك ليس مخصوصاً بزم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بتمر العجوة عما سواه ، مع أن الخبرة والتجربة العملية في هذا الميدان أكدت بما لا يدع مجالاً للشك تأثير تمر العجوة على السحر خاصة والمنفعة العظيمة له قبل أو بعد وقوعه، والله تعالى: أعلم.

هذا بعض ما ذكره العلماء ، وتتلخص أقوالهم أن التمر فاكهة طيبة مباركة فيها منافع كثيرة كتقوية البصر، كما أنّ الرطب والتمر يعطي الجسم النشاط والقوة.

وخلاصة القول : إن الصحابة الكرام والتابعين ومن تبعهم فسروا الأحاديث السابقة تفسيراً قريباً مما فسره العلم الحديث ، وبينوا فوائد الرطب والتمر في الصيام ، وذكروا الفوائد من تجارب مرت معهم ومع غيرهم ، ولم ينسوا ذكر بركة التمر بسبب حرص رسول الله على ادخاره « بيت لا تمر فيه جياع أهله »

أما العلماء المعاصرون فلم يخرجوا عما نقله لنا الأقدمون ، لكنهم استفاضوا في الحكمة من ذلك ، ومنهم د. صبري القباني صاحب الكتاب الشهير «الغذاء لا الدواء» إذ يقول: «فالصائم يستنفد في نهاره عادة معظم وقود جسده، أي: يستنفد السكر المكتنز في خلايا جسمه، وهبوط نسبة السكر في الدم عن حدّها المعتاد هو الذي يسبب ما يشعر به الصائم من ضعف وكسل وزوغان في البصر، وعدم قدرة على التفكير والحركة؛ لذا كان من الضروري أن نمّد أجسامنا بمقدار وافر من السكر ساعة الإفطار، فالصائم المتراخي المتكاسل في أواخر يوم صيامه، تعود إليه قواه سريعاً ، ويدب النشاط إلى جسمه في أقل من ساعة إذا اقتصر في إفطاره على المواد السكرية ببضع تمرات مع كأس ماء أو كأس حليب، وبعد ساعة يقوم الصائم إلى تناول عشاءه المعتاد، ولهذا النمط من الإفطار ثلاث فوائد هي:

(١) أن المعدة لا ترهق بما يقدم إليها من غذاء دسم وفير، بعد أن كانت هاجعة نائمة طوال ثماني عشرة ساعة تقريباً، بل تبدأ عملها بالتدرج في هضم التمر السهل الامتصاص، ثم بعد نصف ساعة يقدم إليها الإفطار المعتاد.

(٢) أن تناول التمر أولاً يجد من جشع الصائم، فلا يقبل على المائدة ليلتهم ما عليها بعجلة دون مضغ أو تذوق.

(٣) أن المعدة تستطيع هضم المواد السكرية من التمر خلال نصف ساعة فيزول الإحساس بالدوخة والتعب سريعاً [٣٨]

وأوصانا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أن نبدأ بالرطب فطورنا بعد الصيام

وهذه السنة النبوية المطهرة فيها إرشاد طبي وفوائد وحكم عظيمة. فعندما يبدأ الصائم في تناول إفطاره فإنه يحتاج في تلك اللحظات إلى مصدر طاقة سريع يدفع عنه الجوع، ويصل بأسرع ما يمكن إلى المخ وسائر الأعضاء لإمدادها بالطاقة. وأسرع المواد الغذائية في الهضم والامتصاص والإمداد بالطاقة هي السكريات فالجسم يستطيع امتصاصها بسهولة خلال دقائق معدودة خاصة إذا كانت المعدة والأمعاء خالية كما هو الحال في الصيام، وكانت تلك السكريات في الصورة الأحادية.

وإذا أمعنا النظر في نص الحديث الشريف فإننا نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم الرطبات على التمرات للصائم عند فطوره خلافاً لأحاديث أخرى تقدم التمر عند التصبح بها لقوله صلى الله عليه وسلم « من تصبح بسبع تمرات لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » الحديث و قوله صلى الله عليه وسلم « نعم سحور المؤمن التمر » رواه ابن حبان والبيهقي. ولعل في ذلك رحمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين فنوعية السكريات الغالبة بالرطب تختلف عن تلك الغالبة بالتمر. وبصفة عامة فإن السكريات الموجودة في التمر أغلبها من نوعين السكريات الأحادية (الجلوكوز) والسكريات الثنائية (السكروز)، وتعتبر السكريات الأحادية الأسهل امتصاصاً والأسرع انتقالاً للدم مباشرة، ولا يستغرق امتصاص هذه النوعية من السكريات وانتقالها في الدم ووصولها إلى أعضاء الجسم المختلفة إلا دقائق معدودة، أما السكريات الثنائية (السكروز) فيجب أن تمر بعمليات كيميائية حيوية تتحول فيها هذه السكريات الثنائية إلى سكريات أحادية حتى يمكنها التحرك في الدم لتحقيق الغاية المطلوبة منها.

ومن البديهي أن الوقت اللازم لاستفادة الجسم من السكريات الثنائية أطول مقارنة بالسكريات الأحادية، و الرطب يحتوي على نسبة عالية جداً من السكريات الأحادية فيكون تأثيرها أسرع، بينما تحتوي ثمار التمر على نسبة عالية من السكريات الثنائية مما يتطلب وقتاً أطول لتحويلها عن طريق الهضم إلى سكريات أحادية، وهنا تجلت عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما طلب من المسلمين أن يكون فطورهم في شهر

رمضان على رطبات ، وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم آياته : «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (٤،٣ سورة النجم)، ولعل الله تعالى: قد أمر السيدة مريم أن
تأكل رطبات وقت مخاضها لحاجتها السريعة للطاقة التي تعينها على عملية المخاض .

والتمر فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى وتعتبر التمر من الأغذية ذات القيمة
الغذائية العالية. ويعد التمر غذاء مثالياً كافياً للإنسان إذا ما أضفنا إليه الحليب وذلك
لاحتوائه على المواد الغذائية الرئيسية مثل السكريات والأحماض العضوية والدهون
والبروتينات والألياف الغذائية وغيرها كما أنه يحتوي على كمية كبيرة من مضادات
الأكسدة ، وأيضاً يحتوي على كميات لا بأس بها من الفيتامينات مثل فيتامين ج وفيتامين
A ومجموعة فيتامينات B ، وخاصة الثيامين والريبوفلافين والنياسين. ولقد أطلق على
التمر لقب منجم لغنائه بالمعادن والعناصر الغذائية المختلفة، وقد ورد في الحديث النبوي
الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: (من تصبغ بسبع تمرات لم يضره ذلك اليوم سم ولا
سحر)، ولقد وجد أن تناول ٧ تمرات أي ما يقرب من ١٠٠ جرام من التمر يمد جسم
الإنسان بكامل احتياجاته اليومية من كل من الماغنسيوم والمنجنيز والنحاس والكبريت،
ونصف احتياجاته من الحديد ، وربع احتياجاته من كل من الكالسيوم والبوتاسيوم. كما
أن التمر يحتوي على كميات مرتفعة من عنصر الفلورين يقدر بخمسة أضعاف ما تحتويه
الفواكه الأخرى من هذا العنصر ، ونعلم جميعاً الدور الذي يلعبه الفلورين في مقاومة
تسوس الأسنان و المحافظة عليها ولا نكاد نرى معجون أسنان سواء كان محلياً أو دولياً
إلا ويحتوي على الفلورين. ومن العادات المحببة لدى المسلمين الإفطار على رطبات في
شهر رمضان حيث تعطي الصائم جرعة مركزة من الغذاء السريع الامتصاص تخفف من
شعوره بالجوع وشرائه للأكل، كما تنشط العصارات الهضمية وتقي من الإمساك وتعديل
الحموضة في المعدة وفي الدم. [٣٩][٤٠]

وأيضاً من الفوائد الغذائية والعلاجية للربط:

(١) أنه مقو عام للجسم ، ويعالج فقر الدم ، ويمنع اضطراب الأعصاب لما يحتويه من نسبة عالية من السكر و البوتاسيوم .

(٢) سبب لزيادة إفراز الهرمونات التي تحفز إفراز اللبن للمرضعة (مثل هرمون برولاكتين)، وذلك لما يحتويه من جليسي و ثريونين .

(٣) يستخدم لعلاج حالات الإمساك المزمن لتنشيطه حركة الأمعاء ومرورها بها مما يحتويه من ألياف سيليلولوزية .

(٤) فيه الوقاية من السرطان: يعتبر التمر والرطب من أهم الأغذية التي تلعب دورا وقائيا ضد مرض السرطان وذلك لما تحتويه من فينولات و مضادات أكسدة .

(٥) فيه تنشيط الجهاز المناعي: إن التمر من أهم الأغذية الغنية في محتواها من المركبات التي تنشط الجهاز المناعي ، فهي غنية في محتواها من مركب «بيتا ١-٣ دي جلوكان»، ومن أهم فوائد هذا المركب تنشيط الجهاز المناعي بالجسم ، وأيضا لها مقدرة على الاتحاد والإحاطة والتغليف للمواد الغريبة بالجسم. وكذلك يتعرف على مخلفات الخلايا المدمرة بالجسم نتيجة تعرضها للأشعة (مثل أشعة الحاسب الآلي، أو أشعة اكس الطبية، أو أشعة التليفون الجوال، أو الأشعة فوق البنفسجية، أو الأشعة المنبعثة من الرحلات الجوية)، ويحتويها ويدمرها. [٣٩][٤٠][٤١]

أما الدكتور عبد الباسط محمد سيد فيقول: « فالتمر غني بالسكريات الأحادية التي تعطي سرعات حرارية عالية في فترة زمنية قصيرة لسهولة هضمه وامتصاصه، لذلك أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم الصائمين أن يبدؤوا إفطارهم برطب أو تمر لكي يعوضوا ما فقدوا من سكريات في يوم صيامهم. وقد أوضحت الدراسات العلمية والطبية الحديثة صحة وفاعلية ما نصح به الرسول صلى الله عليه وسلم الصائمين عن بدء إفطارهم، والأطباء عادة ينصحون الصائمين الذين يشعرون بالدوخة والتراخي وزوغان البصر ينصحونهم بتناول بضع تمرات عند إفطارهم فتزول عنهم تلك الدوخة خلال نصف ساعة من تناولهم للتمر [٤١]

ومن أقوال العلماء علمنا أن تناول التمر قبل دخول أي طعام لجسم الإنسان ولا سيما بعد الصوم له فوائد عظيمة منها :

إن الصائم يعتره نقص بعض أنواع من السكاكر التي تمده بالطاقة ، وكذلك بعض العناصر الحيوية الهامة التي بتغيرها في الإفطار والسحور بالبدائل الغذائية تعد نعمة من الله لتنقية الجسم، وتطهره بالصوم وكأنها تغيير زيت السيارة مثلاً .

والتمر سريع الهضم والامتصاص خلال ساعة من تناوله مما يسرع في إمداد الجسم بالطاقة ، وتعويضه بالعناصر المعدنية والفيتامينات والكريبوهيدرات مع ما يقوم به التمر إثر تناوله بإمداد الجسم بما به من مواد سليلوزيه تساعد المعدة على عملياتها الهضمية ، وكذلك تنظيفها وتطهيرها .

إن نقص نسبة السكر في الجسم أثناء الصيام هي التي تسبب الإحساس بالجوع وليست قلة الطعام والشراب هي سر ذلك، ولذا كان السر في الإفطار بالتمر وكذلك السحور، وخاصة أن سكر الفركتوز يعوض السكر المحترق في الدم نتاج الحركة ، وبذل الجهد فلا يفتر الصائم ، ولا يتعب ؛ ناهيك عن أنه يقوي الكبد والقلب والدم لما يحتويه من منجم معادن سهلة ، وسريعة الامتصاص فخلال ساعة يهضم التمر كالعسل ، وصدق رسول الله الذي نبه أمته إلى هذه الفوائد الصحية قبل أن يكتشفها العلم الحديث .

كما أن تحنيك الوليد بالتمر أمر عجيب لما فيه من عظيم الفوائد الطبية ، فقد ثبت أن بالتمر عناصر حيوية تقي الطفل من الأمراض ، وتقوي مناعته المكتسبة من الله، وهي بمثابة لقاح يقيه طيلة عمره ويدرعه . كما يعطي للطفل لقاحات شلل الأطفال والدفترية والحصبة . ولأن الطفل أقل مناعة من البالغ وأكثر عرضة للإصابة بالميكروبات سن صلى الله عليه وسلم تحنيك الطفل بالتمر كما ورد في الحديث .

إن قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بتحنيك الأطفال المواليد بالتمر بعد أن يأخذ التمرة في فيه ثم يحنكه بها ذاب من هذه التمرة بريقه الشريف فيه حكمة بالغة ، فالتمر

يحتوي على السكر «الجلوكوز» بكميات وافرة ، وخاصة بعد إذابته بالريق الذي يحتوي على إنزيمات خاصة تحول السكر الثنائي سكروز إلى سكر أحادي ، كما أن الريق ييسر إذابة هذه السكريات ، وبالتالي يمكن للطفل المولود أن يستفيد منها. وبما أن معظم أو كل المواليد يحتاجون للسكر «الجلوكوز» بعد ولادتهم مباشرة فإن إعطاء الطفل التمر المذاب يقي الطفل من مضاعفات نقص السكر الخطيرة ؛ والتي المحنا إليها فيما سبق ومنها مخاطر نقص السكر «الجلوكوز» في دم المولود.

إن استحباب تحنيك الطفل بالتمر هو علاج وقائي ذو أهمية بالغة ، وهو إعجاز طبي لم تكن البشرية تعرفه ، وتعرف مخاطر نقص السكر، وإن المولود وخاصة إذا كان خداجاً، يحتاج دون ريب بعد ولادته مباشرة إلى أن يعطى محلولاً سكرياً. وقد دأبت مستشفيات الولادة والأطفال على إعطاء المولودين محلول الجلوكوز ليرضعه المولود بعد ولادته مباشرة. ثم بعد ذلك تبدأ أمه بإرضاعه. إن هذه الأحاديث الشريفة المتعلقة بتحنيك الأطفال تفتح آفاقاً مهمة جداً في وقاية الأطفال من أمراض خطيرة جداً بسبب إصابتهم بنقص سكر الجلوكوز في دمائهم. كما وأن إعطاء المولود مادة سكرية مهضومة جاهزة توضح إعجازاً طبيّاً لم يكن معروفاً في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا في الأزمنة التي تلتها حتى اتضح الحكمة من ذلك الإجراء في القرن العشرين. [٤٢][٤٣]

الواقع العلمي

إن التمر يعتبر من الأغذية ذات القيمة الغذائية العالية وكان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يفطر عليه ؛ بل ويفطر عليه الصائمون اقتداء برسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ولأنه صلى الله عليه وسلم أمر بذلك الصائمين، وله من الفوائد والمعالجات ما لا يعد، فقد ركزت هذه الدراسة على تأثير التمر على ميكروبات المعزولة من الفم سواء تلك المعزولة من أفواه الصائمين عموماً أو المرضى على وجه الخصوص .

أولاً : أثر التمر في تثبيط البكتريا المعزولة من أفواه الصائمين

« كان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي على رطبات فإن لم تكن تمريرات »
وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة »

الدراسة :

قمنا في هذا البحث بعزل الأنواع البكتيرية المتواجدة في أفواه الصائمين لمجموعة من الصائمين تصل إلى تسعة وعشرين من الذكور الذين تتراوح أعمارهم من ٢١-٢٣ سنة، وقد تم أخذ العينات عند المساء قبل الإفطار بحوالي ساعة.

ومن خلال هذا البحث وجد أن البكتيريا الأكثر انتشاراً في هذه الدراسة بين الصائمين عن المساء قبل الإفطار هي: *Staphylococcus saprophyticus* وقد عزلت من ١٢ صائماً وكانت نسبتها (٤، ٤١) تليها *Staphylococcus aureus* وعزلت من ٨ صائمين وكانت نسبتها (٦، ٢٧) تليها *Pseudomonas aeruginosa* وعزلت من ٥ صائمين وكانت نسبتها (٢، ١٧) وأخيراً عزلت *Staphylococcus epidermidis* من ٤ صائمين وكانت نسبتها (٨، ١٣).

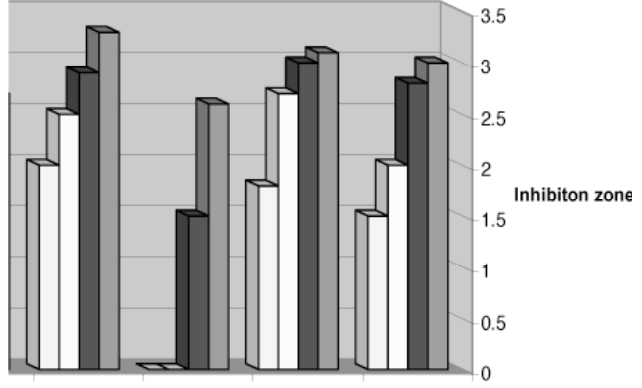
ويوضح الشكل (١) التالي تأثير التراكيز المختلفة من التمر على هذه البكتريا المعزولة من أفواه الصائمين عند المساء من خلال منطقة التثبيط الموضحة أكثر في الشكل (٢)، فبالنسبة إلى *Pseudomonas aeruginosa* كان متوسط أعلى منطقة للتثبيط (٣٠ مم) عندما أخذ التمر، وأضيف له وزنه من الماء المعقم والمقطر وهو المرموز له بالرمز (١) ثم خفف بنسبة ١:١ وهو (٢/١) وهكذا، وكان متوسط أقل منطقة للتثبيط هي (١٨ مم) عند التركيز (٨/١).

وكذلك الحال بالنسبة إلى *Staphylococcus saprophyticus* حيث كان متوسط أعلى منطقة للتثبيط هي (٣١ مم) عند التركيز (١) و متوسط أقل منطقة للتثبيط هي (١٤ مم) عند التركيز (٨/١).

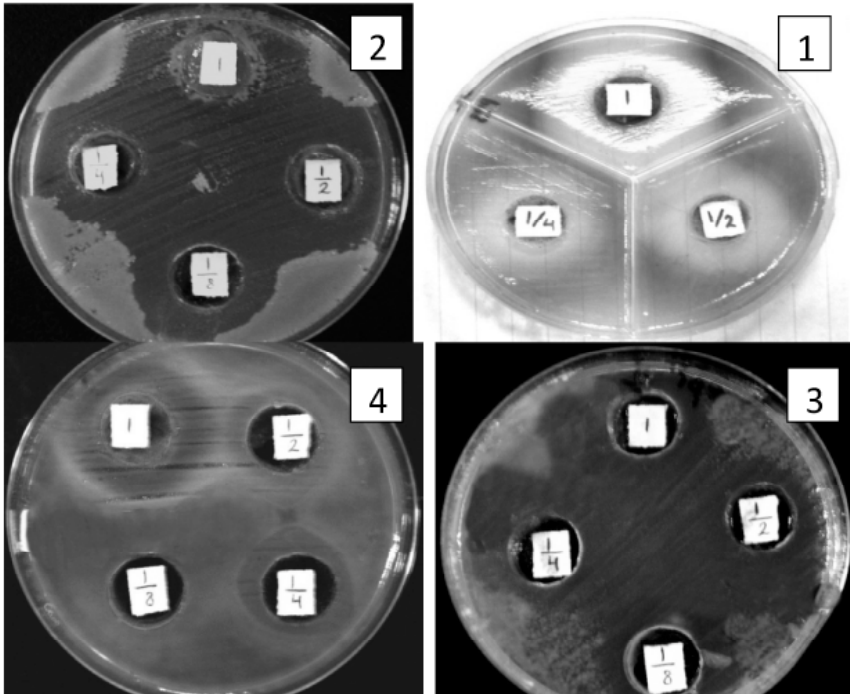
وبالنسبة *Staphylococcus aureus* كان متوسط أعلى منطقة للتثبيط هي (٢٦ مم) عند التركيز (١) و متوسط أقل منطقة للتثبيط هي (١١ مم) عند التركيز (٤/١).

وأخيرا بالنسبة إلى *Staphylococcus epidermidis* كان متوسط أعلى منطقة للتثبيط هي (٣٤ مم) عند التركيز (١) و متوسط أقل منطقة للتثبيط هي (١٩ مم) عند التركيز (٨/١).

- 1- *Pseudomonas aeruginosa*.
- 2- *Staphylococcus saprophyticus*.
- 3- *Staphylococcus aureus*.
- 4- *Staphylococcus epidermidis*.



شكل (١): رسم تخطيطي يوضح تأثير التراكيز المختلفة من التمر على بعض البكتريا المعزولة من أفواه الصائمين



شكل (٢): يوضح مناطق التثبيط للأنواع المختلفة من البكتريا المعزولة من أفواه الصائمين

- 1- *Pseudomonas aeruginosa*.
- 2- *Staphylococcus saprophyticus*.
- 3- *Staphylococcus aureus*.
- 4- *Staphylococcus epidermidis*.

من هنا يمكن القول أن للتمر أثراً فعالاً في تثبيط البكتريا الموجود في أفواه الصائمين عند المساء ، والتي تتواجد فيهم نتيجة الصيام، وذلك لأن الامتناع عن الشراب أثناء الصيام يؤدي إلى تقليل إفراز اللعاب في الفم ، وبالتالي إلى خسارة منافع اللعاب. يؤدي توفر كميات كبيرة من اللعاب إلى الحد من نمو و تكاثر البكتيريا، و يقوم بإذابة المخلفات الكبريتية ، وبالتالي إلى تقليل أو إخفاء الرائحة الكريهة فمن العوامل التي تؤدي إلى تفاقم مشكلة الرائحة الكريهة أثناء الصيام هو العطش. [٤٤][٤٥]

كما أن من الأسباب الرئيسية للرائحة الكريهة في الفم هو وجود البكتيريا اللاهوائية في الفم. حيث يقوم هذا النوع من البكتيريا بإفراز مادة «الكبريت» ذات الرائحة الكريهة. ومن صفات البكتيريا اللاهوائية: أنها تعيش في معزل عن الهواء ، و مجرد تعرضها للهواء يؤدي إلى هلاكها. يؤدي عدم الأكل أو الشرب أثناء الصيام إلى تكون طبقة بيضاء على اللسان. وهذه الطبقة عبارة عن طبقة من اللعاب الهلامي الثقيل. يمكن للبكتيريا اللاهوائية أن تعيش وتتكاثر تحت هذه الطبقة البيضاء على اللسان مفرزة مادة الكبريت ذات الرائحة المقززة. [٤٦]

غير أن للصيام فوائد عديدة ليس فقط على الفم والأسنان بل على الجهاز الهضمي بأكمله، فالامتناع عن الأكل والشرب يحرم بكتيريا الجهاز الهضمي من غذائها ويتسبب في تجويعها، فالخلايا البكتيرية عبارة عن كائنات حية صغيرة جدا ، و لا تستطيع تخزين كميات كبيرة من الغذاء في أجسامها كما يمكن للبشر. فيؤدي الصيام إلى هلاك كميات كبيرة من البكتيريا الضارة. وفي عالم الجراثيم أول ما يهلك أثناء الصيام هي البكتيريا القوية شديدة الضرر، وذلك لاحتياجها للطاقة بصورة مستمرة، ومن هذه البكتيريا ما يسبب التسوس و أمراض اللثة. أي بعبارة أخرى يقوم الصيام بالتقليل من حالات التسوس و أمراض اللثة، نتيجة للتقليل من البكتيريا الضارة. [٤٧][٤٨]

وفي هذا المجال أثبتت دراسة علمية أجريت بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة للأستاذة بالكلية الدكتور سامية عبد الوهاب أن الخلاصة المائية للتمر لها تأثير خافض للحرارة

مشابه لتأثير المخفضات الكيميائية ، وأن المواد الفعالة للمستخلص المائي لها تأثير خافض لنسبة السكر في الدم بنسبة تقارب مخفضات السكر الكيميائية التي تتناول عن طريق الفم، وأثبتت أن الخلاصة الكحولية والمائية للتمر لها تأثير ملحوظ كمضاد حيوي لبعض الميكروبات المرضية ، وتحتوى على بعض الأحماض الأمينية التي لها تأثير فعال في تقوية الذاكرة إضافة إلى بعض الهرمونات التي تشابه الهرمونات الموجودة بالجسم مثل الاستروجين [٤٩] ومن هنا كان هذا الإعجاز العظيم في قوله عز وجل: (ونخل طلعتها هضيم) (الآية ١٤٨ سورة الشعراء)

وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة فمن لم يجد تمرًا فالماء فإنه طهور» [رواه الترمذي وقال حديث حسن، وقال عبد القادر الأرنؤوط: إسناده صحيح].

إن وراء هذا الوحي الإلهي والهدى النبوي حكمة رائعة وهدياً طبيياً عظيماً. فأهم شيء يجب تزويد الصائم به حال فطره هو طاقة جديدة تعوضه ما فقدته نهار صومه، كذلك فالجسم في حاجة ماسة إلى الماء وإزالة شعور العطش لديه. وأسرع شيء يمكن امتصاصه هي المواد السكرية، وخاصة الأحادية منها، ولذلك قال عز وجل: (ونخل طلعتها هضيم) (الآية ١٤٨ سورة الشعراء). فالمواد السكرية في صورة محلول مائي يمكن امتصاصها في صورة ميسرة في المعدة والأمعاء الفارغة عند الصائم، وهذا ما يحققه الرطب وبذا يرتفع مستوى سكر الدم في وقت وجيز. ومن الملاحظات الهامة أن التمر والرطب يكادان يخلوان من الدهن، وبذا لا يحتاج هضمها لساعات طويلة، وكذلك الحال بالنسبة للبروتينات. كما أن وجود الألياف السليولوزية في التمر بنسبة عالية له مزايا أخرى فهي تفيد بأن تعمل كإسفنجة تمتص الماء داخل المعى وتعطي البراز حجماً معقولاً مع إحداث تليين طبيعي يمنع حدوث الإمساك عند الصائم. [٥٠]

ثانياً: أثر التمر في تثبيط البكتريا المعزولة مرضى التهاب اللوز :

قال صلى الله عليه وسلم : « إن العجوة من الجنة، وفيها شفاء من السم » وقال أيضاً: «من تصبح بسبع ثمرات عجوة لا يصيبه في هذا اليوم سم»

الدراسة :

التهاب اللوز مرض يصيب اللوز، فيؤدي ذلك إلى انتفاخ اللوز، وتكون بقع حمراء باهتة أو خراجات تقيحية بيضاء، أو صفراء تلاحظ على السطح، كلا من البكتيريا والفيروسات يسبب التهاب اللوز، وتكون الأعراض متشابهة. وأجريت هذه الدراسة على ٣٠ عينة من المرضى (أطفال وبالغين) الذين تم تشخيصهم إكلينيكيًا بأن لديهم التهاب اللوز قسم من المرضى كان لديهم التهاب حاد كخرجات على اللوز قبل إزالتها Tonsillectomy، آخرين كانوا يعانون من التهاب اللوز بعد أن خضعوا لعملية إزالتها Tonsillectomy، لكن ASO كان لديهم مرتفع.

هؤلاء المرضى المصابين بالتهاب اللوز كان منهم ٢١ من الإناث و ٩ ذكور. وبحسب الفئات العمرية فإن هذه المجموع تكونت من: المجموعة الأولى ١١ مريضاً من (٨ شهور إلى ١٠ سنوات)، و المجموعة الثانية من (١١-٢٠ سنة) وتضم ١٠ مرضى، والمجموعة الثالثة من (٢١-٣٠ سنة) وتضم ٥ مرضى وأخيراً المجموعة الرابعة (٣١) سنة وكان عددهم (٤) مرضى. وقد كانت أكثر الإصابات بالتهاب اللوز عند الأطفال (٨ شهور إلى ١٠ سنوات) ثم الفئة من (١١-٢٠ سنة).

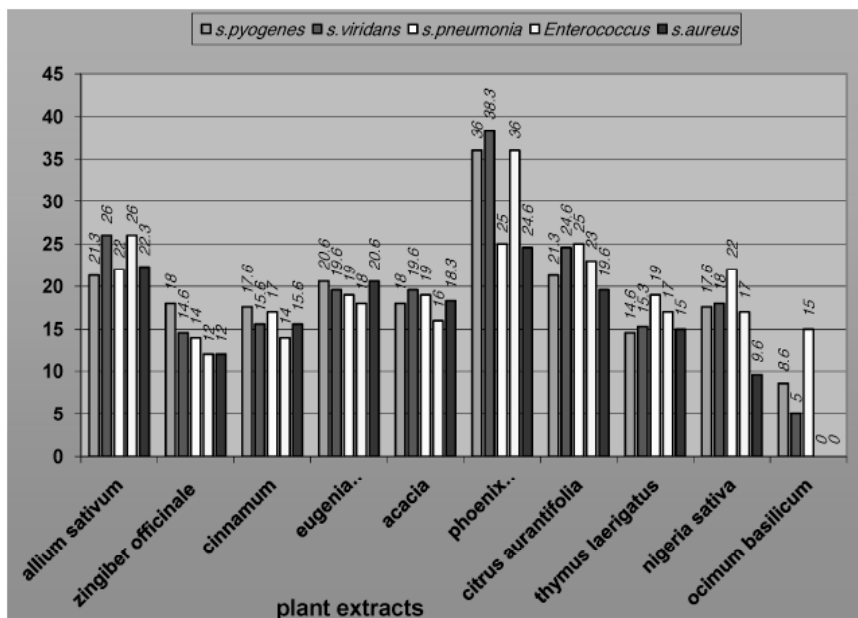
ومن خلال هذا البحث وجد أن البكتيريا الأكثر انتشاراً في هذه الدراسة هي *S. pyogenes* حيث كانت نسبتها (39.2%) من مجموع البكتريا المسببة لالتهاب اللوز، وكانت ثاني الأنواع انتشاراً هي: *S. ureus* وكانت نسبته (25%)، يليه *Viridans streptococci* وكانت نسبته (21.4%)، كما عزلت بعض البكتيريا بأعداد قليلة وهي *S. pneumoniae Enterococci* و(*E. coli S. epidermidis* (3.6%)

كما أجري في هذه الدراسة اختبار تأثير المستخلصات المائية للتمر على السلالات البكتيرية المعزولة ومقارنته بنباتات طبية أخرى مثل الليمون والثوم وغيره، وقد أظهر مستخلص التمر أعلى تأثير على البكتيريا المعزولة من مرضى التهاب اللوز، كما في Viridans streptococci والذي أعطى منطقة تثبيط قطرها (38.3 mm)، وكذلك أعطى على S. pyogenes منطقة تثبيط قطرها (42mm) كما أعطى منطقة تثبيط قدرها (63 mm) على كل من Enterococcus و E. Coli . أما S. aureus و S. epidermidis و S. pneumonia فقد كانت منطقة التثبيط هي (25 mm).

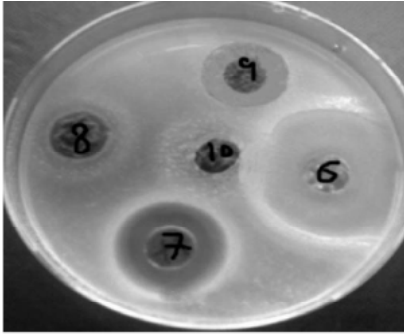
بينما أعطى مستخلص الثوم على سبيل المثال كما في Viridans streptococci و Enterococcus والذي أعطى منطقة تثبيط قطرها (62mm) و مستخلص الليمون كما في S. pneumonia والذي أعطى منطقة تثبيط قطرها (25 mm). وقد كانت أقل المستخلصات النباتية تأثيرا هي الريحان الذي يملك تأثير قليل على S pneumonia والذي أعطى منطقة تثبيط قطرها (15 mm) وعلى S. pyogenes والذي أعطى منطقة تثبيط قطرها (8.5 mm) أما باقي المستخلصات التي دخلت في بحثنا هذا فقد أثرت على نمو البكتيريا المعزولة بقيم مختلفة.

جدول (١): يوضح نوع و نسبة البكتريا المعزولة من مرضى التهاب اللوز و قطر مناطق التثبيط للتمر.

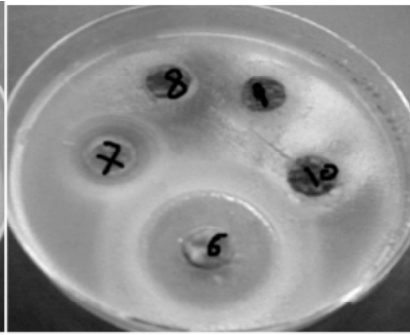
قطر منطقة التثبيط(مليمتر)	أنواع البكتريا المعزولة	النسبة البكتريا
42 mm	<i>S. pyogenes</i>	41.7
38.3 mm	<i>Viridans streptococci</i>	20.9
25mm	<i>S. aureus</i>	20.9
25mm	<i>S. epidermides</i>	4.17
25mm	<i>S. pneumonia</i>	4.17
36mm	<i>Enterococcus</i>	4.17
36mm	<i>E. Coli</i>	4.17



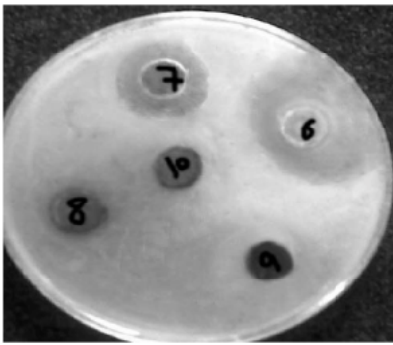
شكل (٣): يوضح مناطق التثبيط للتمر مع مقارنته ببعض المستخلصات النباتية لبعض الأنواع من البكتريا المعزولة من مرضى التهاب اللوز



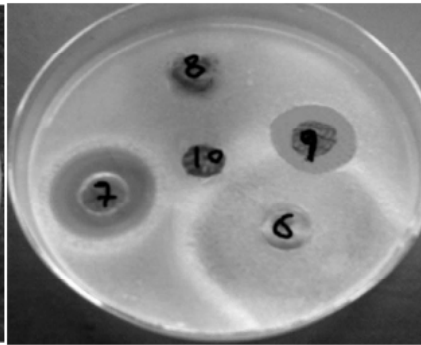
S. pyogenes



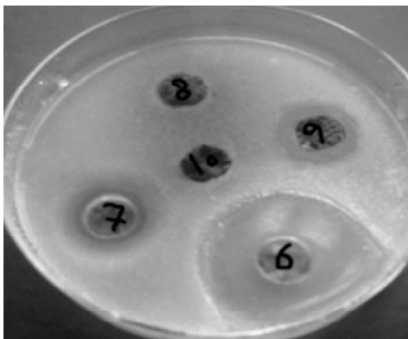
Viridans streptococci



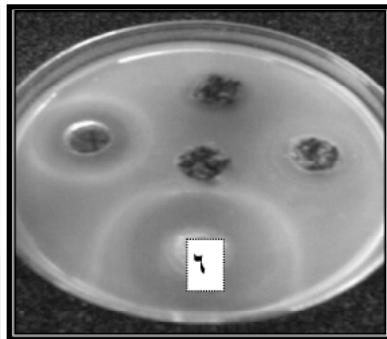
S. aureus



S. pneumoniae



Enterococcus



E. coli

فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « خير تمراتكم البرني، يذهب الداء، ولا داء فيه » رواه الطبراني والحاكم وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: حديث حسن (صحيح الجامع الصغير)..، وقال صلى الله عليه وسلم: « من تصبح بسبع ثمرات عجوة لا يصيبه في هذا اليوم سم ولا سحر » رواه أبو نعيم و أبو داود، و الحاكم، و الإمام الترمذي، وروى في الطب النبوي للإمام الذهبي.

أما ما يتعلق بالسم فقد أجريت تجارب علمية على السم ، فوجد أن هناك للسم الداخلي إنزيم في الكبد مسؤول عن إبطال مفعوله ومعلوم أن الكبد يقوم بعملية مضادة السموم، وعندما تدخل السموم إلى الجسم فإن هذا الإنزيم يرتفع، وعند فحص نسبة هذا الإنزيم في الجسم تجده مرتفعاً. أما عندما تتناول سبع تمرات عجوة لمدة شهر يوماً نجد أن هذا الإنزيم ابتداءً يهبط ، و يدخل في الوضع الطبيعي، ومن الغريب أننا لو تتبعنا الحالة لمدة سنة بعد هذا نجد الإنزيم لا يرتفع بما يعني أنه أصبح هنالك وقاية و شفاء. ولذلك لما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاة خيبر التي كان كتفها مسمومة، و الله سبحانه أنطق الكتف لتخبر النبي أنها مسمومة، كان النبي متصبِحاً بسبع تمرات عجوة فلم يصبه في هذا الوقت سم، وإنما السم وجه تحت الجلد يعني دخل في الدهون تحت الجلد، ولذلك احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكان تخزين هذا الدهن تحت الجلد. كذلك فالعجوة تقي من السم العالي، و هنالك جمعية بريطانية قائمة على دراسة ظاهرة (التليباثي) الاستجلاء البصري أو الاستجلاء السمعي أو التي يسمونها التخاطر عن بعد، بحثت في هذا الحديث بحثاً مستفيضاً، و بجانب الدراسات التي تمت في جامعة الملك عبد العزيز ، وكانت نتائج الدراسات أنه لا تعارض بين هذا الحديث و بين نتائج هذه التجارب.

فمن خلال تجاربها على البشر وجد أن الذين يتعرضون للتسمم كالذين يتعاملون مع مادة الرصاص في صناعة البطاريات يعانون من مشكلة الكادميام و التي هي عبارة عن إحدى العناصر الثقيلة التي تسممها يؤدي إلى الفشل الكلوي، و يؤدي إلى مشاكل كبيرة جداً ، لو تناولوا سبع تمرات عجوة ستكون detoxication أو مضادات السموم في الكبد سليمة، و هنالك حوالي ١٢٠ بحثاً منشورةً حول ذلك، و منهم اليهودي (جولدمان) الذي

نشر بحثاً عن سبع تمرات عجوة ، فبسبع تمرات عجوة تكون Claition أي أن المعادن الثقيلة تدخل الجسم وتتكون لها مركبات مخرقة، تدخل تحت الجلد، بالإضافة إلى أن جزءاً منه يذاب ويخرج في البراز، وجزءاً يذويه وينزله في البول هذه عملية تسمى detoxication أو عملية مضادات السموم التي تتم من تمر العجوة، ولذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «العجوة من الجنة، وفيها شفاء من السم»، «إن العجوة من الجنة، وفيها شفاء من السم». رواه الترمذي في سنن الترمذي الحديث

فقد قام أصحاب ظاهرة التليباثي أو الاستجلاء البصري أو الاستجلاء السمعي والذين هم علماء بريطانيين و أبحاثهم منشورة في المجلة الدورية التي اسموها «تليباثي»، فقاموا بفحص خط الطيف الذي ينتج عن هضم تمر العجوة فوجدوا أنه يُعطي خط طيفٍ لونه أزرق ، قالوا إن اللون الأزرق يستمر لمدة ١٢ ساعة ، وقالوا إن العين هي التي تُسحر، فالسحر ليس هو تغيرٌ في طبيعة الأشياء إنما هو تخيل و سحر للعين ، لذلك قال تعالى: في القرآن الكريم وقال: (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)، وقال مبيناً ما حصل عند سيدنا موسى: (فَإِذَا حَبَّاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ..). فوجدوا أن العين هي التي تُسحر والقدرة السحرية يبطلها أو تمتص كل الألوان ما عدا اللون الأزرق، فالتصبح بسبع تمرات كل يوم ينتج عنها خط طيف لونه أزرق يقي الإنسان من الحسد، ويقيه من السحر. [٥١][٥٢]

وفي هذا المجال يقول الدكتور محمود ناظم النسيمي: السموم أنواع، والتسمم إما أن يكون خارجي المنشأ، يدخل الجسم عن طريق الجروح أو لدغات الأفاعي، أو عن طريق طلاء الحروق الواسعة بمواد تعدُّ سامة بمقدارها الكبير كالمكروكروم، أو عن طريق الفم مع الطعام والشراب أو عن طريق التنفس. وإما أن يكون التسمم داخلي المنشأ كالانسام بالبوله (أوريميا) أو بانحباس الآزوت لقصور كلوي (آزوتيميا) أو الانسام نتيجة التفسخات المعوية وظيفانات الجراثيم والطفيليات. هذا ويتخلص الجسم من جميع المواد الضارة ومن ذيفانات الجراثيم ونتائج تعفن المواد الغذائية في الأمعاء عن طريق ربطها في الكبد ببعض المركبات ومن أهمها الغلوكورونيك الذي يصنعه الكبد نتيجة أكسدة سكر

العنب. ونستطيع القول أن وظيفة الكبد في إبطال المركبات السامة من أهم وظائفه، ولذا كان سكر العنب داخلاً في حمية ومعالجة الانسهمات المختلفة، والتمر والرطب من أغنى الفواكه بهذا السكر. وللحكم الصحية السابقة، ولحكم أخرى قد يكتشفها الطب في المستقبل - الله أعلم بها -، أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتناول الإنسان صباحاً سبع تمرات عجوة قبل الفطور ليمتص سكرها بسرعة ويدخرها في الكبد مما يساعده على تخريب السموم وتعديلها، أضف إلى ذلك المعالجة الروحية وعلو المعنويات الناجم عنها عندما يتصبح المسلم بسبع تمرات يقيناً وتصديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم. [٥٣]

يقول الدكتور عبد الله عبد الرزاق السعيد في كتابه الرطب والنخلة: حقاً إن التمر لا داء فيه، فالجراثيم لا تعيش فيه. فقد لوثت تمور طرية من الأنواع التي تصدر للأسواق الخارجية بجراثيم الهیضة (الكوليرا) وبنسبة ١٠٠ - ١٠٠٠ مرة أكثر مما يشاهد في براز المصابين بالهیضة، واستخدم لذلك ثلاث سلالات مختلفة من الجراثيم الممرضة للكوليرا. وقد ظهر أن الجراثيم لم تعش أكثر من ثلاثة أيام، وهذا يعني أن التمور إذا تعرضت إلى تلوث شديد تصبح خالية من العامل الممرض خلال ثلاثة أيام في الظروف الطبيعية. وقد قام بهذه الأبحاث المعهد البكتريولوجي المركزي العراقي بالتعاون مع الخبير الدولي لمنظمة الصحة العالمية أوسكار فيلزنفلد الاختصاصي بالكوليرا. ويقول الدكتوران النعيمي وجعفي: لقد أشارت دراسات Turel إلى أن وجود طبقة التانين Tannin في الثمرة يحميها من الطفيليات التي تسبب ظهور بقع متفسخة على سطح الثمرة في مرحلة الرطب. [١٦]

وأكدت نتائج الدراسة التي أجريت بإشراف مجموعة من أساتذة متخصصة في علوم الشريعة والأحياء والكيمياء في جامعة الزيتونة، أن التصحيح بأكل التمر يقي الإنسان من خطر السموم بها في ذلك سموم الأفاعي ومثيلاتها من الحشرات السامة.

الدراسة أجريت على أربعة عشر طالباً من طلبة الجامعة المذكورة تطوعوا بالتبرع بالدم على مدار أربعة أسابيع، حيث تم تقسيم الطلبة إلى مجموعتين الأولى جرى إعطائهم سبع تمرات يومياً على الريق في حين أن أفراد المجموعة الثانية لم يتناولوا التمر طوال الشهر، وبعد أخذ عينات دم من المجموعة الأولى وسكب سم الأفاعي عليه لم يطرأ عليه أي تغيير إطلاقاً

في حين بعد سكب سم الأفاعي على عينات دم المجموعة الثانية تبين أن الدم فقد خواصه وتكسرت فيه بصورة تامة كريات الدم الحمراء والبيضاء، وظل لونه يقارب للاصفرار بعد أن فقد خواصه الطبيعية وتلفه بصورة تامة. [٥٤]

وأثبتت الدراسة المصرية التي أجريت في كلية الصيدلة بجامعة القاهرة بعنوان (نوى التمر لعلاج السكري وتخفيض الحرارة) للباحثة الدكتورة سامية عبد الوهاب أن الخلاصة المائية للتمر لها تأثير خافض للحرارة مشابه لتأثير المخفضات الكيميائية، وأن المواد الفعالة للمستخلص المائي لها تأثير خافض لنسبة السكر في الدم بنسبة تقارب مخفضات السكر الكيميائية التي تتناول عن طريق الفم. وأثبتت أن الخلاصة الكحولية والمائية للتمر لها تأثير ملحوظ كمضاد حيوي لبعض الميكروبات المرضية، وتحتوي على بعض الأحماض الأمينية التي لها تأثير فعال في تقوية الذاكرة إضافة إلى بعض الهرمونات التي تشابه الهرمونات الموجودة بالجسم مثل الاستروجين. [٥٥]

وأيضاً نشر دراسة حديثة لعام ٢٠٠٧م في المملكة العربية السعودية عن تأثير التمور على جهاز المناعة عند الحيوان حيث أظهرت الدراسة زيادة كبيرة في الأجسام المناعية في الحيوانات التي أحتوى غذاؤها على التمور. وقد ظهرت دراسة حديثة، نشرتها إحدى مجلات التغذية الأمريكية وهي مجلة Journal Of American Dietetic أوضحت فوائد التمر في علاج الإمساك، والوقاية منه ومن أمراض البواسير. [٥٦]

ويقول الدكتوران النعيمي وجعفي: لقد أشارت دراسات Turel إلى أن وجود طبقة التانين Tannin في الثمرة يحميها من الطفيليات التي تسبب ظهور بقع متفسخة على سطح الثمرة في مرحلة الرطب.

وجاء في عدد من البحوث أجريت في عدد من الجامعات في المملكة عن النخيل، وقد أثبتت أن النخلة لها فائدة أكبر، وذات قيمة غذائية كبيرة، وأن تركيب نواة التمر من حيث العناصر يشابه إلى حد كبير التركيبة الغذائية لحليب الأم المرضع، وهذه الحقيقة يجب الاستفادة منها واستغلالها في إعداد حليب الأطفال المصنع وبعض الأطعمة مثل الخبز والمعجنات، ومما لا شك فيه أن قيمتها الغذائية الطبيعية سوف ترتفع وتعم الفائدة. [١٦]

وفي هذا السياق، أكدت دراسة علمية أجراها المركز القومي المصري للبحوث، أن التمر أو البلح المجفف يساعد في الحماية من السرطان، وتسوس الأسنان، ويقوى العصب البصري. وبينت الدراسة أن أثر الوقاية الصحية في التمر يعود إلى احتوائه على مجموعة كبيرة من العناصر الغذائية، أهمها الحديد والمغنيسيوم ومجموعة فيتامين (ب) ومادة الفلوريد التي تزيد نسبتها في التمر عن الفواكه الأخرى بخمسة أضعاف. يحتوي التمر على فيتامين (ج) وبروتين وسكريات بنسبة ٨٥ بالمائة، ودهون وألياف وأحماض أمينية تنشط التفاعلات الكيميائية، وذلك حسب ما نقلته وكالة الأنباء السعودية. ودعت الدراسة المصرية إلى ضرورة إدخال التمر ضمن غذاء الأطفال لأنه يمنحهم المزيد من السكريات اللازمة لتوليد الطاقة، ويذكر أن القائمين على شؤون التغذية يشددون على أهمية استبدال الحلويات الرضائية بالتمر والفاكهة المجففة، والابتعاد عن الدهون والمقالي قدر المستطاع.

أما قشرة التمر فهي غنية في الفلافونويدات التي اكتسبت أهمية كبيرة في السنوات الأخيرة كمضادات للأكسدة، فلها نشاطات فسيولوجية متعددة من أهمها أنها تعمل منشطاً ومحفزاً للقلب، وهي تعمل حتى في وجود كميات قليلة منها. كما أنها تقوي جدران الأوعية الدموية الشعرية وتمنع نفاذيتها ونزيفها، كما أنها تعمل كمضادات للفطريات والبكتيريا والفيروسات وكمواد مانعة للسرطان. [٥٨].

وتقول د. منى تركي الموسوي مديرة مركز بحوث السوق وحماية المستهلك في جامعة بغداد: أن من أهم مميزات التمر أنه لا ينقل الميكروبات المرضية التي قد تصيب الإنسان، وقد يستخدم في علاج أمراض الحلق واللوزتين، وعلاج الأمراض الصدرية والربو، وفي إعطاء القوة والنشاط والحيوية. كما أن له قيمة دوائية ما يفقده أرباب الفكر والقلم من جهد، وفي إزالة الشعور بالدوران والكسل والتراخي وزوغان البصر الذي يتتاب الصائمين، كما أنه أفضل غذاء ودواء لرجال الفضاء، بالإضافة إلى أنه ينظف الجسم ويقيه من الأمراض الجلدية فضلاً عن أنه أفضل غذاء للمقاتل في الحرب لإعطائه السرعات الحرارية وينشط الغدة الكظرية [٥٩]

المراجع:

- [١] عن مجلة العربي - عدد آذار ١٩٨١ م، ربيع الثاني ١٤٠١ هـ
- [٢] الإمام مسلم: في كتابه الجامع الصحيح، منشورات دار الأفاف الجديدة، بيروت
- [٣] الإمام البخاري في كتابه صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت
- [٤] لسان العرب المحيط ابن منظور مؤسسة الاعلمي - بيروت
- [٥] دكتور حسان شمسي باشا عن كتابه (الأسودان: التمر والماء)، جدة، ١٩٩٢
- [٦] الدكتور جبار حسن النعيمي والدكتور الأمير عباس عن كتاب (الرطب والنخلة) لعبد الرزاق السعيد، جدة ١٩٨٥
- [٧] جميل القدس الدويك: تأملات في النخلة و الطب - مجلة الإعجاز العلمي - عدد (١٣) - ١٤٢٣ هـ
- [٨] غريب جمعة: الرطب بين القرآن والعلم - المجلة العربية - ذو الحجة - ١٤١٥ هـ.
- [٩] <http://www.moderncafe.net>
- [١٠] مصيقر عبد الرحمن. ٢٠٠٥. القيمة الغذائية للتمور وفوائدها الصحية. من: نخيل التمر من مورد تقليدي إلى ثروة خضراء. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية. الطبعة الأولى: ٤٦٩-٤٩١.
- [١١] الرضيان خالد بن ناصر. ٢٠٠٦. القيمة الغذائية والعلاجية للتمور. جامعة القصيم. المملكة العربية السعودية.
- [١٢] الملف نت <http://majdah.maktoob.com>
- [١٣] الدكتور جبار حسن النعيمي والدكتور الأمير عباس عن كتاب (الرطب والنخلة) لعبد الرزاق السعيد _ جدة ١٩٨٥
- [١٤] عن مقالة لأجود الحراكي عن التمر، مجلة حضارة الإسلام، العدد ٧ المجلد ١٨ لعام ١٩٧٧ أيلول
- [١٥] عبد السلام نبيل علي. ١٤٢٦ هـ. العلاج بالتمر والرطب. دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير.
- [١٦] السعيد عبد الله الرزاق كتاب (الرطب والنخلة)، جدة ١٩٨٥ م

[١٧] الرضيّان خالد بن ناصر. ٢٠٠٤. القيمة الغذائية والعلاجية للتمور. المجلة الزراعية إدارة العلاقات العامة والإعلام الزراعي. وزارة الزراعة. المملكة العربية السعودية. المجلد ٣٥ العدد الرابع شوال ١٤٢٥ هـ.

[١٨] الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرک علی الصحیحین دار الكتاب العربي-بيروت

[١٩] الطبراني في كتابه المعجم الكبير مؤسسة الرسالة الشركة المتحدة بيروت

[٢٠] الشيخ ناصر الدين الألباني في كتابه صحيح الجامع الصغير صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير المكتب الإسلامي-بيروت

[٢١] الإمام أبو داود في كتابه سنن أبي داود نشر وتوزيع محمد علي السيد، حمض

[٢٢] الإمام الترمذي في كتابه الجامع الصحيح (سنن الترمذي) بتحقيق وشرح أحمد شاکر الناشر دار الكتب العلمية بيروت

[٢٣] الإمام الذهبي في كتابه الطب النبوي. الناشر: دار إحياء العلوم بيروت

[٢٤] الإمام أحمد في مسنده. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وجماعة. الطبعة الثانية. الناشر مؤسسة الرسالة

[٢٥] الإمام الحافظ ابن كثير في كتابه تفسير القرآن العظيم الناشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت

[٢٦] محمد العربي الخطابي عن كتابه الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي دار الغرب الإسلامي-بيروت

[٢٧] ابن حجر العسقلاني عن كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ عالم الكتب-بيروت

[٢٨] المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي الأنصاري دار الكتاب المصري/ دار الكتاب اللبناني-بيروت

[٢٩] المناوي عن كتابه فيض القدير شرح الجامع الصحيح مؤسسة البلاغ-بيروت

[٣٠] الإمام الحافظ محيي الدين النووي شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت

[٣١] القرطبي التمهيد شرح الموطأ مؤسسة الرسالة/ الشركة المتحدة-بيروت

[٣٢] ابن القيم الجوزية عن كتابه زاد المعاد مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت

[٣٣] البجيرمي عن كتابه تحفة الحبيب على شرح الخطيب دار المعرفة

[٣٤] الطحاوي عن كتابه شرح معاني الآثار عالم الكتب-بيروت

- [٣٥] الدراري المضوية شرح الدرر البهية الإمام الشوكاني مؤسسة الريان-بيروت
- [٣٦] داود الأنطاكي عن كتابه تذكرة أولي الألباب
- [٣٧] ابن البيطار: عن كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية).
- [٣٨] صبري القباني عن كتابه الغذاء لا الدواء
- [٣٩] عبد السلام نبيل علي. ١٤٢٦ هـ. العلاج بالتمر والرطب. دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير.
- [٤٠] مصيقر عبد الرحمن. ٢٠٠٥. القيمة الغذائية للتمور وفوائدها الصحية. من: نخيل التمر من مورد تقليدي إلى ثروة خضراء. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية. الطبعة الأولى.
- [٤١] الرضيان خالد بن ناصر. ٢٠٠٤. القيمة الغذائية والعلاجية للتمور. المجلة الزراعية إدارة العلاقات العامة والإعلام الزراعي. وزارة الزراعة. المملكة العربية السعودية. المجلد ٣٥ العدد الرابع شوال ١٤٢٥ هـ.
- [٤١] الدكتور عبد الباسط محمد السيد أستاذ مادة الجراثيم و المكروبات في الجامعات المصرية عن كتابه التداوي بالنبات و الطب النبوي.
- [٤٢] محمد على البار: تخنيك المولود وما فيه من أعجاز علمي، مجلة الإعجاز العلمي العدد الرابع
- [٤٣] <http://www.khayma.com/dates>
- [٤٤] الدكتور ظافر العطار: خواص اللعاب الشفائية، مجلة طب الفم السورية، العدد الأول لعام ١٩٨٧م
- [٤٥] Salivary secretion. In L. R. Johnson (Ed.) Gastrointestinal. (١٩٨١). Jacobson E. D
- .St. Louis: The C.V. Mosby Company. (٥٤-٤٦. physiology (Second ed. pp
- ٧٦٢٢=<http://www.aklaam.net/forum/showthread.php?t>
- <http://www.dentistry.nus.edu.sg>
- [٤٨] دكتور محمود ناظم النسيمي: عن كتابه (الطب النبوي والعلم الحديث).
- [٤٩] <http://www.sanabes.com>
- [٥٠] الدكتور أحمد عبد الرؤوف هاشم عن كتابه رمضان والطب
- [٥١] الدكتور عبد الباسط محمد السيد أستاذ مادة الجراثيم و المكروبات في الجامعات المصرية عن كتابه التداوي بالنبات و الطب النبوي

[٥٢] <http://www.amaneena.com/m.htm.٧٦>

[٥٣]. دكتور محمود ناظم النسيمي: عن كتابه (الطب النبوي والعلم الحديث). المجلد ٣

[٥٤] <http://www.islammemo.cc/article١.aspx?id=٣٧٣٥>

[٥٥] الدكتورة سامية عبد الوهاب: «نوى التمر لعلاج السكري وتخفيض الحرارة»، كلية الصيدلة، جامعة القاهرة.

[٥٦] إصدارات ندوة النخيل الرابعة بالمملكة العربية السعودية - جامعة الملك فيصل ٢٠٠٧م.

[٥٧] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

[٥٨] وكالة الأنباء السعودية.

[٥٩] من موقع جريدة الصباح التمور التاريخ : Sunday June ١٠ اسم الصفحة علوم



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الإعجاز العلمي في لون العسل وعلاقته بحصوات الكلى

أحمد بن سطاتل

أستاذ الكيمياء بجامعة الجلفة



ما ورد عن العسل

١ - في القرآن الكريم

جاء ذكر العسل في القرآن الكريم في موضعين وعلى صورتين صورة أرضية وأخرى علوية

الموضع الأول:

في الآيتين ٦٨ و ٦٩ من سورة النحل، ومن العجيب أن تسمى هذه السورة باسم الحشرة التي تنتج مادة العسل حيث يقول تعالى:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)﴾ النحل

يقول الرازي في مقدمة تفسيره لهذه الآية: اعلم أنه تعالى: لما بين أن إخراج الألبان من النعم وإخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعشاب دلائل قاهرة وبيانات باهرة على أن لهذا العالم إلهاماً قادراً مختاراً حكيماً، فكذا إخراج العسل من النحل دليل قاطع وبرهان ساطع على إثبات هذا المقصود.

(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ): يقال وأوحى، وهو الإلهام والمراد منه أنه تعالى: قرر في نفسها هذه الأعمال العجيبة مثال بناء بيوت سداسية الشكل من أضلاع متساوية بالغة في الدقة بمجرد طبعها وغير ذلك مما تقوم به من أعمال.

(أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ): يقول القرطبي جعل الله بيوت النحل في ثلاثة أنواع: الجبال وكواها، متجوف الأشجار، فيما يعرش ابن آدم من الأجباح (مواضع النحل في الجبل وفيها تعسل) والخلايا والحيطان وغيرها، وذكر الكشاف أن يعرشون هي ما يرفع من سقوف البيوت على اختلافها وأنواعها.

(تَمُّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ): أي كل ثمرة تشتهينها و«من» هنا تفيد التبويض لأن النحلة لا تأكل من الثمار إلا تلك الذرات من الأزهار وأوراق الأشجار.

(فَاسْلُكِي سَبْلَ رَبِّكَ): أي الطرق التي تمك وتفهك في عمل العسل أو بمعنى فاسلكي سبل ربك في طلب تلك الثمرات.

(دُّلَالًا): فيه قولان: أولها أنه حال من السبل لأن الله ذللها لها ووطأها وسهلها كقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [الملك: الآية ١٥] وأما الثاني: أنه حال الضمير في (فاسلكي) أي: أنت أيها النحل ذلل منقاداً لما أمرت به غير ممتنعة.

بعد أن خاطب الله تعالى: النحل أخبر الناس بفوائدها لأن النعمة لأجلهم فقال تعالى: (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا) وفيه قولان، من الناس من يقول العسل عبارة عن أجزاء طرية تحدث في الهواء وتقع على أطراف الأشجار وعلى الأوراق والأزهار فيلتقطها الزنبور بفمه، فإذا ذهبنا إلى هذا الوجه كان المراد (يخرج من بطونها) أي: من أفواهها، وكل تجويف داخل البدن فإنه يسمى بطناً مثل قولهم بطون الدماغ والمقصود منه تجويف الدماغ، وأما على قول أهل الظاهر هو أن النحلة تأكل الأوراق والثمرات ثم تقيء ذلك هو العسل.

(شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ): وصف العسل بأنه شراب لأن العسل عند العرب داخل في الأشربة يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «لقد سقيت النبي صلى الله عليه وسلم بقدحي هذا الشراب كله العسل والماء واللبين» (أحمد في مسنده ٣ / ٢٤٧) بإسناد صحيح) وفي ذلك يقول ابن عاشور عبر عن العسل باسم الشراب دون العسل لما يومئ إليه اسم الجنس في معنى الانتفاع به، وهو محل المنة، وكما يترتب عليه جملة (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ)، وسمي شراباً لأنه مائع يشرب شرباً، ولا يمزج، ويقول المراغي في تفسيره أي: يخرج من بطونها عسل مختلف الألوان فتارة يكون أبيض وأخرى أصفر، وحيناً أحمر على حسب اختلاف المراعي، ويقول القرطبي: (مختلف ألوانه) يريد أنواعه الأحمر والأبيض والأصفر، والجامد والسائل، والأم واحدة، والأولاد مختلفون دليل على أن القدرة نوعته بحسب تنوع الغذاء، كما يختلف طعمه بحسب اختلاف المراعي، ويضيف ابن عاشور: وذلك من الآيات على عظيم القدرة ودقيق الحكمة.

ويقول الرازي: والمعنى منه الأحمر والأبيض والأصفر، ونظيره قوله تعالى: (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) [فاطر: الآية ٢٧].

(فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ): فيه قولان:

أولهما : أن العسل فيه شفاء من كل داء، وبالاستقراء لآثار السلف من الصحابة والتابعين نجدهم درجوا على الاعتقاد بأن الشفاء من جميع الأمراض محقق بالعسل استنادا إلى نص القرآن ، وهذا يعني أنهم فهموا من النص القرآني أنه شفاء من كل داء.

أما الثاني: أن (فيه شفاء) جاءت نكرة لم تعمم على جميع الأسقام ولوقال فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء، ولقد رد عليهم بما ورد في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم أورد الشفاء معرفا لا منكرا بقوله :

« عليكم بالشفاءين » (ابن ماجة بإسناد صحيح) والسنة كما هو معروف مبينة للقرآن ثم إن إيراد السنة المطهرة شفاء العسل مقترنا بشفاء القرآن الكريم يدل على عموم الشفاء في العسل لجميع الأسقام الجسدية لأنه جاء مقترنا مع شفاء يعم جميع أسقام النفس وهو شفاء القرآن والله أعلم.

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ): يقول الرازي: واعلم أن تقرير هذه الآية من وجهين.

١. اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة ، والمعارف الغامضة مثل بناء البيوت المسدسة، وسائر الأحوال الأخرى.

٢. اهتدائها إلى جمع تلك الأجزاء العسلية من أطراف الأشجار والأوراق ثم إلهام النحل إلى جمعها بعد تفرغها ، وكل ذلك أمور عجيبة دالة على أن إله العالم بنى ترتيبه على رعاية الحكمة والمصلحة.

الموضع الثاني :

ذكر العسل بصريح لفظه في أثناء تصوير العالم الغيبي حيث قال تعالى :

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [سورة محمد: الآية ١٥]

وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن الذي جاء فيه ذكر العسل بلفظه الصريح.

(وَأَنهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى): يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: أي: هو في غاية الصفاء، وحسن اللون والطعم والريح، ويقول الزمخشري وأبو السعود: مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره، ويقول المراغي في تفسيره: أي فيها أنهار من عسل قد صفي من القذى، وما يكون في عسل أهل الدنيا قبل التصفية من الشمع، وفضلات النحل وغيرها. وبدأ بالماء لأنه لا يستغنى عنه في الدنيا ثم باللبن لأنه يجري مجرى المطعم عند كثير من العرب، و في غالب أوقاتهم ثم بالخمير لأنه إذا حصل الري والشبع تشوقت النفس لما يستلذ به ثم بالعسل لأن فيه الشفاء في الدنيا مما يعرض من المشروب والمطعم.

٢- في السنة النبوية:

ورد ذكر العسل في أحاديث كثيرة نذكر منها :

- عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عليكم بالشفاءين العسل والقرآن»^(١).
- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما طلب الدواء بشيء أفضل من شربة عسل»^(٢).

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب أبواب الطب/ ٣٤٥٢.

(٢) أخرجه الهندي، في كنز العمال ج ١٠، باب التداوي بالعسل أو النار أو الحمامة/ ٢٨١٦٨، ص ٢٠. وهو ضعيف

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء»^(١).
- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «درهم حلال يشتري به عسلاً ويشرب بهاء المطر شفاء من كل داء»^(٢).
- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن كان في شيء من أدويتكم - أو يكون في شيء من أدويتكم - خير ففي شربة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي».
- عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشربة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي»^(٣).
- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم الشراب العسل يرفع القلب ويذهب برد الصدر»^(٤). رواه الديلمي.
- عن أبي سعيد قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخي يشتكي بطنه فقال: «إسقه عسلاً» ثم أتاه الثانية فقال: «إسقه عسلاً» ثم أتاه الثالثة فقال: «إسقه عسلاً» ثم أتاه فقال: فعلت فقال: «صدق الله وكذب بطن أخيك إسقه عسلاً» فسقاه فبرأ^(٥).
- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الخاصرة عرق الكلية إذا تحرك أذى صاحبها فداووها بالماء المحرق والعسل»^(٦).

(١) أخرجه الهندي، كنز العمال، ج ١٠، التداوي بالعسل/ ٢٨١٦٩، ص ٢٠. وهو ضعيف

(٢) أخرجه الهندي، كنز العمال، باب التداوي بالعسل/ ٢٨١٧٦، ص ٢٠. وهو ضعيف

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، ٥٦٨٠ / ٥٦٨١، وباب الدواء بالعسل، ٥٦٨٣، ص ٤٨٦.

(٤) أخرجه العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ج ٢ / ٢٨١٦، ص ٤٢٣

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الدواء بالعسل/ ٥٦٨٣، وباب دواء المبطن ٥٧١٦، ص ٤٨٩.

(٦) أخرجه الهندي، في كنز العمال، ج ١٠، باب التداوي بالعسل أو النار أو الحجامة/ ٢٨١٧٤، ص ٢٠. ضعيف

٣- ما ورد عن العسل في الأثر^(١):

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن العسل فيه شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور». وقال علي رضي الله عنه: «كونوا كالنحل كل طير يستضعفها وما علموا ما يبطنها من النفع والشفاء» وقال: «أشرف لباس ابن آدم لعاب دودة وأشرف شرابه رجيع نحلة».

وكان الحسن بن علي يكره شرب الأدوية كلها إلا العسل وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا جعل عليه عسلاً حتى الدمّل إذا كان به طلاه عسلاً، فقال له تلميذه نافع تداوي الدمّل بالعسل فقال: أليس يقول الله: (فيه شفاء).

وكان ربيع بن خيثم وهو من كبار التابعين يقول: «ليس للنفساء مثل الرطب ولا للمريض مثل العسل».

وحكى النقاش عن أبي وجرة وهو من التابعين أنه كان يكتحل بالعسل ويستمشي بالعسل ويتداوى بالعسل.

وروي أن عوف بن مالك الأشجعي مرض فقيلاً له ألا نعالجك فقال: إئتوني بهاء فإن الله تعالى يقول: (ونزلنا من السماء ماءً مباركاً) ثم قال: إئتوني بعسل فإن الله تعالى يقول: (فيه شفاء للناس) وأتوني بزيت فإن الله تعالى يقول: (من شجرة مباركة) فجاءه بذلك كله فخلطه جميعاً ثم شربه فبرأ.

(١) لم نعثر على إسناد هذه الآثار - والله أعلم .

لمحة تاريخية عن العسل

عرف الإنسان العسل منذ أن وجد على سطح الأرض، وفيما يلي أهم الحضارات التي عرفت العسل.

١- العسل في مصر القديمة (عهد الفراعنة) :

كان المصريون القدماء من أوائل من وصف استعمال العسل في العلاج، فقد وجدت صور للعسل منقوشة على بعض الآثار الفرعونية، كما وجدت مقادير من العسل في مقابر فرعونية، لم تفسد وإنما تغير لونها فقط إلى لون مسود، كما عثر على ملاعق في برميل عليها آثار العسل. كما عثر في أحد أهرامات الفراعنة بمصر على جثة طفل مغمورة داخل إناء مملوء بالعسل.

وقد اكتشف العلماء أن العسل قد دخل في أكثر من خمسمائة وصفة طبية ظهرت في أشهر الكتب الطبية المصرية ، وهو ما يسمى (أوراق بردي سميث)، كما وجدت وثيقة على أوراق البردي تحمل عنوان:

(كتاب تحضير الأدوية لكل أمراض الجسم)، ويدخل العسل بشكل أساسي في تركيبها، كما استخدم الفراعنة العسل في تخنيط موتاهم وعمل الضمادات الطبية و العمليات الجراحية .

٢- العسل عند الإغريق والرومان :

نجبرنا "أثنافيوس" أن أتباع "فيثاغورس" كانوا يأكلون العسل يوميا ويعزون تعميرهم في الحياة لهذه العادة.

كتب بليني الذي عاش ما بين "٢٣" وحتى "٧٩" سنة ما قبل الميلاد ما يلي: (إذا أراد الإنسان أن يعمر في هذه الدنيا ويحيا حياة صحية فعليه أن يأكل العسل كل يوم)

وقد بنى هذه النصيحة على تجارب طويلة حصل عليها خلال أسفاره و ترحاله في البلاد، وقد لاحظ خلال تجواله أقواما كانوا يعمرن طويلا ، ولم يكن فيما بينهم عامل مشترك سوى تناول العسل بانتظام.

كما مدح "أبو قراط" العسل واعتبره علاجاً فعالاً جداً للجروح والتقرحات ، ووصف استعماله في معالجة الأمراض الصدرية والجلدية ، كما كان "هوميروس" يتغنى بمدائح العسل ، وبخصائصه الممتازة في ملحميته الخالدين الإلياذة والأوديسا ، ويصف في الإلياذة كيف جهزت "أجاميدا" شراباً منعشاً من العسل لمحاربي الإغريق .

كان "ديموقريتس" يأكل العسل مع الطعام ، وعاش أكثر من مئة عام ، ولما سئل عن نصيحته لحفظ الصحة قال : (يجب على الناس أن تأكل العسل وتدهن بشرتها بالزيت) .

٣ - العسل عند الصينيين القدامى :

استعمل الصينيون العسل كعلاج طبيعي ، ولم يتخذوه كمادة محلية بسبب وجود قصب السكر بوفرة لديهم . وصف العسل في أحد الكتب الصينية القديمة بأنه " دواء الخلود " وما زال للعسل دور ملحوظ في الطب الشعبي في الصين حتى الآن .

٤ - العسل في الهند القديمة :

وجد الباحثون أن العسل قد ذكر في كتب الهندوس الطبية القديمة والتي تسمى "فيدا" والتي يقدر عمرها بأكثر من ٣٠٠٠ سنة ، ومن هذه الكتب الطبية كتابان أحدهما جراحي والآخر للطب العام ، حيث نجد في هذا الكتاب ذكر لثمانية أنواع من العسل ، ولكل منها استعمالات طبية وخصائص تنفرد بها عن غيرها ، وقد وصفت بعض أنواع العسل في معالجة الربو؛ وبعضها الآخر في معالجة أمراض جلدية معقدة . وقد كتب البروفيسور "غودبول" العالم الهندي الشهير الذي درس استعمالات العسل في الطب الهندي القديم ، يقول: (بالرغم أننا نجهل العديد من المكونات الكيميائية للعسل فإننا لا شك ندرك أن طرق استعمال العسل قد عرفت جيداً واستخدمت بشكل ذكي على مدى العصور) .

وتقول كتب الفيدا الطبية القديمة : (إن حياة الإنسان يمكن إطالتها إذا حافظ الإنسان على وجبة معينة أهم عناصرها اللبن والعسل) .

٥ - العسل عند العرب والمسلمين :

لقد عرفت العرب النحل والعسل منذ زمن بعيد ، وتحديثوا عنها في شعرهم ونثرهم

فقد وصفوا النحل نثرا كما يلي : (وكفى النحلة فضيلة ذاتا، وجمالة صفاتا أنها أوحى إليها، وأثنى في الكتاب عليها، تعلم مساقط الأنواء وراء البيداء فتقع هناك عن نواراة عبقة، وبهارة آبقة، وترتشف منها ما تحفظه رضابا، وتلفظه شرابا، وتتجافى بعدا منه عن أكرم مجتنى وأحكم مبتنى)، ووصفوه شعرا حيث وصف الشاعر إبراهيم بن خفاجة الأندلسي هدية عسل جاءت من صديق فقال:

لله ريقة نحل رعى الربى والشعابا
وجاب أرضا فأرضا يغشى مصابا مصابا
حتى ارتوى من شفاء يمج منه رضابا
إن شئت كان طعاما أو شئت كان شرابا

وجاء في كتاب الطب النبوي لابن القيم : (هو غذاء مع الأغذية، ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وحلو مع الحلوى، وطلاء مع الأطلية، ومُفْرَح مع المفْرَحَات، فما خُلِقَ لنا شيء في معناه أفضل منه، ولا مثله، ولا قريبا منه، ولم يكن معوّل القدماء إلا عليه، وأكثرُ كتب القدماء لا ذكر فيها للسكر البتة، ولا يعرفونه، فإنه حديث العهد حدث قريبا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشربه بالماء على الرقيق، وفي ذلك سرٌّ بديع في حفظ الصحة لا يُدرکه إلا الفطن الفاضل .)

تعريف العسل

هو مادة سائلة تخرجها النحل من بطونها وتنتجها من عناصر سكرية تفرزها أزهار بعض النباتات الطبية فيمتصها النحل ، ويصنعها في جسمه، ويخرجها سائلا يضعه في ثقب مهياة صنعها النحل من الشمع تسمى النخاريب تعدها النحل لتضع العسل فيها ثم تسترها بغلاف رقيق من الشمع. تختلف أنواع العسل باختلاف مصدر الرحيق من حيث اللون - الرائحة - المذاق - قابلية العسل للتبلور و الكثافة و القلوية ... الخ ، وهناك عوامل أخرى تؤثر في صفات العسل مثل نوع التربة و العوامل الجوية وغيرها .

للعسل أسماء كثيرة منها "الشهد" ويعني العسل المختلط ما دام لم يعصر من شمعه وكذلك "الضرب"، ويطلق على العسل الأبيض الغليظ "الجامد"، وكذلك "الذوب"، ويطلق على العسل الصافي الخالي من أي شائبة، وأيضا "رحيق النحل" أي الصافي والخالص من منتج النحل.

محتويات العسل

يدخل في تركيب العسل ما يزيد على سبعين مادة مختلفة أهمها :

١ - مجموعة السكريات

وتمثل نسبة ٩٥٪ إلى ٩٩٪. ويبلغ عددها أكثر من "١٥" نوعاً لكنها ليست موجودة في نفس الوقت بكل الأعسال، مثل: (الجلوكوز- الفركتوز- دكسترا تريوز- رافنوز- ميليزيتوز- كستوز- ارلوز- ايزوملتوز- مالتوز- تورانوز- نيجروز- مالتولوز- كوجيوز- ليفولوز- سكاروز- فيكروز- ميلبيوز.....).

٢ - مجموعة الفيتامينات

تمثل مجموعة فيتامينات «أ» و«د» نسبة ضئيلة مقارنة بالمجموعة «ب» مثل: (ثيامين ب١- ريبوفلافين ب٢- بانتوثينيك ب٣- نيكوتين ب٤- نياسين ب٥- بيريدوكسين ب٦- البيوتين ب٨- حمض الفوليك ب٩- فيتامين ك- الأسكوربيك ج- الكاروتين الذي يتحول في الكبد إلى فيتامين أ- فيتامين هـ - ...)

٣ - مجموعة الإنزيمات

يجوي العسل ما يزيد على تسعة أنواع من الخمائر (الإنزيمات) مثل: (الأنفرتاز- الأميلاز- الكاتالاز- الفوسفاتاز- جلوكوز أكسيداز- الدياتاز.....).

٤ - مجموعة الأملاح المعدنية

تمثل ما يقارب ١٠٪ والنسبة الأكبر من المعادن تكون في العسل الداكن مثل: البوتاسيوم،

والذي يمثل نصف النسبة، أما المعادن الأخرى فهي (الحديد - النحاس - الفوسفور - ماغنسيوم - صوديوم - كالسيوم - كبريت - يود - منجنيز - سيلكا - كلور - سيلنيوم - الزنك - البور - الباريوم -).

يختلف وجود هذه المعادن باختلاف أنواع العسل فالعسل الداكن اللون يحتوي عادة على كمية أكبر من العناصر المعدنية وهذه المعادن تنفرد في الماء وتعطي للعسل شحنة قلووية عالية تقلل من الحموضة الموجودة فيه.

٥ - مجموعة الأحماض العضوية

يحوي العسل ما يزيد على اثني عشر نوعاً من الأحماض العضوية (acides organiques) التي تنتقل إلى العسل من غدد النحلة مثل: (الستريك - اللكتيك - الخليك - الفورميك - البيوتريك - التانيك - الاكساليك والبالميتيك والأولييك - حمض قلوكونيك - السكسينيك)

٦ - مجموعة الأحماض الأمينية

تم التعرف على حوالي «٢١» نوعاً منها: (البرولين والجلوتاميك والألانين والجليسين والليوسين والتريبتوفان والأرجنين والهستيدين والميثونين والتيروسين والبيروتين).

٧ - مجموعة المواد الدهنية

توجد بكميات ضئيلة مثل الجليسرول والأستيرولات والفوسفوليبيدات.

٨ - مجموعة البروتينات

مثل (بيبتون - ألبيمين - غلوبولين - نيكيلوبروتين . . .) بالإضافة إلى الماء ومكونات طيارة ومواد عطرية وصبغيات وغرويات .

وللمزيد عن مكونات العسل علينا مطالعة المقال المعنون :

Chemical composition of HoneyFaten Abd El-Hady & Ahmed G. Hegazi National Research Center Dokki Giza Egypt

الاستعمالات الدوائية للعسل

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي في سلسلة دروسه الخاصة في تفسير سورة النحل: (قال بعض العلماء: إن العسل صيدلية كاملة ، فالعسل قبل كل شيء وسط غير صالح لنمو الجراثيم ، والبكتريا ، والفطريات ، لذلك جميع أمراض الجهاز الهضمي الإثنائية التي تسببها الجراثيم يتم علاجها بالعسل). كما يعتبر العسل علاج لفقر الدم ، إذ أن تناول العسل يرفع نسبة خضاب الدم من ٥٧٪ إلى ٨٠٪ والطريقة تتم بتناول ملعقة صغيرة من العسل مذابة في الماء قبل الإفطار مدة أربعة أشهر.

العسل شفاء لأمراض كثيرة منها :

١ - الجهاز التنفسي

كل أنواع الحمى الراشحة ، ضيق التنفس ، والربو، أمراض الرئة ، الرغامى ، الحنجرة وفي بعض أنواع الحساسية الصدرية .

٢ - الجهاز الدوري والعصبي

تقوية عضلة القلب، لأن عضلة القلب غذاؤها الفعال هو العسل،، ضبط ضغط الدم ، مهدئ للجهاز العصبي المتوتر ، وله تأثير إيجابي ومفيد على المراكز والخلايا العصبية. ومضاد للصداع والأرق، وذلك نظرا لاحتوائه على مواد مهدئة.

٣- الجهاز الهضمي

أمراض المعدة والأمعاء بما فيها الحموضة وعُسر الهضم والانتفاخ والإسهال، واضطرابات المصران الغليظ (القولون)، كما يفيد أمراض الكبد إذ يعتبر منشطاً من الطراز الأول لوظائف الكبد ويقي من تشمع الكبد.

٤ - أمراض الجلد

يستعمل العسل كضادات ومراهم لبعض الدمامل و البثور، كما أن للعسل أهمية كبيرة في الحفاظ على نضارة البشرة وصفائها ، لذلك فهو يدخل في كثير من التركيبات

الخاصة بالعناية بالبشرة والشعر.

٥ - أمراض العين

التهاب القرنية، التهاب حواف الجفون، قروح القرنية، كما يستعمل العسل في علاج الإصابة بفيروس الهربس وما يترتب عليه من مضاعفات، وفي علاج الرمد البثرى، وحروق العين المختلفة، وله أيضاً فائدة في التهاب واحتقان وجفاف الملتحمة المزمن.

٦ - أمراض النساء

له تأثير إيجابي في حالات تسمم الحمل، كما أنه يساعد على قوة انقباض الرحم أثناء الولادة، ويعتبر غذاء فعالاً، وعلاجاً للأمراض الطبيعية التي تنشأ عقب الحمل مباشرة. إن العسل حلو المذاق، وفيه كمية سكر عالية جداً، إلا أنه لا يزيد مرض السكر خطورة، لكن يجب أخذه بمقادير معقولة وتحت إشراف الطبيب المعالج كما يعتبر العسل علاجاً فعالاً لاضطرابات طرح البول.

العسل والألوان

للعسل ألوان مختلفة تتراوح بين الأبيض المائي والناصح، والعنبري الفاتح، والفاتح جداً، وكذلك الغامق، هذه الأصباغ هي من مشتقات الكلورفيل والكاروتين والزانثوفيل وصبغات غير معروفة بعد.

من أكثر الأسباب تأثيراً بلون العسل هي كمية الأملاح المعدنية التي تسبب زيادتها زيادة في درجة اللون الأغمق للعسل، كما أن حرارة الجو تسبب أيضاً تغير اللون، وإذا سخن العسل يغمق لونه، وإذا حفظ في حرارة غير مناسبة تأثر لونه.

إن اختلاف تركيب التربة الكيماوي يؤدي إلى اختلاف لون العسل، وذلك أن رحيق الأزهار يعتمد اعتماداً كبيراً على ما يمتصه النبات من المعادن التي في التربة.

يقول الدكتور إبراهيم عبدالله سعد العريضي: (يرجع اختلاف اللون بين أنواع العسل إلى اختلاف المصادر الزهرية الرحيقية لكل نوع حيث يختلف لون العسل من

الأبيض المائي إلى العنبري الداكن جدا، ويرجع مصدر الألوان أساسا إلى صبغات طبيعية).
ويقول الدكتور محمد راتب النابلسي: هناك عسل أسود، وعسل بني، وعسل أصفر، وعسل قريب من اللون الأبيض، وعسل ذو لون زهري وألوان ملونة، لكن العلماء اكتشفوا أن كل لون من ألوان العسل سببه اختلاف تربة الأرض، واختلاف رحيق الأزهار، وربما كان كل لون يفيد في نوع ما من الشفاء أكثر من غيره، ويبدو أن النبي عليه الصلاة والسلام من كلامه كان يجب شرب العسل على لعقه، فكان يضع لعقة عسل في كأس ماء، ويذيه، ثم يشربه، وهناك علماء ربطوا بين اختلاف ألوان العسل والشفاء، فبينوا أن العلم لا يزال قاصراً عن معرفة طبيعة كل لون في فعالية الشفاء، وكل لون من العسل له خاصية دقيقة في الشفاء، وهذا لا يزال رهن البحث .

إن المكونات المسؤولة عن اللون تأتي من النبات، ويختلف النبات في الطبيعة، وتركيز هذه المكونات كالبوليفونولات والفلافونويدات والمواد الملونة الأخرى التي تتحد أثناء جمع العسل لتعطي لونا مميزا لكل نوع من العسل.

يقول الدكتور أسامة عبد الرحمن: توجد في العسل صبغيات عديدة ليس دورها فقط المشاركة في إضفاء اللون على العسل، ولكن اكتشف حديثاً الأهمية الكبرى لهذه الصبغيات التي تدخل ضمن مواد الفيتو كيمياء (phyto chemicals) التي ثبت حديثاً أن لها دوراً هاماً في مكافحة بعض الأمراض المزمنة، كمادة مضادة للأكسدة ومضادة للسموم، وممانعة ومضادة للأورام، ومقوية لمناعة الجسم **ومن أشهر هذه الصبغيات الموجودة في العسل:** الكاروتين، والكلوروفيل ومشتقاته والزانثوفيلات والتانينات. وهي تأتي من المصادر النباتية التي يجمع منها النحل غذاءه .

النوع	اللون	الرائحة	الطعم	القوام	استعمالاتها الطبية
العسل الجبلي	بني غامق	قوية ومميزة	حلو جدا	ثقيل دبق	زيادة نسبة النحاس

النوع	اللون	الرائحة	الطعم	القوام	استعمالاتها الطبية
عسل البرسيم	أبيض	خفيفة	رقيق ولذيذ	حبيبي ناعم	زيادة الطاقة في الجسم لدى الرياضيين .
عسل الحنطة السوداء	بني غامق	مميزة	غريب	سميك	يعطى للأطفال في طور النمو وفي حالة الإصابة بنقص المعادن في الجسم إثر الولادة وخلال الإرضاع وبعد الإصابة بالكسور.
عسل التنوب	بني أسود	عطرية قوية	لذيذ	سائل	يستخدم في حالات إتهاب القصبات الهوائية والبلعوم وحساسية الصدر.
عسل السدر	بني فاتح	زكية	طعم مميز	ثقيل القوام	أمراض الطحال - الكلى - الكبد والفيروسات البائية ومفيد جدا للأطفال ناقص النمو فهو غذاء طبيعي مليء بكل احتياجات جسم الطفل ليغذيه تغذية سليمة
عسل إكليل الجبل	شاحب إلى درجة البياض	عذبة رقيقة	ناعم	حبيبي واضح	يوصف لمرضى الكبد، في حالة الإصابة بالحصيات المرارية وفي تليف الكبد كما يستخدم للوهن والإرهاق والضعف العام والإجهاد لتنشيط الحالة العامة كما أنه العسل المثالي للمعدة والأمعاء فهو مضاد للغازات والتخمرات والتهاب القولون.
عسل البرتقال	عنبري خفيف	خفيفة	عذب المذاق	ثقيل دبق	يستخدم كمضاد للتشنج وملين كما يستخدم في حالات القلق وألم الرأس والأرق وخفقان القلب.

النوع	اللون	الرائحة	الطعم	القوام	استعمالاتها الطبية
عسل الخزامى	عنبري خفيف	عذبة عطرية	عذب المذاق	دهني كالمرهم	يستخدم في الحروق ولسعات الحشرات والجروح الملتهبة وهو مضاد بكتيري ومضاد للتعفنات يستخدم في جميع أمراض الالتهابات وخاصة الرئوية ، مهدي لأوجاع الرأس، مدر للبول وطارد للدود
عسل أوكالبتوس	عنبري	عطرية	واضح نسبيا وعذب المذاق.	ثقيل حبيبي ناعم	مضاد للعفونة الرئوية والبولية والمعوية والتهاب المجاري التنفسية، يهدأ السعال.
عسل الكستناء	بني غامق	قوية وحادة	مميز يميل للمرارة	سميك وأحيانا لزج	سوء الدورة الدموية، فقر الدم والإجهاد، الوهن الشديد، زيادة الوزن.
عسل الخلتنج	بني محمر	رائحة قوية	طعم حامض جدا	لزج وشبه سائل	العفونة البولية، التهاب المثانة والبروستات، مدر للبول، الروماتيزم، الالتهابات المعوية.
عسل الزعرور	عنبري خفيف	عطرة	حلو وعذب	حبيبي ناعم	ارتفاع ضغط الدم، تصلب الشرايين، أمراض القلب والتشنج والخفقان والذبحة الصدرية.
عسل السنط	عنبري اللون	خفيفة	حلو جدا	سائل	يوصف للأطفال الرضع، مرضى السكر المصابون بدرجة خفيفة.

مفاهيم حول الجهاز البولي

يتكون الجهاز البولي في الرجال والسيدات والأطفال من كليتين وحالبين ومثانة ومجرى للبول. تقع الكليتان خلف الغشاء البريتوني في الجهة الخلفية من البطن على جانبي العمود الفقري بين الفقرتين الثانية عشرة الصدرية والثالثة القطنية . الكلية اليمنى منخفضة قليلا عن اليسرى حيث تزن كل كلية من "١٢٥" إلى "١٧٠" غراما في الرجل البالغ ومن؛ "١١٥" إلى؛ "١٥٥" غراما في المرأة البالغة ومقاييس الكلية الواحدة (١٢) سم طولاً و(٧) سم عرضاً و(٢٥) سم سمكا في المتوسط، وتشبه الكلية حبة الفاصوليا.

وظيفة الكلى

الوظيفة الأساسية للكلى هي الحفاظ على ثبات التركيب الدقيق للسائل خارج الخلايا ، وهناك وظائف ثانوية للكلى منها تصنيع هرمون إريثروبويتين المنشط لتكاثر كريات الدم الحمر في نخاع العظام ، أما الوظيفة الثانية فهي تصنيع الخطوة النهائية اللازمة لتحويل فيتامين «د» إلى الصورة الفعالة.

تعتبر الكلية المصابة ؛ التي تمرر الدم وتقوم بتخليصه من السموم.

أمراض الكلى ؛

تصيب الكلى أمراضا متعددة نذكر منها:

١ - الالتهاب الحاد

عبارة عن وجود صديد بنسبة عالية أو ميكروب يصل إلى الجهاز البولي عن طريق الدم أو عن طريق الجهاز التناسلي ، وهو شائع بين الأطفال و الكبار الذين يعانون من أمراض باللوزتين أو الحلق ، أو ضعف المناعة ، ويتم علاجه بالمضادات الحيوية.

٢ - الالتهاب المزمن

وهو عبارة عن تكرار الالتهاب الحاد والصديد بدون علاج أو بسبب أمراض بالأعضاء الأخرى مثل الدرن بالرتتين ، وتسبب هذه الأمراض في ضمور الكلى والفشل الكلوي،

ويضطر المريض إلى الغسيل الكلوي وأخذ كميات من الكالسيوم والبروتين عن طريق الحقن مع تنظيم الوجبات لتخفيف الحمل على الكلى.

٣- أمراض خلقية

مثل وجود أكثر من كليتين ويسبب هذا مشاكل للمريض نظراً لأن حجم الكلى يكون أصغر من الطبيعي مع وجود ضيق بالحالب مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة الأملاح واحتمال كسل في وظائف الكلى.

٤- وجود الأملاح والحصوات

بما أن بحثنا هذا يخص تأثير شراب العسل على حصوات الجهاز البولي فإننا سنفصل قليلاً في هذا العنوان :

مقدمة :

تنتشر حصوات الجهاز البولي بين البشر مسببة لهم متاعب كثيرة حيث تشير الإحصائيات إلى أن كل واحد من ثمانين شخصاً تقريباً مصاب بحصوة بالجهاز البولي ، ومرض الحصوات البولية ليس من أمراض العصر الحديث ، حيث إنه اكتشف في مومياء فرعونية عمرها ٧٠٠٠ سنة كما ذكرت في كتب أبو قراط.

قد يكون هناك عامل وراثي يسبب حصوات الكلى ، ولكن غالباً ما يلعب العامل الاجتماعي والاقتصادي دوراً مهماً في ظهور هذا المرض ، كما يرجع السبب إلى نوعية الطعام والشراب .

تتكون الحصوات داخل الجهاز البولي إذا ازداد تركيز البول بالأملاح من أمثال أملاح الكالسيوم وحمض البولييك ، وذلك طبعاً نتيجة العطش وقلة شرب السوائل وقلة المواد المثبطة كالمغنيسيوم والسيترات.

تعريف :

حصوات الكلى هي كتل صلبة مكونة من بلورات صلبة صغيرة جداً ، حيث يتفاوت حجمها من حجم صغير لا يرى بالعين المجردة (يمكن رؤيته بالمجهر) إلى حجم كبير (يمكن أن يصل قطرها حوالي (٧ ، ٤) سم .

قد تتكون حصوات الكلى في أحواض الكلى ، أو في الحالبين أو تسقط في المثانة ، مما قد يحدث انسداداً في مجرى البول و قلة إدراره وهذا بالطبع يؤدي إلى تضخم في الكلية أو حدوث التهابات شديدة في المسالك البولية .

أنواع حصوات الكلى:

يوجد أنواعاً متعددة من حصوات الكلى نذكر منها:

حصى الكالسيوم : تمثل أنواعاً متعددة منها أوكسالات الكالسيوم (Calcium Oxalate) حيث تشكل ٧٠٪ إلى ٨٠٪ من الحصوات و فوسفات الكالسيوم (Calcium Phosphate) و الحصيات الإثنائية المختلطة Mixed Infective Stones والتي تُشكل ١٥٪ من إجمالي الحصيات البولية وتكون أكثر حدوثاً عند النساء.

تظهر حصى الكالسيوم نتيجة لحدوث خلل في تمثيل الكالسيوم والفسفور في الجسم، وحدوث ارتفاع للكالسيوم و للأوكسالات في البول ، كما أن الزيادة البسيطة في تركيز الأوكسالات يمكن أن تسبب زيادة في نشاط تكوين أوكسالات الكالسيوم مما يؤدي إلى تكوين بلورات أوكسالات الكالسيوم ، وهي بلورات غير ذائبة نسبياً في البول ، وتمثل النسبة العظمى خصوصاً عند الرجال .

حصى حمض البوليك Uric Acid : يتغير مستوى حمض البوليك في الدم من ساعة إلى أخرى ، ومن يوم إلى يوم آخر، كما أن عوامل كثيرة تؤثر على حمض البوليك منها: الصيام الطويل، ونوعية الطعام، والأغذية الغنية بالقواعد البروتينية تؤدي إلى تكوين حامض البوليك في الجسم مهيةً بذلك بيئة مفضلة لتكوين حصوات البوليك.

في بعض دول الشرق الأوسط تُشكل حصى حمض البوليك ٤٠٪ من الحصيات البولية.

حصى السيستين Cystine : تعتبر زيادة السيستين في البول أحد الأمراض الناتجة عن خطأ وراثي في أيض السيستين والذي يتداخل مع كل من القناة الهضمية وأنابيب الكلية الناقلة للأحماض الأمينية مثل السيستين، الليوسين، الأرجينين، والأوثين حيث السيستين أقل الأحماض الأمينية ذوباناً و يترسب في صورة حصوات عند زيادة تركيزه في البول.

هذه الحصوات تتكون لدى من يحملون استعداداً جينياً وراثياً لذلك.
حصاوى الاستروفايت Struvite : وتكثر في حالات التهاب المجاري البولية عند الإناث،
ويتكون هذا النوع نتيجة التهابات بكتيرية.

المواد المضادة للتبلور

يمكن تقسيم المواد المضادة للتبلور إلى قسمين : عضوية (organic) مثل جلايكوز أمينو جلايكان (glycosaminoglycans) و النفروكالسين (nephrocalcin) ومواد غير عضوية (inorganic) كالمغنيسيوم و البايروفوسفات (pyrophosphate) والسيترات (citrate) وتوجد أدوية من الطبيعة تفيد حصوات الكلى، وهي عبارة عن أعشاب طبيعية مثل البقدونس، ورق خبازى، بذور الحلبة، شوشة عرنوس الذرة الصفراء، حمض أسود، خل التفاح، عصير الليمون ، وكما أثبتت الدراسات فإن الاستهلاك المنتظم لعصير الليمون يزيد درجة الحموضة ومحتوى السيترات والبوتاسيوم وحجم البول دون أن يزيد محتوى الكالسيوم، إذ تساعد الزيادة في نسبة مستويات السيترات يساهم في منع تبلور الكالسيوم.

ملحوظة هامة :

معظم الأبحاث الخاصة بالإعجاز العلمي كانت تتم عن طريق المطابقة أي مطابقة ما وصل إليه الباحثون الأجانب من نتائج مع ما جاء في القرآن الكريم من آيات أو ما ورد من أحاديث نبوية على لسان المصطفى عليه الصلاة والسلام، لكن بحثنا هذا اعتمدنا فيه طريقة التطبيق أي أننا أتينا بالآية ونحن من نقيم التجربة، ونحاول أن نجد الإعجاز الكامن وراء هذا النص القرآني.

النص القرآني المعجز :

يقول تعالى: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩))

الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص :

نحاول في بحثنا هذا ربط ما جاءت به الآية من اختلاف لألوان العسل ، وتأثير ذلك على حصوات الكلى، وكيف أن المولى عز وجل ربط اختلاف الألوان بالشفاء.

وجه الإعجاز في النص :

نحاول في هذا البحث إيجاد علاقة بين الشراب المختلف ألوانه المذكور في الآية السابقة، وتأثير ذلك على حصوات الكلى، إذ أنه قد تبين لنا أن اختلاف ألوان العسل له دور في الوقاية من حصوات الكلى.

سير التجربة :

قمنا في بادئ الأمر بتحضير محلولين :

محلول أوكسالات الصوديوم (Sodium Oxalate) بتركيز من رتبة (٣-١٠) مول/ اللتر، وذلك باستعمال محلول كلور الصوديوم كمذيب. ومحلول كلور الكالسيوم تركيز من رتبة (٣-١٠) مول/ اللتر، وذلك باستعمال محلول كلور الصوديوم كمذيب.

كما قمنا بإحضار نوعين من العسل وبتراكيز مختلفة وهما: عسل متعدد الأزهار، وعسل السدر، وكما نعلم أنهما نوعان مختلفان في اللون، ويمكن تحضير التراكيز المختلفة للعسل بإذابة كتلة معينة من العسل باستعمال محلول كلور الصوديوم.

نوع العسل	كتلة العسل (غ)	حجم محلول كلور الصوديوم (ملل)	تركيز العسل (%)
عسل متعدد الأزهار	6 8	10	100
عسل السدر	6 8	10	100

يتم تحضير التركيز ٥٠٪ بإضافة حجم معين من محلول كلور الصوديوم إلى نفس الحجم من محلول العسل ذي التركيز ١٠٠٪

قمنا بدراسة تأثير كل نوع على تشكل حصوات الكلى من نوع أوكسالات الكالسيوم (Calcium Oxalate) وذلك باستعمال جهاز المطياف الضوئي Spectrophotometer الذي يعطينا منحنى يمثل مراحل تشكل أوكسالات الكالسيوم.

النتائج :

قمنا بحساب درجة التثبيط لكل نوع و سجلنا النتائج في الجدول التالي:

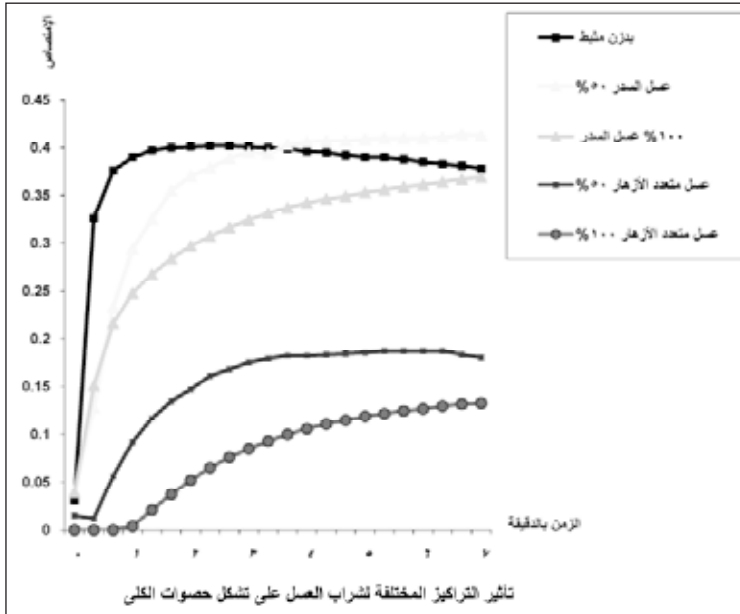
تركيز المثبط %	ميل المنحنى	درجة التثبيط %
بدون مثبط	0 517	0
١٠٠٪ عسل متعدد الأزهار	0 031	94
٥٠٪ عسل متعدد الأزهار	0 092	82 20
١٠٠٪ عسل السدر	0 206	60 15
٥٠٪ عسل السدر	0 314	39 26

نقوم بحساب درجة التثبيط باستعمال القانون التالي :

درجة التثبيط % =

[١ - (قيمة ميل المنحى بوجود مثبت [٢] قيمة ميل المنحى بدون مثبت)] × ١٠٠

و فيما يلي المنحنى الذي يوضح تأثير التراكيز المختلفة لشراب العسل على تشكل حصوات الكلى من نوع أوكسالات الكالسيوم.



مناقشة النتائج

يمر تشكل الحصوات الكلوية بثلاث مراحل أساسية وهي :

١. مرحلة النش (Germination) حيث تكون البلورات جد صغيرة .
٢. مرحلة النماء (Growth) حيث تبدأ البلورات الصغيرة بالنمو والكبر، وتتميز هذه المرحلة بمتغير مهم؛ وهو ميل المنحنى، وهو الذي من خلاله يمكن حساب درجة التثبيط، ويمثل في المنحنى المقطع المستقيم .
٣. مرحلة التراكم أو التجميع (Aggregation) حيث يتم التقارب بين البلورات لتشكيل تجمعات تنتهي بتشكيل الحصوات الكلوية .

نلاحظ من خلال الجدول والمنحنى أن درجة التثبيط تزداد بازدياد تركيز العسل ونوعه إذ تبلغ أكبر قيمة (٤٩٪) بالنسبة لعسل متعدد الأزهار ذي التركيز (١٠٠٪) ويوافق بالنسبة للمنحنى - آخر منحنى) - اللون الأحمر (وهو الموافق لأقل قيمة للميل (٠٣١٠) ويعود السبب في هذه النتائج لاختلاف لون العسل والذي بدوره يعود لاختلاف مكونات العسل وهذا ما يعني أن العسل متعدد الأزهار غني بالمواد المثبطة لتشكيل الحصوات الكلوية على خلاف عسل السدر.

الخاتمة

تعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها فيما يخص استعمال العسل كمثبط لتشكيل الحصوات الكلوية وليس هذا فحسب بل انطلقنا في دراستنا من الآية الكريمة:

(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ((٦٩)).

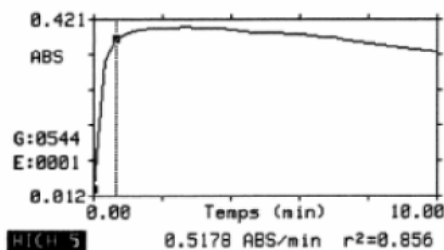
حيث ركزنا على اختلاف الألوان وكانت النتيجة مبهرة مما يعني أن النص القرآني ليس

معجزا في آياته فحسب بل حتى الكلمة بذاتها معجزة ، وكيف أن الله تبارك وتعالى نبهنا إلى اختلاف ألوان العسل ، وليس هذا فحسب بل إن المصطفى عليه السلام كان يداوم على شر القلب ويذهب برد الصدر».

يمكننا القول بأن الآية الكريمة نبهت إلى فائدة اختلاف ما يخرج من بطون النحل سواء كان عسلاً أو شهداً أو سماً، وطبعاً كما يقال فإن الآية تعطينا السقف العلمي الذي ننطلق منه ، ونحن انطلقنا من هذا المفهوم ، وحاولنا إبراز ما يحمله النص القرآني من إعجاز، وتوصلنا إلى نتيجتين هامتين وهما :

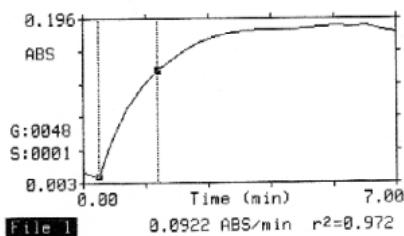
- كل نوع من العسل يختص بعلاج نوع من المرض .
- علينا باستخدام شراب العسل (العسل مذاب في الماء) بدل لعق العسل مباشرة ففي دراستنا هذه قمنا بإذابة العسل بمحلول مائي ملحي.

DU520 Num. Serie 0012U2001091 1.03
10-MAI-08 14:50:15 CINETIQUE/TEMPS
Long. onde: 620.0 nm



منحنى يوضح مراحل تشكل أوكسالات الكالسيوم بدون وجود مشبط

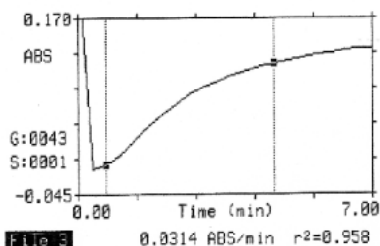
DU520 S/N: 0012U2001091 1.03
22-JUN-08 14:30:17 KINETIC/TIME
Wavelength: 620.0 nm



File 1

منحنى يوضح تشكل أوكسالات الكالسيوم بوجود مشبط
عسل متعدد الأزهار 50%

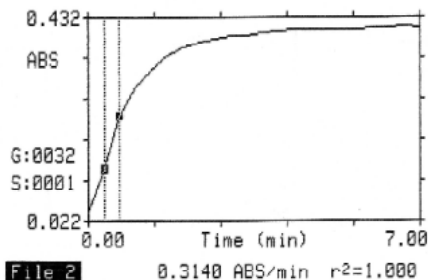
DU520 S/N: 0012U2001091 1.03
22-JUN-08 13:10:53 KINETIC/TIME
Wavelength: 620.0 nm



File 3

منحنى يوضح تشكل أوكسالات الكالسيوم بوجود مشبط
عسل متعدد الأزهار 100%

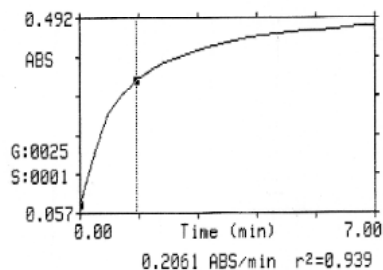
DU520 S/N: 0012U2001091 1.03
21-JUN-08 15:02:46 KINETIC/TIME
Wavelength: 620.0 nm



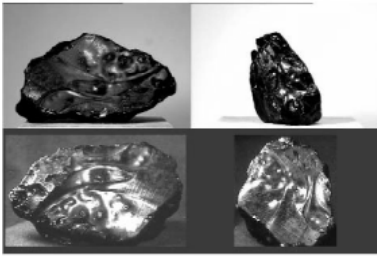
File 2

منحنى يوضح تشكل أوكسالات الكالسيوم بوجود مشبط
عسل السدر 50%

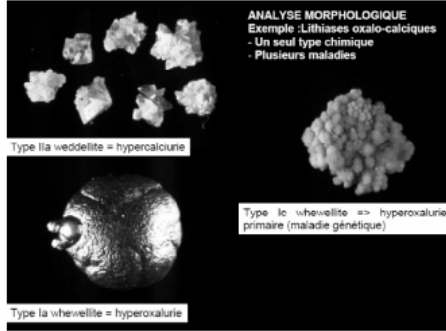
DU520 S/N: 0012U2001091 1.03
21-JUN-08 14:31:33 KINETIC/TIME
Wavelength: 620.0 nm



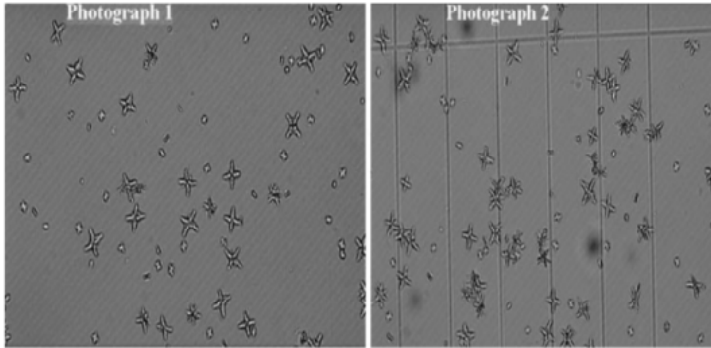
منحنى يوضح تشكل أوكسالات الكالسيوم بوجود مشبط
عسل السدر 100%



صورة توضح بعض أنواع حصوي النش



بعض أنواع حصوي أوكسالات الكالسيوم



صورة تمثل مرحلة النماء ومرحلة التجميع فيما يخص تشكّل حصوي أوكسالات الكالسيوم الصورة مأخوذة من المقال

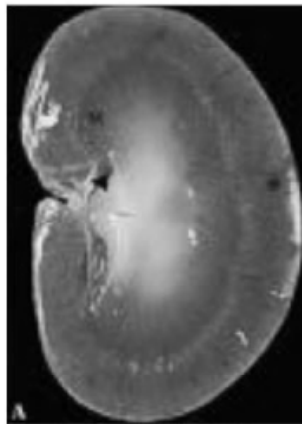
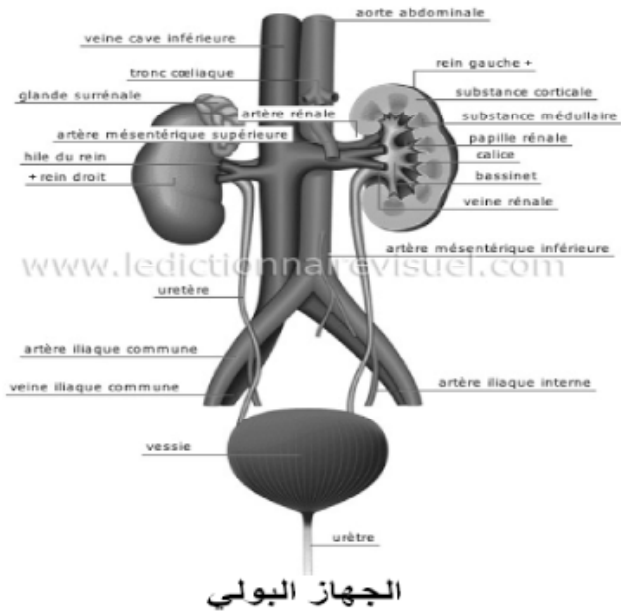
Inhibition of crystallization of calcium oxalate by the extraction of Tamarix gallica L.
Aluned Bensatal M. R. Ouahrani



بعض أنواع العسل التي تختلف في اللون



الجهاز المستعمل في التجربة



مقطع لكلية إنسان

المراجع باللغة العربية :

- ١ . القرآن الكريم
- ٢ . الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٠٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ٦٩ - ٧٤ .
- ٣ . أبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج ١٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ١٣٤ - ١٣٦ .
- ٤ . جاد الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص ٦١٨ - ٣٢٢ .
- ٥ . محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣، دار التونسية للنشر، تونس، ص ١٠٩ - ٢٠٩ .
- ٦ . أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية، ج ١٣، ص ١٠٧ . ج ٢٦، ص ٥٨ .
- ٧ . عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير لابن كثير، ج ٦، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ص ٣١٥ .
- ٨ . أبي السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ١٢٦ .
- ٩ . أسامة عبد الرحمن إسماعيل فوده، نصائح طبيب إلى كل مريض وصحيح، ص ١٣١ - ١٥٤ .
- ١٠ . شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، كتاب الطب النبوي من كتاب زاد المعاد
- ١١ . محمد راتب النابلسي، (سلسلة الدروس) الدرس "١٥ / ٢١" من تفسير سورة النحل
- ١٢ . فيصل بن محمد عراقي، الأعشاب دواء لكل داء
- ١٣ . أحمد محمد عوف، موسوعة الأعشاب الطبية WIKIBOOKS
- ١٤ . العبيد عمر، عسل النحل في الطب الشعبي، دار النفائس ١٩٩٧
- ١٥ . محمد عزت محمد عارف أبو الفداء، معجزات الشفاء، إصدارات موقع أم الكتاب للأبحاث والدراسات الإلكترونية
- ١٦ . محمد صادق صبور، أمراض الكلى أسبابها وطرق الوقاية منها وعلاجها، دار الشروق القاهرة ١٩٩٤
- ١٧ . محمد حسن الحمصي، النحلة تسبح الله، دار الرشيد دمشق سوريا ١٩٩٣
- ١٨ . محمد عبد الرحيم، العسل (شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)، دار أسامة للنشر دمشق ١٩٩١، ص ١٠ - ١١

مراجع أجنبية :

- 1.Thierry Gauthier Hôpital Riviera site du Samaritain Lithiases rénales
2. Pierre Cochat et Aurélia Liutkus Calculs rénaux et insuffisance rénale Centre de référence des maladies rénales héréditaires Hôpital Édouard-Herriot Université de Lyon France
3. Mauricio Carvalho Jody P. Lulich Carl A. Osborne Yasushi Nakagawa Defective Urinary Crystallization Inhibition and Urinary Stone Formation International Braz J Urol Vol.32 (3):342-349 May - June 2006
4. Marie Courbebaisse Olivier Traxer lithiase rénales : des mécanismes au traitements ;Journée mondiale du rein Académie de Médecine 12 mars 2009
- 5.M.Daudon Epidémiologie actuelle de la lithiase rénale en France Annales d'urologie 39 (2005) 209-231
6. Doddametikurke Ramegowda Basavaraj Chandra Shekhar Biyani Anthony J. Browning Jon J. Cartledge The Role of Urinary Kidney Stone Inhibitors and Promoters in the Pathogenesis of Calcium Containing Renal Stones; e a u - e b u update series 5 (2007) 126-136
7. Abdelkhalek Oussama Fouzia Kzaiber Bouchaib Mernari Abdelhak Hilmi Ahmed Semmoud Michel Daudon; Analyse des calculs urinaires de l'adulte dans le Moyen Atlas marocain par spectrophotométrie infrarouge à transformée de Fourier; Progrès en Urologie (2000) 10 404-410
8. Michel Daudon F.Cohen-Solal P.Jungers Mécanismes de la lithogénèse et de la cristallurie Biologie & Santé vol. 1 n° 1 2000 50 -65

مواقع :

- 1 برنامج دليل الطب البديل 2007 صاحب البرنامج : إبراهيم الشرقاوي
<http://www.damasgate.com/vb/t103563>.
- 2.<http://www.Apimondia2001.com>
- 3 العسل دواء وليس غذاء
<http://forum.ashefaa.com/showthread.php?t=49498>.
- 4 أنواع العسل ومنتشأه
<http://www.alsaqr.com/vb/showthread.php?t=5418>
- 5 العسل غذاء ودواء
[.http://www.khayma.com/wahat/hony.htm](http://www.khayma.com/wahat/hony.htm)

تاريخ العلاج بالعسل ، منتصر صباح الحسناوي 6

<http://www.na7la.com/asalther2.html>

العسل في القرآن والسنة، ميزان خليل رخا 7

<http://www.na7la.com/asalquran.html>

معايير مواصفات العسل العالمية، طارق مردود 8

<http://www.na7la.com/bhon1.html>

العسل غذاء ووقاية ودواء ، طارق مردود 9

<http://www.na7la.com/prodhon2.html>

الصفات الطبيعية للعسل 10

<http://www.beekingdom.net/arabic/topics/honey.htm>

وصفات طبية من الكتاب والسنة ، عبد الباسط محمد السيد 11

<http://forum.stop55.com/116155.html> .

12. http://www.55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=1801&select_page=5

جانب من الإعجاز العلمي في سورة النحل، أحمد عباس أحمد

http://furat.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileNa12

[me=5343051812008102100141013](http://furat.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileNa12me=5343051812008102100141013).

ندوة علمية بعنوان (الطرق الحديثة في تحليل العسل و كشف الغش) الكيمياء خالد مدلجي

14. http://www.alwaraq.net/Core/dg/dg_topic?dmy=1&sort=us.firstname&order=desc&ID=573&

بطون النحل و الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، لحسن بنلفقيه

15. <http://www.ahlalheeth.com/vb/showthread.php?t=160805>

عسل النحل وخواصه، إبراهيم عبدالله سعد العريفي

16. <http://amjad68.jeeran.com/archive/2006/11/123296.html>

صفات العسل الطبيعي ، منى المنفلوطي ، مدونة آفاق علمية، المهندس أمجد القاسم

www.geocities.com/darshoo_site/allah-02.jpg17

18. <http://www.johina.net/vb/showthread.php?t=29798>



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

دراسة نسيجية لتأثير الخوف على النسيج الكبدي

د. لطيفة إسحاق خياط

قسم الأحياء - كلية العلوم التطبيقية فرع الطالبات

جامعة أم القرى



ملخص البحث

النص المعجزة :

قال صلى الله عليه وسلم : ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليح ذبيحته)) رواه مسلم كتاب الصيد والذبائح ٣/ ١٥٤٨ ح ١٩٥٥

الحقيقة العلمية:

أظهرت العديد من الأبحاث العلمية الحديثة حقائق مذهلة عن مظاهر الخوف الفسيولوجية التي تحدث داخل الجسم نتيجة التعرض للخوف الشديد كالخوف من القتل والذبح.

يعد الجهاز الهرموني هو المسئول الأول عن حدوث هذه التغيرات الفسيولوجية بما يفرزه من هرمونات تؤثر في الحالة الفسيولوجية للجسم وتنظم عمله، ففي حالة الخوف الشديد يتم استحداث الغدة النخامية لإفراز هرمون يعمل على حث الغدة الكظرية لإفراز هرمون الأدرينالين الذي تزيد نسبته في الدم عن المستوى الطبيعي مما يؤدي إلى حدوث العديد من التفاعلات الكيميائية والفسيولوجية داخل الجسم مثل ارتفاع درجة الحرارة مع زيادة دقات القلب ومعدل التنفس وارتفاع عالي في ضغط الدم وتحرير الجلوكوجين من مخازنه في الكبد والعضلات.... وغيرها.

وقد أظهرت الدراسة النسيجية الحالية التي تم إجراؤها على بعض الخرفان والتي تعرضت للخوف قبل الذبح بطرق مختلفة ولفترات مختلفة وجود تغيرات مرضية عديدة في نسيج الكبد شملت تحلل العديد من الخلايا الكبدية، واتساع الوريد المركزي، وركود وترسيب لخلايا الدم الحمراء مع تحللها، كما يظهر الوريد المركزي محطم البطانة الداخلية

ومتصلا بالجيوب الدموية التي تظهر متسعة ومنفصلة البطانة الطلائية، وكذلك زيادة ملحوظة في خلايا كوفر بين الخلايا الكبدية. كما أظهرت الدراسة القناة الصفراوية، وقد تحلل معظم خلاياها مع تتهك لجدار القناة وزيادة خلايا كوفر في تلك المنطقة أيضا.

ومع زيادة فترة الخوف التي يتعرض لها الحيوان تشند حدة الأعراض المرضية للكبد مثل تحلل الخلايا الكبدية في مناطق متعددة، وكذلك اتساع كبير للوريد المركزي مع تتهك وانفصال البطانة الداخلية له وترسيب لخلايا الدم الحمراء وتحللها، ويظهر اتصال الوريد المركزي بالجيوب الدموية داخل الفصوص الكبدية، وترشيح لخلايا الدم الحمراء داخلها، كما يشاهد الوريد البابي متهتك البطانة الطلائية مع تليف لجداره وتغير شكله.

وجه الإعجاز :

أ - بين الرسول عليه السلام الهدي الصحيح في الذبح مما يؤكل من بهيمة الأنعام فربط عليه الصلاة والسلام بين الرفق والإحسان إلى الحيوان وبين سلامة اللحوم وما يؤكل من الحيوان كالكبد والعضلات. فقد أظهرت الدراسة المجهرية الحالية أن إخافة الحيوان يؤثر في التركيب النسيجي للكبد ويتلفها، ويزداد هذا التلف بزيادة فترة التعرض وطرق التخويف، وذلك لأن الخوف يزيد من إفراز هرمون الأدرينالين الذي تزيد نسبته في الدم بسرعة ويتنشر مع الدورة الدموية إلى الأعضاء المعنية بسرعة، وقد أظهرت نتائج الدراسة الحالية التأثير السلبي لزيادة هرمون الأدرينالين على الخلايا الكبدية حيث يعمل على تدمير بعض الخلايا الكبدية وتحللها، ويظهر تلف في البطانة الطلائية للوريد المركزي مع اتساع في حجم الوريد يزداد مع زيادة نسبة هرمون الأدرينالين المفرزة، كما يظهر ترسيب لخلايا الدم الحمراء مع تحللها داخل الوريد المركزي وظهور اتساع في حجم الجيوب الدموية واتصالها مع الوريد المركزي وترسيب للخلايا الدموية الحمراء بداخلها وتحللها مع زيادة في عدد خلايا كوفر. كما تظهر الدراسة الحالية تحطم الخلايا المبطنة للقنوات الصفراوية مما يؤدي إلى انتشار العصارة الصفراوية بين الخلايا الكبدية، وقد تنتشر مع الدورة الدموية إلى جميع أنسجة الجسم منها العضلات.

٢ - **نهى الرسول عليه السلام** عن إخافة المسلم، واتضح السر لهذا النهي باكتشاف التغيرات الفسيولوجية للجسم والنسجية للخلايا الكبدية التي تتأثر بزيادة إفراز جزيئات هرمون الأدرينالين المسؤولة عن الخوف، ولأن الكبد يعد من الأعضاء الهامة في الجسم لما يقوم به من دور أساس في عمليات التحول الغذائي وتخزين الجليكوجين، فقد أظهرت الدراسة النسجية الحالية الأضرار الشديدة التي تصيب الكبد نتيجة التعرض للخوف الشديد، وهذا يتوافق مع نهى الرسول عليه السلام عن إخافة المسلم، وكذلك مع رفقته وإحسانه عند الذبح.

وهكذا يتجلى الإعجاز العلمي لهذا النهي مع الحقائق العلمية الحديثة التي بينت الأضرار الجسيمة التي يحدثها الخوف داخل الجسم سواء على المستوى الفسيولوجي للأعضاء أو المستوى النسيجي للخلايا الكبدية، ذلك أن القرآن الكريم كلام الخالق عز وجل، وأن أحاديث الرسول عليه السلام وحي من الله.

فمن أين لهذا النبي الأمي أن يعلم بكل هذا الضرر الذي يلحق بالإنسان والحيوان عند تعرضه للخوف الشديد وينهى عن إخافته.

كما يتجلي لنا عطفه ورحمته وإحسانه عليه السلام إلى الحيوان حتى عند ذبحه. وبذلك يكون قد سبق الغرب في الدعوة إلى الرفق بالحيوان قبل ألف وأربعمائة وثلاثون عاما.

دراسة نسيجية لتأثير الخوف على النسيج الكبدى

النص المعجزة :

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالذِّكْرُ لِلَّهِ وَحْدًا فَلَهُ اسْلِمُوا وَيَشْرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ سورة الحج (٣٤)

قال صلى الله عليه وسلم : ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)) رواه مسلم كتاب الصيد والذبائح ٣/١٥٤٨ ح ١٩٥٥

الذبح :

الذبح يكون فيما يذبح من الحيوان كالبقرة والغنم والطيور..... وغيرها.

كيفية الذبح في الإسلام:

أن يقطع الحلقوم أو القصبة الهوائية (وهو مجرى التنفس) والمرئ (وهو مجرى الطعام)، والودجين وهما العرقان الغليظان المحيطان بالعنق (الوريد الوداجي jugular V والشريان السباتي carotid A ولو قطع أحدهما مع الحلقوم والمرئ يكفي).

دليل الذبح : قال تعالى: ((إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)) سورة البقرة (٦٧)

وحديث أنس رضي الله عنه قال: (ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين فرأيته واضعا قدمه على صفاحهما ويسمي ويكبر فذبحهما بيده)، (مسلم ٣/١٥٥٦، حديث ١٩٦٦).

الإحسان في الذبح:

١. الإحسان في الذبح قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» رواه مسلم كتاب الصيد والذبائح ٣/١٥٤٨ ح ١٩٥٥
٢. سن السكين قبل الذبح.
٣. أن يمر الآلة على محل الذبح بقوة وسرعة ليكون أسرع في خروج الروح فلا يعذب الحيوان.
٤. قطع الودجين كلاهما مع الحلقوم والمرئ ليكون أسرع في خروج الروح.
٥. الرفق بالحيوان المراد ذبحه فلا يجره بشدة أو يرمي على الأرض بعنف ونحو ذلك.

مكروهات الذبح:

١. أن يجد الذابح السكين والذبيحة تنظر لما روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يجد شفرته وتلحظ إليه ببصرها قال: (أفلا قبل هذا؟ أو اتريد أن تميتها مرتين). رواه الطبراني في الكبير ١١/٢٦٣ ح ١١٩١٦
٢. أن يذبح البهيمة والأخرى تنظر إليها لأن في ذلك تعذيب لها.
٣. أن تذبح بالآلة (كآلة) غير قاطعة لأن في ذلك تعذيب للحيوان.

الحكمة في ذبح الأنعام على الطريقة الإسلامية:

يتمثل هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في الإحسان إلى الحيوان قبل وأثناء الذبح حيث يقلل من حالة الخوف التي تنتاب الحيوان وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن حالة الخوف يصاحبها تغيرات فسيولوجية عديدة تؤثر على الأعضاء الداخلية.

كما أن الطريقة الإسلامية في ذبح ما يؤكل من الأنعام واضحة ومحددة بحيث لا يقطع

الرأس كاملا بل يترك جزء معلق وينتظر حتى يفرغ الحيوان جميع دمه وقد أثبتت الأبحاث الحديثة أن الحيوان المذبوح بهذه الطريقة يكون خاليا من الجراثيم والميكروبات، وأن هذه العملية تؤدي إلى خروج كميات كبيرة من الدم وبدون ألم، وثبت أن التسمية تجعل الحيوان خالي تماما من الجراثيم.

وهذا يدل على رحمة الإسلام بالحيوان وحرصه على سلامة اللحوم و سلامة المسلم، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى؛ وإنما وحي يوحى إليه من خالق هذا الكون ومبدعه والعالم بجميع أسرارها، وفيه إعجاز علمي على صدق هذه الرسالة المحمدية وهذا النبي عليه الصلاة والسلام وهذا الدين الحق.

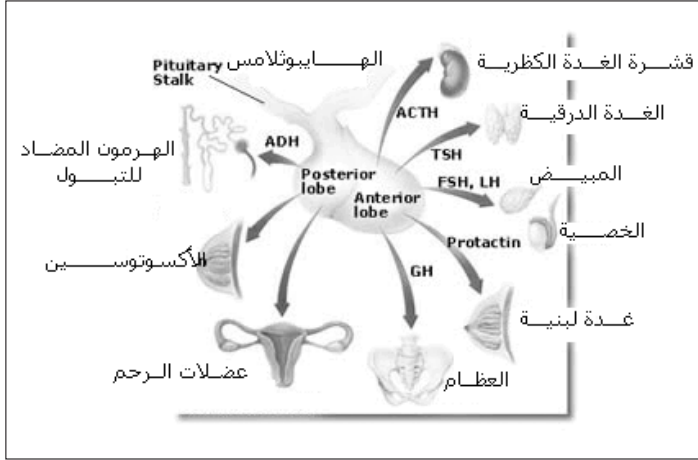
الحقيقة العلمية:

أظهرت العديد من الأبحاث العلمية الحديثة حقائق مذهلة عن مظاهر الخوف الفسيولوجية التي تحدث داخل الجسم نتيجة التعرض للخوف الشديد كالخوف من القتل والذبح.

يعتبر الجهاز الهرموني هو المسئول عن حدوث هذه التغيرات الفسيولوجية بما يفرزه من هرمونات تؤثر في الحالة الفسيولوجية للجسم وتنظم عمله .

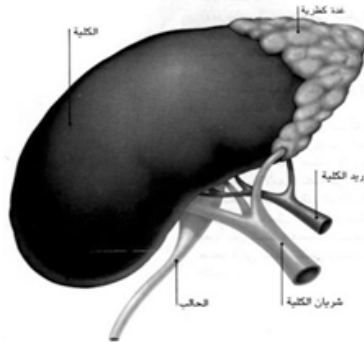
فالهرمون عبارة عن جزيئات تفرزها الغدد الصماء في الدم مباشرة ليؤدي وظيفة معينة في الجسم، ويقوم الدم بتوزيع هذا الهرمون على أجزاء الجسم. بعض الهرمونات سريعة التأثير مثل هرمون الأدرينالين الذي يهيئ الجسم لمواجهة الخطر، وهرمون الأنسولين الذي ينظم نسبة السكر في الدم، وبعضها بطيء التأثير، ويؤثر خلال فترات زمنية طويلة مثل هرمون النمو والهرمونات الجنسية .

تعتبر الغدة النخامية هي الغدة المسئولة والمسيطرة على الغدد الصماء، فهي عبارة عن جسم صغير يتدلى من السطح السفلي للمخ، وتفرز هرمونات منبهة ومنشطة لكل من الغدة الدرقية والغدة الكظرية والغدد التناسلية وغيرها، لذلك تعتبر الغدة النخامية رئيسة الغدد الصماء.



الشكل يوضح الغدة النخامية ونشاطاتها داخل الجسم

تقوم الغدة الكظرية أو الغدة فوق الكلوية بإفراز الهرمون المسئول عن حالة الخوف الشديد حيث يوجد زوج من الغدد الكظرية كل منها عبارة عن جسم أصفر هرمي الشكل يلتصق بأعلى الكلية، ويتركب من جزء خارجي (قشرة الكظر) يفرز مجموعة من الهرمونات منها هرمون الكورتيزون الذي يرفع من مقاومة الجسم، وجزء داخلي (نخاع الكظر) يفرز هرمون الأدرينالين المعروف بهرمون النجدة حيث يزداد إفرازه في حالات الخوف والغضب والانفعال.



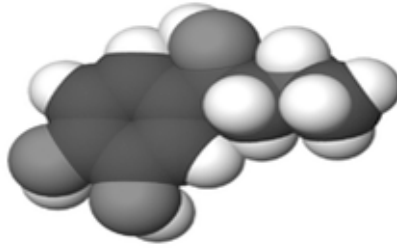
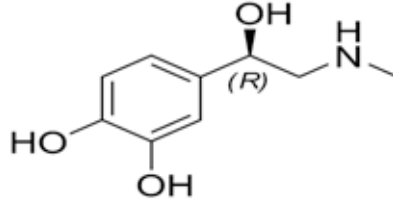
الغدة الفوق كلوية (الكظرية)

ففي حالة الخوف الشديد يتم استحثاث الغدة النخامية لإفراز هرمون يعمل على حث الغدة الكظرية (نخاع الكظر) لإفراز هرمون الأدرينالين الذي تزيد نسبته في الدم عن المستوى الطبيعي مما يؤدي إلى حدوث العديد من التفاعلات الكيميائية والفسولوجية داخل الجسم مثل: ارتفاع درجة الحرارة مع زيادة دقات القلب، وارتفاع عالي ومفاجئ في ضغط الدم بسبب انقباض الشرايين والأوردة الصغيرة قد يسبب نزفا دماغيا صاعقا أو جلطة قلبية أو الموت المفاجئ، وقد يؤثر على أوعية العين الدموية فيسبب لها العمى المفاجئ. كما أن زيادة الأدرينالين في الدم تعمل على تحرير الجليكوجين من مخازنه في الكبد والعضلات ويطلق السكر مما يزيد من نسبة السكر في الدم.

ويصاحب ازدياد الأدرينالين صعوبة في التنفس وضعف عام في العضلات وتقلص لعضلة القلب وزيادة استهلاك الأوكسجين، كما يزيد الأدرينالين من قابلية الدم للتجلط مما يؤدي إلى حدوث الجلطة القلبية أو الدماغية. وتعمل زيادة الأدرينالين على تشييط لحركة الأمعاء وتوسيع بؤبؤ العين فتزيد حدة الإبصار في الليل، كما يرافق زيادة الأدرينالين خروج كميات كبيرة من الماء بواسطة الادرار البولي (diuresis).

هرمون الأدرينالين:

تم اكتشاف هذا الهرمون في عام ١٩٠٠م على يد عالم الكيمياء الياباني تاكامين (Jokichi Takamine) وينتمي هرمون الأدرينالين إلى عائلة الكاتيكول أمين (catecholamine) وصيغته الجزيئية هي $C_9H_{13}NO_3$.



التركيب الجزيئي لهرمون الأدرينالين

وللأدرينالين وظائف حيوية هامة داخل الجسم حيث يعتبر كناقل عصبي يؤثر في الجهاز العصبي السمبتاوي الذي يتصل بكل من (القلب، الرئتين، الأوعية الدموية، المثانة البولية)، كما يعمل هرمون الأدرينالين على معاكسة تأثير الأنسولين حيث يطلق عندما ينخفض مستوى السكر في الدم مما يزيد من عملية الأيض وارتفاع السكر في الدم.

وبعد التعرف على التغيرات الفسيولوجية والتأثيرات الجانبية الناتجة عن زيادة جزيئات هرمون الأدرينالين على الوظائف الحيوية للجسم نتساءل هل لزيادة هذه الجزيئات عن المستوى الطبيعي للجسم تأثيرات على مستوى الأنسجة والخلايا؟

لذلك اهتمت الدراسة الحالية بالتعرف على التغيرات النسيجية التي تحدث نتيجة لزيادة إفراز هرمون الأدرينالين عندما يتعرض الحيوان للخوف الشديد مثل الخوف من الذبح.

التجربة:

١ - حيوانات التجارب:

استخدم في هذه الدراسة عدد (١٢) خرفان من نوع الحري وزن الحيوان حوالي (٢٢) - (٢٥) كيلوجرام سليمة وخالية من الأمراض.

٢ - خطوات التجربة:

- قسمت الحيوانات إلى ثلاثة مجاميع تضم كل مجموعة أربعة خرفان، المجموعة الأولى مجموعة ضابطة تم تطبيق هدي الرسول صلى الله عليه وسلم عليها في ذبح الحيوان (إراحة الذبيحة وتمرير السكين بسرعة على العنق)، المجموعة الثانية تم حد السكين لمدة ٣٠ ثانية أمام الحيوان، وهو ينظر ثم ذبحه، المجموعة الثالثة ذبح حيوان أمام حيوان آخر ينظر إليه.

الجدول التالي يوضح المجاميع المختلفة للتجربة وفترات الخوف

المجموعة	نوع الخوف	مدة التعرض للخوف
الأولى	مجموعة ضابطة.	—
الثانية	حد السكين أمام الحيوان وهو ينظر	٣٠ ثانية
الثالثة	ذبح حيوان أمام آخر وهو ينظر	٦٠ ثانية

- تم سلخ الحيوانات وتشریحها ثم أخذت عينات صغيرة من أكباد كل الخرفان ووضعت على الفور في فورمالين تركيزه ١٠٪ لمدة ٤٨ ساعة لتثبيتها ثم جهزت العينات للدراسة النسيجية حسب الطرق النسيجية المعروفة (الغسل، الترويق، التخليل، الطمر) ثم قطعت العينات باستخدام ميكروتوم دوار إلى قطاعات رقيقة

بسمك (٥) ميكرون، وحملت على شرائح زجاجية، وصبغت بصبغة الهيماتوكسلين والأيو سين H&E ثم فحصت القطاعات باستخدام المجهر الضوئي.

النتائج :

- توضح القطاعات النسيجية لحيوانات المجموعة الضابطة مجموعات الخلايا الكبدية (HC) مرتبة في أشرطة داخل صفوف كبدية يتوسطها وريد مركزي (CV)، كما توجد جيوب دموية (BS) بين أشرطة الخلايا تحتوي كل خلية كبدية على نواة وسطية بداخلها كروماتين، وتحتوي على سيتوبلازم صور رقم (١)
- أظهر فحص قطاعات الكبد في المجموعة الثانية والتي تعرضت للخوف لمدة (٣٠) ثانية وجود تغيرات نسيجية متعددة شملت تحلل السيتوبلازم، وأنوية الخلايا الكبدية، واتساع الوريد المركزي (CV)، وركود وترسيب لخلايا الدم الحمراء مع تحللها (صورة رقم ٢)، كما يظهر الوريد المركزي محطم البطانة الطلائية الداخلية ومتصلا بالجيوب الدموية (BS) التي تظهر متسعة ومنفصلة البطانة الطلائية مع تحلل لبعض الخلايا الكبدية وظهور بداية تحلل لكرماتين أنوية بعض الخلايا ومعظم العضيات السيتوبلازمية مع مشاهدة زيادة عدد خلايا كوفر (K). (صور رقم ٣ و ٤).
- كما يظهر اتساع في الجيوب الكبدية مع بداية تحلل للخلايا الكبدية وتحلل للسيتوبلازم والأنوية (HC) مع مشاهدة نزيف داخلي وخلايا النهائية (I) (صورة رقم ٥).
- ٤. أظهر فحص قطاعات الكبد في المجموعة الثالثة التي تعرضت للخوف لمدة (٦٠) ثانية تحلل واضح لسيتوبلازم الخلايا الكبدية وانكماش بعض الأنوية ووجود بعض الأنوية طرفية داخل الخلايا الكبدية (صورة رقم ٦) كما تظهر منطقة كبيرة متحللة داخل الفصوص الكبدية مع زيادة في عدد خلايا كوفر وترسيب لخلايا الدم الحمراء داخل الجيوب الدموية (صورة رقم ٧)

- استدارة واتساع شديد وكبير للوريد المركزي (CV) مع تهنك وانفصال البطانة الطلائية الداخلية للوريد وترسيب لخلايا الدم الحمراء وتحطمها وتحللها، ويظهر اتصال الوريد المركزي بالجيوب الدموية (صورة رقم ٨).
- كما يوضح القطاع في منطقة الحيز البابي القناة الصفراوية التي تظهر معظم خلاياها متحللة مع تهنك لجدار القناة وزيادة ملحوظة في عدد خلايا كوفر في تلك المنطقة (صورة رقم ٩).
- ويظهر الوريد البابي تهنك البطانة الطلائية مع تليف لجدارها وتوسع للجيوب الدموية المحيطة به وترسيب للخلايا الدموية الحمراء داخلها (صورة رقم ١٠).

وجه الإعجاز :

١ - بين الرسول صلى الله عليه وسلم الهدي الصحيح والسليم في الذبح مما يؤكل من بهيمة الأنعام فربط عليه الصلاة والسلام بين الرفق والإحسان إلى الحيوان وبين سلامة اللحوم وما يأكل من الحيوان كالكبد. فقد ظهر في الدراسة المجهرية الحالية أن إخافة الحيوان وعدم الرفق به أو ذبح حيوان آخر أمامه يؤثر في الخلايا النسيجية للكبد ويتلفها ويزداد هذا التلف بطريقة وزيادة فترة التعرض للخوف؛ وذلك لأن الخوف يعمل على استحثاث الغدة النخامية لإفراز هرمون يعمل على حث الغدة الكظرية لإفراز هرمون الأدرينالين الذي تزيد نسبته في الدم بسرعة وينتشر مع الدورة الدموية إلى جميع أعضاء الجسم المختلفة .

كما أظهرت نتائج الدراسة الحالية التأثير السلبي لزيادة إفراز هرمون الأدرينالين على الخلايا الكبدية الذي يعمل على تدمير بعض الخلايا الكبدية وتحلل الأنوية وتلف للكروماتين لبعض الخلايا مع انكماش للأنوية في البعض الآخر، كما أظهرت تلف في البطانة الطلائية للوريد المركزي مع اتساع في حجم الوريد والذي يزداد بازدياد فترة الخوف التي يتعرض لها الحيوان، كما يظهر ترسيب لخلايا الدم الحمراء وتحللها داخل الوريد المركزي مع ظهور اتساع في حجم الجيوب الدموية واتصالها مع الوريد المركزي وترسيب للخلايا الدموية الحمراء بداخلها وتحللها، وظهور زيادة في عدد خلايا كوفر، كما تظهر القنوات الصفراوية محطمة البطانة الداخلية مع تهنك في خلاياها مما يؤدي إلى انتشار العصارة الصفراوية بين

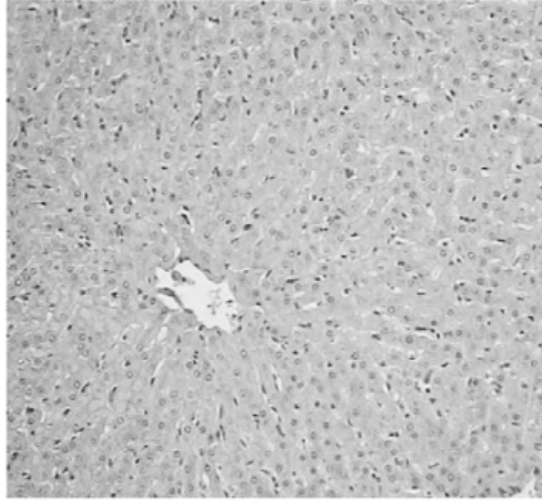
الخلايا الكبدية وقد تنتشر مع الدورة الدموية إلى جميع أنسجة الجسم ومنها العضلات .

٢ - **نهى الرسول صلى الله عليه وسلم** عن إخافة المسلم، وقد ورد ذلك في العديد من الأحاديث النبوية، واتضح السر في هذا النهي باكتشاف التغيرات النسيجية للخلايا الكبدية التي تتأثر بزيادة إفراز هرمون الأدرينالين المسئولة عن حالة الخوف ولأن الكبد يعتبر من الأعضاء الهامة جدا في الجسم فقد أظهرت الدراسة النسيجية الحالية الأضرار الشديدة التي تصيب الكبد نتيجة التعرض للخوف الشديد، وهذا يتوافق مع نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن إخافة المسلم وكذلك مع رفقته وإحسانه للحيوان عند الذبح.

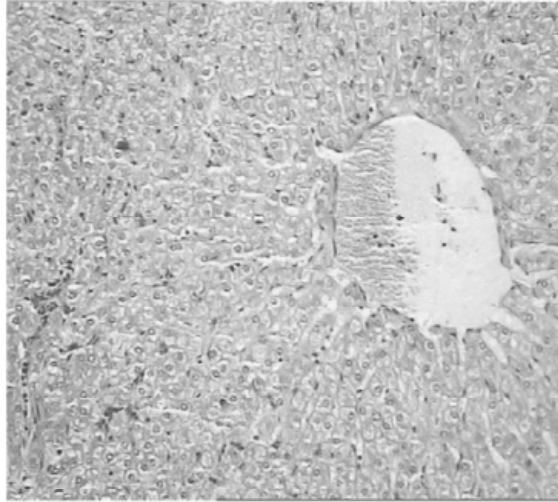
وهكذا يتجلى الإعجاز العلمي لهذا النهي مع الحقائق العلمية الحديثة التي بينت الأضرار الجسيمة التي يحدثها الخوف داخل الجسم سواء على المستوى الفسيولوجي والنسيجي للأعضاء. ذلك أن القرآن الكريم كلام الخالق عز وجل وأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وحي من الله، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (سورة النجم: ٣، ٤).

فمن أين لهذا النبي الأمي أن يعلم بكل هذا الضرر الذي يلحق بالإنسان والحيوان عند تعرضه للخوف الشديد وينهى عن إخافته.

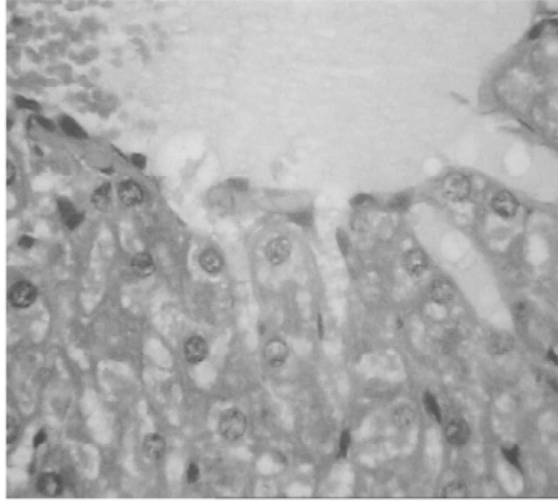
كما يتجلى لنا عطفه ورحمته وإحسانه إلى الحيوان حتى عند ذبحه، وبذلك يكون قد سبق الغرب في الدعوة إلى الرفق بالحيوان قبل ألف وأربعمائة وثلاثون عاما.



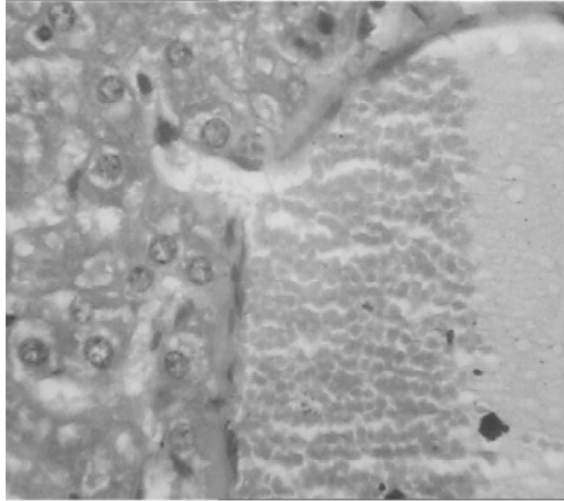
صورة (١): توضح قطاع في كبد خروف يظهر المجموعة الضابطة وتظهر مجموعات الخلايا الكبدية الطبيعية في فصوص كبدية (HC) ويتوسطها الوريد المركزي (CV). (X40)



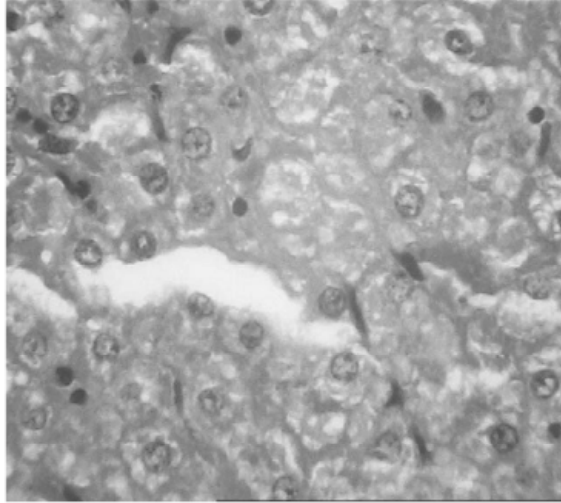
صورة (٢): توضح قطاع في كبد خروف تعرض للنفوف لمدة ٣٠ ثانية ويظهر اتساع الوريد المركزي (CV) مع ركود وترسيب لخلايا الدم الحمراء وتحللها بداخله. (X100)



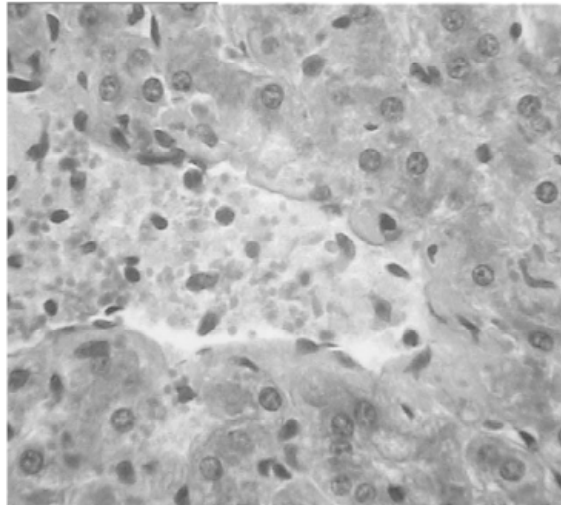
صورة (٣): جزء مكبر من صورة ٢ ويظهر تحتك وتحطم للبطانة الداخلية للوريد المركزي (CV) مع اتصاله مع الجيوب الدموية (BS) التي تبدو متسعة ومنفصلة البطانة الطلائية مع تحلل لبعض الخلايا الكبدية ومادة الكروماتين مع زيادة عدد خلايا كوفر (K). (X400)



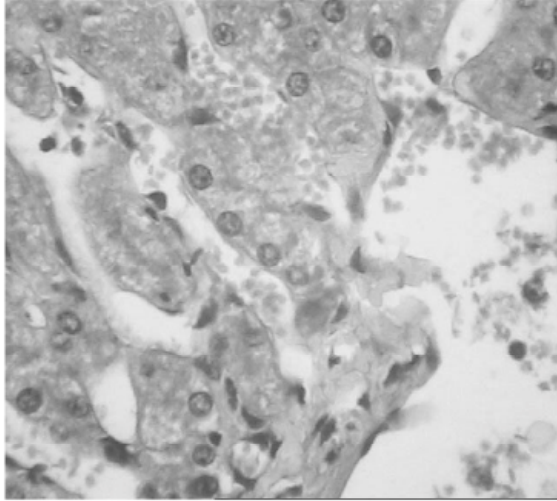
صورة (٤): جزء مكبر من صورة ٢ ويظهر ترسيب لخلايا الدم الحمراء مع تحلل لبعض الخلايا الكبدية ومعظم العضيات السيتوبلازمية للخلية. (HC). (X400)



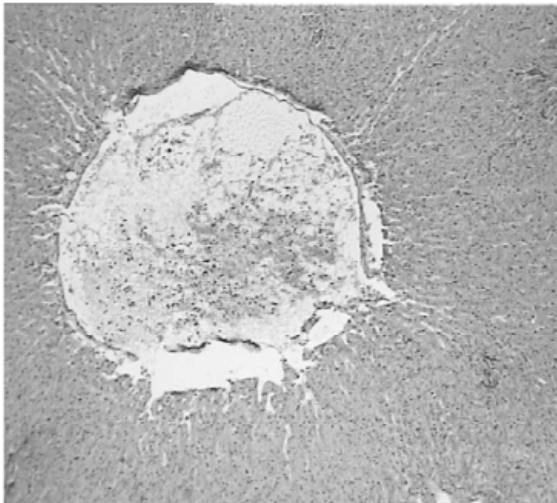
صورة (٥): توضح قطاع في كبد خروف تعرض للخوف لمدة ٣٠ ثانية ويظهر اتساع في الجيوب الكبدية مع بداية تحلل للخلايا الكبدية وتحلل للستيتوبلازم والأنوية (HC) مع مشاهدة نزيف داخلي وكثرة والخلايا الالتهابية (I). (X400)



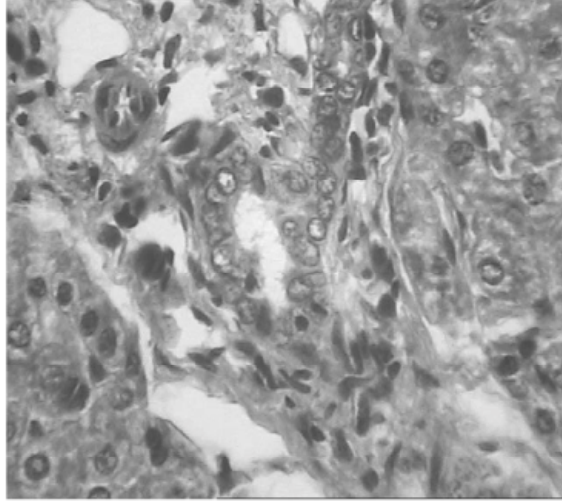
صورة (٦): توضح قطاع في كبد خروف القطاع تعرض للخوف لمدة ٦٠ ثانية ويظهر ترشيح لخلايا الدم الحمراء داخل الجيوب الدموية (BS) مع تحلل لبعض الخلايا الكبدية (HC) وتحلل للستيتوبلازم ، وانكماش لبعض الأنوية وملاحظة بعض الأنوية طرفية داخل الخلايا الكبدية. (X400)



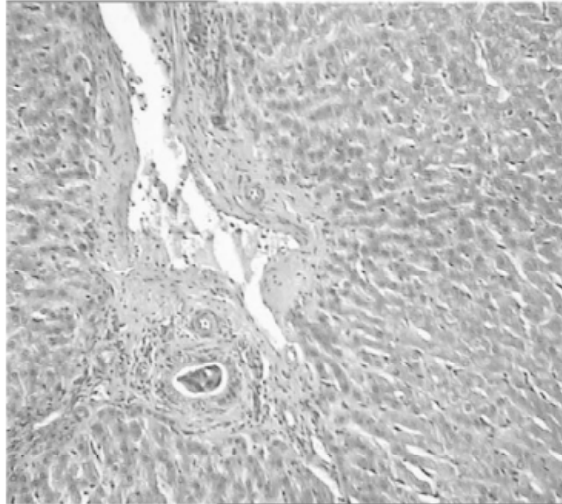
صورة (٧): توضح قطاع في كبد خروف تعرض للخوف لمدة ٦٠ ثانية وتظهر منطقة متحللة داخل الفصوص الكبدية مع زيادة في عدد خلايا كوفر (K) وترسيب لخلايا الدم الحمراء داخل الجيوب الدموية (BS). (X400).



صورة (٨): توضح قطاع في كبد خروف والتي تعرض للخوف لمدة ٦٠ ثانية ويظهر اتساع شديد وكبير مع استدارة للوريد المركزي (CV) وتتمتلك وانفصال البطانة الداخلية للوريد المركزي مع ترسيب وتحطم لخلايا الدم الحمراء ، واتصال الوريد المركزي بالجيوب الدموية (BS). (X40).



صورة (٩): توضح قطاع في كبد خروف والتي تعرض للخوف لمدة ٦٠ ثانية وتظهر منطقة الحيز البابي والقناة الصفراوية (BD) حيث يشاهد معظم الخلايا المبطننة للقناة الصفراوية متحللة ومتهتكة مع زيادة ملحوظة في عدد خلايا كوفر في تلك المنطقة. (X400)



صورة (١٠): توضح قطاع في كبد خروف والتي تعرض للخوف لمدة ٦٠ ثانية وتظهر منطقة الحيز البابي ويشاهد الوريد البابي متهتكة البطانة الطلائية مع تليف جداره وتوسع الوريد مع ترسيب وتحلل لخلايا الدم الحمراء. (X40)

المراجع العربية :

- صحيح مسلم كتاب الأضاحي باب من ذبح الأضاحي بيده ٦/٧٣٢ ح ٥٥٥٨ باب استحباب الضحية ٣م ١٥٥٦ ح ١٩٦٦
- كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة ١١/٥٧-١٩٥٥ صحيح مسلم بشرح النووي.
- المعجم الكبير ١١/٢٦٣ ح ١١٩١٦
- الترغيب والترهيب ٢/١٥٦
- المدخل إلى الغدد الصماء في الإنسان التركيب والوظيفة بين الصحة والمرض د. أمين صالح كشميرى الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

المراجع الأجنبية :

- Alan Stevens; James S. Lowe. (2002): Barbara Young Basic Histopathology Acolour Atlas and Text. Forth edition Churchill Livingstone.
- Abraham L. Kierszenba. (2007): Histology and Cell Biology An Introduction to Pathology. Second edition Mosby Elsevier.
- Bennett M. (1999): "One hundred years of adrenaline: the discovery of autoreceptors". Clin Auton Res 9 (3): 145-59.
- Berecek K.H. and Brody M.J. (1982): "Evidence for a neurotransmitter role for epinephrine derived from the adrenal medulla". Heart and Circulatory Physiology 242 (4): 593-601.
- David Harrison . Copyright (2005): All rights reserved. www.kidpower.org
- Gail Askew and Marilyn Smith-Stoner. (2001): The Pharmacy Assistant (Clinical Allied Heathcare Series). Clifton Park NY: Thomson Delmar Learning. pp. 4-6.

Matthew J Watt Kirsten F Howlett Mark A Febbraio Lawrence L Spriet and Mark Hargreaves. (2001): Adrenalin increases skeletal muscle glycogenolysis pyruvate dehydrogenase activation and carbohydrate oxidation during moderate exercise in humans. *Journal Physiol.* 1;534(pt1):269-278.

Takamine J .(1901): The isolation of the active principle of the suprarenal gland. Great Britain: Cambridge University Press..

Victor P.Eroschenko.(2008): Atlas of Histology with functional Correlations Victor P.Eroschenko. Eleventh edition Lippincott Williams & Wilkins.

Yamashima T.(2003): "Jokichi Takamine (1854–1922) the samurai chemist and his work on adrenalin". *J Med Biogr* 11 (2): 95–102.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

تأثير القسط الهندي

Speciosus Costus

على فطر *Aspergillus niger*، و *A.fumigatus*، و خميرة *Candida albicans*

التي تصيب الجهاز التنفسي في الإنسان

د. منال عثمان القطان

أستاذ مساعد علم الأحياء الدقيقة

جامعة الملك عبد العزيز - كلية التربية الأقسام العلمية - جدة



الجهاز التنفسي في الإنسان يتألف من الأنف، القصبة الهوائية والرئتين التي تعمل بدقة وانسجام يدل على عظمة الخالق في خلقها حيث تقوم بعملية الشهيق و الزفير ، وهي عملية تبادل الأكسجين و ثاني أكسيد الكربون ، والتي لها أهمية في أداء الأنشطة الحيوية التي تتم داخل الخلايا، ولكن قد يلحق الضرر به نتيجة لدخول بعض الإحياء المجهرية المصاحبة للهواء ، وذلك من خلال عملية التنفس عن طريق الأنف ، وتسبب أمراضاً خطيرة في الإنسان ، ومن أبرزها داء الرشاشيات الذي يسببه فطر *Aspergillus niger* الذي ينمو في القصبات الهوائية ، كما أن هناك حالة من الرشاشية الدخناء التي يسببها فطر *A.fumigatus* الذي يغزو التجاويف الجراحية في الرئة ، ومن هذا المنطلق وللعودة إلى التطب بالطب النبوي الذي أورثه لنا رسول البشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي دلنا فيه على التداوي بالقسط الهندي *Speciosus Costus* خاصة في علاج الأمراض التنفسية ؛ وعليه فقد انصب هدف هذا البحث للتعرف على فعالية القسط الهندي على بعض الأحياء الدقيقة التي تصيب الجهاز التنفسي شملت فطر *A.niger* و *A.fumigatus* و خميرة *Candida albicans* ، وقد أثبتت فعاليته على الأحياء الدقيقة السابقة حيث أظهرت نتائج البحث حساسيتها ضد التركيزات المختلفة من القسط الهندي.

المقدمة :

بدأت في الآونة الأخيرة دعوة «للعودة إلى الطبيعة من أجل صحة آمنة» وذلك من خلال التطب بالأعشاب للتقليل من الأخطار الناتجة عن الإفراط في استخدام العقاقير الطبية حيث ذكر شاتو (٢٠٠٣م) أن القيمة الحقيقية لمضادات الحيوية قد انخفضت اليوم بشكل حاد بسبب سوء الاستخدام الواسع لتلك الأدوية ، وتبين التقارير في السنوات الأخيرة تفاقم مشكلة ظهور سلالات من الجراثيم المقاومة لمضادات الحيوية في أنحاء مختلفة من العالم ، وقد أصبح الناس أكثر إدراكاً لهذه الحقيقة وللآثار الجانبية الناجمة عن مضادات الحيوية ، وقد بدءوا يبحثون عن البدائل الطبيعية. ومن هذا المنطلق نجد أن الطب النبوي الذي أورثه لنا رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الإعجاز الذي وقف العلم الحديث في تفسير أدق نتائجه حيث أوصانا صلى الله عليه وسلم بالتداوي بالقسط الهندي من خلال حديثه صلى الله عليه وسلم (لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وعليكم بالقسط)^(١) بالإضافة إلى قوله (عليكم بهذا العود الهندي ، فإن فيه سبعة أشفية : يستعط به العذرة ، ويلد به من ذات الجنب)^(٢). ويستخدم هذا القسط الهندي في علاج التهاب الحلق و اللوزتين ويمكن استخدامه عن طريق الأنف بالتقطير ، وفي علاج ذات الرئة (متولي ، ٢٠٠٥م) ، ومن تلك الأحاديث اتضح أن القسط الهندي يستخدم في علاج أمراض الجهاز التنفسي.

الجهاز التنفسي في الإنسان يتألف من الأنف ، القصبة الهوائية والرئتين التي تعمل بدقة وانسجام يدل على عظمة الخالق في خلقها حيث تقوم بعملية الزفير والشهيق، وهي عملية تبادل الأكسجين و ثاني أكسيد الكربون والتي لها أهمية في أداء الأنشطة الحيوية التي تتم داخل الخلايا ، ولكن قد يلحق الضرر بها نتيجة لدخول بعض الإحياء المجهرية من خلال عملية التنفس عن طريق الأنف إلى جسم الإنسان ، ويسبب ذلك أمراضاً خطيرة في الرئة من أبرزها داء الرشاشيات الذي يسببه فطر A.niger الذي ينمو في القصبات الهوائية

(١) البخاري (٥٦٩٦) في كتاب الطب

(٢) البخاري (٥٦٩٢) في كتاب الطب

كما أن هناك حالة من الرشاشية الدخناء *A.fumigatus* الذي يغزو التجاويف الخراجية في الرئتين أونسيج الرئتين (بورتر وتورك ، ١٩٨٤م) ، والإصابة بفطريات الإسبرجيليس والتي تعرف بـ *Aspergillasis* وجد أن بعض أنواع منها ضارة تسبب أمراضاً في أنسجة الإنسان والحيوان وتتميز بوجود التهاب تحبيبي في الجلد والأذن الخارجية والجيوب الأنفية والرئتين ، كما أن هناك أنواعاً من الـ *Aspergillus* عزلت من عينات مثل البلغم والكشطات الجلدية (المشني ، ١٩٩٤م) . كما ذكر (1996). Reynolds et al. بأن أنواعاً من فطريات *Aspergillus* قد تحدث أمراضاً متعددة مثل الجيوب الأنفية ، الرئة ، القلب ، الكلى ، المخ والجلد ، وغالباً تظهر الإصابة بتلك الفطريات لدى الأشخاص الذين لديهم ضعف في المناعة بالإضافة إلى صعوبة علاج الإصابات المتسببة عن تلك الفطريات . يعتبر كل من *A.fumigatus* and *A.flavus* *A.niger* من الفطريات التي تنتشر في الهواء ويستنشق الإنسان جراثيمها وتستقر في الجيوب الأنفية والرئتين ، وتؤدي إلى تدرن الرئة خاصة من لديهم ضعف في المناعة كما تعد خميرة *C.albicans* من الأمراض الانتهازية التي تسبب أمراضاً وخيمة في الصدر؛ والذي يعرف بالفطار *Mycosis* ، وهذا ما أوضحه (الشهابي ، ١٩٩٨م) . كما تصيب تلك الخميرة الفم ، الحلق ، الجلد ، المهبل ، الأصابع ، الأطفال ، شعبتي القصبة الهوائية ، والرئة أو تظهر بصورة جهازية كعفونة الدم ، التهاب السحايا ، والتهاب الشغاف (بطانة القلب) (Suhonen et al . 1999) . أما الرحمة (٢٠٠٥م) فقد ذكر أن بعضاً من أنواع الاسبرجيليات مثل *A.fumigatus* and *A.flavus* *A.niger* تصيب الأعضاء التنفسية مثل الرئة وتشبه أعراضها أعراض مرض الدرن ، وتظهر هذه الأمراض في الإنسان ، والحيوان ، ويطلق عليها بالأمراض الأسيرجيلية وخميرة *C.albicans* تصيب الأطفال حديثي الولادة ، وتتميز بلونها الأبيض ، وتؤثر على الغشاء المخاطي للجلد ، والأصابع والرئة .

المواد والطرق :

١- القسط الهندي Speciosus Costus :

يندرج تحت عائلة الزنجبيليات Zingiberaceae ويؤخذ من نبتة القسط التي يبلغ ارتفاعها ٥, ١ متراً ولها أوراق ، ساق وجذور ، ويوجد في الهند، والجزء المستخدم في العلاج، هو قشور جذوره التي تكون بيضاء، أو سوداء. والقسط الهندي نوعه غليظ أسود مر المذاق، شديد الحرارة (الذهبي ، ١٩٨٩ و متولي، ٢٠٠٥م) و (Kala et al.2006) (and Pandey et al.2007) واستخدم في هذه الدراسة جذور القسط الهندي ذو اللون البني المائل إلى الأسود صورة (١) متوفرة في محلات العطاراة ، وقد تم غسلها، وطحنها واستخدامها كبودرة لإجراء التجارب عليها.

٢- الأحياء المجهرية Microorganisms :

١ - ١ : Aspergillus niger

١ - ٢ : Aspergillus fumigatus

١ - ٣ : Candida albicans

٣- المنابت الغذائية Nutrient Media :

* منبت سابورود دكستروز (Oxoid) Sabouraud Dextrose Agar (:

جلوكوز ----- ٤٠ جم

بيتون ----- ١٠ جم

آجار آجار ----- ٢٠ جم

ماء مقطر ----- لتر

يوزن ٦٥ جم / لتر واستخدام المنبت لتنمية الفطريات والخميرة المختبرة .

١- تقدير النمو القطري للفطريات :fungi Radial growth estimation of

أضيفت وزنات مختلفة من بودرة القسط الهندي إلى دوارق مخروطية سعة ٢٥٠ مل تحتوي على منبت سابوراد الصلب المعقم والمبرد إلى حوالي ٤٥ م° للحصول على التركيزات ٥، ١٠، ١٥، ٢٠، ٢٥، ٣٠ جم / ١٠٠ مل من المنبت الغذائي بالإضافة للعينات الضابطة، وبعد خلط المنبت الغذائي بالقسط، وزع في أطباق بتري زجاجية معقمة ثم ترك المنبت الغذائي ليبرد ويتصلب ثم تلقح الأطباق بأقراص فطرية قطرها (٥ مم) من النمو الطري لمزرعة عمرها خمسة أيام لفطر *A.niger* وفطر *A.fumigatus* بحيث يواجه النمو الفطري سطح المنبت الغذائي، ثم تحضن الأطباق الملقحة بالفطر الاختباري عند درجة حرارة ٣٧ + ١ م° لكل فطر، ثم يتم قياس النمو القطري للقرص الفطري يومياً ولمدة ٥ أيام للفطرين.

٢- تقدير الوزن الجاف للخميرة :Dry Weight Estimation of yeast

استخدمت طريقة القطان (٢٠٠٢م) لتقدير الوزن الجاف للخميرة حيث تم إضافة وزنات من بودرة القسط الهندي إلى دوارق مخروطية سعة ٢٥٠ مل تحتوي على منبت سابوراد الصلب المعقم والمبرد إلى حوالي ٤٥ م° بالإضافة للعينات الضابطة للحصول على تركيزات ٥، ١٠، ١٥، ٢٠، ٢٥، ٣٠ جم / مل من المنبت، وبعد الخلط الجيد، وزع المنبت الغذائي في أطباق بتري زجاجية معقمة، ويترك ليبرد ويتصلب، ثم يلقح سطح المنبت بطريقة التخطيط بمعلق خميرة *C.albicans*، وبعد التحضين تحت ٣٧ م° + ١ لمدة ٤٨ ساعة ثم يتم تقدير الوزن الجاف لمعلق ١ مل من الخميرة النامية بعد وضعها في أنابيب اختبار معلومة الوزن، ويتم فصلها باستخدام جهاز الفصل المركزي بالقوة الطاردة المركزية بسرعة ١٠٠٠٠ لفة / دقيقة لمدة ٢٠ دقيقة، ثم تجفف الأنابيب عند ٨٠ م° إلى ثبوت الوزن، ويتم تقدير الوزن الجاف.

النتائج والمناقشة :

يتضح من جدول (١ و ٢) وشكل (١ و ٢) والصورة (٢ و ٣) أن القسط الهندي *Costus speciosus* أظهر تأثيراً مضاداً فعالاً ضد الفطريات والخميرة المختبرة ، حيث ثبت نمو فطر *A.niger* بنسبة ٥٣ ، ٥٢٪ عند تركيز ٥٪ بينما التركيزات المرتفعة كان لها تأثيراً فعالاً حيث بلغت نسبة التثبيط ٧٢، ٨٠ و ٨٤، ٨٠٪ عند تركيز ٢٥ و ٣٠٪ أما فطر *A.fumigatus* ثبت نموه عند ٥ ٪ بنسبة ١٨ ، ٣٩٪ بينما كانت نسبة التثبيط ١٠٠٪ عند التركيزات ١٥ ، ٢٠ ، ٢٥ و ٣٠٪ في اليوم الأول من التحضين، وانخفض التأثير التثبيطي ولكن بدرجة بسيطة في اليوم الثاني. حيث بلغت نسبة التثبيط ٦٢، ٦٢، ٢٨، ٦٨، ٧٣، ٧٣ و ٤٦، ٤٦، ٨٦٪ عند نفس التركيزات مقارنة بالعينة الضابطة .

كما يتضح أيضاً من الجداول السابقة أن القسط الهندي كان له تأثير تثبيطي واضح على فطر *A.niger* ؛ حيث ارتفع التأثير التثبيطي للقسط بزيادة فترة التحضين خاصة في التركيزات المرتفعة حيث بلغت ٦٨ ، ٧٣، ٤٣، ٧٣ و ٦٠ ، ٧١٪ عند ٢٠ ، ٢٥ و ٣٠٪ في اليوم الرابع ، و انخفضت النسبة بدرجة بسيطة في اليوم الخامس؛ حيث كانت ٥٢ ، ٧٢ ، ٢٨ ، ٧٢ و ٥٣ ، ٦٩٪ عند نفس التركيزات أما فطر *A.fumigatus* فقد انخفضت نسبة التثبيط بتقدم عمر الفطر المختبر؛ حيث بلغت ٤٤ ، ٦٣ و ٦٨ ، ٦٨٪ عند تركيز ٢٥ و ٣٠٪ في اليوم الرابع بينما ضلت تلك النسبة ثابتة تقريباً في اليوم الخامس مقارنة بالعينة الضابطة ، وقد سجلت معظم النتائج قيمة مرتفعة المعنوية .

يتضح من جدول (٣)، شكل (٣) والصورة (٤) أن العينات المعاملة بالقسط الهندي كان لها تأثير فعال على نمو خميرة *C.albicans*؛ حيث كانت نسبة التثبيط ٧٦، ٠٠٪ عند تركيز ٥٪ وازدادت فعاليته بزيادة التركيز فقد بلغت النسبة ٨٠، ٠٠ ، ٩٦، ٠٠ و ١٠٠٪ وذلك عند تركيزات ١٠، ١٥، ٢٠، ٢٥ و ٣٠٪، كما أظهرت النتائج أن الخميرة كانت أكثر حساسية للقسط الهندي من الفطريات المختبرة وذلك مقارنة بالعينة الضابطة.

اتضح من النتائج في جداول وأشكال (من ١ - ٣) والصور (من ٢ - ٤) بأن القسط الهندي *Costus speciosus* كان له تأثير تشبتي فعال على فطر *A.fumigatus* و *A.niger* وخميرة *C.albicans* وأتضح ارتفاع حساسية الفطر للقسط خاصة في مراحل نموها الأولى، ولكن انخفض هذا التأثير بتقدم عمر الفطريين، وقد يرجع ذلك إلى اكتمال بناء محتويات الخلية الفطرية، وخاصة الجدار الخلوي، والذي يعتبر ذو أهمية عالية في مقاومة الفطريات والخميرة للعوامل الضارة في بيئة النمو، ومنها مضادات الحيوية (Brooks et al. 1995 and Madigan et al. 1997). بالإضافة إلى ما ذكره الرحمة (٢٠٠٥م) أن الفطريات الزقية يتركب جدارها الخلوي بدرجة رئيسية من مادة الكيتين جلوكان Chitin-glucan، وهي تشبه الذي يغطي جسم الحشرات، والتي هي عبارة عن متبلمر وحداته مكونة من أستيايل الجلوكوز الأميني، ويسمى السليلوز الفطري، وهذا يفسر نتائج مقاومة الخميرة للقسط الهندي في التركيزات المنخفضة، أما عدم قدرتها على مقاومة تأثير التركيزات المرتفعة من القسط الهندي حيث بلغت نسبة التشبث ١٠٠٪ فيفسر على أن الجدار الخلوي للخميرة يحتوي على مادة بروتينية توجد بها إنزيمات مرتبطة بالجدار مثل الجلوكاناز Glucanase والمناز Mannase، وهما يساعدان على ليونة مادة الجدار قبل التبرعم. بالإضافة إلى أن القسط الهندي الذي ذكر في الطب النبوي يحتوي على مادة الهلنين، وحمض البنزوات وكلاهما من المواد المطهرة للجراثيم. ومن هنا تظهر فائدته في علاج ذات الرئة الجرثومية، وهذا ما ذكره (متولي، ٢٠٠٥م). كما ذكر (Nandhakumar et al. 2007) أن نوعاً من القسط التي تتبع عائلة الزنجبليات Zingiberaceae تحتوي على مادة الميثانول المطهرة والقاتلة، أو المثبطة للأحياء الدقيقة الممرضة.

ومن خلال نتائج هذا البحث اتضحت فعالية القسط على الفطريات والخميرة المختبرة؛ حيث دلنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله: (عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية: يستعظ به العذرة، ويولد به من ذات الجنب) (البخاري في كتاب الطب حديث ٥٩٢) حيث إنه كان يستخدم في علاج العذرة، وهو التهاب الحلق، واللوزتين، وذكر النسيمي (١٩٨٤م) أن نبات القسط المذكور في السنة، نبات يعيش في الهند وخاصة في كشمير، وفي الصين تستخدم قشور جذوره في التداوي، ومن منافعه الكثيرة أنه يجفف البلغم ويقطع الزكام، وإذا شربا نفع من

ضعف الكبد، والمعدة، قطع وجع الجنب ونفع في علاج السموم. بالإضافة إلى استخدامه سعوطاً أي تناوله عن طريق التقطير في الأنف لعلاج الأنفلونزا، حيث إن استنشاقه يحلل الزكام، ويخفف البلغم (الذهبي، ١٩٨٩ م). أما (White Lotus Aromatics Newsletter 2001) فقد أوضحت أن جذور القسط ذات طعم لاذع، معطرة، منشطة، ومطهرة. تعزز أداء المعدة، وتفيد في وقف النزيف، كما أنها تنشط عمل العضلات، والأنسجة، ومدررة للبول بالإضافة إلى أنها مفيدة في إزالة الزكام، والبلغم من العشب الهوائية، واضطرابات الجهاز التنفسي، وتعالج الربو، والسعال. كما ذكر كلاً من Kala et al (٢٠٠٦). and Pandey et al (٢٠٠٧) أن الـ *costus* الذي يكثر وجوده في جبال الهيمالايا وكشمير يعد من النباتات الطبية التي تستخدم في العلاج، حيث إن هذه النباتات ذات خصائص طبية أسهمت إسهاماً بارزاً في نشأة وتطور العديد من العلاجات العشبية التقليدية خاصة أنها تستخدم في علاج الربو، الأمراض الالتهابية، وقرحة المعدة. ومن خلال الأحاديث النبوية السابقة والدراسات الحديثة التي أوضحت أهمية التداوي بالقسط وأنواعه نظراً لاحتوائه على مواد فعالة ذات تأثير تشبيطي على نمو الفطريات، والخميرة التي تصيب الجهاز التنفسي في الإنسان، بالإضافة إلى أنه يستخدم منذ القدم في علاج الأنفلونزا، الربو، والسعال، حيث إن طب الأعشاب هو الأقدم والأكثر تجربة من بين أنواع الطب المختلفة بل ويشكل حجر الأساس في العلاج الطبي؛ حيث إن الباحثين في الوقت الحاضر يبحثون عن بدائل ناجعة للتداوي، وللتقليل من أخطار استخدام مضادات الحيوية التي أصبحت مصدراً للخطر على الصحة العامة بالإضافة إلى أنها تسبب آثاراً جانبية حادة، وأحياناً غير متوقعة خاصة إذا استخدمت لفترات طويلة فتحدث ضعفاً عاماً للمناعة واحتمال تزايد نمو الفطريات والخمائر في جسم الإنسان، ويصبح من الصعب التغلب عليها (شاتو، ٢٠٠٣ م وكينا، ٢٠٠٣ م).

جدول (١) : النمو الفطري لـ *A. niger* و *A.fungaus* أثناء نموه لمدة ٥ أيام بعد معالته بتراكيز مختلفة من القسط الهندي
(متوسط المكررات \pm الخطأ المعياري) *Costus speciosus*

القطر	العينة الضابطة	التركيزات %				
		٣٠	٢٥	٢٠	١٥	١٠
<i>A.niger</i>	١	0.34 ± 0.07	0.35 ± 0.10	0.11 ± 0.22	0.17 ± 0.50	0.13 ± 0.78
	٢	0.10 ± 0.17	0.16 ± 0.82	0.10 ± 0.80	0.20 ± 0.42	0.27 ± 0.73
	٣	0.12 ± 0.17	0.04 ± 0.10	0.11 ± 0.27	0.10 ± 0.37	0.23 ± 0.40
	٤	0.07 ± 0.22	0.14 ± 0.19	0.08 ± 0.22	0.06 ± 0.50	0.18 ± 0.80
	٥	0.11 ± 0.50	0.11 ± 0.32	0.10 ± 0.30	0.09 ± 0.70	0.16 ± 0.37
<i>A.fungaus</i>	١	صفر	صفر	صفر	0.37 ± 0.60	0.06 ± 0.30
	٢	0.29 ± 0.27	0.09 ± 0.30	0.08 ± 0.57	0.23 ± 0.58	0.22 ± 0.17
	٣	0.13 ± 0.60	0.16 ± 0.77	0.08 ± 0.97	0.17 ± 0.23	0.23 ± 0.17
	٤	0.16 ± 0.27	0.11 ± 0.60	0.18 ± 0.60	0.42 ± 0.10	0.22 ± 0.20
	٥	0.17 ± 0.22	0.16 ± 0.90	0.19 ± 0.82	0.24 ± 0.62	0.19 ± 0.80

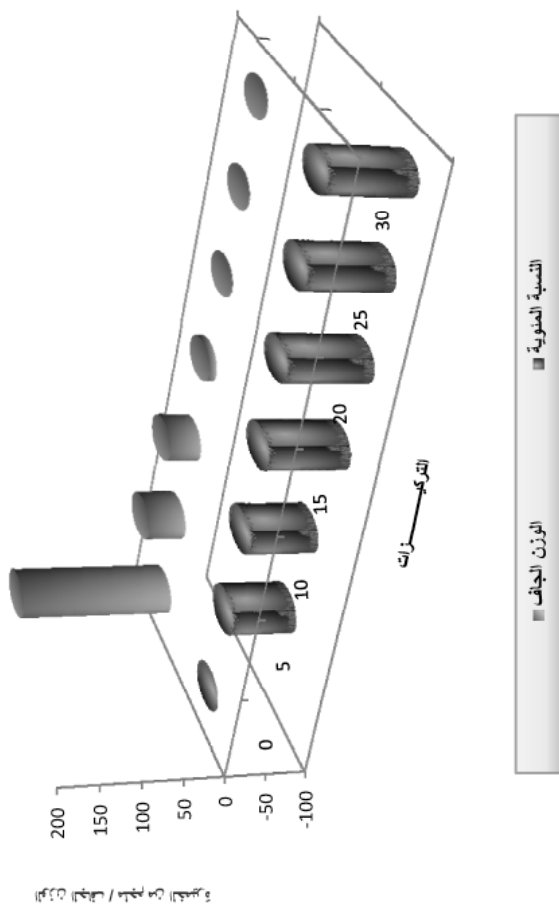
* قيمة معنوية عند ٥%

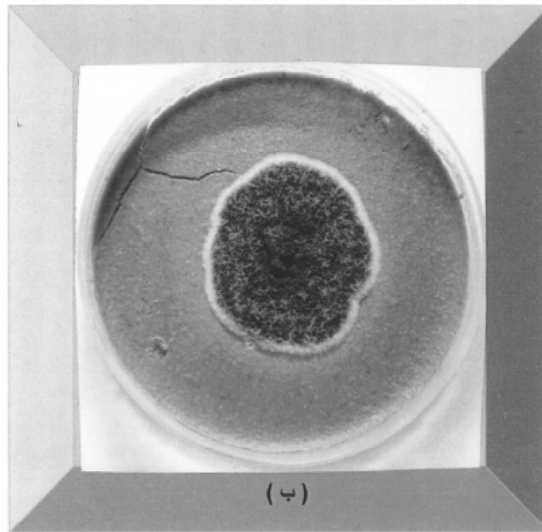
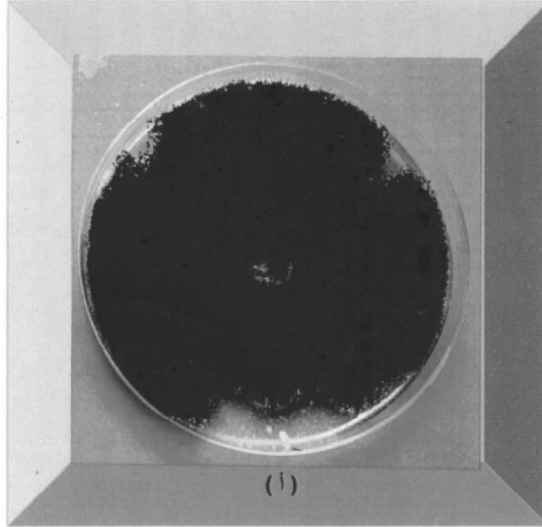
** قيمة مرتفعة المعنوية عند ١%

جدول (٢) : النسبة المئوية لنمو فطر *A. niger* و *A. fumigatus* أثناء نموه لمدة ٥ أيام بعد معالجته بتركيزات مختلفة من القسط الهندي *Costus speciosus* مقارنة بالعينة الضابطة.

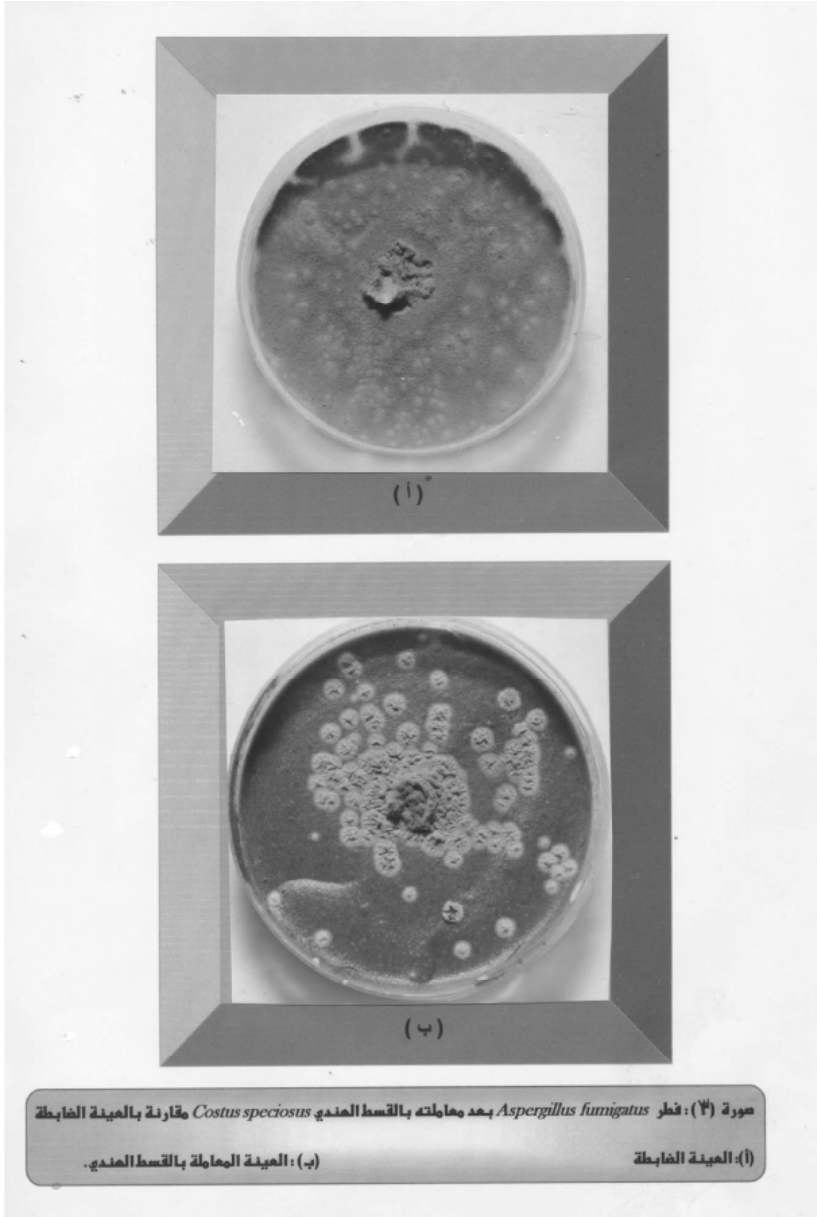
القطر	التركيز %	التركيزات %					التركيز %
		٣٠	٢٥	٢٠	١٥	١٠	
<i>A.niger</i>	١	٨٤,٨٠-	٧٢,٨٠-	٧٠,٦٦-	٦٤,٨٠-	٥٨,٦٦-	٥٢,٥٢-
	٢	٦٩,٤٥-	٦٥,٦١-	٦٨,٢٣-	٦٨,٥٨-	٥٧,٧٦-	٦٠,٣٨-
	٣	٦٩,٩٤-	٦٩,٩٤-	٧٠,٢٢-	٦٨,٥٥-	٦٧,١٧-	٦٦,٠٦-
	٤	٧١,٦٠-	٧٢,٤٣-	٧٣,٦٨-	٧٢,٨٢-	٦٨,٧٨-	٦٥,٧٢-
	٥	٦٩,٥٢-	٧٢,٢٨-	٧٢,٥٢-	٧١,٩٢-	٦٧,١٤-	٦٤,٥٢-
<i>A.fumigatus</i>	١	١٠٠,٠٠-	١٠٠,٠٠-	١٠٠,٠٠-	١٠٠,٠٠-	٧٠,٧٢-	٣٩,١٩-
	٢	٨٦,٤٦-	٧٣,٧٣-	٦٨,٢٨-	٦٢,٦٢-	٤٩,٠٩-	٣٥,٩٥-
	٣	٦٩,٠٥-	٦٥,٧٦-	٦١,٨٩-	٥٥,٥١-	٤٣,٥٢-	٣٣,٨٥-
	٤	٦٨,٦٨-	٦٢,٤٤-	٦٦,٤٤-	٥٩,٠٣-	٤٢,٧٥-	٤١,٣٧-
	٥	٦٧,٣٣-	٦٣,٢١-	٦٤,٨٣-	٥٧,٩٨-	٢٩,٩٢-	٢٧,٠٥-

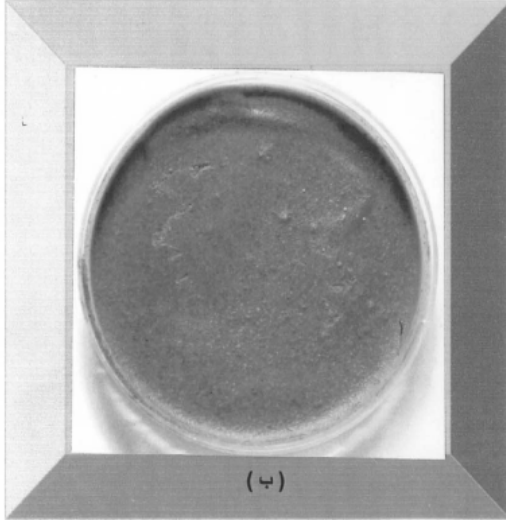
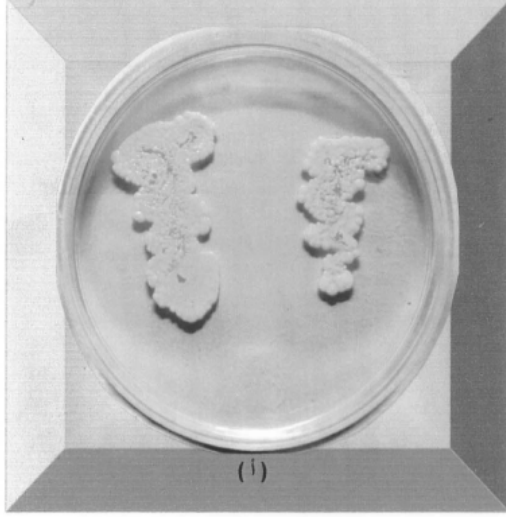
شكل (٣) : الوزن الجاف والنسبة المئوية لخميرة *Calbicans* بعد معالجتها بتركيزات مختلفة من القسط الهندي مقارنة بالعيادة الضابطة.





صورة (٢) : فطر *Aspergillus niger* بعد معالته بالقسط المندي مقارنة بالعينة الضابطة
(أ): العينة الضابطة (ب): العينة المعاملة بالقسط المندي.





صورة (٤) : خميرة *Candida albicans* بعد معالته بالقطر المندي مقارنة بالعينة الخابطة
(أ): العينة الخابطة (ب): العينة المعاملة بالقطر المندي.

المراجع :

- البخاري مع الفتح ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- بورتر ، آى وتورك ، دى ، سى (١٩٨٦ م) : علم الأحياء الدقيقة الطبية . الناشر : جامعة الموصل ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ص : ١٩٥ - ١٩٧ .
- الذهبي ، الحافظ أبى عبدالله (١٩٨٩ م) : الطب النبوي . الناشر : دار المعارف ، تونس ، ص : ٧٤ - ٧٥ .
- الرحمة ، عبدالله بن ناصر (٢٠٠٥ م) : أساسيات علم الفطريات . الطبعة : الرابعة . الناشر : جامعة الملك سعود ، الرياض ، ص : ١٧٩ - ٢٤٢ .
- شاتو ، ليون (٢٠٠٣ م) : بدائل المضادات الحيوية من الطبيعة . الطبعة : الأولى . الناشر : مكتبة جرير ، ص : ٦٠ - ١٠٠ .
- الشهائي ، عاصم عطا (١٩٩٨ م) : الميكروبات المعدية للإنسان . الناشر : مركز الكتب الأردني ، عمان ، ص : ١٠٠ - ١٣٠ .
- القطان ، منال (٢٠٠٢ م) : تأثير مستحضر معد من بول الإبل على بعض فطريات الأمراض الجلدية . (أطروحة ماجستير) . إشراف : العوضي ، أحلام . كلية التربية للأقسام العلمية جدة ص : ٣ - ١٢ .
- الكشير ، حسين ؛ القزاز ، سيد وشعيب ، عالية (١٩٩٧ م) : علم البكتيرات . الجزء : الأول . الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ص : ١٣٣ - ١٣٦ .
- كينا ، جوماك (٢٠٠٣ م) : بدائل المضادات الحيوية . تعريب : ياسر العتيبي . الناشر : مكتبة العبيكان ، الرياض ، ص : ١٧ - ٣٠ .
- متولي ، أحمد مصطفى (٢٠٠٥ م) : الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية . الناشر : دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ص : ١٠٧٠ - ١٠٧٢ .
- المنشي يوسف (١٩٩٤ م) : علم الأحياء الدقيقة « الجراثيم » . الطبعة : الثانية . الجزء : الثاني . الناشر : دار المستقبل ، عمان ، ص : ١٨١ - ٢٢٠ .
- النسيمي ، محمود (١٩٨٤ م) : الطب النبوي والعلم الحديث . الطبعة : الأولى . الجزء : الثالث . الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص : ٢٣٧ - ٢٤٢ .

Brooks G. F.; Butel J. S. and Ornston L. N. (1995): Medical microbiology . AIANGE medical book Appleton and LANGE . 20 : 137 .

Kala C. P.; Dhyani P. P. and Sajwan B (2006): Developing the medicinal plants sector in northern India: challenges and opportunities. J. Ethnobiol Ethnomed. India (2): 32.

Madigan M. T.; Martinko J. M. and Parkev J. (1997) : Brock biology of microorganisms . Prentic Hall Inc . 8 : 421 – 422 .

Nandhakumar J.; Sethumathi P. P.; Malini A.; Sengottuvelu S.; Duraisamy R. ; Karthikeyan D and Sivakumar T (2007) : Anti-diabetic Activity of Methanol Leaf Extract of Costus pictus D. DON in Alloxan-induced Diabetic Rats . Journal of health science. Bibliography. The Pharmaceutical Society of Japan. 53: 655-663.

Oxoid LTD : Blood agar . Basingstoke Hampshire England .

Pandey M. M.; Rastogi S.; and Rawat A. K. (2007): Saussurea costus: Botanical chemical and pharmacological review of an ayurvedic medicinal plant Pharmacognosy & Ethnopharmacology Division National Botanical Research Institute Rana Pratap Marg Lucknow Journal of Ethnopharmacology. India Vol 110 : 379-390

Reynolds J. E. F. ; Prasad A. B. and Shoutman S. C. (1996): Martindal . Direction of the council of the pharmaceutical society Britain and prepared in the society s department of pharmaceutical science 31st – edition . (3) : 393 – 960 .

Suhonen R. E.; Dawber R. P. R. and Ellis D. H. (1999) : Fungal infections of the skin hair and nails . Published: Martin Dunitz Ltd. United Kingdom. 87-114.

White Lotus Aromatics Newsletter (2001): Costus Root. Fragrant Harvest http://www.indiangyan.com/books/therapybooks/Herbs_That_Heal/saussurea.shtml



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

التحلل في علم الميكروبيولوجي حقيقة علمية دونت في القرآن والسنة

مقتطفات من كتاب كائنات دقيقة تشاطر الإنسان دونت في علم السنة والقرآن

د. أحلام بنت أحمد العوضي

جامعة الملك عبد العزيز

المقدمة

الحمد لله الذي خلق السموات وأنعم علينا بكتاب لا كتاب بعده ، و نبي لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم فحمل الأمانة وبلغ الرسالة التي دونت فيها حقائق علمية في بحر لم تظهر منه سوى القطرات ولكن احتوى في أعماقه كنوزاً علمية عظيمة غيرت تواريخ علوم كشفتها البشرية بعد التنقيب والبحث، والدراسة لمئات السنين وها نحن الآن في هذا المؤتمر نُظهر حقائق علمية وفي مجالات مختلفة ولكنها جميعاً حصرت في زمن تخطى العلوم البشرية وفي جميع تلك العلوم المختلفة وفي شتى المجالات سواء في علم الفلك ، الطب، الأحياء بمختلف فروعها وغيرها من العلوم دونت في ٢٣ عاماً في تحد واضح لجميع العلوم العالمية فهاهي عدة علوم يذكرها الحبيب صلى الله عليه وسلم في أحاديث عدة لا تتجاوز الأسطر القليلة ولكنها حملت علوماً كشفتها الجهود والتقنيات عبر القرون المتتالية ونذكر منها ما جاءت في أحاديث عرفت عند الكثير مثل أحاديث عجب الذنب التي ركز فيها الباحثون على تفسير وشرح لجانب واحد فقط وهو وصف عجب الذنب بينما الحديث حمل بين كلماته معانٍ لعلوم عدة تتميز بأهميتها وجاءت خلال أحاديث نبي هذ الأمة عليه الصلاة والسلام ومنها :

جاء في سنن النسائي :

أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ عَنْ مَالِكٍ وَمُغِيرَةَ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ بَنِي آدَمَ وَفِي حَدِيثٍ مُغِيرَةَ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يَرْكَبُ » .

جاء في مسند أحمد :

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبَ ذَنْبِهِ قِيلَ وَمِثْلُ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْهُ تَنْبُتُونَ » .

جاء في سنن أبي داود :

حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضَ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يَرْكَبُ».

جاء في موطأ مالك :

حَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يَرْكَبُ»

جاء في صحيح مسلم :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يَرْكَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: عَجَبُ الذَّنْبِ»

حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضَ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يَرْكَبُ»

العلوم التي وردت في الأحاديث النبوية :

ويتضح لنا مما سبق بأن إظهار الإعجاز العلمي في الأحاديث النبوية التي ذكرت في السابق كان منصباً على عجب الذنب فقط ولكن لو تمعنا في الأحاديث النبوية السابقة لو جدناها تحمل بين معانيها أكثر من إعجاز علمي واحد والذي يظهر من خلال العلوم التالية :

أولاً - علم الأجنة

علم الأجنة الذي ينصب في وعاء عجب الذنب؛ لإظهار صفاته وما ورد في هذا الشأن أظهرته جهود العديد من الباحثين وترك الكلام عن إظهارها لمن تخصصوا للبحث في هذا الوعاء.

ثانياً - علم الوراثة

علم الوراثة الذي ينصب أيضاً في وعاء عجب الذنب؛ لإظهار إحتفاظه بالصفات الوراثية للإنسان ذاته والتي نشأ منها ليعود الإنسان للحياة بعد البعث بنفس الصفات التي احتفظ بها عجب الذنب واستمر بقاؤه حياً ليركب منه الإنسان مرة أخرى كي يعود إلى الحياة بصفاته التي بدأها من عجب الذنب ذاته، ويتضح هذا في قوله صلى الله عليه وسلم {كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضَ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ} وخص عليه الصلاة والسلام بأن كل إنسان يُنشأ مرة أخرى بعد الممات من عجب ذنبه بذاته، والخاص بكل إنسان ويتضح ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: {يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبَ ذَنْبِهِ قِيلَ: وَمِثْلُ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْهُ تَنْبُتُونَ} وذكر كلمة ذنبه هنا، تشير بأن الإنسان ينشأ بنفس صفاته التي يحتفظ بها عجب ذنبه والله أعلم، ونترك هذا الوعاء للمتخصصين في علم الوراثة ليُظهروا لنا الحقيقة العلمية فيه .

ثالثاً - علم الكائنات الحية الدقيقة والنحل يفسر ما جاء في الحديث النبوي

ويتجلى لنا ما يتعلق بعلم الكائنات الحية الدقيقة وما يتعلق بعلم الأرض من خلال معرفة أن تلك الكائنات من مكونات الجزء الحيوي في التربة وهذا ينصب في وعاء أكل التراب والأرض أجساد بني آدم، ويعني ذلك تحلل جسم بني آدم في الأرض وهذه سابقة علمية ذكرها رسول الأمة تتمثل في التالي :

وضح رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة علمية دقيقة عن الكائنات الحية الدقيقة سبقت زمان اكتشافها بقرون عدة بل قبل أن تكتشف الكائنات الحية الدقيقة ذاتها باختراع المجهر من قبل الإنسان الذي اعتبر العين المساعدة للإنسان للكشف عن ماهية تلك الكائنات الحية الدقيقة الخارجة عن نطاق الرؤية البشرية بل تعدت ذلك حين كشفت عن حقيقة علمية لم يتوصل إليها الإنسان إلا بعد اكتشاف الكائنات الدقيقة بعدة سنوات طويلة بعد البحث والتنقيب وإخضاعها للتجارب المعملية المتعددة ليصل علماء الميكروبيولوجي إلى حقيقة علمية هامة وضعت بصمة علمية توضح قدرة تلك الكائنات الحية الدقيقة على تحليل الأجسام الميتة للتغذى عليها والتي ذكرها لنا رسولنا محمد صلى

الله عليه وسلم في صورة علمية متقدمة ومقننة بل توضح قدرة تلك الكائنات الدقيقة على أكل أجساد البشر وهي صفة من الصفات التي تتعلق بالكائنات الحية الأخرى من إنسان وحيوان بل وضح بدقة علمية بأن ما تقوم به تلك الكائنات الدقيقة بطريقة أطلق عليها الفعل الذي يشير إلى معنى الأكل .

ماذا تعني حقيقة الأكل لتلك الكائنات الدقيقة ؟؟؟؟

نعم هي حقيقة علمية توضح قدرة الكائنات الحية الدقيقة أن تقوم بما يتشابه بعملية الأكل لذا أطلق على هذه الحقيقة عليه الصلاة والسلام صفة الأكل وهي التي تعني تحول المواد العضوية المعقدة إلى مواد بسيطة بفعل الإنزيمات ولكن أطلقها هنا عليه الصلاة والسلام على الكائنات الحية الدقيقة وقدرتها على فعل ذلك على الجسد الميت وهنا تظهر عظمة العلم الإلهي الموحى به لنبي هذه الأمة في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها في فرق زمني ليس بالسنوات القليلة بل قبل اكتشاف الكائنات الحية الدقيقة ذاتها بأكثر من ألف عام. فوضح لنا هنا بأن الكائنات الدقيقة التي تحتويها الأرض تمتلك القدرة على إنتاج إنزيمات هاضمة تفرزها على المواد العضوية التي يتكون منها الجسد لتحللها إلى مواد بسيطة كي تستطيع أن تتغذى عليها - أي تأكلها - .

كيف الأرض تأكل؟؟ وكيف تأكل الأرض الإنسان؟؟ وكيف يأكل التراب ابن آدم؟؟ أسئلة عدة ترد في خاطر عند ذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يعبر عن الأرض التي تأكل الإنسان !!

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة لا بد أن نورد أولاً المعنى اللغوي للأكل ونذكر هنا ما جاء في القاموس العربي الشامل (الأداء، ١٩٩٧م) وكما يلي :

أكل (أكلأ ومأكلاً) الطعام : تناوله

أكل (تأكياً) الشيء للشخص : أطعمه إياه .

بلى (بلى وبلاء) الثوب : رُث .

البلى : البالي ؛ الرث؛ القديم

كما جاء في معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن (٢٠٠١م) :

أكل : الأكل ، تناول المطعم ، وعلى طريق التشبيه قيل : أكلت النار الحطب . وقد يعبر عن الأكل الفساد نحو { كعصف مأكول } وتأكل كذا : فسد وأصابه إكال في أسنانه، وذلك يعني أن كل كائن حي تناول طعامه أي غذائه نطلق عليه أكل أو يأكل فالإنسان يأكل .



١ - الحيوان يأكل

لأنهم يتناولون الطعام فتغذى به أجسامهم من خلال تحول الطعام من مواد معقدة التركيب إلى مواد بسيطة التركيب ويتم ذلك بمساعدة الإنزيمات التي يفرزها جسم الإنسان والحيوان لتقوم بهذه العملية وهي التحلل الذي يقوم به الجهاز الهضمي في الإنسان .

ومن أمثلة المواد الغذائية المتحللة :

١ - البروتينات :

تتحلل البروتينات بواسطة إنزيمات تحلل البروتينات التي تعرف بـ Proteases التي تحول البروتينات المعقدة التركيب إلى أحماض أمينية ذائبة .

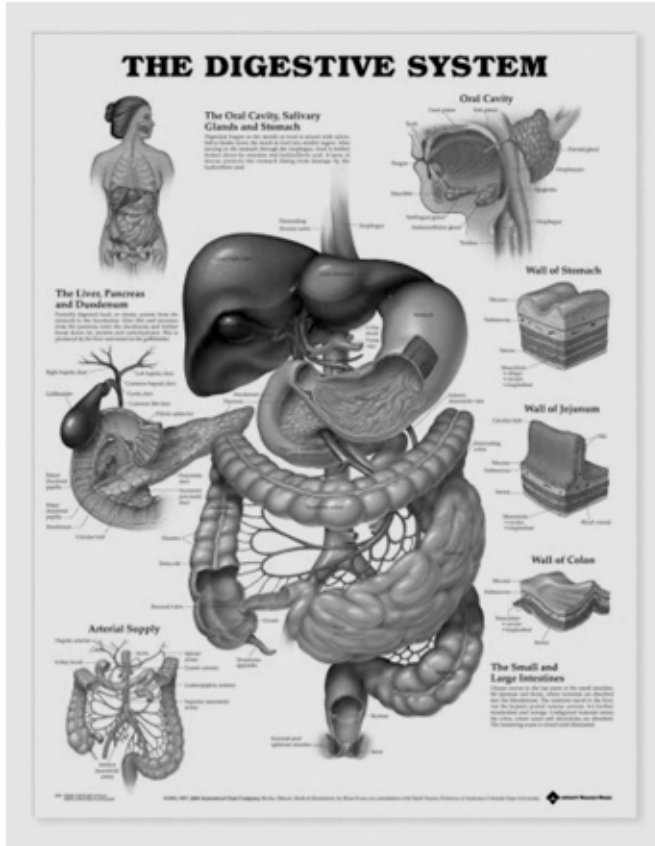


٢ - الدهون :

تتحلل بـانزيمات تعرف بـ lipedasese التي تحلل الدهون إلى أحماض دهنية .

٣ - المواد الكربوهيدراتية :

تتحلل المواد الكربوهيدراتية المعقدة إلى مواد بسيطة ليسهل امتصاصها ومثال على ذلك أن النشا يتحلل إلى الجلوكوز والسليولوز يتحلل أيضاً إلى جلوكوز .



وبما الأرض والتراب أطلق عليهما عملية أكل الإنسان في أحاديث وأكل بني آدم في أحاديث أخرى؛ إذن ماهي الكائنات الحية فيها التي تقوم بالعمليات الأيضية السابقة ليتحقق فيها صفة أكل الجثث الميتة . وكيف يكون ذلك ؟؟؟؟

٢ - الكائنات الدقيقة تأكل:

لأن علماء الميكروبيولوجي - بعد ان كشفوا عن الكائنات الحية الدقيقة التي تملأ جميع البيئات التي تحيط بنا ومنها تربة الأرض - تأملوا وتفكروا في الكلمات التي جاءت في الأحاديث النبوية السابقة بأن الأرض تأكل بني آدم والتراب يأكل بني آدم وهي من صفات الكائنات الحية لاتضح لهم التالي :

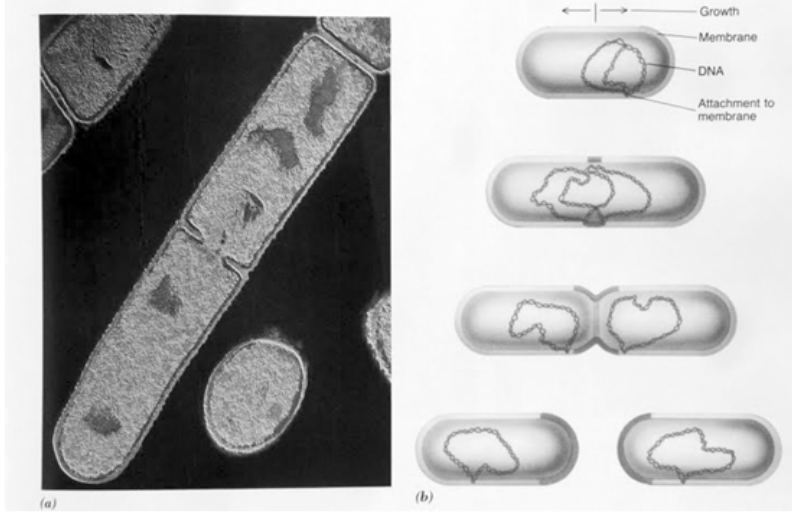
- ١- أن الكائنات الحية الدقيقة من المكونات الحية للأرض كُلِّ ابنِ آدَمَ تَأْكُلُ الأَرْضُ وأنها تتواجد في منطقة التربة منها يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ .
- ٢- إن تلك الكائنات الدقيقة المتواجدة في التربة تأكل (كُلِّ ابنِ آدَمَ تَأْكُلُ الأَرْضُ) (يَأْكُلُ التُّرَابُ) بني آدم وطبق عليها معنى الأكل وهي تحلل المواد المعقدة إلى مواد بسيطة.
- ٣- وإن ناتج الأكل هو لتغذية الكائن الحي لينمو وتبنى خلاياه الجديدة، ومن هنا ستظهر لهم حقيقة علمية هامة في أن الكائنات الدقيقة تأكل لحوم البشر لتغذى وتتكاثر وهنا يتم النقص في المأكول والزيادة في الأكل أي هناك نقص في الإنسان المأكول تقابله الزيادة في الكائن الأكل بمعنى حقيقة علمية واضحة لما تقوم به الكائنات الحية الدقيقة من إنجاز عملية التحلل في مصطلح علم الميكروبيولوجي !!!!!

ما أثبتته العلم حول حقيقة التحلل في مصطلح علم الميكروبيولوجي :

أثبتت الدراسات العلمية في علم الميكروبيولوجي بأن الأرض تحتوي على الكائنات الحية الدقيقة التي تقوم بتحليل الجثث الميتة عن طريق تحويل المواد المعقدة التركيب إلى مواد بسيطة التركيب وبما أن تلك المواد هي التي يتغذى أيضاً عليها جسم الإنسان من مواد بروتينية ودهنية ومواد كربوهيدراتية وهي التي يتغذى عليها الكائن الحي الدقيق ؛ ومن هنا يظهر لنا مدى التشابه بين ما تقوم به الكائنات الحية الدقيقة غير ذاتية التغذية ومنها المترمة التي تتغذى على المواد المعقدة التركيب بعد أن تحولها بالتحلل بمساعدة الإنزيمات التي تبنيها خلاياها لتفرزها على المواد العضوية المعقدة لتحولها إلى مواد بسيطة التركيب فتتحول البروتينات إلى أحماض أمينية والدهون إلى جلسرين وأحماض دهنية والمواد الكربوهيدراتية المعقدة كالنشأ والسليلوز إلى جلوكوز لتستهلكها عن طريق امتصاصها من البيئة لتصل إلى خلاياها كي تتغذى عليها .

وعليه نستطيع أن نتوصل من السابق إلى التطابق بين الكائنات الحية الدقيقة غير ذاتية التغذية والإنسان والحيوان في عملية تحول الغذاء من الصورة المعقدة التركيب إلى الصورة البسيطة التركيب، ويتم ذلك بمساعدة الإنزيمات وهو ما يُعرف في الإنسان، والحيوان الراقى بعملية هضم الطعام، وفي الكائنات الدقيقة بعملية التحلل. ومن هنا نستطيع أيضاً أن نطلق مسمى عملية الهضم على الكائنات الحية الدقيقة؛ لأنها تقوم بالعملية ذاتها لتنمو

وتتكاثر.



وعليه يمكننا أن نطلق عليها الفعل تأكل .

نعم يمكن أن نطلق على الكائنات الحية الدقيقة الفعل : تأكل كما ذكر رسول هذه الأمة صلى الله عليه وسلم . وفي ذلك توضيح لسابقة علمية هامة تتعلق بالكائنات الحية الدقيقة قبل اكتشاف علم الميكروبيولوجي، وتلك الحقيقة العلمية تتجلى بأن الكائنات الحية الدقيقة لها قدرة أكل الجثث الميتة وجاء ذلك واضحاً جلياً في قوله صلى الله عليه وسلم {كُلَّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ} وقوله صلى الله عليه وسلم: {كُلُّ بَنِي آدَمَ وَفِي حَدِيثٍ مُغْيِرَةٍ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ} .

ويمكن تقريب الصورة إلى الذهن من خلال عرض المثال البسيط التالي :

أنت تأكل قطعة لحم فتتحلل في جهازك الهضمي من قطعة كاملة إلى قطعة متحللة ويمكنك أن ترى ذلك في الكائنات الحية الدقيقة التي تتغذى على الجثث الميتة حيث تحلل اللحم إلى مكونات بسيطة فيختفي الجسد الكامل ويختلط بالتراب كما وضحنا ذلك سابقاً .

أما معنى الهضم لغوياً كما ورد في قاموس (الأداة، ١٩٩٧ م) :

هَضَمَ (هَضْماً) الشيء : كسره .

هَضَمَتِ المَعْدَةُ الطَّعَامَ : أحالته إلى صورة صالحة للغذاء .

الهِضْمُ : إحالة الغذاء إلى صورة صالحة لغذاء الأحياء .

كما وردت كلمة هضم في القرآن الكريم { ومن يعمل الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً } جاء معناها في معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن (الزين، ٢٠٠١ م) :

هضم : الهضم النقص يقال : هضمني حقي ، وهضمني أي أنقصني حقي ويقال أيضاً: هضمه فانهضم (ومنه هضمت المعدة الطعام أي أنقصته عندما أحالته إلى صورة صالحة للغذاء) ومن هنا فإن عملية الهضم يشترك في صفتها كل من الإنسان ، والحيوان ، والكائنات الحية الدقيقة .

جدول يوضح المقارنة بين تغذية الإنسان ، والحيوان والكائنات الحية

الدقيقة غيرذاتية التغذية

الكائنات الدقيقة المترومة	الإنسان والحيوان	وجه المقارنة
قطعة متحللة	قطعة متحللة	قطعة لحم كاملة
أحماض أمينية ثم إلى مواد أخرى	أحماض أمينية	تحلل البروتين
إلى أحماض دهنية	إلى أحماض دهنية	تحلل الدهون
النشا إلى جلوكوز	النشا إلى جلوكوز	تحلل المواد الكربوهيدراتية

ومن خلال السابق نستطيع أن نطلق الفعل تحلل بالإضافة إلى الفعل تأكل على الكائنات الحية الدقيقة في علم الميكروبيولوجي ويمكن أن يضاف هذا الفعل إلى المصادر العلمية في علم الميكروبيولوجي الموضحة بأن طريقة تغذية الكائنات الحية الدقيقة غير

ذاتية التغذية يطلق عليها مصطلح تحلل (decompose) وهو تحلل المواد المعقدة إلى مواد بسيطة، بغرض التغذية وسنجد نفس العملية تحدث في الإنسان، والحيوان. وهنا أكدت لنا الأحاديث النبوية بأن التراب والأرض تأكل. والمقصود به الكائنات الحية الدقيقة الموجودة في التراب. وقد أشارت باحثة (٢٠٠٨ م) إلى الكائنات الحية الدقيقة التي تحلل الجثث في الأرض في حديث عجب الذنب في بحثها المعنون ولكن دون تفصيل أو توضيح لتلك الحقيقة العلمية .

الأحاديث النبوية تفسر ما جاء في القرآن الكريم عن التحلل :

إن الأحاديث النبوية السابقة تفسر ما ورد في القرآن الكريم بأن الكائنات الحية الدقيقة التي تأكل الميت أي تحلله من المواد العضوية المعقدة التركيب إلى المواد البسيطة التركيب وأن تلك الأحياء الدقيقة موجودة في الأرض. لذا وصف رسول الله بأن الأرض تأكل والتراب يأكل كل ابن آدم أوبلفظ الإنسان وبتلك الأحاديث فقد فسر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة آيات وردت في القرآن الكريم توضح حقيقة علمية هامة تتمثل في أن الكائنات الحية الدقيقة تلازم الأجساد الميتة وما تلك الأجساد إلا في مقرها الذي هو القبر أي التراب. ومهمة تلك الكائنات غير المرئية أكل تلك الجثث الميتة أي تحللها لتغذي عليها وتكون خلاياها الحية للتكاثر وأتت تلك الحقيقة في عدة آيات قرآنية منها: آية قرآنية توضح بأن الكائنات الدقيقة تلازم الأموات، وآيات أخرى توضح أن تفسير تلك الملازمة وهي خروجها أحياءً من الأجساد الميتة في سلسلة علمية منسقة ومنمقة في سلسلة علمية هامة اتضحت من خلال التالي :

أولاً : الكائنات الحية الدقيقة مصاحبة للأموات مصاحبة إلزامية في باطن الأرض حقيقة علمية وردت في القرآن

وإن الحقائق العلمية الموضحة لعملية تحلل الجثث الميتة بالكائنات الحية الدقيقة لتغذي عليها، وتتكاثر تؤكد بأن هذه الحقيقة العلمية تعني بأن الكائنات الحية الدقيقة خاصة البكتريا تلازم الجثث الميتة ملازمة تامة مما يوضح بأن الذي يقوم بتحليل الجثث هي كائنات

حية تلازمها، لأنها هي التي أوكل إليها الإله عملية تحليل الجثث للتخلص منها وقد ذكرت تلك الحقيقة العلمية أيضاً كسابقة علمية وضح فيها سبحانه بأن هناك كائنات حية تلازم الجثث الميتة وتكفت أي تضم معها ضمماً إلزامياً في باطن الأرض وجاءت تلك الحقيقة في كلمات موجزة تعبر عن معنى علمي عظيم فقال المميت جل وعلا مشيراً إلى قدرته الإلهية التي سخرها لتحقيق ذلك { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا } (٢٦) الرسائل .

تفسيرنا العلمي للآية السابقة:

إن التفسيرات السابقة وضحت المعنى بأن الإنسان يكون في حالة كفت وضم من الأرض بعد مماته كما في حالة ضمه ووجوده فيها أثناء حياته، وينطبق التفسير على ضم الإنسان بعد موته في القبر الذي يوجد في الأرض ولكن تتطرق تلك التفسيرات إلى وجود الكائنات الحية في باطن الأرض. وهي عادة تحتوي على الكائنات الحية الدقيقة والعديد من الكائنات الحية الأخرى مثل الديدان وجذور النباتات، والنباتات الأرضية وغيرها، وعادة تتواجد في الأرض في صورة حية أو ميتة. وقد وضح ذلك الدكتور أبو العطا في تفسيره لآية {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى} (٦) طه. فقال نرى تحت الثرى الملايين من البكتيريا التي تقوم بإتمام دورات الحياة المرتبطة بالتربة وملايين الفطريات المفتته للصخور والمحله للبقايا الحيوانية، والنباتية، وملايين الاكتينوميستات المخصبة للتربة والمنظمة لمحتواها الميكروبي، وعشرات الطحالب المخصبة للتربة والفيروسات المنظمة لأعداد الكائنات الحية الأخرى في التربة ونرى الحيوانات الأولية والديدان النيماتودية المقلبة والمهوية للتربة ونرى الحبوب والبذور والسيقان الأرضية والجذور الدرنية وغير ذلك من سكان الأرض الحية والقاحلة والغدقة والجافة وبالدراسة والبحث والعد العلمي وجد أن (٨, ٦٩٪) من الكائنات الحية الدقيقة في التربة بكتيريا هوائية و(١٣٪) فطريات ١٣٪ اكتينوميستات والباقي (٢, ٠٪) كائنات حية أخرى مثل الطحالب، والطلائعيات والفيروسات (٦). «انتهى».

ويتضح من السابق بأن الثرى الموجود في الأرض يحتوي على العديد من الكائنات الحية المتنوعة ومنها الكائنات الحية الدقيقة ولكنني أرى أن المقصود في الآية الكريمة السابقة يختلف عن الأحياء التي جاءت في الآية الكريمة {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا} والتي ورد فيها تخصيص واضح للكائنات الحية الدقيقة التي تلازم الأموات ملازمة تامة ويرتبط وجودها بوجود الأموات وهنا لفتة إلهية لحقيقة علمية هامة واضحة بأن هناك كائنات حية تلازم وجود الأموات وتؤكد لنا ذلك عند رجوعنا إلى المعنى اللغوي لكلمة الكفت حيث ظهر لنا التالي :

جاء في الزين (٢٠٠١ م) :

الكفت : القبض والجمع أو قلب الشيء ظهراً لبطن وبطناً لظهر .

الكفات : الضم والجمع .

ولكن فسر معنى الكفت في التفسيرات السابقة بأن الأرض تضم بنيتها أحياءً وأمواتاً وهذا جزء من المعنى وهو أن الأرض تضم بنيتها أمواتاً ولكن لا ينطبق عليهم أحياء فكيف تضمهم الأرض أي تكفتهم تحتها وهم أحياء خاصة إذا رجعنا إلى معنى كفات أي بمعنى الضم والجمع ومنه نستطيع أن نتوصل إلى حقيقة علمية هامة وردت في قوله تعالى: { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا } تتضح في النقاط التالية :

١ - أن الأرض تضم وتقبض بمعنى تكفت { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا } وأن ضمها وكفتها يكون للأحياء (أحياءً) وهي الكائنات الحية الدقيقة التي تكفت وتضم وتلازم وتجمع (و) مع وجود الميت (أمواتاً) في نفس المكان؛ لتقوم بمهمة التخلص من البقايا الميتة وأن الله سبحانه وتعالى وضح في هذه الآية بأن ضم الأرض يعني ملازمة الحي للميت وهذا ما ينطبق على الكائنات الحية الدقيقة .

٢ - إذا فسرت الآية بأن الأحياء تعني وجود جميع الكائنات الحية التي تحت الأرض والتي ذكرت سابقاً في مرجع الدكتور أبو العطا. نرى أن الأصح هو تخصيص الكائنات الحية الدقيقة التي تتلازم مع وجود الأموات. ويؤكد ذلك بأن الكائنات الحية الأخرى التي

لا تقوم بدور في تحلل الأموات لا يلزمها التواجد مع الأموات تواجداً إلزامياً. وما يؤكد هذا القول إذا وجدت الجثة في باطن أرض خالية من الحياة فمثلاً نقول في منطقة صحراوية تنعدم فيها الحياة في باطن الأرض وفي هذه الحالة إن وجدت جثة ميتة في هذه المنطقة الخالية من الأحياء يؤدي إلى وجود الكائنات الحية التي تحملها الجثة الميتة لتقوم بتحليله خاصة وجود البكتريا التي تلعب دوراً رئيسياً في التخلص من هذه الجثة في تلك البيئة الخالية من الحياة وبذا فإن البكتريا هنا وجدت وجوداً إلزامياً مع الجثة الميتة (وسنذكر ذلك بالتفصيل لاحقاً) ومن هنا فإن الأرض التي تكفت الميت يجب أن تكفت البكتريا الحية كفتاً إلزامياً وحيث إن آيات القرآن تفسر بعضها البعض فإن الآية السابقة تُظهر تفسيراً واضحاً للآيات التي ذكرناها سابقاً { (٢٧) آل عمران، (٣١) يونس و(١٩) الروم } التي تعني خروج الحي وهي الكائنات الحية الدقيقة من الإنسان الميت .

٣ - كما وضح هنا سبحانه وتعالى بأن وجود الأحياء ووجود الأموات معاً ويضمهما القبر، لذا قال عز وجل أحياءً و أمواتاً وورد حرف الواو بين كلمة أحياء وكلمة أموات والواو تعني في اللغة العربية :

جاء في كتاب القواعد الأساسية للغة العربية للهاشمي (١٣٥٤ هـ) في باب عطف النسق تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الأحرف العاطفة وهي تسعة : ” الواو ، الفاء ، ثم ، حتى ، أو ، بل ، لا ، ولكن ” وتنوب هذه الأحرف عن تكرار عامل المعطوف عليه مع المعطوف على أن منها ما يفيد اشتراك المتعاطفين في اللفظ والمعنى وهو ” الواو ، الفاء ، ثم وحتى ” والواو من بينها هي لمطلق الجمع نحو : المال والبنون زينة الحياة الدنيا «انتهى» .

ونستطيع من السابق أن نتوصل إلى المعنى الواضح للآية التي نقوم بتفسيرها وذلك من خلال ما ورد في مثال الآية السابقة وعليه فإن الواو التي جاءت في قوله تعالى : { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا } لمطلق الجمع وهي أن الأرض تكفت وتجمع بين الأحياء وهي الكائنات الحية الدقيقة التي تتواجد بصفة إلزامية مطلقة؛ لتجتمع في مكان وجود كفت الأموات وهي الأرض. وهنا المعنى واضح بأن الآية وضحت لنا تاريخ سبق علمي آخر في علم الميكروبيولوجي « الكائنات الحية الدقيقة» حيث ذكرت الكائنات الحية الدقيقة

في القرآن الكريم وهذا يؤكد ما ذكر في الآيات عن خروج الأحياء من الأموات أي ملازمة الكائنات الحية الدقيقة للأموات ويجمعها نفس المكان وهو باطن الأرض !! ياللعظمة الإلهية وما أعظم علمك الإلهي يارسول الإنسانية.

ثانياً : الحقيقة العلمية لتكاثر الأحياء الدقيقة من تحلل الأجساد الميتة سبق ذكرها في القرآن الكريم



توصلت الدراسات العلمية بأن الكائنات الحية الدقيقة تقوم بدور هام في بيئة الأرض حيث تقوم بعملية تحلل بقايا الكائنات الميتة ومنها الجثث الميتة للإنسان؛ حيث إن تلك الكائنات غير المنظورة تصاحب الجثث وتلازمها ملازمة تامة؛ لتتغذى، وتتكاثر عليها فتخلص الأرض من تراكمها مما يساهم بدور رئيسي في استمرار الحياة على سطح الأرض إلى أن يأذن الله. ولكن نلاحظ هنا سبق ذكرك تلك الحقيقة العلمية في القرآن وقد وردت في آيات عدة من سور مختلفة في القرآن الكريم وذلك لتأكيد لفت النظر إلى تلك الحقيقة العلمية التي تشير إلى كائنات غير منظورة وهي التي تصاحب الأموات { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا }. وذكر الخالق عز وجل بأن تلك الكائنات التي تصاحب الأموات

تخرج أحياءً من الجسد الميت وهكذا جاءت تلك الحقيقة العلمية الدقيقة التي احتاجت إلى أدوات الباحث وتقنياته العلمية؛ ليكشف عنها ويتوصل إلى أن الكائنات الحية الدقيقة تحلل الجسد الميت للتكاثر عليها وتكون أحياء من الأموات وردت بين كلمات ومعاني ثلاث وفي سور متفرقة وسنشير باللون الأحمر إلى ما يعني الكائن الحي الدقيق والجسد الميت من القرآن الكريم كما يلي :

١- { تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (٢٧) آل عمران .

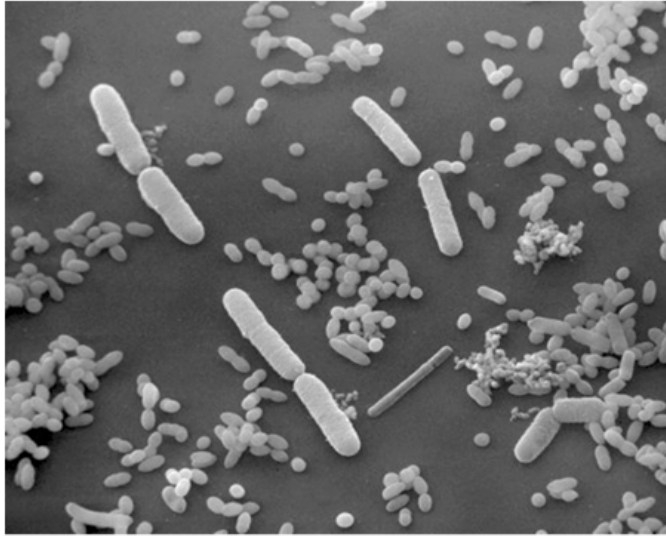
٢- { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ } (٣١) يونس .

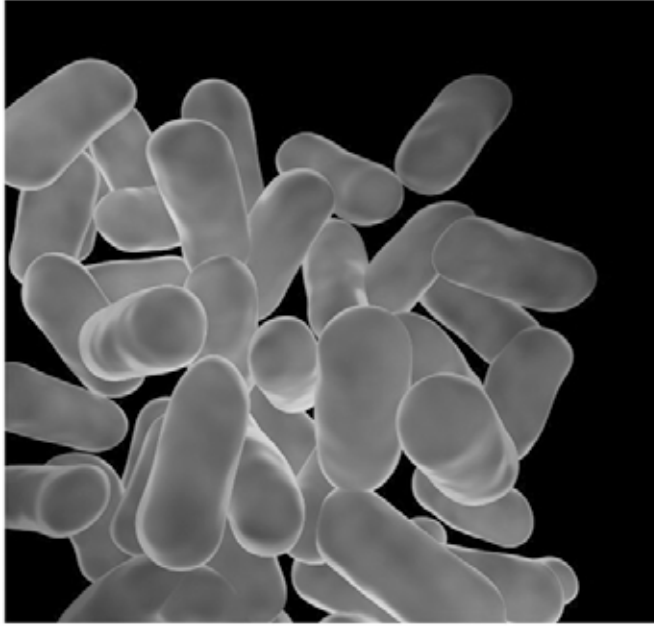
٣- { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ } (١٩) الروم .

أما الآية في سورة الأنعام فليس لها علاقة بالكائنات الحية الدقيقة بل تتعلق بعلم النبات المرتبط بالإنبات. ويتضح ذلك من قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَ اللَّهُ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ } (٩٥) الأنعام ،

في الآيات السابقة { (٢٧) آل عمران ، (٣١) يونس و (١٩) الروم } كلمات شاملة مقربة إلى الذهن حقيقة وجود كائنات حية غير مرئية مصاحبة للأموات كما ذكرنا سابقاً ما قاله الشيخ الشعراوي : ويستمر الإعجاز وجاء القرآن بنهايات النظريات ، بقيمة نواميس الكون ، إذا تليت على المؤمنين في ذلك الوقت مرت عليهم ولم ينتبهوا إلى مدلولها الحقيقي العلمي وإذا قيلت بعد ذلك على الأجيال القادمة عرفوا ما فيها من إعجاز «انتهى». فما أعظمك يا إلهي حين تؤكد تأكيداً صريحاً في عدة آيات بوجود أحياء لا نراها بأعيننا تخرج من الأموات في علاقة وثيقة أبدية وأزلية بينهما فمن الذي أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم عن تلك الأحياء في زمن يخلو من المجاهر التي تكشف عن وجودها؟؟؟ وقد هداني الله سبحانه بما فضل علي من علم في تخصص الميكروبيولوجي بأن الكائنات الحية الدقيقة هي

التي تصاحب الأموات لتحللها من مواد معقدة إلى مواد بسيطة حتى تتمكن من التغذية عليها للتكاثر وتخرج جيوشاً من الأحياء الدقيقة بعد أن أدت مهمتها التي أكلها الله إليها بنجاح وجاء ذلك من خلال الجزء الأول من نص الآيات الكريمة السابقة { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ } (وتم ذكر مختصر جداً للإشارة فقط في هذا الكتاب بينما ذكر بتفصيل في كتاب خروج الأحياء من الأموات والأموات من الأحياء / العوضي ١٤١٣ هـ) وعليه فإن الآيات السابقة توضح وجود كائنات غير مرئية ومنها البكتريا - التي تمثل أكبر عدد من بين الكائنات الدقيقة الأخرى - لتغذى على الجسد الميت لتخرج أحياءً من الجسد الميت.





ولم تتوقف السلسلة العلمية التي جاءت في القرآن الكريم لتظهر حقائق علمية متتالية في نسق لفظي دقيق معبر عن دقة تفسير نتائج حقائق علمية عدة حيث جاء القرآن الكريم بالنتيجة النهائية لتحلل الجسد الميت بالكائنات الحية الدقيقة في التالي :

ناتج تحلل الميت ذكر في القرآن الكريم

ويتابع القرآن الكريم سرد الحقائق العلمية في تسلسل إعجازي لا بد أن نقف أمامه مكبرين مسبحين تعظيماً وإجلالاً للخالق عز وجل للمعجزات العلمية التي خص بها الله نبينا وحيينا صلى الله عليه وسلم بأن رسولنا أخبرنا بما وضحه الخالق عز وجل عن المصير العلمي للإنسان بعد موته سواء في اللحم وغيره من المواد العضوية المعقدة التي تتكون منها بنية الهيكل الخارجي للجسم أو الهيكل العظمي الذي يعطي الشكل والقوام للجسم ليجعله في أحسن تقويم ولكن أهم أجزاء يتكون منها الإنسان هي اللحم والعظم فإذا لم يدعم الجسم بالعظم ويكسي العظم باللحم فكيف سيكون مصير الجسد فسيحان الخالق

الذي خضع كل ما في الكون لعظمته وجاء في قول الخالق عز وجل { ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } (١٤) المؤمنون

ولكن ستتحوّل تلك البنية بعد موتها إلى ما تم عرضه في القرآن الكريم في موجز من الكلمات التي تنطوي على أسرار علمية توضح فيها مصيرنا بعد الموت { أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا } وتكررت كلمة تراباً وعظاماً في ٥ آيات وكلمة تراباً في ٣ آيات وفي سور مختلفة من القرآن الكريم كتأكيد إلهي ليخبرنا هنا بأن خروج الأحياء من الأموات ليس هي نهاية ما يعلمنا به سبحانه وتعالى بل تتابعت الآيات القرآنية لتخبرنا بأن الجسد الميت مصيره إلى تراب وعظام .

أما المقصود بها علمياً هنا تحلل الميت : هو أن المواد العضوية المعقدة التركيب التي تدخل في بناء خلايا وأنسجة وأعضاء الجسم التي لا تستطيع الكائنات الحية الدقيقة استخدامها كمادة غذائية فتقوم بتحويلها بفعل الإنزيمات إلى مواد بسيطة يمكن أن تتغذى عليها وتتكاثر ولكن بعد مماته فيتحوّل هذا الجسم إلى تراب وعظام وجاءت تلك الحقيقة العلمية في سبق علمي يُذهل العقول حين نجد توضيح مآل الإنسان بعد موته في ٨ آيات متفرقة وردت في ٦ سور من القرآن الكريم موضحة التأكيد الإلهي على تلك الحقيقة العلمية التي قال عنها المحي المميت سبحانه :

١- { وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ نَكُنْ لَنْفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (٥) الرعد .

٢- { أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ } ٣٥ { هِيَئَاتِ هِيَئَاتِ لِمَا تُوَعَدُونَ } (٣٦) المؤمنون .

٣- { قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَلَمْ نَكُنْ لَمُبْعُوثُونَ } (٨٢) المؤمنون .

٤- { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أَلَمْ نَكُنْ لَمُخْرَجُونَ } (٦٧) النمل .

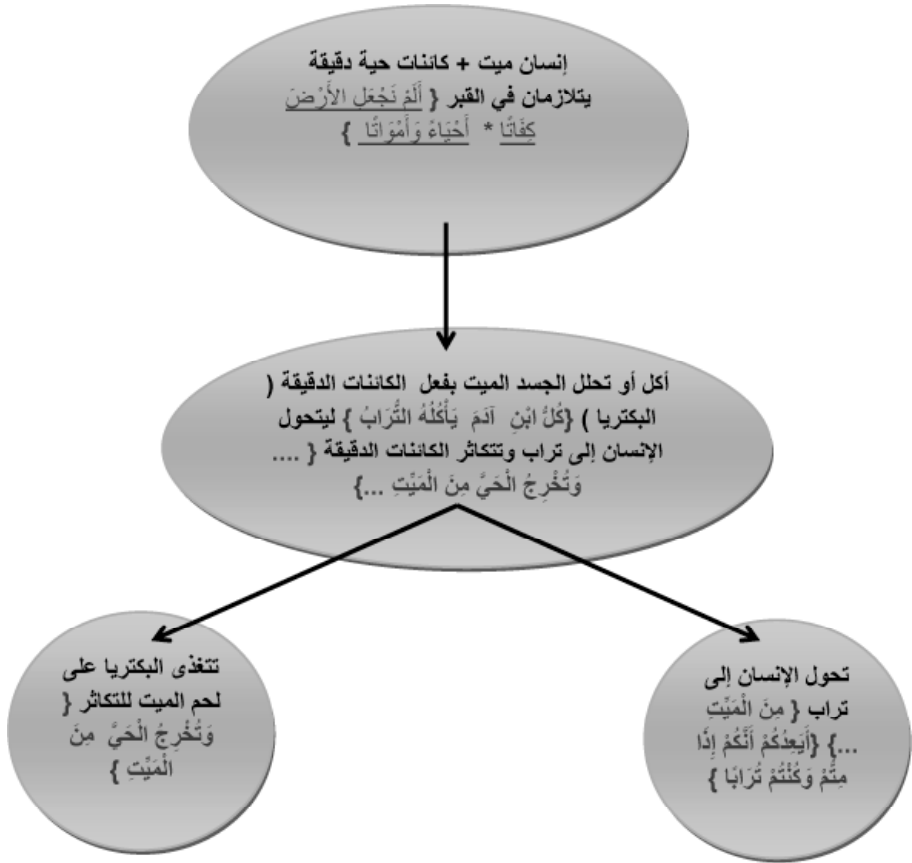
- ٥- { إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ } (١٦) الصفات .
- ٦- { إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ } (٥٣) الصفات .
- ٧- { إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ } (٣) ق .
- ٨- { وَكَانُوا يُقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ } (٤٧) الواقعة .

وإذا سأل المؤمن تلك الأسئلة فهي إستفسارية عن الكيفية ومدى قدرته سبحانه وتعالى الإعجازية في هذا التحول!!!! ولكن وضح سبحانه وتعالى في الآيات القرآنية بأن أسئلة الكفار عن مصير الإنسان وتحوله كانت أسئلة استنكارية لقدرة الله سبحانه وتعالى فلو قرأنا في تفسيرات الآيات السابقة لوجدنا بأن الكفار يتسائلون بتعجب من خلال سبع آيات من بين ٨ وفيها جميعاً يوجهون أسئلة استفسارية ففي ثلاث من تلك الآيات سؤا لهم عن كونهم تراباً { إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا } (٥ الرعد ، ٦٧ النمل و ٣ ق) وفي الآيات الخمس الأخرى سؤا لهم عن كونهم تراباً وعظاماً { إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا } (٣٥ و ٨٢ المؤمنون، ١٦ و ٥٣ الصفات و ٤٧ الواقعة) مما يشير بأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم بالحقيقة التي تعجبوا منها وهي تحولهم إلى تراب وعظام وجاء ذلك واضحاً في أول آية ورد فيها ذكر تحول الإنسان إلى تراب وعظام وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أخبرهم بتلك الحقيقة العلمية { أَلَيْدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا } . وهنا ربط سبحانه وتعالى موت الإنسان بتحوله إلى تراب وعظام في ترتيب يأخذ الأبواب !! نعم لا بد ان يكون هناك استنكار من الكفار لأن الآيات تحمل علماً إلهياً يشير ويؤكد النتيجة النهائية لحقيقة التحلل وعلى الإنسان تفسير الأسباب التي أدت إلى تحول الإنسان إلى تراب في إشارة إلهية هامة إلى الناتج النهائي لحقيقة التحلل الذي لا يمكن أن تكشف أسرارها سوى التقنيات والدراسات العلمية التي وضحت مراحل تحلل الجسد الميت والتي انعدم وجود تلك المعرفة في الزمن الذي جاء فيه ذكرها على لسان نبي هذه الأمة .

ومن هنا فإن البكتريا التي تعتبر أدنى الكائنات الحية مرتبة في أقسام الكائنات الحية ففي حالة موت الجسد وتوقف جهاز المناعة المدافع عن الجسم فستكون البكتريا في هذه الحالة هي من تمتلك القدرة الأقوى لتحلل الجسم الميت والذي هو لأرقى كائن حي ألا

وهو الإنسان لتحويله من مواد معقدة التركيب إلى مواد بسيطة التركيب لتختلط بالتربة بل بعضها يتم معدنته إلى عناصر معدنية ليستفيد منها الكائن الدقيق لتكاثره وقد ذكر الخالق عز وجل لنا تلك الحقيقة العلمية واضحة في القرآن الكريم في تسلسل علمي يذهل العقول ويهز العقول ويسجد الوجوه للحق القيوم تعظيماً وتسيحاً للخالق عز وجل حين تعلم الحقيقة العلمية في أن الكائنات الحية الدقيقة تحلل الميت لتكاثر وتخرج أحياء من الأموات { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ } والنتيجة النهائية للحقيقة العلمية لتحلل المواد العضوية المكونة للجسم والتي تشمل اللحم الذي يمثل أكبر جزء من تلك المادة العضوية وما يحتويه الجسم من مواد عضوية أخرى تتحول جميعها إلى مكوناتها الأصلية التي خلق منها الجسد ألا وهي التراب (أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا) وبعد تحلل جميع محتويات الجسد فلن يتبقى من أثر الإنسان - الذي أصبح في زمن الماضي - سوى العظام (وَعِظَامًا أَنْكُمْ مَخْرُجُونَ) وهذه الحقيقة ذكرها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في علم إلهي ، موحى إليه فنطق بالعلم الحق !!! وهذه الحقيقة لم يكتشفها الإنسان إلا بالدراسة والتقنيات العلمية فلو تمعنا في الجزئين السابقين لما تساءلنا أو تعجبنا عن العظام بقدر تعجبنا عن الطريقة التي يتحول فيها اللحم إلى تراب !!! وهذه من المعجزات العلمية العظيمة التي وردت في القرآن الكريم كسابقة علمية لم يتمكن العلماء من إكتشافها إلا بعد سنوات طويلة من اكتشاف الكائنات الحية الدقيقة وبعد الدراسة واستخدام التقنيات العلمية التي مكنتهم من التحليل العملي لبقايا تحلل الجثث للتعرف على نواتج التحلل التي اتضح لهم بأنها تحتوي على مكونات التربة التي تختلط بالتربة التي في محيط الجثة وهي أصل خلق الإنسان وقد ورد في المصادر العلمية في علم الميكروبيولوجي أن من يقوم بهذا التحلل هو الكائنات الحية الدقيقة عندما يغلق على الإنسان القبر الذي يخلو من كل شيء سوى جسم الميت والكائنات الحية الدقيقة والتراب في مكان مغلق عليها ويضمهم في علاقة هامة تنتهي بتحول الإنسان القوي إلى تراب والكائنات الأقل ضعفاً إلى أحياء تتكاثر وتكاثر في الوقت الذي ينقص وينقص فيه الجسد ليتحول لحمه بالكامل إلى التراب ولا يتبقى من آثار جسده سوى العظام .

وبذا تتم سلسلة علمية كاملة ورد ذكرها في القرآن والسنة بتحول لحم الإنسان إلى التراب وهو أصل خلقه ونلخص ما سبق ذكره في التالي :



تاريخ جديد لعلم الميكروبيولوجي بحقائق علمية وردت في القرآن والسنة

من السابق نستطيع أن نتوصل بأن الكائنات الحية الدقيقة وردت الإشارة إليها في القرآن والسنة في زمن يخلو من المجاهر والتقنيات العلمية ولكن ذكرت عنها حقائق علمية دقيقة مفسرة بل مؤكدة تواجدها كعالم حي غير منظور يقوم ويساهم بدور كبير في التخلص من بقايا الجثث حماية للأرض وإستمراراً للحياة على هذه الأرض إلى أن يأذن الله وبالرغم من أنها غير منظورة ولكن دلائل وجودها واضحة في القرآن والسنة ونلخص تلك الحقائق العلمية في السلسلة العلمية الإلهية التالية :

في تلازم وجود الكائنات الدقيقة ملازمة تامة مع الأموات فقال الحق سبحانه { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا } لتأكل تلك الأجساد أي تحللها فقال عيه الصلاة والسلام { كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ ... } ومن ثم تبني خلاياها الحية وتتكاثر لتخرج أحياء من الأموات فقال المحي الممت سبحانه - { تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } أما ناتج تلك العملية فهي مكونات التراب وجاءت بلفظ القادر سبحانه { قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ } نعم هي سلسلة علمية منسقة تعدت حدود التفكير البشري في زمن يخلو من المجاهر والتقنيات العلمية التي تكشف عنها بتلك الدقة العلمية لفظاً ومعناً .

وباستخدام طريقة جديدة من د. أحلام العوضي ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م لحساب الحقائق العلمية التي وردت في القرآن اتضح لها بأنه يمكننا تدوين تاريخ جديد لعلم الميكروبيولوجي يسبق تاريخ العين التي كشفتها. ألا وهي المجهر وذلك الفرق ليس بالهين بل ما يزيد عن ألف عام ويتضح ذلك من خلال التالي :

١- أن تاريخ علم الميكروبيولوجي الذي كشفه المجهر عام ١٦٧٣ م .

٢- ذكر عالم الكائنات الحية الدقيقة وبعض الحقائق العلمية الدقيقة المتعلقة به والتي تم الكشف عنها بعد التاريخ السابق (١٦٧٣ م) وذلك بعد أن حمل علماء الميكروبيولوجي أدواتهم البحثية وحلّلوا بفكرهم النير نتائجهم ليكشفوا عن الحقائق المتعلقة بالأموات والتحلل وناتج التحلل واستغرق منهم ذلك سنوات طويلة بعد إكتشاف المجهر ولكن جميع تلك الحقائق العلمية دونت جميعها في القرآن الكريم ما بين عام ٦٠٩ م وعام ٦٢٢ م .
و ذلك ما يذهل العقل وينير الفكر بالعلم الذي ورد في الكتاب الذي لا كتاب بعده وعلى لسان نبي لا نبي بعده .

ولكن ما تاريخ الفرق الزمني بين اكتشاف الكائنات الحية الدقيقة وذكرها في القرآن الكريم؟

وحتى نوضح ونقارن الفرق الزمني بين تاريخ الكشف عن الكائنات الحية الدقيقة كعالم حي غير منظور وتاريخ ذكر الحقائق العلمية المختلفة عن هذا العالم الحي والذي ذكر في القرآن يجب أن نستند في تلك المقارنة على التقويم الميلادي بدرجة أكبر من التاريخ الهجري بإعتبار أن التاريخ الميلادي أكثر ثباتاً من الهجري وبحساب الفرق الزمني بين اكتشاف الكائنات الحية الدقيقة من قبل الإنسان الذي كان عام ١٩٧٦ م وفي القرآن الكريم الذي كان ما بين عام ٦٠٩ م وعام ٦٢٢ م يتضح لنا فرق زمني هائل سيدهش له العقل عندما نظهر السبق الزمني لذكر وجود أحياء غير مرئية تصاحب الأموات تمتلك جميع صفات الكائنات الحية حين وردت بلفظ الحي الذي يخرج من الميت في لفظ الآية:

(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ (الروم ١٩)) وملازمتها ملازمة قصرية مع الأموات في لفظ الآية (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا)

وفي هذا إعجاز علمي صريح عن وجود ذلك العالم الحي الرخفي في ذلك الكتاب

الذي أنزله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في صورة إعجازية سبقت العلم وتقنياته بفرق زمني بلغ ما بين ١٠٥٤ و ١٠٦٧ عام في آيات فيها ذكر صريح و تخصيص إلهي للفت نظر الإنسان بأن الكائنات الحية الدقيقة ملازمة وبصورة مؤكدة للأموات لتقوم بتحليلها أي أكلها كما ورد في الأحاديث النبوية ومن ثم تتغذى وتتكاثر لتخرج أحياء من الأموات ونتاج تحليلها لجسد الميت هو التراب وبالتالي تكون الكائنات الحية الدقيقة هي المسؤول الأول والهام في التخلص من الجثث الميتة في الأرض وكانت تلك الحقيقة العلمية واضحة جلية في الآيات التي فسرناها تفسيراً علمياً واضحاً وتم ربطها بالحقائق العلمية التي أكتشفت من قبل الإنسان ودونت في جميع المصادر العلمية العالمية .

فالحمد لله الواحد الأحد والصلاة والسلام على نبي حمل الأمانة وبلغ الرسالة .



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الإعجاز العلمي في تحريم لحم الخنزير

الأستاذ الدكتور / حنفي محمود مديبولي

رئيس قسم الفيروسات - كلية الطب البيطري - جامعة بني سويف



مقدمة

إن الحمد لله تعالى: نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى: من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى: فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)،
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)،
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى: وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ثم أما بعد:

فقد اختلف الناس في تحريم لحم الخنزير فمنهم من قال إن اليهودية والإسلام حرما لحم الخنزير ومنهم من قال إن الإسلام كان سباقا في تحريم لحم الخنزير غيرة على الإسلام ونصرة له. ومنهم من حصر تحريم لحم الخنزير في اليهودية والمسيحية والإسلام. ومن قال إن الإسلام كان سباقا في تحريم لحم الخنزير كان متهما لله عز وجل بالظلم، والله سبحانه وتعالى منزه عن الظلم لأنه حرمه على نفسه وجعله بين عباده محرما فهو الملك العدل وله العدل المطلق.

والغيرة على الدين الإسلامي لا بد وأن تكون مضبوطة بميزان الشرع فلا يجوز أبدا أن نتهم الله عز وجل بالظلم لأنه حرم على المسلمين لحم الخنزير والإسلام سباق لهذا؛ لأن هذا الكلام هو افتات على الله عز وجل وقول بغير علم ومخالف لنصوص القرآن الكريم التي تدل على أن الله سبحانه وتعالى أحل الطيبات وحرم الخبائث على الناس من لدن آدم عليه

السلام إلى أن تقوم الساعة، والخنزير ليس من الطيبات بل هو من الخبائث تعافه النفوس، ولأن الله واحد وهو رب الناس جميعا يعلم ما يضرهم وما ينفعهم فلا يعقل أبدا أن الله أحل الخنزير للأمم السابقة ثم حرمه على أمة الإسلام وهذه شبهة لا بد من تفنيدها.

واختلف الناس أيضا في علل التحريم فمنهم من قال إن الخنزير محرم لكثرة الأمراض الطفيلية والبكتيرية والفيروسية التي يصاب بها، وهذه شبهة أخرى لا بد من تفنيدها لأنها ليست في الحقيقة علة للتحريم على التأييد لأنها أمراض مكتسبة وتكون العلة هنا علة مكتسبة عارضة يزول الحكم الشرعي بزوالها ويبقى ببقائها (هذا بفرض أن هذه العلة صحيحة والحقيقة هي علة خاطئة)، والعلة كما بينها ربنا عز وجل في كتابه هي علة ذاتية وليست مكتسبة (فقال سبحانه وتعالى عن لحم الخنزير: فإنه رجس) فيكون الحكم باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن الناس من قال أن الخنزير محرم؛ لأنه يأكل القاذورات وهذه أيضا ليست علة للتحريم؛ لأنها أيضا علة متغيرة بتغير الزمان والمكان. فالخنزير في البلاد الفقيرة يتغذى على القاذورات وفضلات الإنسان أحيانا وأحيانا أخرى على الأعلاف، بينما الغرب يقدمون أعلافا نباتية مخلوطة بمركبات حيوانية، ولا يقدمون له القمامة ولا القاذورات وبهذا يرد أعداء الله علة التحريم هذه التي يتغنى بها من ليس عنده علم أو فهم لكتاب الله عز وجل. وهذه شبهة ثالثة لا بد أيضا من تفنيدها.

ومن أجل ذلك كله لا بد أن نستند لتفنيده هذه الشبهات على:

١. أصول شرعية نستخلصها من كتاب ربنا عز وجل ومن سنة نبينا محمد ﷺ لبيان أن تحريم المحرمات القطعية من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة جاءت بها جميع الشرائع السماوية على الأمم السابقة بما لا يدع مجالاً للشك؛ حيث لا يستقيم أبداً أن يظن ظان أن الله أباح أكل لحم الخنزير، أو شرب الخمر، أو قتل النفس بغير حق، أو السرقة، أو الزنا، أو الربا، أو غيرها من الكبائر، ثم يحرم ذلك كله أو بعضه على أمة من الأمم أو مجموعة من الأمم دون غيرهم.

٢. حقائق علمية موثقة تبين أن علة التحريم للحم الخنزير ذاتية وليست مكتسبة.

إن الإنسان هو الإنسان الذي خلقه الله عز وجل وهو من ذرية آدم عليه السلام ولقد بين الله عز وجل أن الله كرم بني آدم فقال سبحانه وتعالى في سورة الإسراء ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠) فهذه الآية دليل قوي على تكريم الله عز وجل لبني آدم، وهذا التكريم يستدعي الحفاظ على ذرية آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة، ولا يكون ذلك إلا من خلال أكل الطيبات ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً (وهذا لكل من كان وسيكون من ذرية آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة).

الهدف من البحث:

١. معرفة صفات الخنزير الخلقية والسلوكية للوقوف على علل التحريم .
٢. بيان حرمة الخنزير من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة لرد من يتكلم على الله بغير علم.
٣. الرد على شبهة خصوصية الإسلام بتحريم لحم الخنزير؛ لبيان العدل المطلق لله عز وجل الذي أحل الطيبات وحرم الخبائث من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة.
٤. بيان أن العلة في تحريم لحم الخنزير ذاتية وليست مكتسبة لرد الشبهات التي يتغنى بها بعض العلماء ويستغلها العملاء للطعن في دين الله عز وجل.
٥. المقارنة بين لحم الخنزير الحرام، ولحوم الأنعام الحلال لتثبيت الإيمان في نفوس الناس والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفقني إلى ما يحبه ويرضاه ويرضى به عني ويغفر لي ويرحمي ويرحم علماء المسلمين وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وينفع به الناس أجمعين آمين والحمد لله رب العالمين.

أولاً: الصفات التشريحية والفسولوجية والسلوكية للخنزير:

١ - الصفات التشريحية والفسولوجية :

التركيب الخارجي:

الخنزير حيوان كرية المنظر ضخمة الجثة كتلي الشكل مكتنز اللحم قصير الأرجل له جلد سميك عليه شعر خشن وله بوز طويل وأنياب قوية (شكل ١) تم استئناسه منذ حوالي ١١٠٠٠ سنة مضت ويعرف منه اليوم أكثر من أربعمئة سلالة.



شكل (١) الشكل الخارجي للخنزير: حيوان كرية المنظر

وتتضمن الخنازير عدداً من الأنواع البرية والمستأنسة والتي تجمع كلها في عائلة واحدة تعرف باسم عائلة الخنازير، (Suidae) ويسمي الذكر منها باسم العفر Boar وتسمي الأنثى باسم الخنزيرة Sow وهي من النوع الولود والخنزير المخصي يعرف باسم الحلوف Hog ويستعار اللفظ وصفاً لكل قدر شره أناني من البشر وتستخدم لفظة Swine للتعبير عن الخنزير بصفة عامة سواء كان ذكراً أو أنثى مخصياً أو غير مخصي مستأنساً أو غير مستأنس وتستعار كذلك لكل شحيح النفس بخيل اليد قدر المظهر والملبس متصف بأحق الصفات أو للمرأة الساقطة المجردة من كل فضيلة^(١).

(1) (Funk Stephan M. Sunil Kumar Verma Greger Larson Kasturi Prasad Lalji Singh

وتفصل الخنازير عن بقية الحيوانات بكونها رمامة وغير مجتررة ونظرا لطبيعتها الرمامة وقذارتها الواضحة وأكلها كلا من النباتات واللحوم والجيف والنفايات وغير ذلك من المستقذرات فإن الخنازير معرضة للإصابة بالعديد من الأمراض.

ومنشأه العالم القديم في قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا تستأنسه غالبية شعوب العالم لاستخدام لحمه كطعام أو استخدام جلده وشعره الذي يستخدم في صناعة الفرش، ولذلك فهو يعتبر ثروة حيوانية. ويتغذى الخنزير على الفضلات، ففي المزارع الصغيرة تتغذى الخنازير على فضلات المطبخ. ويتميز بالنهم الشديد للطعام ولذلك فهو ينمو سريعاً. وفي الأسر قد تأكل الخنازير صغارها. وعدد أسنان الخنزير ٤٤ منها أربع أنياب اثنان في الفك العلوي ومثلها في الفك السفلي ويستخدمهم في أكل لحوم الجيف وصغار الحيوانات والطيور وأكل صغارها. وهو بهذا يشبه السباع ذوات الأنياب التي حرم الله أكل لحمها.

ويتميز الخنزير بحاسة الشم الهائلة، كما أنه قابل للتدريب ولذلك قامت بعض الدول بتدريب الخنازير لتحل محل الكلاب في العمليات الأمنية. تصبح الخنزيرة حاملا ما بين ٨-١٨ شهر من ولادتها ومدة الحمل في الخنزيرة ١١٤ يوما (٣ شهور، ٣ أسابيع، ٣ أيام) وتلد الخنزيرة في السنة ثلاثة مرات. وإذا لم تحمل بعد سن البلوغ هذا فإنها تعود إلى دورة الشبق كل ٢١ يوما. وتلد الخنزيرة في المرة الواحدة ١٣-١٥ خنوصا بمتوسط (٧، ١٣) وهي ترضع في الأغلب ١٢ من صغارها. عدد حلومات الثدي ١٦ حلومة، ٨ على كل جانب (شكل ٢) منها حلقات بقناة وحدة (٥١٪) ومنها تحتوي قناتين (٨٦٪) ومنها بثلاث قنوات للبن (٧، ٢) ومنها بدون قنوات لبن (٧، ١). ومدة الفطام ٢١ يوما (١، ٢) (٣).

Goutam Narayan and John E. Fa (2007). The pygmy hog is a unique genus: 19th century taxonomists got it right first time round. *Molecular Phylogenetics and Evolution* Volume 45 Pages 427-436).

(1) Anna Rzsza Wiesław Poznaski² Norbert Pospieszny³ Zbigniew Zawada³ NEW ASPECTS OF THE ANATOMICAL STRUCTURE OF THE SOW'S UDDER EJPau 8(3) #12.

(2) <http://www.ejpau.media.pl/volume8/issue3/art-12.html>.

(3) ThePigSite.com: Teat and udder conformation.

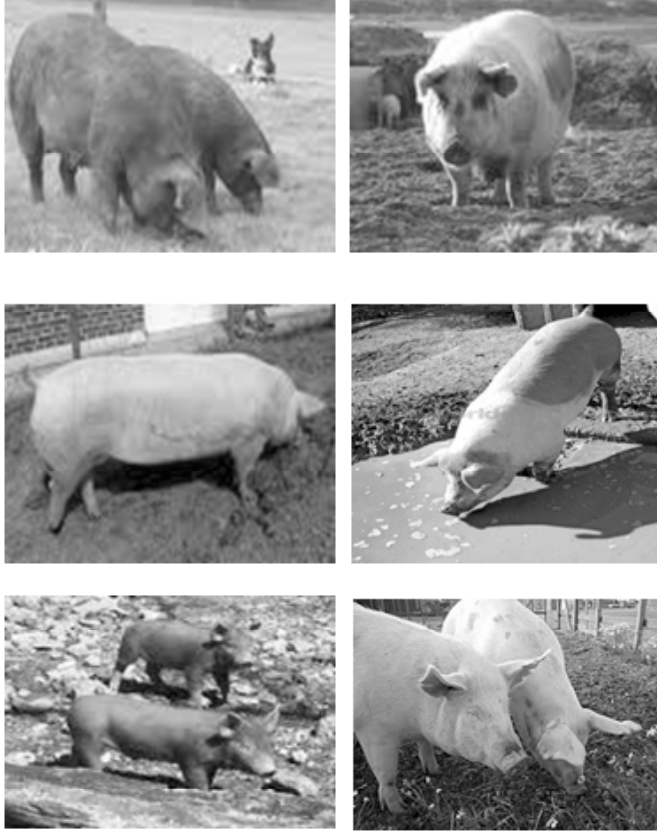


شكل (٢) يبين كثرة عدد الحملات (٨ على كل جانب) وكثرة عدد الخنوص للخنزيرة

ويموت عدد من الخنوص نتيجة الهرس بالأرجل لكثرة عدد الخنوص في الفرشة أو لعدم حصوله على اللبن من الأم. ويبلغ ذكر الخنزير بعد ٨ - ١٠ أشهر من الولادة. وسوف نحتاج إلى هذه الأرقام عند المقارنة بين الأنعام الحلال والخنزير الحرام (١) (٢).
وتتعدد ألوانه وتتراوح بين الأبيض، والوردي، والبني، والأسود، كما قد يكون مزيجاً من تلك الألوان. (شكل ٣).

(1) Nodelijk et al. Epid. & Infect (2000) 173-182.

(2)Raymakers et al. IPVS (2008).



شكل (٣) يبين أشكال وألوان الخنازير

وتنمو الخنازير بطريقة سريعة جدا غير معهودة في باقي الحيوانات، ورغم أن الخنزير (الخنوص) عند ولادته لا يكاد يزن كيلو جرامين إلا أنه عند الفطام في الاسبوع الثالث يزن أكثر من خمسة كيلو جرامات ولا يصل إلى عمره مائة وعشرين يوما إلا وقد وصل وزنه ستين كيلو جراما فإذا بقي إلى مائتي يوما بلغ وزنه أكثر من مائة كيلو جرام (ينمو بمعدل نصف كيلو جرام يوميا) وسبب ذلك هو زيادة في الهرمونات وأهمها هرمون النمو Growth Hormone وهذه الزيادة في الهرمونات لها علاقة بالسرطان عند آكلي لحم الخنزير حسب ما يراد من لحمها في الايام التالية:

١. ١٢٠ يوما منذ الولادة للحصول على Pork الوزن ٦٠ كيلو جرام.
١. ١٤٠ يوما منذ الولادة للحصول على Cutter الوزن ٧٢-٨٢ كيلو جرام.
١. ١٦٥ يوما منذ الولادة للحصول على Bacon الوزن ٨٦-٩٣ كيلو جرام.
١. ٢٠٠ يوم منذ الولادة للحصول على شحوم Lard & Bacon ويكون الوزن أكثر من مائة كيلو جرام.
١. ويستخدم الخنزير الكبير Boar في استخراج الدهن Lard ولحم الخنزير المملح والمقعد Bacon وعادة ما يؤخذ من وسط الظهر والعنق ويسمى لحم فخذ الخنزير Ham وهذا يبين من أين أتت تسمية هامبرجر ولحم كتفه Butt ويطلق اسم بورك Pork على لحم الخنزير عامة ولكن يخص أيضا لحم الجنب والمنطقة القطنية.
١. هناك نوع بري من الخنازير يسمى الخنزير البري Wild Boar وهو حيوان مفترس وأكثر شراسة من النوع العادي، وقد يصل ارتفاعه إلى ٩٠ سم وطوله إلى ١٥٠ سم، وكانت أعداده كثيرة في أوروبا في الغابات إلا أنها قلت الآن؛ لأنه هدف شائع للصيد.
- والخنازير البرية تدمر الحرث والنسل وتعيث في الأرض فسادا. عندها قدرة تدميرية في البيئة التي تعيش فيها. فهي تفسد كل شيء حولها تأكل صغار الحيوانات التي في مجموعات بعد ولادتها كما تأكل صغار الطيور التي في أعشاشها على الأرض وتدمر الحقول التي تمر عليها وتأكل ما فيها كما أنها تنشر الأمراض حيثما حلت بمكان^(١).

(1) <http://en.wikipedia.org/wiki/Pig>.

الغدد العرقية :

تفتقر الخنازير إلى الغدد العرقية التي تعمل على خفض حرارة بقية الثدييات ولذلك فهي تحتاج للمياه أو للطين لتبريد أجسامها (شكل ٤) في درجات الحرارة المرتفعة.



شكل (٤) يبين حب الخنازير للطين والوحل لترطيب جسدها

ورغم أن غالبية الثدييات تفتقر إلى وجود الغدد العرقية إلا أنها لا تفعل ما يفعله هذا الحيوان القذر من التمرغ في الوحل والطين حتى في بوله وروثه.

الصفات السلوكية:

الخنزير حيوان لاحم عشبي تجتمع فيه الصفات السبعية والبهيمية، فهو آكل كل شيء، وهو نهم كانس، كنس الحقل، والزريبة، فيأكل القمامات، والفضلات الآدمية، وغير الآدمية بشراهة ونهم، وهو مفترس يأكل الجرذان، والفئران، والدم، والقيح، والصيد، وغيرها

من النجاسات كما يأكل الجيف حتى جيف أقرانه^(١) وهذا كله يؤثر في طهارة وطيب لحمه كما يؤثر في طبع من يتغذى على هذا اللحم النجس.

لقد أشار النبي ﷺ إلى أثر الطعام على خلق آكله فقال ﷺ: «والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم» رواه الإمام أحمد في مسنده (٤٢/٣) وهو حديث صحيح لغيره، وأصله في صحيح البخاري، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ويقول الفخر الرازي: "قال أهل العلم - الغذاء يصير جزءاً من جوهر المغتذي فلا بد أن يحصل له أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلاً في الغذاء، والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المشتبهات فحرم أكله لئلا يتكيف بتلك الكيفية"^(٣).

ويقول ابن خلدون: "أكلت الأعراب لحم الإبل فاكْتَسَبُوا الغلظة وأكل الأتراك لحم الفرس فاكْتَسَبُوا الشراسة وأكل الإفرنج لحم الخنزير فاكْتَسَبُوا الديانة"^(٤).

وحديثاً اختلف العلماء في أثر الغذاء على الطباع والخلق فمن العلماء من قال باختلاف الآثار الخلقية باختلاف نوع اللحوم المكثر من تناولها، وبأن لحم الخنزير وشحمه له تأثير سيء على العفة، والغيرة على العرض، إذا داوم الإنسان على تناوله ولقد توصلوا في إلى القول بأن نوعية الطعام تؤثر على شخصية وسلوك الإنسان وتصرفاته^(٥).

وعن مقالة للدكتور الفنجرى يؤكد فيها أن الذين يأكلون لحوم الحيوانات الكاسرة عادة ما تكون طباعهم شريرة، غير متسامحين، ويميلون إلى ارتكاب الآثام والجرائم^(٦).

(١) الدكتور/ أحمد جواد عن كتابه "الخنزير بين ميزان الشرع ومنظار العلم" دار السلام ١٩٨٧.

(٢) الدكتور/ أحمد بربور وزملاؤه: الطب الوقائي في الإسلام - دمشق ١٩٩٢.

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره "زاد المسير في علم التفسير".

(٤) الدكتور أحمد حسن ضميري: نظرات طبية في محرمات إسلامية - ج١ - دمشق ١٩٩٥.

(٥) الدكتور/ أحمد جواد عن كتابه "الخنزير بين ميزان الشرع ومنظار العلم" دار السلام ١٩٨٧.

(٦) الدكتور/ أحمد بربور وزملاؤه: الطب الوقائي في الإسلام - دمشق ١٩٩٢.

وتقول دكتورة آمال أحمد: إن أكل لحم الخنزير لابد وأن يؤثر على شخصية الإنسان وسلوكه العام والذي يتجلى واضحاً في كثير من المجتمعات الغربية؛ حيث يكثّر اللواط والسحاق، والزنى، وما نراه متفشياً من نتاج تلك التصرفات من ارتفاع نسبة الحمل غير الشرعية والإجهاض، وغيرها. وينقل الخنزير للإنسان من خلال أكل لحمه صفات غير حميدة مثل عدم الغيرة على أنثاه أو الأنثى لا تغير على زوجها فقد ثبت أن الخنزير هو الحيوان الوحيد الذي لا يغير على زوجته. وعندما يرى أنثاه تعاشر ذكر خنزير آخر لا يهتم، وللأسف في المجتمع الغربي يكون البعض منهم هذه الصفة، مثلاً: الأب لا يغير على زوجته أو ابنته والزوجة لا تغير على زوجها وابنها. أيضاً الخنازير من الممكن أن تتبادل الزوجات فالخنزير يعاشر زوجة آخر والآخر يعاشر زوجته. وقد لوحظ أيضاً أن الخنازير تقوم بممارسه الجنس الجماعي^(١).

(١) الدكتورة/ آمال أحمد: أسباب تحريم لحم الخنزير. جريدة أسبوت المصرية في عدد يناير ٢٠٠٥.

ثانياً: بيان حرمة الخنزير من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة

الكثير من المغالطين يشيرون بين الناس أن لحم الخنزير ليس محرماً على المسيحيين بينما حرّمته التوراة والشريعة الإسلامية وليبيان وتفنيده هذه الشبهة لابد من الحديث عن أمرين وهما:

الأول: إثبات النصوص التي وردت في التوراة والإنجيل والقرآن لحرمة لحم الخنزير.
الثاني: إثبات أن لحم الخنزير محرم منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها.

الأمر الأول: إثبات النصوص التي وردت في التوراة والإنجيل والقرآن لحرمة لحم الخنزير :

١ - التوراة:

وفيما يلي نصوص من العهد القديم الذي يؤمن به النصارى ويقدمونه، ويعتقدونه جزءاً من دينهم :

سفر اللاويين ١١ : ٧ :

(وَالْخِنْزِيرَ، لِأَنَّهُ يَشُقُّ ظِلْفًا وَيَقْسِمُهُ ظِلْفَيْنِ، لَكِنَّهُ لَا يَجْتَرُ، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ).

سفر التثنية ١٤ : ٨ :

وَالْخِنْزِيرُ لِأَنَّهُ يَشُقُّ الظِّلْفَ لَكِنَّهُ لَا يَجْتَرُ فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. فَمِنْ لَحْمِهَا لَا تَأْكُلُوا وَجِثَّتْهَا لَا تَلْمَسُوا.

In the Bible in Leviticus Chapter 11:Verse 8 regarding swine it says <of their flesh (of the swine another name for pig) shall you not eat and of their carcass you shall not touch; they are unclean to you

سفر إشعياء ٦٥ : ٤ :

يَجْلِسُ فِي الْقُبُورِ، وَيَبِيْتُ فِي الْمَدَافِنِ. يَأْكُلُ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ، وَفِي آيَتِهِ مَرَقٌ حُومٍ نَجِسَةٍ.

سفر إشعياء ٦٦ : ١٧ :

الَّذِينَ يُقَدِّسُونَ وَيُطَهِّرُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْجَنَّاتِ وَرَاءَ وَاحِدٍ فِي الْوَسْطِ، آكِلِينَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَالرَّجْسِ وَالْجُرْدِ، يَقْنُونَ مَعًا، يَقُولُ الرَّبُّ.

سفر المكابيين الثاني ٦ : ١٨ :

كان رجل يقال له العازار من متقدمي الكتبة طاعن في السن رائع المنظر في الغاية فاكرهوه بفتح فيه على أكل لحم الخنزير.

سفر المكابيين الثاني ٦ : ٢٠ :

وقذف لحم الخنزير من فيه ثم تقدم كما يليق بمن يتمنع بشجاعة عما لا يحل ذوقه رغبة في الحياة.

سفر المكابيين الثاني ٧ : ١ :

وقبض على سبعة أخوة مع أمهم فاخذ الملك يكرههم على تناول لحوم الخنزير المحرمة ويعذبهم بالمقارع والسياط، وأنفذ الملك كتبا على أيدي رسل إلى أورشليم ومدن يهوذا أن يتبعوا سنن الأجانب في الأرض ويمتنعوا عن المحرقات والذبيحة والسكيب في المقدس ويدنسوا السبوت والأعياد وينجسوا المقدس والقديسين ويبتنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام ويذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة ويتركوا بنينهم قلفا ويقذروا نفوسهم بكل نجاسة ورجس حتى ينسوا الشريعة ويغيروا جميع الأحكام ومن لا يعمل بمقتضى كلام الملك يقتل.

إذن فالخنزير بنصوص التوراة والتي يؤمن بها النصراني بينت الآتي :

- الخنزير حيوان له ظل (وهو الحافر المشقوق) وهو يشبه هذه الصفة الأبقار والجاموس والأغنام والماعز والمجترات البرية كالغزال والإبل.
- الخنزير لا يجتر الطعام (أي لا يعيد الطعام بعد بلعه إلى فمه ثانية لإعادة مضغته)

وهو بذلك يخرج من فصيلة المجترات وهى الحيوانات التي يؤكل لحمها مثل الإبل، والضأن والماعز، البقر (وتشمل الأبقار والجاموس) وهى التي ذكرها ربنا عز وجل في سورة لأنعام بالثمانية أزواج.

- الخنزير حيوان نجس.
- النهي عن أكل لحمه ولمسه باليد (دليل على نجاسته).
- أن الذين يأكلون الطيبات ويطهرون أنفسهم في الجنات، والذين يأكلون الخنزير والرجم والجرجز يفنون معاً.
- أن العاذر وهو رجل مؤمن أكره على وضع لحم الخنزير في فمه فلم يبلعه بل قذفه خارج فمه وهذا يدل على حرمة الخنزير عندهم.
- أن الملك الظالم أجبر الناس على أكل لحم الخنزير فلو كان الخنزير عندهم حلالاً فلماذا هذا الإجماع وهنا إشارة إلى حرمة لحم الخنزير.

وختلاصة القول من نصوص التوراة :

أن الخنزير محرم عند اليهود ومن يؤمنون بالتوراة لأنه نجس وهذا الحكم ما نسخ في شريعة النصارى أو المسلمين بل بقي كما هو وبعلمته المذكورة في التوراة وهى نجاسته. وبهذه العلة يكون الحكم على حرمة لحم الخنزير على التأييد ولن ينسخ.

قال الأستاذ الدكتور/ أحمد بن محمد الشرقاوي: علماً بأن النسخ لا يمكن أن يقع على المحرمات القطعية، ولا يمكن لأي شريعة أن تحل رجساً أو نجساً؟ فالخنزير هو الخنزير بشحمه ولحمه ونجسه ورجسه لم يتغير بتغير الزمان!^(١).

(١) الدكتور/ أمال أحمد: أسباب تحريم لحم الخنزير. جريدة أسبوت المصرية في عدد يناير ٢٠٠٥.

٢ - الإنجيل:

وفي رسالة بطرس الرسول الثانية ٢ : ٢٢ :

قَدْ أَصَابَهُمْ مَا فِي الْمَثَلِ الصَّادِقِ: «كَلَبٌ قَدْ عَادَ إِلَى قَيْئِهِ»، وَ«خِنْزِيرَةٌ مُعْتَسِلَةٌ إِلَى مَرَاغَةِ الْحَمَاءِ».

وقد ورد في إنجيل متى ٧ : ٦ :

لَا تُعْطُوا الْقُدْسَ لِلْكَلابِ، وَلَا تَطْرُحُوا دُررَكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ، لِئَلَّا تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَلْتَفِتَ فْتَمَرِّقَكُمْ.

على أن هناك حقيقة ينبغي أن تكون نصب أعيننا، هي أن المسيح جاء مقرراً للتوراة ومؤكداً لما جاء فيها:

وجاء في إنجيل متى ٥ : ١٧ :

لَا تَطْنُونَا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأَكْمَلَ

وجاء في (إنجيل مرقس ٥ : ١١-١٣):

وكان هناك عند الجبال قطع كبير من الخنازير يرمى. فطلب إليه كل الشياطين قائلين أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها. فأذن لهم يسوع للوقت فخرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنازير.

فَقَالَ بَطْرُسُ: كَلَّا يَا رَبُّ لِأَنِّي لَمْ أَكُلْ قَطُّ شَيْئاً دَنِساً أَوْ نَجِيساً (Acts ١٤ : ١٠).

فَقُلْتُ: كَلَّا يَا رَبُّ لِأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فَمِي قَطُّ دَنِسٌ أَوْ نَجِيسٌ (Acts ١١ : ٨).

المؤمنون بقدوم المسيح ثانية لا يأكلون لحم الخنزير. ولحم الخنزير محرم بين المسيحيين منذ عهد المسيح عليه السلام إلا أن الحاضرين في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية أباحوا أكله^(١).

ويتبين من نصوص الإنجيل الآتي:

(1) <http://www.aljazeeraatalk.net/forum/showthread.php?t=203145>

د/ حجر محمد عبد الغني حسن

- أن عيسى بن مريم عليه السلام بين أنه لم يأت لينقض شريعة التوراة بل جاء ليكمل عليها وهذا دليل على حرمة الخنزير لدى النصارى.
 - أن بطرس تعبد لله عز وجل بجنتابه أكل النجاسات والمعروف عن الخنزير أنه نجس.
 - أن الخنازير تغتسل في الوحل والطين وهذه حقيقة عن الخنازير فإنها تتمرغ في الوحل المتكون من بولها وروثها.
 - أن لا يترك لناس أطفالهم قدام الخنازير فتدوسها بأقدامهم وتأكلهم وهذه حقيقة أخرى أن الخنازير لو سنحت لها الفرصة لأكل أطفال لأكلتهم دون رحمة أو هوادة.
- وخلاصة القول من نصوص الإنجيل أنها تؤيد نصوص التوراة التي حرمت الخنزير.

٣ - القرآن الكريم:

- جاء تحريم لحم الخنزير بصفة قطعية في أربعة سور وهي:
١. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٣).
 ٢. وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِيسَقَ الْيَوْمَ يَيْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣).
 ٣. وقوله: ﴿قُلْ لَا أجدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٤٥).
 ٤. وقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ١١٥).

وبين الله عز وجل علة التحريم في الآية من سورة الأنعام ﴿فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾ والعلة هنا ذاتية وليست مكتسبة وتفيد معاجم اللغة بأن الرجس يعني القدر والفعل القبيح والعمل المؤدي إلى العذاب ففي مختار الصحاح: رجس * * * الرجس * القدر. وفي تفسير البيضاوي: فإن الخنزير أو لحمه قدر لتعوده أكل النجاسة، أو خبيث مخبث^(١).

وقال الراغب الأصفهاني في كتابه مفردات القرآن الكريم: الرجس: الشيء القدر، يقال: رجل رجس، ورجال أرجاس. قال تعالى: ﴿رجس من عمل الشيطان﴾ [المائدة/ ٩٠]، والرجس يكون على أربعة أوجه: إما من حيث الطبع؛ وإما من جهة العقل؛ وإما من جهة الشرع؛ وإما من كل ذلك كالميتة، فإن الميتة تعاف طبعاً وعقلاً وشرعاً، والرجس من جهة الشرع: الخمر والميسر، وقيل: إن ذلك رجس من جهة العقل، وعلى ذلك نبه بقوله تعالى: ﴿وإثمها أكبر من نفعها﴾ [البقرة/ ٢١٩]، لأن كل ما يوفي إثمه على نفعه فالعقل يقتضي تجنبه، وجعل الكافرين رجسا من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم﴾ [التوبة/ ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ [يونس/ ١٠٠]، قيل: الرجس: التنن، وقيل: العذاب (وهذا قول قتادة، انظر: الدر المنثور ٤/ ٣٩٤)، وذلك كقوله: ﴿إنما المشركون نجس﴾ [التوبة/ ٢٨]، وقال: ﴿أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ [الأنعام/ ١٤٥]، وذلك من حيث الشرع، وقيل: رجس ورجز للصوت الشديد، وبعير رجاس: شديد الهدير، وغمام راجس رجاس: شديد الرعد^(٢). ولو نظرنا إلى المعاني التي ذكرها الإمام الراغب الأصفهاني لوجدناها تنطبق على الخنزير فهو قدر، ونجس، وتن

٤ - السنة النبوية:

وقد وردت عدة أحاديث عن النبي محمد ﷺ تبين نجاسة الخنزير منها:

١. ورد في صحيح مسلم بسنده عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: "من لعب النردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه"^(٣).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي - تفسير الآية ١٤٥ من سورة الأنعام.

(٢) الراغب الأصفهاني في كتابه مفردات القرآن الكريم: الرجس.

(٣) رواه مسلم (٤١٩٤) وأبو داود (٤٢٨٨) وابن ماجه (٣٧٥٣) وأحمد

٢. حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخَنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفْنُ وَيُدَهَنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ فَقَالَ لَا هُوَ حَرَامٌ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوه فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ^(١).

٣. روايات أبي ثعلبة الخشني في سنن أبي داود ورمذ وبن ماجه.

- وفي سنن أبي داود حينما سأل أبو ثعلبة الخشني رسول الله ﷺ: يا رسول الله إنا نجاور قوماً من أهل الكتاب وهم يطبخون في قدورهم الخنزير ويشربون في آنيةهم الخمر فقال ﷺ: « إن وجدتم غيرها فكلوا واشربوا، وإن لم تجدوا غيرها فارحسوها بالماء وكلوا واشربوا » رواه أبو داود^(٢).
- حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَحْزَمِ الطَّائِيُّ حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ قَالَ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قُدُورِ الْمُجُوسِ فَقَالَ أَنْقُوها غَسَلًا وَاطْبُخُوا فِيهَا وَنَهَى عَنْ كُلِّ سَبْعِ ذِي نَابٍ^(٣).
- قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ مَشْهُورٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ وَرُوي عَنْهُ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ وَأَبُو ثَعْلَبَةَ اسْمُهُ جُرْثُومٌ وَيُقَالُ جُرْهُمٌ وَيُقَالُ نَاشِبٌ وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحْبِيِّ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ.
- قال المباركفوري: والحكم في آنية المجوس لا يختلف مع الحكم في آنية أهل الكتاب لأن العلة إن كانت لكونهم تحل ذبائحهم كأهل الكتاب فلا إشكال أو لا تحل فتكون الآنية التي يطبخون فيها ذبائحهم ويعرفون قد تنجست بملاقاة الميته.

(١) رواه البخاري (٢٠٨٢) ومسلم (٢٩٦٠) والترمذي (١٢١٨) والنسائي (٤٥٩٠، ٤١٣٨) وأبو داود (٣٠٢٤)

(٢) رواه أبو داود (٣٣٤٢).

(٣) رواه الترمذي (١٧١٨).

فأهل الكتاب كذلك باعتبار أنهم لا يتدينون باجتناّب النجاسة وبأنهم يطبخون فيها الخنزير ويضعون فيها الخمر وغيرها^(١)

في هذا الحديث علة أخرى لتحريم لحم الخنزير وهي أنه ذو ناب وبين الرسول ﷺ أن الحيوان ذى الناب سبع، وقد نهى لرسول ﷺ عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من لطير في حديث رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما.

قال المباركفوري: قَالَ ابْنُ سِينَا لَا يَجْتَمِعُ فِي حَيَوَانَ وَاحِدٍ قَرْنٌ وَنَابٌ مَعًا وَذُو النَّابِ مِنْ السَّبَاعِ كَالْأَسَدِ وَالذَّبِّ وَالنَّمْرِ وَالْفِيلِ وَالْقَرْدِ وَكُلِّ مَا لَهُ نَابٌ يَتَّقَوِي بِهِ وَيَصْطَادُ. وَقَالَ فِي النَّهَائِيَّةِ: وَهُوَ يَقْتَرِسُ الْحَيَوَانَ وَيَأْكُلُ قَسْرًا كَالْأَسَدِ وَالنَّمْرِ وَالذَّبِّ وَنَحْوَهَا. قَالَ فِي الْقَامُوسِ: السَّبْعُ بَضْمُ الْبَاءِ وَفَتْحُهَا الْمُفْتَرِسُ مِنَ الْحَيَوَانَ أَنْتَهَى. وَوَقَعَ الْخِلَافُ فِي جِنْسِ السَّبَاعِ الْمُحَرَّمَةِ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ كُلُّ مَا أَكَلَ اللَّحْمَ فَهُوَ سَبْعٌ حَتَّى الْفِيلِ وَالضَّبِّ وَالْبُرْبُوعِ وَالسَّنُورِ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ يَحْرُمُ مِنَ السَّبَاعِ مَا يَعْدُو عَلَى النَّاسِ كَالْأَسَدِ وَالذَّبِّ وَالنَّمْرِ. وَأَمَّا الضَّبُّ وَالثَّعْلُبُ فَيَحِلَّانِ عِنْدَهُ لِأَنَّهُمَا لَا يَعْدُوَانِ كَذَا فِي النَّيْلِ^(٢).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شَرِيحٍ حَدَّثَنِي رِبِيعَةُ بْنُ يَزِيدَ أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ قَالَ «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا بَارِضٌ أَهْلُ كِتَابٍ نَأْكُلُ فِي آبِيَتِهِمْ وَبَارِضٌ صَيْدٍ أَصِيدُ بِقَوْسِي وَأَصِيدُ بِكَلْبِي الْمُعَلَّمِ وَأَصِيدُ بِكَلْبِي الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلَّمٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ أَنْكُمْ فِي أَرْضِ أَهْلِ كِتَابٍ فَلَا تَأْكُلُوا فِي آبِيَتِهِمْ إِلَّا أَنْ لَا تَجِدُوا مِنْهَا بَدَأً فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مِنْهَا بَدَأً فَاعْسِلُوهَا وَكُلُوا فِيهَا وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الصَّيْدِ فَهَا أَصَبْتَ بِقَوْسِكَ فَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَكُلْ وَمَا صَدَّتْ بِكَلْبِكَ الْمُعَلَّمِ فَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَكُلْ وَمَا صَدَّتْ بِكَلْبِكَ الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلَّمٍ فَادْكُرْ ذَكَاتَهُ فَكُلْ»^(٣).

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي شرح الحديث (١٧١٨).

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) سنن ابن ماجه ٣١٩٨، في كتاب الصيد في الباب الثالث، والحديث صحيح له أصل في الصحيح

والعجب كل العجب من فهم ابن سينا وهو ليس عالما بالطب البيطري حيث قال: لَا يَجْتَمِعُ فِي حَيَوَانٍ وَاحِدٍ قَرْنٌ وَنَابٌ مَعًا. وهذه حقيقة في جميع الحيوانات ذوات الأنياب فهي بلا قرون، والحيوانات التي ليس لها أنياب لها قرون. وتصنيف ابن سينا للسباع على أنها كل من كان له ناب هو ما ذكره النبي محمد ﷺ صريحا واضحا في هذا الحديث بنهيه (وَنَهَى عَنْ كُلِّ سَبْعٍ ذِي نَابٍ).

هل الخنزير من السباع؟

نكتة لطيفة: وجدت لحديث أبي ثعلبة الخشني ثلاثة روايات هي في سنن الترمذي، وابن ماجه، وأبي داود، ورأيت أن الجمع بينها يؤدي إلى فهم صحيح في مسألة هل الخنزير من السباع؟ أم لا؟

وإذا ربطنا بين حديث أبي داود وحديث الترمذي نجد الآتي:

١. ذكر الخنزير صراحة من السائل بقوله (وهم يطبخون في قدورهم الخنزير) في حديث أبي داود.

٢. اجابة النبي ﷺ على السائل في حديث الترمذي بإجابة زائدة وهي (وَنَهَى عَنْ كُلِّ سَبْعٍ ذِي نَابٍ) بعد أن قال (أَنْقَوْهَا غَسَلًا وَأَطْبَحُوا فِيهَا) وهذا يدل على فطنة وذكاء النبي محمد ﷺ حيث أجاب على حكم آخر على مسمى عند السائل وهو الخنزير رغم أن السائل ما تطرق إليه، وهذا معهود عن النبي حيث يسأل في أمر ما فيأتي بحكم زائد لمسمى ظاهر أو خفي كما هو واضح جلي في سؤاله عن الوضوء من ماء البحر فقال ﷺ «هو الطهور ماؤه الحل ميتته».

٣. أن الروايات عن أبي ثعلبة الخشني في مسألة آنية أهل الكتاب والمجوس فيها زيادات فهي بينت اسم الخنزير كما في رواية أبي داود، وبينت النهي عن كل ذي ناب من السبع كما في رواية الترمذي، وبينت حكم صيد الكلب كما في رواية ابن ماجه وهذا يدل على أن الحديث لم يرو كاملا في أي من الثلاثة روايات.

٤. يؤخذ بالإشارة من الجمع بين هذه الأحاديث أن النهي عن كل ذي ناب من السباع في رواية الترمذي هي لورود اسم الخنزير في سؤال السائل في رواية أبي داود والله أعلم وإذا نظرنا إلى كلام ابن سينا ، والصفة التشريحية للخنزير كما بينت (له أنياب وليس له قرون ولا يجتر الطعام) والصفات السلوكية للخنزير (نهم شره يأكل الجيف والجردان، والحيوانات الصغيرة، والطيور الصغيرة، في أعشاشها على الأرض) يكون الحكم عليه أنه من السباع.

٥. **ملحوظة:** ورد في بعض مواقع الشبكة العنكبوتية أن الخنازير أكلت طفلاً: قالت صحيفة هندية أمس الأربعاء إن قطيعاً من الخنازير التهم طفلاً في الثالثة من عمره وهو حي على مشارف العاصمة نيودلهي حين غفل عنه أهله فتجول خارج المنزل. وذكرت صحيفة "هندوستان تايمز" إن اجاي كان يمسك قطعة من الخبز حين هاجمته الخنازير. ونقلت الصحيفة عن لال بهادور عم الطفل الضحية قوله: «كنا جميعاً نتناول الغذاء داخل المنزل ولم نلاحظ آجاي وهو يخرج. وبعد بضعة دقائق لاحظت أمه عدداً من الخنازير وهي تمضغ شيئاً». وذكرت الصحيفة إن الأم انطلقت في الصراخ واللقاء الحجارة على الخنازير بعد أن لمحت ثياب ابنها في أفواهها. ولم يتبق من الطفل سوى أطرافه. وقال اشوك والد اجاي وهو عامل: «يرتعش بدني حين أتخيل حجم الذعر والالم الذي تحمله ابني». وقالت الشرطة الهندية إنها وجهت لصاحب الخنازير تهمة إهمال أفضى إلى الموت. هذا ويرى القرويون حول نيودلهي الخنازير والأبقار والماعز حول منازلهم^(١).

٥ - تحريم الخنزير عند الفقهاء:

قال ابن حجر العسقلاني في شرحه لحديث البخاري (٢٢٣٦) في كتابه فتح الباري.
 قَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ: أَلْعَلَّةُ فِي مَنْعِ بَيْعِ الْمَيْتَةِ وَالْخَمْرِ وَالْخَنْزِيرِ النَّجَّاسَةِ فَيَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى كُلِّ نَجَّاسَةٍ... وَأَجْمَعُوا عَلَى تَحْرِيمِ بَيْعِ الْمَيْتَةِ وَالْخَمْرِ وَالْخَنْزِيرِ^(٢).

(1) <http://forum.roro44.com/95612.html>.

(٢) ابن حجر العسقلاني في شرحه لحديث البخاري (٢٢٣٦) في كتابه فتح الباري، في كتاب البيوع في باب بيع الميتة والأصنام.

يقول القرطبي: لا خلاف أن جملة الخنزير محرمة إلا الشعر فإنه يجوز الخرازة به فقد روي أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الخرازة بشعر الخنزير فقال: «لا بأس بذلك»^(١).

ذكر ابن خويزمنداد من رواية الإمام الدميري، قال (ولأن الخرازة على عهد رسول الله ﷺ وبعده كانت موجودة ظاهرة ولا نعلم أن رسول الله ﷺ أنكرها ولا أحد من الأئمة بعده).

يقول الدميري نقلاً عن الإمام الماوردي: الضمير في قوله: «فإنه رجس» عائد إلى الخنزير لأنه أقرب مذكور^(٢).

وقال الفخر الرازي: أجمعت الأمة الإسلامية على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وإنما ذكر الله تعالى: اللحم لأن معظم الانتفاع يتعلق به^(٣).

ويؤكد الإمام أبو الفرج الجوزي هذا المعنى: "فأما لحم الخنزير، فالمراد جملته، وإنما خص اللحم لأنه معظم المقصود"^(٤).

وقد ورد في صحيح مسلم عن بريده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: «من لعب النردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه».

قال ابن كثير فإذا كان هذا التنفير لمجرد اللمس فكيف التهديد والوعيد: من أكله والتغذي به، وفيه دلالة على شمول التحريم لجميع أجزائه من لحم وشحم وغيره. ويذكر ابن كثير أن الخنزير يشمل المستأنس منه والوحشي وهو البري^(٥).

وينقل الإمام السيوطي حكم من أكل لحم خنزير قال: أخرج عبد الرزاق في المصنف عن قتادة قال: إذا أكل لحم الخنزير عرضت عليه التوبة، فإن تاب، وإلا قتل^(٦).

(١) الإمام القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" دار الحديث - القاهرة ١٩٩٤.

(٢) الإمام الدميري في كتابه "حياة الحيوان الكبرى".

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره "زاد المسير في علم التفسير".

(٤) الإمام أبو الفرج الجوزي "زاد المسير في علم التفسير".

(٥) الإمام ابن كثير الدمشقي عن كتابه "تفسير القرآن العظيم".

(٦) الإمام السيوطي عن كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

٦ - وفي الديانات الوضعية نجد ما يلي:

تنع الهندوسية تناول لحم الخنزير. ويعتبره هندو الطائفة العليا من العار أن يأكلوا لحم الخنزير. فقط الطوائف المنخفضة والمنبوذون يأكلون لحم الخنزير.

يتحاشى الزرادشتيين تناول لحم خنزير.

البوذيون لا يلمسون الخنزير أبدا.

في كتاب مناسك الحج الصيني مثل "الرجل المحترم لا يأكل لحم الخنزير أو الكلب"^(١).

رأى أهل الطب في تحريم لحم الخنزير:

ويعرض د. فاروق مساهل للمشكلة التي تواجه أبناء المسلمين في ديار الغرب في تلوث الأواني بالخنزير النجس حين يقيمون مع أناس في منزل مشترك أو في المطاعم والأماكن العامة، وهؤلاء بطبيعة الحال يأكلون لحم الخنزير ويقلون بشحمه^(٣). ويجد الكاتب الحل في هدي رسول الله ﷺ حينما سأله أبو ثعلبة الخشني: يا رسول الله إنا نجاور قوماً من أهل الكتاب وهم يطبخون في قدرهم الخنزير ويشربون في أنيتهم الخمر فقال ﷺ: «إن وجدتكم غيرها فكلوا واشربوا، وإن لم تجدوا غيرها فارحسوها بالماء وكلوا واشربوا» رواه أبو داود.

وحول أهمية تحريم لحم الخنزير شهادة للطبيب الألماني هانس ريكفينغ إذ يقول: لا بد أن أشير إلى التراث القديم عند بعض الأمم حيث كان للتعالم التي أرساها النيان محمد وموسى أكبر الأثر في التزام المسلمين واليهود بقوانين الله الطبيعية. ففي إفريقيا حيث يعيش المسلمون وغيرهم في ظروف مناخية واحدة، نجد بالمقارنة، أن الشعوب الإسلامية تتمتع بصحة جيدة؛ لأن لحم الخنزير محرم في شريعتها، بينما نجد أن الشعوب الأخرى التي تعتمد النظام الغربي في تغذيتها تصاب بأمراض ترتبط كل الارتباط بتناولها لحم الخنزير.

(1) www.islam-christianity.com مجمع بواسطة عبد الواحد خان

(2) http://www.ebnmaryam.com/vb/showthread.php?t=3579.

(٣) الدكتور فاروق مساهل عن كتابه "تحريم الخنزير في الإسلام" لندن.

ويتابع فيقول: في دراسة جرت في الهيمالايا حيث تعيش قبائل الهونزا التي اعتنق معظم أفرادها الإسلام ويمتنعون عن أكل لحم الخنزير، وجد أنهم يتمتعون بصحة جيدة ومتوسط أعمارهم مرتفع ويعملون حتى سن متقدمة لتحصيل أرزاقهم في حين أن القبائل التي تجاورهم من غير المسلمين تصاب بعدد من الأمراض الشائعة بينهم لتناولهم لحم الخنزير، ومتوسط أعمارهم وفعاليتهم أقل بكثير من القبائل المسلمة. وهكذا فإني أرى أن الكتب السماوية التي جاء بها محمد وموسى كان معها الحق، كل الحق^(١).

ويرى د. عبد الحافظ حلمي محمد: أن لحم الخنزير ينفرد من بين جميع اللحوم المذكورة في آيات التحريم بأنه حرام لذاته، أي لعله مستقرة فيه، أو وصف لاصق به، أما اللحوم الأخرى فهي محرمة لعله عارضة عليها، فالشاة مثلاً إذا ذكيت فلاحمها حلال طيب ولا تحرم إلا إذا كانت ميتة أو ذبحت لغير الله. ونحن نؤكد أن المؤمن ملتزم حين يأتيه الأمر أو النهي من الله يجتهد في تفهم علة الأمر والنهي، لكن تحريم لحم الخنزير بالذات تحريم معلل "فإنه رجس" فاجتهادنا محصور إذن في محاولة لفهمنا لخبث ذلك المحرم ورجاسته حتى نزداد شكراً لله على نعمائه^(٢).

الأمر الثاني: إثبات أن لحم الخنزير محرم منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها.

ليبان هذا الأمر لا بد وأن نستند على أصول شرعية منذ أن خلق الله عز وجل آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة وهذه الأصول هي:

الأصل الأول: أن الله عز وجل أمر الناس جميعاً أن يأكلوا من الطيبات:

فلقد أباح العليم الخبير للناس جميعاً تناول الطيبات من الرزق فقال سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا

(١) الدكتور هانس هايترش ريكفيغ: الدين والعلم وتحريم لحم الخنزير. ت. عدنان حلبي.

(٢) الدكتور/ عبد الحافظ حلمي محمد عن مقالة "العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن" مجلة عالم الفكر - المجلد ١٢-٤ الكويت يناير ١٩٨٢..

مُبِينٌ ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وقال تعالى: في (سورة البقرة: ٥٧) ﴿ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمْنَا وَلكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ وفي (سورة البقرة: ١٧٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾، (سورة المائدة: ٤) ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ اللَّهَ إِنْ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾، (سورة المائدة: ٥) ﴿ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾، (سورة المائدة: ٨٧-٨٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾، ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾، (سورة الأعراف: ٣٢) ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾، (سورة الأعراف: ١٥٧) ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾، (سورة يونس: ٩٣) ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صَدَقَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنْ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾، (سورة الإسراء: ٧٠) ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾، (سورة المؤمنون: ٥١) ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾، (سورة الجاثية: ١٦) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾، (سورة الأحقاف: ٢٠) ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ

الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿١٥٧﴾ .

من سرد هذه الآيات يتبين لنا الآتى :

- أن طعام الذين أوتوا الكتاب (وهم كل من أنزل الله عليهم كتابا من السماء وخاصة اليهود والنصارى لأنهم قريبو عهد برسالة النبي محمد ﷺ) حل لنا فلو كان الخنزير عندهم حلالا فكيف يجرمه علينا بل الواضح أن تحريم الخنزير عندهم كما هو في الإسلام .

- أن الحكم بالحل أو التحريم للمأكولات والمشروبات بدون دليل شرعى فهو تعد على الله بغير علم ومن يفعل ذلك يكون قد نصب نفسه مشرعا وإلها من دون الله ولذلك سماه الله عز وجل بالمعتدى .

- أن الله عز وجل أمر الرسل بالأكل من الطيبات فقال سبحانه وتعالى ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾ والرسول مأمورون بتبليغ شرع الله عز وجل إلى الناس فدل ذلك على أن الله سبحانه وتعالى بين في جميع الشرائع السماوية الأكل من الطيبات وتحريم الأكل من الخبائث والخنزير من الخبائث وبذلك يثبت لدينا أن تحريم الخنزير كان منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها .

- وبين سبحانه وتعالى أن أكل الطيبات من الطعام والامتناع عن أكل الخبيث من الطعام يستوجب شكر الله عز وجل ولا يكون ذلك إلا بسبب النتائج المترتبة على أكل الطيب من الطعام وأهمها نعمة الصحة والعافية، ولما في الخبيث من الطعام من أضرار محققة بالعافية والصحة .

الأصل الثاني: أن الله عز وجل نهى الناس جميعا أن يأكلوا من الخبائث :

لقد حرم الله على الناس جميعا (من لدن آدم عليه السلام إلى آخر فرد في الدنيا وإلى أن تقوم الساعة) الخبائث كالميتة والدم ولحم الخنزير. فقال الله تعالى: في سورة الأعراف آية ١٥٧ ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم

إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون ﴿١٧٢﴾، فلو كان أهل التوراة والإنجيل في شرعهم ما يبيح لهم أكل الخبائث لعارضوا النبي في ذلك، وحيث إنه انتفت المعارضة ولم يقم لها دليل فثبت النهي بتحريم الخبائث في شريعتهم ويكون الخنزير عندهم محرما كما هو في الإسلام محرم .

الأصل الثالث: أن الله عز وجل بين أن أكل الطيبات هو من باب توجيه العبادة لله عز وجل وحده لا شريك له .

هذا الأمر ثابت من قوله عز وجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ كما في سورة البقرة آية ١٧٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فمن أكل الطيبات كان متوجها بالعبادة إلى الله عز وجل، ومن أكل الخبائث لم يكن متوجها بالعبادة لله وحده وإنما كان متبعا للشيطان وخطواته. ومن المعلوم أن أكل أو شرب الخبائث يبعد الإنسان عن الله عز وجل، إما لغياب عقله، وإما لفساد قلبه وانحلال أخلاقه وسوء سلوكه. وقد ثبت أن الغذاء يؤثر في صاحبه.

الأصل الرابع: أن الله عز وجل بين أن الشيطان يأمر الناس بالقول على الله بغير علم:

وهذا الأمر أيضا ثابت من قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ومن هنا نستطيع أن نقول إن الذين يقولون إن الإسلام كان سباقا بتحريم لحم الخنزير هو قول على الله بغير علم؛ لأن رب البشر جميعا والذي أنزل الشرائع السماوية كلها وهو الله رب العالمين، فلو ظن ظان أن الله أحل الخنزير قبل الإسلام ثم جاء الإسلام ليحرمه كان هذا بطبيعة الحال متها لله بأمرين لا ثالث لهما.

الأول منهما: أن الله كان غافلا أو جاهلا بأضرار لحم الخنزير ثم علمها بعد ذلك ولذلك أحلها للسابقين وحرمها على الآخرين وهذا كلام لا يعقله من كان عنده ذرة من عقل؛ لأن الله هو العليم الخبير يعلم ما كان وما سيكون بعلمه الأزلي حتى تقوم الساعة.

الثاني: من قال أن الإسلام كان سباق بتحريم لحم الخنزير غيرة على الإسلام ونصرة له كان متهماً لله عز وجل بالظلم. فكيف يستقيم لعادل أن يظن أن لحم الخنزير وما به من أضرار محققة كان حلالاً للسابقين حراماً على الآخرين فيكون متهماً لله عز وجل بإلحاق الضرر بالسابقين ومنعه عن الآخرين وهذا ظلم بين. وهذا لا يكون أبداً في حق الله عز وجل؛ لأنه تقدست أسماؤه وتنزهت صفاته عن الظلم، وتنزه الله سبحانه وتعالى أن يكون ظالماً لأمة فيحل لها لحم الخنزير وهو يعلم أنه ضار بصحة الناس ثم تأتي شريعة أخرى فتنادى بتحريم لحم الخنزير.

الأصل الخامس: أن صفات الله عز وجل على حقيقتها ويتحقق فعل الله بين الناس منها:

من صفات الله عز وجل العدل وأنه يحكم بين عباده بالقسط ولا يتحقق العدل بين الناس منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها إلا إذا كان تحريم الخبائث قائماً منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها وأنزل الله ذلك على جميع الرسل السابقين لشريعة الإسلام وهذا ظاهر من قوله تعالى: في سورة المؤمنون آية ٥١ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، والرسل مأمورة بتبليغ شرع الله للناس فالأمر لهم بالأكل من الطيبات هو أمر للأمم التي أرسلوا إليهم، ولا يظن ظان أن الرسل قصرُوا في تبليغ الرسالات السماوية والشرائع الدينية لأن الله أقام على الأمم وعلى رسلهم الحجج القوية التي يستشهدوا بها يوم القيامة وكفى بالله شهيداً. ومحمد ﷺ يمجىء شهيداً على الأمم السابقة يوم القيامة كما ورد في سورة النساء ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ وقد ثبت أن النبي ﷺ لحق بأهل الكتاب وسألهم عن الحلال والحرام فأجابوه وهذا باب طويل لا يسعه هذا المقام. ومن المعلوم أن الخنزير من الخبائث لأضراره على صحة الإنسان ومن يدعى أن الإسلام كان سباقاً في تحريم لحم الخنزير كان متهماً لله عز وجل بظلم الأمم السابقة وحاش لله عز وجل أن يكون ظالماً، وهل يعقل أن يحكم الله بين عباده بالقسط وقد ظلمهم في دنياهم بحل لحم الخنزير وهو ضرر محقق حاش لله وكلا.

الأصل السادس: أن المحرمات القطعية لن تنسخ بتبدل الشرائع السماوية:

هذا أصل عظيم لأن المحرمات القطعية كالقتل والزنا والربا، والسرقه، وأكل، أو شرب النجاسات هي حرام على جميع البشر منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها. وأن تحريم المحرمات القطعية من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة جاءت بها جميع الشرائع السماوية على الأمم السابقة بما لا يدع مجالاً للشك، حيث لا يستقيم أبداً أن يظن ظان أن الله أباح أكل لحم الخنزير، أو شرب الخمر، أو قتل النفس بغير حق، أو السرقه، أو الزنا، أو الربا، أو غيرها من الكبائر، ثم يحرم ذلك كله أو بعضه على أمة من الأمم أو مجموعة من الأمم دون غيرهم.

إن الإنسان هو الإنسان الذي خلقه الله عز وجل وهو من ذرية آدم عليه السلام ولقد بين الله عز وجل أن الله كرم بني آدم فقال سبحانه وتعالى في سورة الإسراء آية ٧٠ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ فهذه الآية دليل قوي على تكريم الله عز وجل لبني آدم، وهذا التكريم يستدعي الحفاظ على ذرية آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة، ولا يكون ذلك إلا من خلال أكل الطيبات ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً (وهذا لكل من كان وسيكون من ذرية آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة).

الأمر الآخر لم يثبت حتى الآن أن شريعة من الشرائع السماوية التي أنزلها الله قد نسخت حكماً من الأحكام الشرعية التي تتعلق بالمحرمات القطعية.

ثالثاً: الرد على شبهات في خصوصية الإسلام بتحريم لحم الخنزير:

أثارت بعض الشبهات جدلاً بين الناس بخصوص تحريم الإسلام للحم الخنزير وهذه الشبهات هي:

الشبهة الأولى:

يقول بعض الناس إن تحريم الخنزير جاء في الجزيرة العربية لأسباب بيئية غير مناسبة لتربية الخنازير (حيث الصحراء القاحلة الحارة والجفاف الشديد) أما اليوم فإن الخنزير يعيش في بيئات وتحت شروط صحية.

تفنيد هذه الشبهة:

- لم يقل أحد بأن الجزيرة العربية أو الدول الإسلامية تمتنع عن تربية الخنازير أو أكل شحمها بل الواقع الأليم يبين أن العديد من الدول الإسلامية تربي الخنازير ومنها مصر، والسودان، وليبيا، وسوريا، والمغرب، والأردن، وأندونيسيا وغيرها من الدول الإسلامية وهذه الدول نجدها في الصيف شديدة الحرارة والسودان أشد حرارة وجفافا وما امتنعت عن تربية الخنازير بل أستطيع أن أقول أن الخنزير يعيش في أي درجة حرارة تربي فيها الحيوانات الأخرى ولا يوجد منطقة في العالم خالية من تربية الخنازير (إلا المملكة العربية السعودية) لرخص لحمه واستخدام شحمه في كثير من الصناعات الغذائية.

قال الأستاذ عبد العزيز الخضيرى من السعودية: وإن كان الخنزير لا يربى في الجزيرة العربية لأسباب شرعية إلا أن منتجات الخنزير قد تدخل في الكثير من الصناعات الغذائية التي تستوردها الدول الإسلامية دون أن تدري ولذلك يجب على الدول الإسلامية أن تتقدم في وسائل الفحص، والكشف الدقيق، عن وجود منتجات من شحم ولحم الخنزير وتمتنع عن استيراد هذه المنتجات احتراماً لدينها وحفاظاً على صحة شعوبها.

أمّا عن منتجاته فهي عديدة. فاللحم يصنع منه السجق، والكورنيد، واللائشون، وغيرها، والدهن: يدخل في صناعة حلوى الشيكولاتة والدقيق: كالبسكويت والكيك ومشقات الدهن، كالمستحلبات، مثل الليسثين، ومضادات الأكسدة، مثل: (البيوتيليتد هيدروكسي انسيترول) تدخل في صناعات عديدة كالزيوت والدهون والجن المطبوخ، والجيلاتين المستخرج منه يدخل في صناعة المربي والجيلي وحلوى السكر والشكولاته وكبسولات الدواء، والدم يدخل في بعض الصناعات الغذائية وصناعة الأسمدة، ويستخرج من غدده

هرمون الأنسولين لعلاج مرضى السكر، وإنزيم الرنين (المسمى تجارياً بالمنفحة) الذي يستخدم في صناعة الجبن. أيضاً قد يخلط دهن الخنزير مع دهون أخرى نباتية أو حيوانية بتركيزات قليلة، وبعض الشركات قد تضيفه كبديل لدهن الحليب كما في صناعة الحليب البودرة والآيس كريم وغيرها، وقد يتفنن محترفو الغش بدهن الخنزير فيخضعون دهنه لعمليات كيميائية وفيزيائية تغير من تركيبه فتتغير ثوابته الكيميائية والفيزيائية التي تعدد كأساس للتمييز بين أنواع الزيوت والدهون المختلفة.

وهنا نأمل أن تقوم الجهات المختصة كوزارة التجارة، وهيئة المواصفات، ووزارة الزراعة، بالتكثيف من مراقبة الأغذية الواردة إلى المملكة وخاصة من الدول المعروفة بصناعاتها الغذائية، والتحقق من خلوها من أي مشتق من مشتقات لحم الخنزير، ونأمل من هذه الجهات الاستعانة باستخدام التقنية المتطورة للكشف عن لحم ودهن ومشتقات الخنزير على العبوات الغذائية المستوردة للمملكة قبل الإذن بدخولها إلى أسواقنا^(١).

الشبهة الثانية :

ويعتقد البعض أن حرمة لحم الخنزير مرتبطة بتغذيته على القاذورات. إذا تصورنا أن العلة في أكل لحم الخنزير على القاذورات هي علة التحريم نكون بذلك ما فهمنا نص ربنا في التحريم لقد بين الله عز وجل أن العلة في أنه رجس فقال ربنا عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٤٥).

نقول وبالله التوفيق أن المجتمع الغربيك أوروبا، وأمريكا، وغيرهم، يربون الخنازير في حظائر مغلقة نظيفة (شكل ٥) ويقدمون لها أعلاف مصنعة من المنتجات الغذائية النباتية والحيوانية. فهل معنى ذلك أن تنتفي علة التحريم بامتناع الخنازير عن أكل القمامة والقاذورات أم لا؟، لا والله لا تنتفي العلة؛ لأن العلة كما بينها ربنا عز وجل في تحريم لحم الخنزير أنه رجس، واللغة العربية بينت معنى كلمة رجس وهو القذر والنتن والنجس ولا

(1) <http://university.arabsbook.com/forum46/thread53841.htm>

يمنع إن تغذت الخنازير على القاذورات أو الأعلاف أن تكون محرمة في كلا الحالتين؛ لأن العلة كما بينها ربنا عز وجل في تركيب وضرر لحم الخنزير حتى وإن أكل الأعلاف الجيدة، فهو بطبعه الخبيث يأكل روثه الذي اختلط ببوله وبهذا يتراكم في لحم كميات هائلة من حمض البولييك المخرج مع بوله وروثه ولئن لم يجد ما يأكله يأكل صغاره. وحيث إن الحكم الشرعي قائم إلى أن تقوم الساعة فما علينا إلا التصديق بكتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ والانصياع للحكم الشرعي، وإلا كنا مكذبين لكتاب ربنا عز وجل. ولا يتأتى لمسلم أن يفعل ذلك ونعوذ بالله من الخذلان. وسوف أبين نجاسة لحم الخنزير عند الكلام على أن العلة في تحريم لحم الخنزير ذاتية، وليست مكتسبة وبيان التركيب الكيميائي للحم الخنزير وفي بحثنا هذا غنية وكفاية بإذن الله تعالى: .



شكل (٥) يبين حظائر الخنازير في المجتمع الغربي وتغذيتها على الأعلاف

الشبهة الثالثة :

ويعتقد آخرون أن حرمة لحم الخنزير مرتبطة بالأمراض المكتسبة من البيئة. يسهب البعض من أهل العلم والاختصاص^{(١) (٢) (٣) (٤) (٥)} في أن العلة في تحريم لحم الخنزير هي تلك

(١) نظرات طبية في محرمات إسلامية للدكتور/ أحمد حسن ضميري (ج١) دمشق ١٩٩٥.

(٢) الإعجاز التشريعي في تحريم لحم الخنزير للدكتور فهمي مصطفى محمود المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - المجلد الثالث - الكويت.

(٣) د/ عاطف الهندي طبيب بيطري تابع لوزارة الزراعة الأردنية

www.muslma1.net/vb/showthread.php?t=32834.

(٤) الدكتور/ هانس هايترش ريكفيغ: الدين والعلم وتحريم لحم الخنزير. ت. عدنان حليبي.

(٥) الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد عن مقالة "العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن" مجلة عالم الفكر - المجلد

الأمراض التي يكتسبها من البيئة التي حوله، وأكله القاذورات؛ حيث يبلغ عدد الأمراض التي تصيب الخنزير (٤٥٠) مرضاً منها (٥٧) مرضاً طفيلياً تنتقل منه إلى الإنسان بعضها خطير بل وقاتل ويختص الخنزير بمفرده بنقل (٢٧) مرضاً وبائياً إلى الإنسان وتشاركه بعض الحيوانات الأخرى في نقل بقية الأمراض لكنه يبقى المخزن والمصدر الرئيسي لهذه الأمراض ويسهبون في بيان هذه الأمراض ومسبباتها وأضرارها.

تفنيد هذه الشبهة :

هذه شبهة لا بد من تفنيدها من خلال النقاط التالية:

١ . يقول قائل كما تصاب الخنازير بالعديد من الأمراض البكتيرية والفيروسية والطفيلية فكذلك تصاب الأبقار، والأغنام، والماعز، والإبل، بالعديد من مثل هذه الأمراض ومع ذلك لم يجرمها الله إلا لعله طارئة كالموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع إلا ما ذكى والعلة هنا؛ هي احتباس الدم في لحومها وكونها في حكم الميتة والله سبحانه وتعالى حرم الدم، والميتة، ولحم الخنزير، إذن فالعلة هنا ليست للأمراض المكتسبة ولكن لكونها ميتة والناس لا تأكل الميتة من الحيوانات سواء كانت خنازيرا أو غير ذلك فلماذا تخصص لحم الخنزير بالتحريم وهو يتساوى مع الحيوانات الأخرى في العديد من الأمراض.

ونرد بأن العليم الخبير سبحانه وتعالى علم بعلمه الأزلي أن لحوم الخنازير نجسة سواء مرضت أو لم تمرض، بينما اللحوم المباح أكلها طاهرة حتى ولو كانت مريضة فكانت علة التحريم لنجاسة لحم الخنزير وليست للأمراض المكتسبة؛ لأنه لا يوجد مخلوق على وجه الأرض لا يمرض.

٢ . يقول قائل في ظل تطورات العلم وتقدمه في مجالات صناعة الأدوية واللقاحات فقد تعالج هذه الأمراض المكتسبة من البيئة التي يعيش فيها الخنزير بالمضادات الحيوية ومضادات الطفيليات أو يتم السيطرة على هذه الأمراض باستخدام التحصينات كما في الأمراض الفيروسية وغيرها وبالتالي: تنتفي علة التحريم بانتفاء هذه الأمراض بعد علاجها أو السيطرة عليها.

والرد على ذلك أيضا أن العلة قائمة حتى ولو خلا جسم الخنزير من أي مرض، لأنها علة ذاتية كما بينها ربنا عز وجل وهي نجاسة لحم الخنزير.

٣. يقول قائل فما بالكم والغرب الآن يحاصر هذه الأمراض من خلال منع الخنازير من أكل القمامة وتغذيتها على طعام جيد نظيف (بالتالي تقل أنواع الأمراض فيها)، وكثرة استخدام المضادات الحيوية واللقاحات، وتربيتها في حظائر جيدة مع استخدام أعلى الأساليب في الأمان الحيوى للنهوض بصحة هذه الخنازير وبهذا تنتفي العلة فتكون الخنازير المرباة بهذه الطريقة حلالا ويستطيع العالم أن يستخدم هذه الطرق الحديثة في تربية الخنازير حتى تنتفي هذه العلة وتكون الخنازير حلالا.

وأقول لمن يقول ذلك أن العلة التي بينها الله عز وجل في كتابه قائمة إلى أن تقوم الساعة ولا تنتفي بتغير الطعام أو الشراب أو طريقة المعيشة لهذه الحيوانات ولا بخلوها من هذه الأمراض لأن العلة ذاتية وليست مكتسبة والحكم الشرعي قائم إلى أن تقوم الساعة والعلة بينها ربنا عز وجل وهي أن لحم الخنزير رجس والرجس في اللغة بمعنى القذر والنجس والنتن.

إذن فما هو الدليل على نجاسة لحم الخنزير هذا يتم تفصيله في النقطة التالية من خلال بيان التركيب الكيميائي للحم الخنزير.

رابعاً: بيان أن العلة في تحريم لحم الخنزير ذاتية وليست مكتسبة:

يحتوي لحم الخنزير على أنواع عديدة من المركبات الكيميائية الضارة، التي لا تتناسب ولا تنسجم مع مركبات جسم الإنسان، وبالتالي فهي تسبب له أمراضاً وعلاماً متنوعة، تزداد وطأتها كلما تزايد استهلاك الشخص للحوم ومنتجات الخنزير. ولكي نبين أن العلة في تحريم لحم الخنزير ذاتية وليست مكتسبة لا بد وأن نقف على التركيب الكيميائي للحم الخنزير.

التركيب الكيميائي للحم الخنزير:

(١) ذكرت الأبحاث العلمية أن جسم الخنزير يحتوي على كميات كبيرة من حامض البوليك (٩٨٪)، ولا يفرز منه إلا القليل بنسبة (٢٪)، في حين يفرز الإنسان من حامض البوليك هذا تسعين في المائة منه^(١) (٢). ونظرا لهذه النسبة العالية من حامض البوليك؛ فإن آكلي لحم الخنزير يشكون عادة من آلام روماتيزمية، والتهابات المفاصل، ومشاكل في الكلى. ولكي نعرف كيف يفرز الخنزير كمية بسيطة من حمض البوليك فلا بد وأن نعرف ما هو حمض البوليك؟ وكيف يفرز حمض البوليك وكيف يخرج من الجسم؟ وما هي أضراره؟^(٣) من خلال بيان الأمور التالية:

أ- عملية الهدم في الجسم والتخلص من القواعد النيتروجينية (البيورين) الناتجة عن تكسير الحامض النووي في الجسم^(٤)

يتكون حمض البوليك كناتج نهائي في بول الإنسان وكمشتق من مشتقات تكسير القواعد النيتروجينية من النوع البيورين (الأدينين والجوانين) عند الحيوانات. وهذه القواعد النيتروجينية تنتج عن تكسير الخلايا في الجسم وهي أيضا تستخدم في:

١. تكوين الحامض النووي (Dna ، Rna)، أو في تكوين مركبات الطاقة مثل الأدينين تراى فوسفات (ATP) أو الجوانين تراى فوسفات (GTP).

٢. أو يتم تكسيرها (في حالة تكسير الخلايا وهدمها) والتخلص منها باستخدام إنزيم يسمى زانثين أوكسيداز (xanthine oxidase) ليحولها إلى حمض البوليك (uric acid) أي أن حمض البوليك هو ناتج من تكسير القواعد النيتروجينية (البيورين).

(١) الإعجاز التشريعي في تحريم لحم الخنزير للدكتور فهمي مصطفى محمود.

(2) <http://www.anadubawi.com/dubai-discussions/anadubawi-community/culture-politics-religion/why-pig-pork-meat-haraam-islam>. <http://www.geocities.com/tibnabawi/new-page-12.htm>.

(3) „Uric Acid“ Biological Magnetic Resonance Data Bank. Indicator Information Retrieved on 18 February 2008.

(4) Purine and Pyrimidine Metabolism <http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/5477017>

ب - كيف يتم تكسير البيورين Purines.

• **البيورين**: وهى قواعد نيتروجينية من النوع أدنين، جوانين (Adenine : purines & guanine).

• **الأدنين**: يتم تكسيرها إلى هيپوزانثين (Adenine degraded into hypoxanthin).

• **هيپوزانثين** يتم أكسدته باستخدام إنزيم زانثين أوكسيداز إلى زانثين (hypoxanthin oxidized by xanthenes oxidase into xanthenes).

• **والجوانين**: يتم فصل مجموعة الأمين منها (deaminated) لتعطي زانثين. الزانثين يتحول أيضا إلى حمض البولييك في وجود الزانثين أوكسيداز.

زانثين الأنسجة يتحول إلى جلوتامين ويذهب إلى الكبد ليتم تكسيره إلى يوريا وحمض البولييك. خلاصة القول أن تكسير القواعد النيتروجينية من النوع البيورين يعطى حمض البولييك.

ج - حمض البولييك:

١. في الإنسان يتم التخلص من ٧٠ - ٩٨ ٪ من اليوريا وحمض البولييك عن طريق الكليتين وتخرج بعض كميات (اليوريا) مع العرق.

٢. الكمية المتبقية من حمض البولييك في الدم في الإنسان توقف عمل الايونات الشاردة حيث لها خاصية الاختزالية^(١) وتوقف عمل ذرات الأوكسجين الشاردة ولذلك فهو مهم لإطالة العمر.

٣. كبد السباع يستطيع التخلص من حمض البولييك ١٢ مرة ضعف ما يتخلص منه كبد الإنسان ولذلك فهي مجبولة على أكل اللحوم، أما الإنسان إذا أكل كميات كبيرة من اللحوم يتراكم حمض البولييك في الأنسجة والمفاصل والكليتين.

(1)Proctor P.(1970),„Similar Functions of Uric Acid and Ascorbate in Man”.Nature 228:868. doi:10.1038/228868a0.

٤. في الزواحف والطيور والحيوانات الصحراوية يتم التخلص من الجزء الأكبر من حمض البولييك عن طريق البراز^(١) وذلك مهم لعدم فقد كميات كبيرة من الماء في مثل هذه البيئة؛ لأن من خاصية حمض البولييك جذب الماء فلو نزل مع البول لفقدت هذه الحيوانات جزءا كبيرا من الماء من جسدها وهلكت ولكنها رحمة العليم الخبير.

٥. في غالبية الثدييات يذهب حمض البولييك إلى الكبد ليتم تكسيره باستخدام إنزيم اليوريكاز (uricase) إلى مواد ذائبة في الماء تسمى الانتوين (allantoin) والتي يتم التخلص منها من خلال الكليتين. نجد تركيز الانتوين في أبوال الأبقار عالي جدا عن تركيزه في البانها حيث تركيز الانتوين في ألبانها هو (٦, ١٪) بينما في أبوالها هو (٧, ٧٨٪) في بعض الحيوانات الفقارية مثل: الإنسان وبعض الحيوانات الراقية غير الإنسان، والطيور، والزواحف، هذا الإنزيم غير موجود لعدم التعبير الجيني له وبالتالي يكون حمض البولييك هو المحصلة النهائية لتكسير هذه القواعد النيتروجينية^{(٢) (٣) (٤)} ويتم إخراجه عن طريق الكليتين أو الأمعاء^{(٥) (٦)}.

٦. إنزيم اليوريكاز موجود في أنسجة وبلازما الثدييات وخصوصا الحيوانات المجتررة (الأنعام) وليس موجودا في بلازما الإنسان، أو الخنازير.

وفي تجربة أخرى قام بها كل من^(٧) لتحديد وجود إنزيم اليوريكاز في أنسجة الحيوانات

(1)Lehninger A.L. Nelson D.L. and Cox M.M.(1993) Principles of() Biochemistry 2nd Ed. pp.688-734 Worth Publishers New York.

(2)Mahler H.R. Baum H.M. and Hubscher G.(1956) Science 124 705-708.

(3)De Duve C. and Baudhuin P.(1966) Physiol.Rev.46 323-357.

(4)Hruban Z. and Recheigl M. (1969) Microbodies and Related Particles Academic() Press New York.

(5)Briggs J. Levitt M.F. and Abramson R.G.(1977) Am.J.Physiol.233 F373-F381.

(6)Abramson R. G. and Lipkowitz M. S. (1990) Evolution of the Uric Acid Transport Mechanisms in Vertebrate Kidney: Basic Principles in Transport Vol.3 pp. 115-153 Karger Basel Switzerland.

(7) Uricase and its Action.vi. Distribution in Various Animals.

المختلفة تم أخذ ١ جم من كل نسيج وتحضير خلاصة منه وإضافة كمية من حمض البولييك تعادل ٠,٢٥ - ٠,٥٠٪ لبيان وجود إنزيم اليوريكاز وقدرته على تكسير حمض البولييك. وقد تم عرض النتائج هنا مع بعض التطوير والاختصار (الباحثان أجريا بحثهما على عدد كبير من الحيوانات) والمعروض بالجدول هنا هو: بيان كمية حمض البولييك التي تم تكسيرها بإنزيم اليوريكاز بالأنسجة.

جدول (١) يبين وجود إنزيم اليوريكاز في الأنسجة المختلفة لبعض أنواع الحيوانات وقدرته على تكسير جزء من حمض البولييك المضاف إليه

نوع الأنسجة والأعضاء			الحيوان	
أنسجة أخرى	الكليتين	الكبد		
لا يوجد بها إنزيم اليوريكاز	العضلات القلب الرئتين المخ الأمعاء المعدة الطحال المبيضين الخصيتين	٠,٠	٢,٠	الخيول
		٨,٨	٢,٦	الثيران
		١,٣	٣,٥	الخنازير
		٠,٠	٢,٨	الخراف
		١٠,٨	١٢,٢	الكلاب
		٠,٠	٤,٥	القطط
		٠,٠	٣,٩	الأرانب
		٠,٠	٢,٤	ختزير غينيا
		٠,٠	٣,٤	الفئران (البينو)
		٠,٠	٢,٣	الجرزان (البينو)

- من هذه التجربة وعلى حسب كمية حمض البولييك التي تم تكسييرها يتضح أن :
١. إنزيم اليوريكاز موجود في الكبد والكليتين لكل من الثيران، الخنازير، الكلاب، الفئران.
 ٢. موجود في كبد لكل من الخيول، الثيران، الخنازير، الكلاب، القطط، الأرانب، خنزير غينيا، الفئران، الجرزان.
 ٣. غير موجود في الكليتين لكل من الخيول، الخراف، القطط، الأرانب، خنزير غينيا، الفئران، الجرذان.
 ٤. غير موجود في الأنسجة الأخرى (العضلات، القلب، الرئتين، المخ، الأمعاء، المعدة، الطحال، المبيضين، الخصيتين) لجميع هذه الحيوانات.
 ٥. موجود بكمية عالية في كبد كل من الكلاب (٢، ١٢) يليها القطط (٥، ٤) يليها الأرانب (٩، ٣) يليها الخنازير، والفئران (٤، ٣-٥، ٣) يليها الخراف، والثيران (٦، ٢-٨، ٢) يليها خنزير غينيا، والجرزان (٣، ٢-٤، ٢) يليها الخيول (٠، ٢) حيث كمية حمض البولييك المكسرة على التوالي تدل على وجوده.
 ٦. موجود بكمية عالية في كليتين كل من الكلاب (٨، ١٠) يليها الثيران (٨، ٨) يليها الخنازير (٣، ١) يليها الفئران (٦، ٠) حيث كمية حمض البولييك المكسرة على التوالي تدل على وجوده .
 ٧. وفي تجربة أخرى قام^(١) بها لتحديد مشتقات البيورين الداخلية (Endogenous purines derivatives) تم تحديد الآتي:
 ٨. الكمية الخارجة من مشتقات البيورين الداخلية (Endogenous purines derivatives) في أبوال الأبقار، الأغنام، الخنازير.
 ٩. كمية إنزيم اليوريكاز في البلازما لكل من الأبقار، الأغنام، الخنازير.
 ١٠. كمية إنزيم زانثين أوكسيداز في البلازما لكل من الأبقار، الأغنام، الخنازير.

(1) British Journal of Nutrition (1990) 63 121-129 Excretion of purine derivatives by ruminants: endogenous.

كانت النتائج كالتالي:

١١. أولاً: خلاصة نتائج التجربة الأولى وهي الكمية المخرجة من مشتقات البيورين الداخلية (Endogenous purines derivatives) في أبوال الأبقار، الأغنام، الخنازير.

جدول (٢) يبين متوسط كمية مشتقات البيورين في أبوال الأبقار، الخراف، الخنازير.

Excreted purine Derivative µmol /kg Live Weight Per Day	نوع الحيوان		
	الخنزير	الخراف	الأبقار
Allantoin	١٣٤	٩٣	٤١٩
Uric acid	٢٢,٣	٥١	٩٥
Xanthin & hypoxanthin	٩,٥	٢٤	٠,٠
Total amount	١٦٦	١٦٨	٥١٤

من هذا الجدول يتضح الآتي:

١٢. الماشية تفرز ثلاثة أضعاف (٥١٤ pmol) ما تفرزه الأغنام (١٦٨ pmol) والخنزير (١٦٦ pmol) من مشتقات البيورين لكن ليس هناك خلاف بين ما تفرزه الأغنام والخنزير.

١٣. أن الأبقار تقوم بتكسير حمض البولييك إلى النتوين يخرج مع البول بكميات عالية جداً.

١٤. حمض البولييك يخرج بكمية عالية في كل من الأبقار والأغنام بينما يفرز بكميات أقل في بول الخنازير.

ثانياً: وجود إنزيم الزانثين أو أكسيداز في البلازما الجدول التالي يبين وجود أو غياب إنزيم الزانثين أو أكسيداز في البلازما لكل من الأبقار، والأغنام، والخنزير، وهذا يشير إلى التخلص من حمض البولييك أو تراكمه في الأنسجة والدم على حسب وجود هذا الإنزيم أو غيابه.

جدول (٣) كمية إنزيم Xanthin Oxidase في بلازما الأبقار والخراف والخنزير $\mu\text{mol} / \text{L}$.

Xanthin oxidase	نوع الحيوان		
	الخنزير	الخراف	الأبقار
Presence	X	X	√
Activity	٠,٠	٠.٠	١,٣

ثالثاً: وجود إنزيم Uricase في بلازما الأبقار والخراف والخنزير.

الجدول التالي يبين وجود أو غياب إنزيم Uricase في بلازما الأبقار والخراف والخنزير وهذا يشير إلى التخلص من حمض البوليك أو تراكمه في الأنسجة والدم على حسب وجود هذا الإنزيم أو غيابه.

جدول (٤) كمية إنزيم Uricase في بلازما الأبقار والخراف والخنزير $\mu\text{mol} / \text{min.} / \text{L}$.

Uricase	نوع الحيوان		
	الخنزير	الخراف	الأبقار
Presence	X	√	X
Activity	٠,٠	٢٩	٠.٠

من هذين الجدولين يتضح:

١. أن كلا الإنزيمين غير موجودين في بلازما الخنازير وهذا يدل على عدم تكسير مشتقات البيورين في بلازما الخنازير وبالتالي تكون كمية حمض البوليك في دم وأنسجة لحم

الخنزير عالية جدا وهذا يفسر أن الخنزير لا يخرج إلا ٢٪ فقط من حمض البولييك ويختزن حوالي ٩٨٪ وهذا دليل على نجاسة لحم ودم الخنزير، بينما أحدهما موجود في بلازما الأبقار وهو (Xanthin oxidase) وهو يقوم بتكسير حمض البولييك إلى ألتونين والذي يفرز في بول الأبقار بكميات عالية جدا وبالتالي تتخلص الأبقار منه عن طريق البول وينقي الدم منه وبالتالي اللحم فيكون لحم الأبقار طاهرا طبييا. يوجد في بلازما الأغنام إنزيم اليوريكاز (Uricase) والذي يقوم بتكسير حمض البولييك وتتخلص الأغنام منه.

٢. الخلاصة أن عدم وجود إنزيمي الزانثين أو كسيداز واليوريكاز في بلازما الخنازير يؤدي إلى تراكم حمض البولييك في دم وأنسجة الخنازير ويؤدي إلى نجاسة لحمه وشحمه.
 ٣. بينما وجود أحد هذين الإنزيمين في بلازما الأبقار أو الخراف يؤدي إلى التخلص من الجزء الأكبر من حمض البولييك وبالتالي إلى طهارة لحمها.
- جدوا (٥) يبين كمية حمض البولييك الموجودة في بلازما وأبوال الأبقار والخراف والخنزير

nmol /min. /L

نوع الحيوان	كمية حمض البولييك	
	Plasma	Urine
الأبقار	٢٥,٩	٩٥
الأغنام	٩,٠	٥١
الخنزير	٥,٦	٢٢,٣

من هذا الجدول يتضح الآتي:

١. إن كمية حمض البولييك التي تفرز في أبوال الأبقار ضعفي التي تفرز في أبوال الأغنام وأربع أضعاف التي تفرز في أبوال الخنازير.

٢. أن كمية حمض البولييك التي تفرز في البول حوالي أربعة أضعاف الكمية التي في البلازما في كل من الأبقار والخننازير وخمسة أضعاف الكمية التي في بلازما الأغنام وهذا يدل على أن كمية حمض البولييك يتم تركيزها في الكليتين من ٤-٥ مرات عن طريق الترشيح لتقليل كمية حمض البولييك في البلازما.

جدول (٦) يبين النسبة المئوية لتواجد مشتقات البيورين في أبوال الأبقار، الخراف، الإبل، الخنازير.

نوع الحيوان				Purine Derivative
الإبل	الخننازير	الخراف	الأبقار	
٨٦,٥	٨١	٥٥	٨٢	Allantoin
٧,٤	١٣	٣١	١٨	Uric acid
٦,١	٦	١٤	٠,٠	Xanthin & hypoxanthin

من هذا الجدول يتضح الآتي:

١. أن نسبة حمض البولييك في بول الإبل قليلة جدا إذا قورنت بمثيلاتها في الأبقار، والأغنام وهذا يدل على إعادة امتصاص هذا الحامض مرة أخرى للدم من أجل الحفاظ على كمية السوائل في الجسم؛ لأن اليوريا وحمض البولييك هي مواد حافظة للرطوبة صائدة للماء وبالتالي لا تفقد الإبل كميات كبيرة من الماء (وهذا من دلائل الإعجاز العلمي في خلق الإبل) حيث يقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ سورة الغاشية آية ١٧ .

٢. أن نسبة حمض البولييك في بول الخراف ضعفي ما هو موجود في أبوال الأبقار وأربعة أضعاف ما هو موجود في أبوال الإبل.

٣. أن زيادة إفراز حمض البولييك في أبوال الأغنام دليل على عدم وجود إنزيم Uricase في الكليتين وبالتالي يقل تحوله إلى Allantoin كما هو مبين في الجدول.
٤. أن كمية Allantoin قليلة جدا إذا ما قورنت بأبوال الحيوانات الأخرى وربما تكون هذه الكمية نتيجة ندرة وجود إنزيم Uricase في بلازما الأغنام وعدم وجوده في الكليتين.

خلاصة هذه النتائج: أن عدم وجود إنزيمي Xanthin oxidase & Uricase في بلازما الخنزير وقلة وجوده في الكليتين يجعله يحتفظ بكمية كبيرة من حمض البولييك في أنسجته. فالخنزير يتخلص من ٢٪ فقط من هذا الحمض والباقي يخترن في جسده بالإضافة إلى طبعه الخبيث في أكله لروثه المختلط ببوله وما به أيضا من حمض البولييك يجعل تراكم هذا الحمض في لحمه بكميات كبيرة تضر بصحة الإنسان وهذا يدل على نجاسة لحمه كما بين ربنا عز وجل في علة التحريم للحم الخنزير وهي أنه رجس وهذا من الإعجاز العلمي لهذه الآية ولتحريم لحم الخنزير.

وإليك أضرار زيادة حمض البولييك في بلازما الإنسان كما بينها العلماء^(١).

إن المعدل الطبيعي لكمية حمض البولييك في دم الإنسان هو 3.6 – 8.3 mg /dl فلو زادت عن ذلك تؤدي إلى :

١. داء النقرس والتهاب المفاصل.
٢. أزمات قلبية^(٢).
٣. ظاهرة ليش - نيهان (حركات لا إرادية للعضلات).
٤. تبين أن زيادة حمض البولييك مرتبطة بداء السكري.
٥. تؤدي إلى العمى.
٦. قلة الدهون في الجسم (dyslipidemia).
٧. ارتفاع ضغط الدم.

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/uric_acid.

(2) <http://www.heartinfo.com/news2000/uric071200.htm>.

٨. تكوين الحصوات في الكليتين والمرارة وهي مرتبطة بمقاومة الأنسولين.

٩. يؤدي إلى تكوين حصوات أو كسالات الكالسيوم.

ونظراً لاحتواء لحم الخنزير على هذه النسبة المرتفعة من حامض البوليك نتيجة كثرة موارده وقلة إفرازه لوحظ أن الذين يتناولون لحم الخنزير، يشكون من آلام روماتيزمية، والتهابات المفاصل المختلفة، (٢)- كما ثبت بالتحليل أن دهن الخنزير يحتوي على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة منها ترايغليسريدز وأن نسبة الكوليسترول في لحم الخنزير خمسة عشر ضعفاً لما في البقر، ولهذا الحقيقة أهمية خطيرة؛ لأن هذه الدهون تزيد مادة الكوليسترول في دم الإنسان، وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي تترسب في الشرايين، ولاسيما شرايين القلب، وتسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط، وهو السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية".

وقد جاء في الموسوعة الأمريكية أن كل مائة رطل من لحم الخنزير يحتوي على خمسين رطلاً من الدهن، أي بنسبة ٥٠٪، في حين أن الدهن في الضأن يمثل ١٧٪ فقط، وفي العجول لا يزيد عن خمسة في المائة. وأن خلايا الخنزير تحتوي بداخلها على حبيبات دهنية تعادل نصف مكونات الخلية، أما دهنه المخزن في لحمه وتحت جلده الملاصق له والذي يصعب فصله فهو زيتي القوام لذا يعملون منه shortening حيث إنه قابل للأكسدة بنسبة عالية على درجة أقل من ١٤م بعكس بقية الدهون التي تحفظ على هذه الدرجات والسبب في ذلك احتواء دهن الخنزير أحماض دهنية غير مشبعة بنسبة ٦٢٪ ودهن الخنزير قابل للترنخ؛ لأنه يحوي بعد الذبح على أكثر من ٢٪ من الأحماض الدهنية الحرة وثبت بالتقارير الطبية أن لحم الخنزير ومن ورائه دهنه (لأنه السبب حيث يحوي نسب عالية من الكبريت) مسرطن لستة مواقع في الجسم البشري (القولون والثدي والبروستاتا والرحم والبنكرياس والمرارة).

لقد ثبت أن دهن الخنزير الكائن المذيب الوحيد للستيرويدات الهرمونية التي هي من حيث التركيب دهون فلا يذوب في الدهون إلا الدهون ومن التراكيب المشابهة لهذه الدهون (الهرمونات الستيرويدية) الكوليسترول الضار المسبب لتصلب الشرايين ويتميز دهن الخنزير عن بقية الدهون بالنسبة العالية من الكوليسترول الضار وبالنسبة العالية من الهرمونات الستيرويدية والأخيرة مسؤولة كمحفزة لحدوث السرطانات.

يوجد الدهن متداخلاً مع خلايا لحم الخنزير بكميات كبيرة، خلافاً للحوم البقر والغنم والدجاج، والتي يكون فيها الدهن على شكل نسيج دهني شبه مفصول عن النسيج العضلي. وبالإضافة إلى ذلك فإن دهون الخنزير ترتبط بالمواد المخاطية النشوية، مما يجعل إزالتها من الجسم أمراً عسيراً ذلك لأن الدهون الجليسيريدية الثلاثية للحيوانات آكلة العشب، تحتوي على حمض دهني غير مشبع على ذرة الجلسرول الثانية، وإنزيمات الإنسان الدهنية قادرة على هضمها بسهولة. أما الدهون الجليسيريدية الثلاثية في الخنزير وفي آكلة اللحوم، فتحتوي على حمض دهني مشبع على ذرة الجلسرول الثانية، فلا تقدر إنزيمات الإنسان الدهنية على هضمها، ويسبب دهن الخنزير مجموعة من الأمراض نحو تصلب الشرايين، الذبحة الصدرية، جلطات القلب، ضغط الدم، سكري البول، وحصوات المرارة، وما يتبع ذلك من تعقيدات مرضية خطيرة وبذلك ترسب في جسم آكليها من البشر، محدثة أضراراً بليغة^(١).

احتواء دهن الخنزير على الهرمونات الجنسية (الستيرويدات) الخربة والمعطلة جينياً ولماذا خربة جينياً؛ لأن هذه الهرمونات الجنسية في غير الخنزير وضعها رب العزة لتنظيم الجنس اتجاه الجنس الآخر فالهرمونات الجنسية العادية تجعل صاحبها يميل نحو الجنس الآخر وتجعله يدفع أبناء جنسه عن جنسه المغاير الخاص به بشراسة وهو ما يسمى بالغيرة- المفقودة عند الخنزير لتعطل هذه الهرمونات الجنسية سواء الذكورية منها عند الذكر أو الأنثوية منها عند الأنثى. ومن هنا نجد صفة الدياثة عنده وعند آكليها لأننا نكتسب صفات ما نأكله وإذا قال قائل لما لا نأكل الأسود لنكتسب الشجاعة والقوة؟ ونرد عليه أن الأسد رغم غيرته المعهود لها إلا أن شجاعته ضارية وليست عقولة لذا أكله يكسبنا الضراوة والظلم ويبعدنا عن الحكمة فالإنسان وسط متعادل ما بين اللين والشدة يأكل النبات والحيوان لذا يسمى (Omnivorous) ولا يشبهنا في ذلك من الحيوان سوى الخنزير والفئران بينما الأسد وغيره من السباع (الهجام التي تسع وتهجم) من آكلات اللحوم Carnvarous وأما الضأن الحلال وغيره من الأنعام فتعتبر من آكلات الأعشاب^(٢) Herbivorous.

(١) الإعجاز التشريعي في تحريم لحم الخنزير للدكتور فهمي مصطفى محمود.

(٢) د/ عاطف الهندي طبيب بيطري تابع لوزارة الزراعة الأردنية / www.muslman.net/vb/showthread.php?t=32834.

ومن المدهش حقاً ملاحظة د. هانس هايتزش حيث ذكر أن الذين يأكلون شحم الخنزير من منطقة ما من جسمه فإنها ترسب في المنطقة ذاتها عند الأكل وهكذا وجد أن النساء اللواتي يأكلن فخذ لحم الخنزير يشاهد لديهن تشوه واضح في الفخذين والإليتين. والكولسترول الناجم عن تحلل لحم الخنزير في البدن يظهر في الدم على شكل كولسترول جزئي كبير الذرة يؤدي بكثرة إلى ارتفاع الضغط الدموي وإلى تصلب الشرايين وهما من عوامل الخطورة التي تمهد لاحتشاء العضلة القلبية^(١).

وقد وجد البروفيسور Roff أن الكولسترول المتواجد في خلايا السرطان الجواله يشابه الكولسترول المتشكل عند تناول لحم الخنزير^(٢)

يحتوي الخنزير على نسبة عالية جدا من هرمونات النمو (Growth Hormone) والهرمونات المنمية للغدد التناسلية (Gonadotrophins) لذا تزداد الإصابة بالسرطان لدى آكلي لحم الخنزير. فقد بينت الدراسات وجود علاقة قوية بين استهلاك لحم الخنزير وسرطان الأمعاء الغليظة والمستقيم، وسرطان البروستاتا، وسرطان الثدي، وسرطان البنكرياس، وسرطان عنق الرحم وبطانة الرحم، وسرطان المرارة، وسرطان الكبد^(٣).

يحتوي لحم الخنزير على كميات عالية من مركبات الهستامين والإميدازول (histamine and imidazole)، تحدث عند آكليها أمراضاً تحسسية جلدية، مثل الأكزيما والشرى والتهاب الجلد العصبي، والحكة، وغيرها. وإذا امتنع آكلوا لحم الخنزير عن أكله بشكل مطلق، فإن هذه الأمراض التحسسية تتلاشى.

ولحم الخنزير غني بالمركبات الحاوية على نسب عالية من الكبريت وكلها تؤثر على قابلية امتصاص الأنسجة الضامة للماء كالإسفننج مكتسبة شكلاً كيسيّاً واسعاً وهذا يؤدي إلى تراكم المواد المخاطية في الأوتار، والأربطة، والغضاريف، ويجعلها رخوة، والأنسجة الحاوية على الكبريت تتخرب بالتعفن والتخمير منتجة روائح كريهة فواحة لانطلاق غاز

(١) الدكتور/ هانس هايتزش ريكفيغ: الدين والعلم وتحريم لحم الخنزير. ت. عدنان حليبي.

(٢) الدكتور/ أحمد حسن ضميري: نظرات طبية في محرمات إسلامية- ج ١- دمشق ١٩٩٥.

(٣) الأمراض غير المعدية والخنزير للدكتورين سفيان العسولي ومحمد علي البار.

كبريت الهدروجين. ومحدثة تغيرات باثولوجية في المفاصل والعمود الفقري^(١) مما يؤهب للإصابة بالتهاب المفاصل التنكسي وخاصة المفاصل بين الفقرات، وإلى تنكس في العظام. وقد لوحظ أن الآنية الحاوية على لحم الخنزير، على الرغم من أنها محكمة السد إلا أنه يتعين إخراجها من الغرفة بعد عدة أيام نظراً للروائح الكريهة النتنة وغير المحتملة الناجمة عنها وبالمقارنة فإن لحوماً أخرى مختلفة خضعت لنفس التجربة، فإن لحم البقر كان أبطأ تعفنًا من لحم الخنزير ولم تنطلق منه تلك الروائح النتنة.

ويعتبر لحم الخنزير الأقل احتواءً على الجلايكوجين (مولد السكر) ومن الأكثر احتواءً على مادة البولينيا (اليوريا) وبالتالي يساعد ذلك أنواع كثيرة من الجراثيم للنمو عليه حيث إنه عادة عند حدوث التيس الرمي بعد ذبح الحيوان يحدث حموضة بسيطة سببها البكتيريا النافعة (microflora) الموجودة بالأصل في الحيوان ومنها acidophilus التي تتشعب في اللحم وتستهلك هذا الجلايكوجين ومن ثم ترمي بإفرازاتها الحامضية (فضلات البكتيريا النافعة) في اللحم لتحول هذه حموضة هذه الإفرازات فيما بعد دون نمو كل أنواع الجراثيم وخاصة الضارة منها.

وللعلم أقرب لحم للحم الخنزير من حيث الطعم لحم الكلاب والقطط التي يمتنع ويتقزز الغرب عن تناولها ولها نفس التركيب تقريباً، وهذا يفسر النسبة العالية لعدد خنازير التريبة في شرق آسيا خصوصاً في الصين^(٢) (٣).

(١) المرجع السابق.

(٢) الإعجاز التشريعي في تحريم لحم الخنزير للدكتور فهمي مصطفى محمود

(٣) الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد عن مقالة "العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن" مجلة عالم الفكر - المجلد ١٢-٤ الكويت يناير ١٩٨٢.

خامساً: مقارنة بين لحم الخنزير الحرام ولحوم الأنعام الحلال:

يقول الدكتور عاطف الهندي المقارنة بين أعداد الضأن الحلال والخنزير الحرام وكيف أن الحلال مبارك به وقد يذهب ولكن الخنزير الحرام مسحوق يذهب هو ويذهب معه أهله. فرغم قلة تكاثر الضأن وقلة ناتجه (مولود واحد سنوياً) يبارك الله فيه وفي أعداده محلياً وعالمياً رغم احتلاله المرتبة الأولى عالمياً من حيث استهلاك ورغبة اللحوم الحمراء بينما الخنزير فترتيبه بالنسبة لاعتباره لحوم حمراء أو بيضاء عند الطبخ فترتيبه عالمياً في الوقت الحاضر في المرتبة الرابعة ورغم قلة استهلاكه وكثرة توأله وكثرة ناتجه (كمعدل ٤٥ خنوص سنوياً) إلا أن الله لا يباركه ولا يبارك أعداده وحسب الإحصاءات العالمية وما ينطبق على الخنزير ينطبق على أعداد القطط والكلاب فتوالدها كثير وغير مرغوبة للأكل عند الغالب (باستثناء شرق آسيا) ولكن أعدادها قليلة جداً ولما ذلك؟ لأن الله لا يباركها ولا يزيكها^(١).

(١) د/ عاطف الهندي طبيب بيطري تابع لوزارة الزراعة الأردنية

الإعجاز العلمي في حرمة لحم الخنزير ومن قول الله تعالى: « فإنه رجس » من الآتي:

من خلال نتائج هذا البحث يتضح بيان الإعجاز العلمي في حرمة لحم الخنزير حيث إن كل هذه الأضرار الموجودة في لحم ودهن ودم الخنزير تجعل الخنزير محرماً لذاته وليس لعلل عارضة أو مكتسبة وهذا الذي بينه ربنا عز وجل من قوله (فإنه رجس) أي نجس، ضار، ومؤذ، وتتن، ومن هنا يتضح الإعجاز العلمي في بيان علة تحريم لحم الخنزير من خلال الآتي:

١. أن الخنزير حيوان سبعي له أنياب يأكل الجيف، والفئران، ولو سمحت له الفرصة لأكل الأطفال لأكلها وهذا عكس الأنعام تماماً فهي بدون أنياب ولا تتغذى إلا على العشب والكلأ فقط وهذا واضح من بيان النبي محمد ﷺ أن الخنزير سبع ذو ناب.
٢. أن عدم وجود إنزيمي Xanthin oxidase & Uricase في بلازما الخنزير وقلة وجوده في الكليتين يجعله يحتفظ بكمية كبيرة من حمض البولييك في أنسجته فالخنزير يتخلص من ٢٪ فقط من هذا الحمض والباقي يختزن في جسده وهذا عكس الأنعام فهي تتخلص من حمض البولييك بكميات كبيرة لوجود Xanthin oxidase في بلازما الأبقار وهو يقوم بتكسير حمض البولييك إلى ألتونين والذي يفرز في بول الأبقار بكميات عالية جداً وبالتالي تتخلص الأبقار منه عن طريق البول وينقى الدم منه وبالتالي اللحم فيكون لحم الأبقار طاهراً طيباً. كما يوجد في بلازما الأغنام إنزيم اليوريكاز (Uricase) والذي يقوم بتكسير حمض البولييك وتتخلص الأغنام منه عن طريق الكليتين مما يجعل لحم الأغنام أيضاً طاهراً طيباً.

٣. أن كثرة وجود حمض البولييك في دم ولحم الخنزير دليل على نجاسته ولهذا وصفه ربنا عز وجل بأنه رجس.
٤. أن كمية إنزيم اليوريكاز في كلى الأبقار حوالي ستة أضعاف الموجود في كلى الخنازير.
٥. أن الخنزير بطبعه الخبيث يأكل روثه المختلط ببوله وما به أيضا من حمض البولييك يجعل تراكم هذا الحمض في لحمه بكميات كبيرة تضر بصحة الإنسان وهذا يدل على نجاسة لحمه كما بين ربنا عز وجل في علة التحريم للحم الخنزير وهي أنه رجس وهذا من الإعجاز العلمي لهذه الآية ولتحريم لحم الخنزير
٦. أن الخنزير يحتوي على ٥٠٪ من لحمه دهنيات وأن هذه الدهنيات منها ٣٨٪ دهون مشبعة تراي جلسريد ولا يستطيع الإنسان هضمها بينما الأبقار تحتوي على ٦٪ فقط من الدهون وهي سهلة الهضم والأغنام تحتوي على ١٧٪ دهون أيضا سهلة الهضم وهذا يدل أيضا على الضرر المحقق من تناول لحم الخنزير.
٧. أن الخنزير يحتوي على كميات عالية من هرمونات النمو وهي تسبب ستة أنواع من السرطانات بينما تفتقر الأنعام إلى هذه الهرمونات مقارنة بالخنزير وهذا أيضا ضرر آخر محقق من تناول لحم الخنزير وعلة ذاتية على التحريم.
٨. أن لحم الخنزير يحتوي على كميات كبيرة من الكبريت على عكس الأنعام وهذه علة أخرى ذاتية للحم الخنزير
٩. أن لحم الخنزير يحتوي على كميات كبيرة من الهستامين والإميدازول المسبب للحساسية واكزيما الجلد لمن يأكله بينما لحم الأنعام لا تحتوي على هذا الهرمون.
١٠. وأن نسبة الكوليسترول في لحم الخنزير خمسة عشر ضعفاً لما في البقر، ولهذا الحقيقة أهمية خطيرة؛ لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكوليسترول في دم الإنسان، وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي ترسب في الشرايين، ولا سيما شرايين القلب،

وتسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط، وهو السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية. وهذه أضرار شديدة بصحة الإنسان.

١١ . وتعتبر هذه الأضرار علل ذاتية للتحريم ويبقى الحكم ببقاء العلة ويكون الخنزير محرما على التأييد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وصدق الله العظيم الحكيم العليم الخبير الذي بلغ رسوله النبي الأمي كما بلغ الرسل من قبل بحرمة هذا الحيوان القدر النجس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

العنب إعجاز، بين غذاء وشفاء

الأستاذة الدكتورة / ميساء محمد الراوي

قسم الأحياء - كلية العلوم التطبيقية للبنات - جامعة أم القرى



مقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بهذا الدين القويم وجعلنا من حملة القرآن العظيم ، ووفقنا لإتباع رسوله الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم وبعد :

فإن العنب من أقدم النباتات التي عرفها الإنسان ، فقد عرفت منه أنواع منذ عهد سيدنا نوح عليه السلام، وهو نبات متسلق عن طريق المحاليق من البراعم الطرفية .

وقد عرف الإنسان العنب وأكله منذ القدم، وورد في الأساطير والحكايات، وروي في أخبار الصين والهند، واعتبره الأقوام رمزاً للخصب مع حبوب القمح الناضجة، وقد وجدت آثار قديمة جداً في البرتغال والولايات المتحدة الأمريكية تشير إلى تقدير العنب وتقديس شجرته، وورد ذكر العنب في التوراة والإنجيل .

وقد ذكر اسم العنب في القرآن الكريم أحد عشر مرة في جملة النعم التي أنعم بها الباري تعالى: على عباده في الدنيا وفي الجنة ، ورد مرة واحداً منفرداً وعشر مرات جمعاً منها :

قال تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا* وَعِنَبًا وَقَضْبًا* وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ سورة عبس : ٢٧-٢٩ .
وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (ومن النخل من طلعتها قنوان دانية وجنات من أعناب) سورة الأنعام: ٩٩ .

وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب) سورة الرعد: ٤ .

وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب) سورة النحل: ١١ .

وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (ومن

ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا) سورة النحل: ٦٧.
 وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) سورة يس: ٣٤.
 وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (إن للمتقين مفازًا، حدائق وأعنابًا) سورة النبأ: ٣٢.

ومما سبق يتضح لنا أن الله عز وجل في تكرار ذكره العنب ضمن هذا العدد من نصوص كتابه الكريم وفي معرض تعداده للنعم التي أنعم الله وامتن على عباده بها ، سواءً في دار الدنيا، أو في جنة الخلد التي وعد سبحانه عباده المتقين. فيه دلالة قوية على أنه من أفضل الفواكه وأكثرها نفعاً، بل هو أحد الفواكه الثلاث التي هي ملوك الفواكه: العنب والرطب والتين ، وقد قال العرب الشيء الكثير عن العنب في اللغة، والنثر، والشعر، والطب، وغيره.

العنب:

الاسم العلمي Vitis Vinefera. اسم العائلة Vitaceae ، وهو فاكهة صيفية موطنها الأصلي آسيا، أدخلها الفينيقيون إلى أوروبا، ومصر، وقد زرع على نطاق واسع ويشتهر في أوروبا خاصة ، ومن أهم الدول المنتجة العنب : إيطاليا ، تليها فرنسا ، ثم أسبانيا ثم أمريكا، ومن الدول العربية : سوريا ومصر ثم العراق ثم لبنان .

أهم أنواعه :

العنب الأوربي: ويضم هذا النوع معظم الأصناف المزروعة في العالم القديم.

العنب الأمريكي: وتعتبر هذه المجموعة من الأنواع القريبة إلى العنب البري، عناقيدها صغيرة الحجم وثمارها عديمة القيمة لصغر حجمها وسوء طعمها. ولكن تتميز هذه الأنواع بمقاومتها الطبيعية للعديد من الأمراض، والآفات، ولذلك تستخدم كأصول مقاومة للأمراض، والآفات التي تصيب العنب الأوربي بدرجة شديدة.

الظروف البيئية التي تؤثر على زراعة العنب:

تشتمل الظروف البيئية على درجات الحرارة ، سواءً حرارة الجو، أو التربة وكذلك الرطوبة الجوية ، ورطوبة التربة ، والضوء، والرياح.

• الحرارة:

تعتبر درجة ١٠° م هي درجة بدء النمو للعنب، ويعتبر الحد الأدنى لدرجات الحرارة لزراعة العنب هو ٢٥° م وذلك للأصناف المبكرة في موعد النضج ، أما الحد الأقصى فيتراوح بين ٤٥° - ٥٠° م للأصناف المتأخرة في موعد النضج .

وعند ارتفاع الحرارة حتى ٤٢° م تصاب الأوراق والعناقيد بلفحة الشمس. لذا يجب مراعاة استخدام طرق التدعيم العالية في المناطق الحارة لإبعاد العناقيد عن سطح الأرض للإقلال من أضرار الحرارة المنعكسة من سطح التربة .

• الرطوبة:

وتعتبر درجة الرطوبة الجوية المثالية هي ٦٠ - ٧٠٪ وإذا زادت الرطوبة عن ذلك مع ارتفاع الحرارة يزداد انتشار الأمراض الفطرية والحد الأدنى للرطوبة الجوية واللازمة للنمو الخضري هو ١٥ - ٢٠٪ .

• التربة:

لا تصلح الأراضي الغدقة لزراعة العنب. ويمكن زراعته في غيرها من الأراضي ، ويؤدي زيادة تماسك حبيبات التربة إلى نقص كمية المحصول ونقص السكريات بالحبات وزيادة في نسبة الحموضة . يحتاج العنب إلى تربة جيدة التهوية ، ويؤدي إضافة الأسمدة العضوية الجيدة التحلل إلى تحسين تهوية التربة عند الري بالطرق الصحيحة.

التركيب التحليلي لثمرة العنب :

يحتوي العنب على معظم العناصر الغذائية التي يحتاجها الجسم ، فيحتوي على مواد سكرية بحوالي ١٥٪ وهي سكر العنب ، ومنها حوالي ٧٪ جلوكوز ، وتزداد نسبتها كلما نضجت الثمار ، ويعتبر سكر العنب من أبسط السكريات وأسهلها امتصاصاً وتمثيلاً في الجسم ، وقد وجد أن تناول ١٠٠ جم من العنب يعطي الجسم كمية من الطاقة تعادل حوالي ٦٨ سعراً حرارياً.

كما أن العنب مصدر غني بالألياف لكنها لا تعتبر عنصراً غذائياً، ولكن ثبت أن لها فوائداً صحية عديدة ، فهي تمنع حدوث الإمساك، وتنظم مستوي الجلوكوز والكلوليسترول بالجسم، بل تحمي كذلك من الإصابة بسرطان الأمعاء، والجدول التالي يوضح المواد التي تحتويها ثمار العنب في كل ١٠٠ جم من العنب :

العنصر	النسبة بالحجم	العنصر	النسبة بالحجم
ماء	٨١,٦ جم	بروتين	٠,٨ جم
دهون	٠,٤ جم	كربوهيدرات	١٦,٧ جم
ألياف	٤,٣ جم	فيتامين (أ)	٨٠ وحدة دولية
فيتامين (ب١)	٠,٠٥ ملجم	فيتامين (ب٢)	٨٠ وحدة دولية
حمض نيكوتينيك	٤ ملجم	فيتامين (ج)	٠,٠٣ ملجم
حمض بانتوثينيك	٠,٨ ملجم	بوتاسيوم	٠,٥ ملجم
كالسيوم	١٧ ملجم	فوسفور	٢٣٤ ملجم
حديد	٠,٦ ملجم	ماغنيسيوم	٢١ ملجم

وعلى هذا نرى أن العنب يحتوي على قدر جيد من السكريات مما يجعله غنياً بالطاقة التي يحتاجها الجسم، كما يحتوي العنب وخاصة القشر على مجموعة من عناصر فيتامين (ب) المركب والذي يحتاجه الجسم في نواح كثيرة خاصة لسلامة الجهاز الهضمي.

كما ويحتوي على كمية وفيرة من فيتامين (ج) الذي يرفع من مناعة الجسم ويقلل من احتمالات الإصابة بالميكروبات والجراثيم، وكذلك فيتامين (أ) الضروري لسلامة الجلد، ويحتوي على البروتينات والتي يستخدمها الجسم في إعادة بناء ما تلف من أنسجة الجسم .

ومن الاستعراض السابق يتبين لنا أهمية فاكهة العنب حيث إنها ذكرت في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، كما أوضحت الدراسات العلمية الفوائد الغذائية الجمة للعنب. وبالرغم من وجود دراسات بحثية تشير إلى دور العنب في علاج كثير من الأمراض، إلا أننا فضلنا القيام ببحث تطبيقي للدلالة على دور العنب كشفاء من الأمراض.

فعالية مستخلص بذور العنب على التسمم بحمض الجبريليك في بعض أعضاء الجرذان البيضاء

Efficacy of Grape Seeds Extract on Gibberellic Acid
Toxicity in Some Organs of Male Albino Rats

المقدمة :

بينما تبحث الدول أكثر فأكثر عن وسائل لزيادة إنتاجها الزراعي من أجل تحقيق اكتفائها الذاتي وأمنها الغذائي لمواجهة تزايد السكان المتنامي، يمضي المزارع في الاتجاه ذاته من أجل زيادة ربحه عبر وسائل متعددة منها ما هو طبيعي كالتقليم أو صناعي بإضافة الأسمدة والمخصبات أرضياً ليجري امتصاصها عبر الجذور، أو باستخدام الأسمدة الورقية التي ترش على المسطح الخضري ليجري امتصاصها عبر الأوراق. ومن الوسائل الصناعية استخدام منظمات النمو والتي هي عبارة عن مواد كيميائية هرمونية أو غير هرمونية، ومن هذه المواد غير الهرمونية الأحماض النووية التي يجري رشها على النبات ليستخدمها في إنتاج خلايا جديدة عبر انقسام الخلايا الحالية فتساهم في إطالة الساق وزيادة حجم الأوراق وضخامة الثمار. أما المواد الهرمونية التي تضاف للنبات لزيادة العقد والتبكير في النضج فهي عبارة عن هرمونات صناعية تنتج بالاعتماد على هرمونات طبيعية ينتجها النبات بشكل عادي وبتراكيز منخفضة لتساهم في نموه ومنها الجبريلينات وهي مجموعة من الهرمونات النباتية التي تنتجها الأوراق النباتية الحديثة والقمم النامية في الجذور والسيقان وتتميز هذه الهرمونات باحتوائها على حمض الجبريليك الذي يحرص استطالة الخلايا النباتية وتكوين الثمار اللابذرية، وهو يتغلب على تقزم الساق الوراثي ويزيد من إنتاج الأفرع الجانبية وخاصة الزهرية مما يزيد من عدد الأزهار والثمار فيزداد الإنتاج. والهرمونات

التي تضاف إلى النبات الآن هي مشابهة في تركيبها وتأثيرها الخلوي للمركبات السابقة وتتطابق معها في التسمية أيضا إلا أنها تضاف بشكل عشوائي وبتركيز عالية مما يؤدي إلى ظهور منتجات زراعية تتميز بخصامتها وتبكيرها المفرط في الإنتاج ويتجلى خطر هذه الهرمونات بشكل خاص في زيادتها لمعدل انقسام الخلايا بشكل مفرط يزداد مع ازدياد تركيز الهرمون (Riley 1987)

وقد أجريت دراسات بحثية بغرض استخدام هرمون حمض الجبريليك النباتي على الحيوانات وقد وجد أنه يزيد من خصوبتها ولقد وجد (Olsen 1981) أنه يعمل على مضاعفة الدورة الشبقية في إناث الفئران كما يعمل على زيادة عدد الحيوانات المنوية الحية ونقص عدد الحيوانات المنوية الميتة مع زيادة حركتها وتركيزها في السائل المنوي كما يعمل على زيادة إفراز هرمون التستستيرون في الدم (Abd-Elhamid et al. 1994; Elkomy 2003; Elkomy et al. 2007; Kamel et al. 2009) مع زيادة الغطاء الدهني البروتيني الوقائي للحيوانات المنوية (Osama et al. 2006)، وتحفز زيادة إفراز هرمون التستستيرون وزيادة النشاط الإنقسامي داخل الأنبيبات المنوية وزيادة إنتاج الخلايا الجرثومية (White et al. 1987) كما يعمل على زيادة المحتوى البروتيني والألبومين وزيادة تركيز بعض الإنزيمات مثل aspartate aminotransferase و alanine aminotransferase (ALT) (AST) لزيادة خصوبة وحيوية الحيوانات المنوية. (kelso et al. 1997)

من ناحية أخرى فقد استنتج العلماء أن لهرمون حمض الجبريليك المقدرة على التأثير على التمثيل الغذائي في الخلايا الحيوانية ويمكنه إحداث تغيرات مرضية فقد ذكرا (Muthuraman and Srikumar 2009) أن هذا الهرمون يعمل على زيادة أكسدة الدهون وتثبيط بعض مضادات الأكسدة حيث أدى إلى خفض تركيز ونشاط كلاً من glutathione (GSH) catalase (CAT) reductase (GR) superoxide dismutase (SOD) glutathione-S-transferase (GST) وأكسدة الدهون معنوياً في الطحال والرئة (Ismail et al. 2007).

وعلى الجانب الآخر فإننا نعلم أن للفواكه العديد من الفوائد الصحية وقد تكمن الفائدة في جزء من الفاكهة والذي قد يكون هذا الجزء هو الذي لا يتناوله المستهلك ويتخلص منه ومن الأمثلة لذلك «بذر العنب» حيث لوحظ أن العديد من الناس عندما يتناولون العنب يتخلصون من البذر ولا يتناولونها أو قد يشترتون عنباً بدون بذور وبالتالي يجرمون أنفسهم من فائدة كبيرة.

أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن مستخلص بذور العنب ومستخلص قشرة العنب الأحمر سيدخلان قريباً في صناعة الدواء المستخدم في علاج أمراض السرطان بأنواعه والوقاية منه حيث وجد أن أياً منهما يقتل خلايا سرطان الدم البيضاء (اللويميا) بنسبة تصل إلى ٧٦٪ خلال ٢٤ ساعة ولا يؤثر على الخلايا السليمة وأن مستخلص بذور العنب قد يلعب دوراً في حث خلايا سرطان الدم على الانتحار حيث لاقت حتفها نتيجة عملية تدعى الانتحار المبرمج (apoptosis) حيث يقوم المستخلص بتنشيط أحد أنواع البروتين بالجسم يشرف على عملية انتحار الخلايا. (Tyagi et al. 2003) وكما أن أبحاثاً عديدة قد نشرت سابقاً أثبتت أن لمستخلص بذور العنب تأثيراً قوياً ضد الخلايا السرطانية (Singh 2004) لعدد من أمراض السرطان منها: سرطان القولون، والجلد، والصدر - فيعمل على تثبيط تصنيع هرمون الإستروجين - كذلك يؤثر في سرطان المعدة والبروستاتا (Agarwal 2002; Eng Sharma 2004; Sharma 2003) ولا يعرف بعد ما هي ميكانيكية عمل هذا المستخلص الذي لا يؤثر على الخلايا السليمة ويقتل فقط الخلايا السرطانية ولكن المؤشرات العلمية تؤكد أن مستخلص بذور العنب قد يدخل قريباً في علاج الأورام السرطانية ويستخدم في الوقاية من أمراض السرطان، ولم تصل الأبحاث بعد إلى درجة التوصية بأكل بذور العنب لعلاج السرطان ولكن النتائج الأولى مبشرة بإمكانية فاعلية هذا المستخلص في علاج الأمراض السرطانية (MartÁnez et al. 2005; Agarwal et al. 2002(a&b)).

سجل العلماء أن مستخلص بذور العنب يحتوي على نسبة كبيرة من مضادات الأكسدة القوية والفعالة (Powerful antioxidant) حيث لوحظ أن لهذه المكونات تأثيراً فعالاً في الحد من المواد الخطيرة في الجسم والتي تعرف بالجذور

الحررة Free Radicals والتي يرتبط زيادتها في الجسم بحدوث أمراض عديدة يأتي في مقدمتها أمراض القلب والجلطة وكذلك تأثير التقدم في العمر. ويستعمل مستخلص بذر العنب على نطاق واسع في كافة أنحاء أوروبا، ويعرف بأنه مصدر غني بالفلافونويد، المواد الكيماوية التي تمنع التأكسد والتي تتجاوز خصائصها تلك الموجودة في فيتامين ج أي الأكثر شهرة كمانع تأكسد. وهي من أهم أنواع الفلافونيدات ومن المركبات الأقوى في التأثير procyanidolic oligomers والتي تذوب في الماء وفي كحول الإيثانول وتمتص سريعاً في الأمعاء وتوزع خلال الأنسجة الخلوية والبلازما الدموية وتساعد على تحسين مجرى الدم وتقوية الأوعية الدموية فينتج عنه زيادة توزيع الدم وتقوية وحماية القلب. هذا التأثير يجعل تناول مستخلص بذر العنب مفيداً للأشخاص الذين يحتاجون زيادة تدفق الدم. بما في ذلك المصابون بتشنجات الساق، وأمراض السكري، وعروق الدوالي، وتخدر الساقين والذراعين (Jimenez-Ramsey et al. 1994; Bagchi et al. 2000; Enginar et al. 2007).

وقد سجل من نتائج الأبحاث العلمية أن لبذر العنب وما تحويه من عناصر فعالة تأثيراً في تقوية ونضارة ومرونة الجلد حيث إن بعض المركبات في بذر العنب تتحد مع إحدى مكونات الجلد (Collagen) والذي يساهم في سلامة وصحة الجلد وخلاياه ويزيد من مرونة الجلد ومطاطيته وبالتالي يؤخر تجعد الجلد ويمكن فرك مستخلص بذر العنب مباشرة على الجلد أيضاً، ويساعد ذلك على الحفاظ على ليونة الجلد. حيث تستخدم العديد من شركات تصنيع المستحضرات التجميلية بذر العنب لهذا الهدف. كما كشفت بعض الدراسات عن أن مستخلص بذر العنب يمكن أن يساهم في علاج مرض «fibromyalgia» وهو اضطراب يؤثر على العضلات ويسبب تشنجهما، وغالبا لا يتجاوب مع العلاجات التقليدية، فكان هناك اقتراح استعمال مستخلص بذر العنب لعلاج هذه الحالة. (Khanna 2002)

جرى استخدام العديد من المواد الصناعية من قبل المتخصصين في صناعة الأغذية لحفظ الأغذية المطبوخة مسبقاً لتثبيط وإبطاء تأكسد الدهون. وهناك دراسات تُبين أن استخدام

مستخلص بذر العنب كمنتج طبيعي أكثر فعالية كمادة مُضادة للأكسدة ويُقدَّر أن ١٠٪ من المنتجات الجاهزة للأكل والمطبوخة كلياً في السوبرماركت والأسواق التجارية ومن الوجبات المتناولة في البيوت في الولايات المتحدة هي من هذه الأطعمة الجاهزة للأكل والمحتوية على هذا المنتج الطبيعي.

ولوحظ أن «بذر العنب» يحتوي على مادة فعالة في الصحة يعرف باسم (Proanthocyanidins) وهي تعمل بنسبة ٢٠ مرة أقوى من تأثير فيتامين C وه أضعاف تأثير فيتامين E مما يوضح الدور الحيوي لمستخلص بذر العنب في الحد من العديد من المشاكل الصحية لذلك ينصح باستخدامه.

وقد ذكر أن مستخلص بذر العنب له دور وقائي في منع تكون الجلطات الدموية (anti-thrombotic effect) وذلك عن طريق تثبيط تكوين الصفائح الدموية (Sano 2005). كما يخفض من استجابة الخلايا الالتهابية المتزايدة في مريض الجلطة الدموية (Kalin 2002; Sehirli et al 2008)

كما أن لمستخلص بذر العنب دور وقائي في حماية أنسجة الدماغ والكبد والخصية وبالتالي التأثير على الخصوبة وذلك تبعاً لسمية تعاطي كحول الإثانول (Ibrahim et al. 2001 2007) كما يحمي الحمض النووي DNA في نواة الخلية الكبدية من تأثير الجذور الحرة والتي تسبب كسوراً في أشرطة الأحماض النووية وأن تأثير المركبات المضادة للأكسدة في مستخلص بذر العنب أقوى من تأثير كل منها منفصلاً (Sugisawa 2004; Llopiz 2004)

وجد أن مستخلص بذر العنب يعمل على خفض نسبة السكر في الدم في الجرذان المصابة بمرض السكري anti-hyperglycemic effect on diabetes وذلك عن طريق تنشيط الخلايا المفرزة لهرمون الإنسولين. (Pinent 2004)

كذلك فإن مستخلص بذر العنب يلعب دوراً هاماً في علاج السمنة وذلك بتثبيط نشاط إنزيمات الليبيز الخاصة بالتمثيل الغذائي للدهون pancreatic lipase and lipoprotein lipase وبالتالي تثبيط امتصاص الدهون وتجمعها في الأنسجة الدهنية (Moreno 2003). كما يرى العلماء أن مستخلص بذر العنب قد يلعب دوراً في خفض الكوليسترول منخفض الكثافة والذي

يشكل ضرراً على الجسم. (El-Adawi et al. 2006 ; Abd El-Wahab et al. 2008).

استنتج العلماء أن تعريض الجرذان للأشعة المؤينة يؤدي إلى تغيرات مرضية في أنسجة الكبد نتيجة زيادة أكسدة الدهون والبروتينات في الخلايا وخفض مستوى مضادات الأكسدة وزيادة إطلاق الجذور الحرة وعند استخدام مستخلص بذر العنب فإنه يعمل على إعادة تخزين مضادات الأكسدة إلى نسبة عالية مشابهة للمستوى الطبيعي لها وبالتالي خفض محتوى الجذور الحرة وتثبيط أكسدة الدهون. (Enginar et al. 2007 Cetin t al. 2008).

كما أن مستخلص بذر العنب يعمل على خفض سمية العلاج الكيماوي المستخدم في علاج الأورام من تأثيره على الخلايا السليمة. (Joshi et al. 2000) كما يساعد مستخلص بذر العنب في علاج الأمراض الشائعة عند المسنين مثل ماء العين وضعف البصر (Yamakoshi 2002a).

وقد سجلت نتائج الأبحاث التي أجريت في اليابان على ٣٤٤ جرذاً أن مستخلص بذر العنب لا يحدث تسمماً حاداً عن طريق الفم وأن جرعة يومية قدرها ٢-٤ جم/كجم من وزن الجسم عن طريق الفم لا تحدث سمية في أجسام الحيوانات. (Yamakosh 2002b).

مما سبق يتضح الفوائد الأساسية والمهمة في مستخلص بذر العنب ولكي تتم الفائدة منه فإنه يجب الحرص على تكسير البذور بالأسنان وعدم بلعها لأن التكسير يساهم في استخراج مستخلص البذور وتحقيق الفائدة منها لذلك ينصح بعدم رمي البذر وتناولها بعد تكسيرها بالأسنان ويمكن كذلك شراء مستخلص بذر العنب جاهزاً من محلات المكملات الغذائية إلا أن استخدام كمية من ثمار العنب وخاصة الحمراء منه ملء الكف بمعدل ١٥-٢٠ حبة يومياً يعمل على إمداد الجسم بالفائدة المطلوبة.

الهدف من الدراسة :

تناولت معظم الدراسات التأثير الوظيفي للهرمون النباتي حمض الجبريليك ولكنها افتقرت إلى دراسة التغيرات النسيجية المرضية التي تصيب الأعضاء المختلفة. فكان الهدف من الدراسة الحالية هو معرفة التغيرات النسيجية نتيجة التسمم باستخدام هذا الهرمون في بعض أعضاء الجرذان. كما تهدف الدراسة الحالية إلى استخدام مستخلص بذر العنب ومعرفة تأثيره في مقاومة سمية الهرمون النباتي على الأنسجة.

خطوات البحث :

تم استخدام ١٨ من ذكور الجرذان البيضاء (*Rattus rattus*) البالغة وزن ١٤٠ - ١٦٠ جم وصممت التجربة على النحو التالي:

قسمت ذكور الجرذان إلى ٣ مجموعات ، تضم كل مجموعة ٦ جرذان كما يلي :

المجموعة الأولى : مجموعة ضابطة

المجموعة الثانية : مجموعة معاملة بالهرمون النباتي حمض الجبريليك بتركيز ٧٥ ملجم/ليتر بجرعة مناسبة لوزن الجرذ مذاباً في ماء الشرب.

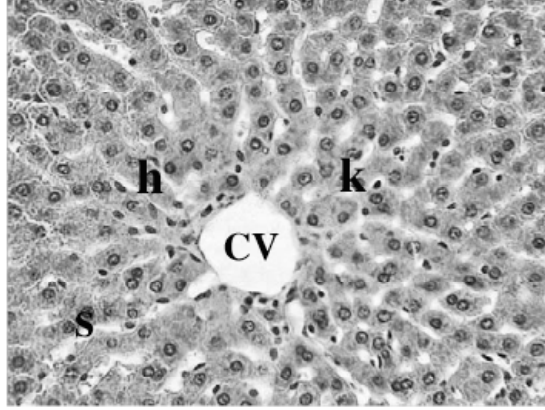
المجموعة الثالثة : مجموعة معاملة بالهرمون النباتي حمض الجبريليك بتركيز ٧٥ ملجم/ليتر بجرعة مناسبة لوزن الجرذ مذاباً في ماء الشرب. ثم تعطى مستخلص بذر العنب بجرعة ١٠٠ ملجم/كجم من وزن الجسم بواسطة الأنبوبة المعوية.

استمرت التجربة لمدة شهران ثم قتل الحيوانات وشرحت وأخذت عينات من أنسجة الكبد والكلبي وحفظت في مثبت الفورمالين المتعادل بتركيز ١٠٪. ثم أعدت القطاعات النسيجية وصبغت بصبغة الهيماتوكسلين والإيوسين لتجهيزها للفحص النسيجي.

النتائج والمناقشة:

أظهرت صور المجهر الضوئي لقطاعات نسيج كبد الجرذان ما يلي:

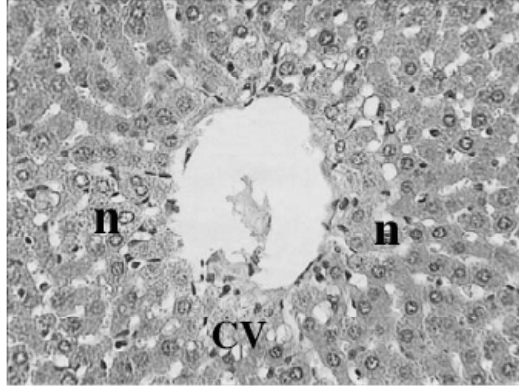
في المجموعة الضابطة يتكون نسيج كبد الجرذان من عديد من الفصيصات الكبدية Hepatic lobules والتي يمر بينها نسيج ضام بيني inter lobular connective tissue ويوجد في مركز كل فصيص كبدي وريد مركزي Central vein والتي تشع منه الخلايا الكبدية Hepatocytes على هيئة أشرطة، والخلايا الكبدية عديدة الأضلاع، ذات أنوية مركزية وبعضها يحتوي على نواتان. يوجد بين أشرطة الخلايا الكبدية أشباه الجيوب الكبدية Hepatic sinusoids وتحتوي بطانة هذه الجيوب على خلايا بلعمية phagocytic cells تسمى خلايا كوفر Kupffer cells وهي خلايا كبيرة لها زوائد متعددة مما يعطيها شكلاً نجمياً غير منتظم، وقد ذكر (Cormack 2000) أن هذه الخلايا تحتوي على حطام الخلايا وتلتهم المواد الغريبة وترسبات الحديد الناتج من تكسير الكريات الحمراء. كذلك يظهر ما يسمى بالحيز البابي portal space والذي يحتوي على وريد بابي portal vein وشريان كبدي hepatic artery وقناة صفراوية bile ductile (شكل ١).



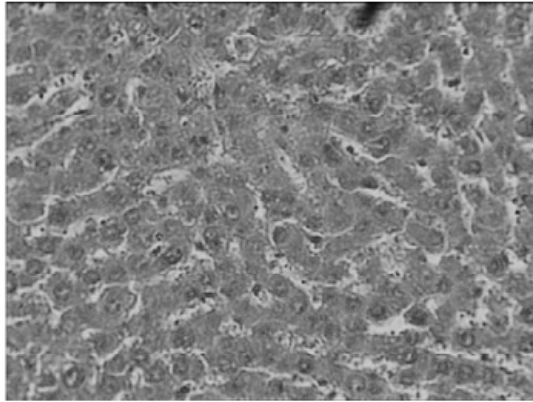
شكل (١) صورة بالمجهر الضوئي لقطاع من نسيج كبد لجرذ من المجموعة الضابطة
 لاحظ الوريد المركزي (CV)، الخلايا الكبدية (h)، الجيوب الدموية (s) و خلايا كبر (k)
 .(H&E. X 400)

أوضح فحص قطاعات كبد الجرذان المعاملة بالهرمون النباتي تمدد بالوريد المركزي مع تحلل الخلايا المبطنة لجداره ، كذلك بدت الخلايا المحيطة به تعاني من الموت الخلوي (النكرزة) Necrosis فبعضها محطمة ومتحللة وبعضها ذات أنوية متحللة وسيتوبلازم فجوي، كما لوحظ زيادة عدد خلايا كبر (شكل ٢). لوحظ اختفاء النسيج بين الفصيبي واختفاء الجيوب الدموية وإن وجدت فهي ضيقة جداً كما تلاصقت الخلايا الكبدية بجوار بعضها البعض واختفت الجدر الخلوية بينها دليلاً على التحلل الخلوي ولوحظ السيتوبلازم فجوياً كما لوحظ ضمور بعض الأنوية واختفائها في خلايا أخرى (شكل ٣). وقد أوضح (Luty et al.2000) أن وجود السيتوبلازم الفجوي يعود إلى التسمم بالعقاقير والتعرض للملوثات البيئية.

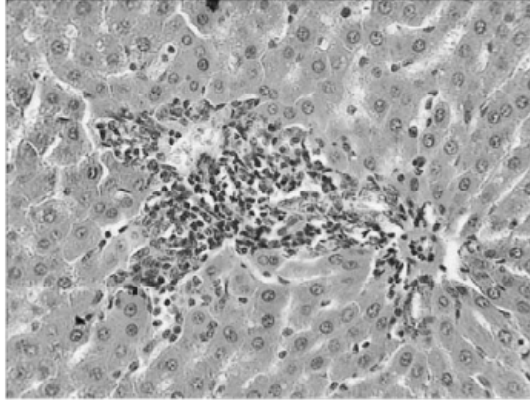
وعند فحص لوحظ ارتشاح واضح للخلايا اللمفية إشارة إلى وجود التهاب كما لوحظ زيادة عدد خلايا كبر البلعمية (شكل ٤). وقد أعزى (Hassen et al. 1986) تضخم خلايا كبر إلى النشاط الدفاعي لهذه الخلايا حيث تعتبر وسيلة دفاعية ضد التسمم والنزف.



شكل (٢) صورة بالمجهر الضوئي لقطاع من نسيج كبد جرذ معاملة بالهرمون النباتي يوضح تمدد الوريد المركزي مع تحطم جدره، الخلايا المحيطة به تظهر سيتوبلازم فجوي (cv)، وموت خلوي (N). (H&E. X 400).

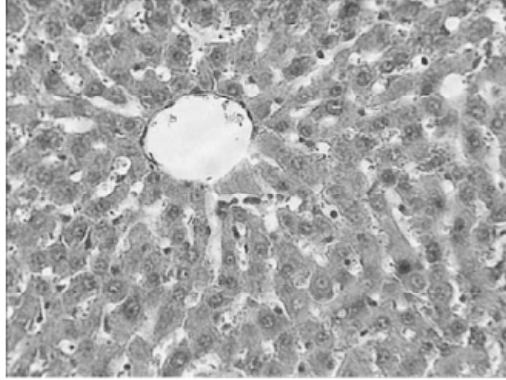


شكل (٣) صورة بالمجهر الضوئي لقطاع من نسيج كبد جرذ معاملة بالهرمون النباتي لاحظ تحلل الخلايا الكبدية واختفاء أنويتها وتبدو القليل من الخلايا ذات أنوية طبيعية (H&E. X 400).

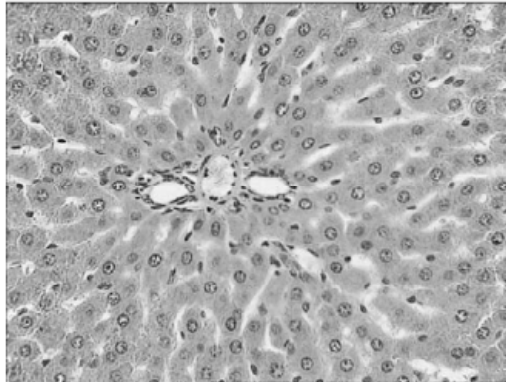


شكل (٤) صورة بالمجهر الضوئي لقطاع من نسيج كبد جرذ معاملة بالهرمون النباتي لاحظ ارتشاح واضح للخلايا اللمفية مع زيادة عدد خلايا كبفر. (H&E, X 250).

أوضح فحص قطاعات كبد الجرذان المعالجة بمستخلص بذور العنب تحسناً ملحوظاً على المستوى الخلوي والنسيجي حيث أظهر الفحص النسيجي استعادة الأوردة المركزية لأحجامها الطبيعية وظهر المظهر الطبيعي لأشرطة الخلايا الكبدية كما أن الخلايا الكبدية بدأت تتخذ التركيب الطبيعي مقارنة بالمجموعة الضابطة (شكل ٥)، كذلك ظهر تحسناً ملحوظاً في المنطقة البابية حيث انخفض ارتشاح الخلايا اللمفية بشكل واضح وظهرت الشرايين والأوردة البابية بصورة أقرب للطبيعية. وقد أوضحت العديد من الدراسات السابقة دور مستخلص بذور العنب في حماية الخلايا الكبدية من الملوثات الكيميائية والإشعاعية وذلك بسبب تأثيره في السيطرة على التحلل الخلوي وأكسدة الدهون كونه مضاد أكسدة قوي (Abeer et al. 2008; Cetin et al. 2008).

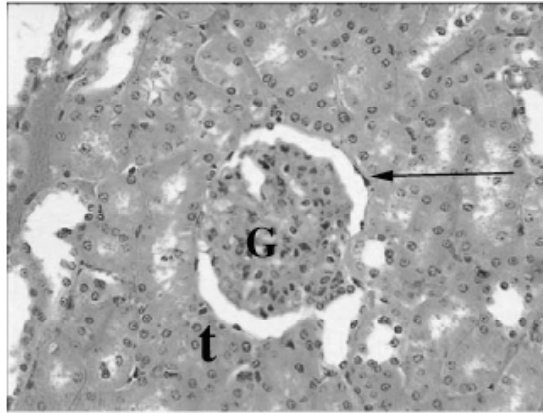


شكل (٥) صورة بالمجهر الضوئي لقطاع من نسيج كبد جرذ معالج بمستخلص بذور العنب لاحظ عودة الجيوب الدموية إلى مظهرها الطبيعي وانخفاض عدد خلايا كبفر (H&E. X 400).



شكل (٦) صورة بالمجهر الضوئي لقطاع من نسيج كبد جرذ معالج بمستخلص بذور العنب، لاحظ انخفاض رشح الخلايا اللمفية في المنطقة البابية مع ظهور الخلايا الكبدية بمظهرها الطبيعي (H&E. X 250).

أوضح الفحص النسيجي بالمجهر الضوئي لقطاعات كلي الجرذان في المجموعة الضابطة أنها تتكون من عدد من الوحدات البولية ممثلة في منطقتي القشرة والنخاع في الكلية، ويظهر الفحص النسيجي لمنطقة القشرة كريات مالبيجي Malpighian corpuscles والأنابيب الملتوية القريبة proximal convoluted tubules والأنابيب الملتوية البعيدة distal convoluted tubules . وتتركب كلية مالبيجي من محفظة بومان Bowman's capsules ويتركب جدارها من ثلاثية حرشفية بسيطة وهي تحيط بخصلة من الشعيرات الدموية وهي الكبة glomerulus (عبارة عن شريان وارد يدخل إليها ويتفرع بها ويتركها على هيئة شريان صادر) (شكل ٧).

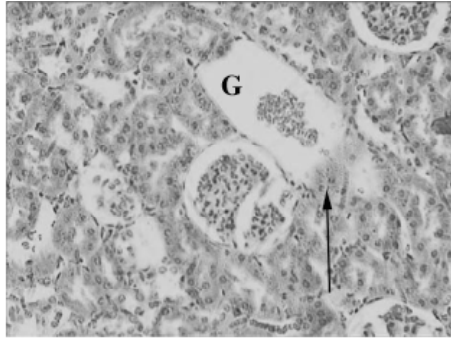


شكل (٧) صورة بالمجهر الضوئي لقطاع من نسيج الكلية لجرذ من المجموعة الضابطة يوضح الخلايا الطلائية الحرشفية لجدار محفظة بومان (سهم)، الكبة (G)، الأنبيبات الكلوية (t). (H&E. X 400).

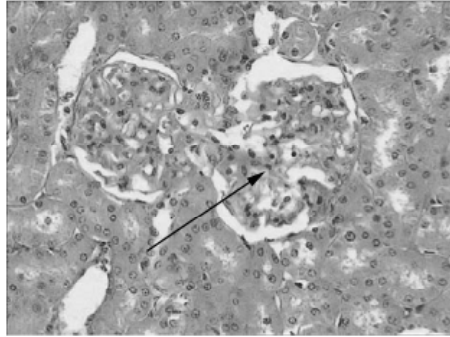
أوضح الفحص النسيجي بالمجهر الضوئي لقطاعات كلي الجرذان في المجموعة المعاملة بالهرمون النباتي ضمور شديد في الكبة وتحلل واضح في خلايا الأنبيبات البولية المحيطة بها، فلوحظت بعض الأنبيبات وقد فقدت معظم خلاياها وبعضها الآخر لوحظ بها مراحل من الموت الخلوي (شكل ٨). أيضاً ظهر تشوه واختلاف في شكل وتوزيع الكبة وتحلل خلوي في الخلايا الداخلية بها وظهر السيتوبلازم فجوياً ومعظم الخلايا في مراحل من الموت الخلوي وأكثرها ذات أنوية قائمة الصبغة منكمشة pyknotic pk (شكل ٩).

ظهر نتيجة التحلل الخلوي وفقد جدر الخلايا السيتوبلازمية مع فقد أنوية خلايا الأنبيبات التحلل الصابوني Foamy degeneration مما أدى إلى اختفاء الشكل المظري لنسيج الكلى كما هو في المجموعة الضابطة (شكل ١٠ & ١١).

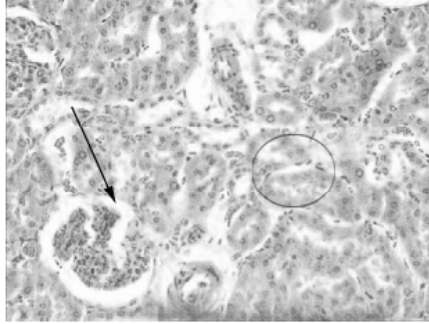
وأوضح الفحص النسيجي بالمجهر الضوئي لقطاعات كلي الجرذان في المجموعة المعالجة بمستخلص بذور العنب تحسناً ملحوظاً على المستوى الخلوي والنسيجي فلم يلاحظ تشوهات في أشكال وتركيب الكبات (شكل ١٢) كذلك لوحظ احتفاظ محفظة بومان بالتركيب الطبيعي لجدارها وبدت خلاياها الحرفية واضحة، ظهرت بعض الكبات تعاني من التحلل الخلوي لخلاياها كذلك فإن بعض الأنبيبات الكلوية قد استعادت التركيب الطبيعي لها فظهرت خلاياها تحتوي على أنوية طبيعية والأخرى كانت تعاني من مظاهر التحلل الخلوي فلوحظ السيتوبلازم فجوياً والأنوية متحللة (شكل ١٣). وقد ذكر (Mohanasundari et al. 2005) أن مستخلص بذر العنب يعمل على حماية نسيج الكلى وذلك بفعاليته كمضاد أكسدة يثبط أكسدة الدهون فيعمل على حماية الخلايا والحفاظ على جدرها من التحلل. وبهذه النتائج النسيجية على كل من نسيجي الكبد والكلى يتضح لنا التأثير الفعال لمستخلص بذر العنب وحمايته لتلك الأنسجة من التأثير السمي الممرض للهرمون النباتي.



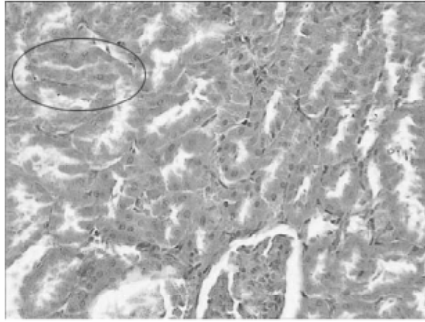
شكل (٨) صورة بالمجهر الضوئي لقطاع من نسيج كبد جردز معاملة بالهرمون النباتي يظهر ضمور واضح في الكبة G مع تحلل لخلايا الأنبيبات الكلوية. (H&E. X 400).



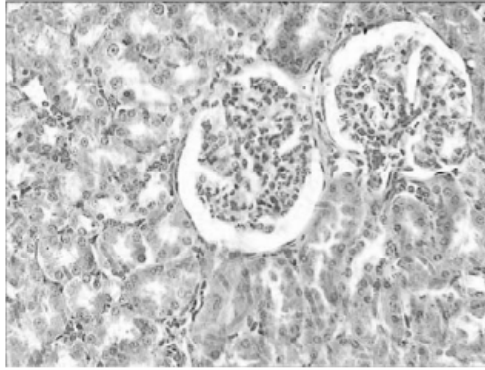
شكل (٩) صورة بالمجهر الضوئي لقطاع من نسيج كبد جردز معاملة بالهرمون النباتي لاحظ تشوه في المظهر الطبيعي لتركيبة الكبات مع تحلل خلوي واضح للخلايا بداخلها (H&E. X 400).



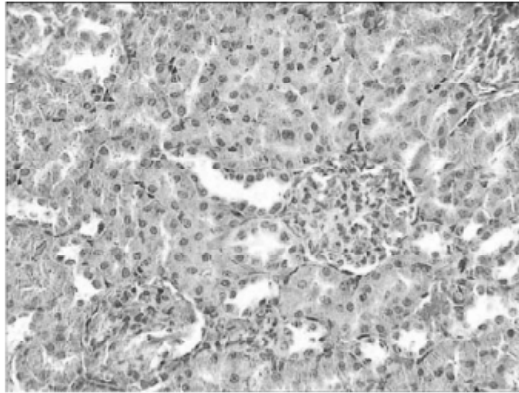
شكل (١٠) صورة بالمجهر الضوئي لقطعاع من نسيج كبد جردز معامل بالهرمون النباتي يوضح الكبة ضامرة كما يظهر بعض الأنبيبيات الكلوية خالية من الأنوية. (H&E. X 400) ○



شكل (١١) صورة بالمجهر الضوئي لقطعاع من نسيج كبد جردز معامل بالهرمون النباتي يظهر التحلل الصابوني ○ نتيجة خلو عديد من الأنبيبيات الكلوية من الأنوية. (H&E. X 400).



شكل (١٢) صورة بالمجهر الضوئي لقطاع من نسيج كلية جرد معالج بمستخلص بذور العنب يوضح المظهر الطبيعي للكبة. (H&E. X 400).



شكل (١٣) صورة بالمجهر الضوئي لقطاع من نسيج كلية جرد معالج بمستخلص بذور العنب، لاحظ بعض خلايا الأنبيبيات الكلوية تبدو طبيعية ذات أنوية واضحة. (H&E. X 400).

التوصيات:

يكشف لنا العلم اليوم فوائد صحية قيمة للعنب الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في عدة مواضع ، وعليه نوصي بما يلي :

- أولاً: العناية أكثر بزراعة العنب وأكله كاملاً مع قشوره وبذوره.
- ثانياً: ذكر الزبيب ضمن الصدقات مع التمر والبر والشعير دلالة إعجاز لأنه من الأغذية المتكاملة وله فوائد صحية يحتاجها الفقراء والمساكين لحمايتهم من الأمراض والمحافظة على صحتهم.
- ثالثاً: تشجيع ودعم الصناعات الغذائية والدوائية القائمة على العنب.

المراجع:

- Abd-Elhamid A.M. T.M.Dorra M.A.Ali and E.H.Abuo-Egla 1994. Effect of gibberellic acid on broiler chickens performance and some metabolic parameters. Arch. Anim. Nutr. 46:269-276.
- Abeer E Abd El-Wahab Hala El-Awadi; Hepa Sh Kssem 2008. Towards understanding the hepatoprotective effect of grape seeds extract on cholestroll fed rats. Australian J. Basic and applied Sciences 2(3):412-417.
- Agarwal C.; Sharma Y; Agarwal R. 2000. Anticarcinogenic effect of a polyphenolic fraction isolated from grape seeds in human prostate carcinoma DU145 cells; modulation of mitogenic signaling and cell cycle regulators and induction of G1 arrest and apoptosis. Mol. Carcinog. 28: 129-138.
- Tyagi A.; Agarwal R.; Agarwal C. 2003. Grape seeds extract inhibits EGF- induced and consitutively active mitogenic signaling but activates JNK in human prostate carcinoma DU145 cells» possible role in antiproliferation and apoptosis. Oncogene. 22: 1302- 1316.
- Agarwal C.; Singh RP.; Agarwal R. 2000. Grape seeds extract induced apoptotic death of human prostate carcinoma DU145 cells via caspases activation accompanied by dissipation of mitochondrial membrane potential and cytochrome c release. Carcinogenesis. 23: 1869-1876.
- Auger C. 2004. Phenolics from commercialized grape extracts prevent early atherosclerotic lesions in hamsters by mechanisms other than antioxidant effect. J. Agric Food Chem. 11;52(16):5297-302.
- Bagchi D.; Bagchi M.; Sidney J. S.; Dipak K. D.; Sidhartha D. R.; Charles A. K.; Shantaram S. J.; Harry G. P. 2000. Free radicals and grape seed proanthocyanidin extract: importance in human health and disease prevention. Toxicol. 148(2-3) :187-197.
- Celik I.;Turker M.;Tuluçe Y. 2007. Abciscic acid and gibberellic acid cause increased lipid peroxidation and fluctuated antioxidant defense systems of various tissues in rats. J. Hazardous Materials 148 (3): 623-629.
- Eugene T. Kimura Patrick R. Young Kazimir Staniszewski. 2009. Gibberellic acid: Toxicologic and pharmacologic studies. J. American Pharmaceut. Associat. 48(2): 127-129.
- EL-Adawi. H.; Abdel mohsen D. Youssef 2006. Study on the effect of grape seeds extract on hypercholesterolemia: Prevention and Treatment. Int. J. Pharm. 2(6): 593-600.

- El-Ashmawy I.M.; Saleh A.; Salama O.M. 2001. Effects of marjoram volatile oil and grape seed extract on ethanol toxicity in male rats. *Pharmacol.* 109(3-4):165-67.
- Cetin A.; Kaynar L.; Koçyigit I.; Hacıoglu SK.; Saraymen R.; Ozturk A.; Orhan O.; Sagdiç O. 2008. The effect of grape seed extract on radiation-induced oxidative stress in the rat liver. *Turk J Gastroenterol.* 19(2):92-8.
- Elkomy A.E. 2003. Physiological studies on Gibberellic acid (GA) and reproductive functions of adult fowl. Ph.D. thesis. Faculty of Agriculture Alexandria University.
- Elkomy A.E. Samar A. Elnagar and Azza El-Sebai 2007. Steroidogenic effects of gibberellic acid (GA) 3 on chicks. *Egypt Poult. Sci.* 27(4): 1239-1255.
- El-Mofty M.M. S.A. Sakr A.M. Rizk and E.A. Moussa 1994. Carcinogenic effect of gibberellin A3 in Swiss albino mice. *Nutr. Cancer* 21(2): 183-190.
- Eng ET. 2003. Suppression of estrogen biosynthesis by procyanidin dimers in red wine and grape seeds. *Cancer Res.* 63(23):8516-22.
- Enginar H. ; Cemek M. ; Karaca T. ; Nak P. 2007. Effect of grape seed extract on lipid peroxidation antioxidant activity and peripheral blood lymphocytes in rats exposed to X-radiation. *Histopathol.* 21:1029-1035.
- Ibrahim M. El-Ashmawy 1 2 Amal Saleh 2 and Osama M. 2007. Effects of Marjoram Volatile Oil and Grape Seed Extract on Ethanol Toxicity in Male Rats.. *Basic & Clinical Pharmacology & Toxicology.* 101 (5):320 – 327.
- Jimenez-Ramsey L.M.; Rogler J.C.; Housley T.L.; Butler L.G.; Elkin R.G. 1994. Absorption and distribution of ¹⁴C-labeled condensed tannins and related sorghum phenolics in chickens. *J. Agric. Food. Chem.* 42:963-967.
- Joshi SS.; Kuszynski CA.; Bagchi M.; Bagchi D. 2000. Chemopreventive effects of grape seed proanthocyanidin extract on Chang liver cells. *Toxicol.* 155(1-3):83-90.
- Kalin R. 2002. Activin a grape seed-derived proanthocyanidin extract reduces plasma levels of oxidative stress and adhesion molecules (ICAM-1 VCAM-1 and E-selectin) in systemic sclerosis. *Free Radic Res.* 36(8):819-25.
- Kamel K.I.; Elkomy A.E.; El-Sbeiy M.E. 2009. The Androgenic Action of Gibberellic Acid (GA) 3 on Reproductive Performance of New Zealand White Rabbit Bucks. *World J. Agricultural Sciences.* 5 (1): 40-48.
- Kelso K.A. A. Redpath R.C. Noble and B.K. Speake 1997. Lipid and antioxidant changes in spermatozoa and seminal plasma throughout the reproductive period of bulls. *J. Reprod. Fertil.* 109: 1-6.

- Khanna S. 2002. Dermal wound healing properties of redox-active grape seed proanthocyanidins. *Free Radic Biol Med.* 15;33(8):1089-96.
- Kim H. 2004. Chemoprevention by grape seed extract and genistein in carcinogen-induced mammary cancer in rats is diet dependent. *J.Nutr.* 134(12):3445S-3452S.
- Sugisawa A. 2004. Grape seed extract prevents H₂O₂-induced chromosomal damage in human lymphoblastoid cells. *Biol Pharm Bull.* 27(9):1459-61.
- Llopiz N. 2004. Antigenotoxic effect of grape seed procyanidin extract in Fao cells submitted to oxidative stress. *J. Agric Food Chem.* 10;52(5):1083-7.
- Martanez C; Vicente V; Yaez J; Alcaraz M; Castells MT; Canteras M; Benavente-Garca O; Castillo J. 2005. The effect of the flavonoid diosmin grape seed extract and red wine on the pulmonary metastatic B16F10 melanoma. *Histol Histopathol.* 20(4): 1121-9.
- Mohanasundari M.; Sabesan M.; Sethupathy S. 2005. Renoprotective effect of grape seeds extract in ethylene glycol induced nephrotoxic mice. *Indian J Exp Biol.* 43(4):356-9.
- Moreno DA. 2003. Inhibitory effects of grape seed extract on lipases. *Nutrition.* 19(10):876-9.
- Muthuraman P; Srikumar K. 2009. A comparative study on the effect of homobrassinolide and gibberellic acid on lipid peroxidation and antioxidant status in normal and diabetic rats. *J.Enzyme Inhibition & Medicinal Chemist.* 24(5): 1122-1127 .
- Olsen P. 1981. The Stimulating Effect of a Phytohormone Gibberellic Acid on Reproduction of *Mus musculus*. *Australian Wildlife Research* 8(2) 321 - 325 .
- Osama M.Aly and A.El-Sahn 2006.Effect of crossing on the performance of local strains. Seminal quality electrophoretic pattern of seminal plasma proteins fertility and hatchability in Bandara Gimmizah and their reciprocal crosses. *Egypt. Poultry Sci.* 26: 123-136.
- Pinent M.2004.Grapeseed-derived procyanidins have an antihyperglycemic effect in streptozotocin-induced diabetic rats and insulinomimetic activity in insulin-sensitive cell lines. *Endocrinology.* 145(11):4985-90.
- Riley J.M. 1987. Gibberellic acid for fruit set and seed germination. *CRFG Journal* 19: 10-12.

- Sano T. 2005. Anti-thrombotic effect of proanthocyanidin a purified ingredient of grape seed Thromb Res. 115 (1-2):115-21.
- Sehirli Ozer; Ozel Yahya; Dulundu Ender; Topaloglu Umit; Ercan Feriha; Sener Goksel. 2008. Grape seed extract treatment reduces hepatic ischemia-reperfusion injury in rats. Phytotherapy research: 22(1):43-8.
- Sharma G .2004. Synergistic anti-cancer effects of grape seed extract and conventional cytotoxic agent doxorubicin against human breast carcinoma cells. Breast Cancer Res Treat. 85(1):1-12.
- Singh RP. 2004. Grape seed extract inhibits advanced human prostate tumor growth and angiogenesis and upregulates insulin-like growth factor binding protein-3. Int J Cancer. 20;108(5):733-40.
- White I.G. P.Goh and J.K.Voglmayr 1987. Effect of male reproductive tract fluids and proteins on the metabolism and motility of ram spermatozoa. Arch.Androl. 19: 115-125.
- Yamakoshi J. 2002 a. Procyanidin-rich extract from grape seeds prevents cataract formation in hereditary cataractous (ICR/f) rats. J. Agric Food Chem. 14;50(17):4983-8.
- Yamakoshi J. 2002 b. Safety evaluation of proanthocyanidin-rich extract from grape seeds. Food Chem Toxicol. 40(5):599-607.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

تأثير الحبة السوداء على مستويات السكر والدهون عند مرضى داء ارتفاع السكر في الدم

الفريق البحثي:

- د. عبد الله عمر باموسى - باحث رئيس - أستاذ مشارك - قسم وظائف الأعضاء.
- د. فاطمة علي لبدّة - أستاذ - قسم وظائف الأعضاء.
- د. علي إبراهيم السلطان - أستاذ مشارك - قسم الباطنية.
- د. عبد المحسن حبيب العلق - أستاذ مساعد - قسم الباطنية.
- د. هدى عبد الله قعطبي - طالبة دكتوراه بقسم وظائف الأعضاء.

الملخص العربي

صممت هذه الدراسة لبحث تأثير الحبة السوداء على مستويات السكر والدهون في الدم لدى مرضى السكر، بالإضافة إلى تقييم تأثيرها على بعض المؤشرات الحيوية الديناميكية (ضغط الدم وسرعة نبضات القلب) وكذلك معامل كتلة الجسم.

وقد أجريت هذه الدراسة على ٩٤ من المرضى المصابين بالسكر من النوع الثاني وغير المتحكم بنسبة السكر عندهم بواسطة أدوية تخفيض السكر عن طريق الفم.

وقد تم تزويد المرضى بالحبة السوداء على هيئة كبسولات تحتوي كل منها على ٥٠٠ مجم من الحبة السوداء الكاملة وتم تقسيمهم إلى مجموعتين كالتالي:

- المجموعة -١: شملت ٣٠ مريضاً: تناول كل منهم ١ جم من الحبة السوداء يوميا ولمدة ١٢ أسبوعاً متوالية.
- المجموعة -٢: شملت ٣٢ مريضاً: تناول كل منهم ٢ جم من الحبة السوداء يوميا ولمدة ١٢ أسبوعاً متوالية.
- المجموعة -٣: شملت ٣٢ مريضاً: تناول كل منهم ٣ جم من الحبة السوداء يوميا ولمدة ١٢ أسبوعاً متوالية.

وقد تم إخضاع جميع المرضى لما يلي:

١. فحص طبي شامل (إكلينيكي)، ويشمل في الأساس قياس ضغط الدم والنبض، ومن ثم حساب معامل ضرب كل من ضغط الدم الانقباضي، وسرعة نبضات القلب، وشمل كذلك قياس الطول، ووزن الجسم، ومن ثم حساب معامل كتلة الجسم.

٢. تحاليل مخبرية أجريت على عينات دم أخذت من المرضى بعد صيام ١٠-١٢ ساعة ما عدا في حالة الجلوكوز، فقد تم قياسه أيضاً في عينة دم أخذت بعد الإفطار بساعتين.

وقد أجريت هذه التحاليل قبل البدء في العلاج مباشرة (كتحاليل أولية أساسية) ثم أجريت بعد ١، ٢، ٤، ٨، و ١٢ أسبوعا من العلاج بالحبة السوداء.

وقد شملت القياسات التالية :

- مستوى الجلوكوز في الدم (صائم وبعد الإفطار بساعتين).
- النسبة المئوية للهيموجلوبين المتحد بالجلوكوز.
- معدل الأنسولين في الدم أثناء الصيام. Fasting C-peptide
- مستويات الدهون في الدم و تشمل: الجلسريدات الثلاثية، الكوليسترول الكلي، وكوليسترول البروتينات الدهنية القليلة الكثافة، و كوليسترول البروتينات الدهنية العالية الكثافة.

٣. تم تزويد المرضى بأجهزة لقياس الجلوكوز في المنزل مرتين في الأسبوع، على أن يتم التحليل أثناء الصيام ، و كذلك بعد الإفطار بساعتين في كل مرة .

إضافة إلى ذلك تم حساب مؤشر مقاومة الأنسجة لعمل الأنسولين باستخدام صيغة Homa-IR كما أجريت للمرضى تحاليل روتينية أخرى شملت معدلات الهيموجلوبين ، والخلايا الدموية ، بالإضافة إلى مؤشرات التجلط (الصفائح الدموية، وزمن البروثرومبين، وزمن الثرومبلاستين الجزئي، ومستوى الفيبرينوجين)، وكذلك اختبارات بعض وظائف الكبد و الكلى، وذلك تحسبا لأي أعراض جانبية محتملة نتيجة استخدام الحبة السوداء.

وقد أظهرت نتائج الدراسة ، أنه في المجموعة الأولى من المرضى والتي تناولت ١ جم من الحبة السوداء يوميا، لم يكن مستوى انخفاض الجلوكوز أو الهيموجلوبين المتحد بالجلوكوز ذا دلالة إحصائية ، على الرغم من أن نتائج قراءات الجلوكوز باستخدام أجهزة القياس المنزليه كانت ذات دلالة احصائية ابتداءً من الأسبوع الثالث بعد العلاج لكل من مستوى الجلوكوز في حالتي الصيام وبعد الإفطار بساعتين، كما لم يكن هناك تغير يذكر في مستوى الانسولين أو مؤشر مقاومة الأنسجة للأنسولين.

كما أظهرت النتائج في المجموعة الثانية من المرضى؛ والتي تناولت ٢ جم من الحبة السوداء يوميا، انخفاضا واضحا، وذا دلالة إحصائية في مستويات الجلوكوز في الدم أثناء الصيام بمعدل ٨، ٢٥٪، ٢، ٢٨٪، ٥، ٢٠٪، ٦، ١٠٪، وذلك بعد ٢، ٤، ٨، ١٢ أسبوعا من بدء العلاج على التوالي، كما انخفضت نسبة الجلوكوز في الدم بعد الإفطار بساعتين بنسبة ٢٦،٤٪، ١، ٢٠٪، بعد ٤ و ٨ أسابيع من العلاج على التوالي. بالإضافة إلى انخفاض كل من نسبة الهيموجلوبين المتحد بالجلوكوز بنسبة ١٦،٧٪ و معدل المقاومة للأنسولين بنسبة ٣٤ و ٨٥٪. بنهاية الأسبوع ١٢ من العلاج، كما ترافق ذلك الانخفاض مع انخفاض نسبة الأنسولين في الدم Fasting C-peptide بمعدل ١١،٩٪.

أما في المجموعة الثالثة من المرضى فقد انخفض مستوى السكر في الدم اثناء الصيام، وإن لم يصبح ذو دلالة إحصائية إلا بعد الأسبوع الثامن من العلاج (١٦٦٪) بالإضافة إلى انخفاض غير ذي دلالة إحصائية في مستوى السكر بعد الإفطار بساعتين. كما كان تأثير الحبة السوداء واضحا على درجة تركيز الهيموجلوبين المتحد بالجلوكوز حيث انخفض بنسبة (٨، ١٩٪) هذا بالإضافة إلى انخفاض طفيف، وغير ذي مغزى في Fasting C-peptide ومعدل مقاومة الأنسولين.

كما أظهرت النتائج أن تناول ١ جم يوميا من الحبة السوداء لم يحدث تغييرا ذا قيمة إحصائية في مستوى الدهون بينما تناولها بجرعة ٢ جم يوميا أحدث انخفاضا ذا مغزى إحصائي في مستويات الدهون، حيث انخفضت الجلوسريدات الثلاثية بنسبة ٣٣،١٪، ٢٠٪، ١٧،٤٪، ٢، ٢٢٪، وكذلك الكوليسترول الكلي بنسبة ١٤،٦٪، ٣، ١١٪، ٢، ١٥٪، ١، ١١٪ وذلك بعد ٢، ٤، ٨ و ١٢ أسبوعا من العلاج على التوالي، هذا بالإضافة إلى انخفاض ذي مغزى إحصائي في مستوى كوليسترول البروتينات الدهنية القليلة الكثافة بنسبة ١٥،٨٪ و ١٦،٨٪ بعد ٨ و ١٢ أسبوعا من العلاج، وعلى الرغم من أن الزيادة في مستوى كوليسترول البروتينات الدهنية العالية الكثافة كانت غير ملحوظة إحصائيا، فإن الزيادة في نسبته إلى كل من الكوليسترول الكلي و كوليسترول البروتينات الدهنية القليلة الكثافة كانت ذات دلالة إحصائية.

أما تناول ٣ جم يوميا من الحبة السوداء فقد أدى إلى خفض مستوى الجلوسيدات الثلاثية، غير أنه لم يكن ذا دلالة، وقد انخفض كذلك مستوى الكوليسترول الكلي وأصبح ذا دلالة إحصائية بعد الأسبوع الأول والرابع والثاني عشر من العلاج بنسبة ١٥,٧٪ و ١٥,٧٪. أما على التوالي. أما مستوى كوليسترول البروتينات الدهنية القليلة الكثافة فقد أظهر انخفاضا بلغ مستوى ذا مغزى إحصائي بعد الأسبوع الأول فقط من العلاج (٨,١٪). كما ارتفع مستوى كوليسترول البروتينات الدهنية العالية الكثافة في مراحل العلاج المختلفة وإن لم يبلغ مستوى الدلالة الإحصائية. كما ارتفعت نسبته إلى كل من الكوليسترول الكلي وكوليسترول البروتينات الدهنية القليلة الكثافة وإن كانت ذات دلالة إحصائية بعد الأسبوع الأول من العلاج فقط (١٤,٧٪) بالنسبة إلى البروتينات الدهنية القليلة الكثافة.

كما تبين من نتائج دراسته أن الجرعة ١ جم يوميا من الحبة السوداء، لم تكن ذات تأثير واضح على مؤشرات ضغط الدم، أو سرعة نبضات القلب، وكذلك على معامل كتلة الجسم، ولكن بالنسبة للجرعة ٢ جم يوميا فقد كان لها تأثيرا واضحا وذا دلالة إحصائية في تخفيض كل من ضغط الدم الانقباضي و الانبساطي و متوسط الضغط الشرياني، وكذلك متوسط سرعة نبضات القلب، وبالتالي كان هناك انخفاضا في حاصل ضرب ضغط الدم الانقباضي ، و سرعة نبضات القلب، مما يشير إلى انخفاض نسبة استهلاك القلب للأوكسجين. كما كان هناك ارتفاعا طفيفا و غير ذي دلالة إحصائية في معامل كتلة الجسم. أما في المجموعة الثالثة فإن الانخفاض في مستوى ضغط الدم الانقباضي بلغ مستوى الدلالة الإحصائية بعد الأسبوع الثاني عشر (٥,٣٪) وفي مستوى ضغط الدم الانبساطي بعد الأسبوع الأول (٨,٢٪)، وفي متوسط الضغط الشرياني بعد الأسبوع الأول (٤,٥٪) والأسبوع الثاني عشر (٤٪) على التوالي. ومن المثير للاهتمام أن متوسط سرعة نبضات القلب قد ازداد في هذه المجموعة بخلاف المجموعات الأخرى إلا أن هذا الارتفاع كان ذا دلالة إحصائية بعد الأسبوع الرابع والثامن من العلاج فقط. بالإضافة إلى ذلك لم يكن هناك تغيير يذكر في معدل كتلة الجسم في هذه المجموعة.

كما لوحظ من خلال التحاليل الروتينية الأخرى عدم وجود تغييرات ذات دلالة إحصائية في أي منها، فيما عدا انخفاض الفيبرينوجين بعد الأسبوع الثاني من العلاج في المجموعة الأولى، وارتفاعه بعد كل من الأسبوع الثامن و الثاني عشر في المجموعة الثانية وارتفاعه في المجموعة الثالثة بعد الأسبوع الأول والثاني عشر من العلاج وكذلك انخفاض مستوى الهيموجلوبين بعد الأسبوع الثاني عشر في المجموعة الأولى، وكذلك بعد كل من الأسبوع الثامن، والثاني عشر في المجموعة الثانية، وبعد الأسبوع الرابع والثاني عشر في المجموعة الثالثة غير أن هذه التغييرات ظلت ضمن مستويات الحدود الطبيعية للأشخاص البالغين.

وبمقارنة المجموعات الثلاث وجد ارتفاعا في مستوى الفيبرينوجين ذات مغزى إحصائي في المجموعة الثانية بعد الأسبوع الرابع مقارنة بالمجموعة الأولى وكذلك انخفاضا في مستوى الهيموجلوبين في المجموعة الثالثة بعد كل من الأسبوع الأول و الرابع مقارنة بالمجموعة الأولى.

وبتحليل النتائج السابقة يمكن استنتاج أن تناول مرضى السكري ل ٢ جم من الحبة السوداء يوميا، يخفض نسبة الجلوكوز في الدم، بنسبة معتبرة إحصائيا، وهذا الانخفاض يعزى و لو جزئيا إلى النقص الملحوظ في مؤشر مقاومة الأنسجة لعمل الأنسولين، كما أن تناول الحبة السوداء يحدث تحسنا في مستوى دهون الدم بما يؤدي إلى تقليل الإصابة بتصلب الشرايين، وكذلك يؤدي إلى تخفيض ضغط الدم الشرياني المرتفع في المرضى المصابين بالسكر من النوع الثاني .

SUMMARY

The present study was aimed at investigating the effect of *N. sativa* on glucose homeostasis parameters and lipid profile and as well hemodynamics and BMI in type 2 diabetic patients.

This study was conducted on 94 uncontrolled type 2 diabetic patients treated with oral hypoglycemic agents. *N. sativa* was supplied as capsules of whole ground seeds.

The patients were divided into three groups:

- Group 1:(n = 30). Patients received *N. sativa* in a dose of 1g/ day for 12 weeks.
- Group 2:(n = 32). Patients received *N. sativa* in a dose of 2g/day for 12 weeks.
- Group 3:(n= 32). Patients received *N. sativa* in a dose of 3g/day for 12 weeks.

All patients were subjected to the following:

Clinical examination specially monitoring of arterial blood pressure and heart rate and calculation of PRP and BMI.

Laboratory investigations were taken before (baseline values) and 1 2 4 8 and 12 weeks after initiation of treatment. The laboratory investigations included:

FBG PPBG HbA1c and fasting C-peptide.

Lipid profile (triglycerides T- cholesterol LDL-c and HDL-c).

Measuring blood glucose at home: FBG and PPBG were also tested by the patients at home twice a week using self monitoring glucometers.

- Insulin resistance index was calculated using HOMA-IR

N.B.All patients were also routinely investigated for CBC Platelet count PT PTT fibrinogen LFT and RFT to detect any possible side effects of the seeds.

The present results showed that diabetic patients receiving 1g/day N. sativa revealed nonsignificant reduction in FBG PPBG and HbA1c; however the glucometer readings for FBG and PPBG displayed a significant reduction started after 3 weeks of treatment. In addition there were nonsignificant changes in fasting C-peptide and insulin resistance.

On the other hand in group 2 patients the results clearly showed that 2g/day N. sativa possesses a hypoglycemic potential revealed evidently by the significant reduction in FBG by 10.6% 20.5% 28.2% and 25.8% after 2 4 8 and 12 weeks and in PPBG by 26.4% and 20.1% after 4 and 8 weeks respectively. In addition HbA1c and insulin resistance index were declined significantly by 16.7% and 34.85% respectively by the end of 12 weeks associated with a marginally significant decline in fasting C-peptide by 11.9% at the 12 week reading.

In group 3 patients FBG was a significantly reduced only after 8 weeks of treatment (16.6%) while in PPBG was non significantly reduced. Yet the effect of 3g/day N. sativa was clear on HbA1c where it reduced significantly by 19.8% in addition to mild and non significant reduction in fasting C-peptide and BMI.

Regarding lipid profile 1g/day N. sativa had no significant changes in it while 2g/day N. sativa had effective hypolipidemic and anti-atherogenic effects manifested by the significant reduction in triglycerides by 33.1% 20% 17.4% and 22.2% and in T-cholesterol by 14.6% 11.3% 15.2% and 11.1% after 2 4 8 and 12 weeks of treatment respectively in addition to the significant decline in LDL-c by 15.8% and 16.8% after 8 and 12 weeks respectively. On the other hand HDL-c was non significantly raised while ratios of HDL-c to LDL-c and to T-cholesterol were significantly elevated.

In group 3 patients (3g/day) N. sativa induced non significant reduction in triglycerides and total cholesterol levels that become statistically significant after 1 4 and 12 weeks of treatment in case of cholesterol (15.7% 15.7% and 10.7% respectively). Further LDL-c level declined significantly only after 1 week of treatment where it reduced by 8.1% while HDL-c levels although raised but remain below the statistically significant level.

The ratios between HDL-c to T.cholesterol and to LDL-c were both raised but only HDL-c/LDL-c reached a significant level after 1 week.

Moreover 1g/day N. sativa produced nonsignificant reduction in hemodynamics and BMI while 2g / day N.sativa demonstrated a significant decline in SBP DBP and MAP as well as a reduction in HR started after 4 weeks of treatment and in consequence a reduction of PRP in addition to non significant rise in BMI. In group 3 patients there were significant reduction in SBP after 12 week and in DBP after 1 week and in MAP after 1 and 12 weeks of treatment. In contrary to the other groups the heart rate was increased significantly after 4 and 8 weeks of treatment. No changes were noted in BMI in this group.

The routinely investigated parameters including CBC Platelet count PT PTT fibrinogen LFT and RFT were nonsignificantly changed except for fibrinogen level which was significantly reduced only at 2 week reading in group 1 and significantly increased at 8 and 12 week readings in group 2 and after 1 and 12 weeks in group 3.

Also Hb was significantly lowered only at the 12 week reading in group 1 and at the 8 and 12 week readings in group 2 and after 4 and 12 weeks in group 3. However Hb levels are still within the normal range for adults.



MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH



بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

٢٠١١-١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م



محور الطب وعلوم الحياة
الجزء الثاني

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH



الطب وعلوم الحياة
الجزء الثاني



رابطة العالم الإسلامي MUSLIM WORLD LEAGUE
الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

بحوث
المؤتمر العالمي العاشر
للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

محور الطب وعلوم الحياة
الجزء الثاني

دار جياذ للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

٧	مقدمة
١٣	الأسس العلمية لاختبار البصمة الوراثية في القرآن والسنة
٧٣	المسح على رأس اليتيم
٩٩	إعجاز الحبة السوداء في القضاء على البكتيريا المسببة للداء
١٢٥	العلاج النبوي بتمر العجوة في حالات التسمم والتليف الرئوي بالجازولين
١٤٧	إعجاز القرآن في إنجاب الذرية
١٦١	دراسة فعالية الحبة السوداء في علاج الملاريا مقارنة بعلاج الكلوروكوين
١٦٩	خريطة المخ بينة علمية
١٨١	الإعجاز العلمي في زيت الزيتون
١٨٧	التضاد الميكروبي والتأثير العلاجي لمستخلص نبات اليقطين

مقدمة

كلمة فضيلة الدكتور / عبد الله بن عبد العزيز المصلح
الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأخواتي :

جمهور الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .. في العالم أجمع ..

أحييكم بتحية الإسلام؛ فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فقد تداعى أهل الاهتمام بشأن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في عالمنا من المشارق
والمغرب والتقوا في حمى الكعبة وتحت ظلال الحرم المكي الشريف وضمنتهم أروقة رابطة العالم
الإسلامي لتنبثق من هذا اللقاء الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

إنها العلم؛ وهل يردُّ العلم إلا من سفه نفسه.

إنها اليقين؛ وهل يصد عن اليقين إلا من رضي الجهل له قريناً.

إنها النظر المتأمل في الآيتين المتألفتين الثابتتين :

الآية المنظورة والآية المسطورة.

آية في الكون والإنسان والحياة؛ في دقتها المذهلة وانتظامها في هذا الملكوت الرحب ..
المسبح بحمد ربه، وآية في هذا الكتاب.

والسنة حدثنا عن هذه الحقائق في توافق تام، وانسجام بديع مع كونه قد تنزل في زمن لم
يكن في مقدور البشر ولا في علمهم معرفة به ولا إحاطة بتلك الحقائق.

إنها الحجة البالغة الدالة على أن من خلق الأكوان هو من أنزل القرآن.

إن رسالة هذه الهيئة أن تبين هذه الحقيقة الناصعة، وأن تكون قنطرة للتواصل العلمي
نحقق من خلالها خدمة الإنسانية في البحث عما ينفع الناس ويمكث في الأرض، ولثبت
للعالم أن ديننا دين علم ومعرفة يبحث عن الحق ويدعو إلى الإبداع والتقدم، والأخذ بأسباب
الرقى المادي وصناعة الحضارة من أجل حياة إنسانية كريمة يسودها العدل ويصير العلم
فيها خادماً للناس معيناً لهم - لا معول هدم وسبب دمار- وبذلك يصبح الناس جميعاً في
أمن وأمان ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩).

أما أنتم معاصر العلماء والباحثين..

يا من تحرصون على التواصل مع الهيئة التي هي بكم ولكم ومنكم وإيكم؛ لكم مني
ومن إخوتي العلماء والباحثين والإداريين في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
الشكر والعرفان بالفضل، ولم لا يكون ذلك كذلك وأنتم شهود الله على ربوبيته وألوهيته
وأسمائه وصفاته وعظيم نعمائه ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨).

إن هذه الهيئة - التي هي جامعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - تجمع من العلماء
صفوتهم ومن الباحثين أعلاهم رتبة في بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وعندها
وفي رحابها تلتقي الكفاءات العلمية العاملة بهذا الشأن المهم من شؤون قرآننا وسنة نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم لتدعو كل قادر على السير في هذا المنهج السوي والمنهل الروي إعلاءً للحق، وإظهاراً للحقيقة، واكتشافاً لما أودع الله في الكون والحياة والأحياء مما ينفع الناس، ويكشف نعماء الله علينا التي استودعها في ملكوته الرحيب (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٩).

لقد ألزمت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة نفسها بمقتضى المنهج العلمي وضوابط البحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ما يمكن أن نجمله في الآتي:

١. تجاوز الفرضية والنظرية، وتخطي هذه المرحلة إلى مرحلة الحقيقة العلمية؛ التي لا تقبل النقض ولا التغيير.
 ٢. وجود الدلالة الظاهرة على تلك الحقيقة في كتاب الله، أو ما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
 ٣. الربط بين هذه الحقيقة ودلالة النص بأسلوب ميسر وسهل.
 ٤. أن تكون تلك الدلالة وفق مفهوم العرب الذين نزل القرآن بلغتهم.
 ٥. أن لا نبحت في الأمور الغيبية؛ التي اختص الله نفسه بعلمها، والتي آمنها وصدقنا بمقتضاها.
 ٦. أن يكون تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة الصحيحة ثم بالآثار التي صحت عن سلف هذه الأمة ثم بدلالة اللغة العربية التي تنزل بها القرآن الكريم.
- ونود أن نبين هنا أن الشبهات التي أثيرت حول التفسير العلمي - وكذلك ما سبق من التردد بشأن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - إنما هي عند التحقيق منصبّة في مجملها على البحوث غير المنضبطة بضوابط البحث في الإعجاز المذكورة آنفاً؛ حيث وقع أصحابها

في التسرع أو الغفلة عن بعض الضوابط المقررة؛ علماً بأن مثل تلك البحوث لا تمثل إلا حالات قليلة ومرفوضة، لذلك فإن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة عندما تنظر في بحث من البحوث تضعه في مكانه على حسب قربه من تحقيق ما يشترط في البحوث أو بُعدُه عن تلك الشروط والقواعد..

إن معاناة البحث في هذا المجال، وما نلاقه من صعوبات ومتاعب وعوائق -لنشر تلك القضايا- يذهب أثرها وينقشع غبارها عندما نرى عياناً آثار وثمار بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وجدير بنا أن نذكر بعضاً منها تحفيزاً لهمم الباحثين كي يسلكوا هذا الطريق وينصروا دين الله من خلاله؛ ومن أهمها:

١. الأثر البالغ الذي تتركه في قلوب المسلمين، والذي يترجم بزيادة اليقين عندهم لدى معرفتهم بهذه الحقائق الباهرة؛ لأنها وردت في القرآن الكريم وعلى لسان النبي الأمي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وهكذا فإنها خير محرض للتمسك بالقرآن والسنة والاهتداء بهما.

٢. الرد العلمي الدامغ على الأفكار التشكيكية بصحة الرسالة المحمدية؛ حيث إن عرض تلك الحقائق التي جاءت في القرآن الكريم أو أخبر عنها النبي الأمي في زمن لا يوجد فيه تقدم علمي كما أنه لا توجد في المجتمع وكذا البيئة التي عاش فيها أية إثارة من علم في تلك الميادين الكونية؛ ولذلك فهذا الإعجاز العلمي يعتبر مجالاً خصباً لإقناع المنصفين من العلماء بربانية القرآن الكريم وصدق رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

٣. الإثبات العملي المقترن بالبرهان الساطع لحقيقة أن الدين الإسلامي هودين العلم حقاً؛ فمع إشادة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم - والترغيب في تحصيله والتنويه بفضل العلماء - فقد ذكر كثيراً من الحقائق العلمية وأشار إلى كثير من الأسرار الكونية مما هو موضوع العديد من التخصصات في آفاق الكون، ولم يستطع أحد إلى الآن أن

يثبت وجود تعارض في أي دلالة كونية واردة في القرآن الكريم أو حديث شريف صحيح، مع ما استقر من الحقائق العلمية اليوم، وأنى له ذلك.

٤. الإعجاز العلمي يعتبر خير محرض لهمم المسلمين كي يتابعوا مسيرة البحث والتجريب والمقارنة، وغير ذلك من وسائل الكشوف العلمية والتقدم المعرفي، وفي الوقت نفسه فإن ذلك يفضي إلى توسيع دائرة شواهد الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٥. هذا الإعجاز العلمي يعتبر قناة آمنة ترفد بقية قنوات الدعوة إلى الله، في هذا العصر الذي هو عصر العلم؛ والذي يتتبع أسباب دخول كثير من الناس في الإسلام - ممن كانوا نصارى أو بوذيين أو يهود - يجد بحق أن فريقاً منهم قد ابتدأ سيره في الطريق إلى الحق من خلال معاينة لطائف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٦. ولا شك أن ظاهرة الرجوع إلى دين الإسلام - من قبل الذين كانوا قدماً من الشاردين الغافلين - وأيضاً إسلام غير المسلمين؛ كل ذلك أثمر مع ازدياد يقين المسلمين بدينهم، رجوعاً لحالة العزة في نفوس أبناء الأمة الإسلامية بعد الكبوّة التي حصلت لهم عقب سقوط الخلافة الإسلامية، وهيمنة الدوائر الاستعمارية عليهم.

٧. وهذا كله يذكرنا بالحقيقة التي لا تتخلف أبداً؛ والتي أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال لا يضرهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتي أمر الله).

إننا في هذه الهيئة العالمية نعلنها دعوة عالمية عالية جادة للعلماء والباحثين والمهتمين بمجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة أن يشاركونا بعلمهم وبرأيهم وبنصحتهم؛ فنحن وإياهم شركاء في هذا الطريق، ولإخواننا الذين يسكنون ديار الغربية - خارج العالم الإسلامي -

دعوة خاصة أن يكونوا دعاة لله في تلك الديار؛ باستخدام هذه الوسيلة الدعوية المؤثرة، مستفيدين مما نعرضه من أبحاث محققة مدققة، آملين أن نصل مع الجميع إلى أن تكون الهيئة العالمية درة العاملين في هذا المجال وجوهره ...

هذه دعوة لأن نجعل من الهيئة العالمية للإعجاز العلمي التي تأسست في موطن تنزل الوحي مكاناً رحباً يجمعنا بكم على مائدة كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ..

فيا معشر الإخوة والأخوات كونوا أنصار الله في هذه المسؤولية ..

والله ولي التوفيق،،،



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الأسس العلمية لاختبار البصمة الوراثية في القرآن والسنة

طبيب / محمود عبد الله إبراهيم نجا

مدرس بقسم الفارماكولوجيا الاكلينيكية

كلية طب - جامعة المنصورة - مصر



المقدمة

مع تقدم العلم الحديث، وظهور البصمات بكافة أشكالها؛ بدأ العالم الغربي يتعد عن شهادة اللسان ويتجه إلى شهادة أجزاء الجسد على صاحبها. ومع ظهور البصمة الوراثية رأى فيها الكثيرون الأمل المنشود للتعرف على الجناة في الكثير من الجرائم، ولحل قضايا النسب. وقد رأينا العالم الغربي يسارع في الأخذ بها كدليل نفي أو إثبات؛ بعد أن ثبت أن الحمض النووي لا يمكن أن يتشابه في شخصين على الإطلاق. ولكبر حجم البحث فسوف أكتفي في هذا البحث بالتركيز على دور البصمة الوراثية في قضايا النسب، مع تأجيل الكلام عن دور البصمة الوراثية في علم الجريمة لبحث خاص بإذن الله تعالى.

وإثبات النسب أونفيه من القضايا التي اهتم الإسلام بها، وحدد لها ضوابط شرعية؛ لمنع اختلاط الأنساب وشيوع الفاحشة بين الناس، وأتاهم النساء باطلا بالزنا. ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الولد للفراش وللعاهر الحجر) رواه البخاري. ومن اتهم امرأته بالزنا وأنكر نسب أبنائها إليه فعليها بالشهداء؛ فمن لم يجد فعليها بالملاعنة، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} ٦ النور. والملاعنة قد تنفي التهمة عن صاحبها في الدنيا، ولكنه قد يكذب وحسابه على الله في الآخرة.

وقد نشأ في العالم الإسلامي بعد ظهور البصمة الوراثية جدل واسع حول الأخذ بها أوردتها، فوجدنا أنفسنا أمام اتجاهين أساسيين لبناء الحكم الشرعي في إثبات النسب أونفيه: الاتجاه الأول ويتمثل في الاستدلال بالعلم التجريبي (القيافة أو الحمض النووي) من أجل الحفاظ على الأنساب، وحفظ حقوق الصغار في حياة كريمة؛ إعمالاً لقول الله تعالى: (ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله) ٥ الأحزاب.

الاتجاه الثاني يتمثل في الحفاظ على قيمة التعاقد بين الزوجين (الفراش - الزواج) عملاً

بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الولد للفراش وللعاهر الحجر) البخاري وأنه لا يجوز تقديم البصمة عن اللعان في نفي ولد الفراش.

وحتى لحظتنا هذه مازال العالم الإسلامي في خلاف حاد حول إمكانية استخدام البصمة الوراثية. وبعد عدة مؤتمرات كان آخرها على ما أعلم ذلك الذي ناقش فيه هذه القضية أعضاء المجمع الفقهي في دورته السادسة عشرة التي انعقدت في مقر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في الفترة من ٢١ - ٢٦ شوال ١٤٢٢هـ، وقالوا بأن نتائج البصمة الوراثية تكاد تكون قطعية في إثبات نسب الأولاد إلى الوالدين، أو نفيهم عنها. وأن الخطأ في البصمة الوراثية ليس وارداً من حيث هي؛ وإنما الخطأ في الجهد البشري أو عوامل التلوث.

والذين رفضوا نتائج البصمة الوراثية، أو وقفوا موقف المتخوف من نتائجها معذورون لأنهم يعتمدون على أقوال أهل العلم المادي عن البصمة الوراثية، مع القياس على القيافة، ولكن بدون أدلة شرعية صريحة عن البصمة الوراثية من القرآن أو السنة. ولذا فإن عملي في هذا البحث سوف ينحصر في تقديم الأدلة الكافية على ذكر الأسس العلمية للبصمة الوراثية في القرآن والسنة؛ لكي تكون هادياً لعلمائنا الأجلاء من أهل التخصص في الشريعة الإسلامية لكي يستفيدوا بها في الحكم الصحيح على مشروعية استخدام البصمة الوراثية في إثبات النسب أو نفيه، مع ضرورة التنبيه الشديد على أخذ كافة الاحتياطات اللازمة لمنع الخطأ أو التلاعب بنتائج البصمة الوراثية.

النص المعجز

١. من أحاديث الفرائش: (الولد لصاحب الفرائش) رواه البخاري.
٢. من أحاديث القيافة: حديث الملاعنة في قضية هلال بن أمية (أبصر وها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء). فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن) رواه البخاري. وحديث الرجل الذي اشتكى أن لون ابنه غير لونه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (فلعل ابنك هذا نزرعه عرق) البخاري.
٣. الآيات والأحاديث التي تتناول التصوير: (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) ٦ آل عمران (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) ١١ الأعراف (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ) ٦٤ غافر (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) ٢٤ الحشر (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) ٢، ٣ التغابن (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) ٧، ٨ الانفطار.
٤. من أحاديث التصوير: (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر أم أنثى فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك) مسلم. (اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره. تبارك الله أحسن الخالقين) مسلم.

الحقيقة العلمية

إذا كان الجماع الأول بين الرجل والمرأة في الفراش ينتهي بانتهااء الشهوة؛ فان كل جماع أدى إلى الولد لا يمكن أن ينفض أبداً، أو أن يُجهل أطرافه، وذلك لأن هناك جماعاً ثانياً لا يمكن أن ينفض أبداً يتم بين ماء الرجل وماء المرأة، ويؤدي إلى تكوين النطفة الأمشاج التي منها يكون الولد بكل صفاته الشكلية المميزة له والتي تأتي من الحمض النووي بداخل النطفة الأمشاج مع العلم بأن كل صفة شكلية في الجنين يقابلها صفة جينية على الحمض النووي.

ومن المعلوم أيضاً أن نواة كافة خلايا الإنسان تحتوي ٤٦ على كروموسوم إلا الأمشاج فإنها تحوي نصف هذا العدد، حيث تختزل عدد الكروموسومات في الخلايا الجنسية الي النصف من خلال الانقسام الميوزي مع حدوث تحسين وراثي للكروموسومات بسبب عملية التصالب. وبعد التلقيح بين الذكر والأنثى تلتقي الأمشاج التي تحمل نصف صورة لتتكون النطفة الأمشاج التي تحمل الشفرة الوراثية الكاملة أو الصورة الكاملة للذرية، مع ملاحظة أن الحمض النووي للذرية الناتجة يمكن تسميته بالصورة المركبة لأنه يتركب من نصفين أحدهما من الأب والآخر من الأم. والحمض النووي في كل خلية من خلايا الجنين يكون مماثلاً للحمض النووي في النطفة الأمشاج لذا فان أي خلية تُأخذ من الولد فإننا نرى فيها الجماع الثاني الذي حدث في النطفة الأمشاج، والذي يدل على النسب الحقيقي للولد بنسبة أكيدة تصل إلى ١٠٠٪ عند استعمال البصمة الوراثية، حيث يمكن فصل كروموسومات الأب عن كروموسومات الأم، ثم مقارنة كروموسومات الأب الآتية من الابن مع كروموسومات الأب المشتبه فيه فيما يعرف باختبار البصمة (Paternity test). وقد استغل العلم هذه الحقائق عند وجود خلاف حول النسب الصحيح للولد فإذا نظرنا إلى الصفات الشكلية فتلك هي القيافة، وإذا نظرنا إلى الحمض النووي فتلك هي البصمة الوراثية فالقيافة والبصمة الوراثية عبارة عن وجهين لعملة واحدة؛ إذ أن لكل صفة شكلية تخلق في الجنين صفة جينية مماثلة لها على الحمض النووي للنطفة الأمشاج.

الطرق الشرعية لإثبات النسب أو نفيه :

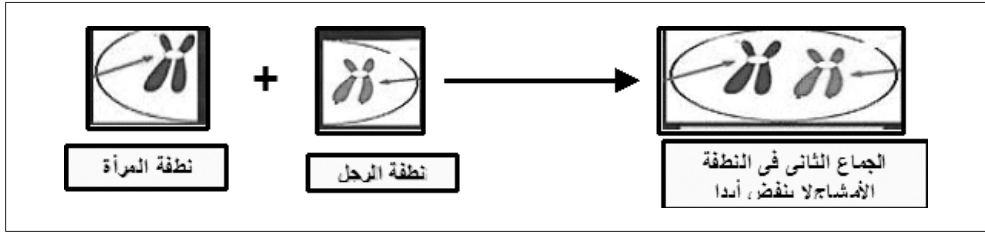
١. الفراش: انظر المباحث القادمة للتعرف على علاقة الفراش بالقيافة وبالبصمة الوراثية.
٢. الاستلحاق: وذلك بأن يقر المستلحق بأن هذا الولد له، أو أن هذا أخوه، أو أبوه وغير ذلك .
٣. البينة: يثبت النسب لمدعيه بناء على شهادة العدول بصحة ما ادعاه، ويكفي في ذلك الشهادة بالسماع بأن يشتهر الأمر بين الناس حتى يصير معروفاً بينهم ويقول جمع كبير من الناس سمعنا أن فلانا ابن فلان.
٤. القيافة: انظر المباحث القادمة للتعرف على علاقة القيافة بالفراش، وبالبصمة الوراثية.
٥. القرعة: وذلك عند التنازع على طفل ولا بينة لأحدهم، وهذه أضعف الطرق، ولم يأخذ بها جمهور العلماء.

الهدف من البحث :

١. تعريف الفراش من الناحية العلمية وتوضيح علاقته بالقيافة وبالبصمة الوراثية
٢. تعريف القيافة من الناحية العلمية وتوضيح علاقتها بالفراش وبالبصمة الوراثية
٣. إثبات حديث القرآن والسنة عن الحمض النووي
٤. توضيح الأسس العلمية التي يقوم عليها اختبار البصمة الوراثية في القرآن والسنة.
٥. تقديم مثال واضح من القرآن على كيفية إثبات نسب الذرية البشرية إلى آدم في قوله تعالى: (يا بني آدم).
٦. لماذا البصمة الوراثية قبل القيافة؟

وجه الإعجاز :

أولاً: تعريف الفراش من الناحية العلمية وتوضيح علاقته بالبصمة الوراثية
 دليل الفراش مُجمع عليه بين الفقهاء لقول النبي صلى الله عليه وسلم (الولد للفراش) البخاري.
 ومن الناحية العلمية الفراش يفترض أن يكون بمعنى النكاح بين رجل وامرأة تلاقى
 أمشاجهما أثناء هذا النكاح فنشأ بينهما الولد. وإذا كان الجماع الأول بين الرجل والمرأة في
 الفراش ينتهي بانتهاء الشهوة؛ فان كل جماع أدى إلى الولد لا يمكن أن ينفض أبداً، وأن
 يُجهل أطرافه، وذلك لأن هناك جماعاً ثانياً لا يمكن أن ينفض أبداً يتم بين أمشاجهما (ماء
 الرجل وماء المرأة) ويؤدي إلى تكوين النطفة الأمشاج التي منها الولد (صورة ١).



(صورة ١ : الجماع الثاني بين الأمشاج دليل على الجماع الأول بين الرجل والمرأة)

فالجماع الثاني بين الأمشاج يبقى شاهداً للأبد على الجماع الأول بين الرجل والمرأة في
 الفراش؛ ولذا ينبغي أن يُستدل به عند الخلاف على نسب الولد الصحيح، وهذا الاستدلال
 له طريقتان: الأولى قديمة استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، وأقرها جمهور
 أهل العلم وهي القيافة. أما الثانية فهي حديثة وتسمى بقيافة العصر، أو البصمة الوراثية.
 وهي كما سوف نرى بإذن الله أقوى من القيافة لأنها تأتي بالمشاهدة الحقيقية للصفات الوراثية
 الآتية من كلا الأبوين، فكأنها رؤية عينية لاجتماع رجل وامرأة في نطفة أمشاج أثمرت عن
 ولد دونها كشف للعورات، أو مشاهدة لعملية الجماع بين الزوجين.

وهذا التفسير العلمي يجعلنا ننسب الولد إلى أبيه الصحيح الذي أتت منه النطفة؛ لأنه من الثابت علمياً أن بويضة المرأة الواحدة لا تُلقح إلا بحيوان منوي واحد، فتنشأ النطفة الأمشاج، التي نصف مادتها الوراثية من الأب والنصف الآخر من الأم. وقد يُظن أن هذا التفسير العلمي يخالف الشرع. فأقول وبالله التوفيق: إن هذا التفسير العلمي قبل أن نعلمه من العلوم الطبية الحديثة علمناه من شرعنا الحنيف بالأدلة الآتية:

الأول: يقول شرعنا الحنيف أن النطفة الواحدة للمرأة لا تُلقح إلا بنطفة رجل واحد مهما جامعها عدد كبير من الرجال؛ بدليل قول الله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) ولذا قال صاحب كتاب بداية المجتهد (ولا يلحق واحد باثنين وبه قال الشافعي. وعند مالك أنه ليس يكون ابناً للاثنين).

الثاني: يقول شرعنا الحنيف أن الولد ينسب للفراش؛ واختلف العلماء في تعريف الفراش على قولين: أصحهما أن النسب في الإسلام يثبت لصاحب الماء (النطفة) وهذان القولان هما:

القول الأول في تعريف الفراش:

الفراش بمعنى الزواج القائم؛ فيلحق بالزوج جميع ما تلد الزوجة - وإن أتت به من الزنا - ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم ومنهم الحنفية. والذي حمل الفقهاء على إثبات الفراش الحقيقي (الجماع) بقيام حالة الزوجية هو طبيعة العلاقة الخاصة بين الزوجين القائمة على السرية والحياء، ولأنه لا يمكن الاطلاع على تلك العلاقة الخاصة؛ فإنه من الطبيعي أن نتقل إلى ما يدل عليها، وهو قيام الحالة الزوجية التي تميز شرعاً وعقلاً اتصال الزوجين كسبب لحصول الولد، فاعتبر الفقهاء مظنة الفراش دليلاً على الفراش (الجماع) والنسب.

والحقيقة أنهم بذلك قد ينسبون الولد لغير أبيه في بعض الأحوال التي يستحيل فيها علمياً أن يكون الولد من هذا الأب كالسفر الطويل، أو الإصابة بالعقم، أو أن تلد الزوجة لأقل من ستة أشهر، بعد أول نكاح بين الزوجين.

والأخذ بمظنة الفراش مع عدم قيام الدليل على الجماع في مثل هذه الأمور قد يؤدي إلى ظلم بين للزوج؛ بأن ينسب إليه من ليس من صلبه، ولذا قال صلى الله عليه وسلم (الولد

للفراش وللعاهر الحجر وحسابهم على الله) أخرج الطيالسي، والترمذي، وصححه الألباني مما يدل على أن تطبيق قاعدة الولد للفراش قد تؤدي إلى ضياع النسب في بعض الأحوال التي يحدث فيها الكذب، إذا لم يقيم الدليل على الفراش (الجماع) في مثل هذه الأحوال.

القول الثاني في تعريف الفراش:

الفراش بمعنى النكاح الحقيقي الذي منه الولد؛ فيكون الفراش تعبير مهذب عن حالة اجتماع الرجل بالمرأة - حيث تكون المرأة كالفراش لزوجها - وفي هذه الحالة لا يلحق بالزوج إلا ما كان من جماعه أي من صلبه، أي أن الولد لا ينسب إلا لأبيه الحقيقي صاحب الجماع الأول مع المرأة - وصاحب الجماع الثاني في النطفة الأمشاج - كما رأينا في التفسير العلمي السابق لكلمة الفراش. وهذا هو قول جمهور أهل العلم وهو الذي يوافق التفسير العلمي السابق لكلمة الفراش بأنه الجماع وهو الأول بالصواب للأسباب الآتية:

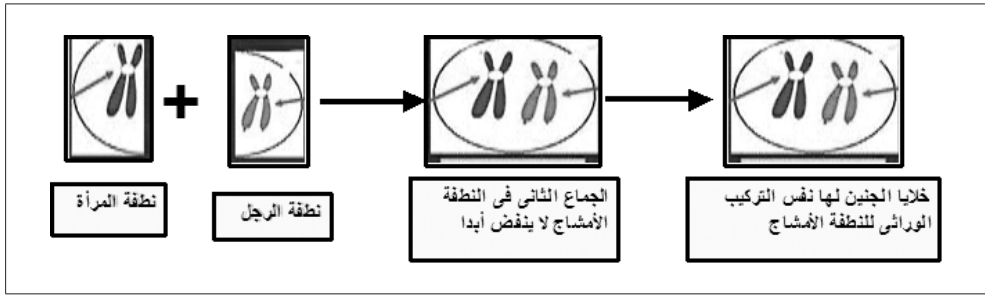
١. نص رواية البخاري (الولد لصاحب الفراش) فنسب النبي صلى الله عليه وسلم الولد للذي جامع المرأة في الفراش وليس لذات الفراش. قال ابن حجر في الفتح (الفراش أي الجماع. قال ابن أبي جمرة الظاهر أن الفراش كناية عن الجماع والكناية عن الأشياء التي يستحي منها كثيرة في القرآن والسنة) قال صلى الله عليه وسلم (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح) متفق عليه.

٢. تعريف القرآن للفراش بالجماع كما في قول الله تعالى: (وَحَلَالٌ أَبْنَائُكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ) النساء ٢٣ وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا} الأعراف ١٨٩ فالأبن لا يكون من الصلب إلا إذا ثبت التغشي من الزوج للزوجة والحمل الخفيف هو النطفة (حاملة الصفات الوراثية) وما يتبعها من بوادر الحمل الأولى كما قال بذلك الطبري والقرطبي وغيرهما.

٣. اتفق العلماء على أن الزوجة لوأت بولد من زواج قبل مضي ستة أشهر فانه لا ينسب لهذا الزوج فشرط الشافعي والجمهور الإمكان زمانا ومكانا.

ومع أن النسب في الإسلام يثبت لصاحب الماء كما تبين في القول السابق؛ إلا أن الأمر

لا يزال محيراً في كيفية إثبات العلاقة بين الزوجين، والقائمة على الستر، لذا اضطررنا إلى التوجه إلى الأدلة الظاهرة لإثبات الفراش (من هو الأب) وليس لإثبات النسب؛ لأن النسب يكون اتفاقاً بالفراش. وبما أنه ليس أدل على الجماع الأول بين الزوجين من وقوع الجماع الثاني بين الأمشاج في رحم الزوجة - حيث أن بويضة المرأة لا تُلقح إلا بحيوان منوي واحد لرجل واحد - لتنشأ النطفة الأمشاج، التي تحتوي على نصف الصفات الوراثية من الأب والنصف الآخر من الأم، ثم يتخلق الجنين في بطن أمه، فتنتقل الصفات الوراثية من النطفة الأمشاج إلى كل خلايا الجنين بلا استثناء (صورة ٢).

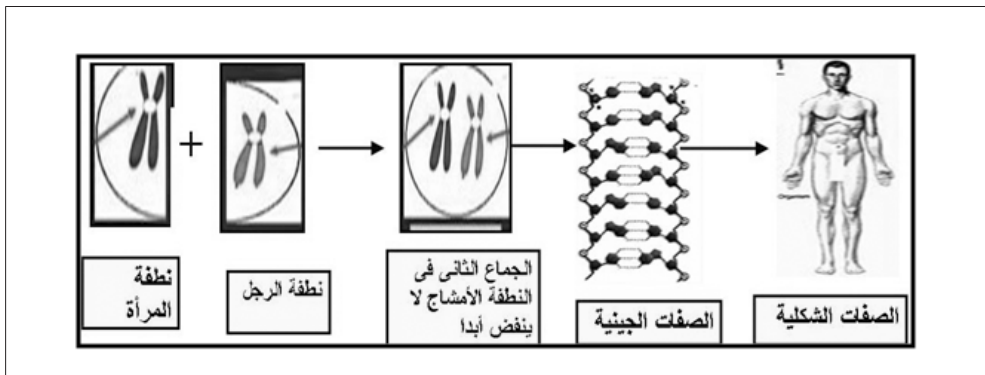


(صورة ٢: النطفة الأمشاج وخلايا الجنين لهما نفس التركيب الوراثي)

وعليه فإن أي خلية تأخذ من الولد؛ فإننا نرى فيها الجماع الثاني الذي حدث في النطفة الأمشاج، والذي يدل على النسب الحقيقي للولد بنسب متفاوتة عند استعمال القيافة، وبنسبة أكيدة تصل إلى ١٠٠٪ عند استعمال البصمة الوراثية، كما سوف نرى بإذن الله في شرح القيافة والبصمة الوراثية.

ثانياً: تعريف القيافة من الناحية العلمية وتوضيح علاقتها بالفراش وبالبصمة الوراثية
 القيافة مصدر قاف بمعنى تتبع أثره ليعرفه. والقائف يراد به هنا الذي يعرف النسب بفراسته ونظره إلى أعضاء المولود، ثم مقارنتها بأعضاء غيره من الناس؛ للاستدلال على النسب.

ولفهم العلاقة العلمية بين القيافة والبصمة الوراثية ينبغي أن نبدأ من الفهم العلمي لقضية الفراش؛ حيث رأينا أن النسب في الإسلام يثبت لصاحب الماء، وأنه ليس أدل على الجماع الأول بين الزوجين من وقوع الجماع الثاني بين الأمشاج في رحم الزوجة، حيث أن البويضة الواحدة لا تُلقح إلا بحيوان منوي واحد لرجل واحد، لتنشأ النطفة الأمشاج التي تنقل الصفات الوراثية إلى الولد. لذا فإن أي خلية تُأخذ من الولد فإننا نرى فيها الجماع الثاني الذي حدث في النطفة الأمشاج، والذي يدل على النسب الحقيقي للولد بنسبة أكيدة تصل إلى ١٠٠٪ عند استعمال البصمة الوراثية. فالقيافة والبصمة الوراثية ما هما إلا وسيلتان لمقارنة أوجه الشبه والاختلاف بين الآباء والأبناء؛ من أجل التعرف على النسب الحقيقي للولد. فإذا نظرنا إلى الصفات الشكلية فتلك هي القيافة، وإذا نظرنا إلى الحمض النووي فتلك هي البصمة الوراثية (صورة ٣). فالقيافة والبصمة الوراثية عبارة عن وجهين لعملة واحدة؛ إذ أن لكل صفة شكلية تخلق في الجنين صفة جينية ماثلة على الحمض النووي للنطفة الأمشاج.



(صورة ٣: علاقة القيافة بالفراش وبالبصمة الوراثية)

وقد يظن البعض أن هذا التفسير العلمي يخالف الشرع؛ فأقول وبالله التوفيق إن هذا التفسير العلمي هو منهج النبي صلى الله عليه وسلم القائم على ربط القيافة بالفراش وبالصفة الوراثية وذلك بالأدلة التالية:

١. النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الفرق بين الصفة المكتسبة والصفة الموروثة

يخبرنا القرآن بإعجاز علمي - غاية في الدقة - حين يقرر أن صفات الجنين تأتي من النطفة الأمشاج في البطون؛ فإذا غابت صفة معينة في النطفة الأمشاج داخل البطن استحال أن توجد مثل هذه الصفة في المولود. قال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ) ٧٨ النحل فجعل العلم صفة مكتسبة والسمع والبصر صفتان موروثتان، والفرق بين الصفتين هو:

*** الصفات المكتسبة:** هي صفة لم تخلق في آدم كالعلم، واللغة؛ ولكنه تعلمها من الله أو من البيئة المحيطة، وبالتالي لا تورث في أبنائه؛ فيخرجون من بطون أمهاتهم بدونها ثم يكتسبونها من البيئة المحيطة. قال تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها) ٣١ البقرة وعكس العلم الجهل فآدم كان يجهل كل شيء ولم تكن من صفاته الوراثية العلم ولو كان كذلك لما احتاج إلى أن يعلمه الله. ويؤكد هذا المعنى أن ذرية آدم هي الأخرى تخرج إلى الدنيا لا تعلم شيئاً مما يؤكد بأن العلم ليس بصفة موروثة (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) ٧٨ النحل.

*** الصفات الموروثة:** هي كل صفة شكلية خلقها الله في آدم وحواء، كالسمع والبصر ثم جعل الله لها صوره جينية على الحامض النووي لكل خلاياهم - بما فيها الخلايا الجنسية المسؤولة عن تكوين الأمشاج في الأصباب - وبالتالي فإن هذه الصفة تورث إلى الأبناء فيخرجون من بطون أمهاتهم بها. قال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ) ٧٨ النحل فالإنسان يخرج من بطن أمه بالسمع والبصر؛ لأن جينات السمع والبصر موجودة في النطفة الأمشاج وهو ما أكده النبي صلى

الله عليه وسلم بقوله (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعين ليله بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها) رواه مسلم. فبين صلى الله عليه وسلم أن هناك تصوير من النطفة قبل خلق الأعضاء، وهو ما أسماه العلم الحديث نسخ الحامض النووي الموجود في النطفة، وترجمته إلى بروتينات الأعضاء.

٢. النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن الصفات الموروثة تأتي من كلا الأبوين

قال تعالى: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) ٢ الإنسان وقد اجمع المفسرون نقلاً عن عدد كبير من الصحابة أن النطفة الأمشاج: هي اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة؛ ولذا قال تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى} ١٣ الحجرات.

٣. النبي صلى الله عليه وسلم يعلم سبب الشبه بين الابن وأبيه أو أمه

الصفات الوراثية قد تميل إلى نطفة الأب، أو نطفة الأم، أو كليهما؛ ولهذا أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بالشبه وبين سببه فقال لليهودي الذي جاء يسأله عن الولد (أما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد) البخاري وفي رواية أخرى (وأما شبه الولد أباه وأمه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني.

٤. النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الصفات السائدة والمتنحية. والصفات

المتنحية لا تستخدم في القیافة.

قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي جاء يسأله عن لون ابنه فقال: (يا رسول الله: إن امرأتي ولدت غلاماً أسوداً! فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم قال (ما ألوانها). قال حمير. قال: (هل فيها من أورك). قال: نعم قال: (فأنى كان ذلك؟). قال: أراه عرق نزعه. قال: (فلعل ابنك هذا نزع عرق) صحيح البخاري.

والحديث يظهر أن ما يحدث في الأبناء من تغير في الصفات الوراثية ليس بمعزل عن الآباء

والأجداد. وقد أثبت علم الوراثة أن في كل خلية من خلايا الجسم عدداً ثابتاً من أجسام صغيرة تسمى كروموسومات (كُنِيَ عنها النبي صلى الله عليه وسلم بالعروق) تحمل عوامل وراثية مسئولة عن الصفات التي تظهر في الإنسان، وقد يكون تأثير العامل الوراثي سائداً (Dominant) في أحد الأبوين على الآخر؛ فتظهر الصفة السائدة في الابن مشابهاً بذلك أحد الأبوين وقد يكون تأثير العامل الوراثي خافياً مستتراً، فيطلق عليه في هذه الحالة العامل الوراثي الكامن أو المتنحي (Recessive) فإذا اتفق وكان كل من الأب والأم يحملان أحد هذه الصفات المتنحية، فإن ربع أولادهم تقريباً ستظهر فيهم هذه الصفة المتنحية، وذلك لاجتماع الصفتين من كلا الأبوين. لذا فإن الشبه بين المولود والديه قد يكون غير ظاهر، بل بعيد عن كلا الأبوين؛ مما يجعلنا غير قادرين على استخدام القياس في التعرف على نسب الولد. وهذا ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما جاءه الأعرابي يقول له: ولدت امرأتى غلاماً أسود، وهو حينئذ يعرض بأن ينفيه، ولم يرخص له النبي في الانتفاء منه، وذلك لسعة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسائد والمتنحي، ولقدرته التي لا تدانى في الحوار والإقناع، بحيث أرجع السائل إلى ما يعهده من إبله؛ سائلاً إياه عن ألوانها. حتى إذا قرر السائل الحقيقة بنفسه كانت الحجة دامغة تملأ عقله وقلبه، وتزيل ما قد ران على نفسه من ظلال الشكوك القائمة في زوجته.

وجوب الأخذ بالقيافة بالدليل النقلي الموافق لعلم الوراثة

ذهب جمهور أهل العلم إلى وجوب الأخذ بالقيافة عند الاختلاف على نسب الولد؛ لدلالة السنة والآثار عليها، فقد أقرها النبي صلى الله عليه وسلم. وفعلها بنفسه. وأقام عليها الأحكام، ومارسها أصحابه:

فمن إقراره صلى الله عليه وسلم قوله لأمنا عائشة: (ألم تري أن مجزاً المدلجي نظر أنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامها فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض) رواه البخاري وهذا يدل على إقراره صلى الله عليه وسلم للقيافة. وحاشاه أن يسمع باطلاً فيقره.

ومن ممارسته صلى الله عليه وسلم للقيافة ما ثبت من حديث ابن عباس (أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك ابن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم (البينة أوحد في ظهرك) . فقال يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (البينة وإلا حد في ظهرك). فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق فليزلن الله ما يرى ظهري من الحد. فنزل جبريل وأنزل عليه { والذين يرمون أزواجهم - فقرأ حتى بلغ - إن كان من الصادقين } . فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب) . ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت: لا أفصح قومي سائر اليوم، فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهولشريك بن سحماء). فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن) رواه البخاري.

في هذا الحديث نراه صلى الله عليه وسلم يمارس القيافة بمهارة علمية لا تأتي إلا من نبي لا ينطق عن الهوى. ولذا ينبغي فهم الأسس العلمية التي بنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم القيافة، وموافقها لعلم الوراثة وهي:

١. العلم بكيفية توارث الصفات الشكلية من الآباء إلى الأبناء عبر النطفة

سبق أن بينت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم الفرق بين الصفة المكتسبة والصفة الموروثة، ويعلم أن الصفات الموروثة تأتي من كلا الأبوين، ويعلم بأن صفات الجنين الموروثة تأتي من ترجمة الصفات الجينية في النطفة الأمشاج إلى صفات الجنين الشكلية، ويعلم سبب الشبه بين الابن وأبيه، وأمه. ويعلم أن الصفات الوراثية منها السائد والمتنحى وأن الصفات المتنحية لا تستخدم في علم القيافة. إذاً فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يحكم في قضايا النسب وهو على علم بأصول علم الوراثة. قال صلى الله عليه وسلم: (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعين ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها) رواه مسلم.

٢. العلم بأن القيافة تعتمد على ارتباط الصفات الوراثية للمولود بنطفة صاحب الفراش وليس بالفراش القائم؛ ولذا فإنه لم يكتف في قضية هلال باللعان، بل أراد أن يأتي بالدليل الكامل على براءة هلال، فأقام القيافة بالعلم وليس بالمشاهدة. فالنبي لم ير المولود ولكن تنبأ بصفاته اعتماداً على معرفة صفات هلال وشريك. ولمعرفته صلى الله عليه وسلم أن الصفة الشكلية المستخدمة في القيافة لها مقابل في النطفة التي تنقل الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء. وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم هو ما يفعله عالم الوراثة حين يتنبأ بالصفات الوراثية لجيل الأبناء بناء على معرفة الصفات الوراثية لجيل الآباء.

٣. معرفته صلى الله عليه وسلم للشروط العلمية الواجب توافرها عند ممارسة القيافة

ومع أن هذه الشروط غير مُعلنة تفصيلياً إلا أنها تُفهم من خلال ممارسته صلى الله عليه وسلم للقيافة في واقعة هلال وهي:

* **الشرط الأول لإجراء القيافة:** وجود جميع أطراف النزاع في قضية النسب من الأب والأم والابن المتنازع في نسبه والمتهم بالزنا مع الأم؛ فلا يُقارن شكل الابن المتنازع في نسبه بأقارب الآباء، وذلك لأن الابن المتنازع في نسبه أخذ نطفته من الآباء ولم يأخذها من أقاربهم، وبالتالي فوجه الشبه بالآباء هو محل البحث وليس وجه الشبه لأقارب الآباء فالناس ربما تشابهوا شكلاً ولولم تكن بينهم أي صلة قرابة من قريب؛ ولكن ربما كان لهما قريب من بعيد، ولولم يكن هذا القريب إلا آدم عليه السلام أبو البشر مصدر الصفات الوراثية لكل البشر.

وفي حالة هلال ابن أمية نجد أن جميع أطراف القضية كانوا موجودين ما عدا الابن المتنازع في نسبه فكان جنينا في بطن أمه؛ بدليل أن النبي أجل القيافة إلى أن يولد فقال (أبصروها فإن جاءت به) - مع إخفاء النية المبيتة على القيافة عن المرأة الحامل حتى لا تقتل ولدها- ولعل هذا السبب هو الذي حمل النبي على التعجيل باللعان وعدم انتظار المولود لإجراء القيافة، وذلك حفاظاً على حياة الجنين، فلا تقتله الأم خوفاً من افتضاح أمرها إذا علمت أن الحكم في نسب وليدها يعتمد على القيافة. وفي هذا الفعل أشد الرحمة من النبي

الذي لم يهتم ببراءة صاحبه المسلم بقدر ما اهتم بسلامة الجنين. تلك النفس البشرية التي قدرها الله ولا ذنب لها في أن الأم زانية.

*** الشرط الثاني لإجراء القيافة :** لا يقل عدد الصفات الشكلية التي تستخدم في القيافة عن ثلاثة فقد قال صلى الله عليه وسلم (أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهولشريك بن سحماء) فحدد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث صفات شكلية للقيافة وبني عليها حكما واضحا.

ومن قال بأن النبي في حديث عائشة أخذ بصفة واحدة وهي القدم (إن هذه الأقدام بعضها من بعض) فنرد عليه بأن سرور النبي في هذه الحالة ليس فيه دلالة قطعية على ثبوت البنوة بالقيافة؛ لأنه لم ينص على ذلك بالقول الصريح كما في حديث هلال وشريك وإنما يُستدل به على جواز القيافة فقط. فالنبي في هذه الحالة لم يكن يحاول أن ينفى النسب، وإنما يحاول أن يثبتته، وأي دليل يؤدي إلى ذلك الغرض مؤكد أنه يدخل السرور على النفس ولكن لا يجزم بالنسب لعدم تعدد الصفات المشتركة بين الأب وابنه. كما أنه لم تكن هناك قضية نسب من الأصل فأبواسامة لم يشتك أصلا عدم بنوة ابنه إليه، ولم يتهم أمه بالزنا؛ وإنما الذي حدث أن العرب هي التي كانت تتكلم في ذلك لأن لون أسامة كان أسود كلون أمه (أم أيمن) في حين أن أباه كان أبيض اللون.

*** الشرط الثالث لإجراء القيافة :** تنوع الأعضاء المستخدمة كوجه شبه في القيافة ففي الحديث السابق استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أعضاء مختلفة كالعين والإلية والساق.

*** الشرط الرابع لإجراء القيافة :** لا تستخدم في القيافة إلا أبرز الصفات الشكلية التي يتميز بها الآباء عن غيرهم من الأشخاص وهذا الشرط هو الذي يحدد نوعية الصفات العضوية المستخدمة في المقارنة فلا تختار الأعضاء بطريقة عشوائية؛ ولكن تختار الأعضاء التي تعطى للأب صفاته الشكلية المميزة له عن غيره من البشر، والتي يتوقع أن تكون صفات سائدة فيه - بحيث يمكن لها أن تسود في نطفة الابن - فالابن قد يشبه غير أبيه في

صفة أو صفتين، أما أن تكون ثلاثة صفات فتكون صعبة، وتكون أصعب إذا اشترطنا التشابه في الصفات المميزة لشخص ما عن باقي الأفراد المحيطين به.

*** الشرط الخامس لإجراء القيافة:** إذا كان هناك شخصان أو أكثر وحدث بينهم تنازع على نسب الولد كما في قضية هلال الذي رفض نسب الولد إليه ورمى به شريكاً فلا بد في القيافة أن نختار صفات شكلية مختلفة في كلا الرجلين. وهذا هو ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم حين قال في رواية مسلم وكما في حديث مسلم (أبصروها فإن جاءت به أبيض سبطا قضيء العينين فهو لهلال بن أمية وإن جاءت به أكحل جعدا حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء قال فأثبتت أنها جاءت به أكحل جعدا حمش الساقين). فاختار النبي صلى الله عليه وسلم أبرز ثلاث صفات في هلال (أبيض سبطا قضيء العينين) وأبرز ثلاث صفات في شريك (أكحل جعدا حمش الساقين) إذا فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت ثلاثة أعضاء للمقارنة ولكن اختار أميز الأعضاء للمقارنة في كل شخص وهذا من فقه النبي صلى الله عليه وسلم الذي قام على فهمه لعلم الوراثة.

فإذا تحققت هذه الشروط الخمسة السابقة في القيافة فان النسب يقع بها يقينا لا ظنا بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى صفات شريك في الجنين قطع ببنته لشريك وقال كما عند البخاري (لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن) ليقينه أن ما فعله حق لا شك فيه ولا ظلم ولولا أن اللعان وقع وصار أمر المتلاعنين إلى الله وحده لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة برفع الزانية كما حكم براءة هلال بن أمية.

أما إذا نقصت هذه الشروط ولو شرطاً واحداً؛ فإنه صلى الله عليه وسلم يقدم الحكم بالفراش على القيافة. كما في حالة ابن وليدة زمعة. كما في البخاري ومسلم من حديث عائشة (كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص: أن ابن وليدة زمعة مني، فاقبضه إليك، فلما كان عام الفتح أخذه سعد فقال: ابن أخي، قد كان عهد إلى فيه، فقام إليه عبد بن زمعة فقال: أخي وابن وليدة أبي، ولد على فراشه، فتساوقا إلى رسول الله، فقال سعد: يا رسول الله: ابن أخي كان عهد إلى فيه. وقال عبد بن زمعة: أخي وابن وليدة أبي، ولد على فراشه، فقال صلى الله عليه وسلم: (هولك يا عبد بن زمعة). ثم قال صلى الله عليه وسلم

(الولد للفراش، وللعاهر الحجر). ثم قال لسودة بنت زمعة: (احتجبي منه). لما رأى من شبهه بعتبة، فما رآها حتى لقي الله تعالى) متفق عليه.

وقد أشكل هذا الحديث على كثير من الناس؛ حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر سودة بالاحتجاب منه، وقد ألحقه بأبيها زمعة فهو أخوها، فكيف يكون أخاها وتؤمر بالاحتجاب منه؟ وهذا الإشكال يزول إذا فهمنا حيثيات النزاع؛ لنرى هل شروط القيافة التي حددها النبي في حديث هلال اكتملت في حديث ابن وليدة زمعة أم لا.

ففي هذا الحديث تنازع اثنان في نسب ابن وليدة زمعة سعد ابن أبي وقاص الذي أراد أن ينسبه إلى أخيه عتبة بن أبي وقاص، وعبد ابن زمعة الذي أراد أن ينسبه إلى أبيه؛ فيكون أخاً له، مع العلم بان عتبة كان معلوماً شكلاً لدى النبي، وزمعة كان أباً لسودة زوج النبي وبالتالي فهو معلوم شكلاً للنبي. ولكن لغياب أطراف النزاع الأصليين وهم الآباء فقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم بالولد للفراش (أي لعبد بن زمعة) وترك القيافة مع علمه بأنها حق، ومع أنه رأى قوة الشبه بين ابن وليدة زمعة وبين عتبة ابن أبي وقاص. ونلاحظ هنا أن النبي أقام حكم القيافة على علمه بشكل الأبوين الغائبين (عتبة وزمعة) ولم يقمه على شكل المتخاصمين (سعد وعبد ابن زمعة) مما يؤكد على أن القيافة لا تقوم إلا بوجود الآباء وليس أقارب الآباء مما جعل النبي لا يحكم بالقيافة في الظاهر لعدم اكتمال شروطها ولكنه أخذ بها حين قال لسودة: احتجبي منه يا سودة فنفذت سودة الحكم ولم يرها بعد ذلك.

إذا فالنبي يبيّن النسب بالقيافة على أسس علمية كما بينت، فإذا اجتمعت هذه الأسس حكم بها النبي، وإذا لم تجتمع كما في هذا الحديث لم يحكم بها. ولكن يجتزأ بالشبه الذي تدل عليه القيافة، ويبيّن عليه الأحكام، كما في أمره لسودة بالاحتجاب. وفي هذا الحديث نلمح بعداً جديداً وهو أن الآباء (سعد ابن أبي وقاص وعبد ابن زمعة) لو كانوا موجودين ساعة الحكم لحكم النبي بالقيافة، ولقدمها على الفراش، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومما يدل على أن القيافة حق: حصول ما يشبه إجماع الأمة عليها؛ وذلك أن عمر بن الخطاب قضى بمحضر من الصحابة بالقيافة من غير إنكار، فكان كالإجماع (كان عمر يليب أولاد الجاهلية بمن ادّعاهم في الإسلام فأتى رجلاً إلى عمر رضي الله عنه كلاهما يدعي

ولد امرأة فدعا قائفاً فنظر إليه القائف فقال: لقد اشتركا فضربه عمر بالدرة ثم دعا المرأة فقال أخبريني خبرك فقالت: كان هذا - لأحد الرجلين - يأتيها في إبل لأهلها فلا يفارقها حتى يظن أنه قد استمر بها حمل ثم ينصرف عنها فأهريقته عليه دماً ثم خلف عليها هذا - يعني الآخر - فلا أدري من أيهما هو، فكبر القائف، فقال عمر للغلام: فيلى أيهما شئت فانسب) أخرجه مالك في الموطأ وصححه الألباني.

الرد الشرعي والعلمي على من رفض الأخذ بالقيافة

ذهب البعض ومنهم الحنفية إلى أن القيافة لا يلحق بها نسب؛ لأنها ضرب من الظن واستدلوا على ذلك بحديث أبي هريرة (أن رجلاً أتى النبي فقال ولدي غلام أسود فقال (هل لك من إبل) قال نعم قال (ما ألوانها) قال حمر قال (هل فيها من أورك) قال نعم قال (فأنى ذلك) قال لعله نزعه عرق قال (فلعل ابنك هذا نزعه عرق)) البخاري.

فظن البعض أن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث قد حكم بأنه لا عبرة للشبه في النسب على سبيل العموم وقد مال إلى هذا الرأي عدد من العلماء الذين قالوا بأن القيافة تعتمد على الشبه الظاهر في الأعضاء وفيها قدر من الظن، كما أن القافة يمكن أن يختلفوا، بل ويلحقوا الطفل بأبوين لوجود الشبه فيهما.

وينبغي هنا أن نلتفت إلى أن النبي لا ينطق عن الهوى والذين رفضوا الأخذ بالقيافة استناداً إلى هذا الحديث لم يعلموا الأساس العلمي الذي استند إليه النبي في المواقف التي حكم فيها بالقيافة والمواقف التي رفض الحكم فيها بالقيافة.

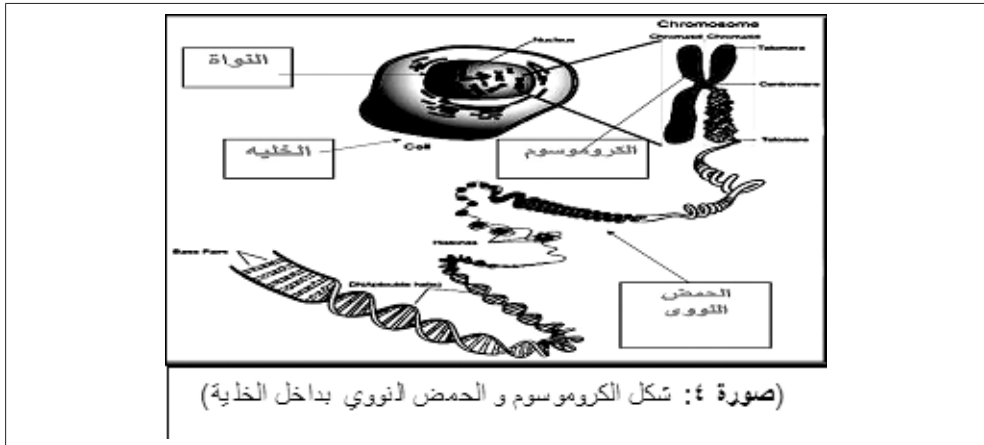
فالذين استدلوا بهذا الحديث لم يلاحظوا أن الرجل أتى يشتكى من صفة شكلية واحدة في ابنه وليست عدة صفات وليس له أي شاهد على أنها قد زنت وبالتالي فقد سقط احد شروط القيام بالقيافة وهو عدد الصفات الذي لا يقل عن ثلاثة كما في حديث هلال. أيضاً النبي يعلم أن الصفات الوراثية تسود وتتنحى عبر الأجيال بدليل قوله (فلعل ابنك هذا نزعه عرق) ولما كان لون الجلد ربما تأثر بصفات الآباء والأجداد، فلم يأخذ النبي شكوى

الرجل سبباً في اتهام امرأته لعدم وجود دليل واضح، بل إن الدليل الذي استدل به الرجل صار هو دليل البراءة لامرأته. والمتدبر لفعل النبي في هذه الواقعة يلمس الحكمة النبوية المتحركة بأمر الله فنراه يحمي الأعراض والأنساب من التهم الباطلة ويريح نفوس الشاكين بالحجج العلمية؛ فلم يكتف برفض الدعوى لعدم توفر الأدلة فحسب؛ بل سعى إلى تثبيت أوامر العلاقة الزوجية بين الزوجين من خلال إزالة شبهة الزنا من قلب الزوج.

ثالثاً: إثبات حديث القرآن والسنة عن الحمض النووي

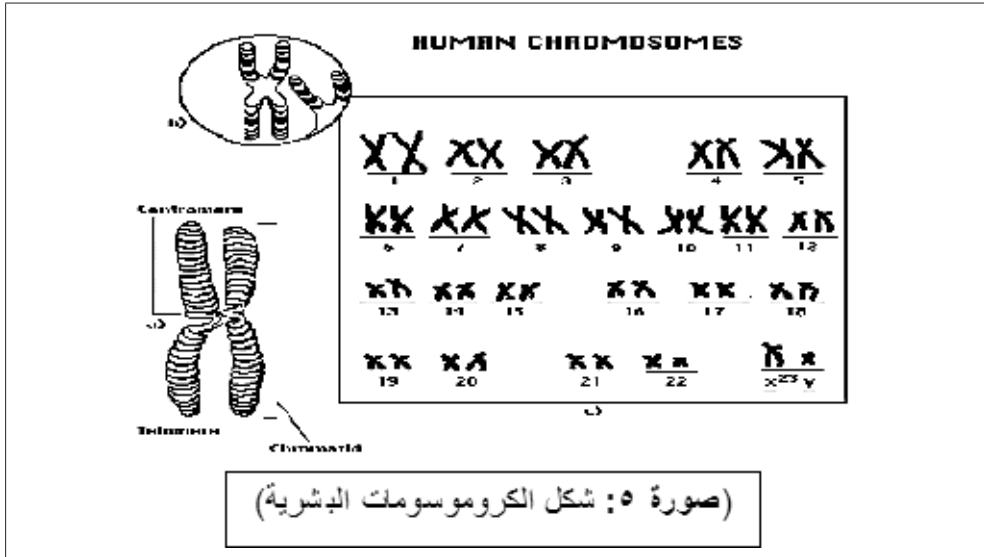
بعض الحقائق العلمية عن الحمض النووي وكيفية التقدير الوراثي

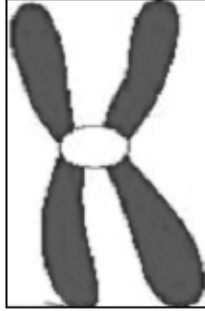
من المعلوم حديثاً أن الخلية هي وحدة بناء الكائنات الحية ومنها الإنسان، وكل خلية تحتوي على صورة للكائن الحي تعرف باسم الحمض النووي (دنا = DNA) الذي يحمل الشفرة الوراثية لكل صفات الكائن الحي المرئية وغير المرئية (كاللون والطول والعقل)، وكأن الله قد جعل للكائن الحي تمثلاً أو صورة متناهية في الصغر بداخل نواة الخلية (صورة ٤).



والحمض النووي يتكون من حلزونين ملتفين حول بعضهما وهو بدوره يحمل الجينات المسؤولة عن الصفات الوراثية الخاصة بكل إنسان. وكل جين يتركب من تتابع معين من القواعد الأمينية (Nucleotides) والتي تنحصر في أربعة أنواع وهي (إيه = A) و(جى = G)

و(تى = T) و(سي = C) بحيث إن القواعد الموجودة على أحد الحلزونيين تكون مكمل [للقواعد الموجودة على الحلزون الآخر كما لو كان أحد الحلزونيين يمثل صورة الحلزون الآخر في المرآة بحيث تكون القاعدة (ايه) مكمل لـ(تى) والقاعدة (جى) مكمل لـ(سي)]. وفي بعض مراحل انقسام الخلية نجد الحمض النووي قد انقسم إلى ستة وأربعين جسيماً تعرف باسم الكروموسومات والتي يشبه كل منها حرف اكس (X) إلا كروموسوم الذكورة الذي يشبه حرف واى (Y)، وهى مرتبة في أزواج عددها ثلاثة وعشرون، كل منها متماثل في الشكل ومختلف في التركيب الجيني (صورة ٥). ويتكون كل كروموسوم من خيطين متصلين بنقطة مركزية تعرف بالسينترومير (صورة ٦).





(صورة ٦: تركيب الكروموسوم)

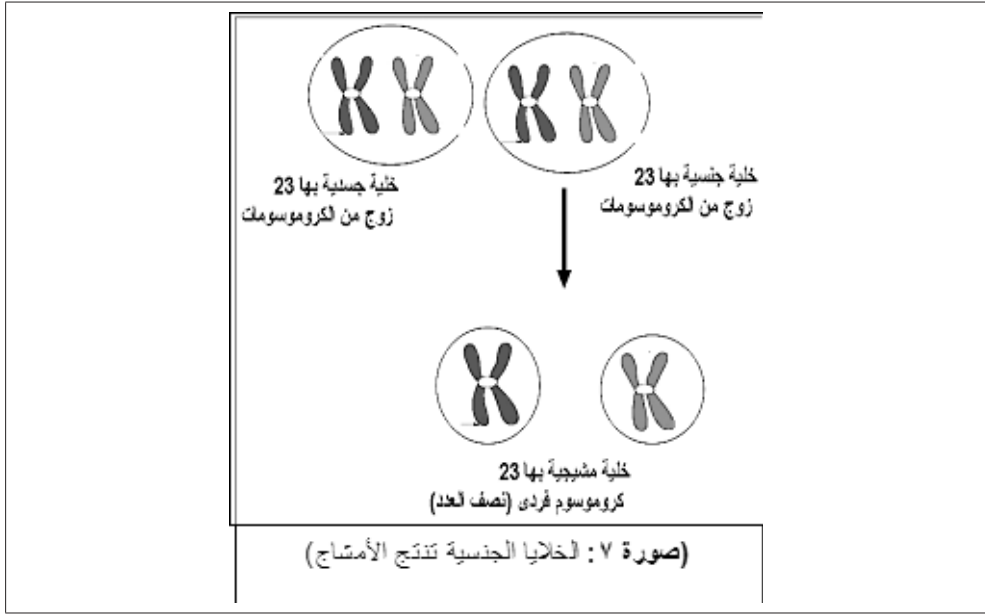
ومن المعلوم أيضا أن خلايا الكائنات الحية التي تتكاثر بالأمشاج تنقسم إلى نوعين:

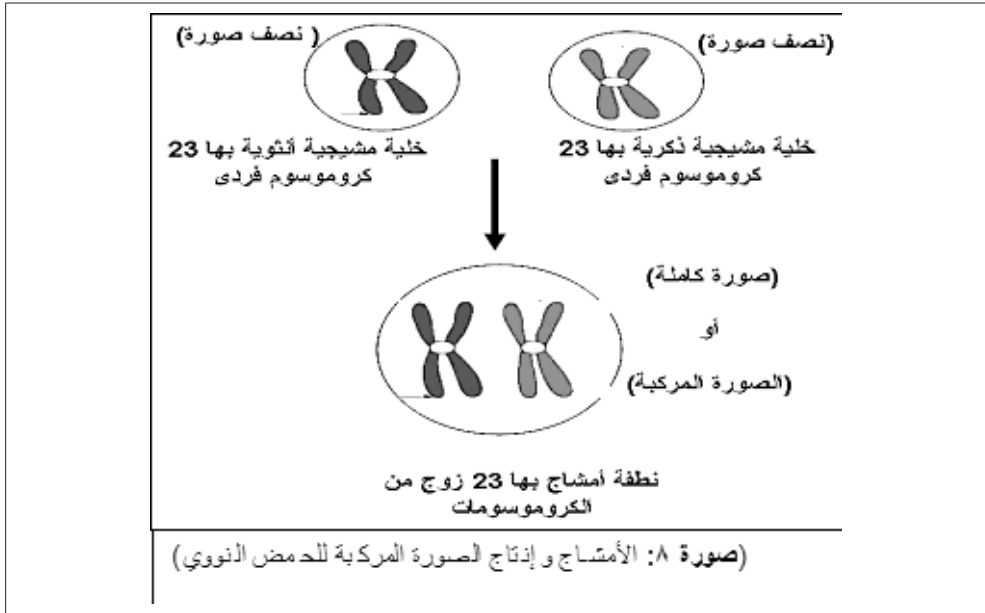
١. **الخلايا الجسدية**: تشمل كل أعضاء الجسد فيما عدا الخصية والمبيض.
 ٢. **الخلايا الجنسية**: توجد في الخصية والمبيض، وتنتج الأمشاج الذكرية والأنثوية.
- جميع خلايا البشر تحتوي ٤٦ كروموسوم (صورة كاملة) فردى إلا الأمشاج فإنها تحوي النصف أي ٢٣ كروموسوم فردى (نصف صورة) (صورة ٧).

وبعد التلقيح بين الذكر والأنثى تلتقي الأمشاج التي تحمل نصف المادة الوراثية في الرحم لتتكون النطفة الأمشاج التي تحمل الشفرة الوراثية الكاملة (الصورة الكاملة) للذرية مع العلم بأن نصف الصورة الوراثية يأتي من الذكر والنصف الآخر يأتي من الأنثى (صورة ٨) ولذا نجد من الشائع أن من يبحث عن زوجة يقول (أبحث عن النصف الآخر)، وكأنه يقول أبحث عن النصف الآخر من أبنائي.

والصورة الكاملة للذرية أو الشفرة الوراثية الكاملة في النطفة الأمشاج هي المسئولة عن خلق وتصوير الذرية في الأرحام وذلك من خلال تصوير كل جين في الشفرة

الوراثية لخلق البروتين المائل لذلك الجين؛ فكأن تمثل الشفرة الوراثية في النطفة يعمل كقالب لصب الذرية عليه في الأرحام. مع ملاحظة أن الحمض النووي للذرية في النطفة الأمشاج يمكن تسميته بالصورة المركبة (composite DNA = composite image) لأنه يتركب من نصفين أحدهما من الأب والآخر من الأم فالصورة المركبة هي الوصف الدقيق للحمض النووي بداخل النطفة الأمشاج التي تكونت بمشج نطفة الأب مع نطفة الأم (صورة ٨).



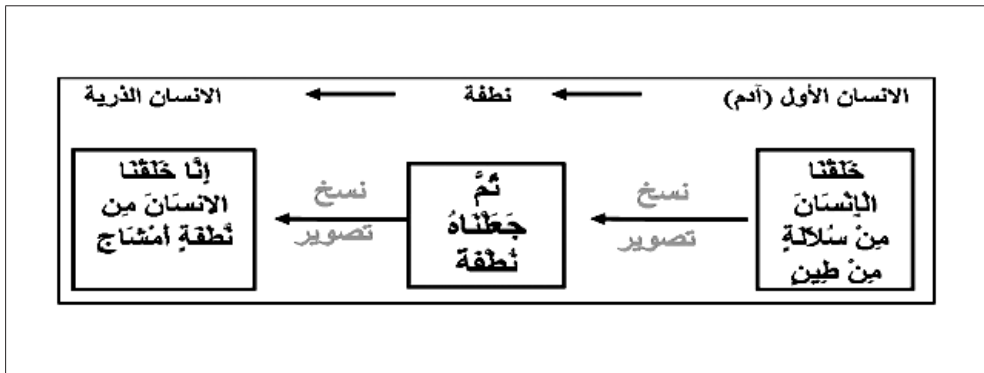


البحث عن الحمض النووي في القرآن والسنة

إذا أردنا البحث عن الحمض النووي في القرآن والسنة فينبغي البحث عن صفته الثابتة التي استقر عليها العلم، لأن الاسم يتغير بتغير الزمان والمكان واللغة أما الصفة الثابتة فلا تتغير. ومن أهم صفاته أنه يعمل كفيلم قابل للاستنساخ (التصوير) ويحمل شفرة وراثية تمثل صورة أو تمثلاً مشابهاً للكائن الحي، وهو المسؤول عن نقل الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء من خلال الأمشاج. وهذه الصفات الثابتة للحمض النووي قد استقر عليها العلم منذ تمكن العلمان واطسون وكريك في سنة ١٩٥٣ من اكتشاف الشكل الحلزوني المزدوج للحمض النووي الذي يفسر كيفية تخزين الصفات الوراثية على الحمض النووي، ودوره في نقل الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء.

القرآن والسنة لهما السبق في وصف انتقال الصفات الوراثية عبر الأمشاج

خلق الله آدم من طين، ثم جعل نسله من الماء المهين {وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ} السجدة ٧-٨، أي من الأمشاج الذكرية والأنثوية التي تجتمع في الرحم لتعطي النطفة الأمشاج {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ} ١٢-١٣ المؤمنون. ونلاحظ أن الهاء في (جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً) عائدة على الإنسان بكل صفاته، وفي هذا الإخبار الرباني عن جعل الإنسان نطفة إعجاز علمي غاية في الدقة، إذ كيف تتساوى النطفة التي تمثل خلية واحدة لا ترى بالعين المجردة مع الإنسان الذي يتركب من بلايين الخلايا، فكأنك تقول (فيل ويتلف في منديل). وهذا الإعجاز لم يعرفه العلم إلا منذ فترة بسيطة عندما فحص النطفة ليكتشف وجود إنسان كامل يعرف باسم الحمض النووي (دنا DNA) = أو البصمة الوراثية لا يكاد يذكر في الحجم ولكنه يحمل شفرة وراثية كاملة للإنسان ويمكن أن نسميه بالإنسان الجيني (Genetic human) أو الصورة المشابهة للإنسان. والآيات السابقة ترسم لنا الخطوط العريضة لكيفية انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء عبر النطفة فالخلايا الجنسية لأدم وحواء تحولت إلى النطفة ومن النطفة خلق الله الذرية في الأرحام (صورة ٩).



(صورة ٩ : معادلة توريث الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء عبر النطفة)

والعلم الحديث حين فسر لنا كيف تنتقل الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء؛ قال بأنه يحدث نسخ للحمض النووي في الخلايا الجنسية لتتكون الأمشاج التي تتحد في الأرحام لتعطى النطفة الأمشاج، ثم يحدث نسخ للحمض النووي في النطفة الأمشاج لتتكون منه أعضاء الجنين في مصانع البروتينات المعروفة بالريبوسومات.

أما في القرآن والسنة فنجد كلمة أدق وهي التصوير قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) آل عمران ٦، وإذا سألنا النبي عن معنى التصوير في الآية فيقول (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها) رواه مسلم فبين أن هناك تصويراً من النطفة قبل خلق أعضاء الجسم وهو ما أسماه العلم نسخ الحمض النووي وترجمته إلى بروتينات الأعضاء.

وهذا يؤكد أن كلمة التصوير هي المستخدمة في القرآن والسنة لوصف انتقال الصفات الوراثية عبر الأمشاج.

إذا فالهدف من هذا البحث: هو إثبات أن الحمض النووي، يوصف في القرآن والسنة بأنه صورة للجسد، وأن أحد مقاصد التصوير في القرآن والسنة هو وصف انتقال الصفات الوراثية من الآباء (الأصل) إلى الأبناء (الصورة) عبر النطفة، وذلك بتحول الخلية الجنسية التي تحتوى ٤٦ كروموسوم (صورة كاملة للإنسان) إلى نطفة تحتوى على ٢٣ كروموسوم (نصف صورة)، فإذا التقت الأمشاج تتكون الصورة المركبة (في أي صورة ما شاء ركبك) وهو الحمض النووي المركب من نصفين أحدهما من الأب والآخر من الأم.

وللوصول إلى الهدف السابق لا بد من إثبات أن من معاني التصوير في لغة العرب الإيجاد على صفة سابقة (أي أن هناك أصل نأخذ له صورة) فآدم وحواء كجسد هما الأصل والحمض النووي لهما صورة، ومن هذه الصورة تم تصوير الذرية في الأصلاب ثم في الأرحام. كما يجب أن نثبت أن كلمة التصوير المستخدمة في القرآن والسنة أدق من كلمة النسخ المستخدمة في لغة العلم الحديث.

أدلة ارتباط التصوير بانتقال الصفات الوراثية عبر الحمض النووي في الأمشاج

أولاً : الأدلة اللغوية على ارتباط التصوير بالحمض النووي في الأمشاج

التصوير في لغة العرب يستخدم على عدة معانٍ منها:

١. التصوير في لغة العرب يعني المشابهة والمشاكلة :

في لسان العرب (أصل اشتقاق كلمة الصورة من صاره إلى كذا إذا أماله، فالصورة تكون ماثلة إلى شبه وهيئة الأصل المصوّر)، وفي معجم لغة الفقهاء (الصورة كل ما أخذ عن الأصل. وكذا ما كان مطابقاً له، كصورة الكتاب وكصورة الأدمي) فلكل صورة أصل، وبينهما علاقة شبه وتمائل إما كامل أو ناقص.

وهو معنى أساسي في وصف العلاقة بين الحمض النووي والكائن الحي؛ فالعلاقة بينهما علاقة تماثله (تصوير) وليست تساوى (نسخ) وذلك لاختلاف الحجم والتركيب فالحمض النووي في حجم الذر بالنسبة للكائن الحي، وله تركيب كيميائي يختلف عن تركيب الجسد إلا أنه يحمل صورة للكائن الحي تمثل الشكّل والهيئة والحقيقة والصفة ولذا فانه يشبه جسد الكائن الحي في جهة دون جهة. فالحمض النووي عبارة عن شفرة وراثية مشابهة للكائن الحي، ويُستدل به على الكائن الحي، إذ أن لكل كائن حي الحمض النووي الخاص به أي الصورة الخاصة به التي تميزه عن غيره من الكائنات (أو ما يعرف بالبصمة الوراثية). ولما كانت الصورة (التمثال) هو اسم لشيء مصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله وأصله من مثّلت الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهاً به وعليه فان الحمض النووي يصلح لأن يكون بمثابة صورة (تمثال) لجسد الكائن الحي وهذه الصورة تختلف باختلاف الجسد (الأصل).

٢. التصوير بمعنى التخطيط والتشكيل (إيجاد شيء في حيز الواقع)

التصوير لغة هو صناعة الصور واختراعها سواء كانت مجسمة أو مسطحة، في لسان العرب ومعجم لغة الفقهاء (يقال صورته، إذا جعل له صورة وشكلاً أو نقشا معيناً) وفي معجم لغة الفقهاء (الصورة هي شكل مخلوق من مخلوقات الله، مجسمة كالصنم أو غير مجسمة).

والتصوير بمعنى التخطيط والتشكيل لا ينفك أبداً عن المعنى الأول وهو المشابهة، فلا شك أن عمل صورة لشيء ما سواء أكان موجوداً في الواقع أو متصوراً في العقل والعلم (اختراع)، يدل على مشابهة بين الأصل والصورة. ولذا قال الإمام الرازي في تفسيره (التصوير جعل الشيء على صورة، والصورة: هيئة حاصلة للشيء عند إيقاع التأليف بين أجزائه، وأصله من صاره يصوره إذا أماله، فهي صورة لأنها مائلة إلى شكل أبويه).

وهذا المعنى أيضاً أساسي في العلاقة بين الحمض النووي والكائن الحي، فالحمض النووي يتركب من عدة مركبات كيميائية ثابتة في كل الكائنات الحية، إلا أن لها تخطيطاً وتشكياً (ترتيب) معيناً يختلف من كائن إلى آخر، بحيث لا نجد كائنين لهما نفس الحمض النووي، بل لا نجد فردين من نفس النوع لهما نفس الحمض النووي فكل مخلوق له حمض نووي خاص وصورة شكلية خاصة، ولذا يطلق على الله المصور كما يقول لسان العرب: (المصور هو الذي صَوَّرَ جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة يتميز بها على كثرتها).

٣. التصوير بمعنى تخيل الشيء قبل وجوده في حيز الواقع (اختراع)

فتطلق لفظة التصوير على ما يرسم في الذهن أو العقل، يقول معجم لغة الفقهاء (صور الشيء، إذا تكونت له صورة وخيال في الذهن والعقل دون وجوده في الخارج بالفعل حال تصوره في الذهن)، وهذا النوع يصلح لوصف المخترعات وهو بمثابة التخطيط والتشكيل على المستوى العقلي.

فصورة كل مخلوق قبل أن تخرج إلى حيز الواقع كانت مُتصورة أي مُخترعة في علم الله، فشكل كل كائن حي في الدنيا هو صورة ما كان في علم الله. ولذا قال صلى الله عليه وسلم

(خلق الله آدم على صورته) البخاري ومسلم، قال ابن منظور في لسان العرب (إذا كانت الهاء في صورته عائدة على اسم الله تعالى فمعناه على الصورة التي أنشأها الله وقدرها في علمه، فيكون المصدر حينئذ مضافاً إلى الفاعل لأنه سبحانه هو المصور).

٤. دقة كلمة التصوير عن كلمة النسخ في وصف انتقال الصفات الوراثية عبر

الحمض النووي

لا ينكر أحد أن الحمض النووي هو صورة (تمثال) الجسم البشري وأن الجنين في الرحم هو صورة (تمثال) الحمض النووي في النطفة الأمشاج ولذا سمي الله الجنين في الرحم صورة (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) ٦ آل عمران، وأكد لنا النبي أن الجنين هو صورة النطفة في الأرحام في قوله (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها..... الحديث) رواه مسلم..

فكلمة التصوير أدق من كلمة النسخ (Copy = Transcript) المستخدمة في اللغة الانجليزية لوصف انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء عبر الأمشاج لأن النسخ يقتضي النقل الحرفي بدون تغيير أي المساواة أو التكرار ومنه قول الله {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} الجاثية ٢٩، أي ننسخ ما كتبه الحفظة بلا تغيير، فالنسخ يدل على أنه لا يوجد تحسين في النسل كاستنساخ النعجة دولي التي جاءت صورة طبق الأصل من أمها.

ولأن الأبناء ليسوا نسخاً من الآباء، لم يستخدم الله كلمة النسخ مع إيجاد الذرية لعدم دقتها، واستخدم الأبق وهو التصوير وكلمة التصوير مأخوذة من المماثلة أو المشابهة والمماثلة قد تكون على الإطلاق، فإذا قلت هذا الشيء مثل هذا الشيء فمعناه أنه يسد مسدّه وإذا قيل: هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة.

في لسان العرب وتاج العروس (مائل الشيء شابهه، ومثل له الشيء صورته حتى كأنه ينظر إليه. والمثال الصورة والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله، وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره. ومثل: كلمة تسوية. والفرق بين المماثلة والمساواة أن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص. وأما المماثلة فقد تكون على الإطلاق

فمعناه أنه يَسُدُّ مَسَدَهُ. أما إذا قيل هو مثله في كذا فهو مُساوٍ له في جهةٍ دونَ جهةٍ).

وحيث إنه يمكن استخدام المثلية للدلالة على التساوي الكامل أو الجزئي بين شيئين (تساوى في وجه دون وجه) فإن ذلك يعني أيضا أن كلمة الصورة التي تدل على المثلية قد تدل على علاقة شبه كاملة أو ناقصة بالأصل الذي صورت منه الصورة.

إذاً: التصوير قد يراد به مطابقة الأصل فيكون بمعنى النسخ، كما يراد به الاختلاف عن الأصل فيتفق معه في شيء ويختلف معه في أشياء. كالذي ينظر إلى صورته في المرآة فيقول هذه صورتي، ولا يقول هذه نسختي (لماذا)؟ لأن صورته في المرآة مختلفة عنه في الاتجاه، فاليد اليمين تصير شمالاً والشمال يميناً. أيضا الذي ينظر إلى ولده يقول هو صورة مني أو من أمه أو من أحد أقاربه ولا يقول إنه نسخة منه أو من أمه، وذلك لوقوع تحسين في صفات الولد الوراثية بحيث يختلف عن أبيه وأمه بقليل أو بكثير. وإذا بحثنا في اللغة الانجليزية عن كلمة مساوية لكلمة التصوير في اللغة العربية تكون أفضل من كلمة النسخ الانجليزية (Copy) بحيث تشير إلى إيجاد صورة لشيء ما بالتصوير - كما تشير إلى المماثلة الكاملة أو الجزئية بين شيئين. كما أنها تعني التمثيل لشيء برمز كأنك تنظر إليه - فإننا سوف نجد كلمة (Image) وترجمتها التصوير، و (Image) تعني في الانجليزية:

Creating a film by scanning or photographing an object

وهذه الجملة تعني إنشاء فيلم بالتفريس أو التصوير الفوتوغرافي لشيء وتحويله إلى مجموعة من النقاط.

to symbolize and to present a lifelike image of something

وهذه الجملة تعني التمثيل لشيء برمز كأنك تنظر إليه

one that closely or exactly resembles another

وهذه الجملة تعني المماثلة الكاملة أو الجزئية بين شيئين

ثانياً: أدلة القرآن والسنة على ارتباط التصوير بالحمض النووي في الأمشاج

١. تصوير الأرحام يدل على انتقال الصفات الوراثية من النطفة الأمشاج إلى الذرية

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ} آل عمران ٦ وإذا سألنا عن معنى التصوير في هذه الآية فيفسره لنا النبي بقوله (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها) رواه مسلم. وهنا يبين لنا النبي أن هناك تصويراً من النطفة قبل خلق الأعضاء وهو ما أسماه العلم الحديث نسخ الحمض النووي الموجود في النطفة وترجمته إلى أعضاء. فالحمض النووي يعمل كقالب تصب عليه الذرية والاختلافات الواقعة بين البشر هي لاختلاف القالب الخاص بكل واحد.

٢. معنى الصورة المركبة في قول الله (في أي صورة ما شاء ركبك).

قال تعالى: (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) ٧، ٨ الانفطار فإذا سألنا عن معنى الصورة المركبة في الآية فيقول النبي (إذا أراد الله جل ذكره أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار مائه في كل عرق وعصب منها فإذا كان يوم السابع أحضر الله عز وجل له كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ: في أي صورة ما شاء ركبك) رواه الطبراني في المعاجم الثلاثة وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات وصححه الألباني.

والنبي هنا لم يقل إن الصورة هي الشكل الخارجي ولكن شرح كيفية تركيب صورة الإنسان في النطفة أي ما منه التقدير الوراثي وذلك من ماء الرجل الذي يطير في كل عرق من المرأة وهو كناية عن ما منه النسب في المرأة وهو البويضة فإذا تكونت النطفة الأمشاج كانت هي المسؤولة عن شكل وشبه الجنين لأقاربه من لدن أبيه وأمه حتى آدم عليه السلام. ويؤكد هذا التفسير معنى التركيب في لغة العرب في لسان العرب وتاج العروس (رَكَّبَ الشيءَ وَضَعَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ كَالْفَصِّ يُرَكَّبُ فِي كِفَّةِ الْخَاتَمِ) وقال ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل: (التركيب إجمالاً يراد به تركيب شيء من أجزاء كانت متفرقة فاجتمعت كتركيب الأدوية من أجزاء متفرقة وتركيب الباب في موضعه. وقال تعالى: (في أي صورة

ما شاء ربك) ومعلوم أن الإنسان لم تتفرق أعضائه قط في الرحم فاجتمعت بل خلقه الله من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة ولكن الذي كان متفرقا فركبه الله هو الأمشاج التي كانت متفرقة فجمعها الله معا في النطفة الأمشاج).

٣. الخلق لأدم والتصوير للذرية (التصوير هو انتقال الصفات الوراثية)

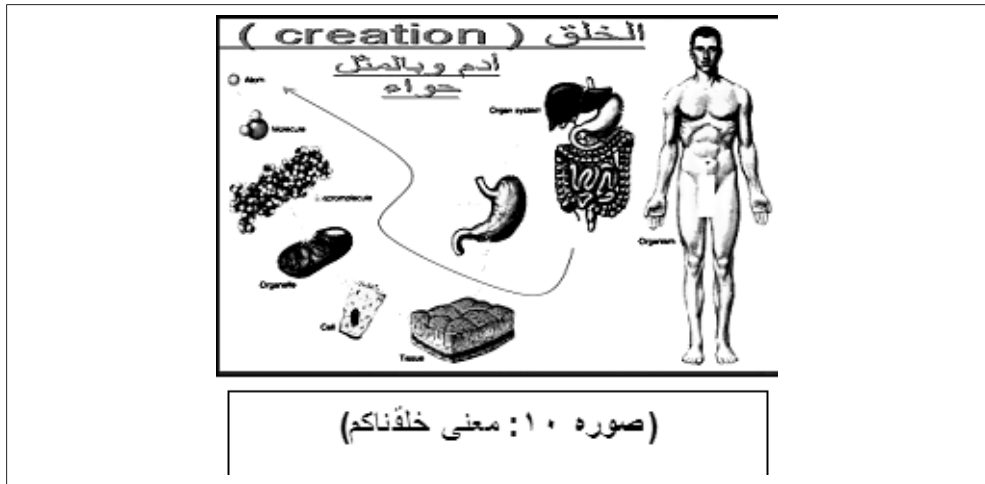
قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) ١١ الأعراف. اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية، فقال فريق منهم الطبري وابن كثير المخاطب في الآية آدم فقط وليس الذرية لأن الخطاب قبل السجود لأدم وهو لم يتزوج من حواء ولا توجد ذرية فقالوا (خَلَقْنَاكُمْ) أي خلقنا آدم و(صَوَّرْنَاكُمْ) بتصويرنا لأدم، وإنما قيل ذلك بالجمع تعظيما لأدم لأنه أبو البشر.

وغاب عن أصحاب هذا القول أن ذرية آدم تخلق في الأصلاب بخلق الخلايا الجنسية قبل الخلق في الأرحام قال تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ } ٥-٧ الطارق وفي الحديث (أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان (يعني عرفة) فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال: ألسن بربكم قالوا: بلى شهدنا) رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني.

وكنن أظن أنني أول من قال بأن الجمع في (خَلَقْنَاكُمْ) يدل على آدم وحواء والذرية المخلوقة في الأصلاب، وأن التصوير هو تصوير الذرية من آدم وحواء في الأصلاب، إلا أنني وبفضل الله وجدت أن هذا الرأي قد سبقني إليه بعض كبار المفسرين كالقرطبي والشوكاني نقلا عن أقوال العديد من السلف الصالح وعلى رأسهم ابن عباس، حيث قالوا بأن الذرية خلقت وصورت قبل السجود لأدم كما هو ظاهر من سياق الآية (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ)، فقالوا (خلقناكم) أي خلقنا آدم و(صورناكم) أي صورنا الذرية.

* معنى (ولقد خلقناكم) في الآية (صوره ١٠):

الواو للابتداء أي بدأ الله خلقنا بخلق آدم بكل صفاته الجسدية بما في ذلك الخصية التي تحتوي الخلية الجنسية المكونة للمشيح الذكري. وبالمثل خلق الله حواء وخلق فيها المبيض الذي يحتوي على الخلية الجنسية المكونة للمشيح الأنثوي والخلايا الجنسية هي بداية خلق أمشاج الذرية في الأصلاب.



* معنى (ثم صورناكم) وارتباط اسم الله المصور بإيجاد الحمض النووي (صورة ١١):

أولاً: تصوير آدم وبالمثل حواء: قال القرطبي والشوكاني وابن منظور في لسان العرب (أصل اشتقاق الصورة من صاره إلى كذا إذا أماله فالصورة مائلة إلى شبه وهيئة). وهذا التعريف يعطينا فكرة -محددة- عن التصوير وهي أن لكل صورة أصل تصور منه. وقد قال تعالى عن نفسه أنه المصور وآلة التصوير عنده كن فيكون فأين الأصل وأين الصورة في قوله تعالى: (خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ). وللإجابة عن ذلك هناك احتمالين:

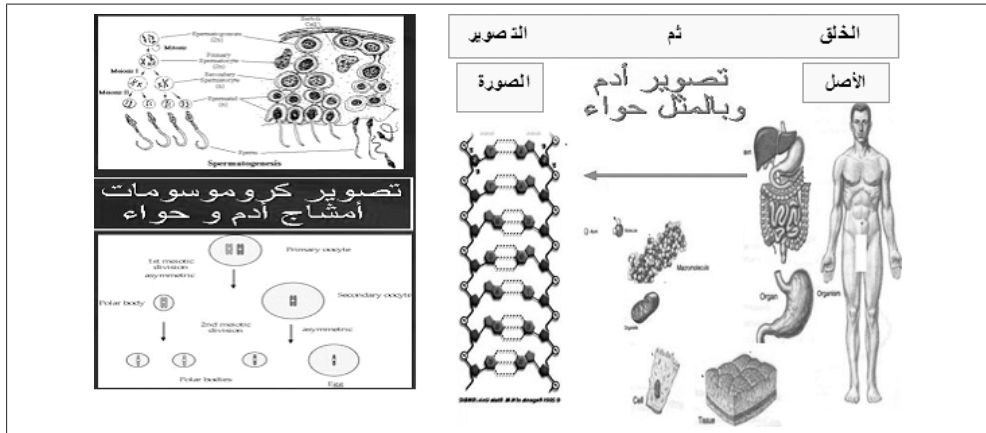
الاحتمال الأول: وهو خطأ بإذن الله

أن يكون آدم هو الشيء الذي يتم التصوير عليه لإعطائه شكله الخارجي وهذا الاحتمال

يوجب أن يكون هناك شيء آخر يتم تصوير آدم منه وهذا يعني أن آدم صورته لكائن آخر على شكل آدم وهذا المعنى يستحيل في حق الله لأنه يجعل آدم مخلوقاً على مثال سابق وقد نفى الله ذلك فقال {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً} مريم ٦٧.

الاحتمال الثاني: وهو الصحيح والله تعالى أعلى وأعلم

بعد أن خلق الله جسد آدم خلقاً كاملاً (الصفة الشكلية) صار آدم هو الأصل الذي يتم أخذ صورة له وليس الشيء الذي سوف يتم التصوير عليه ولذا قال تعالى (خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) ولذا فإن آدم ليس بصورة ولكن له صورة قد أخذت على مادة يتم التصوير عليها فما هي هذه المادة التي تحمل صورة طبق الأصل لآدم؟. أقول وبالله التوفيق. إن هذه المادة التي تحمل صورته طبق الأصل من آدم هي الحمض النووي الموجود بداخل خلايا جسم آدم (الصفة الجينية) ومن المعلوم أن الحمض النووي هو صورة طبق الأصل من صاحبه وقد استخدمت هذه الحقيقة في عملية استنساخ الكائنات الحية من الخلايا الخاصة بها ومثال ذلك النعجة دولي. والتصوير بهذه الكيفية يعطى الكمال لاسم الله المصور لأنه بذلك أوجد التقدير الوراثي لإيجاد الذرية في الأصلاب ثم في الأرحام.

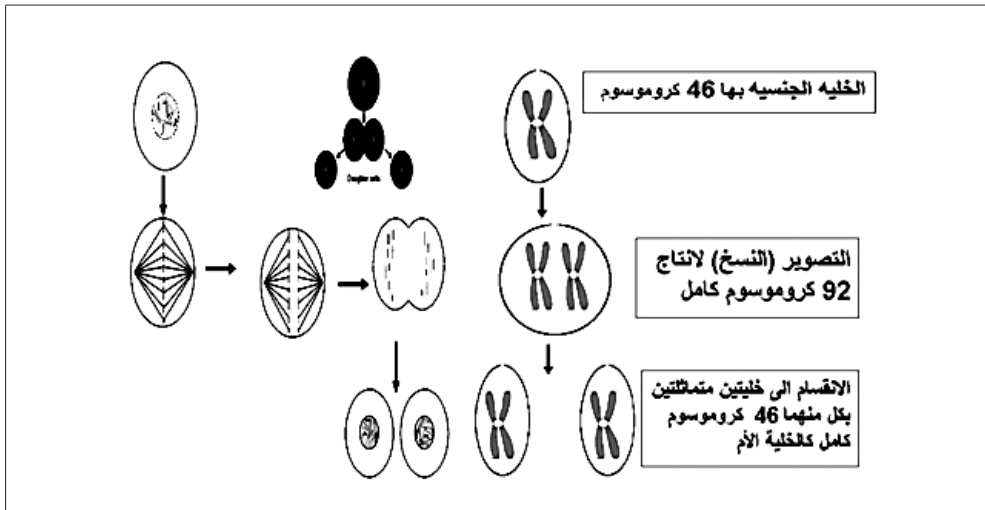


(صوره ١١): معنى صورناكم إيجاد صفة جينية لكل صفة شكلية في الخلايا الجسدية والجنسية.

تصوير أمشاج الذرية من الخلايا الجنسية في الأصلاب (Gametogenesis)

بما أن كلمة صورناكم في قوله تعالى: (خلقناكم ثم صورناكم) تتضمن تصوير الخلايا الجنسية لأدم وحواء والتي تمثل الأصل الذي تُصور منه الأمشاج، إذا فصورناكم تشمل تصوير الذرية من الخلايا الجنسية وذلك من خلال الانقسام الميوزي الذي يهدف إلى زيادة عدد الخلايا الجنسية وتكوين مخزون للمستقبل بالإضافة إلى تكوين الخلايا المشيجية الأولية المسؤولة عن إنتاج الأمشاج فيما بعد بالانقسام الميوزي.

في الانقسام الميوزي (صورة ١٢) يحدث تضاعف (تصوير) لكل كروموسوم في الخلية الجنسية إلى كروموسومين متماثلين بحيث تتضاعف ال ٤٦ كروموسوم إلى ٩٢ كروموسوم ثم تنقسم الخلية الجنسية إلى خليتين متماثلتين مع بعضها البعض ومع الخلية الأم (صورة طبق الأصل) وتحتوي كل منهما على ٤٦ كروموسوم.

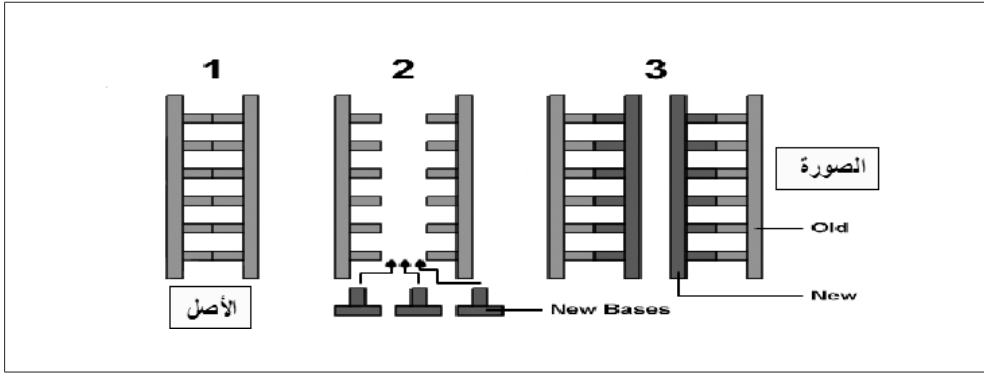


(صورة ١٢ : الانقسام الميوزي لإنتاج الخلية المشيجية الأولية كصورة من الخلية الجنسية)

آلية تصوير (نسخ أو تضاعف) الحمض النووي (صورة ١٣)

حتى يحدث تصوير (تضاعف) لجزيء الحمض النووي ينبغي توفر كميات كافية من النيوكليوتيدات الأربعة التي تدخل في تركيبة (A G C T) بالإضافة إلى إنزيم التضاعف (إنزيم بلمرة DNA)، وبعض الإنزيمات والبروتينات الأخرى اللازمة لإتمام العملية على المراحل الآتية:

١. تفصل سلسلتا جزيء الحمض النووي بعضها عن بعض، فتنحرف إلى سلاسل أحادية.
٢. يرتبط إنزيم التضاعف بالسلسلة الأحادية، ويقوم بوضع النيوكليوتيدات الواحدة تلو الأخرى بشكل متمم بحيث يتم وضع نيوكليوتيد T مقابل نيوكليوتيد A، ونيوكليوتيد G مقابل نيوكليوتيد C.
٣. ينتج من هذه العملية جزيئان كاملان من الحمض النووي، يحتوي كل منهما على سلسلة قديمة (أصل) وأخرى جديدة (صورة) والجزيئان الجديدان يمثلان صورة طبق الأصل من القديم.



(صورة ١٣ : آلية تصوير أو نسخ الحمض النووي لإيجاد صورة مماثلة)

واضح أن كلمة التصوير حسب المعنى اللغوي كافية جدا للتعبير عن تضاعف الحمض النووي فالتصوير يأتي بمعنى التخطيط والتشكيل وهو ما حدث من أجل انشاء نسخة جديدة من الحمض النووي كما أن التصوير يدل على المشابهة والمشكلة وبالفعل نسخة الحمض النووي المنتجة تمثل صورة مماثلة للأصل.

وصف الانقسام الميتوزي (Mitosis) في القرآن والسنة

لوصف هذا الانقسام في القرآن والسنة نحتاج إلى الكلمات الآتية:
الخلق لوصف إيجاد آدم وحواء (أصل الذرية)، ووصف إيجاد الذرية كخلايا جنسية في الخصية والمبيض (إيجاد الخلية الجنسية في الأصلاب)
التصوير لوصف نسخ كروموسومات الخلية الجنسية الأم إلى الخلايا الجديدة بصورة مماثلة كأنها عملية استنساخ للخلية الأم، أي أنه تصوير بدون تحسين (مماثلة الصورة للأصل).
(ثم) لوصف الترتيب (التصوير بعد الخلق) ولوصف التراخي بين الخلق والتصوير، حيث أن الخلية (أي خلية) لا تستطيع الانقسام والنسخ (التصوير) حتى تدخل في ما يسمى بمرحلة الإعداد للانقسام (مرحلة التزود بالزاد اللازم للانقسام = النيكلويدات).

هذه المواصفات تجتمع في قول الله تعالى:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) ١١ الأعراف.

فيكون معنى الآية أن الله قد ابتدأ خلقنا بخلق آدم ثم ابتدأ تصويرنا بتصوير آدم، فلا يصح خلقنا إلا بخلق آدم لأننا خلقنا كخلايا جنسية في صلب آدم ولا يصح تصويرنا إلا

بتصوير آدم لأن الله صور آدم على الحمض النووي الخاص به في الخلايا الجسدية والجنسية ثم صورنا من الحمض النووي للخلايا الجنسية وكل ذلك قبل سجود الملائكة لآدم.

ونلاحظ في هذه الآية أن الله لم يذكر حدوث تحسين فلم يقل (صورناكم فأحسننا صوركم) ليدل على أن الصورة الناتجة مطابقة للأصل فالتصوير في لغة العرب عندما يستخدم لوصف مقدار التشابه بين أصل وصورة فيصح كما أثبتنا أن يكون التشابه كلياً أو جزئياً وعليه فالتصوير في الآية السابقة جاء بالمعنى الأول في لغة العرب وهو التشابه الكلي بمعنى النسخ والتساوي. والدليل على صحة ما ذهبت إليه هو سياق الآية فإله أمر الملائكة بالسجود لآدم فقط من دون بنيه (اسجدوا لآدم) ولم يقل (اسجدوا لبنى آدم) أو (اسجدوا لكم)، بالرغم من وجود الذرية في صلبه عند السجود على هيئة خلايا جنسية وفي ذلك أكبر دليل على أن الآية تصف الانقسام الميتوزي الذي يعطى خلايا مماثلة للأصل فآدم عليه السلام في وقت السجود كان يحمل في خصيتيه خلايا جنسية ومشيجية أولية قادرة على إنتاج الذرية إلا أنها مماثلة لخلاياه الجسدية في التركيب الوراثي وإذا تم استنساخها في هذه المرحلة (قبل مرحلة الأمشاج) فلن تعطى إلا آدم وبالتالي فالذرية وجدت في صلب آدم قبل السجود كتقدير وراثي في الخلايا الجنسية القادرة على تكوين الأمشاج في المستقبل ولذا لم يشر الله إلى حدوث تحسين وراثي في هذه الآية فقال (خلقناكم ثم صورناكم) بدون تحسين.

وهنا تتجلى عبقرية القرطبي في تفسير هذه الآية حين قال (بدأ الله خلقكم أيها الناس بآدم {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ} وحواء {خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} وخلق الذرية منهما في الأصلاب بخلق الأمشاج التي تحمل التقدير لخلقكم وتصويركم في الأرحام ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم).

رابعاً: الأسس العلمية لاختبار البصمة الوراثية في القرآن والسنة

البصمة الوراثية من الناحية العلمية

البصمة الوراثية هي الحمض النووي (DNA) أو المادة الوراثية الموجودة في نواة جميع خلايا الكائنات الحية، وهي التي تجعلني وتجعلك مختلفاً عن الآخر، لأنها تعطي جسدي وجسدك صفاته الوراثية الخاصة به (كاللون أو الطول) وتحدد وظيفة كل خلية من خلايانا.

لم يعرف الحمض النووي كبصمة وراثية مميزة لكل فرد إلا عام ١٩٨٤ حينما نشر د. «آليك جيفريز» عالم الوراثة بجامعة «ليستر» بلندن بحثاً أوضح فيه أن المادة الوراثية قد تتكرر عدة مرات، وتعيد نفسها في تتابعات عشوائية غير مفهومة ثم اتضح له أن هذه التتابعات مميزة لكل فرد، ولا يمكن أن تتشابه بين اثنين إلا في حالات التوائم المتماثلة فقط وأطلق على هذه التتابعات اسم «البصمة الوراثية للإنسان»، وعرفت على أنها «وسيلة من وسائل التعرف على الشخص عن طريق مقارنة مقاطع الحمض النووي.

قام د. «آليك» أيضاً بدراسة على إحدى العائلات يختبر فيها توريث هذه البصمة، وتبين له أن الأبناء يحملون خطوطاً مميزة يجيء نصفها من الأم (٢٣ كروموسوم)، والنصف الآخر من الأب (٢٣ كروموسوم)، وهي مع بساطتها تختلف من شخص لآخر. وتبين أنه يمكن فصل كروموسومات الأم عن الأب بحيث يمكن استخدام كروموسومات الأب في اختبارات النسب (إثبات أونفي البنوة) وذلك بمقارنة كروموسومات الأب المفصولة من خلايا الابن بكروموسومات أي رجل لمعرفة ما إذا كان أباه أم لا وكذا يمكن مقارنة كروموسومات الأم المفصولة من خلايا الابن بكروموسومات أي امرأة لمعرفة ما إذا كانت أمه أم لا.

ويكفي لاختبار البصمة الوراثية نقطة دم صغيرة؛ أو شعرة أو ما شابه ذلك لذا فإن اللسان قد يكذب وبصمة الأصابع قد تزال بسهولة، ولكن بصمة الـ «(DNA)» يستحيل أن تكذب وأن تزال من ورائك.

واختصاراً يمكن تحديد الأسس العلمية التي تقوم عليها البصمة الوراثية كالآتي:

١. لكل إنسان حمض نووي يحمل الصفات الوراثية الخاصة بجسده وهو صورة مطابقة

- للجسد (بصمة الجسد البشري) وينتقل الحمض النووي من الآباء إلى الأبناء عبر الأمشاج وبالتالي فكل أفراد الجنس البشري يملكون الحمض النووي البشري.
٢. يمكن فصل الحمض النووي من أي خلية واستخدامه كصورة حسنة تدل على أصلها (صاحب الصورة).
٣. لكل نوع من الكائنات الحية البصمة الوراثية المميزة له عن سائر الكائنات الحية فالإنسان غير الحيوان غير النبات غير الكائنات الدقيقة وبالتالي يمكن التعرف على هوية أي خلية (بصمة النوع).
٤. لا يمكن أن يتشابه الحمض النووي لفردين من نفس الجنس البشري وذلك لحدوث تحسين وراثي للحمض النووي في أثناء انتقاله من الآباء إلى الأبناء (البصمة الوراثية لكل فرد من أفراد النوع الواحد).
٥. الحمض النووي لذرية بني آدم يعتبر بمثابة صورة مركبة للجسد تتركب من نصفين أحدهما من الأب (٢٣ كروموسوم في الحيوان المنوي) والآخر من الأم (٢٣ كروموسوم في البويضة) ويمكن فصل النصفين عن بعضهما والتعرف على كروموسومات الأب والأم بسهولة (اختبار الأنساب أو البنوة).

وصف الأسس العلمية لاختبار البصمة الوراثية في القرآن والسنة

لقد سبق القرآن والسنة العلم الحديث في وضع تلك الأسس العلمية الخمسة السابقة للبصمة الوراثية قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان وهي بترتيب آيات المصحف كالآتي:

١. (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) ٦ آل عمران.
٢. (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) ١١ الأعراف.
٣. (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ) ٦٤ غافر.
٤. (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) ٢٤ الحشر.

٥. (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) ٢، ٣ التغابن.

٦. (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) ٧، ٨ الانفطار.

وإذا بدأنا بقول الله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) ٦ آل عمران نجد النبي صلى الله عليه وسلم يفسره بأنه التصوير من النطفة الأمشاج بقوله (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعين ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها) رواه مسلم.

وهنا بين صلى الله عليه وسلم أن هناك تصوير من النطفة قبل خلق الأعضاء وهو ما أسماه العلم الحديث نسخ الحمض النووي الموجود في النطفة وترجمته إلى أعضاء فالحمض النووي يعمل كقالب تصب عليه الذرية والاختلافات الواقعة بين البشر هي لاختلاف القالب الخاص بكل واحد.

فإذا سألنا عن والد الطفل المولود إذا كان مجهول النسب أو على نسبه نزاع لأجاب صلى الله عليه وسلم بقوله (الولد لصاحب الفراش) رواه البخاري أي للذي جامع في الفراش أي للذي أتت من صلبه النطفة لذا كان من اللازم أن نعرف من هو صاحب النطفة وكيف تكونت في صلبه وكيف نستدل عليه باختبار البصمة الوراثية. فجاء المولى تبارك وتعالى في القرآن بكل الأسس العلمية لاختبار البصمة الوراثية وبدقة متناهية لا تكون إلا من رب عليم وبلاغ من نبي لا ينطق عن الهوى.

وهذه الأسس العلمية بترتيب آيات التصوير في المصحف كالآتي:

١. الأساس الأول:

لكل إنسان حمض نووي يحمل الصفات الوراثية الخاصة بجسده وهو صورة مطابقة للجسد (بصمة الجسد البشرى) وينتقل الحمض النووي من الآباء إلى الأبناء عبر الأمشاج وبالتالي فكل أفراد الجنس البشرى يملكون الحمض النووي البشرى.

وهذا الأساس العلمي يوافق قول الله (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) ١١ الأعراف وقد سبق وبينت أن التصوير في هذه الآية يتحدث عن الحمض النووي والتقدير الوراثي لآدم وحواء والذرية في الأصلاب فبعد أن خلق الله جسد آدم خلقا كاملا (الصفة الشكلية) صار آدم هو الأصل الذي يتم أخذ صورة له وقلت بأن هذه الصورة المطابقة لجسد آدم هي الحمض النووي الموجود بداخل خلاياه (الصفة الجينية).

كما أشرت إلى كيفية خلق وتصوير الذرية في صلب آدم وحواء من خلال تحول الخلية الجنسية إلى خلايا مشيجية أولية من خلال الانقسام الميتوزي فيكون معنى الآية أن الله قد ابتداء خلقنا بخلق آدم ثم ابتداء تصويرنا بتصوير آدم، فلا يصح خلقنا إلا بخلق آدم لأننا خلقنا كخلايا جنسية في صلب آدم ولا يصح تصويرنا إلا بتصوير آدم لأن الله صور آدم على الحمض النووي الخاص به في الخلايا الجسدية والجنسية ثم صورنا من الحمض النووي للخلايا الجنسية وكل ذلك قبل سجود الملائكة لآدم.

فآدم عليه السلام في وقت السجود كان يحمل في خصيتيه خلايا جنسية ومشيحية أولية قادرة على إنتاج الذرية إلا أنها مماثلة لخلاياه الجسدية في التركيب الوراثي وإذا تم استنساخها في هذه المرحلة (قبل مرحلة الأمشاج) فلن تعطى إلا آدم وبالتالي فالذرية وجدت في صلب آدم قبل السجود كتقدير وراثي في الخلايا الجنسية القادرة على تكوين الأمشاج في المستقبل ولذا لم يشر الله إلى حدوث تحسين وراثي في هذه الآية فقال (خلقناكم ثم صورناكم) بدون تحسين.

والحاصل أن آدم وذريته صار لهم نفس الحمض النووي البشري والذي جعل هذا الحمض النووي يتغير من شخص إلى آخر بحيث تختلف الصفات الوراثية والشكلية من شخص إلى آخر هو حدوث التحسين الوراثي في مرحلة لاحقة تعرف بالانقسام الميتوزي وسوف أشرحها بعد قليل.

٢. الأساس الثاني :

يمكن فصل الحمض النووي من أي خلية واستخدامه كصورة حسنة تدل على أصلها (صاحب الصورة).

ووصف الحمض النووي بالصورة الحسنة نجده في قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ) ٦٤ غافر.

عندما بحثت عن قول للنبي أو قول لصحابي في تفسير هذه الآية فلم أجد وعندما نظرت إلى أقوال المفسرين نجدها تقريبا قد اجتمعت على أن التصوير هنا لوصف شكل الجسد حيث يقولون خلقكم فأحسن خلقكم أو خلقكم في أحسن صورة وقال الزجاج : خلقكم أحسن الحيوان كله.

وتفسير الآية بهذه الكيفية يجعلها تكراراً بلا فائدة والقرآن لا تكرر فيه إلا بفائدة عظيمة وما يجعلني أقول إنه تكرر هو تفسير السلف لقول الله {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ} {التين} ٤ قال المفسرون كالطبري نقلا عن ابن عباس ومجاهد في أعدل خلق وقال قتادة والكلبي في أحسن صورة وعن ابن عباس أنه قال أيضا خلق كل شيء منكبا على وجهه إلا الإنسان (انتهى).

وتفسير حسن التصوير بشكل الجسد فقط يخالف ما شاهدناه من فهم النبي والصحابة لآية (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) وآية (هو الذي يصوركم في الأرحام) حيث رأينا كيف أن من معاني التصوير انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الذرية عبر الأمشاج كما أنه يخالف الواقع الذي نحياه من أن الأشكال منها الحسن والقيح فليس من الإنصاف للجميل أن يقال للقيح أنه حسن الصورة ولكن الإنصاف أن يقال إن القبيح حسن التقويم إذا قورن بأي كائن آخر غير الإنسان فهو أحسن منه تقويماً.

ولذا أرى والله أعلم أن نحمل فهم هذه الآية على فهمنا لآية (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) وآية (هو الذي يصوركم في الأرحام) فيكون المقصود من (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ) ٦٤ غافر هو وصف العلاقة بين الجسد (الأصل) والحمض النووي (الصورة)

بأنه تصوير حسن فالحمض النووي يطلق عليه صورة حسنة لأنها تطابق صاحبها وتدل عليه فالصورة مساوية للخلقة (خلقناكم ثم صورناكم) فجاءت الصورة حسنة أي دالة على الخلقة.

٣. الأساس الثالث:

لكل نوع من الكائنات الحية البصمة الوراثية المميزة له عن سائر الكائنات الحية فالإنسان غير الحيوان وغير النبات وغير الكائنات الدقيقة وبالتالي يمكن التعرف على هوية أي خلية (بصمة النوع).

وهذا المعنى نجده في قول الله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) ٢٤ الحشر فالله خالق كل المخلوقات؛ الحية منها والجمادات. وهو الذي جعل لكل كائن من الكائنات الحية الصفات الشكلية المميزة. وجعل لها الحمض النووي المميز (الصورة المميزة). فمع أن الحمض النووي يتركب من عدة مركبات كيميائية ثابتة في كل الكائنات الحية، إلا أن لها تخطيطاً وتشكيلاً (ترتيب) معيناً يختلف من كائن إلى آخر، بحيث لا نجد كائنين لهما نفس الحمض النووي؛ بل لا نجد فردين من نفس النوع لهما نفس الحمض النووي. فكل مخلوق له حمض نووي خاص كما أن له صورة شكلية خاصة، ولذا يطلق على الله المصور كما يقول لسان العرب (المصور هو الذي صَوَّرَ جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة يتميز بها على كثرتها).

٤. الأساس الرابع:

لا يمكن أن يتشابه الحمض النووي لفردين من نفس الجنس البشري؛ وذلك لحدوث تحسين وراثي للحمض النووي في أثناء انتقاله من الآباء إلى الأبناء (البصمة الوراثية لكل فرد من أفراد النوع الواحد).

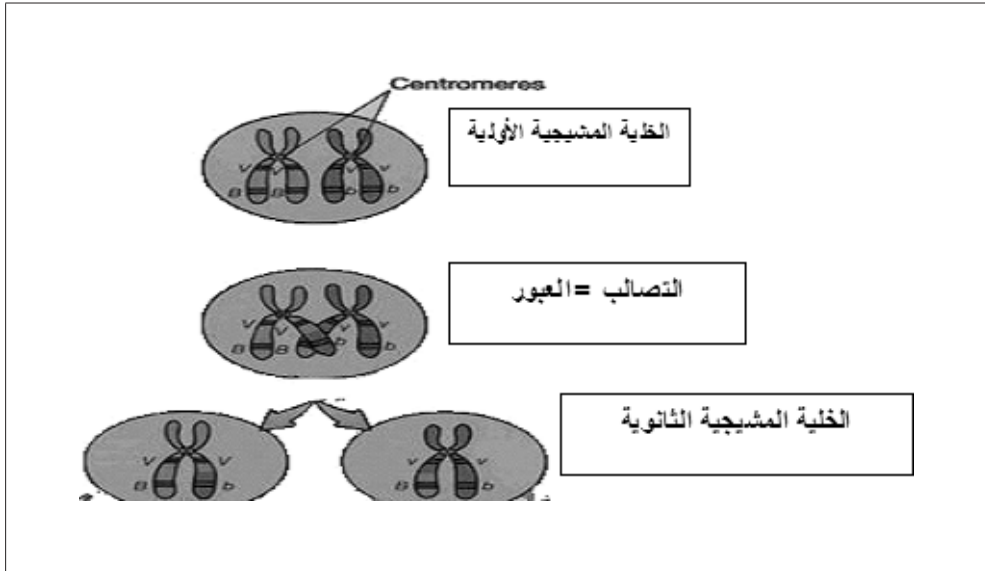
وهذه الحقيقة العلمية نجدها في قول الله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ

مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) ٢، ٣ التغابن.

وهذه الآية تربط بين الخلق على اختلاف أنواعهم وبين التصوير كآلية تصف كيفية التحسين الوراثي المسؤول عن اختلاف الصفات الوراثية بين أفراد النوع الواحد وذلك من خلال الانقسام الاختزالي (الميوزي).

العلم الحديث حين يتكلم عن تحسين النسل يقول: بأن اختلاف الصفات الشكلية لا يأتي إلا من اختلاف الصفات الجينية بين الحمض النووي للأباء والأبناء، وذلك بسبب زواج كروموسومات الخلايا الجنسية للأباء مع بعضها البعض في أثناء تكوين الأمشاج بالانقسام الميوزي (الاختزالي) الذي يحدث كالاتي (صورة ١٤):

تنقسم الخلية المشيحية الأولية الناتجة من الخلايا الجنسية إلى خليتين كل منهما تحتوي على ٢٣ كروموسوم فردي كامل وتسمى الخلية المشيحية الثانوية مع العلم بأنه أثناء هذا الانقسام يحدث زواج مع تبادل لبعض الجينات بين كل كروموسومين من الكروموسومات الزوجية المتماثلة في الشكل وهذا ما يعرف في الوراثة باسم التصالب (كيازما) أو العبور (CHISMATA = Cross over). والتصالب يؤدي إلى تحسين النسل حيث ينشأ عنه اختلاف في صفات الأمشاج الجينية عن بعضها البعض وعن الأصل بحيث لا يشبه الأبناء الآباء ويختلف البشر عن بعضهم.



(صورة ١٤ . الإنقسام الميوزي الأول وتحسين النسل)

وصف الإنقسام الاختزالي الأول في القرآن والسنة :

لوصف هذا الإنقسام نحتاج إلى الكلمات الآتية:

- الخلق : لوصف الإيجاد والزيادة في عدد الخلايا (خلية واحده تتحول إلى خليتين)
- التصوير: لوصف حدوث التصالب والتزاوج بين الكروموسومات وتبادل الجينات
- ناتج عملية التصالب وهو التحسين الفوري في صور الأبناء عن الآباء (العطف بالفاء)
- وصف العلاقة بين الخلق والتصوير بالمصاحبة فنربط بينهما بحرف العطف (الواو)

هذه المواصفات تجتمع في قول الله: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ * خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿ التغابن ٣٠٢ .

وفي الحديث الصحيح الموافق للآية (سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صورته).
وحديث : (سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صورهُ)

وبالرجوع إلى لسان العرب نجد أن من معاني (أَحْسَنَ) بتسكين الحاء وفتح السين والنون هو (حَسَّنَ) بتشديد السين بمعنى التحسين، وعليه فإن الآية جاءت لتصف التصوير الوراثي المسؤول عن تحسين صور الذرية بحيث لا تشابه الآباء والذي يحدث في الانقسام الميوزي المشتمل على التصالب.

وفي حديث (سجد وجهي للذي خلقه وصوره) رواه مسلم نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل للوجه عدة صور وليست صورة واحدة فقال (فأحسن صورهُ) ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يقصد شكل الوجه لقال (وخلقه فأحسن خلقه) كما قال تعالى: (الذي أحسن كل شيء خلقه) أو على الأقل يستخدم المفرد (فأحسن صورته) لأن الوجه له صورة واحدة وليست عدة صور أما الوصف بالجمع (فأحسن صورهُ) فذلك لأن التصوير يدل على وجود أصل للوجه يُصور منه وهو الحمض النووي والوجه لا يصور من جين واحد ولكن من عدة جينات وحيث إن كل جين يمثل صورة لجزء معين من الوجه فبالتالي يكون للوجه عدة صور وليس صورة واحدة.

آلية عملية التصالب والتحسين الوراثي

العلم الحديث حين يصف عملية التصالب يقول إنها تمر بالخطوات الآتية (صورة ١٥):

في كل زوج من الكروموسومات الزوجية المتماثلة يحدث ميل لأحدهما ناحية الآخر

التعاقب بين كل كروموسومين من الكروموسومات الزوجية المتماثلة في الشكل

تكثف بعض من أجزاء الكروموسومات المتعاقبة ليتكون عليها عقد (loop = Knob)

قريبة الشبه من شلة الخيط (Sloped skeins) المتصلة بخيط رفيع أو رأس الإنسان على

عنقه. تتأقلم العقد على أطراف الكروموسومات المتعاقبة (أو تتأقلم الرأس على العنق إذا

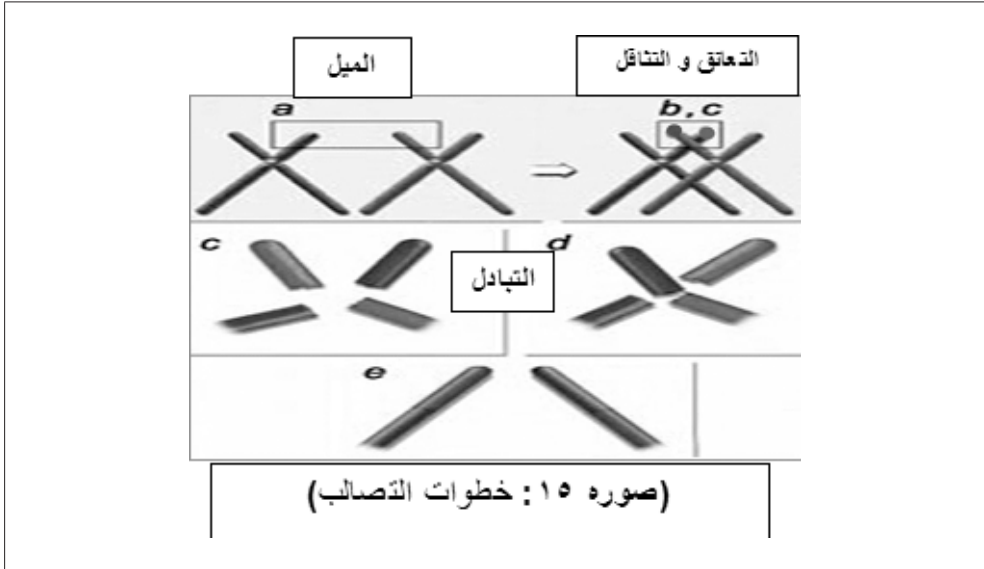
مالت جانبا)؛ هذا التآقلم عند أطراف الكروموسومات المتعاقبة يؤدي إلى حدوث توتر عند

العنق لا يزول إلا بحدوث تشققات عند العنق (Cracks) يتبعها دخول إنزيم قاطع يقطع

أطراف الكروموسومات المتعاقبة إلى قطع صغيره مع تبادل القطع بين الكروموسومات

المتعاقبة لكي ينشأ تغيير في صفات الأمشاج الجينية عن الأصل. هذا التفصيل الدقيق لم

يصل إليه العلم إلا بعد عام ٢٠٠٤.



التصوير التحسيني في القرآن والسنة أدق من كلمة التصالب أو العبور

لا توجد كلمة تصف أحداث عملية التصالب ككلمة (صَوْرَكُم) التي تأخذ عدة معانٍ في لغة العرب يكمل بعضها بعضاً من أجل وصف آلية التصالب وصفاً دقيقاً لا يقدر عليه البشر. فالصورة مشتقة من الصَوْرُ وهو الميل وذلك ما نجده في معاجم اللغة العربية **كلسان**

العرب وتاج العروس:

١. الصَوْرُ بالتحريك: الميل وصار الشيءَ صَوْرًا: أماله فمال وخص بعضهم به إمالة العنق والرجل يُصوِّرُ عُنُقَهُ إلى الشيء إذا مال نحوه بعنقه وصارَ وَجْهَهُ يُصوِّرُ: أقبل به.

٢. وفي حديث عكرمة: حَمَلَةُ العَرَشِ كُلُّهُم صُوْرٌ هو جمع أَصوْر وهو المائل العنق لثقل حِمْلِهِ.

٣. وصارَ الشَّيْءُ يَصُوْرُهُ صَوْرًا: قَطَعَهُ وَفَصَّلَهُ صُوْرَةً صُوْرَةً.

٤. وفي التنزيل (فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ) قال بعضهم: صُرُّهُنَّ: وجههن وصِرُّهُنَّ: قَطَعْنَهُنَّ وَشَقَّقْنَهُنَّ.

ومجموع هذه المعاني هو ملخص آلية التصالب الذي يحدث فيه ميل وتعانق للكروموزومات مع تشقق وتقطع لبعض أجزائها لثقل الحمل على بعض أجزائها ثم التحسين بتبادل الأجزاء المتقطعة بين الكروموسومات المتعانقة (صورة ١٥). ونلاحظ هنا أن التصوير جاء بالمعنى الثاني في لغة العرب وهو الاختلاف (حدوث تغيير في الصورة عن الأصل) وقد عرفنا سابقاً أن التصوير في اللغة العربية قد يراد به مطابقة الأصل فيكون بمعنى النسخ والتساوي كما أنه قد يراد به الاختلاف عن الأصل.

٥. الأساس الخامس:

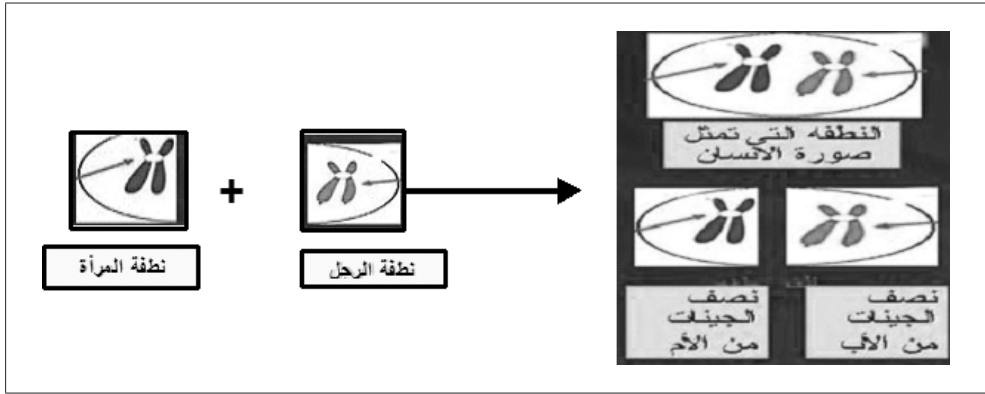
الحمض النووي لذرية بني آدم يعتبر بمثابة صورة مركبة للجسد تتركب من نصفين أحدهما من الأب (٢٣ كروموسوم في الحيوان المنوي) والآخر من الأم (٢٣ كروموسوم في البويضة) ويمكن فصل النصفين عن بعضهما والتعرف على كروموسومات الأب والأم بسهولة (اختبار البنية). وقد وصف الله البصمة الوراثية بالصورة المركبة في قوله تعالى:

(فِي أَيِّ صُوْرَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ) ٨ الانفطار.

وقد سبق أن قلنا بأن الإنسان لم تتفرق أعضائه قط في الرحم فاجتمعت بل خلقه الله من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة ولكن الذي كان متفرقا فركبه الله هو الأمشاج التي كانت متفرقة فجمعها الله معا في النطفة الأمشاج.

وهذه الصورة المركبة جعلها الله غاية في الحسن والدقة فهي بكاملها تدل على صاحبها دلالة قطعية لا تحتمل الشك، وهي بنصفها المتراكين تدل على الأصل الذي أخذت منه الصورة وهو الأبووان فالحمض النووي البشري يتكون من ٤٦ كروموسوم وهو العدد الذي يحتويه جميع خلايا الجسم ما عدا الأمشاج التي يحتوي كل منهما على ٢٣ كروموسوم فقط وعندما تتلاقى الأمشاج الذكرية والأنثوية يتكون الحمض النووي المركب (البصمة الوراثية).

وحيث إنه يمكن فصل كروموسومات الأب عن كروموسومات الأم في الحمض النووي للابن (صورة ١٦) وبناء عليه فإن إثبات النسب يأتي من خلال تحليل البصمة الجينية للابن وكذلك الأب والأم إذا كانت موجودة، ولكن ليس ضروريا وجود الأم، وفي هذه الحالة يكون هناك شراكة بنسبة ٥٠٪ بين الأب والابن في الجينات وهذا يعني إثبات البنوة، وفي حالة عدم توافر هذه الشراكة يمكن استبعاد نسب الابن إلى الأب، وبناء عليه يمكن التأكد من صحة النسب أو غيره.



(صورة ١٦ : الحمض النووي كصورة مركبة يدل على صاحب الفراش)

إذا فالبصمة الوراثية تعتبر رؤية غير مباشرة لأصحاب الفراش دون كشف للعورات فكما قلت في أول البحث إذا دخلت نطفة الرجل إلى نطفة المرأة فلا يمكن أن تغادرها إذا قدر الله منها الولد وبالتالي فإنه يمكن إمساك نطفة الوالد والتعرف عليها بداخل أي خلية من خلايا الولد وبالتالي يكون نسب الولد لصاحب النطفة أي صاحب الفراش وصدق من لا ينطق عن الهوى (الولد لصاحب الفراش) البخاري أي للذي جامع في الفراش وترك نطفته التي كان منها الولد.

خامساً : إثبات نسب الذرية البشرية إلى آدم بالبصمة الوراثية (بني آدم)

هناك ملاحظة غريبة لمن يتدبر القرآن وهي أن نسب البشرية لآدم في قوله تعالى: (بني آدم) مذكور في القرآن سبع مرات منها خمسة في الأعراف وواحدة في الإسراء وآخرها في يس، ولم تذكر قبل الأعراف ولومرة واحدة وهي بترتيب المصحف كالآتي:

١. { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا } الأعراف ٢٦

٢. { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ } الأعراف ٢٧

٣. { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ { الأعراف ٣١
٤. { يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي { الأعراف ٣٥
٥. { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ { الأعراف ١٧٢
٦. { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ { الإسراء ٧٠
٧. { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ { يس ٦٠

والسؤال هنا : لماذا لم تأت (بني آدم) قبل الأعراف ولماذا جاءت أغلب آيات (بني

آدم) في سورة الأعراف؟.

ألسنا بني آدم منذ أول آية في فاتحة الكتاب ألم نكن بني آدم عندما قال الله: (يا أيها الناس) في البقرة والنساء ألم نكن بني آدم عندما قال الله: (يا أيها الذين آمنوا) في البقرة والنساء وآل عمران؟.

أقول وبالله التوفيق وذلك لأن هذه اللفظة (بني آدم) تقيم النسب بين البشرية وآدم عليه السلام ولما كان النسب لا يقوم إلا على أساس الصفات الوراثية المتقلة من الآباء إلى الأبناء عبر الأمشاج المتكونة في الأصلاب ثم في الأرحام، لذا لم تأت (بني آدم) في القرآن إلا بعد أن وضع الله قانون توارث الصفات في الأرحام في سورة آل عمران (هو الذي يصوركم في الأرحام) ٣ آل عمران فالإنسان يأخذ صفاته الوراثية من النطفة الأمشاج في الأرحام فإذا سألنا عن صاحب النطفة الأمشاج الذي يؤول إليه نسب الذرية فالإجابة أنهم ينتسبون لمن تكونت نطفهم في صلبه لذا كانت الآية التالية التي تتحدث عن تصوير الأصلاب في الأعراف حيث وضع الله قانون توارث الصفات من آدم إلى ذريته في الأصلاب (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) ١١ الأعراف، فالصفات الوراثية للنطفة الأمشاج تتحدد بصفات الأمشاج المتكونة في الأصلاب عندما تتحول الخلايا الجنسية إلى أمشاج. فكأن الله يقول لنا لن تنسبوا إلى آدم إلا إذا صور الله نطفكم في صلب أبيكم آدم ثم صوركم في الأرحام.

وبعد أن بين الله كيف تنتسب إلى آدم بالحمض النووي والبصمة الوراثية جاءت أول آية في القرآن تنسب الذرية إلى آدم {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا} الأعراف ٢٦ لنعلم أن علاقة النسب علاقة وراثية تعتمد على الجينات.

هل يمكن استخدام البصمة الوراثية كبديل للقيافة ؟

بناءً على ما سبق يمكن القول بأنه «إذا كانت القيافة تعتمد على علامات الوراثة الظاهرة وهي طريق ظني فان البصمة الوراثية تعتمد على علامات باطنه وهي تحليل عوامل الوراثة المشتركة بين الولد والأب. لذا فإننا يمكن أن نعتبر البصمة الوراثية الـ «DNA» التي لا ظن فيها هي قيافة العصر».

وقد مال إلى هذا الرأي عدد من العلماء الذين قالوا بأن القيافة تعتمد على الشبه الظاهر وفيها قدر من الظن الغالب، أما البصمة الوراثية فهي تعتمد اعتماداً كلياً على بنية الخلية الجسمية الخفية وهي تكون من أي خلية في الجسم وتنتجها تكون قطعية لكونها مبنية على الحس والواقع .

وفي الحقيقة الأخذ بالبصمة الوراثية (الصفة الجينية) هو الأقوى وهي الأصل والقيافة (الصفة الشكلية) تابع لها، فالصفات الجينية للجين من الأبوين تتحد أولاً في النطفة الأمشاج قبل ترجمتها إلى الصفات الشكلية في الأرحام. وفي الحقيقة لا يمكن لإنسان أن يحيط بجميع الصفات الشكلية لإنسان ما فكما رأينا في حديث هلال بن أمية أن النبي صلى الله عليه وسلم اكتفى بثلاث صفات شكلية في ممارسته للقيافة. وهذه الصفات الشكلية الثلاثة لا تعبر إلا عن ثلاث صفات جينية على الحمض النووي وكلما رفعنا عدد الصفات الشكلية المستخدمة في المقارنة كلما أمكننا التعبير عن عدد أكبر من الصفات الجينية على الحمض النووي بينما إذا استخدمنا الحمض النووي (البصمة الوراثية) فانه يمكن لنا أن نحيط بكل الصفات الجينية مع العلم بأن لكل صفة شكلية صفة جينية مقابلة على الحمض النووي فكأننا بالبصمة الوراثية عقدنا مقارنة كاملة بين كل الصفات الشكلية للولد وأبيه ولكن من خلال الصفات الجينية المقابلة للصفات الشكلية.

الخاتمة

في زمن لم يكن فيه للعلم التجريبي وجود يُذكر أو آلة تُعرف ولم يكن بمقدور أي أحد معرفة كيف تُخلق الأجنة في بطون الأمهات أو كيف تنتقل الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء عبر الحمض النووي للنطفة الأمشاج في ذلك الزمن البعيد منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان جاء الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى بالحق المبين، وبالعلم اليقين؛ الذي لم يعرفه العلم الحديث إلا منذ أعوام قليلة فقرر أن ولد المرأة إذا حدث على نسبه نزاع فإنه يكون لصاحب الفراش أي للذي جامع في الفراش ثم بين لنا كيف نتعرف على صاحب الفراش دون هتك لستر أحد فبين كيف نستخدم أبرز الصفات الشكلية للجنين في التعرف على أبيه الحقيقي الذي جاءت منه النطفة من خلال القيافة المبنية على أسس علم الوراثة كما نعرفها في زماننا فأخبرنا صلى الله عليه وسلم عن الفرق بين الصفة الموروثة والصفة المكتسبة مبيناً أن هناك تصويراً من النطفة قبل خلق الأعضاء وهو ما أسماه العلم الحديث نسخ الحامض النووي الموجود في النطفة وترجمته إلى بروتينات الأعضاء. كما بين صلى الله عليه وسلم أن الصفات الموروثة تأتي من كلا الأبوين وبين أيضاً أن الصفات الوراثية للولد قد تميل إلى نطفة الأب أو نطفة الأم أو كليهما ولهذا أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بالشبه وبين سببه بل انه صلى الله عليه وسلم قد بين لنا أن الصفات الوراثية منها السائد والمتنحي وأن الصفة السائدة هي التي تستخدم في القيافة أما المتنحية فلا تستخدم.

وكما أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم بكيفية التعرف على صاحب الفراش باستخدام القيافة (علم مقارنة الصفات الشكلية) فقد أوحى إليه أيضاً بما سوف يكون في آخر الزمان من استخدام الناس للبصمة الوراثية (علم مقارنة الصفات الجينية) فالحمض النووي كبصمة يدل على صاحبه ويدل على أبويه ولا عجب في هذا الإخبار لأن الذي أوحى بالقرآن والسنة إلى نبي هذه الأمة هو الله العليم الخبير.

ولما كان الحمض النووي يعتبر بمثابة الصورة للجسد، فالتصوير هو أدق الألفاظ لوصف العلاقة بين الحمض النووي والجسد ولوصف انتقال الصفات الوراثية من

الآباء إلى الأبناء. وباستخدام كلمتي الخلق والتصوير بين لنا رب العزة في القرآن الأسس العلمية للبصمة الوراثية وشرح لنا العلاقة بين الحمض النووي والجسد فبين أن الحمض النووي يعتبر صورة مطابقة للجسد وأن الحمض النووي يطلق عليه صورة حسنة لأنها تطابق صاحبها وتدل عليه وأنه لا يوجد كائنات لهما نفس الحمض النووي، ولذا أطلق على نفسه اسم المصور أي (الذي صَوَّر جميع الموجودات وربتها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة يتميز بها على كثرتها). ثم بين لنا رب العزة أنه لا يمكن أن يتشابه الحمض النووي لفردين من نفس الجنس البشري لحدوث التصوير التحسيني. وختم رب العزة كلامه عن التصوير في القرآن بوصفه للحمض النووي لذرية بني آدم بأنه يعتبر بمثابة صورة مركبة للجسد نصفها من الأب والآخر من الأم ويمكن فصل النصفين عن بعضهما والتعرف على كروموسومات الأب والأم بسهولة (اختبار البنية). فالبصمة الوراثية تعتبر رؤية غير مباشرة لأصحاب الفراش دون كشف للعورات وتعتبر أقوى من القيافة، لأنها تمكننا من أن نحيط بكل الصفات الجينية فكأننا بالبصمة الوراثية عقدنا مقارنة كاملة بين كل الصفات الشكلية للولد وأبيه؛ ولكن من خلال الصفات الجينية المقابلة للصفات الشكلية. وختاماً أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يكون توفيقه قد أصاب كلامي فجعله سهلاً ميسور الوصول إلى القلوب قبل العقول وأن يكون فيه النفع العظيم لعلمائنا الأجلاء من أهل التخصص في الشريعة الإسلامية لكي يستفيدوا به في الحكم الصحيح على مشروعية استخدام البصمة الوراثية في إثبات النسب أو نفيه مع ضرورة التنبيه الشديد على أخذ كافة الاحتياطات اللازمة لمنع الخطأ والتلاعب بنتائج البصمة الوراثية.

المراجع

- القرآن الكريم
- تفسير ابن كثير
- تفسير القرطبي
- تفسير الطبري
- تفسير البيضاوي
- فتح القدير للشوكاني
- معاني القرآن الكريم بتحقيق محمد علي الصابوني
- مفردات القرآن للأصفهاني
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي
- التحرير والتنوير
- تفسير الرازي
- تفسير الكشاف
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- مسند الامام أحمد
- فتح الباري
- المستدرک للحاکم
- السلسلة الصحيحة للألباني
- مجمع الزوائد للهيثمى
- المغرب في ترتيب المغرب

- كتاب العين
 - المقصد الأسنى
 - تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي لمؤلفه : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري
 - أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة: د. محمود عبد الرازق
 - تأويل مختلف الحديث لمؤلفه : عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري
 - مختار الصحاح
 - لسان العرب
 - تاج العروس
 - معجم مقاييس اللغة
 - معجم لغة الفقهاء
 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
 - أحكام التصوير في الفقه الاسلامى : محمد بن احمد على واصل
 - علم الأجنه قى الكتاب والسنة. كيث مور (طبعة الهيئة العالميه للاعجاز العلمي)
 - مدخل لدراسة الهندسه الوراثيه. ا. د. محمد حافظ (كلية طب المنصوره)
 - علم الخلية للدكتور مكرم ضياء شكاره- دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة - عمان ١٩٩٩م
 - علم حياة الإنسان للأستاذ الدكتور مدحت حسين خليل محمد - جامعة الأزهر ١٩٩٨م
 - البصمة الوراثية ومدى مشروعية استخدامها في النسب والجنایة: عمر بن محمد السبيل (إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة أم القرى)
- <http://islamport.com/w/fqh/Web/4095/1.htm>

• موقع الوراثة الطبية (شبكة الانترنت)

Breaking Point (Biomechanics of chiasma). By Adam Summers, is an assistant professor of ecology and evolutionary biology and bioengineering at the University of California, Irvine. American museum of natural history September 2005.

DNA structure and recognition 1994 (book). Neidle, Stephen. IRL press
Technology From Genes to Genomes. Concepts and applications of DNA. 2002. Dale, Jeremy W and others.

Genetics. from genes to genomes 2000. Leland Hartwell and others

Genomes Modern Genetic Analysis 2002. Griffiths, Anthony J. F

Wikipedia, the free encyclopedia (<http://en.wikipedia.org/wiki>)

<http://www.answers.com/topic/imaging>



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

المسح على رأس اليتيم

د. مها يوسف جار الله الحسن الجار الله

جامعة الكويت - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم التفسير والحديث



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. وبعد :

فتحريك الأذهان والعقول في استنباط المعاني والحلول، والوقوف على الآيات والأحاديث الواردة في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هي غاية المطلوب في زماننا الحالي، بل هو المأمور به من الباحثين وطلبة العلم الشرعي في كل زمان .

لأنه لا يمكن الاعتماد على النقل والقراءة والفهم، دون الوقوف على الحكم التشريعية التي تميز بها ديننا الحنيف في تشريعه لكثير من الأحكام سواء كان حكماً مأمورون به أم فعلاً منهيون عنه، فالمعادلة هي :

تفكر ... تأمل + دراسة موزونة = استنباط سليم .

فاتجهت إلى العلي القدير في شهر رمضان الكريم من عام ١٤٣٠ هـ، بأن يفتح على مداركي بكتابة بحث جديد عن الإعجاز العلمي أخدم به ديني الحنيف، وأبين جماله وملاءمته لكل مكان وزمان بعد قراءتي لنشرة الحقيقة وإعلانها عن المؤتمر العاشر للإعجاز العلمي .

والحمد لله أن هداني المولى لكتابة هذا الموضوع (المسح على رأس اليتيم) وبدأت في السؤال لأرباب الأفهام في علوم الإعجاز، فأخبروني أنه لم يكتب فيه أحد، فعكفت عليه في البحث والمطالعة والقراءة والمتابعة، وتعقب أهل الاختصاص في الجانب النفسي والعلمي لتوثيق البحث بالدراسات والتجارب، فكان أن صدر بهذا الثوب بغية أن يجوز على رضا الرب وأن يفيد الخلق لما هو حق في دنيا الحياة .

وقد بينت فيه ما هو مطلوب في كل بحث، فكان أن قسمته على النحو التالي :

تمهيد وثلاثة مباحث .

التمهيد : الحكم التشريعية.

المبحث الأول: **حث المصطفى صلى الله عليه وسلم على المسح على رأس اليتيم وفيه مطلبان :**

المطلب الأول : الأحاديث الواردة في فضل المسح على رأس اليتيم .

المطلب الثاني : أقوال العلماء في شرح الحديث .

المبحث الثاني: **أثر المسح على رأس اليتيم على شخصه وفيه مطلبان :**

المطلب الأول : دراسات علمية عن أثر المسح .

المطلب الثاني : المعاني السامية في المسح على رأس اليتيم .

المبحث الثالث: **وجه الإعجاز في المسح على رأس اليتيم وفيه مطلبان :**

المطلب الأول : الإعجاز في المسح .

المطلب الثاني : الإعجاز في الأثر .

التمهيد

الحكم التشريعية :

تجلت قدرة الله سبحانه في تشريعه للأحكام الكونية والبشرية، من خلال ملاءمتها للخلق كافة إنسهم وجنهم، صغيرهم وكبيرهم، مؤمنهم وكافرهم، الذكور منهم والإناث، المنعم والمحروم، العاقل والمجنون، العالم والجاهل .

فهي ربانية من عليم حكيم، عليم بعباده وما هو صالح لهم وما هو شر عليهم، حكيم في تلك التشريعات وأبعادها للخلق كافة، وفي مواكبتها لحاجة الإنسان، حيث إن :

- مصدرها : أشرف دستور، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .
- وأثرها : فعال وقويم إن أحسن تطبيقها، القليل والجميع .
- وشموليتها : لجميع خلق الله .
- ومكانتها : رفيعة عند الباري جل في علاه .

فما من تشريع إلا وله حكمة قد يذكرها البارئ سبحانه وقد لا يذكرها، ويتركها للعبد يُسلم بها أولاً ويبحث عن علتها ثانياً، من خلال البحث والدراسة والتفكير والتأمل، فيها يحرك ذهنه وينشط عقله ... وكذلك يُسلم بنتائجها إن عثر عليها وتوصل إليها أو لم يعثر .

فالعليم جل في علمه سبحانه شرع للخلق ما يُناسب معاشهم في جميع أمورهم الحياتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية والعلمية.

والحكيم سبحانه وضع تلك التشريعات في نصابها وفي ميزان لا يخلت، مستقيم في توازنه عند حسن تطبيقه، سليم في عواقبه عند تنفيذه .

فالعبد بين الإيمان والتسليم بتلك الحكم التشريعية وبين البحث والتنقيب عن علة تلك الحكم التشريعية، حتى يزيد من قربه لله عز وجل، ويسعد في حياته لتنشيط ذهنه ومن حسن استغلاله لما يريد الله عز وجل .

المبحث الأول: حث المصطفى صلى الله عليه وسلم على المسح على رأس اليتيم

المطلب الأول: الأحاديث الواردة في فضل المسح على رأس اليتيم

ورد في فضل المسح على رأس اليتيم العديد من الأحاديث منها الصحيح والحسن والضعيف، وقد اعتمدت على الأحاديث الصحيحة والحسنة فقط، وهي:

الحديث الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال: «إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المساكين وامسح رأس اليتيم»^(١).

الحديث الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين»^(٢).

الحديث الثالث: عن أبي الدرداء قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يشكو قسوة قلبه قال: «أحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك: ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك»^(٣).

الحديث الرابع: عن عبد الله بن جعفر قال: لورأيتني وقثم وعبيد الله ابني عباس

(١) رواه أحمد في المسند، كتاب مسند المدنيين، باب حديث أبي هريرة ح (٧٥٦٦) ج (٢/٢٦٣)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، والبيهقي في السنن: ح (٧٣٤٥) ج (٤/٦٠)، ط الأولى، ١٣٤٤ هـ، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، وحسنه الألباني.

(٢) رواه أحمد في المسند في كتاب مسند المدنيين، باب حديث أبوهريرة ح (٩٠٠٦) ج (٢/٣٨٧). قال الألباني: حسن لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، (٢٥٤٥) (٢/٣٤١)، ط ٥، مكتبة المعارف، الرياض.

(٣) قال نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: رواه الطبراني وفي إسناده من لم يسم بيقية مدلس. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الأيتام والأرامل والمساكين ح (١٣٥٠٩) ج (٨/٢٩٣١)، ١٤١٢ هـ، دار الفكر، بيروت. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٨٤٢).

ونحن صبيان نلعبُ إذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابة فقال: « ارفعوا هذا إلي»، فجعلني أمامه، ثم قال لُقُتُم: « ارفعوا هذا إلي»، فجعله وراءه، وكان عبيد الله أحب إلى عباس من قُتُم، فما استحى من عمه أن حمل قُتُمًا وتركه، قال: ثم مسح على رأسي ثلاثاً، وقال كلما مسح: « اللهم اخلف جعفرًا في ولده » قال: قلت لعبدالله: ما فعل قُتُم؟ قال: استشهد، قلت: الله أعلم بالخير ورسوله بالخير، قال: أجل^(١).

المطلب الثاني: أقوال العلماء في شرح الأحاديث

* الفرع الأول : مصطلحات البحث

المَسْحُ : إمرارك يدك على الشيء السائل أو المتلطح تريد إذهابه بذلك كمسحك رأسك من الماء وجبينك من الرش^(٢).

ويقال : مسح رأسه أمرّ يده عليه، ومسح يده على رأس اليتيم^(٣) على تضمين معنى أمرّ وأما : " مسح برأسه"^(٤). فعلى القلب أو على طريق قوله تعالى: (وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي)^(٥).

والمسح إمرار اليد على الشيء وإزالة الأثر عنه وقد يستعمل في كل واحد منهما، والمسح في تعريف الشرع إمرار اليد مبتلة بلا تسيل^(٦).

(١) أخرجه أحمد في المسند، كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة، باب حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما (١٧٦٠) ج (١/ ٢٠٥)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا مات له ميت ح (١٠٩١٢) ج (٦/ ٢٦٥)، والحاكم في المستدرک کتاب الجنائز، وقال : صحيح، ووافقه الذهبي (١/ ٥٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجنائز، باب ما يستحب من مسح رأس اليتيم وإكرامه ح (٧٣٤٤) ج (٤/ ٦٠) وإسناده حسن.

(٢) محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي، لسان العرب (٢/ ٥٩٣)، ط الأولى، دار صادر، بيروت، علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي (٣/ ٢١٨)، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م، بيروت.

(٣) محمود بن عمرو الزمخشري، أساس البلاغة، (١/ ٤٤٤)، المكتبة العصرية، بيروت.

(٤) أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، (٢/ ٢٦٦)، ط الأولى، ١٩٧٩ م، مكتبة أسامة بن زيد، حلب.

(٥) الأحقاف: ١٥.

(٦) محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ص ٦٥٥، ط الأولى، ١٤١٠ هـ، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر، دمشق.

وسمي المسيح عيسى ابن مريم مسيحاً على وزن فَعِيل بمعنى فاعل، فعول منه مبالغة، قيل: لأنه كان يمسح رأس اليتيم^(١).

وقد ذكرت تعريف اللمس، وإن لم يرد ذكره في الأحاديث الآنفة الذكر، وذلك لكثرة ورود هذا اللفظ في النظريات والدراسات العلمية التي سيتم الاستشهاد بها لاحقاً، ولبيان وجه التقارب بين كلا اللفظين.

فَاللَّمْسُ : هو الجَسُّ، وقيل اللمس : المسُّ باليد، لَمَسَهُ يَلْمِسُهُ وَيَلْمُسُهُ لَمْسًا وَلَا مَسَّهُ، وقال ابن الأعرابي : لَمَسْتُهُ لَمْسًا وَلَا مَسْتُهُ مَلَامَسَةً، ويفرق بينهما فيقال : اللمس قد يكون مس الشيء بالشيء ويكون معرفة الشيء وإن لم يكن ثم مس لجوهر على جوهر، والملامسة أكثر ما جاءت بين اثنين^(٢).

واللمس قوة مثبتة في جميع البدن تدرك بها الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، ونحوها عند الاتصال به.

وقال ابن دريد : أصل اللمس باليد ليعرف مس الشيء، ثم كثر حتى صار اللمس لكل طالب^(٣).

قال ابن جنى : ولا بد مع اللمس من إمرار اليد وتحريكها على الملموس ولو كان حائل لاستوقفت به عنده^(٤).

ولم أجد من أصحاب اللغة من فرق بين المسح واللمس، إلا أن تعريف كل منهما يختلف عن الآخر، حيث أدركت من خلال كلا التعريفين أن القاسم المشترك بينهما هو إمرار اليد على الملموس أو الممسوح، وأن اليد هي الأداة المهمة في المسح أو اللمس، وأما الفارق بينهما فهو أن المسح يكون مصحوباً بإزالة شيء، هذا ما لم يضمن معنى الإمرار، وأما اللمس فإنها

(١) أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض (٢٢٣/٥)، ط الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) لسان العرب (٢٠٩/٦).

(٣) التوقيف في مهات التعاريف، ص ٦٢٦.

(٤) أبو الفتح عثمان بن جنى، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (١٣٨/٢)، عالم الكتب، بيروت.

يكون ليعرف اللين من الخشونة، والحرارة من البرودة، وكذلك أن اللمس من الممكن أن يتحقق بالأنامل بينما المسح لا بد فيه من كف اليد .

وأما اليتيم : الانفراد، واليتيم : الفرد، واليتيم، واليتيم فقدان الأب حين الحاجة، ولذلك أثبتته مثبت في الذكر إلى البلوغ، والأنثى إلى الثوبه، لبقاء حاجتها بعد البلوغ .

وقال ابن السكيت : اليتيم في الناس من قبل الأب . وفي البهائم من قبل الأم، ولا يقال من فقد الأم من الناس : يتيم ولكن مقطوع^(١) .

وقال المفضل : أصل اليتيم الغفلة، وسمي اليتيم يتيماً ؛ لأنه تغافل عن بره، وقال أبو عمر : اليتيم : الإبطاء، ومنه أخذ اليتيم ؛ لأن البر يبطئ عنه .

والأنثى يتيمة، وإذا بلغ زال عنها اسم اليتيم حقيقة، وقد يطلق عليها مجازاً بعد البلوغ، كما كانوا يسمون النبي صلى الله عليه وسلم وهو كبير " يتيم أبي طالب " ؛ لأنه رباه بعد موت أبيه وفي الحديث : " تستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فهو إذنها"^(٢)، أراد باليتيمة البكر البالغة التي مات أبوها قبل بلوغها فلزمها اسم اليتيم فدعيت به وهي بالغة مجازاً^(٣) .

واليتيم : هو المنفرد عن الأب ؛ لأن نفقته عليه لا على الأم، وفي البهائم اليتيم : هو المنفرد عن الأم ؛ لأن اللبن والأطعمة منها^(٤) .

فالخاص من كل ما ذكرنا أن اسم اليتيم بحسب أصل اللغة يتناول الصغير والكبير، إلا أنه بحسب العرف مختص بالصغير^(٥) .

(١) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (١٣٦/٢٤)، ١٩٩٤ م، دار الفكر، بيروت . أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق : عبد الحميد هندواوي (٥٢٩/٩)، ٢٠٠٠ م، دار الكتب العلمية، بيروت .

(٢) رواه أحمد في المسند، كتاب مسند المدنيين، باب حديث أبي هريرة ح (٧٥١٩) ج (٣٠٩/٧)، إسناده صحيح، شرحه : أحمد شاكر، ط الأولى، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م، دار الحديث، القاهرة .

(٣) لسان العرب (٦٤٥/١٢) .

(٤) حمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهات التعاريف، ص ٧٤٨، علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري، ص ٣٣١، ط الأولى، ١٤٠٥ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت .

(٥) محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي، المعروف بالفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي (٤٨٢/٩)، دار إحياء

* الفرع الثاني أقوال العلماء

معاني الألفاظ :

أتحب : استفهام فيه معنى الشرط، أي إن أحببت أيها الرجل الذي شكنا قسوة قلبه
أن يلين : يترطب ويتسهل، قال الزمخشري : من المجاز رجل لين الجانب ولان لقومه
 وألان لهم جناحه، وهولين الأعطاف وطمع الأكتاف .
تدرك حاجتك : أي تظفر بمطلوبك .

ارحم اليتيم : الذي مات أبوه فانفرد عنه، واليتيم الانفراد، ومنه الدرّة اليتيمة للمنفردة
 في صفاتها، ذلك بأن تعطف عليه وتحنوحنواً يقتضي التفضل عليه والإحسان إليه كناية عن
 مزيد الشفقة والتلطف به .

امسح رأسه : أي اليتيم - تطفلاً وإيناساً أي بالدهن إصلاحاً لشعره أو اليد^(١)، لما جاء في
 حديث عبد الله بن جعفر قال : لورأيتني وقُثم وعبيد الله ابني عباس ونحن صبيان نلعبُ إذ
 مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابة فقال : " ارفعوا هذا إلى " ، فجعلني أمامه، ثم قال
 لقُثم : " ارفعوا هذا إلى " ، فجعله وراءه، وكان عبيد الله أحب إلى عباس من قُثم، فما استحى
 من عمه أن حمل قُثماً وتركه، قال : ثم مسح على رأسي ثلاثاً، وقال كلما مسح : " اللهم اخلف
 جعفرأ في ولده " ، قال : قلت لعبدالله: ما فعل قُثم ؟ قال : استشهد، قلت : الله أعلم بالخير
 ورسوله بالخير، قال : أجل^(٢) .

طريقة المسح :

وقد ذكر العلماء طريقة المسح على رأس اليتيم، وهو أن يمسح رأسه من أعلاه إلى مقدمه
 وغيره بعكسه^(٣). روى البزار في البحر الزخار عن ابن عباس : اليتيم يمسح رأسه هكذا -

التراث العربي، بيروت .

(١) محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ضبطه وصححه : محمد عبد السلام (١/١٤١)، ط
 الأولى، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) سبق تخريجه، ص ٦ .

(٣) فيض القدير (١/١٤١) بتصرف .

ووصف صالح أنه وضع كفه وسط رأسه، ثم أحدرها إلى مقدمه أو إلى جبهته - ومن كان له أب هكذا - ووصف أنه وضع كفه على مقدم رأسه مما يلي جبهته، ثم أصعدّها إلى وسط رأسه" (١). وإن كان هذا الحديث محفوظاً إلا أنه فيه تنبيه إلى اختلاف طريقة المسح عند اليتيم وغيره من الصبيان .

ما يُقال له :

قال زين الحافظ العراقي : ورد في حديث ابن أبي أوفى : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه غلام معه أخت له فقال : يا رسول الله، غلام يتيم وأخت له يتيمة، أطعمنا مما أطعمك الله - عز وجل - أعطاك الله من عنده حتى ترضى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أحسن ما قلت يا غلام، يا بلال، اذهب إلى أهلنا فأتنا بما وجدت عندهم من طعام " . فأتاه بلال رضي الله عنه بإحدى وعشرين تمرة، قال : فوضعها في كفه صلى الله عليه وسلم، فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه، فرأينا أنه يدعو، فقال صلى الله عليه وسلم : " سبعا لك، وسبعا لأمك، وسبعا لأختك، تغد بتمرة وتعش بتمرة " - وكان الغلام من أبناء المهاجرين - فلما قام تبعه معاذ رضي الله عنه فوضع يده على رأسه فمسحه وقال : جبر الله يتمك يا غلام، وجعلك خلفا من أهلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قد رأيتك وما صنعت " . فقال : يا رسول الله، رحمة له . فقال صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده، لا يضم رجل يتيماً فيحسن ولايته، ثم يضع يده على رأسه إلا كتب الله - تبارك وتعالى - بكل شعرة حسنة، وكفر عنه بكل شعرة سيئة، ورفع له بكل شعرة درجة (٢) .

فيها دعاء جميل لليتيم أثناء المسح على رأسه، وتذكير له بوالده بأن يكون خلفاً له في الحياة بعد وفاته ... وفي ذلك تذكير له بالمهمة التي كان يقوم بها أبوه، خصوصاً إن كانت حسنة وخيرة .

(١) رواه البزار في البحر الزخار (١١/ ٤٠٢) وقال : محفوظ، وفيه) محمد بن سليمان لم يشاركه في هذه الرواية أحد، ط الأولى، دار الحكمة البيانية، صنعاء .

(٢) رواه البزار في البحر الزخار (٨/ ٣٠١) وقال : فيه فايد أبو الوراق ليس بالقوي، والهشيمي في مجمع الزوائد .

العلة في تخصيص الرأس بالمسح :

وخص الرأس بذلك ؛ لأن في المسح عليه تعظيماً لصاحبه وشفقة عليه ومحبة وجبراً لحاظه، وهذه كلها مع اليتيم تقتضي هذا الثواب الجزيل^(١).

وكذلك عظمة الإنسان في رأسه الذي يحوي معظم حواسه، وتفكيره ونظرته لمن حوله . وكما أن الرأس يحمل جميع المشاعر سواء الإيجابية أو السلبية، فعند المسح عليه يؤكد على تلك المشاعر الإيجابية فيه، ويطرد المشاعر السلبية عنه .

وعند حمل اليتيم أو مشيه على الأرض وهو صغير أعلى شيء فيه رأسه فيكون الرأس قريباً من الآخرين للمسح عليه .

عموميته لكل يتيم :

وتلك الحركة الجميلة لليتيم عامة لكل الأيتام، سواء كان كافله أم لا، وكذلك سواء كان مسلماً أو غير مسلم .

قال الطيبي : وهو عام في كل يتيم سواء كان عنده أو لا فيكرمه وهو كافله، أما إذا كان عنده فيلزمه أن يربيه تربية أبيه .

وقال المناوي : وإطلاق الأخبار شامل لأيتام الكفار، ولم أر من خصها بالمسلم^(٢).

وتلك من ميزات التشريع الإسلامي في حسن تعامله مع جميع البشر بغض النظر عن الديانة التي يعتنقونها، وهذا مما يعمق الأخوة الإنسانية والرحمة بين البشر بعضهم البعض .

التربية بالتضاد :

والمسح على رأس اليتيم له دور كبير في تقويم الأخلاق وتهذيبها، قال المناوي : وفيه أن من ابتلي بداء من الأخلاق الذميمة يكون تداركه بما يضاده من الدواء، فالتكبر يداوى

(١) ابن حجر الهيتمي، الفتاوى الحديثية، (٥٩/١)، ط ٣، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر .

(٢) فيض القدير (١/١٤٢) .

بالتواضع، والبخل بالسماحة، وقسوة القلب بالتعطف والرقّة^(١).

وهذا ما أشار إليه د. عبد الكريم زيدان، وأطلق عليه مسلك التضاد، أو المراجعة للشيطان ؛ لأن الشيطان يفرح لكل خلق رديء ويعمل على بقاءه في النفس ويزينه في عين صاحبه بما يليق من مبررات باطلة، فإذا قام الإنسان بعمل يناقض هذا الخلق ولا يتفق وما يقتضيه، كان ذلك بلا شك إغاظة للشيطان ومراجعة له، مما يدعوه إلى الكف عن تزوين هذا الخلق الرديء وعن نفث المبررات الباطلة له، فإذا خنس الشيطان أمكن لهذا العمل أن يززع كيان هذا الخلق الرديء أويقضي عليه، كما يقضي العلاج الفعال على المرض^(٢).

فالمعادلة خلق سيء يقاوم بخلق حسن يناقضه = إغاظة للشيطان .

تعزيز الخلق المناقض (الحسن) = القضاء على الخلق السيئ .

وتلك دعوة نبوية للعلاج بالتضاد لأي سلوك سيء أوقيح يشتكي منه الإنسان إلى علاجه ومقاومته بالتوجه إلى فعل سلوك حسن يناقض السلوك القبيح .

(١) فيض القدير (١/١٤٢) .

(٢) د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ١٠٢، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٢ م، مصر .

المبحث الثاني: أثر المسح على رأس اليتيم على شخصه

المطلب الأول: دراسات علمية عن أثر اللمس أو المسح

لا يختلف اثنان في أهمية اللمس في حياة الإنسان ونموه السليم، وعلاجه لكثير من الأمراض عن طريق لمس موضع الألم والمسح عليه، وكان هديه صلى الله عليه وسلم ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: " اللهم رب الناس أذهب البأس اشفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً"^(١)، واتبعه صحابته الكرام -ومن أتى بعدهم إلى يومنا هذا- على تلك الطريقة .

وحاجة الإنسان إلى اللمس لا تقتصر على المرحلة الأولى من عمره، بل يحتاج إليه الصبي والمراهق والزوج والزوجة والشيخ الكبير والأم العجوز... فالإنسان في حاجة ماسة لللمس في جميع مراحل حياته، وبسبب أهميته اعتبر أحد الحواس الخمس الضرورية للإنسان .

نظرية الملامسة (Proximity Theory) :

يرى "جون بولي" -وهو من منظري نظرية الملامسة والاتصال- أن علم التطور البيولوجي المعاصر يفرض علينا إعادة النظر في نظرية التحليل النفسي؛ فهو يرى أن الفرد يولد بنزعة تقوم على أساس بيولوجي لطلب الاقتراب الحامي (Proximity Protective) من الكبار خاصة الأم، ثم كلا الوالدين فيما بعد. وحسب هذه النظرية تعتمد شخصية الراشد فيما بعد على نوع الملامسة والاتصال التي حصل عليها في الفترات المبكرة من عمره، فهو يكون متعاوناً اجتماعياً متفاعلاً مع الآخرين إذا حصل على الملامسة في تلك الفترة،

(١) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الطب، باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم ح (٥٧٤٣)، ط الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م، بيت الأفكار الدولية، الرياض .

أما الذين لم يحصلوا عليها فيميلون إلى الانسحاب. هذا الأساس يمكن إرجاع السلوك السايكوباتي إلى اضطراب علاقات الحب أو الارتباط الانفعالي بين الأبناء ومن يرونهم^(١).

تطبيقات النظرية :

أولاً : على الحيوان :

١ - أثر اللمس على المخ وموجات الدماغ :

أثبتت دراسة في جامعة كولورادو الطبية (Colorado School Medicine) على القردة أن المخ السليم في اللمس السليم . وذلك من خلال تلك التجربة التي تم فيها حرمان قردة من لمس أمهم وترك قردة في حضن أمهاتهم؛ حيث وجد أن القردة التي حرمت من حضن أمها كان لديها تغيير في موجات الدماغ وخلل عام في الصحة، وحين يتم إعادة القرد إلى أمه كان كل شيء يعود إلى طبيعته بما فيه موجات الدماغ .

بعد فترة من تكرار التجربة وجد أن القردة التي عانت من تكرار حرمانها لمس أمها عانت بعض التخلف العقلي . وأن نسبة التخلف كانت أقل عند القرد الذي يلمس أمه من الحاجز الفاصل فيها^(٢). من خلال تلك التجربة يتبين لنا مدى تأثير اللمس على نمو الدماغ الصحي على الحيوان، وأن اللمس أثره يتخطى إلى أكثر الأعضاء أهمية في الجسم .

٢ - أثر اللمس على النضج والحركة والهرمونات :

في تجربة على الفئران وجد أن الفأر الصغير الذي حرم من لمس أمه ينضج بشكل أقل وأبطأ من الفأر الذي تلمسه أمه، كما أن هرمونات الفأر الملموس أفضل . أما حركته فهي كثيرة ومبتهجة قياساً على الفأر الذي لا يلمس والذي يكون منطوياً وكثيباً^(٣).

ووجد اختصاصي الأعصاب (Sual Schanberg) في تجارب على الأسماك والفئران

(١) أ.د. فضيلة عرفات محمد السبعوي، الخجل الاجتماعي، ص ١٦٤، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.

(٢) اللمس، ص ١٤٣، د. فوزية الدريع، ط ١، ٢٠٠٣ م، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت.

(٣) اللمس، ص ١٤٣.

وغيرها من الحيوانات، لسنوات طويلة من البحث أن المخلوقات التي لا يتم لمسها لا تنمو بشكل صحيح، وفي دراسته الدقيقة على هرمون النمو أكد أن هذا الهرمون الرئيس لا يعمل بشكل جيد إذا لم يتم لمس المخلوقات^(١).

٣ - دور اللمس في تحفيز أجهزة المناعة :

وأهمية الجلد واضحة عند مربّي المواشي والخيول الذين يكثرون من لمسها والترتيب عليها، والفلاحون يعرفون جيداً أن لحس أنثى البقر أو الغنم أو الماعز لوليدها مهم جداً لاستمرار حياته، وقد تبين فيما بعد أن الكثير من أمهات الثدييات تقوم بلحس صغارها عند ولادتها لتحفيز أجهزة معينة للعمل .

فقد أجريت بعض التجارب على توائم من الحيوانات (الماعز) حيث فصل عن الأم أحد التوأمين، بينما بقي الآخر معها طوال مدة طفولته، وقد لوحظ فرق كبير بين سلوك الحيوانين، إذ أن الحيوان الذي تربى مع أمه كان طليقاً في حركاته، بينما الثاني الذي تربى بعيداً عن أمه كان كسولاً متباطئاً يميل إلى العزلة^(٢).

٤ - دور اللمس في النضوج الاجتماعي والانفعالي :

في تجربة (هاري هارلو) من جامعة ديسكونسن الأمريكية، والتي أخذ فيها مجموعة من صغار القردة بعد ولادتها بحوالي من ٦ - ١٢ ساعة، ووضعها في حضانه نماذج لأمهات من السلك، لا تشعر معها بالارتياح والأمن، وأخذ مجموعة أخرى من القردة ووضعها في حضانه نماذج لأمهات من الخشب المكسوب بالبلاستيك والفرو، تشعر معها الصغار بالارتياح والأمن، وتجد وسيلة للاتصال عن طريق اللمس .

ومن متابعة نمو القردة في مراحل حياتها التالية، وجد الباحث أن المجموعة التي حرمت من العطف الأموي (أمهات السلك) فشلت في التفاعل الاجتماعي، وتأخرت في النضوج

(١) اللمس، ص ١٣٩ .

(٢) أ.د. صالح حسن الدايري، مبادئ علم النفس الارتقائي ونظرياته، ص ١١٩، ط الأولى ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان .

الاجتماعي والانفعالي، وعندما كبرت أصبحت أمهات عدوانيات غير قادرات على إعطاء العطف والحنان لصغارها، فكانت تعضها وتخربشها، وأحياناً تقسو عليها وتقتلها^(١).

ثانياً : على الإنسان :

١ - سرعة نضج الجهاز العصبي، والتشافي من الأمراض والالتهاب :

في دراسة على الأيتام في الحرب العالمية الثانية أجريت على الأطفال الرضع الأيتام الذين يتم لمسهم من قبل الممرضات والمعتنيات، مقارنة بالأطفال الذين تتوفر لهم نفس ظروف الغذاء والملبس والعناية الطبية ولكن بدون لمس^(٢)، وجدت هذه الدراسة أن الطفل الذي يلمس مقارنة بالطفل الذي لا يلمس، يزيد وزنه بمعدل ٤٧ بالمائة، وجهازه العصبي ينضج أسرع، ويكون أكثر نشاطاً، ويتشافي من الأمراض والالتهابات أسرع، وبعد أن يكبر قليلاً تكون نتائج الاختبارات العقلية والنفسية عنده أفضل .

تمت هذه الدراسة السابقة بعد ملاحظة واضحة على جناحين للأطفال الأيتام الصغار في بداية الحرب العالمية الثانية، حيث لوحظ أن جناحاً من الأجنحة التي فيها أطفال أيتام صغار يبدون أكثر صحة وأقل بكاءً من الأجنحة الأخرى التي فيها الأطفال الأيتام أكثر مرضاً وأكثر بكاءً؛ بل وأكثر وفيات .

كانت ملاحظة من طبيب على نسبة المرض والوفيات جعلته يدرس الفرق بين جناح الأطفال الصحي والأجنحة الأخرى التي تحوي أطفالاً غير صحيين .

ولم يرصد في الفروق إلا حضور امرأة عجوز واحدة متطوعة، هذه المرأة تحضر كل يوم لتحضن الأطفال الواحد تلو الآخر، أو تفتح ذراعيها وتلم أكبر قدر من الأطفال .

هذا الاحتضان، تلك اللمسة جعلتهم أفضل، وتتابع بعد ذلك الوقت دراسة علم دور اللمس في النمو السليم العام للطفل نفسياً، وعاطفياً، وبدنياً .

(١) د. كمال إبراهيم مرسبي، المدخل إلى علم الصحة النفسية، ص ٢٤١ - ٢٤٢، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨ م، دار القلم للنشر والتوزيع .

(٢) اللمس، ص ١١٧، ١١٨ .

٢ - ضعف السلوك العدواني وقلة المشاكل :

في دراسة للباحث اكريان (ackerman ١٩٩١) وجد أن الطفل الذي يحصل على مسح جيد من قبل أفراد أسرته يكون أقل عدوانية وأقل مشاكل في المدرسة والبيت قياساً على الطفل الذي لا يحصل على لمس والديه^(١).

وقد أثبت علم النفس أن لللمسات أثراً عميقاً في نفسية وسلوك الإنسان، واللمسات تعتبر وحدة الإدراك والاعتبار، أي هي الأساس لاعتبار الناس والاعتراف بوجودهم وإعطائهم قيمتهم .

منافع اللمس :

يفتقر المجتمع المعاصر للاتصال البشري، بالرغم من أن العالم أصبح قرية صغيرة، إلا أن العديد من الأشخاص يبعدون أنفسهم عن المحيط الاجتماعي مما يسبب العديد من المشاكل النفسية والصحية .

ومن الأمثلة التي تدل على أهمية التواصل الودي بين البشر، دراسة قام بها مجموعة من الباحثين الكوريين على مجموعة من الأطفال الرضع الأيتام، حيث عمدوا إلى زيادة فترة المداعبة والتواصل البصري، واللعب مع سيدات متطوعات لمدة ١٥ دقيقة، فكانت النتيجة أن زادت أوزان هؤلاء الأطفال، وأطواهم، ومحيط رأسهم خلال ٤ أسابيع وقلة أمراضهم مقارنة مع أطفال لم يتم إخضاعهم لهذه التجربة^(٢).

(١) اللمس، ص ١١٧ .

(٢) موقع إلكتروني . www.3.interscience.wiley.com

المطلب الثاني : المعاني السامية في المسح على رأس اليتيم

من خلال تطبيق الهدي النبوي في التعامل مع اليتيم، وذلك بالمسح على رأسه، تظهر لنا معاني سامية لا بد من الحرص عليها والعمل على تطبيقها لما تركه من أثر طيب على اليتيم والمجتمع الذي يعيش فيه .

أولها : التكافل المجتمعي :

ففي قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " ارحم اليتيم وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك"^(١)، أفعال لها دلالات عظيمة وآثار عديدة، ففيه : خلق الرحمة والملازمة وإطعام الطعام ... تلك مشاعر إيجابية حسنة يشعر بها اليتيم، حين تتم من أفراد المجتمع المحيطين به، ويشعر بقيمة التكافل الذي يقدمه أفراد له، وأنه جزء متمم له وليس منفصلاً عنهم ولا منزوٍ في إحدى خانات المجتمع .

ثانيها : صدقة المشاعر :

يتمتع الإنسان بنعمة ربانية في الجانب العاطفي الذي منحه الله عز وجل، فهو عبارة عن كتلة من المشاعر تمشي على الأرض، ولا بد من حسن توظيف تلك المشاعر وتنميتها لتنتقل بصورة سليمة للآخرين .

وقد وجهنا المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى إحدى الصور التي تعين على تنمية الجانب العاطفي لدى الإنسان، وتحسن من تهذيبه، وذلك بالمسح على رأس اليتيم حتى ينقل إليه مشاعر الحب والعطف والحنان والرقّة والرأفة ... وتلك المشاعر يحتاج إليها اليتيم حتى تهدأ نفسه وتسكن روحه .

ثالثها : إدراك الحاجة :

يوضح لنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم سبيلاً لقضاء حوائج الإنسان التي لا تنتهي في هذه الحياة، ويضع بين أيدينا مفتاحاً سهلاً وبسيطاً يمكن استخدامه بيسر، ويعين المرء على

(١) سبق تخرجه، ص ٥ .

قضاء حوائجه، وهو المسح على رأس اليتيم .

فكما يريد ابن آدم من خالقه أن يقضي إليه حوائجه، فعليه أن يسعى إلى قضاء حاجة المحروم من حنان الأب، الفاقد لرعايته، الذي لا يقوى على تلبية حوائجه لوحده ... فالعملية عطاء وأخذ، ولا يكون أخذ بلا عطاء .

رابعها : العمل التطوعي :

في كفالة اليتيم والمسح على رأسه وقضاء حوائجه تنمية للعمل التطوعي بين أفراد المجتمع حتى لا يكتفي المرء بتربية أبنائه ورعايتهم فقط، وإنما يتطوع لخدمة أيتام المسلمين وغيرهم، فبذلك يعزز لدى المرء الحس الإنساني والشعور البشري بأنهم سواء، وكل منهم في حاجة للآخر .

المبحث الثالث: وجه الإعجاز في المسح على رأس اليتيم

المطلب الأول: الإعجاز في المسح

عملية المسح وإمرار اليد على الرأس، يمارسها المسلم يومياً خمس مرات أثناء وضوئه لأداء صلاة الفرض فضلاً عن النوافل .

واستخدام اليد اليمنى لأداء تلك الشعيرة في الوضوء هو ما أمرنا به الله عز وجل في قوله تعالى : (وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ)^(١) ؛ ولأن اليد اليمنى تستخدم في السلام على الآخرين وتتصل بهم، نالت شرف المسح على أهم عضوفي جسم الإنسان وهو الرأس .

اليد :

وقد أثبت العلماء أنه توجد في كف الإنسان جميع مجسات الأعضاء الداخلية، ويوجد في وسط الكف منفذ طاقة الكف العلاجية، وأن اليد أداة شفاء عظيمة فيها طاقة كهربائية يجهلها معظم الناس، وإن اليد عالم علاج مازال يبهر البحث العلمي والعلماء^(٢).

والجدير بالذكر أن اليد اليمنى تُعد القطب الموجب (Male) لطاقة الإنسان، واليد اليسرى هي القطب السالب (Female)، وهذا يعني أن النصف الأيسر من الدماغ يمثل القطب الموجب للطاقة، والنصف الأيمن للدماغ يمثل القطب السالب، وتبلغ قوة تدفق موجات الطاقة من اليد اليمنى ثلاثة أضعاف قوة تدفق موجات الطاقة من اليد اليسرى^(٣).

(١) المائدة : ٦ .

(٢) اللمس، ص ٨٦، ٨٧ .

(٣) عبد اللطيف العززي، أسرار الطاقة، ص ١٦١، ط الرابعة، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، الضياء، الإمارات العربية المتحدة .

الرأس :

ومنطقة الرأس هي منطقة طاقة الاتصال المحيطي بالآخرين، ففيها الجهاز العصبي، وفيها الدماغ الذي توجد فيه جميع الأعضاء في مناطق مختلفة منه، وهو منطقة كرامة الإنسان.

عملية المسح :

عندما يضع الشخص (الماسح) يده على رأس اليتيم يحدث اتصال بينهما، فهو عند المسح يقوم بإزاحة وإزالة تلك الشحنات السلبية التي يحملها ذهن اليتيم، وبتكرار تلك العملية يهدأ ذهن اليتيم ويطمئن ويرتاح جسده، والبديع في تلك العملية أنه يحدث لكلا الشخصين (الماسح واليتيم) علاج عضوي من جراء تلك العملية^(١)، وهذا ما أكده الدكتور (نيل سولو) من أن اللمس هو أكثر علاج موجود في الدنيا يعطي آثاراً إيجابية للطرفين المتلامسين، معطي اللمس ومستقبل اللمس، في ذات الوقت^(٢).

وأشار د. سعد شلبي - أستاذ الطب التكميلي والجهاز الهضمي والكبد في المركز القومي للبحوث بالقاهرة - إلى أن الضوء خمس مرات يقضي تماماً على آلام الصداع، وأنه أثناء الضوء يتم الضغط على مراكز معينة في الوجه مما يؤدي إلى إفراز الأندروفينات التي تفرز المورفينات الطبيعية المسؤولة عن شعور الإنسان بالسعادة ويخفف القلق، كما أن مسح الرأس ينشط مسارات الطاقة المختلفة بطول الجسم (من الرأس إلى القدمين)^(٣).

وهنا يكمن الإعجاز في عملية المسح، فهو ينشط مسارات الطاقة المختلفة لدى الإنسان، ويعطي آثاراً إيجابية لكلا الطرفين المتلامسين، ويبين الأثر الكبير لليد اليمنى في عملية المسح.

(١) موقع إلكتروني : www.khlais.com

(٢) اللمس، ص ١٥٠ .

(٣) موقع إلكتروني : www.alazziag.com

المطلب الثاني : الإعجاز في الأثر

تشير الدراسات العلمية إلى حاجة الإنسان إلى اللمس ومدى أهميته في نموه العقلي والنفسي والصحي، ومن فقد أحد والديه يحتاج إلى رعاية خاصة لكي ينمونوا سليماً يعينه على التكيف في المجتمع الذي يعيش فيه، فالأثر الذي تتركه عملية المسح ذوشقين :

الأول : على المسوح (اليتيم) :

حيث أشار (معهد لمسه للبحوث)^(١) إلى الآثار الإيجابية المترتبة على العلاج باللمس في جميع مراحل الحياة من حديثي الولادة إلى كبار السن والتي منها:

١ . تسهيل زيادة الوزن عند الخدج.

٢ . يعزز الانتباه.

٣ . يخفف أعراض الاكتئاب.

٤ . يقلل الألم.

٥ . يقلل من هرمونات الإجهاد.

٦ . يحسن وظائف المناعة.

فالملاحظ أن العلاج باللمس، والذي من صورته مسح الرأس، أنه يقضي على كثير من الأمور السلبية التي ترهق الإنسان في يومه، كما أنها يضيفي إليه أموراً حسنة نحوز زيادة الوزن للخدج، وتحسين أجهزة المناعة في الجسم .

الثاني : على الماسح :

حتى يرغب المصطفى صلى الله عليه وسلم المسلمين في عملية المسح على رأس اليتيم، جعل هذا الفعل مفتاحاً لأمراض القلوب، وطريقاً لإدراك الحاجات، وكلا الأمرين نحن في حاجة ماسة إليه، فالمرء في هذه الحياة يتعرض لكثير من الأمور التي تُعرض قلبه إلى

(١) موقع إلكتروني : www.6.miami.edu

القسوة، ويحتاج إلى وسائل متعددة ترجع القلب إلى ما كان عليه من اللين والصفو والرقّة .

فما العلاقة بين قسوة القلب والمسح على رأس اليتيم ؟

القسوة والشدة في القلب تحتاج إلى من يلينها ويطريها ويكسبها رقة؛ لتنبض بالحب والشفقة والعطف، فكذلك اليتيم حتى يستطيع أن يتكيف ويتأقلم مع المجتمع الذي يعيش فيه بإيجابية دون سلبية، وبانفعالات متزنة غير متهورة، ويشعر فرد مهم في المجتمع، لا بد من المسح على رأسه حتى تنزع منه كل الخصال السلبية الناتجة عن يتمه، وتزرع في مقابلها الخصال الحسنة التي تنمي في قلبه حب المجتمع الذي يعيش فيه، وارتبط به منذ نعومة أظفاره، وقد تتعلق حاجات المرء لدى شخص معين ويريد أن تُقضى فلا يستطيع الوصول إليها، فحتى تصل إليه عليه أن يشعر بمعاونة اليتيم وحاجته للآخرين.

وكذلك كدحه في الحياة يجعله في سعي حثيث إلى إدراك حاجاته المتعددة في المعاش، ويريد من يعينه على قضائها والسعي معه فيها، والرحمة له بإطعامه ومؤانسته والجلوس معه. فالعلاقة هي علاقة تبادل (أخذ وعطاء) (قسوة ولين)، فكلما قسا قلب المرء عليه أن يلينه بالمسح على رأس اليتيم، وكلما أراد حاجة، عليه أن يسعى في تلبية حاجات الآخرين.

الخلاصة

إن اللمس أوالمسح حاجة طبيعية أساسية وضرورية، وإن اللمس وحده لغة تفاهم وتعامل .

وإن الإنسان يدخر طاقة عظمى في كفه الأيمن لابد من أن يحسن توظيفها للآخرين ممن يتعايش معهم ومن هم في حاجة إليه .

وإن في اليتيم شحنات سلبية تظهر تلقائياً لفقده لأبيه، ولا بد من مساعدته في التخلص منها، وأمثلة طريقة تبين مدى تعاطف الآخرين معه وحنوهم عليه المسح على رأسه .

وإن في كف الإنسان الأيمن طاقة كبيرة، لذا استخدمها المصطفى صلى الله عليه وسلم في المسح على رأس اليتيم والمسح على موطن الألم للمريض .

وإن رأس الإنسان الذي فيه الجهاز العصبي تهدأ موجة غضبه ونفرته من الآخرين بالمسح عليه أكثر من مرة .

ولكي يتخلص الإنسان من أي خلق سيء لديه لابد من أن يلجأ إلى العمل بالتضاد، فيتجه إلى المقابل له الحسن .

وإن الحياة عطاء وأخذ، وليست أخذاً بلا عطاء ... فكما يريد الإنسان من الآخرين تلبية حاجياته، فلا بد أن يعين غيره على قضاء حوائجه .

المصدر / المرجع

- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت .
- أسرار الطاقة، عبد اللطيف العززي، ط ٤، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، الضياء، الإمارات العربية المتحدة .
- أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ط ٦، ١٩٩٢ م، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر .
- الأم، الإمام الشافعي، ١٣٩٣ هـ، دار المعرفة، بيروت .
- البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، المهدي لدين الله، أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسيني، ط الأولى، دار الحكمة البيانية، صنعاء .
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، ١٩٩٤ م، دار الفكر، بيروت .
- التاريخ الكبير، البخاري، ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت .
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط الأولى، ١٤٠٥ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت .
- تفسير الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي .
- التوقيف على مهات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط الأولى، ١٤١٠ هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق .
- جمع الجوامع أو الجامع الكبير، السيوطي، ط الأولى، ١٩٧٠ م، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، القاهرة .
- الحنجل الاجتماعي، أ.د. فضيلة عرفات السبعاعي، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م، دار صفاء للتوزيع، عمان .
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط الأولى، عالم الكتب، بيروت .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط ٤، المكتب الإسلامي، بيروت .
- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبوبكر البيهقي، ط الأولى، ١٣٤٤ هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند .
- سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم بياني المدني، ١٣٨٦ هـ، ١٩٨٩ م، دار المعرفة، بيروت .
- السنن الكبرى، النسائي، ١٤١١ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .
- صحيح البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ط الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م، بيت الأفكار الدولية .
- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، ط ٥، مكتبة المعارف، الرياض .
- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي .
- الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي، ط ٣، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ط الأولى، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط الأولى، دار صادر، بيروت.
- اللمس، د. فوزية الدريع، ط الأولى، ٢٠٠٣ م، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت.
- مبادئ علم النفس الارتقائي ونظرياته، أ.د. صالح حسن الداھري، ط الأولى، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان .
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق : عبد الحميد هندراوي، ٢٠٠٠ م، دار الكتب العلمية، بيروت .
- المدخل إلى علم الصحة النفسية، د. كمال إبراهيم مرسي، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨ م، دار القلم للنشر والتوزيع .
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق : مصطفى عبد القادر، ط الأولى، ١٤١١ هـ، ١٩٩٠ م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٣ م، مكتبة العلوم والحكم، الموصل.
- المغرب في ترتيب المغرب، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، تحقيق : محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، ط الأولى، مكتبة أسامة بن زيد، حلب.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

إعجاز الحبة السوداء في القضاء على البكتيريا المسببة للداء

أ.د / محمد محمود شهاب

أستاذ الكائنات الدقيقة والجزيئية الحيوية - كلية العلوم جامعة الطائف

د / إيمان محمد حلواني

أستاذ البكتيريا الطبية - كلية العلوم جامعة الطائف



المقدمة

ثبت في الصحيحين من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام. والسام الموت والحبة السوداء الشونيز. (صحيح مسلم، حديث: ٢٢١٥) وهذا لفظ مسلم، وانظر البخاري حديث رقم ٥٦٨٨.

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن خالد بن سعد قال خرجنا ومعنا غالب بن أبجر فمرض في الطريق فقدمنا المدينة وهو مريض فعاده ابن أبي عتيق فقال لنا: عليكم بهذه الحبيبة السوداء فخذوا منها خمساً أو سبعمائة فاسحقوها ثم اقطروها في أنفه بقطرات زيت في هذا الجانب وفي هذا الجانب فإن عائشة رضي الله عنها حدثتني أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام. قلت: وما السام؟ قال: الموت. (صحيح البخاري، حديث: ٥٦٥٧).

وجاء في لفظ آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت. (سنن الترمذي، حديث: ٢٠٤١).

وفي شرح بعض علماء الحديث لاحاديث الحبة السوداء. قال المناوي (عليكم بهذه الحبة السوداء) أي الزموا استعمالها بأكل أو غيره فإن فيها شفاء من كل داء (عبد العزيز، ١٩٨٩).

وقال الحافظ ابن حجر: (ويؤخذ من ذلك أن معنى كون الحبة شفاء من كل داء أنها لا تستعمل في كل داء صرفاً، بل ربما استعملت مفردة، وربما استعملت مركبة، وربما استعملت مسحوقة وغير مسحوقة، وربما استعملت أكلاً وشراباً وسعوطاً وضامداً وغير ذلك.

وقد تبين من شرح الأحاديث ولفظها أن الاستعمال المسبق والمداومة عليها قبل حدوث المرض، بالإضافة إلى الاستعانة بها بعد حدوثه لكل ذلك من أفضل طرق التداوي بالحبة السوداء، وأنها بذلك ولا ريب تدفع عن الجسم كل مرض بلا استثناء وذلك بمشيئة الله إن شاء صرفه وإن شاء أوجب حصوله.

استخدام علماء المسلمين للحبة السوداء في علاج الأمراض

عرفت الحبة السوداء منذ القدم في الطب الشعبي العربي بأن لها العديد من التأثيرات الطبية، واستخدمت لعلاج الحمى، نزلات البرد، الصداع، آلام المفاصل، وكطاردة لديدان المعدة ولعلاج عدوى الأمراض الميكروبية... الخ (El-Kadi and Kandil 1986). وقد برع العديد من علماء المسلمين في وصف الحبة السوداء وذكر منافعها في أمهات الكتب، وذلك أمثال ابن سينا في كتابه (القانون في الطب)، ابن قيم الجوزية (الطب النبوي)، أبو بكر الرازي (الحاوي الكبير) ابن النفيس (الموجز في الطب)، ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية والاعذية)، الانطاكي (تذكرة أولي الالباب والجامع للعجب العجائب) وكذلك الإمام الذهبي في كتابه (الطب النبوي)، ووصفت بأنها مسكن جيد ونافع لضيق التنفس ولأوجاع الصدر والسعال، لتحليل البلغم، ولعلاج حصوات الكلى والمثانة، للإسهال والقولون، وطارده للريح، لادرار البول، للحيض ولإدرار اللبن، للغثيان، للزكام والحمى، للاستسقاء، للبواسير، لآلام الأسنان، للصمم، لتضميد البثور والجرب المتقرح، للبهاق والبرص ولقلع الثآليل والخيлян، للفالج (الشلل النصفي)، للأورام المزمنة والصلبة، لقتل ديدان البطن، لقرص العناكب وكترياق للسموم (عبد العزيز، ١٩٨٩ وصوان، ١٩٩٢).

الاستخدامات الطبية والنشاطات الحيوية للحبة السوداء

استخدمت الحبة السوداء بكثرة في الطب الشعبي لعلاج أمراض الجهاز التنفسي والدوري، وللاضطرابات المعوية في جميع البلدان الإسلامية من المغرب إلى باكستان

(Sayed 1980; Riaz et al. 1996)

وقد بدأت الاستخدامات الطبية للحبة السوداء في الظهور وبشكل واسع، والمبنية على نتائج بحثية تؤكد مفعول الحبة والمكونات الهامة لمستخلصاتها وذلك منذ عام ١٩٦٠م، وازدهرت في الثمانينات والتسعينات وحتى الألفية الثالثة لهذا القرن 2004 Boskabady et al.

وقد أوضحت الدراسات المختلفة الآثار الطبية العلاجية الواضحة لمفعول الحبة السوداء التي عرفت بتعدد أنشطتها الحيوية، فقد وجد أنه لها نشاط مضاد للأورام والسرطانات،

مضاد للحساسية، مضاد للالتهابات، مضاد للميكروبات، مضاد للطفيليات، مضاد
 لأمراض الجهاز البولي التناسلي، ومضاد لإرتفاع الضغط والسكر في الدم، مضاد
 للانقباضات وموسع للقصبات الهوائية، مضاد لأمراض الجهاز البولي التناسلي، مضاد
 للاجهاض، مضاد للسموم، مضاد للروماتيزم ولها نشاط فعال مضاد للأكسدة ومحفز قوي
 للجهاز المناعي. وقد أكدت العديد من الدراسات أن الحبة السوداء ومستخلصاتها آمنة
 وعديمة السمية على الأعضاء المختلفة لجسم الإنسان أو الحيوان

(El-Kadi et al 1989 ;Bamosa et al 1997; Zaoui et al 2002a; Ali and Blunden 2003)

مكونات الحبة السوداء :

تم التعرف على مكونات الحبة السوداء ومنها العديد من المكونات النشطة والفعالة
 المعزولة بعدة طرق حديثة، واتضح أنه من الممكن اعتبار الحبة السوداء مصدراً جيداً
 للغذاء المتوازن، وذلك لمحتواها العالي من البروتين (٢٠٪)، الكربوهيدرات (٣٤٪)
 والدهون تتراوح نسبتها من (٣٢ إلى ٤٠٪)، بالإضافة إلى كونها مصدراً للمعادن
 والأملاح مثل الكالسيوم، الصوديوم، البوتاسيوم، الحديد والفسفور . وعلى الرغم من
 أن غالبية المعادن تتواجد بكميات ضئيلة (٨, ١ - ٣, ٧٪) إلا أنها تعمل كمساعدات
 إنزيمية هامة لمختلف الوظائف الإنزيمية، أما المحتويات الأخرى للحبة التي
 عرفت وتمت دراستها بدقة لأهميتها الحيوية فهي الزيت الثابت (Fixed oil)، الزيت
 الطيار أو العطري (Volatile or Essential oil)، قلويدات (Alkaloids)، صابونيات
 (Saponins) وغيرها. (جدول ١).

جدول (١) : المحتوى الكيميائي والعناصر الفعالة في الحبة السوداء
Chemical composition including active components of Nigella sativa seed

Group	Sub-group	Components
Fixed oil (32 – 40%)	Unsaturated fatty acids	Arachidonic eicosadienoic . Linoleic linolenic . oleic and almitoleic acid .
	Saturated fatty acids	Palmitic stearic and myristic acid .
		Beta – sitosterol Cycloeucalenol Cycloartenol sterol esters and sterol glucosides .
Volatile oil (0.4 – 0.45%)		Nigellone(Dithymoquinone) thymoquinone thymohydroquinone thymol Carvacrol & -pinene d- limonene d –citronellol p-cymene and 2-(2-methoxypropyl) -5- Methyl-1 4-benzenediol .
Proteins (16-19.9%)	Amino acids	Arginine glutamic acid leucine lysine methionine tyrosine praline and threonine etc .
Alkaloids		Nigellicine nigellidine nigellimine –N-oxide .
Coumarins		6-methoxy – coumarin 7- hydroxyl – coumarin 7-oxy –coumarin .
Saponins :	Triterpenes	Alpha – hedrin
	Steroidal	Stery1-glucosides Acety1 – stery1-glucoside .
Minerals (1.79-3.74%)		Calcium phosphorous Potassium sodium and iron .
Cabohydrates (33.9%) Fiber (5.5%) Water (6%)		

دراسة النشاط ضد بكتيري للحبة السوداء

Antibacterial activity of *Nigella sativa*

التعرف على تأثير الحبة السوداء (Black seed) المضاد لمسببات الإسهال البكتيرية يُعد هدفاً قيماً بعدما جاء ذكرها في الطب النبوي للاستشفاء من كل داء، فقد تم في هذه الدراسة التعرف على تأثيرات الحبة السوداء المثبطة والقاتلة لبكتيريا السالمونيلا المسببة للاضطرابات المعوية. وشملت الدراسة النوع السيرولوجي تيفيموريم والنوع السيرولوجي إنترتيديس، وتمت مقارنة حساسيتهما ببعض الأنواع البكتيرية مثل الإيشريشيا كولاي، الشيغلا ستيفيلوكوكاس أورياس وسيدوموناس إيريجنوزا. وقد استعملت في التجارب المخبرية بذور الحبة السوداء المسحوقة كمادة خام (Crude) والزيت التجاري الخام، بالإضافة إلى مستخلصاتها (Extracts)، التي استخلصت مباشرة من الحبة السوداء بعدة طرق.

مستخلصات الحبة السوداء :

١- الزيوت التجارية :

اختبرت أنواع مختلفة من زيوت الحبة السوداء التجارية المستخلصة بالعصر للتعرف على فعاليتها ضد ميكروبية وعند زراعة عزلات طيبة لأنواع بكتيرية مختلفة سالبة وموجبة الجرام على بيئة أجار مولر هنتون الصلبة والمضاف إليها الزيوت المستحلبة وبتراكيز مختلفة لمعرفة أقل التراكيز المثبطة [MIC (Minimum inhibitory concentration)]، أظهرت النتائج حساسية بكتيريا ستيفيلوكوكاس أورياس *S. aureus* الملحوظة للزيت التجاري الذي ثبت نموها عند تركيز ٥٦, ١ ملجم/مل، وهو أقل تركيز مثبط بين التراكيز المثبطة للأنواع البكتيرية السالبة الجرام وبفارق معنوي كبير، فقد ثبت الزيت نموبكتيريا إيشريشيا كولاي *E. coli* عند تركيز ١٠٠ ملجم/مل (٢٠٠٠ ملجم / ٢٠ مل).

٢ - مستخلصات الحبة السوداء

تأثير الإستخلاص بالكحول الإيثيلي :

تمت مقارنة العديد من التركيزات لزيت الحبة السوداء ومستخلص مسحوق الحبة السوداء بالإيثانول (Solvent extraction)، ومزجت مع الآجار السائل، واستخدمت طريقة التخفيف على بيئات وبتراكيز مختلفة لمعرفة أقل التراكيز المثبطة (MIC) للزيوت على أنواع مختلفة من البكتيريا السالبة والموجبة الجرام والمسببة لاضطرابات معوية، وهي سالمونيلا تيفيميوريم *S. typhimurium*، شيجلا فلنسنري *S. flexneri*، ايشريشيا كولاي *E. coli* وبكتيريا ستيفيلوكوكاس أورياس *S. aureus* والتي نشرت على سطح الآجار كل على حدة بلفاح قدره حوالي ٤١٠ وحدة بكتيرية / مليلتر .

وأظهرت النتائج المتحصل عليها بأن بكتيريا ستيفيلوكا أورياس الموجبة الجرام كانت أكثر الأنواع حساسية للأنواع المختلفة من الزيت، وظهر أفضلها تثبيطاً مستخلص بذور الحبة السوداء بالإيثانول (كحولي إيثيلي)، الذي أعطى تثبيطاً كاملاً للنمو عند تركيز ٧٨,٠ ملجم/مل. في حين أعطت الزيوت التجارية (MIC) بلغت ١,٥٦ ملجم/مل، يليها حساسية بكتيريا ايشريشيا كولاي السالبة الجرام، التي أظهرت حساسية أعلى لمستخلص بذور الحبة السوداء بالإيثانول، وثبط نموها عند تركيز تثبيطي (MIC) بلغ ٥٠ ملجم/مل، يليها نوعي الزيت التجاري الخام الذي أعطى تثبيطاً واضحاً عند التركيز ١٠٠ ملجم/مل (جدول ٢).

المستخلص المائي للحبة السوداء

تحديد التأثير التثبيطي بطريقة الحفر (الآبار) والانتشار في الآجار :

عند قياس النشاط ضد بكتيري للمستخلص المائي بطريقة الحفر في الآجار Well diffusion method وقياس أقطار مناطق التثبيط (Inhibition zone)، فقد أظهرت النتائج أن متوسط قياسات مناطق التثبيط للبكتيريا الموجبة الجرام أعلى من القياسات الخاصة

بالبكتيريا سالبة الجرام على وجه العموم، إضافة إلى أن بكتيريا السالمونيلا أظهرت كما سبق في النتائج حساسية أعلى للمستخلص المائي الغير معاملة حرارياً وبمناطق تثبيط متوسطها 13 ± 1 ملليمتر، في حين أظهرت مناطق تثبيط أقل مع المستخلصات المائية المعاملة حرارياً لمدة ٥ دقائق فقط وبلغ متوسط أقطارها $10,5 \pm 0,5$ ، أما المستخلص المائي الذي سخن لمدة تزيد عن ٥ دقائق فلم يسجل لها منطقة تثبيط واضحة (جدول ٣) .

أما بالنسبة لبكتيريا ستفيلوكوكس أورياس *S. aureus* فإن المستخلصات المائية تميزت بتفاوتها النسبي في قياسات متوسط أقطار التثبيط، وكان أعلاها في حالة المستخلص المائي المعامل حرارياً لمدة ٥ دقائق، يليها المستخلص المائي الغير معاملة حرارياً وأخيراً المستخلص المائي المعامل حرارياً لمدة ١٠ دقائق (24 ± 1 ملليمتر، $20,5 \pm 0,5$ ، ملليمتر 18 ± 1 ملليمتر) على التوالي (جدول ٣) .

الشكل (١) يوضح الاختلافات في قياسات أقطار مناطق التثبيط للمستخلص المائي للحبة السوداء الطبيعي والمعالج حرارياً على بكتيريا السالمونيلا والبكتيريا العنقودية .

الشكل (٢) يظهر صورة مكبرة لمنطقة تثبيط معنوية في الطبق النامي عليه بكتيريا استفيلوكوكاس أورياس *S. aureus* وهي ناتجة عن المستخلص المائي لبذور الحبة السوداء المسحوقة والمعامل حرارياً بالتسخين على حمام مائي لمدة ٥ دقائق، وبلغ متوسط أقطارها 24 ± 1 ملليمتر، وهي المعاملة الأقوى تأثيراً على البكتيريا الموجبة الجرام ويوضح (شكل ٣) و(جدول ٤) أقل التراكيز المثبطة لهذا المستخلص .

استخلاص بعض مواد الحبة السوداء القابلة للذوبان في الماء واختبار تأثيرها ضد بكتيري

١ - استخلاص القلويدات :

تم استخلاص القلويدات المتواجدة في الحبة السوداء واختبار تأثيرها على بكتيريا *S. aureus* موجبة الجرام وبكتيريا *S. typhimurium* سالبة الجرام وذلك بطريقة الحفر في

الآجار. وقد استجابت البكتيريا المختبرة بنوعها السالبة والموجبة الجرام لتأثير القلويدات. بكتيريا ستفيلوكوكاس أورياسالموجبة الجرام أكثر حساسية لتأثير القلويدات من بكتيريا سالمونيلا تيفيموريم سالبة الجرام، فقد بلغت أقطار مناطق التثبيط 24 ± 2 ملليمتر و $9, 5 \pm 0, 5$ ملليمتر على التوالي (شكل ٤).

٢- استخلاص المواد غير القلويدية :

للتعرف على تأثير المواد الغير قلويدية والذائبة في المستخلص المائي للحبة على البكتيريا، فقد تم فصل هذه المواد من المستخلص المائي باستخدام مذيب الكلورفورم الذي لا يختلط بالماء، وتم اختبار نشاط المواد الناتجة بطريقة الحفر في الآجار .

ولقد لوحظ أن لهذه المواد تأثيراً قوياً على البكتيريا موجبة الجرام *S. aureus* عنها على السالمونيلا تيفيموريم *S. typhimurium* السالبة الجرام، كما لوحظ أن تأثيرها على البكتيريا موجبة الجرام كان أقوى من تأثير القلويدات عليها بدرجة معنوية كبيرة، حيث كانت أقطار مناطق التثبيط للقلويدات والمواد الغير قلويدية على بكتيريا ستفيلوكوكاس أورياس *S. aureus* $[24 \pm 2$ مم] و $[1 \pm 41$ مم] على التوالي حيث تظهر منطقة التثبيط الأكبر $[42$ ملليمتر] نتيجة لتأثير المواد الغير قلويدية المفصولة من المستخلص المائي لبذور الحبة السوداء، ويظهر لونهاً بنياً منتشراً حول الحفرة مما يرجح وجود الثيموكينون الذي يتميز بلون البني في المستخلص (شكل ٥)

ويظهر في شكل (٦) : التأثير الشيطي الواضح لكل من القلويدات والمواد غير قلويدية خاصة على بكتيريا *S. aureus* و *S. typhimurium*.

مستخلصات مسحوق الحبة السوداء بمذيبات عضوية :

استخلص مسحوق الحبة معملياً بواسطة المذيبات العضوية، الأستون (Acetone)، الإيثانول (Ethanol)، الهكسان (Hexane) والإيثر (Diethyl ether). واستخدمت لدراسة تأثيرها المثبط والقاتل بالإضافة إلى الزيت التجاري المنتج بالعصر.

قياس التأثير التثبيطي والقاتل بطريقة التخفيف في الأنابيب :

بدراسة التأثيرين المثبط والقاتل بطريقة كمية لكل من الزيت التجاري والمستخلصات بالمذيبات العضوية، والمستخدمة بتركيزات مختلفة على عزلات حساسة ومقاومة لمضادات حيوية من بكتيريا السالمونيلا النوع السيرولوجي تيفيموريم والنوع السيرولوجي انترتيديس وبكتيريا ستفيلوكوكاس أورياس، أوضحت النتائج أن قيم التراكيز المثبطة (MIC) والقاتلة (MBC) تظهر بينها فروقاً واضحة تختلف باختلاف النوعين البكتيريين الموجبة والسالبة الجرام، فقد ارتفعت هذه القيم إلى أكبر من ٦٤ ملجم/مل للأنواع السالبة. وتساوت النتائج في كل من عزلات النوعين السيرولوجين الحساسة والمقاومة لمضادات الحيوية (جدول ٥).

في المقابل فإن بكتيريا *S. aureus* الموجبة الجرام، ظهرت أكثر حساسية للزيوت التجارية والمستخلصات بمذيبات عضوية، وتراوحت قيم التثبيط المنخفضة للزيوت المستخلصة بين ٤, ٠ - ٠, ٨ ملجم/مل، وبقيمة تثبيط أعلى في حال استخدام الزيت التجاري بلغت ١, ٦ ملجم/مل (١٦٠٠ ميكروجرام / مليلتر)، في حين تراوحت قيم أقل التراكيز القاتلة لمستخلصات المذيبات العضوية بين ٠, ٨ - ١, ٦ ملجم/مل، وبقيمة أعلى للزيت التجاري بلغت ٣, ٢ ملجم/مل (٣٢٠٠ ميكروجرام/مل).

هذا وقد ظهرت قيم التثبيط والقتل أقلها في حال مستخلص الهكسان والإيثربقيم ٤, ٠ ملجم/مل و٠, ٨ ملجم/مل على التوالي، وتساوت في حال اختبار مستخلص الآستون - والإيثانول وبلغت قيمة التثبيط ٠, ٨ ملجم/مل، وكانت قيمة التركيز القاتل لمستخلص الآستون هي الأعلى من بين جميع المستخلصات الزيتية وبلغت ١, ٦ ملجم/مل (جدول ٥).

النشاط ضد بكتيري للهيدروثيموكينون المستخلص من الحبة السوداء:

عند تبريد مستخلصات الحبة السوداء بالمذيبات العضوية السابق ذكرها، ترسب بلورات الثيموهيدروكينون (El-Fatary 1975) التي تم فصلها واختبار تأثيرها على البكتيريا.

قياس النشاط ضد بكتيري بتحديد MIC و MBC :

تم تحديد أقل تراكيز البلورات المثبطة (MIC) والقاتلة (MBC) بطريقة التخفيف في الأنابيب، ثم الزراعة على بيئات انتخائية صلبة، واتضح من التجارب أن مادة الثيموهيدروكينون الكريستالية البيضاء المتواجدة في جميع المستخلصات تمتلك نشاطاً فعالاً ضد بكتيريا السالمونيلا بنوعها المختلفين سيولوجياً وللعزلات الحساسة والمقاومة لمضادات الحيوية وتراوح قيمة التراكيز المثبطة بين ٢، ١-٨، ٠ ملجم/مل وتمتلك نشاطاً أكثر كفاءة على بكتيريا ستيفيلوكوكاس اورياس التي ثبت نموها عند تركيز ٤، ٠ ملجم/مل، وظهرت تلك التراكيز متماثلة في العزلات الحساسة والمقاومة لمضادات الحيوية أيضاً .

أما التأثيرات القاتلة (MBC) فقد تراوحت تركيزاتها بين ٨، ٠ - ٦، ١ ملجم/مل و ٨، ٠ ملجم/مل لكل من بكتيريا السالمونيلا وسنكثيلوكوكاس آدرياس عل التوالي.

ويفسر انخفاض التركيزات المثبطة لمستخلصات الهكسان والإيثر على البكتيريا موجبة الجرام لاحتوائهما على المركبات الهامة الطيارة العطرية، خاصة مركب الثيموكينون (TQ) وبنسب أعلى من تلك الموجودة في المستخلصات الأخرى بينما تؤثر مستخلصات المذيات العضوية المبردة بفاعلية على البكتيريا سالبة الجرام لوجود مركب الثيموهيدروكينون (THQ) ولحساسية الانواع سالبة الجرام لهذا المركب (THQ).

التأثير التعاوني لكل من الثيموكينون والثيموهيدروكينون مع مضادات الحيوية

تمت دراسة التأثير التعاوني لكلا من TQ و THQ مع مضادات الحيوية الشائعة الاستخدام لعلاج العدوى البكتيرية مثل:

(ampicillin cephalaxin chloramphenicol tetracycline getamicin and ciprofloxacin) وسجل تأثير تعاوني للمركبين مع غالبية المضادات بنسبة تصل إلى ٣٠٪ وظهرت مناطق تثبيط واسعة حول الأقراص في أطباق الأجار الملقحة بالبكتيريا (شكل ٨)

Table -2 Minimum inhibitory concentration of commercial oil and ethanol extract on *Salmonella typhimurium* *Shigella flexneri* *Escherichia coli* and *Staphylococcus aureus* .

Bacteria	Ethanollic extract	Commercial oil
	(mg/ml)	
<i>Salmonella typhimurium</i>	> 100	> 100
<i>Shigella flexneri</i>	> 100	> 100
<i>Escherichia coli</i> .	50	100
<i>Staphylococcus aureus</i>	0.78	1.56

* Oil and extracts were emulsified in casein before addition to Muller – Hinton agar.

Table -3 Inhibition zones of aqueous extracts of *N. sativa* on *Salmonella typhimurium* *Salmonella enteritidis* and *Staphylococcus aureus* .

Heat treatment of extract	Treatment time	Inhibition zone (mm)		
		<i>Salmonella typhimurium</i>	<i>Salmonella enteritidis</i>	<i>Staphylococcus Aureus</i>
Not heated	-	13 ± 1	13 ± 1.5	20.5 ± 0.5
Heated	5 min	10.5 ± 0.5	10 ± 0.5	24 ± 1
Heated	10 min	-	-	18±1

Table -4 Antibacterial activity of aqueous extracts of *Nigella sativa* seeds treated and not treated with heat .

Treatment		Salmonella typhimurium	Salmonella enteritidis	Staphylococcus aureus
		mg /ml (black seed equivalent)		
Not heated	MIC	100	100	12.50
	MBC	200	200	12.50
Heated for 5 min	MIC	200	200	3.12
	MBC	200	200	6.25
Heated for 10 min	MIC	> 200	> 200	6.25
	MBC	> 200	> 200	12.50

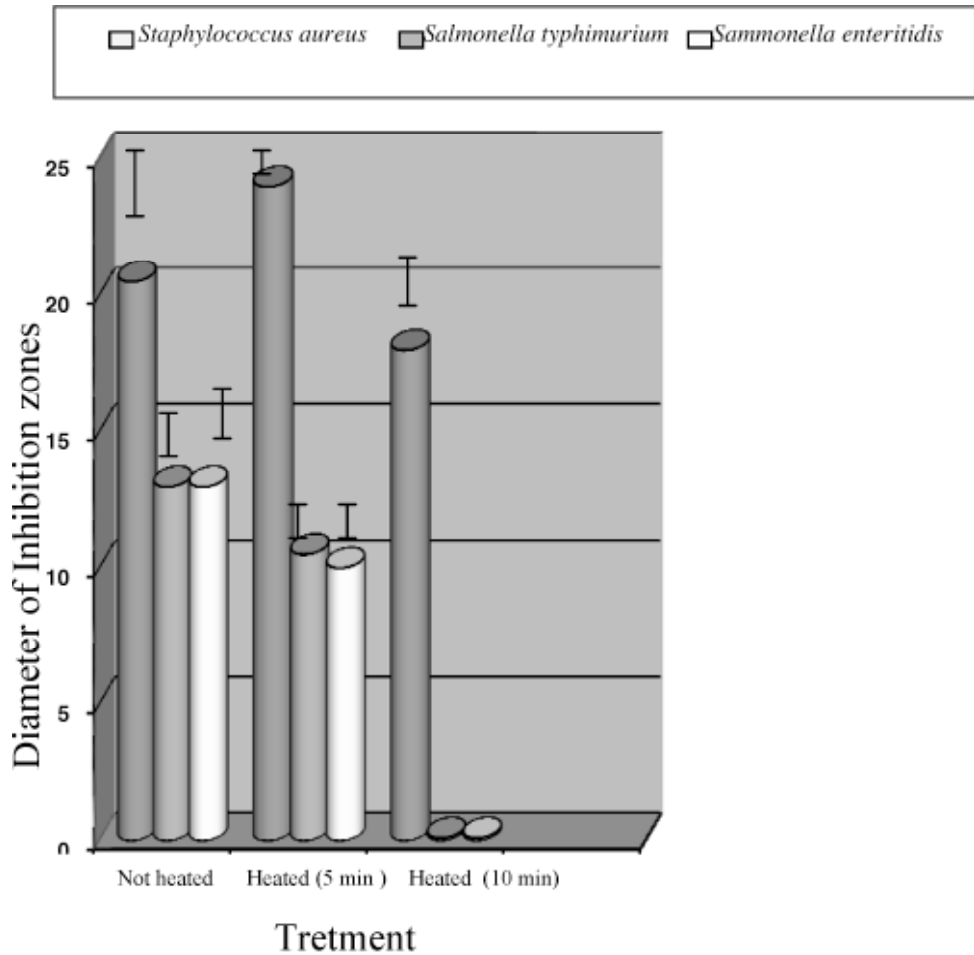


Figure-1 Diameter of inhibition zones of heat treatment of *Nigella Sativa* aqueous extracts on the inhibition of *Salmonella typhimurium*, *Salmonella enteritidis* and *staphylococcus aureus*.

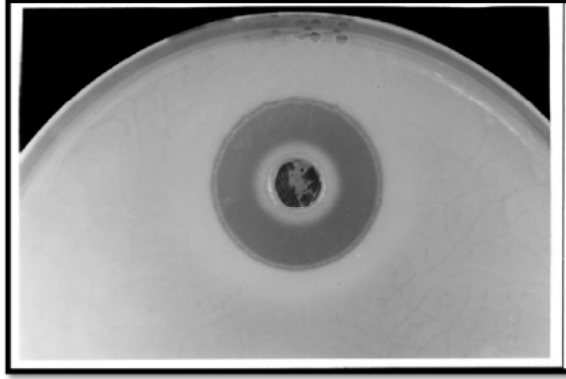


Figure-2 Inhibibiton zone of aqueous extract of Nigella sativa seed on Stophylococcus aureus .The extract was heated on water bath for 5 min in tightly closed tubes .

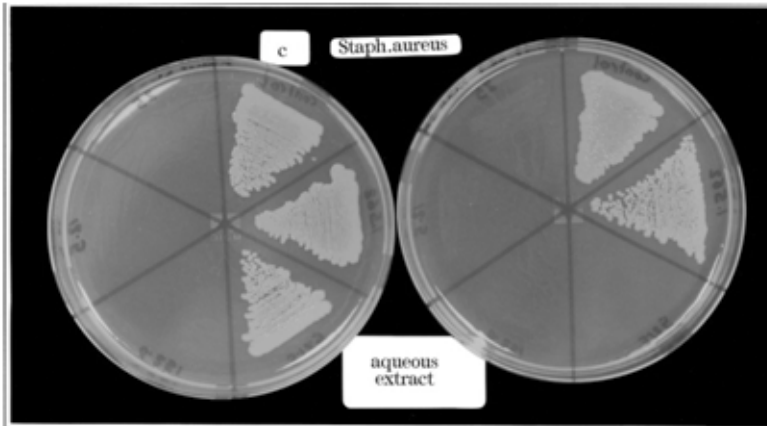


Figure-3 Determination of the minimum bactericidal concentration of aqueous extracts of Nigella sativa seed on Staphylococcus aureus . The plate on the left hand side shows the results of aqueous extract which were not heated while the aqueous extract of the plate on right hand side were heated for 5 min.

Table-5 Bacteriostatic (MIC) and bactericidal (MBC) activity of commercial Nigella Sativa oil and extracts by organic solvents on Salmonella serovars and Staphylococcus aureus .

Bacteria**	Oil of Nigella sativa (mg/ml)				
	Crude oil*	Acetone extract	Ethanol extract	Diethyl ether extract	Hexane extract
S. typhimurium (s) MIC MBC	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0
S. typhimurium (R) MIC MBC	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0
S. enteritidis (s) MIC MBC	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0
S. enteritidis (r) MIC MBC	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0	>64.0 >64.0
S. aureus (s) MIC MBC	1.6 3.2	0.8 0.8	0.8 1.6	0.4 0.8	0.4 0.8
S. aureus (r) MIC MBC	1.6 3.2	0.8 0.8	0.8 1.6	0.4 0.8	0.4 0.8

* All crude oils exhibited the same results .

** (s) sensitive to antibiotics; (r) resistant to antibiotics

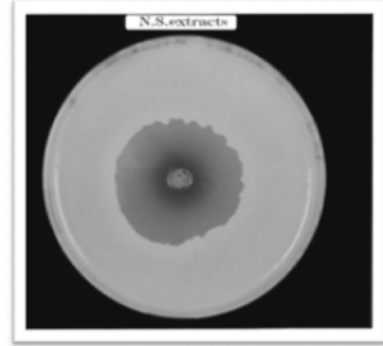
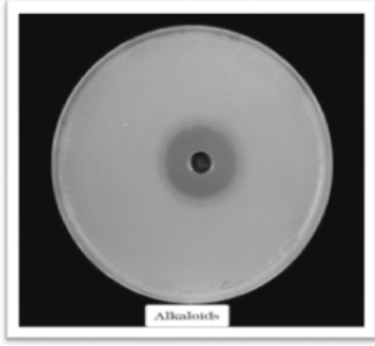


Figure-4 Inhibition zone produced by alkaloids extracted from *Nigella sativa* seed on *Staphylococcus aureus* .

Figure-5 Inhibition zone produced by non-alkaloid substances in water extract of *Nigella sativa* on *Staphylococcus aureus*.

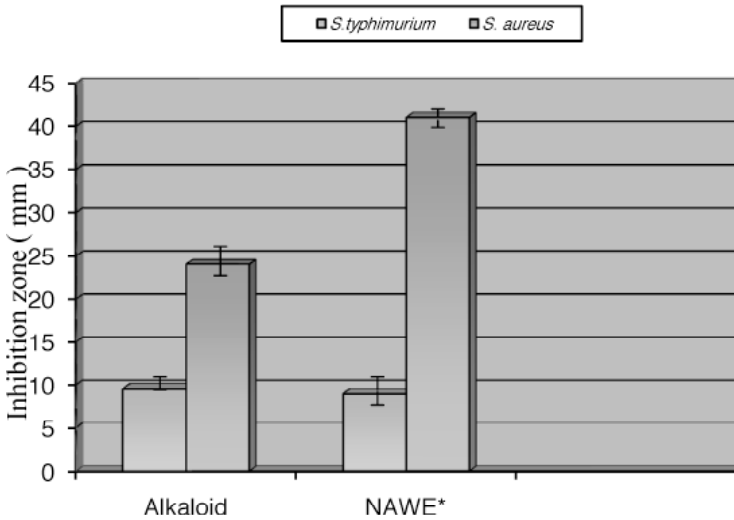


Figure-6 Inhibition zones of water soluble substances extracted from *Nigella sativa* seed .

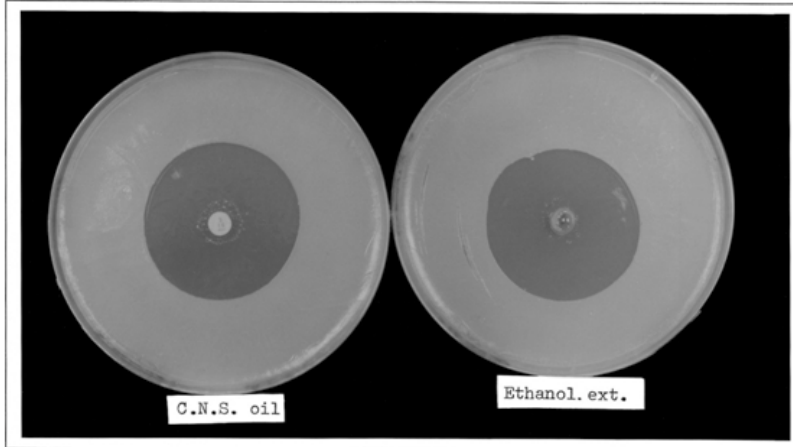
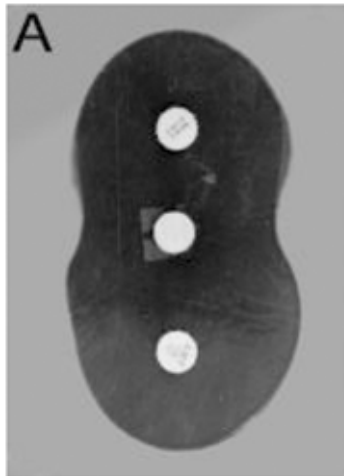


Figure -7 Zones of inhibition of staphylococcus aureus produced by disks of commercial (crude) Nigella sativa oil and ethanol extract .



الأحماض الدهنية غير المشبعة تواجداً في الحبة السوداء وبشكل حر (free fatty acids) (Babayan et al. 1978; AL-Jassir 1992)، ويفسر وجوده حرّاً وليس في شكل دهني بسبب محتوى البذور العالي من انزيم الليبيز (Lipase Ustun et al. 1990; Riaz et al. 1996; Conconi et al. 1996; D'Antuono et al. 2002)، ويبدو أن جميع تلك العوامل الموجودة في المستخلص المائي والمكونة له سواء كانت ذائبة كلياً مثل القلويدات والصابونيات، أو مستحلبة مثل الزيوت الطيارة والأحماض الدهنية الثابتة، فإنها تتداخل مع بعضها البعض بشكل تعاوني وتؤدي إلى إعطاء المستخلص تأثيراته الدوائية ونشاطه المضاد للميكروبات .

٥- النشاط الـ "ضد ميكروبي" للزيوت التجارية أو المستخلصات بالمذيبات العضوية يعزى إلى احتواء الزيوت التجارية المعصورة على البارد على نسبة من الزيوت الطيارة والأحماض الدهنية أما المستخلصات بالمذيبات العضوية فإنها بالإضافة للزيوت الطيارة فإنها تحتوي على قلويدات تذوب في المذيبات المستعملة بنسب مختلفة .

٦- كلا من الشيموكينون والشيموهيدروكينون لهما نشاط ضد بكتيري فعال وتزداد فعاليتها بتناول الحبة السوداء كمحفز تعاوني لزيادة فعل المضادات الحيوية في القضاء على البكتيريا الممرضة.

آليات عمل بعض عناصر الحبة السوداء كمادة مضادة للنشاط البكتيري

هناك محاولات للتعرف على آلية تأثير بعض مكونات الحبة السوداء التي لها تأثير ضد بكتيري، فقد أوضحت بعض الأبحاث التأثير الضد ميكروبي للمونوترينينات وهي أحد مكونات الزيت الطيار للحبة السوداء، إلى ارتباطها بدهون الغشاء السيتوبلازمي للبكتيريا (Southwell et al. 1993)، كما أن حمض اللينولينك الحر (Free linolenic acid) وهو أحد مكونات الزيت الثابت مؤهل أيضاً للارتباط بأغشية البكتيريا وذلك لتركيبه الكيميائي غير القطبي مثل الأغشية الخلوية، وارتباط هذه المركبات بالأغشية قد يؤدي إلى واحد أو أكثر من الاحتمالات التالية :

١- زيادة نفاذية الغشاء السيتوبلازمي، بإحداث خلل في حواجز النفاذية في الخلايا الميكروبية .

٢- تحطيم الغشاء السيتوبلازمي في البكتيريا .

٣- التأثير على الإنزيمات ومرافقات الإنزيمات الداخلة في سلسلة نقل الأوكسجين التنفسية، والموجودة في الغشاء السيتوبلازمي في البكتيريا وتثبيط عملها.

(Andrews et al 1980 ; Sikkema et al. 1995 ; Hili et al. 1997 ; Cox et al. 1998 ; Cox et al. 2001)

ومن ناحية أخرى فقد تم دراسة آلية تأثير الثيموكنيون (TQ) على البكتيريا ووجد أنه يثبط وبفاعلية بناء البروتين وكذلك بناء الحمض النووي الريبوزي RNA في بكتيريا ستفيلوكوكس أورياس S. aureus، الأمر الذي يفسر شدة حساسيتها له . (Kahsai 2002)

جميع النتائج الواردة سابقاً تؤكد معملياً أن النشاط (ضد البكتيري) للحبة السوداء يتواجد في:

- أ- المستخلصات المائية : وهي تؤثر على البكتيريا سالبة الجرام وموجبة الجرام .
 - ب- المستخلصات بالمذيبات العضوية : وهي تؤثر أكثر على البكتيريا موجبة الجرام
 - ج- الثيموكنيون والثيموهيدروكينون : وهي تؤثر على البكتيريا الموجبة والسالبة الجرام.
- هذا ونأمل أن تثبت هذه الدراسة فائدة جلية من فوائد الحبة السوداء بإثبات حقيقة نشاطها ضد بكتيري الواسع المدى حتى للسلاسل المقاومة لمضادات الحيوية والذي يمكننا من استخدامها في القضاء على العدوى البكتيرية وهذا يعطي الأمل في الاستغناء مستقبلاً عن الاستعمال المفرط في العلاج بمضادات الحيوية من جهة، وتفعيل عمل الجهاز المناعي من جهة أخرى والذي يعمل بدوره على مكافحة الأمراض وحتى المتسببة عن نقص المناعة مثل السرطان والإيدز والتي عجز الطب في القضاء عليها حتى اليوم .

هذه الحقيقة التي أثبتها العلم حديثاً سبق بها قول المصطفى صلى الله عليه وسلم "إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام" (صحيح البخاري : ٥٦٨٧) .

المراجع العربية:

إسماعيل البخاري أبي عبد الله محمد بن: صحيح البخاري مع شرحه، فتح الباري لابن حجر العسقلاني
أ- كتاب الطب، حديث رقم ٥٦٨٧، باب الحبة السوداء، وحديث رقم ٥٦٨٨، المطبعة السلفية،
القاهرة- مصر.

الترمذي عيسى بن ثور: سنن الترمذي صححه الألباني. كتاب الطب عن رسول الله - باب ما جاء في
الحبة السوداء. حديث رقم ٢٠٤١ - الجزء الرابع. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - ص: ٣٨٥.
عبد العزيز، محمد كمال. (١٩٨٩ م): الحبة السوداء دواء من كل داء. مكتبة ابن سينا، القاهرة.
صوان، محمد جوده. (١٩٩٢ م): شفاء الزهور على مر الدهور (الحبة السوداء) - دار المشاعل
للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية.

مسلم، أبي الحسن مسلم بن حجر القشيري النيسابوري: صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، كتاب
السلام باب التداوي بالحبة السوداء. حديث رقم ٢٢١٥ / الجزء الرابع - وباب التداوي بسقي
العسل حديث ٧ / ٢٦ الجزء الخامس عشر - ص ١٧٣٥ و ٣٨٧. الطبعة الأولى. المطبعة المصرية
بالأزهر، القاهرة.

المراجع الأجنبية :

Ali B.H. and Blunden G. (2003): Pharmacological and ...toxicological
properties of *Nigella sativa* phytother. .Res. 17: 299 – 305 .

Al-Jabre S. Al-Akloby O.M. Al Qurashi A.R. Al-Dossary A. Akhtar N. and
Randhawa M.A. (2003): Thymoquinone an active principle of *Nigella sativa*
inhibits *Aspergillus niger*. Pak. J. Med . Res. 42: 102–104.

Al-Jassir M.S. (1992): Chemical composition and microflora of black cumin
(*Nigella sativa*. L) seeds growing in Saudi Arabia. Food chem. 45: 239 – 242 .

Andrews R.E. Parks L.W. and Spence K.D. (1980): Some effects of Douglas fir
terpenes on certain microorganisms. Appl. Environ. Microbiol. 40: 301-304.

Babayán V.K. Koottungal D. and Halaby G.A. (1978): Proximate analysis
fatty acid and amino acid composition on *Nigella sativa* L seeds . J.food sci.
43 : 1314-1315

- Bamosa A.O. Ali B.A. and Sawayan S.A. (1997) : Efficacy of oral ingestion of *Nigella sativa* seed on some blood parameters .Saudi pharm.J. 5 : 126 – 129.
- Boskabady M. Shirmohammadi B. Jandaghi P. and Kiani S. (2004): Possible mechanisms for relaxant effect of aqueous and macerated extracts from *Nigella sativa* on tracheal chains of guinea pig. BMC pharmacol. 4: 1471-2210 .
- Bourboulis E.J. Grecka P. Asteriou A.D. and Giamarellou H. (2000): Impact of n-6 polyunsaturated fatty acids on growth of multidrug-resistant *Pseudomonas aeruginosa*: Interactions with amikacin and ceftazidime. Antimicrob. Agents and Chemo. 44: 2187-2189 .
- Conconi A.M. Browse J.A. and Ryan C.A. (1996): Intracellular levels of free linolenic and linoleic acids increase in tomato leaves in response to wounding. Plant physiol. 111: 797-803 .
- Cox S.D. Gustafson J.E. Mann C.M. Markham J.L. Liew Y.C. Hartland R.P. Bell H.C. Wormington J.R. and Whlie S.G. (1998): Tea tree oil causes K⁺ leakage and inhibits respiration in *Escherichia coli*. Lett. Appl. Microbiol. 26: 355-358 .
- Cox S.D. Man C.M. Markham J.L. and Gustafson J.E. Warmington J.R. and Wyllie S.G. (2001): Determining the antimicrobial action of tea tree oil. Molecules. 6: 87 – 91 .
- D'Antuono L.F. Moretti A. and Lovato A.F. (2002): Seed yield yield components oil content and essential oil content and composition of *Nigella sativa* L. and damascene L. Industrial crops and products. 15: 59-69 .
- Deans S.G. and Svoboda K.P. (1990): The antimicrobial properties of marjoram (*Origanum majorana* L.) volatile oil. Flavour Fragrance J. 5: 187 – 190 .
- El-Fataty (1975) Isolation and structure assignment of an anti-microbial principle from the volatile oil of *Nigella sativa* L seeds. Pharmazie. Feb 30 (2): 109-111.
- El-Kadi A. Kandil O. and Tabuni A.M. (1989): *Nigella sativa* and cell mediated immunity. Arch. AIDS. Res. I: 232-233.
- Gulluce M. Sokmen M. Daferera D. Agar G. Ozkan H. Kartak N. Polissiou M. Sokmen A. and Sahin F. (2003): In vitro antibacterial antifungal and antioxidant activities of the essential oil and methanolic extracts of herbal parts and callus cultures of *Saturegia hortensis* L. J. of Agric. Food Chem. 51: 3958 – 3965 .

- Halwani R. Habbal M.Z. and Abdelnoor A.M. (1999): The antibacterial effect of Some constituents of *Nigella sativa* oil . Arab J. Pharm. Sci. 1: 87 – 69 .
- Hili P. Evans C.S. and Veness R.G. (1997): Antimicrobial action of essential oils : the effect of dimethylsulphoxide on the activity of cinnamon oil. Applied Microbiol. 24: 269 – 275 .
- Kahsai A.W. (2002): Isolation and characterization of active ingredients from *Nigella sativa* for antibacterial screening East Tennessee state university Master's thesis chemistry.
- Morel C. Stermitz F.R. Tegos G. and Lewis K. (2003): Isoflavones as potentiators of antibacterial activity. J. Agric. Food Chem. 51 : 5677-5679
- Morsi N.M. (2000): Antimicrobial effect of crude extracts of *Nigella sativa* on multiple antibiotics-resistant bacteria. Acta Microbiologica Polonica. 49: 63-74 .
- Mouhajir F. Pedersen J.A. Rejdali M. and Towers G.H. (1999) : Antimicrobial thymohydroquinones of Moroccan *Nigella sativa* seeds detected by electron spin resonance Int. J. pharmacog. 37: 391-395 .
- Oumzil H. Ghoulemi S. Rhajaoui M. Ildrissi A. Fkih-Tetouani S. Faid M. and Benjouad A. (2002): Antibacterial and antifungal activity of essential oils of *Mentha suaveolens*. Phytother. Res. 16: 727 – 731.
- Pol I.E. and Smid E.J. (1999): Combined action of nisin and carvacrol on *Bacillus cereus* and *Listeria monocytogenes*. Lett. in Appl. Microbiol. 29: 166 – 170 .
- Rasooli I. and Mirmostafa S.A. (2003): Bacterial susceptibility to and chemical composition of essential oils from *Thymus kotschyanus* and *Thymus persicus*. J. Agric. Food Chem. 51: 2200 – 2205 .
- Riaz M. Syed M. and Chaudhary F.M. (1996): Chemistry of the medicinal plants of the genus *Nigella*. Hamdard medicus. 39: 40-45 .
- Sikkema J. de Bont J.A. and Poolman B. (1995): Mechanisms of membrane toxicity of hydrocarbons. Microbiol. Res. 59: 201-222.
- Southwell I.A. Hayes A.J. Markham J.L. and Leach D.N. (1993): The search for optimally bioactive Australian tea tree oil. Acta Hort. 334: 265-275 .
- Ultee A. Bennik M.H. and Moezelaar R. (2002): The phenolic hydroxyl group

of carvacrol is essential for action against the foodborne pathogen *Bacillus cereus*. *Appl. Environ. Microbiol.* 68: 1561-1568 .

Ustun G. Kent L. Ceking N. and Civelekoglu H. (1990): Investigation on the technological properties of *Nigella sativa* (black cumin) seed oil . *J. Am. Oil Chem. Soc.* 67: 958-960 .

Zaoui A. Cherrah Y. Lacaille-Dubois M.A. Settaf A. Amarouch H. and Hassar M. (2000): Diuretic and hypotensive effect of *Nigella sativa* in the spontaneously hypertensive rat . *Therapie.* 55: 379-382 .



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

العلاج النبوي بتمر العجوة في حالات التسمم والتليف الرئوي بالجازولين

د. ليلى أحمد الحمدي و أ. دينا إبراهيم موصلي

جامعة الملك عبد العزيز بجدة - كلية العلوم للبنات فرع الفيصلية



الملخص:-

- تم في هذا البحث استخدام منقوع تمر العجوة
أولاً: لمعرفة التأثير الذي يطرأ على التركيب النسيجي الطبيعي للرئة في ذكور الفئران
البيضاء البالغة (Adult Albino mice (Balb /C
 - وبالفحص المجهرى والدقيق لنسيج الرئة في جميع المجموعات المعاملة بمنقوع
التمر لم يلاحظ أي تغير يذكر في التركيب النسيجي، مما يدل على الأثر الإيجابي
لاستخدام منقوع تمر العجوة ويتيح أمامنا الفرصة لمعالجة النسيج المريض والشفاء
من العديد من الأمراض. وهو ما يتفق مع ما أوحى به الله عز وجل على لسان نبيه
المصطفى صلى الله عليه وسلم في تمر العجوة:
- كما في حديث سعد بن أبي وقاص: (من تصبغ بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم
سم ولا سحر). (صحيح مسلم، الأشربة حديث رقم ١٥٥)
- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن في عجوة العالية
شفاء أو أنها ترياق أول البكرة). (صحيح مسلم الأشربة حديث رقم ١٥٦)
- ثانياً: استخدم منقوع تمر العجوة لعلاج التسمم والتليف الرئوي الناتج عن استنشاق
وقود السيارات (الجازولين) المستخدم حديثاً ١ / ١ / ٢٠٠٧ في المملكة العربية السعودية
للعاملين بالمحطات ومرتادها ومن يسكن حولها.

المقدمة

بعد الاطلاع على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي وردت حول كثير من الاستخدامات العلاجية لبعض الأمراض، ولرغبتنا كباحثين في إثبات ما يتوفر في ديننا من إعجاز من خلال النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة، وحيث إن مجال دراساتنا يدخل في مسببات التغيرات المرضية للخلايا والأنسجة السليمة، وطرق علاجها بصفة العموم فقد قمنا باختيار بحث ودراسة هذه الآيات والأحاديث ومن هذه المعجزات التي جاءت في القرآن الكريم والسنة الشريفة التمر من علياء الشجرة الباسقة في السماء، شجرة طيبة كالكلمة الطيبة أصلها ثابت وفروعها في السماء، أول طعام بعد حليب الأم يدخل جوف الطفل في العقيقة، وأول طعام يفطر عليه الصائم، وخير سحور له؛ ولقد ورد ذكر التمر في القرآن الكريم في آيات كثيرة: قال تعالى في الشعراء: ﴿وزروع ونخل طلعها هضيم﴾ الآية (١٤٨) وقال الله تعالى: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا﴾ سورة النحل الآية (٦٧) وقال تعالى: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾ سورة مريم الآية (٢٥).

وذلك لإثبات العلاقة بين تناول منقوع تمر العجوة وتأثيراته على الأنسجة السليمة والمريضة المختلفة كما أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ذكر الشيء الكثير عن فوائد التداوي بتمر العجوة من الأمراض المختلفة.

الهدف من البحث

- نظراً للتأثيرات العلاجية للتمر، والذي خصه الرسول صلى الله عليه وسلم عن سائر الثمار إلى المواد الفعالة التي احتواها كالكربوهيدرات والبروتينات والفيتامينات والأملاح المعدنية؛ حيث يعتبر غذاء متكاملًا عدا عن كونه سهل الهضم والامتصاص .
- ونظراً لما يتركه التعرض لأبخرة الجازولين سواء للعاملين في المحطات أو مرتاديها

أومن يسكن حولها كذلك الأدوية المستخدمة في العلاج الطبي الحديث من آثار سلبية على الأنسجة السليمة؛ ف جاء هذا البحث لإثبات أن هذا التمر والذي أمر به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم - (إن هو إلا وحي يوحى) (النجم: ٤) لن يتسبب في ترك أي آثار سلبية على الأنسجة السليمة المختلفة. وهذا هو نتاج هذا البحث، ولإمكانية تطبيقه على الإنسان فقد تم أولاً تطبيقه على حيوانات التجارب .

طرق ومواد البحث :-

تم استخدام عدد (٦٥) من ذكور فئران التجارب البيضاء الناضجة جنسياً male adult albino mice من نوع Balb/C البالغة من العمر ١٢ أسبوعاً، بمتوسط وزن ٢ جم 89 ± 24 ، وتم الحصول عليها من بيت الحيوانات التابع لمركز الملك فهد للبحوث الطبية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وتم تربية الحيوانات في أقفاص معدنية خاصة داخل غرفة جيدة التهوية ذات إضاءة ورطوبة مناسبة تتراوح درجة الحرارة فيها ما بين ٢٠-٢١م تقريباً. وتم توفير تمر العجوة من سوق التمور بجنوب جدة، وتحضير منقوع تمر طازج يومياً عن طريق فصل الجزء اللحمي لتمر العجوة يدوياً عن النوى، ثم أخذ ١٠ جم من الجزء اللحمي حيث أن الإنسان البالغ الذي يزن ٧٠ كجم يتناول ٧ تمرات عجوة تطبيقاً لمنهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتم تعديل هذه الجرعة على وزن الفأر وكانت بمقدار ٠,٠٢ ملجم/ جم، ثم نُقع الجزء اللحمي في ١٠٠ مل من الماء المقطر لمدة ٢٤ ساعة عند ٤ م، وتم تحضير مستخلص تمر طازج يومياً وذلك بطحن وترشيع منقوع التمر باستخدام ورق الترشيح من نوع whatman No.2، وحفظ في حاوية عند درجة حرارة الغرفة .

وفي بداية التجربة وضعت ذكور الفئران كل على حدة في أقفاص خاصة بالفئران، وتم

تقسيم حيوانات التجارب إلى :

- **المجموعة الأولى:** ومثلت المجموعة الضابطة الأولى واحتوت على ١٥ فأراً، وضعت الفئران في الصندوق ولم يتم تعريضهم لجازولين ٩١ وأعطيت ماء الشرب العادي في الفترات التجريبية (٢، ٤، ٦) أشهر.
 - **المجموعة الثانية:** مثلت المجموعة الضابطة الثانية واحتوت على ١٥ فأراً أعطيت جرعة مقدارها ٠,٠٢ ملجم/ جم من منقوع تمر العجوة بالفم عن طريق الأنبوبة المعدية أي ما يعادل سبعة تمرات للإنسان البالغ.
 - **المجموعة الثالثة:** ومثلت المجموعة المعاملة بالبنزين والمكونة من ١٥ فأراً، عرّضت لاستنشاق جازولين ٩١ لمدة ٨ ساعات/ ٥ أيام في الأسبوع.
 - **المجموعة الرابعة:** واحتوت على ١٥ فأراً ومثلت الحيوانات التي أعطيت جرعة مقدارها ٠,٠٢ ملجم/ جم من منقوع تمر العجوة بالفم عن طريق الأنبوبة المعدية؛ وبعد ساعة من إعطائها التمر تم تعريضها لاستنشاق جازولين ٩١ لمدة ٨ ساعات/ ٥ أيام في الأسبوع.
 - **المجموعة الخامسة:** احتوت على ٥ فئران مثلت مجموعة الحيوانات المعرضة لاستنشاق بنزين ٩١ لمدة ٨ ساعات/ ٥ أيام في الأسبوع ولمدة شهرين فقط، ثم تركت لمدة شهرين أخرى بدون معاملة للاستشفاء الطبيعي.
- ووضع كل فأر في قفص مستقل داخل صندوق التجربة؛ وفتح غطاء الصندوق بعد انتهاء فترة التعرض لمدة ساعة لتستنشق الحيوانات الهواء الطبيعي في الحجرة. وتم مراقبة الحيوانات في كل المجموعات يومياً وتسجيل التغيرات السلوكية والمظهرية التي طرأت عليها. وتسجيل وزن الفئران أسبوعياً في بداية ونهاية كل فترة من الفترات التجريبية (٢، ٤، ٦) أشهر، وذلك لفئات المجموعات المعاملة والضابطة (G1، G2، G3، G4)، ثم قتلت الحيوانات بطريقة التخنيع وشرّحت سريعاً ودونت التغيرات التي طرأت على الأحشاء

الداخلية مقارنة بالمجموعة الضابطة، ثم استخرجت الرئة ووزنت وقُطعت إلى أجزاء صغيرة ثم غمرت سريعاً في المثبت المناسب للفحص بالمجهر الضوئي والإلكتروني .

نتائج البحث:-

عند دراسة التركيب النسيجي للرئة للعينات الضابطة والمعطاة من منقوع تمر العجوة كانت كما يلي:

- القصبة الهوائية Trachea هي عبارة عن أنبوب رقيق الجدار مرن يصل قطره إلى حوالي ٥, ٢ سم وطوله ١٠ سم. تعمل كقناة للهواء بالإضافة إلى أن جدارها يساعد في تكييف الهواء المستنشق. تمتد القصبة الهوائية من الحنجرة إلى حوالي منتصف الصدر، حيث تتفرع مكونة ما يعرف بالشجرة القصبية Bronchial Tree، والتي تنقسم إلى قصبتين أوليتين رئيسيتين Primary Bronchus إلى اليمين واليسار تدخلان الرئتين عند منطقة السرة hilum. وعند دخول القصبيات الأولية إلى الرئتين فإنها تنقسم إلى ثلاث قصبيات ثانوية Secondary Bronchi في الرئة اليمنى وقصبتين في الرئة اليسرى وتنقسم هذه القصبيات الفصية Lobular Bronchi بشكل متكرر مكونة قصبيات أصغر تدعى بالقصبيات النهائية (Terminal Bronchioles Tb). وتدخل كل قصيبة إلى فصيص رئوي Pulmonary Lobule حيث تتفرع مكونة ١٠ قصبيات نهائية في الرئة اليمنى، و٨ قصبيات نهائية في الرئة اليسرى .
- وتتكون القصبيات النهائية Terminal Bronchioles من نسيج طلائي مكعب بسيط مهذب وتظهر الخلايا الطلائية المكعبة المهذبة ذات نواة قاعدية بيضاوية الشكل ويحتوي سيتوبلازمها القمي على العديد من الميتوكوندريا، ويحتوي على خلايا كلارا (Clara cells Cc) أو الخلايا الرئوية الإفرازية غير المهذبة nonciliated bronchiolar secretory cells شكل (1a,2a,b). وتكون خلايا كلارا خالية من الأهداب وتحتوي قممها على حبيبات إفرازية التي تحافظ على بطانة القصبيات

small airways lining وتعمل على تزييت surfactant، وتمنع انقباض القصيبات، كما تحتوي على انزيمات سيتوكروم P-450 المؤكسدة oxidases والتي لها دور هام في إزالة السمية detoxifying. كما تحتوي على نواة غير منتظمة الشكل قاعدية، وتقع الشبكة الإندوبلازمية الخشنة (RER) Rough Endoplasmic Reticulum وجولي Golgi (Go) والميتوكوندريا (M) Mitochondria قاعدياً أو قيمياً بالقرب من النواة. والشبكة الإندوبلازمية الملساء Smooth Endoplasmic Reticulum (SER) فتتخذ الموقع القمي في السيتوبلازم وتمثل معظم حجم السيتوبلازم. وتنقسم هذه القصيبات النهائية إلى فروع أقصر وأنحف سمكاً تسمى قصيبات تنفسية.

• الجزء التنفسي Respiratory portion يتمثل في القصيبات التنفسية Respiratory Bronchioles والتي تعمل كمناطق انتقال بين الأجزاء الموصلة والأجزاء التنفسية من الجهاز التنفسي عبر قنوات الحويصلات الهوائية (Ad) Alveolar Ducts إلى الحويصلات الهوائية (A) Alveoli، وتتألف الحويصلة alveolus من خمسة أنواع رئيسية من الخلايا هي شكل (1b، 3، 4، 5) :

الخلايا البطانية للوعاء الشعري (En) Endothelial Cells وهي رقيقة جداً. وتكون بطانة الأوعية الشعرية متصلة حيث تشكل ضفيرة شاملة حول كل حويصلة وغير مثقبة no fenestrae، يصل سمكها من ١٠-٧ μm.

الخلايا الحويصلية النوع الأول (Type I alveolar Cells (type I pneumocytes (P1) تدعى خلايا الحويصلات الهوائية الحرفشية Squamous Aveolar Cells. وهذه الخلايا المبطننة لسطوح الحويصلات الهوائية رقيقة جداً، وتشكل ما يقارب ٩٥٪ من سطوح الحويصلات الهوائية تحتوي طبقة رقيقة مسطحة من السيتوبلازم. وتتجمع العضيات الداخلية من أجسام جولجي والشبكة الإندوبلازمية والميتوكوندريا حول نواة صغيرة بيضاوية لتقلل من سمك الحاجز الدموي الهوائي تاركة مساحات كبيرة من السيتوبلازم خالية من العضيات، وتحتوي أغشية خلايا النوع الأول Type I alveolar cells على اتصالات مطبقة Occluding Junctions.

الخلايا الحويصلية النوع الثاني (Type II alveolar Cells (type II pneumocytes) وتعدى بخلايا الحويصلات الكبيرة Great alveolar cells أو خلايا الحاجز Septal Cells فتشكل النسبة المتبقية (٥٪). وتكون هذه الخلايا رقيقة جداً بحيث يتراوح سمكها في بعض الحالات 25 nm، وهي مكعبة تقريباً وأكبر في الحجم من خلايا النوع الأول P1، وتوجد عادةً بشكل مجاميع عشوائية من خليتين أو ثلاث على طول سطح الحويصلات الهوائية في المواقع التي تتحد فيها جدران الحويصلات الهوائية مكونة زوايا (في نقطة تفرع الحاجز الحويصلي)، وتعتبر الخلايا الهامة في الدرجة الأولى primary importance عند فحص إصابة أو تضرر الرئة .

تحتوي السطوح القمية الحرة لهذه الخلايا على زغابات دقيقة Microvilli (Mv)، نواتها بارزة والكروماتين فيها متفرق وسيتوبلازمها مليء بالحويصلات، تختلف عن نواة خلية النوع الأول P1 ونواة الخلية البطانية (En) للوعاء الدموي حيث أن النواة هنا مسطحة وكثيفة وصغيرة . ويظهر سيتوبلازم هذه الخلايا بشكل حويصلي Vesicular أورغوي Foamy لاحتوائه على أجسام صفائحية Lamellar Bodies (Lb) محبة لصبغة الأوزميوم osmiophilic تحتوي على صفائح متحدة المركز أو متوازية ومحددة بغشاء وتحتوي هذه الخلايا على محتوى عالي من انزيمات superoxide dismutases . ومنها تنشأ المادة التي تنتشر على سطوح الحويصلات مكونة غطاء يدعى الغطاء السطحي الرئوي Pulmonary Surfactant (Ps) الذي يقلل من التوتر السطحي للحويصلات الهوائية .

البلعميات الحويصلية Alveolar Macrophages (Mc) تسمى البلعميات الكبيرة في جدار الحويصلات الهوائية بخلايا الغبار Dust Cells (Dc)، وتشتق من الخلايا وحيدة النواة Monocytes التي تنشأ من نخاع العظم . وتوجد هذه البلعميات في الجزء الداخلي من الحاجز في الحويصلات الهوائية . إضافة إلى تواجد الخلايا الليفية Fibroblasts (F) والخلايا الصارية Mast Cells والخلايا المتقلصة . وتقوم الخلايا الليفية الخلالية بتخليق الكولاجين والألياف المطاطة والجليكوزأمينوجلايكانات .

وتغطي الرئة بغشاء مصلي يسمى غشاء الجنب Pleura . ويتألف من طبقتين هما الجنب

الجداري Parietal والحشوي Visceral والذان يتصلان في منطقة السرة . ويتكون هذان الغشاءان من خلايا طلائية متوسطة Mesothelial Cells تستقر على طبقة دقيقة من النسيج الرابط المحتوي على ألياف كولاجينية ومطاطة .

وبعد الفحص بالمجهر الضوئي والإلكتروني للنسيج الرئوي في الفترات التجريبية (٢، ٤، ٦) أشهر، لم يلاحظ وجود فروق جوهرية تشريحية في النسيج الرئوي في الفئران الضابطة التي أعطيت ماء الشرب العادي والمطاة منقوع تمر العجوة .

وعند دراسة التركيب النسيجي للرئة للعينات المعرضة لاستنشاق جازولين ٩١ كانت كما يلي:

أوضح الفحص النسيجي بالمجهر الضوئي لرئة الفئران المعرضة لاستنشاق الجازولين بجرعة (٠، ٠٠٨) ملجم/ جم لمدة شهرين وأربعة أشهر تنخر بعض الخلايا الطلائية المكعبة المهذبة المبطنة للقصيبات النهائية واحتقان الأوعية والشعيرات الدموية الرئوية مع تنخر أنوية الخلايا الطلائية الداخلية المبطنة لها ورشح من الخلايا الالتهابية شكل (6a,b) . كما لوحظ ضمور hypertrophy وتنخر Necrosis وتحلل lysis موضعي لخلايا كلارا . والطلائية المهذبة المكونة للقصيبات النهائية وتضخم بعض الخلايا الحويصلية النوع الأول والخلايا الحويصلية النوع الثاني مع تكاثر للخلايا الليفية إضافة إلى زيادة سمك الجدر الحويصلية، وأكد الفحص بالمجهر الإلكتروني التغيرات السابقة حيث لوحظ ضمور بعض أنوية الخلايا الطلائية المكعبة المهذبة وخلايا كلارا وتشوه الآخر وامتلاء الأوعية والشعيرات الدموية بكريات الدم الحمراء المشوهة والصفائح الدموية المحطمة وتنخر بعض أنوية الخلايا الطلائية المبطنة لها وتضخم البعض الآخر، إضافة إلى تنخر بعض الخلايا الحويصلية النوع الثاني وتناول البعض الآخر وضمور أنويتها جدول (٢)، وتتخذ الميتوكوندريا بها الشكل الكأسي، إضافة إلى زيادة حجم سيتوبلازم الخلايا الحويصلية النوع الأول مع تواجد القطرات الدهنية بها، وضمور أنويتها واحتوائها على ضمنيات سيتوبلازمية، وتليف الجدر الحويصلية شكل (7، 8a,b، 9a,b، 10، 11a,b، 12a,b، 13) . ومع استمرار التجربة إلى ٦

أشهر لوحظ زيادة سمك الجدر الحويصلية وارتشاح لسوائل الدم، واحتقان الشعيرات الدموية بكرات الدم الحمراء، وتليف بؤري في البرنشيمة الرئوية التنفسية شكل (14a,b).

أما عند دراسة التركيب النسيجي للرئة في العينات التي أعطيت منقوع تمر العجوة ثم عرضت لاستنشاق جازولين ٩١ كانت كالتالي:

أظهر الفحص النسيجي لمعظم قطاعات الرئة في الفئران المعطاة منقوع تمر العجوة بجرعة (٠,٠٢ ملجم/جم)، ثم عرضت لاستنشاق البنزين بجرعة (٠,٠٠٨, ٠) ملجم/جم لمدة شهرين وأربعة أشهر تحسن ظاهر للتغيرات المرضية، والتي سبق مشاهدتها في مجموعة الفئران المستنشقة للجازولين لنفس الفترة الزمنية حيث أظهر الفحص لمعظم القطاعات التركيب شبه الطبيعي للبرنشيمة التنفسية، حيث بدت الحويصلات الرئوية جيدة التكوين وتتكون من طبقة منتظمة من الخلايا الحويصلية النوع الثاني P2، والنوع الأول P1 والطلائية المبطنة للشعيرات الدموية مع تجمع للخلايا الغبارية في الحاجز الحويصلي الرئوي، كما لوحظ احتفاظ الخلايا المكعبة المهذبة، وخلايا كلارا المكونة للقصبية النهائية، والحويصلات الهوائية بالتركيب شبه الطبيعي مع زيادة في الخلايا الحويصلية النوع الثاني شكل (١٥)، وقد دعم الفحص الدقيق التغيرات السابقة وأظهر الأثر الإيجابي لمنقوع تمر العجوة في تحسن ملحوظ للنسيج الرئوي حيث ظهرت الخلايا المكعبة المهذبة وخلايا كلارا ذات أنوية طبيعية، وزيادة المحتوى السيتوبلازمي من الشبكة الإندوبلازمية الملساء، إضافة إلى احتفاظ الخلايا الحويصلية النوع الأول والنوع الثاني بالمظهر الطبيعي، كذلك احتفظت الشعيرات الدموية والخلايا البطانية لها بطبيعية التركيب شكل (١٦، ١٧، ١٨). ومع استمرار المعاملة إلى ٦ أشهر لوحظ اختفاء العديد من الآثار السلبية والتليف للمعاملة عند مقارنتها بالمجموعة المعرضة لاستنشاق الجازولين واحتفاظ النسيج الرئوي لشكله الطبيعي تقريباً شكل (١٩).

وعند دراسة التركيب النسيجي للرئة في عينات مجموعة الاستشفاء كانت كما يلي:

أظهر الفحص النسيجي لكبد فئران هذه المجموعة عدم مقدرة النسيج الرئوي الذاتية على التمدد، ولوحظت أضرار نسيجية عديدة تمثلت في تنخر موضعي لبعض الخلايا في

الطبقة المخاطية للقصبية النهائية (Tb)، مع زيادة الإفراز الحبيبي لخلايا كلارا، وتحطم موضعي للغشاء القاعدي (Bm) والطبقة العضلية (Smc) كما لوحظ احتقان الشعيرات الدموية وتناقص أعداد الخلايا الحويصلية، النوع الأول جدول (١)، وزيادة سمك الجدر الحويصلية شكل (٢٠، ٢١). كما دعم الفحص الدقيق التغيرات السابقة حيث أظهر تنخر أنوية خلايا كلارا، وتليف الغشاء القاعدي الذي تركز عليه في القصبية النهائية وامتلاء تجويف الشعيرات الدموية بكريات الدم الحمراء، والصفائح الدموية المحطمة مع تنخر الخلايا الحويصلية النوع الأول وتحلل عضياتها وتجمع القطرات الدهنية بها وتفلطح الخلايا الحويصلية النوع الثاني، وتناقص الأجسام الصفائحية بها وتشوهها وترسب ألياف الكولاجين في الجدر الحويصلية شكل (22، 23، 24a,b، 25).

التوصيات :-

١. لقد ورد ذكر التمر في القرآن الكريم في آيات كثيرة قال الله: تعالى في محكم كتابه ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ﴾ سورة النحل (٦٧).
٢. وفي حديث سعد بن أبي وقاص قال: « من تصبغ بسبع تمرات عجوة، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر ». (صحيح مسلم، ٥٣٣٩)، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن في عجوة العالية شفاء، أو أنها ترياق، أول البكرة ». (صحيح مسلم، الأشربة حديث رقم ١٥٥)
- وحيث يعتبر الجازولين ذا سُمية عالية حيث تتسبب مكوناته في سمية الدم والجينات .
٣. دلائل على الإعجاز العلمي في الطب النبوي لتأثير تمر العجوة على التركيب النسيجي لرئة الفئران.
٤. دراسة تأثير تمر العجوة لأول مرة على سلوك حيوانات التجارب ونسبة بقائها.
٥. معرفة التأثير الفعال لتمر العجوة أيضا لأول مرة على الخلايا والأنسجة الرئوية السليمة.
٦. دراسة التأثير العلاجي لتمر العجوة لأول مرة لعلاج التسمم والتليف الرئوي بالجازولين.

٧. اكتشاف أن تمر العجوة لا يؤثر على الخلايا السليمة الحية ويعالج التسمم والتليف الرئوي الناتج عن استنشاق وقود السيارات (الجازولين).

التوصية :-

أوضحت هذه الدراسة أنه لم يكن هناك أي تأثير ضار لتمر العجوة على التركيب النسيجي للأنسجة الرئوية الحية السليمة وتأثيره العلاجي على التسمم والتليف الرئوي الناتج من استنشاق أبخرة الجازولين مما يتيح الفرصة أمامنا للوصول إلى إثبات الأثر الإيجابي لهذا التمر في معالجة الأنسجة المريضة في الأعضاء المختلفة وهذا ما أوحى به الخالق عز وجل على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في استخدام العجوة للشفاء من عديد من الأمراض كما ورد في الطب النبوي.

Table(1): Mean and standard division of Numbers pneumocytes Type I, II diameter for control and treated adult male mice at the end of each experimental period.

Type I, II pneumocytes		Groups					
		Control (G ₁)	Ajwah date (G ₁₁)	Gasoline 91 (G ₂)	Ajwah date & Gasoline 91 (G ₃)	Recovery (G ₄)	
8 Weeks(a)	Type I pneumocytes	Avg	4.8	5	3.2	5.1	-
		±SD	0.836	1.224	0.836	0.836	-
		P	0.771		0.016*	0.095	-
	Type II pneumocytes	Avg	4.8	4.4	3.6	5	-
		±SD	2.387	2.073	0.894	1.732	-
		P	0.784		0.032*	0.863	-
16 Weeks(b)	Type I pneumocytes	Avg	4.2	4	3.6	4.6	2.8
		±SD	0.836	0.707	0.894	0.984	0.836
		P	0.604		0.030*	0.496	0.029*
	Type II pneumocytes	Avg	4.8	4.4	5.6	5.8	3.7
		±SD	2.387	1.516	0.804	1.483	1.224
		P	0.76		0.005**	0.049*	0.272
24 Weeks(c)	Type I pneumocytes	Avg	4.6	4.4	3	4	-
		±SD	1.14	0.894	0.894	0.707	-
		P	0.766		0.027*	0.347	-
	Type II pneumocytes	Avg	4.8	4.6	2.8	4.6	-
		±SD	1.623	1.984	0.836	1.516	-
		P	1		0.04*	0.86	-

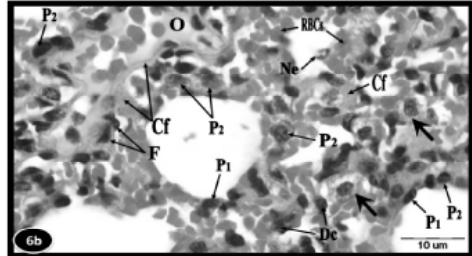
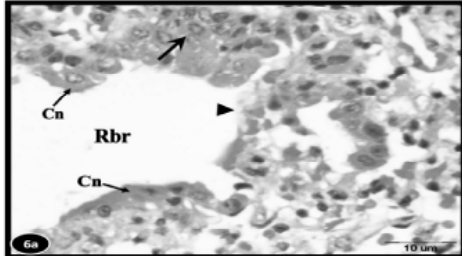
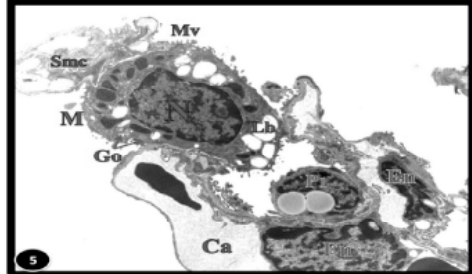
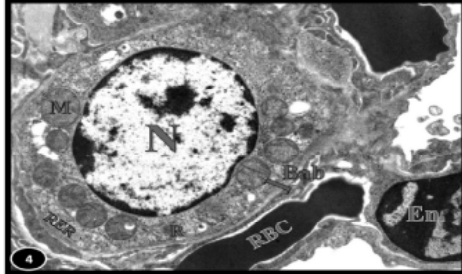
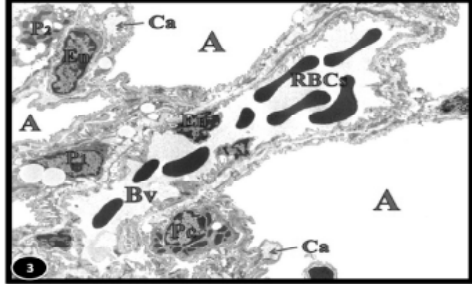
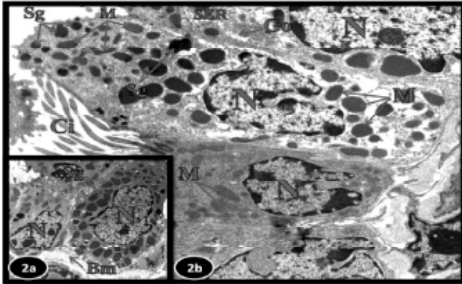
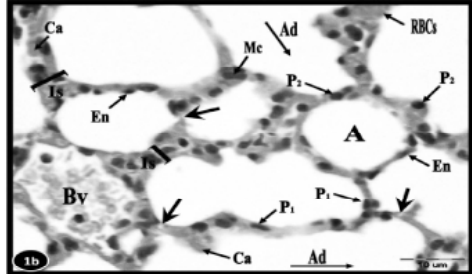
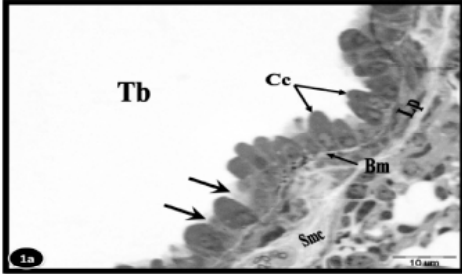
Significant levels : P > 0.05 not significant , P ≤ 0.05* significant ; or ≤ 0.005** highly significant , ± SD : standard deviation

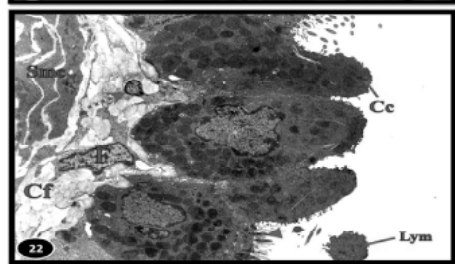
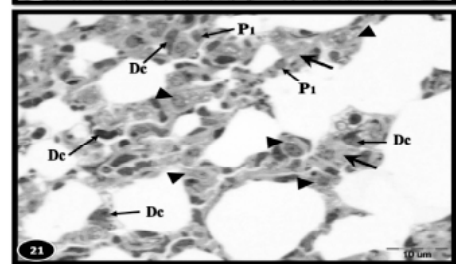
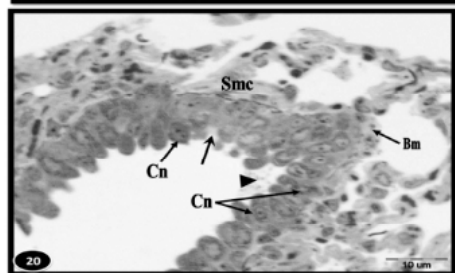
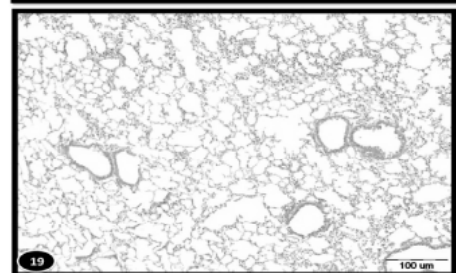
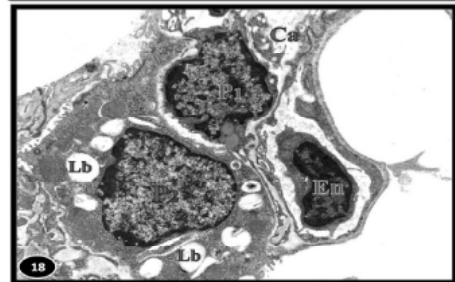
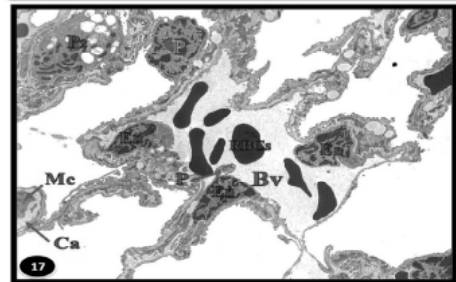
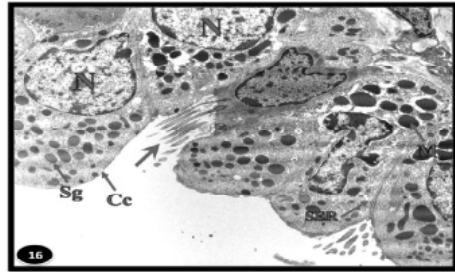
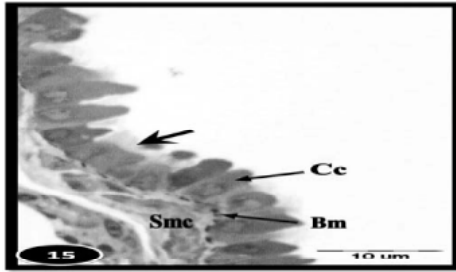
Table(2): Mean and standard division of Type II Pneumocyte measurements for control and treated adult male mice after 4 month of experimental.

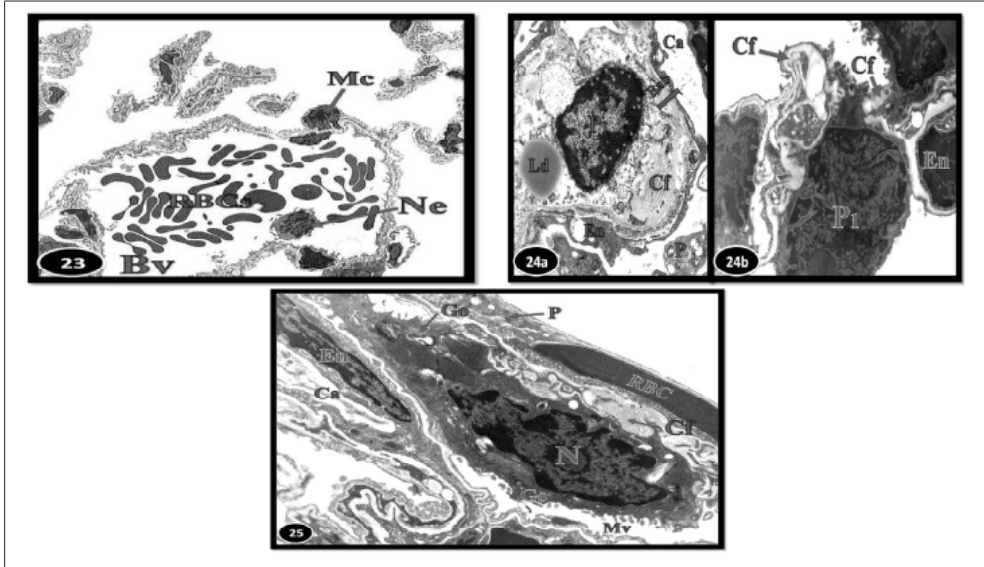
Measurements		Groups					
		Control (G ₁)	Ajwah date (G ₁₁)	Gasoline 91 (G ₂)	Ajwah date & Gasoline 91 (G ₃)	Recovery (G ₄)	
Type II Pneumocyte	L	Avg	0.92	0.92	1.65	0.93	1.68
		±SD	0.041	0.039	0.16	0.039	0.15
		P	0.412		0.00**	0.415	0.00**
	W	Avg	0.48	0.47	0.82	0.86	0.85
		±SD	0.059	0.058	0.082	0.06	0.092
		P	0.03*		0.00**	0.001**	0.00**

Significant levels : P > 0.05 not significant , P ≤ 0.05* significant ; or ≤ 0.005** highly significant , ± SD : standard deviation

13







التعليق على الصور :

من (١) إلى (٥)؛ صور بالمجهر الضوئي والإلكتروني لثروة الفئران الضابطة.

شكل (1a): قطاع نصف رقيق يوضح جزءاً من القصيبة النهائية (Tb) التي تحتوي على خلايا كلارا (Cc) الخالية من الأهداب والخلايا المكعبة المهذبة (←) والغشاء القاعدي لها (Bm) والتي تتركز على الصفيحة الذاتية (Lp)، وتظهر طبقة العضلات الملساء (Smc) (1b): صورة توضح الحويصلات الهوائية (A) واحتواء الجدر الحويصلية على الخلايا الحويصلية النوع الأول P1 والخلايا الحويصلية النوع الثاني P2 والخلايا الطلائية (En) المبطنة للشعيرات الدموية (Ca) والخلية البلعمية (Mc) والثقوب بين الحويصلات الهوائية (←) الوعاء الدموي (Bv)، كما يلاحظ القناة الحويصلية (Ad) والجدر بين الحويصلية (Is). (H. & E.) (1000x)

شكل (2a): صورة داخلية توضح الخلايا المبطنة للقصيبات النهائية حيث يلاحظ خلايا كلارا خالية من الأهداب ذات نواة (N) قاعدية وحببيات إفرازية (Sg) في سيتوبلازمها

القمي . كما يلاحظ الخلايا المكعبة المهذبة تحيط الأهداب (Ci) بسطحها القمي ويحتوي سيتوبلازمها على النواة (N) قاعدية، تتركز الميتوكوندريا في سيتوبلازمها القمي وترتكز هذه الخلايا على الغشاء القاعدي.

(2b):، (26000x) . (Bm) صورة مكبرة لشكل (2a) توضح جزء من القصبيات النهائية تحتوي على خلايا كلارا (Cc) ذات نواة (N) قاعدية وحببيات إفرازية (Sg) وميتوكوندريا (M) في سيتوبلازمها القمي، والقاعدي والشبكة الإندوبلازمية الملساء (SER) التي تحيط بالنواة وأجسام جولجي (Go). كما يلاحظ الخلايا الطلائية المكعبة المهذبة تحيط الأهداب (Ci) بسطحها القمي ويحتوي سيتوبلازمها على النواة (N) والميتوكوندريا (M) . (5800x)

شكل (3): صورة توضح جزء من البرنشيمة الرئوية ويبطن جدار الحويصلات بالخلايا الحويصلية P1 و P2، كما يلاحظ الأوعية الشعرية (Ca) تبطن بالطلائية الداخلية (En) كما يلاحظ خلية بلازمية (Pc)، ووعاء دموي (Bv) يبطن بالطلائية الداخلية (En) ويحتوي على كرات دم حمراء (RBCs) . (2600x)

شكل (4): صورة توضح الخلية الطلائية الحويصلية النوع الأول P1 ذات نواة بيضاوية مركزية وتظهر الميتوكوندريا دائرية (M) ذات أعراف أنبوبية شبكية التنظيم والشبكة الإندوبلازمية الخشنة (RER) والريبوسومات الحرة (R)، كما يلاحظ الحاجز الدموي الرئوي (Bab) والوعاء الشعري (Ca) يبطن بالطلائية الداخلية (En) ويحتوي على كرية دم حمراء (RBC) . (7900x)

شكل (5): صورة توضح الخلية الطلائية الحويصلية النوع الأول P1 والخلية الحويصلية النوع الثاني (P2) ويلاحظ على سطحها الحر زغيبات قصيرة (Mv) وسيتوبلازم مليء بالميتوكوندريا (M) والأجسام الصفائحية (Lb) وتحتوي على أجسام جولجي (Go) ويبطن الوعاء الشعري (Ca) بالطلائية الداخلية (En) والخلايا العضلية الملساء . (4600x)

من (٦) إلى (١٣): صور بالمجهر الضوئي والالكتروني لرثة الفئران المعرضة لاستنشاق الجازولين لمدة ٤ أشهر.

شكل (6a): قطاع في رثة فأر عرض لاستنشاق الجازولين لمدة ٤ أشهر يوضح تكاثر الخلايا الطلائية المكعبة المهذبة (←) وتحلل بعض خلايا كلارا والطلائية المهذبة ، كما لوحظ تنخر (Cn) في أجزاء أخرى من القصيبات التنفسية. (6b): (H. & E.) (1000x) توضح تكاثر الخلايا الحويصلية (P2) مع تضخم البعض الآخر (←) كما لوحظ تضخم الخلايا الحويصلية (P1) والخلايا الليفية (F) وتجمع للخلايا البلعمية الغبارية (Dc) والخلايا وحيدة النواة المتعادلة (Ne) مع ترسب ألياف الكولاجين (Cf) في الجدر الحويصلية مع ارتشاح لسوائل الدم (O) وركود كريات الدم الحمراء (RBCs) في البرنشيمة الرئوية. (H. & E.) (1000x)

شكل (7): صورة توضح تنخر الطلائية المهذبة المكعبة (←) وخلايا كلارا (Cc) مع تشوه أنوية خلايا كلارا (*) واضطراب الغشاء القاعدي وتحلل أجزاء منه. (2600x)

شكل (8a): قطاع في رثة فأر عرض لاستنشاق الجازولين لمدة ٤ أشهر توضح امتلاء الوعاء الدموي (Bv) بكريات الدم الحمراء (RBCs) والصفائح الدموية المتحطمة (←) (8b): (1100x): صورة توضح احتقان الشعيرات الدموية (Ca) وتراكم كرات الدم الحمراء المشوهة (RBCs) بها مع زيادة أعداد الصفائح الدموية المحطمة (←) وتناقص في أعداد الخلايا الحويصلية من النوع الأول P1 والنوع الثاني P2 ، كما لوحظت الخلايا الليفية (1100x). (F)

شكل (9a): قطاع في رثة فأر عرض لاستنشاق الجازولين لمدة ٤ أشهر توضح تنخر نواة الخلايا البطانة الداخلية (En) للوعاء الشعري. (9b): (5800x) توضح تضخم أنوية الخلايا البطانية الداخلية (En) داخل الوعاء الشعري (Ca)، بالإضافة إلى وجود الصفائح الدموية المحطمة به (4600x). (P)

شكل (10): قطاع في رثة فأر عرض لاستنشاق الجازولين لمدة ٤ أشهر توضح الخلية الحويصلية (P2) ذات (N) ضامرة يحتوي سيتوبلازمها على العديد من الأجسام الصفائحية (Lb) وميتوكوندريا متحللة (M)، وأجسام جولجي ضامرة (Go) كما لوحظ تناقص الزغيبات (Mv) على سطحها الحر، واحتواء الشعيرة الدموية (Ca) على كرات دم حمراء (7900x). (RBC)

شكل (11a): قطاع في رثة فأر عرض لاستنشاق الجازولين لمدة ٤ أشهر توضح الخلية الحويصلية (P2) وتظهر الميتوكوندريا (M) قليلة العدد ضامرة ومشوهة أو كاسية الشكل متحللة، وضمور

جولجي (Go) وتوسع صهاريج الشبكة الاندوبلازمية الخشنة (RER)، بالإضافة إلى تمزق الحافة الزغيبية (Mv) للخلية الحويصلية . (11b): ، (19000x) توضح تحلل سيتوبلازمي ونووي الخلية الحويصلية (P1) وسيتوبلازم مليء بالقطرات الدهنية (Ld) كما يلاحظ تضخم وتطاول نواة الخلية الحويصلية (P2) وتكاثف الكروماتين غير النشط (←) داخل السائل النووي كما تظهر تنخر وتحلل للعضيات الداخلية : الميتوكوندريا (M) والأجسام الصفائحية (Lb) وكما لوحظ تناقص الزغيبات الدقيقة (Mv) على سطحها الحر وانتشار مادة الغطاء السطحي (Ps)، إضافة إلى احتواء الوعاء الشعري على خلية بطانية متنخرة (En). (7900x).

شكل (12a): قطاع في رئة فأر عرض لاستنشاق الجازولين لمدة ٤ أشهر توضح الخلية الطلائية الحويصلية (P1) ويلاحظ تكاثف الكروماتين المتباين على طول الغلاف النووي واحتواء نواتها على ضمينات سيتوبلازمية (←) محاطة بغشاء مزدوج محاطة بغشاء مزدوج، بالإضافة إلى تنخر الخلية الحويصلية (P2) ونضوح مادة السرفاكتنت (Ps) داخل التجويف الحويصلي، (7900x). (A). شكل (12b): قطاع في رئة فأر عرض لاستنشاق الجازولين لمدة ٤ أشهر توضح زيادة حجم السيتوبلازم في الخلية الحويصلية (P1) وتحلل معظم عضياتها السيتوبلازمية وتكاثف الكروماتين غير النشط داخل البلازما النووية واتساع الفراغ بين طبقتي الغلاف النووي (←). (10500x).

شكل (13): قطاع في رئة فأر عرض لاستنشاق الجازولين لمدة ٤ أشهر توضح زيادة سمك الحاجز الدموي الهوائي الحويصلي وترسب ألياف الكولاجين (Cf)، والقطرات الدهنية وتنخر الطلائية البطانية الداخلية (En) داخل الشعيرة الدموية (13500x). (Ca).

صورة بالمجهر الضوئي لرئة الفئران المعرضة لاستنشاق الجازولين لمدة ٦ أشهر

شكل (14a): قطاع في رئة فأر عرض لاستنشاق الجازولين لمدة ٦ أشهر يوضح تليف بؤري البرنشيمة الرئوية التنفسية (14b): ، (1000x). (H. & E.). (Cf) توضح ارتشاح سوائل الدم (O) وزيادة الخلايا الليفية (F) واللمفية (Lym) والصلارية (←) والبلازمية (Pc) والبلعمية (H. & Mc). (1000x). (E.).

من (١٥) إلى (١٨): صور بالمجهر الضوئي والإلكتروني لرئة الفئران المعطاة منقوع تمر العجوة ثم عرضت لاستنشاق الجازولين لمدة ٤ أشهر.

شكل (15): قطاع في رئة فأر أعطي منقوع التمر ثم عرض لاستنشاق الجازولين لمدة ٤ أشهر قطاع

نصف رقيق يوضح التركيب الطبيعي لخلايا كلارا (Cc) والخلايا المكعبة المهذبة) ← (التي تتركز على الغشاء القاعدي (Bm) كما يلاحظ الطبقة العضلية الملساء (1000x) (T. B.) . (Smc)

شكل (16) : صورة توضح الخلايا المكعبة المهذبة) ← (وخلايا كلارا (Cc) ذات أنوية طبيعية (N) وترتكز الحبيبات الإفرازية في السطح القمي (Sg)، إضافة إلى زيادة الشبكة الإندوبلازمية الملساء (4600x) . (SER)

شكل (17) : صورة توضح احتفاظ الأوعية الدموية (Bv) بالتركيب الطبيعي مبطنة بالطلائية الداخلية (En) واحتوائها على كرات الدم الحمراء (RBCs) والصفائح الدموية (P) طبيعية المظهر مع تواجد الخلية البلعمية (Mc) داخل الشعيرة الدموية الحويصلية (Ca)، كما يوجد الخلايا الحويصلية النوع الأول (P1) والنوع الثاني (P2) في الجدار الحويصلي . (2600x)

شكل (18) : صورة توضح الخلية الحويصلية النوع الأول (P1) والخلية الحويصلية النوع الثاني (P2) طبيعية المظهر وتحتوي على الأجسام الصفائحية (Lb)، كما يلاحظ الخلية الطلائية (En) المبطنة للشعيرة الدموية الحويصلية (5800x) . (Ca)

صورة بالمجهر الضوئي لرئة الفئران المعطاة منقوع تمر العجوة ثم عرضت لاستنشاق الجازولين لمدة ٦ أشهر

شكل (19) : قطاع في رئة فأر أعطي منقوع التمر ثم عرض لاستنشاق الجازولين لمدة ٦ أشهر يوضح احتفاظ البرنشيمة التنفسية الرئوية بتركيبها الطبيعي . (100x) . (H. & E.)

من (٢٠) إلى (٢٥) : صور بالمجهر الضوئي والالكتروني لرئة الفئران في مجموعة الاستشفاء .

شكل (20) : قطاع نصف رقيق في رئة فأر من مجموعة الاستشفاء يوضح تحلل) ← (بعض الخلايا في الطبقة المخاطية المكونة للقصبات النهائية (Tb) مع تنخر (Cn) خلايا كلارا وزيادة الإفراز الحبيبي لها، وتحطم موضعي للغشاء القاعدي (Bm) والطبقة العضلية (1000x) (T. B.) . (Smc)

شكل (21) : قطاع في رئة فأر من مجموعة الاستشفاء يوضح احتقان الشعيرات الحويصلية وزيادة سمك الجدر الحويصلية) ← (وتضخم الخلايا الحويصلية النوع الثاني P2، كما يلاحظ قلة أعداد الخلايا الحويصلية (1000x) (T. B.) . (P1)

◀ شكل (22) : صورة في رئة فأر من مجموعة الاستشفاء توضح تناقص الحبيبات الإفرازية (←) (في السيتوبلازم القمي لخلايا كلارا (Cc) مع تنخر أنويتها (*)) وتحطم الغشاء القاعدي الذي تتركز عليه وتليفه (Cf) وتمزق الأهداب السطحية للخلايا المكعبة مع تنخر بعضها واضطراب الطبقة العضلية للمساء (Smc) ووجود الخلايا الليفية (F)، كما يلاحظ الخلية اللمفية (3400x) . (Lym)

شكل (23): صورة في رئة فأر من مجموعة الاستشفاء توضح امتلاء التجويف الوعائي الدموي (Bv) بكريات الدم الحمراء (RBCs) المشوهة واحتواءه على الخلية البيضاء المتعادلة (Ne) وتواجد الخلايا البلعمية (Mc) داخل الشعيرات الحويصلية . (1100x)

شكل (24a): صورة في رئة فأر من مجموعة الاستشفاء توضح الخلية الحويصلية النوع الأول P1 وتحلل عضياتها السيتوبلازمية وتجمع القطرات الدهنية بها (Ld) وتنخر الخلية البطانية (En) للشعيرة الدموية (Ca) واحتواء الشعيرة الدموية على صفائح دموية (P) متحطمة وترسب ألياف الكولاجين (Cf) على غشائها القاعدي واختلاف سمك الحاجز الدموي الهوائي (24b): ، (7900x) . (Bab) صورة في رئة فأر من مجموعة الاستشفاء توضح تضخم الخلية الطلائية (En) المبطن للشعيرة الدموية، كما يلاحظ تضخم الخلية الحويصلية النوع الأول (P1) وترسب ألياف الكولاجين (Cf) في الجدر الحويصلية (10500x) .

شكل (25): صورة في رئة فأر من مجموعة الاستشفاء توضح تطاول الخلية الحويصلية النوع الثاني P2 وتطاول وتشوه نواتها (N) وتكاثف الكروماتين الحافي وتناقص حاد للأجسام الصفائحية، وتمزق الحافة الزغيبية (Mv) لها وترسب ألياف الكولاجين (Cf) على غشائها القاعدي وضمور أجسام جولجي (Go) بها . واحتواء الشعيرة الدموية (Ca) على خلية طلائية داخلية (En) متطاوله، كما تحتوي على كريات الدم الحمراء (RBC) وصفائح دموية (P) متحطمة (7900x) .



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

إعجاز القرآن في إنجاب الذرية

أ.د / سامى عبد الفتاح

عميد كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها
جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

أ.د / مجاهد أبوالمجد

أستاذ السكر والغدد الصماء
كلية الطب جامعة المنصورة



الجزء الأول: الإعجاز العلمي في حديث القرآن عن إنجاب الذرية

مقدمة:

الإنسان منذ عهود التاريخ القديمة يبحث عن نشأته وعن كيفية خلقه فهذا أرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد (٣٢٢-٣٤٨) يعتقد أن الجنين يتولد من دم الحيض وربما كان جالين (Galen) الذي عاش بعد أرسطو بقرنين يصف بدقة أكثر أوصاف أجنة الحيوان ولكن وصف جالين كان مجرد وصف تخيلي استخدم فيه العين المجردة وآخرون غيرها اخترعوا نظريات قال عنها العلماء إن مكانها مزابل التاريخ كنظرية الشواء والارتقاء لدارون.

ولكن انظروا إلى بروفيسور كيث مور رئيس قسم التشريح وعلم الأجنة بجامعة تورنتو في كندا حين يكتب متعجباً في كتابة تخلق الجنين البشري عن دقة وعظمة الحقائق العلمية المتعلقة بتخلق الجنين في القرآن فيقول: « لم نجد في العصور الوسطى معلومات ذات قيمة في مجال تخلق الجنين ومع ذلك فقد سجل القرآن في القرن السابع الميلادي وهو الكتاب المقدس عند المسلمين أن الجنين البشري يتخلق من أخلاط تركيبية من الذكر والأنثى مع بيان تخلق الجنين في أطوار» وهكذا فإن البشرية تحببت لعصور طويلة في الحديث عن إنجاب الذرية بينما القرآن قدم لنا كما سنرى معلومات في غاية الدقة وذلك من خلال حديثه عن مسألة الإنجاب.

أولاً: حديث القرآن والسنة عن قواعد الإخصاب

لقد اهتم القرآن بشكل دقيق بمسألة إنجاب الذرية ومراحل تكوينها فقال في سورة القيامة « ألم يك نطفة من مني يمنى » وفي سورة المرسلات بياناً للنطفة « ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين » وأوضح المراحل بشكل تفصيلي كما في سورة المؤمنون « ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة... » بل إنك تعجب كل العجب عندما تقرأ صدر أول سورة في القرآن الكريم نزولاً وهي سورة العلق ونجد أنها تتحدث عن إنجاب الذرية

في قوله تعالى: « أقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق ».

ومعلوم أن الصراع مع كفار مكة لم يكن حول القراءة ولا حول علم الأجنة ممثلاً في مراحل خلق الإنسان بل الصراع حول العقيدة وذلك من خلال دعوة القرآن إلى ترك الأصنام وإثبات الوحداية وما يلفت الانتباه أن القرآن في هذه السورة بدأ بذكر العلق دون النظفة لأنها وإن كانت هي الأساس في المراحل التكوينية إلا أنها قد توجد ولا يلزم منها الإنجاب فكم من الرجال يوجد عندهم الحيوان المنوي ولا يستطيع الإنجاب لضعف فيه كماً وكيفاً وعلى ذلك فلا بد أن يكون قوياً وذلك بأن يتعدى مكان وجوده إلى رحم المرأة وهذه المرة يسمى أمشاج من ماء الرجل وبويضة المرأة التي تسمى بعدها علقة.

إذن القرآن في سورة العلق يتحدث عن مرحلة الوجود الفعلي وتحدث القرآن عن أصل العلق بقوله « وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى » أي تتدفق في الرحم.

وهذا المعنى هو الذي ذكره القرآن في سورة الطارق في قوله تعالى: « فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق » ومن عجب أنك إذا قرأت أوصاف الماء في القرآن وجدت أوصافاً متعددة قد يظن أنه يمكن أن يوضع وصف منها مكان دافق فمن ذلك منهمر في قوله تعالى: « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر » وأيضاً مسكوب في قوله تعالى: « وماء مسكوب » وThجاج في قوله تعالى: « وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً » إلى غير ذلك من الأوصاف في القرآن لكن إذا رجعت إلى الفروق بينها وجدت أن المصبوب نزول من أعلى والمنهمر من أعلى إلى أسفل وفيه زيادة كماً وكيفاً بخلاف الدافق فمعناه في اللغة يدور على الدفع بقوة وبسرعة كما سيتضح ذلك من خلال أقوال علماء اللغة في بيان معنى دافق ففى لسان العرب دافق: اسم فاعل من دقق فهو يشير إلى ذاتية الحركة وحيوية الماء.

من ماء دافق أي من ماء ذي دقق، دقق النهر والوادي إذا امتلأ حتى يفيض الماء من جوانبه.

والدفاق: المطر الواسع الكثير وسير أدفق أي سريع فالملاحظ أن المادة تدور حول الكثرة والسرعة ويلزم فيها القوة وهذا المعنى هو ما أكده ابن فارس حيث قال: الدال والفاء والقاف أصل واحد مطرد يدل على دفع الشيء قدماً من ذلك دقق الماء، والذي يعمن النظر في حروف الكلمة يجد دلالة صوتية لذلك فالدال تشير إلى امتداد طولي دقيق مع انحصار أي احتباس وهذا المعنى كائن في امتداد هذا الماء في صلب الرجل وترائب المرأة، وبداية تجمعهم إثر اجتماع الزوجين (والله أعلم).

وتشير الفاء إلى نفاذ بقوة، وهى المرحلة التالية للدفق وهونفاذه من المحل بقوة وسرعة، وتشير القاف إلى متجمع (منعقد) ذي حدة في باطن الشيء أوعمقه وهى المرحلة الأخيرة من الدفق حيث خروجه بقوة وتجمعه في مكان الحرث، وأما تعقده فهو ما تحمله كل قطرة من ملايين الحيوانات المنوية ثم ما يحمله هذا الحيوان من عوامل وراثية، وقصة حياة لا يعلمها إلا الله (والله أعلم).

وهذا على اعتبار أن (دافق) اسم فاعل على أصلها.

وضع العلماء شروطاً للإخصاب من ماء الرجل:

١. التدفق.
 ٢. الإندفاع بسرعة.
 ٣. وجود عدد كبير من الحيوانات المنوية وفي مراجع كثيرة يشترط لحدوث التلقيح وجود أكثر من ٢٠ مليون حيوان منوي في الدفقة الواحدة للرجل.
 ٤. حيوية الحيوانات المنوية أي أن تكون حية مع سلامتها شكلاً ووظيفة.
- انظر إلى المعانى اللغوية لوصف الماء بالدافق فستجد أن شروط الإخصاب في ماء الرجل يجمعها جمعاً دقيقاً لفظة القرآن المبهرة (دافق).

في لسان العرب أيضاً

معنى دافق: أي مدفوق وأهل الحجاز كانوا يجعلون المفعول فاعلاً إذا كان في موضع نعت كقول العرب هذا سر كاتم وهم يعنون بذلك سر مكتوم.

فإذا حملنا دافق على مدفوق كما تفعل العرب فمدفوق إذن إسم مفعول من دفق وهذا يشير بوضوح إلى ماء المرأة إذ أن البويضة تتحرك داخل قناة فالوب بواسطة أهداب ولا تتحرك حركة ذاتية فهي إذن مدفوعة أو مدفوقة تلك روعة البيان القرآني فكلمة واحدة احتوت عدة معان وأشارت إشارة علمية دقيقة إلى شروط الإخصاب وإلى حقيقة ماء الرجل وماء المرأة في زمن لم يتوفر فيه أي وسائل لمعرفة ماء المرأة ولا حتى طبيعة ماء الرجل وظل العالم

لمدة ألف سنة أو أكثر من تاريخ تنزيل الوحي على سيد البشر صلى الله عليه وسلم يعتقد أن الجنين يتولد من دم الحيض.

يتم الإخصاب طبقاً لقواعد ثلاث :

القاعدة الأولى: أن الخلق يبدأ باتحاد العنصرين من الذكر والأنثى معاً: حقيقة ثابتة لا مرية فيها جهلها علماء البيولوجيا حتى القرن الثامن عشر الميلادي حينما تم إكتشاف المجهر ولفظة النطفة في القرآن إما أن تأتي مطلقة «من نطفة خلقه فقدره» والإشارة إلى الخلق من نطفة ذكرية أو أنثوية أو تأتي موصوفة بأنها نطفة أمشاج أي أخلاط أي أنها نطفة مخلقة من كل من الذكر والأنثى، والسنة تؤكد هذا المعنى بوضوح حين سأل يهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خلق الإنسان فأجابه المصطفى، يا يهودي من نطفة الرجل والمرأة، والمقصود الذكر والأنثى مسند الإمام أحمد (١ / ٤٦٥ بإسناد ضعيف).

القاعدة الثانية: ليس كل ما خرج من البويضة أو من ماء الرجل إلى رحم المرأة يشارك في التخصيب فمثلاً:

- يخرج من مبيض المرأة بويضة محاطة بغشاء ويحيط بالغشاء مجموعة كبيرة من الخلايا التي تشكل تاجاً.

- أما الرجل فإنه يدفع حوالي ٥٠٠ مليون حيوان منوي لا يدخل في تكوين الجنين فيها سوى حيوان منوي واحد وهذه الحيوانات تسبح في سوائل تفرز من غدد مثل البروستاتا والحويصلة المنوية حيث لا يشكل حجم الحيوانات المنوية جميعها للحجم الكلي لهذه السوائل سوى ١٪ فقط.

انظر إلى الإعجاز المبهر في قوله صلى الله عليه وسلم: (ما من كل الماء يكون الولد) صحيح الإمام مسلم - كتاب النكاح - باب العزل.

أن الجنين لا يوجد على صورته كقزم في رأس الحيوان المنوي كما تخيل بعض البيولوجيين ولكنه يمر بأطوار مختلفة كما قال الله: تعالى: «مالكم لا ترجون لله وقاراً. وقد خلقكم

أطواراً» نوح ١٣ - ١٤. وكما قال تعالى: «يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث» الزمر (٦). وهذه القواعد الهامة تهدم كل المعارف والظنون البشرية من عهد أرسطو حتى القرن الثامن عشر الميلادي.

حديث القرآن عن تقدير الصفات الوراثية بعد الخلق

- وكون التقدير يأتي بعد الخلق مباشرة فإن القرآن يعطف التقدير على الخلق عطفاً سريعاً باستخدام أداة العطف الفاء في قوله من نطفة خلقه فقدره“
- كيف يتم تقدير الصفات الخاصة بالكائن الحي بعد تلقيح البويضة؟
- حسناً إذا نظرنا إلى كل خطوة على حدة فإننا سنجد صعوبة بالغة في عملية تقدير الصفات الوراثية فهي عملية في غاية التعقيد.
- ببساطة وللتسهيل فقط من الممكن أن نتصور أن الجينات تعطى تعليمات أولاً لصنع الخلايا ثم لتكوين الأنسجة بصورة سوية ثم تعديلها حتى يتم خلق الجنين ويخرج مولوداً على صورة فريدة يحمل صفات مقدرة كالطول والشكل ولون الشعر والعين وآلاف الصفات «خلقك فسواك فعدلك» وهكذا فإنه بعد الخلق مباشرة قدر الله تعالى لهذا المخلوق صفاته الوراثية وطوله ولونه وهيئته وقدراته العملية والعلمية والجسدية وربما الأمراض الوراثية التي قد يحملها واستعداده للإصابة بالأمراض المختلفة. وهكذا فإن عملية التقدير يتم فيها التآلف بين الكروموسومات في النطفة الأمشاج المخصبة لتصبح ٢٣ زوجاً نصفها من الأب والنصف الآخر من الأم ويتم التآلف بين الجينات الموجودة على الكروموسومات بطريقة دقيقة مذهلة وتحتوى الكروموسومات على حوالي ٣٠ ألف جين وراثي يحدد إجمالى الشفرة الوراثية لإنسان واحد والتي يبلغ عددها ٣ آلاف مليون حرف وراثي.

الجزء الثاني من البحث: الإعجاز العلمي في حديث القرآن عن الأسباب المانعة لإنجاب الذرية

لقد أشار القرآن الكريم إلى الأسباب المانعة من الإنجاب للذرية في وصفين أحدهما يشير إلى المنع الجزئي والآخر إلى المنع الكلي وهما (عاقر) و(عقيم):

لفظة عاقر: اسم فاعل من عقر ووردت كلمة عاقر في ثلاث مواضع في القرآن الكريم.

• « قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء » الآية ٤٠ من سورة آل عمران.

• «إني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً » الآية ٥ من سورة مريم

• « قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً » الآية ٨ من سورة مريم

وورد الفعل عقر في عدة مواضع في القرآن الكريم كلها تتحدث عن ناقة ثمود

عقيم: وردت في أربع مواضع في كتاب الله

• «ولايزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتهم عذاب يوم عقيم» الآية ٥٥ من سورة الحج.

• «أويزوهم ذكراً وإنائاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير » الآية ٥٠ من سورة الشورى.

• «فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم» الآية ٢٩ من سورة الذاريات.

- «وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم» الآيتان رقم ٤١، ٤٢ من سورة الذاريات.

نلاحظ من هذه الآيات الكريمات

١. أن زوجة سيدنا زكريا وصفت في القرآن الكريم بلفظة عاقر على لسان نبي الله زكريا.
٢. أن زوجة سيدنا ابراهيم عليه السلام وصفت نفسها بلفظة عقيم.
٣. أن لفظة عقيم شملت وصف الرياح ويوم القيامة ايضاً
٤. أن الفعل عقر ورد في القرآن الكريم واصفاً فعل قوم صالح (ثمود) بالناقة.

من هنا تبرز عدة اسئلة هامة :

١. هل هناك فارق لغوي بين لفظتي عاقر وعقيم؟
٢. وما هو المدلول العلمي الطبي لهاتين اللفظتين؟
٣. وهل يمكن أن نستنبط من هذا إعجازاً علمياً للقرآن الكريم؟

تتضح الإجابة على هذه الأسئلة من خلال دراسة اللفظين من ناحية اللغة ومن خلال كلام علماء التفسير.

أولاً: المدلول اللغوي لكلمة عاقر:

في القاموس المحيط: رجل عاقر وعقيم لا يولد له.

العقرة: خرزة تحملها المرأة لثلاث تلد.

المختار الصحاح:

العاقر: المرأة التي لا تحمل.

رجل عاقر: لا يولد له.

لسان العرب: العقر: هو استعقام الرحم وهو أن لا تحمل.

عقره العلم: النسيان.

والعقرة: خرزة تشدها المرأة على حقوبها لئلا تحمل.

وقال الأزهرى: العقرة خرزة تعلق على العاقر لتلد.

قيل كانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه أي قطعوا إحدى قوائمه ثم نحروه.

وفى الحديث: أنه مر بحمار عقير أصابه عقر ولم يمت بعد.

عقيم:

القاموس المحيط:

العقم: هزيمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد.

ريح عقيم: غير لاقح.

ويوم عقام: شديد.

مختار الصحاح:

العقام: الداء الذى لا يبرأ منه.

رحم معقومة: أي مسدودة لا تلد.

رجل عقيم: لا يولد له.

ريح عقيم: لا تلقح سحاباً ولا شجراً.

يوم عقيم: يوم القيامة لأنه لا يوم بعده

لسان العرب:

العقيم: هزيمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد.

الريح العقيم: التى لا يكون معها لقح أي لا تأتي بمطر إنما هي ريح الإهلاك: وقيل لا

تلقح الشجر ولا تنشئ سحاباً ولا تحمل مطراً.

والعقم: القطع

من استقراء معنى عاقر وعقيم في معاجم اللغة تبرز لنا عدة أسئلة .

- ١ . هل عاقر هي عقيم؟
- ٢ . أم أن هناك خلافاً لغوياً بين كلمتي عاقر وعقيم؟
- ٣ . إذا كان هناك خلاف فأيهما أقوى في دلالة عدم الإنجاب، عاقر أو عقيم؟

بعد استعراض المعنى من ثنايا معاجم اللغة ندرك الآتي:

- ١ . عاقر تختلف عن عقيم.
- ٢ . عاقر أخف من عقيم في الدلالة على عدم الإنجاب ويؤكد هذا الفهم ما ورد في كتاب الله في وصف الريح بالعقيم في الآية ٤٠ من سورة الذاريات وأعقبها سبحانه وتعالى بقوله: «ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم» كما وصف الله هذه الريح أيضاً في سورة الأحقاف الآيتين ٢٤، ٢٥ بأنها تدمر كل شيء بأمر ربها «فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم، تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين».

وقال الألوسي في بيان المعنى: «ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم» (المسحوق) الذي لا يصلح لعدم وجود عناصر الحياة فيه وكذلك يقول الراغب والإمام: السكوت وأرمت عظامه إذا سحقت حتى إذا نفخ فيها لم يسمع لها دوي وهذا دليل على فقدان الحركة وهو يساوي العدم ومما يؤكد ذلك الجواب القرآني على من مسك عظاماً بالية. وقال تعالى: [قال من يحيي العظام وهي رميم] ذاكراً من أحوال العظام ما تبعد معه الحياة غاية البعد، فكان الجواب [قل يحييها الذي أنشأها أول مرة... الآية] وهذا دليل على أنها ميتة ولا حياة فيها والله يحييها بقدرته وعلى هذا فالعقيم فيها الإنجاب معدوم بخلاف العاقر كما سبق ذكر ذلك.

المدلول العلمي الطبي لعاقر وعقيم:

من المعلوم طبعاً أن عدم الإنجاب بالنسبة للذكر والأنثى يندرج تحت سببين رئيسيين هما: Sterility و Infertility .

من هذا التعريف الطبي المتعارف عليه في المراجع الطبية الكثيرة ندرك أن (Sterility) هي عدم القدرة على الإنجاب نهائياً بالوسائل الطبية المتاحة أما (Infertility) فهي تعني القدرة على الإنجاب مع وجود أسباب مانعة لذلك يمكن إصلاحها.

- ولهذا فإن Sterility هي العقم.
- Infertility هي العقر.

وتستطيع أن تلاحظ دقة وروعة البيان القرآني حين وصف زوجة زكريا بالعاقرة في سورة آل عمران ومريم ثم أعقب ذلك في سورة الأنبياء الآية ٩٠ يقول ربنا: «فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له وزوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين» أي أن الله سبحانه وتعالى قد أصلح زوجة سيدنا زكريا بقدرته فحملت بيحيى ولم يذكر الله سبحانه وتعالى الإصلاح في حق زوجة سيدنا إبراهيم ولعل سائلاً يقول: إن الإصلاح في هذه الآية الكريمة هو إصلاح معنوى خلقى وليس بإصلاح مادي.

يقول الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن قوله تعالى: «فاستجبنا له» أي أجبنا دعاءه وأصلحنا له وزوجه قال قتادة وسعيد بن جبير وأكثر المفسرين أنها كانت عاقراً فجعلها الله ولوداً وقال ابن عباس وعطاء كانت سيئة الخلق ويقول الإمام القرطبي ويحتمل أن تكون قد جمعت المعنيين ويقول أكثر المفسرين إن سياق الآيات يرجح القول الأول أي أنها كانت عاقراً فأصبحت ولوداً، وكذا قال الإمام الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن.

في تفسير الجلالين «وأصلحنا له وزوجه فأنت الولد بعد عقمها» وبالطبع فإنه سبحانه وتعالى قادر أن يجعل العاقرة والعقيم ولوداً.

- انظر إلى روعة البيان القرآني في الآيتين الكريمتين ٤٩، ٥٠ من سورة الشورى «لله ملك السموات والأرض بخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور

... أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير» يقول ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين: يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض يتصرف فيهما وأنه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وأنه يخلق ما يشاء «يهب لمن يشاء إناثاً» أي يرزقه البنات فقط «ويهب لمن يشاء الذكور» أي يرزقه البنين فقط ويعطي لمن يشاء الزوجين الذكر والأنثى ويجعل من يشاء عقيماً أي لا يولد له. وفي مجال طلاقة القدرة قال الله: «ويجعل من يشاء عقيماً» ولم يقل عاقراً إذ أن العقيم لا يلد بالوسائل الطبية المتاحة بتاتا. ولكن العاقر يمكن أن يلد بالوسائل الطبية المتاحة والناظر في هذه الآية يجد القسمة العقلية واضحة في مسألة الإنجاب فالأمر لا يخلو من هبة الذكور أو هبة الإناث أوهما معاً أو عدم الإنجاب مطلقاً واختيار لفظ عقيم لها مع الفعل يجعل دون يخلق دلالة لفظية. أتصور لو قال: يخلق، ل قيل: عيب خلقي مثلاً "يبحث عن أسباب علاجه" ولكن المقام جاء بالفعل (يجعل) الذي يفيد معنى زائداً على الخلق والتقدير وهو التصيير والتحويل لأن المقام مقام تحد وتبقى هذه آية تتحدى العالم كله في مجال الإنجاب بأن يجعلوا العقيم رجلاً أو امرأة في محل الإنجاب وأنى لهم ذلك ولهذا فإن استخدام الكلمة «عقيماً» في مجال طلاقة القدرة والتحدي أقوى وأنسب من استخدام كلمة عاقر وهكذا تتضح روعة الأداء البياني ودقة اللفظ القرآني وهكذا تتبين معجزة القرآن وتتجل أهميته في عصر العلم.

صفة الحرف في عاقر وعقيم:

- أصل عاقر: عقر.
- أصل عقيم: عقم.

يشارك الفعلان في حرف العين والقاف ويختلفان في الحرف الأخير الراء والميم. من صفات حرف الراء التكرار وهذا يناسب الإنجاب أما الميم فيخرج بانطباق الشفتين وهذا يناسب عدم القابلية للإنجاب حرف الميم حرف مقفول م، ولكن حرف الراء حرف مفتوح (منفتح) وهذا أيضاً يتناسب مع المعنى.

القرآن يحدد أسباباً لعدم الإنجاب

«وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب قالت يا ويلتى ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب» سورة هود الآية ٧١، ٧٢.

قال مجاهد وعكرمة: حاضت وكانت آيسة تحقيقاً للبشارة، وأنشد على ذلك اللغويون وإني لآتي العرس عند ظهورها وأهجرها يوماً إذ تك ضاحكاً

وقد أنكر بعض اللغويين أن يكون كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت وقال الجمهور وهو الضحك المعروف (تفسير القرطبي). ومن المعلوم طبيياً أن أمر أحد العلامات البارزة عند المرأة التي لا تلد غياب الحيض وانقطاعه.

قوله تعالى: «يا ويلتى ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً». روي عن مجاهد أن سارة كانت ابنة بضع وتسعين سنة وكان إبراهيم ابن مائة سنة (تفسير الطبري). ومن الأسباب الطبية لعدم الإنجاب كبر السن خاصة عند الإناث.

ومعجزة الإنجاب أبين وأوضح في إسحاق عن إسماعيل ولذلك فإن القرآن عندما يذكر الفعل "وهب" ويسنده إلى نون العظمة فإنه يذكر إسحاق دون إسماعيل.

سورة مريم الآية ٤٩، ٥٠ « فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً - ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً».

سورة الأنعام الآية ٨٤ «وهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وهارون وكذلك نجزي المحسنين»

سورة الأنبياء ٧٢ «وهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين»

العنكبوت الآية ٢٧ «وهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة وءاتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين»

وفي موضع واحد في سورة إبراهيم تقدم ذكر إسماعيل على إسحاق بعد الفعل وهب دون الإسناد إلى نون العظمة «الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن

ربى لسميع الدعاء « آية ١٤ سورة إبراهيم إذ أن الكلام في سياق هذه الآية الكريمة يجري على لسان إبراهيم عليه السلام والمعلوم أن كلاً من إسماعيل وإسحاق هبة من الله لإبراهيم فعندما يكون الحديث على لسان إبراهيم فإنه يذكر الأكبر والأول ميلاداً وهو إسماعيل.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

دراسة فعالية الحبة السوداء في علاج الملاريا مقارنة بعلاج الكلوروكوين

د. خالد بن سعيد عسييري

استشاري طب المجتمع ومستشار الطب البديل



الحبة السوداء واثرها في علاج الملاريا

مقدمة

الطب النبوي مصطلح معروف لدى المسلمين وهو عبارة عن نصائح تعني بصحة الإنسان والتي مصدرها القرآن والسنة المطهرة. وهذا الهدي يغطي كثيراً من الجوانب الوقائية والعلاجية والتي تشكل مزيجاً مابين الروح والعقل والجسد. وللطب النبوي تطبيقات وقائية وعلاجية وفيما يلي بعض هذه التطبيقات:

تطبيقات وقائية ومنها :

- ١ . الحجر والأمراض المعدية البوائية.
- ٢ . الهدي النبوي في الغذاء.
- ٣ . الرضاعة الطبيعية.
- ٤ . صحة البيئة.
- ٥ . النظافة الشخصية.
- ٦ . الأمراض التناسلية.

تطبيقات علاجية ومنها :

- ١ . الحجامة.
- ٢ . الحبة السوداء.

٣. ألبان الإبل وأبوالها.

٤. العسل.

٥. الكي.

٦. النباتات العشبية الوارد ذكرها في القرآن والسنة.

من خلال هذا الهدى النبوي نستطيع تعزيز الصحة في كل مكان بغض النظر عن الفروقات بين البشر.

وللتدليل العملي فقد أجرى الباحث البحث التالي تحت عنوان:

الحبة السوداء وأثرها في علاج الملاريا

هدف الدراسة:

دراسة فاعلية الحبة السوداء في علاج الملاريا مقارنة بعلاج الكلوروكوين.

طريقة الدراسة:

تم تحقيق الهدف من خلال التجربة السريرية المضطبة في مرحلتها الثانية (٣٤ حالة غير شديدة لكل مجموعة).

النتائج:

أظهرت النتائج تفوق العلاج بالحبة السوداء مقارنة بالكلوروكوين في هذه المرحلة (٩٥٪، ٧٢٪ بالترتيب)

بالرغم من ذلك لا يمكن تعميم نتائج هذا البحث حتى تجري التجربة السريرية في المرحلة الثالثة.

التوصيات:

- ١ . الطب النبوي رحمة للعالمين بكل شعوبهم .
- ٢ . يحتاج الطب النبوي لإيجاد مرجعيات علمية.
- ٣ . فتح باب الأوقاف لدعم هذا النوع من الطب .
- ٤ . وضع هذا العلم في منهج يمكن تدريسه وتدريب العاملين في القطاع الصحي عليه.

Prophetic Medicine and some of its application

Dr. Khaled Saeed Aseri

kaserisaeed@gmail.com

Consultant Community and Integrative medicine

Prophetic medicine which is well known among Moslems as a medical advices which has been mentioned in holy references of Islam It covers preventive medicine curative medicine mental well-being spiritual cures medical and surgical treatments. It integrates mind & body matter and spirit.

Some of that application:

Preventive application:

- 1- quarantine in an epidemic of infectious diseases
- 2- nutritional advices
- 3- breast feeding
- 4- environmental health
- 5- personal hygiene
- 6- sexual transmitted diseases

Some of curative application

- 1- cupping
- 2-nigella sativa
- 3- camel milk and urine
- 4- Honey
- 5-quetering
- 6-many medicinal plants

Through that prophetic medicine we can promote health anywhere without discrimination to colour languages and religions

To utilize what have been mentioned in prophetic medicine I did my research which titled as nigella sativa and its application in malaria treatments the abstract of my research as follow:

Objectives:

To compare the efficacy of Nigella Sativa as prophetic medicine in comparison with chloroquine to treat malaria cases.

Methods:

It has been achieved through:- Randomized clinical trial phase II.(34 non sever cases of Malaria for each therapy)

Results:

result show that Nigella Sativa is better than chloroquine in malaria treatment(95% 72 % respectively) and the difference was significant. However of all that result we cannot generalized our result to all endemic area except if we apply clinical trial 3rd phase.

Recommendation:

1. Prophetic medicine is kindness for human.
2. Prophetic medicine needs a scientific reference body.
3. Prophetic medicine needs financial support.
4. Prophetic medicine is science which should be included in medical education.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

خريطة المخ بينة علمية

د. محمد دودح

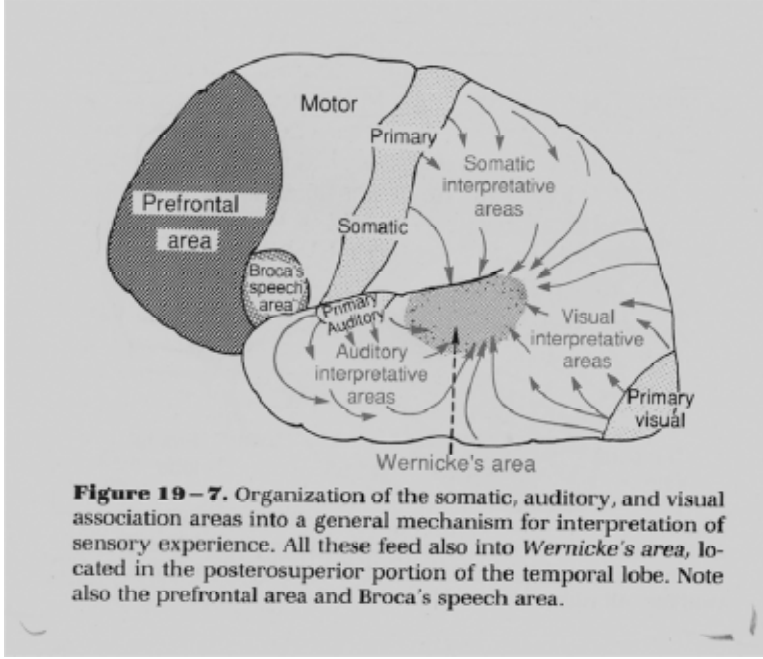


مقدمة

يحتوي دماغ الإنسان على فصوص رئيسية أربعة هي: الفص الأمامي Frontal Lobe والفص الخلفي Occipital Lobe والفص الصدغي Temporal Lobe والفص الجداري Parietal Lobe ولكل فص دور وظيفي ينفرد به عن الآخر، وفي نفس الوقت هي مكملة لبعضها البعض والفص الأمامي يتميز عن نظيره في الحيوان بأن المناطق المسئولة عن السلوك وعن الكلام متطورة وبارزة من الناحية التشريحية والوظيفية وهو يحتوي على عدة مراكز عصبية تختلف فيما بينها من حيث الموقع والوظيفة وهي: القشرة الأمامية الجبهية Pre-Frontal Cortex وتقع مباشرة خلف الجبهة وهي تمثل الجزء الأكبر من الفص الأمامي للمخ، وترتبط وظيفتها بتكوين شخصية الفرد ولها أيضاً تأثير في تحديد المبادرة Initiative Judgment ثم مركز بروكا لحركات النطق Motor Speech Area of Broca ويقوم بتنسيق الحركة بين الأعضاء التي تشترك في عملية الكلام كالحنجرة واللسان والوجه ثم مناطق الحركة وتشمل الحقل العيني الجبهي Frontal Eye Field ويقوم بالتحريك المتوافق للعينين إلى الجهة المقابلة ومركز حركة العضلات الأولى والثانوي Primary & Secondary Motor Areas وكليةها مسئولان عن حركة العضلات الإرادية وهكذا ثبت أن مقدمة الفص الأمامي القابعة في عمق الناصية هي الموجهة للسلوك والمميزة للشخصية وقد تؤدي إصابتها إلى هبوط في المعايير الأخلاقية ودرجة التذكر والقدرة على حل المشكلات العقلية.

وفي قوله تعالى: "كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ" العلق ١٥ و١٦؛ لم يتخير القرآن الكريم للمؤاخذة على سوء السلوك وضلال الاختيار والكذب في القول والخطأ في الفعل إلا منطقة الناصية أو مقدمة الدماغ حيث يوجد الفص الأمامي من المخ والذي عرف حديثاً أنه يتميز بوجود مناطق مهمة سلوكياً تقوم فعلاً بتلك الوظائف وبنفس الترتيب في النص الكريم فالمنطقة الأولى من الفص الأمامي تسمى بمقدمة الفص الأمامي Pre-frontal area وتقع في الأمام وتقوم بوظيفة اتخاذ القرار وتوجيه السلوك الاجتماعي خاصة ولا يصدر قرار إلا من خلالها ولذا تسمى حارس البوابة Gate Keeper وتقع

خلفها منطقة صياغة الأقوال وتسمى تبعا للعالم الذي اكتشفها بمنطقة بروكا Area of Broca تليها نحو الخلف المنطقة المسئولة عن الأفعال الحركية.



يوجد الفص الأمامي من المخ في منطقة الناصية وهو مسئول عن تمييز الشخصية واتخاذ القرارات.

وقد لوحظ أن ترتيب الأعضاء في نظم القرآن الكريم يتفق مع الواقع فتمنح العناية بتقديم الأهم وظيفةً والممنوح أكبر مساحة أو المتقدم وظيفياً وتشريحياً فالعين نحو الأمام تليها الأذن وفي النظم تسبق العين الأذن ومركز الإبصار يسبقه مركز السمع وفي النظم يسبق السمع البصر ويقع بينهما مركز الكلام وهو كذلك في النظم ويغلب التصوير في الكتاب العزيز فتزد الوظائف العقلية مسلوقة واصفة من لا يتفنون بها بالصمم والبكم والعمى وبانقلاب الهيئة خزيا في مشهد إهانة المعذنين في الآخرة ينقلب الترتيب في النظم محافظاً على الترتيب في الخلق السوية وفي المنطقة الحركية في المخ أبرز الأعضاء هم الوجه تليه اليد يليها القدم؛ وهو تماماً نفس الترتيب في النظم ولا يختلف الترتيب عنها في المنطقة

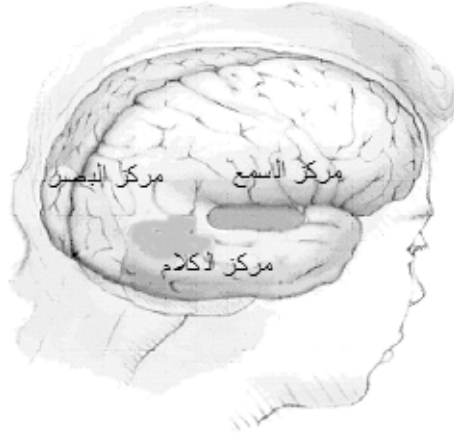
الحسية سوى زيادة منطقة الرأس قبل القدم والعجيب أنه تماما نفس الترتيب في النظم ويكتفي الكتاب الكريم بالأهم في مقام بيان أهم المناطق في الجلد إحساسا فيتحير الوجه واليد والبنان خاصة الأنامل ويحفظ الترتيب وفق درجة الإحساس وعدد المستقبلات والمساحة الممنوحة بالدماغ فيقدم الجباه والجنوب على الظهور.

(١) تتقدم العين في النظم على الأذن تماماً كما هي في الواقع:

- «أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا» الأعراف ١٩٥.
- «وَكُنْتُمْ عَلَيهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفِ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ» المائدة ٤٥.

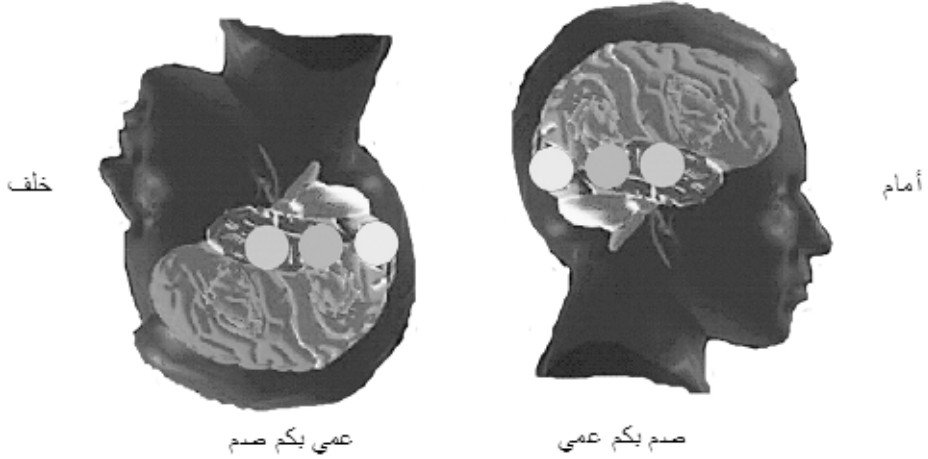
(٢) تتقدم وظيفة السمع في النظم على وظيفة البصر وفق أصلها المركزي في المخ:

- «أَمْ نَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ» يونس ٣١.
- «وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ» البقرة ٧.
- «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ» البقرة ٢٠.
- «أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ» الزخرف ٤٥.
- «مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ» هود ٢٠.
- «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ» محمد ٢٣.



(٣) توجد منطقة بالمخ تسمى منطقة فيرنيكسي Wernicke's area : وظيفتها الوعي بالكلام ولذا تسمى منطقة اللغة Language area وتؤدي إصابتها إلى البكم بفقدان القدرة على الكلام السوي لفقدان الوعي باللغة Wernicke's Aphasia وهي تتوسط مركزي السمع والبصر بالمخ والبكم في النظم يتوسط الصمم والعمى كوظيفتين مسلوبتين بتعطيلهما:

- « صُمُّ بُكُمْ عُمِّي فَهَمٌ لَا يَرَجِعُونَ » البقرة ١٨ .
- « صُمُّ بُكُمْ عُمِّي فَهَمٌ لَا يَعْقِلُونَ » البقرة ١٧١ .
- « وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ » الأنعام ٣٩ .



(٤) تنعكس الهيئة في مشهد انتكاس المعذبين في الآخرة لترسيخ الحزبي والمخالفة للخلقة السوية بمشهد حسي بلغ الانتكاس فيه الغاية والعجيب المذهل أن ينعكس ترتيب الوظائف كذلك نظماً حفاظاً على أصل الترتيب في الخلقة السوية:

• « وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا »

السجدة ١٢

• « وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا » الإسراء ٩٧.

(٥) تترتب الأجهزة في النظم وفق تطورها الوظيفي في مقام تدرج التكوين (السمع ثم البصر) والمعلوم أن الجنين يستطيع السمع للأصوات كضربات قلب الأم من الشهر الخامس بينما يتأخر اكتمال الجهاز البصري إلى ما بعد الولادة:

• « إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا » الإنسان ٢.

(٦) في النظم الجلد والأحشاء من أهم المناطق إحساساً بالألم تماماً كما هو في الواقع والطبقة الخارجية من الأمعاء هي الأكثر ثراء بالأعصاب الحسية ولذا من العجيب أن يشترط النظم تقطيع الأمعاء ليلبغ الشعور بالألم أقصاه:

• « هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ. وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ. كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » الحج ١٩-٢٢.

• « وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا » الكهف ٢٩.

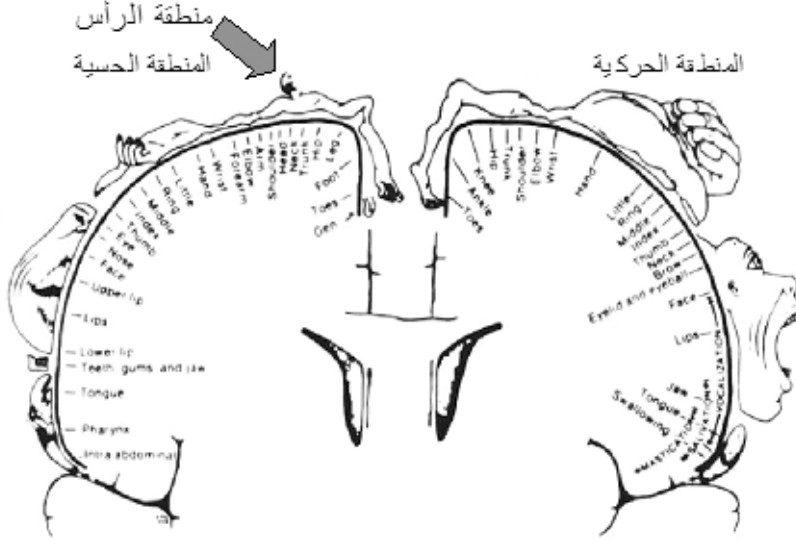
• « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا » النساء ٥٦.

• « وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ » محمد ١٥.

(٧) ترتيب أعضاء الحركة في النظم وفق ترتيبها المخبوء في الدماغ (الوجه ويمثله اللسان والضم ثم اليد ثم القدم):

• « يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » النور ٢٤.

• « الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » يس ٦٥.



(٨) تتفاضل مناطق الجلد الحسية وتتوالى في النظم وفق ترتيبها المخبوء بالدماع (الوجه ثم اليد ثم الرأس ثم القدم) والفارق البارز مع المنطقة الحركية هو تميز المنطقة الحسية بالرأس بين اليد والقدم وبحسب الظاهر قد يجعلها الإنسان مجاورة للوجه وليست بين اليد والقدم ولكنها في النظم مرتبة وفق الترتيب بالدماع رغم تعلق السياق بحكم في التشريع:

- « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ » المائدة ٦.

تتفق المساحة الممنوحة لكل منطقة حسية في المخ مع كثافة أعضاء الحس بالمنطقة الجلدية التي تمثلها وتمثل كل مناطق الجلد فيما يعرف باسم الإنسان الحسي Sensory Homunculus وهو يوضح أن أكثر المناطق إحساساً هي منطقة الوجه خاصة اللسان والشففتين ثم اليدين خاصة أطراف الأصابع ثم القدمين.

(٩) الاكتفاء بالوجه وتعقبه اليدين وهما أهم منطقتين في الجلد إحساساً

واعتباراً في المخ:

- « فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ » المائدة ٦.
- « فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ » النساء ٤٣.

(١٠) الاكتفاء بالوجه وهو من أهم منطقتين في الجلد إحساساً واعتباراً في المخ:

- « تَلَفَّحْ وَجُوهَهُمُ النَّارُ » المؤمنون ١٠٤.
- « وَتَغَشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ » إبراهيم ٥٠.
- « يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ » القمر ٤٨.
- « وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ » النمل ٩٠.
- « أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » الزمر ٢٤.
- « يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ » الأحزاب ٦٦.
- « الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا » الفرقان ٣٤.
- « وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا » الكهف ٢٩.

(١١) الاكتفاء باليد خاصة الأنامل أو البنان، وهي من أهم منطقتين في الجلد
إحساساً واعتباراً في المخ؛

- « وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ » الفرقان ٢٧.
- « وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ » آل عمران ١١٩.
- « إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ » الأنفال ١٢.

(١٢) انظم يحفظ الترتيب في مقام بيان أهم مناطق الجلد إحساساً فيقدم
الوجه ومقدمة الجسم ويؤخر المنطقة الخلفية والمعلوم أنها أقل ثراء في الاعصاب الحسية:

- « فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ » محمد ٢٧.
- « وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » الأنفال ٥٠.
- « لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ » الأنبياء ٣٩.
- « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ. هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْنِزُونَ » التوبة ٣٤ و٣٥.

وظاهرة الحفاظ على الرتبة في نظم الكتاب العزيز بما يتفق تماما مع أصل الخلقة لمواضع
الوظائف العليا بالدماغ لا توجد في أي كتاب ينسب للوحي سوى القرآن الكريم ومعضلة
تخصيص القرآن منطقة الناصية أو مقدم الدماغ دون بقية الأعضاء بالكذب والخطأ وتجريمها
بلفظ السفح؛ وهو القبض على الشيء وجذبه بشدة تصويرا لمحاسبة المسؤول حقيقة عن

السلوك لم تتضح كيفيتها إلا حديثا ومؤاخذتها وحدها قبل اكتشاف دورها في توجيه السلوك لا تفسره مصادفة وإنما تحقق وعد قطع به القرآن الكريم

قال تعالى: « لِكُلِّ نَبِيٍّ مَّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ » الأنعام ٦٧.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الإعجاز العلمي في زيت الزيتون

الدكتور / حسان شمسي باشا

استشاري أمراض القلب في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة



أمران لطيفان معجزان من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة)^(١).

فحتى عام ١٩٨٥ لم يأبه أحد من الباحثين الأمريكيين والأوروبيين بزيت الزيتون، بل إن كافة المراجع الطبية حتى ذلك الحين كانت تحذّر المصابين بارتفاع الكولسترول أو بمرض شرايين القلب من تناول زيت الزيتون حيث كان من المعتقد أنه يزيد من الكولسترول ويرفع دهون الدم!!.

وما أن طلع علينا الدكتور غرندي في دراسته الشهيرة التي ظهرت عام ١٩٨٥، والتي أثبت فيها أن زيت الزيتون يخفض كولسترول الدم حتى توالت الدراسات والأبحاث تركز اهتمامها حول فوائد زيت الزيتون، وتستكشف يوماً بعد يوم المزيد من أسرار هذا الزيت المبارك الذي أتى من شجرة مباركة.

وكيف لا تكون الشجرة مباركة، وقد أقسم الله تعالى بها أو بأرضها - على اختلاف بين المفسرين - في قوله تعالى: (**والتين والزيتون * وطور سينين**)

وكيف لا تكون مباركة، وقد شبه الله تعالى نوره بالنور الصادر عن زيتها حين قال :

(**يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية**)

فالشجرة مباركة .. والزيت مبارك .. ولكن كثيراً من الناس عنه غافلون .

فزيت الزيتون هبة السماء للإنسان . عرف القدماء بعضاً من فوائده، وأدرك الطب الحديث - منذ سنوات معدودات - بعضاً آخر .

كلوا الزيت :

عرفنا حديثاً أن زيت الزيتون يقي من مرض العصر .. جلطة القلب، ويؤخر من تصلب الشرايين . وتلاشت الأسطورة التي كانت تقول إن زيت الزيتون يزيد كولسترول الدم، ذلك الشبح الذي يقصّ مضاجع الكثيرين . وتبين للعلم الحديث أن زيت الزيتون عدولكولسترول، يحاربه أنّى كان في جسم الإنسان .

والحقيقة أن الأميركيان يغبطون سكان حوض البحر الأبيض المتوسط على غذائهم، فهم يعرفون أن مرض شرايين القلب التاجية أقل حدوثاً في إيطاليا وأسبانيا وما جاورهما مما هو عليه في شمال أوروبا والولايات المتحدة . ويعزو الباحثون انخفاض معدل حدوث أمراض القلب، وبعض أنواع السرطانات في دول حوض البحر المتوسط جزئياً إلى تناول زيت الزيتون المنتظم كجزء من غذاء سكان حوض البحر المتوسط، حيث يتناول هؤلاء ما بين ٢٥ - ٥٠ من زيت الزيتون يومياً.

- وقد استعرضت مقالة مطولة نشرت في مجلة Sci Int J Mol في شهر فبراير ٢٠١٠ الأبحاث العلمية في السنوات الأخيرة، والتي ركزت على دور المركبات الفينولية الموجودة في زيت الزيتون البكر، حيث تلعب دوراً فيزيولوجياً كبيراً في دهون الدم، والوقاية من التخرّب التأكسدي، ومؤشرات الالتهاب، ووظائف صفيحات الدم، إضافة إلى تأثيراتها كمضاد للجراثيم ومحافظ على صحة العظام. ولا يخفّض زيت الزيتون الكولسترول الضار فحسب، بل إنه - حسب الدراسات الحديثة - يرفع الكولسترول المفيد بنسبة ١, ٥, ٧, ٦٪.

- ونشرت مجلة J Cardiovasc Pharmacol الصادرة في شهر ديسمبر ٢٠٠٩ مقالاً استعرضت فيه فوائد زيت الزيتون على القلب، وكيف أن استهلاك زيت الزيتون المنتظم عند سكان حوض البحر المتوسط قد أدى إلى انخفاض معدلات الوفيات من أمراض شرايين القلب في الدول الأوروبية الجنوبية المطلة على حوض البحر المتوسط رغم ارتفاع معدلات عوامل الخطورة المهيئة لمرض شرايين القلب عندهم.

- ونشرت مجلة Nut Metac Cardiovasc في شهر مايو ٢٠١٠ ملخصاً لتقرير المؤتمر العالمي الثاني الذي عقد حول زيت الزيتون وحضره خمسون من أكبر علماء العالم في أمراض القلب والسرطان وغيره.

وخلص هؤلاء في تقريرهم إلى أن تناول زيت الزيتون كجزء من النظام الغذائي يقلل من احتمال حدوث أمراض شرايين القلب، والبدانة، والمتلازمة الاستقلابية، ومرض السكري الكهلي، وارتفاع ضغط الدم.

- كما أن هذا الغذاء الغني بزيت الزيتون يحسّن من العوامل المهيئة لأمراض شرايين القلب مثل ارتفاع دهون الدم وضغط الدم، ويقلل من اضطراب وظيفة بطانة الشريان، والتخرب التأكسدي وتخثر الدم.
- وليس هذا فحسب، بل إن الدراسات تشير إلى أن زيت الزيتون يمكن أن يحمي من تدهور الذاكرة ومرض الزهايمر.

وادهنوا به:

- يوصي رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم بالادهان بزيت الزيتون..
- وتأتي الدراسات العلمية الحديثة لتثبت فوائد زيت الزيتون على الجلد. فقد نشرت مجلة Clin Dermatol (وهي من أشهر المجلات العالمية في أمراض الجلد) في شهر إبريل ٢٠٠٩ مقالةً مطوّلاً استعرضت فيه فوائد زيت الزيتون على الجلد.
- كما ذكرت دراسة نشرت في مجلة Pediatr Dermatol الصادرة في شهر إبريل ٢٠٠٨ فوائد استخدام زيت الزيتون كمرطب وملطف للجلد عند الوليدين الخدّج.

- وأشارت أحدث الإحصائيات المنشورة في مجلة Infectious diseases in Children إلى أن المركبات التي كانت فعالة في القضاء على قمل الرأس لم تعد فعالة جدا. وأظهرت الدراسات التي أجريت في جامعة Hebrew University الأمريكية وفي المعهد الأمريكي لقمل الرأس أن وضع زيت الزيتون على الرأس المصاب بالقمل لعدة ساعات يقتل القمل الموجود في الرأس.
 - كما نشرت مجلة Dermatology Times في عددها الصادر في شهر آب (أغسطس) ٢٠٠٠ دراسة أشارت إلى أن الإدهان بزيت الزيتون موضعيا بعد السباحة والتعرض للشمس، يمكن أن يقي من حدوث سرطان الجلد القتامي Melanoma وبعد فهذا غيض من فيض ما نشر من أبحاث حول زيت الزيتون خلال الأعوام القليلة فطوبى لمن نال من خيرات هذه الشجرة المباركة.
- ولا نملك إلا أن نقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: " **كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة** ". وهنيئا لمن نال تلك البركات.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

التضاد الميكروبي والتأثير العلاجي لمستخلص نبات اليقطين

Pumpkin moschata (Cucurbita)

ضد بعض الميكروبات المسببة للتسمم الغذائي

دكتورة / آمنة علي صديق



النص المعجز (الآية أو الحديث) :

ورد ذكر نبات اليقطين في قصة يونس عليه السلام حين التقمه الحوت {فَأَلْتَقَمَهُ
الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ} سورة الصافات(١٤٢)

فسخر الله له شجرة اليقطين غذاء ودواء قال تعالى: {وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ}
سورة الصافات(١٤٦).

وهو من أغذية الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس
بن مالك، (قال: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي
الصحفة، فلم أزل أحب الدباء من ذلك اليوم) والدباء: هو القرع أو اليقطين.

الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص :

يتميز نبات اليقطين Cucurbita بمحتواه الكيميائي من الزيوت الثابتة غير المشبعة
حيث تشكل ٣٠٪ من مكونات البذور، كما تدخل فيها عدة أحماض مثل حمض اللينوليك،
الأوليك، الأحماض الدهنية، مركبات الكوكوربيتاسين، فيتامينات أ، ب ومعادن من أهمها
الزنك والمغنيسيوم، أما ثماره فتحتوي على فيتامينات وحوامض مثل اللوسين، النيروزين
والبيوريزين بالإضافة إلى المواد السكرية، النشا والبروتينات (القحطاني، ٢٠٠٧)، ويمكن
استخدام اليقطين كملين للبطن، وفي علاج الصداع وفي الوقاية من العطش نتيجة احتوائه
على ٩٦٪ من وزنه ماء، بالإضافة إلى أنه يعطي وقاية من أمراض القلب، زيادة الكوليسترول
وفي حالات ارتفاع ضغط الدم (السيد، ٢٠٠٧م). كما أثبتت الدراسات العلمية أن المعالجة

بنبات اليقطين أعطى نتائج باهرة في حالات النزلات المعوية التي كثيرا ما تصيب الأطفال في سنهم المبكر، فيما يسمى بالإسهال الصيفي والذي يرجع سبب العدوى به إلى شرب اللبن الملوث بميكروبات القولون أو بعض الميكروبات السبحية، وأثبتت فعالية أيضاً في تخفيض نسبة السكر في الدم، فعند تعاطي الجرذان المصابة بمرض السكري لعصير اليقطين عن طريق الفم أحدث انخفاض في مستوى سكر الدم مع زيادة في بلازما الأنسولين والهيموجلوبين Ramos et al. 1995; Aguilar et al. 2002 & Xia and Wang 2006a

لذا؛ هدفت هذه الدراسة لمعرفة التأثير التضادي لمستخلص ثمار نبات اليقطين من النوع C. moschata وبدوره على نموبكتيريا *Escherchia coli*، *Staphylococcus aureus* والفطر *Aspergillus flavus*، بالإضافة لدراسة التأثير الوقائي والعلاجي لمستخلص ثماره على أنسجة وأنزيمات الكبد لمجموعتين من الجرذان، حُقنت بمعلق الفطر *A. flavus* والأخرى حُقنت بمادة الأفلاتوكسين ب ١، وما ينتج عنهما من أضرار عديدة على الكبد باعتباره من أهم أعضاء الجسم الطاردة للسموم .

وجه الإعجاز في النص:

١. إعجاز اليقطين كغذاء فهو يتميز بسهولة هضمه، وغناه بالعديد من العناصر المفيدة، وقد أثبتت الأبحاث أن عصارة نبات الدُّبَّاء وعصارة ثمرته تعيد صبغات الجلد وتنمي أنسجته وتقوي الجسم، هذا ما دلل عليه القران الكريم حين اختار الله عز وجل اليقطين لبنيه يونس عليه السلام، وهو هزيل الجسم بعد إخراجه من بطن الحوت.

٢. نبات اليقطين غني بمادة البيتاكاروتين التي تكسبه اللون الأصفر والتي لها دور فعال في وقاية الجسم من الإصابة بالسرطان، حيث تخلص أنسجة الجسم من بعض

المواد الضارة والتي يطلق عليها اسم الجذور الحالية من الأوكسجين -Oxygen Free radicals والتي لها تأثير هدمي لجدر الأوعية الدموية، كما أنها تزيد من حدة الالتهابات وتسرع عملية الشيخوخة، وتؤدي إلى تغيرات بنية الخلايا مما قد يسبب السرطان (باشا، ١٩٩٣).

٣. يتميز نبات اليقطين في شكله المورفولوجي فهو متعدد الأشكال، الأحجام وألوانه، منه الحلو والعادي، كما كان لكبر مساحة أوراقه وملمسها المخملي المغطى بشعيرات صلبة بمثابة حماية لنبي الله يونس عليه السلام، من إيذاء الهوام، الحشرات وحر الشمس إلى أن استعاد قوته ونشاطه، فلفظ الله تعالى عليه بتلك الشجرة.

٤. إعجاز اليقطين كعلاج بالإضافة لكونه مسكناً، مليناً، مدرراً للبول، ومفيداً في التهاب المجاري البولية، حصر البول، الإمساك وعسر الهضم، وبذوره تطرد الدودة الوحيدة وتخفض ضغط الدم وتعالج الأرق والبواسير .

٥. أثبتت الأبحاث العلمية أن حزم البروتين عديدة التسكر المستخرجة من نبات اليقطين تعمل على زيادة مستوى الأنسولين في السيرم وخفض مستوى الجلوكوز في الدم. (Quanhon et al . 2005)

٦. يتضح من نتائج هذا البحث المجال التضادي الواسع لنبات اليقطين ضد بعض الأحياء الدقيقة الممرضة كالفطريات والبكتيريا .

٧. اتضح دور اليقطين في الحد من التسمم الكبدي الفطري، وتحسين وظائف الجسم .

المستخلص للبحث العلمي :

تسبب الميكروبات الممرضة المسؤولة عن حدوث التسمم الغذائي أمراض خطيرة للإنسان، وذلك نتيجة تواجدها أو إفرازها للسموم الميكروبية، وقد تم اختبار التأثير المضاد للمستخلص المائي لثمار نبات اليقطين وبذوره على نمو البكتيريا الممرضة *Staphylococcus aureus* و *Escherchia coli* والفطر المرض *Aspergillus flavus*، وقد أظهرت النتائج تأثيرات مثبتة معنوية للمستخلصات المائية ضد الميكروبات الثلاثة المختبرة، حيث ثبت التركيز ٢٪ نموبكتيريا *S. aureus* و *E. coli* بقطر ٠٢ و ١٨ و ١٢ و ١٥ على التوالي بعد ٢٤ ساعة من التحضين، بينما ثبت نفس التركيز نمو الفطر المرض *A. flavus* بقطر ٣٣ و ٢١ بعد ٦ أيام من التحضين، بالإضافة إلى ذلك تم تأكيد النتائج بدراسات تطبيقية لمعرفة التأثير العلاجي لمستخلص ثمار اليقطين على مجموعتين من الجرذان، حقنت المجموعة الأولى داخل التجويف البريتوني بمعلق الفطر *A. flavus* وحقنت المجموعة الثانية بمادة الأفلاتوكسين ب ١، ثم تم معالجة المجموعتين بجرعة مقدارها (٠٢ / ٠ كجم من وزن الجسم) لمدة ١٥ يوم. وقد أظهرت نتائج الفحص النسيجي لأنسجة الكبد والتحليل لأنزيمات الكبد أنها مماثلة للطبيعية، مما يدل على إمكانية استخدام اليقطين كمضاد طبيعي لتثبيط نمو الفطر المرض *A. flavus* والحد من الأضرار الناتجة عنه.

كلمات مدخلية : اليقطين، التسمم الغذائي، *aureus Staphylococcus*، *Escherchia coli*، *Aspergillus flavus*.

الكبد.



MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH



بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

٣



محور العلوم الإنسانية
والحكم التشريعية

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH



العلوم الإنسانية
والحكم التشريعية



MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

بحوث
المؤتمر العالمي العاشر
للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

محور العلوم الإنسانية
والحكم التشريعية

دار جياذ للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

٧	مقدمة
١٣	الهدى النبوي في منع ومعالجة الغضب
٣٩	من الإعجاز البياني في القرآن الكريم
٨٣	بعض أوجه الإعجاز في حديث النهي عن بيع ما ليس عندك
١١١	من وجوه الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة تظافر أوجه الإنزام
١٣٧	إعجاز القرآن الكريم في الإخبار عن الغيبيات
١٥٣	ملامح الإعجاز الإعلامي في قوله تعالى "يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا"
١٨٥	من حكم التشريع لمسائل علم المواثيق
٢٤٩	إعجاز القرآن في دلالة الفطرة على الإيمان
٢٨٣	شهادة الأنجيل بصدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
٣٠٩	الإعجاز التشريعي في الطلاق
٣٣٣	الإعجاز التشريعي في الحقوق الاقتصادية المشتركة بين الرجل والمرأة كدليل على تكريم المرأة
٣٤٧	الإعجاز في أحاديث الخمر
٣٥٣	الإعجاز التشريعي في تحريم الربا
٣٧٥	خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى
٣٧٩	عدة المطلقة .. الحكمة الإلهية والمعجزة العلمية

مقدمة

كلمة فضيلة الدكتور / عبد الله بن عبد العزيز المصلح
الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأخواتي :

جمهور الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .. في العالم أجمع ..

أحييكم بتحية الإسلام؛ فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فقد تداعى أهل الاهتمام بشأن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في عالمنا من المشارق
والمغرب والتقوا في حمى الكعبة وتحت ظلال الحرم المكي الشريف وضمنتهم أروقة رابطة العالم
الإسلامي لتنبثق من هذا اللقاء الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

إنها العلم؛ وهل يردُّ العلم إلا من سفه نفسه.

إنها اليقين؛ وهل يصد عن اليقين إلا من رضي الجهل له قريناً.

إنها النظر المتأمل في الآيتين المتألفتين الثابتتين :

الآية المنظورة والآية المسطورة.

آية في الكون والإنسان والحياة في دقتها المذهلة وانتظامها في هذا الملكوت الرحب ..
المسبح بحمد ربه، وآية في هذا الكتاب.

والسنة حدثتنا عن هذه الحقائق في توافق تام وانسجام بديع مع كونه قد تنزل في زمن لم يكن
في مقدور البشر ولا في علمهم معرفة به ولا إحاطة بتلك الحقائق.

إنها الحجة البالغة الدالة على أن من خلق الأكوان هو من أنزل القرآن.

إن رسالة هذه الهيئة أن تبين هذه الحقيقة الناصعة وأن تكون قنطرة للتواصل العلمي
نحقق من خلالها خدمة الإنسانية في البحث عما ينفع الناس ويمكث في الأرض ولتثبت
للعالم أن ديننا دين علم ومعرفة يبحث عن الحق ويدعو إلى الإبداع والتقدم والأخذ بأسباب
الرقى المادي وصناعة الحضارة من أجل حياة إنسانية كريمة يسودها العدل ويصير العلم
فيها خادماً للناس معيناً لهم لا معول هدم وسبب دمار وبذلك يصبح الناس جميعاً في أمن
وأمان ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ
لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩).

أما أنتم معاصر العلماء والباحثين..

يا من تحرصون على التواصل مع الهيئة التي هي بكم ولكم ومنكم وإليكم؛ لكم مني
ومن إخوتي العلماء والباحثين والإداريين في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
الشكر والعرفان بالفضل ولم لا يكون ذلك كذلك وأنتم شهود الله على ربوبيته وألوهيته
وأسمائه وصفاته وعظيم نعمائه ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨).

إن هذه الهيئة التي هي جامعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة التي تجمع من العلماء
صفوتهم ومن الباحثين أعلاهم رتبة في بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وعندها
وفي رحابها تلتقي الكفاءات العلمية العاملة بهذا الشأن المهم من شؤون قرآننا وسنة نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم لندعو كل قادر على السير في هذا المنهج السوي والمنهل الروي إعلاءً للحق وإظهاراً للحقيقة واكتشافاً لما أودع الله في الكون والحياة والأحياء مما ينفع الناس ويكشف نعماء الله علينا التي استودعها في ملكوته الرحب (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٩).

لقد ألزمت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة نفسها بمقتضى المنهج العلمي وضوابط البحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ما يمكن أن نجمه في الآتي:

١. تجاوز الفرضية والنظرية وتخطى هذه المرحلة إلى مرحلة الحقيقة العلمية التي لا تقبل النقض ولا التغيير.
 ٢. وجود الدلالة الظاهرة على تلك الحقيقة في كتاب الله أو ما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
 ٣. الربط بين هذه الحقيقة ودلالة النص بأسلوب ميسر وسهل.
 ٤. أن تكون تلك الدلالة وفق مفهوم العرب الذين نزل القرآن بلغتهم.
 ٥. أن لا نبحت في الأمور الغيبية التي اختص الله نفسه بعلمها والتي آمنا بها وصدقنا بمقتضاها.
 ٦. أن يكون تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة الصحيحة ثم بالآثار التي صحت عن سلف هذه الأمة ثم بدلالة اللغة العربية التي تنزل بها القرآن الكريم.
- ونود أن نبين هنا أن الشبهات التي أثيرت حول التفسير العلمي - وكذلك ما سبق من التردد بشأن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - إنما هي عند التحقيق منصبّة في مجملها على البحوث غير المنضبطة بضوابط البحث في الإعجاز المذكورة آنفاً؛ حيث وقع أصحابها

في التسرع أو الغفلة عن بعض الضوابط المقررة؛ علماً بأن مثل تلك البحوث لا تمثل إلا حالات قليلة ومرفوضة، لذلك فإن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة عندما تنظر في بحث من البحوث تضعه في مكانه على حسب قربه من تحقيق ما يشترط في البحوث أو بعده عن تلك الشروط والقواعد..

إن معاناة البحث في هذا المجال وما نلاقه من صعوبات ومتاعب وعوائق لنشر تلك القضايا يذهب أثرها وينقش غبارها عندما نرى عياناً آثار وثمار بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وجدير بنا أن نذكر بعضاً منها تحفيزاً لهمم الباحثين كي يسلكوا هذا الطريق وينصروا دين الله من خلاله؛ ومن أهمها:

١. الأثر البالغ الذي تتركه في قلوب المسلمين، والذي يترجم بزيادة اليقين عندهم لدى معرفتهم بهذه الحقائق الباهرة؛ لأنها وردت في القرآن الكريم وعلى لسان النبي الأمي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وهكذا فإنها خير محرض للتمسك بالقرآن والسنة والاهتداء بهما.

٢. الرد العلمي الدامغ على الأفكار التشكيكية بصحة الرسالة المحمدية؛ حيث إن عرض تلك الحقائق التي جاءت في القرآن الكريم أو أخبر عنها نبي أمي في زمن لا يوجد فيه تقدم علمي كما أنه لا توجد في المجتمع وكذا البيئة التي عاش فيها أية إثارة من علم في تلك الميادين الكونية؛ ولذلك فهذا الإعجاز العلمي يعتبر مجالاً خصباً لإقناع المنصفين من العلماء بربانية القرآن الكريم وصدق رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

٣. الرد العملي المقترن بالبرهان الساطع على أن الدين الإسلامي هو دين العلم حقاً؛ فمع إشادة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم - والترغيب في تحصيله والتنويه بفضل العلماء - فقد ذكر كثيراً من الحقائق العلمية وأشار إلى كثير من الأسرار الكونية مما هو موضوع العديد من التخصصات في آفاق الكون ولم يستطع أحد إلى

الآن أن يثبت وجود تعارض بين أي دلالة كونية واردة في القرآن الكريم أو حديث شريف صحيح مع ما استقر من الحقائق العلمية اليوم وأنى له ذلك.

٤. الإعجاز العلمي يعتبر خير محرض لهمم المسلمين كي يتابعوا مسيرة البحث والتجريب والمقارنة وغير ذلك من وسائل الكشوف العلمية والتقدم المعرفي، وفي الوقت نفسه فإن ذلك يفضي إلى توسيع دائرة شواهد الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٥. هذا الإعجاز العلمي يعتبر قناة آمنة ترفد بقية قنوات الدعوة إلى الله في هذا العصر الذي هو عصر العلم؛ والذي يتتبع أسباب دخول كثير من الناس في الإسلام - ممن كانوا نصارى أو بوذيين أو يهود - يجد بحق أن فريقاً منهم قد ابتدأ سيره في الطريق إلى الحق من خلال معاينة لطائف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٦. ولا شك أن ظاهرة الرجوع إلى دين الإسلام من قبل الذين كانوا قدماً من الشاردين الغافلين، وأيضاً إسلام غير المسلمين؛ كل ذلك أثمر مع ازدياد يقين المسلمين بدينهم رجوعاً لحالة العزة في نفوس أبناء الأمة الإسلامية بعد الكبوّة التي حصلت لهم عقب سقوط الخلافة الإسلامية وهيمنة الدوائر الاستعمارية عليهم.

٧. وهذا كله يذكرنا بالحقيقة التي لا تتخلف أبداً؛ والتي أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال لا يضرهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتي أمر الله).

إننا في هذه الهيئة العالمية نعلنها دعوة عالمية جادة للعلماء والباحثين والمهتمين بمجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة أن يشاركونا بعلمهم وبرأيهم وبنصحهم فنحن وإياهم شركاء في هذا الطريق، ولإخواننا الذين يسكنون ديار الغربة خارج العالم الإسلامي دعوة

خاصة أن يكونوا دعاة لله في تلك الديار باستخدام هذه الوسيلة الدعوية المؤثرة مستفيدين من أبحاث محققة مدققة، آملين أن نصل مع الجميع إلى أن تكون الهيئة العالمية درة العاملين في هذا المجال وجوهره ...

هذه دعوة لأن نجعل من الهيئة العالمية للإعجاز العلمي التي تأسست في موطن تنزل الوحي مكاناً رحباً يجمعنا بكم على مائدة كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ..

فيا معشر الإخوة والأخوات كونوا أنصار الله في هذه المسؤولية ..
والله ولي التوفيق ،،،



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الهدى النبوي في منع ومعالجة الغضب

د. محمد العجرودي

صيدلي وباحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة



أهداف البحث

١. بيان سبق السنة النبوية المطهرة في منع وقوع الغضب وتجنيب المسلمين ويالاته في وقت يجأر فيه الغرب بالشكوى من عدم وجود برامج تطبق لمنع الغضب قبل وقوعه.
٢. بيان إعجاز السنة النبوية المطهرة في علاج وقوع الغضب بعلاجات أثبت الطب بعد أربعة عشر قرناً من الزمان فعاليتها مع بيان الأسباب العلمية لتلك الفعالية.
٣. في السبق والإعجاز الطبي والنفسي ما يشهد الله تعالى بالوحدانية والعظمة وللنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة والعصمة.
٤. رتيب النصائح النبوية التي وردت في الأحاديث الشريفة ترتيباً يصلح الأخذ به كخطة عمل نبوية علمية تربوية للخلاص من آفة الغضب المهلكة للفرد والمجتمع.
٥. بيان ثمار التطبيق العملية والتي أينعت عند من سار على هذا الهدى المستقى من مشكاة الوحي.

أقسام البحث

- معنى الغضب
- كيفية حدوث الغضب وآثاره على البدن
- أنواع الغضب ومتى يكون الغضب
- سبع قواعد نبوية في منع الغضب
- خمس قواعد نبوية في معالجة الغضب
- دلائل السبق الطبي و أوجه الإعجاز العلمي

• من ثمار الهدى النبوي في منع وقوع الغضب وعلاجه بعد الوقوع.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل وسائر أعمالنا خالصة لوجهه الكريم فإن أصبت فمن الله و إن أخطأت فمن نفسي و من الشيطان .

إن من فضل الله تعالى على المسلمين أن جعل لهم قدوة يقتدون بها ؛ تتمثل فيها مكارم الأخلاق التامة ؛ التي هي من مشكاة النبوة وذلك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أثني عليه ربه عز وجل فقال: " وإنك لعلي خلق عظيم " (القلم-٤) ومن مكارم الأخلاق التي عنيت بها السنة وأمر بها القرآن العظيم مجاهدة نوازع الغضب ؛ وكظم الغيظ؛ والتحلي بالحلم والعفو عند المقدرة حتي في مواجهة المتطاولين والجهلاء وفي ذلك منهج رباني أمرنا كمسلمين بالأخذ به وهدى نبوي يحقق لنا النجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة . وهيا إلى جولة في بساتين القرآن والسنة ثم نخرج على بعض المآثر الرائعة للصحابة والتابعين في مكافحة الغضب ونوضح الإعجاز في هدي النبي عليه الصلاة والسلام في مجال معالجة الغضب في ضوء ما قدر الله لنا أن نتعلم في عصر العلم هذا الذي نحياه ...

الهدى القرآني في معالجة الغضب

قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩))" (الحجر ٩٧-٩٩)

يبين الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم - وللأمة كلها من خلفه - كيف يعالج الغضب باللجوء إليه سبحانه بالتسبيح بحمده و السجود، وفي الذكر و السجود والاستنصار بالله وأوجه إعجاز سوف نتطرق لها لاحقاً إن شاء الله تعالى

ويقول ربنا تبارك وتعالى في محكم التنزيل : (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون) (الشورى ٤٣)

ويقول عز وجل : " الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين " (آل عمران - ١٣٤)

ويقول جل وعلا: " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً" (الفرقان - ٦٣)

أي أن الله عز وجل قد جعل من كظم الغيظ والتسامح عند الغضب والقول الحسن عند أذى الجاهلين وسائل للتقرب إلى الله والدخول في زمرة عباد الرحمن الذين يحبهم الله تعالى ويؤثرهم .

لقد ورد ذكر العفو و المغفرة في القرآن الكريم ٢٣٤ مرة مقابل ذكر الغضب ٢٤ مرة، منها ٥ مرات غضب إنساني و الباقي غضب من الله بمعنى العقاب، فإن كان من دلالة لهذا التفاوت فهي أهمية الصفح والعفو و التسامح ، لأن الغضب ينبغي أن يكون نادر الوقوع وبما يناسب ردع الظالمين.

ما هو الغضب؟

الغضب سلوك يشترك في حصوله ثلاثة عوامل رئيسة تشكل كيان الإنسان وهي: العوامل البيولوجية وتمثل الجسد، و العوامل الفكرية وتمثل العقل والعوامل النفسية وتمثل المشاعر والوجدان.

والغضب هو تصرف انفعالي يصدر ردا على موقف استفزازي قد يفقد فيه الغاضب تعقله و اتزانه -.

من معاني الغضب في اللغة:

- ١ . السخط: خلاف الرضا
- ٢ . الغيظ: غضب كامن للعاجز عن التشفي
- ٣ . الحرد: يغتاز الإنسان فيتحرش بالذي غاظه ويهم به
- ٤ . الحنق: شدة الاغتيال مع الحقد.

كيف يحدث الغضب في داخل جسم الإنسان؟

- ١ . تبدأ عاطفة الإنسان في المخ في الجزء الذي يسمى بـ (amygdala) وهو الجزء المسئول عن تحديد المخاطر وإرسال التنبيهات وتوتر عضلات الجسم ويفرز المخ هذه المواد الهامة المسماة بالـ (catecholamines) التي تسبب الشعور بدفعة من الطاقة تستمر لعدة دقائق وتزيد معدلات ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم وتزيد سرعة التنفس ويحمر الوجه وتستعد الأطراف والأعضاء لرد الفعل الجسدي ، ويفرز المزيد من الأدرينالين الذي يطيل مدة بقاء الإنسان في حالة توتر .
- ٢ . وإذا كان للغضب مرحلة إعداد فسيولوجية سابقة لحدوثه ، فإنه توجد أيضا مرحلة

أخري هي مرحلة "هدوء العاصفة" حيث يستعيد الجسم استرخاءه لكن من الصعب العودة للحالة الطبيعية سريعاً لأن "الأدرينالين" يجعل الغاضب في حالة تحفز قد تستمر لساعات أو أيام وقد يكون خلالها عرضة لنوبة جديدة من الغضب فيما بعد .

استعدادات الجسم لمواجهة الغضب

كقاعدة عامة ينشط الجهاز العصبي الودي الأجهزة التي يحتاجها الجسم عند المرور بخبرة الضغوط ومنها الغضب ، بينما على الجانب الآخر يلعب الجهاز العصبي الجار ودي دوره لتثبيط الأجهزة التي ليس لها احتياج في مواجهة الضغوط الواقعة على الجسم عند الغضب.

- فمثلاً تحدث زيادة سريعة في ضغط الدم ومعدل ضربات القلب والتنفس لتسريع نقل الأوكسجين والمواد الغذائية للعضلات والجوارح.
- ويتم التحرك السريع للطاقة من مخازنها في الكبد والعضلات والخلايا الدهنية مما يؤدي إلى توافر الجلوكوز والدهون والبروتينات البسيطة.
- تفرز "الببتيدات" وهي وسيلة الاتصال بين أجزاء الجسم المختلفة ولها مستقبلات في كل عضو حيث تشكل الببتيدات ومستقبلاتها كيميائ المشاعر.
- تستدعي الذاكرة الخبرات السابقة لمواجهة موقف الغضب.
- على الجانب الآخر تثبط المناعة ، لأجل توفير الطاقة للغضب.
- يتوقف الهضم وتتلقى الأمعاء أمراً بتفريغ الطعام المهضوم ليخف وزن الجسد.
- تتوقف وظائف التبويض والانتصاب والرغبة الجنسية .
- يتوقف الإنسولين وهرمونات النمو والهرمونات الجنسية لتوفير الطاقة للجسم.
- يقل الإحساس بالألم.

مواجهة الغضب هرمونياً

Hypothalamic-pituitary-adrenal axis (HPA)

- تستحث تحت المهاد الغدة النخامية لإفراز "الكورتيكوتروبين" الذي يعد إفرازه بمثابة إشارة للغدة الجار كلوية لإفراز الكورتيزون من قشرتها.
- ومن الغدة الجار كلوية أيضاً، ولكن من اللب يتحرر هرمونا "الأدرينالين" و"النور أدرينالين" بفعل الجهاز العصبي الودي.
- يفرز البنكرياس هرمون "الجلوكاجون" الذي يرفع مستوى السكر في الدم.
- تقوم الغدة النخامية بإطلاق "البرولاكتين" الذي يثبط الأجهزة التناسلية و"الغازوبريسين" وهو هرمون مضاد لإدرار الماء.
- يقوم المخ و الغدة النخامية بإفراز مواد مشابهة للمورفين تسمى "إندورفين" و "إنكفالين" والتي تقلل الإحساس بالألم.

الآثار الصحية السيئة للغضب على الجسم :

١. الغضب يؤثر على قلب الإنسان تأثير "الجري" فيزيد من عدد مرات الانقباض في الدقيقة الواحدة فيضاعف بذلك كمية الدماء التي يدفعها القلب وهذا يجهد القلب لأنه يجبره على زيادة معدلات عمله عن المعتاد ، ولكن الفارق الهام أن الجري في إجهاده للقلب لا يستمر طويلاً إذ يتوقف من يجري فور إحساسه بالتعب أما في الغضب فلا يستطيع الغاضب السيطرة على غضبه وعلى تأثير هذا الغضب - بعد أن انفعل فعلاً - على قلبه .
٢. يصاب الغاضب بارتفاع ضغط الدم لاضطراب قلبه كي يدفع كمية من الدماء الزائدة عن المعتاد وبذلك تفقد الشرايين تدريجياً مرونتها وقدرتها على الاتساع فتتصلب جدرانها لكي تستطيع أن تمرر تلك الكمية الزائدة من الدماء التي يضخها القلب المنفعل .

٣. قد يؤدي الارتفاع المفاجئ للضغط إلى نزف دماغي يؤدي إلى إصابة الغاضب بالجلطة المخية أو يؤثر على أوعية العين الدموية فيسبب "العمى المفاجئ" أو يؤدي إلى جلطة قلبية وكثيراً ما نسمع عن تلك الحوادث المؤلمة التي تنتج عن لحظات غضب !
 ٤. ارتفاع النور أدرينالين في الدم يحرق "الجليكوجين" من مخازنه في الكبد مما يرفع مستوى السكر الدموي ، إذ من المعلوم أن معظم حوادث السكر تبدأ بعد انفعال شديد أو غضب .
 ٥. ارتفاع الأدرينالين يصرف كثيراً من الطاقة المدخرة مما يؤدي إلى شعور الغاضب بسخونة جلده وارتفاع حرارته .
 ٦. ترتفع شحوم الدم مما يؤهب لحدوث تصلب الشرايين ، وتثبيط حركة الأمعاء حيث يحدث إمساك شديد وهذا سبب إصابة ذوي المزاج العصبي بالإمساك المزمن .
 ٧. يزداد إفراز "الكورتيزون" من قشرة الغدة الكظرية فتزيد الدهون في الدم على حساب البروتين ويحلل الكورتيزون النسيج الليمفاوي مؤدياً إلى نقص المناعة وفتح الطريق للميكروبات لتحدث التهابات عديدة ، وهذا ما يعلل ظهور التهاب حاد في اللوزتين عقب الانفعال الحاد .
 ٨. يزيد الكورتيزون من حموضة المعدة مما يهيئ لحدوث قرحة المعدة أو ارتفاع الحموضة بها .
 ٩. أثبتت الدراسات الطبية مؤخراً العلاقة الوثيقة بين الانفعالات النفسية - ومنها الغضب - وبين الإصابة بالأورام الخبيثة حيث أن الاضطراب الهرموني في الغدد يساعد على ظهور بؤرة سرطانية في احد أجهزة الجسم .
- أي أن الغضب - مما سبق - مهلك للجسم البشري مستنفذ لقواه ، وقد جاءت التعاليم النبوية بطرق ناجعة لمكافحة هذه التأثيرات السلبية للغضب على الجسم كما يلي :

أولاً: منهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منع وقع الغضب

يتكون منهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكافحة وقع الغضب من خمس أسس نورانية شريفة:

١. الأمر المباشر لا تغضب:

- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة" قال : "لا تغضب" ولك الجنة . (الترغيب والترهيب ٣ / ٤٤٦)
- وخرج الترمذي هذا الحديث - في رواية له - ولفظه : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمني شيئاً ولا تكثر على لعلي أعيه ، قال : (لا تغضب) ، فردد ذلك مراراً كل ذلك يقول : "لا تغضب" (الترمذي ٤ / ٣٧١ حديث رقم ٢٠٢٠)
- وعن أبي هريرة رضي الله " أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني فقال : " لا تغضب فردد مراراً فقال : " لا تغضب " (رواه البخاري في الأدب حديث رقم ٦١١٦)
- وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذا يباعدني من غضب الله قال: " لا تغضب " . (مسند أحمد ٢ / ١٧٥) بإسناد حسن .

فالجزء من جنس العمل ومن ترك شيئاً لله عوضه الله تعالى خيراً منه .

وقد أحصى أحد علماء المسلمين- هو الشيخ سليمان العلوان جزاه الله خيراً- أكثر من خمسين فائدة لهذا الحديث الذي هو قليل المبنى عظيم الأثر والمعنى وهو إعجاز بياني بلاغي لسيد البشر وخاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم.

٢. التذكرة برضاء الله وحب الله :

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله " (رواه ابن ماجه حديث رقم ٤١٨٩)
- وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم الأشجج قائلاً له : " إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة " (رواه مسلم في الإيمان حديث رقم ٦٦) .

٣. الترغيب في الجنة :

- عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين فيزوجه منها ما شاء " (مسند أحمد ١٥٦١٩، سنن أبي داود ٤١٤٧، الترمذي ٢٤١٧، ابن ماجه ٤١٧٦) بإسناد حسن .

٤. ترغيب العرب ببيان الشدة والشجاعة في حجز النفس عن الغضب (وهو ما يحبونه) :

- فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بقوم يصطرون فقال : " ما هذا ؟ " قالوا: فلان لا يصارع أحداً إلا صرعه فقال : " أفلا أدلكم على من هو أشد منه ؟ رجل كلمه رجل فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه " (رواه البزار قال ابن حجر بإسناد حسن . الفتح ٥١٩/١٠) وحسن إسناده
- روي أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " (البخاري ٦١١٤ أحمد ٢/٢٣٦) .

ولهذا فقد حث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على تمالك النفس لو وقع الغضب فقد ورد المعنى المراد وأنه يتمثل في أن القوة الحقيقية تكمن في امتلاك النفس والسيطرة عليها عند فوران الغضب. وهذا فيه تربية للإنسان المسلم على مجاهدة النفس ومُغالبتها على عدم الغضب بأن تعلم أن التحكم في حال انفعال الغضب إنما يُقوي إرادة الإنسان على التحكم في جميع أهواء النفس وشهواتها ، ويُمكن الإنسان في النهاية من أن يكون مالك نفسه وسيدها وليس عبداً لانفعالاته.

٥. الترهيب من فساد الإيمان وغضب الله :

- كراهة قضاء القاضي وهو غضبان : عن عبدالرحمن بن أبي بكره. قال: كتب أبي (وكتبت له) إلى عبيدالله بن أبي بكره وهو قاض بسجستان: أن لا تحكم بين اثنين وأنت غضبان. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان). رواه مسلم
- وعن أبي مسعود البدري قال : كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي "اعلم أبا مسعود" فلم أفهم الصوت من الغضب ، قال فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقول "اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود" قال فألقيت السوط من يدي . وفي رواية فسقط من يدي السوط من هيئته فقال "اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام" ، قال : فقلت لا أضرب مملوكاً بعده أبداً . وفي رواية فقلت : يا رسول الله هو حر لوجه الله ، فقال "أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار" (رواه مسلم) . وفي رواية لمسلم أيضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "والله لله أقدر عليك منك عليه" قال فأعتقه . وعن أبي مسعود الأنصاري قال : كنت أضرب مملوكاً لي فسمعت قائلاً من خلفي يقول : "اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود" فالتفت فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "الله أقدر عليك منك عليه" ، قال أبو مسعود : فما ضربت مملوكاً بعد ذلك .

٦. القدوة بالمثل : هديه صلى الله عليه وسلم في التحلم والتبسم في مواطن الغيظ والغضب للنفس

وهذه السمة من أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، واضحة في عدة أحاديث من أبرزها : عن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذدة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم (ما بين العنق والكتف) وقد أثرت بها حاشية البرد ، ثم قال : يا محمد مُرِّي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم فضحك ، ثم أمر له بعطاء (متفق عليه فتح الباري ١٠ / ٥٠٥).

ومثل ذلك الموقف الذي حدث مع الحبر اليهودي زيد بن سعة والذي انتهى بإسلام هذا اليهودي لتيقنه من أن التحلم في مواطن الغضب للنفس من سمات النبوة ليكون في ذلك درس عملي نبوي لكل مسلم أراد أن يكون داعية ، بأن التحلم في مواطن الغضب للنفس من الأدوات العملية للداعية الناجح.

٧. الإعجاز في نهي الصائم عن الغضب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن سابه أحد ، أو قاتله ، فليقلل إني امرؤ صائم". (متفق عليه) (البخاري مع الفتح ٤ / ١١٨ حديث رقم ١٩٠٤)

ولكون الصائم أكثر استجابة لدواعي الغضب في آخر النهار عندما ينقص السكر في الجسم مما يجعله معرضاً لبعض الأضرار؛ لذلك أكد الرسول صلى الله عليه وسلم على الصائمين أن يمسكوا عن دواعي الغضب والخصومات المفضية إلى تلك الأضرار. فقد اكتشف العلم أن الصائم إذا اعتراه غضب وانفعل وتوتر ازداد إفراز هرمون الأدرينالين في دمه زيادة كبيرة تصل من ٢٠ إلى ٣٠ ضعفاً عن معدله العادي أثناء الغضب الشديد أو العراك. فإن حدث هذا في أول الصوم أثناء فترة الهضم "الامتصاص" اضطرب هضم الغذاء وامتصاصه زيادة على الاضطراب العام في جميع أجهزة الجسم ذلك لأن الأدرينالين يعمل على ارتخاء العضلات الملساء في الجهاز الهضمي ويقلل من تقلصات المرارة ويعمل

على تضيق الأوعية الدموية الطرفية وتوسيع الأوعية التاجية كما يرفع الضغط الدموي الشرياني ويزيد كمية الدم الواردة إلى القلب وعدد دقاته. وإن حدث الغضب والشجار في منتصف النهار أو آخره أي أثناء فترة ما بعد الامتصاص تحلل ما تبقى من مخزون الجليكوجين في الكبد وتحلل بروتين الجسم إلى أحماض أمينية وتأكسد المزيد من الأحماض الدهنية. كل ذلك ليرتفع مستوى الجلوكوز في الدم فيحترق ليمد الجسم بالطاقة اللازمة في الشجار والعراك وبهذا تستهلك الطاقة بغير ترشيد ويُفقد بعض الجلوكوز مع البول إن زاد عن المعدل الطبيعي. وبالتالي يفقد الجسم كميةً من الطاقة الحيوية الهامة في غير فائدة تعود عليه ويضطر إلى استهلاك الطاقة من الأحماض الدهنية التي يؤكسد المزيد منها وقد تؤدي إلى تولد الأجسام الكيتونية الضارة في الدم .

كما أن الازدياد الشديد للأدرينالين في الدم يعمل على الآتي :

- ١ . خروج كميات كبيرة من الماء من الجسم بواسطة الإدرار البولي .
- ٢ . ارتفاع معدل الاستقلاب الأساسي عند الغضب والتوتر ؛ نتيجة لارتفاع الأدرينالين والشد العضلي .
- ٣ . يؤدي لنوبات قلبية أو موت الفجأة عند بعض الأشخاص المهيين لذلك ؛ نتيجة لارتفاع ضغط الدم وزيادة حاجة القلب للأكسجين من جراء ازدياد سرعته
- ٤ . وقد يسبب النوبات الدماغية لدى المصابين بارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين .
- ٥ . يزيد من تكون الكوليسترول من الدهن البروتيني منخفض الكثافة وثبتت علاقته بمرض تصلب الشرايين .

لهذا ولغيره أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصائم بالسكينة وعدم الغضب والانفعال . لقد أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنور وحي النبوة خطورة انفعالات الغضب قبل أن يكتشفها الطب بقرون ودعا - بحكمة - المسلمين إلى تفادي الغضب فكثرت أحاديثه التي وردت بها تلکم النصيحة الذهبية الغالية " لا تغضب " والتي ثبت نفعها العظيم طبيًا ونفسيًا ، و قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أساليب مختلفة في مجال

الترغيب بما يحفظ النفس من الغضب، ثم الترهيب من الوقوع فيه ، أساليب شملت العلم والعمل... أخذاً بأيدي المسلمين إلى جادة الصواب رحمة بهم وحفاظاً على صحة أبدانهم من مجموعة من الأمراض المهلكة كما بينا بفضل الله في صدر هذا البحث.

و السؤال الآن..هل هناك برامج مطبقة لمنع وقوع الغضب؟

أطلق الموقع الإخباري "بي بي سي" بتاريخ ٢٥ مارس ٢٠٠٨ صحيفة ضمن تقرير بعنوان "مشاكل الغضب بلا علاج" جاء فيه: مؤسسة الصحة النفسية الأمريكية تقول: "لا يتم التعامل مع الغضب إلا بعد أن يرتكب شخص ما جريمة عنف مدمرة" في إشارة واضحة أنه ليس هناك برامج لمنع وقوع الغضب! ويقول التقرير أيضا: " نحتاج للمزيد من الأبحاث و طرق التعليم لمواجهة الغضب و التدخل المبكر قبل المشاكل الناتجة عنه". وقال المدير التنفيذي للمؤسسة الدكتور "أندرو مكولوك": "إنه لمستنكر أن يخذل الناس حين يتعلق الأمر بالغضب بينما تتم مساعدتهم لعلاج الإحباط والقلق واضطرابات الغذاء وكثير من الأدوية النفسية. وأجمع الباحثون على أن التغلب على مشكلة الغضب بات أمرا ليس سهلا! وأكد التقرير أن الغضب أصبح معضلة كبرى تشمل ربع المجتمع إحصائيا و نادى بضرورة ألا يغضب الإنسان -خاصة الشباب - كوسيلة لهدف هو علاج غالبية مشاكل المجتمع.

أما المعهد البريطاني لإدارة الغضب فيؤكد مايلي: "لقد أصبح التعامل مع الغضب اليوم أمرا في غاية التعقيد و لا بد من اتباع قواعد التوافق مع المجتمع الذي نحيا به".

وهنا يبرز السبق النبوي المعجز قبل مئات من السنوات حيث وضع النبي صلى الله عليه و سلم لأتباعه العاملين بسنته المتبعين لهديه الشريف برنامجا متكاملًا رائعًا مكونًا من القواعد السبعة التي أسلفناها ، و التي بها سبق نبوي علمي طابقه العلم الحديث بل وأثبتت الأبحاث الطبية و النفسية جدواها في الوقت الذي تتحير فيه المؤسسات و المعاهد الطبية في إيجاد برامج لمنع وقوع الغضب قبل حدوثه.

ثانياً: الهدى النبوي في معالجة الغضب

يتكون منهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في علاج الغضب من خمس قواعد نورانية نوجزها بإذن الله في التالي:

١- السكوت فور الغضب :

دعا النبي صلى الله عليه وسلم الغاضب إلى السكوت فوراً فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "علموا ويسروا ولا تعسروا وإذا غضب أحدكم فليسكت" (رواه الإمام أحمد في المسند ١/٢٣٩ ، وفي صحيح الجامع ٦٩٣ ، ٤٠٢٧ والطيالسي (٢٦٠٨) والبخاري في الأدب المفرد (٢٤٥).

٢- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم :

عن سلمان بن صرد رضي الله عنه قال: "استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" (رواه البخاري ، الفتح ٦/٣٣٧ ومسلم ٢٦١٠)

وورد أن الشيطان يصرع العبد عند ثلاث: الغضب ، والشهوة ، والغفلة .

ويقول د. إبراهيم الراوي: "ينصح علماء الطب النفسي الأشخاص الذي يتعرضون إلى نوبات الغضب إلى تمارين خاصة لإطفاء ثورة الغضب منها أن يعد الشخص من ١ إلى ٣٠ قبل النطق بأي حرف"

هذه الحقائق في مجال الطب النفسي سبق بها و طبقها النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأطباء و حكماء الساسة بقرون حين أمر الغاضب أن يسكت وذلك أن الغاضب ربما يخرج عن شعوره فيتلفظ بكلمات قد يكون فيها كفر أو سب يجلب له العداوات أو طلاق يهدم بيتا

، وبالكلية فإن السكوت حل وقائي لتلافي كل ذلك . هذا من ناحية ، ثم أن يتعوذ بالله وهذا أفضل - بلا شك - من أن يعد أرقاما بل إنه الأمثل لاستعانتة بالله أن يدرأ عنه الغضب ويعيذه ممن يدفعه إليه ألا وهو الشيطان .

ولعل هذا مستمد من الوصية القرآنية : (وإما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) “ (فصلت - ٣٦) .

ومن الأمر القرآني : (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين* و أعوذ بك رب أن يحضرون" (المؤمنون ٩٧-٩٨)

٣- تغيير الوضعية:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع »

(رواه أبو داود ١٤١ / ٥)

وراوي هذا الحديث أبو ذر رضي الله عنه ، حدثت له في ذلك قصة : فقد كان يسقي على حوض له فجاء قوم فقال : أيكم يورد على أبي ذر ويحتسب شعرات من رأسه ؟ فقال رجل أنا فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فدقه أي حطمه (والمراد أن أبا ذر كان يتوقع من الرجل المساعدة في سقي الإبل من الحوض فإذا بالرجل يسيء ويتسبب في هدم الحوض) ، وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقيل له : يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت ؟ قال فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر الحديث بقصته (مسند أحمد ١٥٢ / ٥ وصحيح الجامع رقم ٦٩٤ وفيض التقدير ، المناوي ١ / ٤٠٨) .

قال العلامة الخطابي - رحمه الله - في شرحه على أبي داود : (القائم متهييء للحركة والبطش والقاعد دونه في هذا المعنى ، والمضطجع ممنوع منها ، فيشبه أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما أمره بالعودة والاضطجاع لئلا يبدر منه في حال قيامه وعوده بادرة يندم عليها فيما بعد

ويقول د. حسان شمسي باشا: "جاء في كتاب هاريسون الطبي انه من الثابت علمياً أن هرمون النور أدرينالين يزداد من ضعفين إلى ثلاثة لدى الوقوف أما هرمون الأدرينالين فيزداد بنسبة بسيطة لكن الغضب يزيد من نسبته في الدم - ولا شك أن العاملين معاً - الغضب والوقوف - يرفع نسبتهما ويبدآن في التأثير سلباً في الجسم بالتأثيرات الآنف ذكرها .

أليس في ذلك سبق طبي به إعجاز للنبي صلى الله عليه وسلم ليصف هذا العلاج اليسير ذا الفائدة الطبية العظيمة في تهدئة الغضب؟ فمن علمه ذلك قبل اكتشاف العلوم الطبية بقرون.. لا شك أنه الوحي.. وهنا يشرق إعجاز النبوة .

٤- الوضوء :

عن عطية السعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
"إذا غضب أحدكم فليتوضأ فإنما الغضب من النار" (أخرجه أبو داود) وفي رواية: "إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ" (رواه أحمد ٤/٢٦٦ وأبو داود ٤٧٨٤)

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ : "الْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَالشَّيْطَانُ خُلِقَ مِنَ النَّارِ ، وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ"

والإغتسال بالماء البارد توصية طبية معروفة من أطباء الأعصاب على عهدنا هذا لتهدئة الجهاز العصبي وتبريد السطح surface cooling ، ويأتي الوضوء ليخفف آثار الغضب من حرارة الجسم والتعرق والإحساس بالضيق.. كما أن الوضوء يضيفي لدى المسلم شعوراً بالعبودية لله عند قيامه بهذا الفعل التعبدي الذي يذهب عنه الغضب ويعطيه إحساساً بالرضا والخشوع وانكسار جذوة الغضب .

وقد ثبت أيضاً علمياً سخونة الجلد بتأثير الغضب (لزيادة عمليات الاستقلاب كما ذكرنا) وهذا التأثير ينحسر جداً مع الوضوء لما يحدثه من ترطيب لسطح الجلد بالماء. وفي الوضوء أيضاً:

- غسل الوجه واليدين: ولغسل الوجه واليدين إلى المرفقين فائدة كبيرة في إزالة العرق من سطح الجلد، كما أنه ينظف الجلد من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية.
- غسل القدمين: أما غسل القدمين مع التدليك الجيد فإنه يؤدي إلى الشعور بالهدوء والسكينة، لما في الأقدام من منعكسات لأجهزة الجسم كله، وكان هذا الذي يذهب ليتوضأ قد ذهب في نفس الوقت يدلك كل أجهزة جسمه على حدة بينما هو يغسل قدميه بالماء ويدلكهما بعناية. وهذا من أسرار ذلك الشعور بالسكينة الذي يلف المسلم بعد أن يتوضأ فلا يليق به عندئذ أن يستأنف غضبته وثورته...
- قال الدكتور أحمد شوقي إبراهيم عضو الجمعية الطبية الملكية بلندن واستشاري الأمراض الباطنية والقلب: "توصل العلماء إلى أن سقوط أشعة الضوء [Light photons] على الماء أثناء الوضوء يؤدي إلى انطلاق أيونات سالبة تؤدي إلى استرخاء الأعصاب والعضلات فتزيل أي انفعال ناتج عن الغضب... فسبحان الله العظيم".
- عند الوضوء بالماء البارد تحدث تغييرات في أجسامنا؛ لأن الماء من أهم عناصر الجسد، ويحتاج الجسم إلى الماء لتبريده عندما ترتفع درجة حرارة الجسم، وذلك بتبخير المياه الداخلية بواسطة العرق، لذا يقوم الوضوء بدور هام في تبريد الجسد من الخارج ويساعد في عملية انخفاض درجة الحرارة.

٥- إصاق الخد بالأرض :

ومن هذا القبيل ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، ألا ترون إلي حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فمن وجد من ذلك شيئاً فليزق خده بالأرض"

(رواه الترمذي و أبو داود وابن حبان وأحمد بإسناد ضعيف)

وتمكن أعز الأعضاء (الخد أو صفحة الوجه) من أذل المواضع (الأرض) يجعل النفس تستشعر الذل وتزيل زهو "الأنا" الذي كثيراً ما يكون هو سبب الغضب وقد قال بعض العلماء استنباطاً أن في هذا إشارة إلى الأمر بالسجود، وهذا يتفق مع الهدى النبوي المبارك حيث كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة. وكان يقول: "... وجعلت قرة عيني في الصلاة" (رواه انس بن مالك رضي الله عنه وأورده أحمد، والنسائي، وابن سعد، وأبو يعلى، والحاكم، والبيهقي) وصححه الألباني.

هذا ما علمنا إياه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال فيه ربه: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" (التوبة ١٢٨)

فيما نرى الغرب يعاني من مشكلة الغضب ويكاد لا يرى لها حلولا عملية يسهل تطبيقها
فمثلا:

تقرير الموقع الإخباري بي بي سي بتاريخ ٢٥ مارس ٢٠٠٨ جاء فيه:

أعلنت المتحدثة باسم الكلية الملكية للطب النفسي كارولين جراهام أن العلاجات المتاحة لمن يستشيرون الأطباء بشأن مشاكل الغضب قليلة للغاية وأن هؤلاء الأطباء يكرسون جهودهم فقط لعلاج مشاكل الاكتئاب والقلق.

بينما صرح المتحدث عن المؤسسة الاستشارية للعلاقات أن طرق معالجة الغضب المتاحة قد تسبب بعض الأذى وأن هناك إساءة استخدام لهذه الطرق.

ويبرز الجانب الإعجازي والسبق النبوي حين نستعرض سويا في السطور القليلة التالية ما أبرزته مايو كلينيك أحد أشهر مستشفيات أمريكا والعالم وبالتحديد "مؤسسة مايو للتعليم الطبي والأبحاث"^(١) على الإنترنت بتاريخ ٢٦ يونيو ٢٠٠٧ وأضع لكم النص الانجليزي وترجمته و بجواره بين قوسين النص النبوي ذي السبق في مجال علاج الغضب لنؤصله للإسلام ونثبته للنبي عليه الصلاة والسلام كالتالي:

Anger management tips: Tame your temper

نصائح معالجة الغضب: روض انفعالك (لا تغضب)

Take a "time out" ..counting to 10 before reacting

خذ فترة صمت وعد إلى عشرة قبل رد فعلك (إذا غضب أحدكم فليست)

Do something physically

تحرك بجسدك (المعنى: غير وضعك) (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)

Swim

اسبح (المعنى: باشر الماء) (...وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)

Find ways to calm yourself. Repeat calming word or

"!phrase to yourself such as "Take it easy

كرر كلمة تهدئك مثل خذها ببساطة (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال: أعود بالله من الشيطان الرجيم)

Think carefully before you say anything

فكر بعناية قبل قول أي شيء (...وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)

ومن ناحية أخرى يجب موقع الاستشارات الكاملة^(١) عن سؤال محير:

هل تصلح الأدوية للمساعدة في علاج الغضب؟

Can medication help treat anger?

فيقول بوضوح: (بعض مضادات الاكتئاب تقلل الأعراض الانفجارية والقلق ولكن الأدوية بصفة عامة لا تستخدم بصورة مباشرة لعلاج الغضب).

وهو ما يبرهن مرة أخرى على سبق النبي صلى الله عليه وسلم للطب الغربي وإعجاز سنته المطهرة في إيجاد علاجات للغضب في حين تشمل الحيرة المتخصصين في الطب حول علاج الغضب حتى بعد تقدم علوم الطب وازدهارها.

ثمره تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم في صحابته والتابعين:

والصحابه - رضوان الله عليهم - قد فهموا هذه الدروس النبوية وتعلموا في المدرسة المحمدية وطبقوا ما تعلموه على حياتهم وعلموا من بعدهم من المسلمين وحتى عصرنا هذا دروساً عملية فهنا درس عملي لنا جميعاً من ابن عباس وعمر بن الخطاب رضوان الله عليهما في أنه من شاهد غاضباً فعليه أن ينصحه ؛ ويذكره فضل الحلم وكظم الغيظ وعلى المنصوح قبول ذلك من أخيه والعودة لصوابه فوراً فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : استأذن الحر بن قيس لعبيته فأذن له عمر فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل (أي العطاء الكثير) ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم به ؛ فقال له الحر : يا أمير المؤمنين إن الله قال لنبيه : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين ؛ والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله.

و درس آخر في الحلم من أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - حين قال لغلامه : " لم أرسلت الشاة على علف الفرس ؟ " قال أردت أن أغيظك . قال : " لأجمعن مع الغيظ أجرا أنت حر لوجه الله تعالى "

واستمرت المدرسة المحمدية في التابعين وفي علماء المسلمين حتي يومنا هذا فقد قيل لعبد الله بن المبارك : أجميل لنا حسن الخلق ؛ فقال : ترك الغضب !

ومما يُذكر هنا أن جارية لعلي بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء فتهياً للصلاة فسقط

الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع على بن الحسين رأسه إليها ، فقالت الجارية : إن الله - عز وجل - يقول : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) فقال لها : قد كظمت غيظي . قالت (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) فقال لها : قد عفا الله عنك . قالت : (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) قال : اذهبي فأنت حرة

وقال المعتز بن سليمان : كان رجل ممن كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فأعطي كل صحيفة رجلا وقال للأول : إذا أشتد غضبي فقم إلي بهذه الصحيفة وناولنيها ؛ وقال للثاني : إذا سكت بعض غضبي فناولنيها ؛ وقال للثالث : إذا ذهب غضبي فناولنيها وكان في الصحيفة الأولى : " أقصر فما أنت وهذا الغضب ؟ إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضاً وفي الثانية : " ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء " وفي الثالثة : " احمل عباد الله على كتاب الله فإنه لا يصلحهم إلا ذاك " ...!

كما روى الإمام الغزالي عن الحسن رضي الله عنه قوله : " يا بن آدم كلما غضبت وثبت ؛ وأوشكت أن تثب وثبة فتقع في النار " ويحمل الإمام الغزالي رأيه في الغضب قائلاً " .. فأقل الناس غضباً أعقلهم ؛ فإنه إن كان للدنيا كان دهاء ومكراً وإن كان للأخرة كان حليماً وعلماً .

متى الغضب ؟

وليس معنى هذا عدم الغضب تماماً بل عدم التهادي فيه وينبغي أن يغضب الانسان اذا انتهكت حرمة الله .

أنواع الغضب

الأول : الغضب المحمود

وهو ما كان لله - تعالى - عندما تنتهك محارمه ، وهذا النوع ثمرة من ثمرات الإيمان وهكذا كان غضب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فلا يُعرف إلا أن تنتهك محارم الله - تعالى - فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط

فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم الله - عز وجل (رواه مسلم ٢٣٢٨)

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأننا يفتقاً في وجهه حب الرمان من الغضب فقال : (أبهذا أمرتم ؟ أو لهذا خلقتم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض بهذا هلكت الأمم قبلكم) فقال عبد الله بن عمرو : ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفت عنه . (رواه أحمد ١٧٨ / ٢ وابن ماجه ٨٥) واللفظ له قال البوصيري - رحمه الله تعالى - " هذا إسناد صحيح رجاله ثقات "

ومن التأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم أن نجعل غضبنا لله ، وإذا انتهكت محارم الله ، وهذا هو الغضب المحمود فقد غضب صلى الله عليه وسلم لما أخبروه عن الإمام الذي يُنفر الناس من الصلاة بطول قراءته ، وغضب لما رأى في بيت عائشة سترًا فيه صور ذوات أرواح ، وغضب لما كلمه أسامة في شأن المخزومية التي سرقت ، وقال : أتشفع في حد من حدود الله ؟ وغضب لما سُئل عن أشياء كرهها ، فكان غضبه صلى الله عليه وسلم لله وفي الله .

الثاني : الغضب المذموم

وهو ما كان في سبيل الباطل والشيطان كالحمية الجاهلية ، قَالَ اللهُ تَعَالَى :

" إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا " (الفتح)

وهنا ذم الله عز وجل الكفار بالحمية الصادرة عن الغضب بالباطل

الثالث : الغضب المباح

وهو الغضب في غير معصية الله تعالى ولم يتجاوز حده ويتجلى ذلك بحفظ اللسان والجوارح كأن يجهل عليه أحد ، علماً بأن كظمه هنا خير وأبقى قال تعالى : " وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " (آل عمران : ١٣٤)

أوجه الإعجاز

١. لا شك أن نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم قد عرف بنور الوحي خطورة الانفعالات النفسية على مستقبل المجتمع قبل أن يكتشف الطب آثارها ودعا - بحكمة - المسلمين إلي ضبط انفعالاتهم قدر المستطاع فكثرت أحاديثه التي وردت بها تلکم النصيحة الذهبية الغالية "لا تغضب" والتي ثبتت جدواها طيباً ونفسياً، وقدم أساليب مختلفة في الترغيب في حفظ النفس من الغضب ثم الترهيب من الوقوع فيه محاولاً الأخذ بأيدي أتباعه إلي جادة الصواب رحمة بهم وحفاظاً على صحة أبدانهم من المرض والتلف .
٢. لكنه - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يعلم في الوقت ذاته طبيعة النفس البشرية ويعلم أن الإنسان لحظة غضبه قد لا يقوى على كظم غضبه خاصة إن كان يغضب لله أو لعرضه أو لماله فإذا به يصف العلاج المحمدي المعجز قبل أن يستفحل الغضب ويحدث ما لا تحمد عقباه في خطة نبوية وروشته محمدية لعلاج الغضب و بها سبق طبي معجز بعد أن أثبت الطب بعد أربعة عشر قرناً أن كل ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في علاج الغضب له تأثير إيجابي على جسد الإنسان الغاضب بل يكاد ينقذه من مخاطر لا يعلم مداها إلا الله . وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .. والحمد لله رب العالمين

مراجع البحث

- د. محمد نزار الدقر الهدي النبوي في كراهة الغضب. موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- الشيخ محمد صالح المنجد فتوى ٦٥٨ موقع الإسلام سؤال وجواب.
- الإمام أبو حامد الغزالي: "إحياء علوم الدين".
- الإمام ابن حجر العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري".
- د. حسان شمسي باشا: "قبسات من الطب النبوي"
- د. محمود البرشة: "الغضب وأثره السيء على البدن" صدى الإيمان ع ٢ م ١٩٩٦
- د. إبراهيم الراوي: "موقف الإسلام من الإصابة السرطانية" حضارة الإسلام م ١ ع ٨ - ١٩٦٦
- د. عبد الرزاق الكيلاني: "الحقائق الطبية في الإسلام"
- د. حامد الغواي: "الحلم والغضب"، لواء الإسلام م ١٠ ع ١١ - ١٩٥٧
- د. إبراهيم الراوي: "الإنفعالات النفسية" حضارة الإسلام م ١٥ ع ٧ - ١٩٧٤
- الإمام المناوي: "فيض القدير شرح الجامع الصغير"
- محمد نبيل كاظم. كيف تتحرر من نار الغضب؟ دار السلام الطبعة الأولى ٢٠٠٨



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

من الإعجاز البياني في القرآن الكريم

د. محمد محمد داود

أستاذ. م. علم اللغة بجامعة قناة السويس

عميد معهد معلمي القرآن الكريم بالمركز الإسلامي بالعمرائية

الخبير بمجمع اللغة العربية



مقدمة

لم يحظ كتاب في الدنيا بالدراسات فيه وحوله مثلما حظي القرآن الكريم، بيد أنه على الرغم من استبحار الدراسات القرآنية ووفرتها، إلا أن القرآن الكريم لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تقف عند نهاية: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفِدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩).

وكل باحث - حسبما يتيسر له من أدوات بحثه - يكشف الله له جانبًا من أسرار كتابه العزيز الذي لا تنفذ أسرارته: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء: ٢٠).
ولمّا كان القرآن من الله الحكيم - وفعل الحكيم كله حكمة - وكل شيء عنده بقدر ومقدار؛ لذا وصف الله القرآن بالإحكام، قال تعالى:

﴿الرَّكَنُ بُحْكَمَتِ آيَاتِهِ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (هود: ١).

ومن ثم فقد نشطت الجهود لتتبع الظواهر اللغوية في القرآن الكريم، للكشف عن أسرار هذا الإحكام المعجز. ومن بين هذه الجهود هذا البحث - من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم - الذي وقفت فيه على الظواهر الصوتية التي تفرّد بها القرآن الكريم والتي تلفت الانتباه، ويظهر فيها وجه من وجوه الإعجاز.

وقد صنفتها في سبع مسائل، هي:

الأولى: أثر صوتيات القرآن في حفظ اللغة العربية واستقرارها.

الثانية: الإيقاع والنغم القرآني الخالد.

الثالثة: الفاصلة القرآنية قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية.

الرابعة: التناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة.

الخامسة: التناسب بين إيجاء الصوت ومعنى الكلمة.

السادسة: التناسب والتناسق بين نوع الحركة والمعنى.

السابعة: عولمة الصوت وعالمية النغم القرآني الخالد.

والله أسأل أن يوفقني فيه وأن ينفع به، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

(هود: ٨٨). ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧)،

والحمد لله رب العالمين.

المسألة الأولى: أثر صوتيات القرآن في حفظ اللغة العربية واستقرارها

التلقي الشفهي هو الأساس في تعلم القرآن الكريم، منذ نزل جبريل عليه السلام بالقرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وحتى وقتنا الحاضر، وإلى أن تقوم الساعة. ولهذا الخاصية - المشافهة - آثار تصل إلى حد الإعجاز، لكنَّ إلف العادة هو الذي يمنعنا أو يجنب عنا ملاحظة نواحي الإعجاز. ولكن إذا ما قورنت العربية بغيرها من اللغات وما حدث لها، يظهر أثر القرآن في الاستقرار الصوتي للغة العربية وحفظها من الاندثار.

حفظ اللغة العربية حية على السنة المسلمين في بقاع الأرض كلها:

أ. اندثار اللغات القديمة كلها، ما عدا العربية :

إن المتأمل في التاريخ يرى - بوضوح - لغات كثيرة قد اندثرت بموت أهلها، أو ضعفت بضعفهم؛ فأين اللغة الفينيقية - لغة أهل لبنان قديماً؟! - وأين اللغة الهيروغليافية - لغة أهل مصر؟! - والآشورية - لغة أهل بابل؟! - ... إلخ.

إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم جعلها محفوظة بحفظه، وباقية ببقائه، وسبحان الله القائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: 9).

وبتأمل النظم القرآني في هذه الآية الكريمة نرى من وجوه الإعجاز:

- عدول الخطاب القرآني عن لفظ (القرآن)، واستعمال لفظ (الذِّكْر)، والمراد به هنا: القرآن؛ لإفادة معنى الحضور اللساني والذهني، في تناسب وتناغم مع معنى البقاء المعبر عنه بالحفظ.

استعمال أكثر من أداة من أدوات التوكيد: (اسمية الجملة، إن، نحن، تضعيف الفعل نزلنا)، تكرار إن، اللام، تقديم الجار والمجرور "له" على المتعلق "لحافظون".

استعمال صيغة اسم الفاعل في (لحافظون) بدلالتها على الحاضر والمستقبل.

وكل هذه الأدوات تتآزر معاً لإفادة معنى البقاء والدوام والحضور وقوة التأثير لهذا الكتاب العظيم، والواقع يشهد بهذا، فالقرآن الكريم هو النص الوحيد الذي لم يتغير ولم يتبدل منه حرفٌ على تطاول العصور، وعلى امتداد رقعة البلاد الإسلامية في كافة أرجاء المعمورة.

ومن وسائل حفظ القرآن العظيم: حفظ لغته وبقاؤها حيّةً على ألسنة المسلمين أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، من مهد الإسلام في جزيرة العرب إلى أقصى أطراف الأرض. كيف استطاعت هذه اللغة العبقريّة أن تصمد أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، بينما اندثرت اللغات القديمة جميعاً، بل اندثرت لغات كانت حيّةً على الألسنة منذ أقل من أربعة قرون؟

من أمثلة تلك اللغات: اللاتينية التي انقسمت إلى لهجات تحوّلت فيما بعد إلى لغات مختلفة في ألفاظها وتراكيبها وبنيتها الكليّة. لقد كانت اللاتينية هي لغة الثقافة والعلم حتى وقت قريب، وكانت المؤلفات العلمية الكبرى تُكتب بها إلى عهد نيوتن (عاش في القرن الثامن عشر)، ومؤلفه الذي قلب موازين علم الفيزياء عنوانه: "Principia Mathematica" باللاتينية، أي: مبادئ الرياضيات.

ومع ذلك كانت اللاتينية حينئذٍ قد اندثرت تماماً، وصارت لغة أبراج عاجيّة، يكتب بها الفلاسفة والعلماء، ولكنها غائبة عن الحياة؛ لأنّ الألسنة لا تنطق بها.

ومثلها اللغات الدينية التي اندثرت - بموتها على الألسنة - وانحصرت وجودها بين جدران المعابد والأماكن المقدسة، كالسريانية (الآرامية)، والعبرية القديمة، ولغات السيخ والهندوس والشتو وغيرها من لغات المعابد التي لا يعرفها سوى أفراد قليلين من كهنة المعابد.

على حين ظلت العربية صامدةً متجددةً عبر العصور، واتسع نطاق المتحدثين بها، الذين

هم عربٌ باللسان، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: "ليست العربية لأحدكم بأب ولا أم، ولكنها اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي"^(١).

وهذا أمرٌ مُشاهدٌ محسوس، فإنك لتجد الهندي أو الباكستاني أو الإيراني أو الأمريكي المسلم لا يعرف شيئاً عن قواعد العربية، فإذا ما تلا آيات الذكر الحكيم انطلق لسانه، وتخلّص من عجمته ولُكنته، وصارت أصواته واضحة كل الوضوح مطبوعة بالطابع العربي الخالص في صفات الأصوات ومخارجها.

أفليس هذا وجهاً من وجوه الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم؟!

ب. الألفاظ القرآنية الخاصة:

من يدقق النظر في العربية المعاصرة يجد الكثير من الألفاظ التي هُجرت وظلَّ بقاؤها حيةً على الألسنة مقصوراً على الاستخدام الديني المرتبط بالقرآن.

وفي دراسة قمت بها عن الألفاظ الدالة على الكلام والاستخدام الديني في العربية المعاصرة^(٢)، كان من الظواهر اللافتة للانتباه وجود مجموعة من الألفاظ ذات الدلالة الكلامية كادت تغيب عن الاستعمال المعاصر إلا في المجال الديني الإسلامي، عند شرح آيات القرآن التي وردت بها هذه الألفاظ، واستعمال هذه الألفاظ خارج مجال القرآن نادر ندرّة تصل إلى درجة العدم في الأعم الأغلب، وضيّق مجال الاستعمال واقتصره على المجال الديني الإسلامي هو الملاحظة الأولى.

أما الملاحظة الثانية فهي ثمرة للملاحظة الأولى، فقد ترتب على الاستعمال اللصيق بالقرآن لهذه الألفاظ استقرار دلالاتها حتى أصبحت تبدو مشابهةً في استقرار دلالاتها للألفاظ الإسلامية الاصطلاحية: (الصلاة، الزكاة، الحج،.... إلخ).

وفيا يلي أمثلة مختارة من هذه الألفاظ مرتبة ترتيباً هجائياً، مع ذكر معناها الذي استعملت به في القرآن الكريم:

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الرواة عن مالك، وابن عساكر في تاريخ دمشق، ٤٠٧/٢١.

(٢) الدلالة والكلام: دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة / محمد محمد داود . القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٢ م.

م	المادة	الصيغة الواردة	المعنى	الشواهد القرآنية
١	ث ج ج	ثجأجا	شديد الانصباب	﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا ﴾ (النبا: ١٤)
٢	ث خ ن	أثختموهم يثخن	المبالغة في القتل	﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَثُدَّ وَالْوَتَاقِ ﴾ (محمد: ٤) ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الأنفال: ٦٧)
٣	ث ر ب	ثرب	اللوم والتعير والتوبيخ	﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١١)
٤	ج أ ر	تجأرون يجأرون تجأروا	رفع الصوت بالدعاء والتضرع	﴿ وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَالْتَبَيْتُمْ يُخْرُونَ ﴾ (النحل: ٥٣) ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْحَرُونَ ﴾ (١٤) (المؤمنون) ﴿ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ (٦٥)
٥	ج ب ت	الجبت	كل ما عبّد من دون الله، واستعمل في الصنم والكاهن والساحر.	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ (النساء: ٥١)

م	المادة	الصيغة الواردة	المعنى	الشواهد القرآنية
٦	خ ت ر	خَتَّار	عَدَّار	﴿وَمَا يَجْمَدُ بِأَيْدِينَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٢) ﴿لَقَبَانِ﴾
٧	خ ر ص	تخرصون الخراصون	إلقاء القول عن ظن وتخمين	﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (١٤٨) ﴿الأنعام﴾ ﴿قُلِ الْخِرَاصُونَ﴾ (١٠) ﴿الذاريات﴾
٨	خ ض د	مخضود	مقطوع شوكة	﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٧) ﴿في سدرٍ مَحْضُورٍ﴾ (٢٨) ﴿وطلح منضُورٍ﴾ (٢٩) ﴿الواقعة﴾
٩	خ م ص	مخمصة	مجاوعة؛ لأن البطن يضم من شدة الجوع	﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ عَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣) ﴿المائدة﴾، واللفظ في (التوبة: ١٢٠)
١٠	خ م ط	خَمَط	كل شجرة لها شوك وثمرتها مرة بشعة الطعم	﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَبْنَتِهِمْ جَنَّاتٍ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمَطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (١١) ﴿سبأ﴾
١١	خ ن س	الخناس الْحُنْسُ	الشیطان الذي يخنس ويتوارى عند ذكر الله. الكواكب السيارة؛ لأنها تختفي وتغيب	﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ (٤) ﴿الناس﴾ ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْحُنْسِ﴾ (١٥) ﴿الجوار الكنس﴾ (١١) ﴿التكوير﴾

م	المادة	الصيغة الواردة	المعنى	الشواهد القرآنية
١٢	دع	يَدْعُ يَدْعُونَ	الدفع بعنف وغلظة	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّنِّ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾﴾ (الطور: ١٣)
١٣	رفث	رفث	الفحش في القول	﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴿١٩٧﴾﴾ (البقرة: ١٩٧)
١٤	شنأ	شَنَانٌ	بُغْضٌ	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴿٢﴾﴾ (المائدة: ٢) ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ (الكوثر)
١٥	ضبح	ضَبْحًا	صوت أنفاس الخييل في جوفها حين تعدو	﴿وَالْعَدِيدِ ضَبْحًا ﴿١٠﴾﴾ (العياديات)
١٦	ضغث	ضَغْنًا أَضْغَاثٌ	ما جُمع وقُبِضَ عليه بالكف. أخلاق ملتبسة	﴿وَحَدِّ يَدَيْكَ ضَغْنًا فَاصْرَبْ بِهِ ۖ وَلَا تَجْنَثْ ﴿١﴾ ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامُهُ وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾﴾ (يوسف)
١٧	غطش	أَغْطَشَ	أظلم	﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُغْبًا ﴿١٩﴾﴾ (النازعات)
١٨	هي ت	هَيْتَ لَكَ	هَلُمَّ وَأَقْبِلْ	﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هِيَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ وَعَلَقَتْ الْأَنْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴿١﴾﴾ (يوسف: ٢٣)

هذا قليلٌ من كثيرٍ مما حفظه القرآن للعربية، وفي هذا أبلغ الدلالة وأقواها على أن كلمات القرآن الكريم هي التي كُتِبَ لها الحياة والخلود على مرّ الزمن، في حين أن الثروة اللفظية للعربية التي لم تُستعمل في القرآن الكريم قد أودعت في قِرافة المعجمات في الأعمّ الأغلب.

ولا عجب من هذه الملاحظة التي تأكدت من خلال بحث قيّم لعالمين فذّين أحدهما لغوي وهو أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين، والآخر متخصص في علم الإحصاء وهو الدكتور علي حلمي موسى تحت عنوان "دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر"^(١)، وكان من نتائج هذه الدراسة:

أن القرآن اصطفى ١٥٪ من جذور العربية هي أفضل وأيسر ما فيها، وأن جذور القرآن هي المادة المستعملة في اللغة العربية من أول الإسلام حتى الآن، وأما الـ ٨٥٪ من لغة الجاهلية فقد أصبحت في المعاجم لكنها لا تجري على ألسنة الناس في حياتهم.

أن جذور القرآن الكريم هي التي يجري بها فكر هذه الأمة منذ نطقت بعد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وبعد نزول القرآن إلى أيامنا هذه، وبحصر مفردات أي جريدة، أو بحث أو مقال، أو أي مادة مكتوبة؛ فإنها لا تخرج عن مادة القرآن إلا بمقدار ٢٪ فقط، وهذا يعني أن المادة الشائعة المهيمنة في الكتابات والأحاديث العربية هي مادة القرآن.

وتلتقي هذه الملاحظة مع ملاحظة ابن فارس في كتابه "الصاحبي" التي تقول: "إن القرآن فرض على الناس بياناً خاصاً، فهم يقولون في الشيء إذا وصفوه بالطول يقولون: طويل، ولا يقولون: أشقُّ ولا أَمَقُّ، وهما لا يردان في استعمال الناس"^(٢).

إذن فقد هيمن القرآن على هذه اللغة وكان سبباً في استقرار مادتها؛ لأن مادة القرآن نحفظها جيلاً بعد جيل، ونُرَدِّدها بطريقة واحدة، وهذا هو السر في استمرار العربية ما يقرب من خمسة عشر قرناً حتى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إن شاء الله تعالى.

فأي كتاب أو أثر أدبي أو غير ذلك كان له مثل هذا التأثير البالغ والهيمنة الدائمة على فكر

(١) دراسة إحصائية لجذور تاج العروس باستخدام الكمبيوتر / على حلمي موسى، عبد الصبور شاهين. الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٣ م.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها / ابن فارس؛ تحقيق مصطفى الشرييني. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣ م.

أمة نشرت حضارتها في ربوع الأرض من أدناها إلى أقصاها وعلى لسانها؟! إن الكتب المقدسة الأخرى - على الرغم من أثرها الكبير في نفوس أتباعها - لم يكن لها شيءٌ من هذا التأثير البالغ؛ لأنها تفوقت في المعابد، وانحصر استعمالها في أداء الشعائر الدينية وحسب، أمّا العربية - التي صاغها القرآن صياغة فريدة - فقد تحررت وانطلقت بها الألسنة وصار قُصارى جهد الكُتّاب الذين يكتبون بها أن يتلمّسوا قبساً من فصاحة القرآن وبعضاً من بلاغته وحسن تأليفه وتناغم كلماته وأصواته.

استقرار اللغة العربية:

على الرغم من أن التطور سُنّةٌ جارية في كل اللغات وأكثرُ مظاهره يكون في الدلالات، إلا أن العربية ظلت محتفظة بكل مستوياتها اللغوية (صوتية - صرفية - نحوية - دلالية)، وما تطور منها كان في إطار المعاني الأصلية وبسبب منها.

ويزداد إدراك أهمية الاستقرار اللغوي الذي تتميز به العربية إذا ما تأملنا التغيّر السريع الذي يلاحق اللغة الإنجليزية (لغة الحضارة المعاصرة)، فنصوص الإنجليزية القديمة التي مر عليها قرابة ثلاثة قرون أصبحت عصيّة على الفهم بالنسبة للإنجليزي المعاصر.

يضاف إلى ذلك ما نشرته مجلة نيوزويك باللغة العربية تحت عنوان " تراجع الإنجليزية الفصحى الراقية على مستوى العالم والإحساس بالخطر من سرعة تغيرها"، ويتساءلون في فرضيّة علمية لها ما يبررها: هل نحن (علماء الإنجليزية) أمام لغة جديدة؟^(١)

ولعلّ هذا التغيّر السريع هو الذي دفع علماء هذه اللغة إلى إعادة صياغة النصوص الأدبية المهمّة عندهم (مثل نصوص شكسبير) بإنجليزية حديثة Modern English يفهمها المعاصرون بدلا من الإنجليزية القديمة Old English.

في حين أن العربي المعاصر يقرأ آيات القرآن الكريم فلا يحس معها بغرابة؛ ويكفي النظر إلى هذه الآيات: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣﴾ (العصر).

(١) نيوزويك، مارس ٢٠٠٥ م. — (عدد ٢٢)، ص ٥٤.

لتأمل هذه السلاسة السائدة في السورة، وذلك الوضوح الدلالي مع عمق المعاني، وذلك التناسق الصوتي المتمثل في ختم الآيات بفاصلة الراء المقفلة بالسكون، وتكرار حرف الصاد بها فيه من تفخيم يتناسب وفخامة المقول، ويزيد من علو طبقة الصوتية مجاورة الراء المفخمة.. هذا إلى التدرج في طول الجمل بحيث توحى بالانتقال بالخطاب من الشدة والقوة والفخامة البالغة في الآية الأولى (والعصر) إلى درجة أخف في الآية الثانية، ثم تُختم السورة بأطول آياتها، وكأن في ذلك إشارة إلى اللين والرفق بالمؤمنين الذين عملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر... إنك لتشعر مع هذا الامتداد والهدوء بزمان ممتد طويل يملؤه المؤمنون بعمل الصالحات واستمرار التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

إن الجملة القرآنية تتألف من كلمات وحروف ذات أصوات يستريح لتألفها السمع والصوت، والنطق، ويتكون من اجتماعها على الشكل الذي رتبت عليه، نسق جميل ينطوي على إيقاع جلي رائع، ما كان ليتم إلا بالصورة التي جاءت عليها الآيات، وأي وجه من التغيير أو التبديل أو النقص أو الزيادة يضيع معه هذا الجمال والإبداع القرآني.

تأمل قوله تعالى:

﴿فَفَنَحْنَا أَيْتَانَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ ۝۱۱ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَرٍ ۝۱۲ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْوَجِّ وُدُسْرٍ ۝۱۳ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفْرًا ۝۱۴﴾ (القمر)

وتأمل تناسق الكلمات في كل جملة منها، ثم دقق نظرك وتأمل تألف الحروف الرخوة مع الشديدة ومع المهموسة والمجهورة وغيرها، ثم أمعن في تألف الحركات والسكنات والمدود وتعاطفها مع بعضها، فإنك إذا تأملت في ذلك علمت أن هذه الجملة القرآنية إنما صُبت من الكلمات والحروف والحركات في مقدار، وأن ذلك إنما قُدِّر تقديرًا بعلم اللطيف الخبير، وهيئات للمقاييس البشرية أن تقوى على ضبط الكلام بهذه القوالب الدقيقة^(١).

ولذلك فإنه على الرغم من مرور أكثر من أربعة عشر قرنًا، لا يكاد الإنسان يجد صعوبة في التواصل مع كلمات القرآن، وذلك في كل المستويات اللغوية: (الصوتية، والصرفية،

(١) كمال اللغة القرآنية / محمد محمد داود. - ط ١. - القاهرة: دار المنار، ٢٠٠٧م، ص ٢١٠، ٢١١.

والنحوية، والدلالية^(١)، وهذه ميزة عظيمة: أن تكون الأمة موصولةً بتراتها الزاخر تفيد منه وتنتفع به.

وتأملُ مزية استقرار اللغة العربية التي تفردت بها عن سائر اللغات التي تغيرت وتبدلت تغييراً وتبدلاً جعل من اللغة الواحدة لغاتٍ كثيرةً متباينة - يجعلنا نتساءل:

ما السبب وراء هذه المزية؟

هل يمكن إرجاع هذه الميزة إلى أن اللغة العربية كانت لغة عالمية فيها كل ما تفتقر إليه الأمم في كل الأزمنة والأمكنة من ألفاظ ومعانٍ وأخيلة، بحيث يجد الناس فيها ما يفتقرون إليه؛ لذلك فهم يحرصون عليها؟!

وهذا بعيد؛ فما كانت اللغة العربية ولا غيرها كذلك.

أم أن مزية استقرار اللغة العربية ترجع إلى أهلها ومكانتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية؟! والواقع يُكذِّب ذلك؛ فقد كان أهل العربية في وضع متأخر الشأن بجوار حضارتين عظيمتين هما حضارتا الفرس والروم، وفي حياتنا المعاصرة تتلاحق الهزائم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً على العرب.

وهكذا ينتهي بنا التأمل إلى أننا لا نجد سبباً مقنعاً لهذه المزية سوى أنها أثر من آثار القرآن الكريم، ووجه من وجوه إعجازه.

تهذيب اللغة العربية (تنقية صوتية):

لقد نَحَى القرآن الكريم عن اللغة التَّقَعُّر في الكلام، والألفاظ الحُوشِيَّة الثَّقِيلَة على السمع، إن من يتأمل النثر أو الشعر الجاهلي يرى كثيراً من الكلمات الحُوشِيَّة، من ذلك: "جحيش"، و"مستشزرات"، و"جحلنجح"، و"البخصات"، و"المطاط" وغير ذلك كثير.

من ذلك أيضاً ما رواه القالي في أماليه لأبي محمَّد الشيباني في أواخر القرن الثاني من كتاب

Holes: Clive Modern Arabic: Structure Functions and Varieties.- London: (١) Longman, 1995-343p.

له إلى بعض الحذائين في نعل.. قال هذا المتقعر: "دنها، فإذا هَمَّتْ تأتدن، فلا تخلُّها تُمرِّخد، وقَبْلَ أن تَفْعَلَ، فإذا اتَّدَنْتْ فامسحها بخِرْقَةٍ غير وكيَّة ولا جَشِيَّة، ثم امعسها معسارَ قيقًا، ثم سنَّ شفرتك، وأمَّهها، فإذا رأيت عليها مثل الهبوة فسِنِّ رأس الإزميل" .. إلخ.

وانظر قول القائل:

فاحذر ولا نكترَ كَرِيًّا أَعْوَجَا

عَلَجَا إِذَا ساق بنا عَفَنَجَجَا!

وتأمل تكرار صوت الكاف والعين والجيم على مسافات متقاربة؛ مما يُثقل على السمع واللسان، حتى يضيق به الناطق ويمجّه السامع وتنبو عنه القلوب.

وتكفي نظرة إلى ديوان أي شاعر أو راجز من العصر الجاهلي، لنرى إلى أي مدى كان أثر القرآن الكريم بالغاً في تصفية أصوات اللغة وتنقيتها؛ وإليك مثالا مما أورده صاحب "نظام الغريب في اللغة" لكلمة معروفة للعرب قاطبة هي "اللبن"، ومن مرادفاتها:

لبن أمُهْجَانٌ، وأمُهْج بالفتح وأمُهْجُج أيضاً: اللبن الخالص. والماضر: اللبن الحامض ومنه سُمِّيَت المضيرة، ومثله الخائر. والضِّيَّاح: اللبن الممزوج بالماء. والرَّسُل: اللبن الحليب نفسه. والمذيق: اللبن الممزوج بالماء، والصريح الخالص منه. والعُجَالِطُ والعُجَلِطُ: الرائب الغليظ. والرُّوبَةُ بغير همز: اللبن الحامض الذي قد رُوِّبَ به الحليب. والعَكِيُّ بتشديد الياء: اللبن الحامض. والهَجْمَةُ والهَجِيمَةُ: اللبن قبل أن يحمض. والحاذر: اللبن الحامض، فإذا تقطَّع وصار اللبن ناحية والماء ناحية فهو مُمْدَقِرٌّ، فإن تكبَّدَ بعضه على بعض وحمض فلم يتقطع فهو إذك. والعُثْلُطُ والهْدْبُدُ: ما خثِرَ منه وتلبَّد. والصَّقْرُ: أحمض ما يكون من اللبن، فإذا صُبَّ عليه حليب فهو الرَّاثَةُ والمُرْضَةُ. والعكيس: اللبن الحليب يُصَبُّ على مَرَق. والنَّخِيسَةُ: لبن الضأن يُصَبُّ على لبن المعز. والصَّحِيرَةُ: الحليب المسخن حتى يحترق. والسَّمْهَجُ والسَّمَلَجُ: اللبن إذا كان حلواً دسماً. والمَّلْعازُ والمِلْهَازُ: اللبن يَخْتَلطُ بعضه ببعض عند المخض. والصَّرْبُ والصَّرَبُ: أحمض ما يكون من اللبن. والسَّجَاجُ: أَرْقُ ما يكون من

اللبن، والمهْو والمَسْجُور مثله. والنَّسْء: الحليب إذا مزج بالماء، والنَّسِيُّ مثله^(١).
بينما اكتفى القرآن الكريم بكلمة واحدة هي (اللبن)، ولا عجب أن غابت كل تلك
الكلمات الحوشية والغريبة عن واقع الاستعمال اللغوي، وبقيت الكلمة القرآنية.
لقد كان القرآن بمثابة غربال لأصوات العربية، ومصفاة لها أخرجت منها ما ينبو عنه
السمع وما يثقل على اللسان، والناظر في هذا الكتاب الكريم يجد بين دفتيه أمثلة ناصعة
للنقاء الصوتي والسلاسة وتجسيد المعنى عن طريق الصوت بصورة إعجازية لا نجد لها
مثيلاً في أرقى مستويات الفصاحة اللغوية لهذه اللغة.
كذلك نَحَى القرآن الكريم كثيراً من الألفاظ التي تعبر عن معانٍ لا يُقَرُّها الإسلام: من
ذلك:

« **المُرْبَاع** » : وهو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.

« **النشيطه** » : وهي ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى القوم، أو ما يغنمه الغزاة في
الطريق قبل بلوغ الموضع المقصود.

« **المَكْس** » : وهي دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق الجاهلية.

وفي هذا سُمُو لغوي يتوازي مع السُمُو الخُلقي الذي أتى به القرآن الكريم.

(١) نظام الغريب في اللغة / عيسى الربيعي، ص ٦١: ٦٥.

المسألة الثانية: الإيقاع والنغم القرآني الخالد

دُهِشَ العرب حينما سمعوا القرآن، وتَحَيَّرُوا في أمر هذا الكلام الذي تستلذه الأذان وتستخفه الألسنة وتقعشعُر منه الجلود وتطمئنُّ به القلوب، ومَبَعَثَ حيرتهم ودهشتهم يعود - في جانب منه - إلى هذه الخصائص الصوتية الفريدة للقرآن، وقد جسَّد الوليد بن المغيرة هذه الحيرة حين قال يصف القرآن في مقولته المشهورة: والله لقد وضعته على أقرء الشعر فما هو بالشعر، وما هو بالسجع ولا الكهانة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه لِيَعْلُو ولا يُعَلَى عليه.

في هذه الكلمة يتجسَّد ما تملَّك هذا الرجل وغيره من العرب لَمَّا سمعوا القرآن الكريم فقد اهتزت قلوبهم وهيمن الصوت القرآني على مشاعرهم، وتَحَيَّرُوا في شأن هذا النغم الفيَّاض - من أين يأتي؟! إنه ليس بشعر؛ لأنه لا يتفق مع أوزان الشعر وطرائق نظمه، وليس بسجع متوازن كسجع الكهان، ومع ذلك تنساب أنغامه انسياباً في عذوبة وسلاسة وتآلف عجيب، وكأنه تيار موسيقي تتفجر منه النغمات من أعلاه ومن أسفله على حد قول الوليد، ولعل من بين ما تدل عليه عبارته: عمق التناسق بين أنغامه العالية القوية وبين أنغامه الرقيقة الهادئة المناسبة.

والنغم القرآني ينبعث من أصواته، وحسن جرسه، وتآلف ألفاظه، وطرائق الأداء المعروفة في فن التجويد منذ عصر النبوة، ويشهد لهذا ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يتغنَّى بالقرآن "(١).

والتغنِّي بالقرآن يعني تجويده، باعطاء كلِّ صوتٍ من أصواته ما يستحق من صفات وامتداد وعمق وتلوين؛ حتى يظهر المعنى وظلال المعنى في وضوح تام، وفي أداء جمالي ممتع للسمع والفؤاد. وليس من قبيل الصدفة أن القرآن الكريم قد أنزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم.. إنه خطاب إلى القلب؛ ولذلك كان للإيقاع فيه نصيب كبير، قال الله تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ٩٧).

والإيقاع القرآني يهز القلوب ويأخذ بمجامعها؛ ولذلك كان للنبي صلى الله عليه وسلم عند سماع القرآن أحوال، فمرة يرتجف، وتارة ينبسط... وهكذا بحسب المعاني التي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٣٦).

تتضمنها الآيات والإيقاع المصاحب لها، وقد ارتبط أداء القرآن الكريم بالمقامات الموسيقية العربية كالبياقي والنهاوند والرّست والحجاز والصّبا وغيرها، ولكل مقام من هذه المقامات طرق عديدة وأساليب متباينة في إبراز وجوه النغم القرآني المتنوّع والفريد.

وينبعث النغم القرآني من توالي المقاطع الصوتية على مسافات منتظمة متقاربة، بما يمنح الأذن إحساساً بالتوازن الإيقاعي، دون رتابة أو جمود كالذي نُحسُّ به حين نسمع الأسجاع المتماثلة في مقاطعها، فالنغم القرآني متوازن الإيقاع ومتجدّد في آن واحد؛ لتنوع الفواصل أو المسافات الفاصلة بين مواضع النبر في الكلمات، واختلاف الكلمات طولاً وقصراً.

هذا بالإضافة إلى تلوين الأداء القرآني وتحسينه عن طريق المدّ والغنة والسكّت القصير والسكون، وغير ذلك من خصائص التلاوة القرآنية التي تضيف إلى عظمة النغم القرآني توازناً الإيقاع، فتجويد القرآن يشتمل إلى جانب إعطاء الأصوات حقّها على أمور أخرى، منها: المد بأنواعه والغنة والسكّت وما إلى ذلك مما يُعدُّ من قبيل الانقطاع المؤقت لتوالي الأصوات التي تتكون منها الألفاظ. فإذا قرأ القارئ مع الترتيل أتى بكل رتل وآخر وبينهما فترة انقطاعه إما مد أو غنة أو سكت إلخ..

هذا النوع من الترتيل يضيف إلى إيقاع القرآن الكامن في نظمه إيقاعاً آخر طارئاً عليه من خلال الأداء والقراءة، فإذا اجتمع الإيقاع الصوتي وذلك الإيقاع الترتيلي لم يكن للأذن إلا أن تستمع وتنصت وتستمتع بالجمال، وسبحان الله و تعالى إذ يقول لعباده المؤمنين:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف ٢٠٤) (١)

كما أن القراء المجيدين يستطيعون إبراز المعاني القرآنية صوتياً عن طريق التنغيم؛ أي رفع الصوت وخفضه وتلويحه بألوان مختلفة تعبّر عن الفرح، أو الحزن، أو الخوف، أو الدهشة، أو التعجب، أو الغضب، أو الرضا... إلخ.

الإيقاع في العربية:

مصطلح الإيقاع في العربية مستمدٌّ من وَفَع المطر. وهو في عرف أهل اللغة عبارة عن "اتفاق الأصوات والألحان وتوقيعها في الغناء أو العزف" (٢).

(١) البيان في روائع القرآن / تمام حسان، ج ١، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٢) المعجم العربي الحديث / لاروس، ١٩٧٣م، ص ٢٠٥. لسان العرب / ابن منظور. — ط ٣. — بيروت: دار صادر،

والإيقاع غير الوزن، ومن المناسب أن نشير - هنا - إلى الفرق بينهما، إذ طالما اختلط الأمر بشأنهما؛ ذلك أن الوزن عندما يتمثل لدى بداية تركيب ما، فإنه "لايفتأ فائماً دون أن يصيبه تغيير إلى نهايته، مثله مثل الشكل الميكانيكي؛ في حين نجد أن الإيقاع خلقٌ جماليٌّ مُحضٌ"^(١).

الإيقاع في القرآن:

من دوافع الاهتمام بإيقاعية القرآن الكريم: خروج هذه الإيقاعية عن منظومة أشعار العرب وما أُلّفوه فيها، حيث وجدوا أنفسهم أمام ظاهرة متمثلة في "اتساق القرآن، واتلاف حركاته وسكناته، ومدّاته، وغنّاته، واتصالاته، وسكّاته، ذلك ما يسترعي الأسماع، ويستهوِي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم أو منثور"^(٢).

إن السمات البارزة في بنية الخطاب القرآني، هي ذلك الترتيب في الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة كلٍّ للآخر مناسبةً طبيعية: همساً وجهرًا، شدة ورخاوة، تفخيماً وترقيقاً، تفشيّاً وتكراراً.

وإذا ما رُمنا تَمَثَّلَ ذلك بأذاننا؛ بل بوجداننا وإحساساتنا، فلنستمع إلى مطلع سورة العاديات وهي تُتلى علينا؛ فما من شك أن أول ما يطرق آذاننا هو تلك الحركات والطرق المتواليات، كما تفعل "الخيول" حال ركضها قلباً بقلب، فلا ريب أن الألفاظ تفعل فينا ما هو أجمل وأجلُّ من السّحر بمنتهياتها المتماثلة في قوله تعالى: ﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبَحًا ١﴾ فَأَلْمُورِبَتِ قَدَحًا ٢﴾ فَأَلْمُغِيرَتِ صَبَحًا ٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِعًا ٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١١﴾

ويؤكد الرافي أن المدار في هذه السورة قائم بشكل جليٍّ ومسموع على خاصية الإيقاع؛

١٩٩٤م، مادة: وقع.

(1) Jean Cohen, Structure du Langage poetique, Flammarion, Paris. 1966. P. 42.

(٢) التعبير الفني في القرآن / أمين بكرى شيخ . ط ٤ . - القاهرة : دار الشروق ، [د . ت .] ، ص ١٨٥ : ١٩٨ .

فيقول: "ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضاً، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، متساوقة معها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أياً كان؛ فلا تعذب ولا تساغ، ربما كانت أو كس النصيين في حظ الكلام من الحرف والحركة؛ فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأناً عجباً، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان، واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي، حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه^(١)".

ومصطفى صادق الرافعي إذ يؤكد هذه الخصيصة لم يفتأ يقدّم الشاهد تلوّ الآخر على ما يذهب إليه، ومن ذلك إirاده للفظة: (النذر). وفي ذلك يقول: "فإن الضمة ثقيلة فيها - أي لفظة النذر - لتواليها على النون والذال معاً، فضلاً عن جساءة هذا الحرف - صلابته أو صعوبة النطق به - وبُؤّه في اللسان، وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام، فكل ذلك مما يكشف عنه ويفصح عن موضع الثقل فيه، ولكنه جاء في القرآن على العكس، وانتفى من طبيعته في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ (القمر: ٣٦).

فتأمل هذا التركيب، وأنعم ثم أنعم على تأمله، وتدوّق مواقع الحروف، وأجر حركاتها في حسّ السمع، وتأمل مواضع القلقلة في دال (لقد)، وفي الطاء من (بطشتنا)، وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو (تماروا)، مع الفصل بالمد... ثم ردّ نظرك في الراء من (تماروا)، فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء (النذر)، حتى إذا انتهى اللسان إلى هذا انتهى إليها من مثلها، فلا تجفو عليه ولا تغلظ، ثم أعجب لهذه الغنة التي سبقت الطاء في (أنذرهم)، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر)^(٢).

ونرى سيد قطب لا يكتفي بالتلويح إلى احتواء النظم القرآني على الإيقاعية من باب

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي ط ٩ . بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م، ص ٢٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

وصفها السطحي؛ وإنما نلفيه في الكثير من المرات يقف وقفة المتأمل في هذه الخصيصة التي امتاز بها القرآن، ومنتبعا لأسرارها وحقائق تواجدها بشكلها المتميز، وهو لذلك يقول: " فأما تنوع أسلوب الموسيقى وإيقاعها بتنوع الأجواء التي تُطلق فيها؛ فلدينا ما نعتمد عليه في الجزم بأنه يتبع نظاماً خاصاً، وينسجم مع الجو العام باطراد لا يَسْتَشِي (١)".

وهو - أيضاً - يحاول الربط بين جو النص القرآني والإيقاع؛ فيرى بعد تفحص وإمعان أن ذلك الإيقاع ما هو إلا انعكاسٌ للجو العام الذي يطبع الخطاب المُدرج فيه، فهو يرى أن جو سورة (النازعات) أشبه بالزلال الكبير الذي يُفقد كل شيء توالزنه، وتترادف مزعجاته، فإذا القلوب مضطربة والأبصار كسيرة، "ذلك الجو سريع النبض، شديد الارتجاف، والذي ينسجم تمام الانسجام مع إيقاعها، حيث هذه المقطوعة سريعة الحركة، قصيرة الموجة، قوية المبنى (٢)".

كما أنه يرى في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ٤١ ﴾ وهي تجرى بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه، وكانت في معزل ينبئ أركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴿ ٤٢ ﴾ قال ساوى إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المَعْرِقِينَ ﴿ ٤٣ ﴾

يرى فيه ذلك الجو المفعم بالرعب والهول والفرع، والذي ينسجم تمام الانسجام مع إيقاع هذا المقطع القرآني، حيث " إن التكوين الموسيقي للجملة ليذهب طولا وعرضا في عمق وارتفاع، ليشارك في رسم الهول العريض العميق، والمدات المتوالية المتنوعة في التكوين اللفظي للآية تساعد في إكمال الإيقاع وتكوينه واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق (٣)".

ومن ذلك أيضا ما ذكره الشيخ محمد الغزالي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ١٠ ﴾ إذ يقول: " وكنْتُ أسمع هذه الآيات من فم قارئ ندى الصوت وقف على

(١) التصوير الفني في القرآن / سيد قطب . ط ١ . القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٨ م ، ص ١١٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ١١١ .

(٣) المرجع السابق، ص ١١٣ .

كلمة (مغلوب) وأطال مدّ الواو ستّ حركات مليئة بالقهر والضراعة والاستنجاد، حُيِّلَ إليَّ أنها امتلأت بآلام تسعة قرون ونصف من جهاد الدعوة وفشل الاستجابة، ونظرتُ حولي فرأيت الدموع تطفّر من الأعين رقةً لعبودية نوح واسغاثته" (١).

ويشير الدكتور صبحي الصالح إلى الإعجاز في نعم القرآن بقوله: "إن هذا القرآن - في كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد منه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام - يمتاز بأسلوب إيقاعي غنيّ بالموسيقى، مملوء نغمًا، حتى ليكون من الخطأ الشديد في هذا الباب أن نُفاضلَ بين سورة وأخرى، أو نُوازنَ بين مقطع ومقطع، لكننا حين نوميء إلى تفرّد سورة منه بنسق خاص، إنما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نوّكدها بالدليل، وندعمها بالشاهد، مؤكّدين أن القرآن نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه، إلا أنه متنوعٌ متنوعٌ موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه! (٢)".

وعن اللفظة القرآنية يقول الدكتور صبحي الصالح: "تكاد تستقل - بجرسها ونغمها بتصوير لوحة كاملة؛ فيها اللون زاهياً أو شاحباً، وفيها الظل شفيفاً أو كثيفاً... وحين تتسمع همس السين المكررة تكاد تستشف نعومة ظلها مثلما تستريح إلى خفة وقعها في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ ۖ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُفِ ۖ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۖ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا نَنَفَسَ ۖ (١٨)﴾ (التكوير).

وتقرأ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ أَلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، فلا ترى في المعجم غير كلمة "زحزح" تُصوّر مشهد الإبعاد والتنحية، بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات.. وما أحسب شفتيك إلا منطبتين استقباحاً واستهجاناً لحال الكافر الذي يتجرع صديده ولا يكاد يسيغه، في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ (١٦) **يَتَجَرَّرُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ** (إبراهيم).

ولا أحسبك إلا مستشعراً عنف لفظة الككببة في قوله تعالى: ﴿فَكَبُكُرُوا فِيهَا هُمْ

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم/ الشيخ محمد الغزالي... ط ٨، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٤١٩، ٤٢٠.

(٢) مباحث في علوم القرآن / صبحي الصالح . - القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٤م، ص ٣٣٤.

وَالْغَاوُونَ ﴿الشعراء: ٩٤﴾، حتى لتكاد تتصور أولئك المجرمين يُكَبِّون على وجوههم أو على مناخرهم، وَيُلْقُونَ إلقاءً المهملين، فلا يقيم أحد لهم وزناً! (١)."

ويشير الدكتور محمد عبد الله دراز إلى التفرد في النظم الصوتي للقرآن قائلاً: "أول ما يلاحظ عليك ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم، خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهه (٢)".

ويضيف الدكتور دراز: "دع القارئ المُجَوِّد يقرأ القرآن يرتله حقَّ ترتيله نازلاً بنفسه على هوى القرآن، وليس نازلاً بالقرآن على هوى نفسه، ثم انتبه منه مكاناً قصياً لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغماتها، واتصالاتها وسكناتها، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وقد جردت تجريداً وأرسلت ساذجةً في الهواء، فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب لا تجده في كلام آخر لو جرد هذا التجريد وجود هذا التجويد (٣)".

إن موسيقى القرآن وإيقاعه لا ينبعان من جرس الحروف والكلمات، ولا من تجانس الأصوات والتراكيب فحسب، بل من هذا التآزر بين الصوت والمعنى، بين الأنغام الخارجية والنغم الداخلي المنبعث من المعاني وظلالها المرهفة الباعثة على التأمل العميق والتدبر المتأنى لكلماته وآياته، فترتعد لوقعة القلوب، وتقشعر الجلود، ثم تلين وترق خاشعة لذكر الله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرْ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٣).

(١) المرجع السابق، ص ٣٣٥، ٣٣٦.

(٢) النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن / محمد عبد الله دراز . ط ٦ . الكويت : دار القلم ، ١٩٨٤م ، ص ١٠١ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٠١، ١٠٢ .

المسألة الثالثة: الفاصلة بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى

أودُّ هنا - بدايةً - توضيح ملاحظة تتصل بأدب السلف الصالح، حيث أطلقوا على نهايات الآيات القرآنية تسمية "رءوس الآيات"، تمييزاً لها عن مصطلحات الشعر والنثر، ففي الشعر نقول: صدر البيت وعجزه، وفي النثر نقول: بداية الجملة ونهايتها، فبداية الآية عندهم كنهايتها: رأس، أي مستوى من الارتفاع والارتقاء لا ينتهي ولا يهبط أبداً، والوقف عند الرأس يشعر بأن آيات القرآن قَمَم يرقى القارئ إليها، وكلما مضى في القراءة ازداد رقيّاً، فهو صاعد أبداً، حيث يقال لقارئ القرآن: "اقرأ وارْق، ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"^(١).

ومعلوم أن رءوس الآيات توقيفية، أي كما جاءت بالتلقي عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. والملاحظ في رءوس الآيات النغم الصوتي الذي يلفت الانتباه وتستريح له الأذن إلى حد يأخذ بالنفس، ولعله كان أحد الأسباب التي جعلت الوليد يقول بعد سماعه القرآن الكريم: "إن له حلاوة وإن عليه لطلاوة"، وهما من حسّ اللسان وحسّ الأذن.

وإذا ما حاولنا الكشف عن الظاهرة بأسلوب علمي، وذلك بتتبع أصوات الحروف والحركات التي تُكوّن هذه الفواصل بهذا التناسق الصوتي المبدع، فإننا نلاحظ التالي:

كثرة الحركات، وبخاصة الطويلة (حروف المد: الألف والواو والياء)، بما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام.

كثرة ورود الصوامت المتوسطة (النون، الميم، الراء، الواو، الياء)، وهي قريبة - من الناحية الفيزيائية - إلى طبيعة الحركات، التي تسهم في خاصية التنغيم الشجيّ بشكل واضح.

يُدعّم هذا ظواهر صوتية خاصةً بالقرآن كالمَدِّ والغَنَّة، وكل هذه العناصر الصوتية لا تكون بهذا التناسب الفريد في غير القرآن من فنون الشعر والنثر.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦٥٠٨)، والنسائي في سننه (٨٠٥٦)، وابن حبان في صحيحه (٧٦٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والتهذيب: حسن صحيح (١٤٢٦).

سؤال اعتراضى: هل هذا التناسب الصوتي هو من قبيل السجع، حيث يتوالى الكلام المنثور على حرف واحد؛ ليكتسب النثر ضرباً من الموسيقى والنغم؟ أم هو من قبيل القافية في الشعر؟

والجواب: لا هذا ولا ذاك؛ فالفاصلة في القرآن ليست على وتيرة واحدة، كما هو الحال في كل من السجع والقافية، فهي لا تلتزم شيئاً من ذلك، حيث تجري في عدد من آيات القرآن على نمط، ثم تتحول عنه إلى نمط آخر، ومن خلال جريها على نمط واحد، فأغلب ما تقوم عليه هو حرف المد كما في هذه الآيات:

﴿ قَ وَالْقُرْآنَ إِن الْمَجِيدَ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَمْ ذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيفٌ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝٦ ﴾ (ق).

والفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية، ورعايتها تؤدي إلى تقديم عنصر أو تأخيرها، ليس رعاية للتناسق الصوتي فقط، بل رعاية للمعنى أيضاً، وهذا هو الإعجاز.

مثاله قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ (الفاتحة).

فإن قلت: لم قدم العبادة على الاستعانة؟ أجابك اللغويون القدماء أصحاب الحس المرهف، وعلى رأسهم الزمخشري، حيث قال: "هو من تقديم العلة على المعلول". وقال أبو السعود: "هو من تقديم الأشرف".

وقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۝١٣﴾ (الليل)، لماذا قدم الآخرة على الأولى؟ والجواب: أن ذلك مرتبط بسياق السورة ومقصدها؛ فقد قامت السورة لتأكيد سوء العاقبة والإنذار لمن كذب وأعرض بالتنكيل به في الآخرة، في مقابل الثواب الذي ينتظر من أحسن وتصدق، فإذا ما تحقق مع هذا المعنى الانسجام الصوتي وتناسب الإيقاع في الفواصل، فذلك لا يتم على هذا الوجه من الكمال في غير هذا النظم القرآني المعجز.

ومن قال بالتقديم لرعاية الفاصلة فقط، فهو قصور عن فهم المعنى المراد؛ فالتقديم والتأخير يرتبطان بالسياق والمعنى المراد.

كذلك فإن الترتيب في تقديم الصفات الخاصة بالله تبارك وتعالى، أو الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - مرتبط بالسياق، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (سبأ).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات). فقدم الرحمة في آية سبأ؛ لأنها منشأ المغفرة. أما الغفور فتقدم في كل موضع في القرآن فيه ولو إشارة إلى وقوع المعاصي وكفران النعم^(١).

وإنَّ ممَّا يلفت الانتباه أن القرآن الكريم قد خلا من التنافر في بنية كلماته، فأصواته كلها قامت على الائتلاف، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد سجلت كلمات القرآن الكريم قمة التناسق بين أصواتها والمعاني المرادة لها، وهذا هو الجديد في الصوت القرآني: أن يُوظف الصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود، ومن ذلك كلمات: الصَّاحَّة، الطَّامَّة، القارعة، وكلها أسماء ليوم القيامة، وقد جاءت حروف الاستعلاء: الصاد في (الصَّاحَّة)، والطاء في (الطَّامَّة)، والقاف في (القارعة)، وتلا كلا منها حرف المد (الألف) ليعطي أقصى مدى من التفتيح. وفي هذا إشارة إلى أبلغ القوة والشدة والمفاجأ

(١) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة المعنى والصيغ والأساليب المتشابهة / محمد محمد داود . - القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨ م، ص ٦٢٢.

المسألة الرابعة: إحياء الصوت بالمعنى

يُقصدُ بإحياء الصوت بالمعنى: أن يُوحِيَ جَرَسُ أصوات الكلمة بمعناها الذي رُصد لها في المعجم، فيلتقي الجرسُ والعرف عندئذ لا على مصادفةٍ ومحض اتفاق، ولكن انتقاء اللفظ يكون عن تعمدٍ وحسن اختيار^(١).

وإن من إعجاز القرآن وتفرده الرائع في الدلالة: ارتباط الصوت بمعانيه ارتباطاً وثيقاً. وقد تأكد لعلماء العربية أن الجانب الصوتي ركنٌ أساسي في بناء التعبير القرآني في مواضع عدة من التنزيل. وقد تبَّه اللغويون القدماء إلى هذه الظاهرة الصوتية، فنقل ابن جني عن الخليل قوله: "كأنهم توهّموا في صوت الجُنْدُب استطالةً ومدّاً فقالوا: صرّ، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرّ صر^(٢)".

وعقد ابن جني لهذه الظاهرة باباً أسماه: "باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، ساق فيه ما ذكره الخليل وسيبويه، ثم أورد أمثلة عديدة، نجتزئ منها بقوله:

"فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع^(٣)، ومهجٌ مُتَلَبَّبٌ عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمَتِ الأحداث المعبرِّ بها عنها فيعدّلونها بها ويحتذونها عليها. وذلك أكثر مما نُقدِّره وأضعاف ما نستشعره، من ذلك قولهم: خضم، وقضم، فالخضمُّ لأكل الرطب، والقضمُّ للصلب اليابس، فاختروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حدوا المسموع الأصوات على محسوس الأحداث^(٤).

لكنّ ما في القرآن الكريم من تجليات هذه الظاهرة الصوتية أوسع بكثير مما ذكره ابن جني، فلقد فجر القرآن طاقات الصوت في العربية إلى أقصى مدى، بحيث إننا نتخيّل - بل نكاد نرى - المشهد المعبرِّ عنه إذا ما لامست أسماعنا كلمته.

(١) البيان في روائع القرآن / تمام حسان، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) الخصائص / ابن جني، تحقيق محمد على النجار، ج ٢، ص ١٥٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٧، ١٥٨.

ومن أمثلة ذلك: التكرار لبعض الأصوات بما يوحي بالتتابع، نحو قول الله تعالى: ﴿فَكُبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ (الشعراء)، أي: سقط بعضهم فوق بعض، وتكرار صَوْتِي الكاف والباء (ك. ك. ب) يوحي بهذا السقوط المتكرر.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة) حيث دلّ تكرار صوتي الزاي واللام على قوة الاضطراب والارتجاج.

ومن ذلك: التشديد بعد قلب التاء حرفاً مجانساً لما يليها، نحو قوله تعالى: ﴿فَادْرَأْتُمْ فِيهَا﴾ (البقرة: ٧٢).

الأصل: تدارأتم، فقلبت التاء دالا وأدغمت في الدال التالية فتتج عن ذلك التشديد الذي يدل على حدة التنازع والتشاحن.

ومثله قول الله جل ثناؤه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ٣٨).

أصل الفعل (تداركوا)، وقلبت التاء دالا وأدغمت في الدال، فلما سُكِنَتْ جِيءَ بهمزة الوصل، والتشديد يوحي هنا بتداعيمهم في النار متزاحمين بغير نظام، بل إن اشتغال التشديد على سكون فحركة يدل على أن تزامهم في النار جعل بعضهم يعوق بعضاً قبل أن يتردّوا فيها، فكأن النقطة التي تداعوا عندها كانت كعنت زجاجة.

ومن هذا أيضاً "أناقلتم" في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (التوبة: ٣٨).

وذلك فيما يوحيه التفخيم من الإحساس بالمبالغة في الحدث أو الصفة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (فاطر: ٣٧).

فكأن ارتفاع الصوت بالصراخ ومشاركتهم جميعاً فيه، وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يُعبّر عنه بالفعل المجرد (يصرخون)، فجاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة، وقُصِدَ لها أن

تجاوز الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم فتصبح طاءً؛ ليكون في تفخيمها فَضْلٌ مبالغٍ في الفعل.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ﴾ أبلغ من (يصرخون)؛ للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخاً منكراً خارجاً عن الحدِّ المعتاد.^(١)

ومن ذلك ما حكاه السيوطي في "الإتقان" عن الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ (البقرة: ١٧٩)، وبين قول العرب "القتل أنفى للقتل"، حيث ذكر عشرين وجهاً للفرق بينهما، ومن ذلك:

أن في المثل توالي أسباب كثيرة خفيفة، وهو السكون بعد الحركة، وذلك مُسْتَكْرَه.

سلامة الآية من تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة وبعدها غنة النون.

اشتغال الآية على حروف متلائمة، لما فيها من الخروج من القاف إلى الصاد؛ إذ القاف من حروف الاستعلاء والإطباق، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التي هي حرف منخفض، فهو غير ملائم للقاف، وكذا الخروج من الصاد إلى الخاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة؛ لبُعد ما بين طرف اللسان وأقصى الحنك.

سلامتها من لفظ (القتل) المُشعر بالوحشية، بخلاف لفظ (الحياة)، فإن الطباع أميل له من لفظ (القتل)^(٢)

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذْ أَسْمَةُ ضِيْرَى﴾ (النجم).

و(ضيْرَى) تعني: جائرة ظالمة، لكن لفظ (ضيْرَى) جاء هنا ليحقق غرضين هما: رعاية الفاصلة التي غلبت فيها الألف المقصورة، والثاني: الإيحاء - بما في الضاد من تفخيم - إلى أن الجور في هذه القسمة لا مزيد عليه.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصِيْبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيْهِ ظُلُمٌ وَّرَعْدٌ وَّرَبْرُقٌ﴾ (البقرة: ١٩).

(١) الإتقان/ السيوطي، تحقيق: د. محمد متولي منصور، ج ٣، ص ٢٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧١: ١٧٤ بتصرف.

والصَّيْب: النزول الذي له وقع وتأثير، ويُطلق على المطر والسحاب، وتنكيره لِمَا أَنَّهُ أُريدَ به نوعٌ شديدٌ هائل، كما أن الصاد المستعلية (المفخمة) والياء المشددة والباء الشديدة - تدل على القوة والتدفق وشدة الانسكاب.

وكان الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) قد التفت إلى ما سماه بعض المحدثين "الحاسّة الموسيقية"، وسماه هو "الهيئة الشعرية"، وكونها مركوزة في الإنسان منذ تكوينه، أو على حدّ قوله: "مركوزة فيه من أول كونه"^(١).

وهي في اللغة العربية وفي إحساس العربي أكثر ظهوراً، حتى إن كثيراً من الباحثين يصف لغتنا بأنها لغة موسيقية، وأنها انحدرت إلينا وقد اكتسبت هذه الصفة منذ أقدم نصوصها^(٢) وتلك الخصيصة أكسبت سمع العربي قدرة عالية في التمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة، فكان حُسُّه مرهفًا يستريح لجنس من الكلام لحسن وقعه، وينفر من آخر لُبُو جرسه^(٣). ولقد بلغ القرآن الكريم الذروة في التأثير في سمع العربي ووجدانه، وذلك بعدوبة جرسه وجمال إيقاعه ونغمه، وما لذلك من صلة بدلالته.

إنّ الإيحاء الصوتي في القرآن ينهض به الصوت اللغوي وحده، مفردًا كان أو مركّبًا، فيصوّر المعنى - الذي في السياق - بدقّة، بحيث لا يسدُّ آخر مسدّه.

فمن الأصوات المفردة (الصوائت) Vowels: ألف المدّ وياء المدّ؛ إذ لهما إيجاءان صوتيان متغايران يستشعرهما السامع النابه المتأمل، أحدهما (صاعد) بألف المدّ، والآخر (هابط) بياء المدّ، وكلاهما وردا في سياق واحد، هو قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعَ نَضِيدٌ﴾ (١٠) رَزَقًا لِلْعِبَادِ ﴿ق﴾.

فعند الوقوف في التلاوة على لفظة (بَاسِقَاتٍ) تُمدُّ الألفُ فيها ستَّ حركات، وهو المدّ العارض للسكون^(٤)؛ لِتُصَوَّرَ هذا الامتداد إلى علوٍّ في بسوق النخلة وارتفاعها في الجوِّ بتلك

(١) كتاب الموسيقى الكبير / الفارابي . - القاهرة : دار الكتاب للطباعة والنشر، [د.ت.]، ص ٧٠.

(٢) دلالة الألفاظ / إبراهيم أنيس . - القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦٣ م، ص ١٩٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن / الجرجاني . - القاهرة، ١٩٦٨ م، ص ١٢٥. دلائل

الرشاقة الجميلة، التي تنتهي في أعلاها بذلك السعف الجميل المتهدل على جوانب قمّتها من كل جهة، حتى إنها لتبدو كالفاتاة الفرعاء^(١).

فإذا تلا القارئ بعد ذلك لفظة (نضيد)، ووقف على الدال، استشعر السامع بهذا المدّ الهابط (الياء) خلاف ما استشعره بذلك المدّ الصاعد، الذي قَبَلَهُ في (بَاسِقَاتٍ)؛ إذ يستشعر بسمعه قبل بصره هذا التنضيد الذي في الطَّلْع، وقد غُطِّي بغِطائه الرَبَّاني الجميل ذي الرائحة الذكية العبقة، ومن إيجاء الأصوات المفردة في تعبير القرآن: إيجاء (الهمزة)، وإيجاء (الماء) في سياقيهما؛ إذ ورد كل منهما في سياق مغاير - دلاليًا - لسياق الآخر، وهذا يعود إلى تغاير صفة كل منهما من الناحية الصوتية، وإن كانا من مخرج واحد هو الحنجرة؛ إذ الهمزة صوت شديد انفجاري، بل هو أشدّ الأصوات اللغوية في العربية، على حين عدتّ الماء من الأصوات الرخوة والمهموسة الضعيفة، بل هي أضعف أصوات العربية.

فإذا تدبّرنا الكتاب المعجز المين - القرآن الكريم - وجدنا الهمزة فيه قد وردت في سياق يوحي بالشدّة، متمثلاً بهذا التركيب الفعلي المؤكّد بالمصدر في قوله تعالى: ﴿الْمُرْتَأَاتُ أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمُ آزًا﴾ (مريم: ٨٣).

ووجدنا (الماء) قد وردت في سياق مغاير له، بل هو مضادّ له دلاليًا من حيث الإيجاء؛ إذ وردت في تصوير ما أمرت به مريم ابنة عمران - عليها السلام - (وهزي إليك). حين أتاها الطَّلُق، فضاقت بذلك ذرعاً؛ إذ كيف يُولَدُ لها ولُدٌ وهي لم تتزوج بَعْدُ؟ فكان النداء الذي سمعته مُطْمَئِنًّا لها من ناحية، وأمراً إياها بهزّ جذع النخلة التي أوتّ إليها تستظلُّ وتستترُّ بها بعد أن أمرها ألا تحزن من ناحية أخرى. وذلك بقوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي

قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

فقال تعالى: (هُزِّي) هنا، ولم يقل: (أزِّي)، كما قال في آية إرسال الشياطين على الكافرين: (تَوَزُّهُمُ)، ولم يقل: (تهزُّهمُ)، وذلك للفارق الدلالي بين السياقين: سياق الشدة والعنف،

الإعجاز / الجرجاني؛ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي . - القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٩٨٠ م .

(١) القاموس المحيط / الفيروز آبادي . - ط ١ . - بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦ م، مادة: فرع.

وسياق اللين والحنان، في تَوَازٍ مع الفارق الصوتي بين الهمزة الشديدة المجهورة والهاء المهموسة. وهذا من رائع بيان القرآن ودلائل إعجازه.

وإذا كان إيجاء (الألف) في فواصل آيات مريم جميلاً باعثاً على التأمل المُفْضِي إلى شكر النعمة، فإنَّ للألف في غير هذا السياق إيجاءً آخر؛ نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ (القيامة: ٣٣)

إذ نجدها في هذا الموضع تُشعر بالكِبَر والاستعلاء، في تصوير مَشِيَّة كافرٍ من قريش، عَرَّثَهُ مظاهر الدنيا الفانية من مال وجاه وولد؛ فإيقاع الآية مشعر بمشية الكِبَر لدى هذا المشرك المتعالي، وَلَكِنْ يَهْمُنَا كَثِيرًا هنا هذه اللفظة التي وقعت فاصلة، وهي: (يتمطَّى)؛ إذ وردت لأمها أَلْفًا، وهي الطاء الثانية في أصل الكلمة؛ وأصلها: (يتمطط)، ولكنَّ التعبير القرآني عدل عن الطاء التي في آخر اللفظة إلى الألف بدلا منها، لا مجرد اتساق حروف الرويِّ - كما في الشعر - فيها مع سائر الفواصل التي تَلَتْهَا، مثل (أُولَى) و(سُدَى) و(يُمْنَى) و(فَسَوَى) (١).

إنَّ هذا ملحظ شكليّ ليس هو المراد هنا، وإنَّ كان له قيمته الصوتية الإيقاعية المؤثرة في نفس المتلقِّي، وإنما ورد لفظ (يتمطَّى) معدولا عن أصله الطائي (يتمطط) إلى الألف الواقعة حرف رَوِيٍّ للفاصلة؛ إيجاءً بتبخر صاحب هذه المشية، وإشعاراً بما في نفسه من الزهو والخيلاء الفارغين من بواعث الحق والخير؛ إذ معنى (يتمطَّى) في اللغة: يتبختر، وأصله: يتمطط، أي يتمدد؛ لأنَّ المتبختر يمدُّ خطاه. وقيل: هو من المطا، وهو الظَّهر؛ لأنَّه يلويه عند سيره (٢).

ويَهْمُنَا هنا كيف رَسَمَ المدُّ الصوتي بالألف هذه المشية المكروهة المنهي عنها، فإذا قرأنا (يتمطَّى) بأداء صوتي دقيق في التجويد، فأعطينا الطاء الشديدة المطبقة المكررة بالتشديد حقها من الأداء الصوتي، وأتبعناها مدَّة الألف واقفين عليها، حاكت الصورة الصوتية بذلك تلك المشية الممقوتة، مشية التلوِّي صعودًا إلى الأعلى ونزولًا. وذلك من التصوير

(١) تحفة الإخوان في بيان تجويد القرآن / حسن إبراهيم الشاعر، ص ١٣.

(٢) تُنظَرُ فواصل الآيات: ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨ من سورة القيامة.

الفني في القرآن عن طريق الإيحاء الصوتي، مضافاً إلى الدلالة اللغوية الأصلية للفظة، التي تعرفها العرب في تحاورها.

ومن الإيحاء الصوتي الإفرادي: المدّ بالألف المُوحي بالندم والتوجّع النفسي، في مثل قول الكافر: ﴿بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٦) في يوم القيامة، وقد وقف بين يدي ربه للحساب، وهذا مشعر صوتياً بتوجّعه وندمه بهذين المديّن اللذين اكتنفا التعبير، وهما مدُّ (يا) ومدُّ (تا)، مضاعفاً إحساس المتلقّي بندم الملقّي المرير، فضلاً عما في نداء الحسرة بحرف النداء (يا) من تشخيص استعاري للحسرة، حين جعلها تُنادَى كما يُنادَى العاقل، وهذا من بليغ بيان التنزيل.

ومن الإيحاء الصوتي بالشعور بالندم: ما تحدّثه (هاء السكت) في قول من قرّط فيما ينبغي عليه أداؤه إزاء ربّه وأهله، قال تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ (الحاقة). فهذه الهاء إذا وقّفت عليها القارئ أشبهت الحسرة في انطلاقها من صدر المتحسّر لندمه.

وقد يكون الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن مقطعيّاً وليس إفرادياً، كالذي في لفظة (دَمْدَم) في قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمُ﴾ (الشمس: ١٤)، حين عقروا ناقة الله التي أمرُوا بألا يمسّوها بسوء فغضب الله تعالى عليهم، فدمّر قريتهم، فجاء التعبير بهذا اللفظ: (دَمْدَم)، بدلالة مزدوجة، إحداهما (لغوية)، وهي الأصلية، أو كما يسمّيها المعاصرون: (مركزية) أو (أساس)، والدلالة الأخرى (إيحائية)، وهي لون من الدلالة الثانوية، أحدثها إيقاع اللفظة.

وأما وصف هذه اللفظة (دَمْدَم) بأنها مقطعية، فلائها ذات مقطعين متماثلين هما: (دَم/دَم)، فلما التأمّا في اللفظة مكرّرين، أشعر جرّسهما المدوّي بما يشبه القصف: (دَمْدَم). وهذه الدلالة الإضافية صعدت استشعار الشدّة والغضب في تصوير هذه العقوبة الإلهية العادلة، بمن لم يرعَ لله حرّمته، ومن التناسب بين إيحاء الصوت والدلالة المقصودة للكلمة قوله تعالى: ﴿عَيْنَاهَا تَسْمَىٰ سَلْسِيلًا﴾ (الإنسان: ١٨)، إذ توحى لفظة السلسيل بالسلاسة ويسر الاستساغة، وذلك لما بين اللفظين (سلسيل / سلاسة) من شَرِكَةٍ في بعض الحروف.

هذا في مقابل الإيحاء في جهة الضد للمعنى السابق، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ (النبأ: ٢٥)؛ إذ إن مادة (غسق) في القرآن منها: الغسق، والغاسق، والغساق،

وتوحي بأن القسط المشترك بين هذه المشتقات هو: الدلالة على أمور كريمة؛ فالغسق: الظلمة، والغاسق: الليل الشديد الظلمة، والغساق: شيء كريمة لا يُشرب، وفَسْرُوه بالصيد، وتُسْتَفَادُ هذه الدلالة لغويًا من إيجاء الغين والقاف هنا^(١).

ومثله قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (المطففين: ٧)، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ (الغاشية: ٦)

والضريح نبات شوكي، وإيجاء لفظ (ضريح) في الطعام يفيد ذلا يؤدي إلى تضرع كلٍّ منهم وسؤال الله العفو عن ذلك، كما أن الضاد المضممة توحي بما فيه من كزازة، كذلك فإن العين الحلقيّة كأنها توحي بإظهار الكزازة وتأثيرها في الحلق^(٢).

يقابله في المعنى على الجهة الأخرى قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾. وكذا قوله تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ائْتِنِي حَصْحَصَ الْحَقِّ﴾. ومن هذا القبيل قول الله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَوقٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾

حيث عبّر عن هذا الحدث بلفظ مغاير للفظ (الضرب)، الذي استعمله القرآن في موضع أُريد به تأديب الزوجة إذا نشزت على زوجها بضرب غير مُبرِّح، بعد مرحلتي الوعظ والهجر، واستعمل هنا الفعل (صَكَتْ)، وهو اللفظ الذي انفرد به هذا الموضع.

فإذا حللنا الفعل (صَكَتْ) تحليلاً صوتياً مع ما لحقه من تاء دالة على التأنيث، وجدناه يجمع بين الشدّة والتفخيم؛ إذ الصاد من أصوات الإطباق، والمطبق مفتح، والكاف والتاء صوتان شديدان، وزاد من شدّة الكاف تضعيفها. وبهذا أدت هذه اللفظة بهذه الأصوات صورة اللطمة الشديدة من جانبها الصوتي الإيجائي، فضلاً عن جانبها اللغوي الدال على الضرب الشديد؛ وبذلك ضاعف الإيجاء الصوتي للصدك من دلالاته على الضرب الشديد

(١) البيان في روائع القرآن / تمام حسان، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠٨: ٢١٠.

(٢) المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة / محمد العبد. — ط ١. — القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٦م، ص ٩٠.

المسألة الخامسة: الإيحاء الصوتي للتراكيب

وقد ينهض التركيب الصوتي بإيحاءٍ معيّنٍ منبعث من خصائصه في صورته المركبة، من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا نَعَّمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (٥١) (فصلت)

وُصف الدعاء في هذه الآية بأنه (عريض)، ولعل إثثار العرض على الطول هو الأقوى دلالةً على أنه دعاء الاستصراخ والاستغاثة الملهوفة... وذكر العرض يومئٍ إلى سعة الدعاء التي تُومئ إلى حركة جاهدة من أعضاء النطق، وهذه الحركة تُومئ بدورها إلى أن ذلك الإنسان قد امتلأت جوانبه بذلك الدعاء. وقد أُوثرت كلمة "دعاء" على مرادفها "نداء"؛ لأن الدعاء - رفع الصوت وخفضه - أدلُّ على حال اللهفة والمداومة على الطلب وفقدان السكينة، وهي دلالات يفتقدها النداء المجرد.

ونلاحظ هنا أن البنية الصوتية للموصوف "دعاء" تأتلف مع صفته "عريض"؛ وذلك أن الألف في "دعاء"، سوف يصل صوتها، وتتمكن مدتها؛ لوقوع الهمزة بعدها. وإنما تمكن المد في الألف مع الهمز، لأن الهمزة - كما يقول ابن جني - حرف نأى منشؤه، وتراخى مخرجه، فإذا نطقنا بالألف (ويجري ذلك على الواو والياء) قبل الهمزة، ثم تمادينا بالألف نحوها طالت الألف وشاعت في الصوت، فوقت لها، وزادت في بيانها ومكانها، وليس كذلك إذا وقع بعد الألف - وحروف المد الأخرى - غير الهمزة وغير المشدد. ولذلك كان ابن جني يصف حروف المد إذا تلاهن الهمز والحرف المشدد، بأنهن ليّنات، ناعمات، وافيات، مستطيلات^(١). وإذا كان الأمر كذلك، رسخت الألف في المد وتمادى الصوت بها في الموصوف، وكأن الموصوف بما فيه من وفاء الصوت وتمكن المد يحكي معنى الصفة ويطباقها!

العرض - إذن - يومئ إلى الطول، ولا عكس. والعرض فيه التجسيم لصورة الدعاء المتسع. والعرض أقوى تعبيراً عن الامتلاء بالدعاء. ومن ثم لا يكفيننا أن نتوقف عند تحديد دلالة "عريض" في الآية الكريمة بأنها الكثير كما فعل الشوكاني. إن كلمة (كثير) التي

(١) الخصائص / ابن جني، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٢٥.

ذكرها الشوكاني تظل قاصرة عن حمل الدلالات والإيحاءات والمعاني الأسلوبية الخصبية التي تحملها كلمة "عريض" قصوراً ملحوظاً للغاية. لقد حاول الشوكاني تفسير قوله تعالى: ﴿فَذُودُكَاءٍ عَرِيضٍ﴾ في ضوء تخريج المعنى في لغة العرب؛ قال: "والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة مجازاً. يقال: أطال فلان في الكلام، وأعرض في الدعاء، إذا أكثر. والمعنى: إنه إذا مسه الشر، تضرع إلى الله واستغاث به، أن يكشف عنه ما نزل به واستكثر من ذلك" (١). هذا إلى جانب التأزر الخلاق بين الصورة التي ترسمها المفارقة والصوت، في تلك الآية. ونعني بذلك علاقة تكرار صوت العين تكراراً ملحوظاً (خمس مرات) بصورة المعرض إذا دعا دعاءً عريضاً. فالعين - مخرجاً - صوت حلقي منخفض خلفي، والعين - صفةً - صوت جهوري استمراري خشن.

ولعل تمتع العين بهذه الصفات - من قوة إسماع، واستمرارية، وخشونة.. الخ - مما يجعلها أكثر الفونيمات موامعة لهذا الدعاء الصادر في تلك الحال بخاصة؛ حال الشدة والضر!

ولعلنا ندرك في السياق الصوتي للآية كلها ملمحاً صوتياً آخر؛ هو تردد الأصوات الأنفية، والأصوات الأنفية أصوات رنانة، والأصوات الرنانة هي التي تنتج بشكل التجويف للوترين الصوتيين الذي يجعل الجهر التلقائي ممكناً. ولعل مثل هذه الأصوات الرنانة ذات اتصال بالإيحاء بجو هذا الدعاء، بما قد يداخله عند مس الضر من أين وندم.

ونلاحظ في السياق الصوتي الوظيفي للآية ذاتها وظيفة أخرى تشغلها حروف المد، لا سيما الطويلة، التي تكررت في مجموعها تسع مرات، وتلتقي حروف المد صوتياً - من حيث طول مدة الاستغراق الزمني للنطق بها - بهذا الضرب من الدعاء العريض؛ حيثما يستلزم العرض هنا الطول! وفي الخطاب القرآني مواضع أخرى وردت فيها مفردات عينية، تصور حالات فزع وهلع. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (المعارج).

وإذا كانت العين في هذه الآيات ترتبط قيمتها التعبيرية بمقامات مجردة يغلب فيها

(١) فتح القدير / الشوكاني دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، [د.ت. ج.ع]، ص ٥٢٢، ٥٢٣.

الاضطراب والشدة، فإننا نلاحظ هذه القيمة ذاتها في مقامات محسوسة أيضًا. ومن ذلك لفظ "الدَّع" في قوله تعالى عن المكذبين: ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾

والدع: دفع في الظهر بعنف. ولعله وقع هنا؛ لأنه أقدر من غيره على الإيجاء بما يخرج من المدفوع من صوت غير إرادي، فيه عين ساكنة هكذا: أع، وهو في جرسه - كما يقول سيد قطب - أقرب ما يكون إلى جرس الدع^(١).

ومن ذلك أيضًا لفظ "البلع" و"الإقلاع" في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا رَجُلُ أَبْلَعِ مَا عَلَيْكَ وَكَسَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
 بيد أننا إذا عدنا إلى آية (فصلت) السابقة، لاحظنا تردد حركة الفتحة بخاصة ترددًا ملحوظًا (بلغ اثنين وعشرين مرة، منها ثمانٍ للفتحة الطويلة، وأربع عشرة للفتحة القصيرة).

ولعل من الطريف هنا أن نشير إلى أن صفة الاتساع التي تتصف بها الفتحة تتصف بها أصوات الحلق أيضًا، ويرجع ذلك إلى أن "كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعًا، وتلك هي الفتحة^(٢).

وإذا كانت الفتحة تتصف بالاتساع، فإن المدى الزمني لهذا الاتساع مع الألف التي تكررت سبع مرات سوف يصير أطول. إن الألف - بما فيها من مد الصوت والإبعاد فيه - قد ارتبطت بهذا الدعاء العريض ارتباطًا وثيقًا، ولعل الألف أشد الحركات الطويلة ارتباطًا وحكاية لطبيعة مثل هذا الدعاء، إنها - فيما يبدو - أحق من أختيها: الواو والياء؛ لأن الألف - كما يقول ابن جني - أمدهن صوتًا وأداهن، وأشدهن إبعادًا وأناهن^(٣).

لقد هيأت هذه المادة الصوتية واللفظية لكلمة "دعاء" رسم صورة ساحرة لإنسان لاه، مُعْرَض، ناءٍ بجانبه، مطمئن إلى نعيم وافاه، قد شغله وأنساه، كما مكنتها من رسم صورة أخرى لإنسان هلعٍ فرعٍ، قد انقلب حاله، فانخرط في دعاء عريض^(٤).

(١) التصوير الفني في القرآن / سيد قطب، مرجع سابق، ص ٨١.

(٢) (٢) في اللهجات العربية / إبراهيم أنيس . - ط ٤ . - القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٤، ١٩٧٣م، ص ١٧٠.

(٣) الخصائص / ابن جني، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٥٥.

(٤) المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة / محمد العبد، مرجع سابق، ص ١٥٦: ١٦٢.

المسألة السادسة: التناسب والتناسق بين نوع الحركة والمعنى

التناسب والتناسق بين الحركة (فتحة وكسرة وضممة) ومعنى الكلمة في سياقها أمر يثير الانتباه أمام هذه العظمة في لغة القرآن الكريم.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (فاطر).

بتأمل حركة الكاف في كلمة (ممسك) في الآية نجد أن السكون في الثانية موافق لمعنى الإمساك؛ لما بها من إغلاق وعدم حركة، في حين أن الأولى مفتوحة وهي مناسبة لمعنى قول الله تعالى ﴿يَفْتَحُ﴾.

ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة في آيات أخرى نحو قول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة).

لو كانت الجملة من مقول القول لكان مقتضاها: الحمد بفتح الدال على تقدير: أقول الحمد لله، فلماذا عُدلَ عن النصب إلى الرفع (الحمد) على تقدير: قولي: الحمد لله؟!!

الجواب: عُدلَ عن النصب إلى الرفع للدلالة على أن الحمد ثابت لله تعالى أزلاً، وإن لم يحمده أحد؛ فقد حمد نفسه بنفسه قبل أن يحمده الخلق، وعليه فالجملة خبرية لا إنشائية لفظاً ومعنى. وهو أولى الأقوال في هذه الجملة.

المسألة السابعة: عولمة الصوت وعالمية النغم القرآني الخالد

مفهوم العالمية:

يُقصدُ بالعالمية: سعة الانتشار عبر الزمان والمكان، والعالمية سمة مميزة للفنون الرفيعة، فقد أجمع النقاد ومؤرِّخو الفنِّ على أن الفن الرفيع ينبغي أن تتوفر فيه صفتان هما: العالمية والدوام، ويُرمز إليهما بالحرفين الأوَّلَيْن من هاتين الكلمتين: Universal أي عالمي، Permanent أي دائم، فيقال: إن الفن الرفيع (U.P)، حيث تشير صفة العالمية Universal إلى الانتشار عبر المكان، فالفن العظيم لا وطن له، وتشير صفة الدوام إلى بقاء الفن الرفيع على مدى العصور.

مفهوم العولمة:

أمَّا العولمة "Globalism" فتعني: تنميط الثقافات المتنوعة وقصرها على التشكُّل في قوالب يُقال إنها عالمية، والحقيقة أنها القوالب والأنماط الثقافية الغربية والأمريكية خاصة، بحيث تمثل الثقافة الأمريكية المحور والتيار الرئيس الذي تدور من حوله ثقافات كل الشعوب وتحتضيه مثلاً أعلى في العلم والإبداع وغير ذلك من أشكال الممارسة الإنسانية. وهنا يكمن الفرق بين العالمية والعولمة، فالعالمية تُستمدُّ من القيم التي يحملها الإبداع، بما يهيئ له أن يتخطى حواجز الزمان والمكان، ويُصغي إليه البشر في كافة العصور والبقاع.. بينما تُفرض العولمة قسراً؛ خضوعاً للثقافة المهيمنة بما روَّجت له من نظريات المركز والأطراف، المحور والهامش.

عولمة الصوت:

سعى دعاة العولمة إلى تحويل الصوت إلى سلعة يتم تداولها عبر وسائط العولمة الاقتصادية والتكنولوجية كشرائط الكاسيت والفيديو والإذاعة والتلفزيون وبرامج الكمبيوتر وشبكات، بحيث لم تعد فنون الصوت - كالموسيقى والغناء - فنوناً تؤثر في العاطفة الإنسانية المشتركة وتلمس الروح الإنسانية بما تحمله من قيم جمالية ووجدانية، بل مجرد سلعة تُقدّم لمن يدفع الثمن. وراحت عمليات العولمة تنتج فنوناً موسيقية وغنائية ليس فيها شيءٌ من الجمال أو الإبداع، وإنهاهي ضجيج صاحب يصدع الرؤوس، وإيقاعات فجة تتمايل معها الأجساد حتى تسقط منهكة القوى سقيمة المشاعر، فكانت تلك الأساليب الموسيقية الغربية، والغناء المُخنث على طريقة مايكل جاكسون وغيره من نجوم هذا اللون من الغناء والموسيقى.

كما قامت عمليات عولمة الصوت باجتذاب بعض الموسيقيين والمغنيين من بلاد العالم الثالث، وراحت تروّج لهم بكل أشكال الدعاية، وتروّج لموسيقاهم بزعم البحث عن الأصالة والعنصر الروحي في الموسيقى والغناء، على نحو ما فعلوا مع المُشدّ الصوفي الباكستاني "نصرت فتح على خان"، الذي اشتهر عالمياً بـ "فن القوالي"، أي: الموسيقى والإنشاد الصوفي، والمغني والموسيقي السنغالي "يوسو ندور"، الذي لم يمتثل لشروط شركات الإنتاج الموسيقي التي كانت ترغب في تحويل أصالته الفنية إلى مجرد حلية شكلية تذوب في تيار الموسيقى الغربية؛ ولذلك أسقط اسمه من تلك الألبومات الموسيقية التي وصفها النقاد بأنها مُعنة في الطابع الغربي أكثر من اللازم.

في هذا الاتجاه نحو عولمة الصوت أدعت شركات الإنتاج أنها تبحث عن الأصالة والتنوع الموسيقي، واخترعت مصطلح "الموسيقى العالمية" وأطلقتها على ألوان الموسيقى التي لا يعرفها الجمهور الغربي مثل: التانجو (من الأرجنتين وأرجواي)، والروك والبوب (من البرازيل)، والنورتينو (موسيقى الشمال من المكسيك)، إلى الموسيقى الشعبية الأندلسية ذات الأصول العربية المُسمّاة "موسيقى لوس ديل ريو"، وهي جملة إسبانية تعني: أولئك الذين من النهر، إشارة إلى نهر جود الكوفير - مأخوذ من العربية: الوادي الكبير - وقد اشتهر فنّانو هذه الموسيقى الشعبية الأندلسية باسم "ملوك الماكاريننا" نسبة إلى أشهر أغانيهم

المسماة "ماكارينا" التي كانت مثاراً لجنون الشباب في الغرب وكثير من بلاد العالم الأخرى؛ نتيجة للدعاية الضخمة التي قام بها مُنتجوا الكاسيت، بهدف جني أرباح وفيرة^(١).

إذن لم تعد الموسيقى - في إطار العولمة - تحتفي بالقيم الفنية والجمالية، وإنها هي تُسوّق كل ألوان فنون الصوت، وتخلط الغثّ بالسمين، وتضع أسطوانات بيتهوفن وباخ وموزار إلى جانب أسطوانات مايكل جاكسون وموسيقى الراي الجزائرية..... إلخ.

إن الهدف الواضح في عمليات عولمة الصوت أمران:

الأول: جني الأرباح.

الثاني: تنميط الأشكال الموسيقية والغنائية في العالم كله وإخضاعها للقوالب الموسيقية الغربية؛ لإرضاء ذوق الجمهور الغربي، وإبقاء سيادة الأشكال الموسيقية الغربية دون غيرها من ألوان الموسيقى وفنون الصوت في البقاع الأخرى من العالم.

وإذا أردنا أن نفهم العلاقة بين الموسيقى العالمية (المزعومة) وبين العولمة، فلن يتأتى لنا ذلك إلا بالبحث عن الأهداف الاقتصادية والثقافية والاجتماعية الكامنة وراء ذلك الإنتاج الضخم لفنون الصوت المعولمة.

فأمّا من الناحية الاقتصادية: فنجد أن ٩٠٪ من إجمالي المبيعات من ألبومات الأغاني والموسيقى في العالم كله (خلال عام ١٩٩٤) تملكه ست مؤسسات تجارية دولية هي: فيليبس، وسوني، وماتسوشيتا، وثورن إي. إم. آي، وبيرتلزمان، وتايم وورنر؛ ولذا تميّزت صناعة الموسيقى العالمية بالهيمنة الاقتصادية لمؤسسات تجارية من أمريكا وأوروبا وشرق آسيا، وهي مراكز صناعة العولمة.

وأما من الناحية الثقافية: فإن الثقافة المهيمنة - أو التي يُراد لها الهيمنة - هي الثقافة الغربية، وخاصة الأمريكية وما يدور في فلك التبعية لهذه الثقافة؛ ولذلك لا تؤخذ فنون الصوت غير الغربية مأخذ الجد بوصفها فنوناً رفيعة وأدواتٍ للتعبير عن أنماط ثقافية مختلفة، بل

(١)(١) سوسيولوجيا الفن / ديفيد إنجليز، جون هجسون؛ ترجمة ليلي الموسوي؛ مراجعة محمد الجوهرى . - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والعلوم؛ ٢٠٠٧ م. — (عالم المعرفة؛ ٣٤١)، ص ٣٤١.

تُدَجَّن وتُتخذ كحليّ شكلية تزدان بها الموسيقى الغربية؛ إرضاءً لنزعة الجمهور الغربي إلى الغرائبية والروحانية، واجتذاباً للجاليات الأجنبية في بلاد الغرب.

وأما من الناحية الاجتماعية: فهناك حالة من النفاق الاجتماعي في الغرب، إذ يجتذب الألوان الموسيقية والغنائية من مختلف الثقافات، والغرب نفسه هو الذي يقمع تلك الشعوب ويمارس عليها كافة صور الهيمنة والتجويج والحرمان، بل وصياغة مصائر تلك الشعوب.

ولعولمة الصوت كهنتها من الكتاب والصحفيين ومُقدّمي البرامج الإذاعية والتلفزيونية وأصحاب شركات الإنتاج، ومُخطّطي البرامج الثقافية، كل هذا يتآزر معاً لتكوين ثقافة صوتية عالمية، يتم إنتاجها في المركز "الغرب"، وتصديرها إلى الأطراف "سائر بلاد العالم".

وعلى الرغم من كل هذه السلبيات الناتجة عن عمليات العولمة لفنون الصوت، فإن لها بعض الإيجابيات المتمثلة في تعريف الغرب ببعض من أشكال الفنون الصوتية في الثقافات الأخرى المهمّشة، وأيضاً إلقاء بعض الضوء على تلك الثقافات وما لها من خصوصية في مجال الإبداع الصوتي.

ولكن ما يُضعف هذه الإيجابيات ويعظم من سلبيات عولمة الصوت - أنها تقوم على الأهداف الاقتصادية، وبالتالي استبعاد العناصر الجمالية والفنية، والأهداف الثقافية والاجتماعية التي كرّست جهودها في تنميط الثقافات الأخرى، والقضاء على الخصوصية الثقافية والهوية القومية والشخصية الاجتماعية للشعوب الأخرى لحساب حضارة الغرب وهيمنته بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

عالمية الصوت:

الإبداع العظيم يفرض نفسه في كل زمان ومكان، تلك حقيقة العالمية عبر تاريخ الإنسان. وعلى الرغم من كل ممارسات الهيمنة التي قامت بها قُوَى العولمة، فإنها لم تستطع إخضاع الإبداع الصوتي للحضارات الأخرى، وسنضرب لذلك مثلاً بخلود الصوت القرآني وعظمة أدائه وعمق تأثيره في القلوب والمشاعر.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف قراءة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يقرأ القرآن غَضًّا طَرِيًّا كما أنزل على فليقرأه على قراءة ابن أم عبد" (١)

ولا تزال هاتان الصفتان: الغضاضة والطراوة، التي تعني عدوبة أنغامه، وأخذها بمجامع القلوب، ودوام هذه العدوبة وذلك التأثير.. لا تزال هذه الصفة الخالدة للأداء القرآني العظيم باقية وستظل باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فها نحن أولاء نستمتع إلى كلمات القرآن ونغماته فنهتز وتنفض قلوبنا من الأعماق، ونسبح في فضاء روحاني نوارني ونحن نصغي لتلاوة المشايخ: محمد رفعت أو محمود خليل الحصري أو محمد صديق المنشاوي أو مصطفى إسماعيل.... وغيرهم ممن وهبهم الله عدوبة الصوت، وكان لهم تمكن من فن التجويد والأداء القرآني.

وقد ظهر فيما تقدم من مسائل تفرّد الخصائص الصوتية للقرآن الكريم، وهذا قليل من كثير عن القيم الصوتية والإبداع الصوتي للقرآن الكريم وطرائق أدائه، التي تعبّر عن التميّز والخصوصية والإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، وخلود الصوت القرآني في آفاق الزمان والمكان.

ولعلّ ما قدّمناه مقننًا للفارق الهائل بين عوامة الصوت المفروضة بقوى خارجية لا تحكمها قيم جمالية وإبداعية، وبين عالمية الصوت المستمدة مما يحمله من قيم جمالية ووجدانية وإنسانية فريدة، وما يميّز به من قدرة على التأثير العميق في القلوب والمشاعر دون إغفال لخطاب العقل وإثارة الفكر والتأمل؛ مما مكّن للقرآن الكريم أن ينتشر بقوته الذاتية عبر الزمان والمكان. وسيظل الصوت القرآني فريدًا مُشبعًا للأسماع والقلوب، إلى أن تقوم الساعة وتخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا.

وهكذا كلما ازددنا تدبرًا ازددنا إجلالا لهذا الإعجاز الصوتي الفريد في القرآن الكريم.

وسبحان من هذا كلامه: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣) (العنكبوت).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٥)، وابن ماجه (١٣٥)، وقال الألباني: صحيح في السلسلة الصحيحة.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- القرآن الكريم.
 إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي. — ط ٩. — بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٣ م
 البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني / تمام حسان. — القاهرة: عالم الكتاب، ١٩٩٣ م.
 تحفة الإخوان في بيان تجويد القرآن / حسن إبراهيم الشاعر.
 التصوير الفني في القرآن / سيد قطب. — ط ١. — القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٨ م.
 التعبير الفني في القرآن / أمين بكري شيخ. — ط ٤. — القاهرة: دار الشروق، [د.ت.].
 الخصائص / ابن جنى، تحقيق محمد على النجار. — ط ٣مزيدة ومنقحة. — القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣ م.
 دراسة إحصائية لجذور تاج العروس باستخدام الكمبيوتر / على حلمي موسى، عبد الصبور شاهين. — الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٣ م.
 دلالة الألفاظ / إبراهيم أنيس. — القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦٣ م.
 الدلالة والكلام (دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة) / محمد محمد داود. — القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٢ م.
 دلائل الإعجاز / الجرجاني؛ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. — القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٩٨٠ م.
 الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن / الجرجاني. — القاهرة، ١٩٦٨ م.
 سنن أبي داود / أبو داود. — ط ١. — القاهرة: مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ٢٠٠٢ م.
 سنن الترمذي / الترمذي. — القاهرة: جمعية المكنز الاسلامي، ١٤٢١ هـ.
 سوسولوجيا الفن / ديفيد إنجليز، جون هجسون؛ ترجمة ليلى الموسوي؛ مراجعة محمد الجوهري.

- الكويت : المجلس الوطني للثقافة والعلوم ؛ ٢٠٠٧ م . — (عالم المعرفة ؛ ٣٤١) .
 — الصاحبي في فقه اللغة العربية و سنن العرب في كلامها / ابن فارس ؛ تحقيق مصطفى الشربيني . —
 القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٣ م .
 فتح القدير / الشوكاني . — دمشق : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، [د . د . ت .]
 في اللهجات العربية / إبراهيم أنيس . — ط ٤ . — القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٤ ، ١٩٧٣ م .
 القاموس المحيط / الفيروز آبادي . — ط ١ . — بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦ م .
 كتاب الموسيقى الكبير / الفارابي . — القاهرة : دار الكتاب للطباعة والنشر ، [د . د . ت .]
 كمال اللغة القرآنية / محمد محمد داود . — ط ١ . — القاهرة : دار المنار ، ٢٠٠٧ م .
 لسان العرب / ابن منظور . — ط ٣ . — بيروت : دار صادر ، ١٩٩٤ م .
 مباحث في علوم القرآن / صبحي الصالح . — القاهرة : مكتبة وهبة ، ٢٠٠٤ م .
 المعجم العربي الحديث / لاروس ، ١٩٧٣ م .
 معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة المعنى والصيغ
 والأساليب المتشابهة / محمد محمد داود . — القاهرة : دار غريب ، ٢٠٠٨ م .
 المفارقة القرآنية : دراسة في بنية الدلالة / محمد العبد . — ط ١ . — القاهرة : مكتبة الآداب ، ٢٠٠٦ م .
 النبأ العظيم : نظرات جديدة في القرآن / محمد عبد الله دراز . — ط ٦ . — الكويت : دار القلم ،
 ١٩٨٤ م .
 نظام الغريب في اللغة / عيسى الربيعي .
 نيوزويك ، مارس ٢٠٠٥ م . — (عدد ٢٢) .

المراجع الأجنبية:

Clive Modern Arabic, Holes, Structure, Functions and
 Varieties, London, Longman, 1995.

Structure du Langage poetique, JeanCohen, Flammation, Paris, 1966.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

بعض أوجه الإعجاز في حديث النهي عن بيع ما ليس عندك

عبد الكريم أحمد قندوز

محاضر بقسم المالية - كلية العلوم الإدارية والتخطيط

جامعة الملك فيصل (الأحساء)

المملكة العربية السعودية



مستخلص البحث

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: يا رسول الله: يأتيني الرجل فيريد مني البيع ليس عندي، أفأبتاعه له من السوق؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "لا تبع ما ليس عندك". وفي رواية قال: ابتعت طعاماً من طعام الصدقة، فتربّحت فيه قبل أن أقبضه، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له فقال: "لا تبعه حتى تقبضه". [أخرجه أحمد (٤٠٢/٣)، وأبو داود (٣٥٠٣)، والترمذي (١٢٣٢)، والنسائي (٤٦١٣)، وابن ماجه (٢١٨٧)، وابن حبان (٤٩٦٢)، وابن الجارود (٦٠٢)، والطبراني في الكبير (٣٠٩٧)] وحسنه الترمذي

وقد استرعى انتباه الباحث، أن سبب حدوث الكثير من الأزمات التي عصفت بأسواق المال المحلية والعالمية كان سببه هو عدم تملك الأصول محل التعاقد

لهذا يستهدف البحث اسكتشاف بعض أوجه الإعجاز في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تبع ما ليس عندك". وكيف أدى الإخلال بهذا الشرط إلى حدوث الكثير من الأزمات كما أشرنا سابقاً، متعرضين مع ذلك إلى الكثير من المعاملات التي تتم اليوم في أسواق المال دون الحاجة إلى تملك الأصول، في حين تتم التعامل بتلك الأصول (بيعاً و شراء أو قرضاً و اقتراضاً أو غيرها من المعاملات المالية)

لتحقيق هدف البحث سوف نناقش موضوعين

الموضوع الأول: نخصه لأقوال العلماء في معاني الحديث، و ذلك حتى تتوافر لدينا المعرفة المطلوبة لتوضيح وجه الإعجاز من نواح اقتصادية.

الموضوع الثاني: نتناول في بعض المعاملات (المالية) المعاصرة التي تكون من باب التصرف في الأصول (الأعيان) قبل التملك و آثارها على أسواق المال المحلية و الدولية.

بعض أوجه الإعجاز في حديث النهي عن بيع ما ليس عندك

توطئة:

نرى أنه من الضروري قبل الابتداء بموضوعنا أن نقدم له بالإشارة إلى نقطتين أساسيتين:
الأولى: هي أن الأصل في المعاملات الإباحة، وقد نبه الإمام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- إلى أساس فساد العقود في المعاملات وإرجاعها إلى أمرين وهما:

١. الربا وما يؤدي إليه.

٢. تحريم الغرر الفاحش دون اليسير.

قال رحمه الله: "إن عامة ما نهى عنه في الكتاب والسنة من المعاملات يعود إلى تحقيق العدل والنهي عن الظلم: دقة وجله، مثل أكل المال بالباطل وجنسه من الربا والميسر، وأنواع الربا والميسر التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم: مثل بيع الغرر وبيع حبل الحبلية وبيع الطير في الهواء. يقول الشيخ أحمد بن علي السالوس حفظه الله: "وإذا نظرنا في الفاسد من المعاملات المعاصرة، أدركنا دقة وحسن فهم شيخ الإسلام رحمه الله تعالى".^١

الثانية: أن فقه المعاملات مبني على مراعاة العلل والمصالح

فالمعاملات ليست كالعبادات توقيفية، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر في حين هناك من الفقهاء من أجاز من البيوع ما فيه غرر لا يفضي عادة إلى النزاع. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع المعدوم، في حين عقد الاستصناع (وهو بيع معدوم) جائز وذلك لحاجة الناس إليه وجريان العمل به.

مشكلة البحث:

تمثل المخاطر (خاصة المالية منها) تحدياً للاقتصاد العالمي ككل، و قد تزايدت تلك المخاطر بشكل مطرد و رهيب ابتداء من خمسينيات القرن العشرين و ازدادت حدتها مع ثورة الاتصالات و تكنولوجيا المعلومات و ما رافقها من عوامة الاقتصاديات المحلية، بحيث لم يعد أحد بمعزل عن المخاطر التي يمكنها أن يسببها أحد عناصر النظام العالمي.

تلا ذلك سعي حثيث للبحث عن أسباب المخاطر و طرق قياسها و من ثم تجنبها أو على الأقل تقليل آثارها، و توالى الابتكارات تحت مسمى الهندسة المالية... إلا أنه و بالرغم من النمو المطرد في تلك الابتكارات من أدوات و أساليب لمعالجة المخاطر كالمشتقات المالية (التي أصبحت تثير الكثير من الإشكالات القانونية و الاقتصادية)، فإن التقلبات و الاضطرابات الاقتصادية المالية و الاقتصادية تبدو في ازدياد بدلاً من الانحسار.

إن المتأمل في واقع التغيرات الاقتصادية التي يشهدها العالم يلاحظ أن الاقتصاد العالمي أصبح اليوم يبحث عن بدائل و حلول جديدة، و هو على استعداد لقبولها ما دامت تحقق أهدافه، و لعل الواقع قد وضح لنا الكثير من ذلك... لهذا تبرز الفرصة مواتية لإعطاء البدائل. و هي بدائل تحقق الرفاه المنشود (بإذن الله) للبشرية قاطبة، و هي مستمدة من الاقتصادي الإسلامي الذي يقوم على مجموعة من المرتكزات الفقهية و تستمد جذوره من فقه المعاملات.

فما هو الاقتصاد الإسلامي؟

الاقتصاد الإسلامي له العديد من الإطلاقات، يطلق وصفاً لاقتصاد دولة إسلامية، و يطلق كتعبير عن النشاط الذي يخضع للشريعة الإسلامية في أحكامه، و يطلق على العلم الذي يدرس النشاط الاقتصادي أو يبحث في النشاط الاقتصادي على هدي الإسلام، و المعنى الأخير يشمل جانباً مذهبياً و جانباً نظرياً و جانباً تطبيقياً، فالجانب النظري يقصد به الأسس و المبادئ العامة التي جاءت في الكتاب و السنة؛ لكي يستظل بها المجتمع و يسير على

ضوئها أو يحتكم إليها في الجانب الاقتصادي، وهو الذي يطلق عليه المذهب الاقتصادي الإسلامي، مثل مقولة: "إنَّ المال مال الله والبشر مستخلفون فيه"، ومقولة: "إن التوازن الاقتصادي بين الأفراد يجب أن يسود المجتمع الإسلامي"، "كَيَّ لَا يَكُونُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ" [الحشر:] أي حتى لا يكون المال وقفاً على فريق دون فريق، ومقولة: "وجوب تحقيق حدِّ الكفاية لكل إنسان في المجتمع المسلم"

هذه مبادئ عامة تمثل الجانب المذهبي، أما الجانب التطبيقي أو النظام الذي يجب أن يسود في ظل الإسلام فيتمثل في ضرورة اشتقاق صورة تطبيقية واقعية عملية تمثل هذه المبادئ، والأسس التي جاء بها المذهب الاقتصادي الإسلامي، ثم يأتي الجانب النظري المتمثل في بناء النظريات واشتقاق القوانين على هدى الإسلام.

الثابت والمتغير في الاقتصاد الإسلامي

الثابت في الاقتصاد الإسلامي هو المبادئ التي هي مجموعة الأصول الواردة في القرآن والسنة ليلتزم بها المسلمون في كل زمان ومكان، مثل أن المال لله والبشر مستخلفون فيه، وضمان حد الكفاية لكل فرد، وتحقيق العدالة الاجتماعية وحفظ التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع، واحترام الملكية الخاصة، والحرية الاقتصادية المقيدة بتجريم أوجه النشاط الاقتصادي التي تتضمن استغلالاً واحتكاراً أو ربا، ثم التنمية الاقتصادية الشاملة أي طرق تملك المال بالعمل، ثم ترشيد الإنفاق وتحريم التبذير والإسراف وكنز الأموال.

و المتغير هو طريقة التطبيق وهي الأساليب والخطط العلمية والحلول الاقتصادية التي يكشف عنها المجتهدون لإحالة أصول الإسلام إلى واقع. وعلى هذا فالاقتصاد الإسلامي إنما هو مذهب ونظام، فهو مذهب من حيث الأصول ونظام من حيث التطبيق.

رسالة الاقتصاد الإسلامي: ٢

الاقتصاد الإسلامي ليس للمسلمين فحسب، بل هو للعالم أجمع: قال تعالى: (و ما أرسلناك

إلا رحمة للعالمين). [الأنبياء: ١٠٧]، وهذا يعني أن أمام الاقتصاديين الإسلاميين مسؤولية كبيرة في إبلاغ هذه الرسالة للبشرية، والمساهمة الإيجابية في تحقيق الرخاء والاستقرار للاقتصاد العالمي. و تتضاعف هذه المسؤولية في ظل تزايد الشكوى من الأنظمة الاقتصادية السائدة، والمطالبة بالبحث عن حلول بديلة تحقق الأهداف المنشودة للتنمية الشاملة و عدالة التوزيع... مع المحافظة على القيم الأخلاقية و الموارد الطبيعية، و من تلك المشاكل التي سببتها الأنظمة الاقتصادية القائمة هو كما أشرنا تزايد المخاطر بشكل يهدد الاستقرار العالمي.

إن ورقتنا هذه هي محاولة لفتح باب الحوار المتعمق بين الباحثين في الاقتصاد و الاقتصاد الإسلامي و الفقهاء سعياً لإعطاء بدائل أفضل مما هي متاحة، و ذلك انطلاقاً من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم، و كذا تراث الفقهاء المسلمين على مر العصور...

و في هذه الورقة البحثية محاولة لإعطاء مقترح لحل أحد أسباب تلك المخاطر (على نحو ما بدأ للباحثين)، هذا السبب هو التعامل بالأصول (مادية كانت أو مالية أو معنوية) من دون تملك.

و يمكن أن نرجع أهمية ورقتنا البحثية إلى العناصر التالية :

- الحاجة إلى تقريب فهم حديث النهي عن بيع ما ليس عندك حتى يتسنى مواجهة ما يستجد من تطبيقات معاصرة.
- محاولة التأسيس لموضوع التحوُّط و إدارة المخاطر في الاقتصاد الإسلامي و إيجاد أسسه انطلاقاً من أحكام الشريعة الإسلامية المتعلقة بالمعاملات المالية.
- إيجاد منهج إسلامي أصيل و معاصر يمكن من خلاله تقليل المخاطر التي تواجه الاقتصاديات العالمية
- توفير متطلبات وضع معيار شرعي حول هذا الضابط، يمكن أن تستفيد منها هيئة المحاسبة و المراجعة الإسلامية وغيرها.

الموضوع الأول: أقوال العلماء في معاني الحديث^٢

أولاً: حديث النهي، حجيته ومدلوله

أ- حديث النهي

ورد حديث النهي على ثلاث هيئات:

١. استفسار حكيم بن حزام، كقوله: "سألت النبي فقلت: يا رسول الله، يأتيني الرجل فيسألني البيع ليس عندي، أفأبيعه منه ثم أبتاعه له من السوق؟". قال: (لا تبع ما ليس عندك)". (رواه النسائي، ج ٧، ص ٢٨٩).

٢. إقرار حكيم بن حزام لنهييه بقوله: "نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبيع ما ليس عندي". (رواه الترمذي، تحفة الأحوذى، ج ٤، ص ص ٤٣٠-٤٣١).

٣. أمور نهى عنها، منها بيع ما ليس عندك. عن عبد الله بن عمر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يخل سلف وبيع، ولا شرطان في بيع، ولا ربح ما لم تضمن، ولا بيع ما ليس عندك". (رواه أبو داود، ج ٣، ص ص ٧٦٩-٧٧٥ حديث رقم ٣٥٠٤).

ب- حجيته

الحديث رواه الخمسة: أبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه في سننه (مجلد ٣، ص ٣٠-٣١)، والإمام أحمد في مسنده (مجلد ٣، ص ٤٠٢).

وقد ذكر الترمذي أن الحديث حسن صحيح، والعمل به عند أكثر أهل العلم. قال ابن قدامة المقدسي: "لا نعلم فيه مخالفاً" (الشرح الكبير مع المغني، ج ٤، ص ١٦)، وتناوله فقهاء المذاهب بالقبول.

قال الوزير: اتفقوا على أنه لا يجوز بيع ما ليس عنده ولا في ملكه وأنه باطل. ا هـ.

ج- مدلوله

يفهم من الحديث كما ورد عن غير واحد من الفقهاء قديماً وحديثاً: أن الرجل يأتي إلى حكيم بن حزام يطلب منه شراء سلعة يعتقد أنها عنده، وهي في الحقيقة ليست عنده، والمشتري لا يعلم، وحكيم لم يشأ أن يخبره، فبيعه السلعة ويقبض ثمنها، على أمل أن يشتريها من السوق، ثم يسلمها له.

في معنى الحديث و مدلولاته:

آراء فقهاء المذاهب من خلال تتبع آراء فقهاء المذاهب، يتبين أنهم رغم اتفاقهم على النهي، واحتجاجهم بالحديث، إلا أنهم اختلفوا فيما يمكن أن يتضمنه النهي من معنى، فمنهم:

- من يرى أن النهي خاص بالمعين دون الموصوف في الذمة، ومن يراه في الموصوف في الذمة دون المعين.
- من يراه في المملوك غير المقذور على تسليمه (الخروج عن الحوزة)، ومن يراه في غير المملوك باعتباره في ملك غير بائعه.
- من يراه في الحاضر غير المملوك، ومن يراه في المعدوم، ومن يراه في الغائب.
- من يراه في البائع فيما يبيعه بالأصالة عن نفسه، أو حينما يبيع مباحاً قبل الاستيلاء عليه، بمعنى أنهم اختلفوا في:

١. المبيع: بين: المعين، والموصوف في الذمة، والمملوك الخارج عن القدرة، وغير المملوك باعتباره في ملك غير البائع، والحاضر غير المملوك، والمعدوم، والغائب، والمباح قبل الاستيلاء عليه.

٢. البيع: بين: الحال، والبيع مطلقاً (حالاً ومؤجلاً).

٣. البائع: بين: من يبيع ما يملكه كالغائب والخارج عن الحوزة، ومن يبيع ملك غيره كالفضولي.

قد يبدو للناظر أن مسألة بيع ما ليس عندك واضحة وبسيطة، ولكن الواقع أوضح غير ذلك. فقد تبين اتساع الموضوع وتشعب الآراء فيه.

أولاً: معنى (عند) الواردة في الحديث: ما كان حاضراً قريباً لديك، أو في حوزتك وإن كان بعيداً، بحيث يكون تحت قدرتك وقت طلبه.

ثانياً: ذكر بعض الفقهاء أن (ما ليس عندك): أي ما ليس في ملكك. وذكر آخرون: ما ليس في ملكك ولا تحت مقدرتك.

والحق أن القدرة على التسليم مع مشروعية التصرف بالبيع تحقق قصد الشارع، فالبائع قد يملك ولا يجوز فلا يقدر على التسليم، ومن ثم لا يمكنه ملكه من تجاوز النهي الوارد في الحديث. وقد لا يملك المبيع الذي تحت حوزته وقدرته، ويكون بيعه صحيحاً مع عدم الملك، حينما يكون وكيلاً يبيع بإذن موكله الذي يملك المبيع. بمعنى أن عدم ثبوت ملك البائع للمبيع يمكن ألا يؤثر على صحة البيع، بينما خروج المبيع عن قدرة البائع على تسليمه حتى لو كان مالاً له يجعل البيع داخلاً تحت نهي الحديث.

ثالثاً: علة النهي: هي عدم القدرة على التسليم، وما ينشأ عنها من غرر فاحش يصل إلى حد القمار، ومن استحالة تمليك البائع ما لا يملك للمشتري فيما يبيع بالأصالة عن نفسه، ومن تفويت القصد بالبيع في تمليك التصرف، ومما قد ينشأ من نزاع بين البائع والمشتري، إضافة إلى عدم دخول المبيع في ضمان البائع، ومن ثم لا يجوز له أن يربح في ما لم يضمن.

رابعاً: حول آراء الفقهاء في المبيع المنهي عنه بين كونه في المعين أو الموصوف في الذمة: من صيغ العموم، الأسماء الموصولة مثل (ما)، كما في قوله تعالى: (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) [النحل: ٩٦] وقوله تعالى: (ولله ما في السموات وما في الأرض) [النجم: ٣١]. وهنا في نص الحديث: "لا تبع ما ليس عندك". أي أن هذه الصيغة واردة في حديث النهي. وعلماء أصول الفقه يقولون: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب". أي أن المبيع على عموم منه عن بيعه طالما أنه ليس عند البائع. هذا هو عموم اللفظ. أما بخصوص السبب، فهو أن يكون هذا النهي خاصاً بحكيم بن حزام، وهذا هو المستبعد.

وعلى ذلك فبيع ما ليس عندك على عمومه، يتضمن المبيع المعين والمبيع الموصوف في الذمة المعجوز عن تسليمها. وطالما اتفق المعين والموصوف في الذمة في عموم اللفظ، فلا مسوغ لإدخال أحدهما تحت النهي وإخراج الآخر. بمعنى أن حكيم بن حزام إذا لم يكن يبيع معيناً مملوكاً خارجاً عن حوزته، أم مملوكاً لغيره، فإن هذا المعين ليس عنده، ويندرج تحت عموم اللفظ.

خلاصة ما سبق: إذا كان بعض الفقهاء قد حصر النهي في المبيع المعين، والبعض الآخر حصره في نطاق المعاني التي تحملها قصة الحديث، ليكون في الموصوف في الذمة دون المعين، فإن النهي يتحقق فيها معاً، عملاً بعموم اللفظ الذي يتسع لهما. ٥.

خامساً: إن النهي خاص فيما كان البيع فيه حالاً.

ويمكن أن نخلص مما سبق إلى وضع ضابط لنهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع ما ليس عندك لمعرفة ما يندرج تحت النهي وما يخرج عنه، كما يلي:

ضابط الخروج عن النهي:

- أن يصدر البيع عن البائع الذي له ولاية إصدار عقد البيع، سواء كانت ولاية الإصدار أصلية أو نيابية.
- وأن يكون المبيع في ضمانه.
- وأن يكون مقدور التسليم في المحل المشروط بحسب العادة.

وبمفهوم المخالفة، يدخله النهي:

- إذا صدر عن بائع ليس له ولاية إصداره (لا بالأصالة ولا بالنيابة). و/ أو .
- إذا لم يكن المبيع في ضمانه. و/ أو.
- إذا لم يكن قادراً على تسليمه في المحل المشروط.

الموضوع الثاني: المعاملات (المالية) المعاصرة التي تكون من باب التصرف في الأصول (الأعيان) قبل التملك وآثارها على أسواق المال المحلية والدولية

بعض المعاملات التي هي من قبيل بيع ما لم يملك

- إذا جاءك إنسان يريد سلعة وهي ليست عندك ؛ ولكنها موجودة في السوق فيقول لك: أبرم معي عقد البيع ثم اشترها وسلمنيها، فإذا قال ذلك فقل له: هذا لا يجوز لأنه لا يحق لي أن أبيعك سلعة لم تدخل بعد في ملكي لأن البيع لا يصح إلا من مالك للعين أو من يقوم مقامه
- الأراضي التي توزعها الدولة على المواطنين فيتقدم بعض المواطنين بطلب إقطاعها ، وبعد سنوات يمتلكونها فعلاً، فيقوم بعض المواطنين ببيع هذه الأرض قبل توزيعها ولا معرفتها عيناً، وإنما يبيع الأوراق الخاصة بها إلى آخر بعقد يكتب فيه أن السلعة المباعة هي هذه الأرض التي ستوزع بعد سنوات ، وهذا لا شك في منعه لأنه الآن ليس بهالك لها، والبيع لا يصح إلا من مالك للعين، ولأن ذلك من الغرر إذ قد توزع وقد لا توزع، فهو غير متحقق القدرة على تسليمها وقد نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن بيع الغرر، والله أعلم.٦

المرابحة المصرفية على نحو ما تقوم به بعض المصارف الإسلامية:

تعتبر المرابحة من أكثر أساليب التمويل استعمالاً لدى المصارف الإسلامية، فجوهرها يتضمن إبرام العقود التي يلتزم بموجبها البائعون بنقل ملكية سلعتهم أو حقوقهم العينية بمقابل نقدي يتضمن هامش ربح مقبول شرعاً، أما المرابحة المصرفية أو المرابحة للأمر بالشراء فتعني قيام المصرف [الإسلامي] بتنفيذ طلب المتعاقد معه على أساس شراء الأول

ما يطلبه الثاني بالتقدي الذي يدفعه المصرف - كلياً أو جزئياً - وذلك في مقابل التزام الطالب بشراء ما أمر به وحسب الربح المتفق عليه عند الابتداء).^٧ كما ورد في قانون المصرف الإسلامي الأردني

وهنا مسألة قد عمت بها البلوى، لها علاقة بموضوع بحثنا وهو البيع من دون تملك الأصول محل التعاقد. حيث تقوم بعض المصارف ببيع سيارات أو سلع الشركات الأخرى، فهل المصرف بهذا يبيع ما يملك، وما ليس عنده؟

ومن المعلوم أن العميل عندما يأتي إلى البنك الإسلامي ليشتري سيارة مثلاً، يقول له البنك الإسلامي: أنا أبيعك، ويقصد بذلك أنا أبيعك ما تختاره من السيارات الموجودة في الشركات التي في السوق، ولكن من أين يأتي بها؟ وهل هو يبيع ما يملك؟

وقد حاول بعض الفقهاء أن يخرجوا البنك الإسلامي من هذا الإشكال بما يلي:^٨

أولاً: أن يعد العميل البنك الإسلامي بالشراء، والبنك يعد العميل بالبيع، ويوقع الطرفان على (الوعد). ومعنى هذه الورقة الموقعة بين الطرفين بالوعد، أي: البيع لم يتم بعد، لكن وعدناك بالبيع بعدما نشترى السلعة، وأنت وعدتنا بالشراء منا.

ثانياً: يجعل البنك هذه الورقة ملزمة؟ فأنت عندما تأتي البنك الإسلامي، وتوقع على الوعد بالشراء، فأنت ملزم بإتمام العملية، ويقولون هي ليست ببيع، حتى لا تقع في إشكال بيع ما لا يملك البائع، وإنما هي وعد، والمسلم مسؤول عن وعده، ملزم بالوفاء به.

ثالثاً: بعدها يعطي البنك الإسلامي للشركة، قيمة البضاعة نقداً، ويحولها إلى المشتري بالأقساط بربح معلوم، فيضمن بذلك عدم تراجع المشتري عن الصفقة، ويضمن أيضاً ربحه فيها.^٩

لكن المتحايلون أتوا بطريقة أخرى: وهي أن يقوم البنك الإسلامي بشراء السلعة، بعقد رسمي من الشركة التي يطلب العميل سلعة منها، ويكون العقد بمثابة الحيازة، بل يكفي الإيجاب والقبول عن طريق الهاتف، ثم يوقع مع العميل عقد البيع، ويبيع السلعة بالأقساط، ثم بعد ذلك يتم البنك الإسلامي العملية مع الشركة.

ولكن هذه العملية أيضاً غير شرعية، وإنما هو تحايل، أرادوا به أن يفارقوا في الصورة

فقط، بين ما تجرّبه شركات التسهيلات الربوية، ومعاملة البنك الإسلامي، وقد صح في الحديث أن صلى الله عليه وسلم (نهى أن تباع السلع حيث تباع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم) رواه أبو داود من حديث زيد بن ثابت. (٣/٧٦٥ ح ٣٤٩٩)

وهذا يعني أن التاجر (المصرف الإسلامي في حالتنا هذه) يجب عليه بعد التملك أن يحوز السلعة إذا أراد إعادة بيعها، وحياسة كل شيء بحسبه، وليس معناها بالضرورة نقل السلعة إلى مكان البائع في كل الأحوال، فقد تكون السلعة طائرات أو سفن أو سيارات كثيرة لا يمكن البائع أن ينقلها، ولكن يجب أن تكون السلعة، انتقلت إليه وصارت في حوزته، مثل أن يكون ثمة أوراق رسمية لها قوة القانون تثبت أن السلعة هي في حوزة البنك ومسجلة باسمه، بحيث لو فرض أن تراجع المشتري، فالسلعة قد دخلت في ذمة البنك الإسلامي دخولا تاما.

بيع التورق:

التورق هو شراء سلعة ليبيعهها إلى آخر غير بائعها الأول للحصول على النقد. مثال ذلك أن يشتري سلعة بثمن مؤجل ثم يبيعهها لآخر نقداً ليحصل على ثمنها الحال لرغبته في الحصول على النقد. فإن باعها إلى نفس بائعها الأول فهي العينة الممنوعة، أما إن باعها إلى طرف ثالث فهي التورق.^{١٠}

أما التورق المنظم فهو معاملة استخدمتها بعض المصارف الإسلامية على النحو التالي:

يقوم المصرف بعمل نمطي يتم فيه ترتيب بيع سلعة (ليست من الذهب أو الفضة) من أسواق السلع العالمية أو غيرها، على المستورق بثمن آجل، على أن يلتزم المصرف - إما بشرط في العقد أو بحكم العرف و العادة - بأن ينوب عنه في بيعها على مشتر آخر بثمن حاضر، و تسليم ثمنها للمستورق.^{١١}

لكن ثمة مشكلة في بعض تطبيقاتها بالمصارف الإسلامية، وهي من صور بيع السلع قبل حيازتها، حيث تجد أحياناً من هو بحاجة إلى نقود، يذهب ليشتري كمية من الإسمنت مثلاً بالأقساط، ويوقع على الشراء، ثم يبيعه مباشرة لمقاول بسعر أقل نقداً، وذلك قبل الحيازة، بل إنه لا يعرف حتى أين بضاعته، وهذا بيع منهى عنه، وهو بيع التاجر السلعة قبل حيازتها.

المشتقات المالية (عقود الخيارات مثلاً)

ينظر الكثير من الباحثين في قضايا المال والاستثمار إلى المشتقات المالية كأفضل ما استطاع الفكر الاستثماري انجازه إلى الآن.^{١٢} ويقصد بالمشتقات المالية العقود التي تُشتق قيمتها من قيمة الأصول المعنية (أي الأصول التي تمثل موضوع العقد) و الأصول التي تكون موضوع العقد تنوع ما بين الأسهم و السندات و السلع و العملات الأجنبية... و تسمح المشتقات للمستثمر بتحقيق مكاسب أو خسائر اعتماداً على أداء الأصل موضوع العقد، و من أهم المشتقات: عقود الاختيار، العقود المستقبلية، عقود المبادلات...^{١٣}

وقد أبهر التضاعف السريع لحجم أسواق المشتقات حتى الاقتصاديين حيث ارتفعت من أقل من ١٠٠ تريليون دولار سنة ١٩٩٨ إلى أكثر من ٣٣٠ تريليون دولار (نهاية ٢٠٠٥)، أي أنها تضاعفت ثلاث مرات في أقل من ٧ سنوات. وهذا النمو يتجاوز بمراحل نمو أي نوع من الأصول المالية الأخرى.^{١٤}

حتى في الغرب، أثارت المشتقات منذ ظهورها قبل ١٥٠ عاماً تقريباً و لاتزال الكثير من الجدل حول مشروعيتها، سواء من الناحية القانونية أو الاقتصادية. فبحسب القانون فإن العقود المؤجلة التي لا يراد منها التسليم وإنما التسوية على فروق الأسعار تعد من الرهان والقمار الذي لا يعترف به القانون العام.

ومن ناحية اقتصادية فإن هذا التعامل لا يختلف عن القمار لأنه لا يولد قيمة مضافة بل مجرد مبادلة يربح منها طرف ويخسر الآخر، بل قد يكون أسوأ أثراً من القمار، لأنه يتعلق بسلع وأصول مهمة ومؤثرة في النشاط الاقتصادي ويتضرر من جراء تقلباتها الكثير من الناس ولهذا لم يكن غريباً أن أكثر مجموعات الضغط نشاطاً في السابق ضد المشتقات كان المزارعون، إذ كانوا أكثر الفئات تضرراً من هذه التقلبات. وقد جرت في الماضي عدة محاولات في الكونغرس الأمريكي لمنع المستقبليات، خاصة على السلع الزراعية، أخفقت كلها عدا المستقبليات على منتجات البصل، التي لا تزال ممنوعة إلى اليوم.

وقد كان من نتيجة ذلك أن انتشرت المقامرات بصورة مقننة وأصبحت المشتقات قنابل موقوتة يؤدي انهيارها إلى انهيار منشآت الأعمال بل إلى انهيار البورصات، وهذا ما دعا العديد من رجال المال الغربيين إلى وصفها بأنها: "نوع من المقامرة" و "بيت للعب للقمار" و

"تأثيرها على تقلب أسعار الأوراق المالية قد فاق كل التوقعات".^{١٥}

وقد وجهت سهام الاتهام لأسواق المشتقات بأنها السبب الرئيس لأزمة يوم الاثنين الأسود في ١٩ أكتوبر ١٩٨٧م التي أصابت أسواق رأس المال في الولايات المتحدة الأمريكية، وترتب عليها انتقال عدواها إلى أسواق رأس المال في باقي دول العالم. بل إن المشتقات عصفت ببنك بارنج البريطاني (Baring Brothers and Company Bank) الذي كان تاريخه يمتد في أعماق الماضي إلى ٢٣٣ سنة حيث بلغت خسائره من المضاربة على المشتقات ما يقرب من ١,٥ مليار دولار.^{١٦}

المدافعون عن المشتقات يرون أنها أدوات لنقل المخاطر من الوحدات المنتجة كالشركات والمؤسسات التي لا ترغب في تحمل مخاطر الأسعار إلى الوحدات القادرة على تحمل هذه المخاطر، وهي المؤسسات المالية وبيوت السمسرة الكبيرة، وبذلك ترتفع إنتاجية الوحدات الاقتصادية ومن ثم مستوى الرخاء الاقتصادي. وهذه العملية هي ما يسمى التحوط، أي أنها تقي الشركات والمؤسسات وتجنبها المخاطر. لكن المعارضين يقولون إن المشتقات هي نفسها أدوات المجازفة والرهان على تقلبات الأسعار والاسترباح من ذلك. وواقع الأمر أن المجازفة هي الغالبة على المشتقات، حيث تبلغ نسبة العقود المستخدمة بغرض المجازفة وفق الإحصائيات الرسمية أكثر من ٩٧٪ من إجمالي العقود، بينما تقتصر أغراض التحوط على أقل من ٣٪. فالمشتقات أدوات للمجازفة والرهان أكثر منها أدوات للتحوط كما أن تبادل المخاطر يعني أن العملية تصبح مبادلة صفرية، لأنه إذا تحقق الخطر كسب أحد الطرفين وخسر الآخر، وإن لم يتحقق انعكس الوضع. وهذا هو ما يجعل المشتقات أهم أدوات المجازفة والرهان على الأسعار، لأن المقصود ليس تبادل الملكية وإنما مجرد المخاطرة.^{١٧}

ولا خلاف بين أهل الفن أن المشتقات مبادلات صفرية، لكنهم يقولون إنها وإن كانت صفرية على مستوى العقد لكنها على المستوى الكلي إيجابية لأنها ترفع مستوى الإنتاجية للاقتصاد عموماً ومن ثم ينتفع جميع الأطراف. وهذه الحجة يمكن أن تكون صحيحة لو كانت المشتقات تسير جنباً إلى جنب مع النشاط الحقيقي المنتج. لكن واقع الأمر أن أسواق المشتقات تسير في اتجاه بعيد عن النشاط الحقيقي. في السنوات الماضية تضاعف حجم المشتقات أكثر من ثلاث مرات، بحيث تجاوز حجمها الآن ٣٣٠ تريليون دولار، وهو

نمو غير مشهود في أي قطاع من قطاعات الاقتصاد الأخرى. والسبب هو أن المشتقات لا ترتبط تعاقدياً بالنشاط الحقيقي، بل تقتصر على تبادل المخاطر. وحيث إن تداول المخاطر لا يخضع لضوابط النشاط الحقيقي المولد للثروة، فيصبح نمو المشتقات أسهل بكثير من نمو الاقتصاد الحقيقي، وهذا هو الحاصل بالضبط. ويترتب على ذلك تدفق رؤوس الأموال إلى المجازفات غير المنتجة على حساب الاقتصاد الحقيقي المنتج، مما يعرض الاقتصاد للخسارة مرتين: مرة بحجب رؤوس الأموال عن النشاط الحقيقي ابتداءً، ومرة عند انهيار السوق وانفجار فقاعة المجازفات غير المسؤولة وضياع الثروة تبعاً لذلك.

ومع التضخم الهائل لحجم سوق المشتقات فإن أي انهيار سيكون تهديداً مباشراً للاقتصاد بأكمله، وهذا ما يجعل الحكومات والبنوك المركزية تتدخل لمنع وقوع هذه الانهيارات، كما حصل في صندوق لونج تيرم كايبتال (LTCM) وغيره من مؤسسات المجازفة المالية. والتدخل الحكومي مصدر أساسي لربحية المجازفين، كما أكد ذلك جوزيف ستيجلتزر الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد، وإلا فإن سوق المشتقات إجمالاً سوق صفرية كما سبق. ولكن تدخل الجهات الرسمية يعني أن الذي يدفع الثمن الفعلي لهذه المجازفات هو جمهور الأفراد والشركات الذين هم عماد الاقتصاد. فالجمهور في النهاية صار يتحمل مخاطر المجازفين التي تفوق بأضعاف مخاطر النشاط الحقيقي. فبدلاً من أن تكون المشتقات وسيلة لحماية الجمهور من المخاطر صارت وسيلة لتحميله مخاطر تفوق بأضعاف ما كان يسعى لتجنبه من خلالها.

وقد أصدر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره السابع بجدة في المملكة العربية السعودية من ٧-١٢ ذي القعدة ١٤١٢ الموافق ٩-١٤ أيار (مايو) ١٩٩٢م، القرار رقم: ٦٣ (٧/١) بشأن الأسواق المالية بشكل عام بما فيها عقود الاختيارات، وقد جاء في القرار ما يلي:

أ- صورة عقود الاختيارات: إن المقصود بعقود الاختيارات الاعتياض عن الالتزام ببيع شيء محدد موصوف أو شرائه بسعر محدد خلال فترة زمنية معينة أوفي وقت معين إما مباشرة أو من خلال هيئة ضامنة لحقوق الطرفين.

ب- حكمها الشرعي: إن عقود الاختيارات - كما تجري اليوم في الأسواق المالية العالمية

- هي عقود مستحدثة لا تنضوي تحت أي عقد من العقود الشرعية المسماة.
وبما أن العقود عليه ليس مالاً ولا منفعة ولا حقاً مالياً يجوز الاعتياض عنه فإنه عقد غير جائز شرعاً. وبما أن هذه العقود لا تجوز ابتداءً فلا يجوز تداوله.^{١٨}

ومن الواضح أن سبب تحريم عقود الخيارات هو أنه ينتهي فيها الملك والقدرة على التسليم ويسوى الفرق ربحاً أو خسارة أو يتم نقل المراكز ببيع ما اشترى أو شراء ما يبيع كل ذلك دون قبض، فهذه العقود من قبيل بيع الإنسان ما ليس عنده، وبيع ما لم يقبض، وبيع الكالئ بالكالئ. أما كونها من قبيل بيع الإنسان ما ليس عنده فهو ظاهر من أنها تتبادل فيها غالباً التزامات وليس سلع. وكونها من بيع ما لم يقبض فهو ظاهر من كونها تتم عادة على ما لا يملك، كما أنها في حقيقتها لا تهدف عادة إلى تسلم سلعة، حيث إن كل هدفها هو تحقيق أقصى ربح ممكن لأحد أطرافها من جراء الفروق في الأسعار. وكونها من قبيل بيع الكالئ بالكالئ، فهو ظاهر من كونها لا يسلم فيها سلعة ولا يدفع فيها ثمن إلا نسيئة فكلًا طرفي المعاوضة نسيئة.

البيع على المكشوف:

البيع على المكشوف هو أن يبيع أسهما بسعر محدد مستقبلاً وهو لا يملكها، وإنما يتلقى وعداً من السمسار بإقراضه الأسهم في موعد التسليم، فإذا جاء موعد التسليم، اقترض الأسهم وباعها واحتفظ السمسار بالثمن ضماناً لقرض الأسهم - وربما أودعه السمسار بفائدة لمصلحته بناء على موافقة العميل - فإذا انخفضت أسعارها، اشترى ذلك البائع الأسهم من السوق، وأعادها إلى السمسار، وقبض الفرق بين سعر الشراء وسعر البيع. أما إذا ارتفعت هذه الأسعار فسوف يخسر بمقدار ذلك الارتفاع.

ولتوضيح البيع بالمكشوف نتناول المثال التالي:

نفرض أن أحد المستثمرين يظن أن أسهم شركة ما، الذي سعره الآن ١٥ دولار، سينخفض خلال الفترة الزمنية القادمة، فيمكنه أن يبيع على المكشوف ١٠٠ سهم مثلاً بسعر ١٥ دولار للسهم الواحد في موعد معين، فيكون المجموع ١٥٠٠ دولار، ثم إذا حل

الموعد اقترض تلك الأسهم من السمسار وسلمها للمشتري في ذلك الموعد، فإذا كانت توقعاته دقيقة وانخفض السعر إلى ١٢ دولاراً، يكون المجموع ١٢٠٠ دولار، فإنه يشتري أسهم تلك الشركة بالسعر المنخفض من السوق، ويعيدها إلى السمسار الذي اقترضها منه، فيكون قد حقق ربحاً مقداره ٣٠٠ دولاراً. ١٩.

وقد أفتى مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة بأن هذا البيع لا يجوز، حيث اتخذ قراراً في دورته السابعة في عام ١٤١٢ هـ جاء فيه: "لا يجوز أيضاً بيع سهم لا يملكه البائع، وإنما يتلقى وعداً من السمسار بإقراضه السهم في موعد التسليم؛ لأنه من بيع ما لا يملك البائع، ويقوى المنع، إذا اشترط إقباض الثمن للسمسار ليتنفع به بإيداعه بفائدة للحصول على مقابل الإقراض". ٢٠.

مثال أزمة سوق المناخ بالكويت ١٢

كان سوق الأسهم الكويتية خلال الفترة ١٩٦١ - ١٩٧٥ م قناة استثمارية رئيسية لعائدات النفط الكويتي. كانت طبيعة التسوية المالية تتم، في معظمها، عن طريق شيكات مؤجلة وقابلة للتداول أدت لاحقاً إلى نشأة سوق غير رسمية لعقود البيوع المستقبلية. اتجهت الأسهم إلى تسجيل أرقام قياسية غير مبررة مقارنة بقيمتها الدفترية، ومدعومة بتدفق مستمر للسيولة، ومحدودية كمية الأسهم المتداولة.

كان لا بد لعملية التصحيح أن تأخذ مكانها لتنشيط السوق على المدى الطويل.

أدت العملية في عام ١٩٧٦ م إلى هبوط أسعار الأسهم بشكل تدريجي مدعومة بزيادة العرض بشكل كبير مقابل الطلب في سوق عقود البيوع المستقبلية. أنهار السوق في ١٩٧٦ م مخلفاً آثاراً اقتصادية غير كبيرة بسبب تدخل الحكومة الكويتية. حيث لم تدعم الحكومة السوق بصرف قرابة نصف مليار لشراء أسهم الشركات المتعثرة فحسب، ولكن أيضاً اتخذت عدداً من التدابير السريعة لضمان عدم حدوث مثل هذه الأزمة. منها إصدار القرار الوزاري رقم (٦١) وتاريخ ١٩٧٦ م والذي نص على تنظيم التعامل في الأوراق المالية الخاصة بالشركات المساهمة الكويتية وتشكيل أول لجنة للأوراق المالية.

ومن الواضح أن أول أزمة كانت نتيجة عن الإخلال بشرط بيع الأصول قبل تملكها كان حتى قبل الأزمة الشهيرة، لكن تدخل الدولة كبت الأزمة

ورغم مساهمة التدابير السابقة في إعادة بناء السوق، إلا أنها لم تخل من السلبيات. حيث أدت إلى حدوث عجز في كمية الأسهم المتداولة نتيجة احتفاظ الحكومة بأسهم الشركات المتعثرة، واستمرار قرارها بمنع تأسيس شركات مساهمة خلال الفترة ١٩٧٦ إلى ١٩٨١م.

مع بداية الثمانينيات الميلادية، وقيام الحكومة الكويتية بتخفيض سعر الفائدة على الدينار الكويتي، والسماح بإنشاء شركات مساهمة تمهيدا ل طرحها بشكل تدريجي في سوق الأسهم، نشأت طفرة اقتصادية جديدة عمت معظم جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية. استقطب كل من السوق الرئيسي وسوق المناخ جزءا ليس بالقليل من السيولة النقدية المتدفقة.

لم يكن سوق المناخ يخضع لرقابة السلطات المالية. وبالتالي اختلفت آلية عمله وطبيعة شركاته المتداولة عن تلك المدرجة في السوق الرئيسي. كان هناك قرابة تسعة صناعات لسوق المناخ اعتمدوا على الثقة المتبادلة فيما بينهم ليس لتنسيق عمليات المضاربة فحسب، وإنما أيضا لاستقطاب رساميل آلاف من صغار المستثمرين إلى سوق المناخ.

كانت التسوية والمقاصة تتم، في معظمها، عن طريق شيكات مصرفية مؤجلة وقابلة للتداول. وهنا نشطت من جديد وبشكل غير رسمي، سوق عقود البيوع المستقبلية ذات المخاطرة العالية. ساعدت هذه العقود على إعادة تدوير الرساميل في سوق المناخ.

تميزت الشركات المتداولة في سوق المناخ بميزة خاصة. كانت نحو ٥٤ شركة خليجية معظمها شركات وهمية تأسست خلال الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٨٠م لغرض يتيم هو الاستثمار في أسهم بعضها. حتى أن عددا كبيرا منها لم تكن لها منتجات أو عملاء حقيقيون.

شجعت جميع هذه العوامل عددا كبيرا من صغار المستثمرين إلى تحويل رساميلهم من السوق الرئيسي إلى سوق المناخ، رغبة في الربح السريع، ومدعومة بالشعور بأن الحكومة الكويتية سوف تدعمهم، كما دعمت أقرانهم عندما انهار السوق الرئيسي في عام ١٩٧٦م.

أدى التدفق السريع للرساميل إلى تضخم القيمة السوقية إلى أكثر من ستة أضعاف قيمتها الدفترية. ففي عام ١٩٨١م على سبيل المثال، ارتفعت أسعار الأسهم إلى ما معدله ٦٣٪، واحتلت القيمة السوقية الإجمالية لكلا السوقين المركز الثالث بين أسواق المال العالمية بعد سوقي نيويورك وطوكيو.

لم يكن الوضع الائتماني للمصارف الكويتية بمعزل عن هذا التضخم. حيث ارتفعت

نسبة الائتمان المصرفي إلى ١٧٪ خلال الربع الأول من عام ١٩٨٢م، مدعومة بمشاركة المصارف للمستثمرين في تنشيط سوق عقود البيوع المستقبلية غير الرسمي لتمويل صفقات جديدة.

بدأت المأساة في الربع الثاني من عام ١٩٨٢م وبالتحديد في منتصف شهر مايو عندما تزامن موعد استحقاق الدفعة الأولى من عقود البيوع المستقبلية مع حركة تصحيح كبيرة أدت إلى عجز في قيمة العقود المستحقة. عندها بدأت أسعار الأسهم بالنزول التدريجي واستمرت حتى منتصف شهر آب (أغسطس) من العام نفسه عندما نزل المؤشر بنسبة ٣٠٪، وانخفضت حركة التداول بنسبة ٦٠٪.

أصيب سوق عقود البيوع المستقبلية غير الرسمي بحالة من الكساد التام تراكم نحو ٢٩ ألف شيك مؤجل غير قابل للدفع، وبقيمة إجمالية تقدر بنحو ٩٤ مليار دولار أمريكي، ومسحوبة لأمر نحو ستة آلاف مستثمر. كانت هذه المستويات كفيلاً بانهيار السوق وذهابه إلى غير رجعة، محدثاً أزمة سيولة نقدية في المصارف التجارية، وهزة في الاقتصاد الكويتي. وكما أشرنا فيما سبق، فإن مصدر ربحية المضاربين وغيرهم هو التدخلات الحكومية، إذ بدأت الحكومة بتنفيذ خطة طوارئ لمعالجة الوضع، شمل ذلك تعويضات للمتضررين و مجموعة من الإجراءات وكذا الإصلاحات المالية والاقتصادية ٢٢.

الدروس المستفادة من أزمة سوق المناخ بالكويت:

يتضح أن أزمة سوق المناخ، إنما حدثت بسبب مخالفة شرط التعامل بالأصول بالبيع دون تملك، فقد كانت تباع كما أشرنا أشرنا أسهم شركات - وهمية أو حتى حقيقية - بالأجل، طامعا من يشتريها أن يعيد بيعها ويحصل على الأرباح، ريثما يحين الأجل فيقدر على تسديد الدين الذي عليه، ولكن الذي حدث أن السوق الوهمي انهار وبقيت الديون على أصحابها، وتحملت الدولة معظم تكلفة الأزمة (حوالي ٩٠ مليار دولار أمريكي) والتي استمرت آثارها لعدة سنوات.

وما قيل عن أزمة السوق الكويتية يقال عن كثير من الأزمات المالية التي حدثت والتي ستحدث مستقبلاً بسبب عدم الالتزام بقاعدة تملك الأصول محل التعاقد قبل التعامل بها، والتي لا تفي بحوث مستقلة بها.

نتائج البحث والتوصيات

لقد اتضح لنا بما لا يدع لنا مجالاً للشك أن الأخذ بحديث النهي عن بيع ما ليس عندك سيوفر لأسواق المال العالمية استقراراً لا يمكن تحقيقه من خلال كل القوانين والتنظييات و التعليمات التي يتم إصدارها... وهي في النهاية ترجع إلى قاعدة النهي عن الغرر...

يتضح لنا أحد أوجه الإعجاز والتي تبدو من الأهم في النهي عن بيع ما ليس عندك، ما ذكرناه سابقاً حول ما أورده الفقهاء عن معنى (ما ليس عندك)، والتي وصلنا إليها تعني ما ليس في ملكك أو ما ليس في ملكك ولا تحت مقدرتك. إذا توضح لنا ذلك، فسنصل إلى أن عدم التملك (في كلتا الحالتين) يجعل البيع منها عن بنص الحديث

و نود هنا أن نستذكر فقط الحديث التالي: (الضمان بالخراج) [حديث صحيح. أخرجه الشافعي، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي وابن ماجه وابن حبان]

قال الفقهاء: معناه ما خرج من الشيء: من غلة، ومنفعة، وعين، فهو للمشتري عوض ما كان عليه من ضمان الملك فإنه لو تلف المبيع كان من ضمانه فالغلة له، ليكون الغنم في مقابلة الغرم.

إن قاعدة النهي عن بيع ما لم يملك، تؤدي إلى:

• تمنع الفصل ما بين ملكية الأصل و المخاطر التابعة له

فكما أن الفائدة (في الفكر الاقتصادي التقليدي) أدت إلى فصل الزمن عن الملكية، يؤدي التعامل بالأصول من دون تملك إلى الفصل بين المخاطر و الملكية. إذن فقاعدة النهي عن بيع ما لم يملك تمنع الفصل ما بين ملكية الأصل و المخاطر التابعة له (مخاطر الملكية اللازمة لتحقيق الربح و نمو الثروة)

و لعل الحكمة من ذلك أن الفصل بين الخطر و الملكية يؤدي إلى جعل المخاطر "سلعة" مستقلة، وهذا يؤدي إلى أن تصبح إدارة المخاطر تسير في اتجاه مغاير لمسار توليد الثروة، و تزاوجها من ثم على الموارد المتاحة.

يضاف إلى ذلك أن تحويل المخاطر إلى سلعة متداولة بهدف الربح يؤدي وفقاً لآلية السوق إلى تفاقمها وليس انحسارها، كما يؤدي إلى سوء توزيعها بسبب مشكلات تفاوت المعلومات والانتقاء العكسي. النتيجة النهائية هي ارتفاع المخاطر و تزايد التقلبات الاقتصادية، و من ثم تراجع نمو الثروة.

و نود أن نذكرها هنا بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حول هذه النقطة:

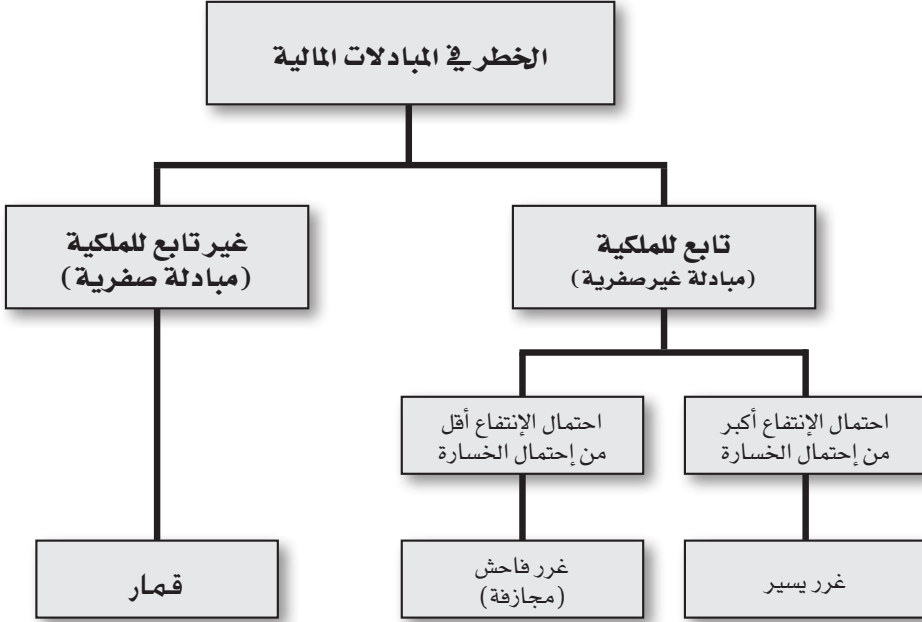
يقول رحمه الله: "الخطر خطران: خطر التجارة، وهو أن يشتري السلعة بقصد أن يبيعها بربح، ويتوكل على الله في ذلك، فهذا لا بد منه للتجار (...). فالتجارة لا تكون إلا كذلك. والخطر الثاني: الميسر الذي يتضمن أكل مال الناس بالباطل، فهذا الذي حرمه الله ورسوله".
[تفسير آيات أشكلت ٧٠٠ / ٢]

- أثبت الواقع (من أسواق المال) أن التعامل في الأصول من دون تملكها يدفع إلى أن تستخدم نفس الأصول بعينها لتوليد ما لا يحصى من الديون، فالعميل بمجرد شرائه سلعة يمكنه بيعها نقداً دون الحاجة إلى تملكها لكي يشتريها غيره (الذي لن يحتاج بدوره لتمكّلها كذلك) ثم يبيعها نقداً، وهكذا، حتى يتولد من السلعة الواحدة جبال شاهقة من الديون... أما لو تملك المشتري السلعة (و أصبح ضمانها عليه أي مخاطر التملك) قبل أن يبيعها فإن ذلك يصبح متعذراً.

إن ما سبق يجعلنا نرجع إلى نظرية التمويل التي تقر بضرورة عدم فصل المخاطر عن الملكية و أن عائد الأصول و مخاطرها مرتبطان، و أن الفصل بينهما يؤدي إلى أن تصبح المخاطرة في ذاتها سلعة لها أسواقها و لها مشترون و بائعون (لكنها سلعة ضارة و ليست من الطيبات)... و هو ما يؤدي في النهاية إلى تعاضدها و تكون النتيجة الحتمية هي انفجار فقاعة المخاطر التي يدفع ثمنها في النهاية الأفراد و الدولة

يمكننا من خلال الشكل الموالي توضيح طبيعة العلاقة بين الملكية و المخاطرة، و نتائج الفصل بينهما:

الشكل (١): الخطر في المبادلات ٢٣



المصدر: سامي إبراهيم السويلم، «التحوُّط في التمويل الإسلامي»، ص ١٠٤.

بقي لنا في الأخير فقط أن نشير إلى أن بعض الجوانب التي ما تزال بحاجة إلى المزيد من البحث في مجال الاقتصاد الإسلامي، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

تأصيل نظرية الغرر في الاقتصاد الإسلامي

تأصيل نظرية المخاطرة في الاقتصاد الإسلامي في ظل نظرية الغرر، خاصة في عصر أصبحت فيها المخاطر صفة ملازمة للنشاط الاقتصادي

ونشير ختاماً إلى أن أهم خصائص الاقتصاد الإسلامي، هو الانطلاق من العقيدة أو الإيمان (وهما مترادفان) ولو نزعنا منه هذه الخاصية لم ينجح، ومما يدل على ارتباط الاقتصاد بالإيمان: قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). [الأعراف: ٩٦]

ففي هذه الآية الكريمة، بيان أن الإيمان والتقوى أهم أسباب الازدهار في الاقتصاد الإسلامي، وهما سبب للبركات والرفاه. فالله تعالى يقول في هذه الآية، إذا أردتم اقتصادا سليما، يحقق الرفاهية، فعليكم بتقوى الله عز وجل والإيمان. ٢٤.

كما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القدر إلا الدعاء وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) رواه ابن ماجه (ح ٤٠٢٢ بإسناد حسن)، وفي هذا تأكيد للعلاقة بين الإيمان والاقتصاد الإسلامي.

ومما يؤكد كذلك تأثير تقوى الله تعالى في الاقتصاد، قوله صلى الله عليه وسلم: (من باع دارا، ثم لم يجعل ثمنها في مثلها، لم يبارك له فيها) رواه الضياء المقدسي والطيالسي والبيهقي عن حذيفة رضي الله عنه (حسن)

لهذا وجب علينا الالتزام في كل معاملاتنا (سواء على المستوى الكلي أو الجزئي) بالضوابط الشرعية، فهي كفيلة أن تحقق للعالم الرفاهية بعيدا عن كل الأخطار التي يمكن أن تهددها.

والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء أمام كثير صوابه
و صلى الله و سلم على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم
و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد الكريم أحمد قندوز الجزائري

الهوامش والمراجع

١ أنظر بهذا الخصوص: أ.د. على أحمد السالوس، "موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة و الاقتصاد الإسلامي"، مكتبة دار القرآن، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠٠٢. وكذا: مركز الدراسات الفقهية و الاقتصادية، "موسوعة فتاوى الإمام ابن تيمية في المعاملات و أحكام المال"، دار السلام، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ٦١-٦٢.

٢ سامي بن إبراهيم السويلم، "التحوُّط في التمويل الإسلامي"، ورقة مناسبات، رقم ١٠، المعهد الإسلامي للبحوث و التدريب، البنك الإسلامي للتنمية، جدة، المملكة العربية السعودية، جانفي ٢٠٠٧، ص ١٦.

٣ معظم ما يتعلق بالحديث موضوع البحث من مدلولاته و معانيه و حجتيه و آراء فقهاء المذاهب بخصوصه مستمدة من دراسة أحمد محمد خليل الإسلامبولي، حيث فصل في ذلك تفصيلاً (جزاه الله كل خير)، و قد اعتمدت على ذلك من مصدرين رئيسان، هما: مجلة مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، السنة ٩، العدد ٢٦، ٢٠٠٥، ١١-٧٩. ندوة حوار الأربعاء بعنوان: "لا تبع ما ليس عندك" محاولة لقراءة النص، مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي جامعة الملك عبدالعزيز، الأربعاء: ١٣/٢/١٤٢٦هـ = ٢٣/٣/٢٠٠٥.

٤ أحمد محمد خليل الإسلامبولي، "الحاجة إلى فهم بعض النصوص الشرعية في المعاملات المعاصرة (مثال تطبيقي: لا تبع ما ليس عندك)"، مجلة مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، السنة ٩، العدد ٢٦، ٢٠٠٥، ١١-٧٩.

د. أحمد محمد خليل الإسلامبولي، ندوة حوار الأربعاء بعنوان: "لا تبع ما ليس عندك" محاولة لقراءة النص، مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي جامعة الملك عبدالعزيز، الأربعاء: ١٣/٢/١٤٢٦هـ = ٢٣/٣/٢٠٠٥.

٥ قال الشيخ ابن باز رحمه الله: قوله: "ما ليس عندك" يشمل ما في ذمة غيره له حتى يستوفيه، و يشمل أيضاً الأعيان التي عند الناس فلا تبيعها حتى تشتريها و تكون عندك في قبضتك، فهو يشمل الأعيان و ما في الذم.

٦ وليد بن راشد السعيدان، قواعد البيوع و فرائد الفروع"، ص ٥٩

٧ د. سامي حمود، "بيع المرابحة للأمر بالشراء"، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد الخامس، الجزء الثاني، ص ١٠٩٢.

٨ حامد بن عبد الله العلي، "تيسير بعض أحكام البيوع والمعاملات المالية المعاصرة"، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥

doc.hamed.books.googlepages.com /tayser-byo3

٩ وقد ألقى الشيخ محمد الأشقر رسالة بين فيها بطلان هذه المعاملة، وأن إلزام العميل بالبيع عند الوعد بالشراء لا يجوز، لأنه يجعل البنك كأنه قد باع ما لا يملك وحرر هناك أن الوعد لا يلزم، وفصل القول فيه: هل يلزم الوعد بالشراء قضاء أم ديانة؟

ومعنى ذلك أنني إذا وعدتكم، ولم اشتر، فاشتكتك للقضاء فهل يلزمني القاضي بذلك؟ ومعنى ديانة، أن القضاء إذا لم يلزمني، هل عليه إثم لو أخلفت وعدي، وعلي التوبة

وبين أن الوعد بالشراء هنا غير ملزم، وأن الواجب أن يشتري البنك الإسلامي السلعة من الشركة ويملكها بعقد رسمي يكون بمثابة حيازتها، ثم يبيعها للعميل مقسطة ويربح فيها، وليس للبنك الإسلامي أن يلزم العميل بمجرد الوعد بإتمام الصفقة، لأن ذلك في حقيقته بيع، وإن كانت صورته صورة وعد.

١٠ ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز شراء الرجل سلعة بالأجل ويبيعها إلى غير بائعها نقداً وغرضه الحصول على النقود، وكلمة التورق من عبارات الحنابلة. أما المذاهب الأخرى فيعرض فقهاءها إلى التورق عند الحديث عن العينة فيفترقون بينها وهي ممنوعة وبين التورق وهو جائز عند جمهورهم. واستدلوا على القول بالجواز بالكتاب والسنة والقياس. أما الكتاب فقوله تعالى: "وأحل الله البيع" إذ يدل ذلك على إباحة كل بيع إلا ما دل دليل معتبر على حرمة ولا دليل هنا على حرمة التورق وقد أثبت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الأصل في العقود والشروط الإباحة إلا ما دل الدليل على حرمة. ومن السنة على الأحاديث في البيع وهي في نفس المعنى. أما القياس فلأن البيع توافرت فيه أركانه وشروطه وخلا من المفسدات كالغرر والجهالة والربا ونحو ذلك.

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وكذا تلميذه ابن القيم إلى عدم جواز التورق مع أن المشهور عند الحنابلة الجواز. وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله لقوله هذا مستندين الأول انه من بيع المضطر وقد ورد النهي عن بيع المضطر، والثاني انه حيلة على الربا. وقد تضافرت الفتاوى المعاصرة على جواز هذا البيع، منها قرار مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورة مؤتمره الخامسة عشرة (رجب ١٤١٩هـ) حيث قرر جواز التورق، وكذا هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية واللجنة الدائمة فيها، كما أفتى بجوازه المفتي العام للمملكة العربية السعودية السابق الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج ١٩ ص ٩٣) والمفتي العام الأسبق سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (فتوى رقم ١٥٦٩ المنشورة في المجلد السابع من فتاوى ورسائل).

و نشير هنا إلى هذا حكم التورق المعروف، أما في مثلنا فإنه يتعلق بالتورق المنظم وهو معاملة مالية نجريها بعض المصارف الإسلامية، حيث يقوم المصرف بعمل نمطي يتم فيه ترتيب بيع سلعة (ليست من الذهب

أو الفضة) من أسواق السلع العالمية أو غيرها، على المستورق بثمن آجل، على أن يلتزم المصرف - إما بشرط في العقد أو بحكم العرف و العادة - بأن ينوب عنه في بيعها على مشتر آخر بثمن حاضر، و تسليم ثمنها للمستورق.

١١ أنظر: د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، "فقه المعاملات الحديثة"، شركة الراجحي المصرفية (المجموعة الشرعية)، دار ابن الجوزي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ص ٦١٠.

و كذا القرار الثاني لمجلس المجمع الفقهي الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي)، الدورة ١٧، مكة المكرمة، ١٩-٢٣/١٠/١٤٢٤هـ حول موضوع "التورق كما تجرّه بعض المصارف في الوقت الحاضر".

١٢ أسعد رياض، "الهندسة المالية"، الأكاديمية العربية للعلوم المالية و المصرفية، عمان، الأردن، ٢٠٠١، ص ٧٢.

١٣ د. عبد العال حماد، "المشتقات المالية: المفاهيم - إدارة المخاطر - المحاسبة"، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠١، ص ٥.

١٤ سامي بن إبراهيم السويلم، "التحوُّط في التمويل الإسلامي"، مرجع سابق، ص ٣١

١٥ منير إبراهيم هندي، "الفكر الحديث في إدارة المخاطر"، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص ٢٤-٢٥.

١٦ أشرف دوابة، "نحو سوق مالية إسلامية"، سلسلة تبسيط الفكر الإسلامي في مجال التمويل والاستثمار، ٢٠٠٦، ص ٢٧-٢٨.

١٧ د. سامي إبراهيم السويلم، "المشتقات المالية تعرض الاقتصاد للخسارة مرتين"، صحيفة الاقتصادية الإلكترونية، الأحد ٠٤ ذو الحجة ١٤٢٧ هـ الموافق ٢٤/١٢/٢٠٠٦ م، العدد ٤٨٢٢.

١٨ قرارات و توصيات مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة، المملكة العربية السعودية، ص ١٣٨.

١٩ لأحمد الخليل، "الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الإسلامي"، دار ابن الجوزي، الدمام. ص ٢٢٣-٢٢٤،

٢٠ مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره السابع بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٢-٧ ذي القعدة ١٤١٢ الموافق ٩ - ١٤ أيار (مايو) ١٩٩٢م، القرار رقم: ٦٣ (٧/١) بشأن الأسواق المالية.

٢١ يقصد بـ"أزمة المناخ" الأزمة التي أصابت سوق الأوراق المالية الكويتية و التي تجلت في شيكات آجلة لحوالي ٥٥٠٠ شخص و شركة بعدد ٢٩ ألف شيك، و بقيمة ٢٧ مليار دينار (حوالي ٨٨ مليار دولار).

٢٢ أوقفت الحكومة التداول في سوق المناخ، وأوجبت تسجيل جميع الشيكات المؤجلة، وأسست بيتا

للمقاومة. كما أعادت تنظيم السوق كهيئة مستقلة ليشمل سوقاً رئيسياً، وثانويًا، وعقود البيوع المستقبلية، إلى آخره من الإصلاحات المالية والاقتصادية.

وقد تدخلت الحكومة عبر "مؤسسة تسوية معاملات الأسهم التي تمت بالأجل" التي قامت بشراء تعويضي للأسهم من بعض المتضررين، بما قيمته ٢٠٠٠ مليون دينار موزعة ما بين تعويض الصغار وشراء أسهم للمحافظة على سعر أدنى لها وقروض للمتضررين. ثم عبر "برنامج تسوية التسهيلات الائتمانية الصعبة" لتسوية الديون المترتبة للجهاز المصرفي على العملاء. وفي نهاية ١٩٨٩، رؤى تسوية مديونيات العملاء الصغار (لغاية ٢٥٠ ألف دينار) والذين يشكل حجم مديونياتهم نسبة ٢٠٥٪ فقط من إجمالي مديونيات العملاء الخاضعين للبرنامج.

٢٣ سامي إبراهيم السويلم، "التحوُّط في التمويل الإسلامي"، ورقة مناسبات (١٠)، المعهد الإسلامي للبحوث و التدريب، البنك الإسلامي للتنمية، جانفي ٢٠٠٧، ص ١٠٤.

٢٤ حامد بن عبد الله العلي، "تيسير بعض أحكام البيوع والمعاملات المالية المعاصرة"، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

من وجوه الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة تظافر أوجه الإلزام

بقلم: د. صالح عسكر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية العلوم الإسلامية

جامعة باتنة / الجزائر



إن المجتمعات اليوم تدق ناقوس الخطر بسبب انتشار العدوان على الأنفس والأموال والأعراض وانتشار ترويع الأمنيين من بسطاء الناس، مما ينطق بنفسه عن عجز الأنظمة القانونية عن الحد من الإجرام الذي أصبح ظاهرة متنامية يوماً بعد يوم. وليس الأمر مقصوراً على المجتمعات والدول الفقيرة والضعيفة، بل للمدن والبلدات والكبرى منها نصيب وافر. جاء في موقع

"CRIME IN AMERICA":

- 159,000,000 MILLION CRIMES COMMITTED AGAINST AMERICANS IN THE 13-YEAR PERIOD ENDING 2002. 486,000 WERE MURDERS (USJD)
- OVER 570,000 INMATES RELEASED INTO SOCIETY ANNUALLY. MANY ARE TOTALLY MISPLACED. (USJD)
- DWI'S HAVE KILLED MORE PEOPLE THAN IN ALL OUR WARS COMBINED. THE REVOLVING DOOR CRIMINAL JUSTICE SYSTEM HAS RELEASED DWI'S WITH AS MANY AS 40 PRIOR ARRESTS. (NEW MEXICO)
- SWIFT AND SURE PUNISHMENT IS MISSING IN THE CRIMINAL JUSTICE SYSTEM IN AMERICA.
- DURING THE PERIOD FROM 9/11 TO YEAR-END 2006 APPROXIMATELY 8000 AMERICANS WERE KILLED IN OFFSHORE TERRORISM INCLUDING 9/11.
- DURING THE PERIOD FROM 9/11 TO YEAR-END 2006 THERE WERE 80,000 MURDERS IN AMERICA-MANY MORE BRUTAL & HEINOUS THAN IN IRAQ.
- DURING THE PERIOD FROM 9/11 TO YEAR-END 2006 THE COST OF

OFFSHORE TERRORISM WAS APPROXIMATELY \$1 TRILLION. DURING THE SAME PERIOD DIRECT AND INDIRECT COST OF "HOMEGROWN TERRORISM" OR CRIME IN AMERICA WAS APPROXIMATELY \$3.5 TRILLION.

- HOMEGROWN TERRORISM (CRIME) IN AMERICA DIRECT AND INDIRECT COST NOW EXCEEDS \$675 BILLION ANNUALLY...⁽¹⁾.

وترجمة ذلك:

- ١٥٩,٠٠٠,٠٠٠ جريمة وقعت ضد الأمريكيين خلال ١٣ سنة المنتهية في ٢٠٠٢، منها ٤٨٦,٠٠٠ جريمة قتل.
- أكثر من ٥٧٠,٠٠٠ من خريجي السجون يطلقون في المجتمع كل عام، جزء منهم في أماكن غير سليمة.
- القيادة في حالة سكر قامت بقتل عدد من الناس أكبر من العدد الذي تعرض للقتل في جميع حروبنا مجتمعة. الباب المستدير لنظام العدالة الجنائية قام بإطلاق سراح سائق في حالة سكر في كل أربعين توقيف مسبق.
- السرعة والعقاب المؤكد مفقود في النظام القضائي الجنائي في أمريكا.
- خلال المدة ما بين ٠٩/١١ إلى نهاية ٢٠٠٦ نحو ٨٠٠٠ أمريكي تقريبا قتلوا بسبب الإرهاب الخارجي بما في ذلك ٠٩/١١.
- خلال المدة ما بين ٠٩/١١ إلى نهاية ٢٠٠٦ كان هناك نحو ٨٠٠٠ جريمة قتل تقريبا في أمريكا، والعديد منها أكثر عنفا وأكثر حقدا مما في العراق.
- خلال المدة ما بين ٠٩/١١ إلى نهاية ٢٠٠٦ كانت تكاليف الإرهاب الخارجي نحو

(1) CRIME IN AMERICA- WEB SITE BY UNITED CITIZENS FOR LEGAL REFORM

من ١ ترليون دولار أمريكي تقريبا، وخلال الفترة نفسها كانت التكاليف المباشرة وغير المباشرة لـ "الإرهاب الداخلي" أو الجرائم في أمريكا نحو من ٣,٥ ترليون دولار تقريبا.

- التكاليف المباشرة وغير المباشرة للإرهاب الداخلي (الجرائم) أصبحت الآن تتجاوز ٦٧٥ بليون دولار سنويا ...".

هذه البيانات المسجلة في دولة يفترض أنها تقود ركب المدنية اليوم، يكشف أن التشريعات والقوانين -إذا لم تصاحبها أسباب تلزم الناس بالعمل بها- تظل حبرا على ورق، ولا يكون لها معنى حقيقي. وانطلاقا من ذلك، تحاول هذه الدراسة أن توازن بين أسباب الإلزام في التشريع الإسلامي الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية والقوانين الوضعية، لتكشف النظام القانوني المعجز والفريد الذي جاء به الإسلام.

فكرة الإلزام في التشريع الإسلامي والقوانين الوضعية:

إن المتصفح لكتب القانون يجد أن أصحابها يثبتون لها خاصة تفرقها -على حد قولهم- عن القواعد الدينية والأخلاقية وقواعد الآداب والمجاملات، وتتمثل هذه الخاصة في ما تحمله القواعد القانونية من إلزام يترتب عنه جزاء. جاء مثلا في كتاب "نظريتنا الحق والقانون": "وإلزام القاعدة القانونية هي الخصيصة التي تميزها عن قواعد الأخلاق والدين. ولهذا نقول بأن القواعد القانونية تكون دائما ملزمة للأشخاص، وتبرز خاصة الإلزام في الجزاء الذي يوقع على من يخالف تلك القاعدة القانونية"^(١).

وجاء في موضع آخر: "والمقصود بالجزاء هو رد الفعل أو العقاب أو الإجبار على الالتزام والاحترام عن طريق استعمال القوة العامة المتمثلة في وظيفة السلطة العامة للدولة فيقوم بالتنفيذ رجال الدرك والشرطة عند اللزوم"^(٢).

(١) د. إسحاق إبراهيم منصور، نظريتنا القانون والحق وتطبيقاتها في القوانين الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ص ٣٤.

(٢) المرجع نفسه ص ٣٣

في المقابل يرى الدارسون والمختصون في علوم الفقه والتفسير والحديث وسائر علوم الشريعة أن هذه الخاصة -أي الإلزام- غير مقصورة على القانون، بل إن قواعد التشريع الإسلامي تدرج هذا الإلزام الجزائي العقابي ضمن مجموعة من الإلزامات -أو الالتزامات- الأخرى مما يجعل القاعدة التشريعية الإسلامية النموذج الأكمل للقانون المصلح للمجتمعات والحافظ للدماء والأنفس والأموال والأعراض.

بينما يرد آخرون بأن الدين مسألة علاقة روحية شخصية بين الإنسان وربّه والجزاء الذي يحمله جزاء أخروي، وأنه يفقد صبغة "الروحية والטהارة" إذا أخرج من هذا الإطار....

فما مدى صحة كل من الطرحين؟ وهل تحمل النصوص التشريعية الإسلامية حقيقة إعجاز تشريعي لا يمكن أن يماثل أو يضاهي؟

أولاً: طبيعة الإلزام في القانون الوضعي:

تقدم أن الإلزام في القانون الوضعي يكون بإيقاع الجزاء المتمثل في "رد الفعل أو العقاب أو الإلزام على الالتزام والاحترام عن طريق استعمال القوة العامة"، وتصنف الجزاءات إلى^(١):

١. جزاءات جنائية وهي العقوبات وتدابير الأمن.

٢. جزاءات مدنية متمثلة في إبطال التصرف.

٣. جزاءات إدارية ممثلة في إلغاء القرارات الإدارية.

ثانياً: طبيعة الإلزام في النصوص والتشريعات الإسلامية:

لم يقع فصل في الإسلام بين الغيب والشهادة، وبين العقيدة والشريعة، وبين العبادة والمعاملة، وكما تضمنت شريعة الإسلام أحكام الصلاة والحج والصيام والكفارات... تضمنت أحكام القضاء والشهادة والبيع والإجارة والفصل في الخصومات وغيرها...، وإنه من الواضح مثلاً أن الحدود التي تُتلى أحكامها في كتاب الله كحد السرقة والقذف

(١) المرجع السابق ص ٣٤.

والقصاص تمثل عقوبات وإلزامات ذنوبية عاجلة التنفيذ كالمنصوص على أنها من خصائص القانون الوضعي. ولكن رغم ذلك فإن التشريع الإسلامي تشريع إلهي يختلف عن أكمل تشريع بشري ولا بد أن يتفوق عليه، ولذلك وجب أن ننظر إليه نظرة أشمل وأعمق تستجلي تعدد أوجه الإلزام فيه وتنوعها، وقد وجدنا إشارة إلى شيء من ذلك في حديث مشهور للنبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث الحلال والحرام.

فقد روى مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"^(١).

وهذا الحديث عده العلماء من الأحاديث التي يدور عليها الإسلام حتى جعلوه ثلثه^(٢)، وقد تضمن جملة من الأمور منها:

١- أن الأشياء ثلاثة أقسام:

أ- حلال بين واضح لا يخفى حله.

ب- حرام بين واضح لا تخفى حرمة.

(١) صحيح مسلم ج ٣ / ص ١٢١٩ ح ١٥٩٩.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج ٣ / ص ١٢١٩، وفيه: "قال جماعة هو ثلث الإسلام وإن الإسلام يدور عليه وعلى حديث الأعمال بالنية وحديث "من حسن المرء تركه ما لا يعنيه"، وقال أبو داود السجستاني: يدور على أربعة أحاديث هذه الثلاثة وحديث "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، وقيل حديث: "ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس".

قال العلماء وسبب عظم موقعه أنه صلى الله عليه وسلم نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها وأنه ينبغي أن يكون حلالاً وأرشد إلى معرفة الحلال وأنه ينبغي ترك المشتبهات فإنه سبب لحماية دينه وعرضه وحذر من موافقة الشبهات وأوضح ذلك بضرب المثل بالحمى ثم بين أهم الأمور وهو مراعاة القلب فقال صلى الله عليه وسلم (ألا وإن في الجسد مضغة الخ) فبين صلى الله عليه وسلم أن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد ويفسده يفسد باقيه".

ج- مشتبهات لم يتبين لكثير من الناس حلها أو حرمتها، غير أن حكمها لا يخفى على العلماء، قال النووي: "وأما المشتبهات فمعناها أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يدركون حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ولم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي ..."^(١).

٢- أن من أراد سلامة دينه من الوقوع في الحرام، وعرضه من أن يتحدث الناس فيه بسوء فيسّموه بالفسوق والجرأة على حدود الله، فليتورع وليجتنب الشبهات، "قال حسان بن أبي سنان ما رأيت شيئاً أهون من الورع دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"^(٢).

٣- أن الواقع في الشبهات كحاطب الليل؛ يأخذ مرة حطبا ويمسك مرة حية، ولذلك فسيقع في الحرام، وقد ضرب له النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً بالراعي الذي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، وإن المحارم هي حمى الله الملك الحق، والواقع في الشبهات حائم حول المحارم يوشك أن يقع فيها: "ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه:"^(٣) "ومعناه أن ملوك العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حمى يحميه عن الناس ويمنعهم دخوله، فمن دخله أوقع به العقوبة ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفاً من الوقوع فيه، والله تعالى أيضاً حمى وهي محارمه: أي المعاصي التي حرّمها الله كالقتل والزنا والسرقة والقتل والخمر والكذب والغيبة والنميمة وأكل المال بالباطل وأشبه ذلك؛ فكل هذا حمى الله تعالى من دخله بارتكابه شيئاً من المعاصي استحق العقوبة، ومن قاربه يوشك أن يقع فيه، فمن احتاط لنفسه لم يقاربه ولم يتعلق بشيء يقربه من المعصية فلا يدخل في شيء من الشبهات"^(٣).

٤- أن الإنسان إذا حمل نفسه وعودها على ترك المشتبهات وألزمها ذلك كان أشد حذراً للحرام، وأن من استسهل الوقوع في المشتبهات أوشك أن يستسهل الوقوع في الحرام، وقد

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٣/ص ١٢١٩.

(٢) صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٧٢٣) في ترجمة الباب معلقاً، انظر الفتح ٤/ ٢٩١

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٣/ص ١٢١٩

وقع ذلك صريحاً في لفظ البخاري: "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما شبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك، ومن اجتراً على ما يشك فيه من الإثم أو شك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقع" (١).

٥- أن القلب - على صغره - إذا صلح فكان تقياً خائفاً من مواقعة الحرمات صلح بصلاحه سائر البدن والجوارح وصلحت أعمالها، وإذا فسد فكان فاسقاً متجرئاً على حرمات الله فسد بفساده سائر البدن والجوارح وفسدت أعمالها: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب". قال النووي: "قال أهل اللغة: يقال: صلح الشيء وفسد بفتح اللام والسين وضمهما والفتح أفصح وأشهر، والمضغة القطعة من اللحم؛ سميت بذلك لأنها تمضغ في الفم لصغرها. قالوا: المراد تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب" (٢).

هذا عما تضمنه الحديث، وقد وقعت فيه الإشارة إلى المنهج الرباني الفريد في الإصلاح الفردي والجماعي وبناء الرقابة الذاتية والجماعية المانعة من الفساد؛ فلقد وضع الإسلام منهجاً يتضمن ثلاثة أصناف من أسباب الإلزام:

أولها: الحاجز الديني ممثلاً في التقوى والخوف من مواقعة الحرمات، وإليه الإشارة بـ **"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"** بمعنى أن من كان له قلب صالح يخاف الله تورع عن بعض الحلال فضلاً عن الحرام والشبهات فصلحت جوارحه وصلحت أعماله، ومن كان ذا قلب خاو من الإيثار لا يخاف الله اجتراً على الحرام البين فضلاً عن الشبهات ففسدت جميع أعماله.

الثاني: الحاجز الاجتماعي: وإليه الإشارة ببراءة العرض - أي السمعة - في قوله صلى الله عليه وسلم: "استبرأ لدينه وعرضه".

الثالث: الحاجز العقابي ممثلاً في الحدود والتعازير المنصوص عليها بالبيان والتفصيل (الحدود) أو على وجه العموم والإطلاق (التعازير).

(١) صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٧٢٣).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٣ / ص ١٢١٩.

وفيما يأتي بيان لها بشيء من التفصيل:

الحاجز الإيماني:

يملك القانون الإسلامي (الشريعة الإسلامية) وجها فريدا من وجوه الإلزام يجعل الخاضعين له من المؤمنين برسالة الإسلام يلتزمون التزاما تلقائيا، ويفرض عليهم فيه رقابة لا تنحصر في الزمان والمكان؛ فالأصل أن المؤمن بهذا التشريع يلتزمه ولو كان لا يخاف من سلطة عقابية، ومن نتائج ذلك أن الملايين من المؤمنين في كثير من البلدان ذات القوانين والتشريعات والثقافات والديانات المختلفة في جميع أنحاء العالم لا يشربون الخمر ولا يأكلون الربا ولا يعتقدون على أموال الناس ولا يقعون في الزنا والفواحش رغم أن هذه الأشياء -أو جزءا منها على الأقل- لا تعتبر جرائم في تشريعات البلاد التي يعيشون فيها، بل المزيّنات والمرغبات فيها والمحفزات عليها كثيرة ومتعددة.

وحتى البلاد الإسلامية التي تحرم هذه الفواحش أو بعضها أو تفرض عليها عقابا، فإن عامة من يتورع عن الوقوع فيها من أهل هذه البلاد يفعلها خوفا من الله لا خوفا من العقاب الدنيوي القضائي.

من هذا الباب، فإن السلطة المدنية في البلاد التي تتخذ الإسلام نظاما لحياتها وتشريعاته قوانين لها تخف مسؤوليتها من جهتين:

- فمن جهة، فهي تتعامل مع فئة قليلة شاذة بالنسبة لعموم المجتمع مما يجعل الأمر بالنسبة إليها أخف وأسهل.
- ومن جهة ثانية فإن الفئة الغالبة في المجتمع داعمة لها في هذا المسعى من منطلق الدين والقناعة، سواء بالدعم الفعلي المعين على كشف الجرائم والمعاقبة عليها، أو بالسند المعنوي الأدي.

وفي هذا الباب أيضا نلاحظ بعض القوانين والتشريعات التي لا يمكن أن تفرض في غير التشريع الإسلامي لأن الرقابة المدنية عليها غير ممكنة، ولنضرب لذلك مثلا بمسألة

تتعلق بالأحوال الشخصية. فقد جاء الإسلام بنظام فريد في مجال العلاقات الأسرية يبدأ من التفكير في إنشاء العلاقة الزوجية (الخطبة)، والأمور المفروضة ثم المستحبة في اختيار كل من الزوج والزوجة، ومن يقوم بإنشاء العلاقة الزوجية؟ والحقوق والواجبات المترتبة عنها، وانتهاء بحل العلاقة الزوجية أو انتهائها بالطلاق أو الوفاة وما يترتب على ذلك من أحكام (النسب، الميراث، العدة...).

وعند إرادة إنهاء العلاقة الزوجية جاء الإسلام بشيء فريد وهو إلزام الزوج بالآي يوقع الطلاق إلا في فترة محددة، وهي أن تطهر زوجته من الحيض وألا يمسه في ذلك الطهر وهي فترة تمنح الزوج فرصة أولى للتفكير وتقدير عواقب فعله فلا يكون طلاقه نزوة أو ردة فعل ناشئة من غضب ونحوه، كما بين ذلك حديث عبد الله بن عمر ففي صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مُرُّهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهَرَ ثُمَّ تَحِيضُ ثُمَّ تَطْهَرَ ثُمَّ إِنْ شَاءَ أُمْسِكْ بَعْدُ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ فِتْلِكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تَطْلُقَ لَهَا النِّسَاءُ"^(١)

فإذا طلقها بقيت في البيت ثلاثة أشهر يراجع فيها نفسه متى شاء: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا "سورة الطلاق الآية: ١.

وإذا أوشكت العدة أن تنتهي ربما فكر الزوج في إيذاء زوجته بأن يسد في وجهها باب زواج آخر فيراجعها بقصد حبسها وتعليقها لا رغبة في إمساكها، وهذه النية المبيتة لا يمكن أن يطلع عليها قاض أو شرطي. وهنا يتجلى التشريع الرباني الفريد الذي يفرض على الرجل الرقابة في شيء إن كتمه في نفسه لم يطلع عليه من البشر أحد، ولا سبيل لمخلوق للعلم به، وهو ما نص عليه قوله تعالى: " وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

(١) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ } (ج ١٦ / ص ٢٩١).

أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسُكُوهُنَّ ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَإِذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" سورة البقرة الآية ٢٣١.

وإننا نلاحظ هذا التكامل العجيب بين جملة هذه التشريعات التي تبدأ من التفكير في العلاقة الزوجية، ثم من نشوئها القانوني (العقد) ثم الفعلي (البناء) وما يصاحبها ويكفل سلوكها للمسلك الصحيح (الحقوق الزوجية)، وما يوصف من علاج للاضطرابات الطارئة (علاج النشوز) وحتى ما يتعلق بإنهاؤها انطلاقاً من التفكير في إيقاع الطلاق "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا"^(١)، وانتهاء إلى ما يصاحب الطلاق: "وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتهم إحداهن فنتاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتانا وإثماً مبيناً" -سورة النساء الآية ٢٠- أو ما يتفرع عنه (أحكام العدة، الرضاع، ...).

ونريد أن ندرس خاصة الإلزام الإيماني التي تخول التشريع الإسلامي إصدار تشريعات وأحكام لا يمكن أن تصدر في قوانين وتشريعات أخرى عبر المثل المشار إليه سابقاً، وهو قرب انتهاء عدة المرأة المطلقة وما قد يبينه الزوج من إمساكها رغبة في تعليقها لا رغبة فيها، والذي وقع عنه النهي في الآية السالفة: "وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسُكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسُكُوهُنَّ ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَإِذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" قال ابن جرير في تفسير الآية: "يعني تعالى ذكره بذلك: "وإذا طلقتم"، أيها الرجال نساءكم "فبلغن أجلهن"، يعني: ميقاتهن الذي وقته لهن، من انقضاء الأقرء الثلاثة، إن كانت من أهل القرء، وانقضاء الأشهر، إن كانت من أهل الشهور، "فأمسكوهن"، يقول: فراجعوهن إن أردتم رجعتهن في الطلقة التي فيها رجعة ... وأما قوله: "بمعروف"، فإنه عنى: بما أذن به من الرجعة، من الإشهاد على الرجعة قبل انقضاء العدة "أو سرحوهن

بمعروف"، يقول: أو خلوهن يقضين تمام عدتهن وينقضي بقية أجلهن الذي أجلته لهن لعدتهن، بمعروف. يقول: بإيفائهن تمام حقوقهن عليكم، على ما ألزمتكم لهن من مهر ومنتعة ونفقة وغير ذلك من حقوقهن قبلكم، "ولا تمسكوهن ضاراً لتعتدوا": يقول: ولا تراجعوهن، إن راجعتوهن في عددهن، مضارة لهن، لتطولوا عليهن مدة انقضاء عدتهن، أو لتأخذوا منهن بعض ما آتيتوهن بطلبهن الخلع منكم، لمضارتكم إياهن، بإمساككم إياهن، ومراجعتكموهن ضاراً واعتداء. وقوله: "لتعتدوا"، يقول: لتظلموهن بمجاوزتكم في أمرهن حدودي التي بينتها لكم.^(١)

والتشريع المتضمن في الآية يحمله الجزء الأول منها كما هو واضح: "وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا".

ومن العجيب أن الآية أتبعته بخمسة وصايا: "وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ"
أ- "وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا".

ب- "وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ".

ج- "وَاتَّقُوا اللَّهَ".

"وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ".

وتلك الوصايا الخمسة لم تخرج في مجملها عن الترهيب والتحذير والموعظة والتذكير، وجميعها تفرض في النفس رقابة شخصية وخوفا من مجاوزة الحد، فتنشئ التزاما من المؤمن بهذا الوحي لا يحتاج فيه إلى رقابة قضائية وقانونية.

ويلاحظ أيضا أن الإلزام في التشريع الإسلامي - خلافا للقوانين البشرية - غير ناشئ عن الخوف من العقاب فقط.

(١) تفسير الطبري - (ج ٥ / ص ٧-٨)

الإلزام والعقاب:

تقدم أن الجزاءات الجنائية في القوانين الوضعية هي العقوبات وتدابير الأمن، والأولى يتم إنزالها كعقوبات على الجرائم، والثانية كحرز ووقاية من وقوعها. وفكرة العقاب (الأخروي) على مجاوزة التشريعات الإسلامية (حدود الله) قائمة أيضا في نصوص القرآن والسنة كما هو بين وواضح، ولكن تجدر الإشارة إلى أن الجزاء في التشريع الإسلامي يُصَفُّ الجزاء الحسن على التزام التشريعات إلى جانب العقاب على مخالفتها، وهو ما لا يوجد في القوانين الوضعية، وأحيانا قد يكون سبب الإلزام ترغيبا فقط كما في قوله سبحانه وتعالى: "وَلْيَعْظُوا وَيُضْفَحُوا أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" سورة النور الآية ٢٢. فقد شرعت الآية العفو وجعلت الحامل على فعله رغبة في جزاء لا خوفا من عقاب وهو أن يغفر الله للعبد كما يغفر لمن ظلمه ووقع في عرضه: "أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ" وهو "تمثيل وحجة؛ أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم، وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام: (من لا يرحم لا يرحم)"^(١).

وأكثر من ذلك، فإن الإلزام قد يتجاوز أحيانا الجزاء والعقاب إلى أمور أخرى منها:

- الإقناع بفائدة الالتزام للإنسان نفسه كفرد: "قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْظُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"^(٢). فقوله سبحانه وتعالى: "ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ" فيه تنبيه على فائدة الالتزام للشخص نفسه؛ بمعنى أنه "أطهر من دنس الريبة أو أنفع من حيث الدين والدنيا فإن النظر بريد الزنا وفيه من المضار الدينية أو الدنيوية ما لا يخفى"^(٣).
- الإقناع بفائدة الالتزام لعموم الناس: "مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُظْهِرَكُمْ وَلِيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" سورة المائدة الآية ٦،

(١) تفسير القرطبي - (ج ١٢ / ص ٢٠٨)

(٢) سورة النور الآية ٣٠

(٣) تفسير الألوسي - (ج ١٣ / ص ٤٠٣)

" وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّضَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨) " سورة النساء الآيات ٢٧-٢٨.

- التنبيه على مآلات الفعل الفاسد ووصية المنهي عنه بتقدير عواقبه وافترض وصول مثل ضرره إليه أو إلى ذريته، وهذا من روائع أسباب الإلزام في كتاب الله، ومثاله قوله سبحانه وتعالى: " وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا " سورة النساء الآية ٩.

روى ابن جرير بسنده عن قتادة في تفسيرها قال: " يقول: من حضر ميتاً فليأمره بالعدل والإحسان، ولينهه عن الحيف والجور في وصيته، وليخش على عياله ما كان خائفاً على عياله لو نزل به الموت " (١).

" وقال الكلبي: هذا الخطاب لولاية اليتامى يقول: من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليأت إليه في حقه ما يجب أن يفعل بذريته من بعده " (٢).

وفي تفسير القرطبي: " هذا وعظ للأوصياء، أي افعلوا باليتامى ما تحبون أن يفعل بأولادكم من بعدكم، قاله ابن عباس. ولهذا قال الله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) " (٣).

تهويل الجرم والتنبيه على عظمته وخطره، ومثال ذلك قوله تعالى: " مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا... " (٤).

فتهويلاً لجرمة القتل وبياناً لبشاعتها جعلت الآية من قتل نفساً واحدة بغير سبب موجب للقتل في حكم من قتل الناس جميعاً، ونفس هذا الوصف يحمل تعظيماً وترهيباً من هذا الجرم مهما كان تفسير ذلك. قال ابن عاشور: " على أن فيه معنى نفسانياً جليلاً ، وهو أن

(١) تفسير الطبري - (ج ٧ / ص ٢٠)

(٢) تفسير البغوي - (ج ٢ / ص ١٧١)

(٣) الجامع لأحكام القرآن - (ج ٥ / ص ٥١)

(٤) سورة المائدة الآية ٣٢.

الداعي الذي يقدم بالقاتل على القتل يرجع إلى ترجيح إرضاء الداعي النفساني النَّاشيء عن الغضب وحبّ الانتقام على دواعي احترام الحقّ وزجر النَّفس والنظر في عواقب الفعل من نُظم العالم ، فالَّذي كان من حيلته ترجيحُ ذلك الدّاعي الطّيفي على جملة هذه المعاني الشّريفة فذلك ذو نفس يوشك أن تدعوه دَوْماً إلى هضم الحقوق ، فكلّمّا سنحت له الفرصة قتل ، ولو دعتّه أن يقتل النَّاس جميعاً لفعل"^(١).

ويضاف إلى أسباب الالتزام شيء آخر ينفرد به التشريع الإسلامي وهو حصول العلم به والتذكير المستمر بأحكامه وبأسباب الإلزام به لعموم الناس خلافا للقوانين البشرية.

التشريع الإسلامي وانتشار المعرفة الواسعة بأحكامه :

لا يعرف قانون من القوانين البشرية يفترض تعلمه على نطاق واسع كقانون المرور لمن يريد أن يحصل على رخصة لقيادة سيارة ونحوها، ومع ذلك فقد وجدنا من تعلمه تعليماً كاملاً في فترة الامتحان سرعان ما ينسى كثيراً من تفاصيله، وكم من الناس يلقيه بعد الاختبار وراءه ظهرياً لا يستذكر منه شيئاً إلى قيام الساعة. وأما سائر القوانين الأخرى فإن المختصين فيها والمتعاملين معها تعاملت كالمستمر كالقضاة والمحامين يحتاجون إلى مراجعة موادها وتفصيلها مراجعة دائمة ومستمرة، وأما عموم الناس فبضاعتهم منها مزجاة، ولعل كثيراً من الناس لا يعلم عنها شيئاً، مع أن استحضارها شيء أساسي في التزامها والعمل بها.

وأما التشريع الإسلامي فإنه ينفرد بخاصة الارتباط بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولذلك يسمعه العالم والأمي والمختص والعامي، يسمعونه يتلى في محارِب الصلاة كل يوم وعلى المنابر بل وفي التلاوات الفردية وفي أحاديث الناس، وشخصياً تعاملت مع رجال ونساء لا يقرؤون حرفاً ولا يحسنون كتابة أسمائهم ومع ذلك كانوا يعرفون تفاصيل كثير من الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية أو الميراث -مثلاً- مما يحتاج إلى مراجعة مثله المختصون في القانون في التشريعات الأخرى.

وهذا التعليم والتذكير الدائم والمستمر المقترن بأسباب الالتزام الإيمانية المذكورة سابقاً

(١) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير - (ج ٤ / ص ١٨٤).

ينتج شحنا وشحذا متجددا لعزيمة الملتزم وفرضا متوصلا للرقابة الذاتية النابعة من عمق القلب، وهو ما لا يتهيا لأي تشريع من التشريعات الأخرى.

الحاجز الأدبي الاجتماعي:

تقدم أن أول سبب من أسباب الإلزام في التشريع الإسلامي هو الخوف من الله (الحاجز الإيماني)، ومن تجاوز هذا الحاجز فإنه يواجه حاجزا آخر وهو الحاجز الأدبي والاجتماعي، وقد وقعت الإشارة إليه في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الحلال والحرام المذكور سابقا: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه". أي طلب سلامة دينه من الوقوع في الحرام وسلامة عرضه من أن يتحدث الناس فيه بسوء ويسمونه بالمعصية والجرأة على حدود الله.

وهذه الإشارة على صغرها واختصارها وقلة ألفاظها تحمل تبيينها على مسألة مهمة، وهي أن المخالف للتشريعات الإسلامية يحس بأنه منبوذ بين المؤمنين مما يجعله يقيم حسابا لعواقب فعله على المستوى الأدبي والاجتماعي حتى ولو كان لا يملك من التقوى والورع ما يجعله يلتزم هذه الأحكام، فهو يلتزمها خوفا من هذا الجزء الاجتماعي إذا لم يلتزمها خوفا من الجزء الأخرى.

ولعل الأمر قد يبدو من جهة ما غريبا، إذ أنه قد اشتهر عند الناس أن الدين مبني على إخلاص العمل لله، وإذا التزم الإنسان شيئا خوفا من الناس فقد جاء بتدين فاسد غير مقبول؟

غير أن المقام هنا ليس مقام تدين ولكنه مقام حفاظ على النظام العام، وهذا الذي يُشكل على كثير من الناس؛ فإن تشريعات الإسلام بالنظر إلى كونها علاقة بين العبد وربّه هي تدين، وبالنظر إلى الإلزام الاجتماعي والعقابي أيضا هي أحكام قانونية متعلقة بالنظام العام. ولنضرب لذلك مثلا؛ فالزنا محرم، وتاركه يريد بتركه رضوان الله مأجور عند الله، وأما تاركه خوفا من الحد -ولو افترضنا كونه كافرا-، يكون قد تحقق للمجتمع المصلحة من تركه للفاحشة وإن لم يلتزم ذلك تدينا.

وبناء على هذا يظهر الخطأ والمغالطة المتكررة الصادرة عن فريقين متضادين من الناس:
الفريق الأول يريد أن يحشر الدين فيما يشبه الطقوس المسيحية الرهبانية
التي لا علاقة لها بالدينيا.

والفريق الثاني يختصر تطبيق الشريعة الإسلامية في مجموعة الأحكام
الجزائية (الحدود والتعازير).

- وهذا الجزء الأدبي والاجتماعي قد يكون تلقائيا كالمشار إليه في الحديث وهو وقوع الناس في عرض المواقع للشبهات أو المحرمات.
- وقد يكون ناشئا عن سبب ديني وعلى هذا يحمل تغيير المنكر بالقلب الذي جاء في الحديث المشهور: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيـان"^(١).
- وقد يكون عقوبة صادرة بأمر من ولي الأمر تأديبا، كالذي حدث لكعب بن مالك رضي الله عنه لما تخلف عن غزوة العسرة، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بهجره، حتى اعتزلته زوجته، وأقام مدة من الدهر لا يكلمه أحد، ثم أنزل الله سبحانه وتعالى توبته.^(٢)

وإننا نلاحظ بعدا اجتماعيا آخر لا يوجد إلا في التشريع الإسلامي، وهو الاستعاضة عن التحكيم القضائي السلطوي بتحكيم اجتماعي أقرب إلى الإصلاح والإحاطة بحقائق الأشياء وأقدر على معرفة خبايا العلاقات الأسرية في حالة تنازع الزوجين ووقوع الشقاق بينهما، قال تعالى: "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا"^(٣).

(١) أخرجه مسلم في المقدمة باب بيان كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ (ج ١ / ص ١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ { وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ حُلِفُوا } - (ج ١٣ / ص ٣٢٨)

(٣) سورة النساء الآية ٣٥

ومعنى الآية: "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا" يعني مشاققة كل واحد منهما من صاحبه، وهو إتيان ما يشق عليه من أمور أما من المرأة فنشوزها عنه وترك ما لزمها من حقه، وأما من الزوج فعدوله عن إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، والشقاق مصدر من قول القائل شاق فلان فلاناً إذا أتى كل واحد منهما إلى صاحبه بما يشق عليه، وقيل لأنه قد صار في شق بالعداوة والمباعدة. { فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا }^(١).

والحكمان هنا بصورة استثنائية ليسا قاضيين ولا وكيلي ولي الأمر، ولكن قرابتهما وقدرتهما على الاطلاع على ما لا يطلع عليه القاضي تحولهما الإصابتة في الحكم فأعطيا صلاحية إمضائه قال ابن العربي: "قوله تعالى: { حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا } : هَذَا نَصٌّ مِّنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَنَّهُمَا قَاضِيَانِ لَا وَكِيْلَانِ ، وَلِلْوَكِيْلِ اسْمٌ فِي الشَّرِيْعَةِ وَمَعْنَى ، وَلِلْحَكَمِ اسْمٌ فِي الشَّرِيْعَةِ وَمَعْنَى"^(٢).

" وتفرقتها جائز على الزوجين، وسواء وافق حكم قاضي البلد أو خالفه، وكلهما الزوجان بذلك أو لم يوكلاهما. والفراق في ذلك طلاق بائن"^(٣).

قال القرطبي: "فإن لم يوجد من أهلها من يصلح لذلك فيرسل من غيرهما عدلين عالمين، وذلك إذا أشكل أمرهما ولم يدر ممن الإساءة منهما.

فأما إن عرف الظالم فإنه يؤخذ له الحق من صاحبه ويجبر على إزالة الضرر.

ويقال: أن الحكم من أهل الزوج يخلو به ويقول له: أخبرني بما في نفسك أتهواها أم لا حتى أعلم مرادك؟ فإن قال: لا حاجة لي فيها خذ لي منها ما استطعت وفرق بيني وبينها، فيعرف أن من قبله النشوز.

وإن قال: إني أهواها فأرضها من مالي بما شئت ولا تفرق بيني وبينها، فيعلم أنه ليس بناشز، ويخلو الحكم من جهتها بالمرأة ويقول لها: أتهوي زوجك أم لا؟ فإن قالت: فرق بيني وبينه وأعطه من مالي ما أراد، فيعلم أن النشوز من قبلها.

(١) الماوردي، النكت والعيون - (ج ١ / ص ٢٩٦)

(٢) أحكام القرآن لابن العربي - (ج ٢ / ص ٣٤٧)

(٣) تفسير القرطبي - (ج ٥ / ص ١٧٦)

وإن قالت: لا تفرق بيننا ولكن حثه على أن يزيد في نفقتي ويحسن إلي، علم أن النشوز ليس من قبلها.

فإذا ظهر لهما الذي كان النشوز من قبله يقبلان عليه بالعظة والزجر والنهي، فذلك قوله تعالى: (فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها)^(١).

وخاصة تحكيم الصالحين والفقهاء وأهل الإصلاح من الأقارب لها بعد اجتماعي انفرده التشريع الإسلامي بما يتميز به من البعد الديني الروحي ومن المرونة والقدرة على الإصلاح.

الحاجز العقابي القانوني:

وإذا تجاوز الإنسان الحاجز الإيماني ثم الحاجز الأدبي فعند ذلك يواجه الحاجز الأخير وهو حاجز الخوف من العقاب الدنيوي العاجل، وهو ما عبر عنه الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بقوله: "إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

وهذا الحاجز العقابي هو فقط ما يملكه القانون الوضعي البشري من إلزام، مما يجعله متخلفاً بصورة كبيرة عن التشريع الإسلامي، وذلك أن العقوبات المادية لا تكفي وحدها في الإلزام بالتشريعات والأحكام. وللتدليل على ذلك أخذنا واقع الجرائم في أقوى دولة من الناحية التكنولوجية والمادية والتي صارت رمزا للتطور في هذا العصر، أعني الولايات المتحدة الأمريكية.

جاء في موقع

"Crime in America"

" In America, the crime clock continues to click: one murder every 22 minutes, one rape every 5 minutes, one robbery every 49 seconds, and one burglary every 10 seconds. Americans are scared, and they are angry. The increase in violent crimes has made average citizens afraid to walk the streets in front of their homes. And this fear has fueled a public cry to end the killing fields in America.

(١) المصدر نفسه - (ج ٥ / ص ١٧٥-١٧٦)

In recent months, even apathetic Americans have been shaken from their false sense of security as they have seen criminals invade nearly every sanctuary where they felt they were safe: their cars James Jordan; their public transit the Long Island Rail Road murders; and even their bedrooms the abduction of Polly Klaas.

Crime victims often find themselves ignored by law enforcement, and confused by the court system. Approximately thirteen million people in the United States are victims of crime every year. Approximately one and a half million are victims of violent crime.

Since 1960, we have seen our crime rate in America increase over 300%. Our police departments continue to arrest the crazies and our courts continue to release them. Many of these criminals are home grown terrorist. Many are illegal immigrants. From 1989 through 2002 our great nation witnessed a shameful 159,000,000 crimes on our citizens and many are not counted because they go unreported.

" في أمريكا، ما زالت ساعة الجرائم في دوران: جريمة قتل كل ٢٢ دقيقة، اعتداء كل ٥ دقائق، سرقة كل ٤٩ ثانية، وكسر وتسلسل للبيوت كل ١٠ ثواني.

الأمريكيون خائفون، وقد أصبحوا غاضبين. لقد جعل الارتفاع في جرائم العنف نصف المواطنين يشعرون بالخوف من السير في الطرقات أمام بيوتهم، ولقد غدى هذا الخوف النداء لإنهاء مجال القتل في أمريكا.

في الأشهر الأخيرة، بعض الأمريكيين الغافلين تعرضوا لهزة عنيفة في شعورهم الخادع بالأمن حين رأوا مجرمين يكتسحون أمامهم كل مكان آمن حيث كانوا يحسون بأنهم سالمون: سياراتهم من نوع "جيمس جوردان"، وحتى في غرف نومهم.

ضحايا الجرائم يجدون أنفسهم متجاهلين من طرف منفعدي الأحكام، وتائهين في نظام المحاكم. نحو من ثلاثة عشر مليون شخص في الولايات المتحدة يتعرضون لجرائم كل سنة، ونحو من مليون ونصف تقريبا هم عرضة لجرائم عنيفة.

منذ سنة ١٩٦٠ رأينا معدل الإجرام في أمريكا يتضاعف أكثر من ٣٠٠٪، وما زالت أقسام الشرطة تقوم باعتقال المجانين وتقوم المحاكم بإطلاق سراحهم. عدد كبير من هؤلاء

المجرمين إرهابيون نشؤوا داخل البلد، وعدد كبير هم مهاجرون غير شرعيين. في الفترة ما بين ١٩٨٩ إلى ٢٠٠٢ شهدت أمتنا العظيمة العدد المخجل المتمثل في ٠٠٠, ٠٠٠, ١٥٩ جريمة ضد مواطنينا والعديد من الجرائم غير معدودة ضمنها لأنه لم يتم التبليغ عنه".

إن كاتب أو كتاب هذا النص يسجلون عجز النظام القانوني العقابي عن محاربة الإجرام ويدعون إلى تشديد الأحكام وتفعيل النظام القضائي. ولكننا نقول أن النظام العقابي لا يمكن أن يردع إلا فئة قليلة شاذة في المجتمع ولذلك وجدنا التشريعات العقابية في الإسلام، بل النص على تحريم بعض الجرائم لم يأت إلا في أواخر عهد النبوة بعد نشوء دولة الإسلام وتجزئه في قلوب الناس وأعمالهم.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: " إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ [من القرآن] سُورَةٌ مِنَ الْمَفْصَلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدْعُ الزِّنَا أَبَدًا" (١).

فهذا الأثر فيه تنبيه على أن النهي عن بعض الفواحش لم يأت مباشرة بعد الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما تأخر إلى أن استعد الناس لتلقي الأحكام الشرعية بالقبول بعد أن تجذر الإيمان في قلوبهم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لو أمر بتركها في أول الإسلام لقالوا لا ندعها أبدا.

وعامة آيات الحدود والعقوبات جاءت في السور المدنية وذلك يؤكد ما ذكر سابقا من أن مبنى التزام الأحكام الشرعية في الإسلام قائم على التقوى والورع، وإن كان لا يقف عند هذا الحد، ولكن يرد إلى الحق بالسلطان من لم يرتد إليه بالقرآن.

كما تجدر الإشارة إلى أن الحدود والعقوبات في الإسلام هي تتويج لجملة من الإجراءات الاحترازية الأخرى.

(١) صحيح البخاري، باب تأليف القرآن - (ج ١٥ / ص ٣٩٤)

النظام العقابي في الإسلام والإجراءات الاحترافية

كما تقدم، فعلاج الإسلام للإجرام لا يعتمد على العقوبة الحدية فقط، ولكنها جزء من منظومة كبرى، وفي الغالب يهيم الإسلام للإنسان أسباب اجتناب الجرائم، ويوفر له بدائل، فإذا وقع في الجريمة أنزلت به العقوبة ردعاً له ولغيره، وإذا لم تتوفر هذه البدائل لم ينفذ الحد. ولذلك جاء الأمر بدفع الحدود بالشبهات. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ادْفَعُوا الْحُدُودَ مَا وَجَدْتُمْ لَهُ مَدْفَعًا" (١).

ولنضرب مثلاً بجريمة الزنا، فإن الإسلام حين حرمها حرم مقدماتها، فجاء في سورة الإسراء: "وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" (٢). والنهي عن قربان الزنا يعني النهي عن مقدماته، وقد سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم المقدمة باسم النتيجة كما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيحُهُ مِنَ الزَّانَا مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانُ زَنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانُ زَنَاهُمَا الْاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ وَالرَّجُلُ زَنَاهَا الْخَطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيَكْذِبُهُ" (٣).

ومعلوم أن من نظر إلى امرأة لا تحل له بشهوة أو استمع إلى ما لا يحل فإن الحد لا يطبق عليه، ولكن تسمية المقدمة باسم النتيجة فيها تحذير مما يوصل إليها ويجعل اجتناب الجريمة أسهل.

ويصاحب هذا النهي منظومة كاملة من كواتم المثيرات من الأمر بضرب الخمار على

(١) سنن ابن ماجه، باب السُّرِّ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَدَفْعِ الْحُدُودِ بِالشُّبُهَاتِ - (ج ٧ / ص ٤٣٩)

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٢.

(٣) صحيح مسلم باب قُدِّرَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزَّانَا وَغَيْرِهِ - (ج ١٣ / ص ١٢٥)

الجيب ، وعدم إبداء الزينة ، وترك الخضوع بالقول ، والضرب بالأرجل ، وتحريم التبرج ، والتعطر ، والخلوة بالأجنبية ، والترغيب في الزواج ... فإذا اجتمعت هذه الأسباب كلها يكون الطالب للمعصية منحرفا مريض النفس لا يصلحه وأمثاله إلا العقاب .
والعقاب في الإسلام ذو بعدين : بعد تأديبي للجاني وبعد ردعي لغيره .

بعدا العقاب في التشريع الإسلامي:

يتجلى البعد التأديبي للعقاب في التشريع الإسلامي في أنه يشهر بالجاني وبجريمته، فقد جاء في حد الزنا: "وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ" (١). وقصد التشهير هنا جلي، وهو أيضا واقع في حد السرقة لأن اليد المقطوعة وصمة عار ملازمة لصاحبها وذلك كفيل بكنم المرغبات في الجريمة في نفسه وتقديره لعواقب فعله.

وأما البعد الردعي فهو تحذير غيره من مثل عقوبته، بل ونفس الحيلولة بينه وبين نقل عدوى الجريمة لغيره، وقد جاءت في القرآن الكريم إشارة طريفة لمثل هذا المعنى في قوله سبحانه وتعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (٢).

وذلك أن القصاص في النفس قتل، ولكن الآية جعلته سببا للحياة لأنه وإن أدى إلى إزهاق نفس ظاهرا فإن تركه سيؤدي إلى إزهاق أنفس كثيرة.

(١) سورة النور الآية ٢.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٩.

الخلاصة

نخلص من هذا البحث إلى النتائج الآتية :

١. إن انتشار العدوان على الأنفس والأموال والأعراض وانتشار ترويع الأمنين من بسطاء الناس، ينطق بعجز الأنظمة القانونية عن الحد من الإجرام الذي أصبح ظاهرة متنامية يوماً بعد يوم.
٢. يزعم القانونيون أن إلزام القواعد القانونية هو الخصيصة التي تميزها عن قواعد الأخلاق والدين، وتبرز خاصة الإلزام في الجزاء الذي يوقع على من يخالف تلك القاعدة القانونية، والمقصود بالجزاء رد الفعل أو العقاب أو الإجبار على الالتزام والاحترام عن طريق استعمال القوة العامة المتمثلة في وظيفة السلطة العامة للدولة فيقوم بالتنفيذ رجال الدرك والشرطة عند اللزوم.
٣. دل حديث الحلال والحرام على أن للإلزام في التشريع الإسلامي أبعاداً ثلاثة: أولها: البعد الديني ممثلاً في التقوى والخوف من واقعة الحرمات، وإليه الإشارة بـ"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب". والثاني: البعد الاجتماعي: وإليه الإشارة ببراءة العرض -أي السمعة- في قوله صلى الله عليه وسلم: "استبرأ لدينه وعرضه". والثالث: البعد العقابي ممثلاً في الحدود والتعازير المنصوص عليها بالبيان والتفصيل أو على وجه العموم والإطلاق.
٤. البعد الإيادي يجعل ملايين من الناس في شتى أنحاء العالم يتورعون عن الجرائم حتى وهم لا يخافون العقوبة القانونية عليها لأنها غير مجرمة في قوانين بعض الدول، بل في ثقافات بعضها الترغيب فيها والحث عليها.
٥. بعض القوانين والتشريعات التي لا يمكن أن تفرض في غير التشريع الإسلامي لأن الرقابة المدنية عليها غير ممكنة.

٦. الجزء في التشريع الإسلامي يَصِفُ الجزء الحسن على التزام التشريعات إلى جانب العقاب على مخالفتها، وهو ما لا يوجد في القوانين الوضعية، وأحيانا قد يكون سبب الإلزام ترغيبا فقط، قد يتجاوز أحيانا الجزء والعقاب إلى أمور أخرى منها: الإقناع بفائدة الالتزام للإنسان كفرد وللجماعة والتنبية على مآلات الفعل وعلى عظمة الجرم.
٧. ينفرد التشريع الإسلامي بخاصة الارتباط بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولذلك يعرفه العالم والأمي والمختص والعامي، ويسمونه يُتلى في محارب الصلاة كل يوم وعلى المنابر بل وفي التلاوات الفردية وفي أحاديث الناس.
٨. من تجاوز الحاجز الإيماني فإنه يواجه حاجزا آخر وهو الحاجز الأدبي والاجتماعي، وقد وقعت الإشارة إليه في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الحلال والحرام المذكور سابقا: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه". إذ أن المخالف للتشريعات الإسلامية يحس بأنه منبوذ بين المؤمنين مما يجعله يقيم حسابا لعواقب فعله على المستوى الأدبي والاجتماعي حتى ولو كان لا يملك من التقوى والورع ما يجعله يلتزم هذه الأحكام، فهو يلتزمها خوفا من هذا الجزء الاجتماعي إذا لم يلتزمها خوفا من الجزء الأخروي.
٩. تشريعات الإسلام بالنظر إلى كونها علاقة بين العبد وربّه هي تدين، وبالنظر إلى الإلزام الاجتماعي والعقابي أيضا هي أحكام قانونية متعلقة بالنظام العام.
١٠. هذا الجزء الأدبي والاجتماعي قد يكون تلقائيا كالمشار إليه في حديث الحلال والحرام وهو وقوع الناس في عرض المواقع للشبهات أو المحرمات. وقد يكون ناشئا عن سبب ديني وعلى هذا يحمل تغيير المنكر بالقلب الذي جاء في الحديث المشهور: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيذان"، وقد يكون عقوبة صادرة بأمر من ولي الأمر تأديبا، كالذي حدث لكعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنه لما تخلف عن غزوة العسرة.
١١. هناك بعد اجتماعي آخر لا يوجد إلا في التشريع الإسلامي، وهو الاستعاضة عن التحكيم القضائي السلطوي بتحكيم اجتماعي أقرب إلى الإصلاح والإحاطة

بحقائق الأشياء وأقدر على معرفة خبايا العلاقات الأسرية في حالة تنازع الزوجين ووقوع الشقاق بينهما.

١٢. إذا تجاوز الإنسان الحاجز الإيماني ثم الحاجز الأدبي فعند ذلك يواجه الحاجز الأخير وهو حاجز الخوف من العقاب الدنيوي العاجل وهو فقط ما يوجد في القوانين البشرية، مما يجعل التشريع الإسلامي متفوقاً في هذا المجال بما لا وجه فيه للمقارنة.

١٣. النص على تحريم بعض الجرائم لم يأت إلا في أواخر عهد النبوة بعد نشوء دولة الإسلام وتجزره في قلوب الناس وأعمالهم وعامة آيات الحدود والعقوبات جاءت في السور المدنية.

١٤. مبنى التزام الأحكام الشرعية في الإسلام قائم على التقوى والورع، وإن كان لا يقف عند هذا الحد، ولكن يرد إلى الحق بالسلطان من لم يرتد إليه بالقرآن.

١٥. الحدود والعقوبات في الإسلام هي تتويج لجملة من الإجراءات الاحترازية الأخرى، وعلاج الإسلام للإجرام لا يعتمد على العقوبة الحدية فقط، ولكنها جزء من منظومة كبرى

١٦. للعقاب في التشريع الإسلامي بعدين: بعد تأديبي للجاني وبعد ردعي لغيره.

تم البحث ولله الحمد والمنة



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

إعجاز القرآن الكريم في الإخبار عن الغيبات

أ.د. محمد أمحزون

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مكناس- المغرب



مقدمة

إن الكتاب العزيز حجة الله تعالى على عباده منذ أول لحظة من نزوله. ولئن كان إعجاز القرآن ظاهراً في فصاحته و بلاغته و أسلوبه ونظمه، وقد أذعن العرب لتحديه و سلموا له بذلك رغم أنهم كانوا أفصح الأمم و أقدرها على البيان، فهو ما يزال معجزاً للعرب و غيرهم من الأمم، بل معجزاً للإنس و الجن: { قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً } (الإسراء: ٨٨).

وكيف لا يكون أمر القرآن الكريم كذلك، وهو كلام الله عز وجل العليم الحكيم الخبير المحيط بكل شيء: { ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله، إن الله عزيز حكيم } (لقمان: ٢٧).

و لذلك كان عطاء القرآن الكريم متجدداً و مستمراً باستمرار البشرية على سطح هذا الكوكب، فاستعمل سبحانه و تعالى حرف السين (سنوريم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم) (فصلت: ٥٣)، لبيان استمرارية العطاء و تجده و مواكبته لكل تطور بشري. و لهذا وصف القرآن المجيد في حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه: « ... و لا تنقضي عجائبه و لا يخلق عن كثرة الرد ».^(١)

(١) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، ج ٢، ص ٤٣١. حديث ضعيف ولكن معناه صحيح .

الحرب بين الفرس والروم

كان نظام العالم في نهاية العصر القديم يقوم بصفة عامة على توازن قوتين عظيمتين هما: الإمبراطورية الرومانية التي كانت تضم كل حوض البحر الأبيض المتوسط من جهة، و الإمبراطورية الفارسية التي كانت تمتد من نهر الفرات حتى حدود الهند من جهة أخرى. وكانت علاقة كل قوة بالأخرى بصفة عامة عدائية بسبب المناطق المتنازع عليها على تخوم الدولتين. ولهذا كانت العلاقات بينهما في الغالب علاقات نزاع و صدام و تداول.^(١)

وكانت كفة الفرس هي الراجحة منذ عهد «جستينيان» إمبراطور بيزنطة. وكانت الدولة الفارسية وقتئذ في حالة انتعاش، فوجدت الفرصة مواتية للتوسع على حساب الدولة البيزنطية التي كانت في حالة تدهور و انحلال من كافة الوجوه و النواحي.^(٢)

إدالة الفرس على الروم

في سنة ٦١١ م بدأ هجوم الفرس على الشام، حيث هزموا جيشاً بيزنطياً بالقرب من أنطاكية سنة ٦١٣ م.^(٣) ونتيجة لهذا الانتصار اندفع الفرس في كل اتجاه، فبعد الاستيلاء على أنطاكية تقدموا جنوباً فاستولوا على دمشق، و توغلوا شمالاً في إقليم قليقية، و استولوا على طرسوس، و نجحوا في طرد البيزنطيين من أرمينية^(٤). و بعد دمشق دخل الفرس إلى فلسطين فاستولوا على مدينة بيت المقدس بعد حصار دام ثلاثة أسابيع في سنة ٦١٤ م. و ظلت بيت المقدس لعدة أيام مسرحة لسفك الدماء و الحرائق و السلب و النهب، فسلبت كنوز الكنائس، و أصاب التدمير كنيسة القيامة التي شيدها قسطنطين العظيم^(٥). و زاد الفرس من إذلال البيزنطيين، إذ حملوا الصليب المقدس أعظم أثر عند المسيحيين إلى بلاد فارس.^(٦)

- (١) وسام فرج: دراسات في تاريخ و حضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٧.
- (٢) جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٠١.
- (٣) وسام فرج: دراسات في تاريخ و حضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٠١.
- (٤) جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٠٢.
- (٥) وسام فرج: دراسات في تاريخ و حضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٥٠.
- (٦) جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٠٢.

وكانت هذه الانتصارات حافزا للفرس على التوغل داخل حدود الدولة البيزنطية، حتى وصلت جيوشهم سنة ٦١٥م إلى شواطئ البوسفور، وعسكروا عند كريبوبوليس المواجهة للقسطنطينية. ومن هذا المركز الحيوي بالنسبة لبيزنطة أملى كسرى شروطه على هرقل^(١).

وزادت الكوارث التي أصابت بيزنطة، حيث بدأ الفرس سنة ٦١٦م غزو مصر، أغنى ولايات الإمبراطورية، ومصدر إمداد العاصمة بالقمح. وهكذا أصبح الفرس يسيطرون على كل الشرق الأدنى^(٢). وأمام هذه الأخطار الخارجية، وبسبب ظروف الإمبراطورية الداخلية، وجد الإمبراطور البيزنطي «هرقل» (٦١٠-٦٤١م) نفسه مضطرا إلى خوض صراع مرير وطويل ضد الفرس بعد أن يئس من قبولهم لطلب الصلح الذي تقدم به إليهم لتهدئة الأوضاع. إذ كان الرد الوحيد الذي يلقيه من كسرى الثاني أبارويز (ت ٦٢٨م) هو: «لن أدعك حتى تبذ وتبرأ من هذا المصلوب الذي تقول أنه الله، وحتى تحر ساجدا أمام الشمس»^(٣). أمام هذا الموقف، وقفت الكنيسة البيزنطية إلى جانب الإمبراطور، وقدمت كنوزها و نفائسها سلفة إلى الدولة لمواجهة نفقات الحرب. وكان لهذه الإجراءات أثرها في إنقاذ خزانة الدولة وإعداد الجيوش والأساطيل لقتال العدو^(٤).

إدالة الروم على الفرس

وفي خريف سنة ٦٢٧م بدأ هرقل هجومه الكبير والحاسم جنوبا في اتجاه قلب الإمبراطورية الفارسية. ومع بداية كانون الأول (دجنبر) كان هرقل قد وصل أمام نينوى. وهناك دارت المعركة الفاصلة الهامة بين القوتين الكبيرتين، وحسمت نتيجتها لصالح الروم البيزنطيين. وفي هذه المعركة قضى هرقل على الجيش الفارسي وألحق به أعنف هزيمة، وحقق لبيزنطة أعظم انتصاراً. ففي مطلع سنة ٦٢٨م استولى على دستاجرد، وكانت المكان المفضل لإقامة الملك الفارسي، واضطر كسرى للتراجع إلى عاصمته المدائن^(٥).

(١) إسمنت غنيم: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٩.

(٢) وسام فرج: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٥٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥١.

(٤) جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٠٤-١٠٥.

(٥) وسام فرج: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٥٥.

وبعد ربيع سنة ٦٢٨م وقعت أحداث هامة داخل مملكة الفرس وضعت نهاية للقتال الدائر، إذ قامت ضد كسرى ثورة داخلية وقبض عليه وقتل، فقام ابنه «كافاد شيرويه» الذي خلفه بعرض الصلح على هرقل.^(١)

ونتيجة لانتصارات الروم و الانهيار الكامل للفرس، استطاع هرقل استرجاع كل الأقاليم التي استولى عليها الفرس وهي: أرمينية، و الجزيرة، و الشام، و فلسطين، و مصر. وبمجرد هزيمة الفرس أرسل هرقل إعلانا بالنصر إلى القسطنطينية وصف فيه نجاحه ضد الفرس، وأعلن نهاية الحرب.^(٢)

وبعد أن خرج الفرس من كل الأقاليم التي استولوا عليها، ذهب «هرقل» في ربيع سنة ٦٣٠م إلى بيت المقدس ودخلها.^(٣)

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحرب الدائرة بين الفرس و الروم معلنا أن النصر سيكون حليفا للروم في النهاية بعد هزيمتهم من قبل الفرس. قال تعالى: {ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء، وهو العزيز الرحيم}{[الروم: ١-٥]}.

ووجه الإعجاز هنا أنه لم يتوقع أحد أن يكون النصر حليفا للروم؛ فقد كانت فارس حينئذ قاهرة لهم، حيث بلغت دولة الروم من الضعف حدا يكفي من دلائله أنها غزيت في عقر دارها وهزمت في بلادها وفي أحب البقاع إليها: بيت المقدس، في المنطقة المحيطة بالبحر الميت، وعبر القرآن عن ذلك بقوله: {في أدنى الأرض}{[الروم: ٣]}.

ولما نزلت هذه الآيات، كذب المشركون بهذا الوعد الإلهي بنصر الروم في بضع سنين، وتراهنوا مع المسلمين على تكذيبه؛ إذ لم يكن أحد منهم يظن أن تقوم للروم قائمة بعد الغزو الذي حصل لها في عقر دارها من قبل الفرس. ولكن الله تعالى القادر المطلع على الغيب لا يخلف وعده، فتحقق النصر للروم على الفرس بعد بضع سنوات من تلك الحادثة، بل وتحققت النبوءة القرآنية بتحقق نصرين في وقت واحد: نصر الروم على الفرس، ونصر المؤمنين على المشركين يوم بدر طبقا لما جاء في قوله تعالى: {وهم من بعد غلبهم سيغلبون في

(١) المرجع السابق، ص ١٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٦.

بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله {الروم: ٣-٤}.^(١) وهذا يستحيل أن يتنبأ به بشر؛ لأنه ربط لأمر في الغيب، وحوادث لا صلة لإحداها بالأخرى؛ فلا توجد أسباب ووسائل تربط بين معركة المسلمين مع قريش ومعركة الفرس مع الروم. والعجيب أن الروم كانوا قد بلغوا من الضعف حدا كبيرا كما سبق ذكره، حتى غزوا وهزموا في عقر دارهم. وهذا يجعل المتنبأ يحجم عن الكلام في انتصارهم على الفرس، فسبحان العليم الخبير المحيط بكل شيء. وقد يسأل البعض: لماذا قال الله عز وجل { في بضع سنين }، ولم يحدد الوقت تحديدا أدق من هذا، في يوم كذا في شهر كذا في عام كذا، وهو سبحانه العليم الخبير؟ والجواب على هذا الأمر يرجع إلى المتلقين للنبا، فالناس في حساباتهم لا يجرون على وتيرة واحدة، فمنهم من يحسب بالشمس، ومنهم من يحسب بالقمر، ومنهم من يكمل الكسور، ومنهم من يلغيها. فكان مقتضى الحكمة التعبير باللفظ الصادق على كل تقدير ليكون أقطع للشبهة وأبعد عن الجدل. ثم إن الحرب امتدت بين الفرس والروم أياما وشهورا كما سلف. ولذلك لم يقل تبارك وتعالى «بعد بضع»، وإنما قال جل ثناؤه { في بضع } وفي الآية الكريمة أيضا لمحة طريفة في قوله تعالى: { في أدنى الأرض }، ويقصد بها المنطقة المحيطة بالبحر الميت. وقد ثبت علميا أنها أدنى بقعة، أي أخفض بقعة على اليابسة.^(٢)

تجميع يهود الشتات في فلسطين

لقد رسم الكتاب العزيز خريطة مستقبل اليهود، وأنزل ذلك عليهم في كتابهم، وقصه علينا القرآن الكريم في أوائل سورة الإسراء، قال تعالى: { فإذا جاء وعد الآخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا } [الإسراء: ٧]. وفي أواخر سورة الإسراء قال تعالى: { وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيما } [الإسراء: ١٠٤].

ونستطيع أن نفهم وجه الإعجاز في هذه الآيات الكريمة؛ إذ يكشف لنا القرآن الكريم عن مستقبل اليهود الذي ينبأ عن فساد آخر معه علو كبير. ويبدو أن الفساد الثاني المقرون بالعلو

(١) انظر الترمذي: السنن، رقم الحديث ٣١٩٢، ج ٥ ص ٢٥٢. وابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٣٠٣ - ٣٠٤. حديث حسن

(٢) زين محمد شحاتة: أساء الله الحسنى من القرآن الكريم والحديث الصحيح، ص ٣٩١ - ٣٩٢..

هو فسادهم الآن الذي ملأ الدنيا في هذا العصر، بعد أن أسسوا دولتهم في أرض فلسطين السليبية. فهم ينتظرون وعد المرة الثانية التي جاء التعبير عنها بوعد الآخرة (أي الثانية).

و نلاحظ في وعد المرة الآخرة هذا أن الله عز وجل يأتي بهم لفيفا من مواطن تقطيعهم في الأرض (أي من مواطن الشتات) إلى فلسطين في أرض الشام. ومعنى اللفيف في اللغة: القوم يجتمعون من قبائل شتى فيهم الشريف و الدنيء و المطيع و العاصي و الضعيف و القوي.^(١) وهذه التعريفات لكلمة اللفيف تنطبق على الأخلاط اليهودية التي أتت بمئات الألوف من الشرق و الغرب من مختلف بلدان العالم، واجتمعت لإقامة الكيان الصهيوني، و تجتمع في عصرنا هذا لدعم دولة إسرائيل المحتلة بالرجال و العتاد، وذلك منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا. فالدلائل الواقعية تشير بقوة إلى أن اليهود في هذا العصر سعوا بكل ما أوتوا من قوة لتهيئة كل ما يلزم لتنفيذ وعد الآخرة (الثانية) عليهم. فقد خططوا بكل ما أوتوا من دهاء و مكر لتأسيس نواة لدولة يهودية كبيرة ذات علو في الأرض، أغرت و لا زالت تغري عددا كبيرا من يهود الشتات أن يهاجروا إليها. و تم ذلك بمساعدة أمم ذات قوى كبرى في الأرض. ففي عام ١٩١٧ م (١٣٣٦ هـ) لم تتفق الرأسمالية و الشيوعية - وهما قوتان متضادتان - إلا على مسألة واحدة وهي السماح لليهود بإقامة كيان و دولة في فلسطين^(٢). فحين احتلت بريطانيا فلسطين و انتزعتها من الحكم العثماني بعد الحرب العالمية الأولى، كان اليهود وقتئذ يشكلون أقلية عديدة بالنسبة لسكانها العرب، أي نسبة ١٠٪ فقط. و تحت الاحتلال البريطاني حدثت زيادة رهيبية في أعداد اليهود بسبب الهجرة الجماعية الضخمة إلى فلسطين، حيث نسقت بريطانيا مع الصهيونية لإغراق فلسطين باليهود القادمين من كل مكان. و كانت القنصليات البريطانية في أنحاء العالم تمنح اليهود تأشيرات دخول إلى فلسطين، كما أصدرت السلطات البريطانية في فلسطين قانونا لتيسير تدفق المهاجرين إليها، فأخذ يهود الشتات يأتون من كل حذب و صوب^(٣).

ومنذ قيام دولة اليهود في فلسطين عام ١٩٤٨ م (١٣٦٨ هـ)، و اليهود يجتمعون فيها من كل أنحاء العالم. فمن مجموع ٢.٥٠٠.٠٠٠ يهودي في فلسطين جاء: ^(٤)

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ٣٨١، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٢٠٧.

(٢) انظر كتاب المؤلف: تاريخ العلاقات الشيوعية الصهيونية، ص ٦٨.

(٣) عمر عبد العزيز عمر: دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص ٦٦١ - ٦٦٢.

(٤) إبراهيم الشريقي: دور الدول الاشتراكية في تكوين إسرائيل، ص ٦٠.

من الاتحاد السوفياتي وبلدان أوروبا الشرقية	١,٥٦٠,٠٠٠
من الأقطار الآسيوية والإفريقية	٣٥٠,٠٠٠
من أوروبا الغربية	٣٠٠,٠٠٠
من أمريكا الشمالية	٧٠,٠٠٠
يهود عرب	٢٢٠,٠٠٠

وكان الإتحاد السوفياتي مصدر أكبر عملية تهجير لليهود في عقد السبعينات عن طريق النمسا بالاتفاق مع رئيس وزرائها الهالك كرايسكي. و يكون بذلك عدد الذين أتوا من الإتحاد السوفياتي من اليهود منذ عام ١٩٧١م إلى عام ١٩٨٠م؛ ٣٨٣,٢٥٥ مهاجر، أي أكثر من ربع مليون، حسب الجدول الآتي^(١):

السنة	عدد المهاجرين	عدد الذين وصلوا إلى فلسطين المحتلة
١٩٧١	١٣,٠٠٠	١١,٥٠٠
١٩٧٢	٣٢,٠٠٠	٣١,٦٥٢
١٩٧٣	٣٥,٠٠٠	٣٣,٤٧٧
١٩٧٤	٣٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠
١٩٧٥	١٣,٠٠٠	١١,٤٥٩
١٩٧٦	١٤,٣٨٣	١٤,٠٠٠
١٩٧٧	١٧,٠٠٠	٠٨,٣٨٣
١٩٧٨	٢٩,٠٠٠	١٢,٠٠٠
١٩٧٩	٥١,٠٠٠	١٧,٠٠٠
١٩٨٠	٢١,٠٠٠	١٢,٥٤٢

وتجدر الإشارة إلى أن إجراءات الظفر المؤقتة لليهود على المسلمين في عدة معارك حين انحرف هؤلاء عن منهج الله في عقيدتهم وسلوكهم رافعين لافتات جاهلية كالقومية

(١) صحيفة يدعوت أحرونوت، ١٣ آذار (مارس) ١٩٨١ م.

والاشتراكية والليبرالية أغرى المزيد من شتات اليهود ليهاجروا إلى موطن المعركة القادمة، حتى يلاقوا مصيرهم المنتظر الذي هو قادم لا محالة بإذن الله تعالى، تحقيقاً من الله عز وجل لوعيده في القرآن لهم: { فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا } [الإسراء: ٧]

و يبدوا من سياق النص أن الذين يسؤون وجوه اليهود (أي يهينوهم ويقهروهم) وليتبروا ما علوا تتبيرا (أي يدمروا ويخربوا ما ظهروا عليه) هم المسلمون. ويشير قول الله عز وجل (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) ضمنا إلى أن المسلمين هم المعنيون في النص أيضا؛ لأنهم هم الذين يحرصون على دخول المسجد الأقصى معظمين له، ومطهرين ساحاته وجنابته من رجس الذين كفروا، كما دخلوه أول مرة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)،

ويدخلونه ثاني مرة حين يحكمون الإسلام في حياتهم عقيدة وشريعة، وفكرا وسلوكا. بل هناك دليلا نصيا يبين بوضوح المعنيين بالمواجهة مع اليهود في (وعد الآخرة) وهم المسلمون، في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»^(١) وهذه من الأمور الغيبية التي لم تقع بعد، وسيتحقق وقوعها بإذن الله كما أخبر الوحي. وقد رأينا المقدمات، و النتائج مبنية عليها لا محالة.

إنجاء بدن فرعون

قبيل خروج روح فرعون اللعين قال له الحق سبحانه و تعالى: {فالיום ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية} [يونس: ٩٢]. وفي عصر نزول القرآن الكريم على النبي (صلى الله عليه وسلم) كان كل شئ مجهولا عن هذا الأمر؛ فلم تكتشف جثث الفراعنة إلا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراف الساعة، رقم ٢٩٢٢، ج ٤، ص ٣٩ - ٢٢.

و بالتالي فإن جثة فرعون موسى التي ما زالت ماثلة للعيان إلى اليوم شهادة مادية لجسد محنط لشخص طغى و تجبر وادعى الربوبية والألوهية، وعارض طلبات الرسول المرسل إليه، بل وطارده في هروبه ومات في أثناء تلك المطاردة، وأنقذ الله تعالى جثته من التلف لتصبح آية للناس كما ذكر القرآن الكريم.

فماذا حصل لفرعون بعد غرقه وإلقاء جثته على الشاطئ؟ لقد أخذ قومه جثته وحنطوها، ووضعوها في مدافن الأسرة الفرعونية بجانب جثث ملوك الفراعنة الذين ماتوا قبله^(١).

وكان المصريون في العهد الفرعوني يتقنون فن التحنيط. والحنيط هو : حفظ هيكل جسم الميت بتخليصه من المواد الرخوة من جلد وغشاء، و تطهير جوفه بمواد خاصة^(٢).

و هو مهارة متقدمة تسجل للمصريين زمن الفراعنة في ذلك الزمن السحيق، حيث كان يجهل التحنيط الأقسام الذين عاصروهم والذين جاءوا بعدهم. ولذلك حفظوا جثث فراعنتهم المحنطة في الأهرامات المعروفة، وفي المقابر الملكية. وبقيت تلك الجثث موجودة حتى عثر عليها علماء الآثار في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين^(٣).

وكان من الجثث التي عثروا عليها جثة هذا الفرعون الذي قال له الله تعالى قبل أن يموت غرقا: {فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية} [يونس: ٩٢].

ومن وجوه الإعجاز في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى لم ينج جثته لمعاصريه فقط لتكون لهم آية، وإنما أنجى جثته من الفناء، وبقيت محفوظة في مقابر وادي الملوك في «طيبا» بالصفة المقابلة للأقصر من النيل كما يقول علماء الآثار، حتى أخرجت من هناك ورآها الناس في عصرنا في حالة المومياءات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة.

وقد جاء مفهوم إنجاء البدن على نحو واسع:

- فلم يترك بدنه يغوص في قعر البحر، ولم يترك طعاما للأسماك، وإنما ألقى على شاطئ البحر.

(١) صلاح الخالدي: القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، ج ٢، ص ١٠٦.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٠٢.

(٣) صلاح الخالدي: القصص القرآني: ج ٢، ص ١٠٦.

- وعلم الله تعالى قومه فن التحنيط و أهمهم تحنيطه و إزالة ما يسرع الفناء منه ودفنه في مقابر خاصة محفوظة.
- و أبقى جل علاه بدنه محفوظا آلاف السنين لم تصله عوامل الفناء و الذوبان و التلاشي الطبيعية (الحرارة، الهواء) و البشرية (اللصوص) و الحيوانية (القوارض).
- ألهم جل ذكره علماء الآثار اكتشاف بدنه المحنط في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ووضع في متحف الآثار ليراه الناس^(١).

و بهذا المفهوم الواسع للإنقاذ يكون قوله تعالى: ﴿لن خلفك﴾ عبرة للناس:

- قومه معاصروه الذين كانوا يؤلهونه عندما يشاهدون بدنه لعلهم يتعضون.
- بنو إسرائيل معاصروه الذين شهدوا مصرعه فزادوا شكرا لله تعالى.
- الناس القادمون بعد آلاف السنين من مصرعه، سيشاهدون جثته المحنطة المحفوظة.^(٢)

ومن وجوه الإعجاز كذلك في هذه الآية الكريمة:

- أن اكتشاف جثة فرعون عام ١٩٩٨ م على يد عالم الآثار الغربي «لوريت»،^(٣) و بقاؤها معروضة في متحف القاهرة يشاهدها الزائرون و السواح آية بينة واضحة على صدق نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ فالله تعالى هو الذي أخبره بتفاصيل غرق فرعون، وإنقاذ جثته. ولو لم يكن رسولا نبيا لما علم بذلك؛ لأنه أُمي لم يتعلم من أحد، ولم يتلق هذه المعلومات من أحد، لا سيما وأن كتب التاريخ و أهل الكتاب لا تتحدث عن هذه الجزئية المفصلة لغرق فرعون، حيث اختص بها القرآن الكريم.
- وأن القرآن المجيد هو كلام الله تعالى، وليس كلام البشر، ويعد ما ذكر أنفا آية على صحة وصدق الأخبار التاريخية التي أوردها و ذكرها. فقد ذكر القرآن الكريم أن

(١) صلاح الخالدي: القصص القرآني، ج ٢. ص ١١٠.

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ١١١

(٣) موريس بوكاي: الثوراة و الإنجيل و القرآن والعلم، ص ٢٠٩.

الله عز وجل قد أنجى جثة فرعون و أبقاها عبرة لمن خلفه، و اكتشفت هذه الجثة بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن، فجاء هذا الاكتشاف شاهدا على إعجاز ما أخبرت عنه الآيات.

تغيير لقب الحاكم من ملك إلى فرعون

لقد عاش النبي (صلى الله عليه وسلم) في أمة أمية منغلقة في شبه جزيرة العرب، تقوم أحيانا فيها دويلات صغيرة ثم تنهار بعد زمن يسير؛ لأنها تفتقد مقومات الدولة. و كان الحكم فيها لعادات و تقاليد القبيلة، لا تعرف إلا اليسير عن العالم الخارجي و أنظمة الحكم السائدة في عصرها، بله الكيانات السياسية الموعلة في القدم في العصور الخوالي. و من الملفت للنظر أن آيات القرآن الكريم أشارت إلى تغيير نظام الحكم في مصر القديمة؛ فقد كان حاكم مصر زمن يوسف (عليه السلام) يلقب «بالملك» كما جاء في سورة يوسف: { وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي } [يوسف: ٥٤]. و لما أخبر الكتاب العزيز عن اضطهاد بني إسرائيل بعد ذلك أطلق على حاكم مصر لقب « فرعون »: { وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه } (الآية) [غافر: ٢٦].

فما سر تغيير لقب حاكم مصر من الملك إلى فرعون؟ لقد ذكر المؤرخون أن قبائل عربية ذات أصل سامي قدمت من آسيا يطلق عليها الهكسوس^(١)، احتلت مصر، و دام حكمها لهذا البلد عدة أجيال^(٢).

وقد عثر على أثر تاريخي لملك من عهد الهكسوس منقوش عليه إسم يعقوب حر (يعقوب آل) إشارة إلى تبوء أحد بني إسرائيل الملك في ذلك العصر. و هذا يتناسب مع دخول بني إسرائيل إلى مصر وقتئذ^(٣).

(١) يقول إيمانويل فلايكوفسكي أن الهكسوس هم العماليق و هؤلاء قبيلة عربية قديمة سادت جزيرة العرب من قديم الزمن. أنظر كتابه: عصور في فوضى: من الخروج إلى الملك أختاتون، ص ٨٧، ١١٧.

(٢) جيمس هرنى برستيد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي، ص ١٨٠. و وفلايكوفسكي: عصور في فوضى، ص ٨٣، ٩٣، ١١٥.

(٣) برستيد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص ١٨٢ (بتصرف).

ووفقا لهذا الاستنتاج، كان عبرانيو مصر عربا تابعين لسلطة إمبراطورية الهكسوس. ولا يستبعد أن يكون وجود هؤلاء العرب بمصر سببا في تلقيب تلك الامبراطورية دولة الرعاة^(١). و بناء على هذا، يكون بنو إسرائيل قد دخلوا مصر زمن الهكسوس العرب، و يكون حكام مصر وقتها ملوكا عربا، و يكون يوسف (عليه السلام) وزير الملك العربي الذي حكم مصر. و يكون هذا هو سر تكريم ملوك الهكسوس لبني إسرائيل، على إعتبار أن الفريقين جاءا من جنوب بلاد الشام، و أنهما ليس من أهل البلاد الأصليين^(٢). ثم قام المصريون بثورة وطنية بقيادة «أحمس» أحد أفراد الأسرة الفرعونية الحاكمة من قبل، فطردوا الهكسوس من العرب، و أعادوا الحكم إلى الفراعنة^(٣).

و يستنتج من هذا أن ثورة الفراعنة بقيادة «أحمس» على الهكسوس ثورة على الإسرائيليين أيضا، حيث اعتبروا عملاء للمستعمرين الهكسوس، و يكون هذا هو سر اضطهاد الفراعنة للإسرائيليين بعد طرد الهكسوس^(٤).

ووجه الإعجاز ها هنا أن القرآن الكريم فرق بين حقتين مختلفتين، إحداهما كان فيها الحكم «للملك» وهي كلمة عربية أصيلة، ولعل إطلاقها على حاكم مصر زمن يوسف (عليه السلام) دليل على أن حكام مصر وقتها كانوا عربا.

أما «فرعون» فإنها كلمة أعجمية ليست مشتقة^(٥). ولعل إطلاقها على حاكم مصر زمن اضطهاد بني إسرائيل دليل على عودة مصر إلى الفراعنة.

على أن الإجابة على هذا الإشكال لم يعرفها علماء الآثار إلا منذ عهد قريب بعد اكتشاف حجر رشيد ومعرفة الكتابة المصرية القديمة. فلقب «فرعون» اختص به الحكام المصريون الأصليون فقط، ومعناه الباب العالي. أما الحكام الجانب لقد كانوا يلقبون بلقب «ملك».

(١) المرجع السابق، ص ١٨٢، (بتصرف).

(٢) صلاح الخالدي: القصص القرآني، ج ٢، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٣) فلايكوفسكي: عصور في فوضى، ص ١٠٣. ويرستيد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ص ١٨٧، و نبيلة محمد عبد الحلیم: مصر القديمة: تاريخها وحضارتها، ص ٢٥٦..

(٤) صلاح الخالدي: القصص القرآني، ج ٢، ص ٢٦٢.

(٥) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص ٦٣٢.

وعندما جاء يوسف (عليه السلام) إلى مصر لم يكن حاكم مصر من المصريين وإنما كان من الرعاة الهكسوس، ولذلك لقب بالملك. أما في أيام موسى (عليه السلام) فقد كان الحاكم مصريا ولم يكن أجنبيا، ولذلك لقب بالفرعون.^(١)

خاتمة

إن المهتم بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم لا بد أن يوقن بأن هذا الكتاب العظيم من علم الله عز وجل الذي أحاط بكل شئ علما. وهو معجزة خالدة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) النبي الأمي الذي كان يعيش وقت نزول القرآن في قوم لا يعرفون الكتابة إلا ما ندر، لا علم لهم بأخبار و تاريخ القرون الخالية، فكيف بمد البصر نحو المستقبل واستكشاف كنهه.

على أن العلم و التاريخ ليقدمان شهادات مستمرة على صدق وصحة ما ورد في القرآن الكريم من أخبار ومعلومات علمية. وهذه الشهادات سواء كانت ذات صلة بعلم الغيب وما سيحدث في المستقبل مما يعزب عن علم البشر، أم كانت ذات صلة بأخبار الماضي السحيق وقصص الأمم الخوالي، هي آيات وبراهين جديدة تثبت قطعا أن القرآن الحكيم كلام الله تعالى، وكل ما فيه معجز حقا، وصدق و صواب، و أن محمدا رسول الله أوحى الله تعالى له بهذا الكتاب و النور المبين.

(١) زين محمد شحاته: أساء الله الحسنى، ص ٣٨٧.

كشف المصادر والمراجع

- أمحزون، محمد
تاريخ العلاقات الشيوعية الصهيونية، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- برستيد، جيمس هنري
تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي، ترجمه إلى العربية حسن كمال، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- بوكاي، موريس
التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمه إلى العربية: مجلة الفكر الصادرة عن دار الفتوى بلبنان، بيروت: دار الكندي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)
السنن، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي؟
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح
القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل وأحداث، دمشق: دار الفكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- الدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني (ت ٢٨٠هـ)
السنن، دار الكتب العلمية؟
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)
المفردات في غريب القرآن، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر؟
- شحاته، محمد زين
أسماء الله الحسنى من القرآن الكريم والحديث الصحيح، بيروت: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- عبد الحليم، نبيلة محمد
مصر القديمة تاريخها وحضارتها، الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، كلية التربية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- عمر، عبد العزيز عمر
دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، بيروت: دار النهضة العربية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

غنيم، إسمت
تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)
معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٤م

فرج، وسام عبد العزيز
دراسات في تاريخ و حضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

فلايكوفسكي، إيما نويل
عصور في فوضى: من الخروج إلى أختاتون، ترجمه إلى العربية رفعت السيد، القاهرة: سينا للنشر،
١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر البصري الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)
تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي السلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

مسلم بن الحجاج (الإمام)، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)
الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

مصطفى، إبراهيم (و آخرون)
المعجم الوسيط بيروت: دار الفكر؟

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري المصري (ت ٧١١هـ)
لسان العرب، إعداد يوسف خياط،، بيروت: دار لسان العرب؟

يدعوت أحرونوت، (صحيفة) ١٣، آذار (مارس) ١٩٨١م.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

ملامح الإعجاز الإعلامي في قوله تعالى ”يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق نبأ فتبينوا“

للدكتورة / رحيمة الطيب عيساني

أستاذة محاضرة بقسم الإعلام

جامعة الحاج لخضر- باتنة-



مقدمة

تركز معظم الكتابات التي تتحدث عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية الشريفة على المجال العلمي والطبي والبياني (اللغوي)، وقل ما تتحدث عن المجال الإنساني النفسي والاجتماعي، إلا في بعض البحوث والدراسات المتفرقة في هذا المجال. وهي في هذا محجمة -ربما- بسبب أن القوانين الاجتماعية والنفسية المفسرة للظواهر الاجتماعية متغيرة، غير ثابتة وغير مطردة، لأن الدارس والمدرس إنسان كذلك، بعكس الظواهر الطبيعية والعلمية التي تحكمها قوانين ثابتة وأزلية.

لذلك وجدنا أنه تكاد تنعدم الدراسات المهمة بالإعجاز الإعلامي في القرآن والسنة، ذلك أن معظم الكتابات التي تناولت مصطلح «الإعلام الإسلامي» بالتأليف والدراسة انطلقت من العمل على محور أسلمة المعرفة في مجال الإعلام والاتصال، مغفلة العمل على محور إسلامية المعرفة، مع أن المصطلح يوحي مضمونه في اتجاه المحور الثاني وليس الأول، وهي معذورة في ذلك كون أكثر الباحثين في المجال (الإعلام الإسلامي) ذوي تخصص بعيد (الإعلام والاتصال)، ليس لهم خلفيات كبيرة في مجال العلوم الإسلامية، خاصة علوم القرآن والسنة، مصدرى التنظير لمثل هذا العمل، إضافة إلى السبب الأول.

لذلك بقي الحديث عن الإعلام في القرآن والسنة، وقواعده وأسسها، وكذا الإعجاز الإعلامي فيهما؛ حديثا محتشما تتناوله بعض الكتابات التي لم تصل أصواتها العميقة إلى الباحثين والمهتمين، ناهيك عن عامة الناس. فقد أكدت القراءة المتأنية لعديد من الآيات القرآنية الكريمة أنها تتناول العمل الإعلامي بكل أبعاده وأساسياته وأخلاقياته وأهدافه تفصيلا لم تعهده الدراسات الإعلامية من قبل، بل وقد أشارت هذه الآيات إلى نظرات مخالفة، وقواعد مغايرة كلية لما في هذه الدراسات والأعمال في جمل قصيرة معجزة لذوي الكفاءات البيانية والعلمية على أن تحتزلها في مثل هذه الجمل والكلمات.

وكمثال على ذلك وفي آية واحدة فقط، في قوله تعالى: «يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم

فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» (٦) الحجرات. وبالعودة إلى التفاسير، وكتب شروح السنّة، والمعاجم العربية، وجد أنّ الآية الكريمة قد قعدت لمكونات العملية الإعلامية في صورة إعجازية كبيرة، تحيب على كثير من التساؤلات المحيرة تفسيراً للعملية، في تساؤلات:

١. لماذا وجّه المولى عزّ وجلّ النداء للمؤمنين، ولم يوجّهه للناس؟ فقال: «يا أيها الذين آمنوا»، ولم يقل «يا أيها الناس»، مع أنّ العملية الإعلامية والاتصالية ليست مقتصرة على المؤمنين فقط؟ وما وجه الإعجاز في ذلك؟

٢. لماذا وصف المولى (عزّ وجلّ) المرسل «بالفاسق»؟

٣. لماذا وصفت الرسالة «بالنبأ» ولم تكن «الخبر»، وما وجه الإعجاز في ذكر «الأول» وعدم ذكر «الثاني»؟

٤. ما سمات الجمهور المستقبل لهذه الرسالة؟

٥. ما دور ردود الأفعال في توجيه العمليات الإعلامية والاتصالية؟ وما مدى فعاليتها وأهميتها؟

٦. ثم في إعجاز بياني وبلاغي واضح استطاعت الآية في (١٨) كلمة مكوّنة لجملة واحدة في السورة أن تستجمع العناصر الأساسية المكوّنة للعملية الإعلامية، وشروط كل عنصر، في حين فشلت كثير من الكتابات المقتدرة في المجال أن تفعل ذلك؟

ومن أجل الإجابة على هذه التساؤلات لاستجلاء ملامح الإعجاز الإعلامي في الآية، تأتي هذه المداخلة محاولة للوقوف بالألباب والأفتدة الواعية عند هذه الملامح.

أولاً: سورة الحجرات^(١) وأسس البناء الاجتماعي :

سميت السورة بسورة الحجرات تبعاً لما جاء في الآية الرابعة منها في قوله تعالى: «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون». والمراد بالحجرات حجرات أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) رضوان الله عليهن. جاء في البرهان للزركشي أن: هذا الأسلوب في تسمية السور متبع شامل لسور القرآن تسمى كل سورة باسم أو كلمة تدور عليها قصة في موضوع من موضوعاتها البارزة؛ أو تسمى السورة بمضمونها كسورة الإخلاص، وهذه دقيقة من دقائق القرآن ولطائفه -الله أعلم بها- في تطابق اسم السورة مضمونها كلياً وجزئياً؛ وتسميته بكلام الله وغيره من الأسماء التي بلغت، كما أحصاها بعض العلماء خمسة وخمسين (٥٥) اسماً، وكلها تطابق مضمون هذا الكتاب العزيز. وفي ذلك تعليم للمؤمنين بهذا القرآن أن تطابق تسميتهم بالمسلمين حقيقتهم الكونية والشرعية فلا يتناقضون ولا يتوزعون بين الإيمان والنفاق والكفر...!^(٢)

وقال في الإتقان: «سمى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمي العرب به كلامهم على الجملة والتفصيل، فقد سمي كلامه جملة قرآناً، وسمى بعضه سورة، وأجزاء السورة آية، وسمى العلماء أواخر الآيات فواصل». وأما العرب فسموا كلامهم ديواناً وبعضه قصيدة، وبعض القصيدة البيت، ونهاية البيت القافية»^(٣)

وقد وقفت عديد من التفاسير على سر ترتيب سورة الحجرات بعد سورة الفتح

مؤشرة على أن^(٤):

(١) قال ابن عاشور في التحرير والتنوير أنها: «سميت في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير "سورة الحجرات" وليس لها اسم غيره. ووجه تسميتها أنها ذكر فيها لفظ "الحجرات"، ونزلت في قصة نداء بني تميم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من وراء حجرات، فعرفت بهذه الإضافة، وهي مدنية بانفاق أهل التأويل... وهي السورة الثامنة بعد المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة المجادلة، سنة تسع للهجرة... وعد جميع العادين أيها ثمان عشرة آية". انظر تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (تونس: دار سحنون للنشر ولتوزيع، ١٩٩٩)، م (١٢)، ج (٢٦)، ص (٢١٣).

(٢) بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج (١)، ص (٢٧٠-٢٧٢).

(٣) جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج (١)، ص (١٤٣).

(٤) أنظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج (٢٨)، ص (١١٠)، النيسابوري: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ج (٢٦)، ص (٥٥)، الألويسي: روح المعاني، ج (٢٦)، ص (١٣٣)، الخطيب الشربيني: تفسير القرآن الكريم، ج (٤)، ص (٥٩)..

١. السورتين مدينتان ومشملتان على أحكام تشريعية للمؤمنين، فسورة الفتح تناولت أحكام قتال الكفار، فيما تناولت سورة الحجرات أحكام قتال البغاة من المسلمين.

٢. ختمت سورة الفتح بذكر أوصاف الذين ءامنوا «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم»، وافتتحت سورة الحجرات حديثها بتوجيه «للذين ءامنوا» تأديباً لهم مع الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم).

٣. تضمنت سورة الفتح تشريفاً وتعزيزاً وانتصاراً لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما تضمنت كذلك سورة الحجرات في مطلعها توقيراً وتبجيلاً له (صلى الله عليه وسلم)، وكيفية التأدب في حضرته ومع حرماته.

٤. في آخر سورة الفتح ذكر الله تعالى الصالحين وما وعدهم من الثواب فقال: «وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا»، وربما صدر من المؤمنين الصالحين هؤلاء بعض الشيء ما ينكر ويستهجن، وينهى عنه كرفع الصوت فوق صوت النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومسابقته في الكلام والعمل أو مسابقة القرآن وسنته المطهرة، فقال (عز وجل) ناهياً عن ذلك في أول سورة الحجرات: «يا أيها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله» إلى آخر السورة.

وتتفق معظم التفاسير التي تناولت السورة بالحديث المستفيض أنها من السور الجليلة التي تتلمس بوضوح من خلال أيها المعالم الأساسية لبناء المجتمع الفاضل؛ المجتمع الذي طمحت كثير من النظريات البشرية أن تصله عبر تعقيدات وتنظيرات بُذلت من أجلها الجهود البحثية المضنية، لتفرز قواعد لم تستطع أن تؤسس لمثل هذا المجتمع وبمثل هذه الأحكام والحكمة المتناهية في إسعاد البشر، والحفاظ على وجودهم واستمراريتهم كما فعلت آي وسور القرآن الكريم.

كما تتفق على أن السورة تتضمن حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة، ومن حقائق الوجود والإنسانية، حقائق تفتح للقلب والعقل آفاقاً عالية وأماداً بعيدة، وتثير في النفس والذهن خواطر عميقة ومعاني كبيرة، وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم، وقواعد التربية والتهذيب، ومبادئ الشريع والتوجيه، ما يتجاوز حجمها وعدد آياتها

مئات المرات^(١)، والسورة في منهجها الفريد لبناء المجتمع المؤمن وتقوية روابطه بالله وبرسوله (صلى الله عليه وسلم) وبالوحي من الكتاب والسنة ثم بالمؤمنين بعضهم ببعض، يتجلى منهجها في أمرين عظيمين لمن يتدبر ويفكر^(٢):

الأول: أنها خاصة بوضع منهج كامل متكامل في الحياة الإسلامية لمجتمع فاضل كريم سليم من العيوب ونظيف من كل شوائب الجاهلية، وهو المجتمع المؤمن الذي تستقل شخصيته ومنهجه في الحياة عن غيره وله قواعده وأصوله ومبادئه ومنهجه التي يقوم عليها.

الثاني: أن هذا المجتمع المؤمن نتيجة جهد ضخم ثابت صابر، وهو ما تمثله «توجيهات القرآن الكريم والتربية النبوية الحكيمة لإنشاء وتربية تلك الجماعة المسلمة... فلم يعد منذ ذلك الحين فكرة مثالية، ولا حلماً طائراً عيش في الخيال»^(٣).

فالسورة إذاً ترشد إلى مكارم الأخلاق وجلائل الآداب، وروائع النظم لجماعة المؤمنين، وكل آية فيها تستقل بمكرمة من ذلك أو مكرمات وتوجيه وتوجيهات تكون لبنة من لبنات مجتمع الدعوة الإسلامية لهذا المجتمع الرفيع ذي فريدة وحياة كريمة.

فهي "فصول تأديبية وتعليمية وأخلاقية واجتماعية وسياسية وسلوكية فيما يجب على المسلمين تجاه النبي (صلى الله عليه وسلم) وتجاه بعضهم، وفيها مشهد من مشاهد الأعراب في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وتبجحهم بالإسلام، وميزان لصدق إيمان المؤمنين، وإفصاح المجال للأعراب لدخولهم في حظيرة الإسلام والدولة الإسلامية"^(٤).

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن (القاهرة: دار الشروق، ط(٤)، ١٣٩٨هـ).

(٢) محمد الأنصاري: منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات (الرياض: مكتبة الأنصار، ط(١)، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص(١٧).

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، ص(٣٣٦).

(٤) محمد عزة دروزة: التفسير الحديث (دمشق: دار الحليية، ط١٣٨٣هـ)، ج(١٠)، ص(١١٨).

وقد تحدثت السورة في ثمانية عشرة آية عن^(١) :

١. الأدب الرفيع الذي أدب الله به المؤمنين، تجاه شريعة الله، وأمر رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وألا يرموا أمراً، أو يبروا رأياً، أو يقضوا حكماً في حضرة النبي الكريم حتى يستشيروه، ويستعصموا بإشاداته الحكيمة.

٢. التأدب في حضرة النبي (صلى الله عليه وسلم) حين الحديث إليه، فيجب خفض الصوت تعظيماً لقدره الشريف، واحتراماً لمقامه السامي، فإنه ليس كعامه الناس، بل هو رسول الله، ومن واجب المؤمنين أن يتأدبوا معه في الخطاب مع التوقير والتعظيم والإجلال.

٣. تقرير دعائم المجتمع الفاضل، فتأمر المؤمنين بعدم السماع للإشاعات، والتثبت من الأنباء والأخبار التي تصلهم، لاسيما إن صدرت عن أشخاص غير موثوق فيهم وفي صدقهم وأمانتهم.

٤. الإصلاح بين المتخاصمين، ودفع عدوان الباغين.

٥. التحذير من السخرية والهمز واللمز، والغيبة والتجسس والظن السيئ بالمؤمنين، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، والفضائل الاجتماعية.

٦. وختمت السورة بالحديث عن الأعراب الذين ظنوا كلمة تقال باللسان، وجاءوا يمنون على النبي (صلى الله عليه وسلم) إيمانهم، فبينت حقيقة الإيمان، وحقيقة الإسلام، وشروط المؤمن الكامل، وهو الذي جمع الإيمان والإخلاص والجهاد والعمل الصالح.

وقال الفخر الرازي في تفسيره: هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله أو مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أو مع غيرهما من أبناء الجنس، وهم على صنفين: إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة، أو خارجين عنها وهو الفسوق. والداخل في طائفتهم: إما أن يكون حاضراً عندهم أو غائباً عنهم فهذه خمسة أقسام. قال: فذكر الله في هذه السورة خمس مرات «يا أيها الذين آمنوا» وأرشد بعد كل مرة إلى مكرمة من قسم من الأقسام الخمسة^(٢).

(١) م حمد على الصابوني: صفوة التفاسير (الجزائر: قصر الكتاب، ط(٥)، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج(٣)، ص(٢٣٠-٢٣١).

(٢) فخر الدين الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب (بيروت: دار الكتب العلمية، ط(١)، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

سبب نزول الآية: قال ابن كثير^(١) ذكر كثير من المفسرين أنها نزلت في الوليد بن عقبة رضي الله عنه حين بعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على صدقات بني المصطلق ، وقد روي ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٩ / ٤) بإسناد ضعيف، ويرتقي إلى الحسن بشواهد (عن الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه، قال: «قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يارسول ارجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له ، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يبعث إليه احتبس عليه السول، فدعا بسروات قومه فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله، فدعا ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت فانطلقوا فنأتي رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة ، فلما أن سار الوليد حتى بلغ الطريق فرق فرجع فأتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال: يا رسول الله إن الحارث، منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث ، وفصل من المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتهم؟ قالوا: إليك قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته وما أتاني. فلما دخل الحارث على رسول (صلى الله عليه وسلم) قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسوله قال: فنزلت الحجرات» يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» إلى هذا المكان «فضل من الله ونعمة والله عليم حكيم».

م(١٤)، ج(٢٧)، (٢٨)، ص(١٠٢).

(١) تفسير ابن كثير، ج(٤)، ص(٢٠٨).

وقال ابن عبد البر^(١): «ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله عزَّ وجلَّ: «إن جاءكم فاسق بنبأ» «نزلت في الوليد بن عقبة وذلك أنه بعثه رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى بني المصطلق مصدقاً فأخبر عنهم أنهم ارتدوا وأبوا من أداء الصدقة، وذلك أنهم خرجوا إليه فهاهم، ولم يعرف ما عندهم فانصرف عنهم وأخبر بما ذكرنا فبعث إليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خالد بن الوليد رضي الله عنه، وأمره أن يتثبت فيهم فأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام.

هذا ما ذكروه من سبب النزول، ولا إشكال فيه لو صحت الروايات، وذلك من وجوه^(٢):

- **أولاً:** ليس من الضروري ولا من منطوق الآية أو مفهومها أن المعنى بالفاسق هو الوليد رضي الله عنه.
- **ثانياً:** أن الفسق له اطلاقات في القرآن يطلق ويراد به الكفر، ويذكر مقروناً بالكفر، ويذكر مقروناً بالعصيان، ويبدو - والله أعلم - أن لأية تعني مثل ما يذكره الفقهاء لكلمة الفاسق، وهو من ارتكب بعض المحظور من المسلمين، وهم في هذا درجات حسب مخالفتهم.
- **ثالثاً:** أن الروايات التي ذكرت أن الوليد هو السبب لنزول الآية قد ذكرها ابن كثير واختار أقربها وأحسنها وإن لم تصح ولم يكن اختياره لها بسبب أنها ثابتة صحيحة من كلام الحارث بن ضرار الخزاعي المصطلقي رضي الله عنه فإن صحت فهي رأي صحابي في حادثة وقعت لصحابي - إن صح أنها وقعت من الوليد رضي الله عنه. ومع هذا فإن الرواية يقول ابن حجر: «فيها من لا يعرف».
- **رابعاً:** أن ابن عبد البر وهو محدث كبير وحافظ وثقة يشعر كلامه بأن هذه الروايات ليس منها ما هو مرفوع إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) (ول إلى أحد من الصحابة

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب على هامش الإصابة في معرفة الصحابة، ج(٣)، ص(٦٣٢).

(٢) محمد الأنصاري: منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي، ص(٣٢٥-٣٣١).

رضي الله عنهم، لذلك اكتفى بقوله لا خلاف بين أهل العلم بالتأويل بالقرآن فيما علمت أن الوليد هو السبب في نزول الآية) فلم يعتمد على رواية مرفوعة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يعتمد على إجماع قطعي وإنما قال فيما علمت، وكم من غلط اشتهر عند الناس وكم من صحيح خفي على جل الناس...؟؟

• **خامساً:** وإذا تعلق خصوم الوليد رضي الله عنه ومن تأثر بهم واقتدى في ترويح الكذب، بما أشيع من أنه شرب الخمر ليستدلوا بذلك على فسقه -حاشاه رضي الله عنه- فتلك قصة لفقها بعض أهل الكوفة عليه، ممن أقام الوليد عليه الحد وعلى أبنائه ووقف في وجه باطلهم، فلم يجدوا وسيلة للانتقام منه إلا بتلفيق الكذب عليه عند الخليفة عثمان فشهد بعض هؤلاء عند الخليفة بأنه رآه يقيء الخمر. فأمر عثمان رضي الله عنه علماً أن يقيم عليه، وثبت الحد بتقيؤ الخمر مسألة خلافية بين الفقهاء، وإقامة الحد عليه لا تدل على أنه شرب الخمر حقيقة؛ وإنما أقيم عليه الحد بناء على شهادة الشهود لا سيما وأن الأذى لم يقتصر على الوليد حتى تجاوزه إلى عثمان على أيدي دعاة الفتنة حتى قتلوه.. وقد كان الوليد رضي الله عنه موضع الثقة عند الخلفاء الثلاثة أبي بكر الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم، كل استعمله وقربه ولا يمكن، كما أنه لا يعقل أن تكون له هذه المنزلة عندهم بالفسق في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)..

• **سادساً:** وإن ثبتت قصة الوليد رضي الله عنه واندرجت في عموم الآية فهل معنى ذلك أنه فاسق، كما تزعم الشيعة في هذيانهم الذي لا يبني على دليل واضح ومنهج صادق يعتمد عليه..؟

• **يقول ابن العربي:** "وكيف يفسق رجل بمثل هذا الكلام؟ فكيف برجل من أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم)؟". ويعجبني ما ذكره الفخر الرازي: "إن الله تعالى لم يقل إني أنزلتها لكذا، والنبي (صلى الله عليه وسلم) لم ينقل عنه أنه بين أن الآية وردت لبيان ذلك فحسب، غاية ما في الباب أنها نزلت في ذلك الوقت، وهو مثل التاريخ لنزول الآية، ونحن نصدق ذلك، ويتأكد ما ذكرنا

أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد سيء بعيد لأنه توهم وظن فأخطأ؛ والمخطئ لا يسمى فاسقاً“.

وجاء في الروايات ما يدعم ويساند ما ذكره الفخر الرازي من توهم وظن وهي رواية: “فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلاً يتلقونه بالجزر والغنم فرحاً به، فلما رأهم ولّى راجعاً إلى المدينة فأخبر النبي (صلى الله عليه وسلم)، أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة“.

• **سابعاً؛** وليس معنى قولهم سبب نزول الآية في كذا“ أنه هو السبب المباشر، وإنما هو من باب الاستدلال على الحكم بالآية لا من باب النقل، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية“ وقولهم نزلت هذه في كذا“ يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن هذا داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما نقول عنى بهذه الآية كذا“.

ثم ذكر شيخ الإسلام تنازع العلماء في قول الصحابي“ نزلت هذه الآية في كذا“ هل يجري مجرى المسند، كالسبب الذي أنزلت لأجله أو مجرى التفسير الذي ليس بمسند. فبعض العلماء يدخله في مجرى المسند كالبخاري، وبعضهم لا يدخله في المسند“ وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره، بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند“.

والذي يتلخص أن الآية ذكرت حكم قبول خبر الفاسق مطلقاً، ويصعب أن يخصص هذا ويصدق على رجل صحب النبي (صلى الله عليه وسلم) ووثق به النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو ابن رجل كان شديد المناوأة للإسلام ورسوله فانفصل عن دين أبيه ودخل في دين الله، ومن الصعب كذلك أن يرسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) جابياً إلى قوم بينه وبينهم عدا، ومما تجدر الإشارة إليه أن الإطلاق في الآية، وقد جاءت بعد الآيات التأديبية والتعليمية السابقة لها يشير إلى صلة بينها وبين سابقتها، صلة نزول، ووحدانية سياق وموضوع ويسوغ التخمين أن الحادث قد وقع قبل نزول السورة فكان وسيلة للتنبيه والتحذير في سياق فصول التعليم والتأديب التي احتوتها السورة.

- **ثامناً:** ونحن لا نقول في الوليد رضي الله عنه شيئاً مع أننا لا نقول بعصمة غير النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولا نبرئ الوليد من الخطأ فإذا صحت هذه الحادثة فكل ما يقال إنها وافقت نزول الآية، وأسلوب الشرط أن المفيد للتوقع لا يدل على أن حدثاً وقع لأحد الصحابة، وإنما يطلب من المسلمين أن يلتزموا منهج الثبوت والصدق وعدم العجلة، على افتراض مجيء من يغير الحقائق إن عمداً أو خطأ، ومع هذا فإن الله سبحانه وتعالى يحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة لاستقامة أحوالهم ورسوخ إيمانهم وثبات عدالتهم، فكأن حسابهم في الدنيا فقط وراحتهم في الآخرة رضي الله عنهم.

ثانياً: ملامح الإعجاز الإعلامي في الآية :

فالآية بهذا نداء ثالث في السورة ابتدئ به غرض آخر وهو آداب جماعات المؤمنين فيما بينهم، وهي كما قال محمد سيد طنطاوي: "ترشيد المؤمنين في كل مكان وزمان إلى كيفية استقبال الأخبار استقبالاً سليماً، وإلى كيفية التصرف معها تصرفاً حكيماً، فتأمرهم بضرورة الثبوت من صحة مصدرها، حتى لا يصاب قوم بما يؤذيهم بسبب تصديق الفسق في خبره، دون تأكد أو تحقق من صحة ما قال"^(١). في إعجاز علمي وإعلامي لم يتحدث عنه أحد من المفسرين المتقدمين والمتأخرين- فيما اطلعت عليه من كتبهم- تتبين ملامح هذا الإعجاز في الآتي:

(أ) عناصر العملية الإعلامية من خلال الآية :

بدأت فكرة عنصر مكونات العملية الإعلامية والاتصالية مع تساؤلات هارولد لاسويل (H.Lasswel) الخمسة الشهرة، من Who؟ يقول ماذا Says What؟ بأي وسيلة (In Which Channel؟) لمن (To Whom؟) وبأي أثر (With What Effect؟)

(١) محمد السيد طنطاوي: التفسير ٠٠ الوسيط للقرآن الكريم (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٤٠٦/١٩٨٦م)، ج(٢٥)،

سنة (١٩٤٨)، ظهرت عديد من الرؤى والنظريات المحددة لهذه العناصر، سميت فيما بعد «بنماذج الاتصال»، انتقد بعضها انتقاداً شديداً، وعدّل البعض الآخر تعديلات متتالية لتبرز إلى اليوم نماذج متعددة لمكونات العملية الإعلامية والاتصالية؛ تجمع معظمها أن لهذه العملية عناصر خمسة أساسية: المرسل، المستقبل، الرسالة، الوسيلة، والأثر المترتب على هذه الرسالة أو العملية برمتها.

ولئن كان عمر هذه النظريات والرؤى والنماذج قصيراً جداً إلا أنها استطاعت أن تؤكد أن هذه العناصر الأساسية الخمسة لا تخلوا منها أي عملية إعلامية أو اتصالية مهما كانت بسيطة أو عشوائية وعابرة.

وهي تؤكد بالمقابل أن الدراسات الاجتماعية والإنسانية قد تكبدت الكثير من الجهود والأوقات لتصل إلى مثل هذه النتائج بعد قرون متطاولة جداً من البحث والدراسة المتتالية لمظاهر العمل الإعلامي والاتصالي كأحد المكونات الأساسية في الحياة الاجتماعية والثقافية على مر العصور والأزمنة، شأنها في ذلك شأن كثير من النظريات والأفكار المفسرة للعمليات الاجتماعية والثقافية والمشكلات والقضايا والأحداث التي نشأت وتنشأ مع بروز المدنيات والحضارات والدول، والمجتمعات الإنسانية المتعاقبة.

فالنماذج التي قدمت، وما زالت تقدم لعنصرة العملية الإعلامية والاتصالية عبارة عن: «محاولات لتقديم العلاقات الكامنة التي يفترض وجودها بين المتغيرات التي تصنع حدثاً أو نظاماً معيناً في شكل رمزي»^(١)

وقد رأت الدكتورة جيهان رشتي أن أغلب نماذج الاتصال تخدم أربع وظائف أساسية هي^(٢):

١. تنظيم المعلومات: فالنموذج عبارة عن محاولة لإعادة خلق العلاقات التي يفترض وجودها بين العناصر التي ندرسها في شكل مادي أو رمزي. فالباحث لا يستطيع وصف عملية الإعلام والاتصال لأنها عملية متغيرة بينما يوفر النموذج إطاراً يسمح

(١) جيهان رشتي: الأسس العلمية لنظريات الاتصال (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ص (٧٠).

(٢) المرجع نفسه، ص (٧٥-٧٨).

بعزل المتغيرات الهامة ، ووصف دورها في العملية كلها لأنه يجمد هذه العملية مما يمكن من وصفها وتحديد عناصرها.

٢. تطوير البحوث العلمية: فعلم الاتصال والإعلام من أحدث العلوم، التي انفصلت عن العلوم الاجتماعية؛ ما زالت المعلومات المتوفرة حول كثير من مواضيعها وأساسياتها قليلة وغير موفية بغرض التأسيس لنظريات مستقلة في العلم، مما يدفع إلى المحاولة الدائمة والدائبة لزيادة هذه المعلومات، وتبرز النماذج في هذا الصدد لتسهل عملية الحصول على هذه المعلومات أول بأول، لأنها تجعل نظريات الإعلام والاتصال أبسط وأسهل في فهمها مما يساعد الباحث في تحديد الأمور والعناصر التي يرغب في دراستها، ومن ثم المساهمة في تطوير البحوث والدراسات الإعلامية.

٣. التنبؤ: والتنبؤ عملية تصورية لنتائج أوسع تترتب على استخدامنا للمعلومات التي توصلنا إليها في مواقف جديدة، فإذا ثبتت صحة تنبؤاتنا فإن معنى ذلك أن المعلومات التي أقمنا عليها الفهم والتنبؤ معلومات صحيحة فنحن حين نتنبأ نقيم في الواقع علاقات جديدة ليس من السهل التحقق من وجودها فعلاً بناءً على معلوماتنا الماضية وحدها.

٤. التحكم: فالنماذج بصيغها البسيطة تساعد الباحث على تطوير المعارف الإعلامية والاتصالية في محاولات للسيطرة على الظواهر الإعلامية والقضايا والمشكلات من أجل حل أمثل ومعالجة وافية لها، والتحكم في آثارها السلبية وتضاعيفها التي قد تتجاوز حدود وقدرات الباحثين في التحكم فيها أو السيطرة عليها.

وقد احتلت النماذج مكانا بارزا في العلوم الاجتماعية لما تحققه من وظائف متعددة كما سبق الإشارة إليها، ولذلك اتجه الباحثون في علوم الإعلام والاتصال لعرض النظريات والتعميمات من خلال النماذج التي تعمل على تبسيط المعرفة وتسهيل إدراكها بالنسبة للقارئ.

ولكن مهما كانت دقة النموذج وصحته فإنه يؤخذ عليه أنه يعرض أو يقدم عملية الاتصال في الحالة الساكنة. أي أنه حتى في النماذج الوظيفية لا تجسد حركة العناصر وتفاعلاتها مع بعضها، حيث لا تزيد عن مجرد شكل أو صورة تحتاج إلى مزيد من الشرح

والتفسير لتجسيد العلاقات بين المتغيرات وحركتها، وترتيب أهميتها. وذلك تجنباً لإغفال أي من العناصر أو المتغيرات أو إغفال تأكيد أهميتها^(١).

وفي (١٨) كلمة في جملة واحدة من السورة استطاعت الآية أن تحدد عناصر العملية الإعلامية الأساسية، وشروط كل عنصر في عملية تفاعلية تتحرك فيها الأحداث في ذهن المتلقي للخطاب الإلهي كأنه يعايش الواقعة بعيداً عن التجريد للعملية أو التجميد لها. في إعجاز بياني واضح تتحدى من خلاله ذوي الكفاءات البيانية والبلاغية على أن يوجزوها بهذه الطريقة. فتحدثت عن:

١. المرسل: «إن جاءكم فاسق» بطريق مفهوم المخالفة؛ وشروطه من الصدق والثقة، والمهنية عالية المستوى.

٢. المستقبل: «يا أيها الذين آمنوا»، وشروطه؛ من الفطنة، التمحيص، عدم التسرع في الأحكام وتصديق كل ما يثبت إليه (هم)، وحسن اختيار مصادره، ومشاركته في الحفاظ على مهنية العمل الإعلامي.

٣. الرسالة: "نبأ" وشروطها: الأهمية، الصدق، وحاجة الجمهور إليها أو مدى أهميتها بالنسبة للجمهور المستقبل لها.

٤. الوسيلة: «إن جاءكم» تضميناً للكلمة بأي وسيلة كانت شفاهية، أو مكتوبة ولم تذكر الوسيلة صراحة ولا شروطها، لأن الوسيلة في الأصل محايدة، وإن استوحيت شروطها من سياق الحديث عن المرسل والمستقبل، وأنها كذلك يجب أن تكون مشروعة.

٥. الأثر: المترتب على مثل هذه الرسائل وغيرها، وحساب عواقبه الوخيمة، وبالمقابل الحسنة في مفهوم المخالفة من سياق الآية.

(١) محمد عبد الحميد: نظريات الإعلام واتجاهات التأثير (القاهرة: عالم الكتب، ط (٢)، ٢٠٠٠)، ص (٥٨).

(ب) نداء المؤمنين ونظرية السياق الاتصالي:

تنبه بعض الباحثين إلى الظروف التي تتم فيها عملية الإعلام والاتصال ، وتأثيرها على مسار العملية ، وتأثيراتها في الجمهور المستقبل لرسائلها، بعد التعديلات المتتالية التي حدثت لنموذج هارولد لاسويل، فقد قدم برادوك (R.Braddock) سنة (١٩٥٨) إضافة جديدة على نموذج لاسويل، تؤكد على ضرورة أن يوضع في الاعتبار حقيقتان في عملية الاتصال؛

- **الأولى:** الظروف التي تتم فيها بث الرسالة وإرسالها، وهي ترتبط بالدرجة الأولى بالمناخ أو التأثير الاجتماعي والثقافي المحيط به في اختياره للفكرة أو الرأي أو الخبر الذي يريد إيصاله إلى الجمهور في هذه البيئة.

- **الثانية:** الأهداف التي يهدف إلى تحقيقها المرسل أيضاً، لذلك أعاد صياغة نموذج هارولد لاسويل في العبارة الآتية: من؟ يقول ماذا؟ بأي وسيلة؟ لمن؟ تحت أي ظروف؟ (Under what circumstances?) ولأي هدف (For what? Purpose) وبأي تأثير؟^(١)

بعد أن كان قد استقر لسنوات طويلة في الفكر الاتصالي مفهوم العزلة الاجتماعية في تعريف جمهور وسائل الإعلام، وبالتالي التأثير المباشر لوسائل الإعلام على الأفراد المنعزلين من هذا الجمهور، وما صاحب المفهوم من نظريات في التأثير مثل نظرية الطلقة السحرية (magic Bullit) أو الحقنة تحت الجلد والتي سادت خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين. حتى كانت البحوث التي قام بها لازار سفيلد وبيرلسون كاتز ومورتون. وغيرهم والتي نمت بعد الحرب العالمية الثانية وخلال الخمسينات ، وأشارت إلى تدفق المعلومات إلى الجمهور على مرحلتين. وأهمية دور قادة الرأي، وتأثرهم بوسائل الإعلام، والأفراد الآخرين، وتأثير شبكة العلاقات الاجتماعية على اتخاذ القرارات الاتصالية، وأهمية التباين والاتفاق داخل الجماعات... وغيرها من النتائج التي أكدت على أن الأفراد في جمهور المتلقين ليسوا ذرات منفصلة أو وحدات منعزلة ، ولكنهم ينتمون بشكل أو بآخر إلى شبكة من البناءات

(١) المرجع نفسه، ص (٦١).

الاجتماعية التي تؤثر على قراراتهم واتجاهاتهم نحو مخرجات عمليات الإعلام والاتصال. هذه البحوث كان لها تأثير كبير في اتجاه الباحثين في الاتصال على تأكيد الانتماء الاجتماعي لأطراف عملية الإعلام والاتصال. في سياق هذه العملية ونتائجها، ليس فقط بالنسبة لإدراك المستقبل أو المتلقي وتعرضه لوسائل الإعلام، ولكن أيضاً في التأثير على المرسل أيضاً، من خلال تأثير شبكة العلاقات الاجتماعية على اتجاهات الأفراد نحو عملية الاتصال وعناصرها ونتائجها.

فأعضاء جمهور المتلقين هم أعضاء متفاعلون مع أفراد الجماعات، يناقشونهم، ثم يتفاعلون مع الرسالة الإعلامية، وبذلك يكون التأثير من خلال الأفراد في علاقتهم ببعضهم البعض. وكذلك أكد الباحثان جون ريلي، ومارتيلداريلي على تأثير الجماعات الأولية والبنات الاجتماعية الأخرى في المجتمع على كل من المرسل والمستقبل، وكذلك تأثير السياق الاجتماعي العام على عملية الإعلام والاتصال.

وقد اعتمد الباحثان ريلي على نموذج لازويل في مناقشتهم لعملية الاتصال وعناصرها. واهتم الباحثان بصفة خاصة بتأثير الجماعات الأولية-كالعائلة مثلاً- كجماعات مرجعية لكل من المرسل والمستقبل. وتقوم رؤيتهم على تحليل الاتصال الجماهيري في إطار اجتماعي على اعتبار أن الاتصال الجماهيري نظام اجتماعي بين أنظمة أخرى في السياق الاجتماعي العام^(١)

وفي السياق نفسه، وفي إطار مفهوم البيئة الاتصالية وتأثيراتها يشير بركو إلى التأثيرات البيئية في عملية الاتصال؛ حيث يرى أن الأفراد هم نتاج خبراتهم وتأثيرات بيئتهم. وبيئة الأفراد وهي التي تفرض عليه نمط الاتصال، وهي التي تقوم بتشكيل الاتجاهات والقيم والمعتقدات، والفرد يتأثر بمن حوله (مثل العائلة والأصدقاء، ووسائل الإعلام)، ثم بالمجتمع ككل.

هذه هي النظريات التي توصلت إليها البحوث الإعلامية مع بدايات النصف من القرن

(١) نقلاً عن؛ محمد عبد الحميد: نظريات الإعلام، واتجاهات التأثير، (٧٨).

العشرين لتؤكد أن للبيئة الاتصالية أثراً كبيراً في توجيه العمليات الإعلامية الاتصالية. وكانت الآية السادسة من سورة الحجرات التي نزلت قبل سنة ١٤٢٠) سنة ماضية الآن، أي قبل (١٣٧٠ سنة) سابقة تنبه علماء الاتصال لدور السياق الاتصالي في عملية الإعلام والاتصال، والتي ابتدأت النداء للمؤمنين فقال تعالى: « يا أيها الذين ءامنوا»، ولم تبدأ بتوجيهه للناس كافة فلم تقل « يا أيها الناس»، مع أن العمل الإعلامي الاتصالي نشاط اجتماعي تمارسه كل الجماعات البشرية على اختلاف أعراقها ودياناتها وأعرافها. في إعجاز علمي ينبه إلى أهمية الانتفاء الاجتماعي في توجيه العمل الإعلامي والاتصالي.

وفي هذا السياق جاءت بعض الإشارات التفسيرية التي تؤكد هذا المعنى. فقد قال الألوسي في روح المعاني: « ولما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد إلا في الندرة قيل: «إن جاءكم» بحرف الشك... وفي النداء « يا أيها الذين ءامنوا» دلالة على أن الإيمان إذا اقتضى الثبوت في نبأ الفاسق، فأولى أن يقتضي عدم الفسق، وفي إخراج الفاسق عن الخطاب ما يدل على تشديد الأمر عليه من باب (لا يزني الزاني وهم مؤمن)، والمؤمن لا يكذب»^(١).

وقال صاحب التفسير الوسيط: «والتعبير «بإن» المفيدة للشك للإشعار بأن الغالب في المؤمن أن يكون يقظاً، يعرف مداخل الأمور، وما يترتب عليها من نتائج، ويحكم عقله فيما يسمع من أنباء، فلا يصدق خبر فاسق إلا بعد الثبوت من صحته»^(٢).

وقال الفخر الرازي: «إن جاءكم فاسق نبأ» إشارة لطيفة، وهي أن المؤمن كان موصوفاً بأنه شديد على الكافر غليظ عليه، فلا يتمكن الفاسق من أن يخبره نبأ، فإن تمكن منه يكون نادراً، فقال: «إن جاءكم» بحرف الشرط الذي لا يذكر إلا مع التوقع، إذا لا يحسن أن يقال: إن احمر البسر، وإن طلعت الشمس»^(٣).

(١) شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج، ٢٥)، ص (١٤٥).

(٢) محمد السيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج (٢٥)، ص (١٧٨).

(٣) الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج (٢٧-٢٨)، م (١٤)، ص (١٠٣).

(ج) الرسالة الإعلامية ومبدأ أهمية الخبر:

وصفت الرسالة في الآية «بالنبا» فقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبأ فتبنوا». والنبا: كما جاء في «لسان العرب»: الخبر، والجمع أنباء، وإن لفلان نبأ أي خبراً^(١) وقال في تاج العروس: النبا محرّكة الخبر وهما مترادفان، وفرّق بينهما البعض. وقال الراغب: النبا خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، ويكون صادقاً، وحقه أن يتعرى عن الكذب، كالمتواتر، وخبر الله، وخبر الرسول (صلى الله عليه وسلم). ولتضمنه معنى الخبر يقال: أنبأته بكذا، ولتضمنه معنى العلم يقال: أنبأته كذا. قال وقوله تعالى: «إن جاءكم فاسق نبأ» الآية، فيه تنبيه على أن الخبر إذا كان شيئاً عظيماً فحقه أن يتوقف فيه. وإن علم وغلب على صحته الظن، حتى يعاد النظر فيه ويتبين^(٢).

وفي قراءة لبعض المعاجم العربية الأخرى تبين أنها لم تفرق بين «النبا والخبر» وقالت: بأنهما مترادفان، فالنبا هو الخبر والجمع أنباء، والخبر هو النبا والجمع أخبار. في حين نبّه الزبيدي في تاج العروس وعزا الكلام للراغب أن اللفظين بينهما فرق واضح؛ فالنبا عنده الخبر ذو الفائدة العظيمة الذي نستفيد منه علماً أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة.

وبالعودة إلى القرآن الكريم نجد أن كلمة «نبا» ومشتقاتها قد وردت (٨٠) مرة، (١٥) منها لكلمة «نبا»، و(١) لكلمة «نبا» للمفرد الغائب، ومرة لكلمة «نباهم» لجمع الغائبين، وعشر (١٠) مرات لكلمة «أنباء»، ومرة لكلمة «أنبائكم» لجمع المخاطبين ومرة لكلمة «أنبائهم» لجمع غير العاقل وهي (القرى).. والباقي وعدده (٥١) للمشتقات؛ نبات (١)، نباتكما (١)، نباتي (١)، نباتها (١)، أنبئوني (١)، أنبئكم (٨)، لتنبئهم (١)، ينبئك (١)، ينبئكم (٩)، ينبئهم (٦)، نبئ (١)، نبئنا (١)، نبئهم (٢)، نبئوني (١)، لتنبئون (١)، ينبأ (١)، أنبأك (١)، أنبأهم (١)، أنبئهم (١)، أنبئوني (١)، يستنبئونك (١).

(١) ابن منظور: لسان العرب (بيروت: دار الفكر، ١٣٠٠هـ)، م (١)، ص (١٦٢).

(٢) الزبيدي؛ محمد مرتض: تاج العروس من جواهر القاموس (القاهرة: ط (١)، ١٣٠٦هـ)، ج (١) فصل النون من باب الهمزة، ص (١٢١).

وإذا تتبعنا الآيات التي وردت فيها كلمة «نبا» نجد أنها قد جاءت في خمس عشرة آية، جاءت العشرة منها لتتحدث عن:

١. قال تعالى: «واتل عليهم نبا ابني اءدم بالحق» (٢٧) المائدة.
 ٢. قال تعالى: «ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبا المرسلين» (٣٤) الأنعام.
 ٣. قال تعالى: «واتل عليهم نبا الذي ءاتيناه ءاياتنا فانسلخ منها» (١٧٥) الأعراف.
 ٤. قال تعالى: «ألم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وٲمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والموتفكات أتتهم رسلهم بالبينات» (٧٠) التوبة.
 ٥. قال تعالى: «واتل عليهم نبا نوح إذ قال لقومه» (٧١) يونس.
 ٦. قال تعالى: «ألم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وٲمود» (٩) إبراهيم.
 ٧. قال تعالى: «واتل عليهم نبا إبراهيم» (٦٩) الشعراء.
 ٨. قال تعالى: «نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يومنون» (٣) القصص.
 ٩. قال تعالى: «وهل أتاك نبا الخصم إذ تسوروا المحراب» (٢١) ص.
 ١٠. قال تعالى: «ألم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم» (٥) التغابن.
- والملاحظ أن كلمة «نبا» قد جاءت في كل تلك الآيات السابقة بمعنى الخبر الصحيح الهام الذي له بشأن من الفائدة والجدارة بالاهتمام، كما استعمل في الإخبار عن أحداث بعيدة، تاريخها موغل في القدر ضارب في شعاب الزمن^(١).

وجاءت الخمسة منها المتبقية لتستعمل كلمة «نبا» للحديث عن الأخبار الهامة ذات الفائدة العظيمة، وهي على النحو الآتي:

١. قال تعالى: «لكل نبا مستقر وسوف تعلمون» (٦٧) الأنعام، فالنبا هنا الخبر الذي له

(١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (القاهرة: ١٩٧٢)، ج (٦)، ص (٢٨٢).

شأن يهتم به، والمعنى أن لكل شيء ينبأ عنه مستقراً تظهر فيه حقيقته، ويتميز حقه من باطله، فلا يبقى مجال للاختلاف فيه، وسوف تعلمون مستقراً ما أنبأ به القرآن الذي كذبتهم به من وعد ووعد^(١)

٢. قال تعالى: « فقال أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين » (٢٢) النمل.

٣. قال تعالى: « قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون » (٦٧)، (٦٨) ص. أي قل لهم يا محمد: إن هذا القرآن الذي جئتكم به هو نبأ هام وأمر عظيم الشأن، أنتم عنه غافلون لا تلتفتون إليه، ولا تعلمون قدره^(٢).

٤. قال تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبأ فتبينوا » (٦) الحجرات.

٥. قال تعالى: « عم يتساءلون عن النبأ العظيم ». قال صاحب الظلال في تفسير الآية: « عما يتساءلون؛ تفخيم بالإبهام، يعني عن أي شيء يتساءلون؟ وهذا التفخيم بالإبهام دلالة على تعظيم المسؤول عنه، وحين يعظم الحق تبارك وتعالى المسؤول عنه، دلالة على أن ذلك أمر عظيم حتى يقول الحق عنه إنه عظيم، وتعظيمه على قدر علمه سبحانه وتعالى. ونحن نعلم أن (النبأ) ليس مطلق خبر، وإنما هو الخبر الخطير الشأن الذي يتعلق بأمر عظيم، ولا شك أن غايات التدين كلها إنما تؤول إلى معرفة سر ذلك اليوم لأنه الحصيلة، ولأنه الحصاد الذي سيأتي في نهاية الدنيا، ليحاسب فيه كل إنسان عما قدّم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. فلا بد أن يكون أعظم حدث يتعلق بالإنسان^(٣).

هذا إضافة إلى أن كلمة (نبأه) جاءت مرة واحدة، وهي بمعنى الخبر العظيم كذلك فقد قال تعالى: « ولتعلمن نبأه بعد حين » (٨٨) ص، أي ولتعلمن خبره وصدقه عن قريب، فهذا النبأ العظيم الذي لا يلقون بالهم إليه اليوم، وليعلمن نبأه يوم الوقت المعلوم، عندما يحق وعد الله اليقين^(٤).

(١) المرجع نفسه، ج (٧)، ص (٤١٨).

(٢) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج (٣)، ص ٦٤-٦٥.

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج (٣٠)، ص (٣٨٠٣).

(٤) المرجع نفسه، ج (٢٣)، ص (٣٠٢٩).

ووردت كذلك كلمة « نبأهم » بمعنى الخبر العظيم أيضاً، مرة واحدة في قوله تعالى: « نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » (١٣) الكهف. أي نحن نقص عليك يا محمد هؤلاء الفتية العجيب على وجه الصدق، دون زيادة أو نقصان، فهم مجموعة شبان آمنوا بالله، فثبتناهم على الدين زدناهم يقيناً وهدى على يقينهم واعتقادهم.

فإنبأ هو الخبر العظيم، وقد وصفت الرسالة الإعلامية في الآية « بانبأ »، ولم توصف بالخبر تدليلاً على أن الرسالة الإعلامية يجب أن تتصف بالأهمية وتلبيتها لحاجات الجمهور، فإن كانت بهذه الصفة وجب التثبت في تلقيها من مصادر أخرى غير الفاسق الذي جاء بها. لأن نتائج تصديق خبر الفاسق ستكون وخيمة على الجمهور المتلقي. فهي تقول للمؤمنين: « يا من آمنتم بالله حق الإيمان، إن جاءكم فاسق بخبر من الأخبار، ولاسيما الهامة؛ فلا تقبلوه بدون تبين أو تثبت، بل تأكدوا وتيقنوا من صحته قبل قبوله منه »^(١).

وفي هذا تحدثت النظريات الإعلامية المتتالية أنه حتى تكون الرسالة الإعلامية فعالة وناجحة في التأثير في الجمهور المستقبل وإقناعه يجب أن تتوافر فيها الشروط الآتية^(٢):

١- أن تصمم الرسالة بحيث تجذب انتباه المستقبل؛ وحتى يتحقق ذلك ينبغي مراعاة الآتي:

* أن يتناسب موضوع الرسالة مع حاجة المستقبل؛ فالرسالة التي يجد فيها المستقبل مصلحته أو تحقق له حاجات معينة يهتم بها تلقى استجابة كبيرة من جانبه ويتجاوب معها. وقد توصل فرانك لوثر إلى قاعدة مؤداها أن: اختيار المستقبل لرسالة ما متوقف على العلاقة بين الفائدة التي ينتظرها من جهة، والجهد المبذول في الحصول على هذه الرسالة من جهة أخرى؛ ويعبر عن ذلك بالمعادلة التالية :

(١) محمد السيد طنطاوي: التفسير الوسيط، ج(٢٥)، ص(١٩٧).

(٢) انظر في ذلك؛ سلوى عثمان الصديقي: أبعاد العملية الاتصالية، ص (٣٩، ٤٠).

الاختيار =
الفائدة المرجوة من الرسالة
الجهد المبذول في الحصول عليها

والأكيد أن المستقبل يفضل الحصول على الميسر له، القريب منه عن الذهاب إلى مكان بعيد للحصول عليه، إلا أن يكون الاهتمام منصبا على خبر بعينه فيتحم على المستقبل حينئذ الاستعداد لبذل جهود مضاعفة لكي يعرف هذا الخبر أو الرسالة.

* صياغة الرسالة بحيث تحتوي على مثيرات تضمن استمرار انتباه المستقبل وتشوقه لمتابعتها.

* اختيار الوقت المناسب لإرسال واستقبال الرسالة، فلكي تلقى الرسالة استجابة من المستقبل ينبغي أن توجه إليه في أوقات وأماكن تتناسب مع ظروفه.

٢ - **يجب أن يصوغ المرسل رسالته صياغة تناسب المستقبل**، فلا يستعمل إلا الرموز أو اللغة التي يفهمها هذا المستقبل؛ فالرمز الذي يستخدمه المرسل في رسالته يدل على معنى معين. وكي تتحقق عملية الاتصال ينبغي أن يتماثل المعنى الذي يثيره الرمز عند المستقبل مع المعنى الذي قصده المرسل عند صياغته.

ونستطيع أن ندرك أهمية ذلك لنجاح عملية الاتصال إذا تصورنا أن شخصين يتحدثان بلغتين مختلفتين؛ فإنها لا يقدران على التفاهم عن طريق الكلام أو الكتابة بسبب عجز كل منهما عن الربط بين الألفاظ التي يسجلانها ومعاني هذه الألفاظ، ويتوقف تماثل المعنى للرمز بين المرسل والمستقبل على وجود الخبرات المشتركة بينهما أو الإطار الدلالي المشترك.

٣ - **ينبغي أن تصاغ الرسالة بما يتناسب مع وسائل الاتصال المتاحة للمرسل**؛ فالرسالة التي تبذل جهود مضيئة في إعدادها مع عدم توفر الوسيلة التي تناسبها لنقلها تصبح عديمة الجدوى. لذلك يرى جورج كلير توافر خمسة متغيرات أسلوبية حددها في^(١)

• القابلية للاستماع (الانسماعية) أو القابلية للقراءة (الانقرائية): وهي صفات ترتبط

(١) نقلا عن؛ حسن عماد مكاوي: الاتصال ونظرياته المعاصرة، ص(٥٦، ٥٥).

- بفعل الرسالة إذ يجب أن تحتوي الرسالة على كلمات سهلة وبسيطة وجمل قصيرة.
- أن تتضمن الرسالة اهتمامات المتلقي ومصالحه.
- تنوع المفردات؛ ويعني ذلك تجنب تكرار الكلمات.
- الواقعية؛ أي التعبير عن الواقع وتجنب استخدام التجريد سواء في الأحداث أو الظروف.
- القابلية للتحقق؛ ومعناها احتمال الرسالة على جمل وعبارات علمية يمكن اختبارها والتأكد منها في الواقع.

ويورد تان- في الصدد- تعميمات لبعض النتائج المستخلصة من البحوث التي أجريت حول خصائص الرسالة الفعالة هي^(١) :

- إن الرسائل ذات النتائج الواضحة أكثر فعالية من الرسائل ذات النتائج الضمنية في تغيير آراء المتلقين؛ ذلك أن المتلقي لا يدرك غالباً الهدف من الرسالة ما لم يكن واضحاً أمامه.
- تزداد قابلية التغيير في الآراء عندما تناقش الرسالة معلومات سارة، ومتفق عليها عند المرسل والمتلقي، أكثر من مناقشة معلومات خلافية وغير سارة بينها.
- المواد التي تبدأ بها الرسالة هي التي يتم تعلمها بشكل أفضل، ويتلوها بعد ذلك المواد التي تأتي في النهاية، أما التي تأتي في الوسط فإنها الأقل منزلة من حيث التعلم.
- ترتبط فعالية الرسالة- بعرضها لجانب الموضوع أو جانبي الموضوع- بالجمهور والمصدر والخصائص الأخرى للرسالة. فعرض وجهة نظر واحدة للموضوع يكون فعالاً إذا كان الجمهور يتفق مع نتائج القائم بالاتصال، وإذا كان ذكاء المتلقين محدوداً، أو تعليمهم بسيطاً، وكانت معرفتهم بالموضوع ضئيلة، وكان المتلقون لا

(١) انظر؛ حسن عماد مكاوي: الاتصال ونظرياته المعاصرة، ص(٥٦، ٥٥)

يتعرضون لوجهة النظر الأخرى، وإذا كان الموضوع غير مثير للجدل. وأما عرض وجهتي النظر (دحض آراء الخصم) فيكون أكثر فعالية عندما يكون المتلقون ذوي ذكاء مرتفع، أو تعليم عال، وإذا كان الموضوع مثار للجدل وموضع المعارضة، وإذا كان المتلقون على معرفة بالموضوع ويمكنهم أن يتعرضوا للآراء المعارضة.

- تتساوى الفعالية في الإعلانات التي تقارن بين سلعتين والإعلانات غير المقارنة، ويمكن أن تكون الإعلانات المقارنة أكثر فعالية في الأحوال الآتية:
 - عندما تكون السلعة المعلن عنها لها سوق ضئيل أو كانت جديدة.
 - إذا كانت خاصية التفوق وذات معنى يمكن استعراضه وإثباته.
 - إذا لم يكن للجماهير المستهدف أفضليات سلعية ثابتة.
 - إذا كان للإعلان المقارن ابتكارية مميزة من حيث صنف السلعة.
- تكرار التعرض للرسالة يؤدي إلى زيادة الموافقة على ما تطرحه من أفكار، والتكرار الزائد جدا قد يقلل الموافقة حيث يؤدي إلى التبرم والتخمة، وعموما يؤدي التكرار الزائد إلى موافقة أكثر من عدم التعرض، ويمكن أن تعمل فترة عدم التعرض على تحييد أي تأثيرات مرتدة تنتج عن التعرض الزائد.
- لا يوجد اختلاف بين تأثير الاستمالات العاطفية والعقلية في الإقناع.
- الاستمالة المتوسطة للخوف تكون أكثر تأثيرا في تحقيق الإذعان من استمالات الخوف المرتفعة أو المنخفضة.

(د) الإعلامي؛ خصائصه وشروطه:

في دراسات راجعها ألكسيس تان (A. tan) سنة (١٩٨١) توصل إلى أنه توجد ثلاثة عوامل أساسية تجعل مرسل الرسالة الإعلامية والاتصالية (المصدر) مؤثر في إقناع جمهوره هي:

١- **المصدقية**: تشير معظم نتائج البحوث إلى درجة الارتباط العالية والوثيقة بين الصدر والثقة فيه من جانب الجماهير، ودرجة الاستقبال والتصديق التي تلقاها الرسالة الاتصالية التي يقدمها هذا المصدر. وترتبط هذه النتائج بما يسمى «بمصدقية المصدر» أو قابلية المصدر للتصديق أو الثقة فيه، والتي تشير في مجملها إلى أن الرسائل الاتصالية التي يتم بثها من مصادر عالية التصديق تزيد من درجة إقناعية الرسالة ذاتها.

ويعتمد قياس مصداقية المرسل أو القائم بالاتصال على عنصرين أساسيين هما^(١): الخبرة (Expertise) وزيادة الثقة في القائم بالاتصال (Trustworthiness). ويفسر مفهوم الخبرة بمدرجات المتلقي عن معرفة المصدر للإجابة الصحيحة عن السؤال أو القضية المطروحة وموقفه السليم منها، وهذه تعتمد على: التدريب، التجربة والقدرة، الذكاء، الإنجاز المهني، والمركز الاجتماعي. والشخص الخبير هو الذي يملك المعلومات الصادقة والحقيقية عن الموضوع الذي يتحدث فيه أو يناقشه مع المتلقي.

ويشير عنصر الثقة إلى إدراك المتلقي عن المرسل أو المصدر بأنه يشارك في الاتصال بشكل موضوعي ودون تحيز. والمصدر الموثوق فيه هو الذي يميل إلى تقديم معلومات موضوعية عما يمكن أن يحدث في العالم الحقيقي، وبالتالي فإن التوصيات التي تنتج عن هذه المعلومات يمكن تصديقها. إلا أن المشكلة عادة ما تكمن في أن الشخص الخبير قد لا يكون موثوقاً به.

لذلك على المصدر أو المرسل أن يحاول دائماً الوصول إلى ثقة المستقبل لأن هذه الثقة هي الأساس الذي يبنى عليه المستقبل تصديقه الرسالة فالناس يؤمنون عادة بذوي الكفاءات الكبيرة، ويتأثرون بالشخصيات المحبوبة.

وقد أجريت عدة دراسات حول تأثير المرسل أو المصدر على المستقبلين؛ ومنها التجارب العلمية التي أجراها هوفلاند ونابيس؛ حيث اختارا مجموعتين من مستقبلين رسائل اتصالية؛ عرضاً الأولى لمصدر موثوق به إلى حد كبير، والثانية لمصدر أقل ثقة من الأولى بكثير فكانت النتائج كالتالي^(٢):

(١) انظر؛ محمد عبد الحميد: نظريات الإعلام واتجاهات التأثير (القاهرة: عالم الكتب، ط(٢)، ٢٠٠٠)، ص(٩٦).

(٢) نقلاً عن؛ محمد السيد فهمي: تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية، ص(٨٩).

- إن المصدر الموثوق به تستطيع أن تقتنع بوجهة نظره إلى درجة تبلغ ثلاثة أضعاف ونصف الدرجة التي يبلغها المصدر الأقل ثقة. ونشير إلى أنه ليس المقصود بالثقة مطلقها، ولكن ما يتصور المستقبل نفسه وفكرته عن المصدر. وفي هذا الإطار أسفرت مجموعة من الدراسات فيما يتعلق بأمانة المصدر وجدارته بالثقة من جانب الجمهور عن ما يأتي^(١):
- أنه على الرغم من الجمهور يكتسب أولا الكمية نفسها من المعلومات بغض النظر عن درجة مصداقية المصدر، إلا أنه يحكم على هذه المعومات بعد ذلك من حيث صحتها أو خطئها، ملاءمتها له أو عدم ملاءمتها طبقا لمعيار الثقة من جانبه في المصدر. فإذا كانت المعلومات منسوبة إلى مصدر منخفض المصداقية انخفضت درجة ثقة الجمهور فيها، بعكس الحال بالنسبة للمعلومات المنسوبة إلى مصدر عالي التصديق والثقة، والتي يتم استقبالها بدرجة عالية، وعلى أساس أنها أكثر صحة ومنطقية فيما تلخص إليه من نتائج وتفسيرات.
- أن التغير في الاتجاه الذي يستهدفه المصدر يكون عاليا عندما يكون المصدر موثوقا به، ومنخفضا إذا كان المصدر غير موثوق به، وهذا يؤكد أن أمانة المصدر وجدارته بالثقة يمثلان جانبا مهما من جوانب قابلية المصدر للتصديق.

٢ - **الاجاذبية**: وتتحقق حين يكون المرسل قريبا من الجمهور من النواحي النفسية والاجتماعية والإيديولوجية، إذ أننا نحب المرسل الذي يساعدنا على التخلص من القلق والضغط والتوتر وعدم الأمان، ويساعدنا على اكتساب القبول الاجتماعي والحصول على ثواب شخصي لأنفسنا.

ونظرا لصعوبة قياس هذه الخاصية موضوعيا، فقد ركز كثير من الباحثين على محددات خاصة لهذا المفهوم تتمثل في^(٢): التشابه والتماثل (Similarity)، المودة (Familiarity)،

(١) منى سعيد الحديدي وسلوى إمام على: الإعلام والمجتمع، ص (٧٩).

(٢) انظر؛ محمد عبد الحميد: نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ص (٩٧-٩٩).

والحب (Liking). وذلك بناء على الفرض القائل بأن المصدر أو المرسل ذو الجاذبية سيكون أكثر تأثيراً عن الشخص المحايد أو الذي ليس له جاذبية في عملية الاتصال أو الإقناع.

- فنحن ننجذب إلى الأشخاص الذين يشبهونا ونتأثر بهم عن الأشخاص الذين يختلفون عنا، وتشمل عملية التشابه أو التماثل؛ التشابه في الخصائص الديمغرافية والخصائص الفكرية أو العقائدية، فالمتلقي يميل إلى التأثر بالمرسل الذي يشاركه خصائصه العامة مثل: العمر، درجة التعلم، المهنة مستوى، الدخل الدين، مقر الإقامة،... حيث يرى المتلقي أنه يمكن التوحد معه لأنه غالباً ما يكون له الحاجات والأهداف نفسها.

وكذلك يميل المتلقي إلى المصدر الذي يشاركه في الآراء والاتجاهات. ويرى الباحثون أن عنصر الخصائص الفكرية والعقائدية أكثر قوة من التشابه الديمغرافي.

- وتزيد المودة من التفاعل بين الأشخاص مما يدفعهم إلى هذا الانجذاب.
- ومن جانب آخر فإن التشابه والمودة يقودان إلى الحب. ويعتبر التدعيم مدخلا لأن نحب الآخرين، حيث نحب من يثبنا ونكره من يعاقبنا، وقد يتزايد الحب مع زيادة العائد الذي يتمثل في تخفيف التوتر والضغط والعزلة والخوف. وبالإضافة إلى تخفيف التوتر فنحن نميل إلى اكتساب تقدير الآخرين والقبول الاجتماعي ونحب من يساعدنا على ذلك.

وتشير النتائج العامة لبحوث الجاذبية إلى أن الحب والمودة والتشابه ذات علاقة إيجابية بتغيير الآراء، وإن لم يكن هناك تأكيد كاف على ما إذا كانت الجاذبية تسبب تغيير الآراء أم أن تشابه الآراء هو الذي يحقق الجاذبية.

٣ - قوة المصدر: فقد لا يمتلك المرسل أو القائم بالاتصال المصدقية أو الجاذبية، ولكن يظل له التأثير في تغيير اتجاهات الأفراد وسلوكياتهم، مثل هذا تكون له القوة التي يمكن إدراكها من خلال سيطرته وضبطه للأمر، وكذا أهميته، بالإضافة إلى قدرته على التدقيق والتحصيص. وإدراك المتلقي للضبط والسيطرة يظهر في قدرة المرسل، أو المصدر على تقديم

الثواب والعقاب ، وهذا يعادل تماما التأثير بالإذعان، وإدراكه لأهميته يظل مرهونا بقدر اهتمام المصدر برضا المتلقي من عدمه، وإدراكه للتدقيق يكون امتدادا لقدرة المرسل على ملاحظة تكيف أو رضا المستقبل.

والإذعان يشمل توقعات الجمهور لتوصيات المصدر دون تعهدات خاصة منه. وبذلك فإن التأثير قد يظهر في دافعية المتلقي للحصول على الثواب أو تجنب العقاب الذي يمكن أن يفرضه المصدر. وإضافة إلى ما تقدم نقول: تؤدي مصداقية المصدر إلى تفاعلنا الداخلي مع الأفكار الجديدة، وتحقق جاذبيته الشعور بالتوحد، وتؤدي القوة إلى الحصول على الموافقة أو الإذعان. ومن خلال الدراسات التي راجعها الكسيس تان توصل إلى النتائج التالية

بشأن فعالية المصدر:

١. تؤدي المصداقية العالية للمصدر إلى تغيير فوري لدى المتلقي أسرع من المصادر ذات المصداقية المنخفضة.
٢. لا تؤثر مصداقية المصدر على تذكر الرسالة، وإن كان تقييم الرسالة يتم من ذوي المصداقية المرتفعة بشكل أفضل من ذوي المصداقية المنخفضة.
٣. تؤثر الرسالة ومصداقية المصدر على الإقناع، ولكن يظهر الاختلاف للتأثير الإقناعي بين المصداقية العالية والمصداقية المنخفضة عندما يكون هناك تدعيم ضعيف لاستنتاجات الرسالة، أما الرسائل التي تتضمن حجج قوية، فيمكن أن تكون فعالة بغض النظر عن مصداقية المصدر.
٤. المصادر المتحيزة في الغالب أقل تأثيرا من المصادر غير المتحيزة، ولكنها تكون أكثر فاعلية في تعزيز الآراء، وكذلك إذا كان المصدر جذابا وذا نفوذ.
٥. المصادر الجذابة غالبا ما تكون أشد تأثيرا من المصادر غير الجذابة.
٦. القائم بالاتصال يكون أكثر إقناعا عندما يعد المتلقي بالثواب أو المكافأة أكثر مما يعده بالتهديد أو العقاب.

٧. مصداقية المصدر لها تأثير أكبر من جاذبيته، ونحن نتأثر أكثر إذا كان المصدر خبيراً أكثر من كونه واحداً من رفاقنا

ووصف الإعلامي في الآية (بالفاسق) فقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا"، والفسق: كما قال أهل التفسير الخارج عن الحدود الشرعية التي يجب مراعاتها والتزامها. قال الألويسي: "وصف الإنسان به - عما قال ابن الأعرابي - لم يسمع به في كلام العرب؛ والظاهر أن المراد به هنا المسلم المخل بشيء من أحكام الشرع أو المروءة بناء على ما قابلته بالعدل. وقد اعتبر في العدالة عدم الإخلال بالمروءة، والمشهور الاقتصار في تعريفه على الإخلال بشيء من أحكام الشرع"^(١)

والسؤال: لماذا قال المولى (عز وجل): «إن جاءكم فاسق بنبأ»، ولم يقل: «إن جاءكم أحد نبأ» أو «مؤمن بنبأ»؟ في إشارة لطيفة أشار إليها الفخر الرازي في تفسيره قال: «وذكر ما لو كان حاضر لتأذي، وهو في غاية الحسن من الترتيب، فإن قيل: لم يذكّر المؤمن قبل الفاسق لتكون المراتب متدرجة الابتداء بالله ورسوله ثم المؤمن الحاضر ثم المؤمن الغائب، ثم الفاسق؟ نقول: قدّم الله ما هو الأهم على ما دونه، فذكر جانب الله، ثم ذكر جانب الرسول ثم ذكر ما يفضي إلى الاقتتال بين طوائف المسلمين بسبب الإصغاء إلى كلام الفاسق والاعتماد عليه، فإنه يذكر كل ما كان أشد نفاقاً للصدور، وأما المؤمن الحاضر أو الغائب فلا يؤدي المؤمن إلى حد يفضي إلى القتل، ألا ترى أن الله تعالى ذكر عقيب نبأ الفاسق آية الاقتتال»^(٢).

وقال صاحب الكشاف: «وفي تنكير الفاسق والنبأ»، شياع في الفساق والأنباء، كأنه قال: أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه، وتطلبوا بيان الأمر، وانكشف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق»^(٣)، فمفهوم المخافة لمدلول (فاسق) يشير إلى صدق وعدالة وثقة

(١) شهاب الدين الألويسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج(٢٥)، ص(١٤٥).

(٢) الفخر الرازي: التفسير الكبير، م(١٤)، ج(٢٧)، (٢٨)، ص(١٠٢).

(٣) الزمخشري:

المصدر أو المرسل أو الإعلامي الذي ينقل الأخبار إلى الجمهور، لذلك كانت الآية أحد الأصول التي أخذ منها السلف الصالح قبول خبر الواحد فير الفاسق لأمرين^(١):

الأول: أنه علل قبول خبر الواحد بالفسق لا لكونه خبر الواحد، وإلا لزم توارد العلتين على معلول واحد، والعلة الثانية تحصيل الحاصل لأن خبر الواحد معلل رده بذاته قبل الفسق.

الثاني: أن الأمر بالتبين يشترط فيه مجيء الفاسق بالخبر، وهذا مفهوم الشرط، وهو معتبر على القول الصحيح، فالعمل بخبر الواحد واجب إذا لم يكن فاسقاً.

بل وقد استدلل بعض العلماء بالآية على قبول خبر مجهول الحال وهو الذي لا تعلم عدالته ولا فسقه، فلا يلزم التثبت فيه، لأن الفسق شرط وقد انتفى ظاهراً، ورفض من طرف آخرين لاحتمال فسقه، لأن انتفاء العلم بالفسق لا يدل على عدم الفسق^(٢).

ولذلك قال تعالى: «فتبينوا» ومعناه كما قال ابن عاشور: تبينوا الحق، أي من غير جهة ذلك الفاسق، فخبر الفاسق يكون داعياً إلى التبع والتثبت... وإنما كان الفاسق معرضاً خبره للريبة والاختلاف لأن الفاسق ضعيف الوازع الديني في نفسه، وضعف الوازع يجرئه على الاستخفاف بالمحذور، وبما يخبر به في شهادة، أو خبر يترتب عليهما أضرار بالغير، أو بالصالح العام ويقوي جرأته على ذلك دوماً إذا لم يتب، ويندم على ما صدر منه ويقلع عن مثله^(٣).

(١) محمد الانصاري: منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات، ص (٣٣٩).

(٢) الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج (٢٨)، ص (١٢٠).

(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، ص (٢٣١).



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

من حكم التشريع لمسائل علم المواريث

الدكتور: نجيب بوحنيك

أستاذ مادة المواريث بكلية الشريعة، جامعة باتنة - الجزائر

الأستاذة: سلاف القيقط

أستاذة القراءات بكلية الشريعة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة - الجزائر -



• **قال تعالى :** { لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا } [النساء : (٧)]

• **وقال تعالى :** { يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبُوَاهُ فَلَأُمُّهُ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأُمُّهُ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَلَدٍ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ . تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ . } [النساء : (١١، ١٢، ١٣، ١٤)]

• **وقال تعالى :** { يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [النساء : (١٧٦)]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلا هادي له ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق الذي بعث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فنظرا للمعاني القرآنية العميقة والحكم التشريعية الأصيلة، التي تضمنتها نصوص الميراث في شريعة الإسلام الحنفية السّميحة ارتأينا -بعون الله- من خلال هذا البحث تجلية بعض الأسرار واللّطائف واللمسات التي احتواها هذا التّشريع المعجز لفريضة الميراث من خلال تتبع ما استنبطه هؤلاء الجهابذة من علمائنا الأفاضل أثناء بيانهم وتفسيرهم لآيات الفرائض، ووقفاتهم الفاحصة المتأملّة لتلك السياقات القرآنية من سورة النّساء، وهي تعرض للأمة مقادير وأنصبة وسهام الورثة وشروط استحقاقهم لها بدقّة فائقة، تتجلى فيها حكمة الباري -عز وجل- وعلمه المطلق بأحوال عباده .

وقد عقب على آيات الميراث فقال عن نفسه.. { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } .. { وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ } ...
 { وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } .

وبعد جمع المادة العلمية وتهذيبها وترتيبها، جاءت خطة هذا البحث متضمنة أحد عشر فرعاً، حسب التفصيل والترتيب الآتي :

- **الفرع الأول :** علم الميراث بين التعبد والتعليل .
- **الفرع الثاني :** الحكمة من إجمال الميراث في بداية تشريعه .
- **الفرع الثالث :** الحكمة في مجيء آيات الميراث الثلاث بهذا الترتيب وهذا التوالي .
- **الفرع الرابع :** الحكمة في مجيء الحقوق المتعلقة بالتركة بهذا الترتيب .
- **الفرع الخامس :** الحكمة من تصدير آيات الميراث بلفظ : يوصيكم و أولادكم .
- **الفرع السادس :** الحكمة من تضعيف حظ الذكر على حظ الأنثى في الميراث .
- **الفرع السابع :** الحكمة من تقديم البنوة على الأبوة في الميراث .

- **الفرع الثامن :** الحكمة في حجب الأب للإخوة دون الأم .
 - **الفرع التاسع :** الحكمة في أن الإخوة لأم يتساوى ذكرهم وأنثاهم في الميراث .
 - **الفرع العاشر :** الحكمة من تذييل آيات المواريث الثلاث بأسماء الله الحسنى .
 - **الفرع الحادي عشر :** الحكمة من ترتب الوعد والوعيد بعد بيان مقادير الميراث .
- ثم جاءت في أعقاب هذه الفروع خاتمة أوجزنا فيها أهم ما انتهينا إليه من نتائج بعد رحلتنا مع هذا البحث.
- وبعد معرفة المحاور العامة للبحث من خلال هذه التوطئة الموجزة، سنشرع الآن -بعون الله- في عرض المادة العلمية التي حواها كل فرع من الفروع السابقة :

الفرع الأول :علم الميراث بين التعبد والتعليل

عند استقراء مسائل الميراث وأحكامه نتبين أنّ هذا العلم الغالب فيه التعبد خاصّة من ناحية المقادير والأنصبة : قال ابن حجر : « الفرائض الغالب عليها التعبد وانحسام وجوه الرأى والخوض فيها بالظن لا انضباط له بخلاف غيرها من أبواب العلم فان للرأى فيها مجالاً والانضباط فيها ممكن غالباً... وعلم الفرائض يؤخذ غالباً بطريق العلم. ”^(١)

ولكن في الوقت نفسه نجد أيضاً ثلّة من مسائله بنيت في الحقيقة على القياس والرأى والاجتهاد، وكانت حقلاً واسعاً في إمعان الفكر والنظر والتعليل... فبرزت مذاهب عدّة في مثل هذه المسائل الجزئية من زمن الصحابة إلى عهد الأئمة وتدوين الفقه.. ومن بين ما يذكر في هذا.. تلك المناظرة التي كانت بين زيد - رضي الله عنه- وابن عباس - رضي الله عنه- .. في مسألة الغراوين ، والتي اعتمد فيها سيدنا زيد على اجتهاده ، قال القرطبي: « روى عكرمة قال: أرسل ابن عباس إلى زيد بن ثابت يسأل عن امرأة تركت زوجها وأبويها، قال: للزوج النصف، وللأم ثلث ما بقي ، فقال: تجده في كتاب الله أو تقول برأى؟ قال: أقوله برأى؛ لا أفضل أما على أب. قال أبو سليمان: فهذا من باب تعديل الفريضة إذا لم يكن فيها نص؛ وذلك أنه اعتبرها بالمنصوص عليه، وهو قوله تعالى: { وَوَرِثَةُ أَبَوَاهُ فَلِأُمَّهُ الثُّلُثُ } . فلما وجد نصيب الأم الثلث، وكان باقي المال هو الثلثان للأب، قاس النصف الفاضل من المال بعد نصيب الزوج على كل المال إذا لم يكن مع الوالدين ابن أو ذو سهم؛ فقسمه بينهما على ثلاثة، للأم سهم وللأب سهان وهو الباقي. ”^(٢)

- وفي هذا يقول ابن العربي : « اعلموا علمكم الله أن هذه الآية - آية المواريث - ركن من أركان الدين ، وعمدة من عمد الأحكام ، وأم من أمهات الآيات : فإن الفرائض عظيمة القدر... وكان جل علم الصحابة وعظم مناظرتهم ، ولكن الخلق ضيعوه ... ولو لم يكن من فضل الفرائض والكلام عليها إلا أنها تبهت منكري القياس وتخزي مبطلي النظر في

(١) ابن حجر : فتح الباري (١٢/٤-٥) .

(٢) القرطبي :الجامع لأحكام القرآن (٥/٥٦) .

إلحاق النظر بالنظر ، فإن عامة مسائلها إنما هي مبنية على ذلك ؛ إذ النصوص لم تستوف فيها ، ولا أحاطت بنوازلها ” (١)

- وقال في موضع آخر مبيناً أن آيات المواثيق كانت حافزاً لتحريك همم المجتهدين ومسالك النظر عندهم .. عند تعقيبه على قوله تعالى في آخر آية المواثيق في ختام سورة النساء : { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } وهذا هو البيان الموعود به ؛ لأن الله سبحانه لم يجعل طرق الأحكام نصا يدركه الجفلى ، وإنما جعله مضموناً يختص به العلماء ليرفع الله تعالى الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات ، ويتصرف المجتهدون في مسالك النظر ، فيدرك بعضهم الصواب فيؤجر عشرة أجور ، ويقصر آخر فيدرك أجراً واحداً ، وتنفيذ الأحكام الدنيوية على ما أراد الله سبحانه ، وهذا بين للعلماء ، والله أعلم. ” (٢)

- وأرجع - رحمه الله - أن السرّ في سكوت الباري - عز وجل - عن مقدار ميراث البنين ، لتبين درجة العلماء في استنباط حكمهما وترتفع منزلة المجتهدين فيها ، حيث قال : « إن الله سبحانه وتعالى لو كان مبيناً حال البنين بيانه لحال الواحدة وما فوق البنين لكان ذلك قاطعاً ، ولكنه ساق الأمر مساق الإشكال ؛ لتبين درجة العالمين ، وترتفع منزلة المجتهدين في أي المرتبتين في إلحاق البنين أحق ؟ ... فحمل العلماء البنين على الأختين في الاشتراك في الثلثين ، وحملوا الأخوات على البنات في الاشتراك في الثلثين ، وكان هذا نظراً دقيقاً وأصلاً عظيماً في الاعتبار ، وعليه المعول ، وأراد الباري بذلك أن يبين لنا دخول القياس في الأحكام. ” (٣)

- وقال الشعراوي ، مبيناً الحكمة أيضاً من عدم التصريح بميراث البنين : «... وأنا أريد أن نستجمع الذهن هنا جيداً لتتعرف تماماً على مراد الحق ومسالك القرآن في تنبيه الأذهان لاستقبال كلام الله . فقد كرم الله الإنسان بالعقل ، والعقل لا بد له من رياضة . ومعنى

(١) ابن العربي : أحكام القرآن (١/ ٣٣٠-٣٣١) .

(٢) ابن العربي : أحكام القرآن (١/ ٥٢١) .

(٣) ابن العربي : أحكام القرآن (١/ ٣٣٦، ٣٤١) .

الرياضة هو التدريب على حل المسائل ، وإن طرأت مشكلات هيأ نفسه لها بالحل ، وأن يملك القدرة على الاستنباط والتقييم ، كل هذه من مهام العقل... وبقي شيء لم يأت الله له بحكم ، وهو أن يكون المورث قد ترك ابنتين . وهنا نجد أن الحق قد ضمن للابنتين في إطار الثلاث بنات أو أكثر أخذ الثلثين من التركة ، هكذا قال العلماء ، ولماذا لم ينص على ذلك بوضوح؟ لقد ترك هذه المهمة للعقل ، فالبنت حينما ترث مع الذكر تأخذ ثلث التركة ، وعندما تكون مع ابنة أخرى دون ذكر ، تأخذ الثلث .

فإذا كانت مع الذكر وهو القائم بمسئولية الكدح تأخذ الثلث ، ولذلك فمن المنطقي أن تأخذ كل أنثى الثلث إن كان المورث قد ترك ابنتين . وهناك شيء آخر ، لتعرف أن القرآن يأتي كله كمنهج متماسك ، فهناك آية أخرى في سورة النساء تناقش جزئية من هذا الأمر ليترك للعقل فرصة العمل والبحث ، يقول سبحانه : { يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثَانُ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } لقد جاء الحق هنا بأختي المورث وأوضح أن لهما الثلثين من التركة إن لم يكن للمورث ولد - ابن أو بنت - فإذا كان للأختين الثلثان ، فأيهما ألصق بالمورث ، البنتان أم الأختان؟ إن ابنتي المورث ألصق به من أختيه ، ولذلك فللبنتين الثلثان ، فالابنة إن كانت مع أخيها فستأخذ الثلث ، وإن كانت قد ورثت بمفردها فستأخذ النصف . وإن كانت الوارثات من البنات أكثر من اثنتين فسيأخذن الثلثين ، وإن كانتا اثنتين فستأخذ كل منهما الثلث ، لماذا؟ لأن الله أعطى الأختين ثلثي ما ترك المورث إن لم يكن له أولاد .

ومن العجيب أنه جاء بالجمع في الآية الأولى الخاصة بتوريث البنات ، وجاء بالثنى في الآية التي تورث الأخوات ، لنأخذ المثنى هناك- في آية توريث البنات- لينسحب على المثنى هناك .

لقد أراد الحق أن يجعل للعقل مهمة البحث والاستقصاء والاستنباط وذلك حتى نأخذ الأحكام بشغف وحسن فهم ، وعندما يقول سبحانه : { يَسْتَفْتُونَكَ } فمعنى يستفتونك

أي يطلبون منك الفتوى ، وهذا دليل على أن المؤمن الذي سأل وطلب الفتيا قد تعلق بالتكليف، فهو يجب أن يعرف حكم الله ، حتى فيما لم يبدأ الله به الحكم . وقد سأل المؤمنون الأوائل وطلبوا الفتيا محبة في التكليف . ” (١)

- وقال سيد قطب : “... هذه الآيات الثلاث تتضمن أصول علم الفرائض - أي علم الميراث - أما التفرعات فقد جاءت السنة ببعضها نصاً واجتهد الفقهاء في بقيتها تطبيقاً على هذه الأصول . ” (٢)

- وقال السهيلي : «... قد أتينا على ما تتضمنه الآية من أصول الفرائض وقال السلف من العلماء قد أبقى القرآن موضعاً للسنة وأبقت السنة موضعاً للاجتهاد والرأي ثم إن القرآن قد أحال على السنة ... وأحال الرسول عليه السلام بعد ما بين من أصول الفرائض ما بين على زيد بن ثابت بقوله في الحديث : « وأفرضهم زيد بن ثابت » ، فصار قول زيد أصلاً عول عليه الفقهاء واستقر العمل به . » (٣)

- وقال أيضاً : « وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ... حين أشكلت عليه مسألة الجدمشى بنفسه إلى منزل زيد بن ثابت يستفهمه عن رأيه فيها فانتهى إلى قوله واستحسن ما سمع من قياسه فيها ونظره رضي الله عنهم أجمعين فإنهم اجتهدوا للمسلمين وتفقهوا في الكتاب المبين وتحروا الصدق فيما نقلوه من وحي رب العالمين حتى استقامت قناة الإسلام » (٤)

• مما سبق عرضه يمكن استخلاص الآتي :

١/ - أن الفرائض وإن كان الغالب عليها التعبد، إلا أنه وقع في العديد من مسائلها التي لم يرد فيها نص الأخذ بالقياس والاجتهاد والرأي من عهد الصحابة إلى زمن الأئمة ومن بعدهم ، حتى إن ابن العربي اعتبر أن من فضل علم الفرائض أنها تبهت منكري القياس،

(١) الشعراوي : تفسير الشعراوي (١/ ١٣٨١) .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢/ ٢٦١) .

(٣) السهيلي : الفرائض (٧٧) .

(٤) السهيلي : الفرائض (٢٦) .

وتخزي مبطلِي النَّظَر في إلحاق النَّظِير بالنَّظِير، ثم قرّر أن عامّة مسائل علم الميراث وأغلبها مبنية على «القياس والنّظر»، إذ التّصوُّص لم تستوف فيها، ولا أحاطت بنوازلها .. وإن كُنّا نرى أنّ في هذا مبالغة منه -رحمه الله- والله أعلم - .

٢/ - أن الباري -عز وجل- سكت عن بعض المسائل في علم الفرائض وساقها مساق الإشكال، ولم يبيّن الحكم فيها بصراحة ووضوح، بل ترك ذلك لأصحاب النّظر والعقول حتّى يشحذ همهم فينظروا ويتأملوا ويجتهدوا لاستنباط ما خفي من أحكام في مثل هذه المواضع، ومن ثمة تتبيّن درجة العاملين، وترتفع منزلة المجتهدين.

٣/ - وإن من حكمته تعالى أيضا في عدم بيان أحكام بعض المسائل أنّه أراد أن يجعل للعقل مهمّة وهي : البحث والاستقصاء والتّتبّع .. فإذا أدركنا بعد هذا الجهد مراد الشارع وحكمه في مثل هذه المسائل المسكوت عنها .. فإننا نفرح بهذه الأحكام المستنبطة ونأخذها ونعمل بها .. لأن من تعب في إدراك شيء وحصله فإنّه يحرص عليه .. وفي مثل هذا المقام أنّه يستلزم الحكم التّكليفي الذي طلب الفتيا عنه .. ومن ثمّ ينقاد ويأتمر به إن كان أمرا، وينتهي عنه إن كان نهيا ..

- **وإجمالا :** نلاحظ أن فريضة الميراث وإن كان الأصل فيها والغالب عليها التّعبد المحض، إلّا أن فيها ما هو معقول المعنى، ظاهر القصد، جليّ الحكمة .. وذلك لدورانها حول موضوع المال الذي اهتمت به الشريعة الإسلامية أيها اهتمام، وقننته أحسن تقنين .. وهذا وغيره كان حافزا للعلماء أن يمعنوا نظرهم وتأملاتهم لاستنباط بعض الحكم والمقاصد والأسرار لهذا التّقنين المالي الدقيق .. وهذا التّوزيع العادل للثروة .. وهذا ما سيتجلى أكثر من خلال ما سنعرضه من حكم ومقاصد في الفروع الآتية من هذا البحث - إن شاء الله - .

الفرع الثاني : الحكمة من إجمال الميراث في بداية تشريعه

أجمل الله الحكيم العليم الكلام عن الميراث في بداية تشريعه في قوله تعالى : { لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا } لحكم عديدة :

- قال الرازي : ” كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال ، ويقولون لا يرث إلا من طاعن بالرمح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة ، فبين تعالى أن الإرث غير مختص بالرجال ، بل هو أمر مشترك فيه بين الرجال والنساء ، فذكر في هذه الآية هذا القدر ، ثم ذكر التفصيل بعد ذلك ولا يمتنع إذا كان للقوم عادة في توريث الكبار دون الصغار ودون النساء ، أن ينقلهم سبحانه وتعالى عن تلك العادة قليلاً قليلاً على التدرج ، لأن الانتقال عن العادة شاق ثقيل على الطبع ، فاذا كان دفعة عظم وقعه على القلب ، وإذا كان على التدرج سهل ، فلهذا المعنى ذكر الله تعالى هذا المجمع أولاً ، ثم أردفه بالتفصيل. “ (١)

- قال ابن العربي : « كان أهل الجاهلية يمنعون النساء الميراث ويخصون به الرجال ، حتى كان الرجل منهم إذا مات وترك ذرية ضعافاً وقرابة كباراً استبد بالمال القرابة الكبار ... فنزلت هذه الآية... وكان هذا من

الجاهلية تصرفاً بجهل عظيم ؛ فإن الورثة الصغار الضعاف كانوا أحق بالمال من القوي ؛ فعكسوا الحكم وأبطلوا الحكمة ؛ فضلوا بأهوائهم وأخطئوا في آرائهم ... وكان نزول هذه الآية توطئة للحكم وإبطالا لذلك الرأي الفاسد ، حتى وقع البيان الشافي بعد ذلك على سيرة الله وسنته في إبطال آرائهم وسنتهم. “ (٢)

(١) الرازي: التفسير الكبير (٥/٢٠١) .

(٢) ابن العربي : أحكام القرآن (١/٣٢٨) ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٥/٤٦) .

- وقال ابن عاشور: "استئناف ابتدائي، وهو جار مجرى النتيجة لحكم إيتاء أموال اليتامى، ومجرى المقدمة

لأحكام المواريث التي في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ ومناسبة تعقيب الآي السابقة بها:

أنهم كانوا قد اعتادوا إثارة الأقوياء والأشداء بالأموال، وحرمان الضعفاء، وإبقاءهم عالة على أشدائهم حتى يكونوا في مقادتهم، فكان الأولياء يمنعون عن محاجيرهم أموالهم، وكان أكبر العائلة يحرم إخوته من الميراث معه فكان أولئك لضعفهم يصبرون على الحرمان، ويقنعون بالعيش في ظلال أقاربهم، لأنهم إن نازعوهم طردوهم وحرموهم، فصاروا عالة على الناس. وأخص الناس بذلك النساء فإنهن يجدن ضعفا من أنفسهن، ويخشين عار الضيعة، ويتقين انحراف الأزواج، فيتخذن رضا أوليائهن عدة لهن من حوادث الدهر، فلما أمرهم الله أن يؤتوا اليتامى أموالهم، أمر عقبه بأمرهم بأن يجعلوا للرجال والنساء نصيبا مما ترك الوالدان والأقربون. فإيتاء مال اليتيم تحقيق لإيصال نصيبه مما ترك له الوالدان والأقربون، وتوريث القرابة إثبات لنصيبهم مما ترك الوالدان والأقربون، وذكر النساء هناك تمهيدا لشرع الميراث، وقد تأيد ذلك بقوله {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ} [النساء: ٨] فإن ذلك يناسب الميراث... وكانوا في الجاهلية لا يورثون بالبنة إلا إذا كان الأبناء ذكورا، فلا ميراث للنساء لأنهم كانوا يقولون إنها يرث أموالنا من طاعن بالرمح وضرب بالسيف... فلما جاء الإسلام... شرع الله الميراث بالقرابة، وجعل للنساء حظوظا في ذلك فأتت الكلمة، وأسبغ النعمة، وأوماً إلى أن حكمة الميراث صرف المال إلى القرابة بالولادة وما دونها. وقد كان قوله تعالى {وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} أول إعطاء لحق الإرث للنساء في العرب. ولكون هذه الآية كالمقدمة جاءت بإجمال الحق والنصيب في الميراث وتلاه تفصيله، لقصد تهية النفوس، وحكمة ورود الأحكام المراد نسخها إلى أثقل لتسكن النفوس إليها بالتدرج... وقوله: {مِمَّا تَرَكَ} بيان لما ترك لقصد تعميم ما ترك الوالدان والأقربون وتنصيب على أن الحق متعلق بكل جزء من المال، حتى

لا يستأثر بعضهم بشيء.. وقوله { نَصِيْبًا مَّفْرُوضًا }... ومعنى كونه مفروضاً أنه معين المقدار لكل صنف من الرجال والنساء... وهذا أوضح دليل على أن المقصود بهذه الآية تشريع الموارث. “ (١)

- وقال الشعراوي: ” ولم يحدد النصيب بعد هذه الآية مباشرة إلا بعد ما جاء بحكاية اليتامى وتحذير الناس من أكل مال اليتيم، لماذا؟ لأن ذلك يربي في النفس الاشتياق للحكم، وحين تستشرف النفس إلى تفصيل الحكم، ويأتي بعد طلب النفس له، فإنه يتمكن منها. والشيء حين تطلبه النفس تكون مهياً لاستقباله، لكن حينها يعرض الأمر بدون طلب، فالنفس تقبله مرة وتعرض عنه مرة أخرى. ” (٢)

- وقال الألوسي: ” قوله: { مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ }... وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال، وبهذا يرد على الإمامية لأنهم يخصون أكبر أبناء الميت من تركته بالسيف والمصحف والخاتم واللباس البدني بدون عوض عند أكثرهم، وهذا من الغريب كعدم توريث الزوجة من العقار مع أن الآية مفيدة أن لكل من الفريقين حقاً من كل ما جل ودق، وتقديم القليل على الكثير من باب { لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا } [الكهف: ٤٩]. “ (٣)

- وقال سيد قطب: ”... وهكذا كان المنهج الرباني ينسخ معالم الجاهلية في النفوس والمجتمعات ويثبت معالم الإسلام; ويمحو سمات الجاهلية في وجه المجتمع ويثبت ملامح الإسلام. وهكذا كان يصوغ المجتمع الجديد ومشاعره وتقاليده وشرائعه وقوانينه في ظلال تقوى الله ورقابته ويجعلها الضمان الأخير لتنفيذ التشريع...“

ولقد كانوا في الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصبية - في الغالب - إلا التافه القليل. لأن هؤلاء وهؤلاء لا يركبون فرساً ولا يردون عادياً! فإذا شرعة الله تجعل الميراث - في أصله -

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٤/٢٤٧-٢٥٠)

(٢) الشعراوي: تفسير الشعراوي (١/١٣٧٧)

(٣) الألوسي: تفسير الألوسي (٤/٢١١)

حقاً لذوي القربى جميعاً - حسب مراتبهم وأنصبتهم المبينة فيما بعد - وذلك تمشياً مع نظرية الإسلام في التكافل بين أفراد الأسرة الواحدة وفي التكافل الإنساني العام ... لما كان الأمر كذلك جعل الإسلام التكافل في محيط الأسرة هو حجر الأساس في بناء التكافل الاجتماعي العام . وجعل الإرث مظهراً من مظاهر ذلك التكافل في محيط الأسرة . فوق ما له من وظائف أخرى في النظام الاقتصادي والاجتماعي العام ... لأن التكافل في محيط الأسرة أو في محيط الجماعة الصغيرة يخلق مشاعر لطيفة رحيمة تنمو حولها فضائل التعاون والتجاوب نمواً طبيعياً غير مصطنع ... فشعور الفرد بأن جهده الشخصي سيعود أثره على ذوي قرابته - وبخاصة ذريته - يحفزه إلى مضاعفة الجهد فيكون نتاجه للجماعة عن طريق غير مباشر . لأن الإسلام لا يقيم الفواصل بين الفرد والجماعة . فكل ما يملك الفرد هو في النهاية ملك للجماعة كلها عندما تحتاج . . وهذه القاعدة الأخيرة تقضي على كل الاعتراضات السطحية على توريث من لم يتعب ولم يبذل جهداً - كما يقال! - ... ثم إن العلاقة بين المورث والمورث - وبخاصة الذرية - ليست مقصورة على المال . فإذا نحن قطعنا وراثته المال فما نحن بمستطيعين أن نقطع الوشائج الأخرى والوراثات الأخرى بينهما . إن الوالدين والأجداد والأقرباء عامة لا يورثون أبناءهم وأحفادهم وأقاربهم المال وحده . إنما يورثونهم كذلك الاستعدادات الخيرة والشريرة والاستعدادات الوراثية للمرض والصحة والانحراف والاستقامة والحسن والقبح والذكاء والغباء . . إلخ . وهذه الصفات تلاحق الوارثين وتؤثر في حياتهم ولا تتركهم من عقابيلها أبداً . فمن العدل إذن أن يورثوهم المال . وهم لا يعفونهم من المرض والانحراف والغباء . ولا تملك الدولة - بكل وسائلها - أن تعفيهم من هذه الوراثة . من أجل هذه الواقعيات الفطرية والعملية في الحياة البشرية - ومن أجل غيرها وهو كثير من المصالح الاجتماعية الأخرى - شرع الله قاعدة الإرث: {للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً} .. هذا هو المبدأ العام الذي أعطى الإسلام به « النساء » منذ أربعة عشر قرناً حق الإرث كالرجال - من ناحية المبدأ - لأن الجاهلية كانت تنظر إلى الأفراد حسب قيمتهم العملية في الحرب والإنتاج . أما الإسلام فجاء بمنهجه الرباني ينظر إلى «

الإنسان» - أولاً - حسب قيمته الإنسانية .. ”(١)“

بعد هذا العرض نرى أن حكم إجمال الميراث في مطلع تشريعه تتلخص فيما يأتي :

١/ - إن أهل الجاهلية ألفوا أن يورثوا الرجال الكبار دون النساء والصغار، وكانت هذه عادة عندهم ، ومخالفة

العادات عند الخلق دفعة واحدة يشق ويثقل على النفوس، وإذا كان على التدرج فإنه يسهل عليها، فلكي ينقلهم ويصرفهم الله - عز وجل - عن هذه العادة التي ألفوها، تدرج بهم، فأجمل الكلام عن الميراث ثم فصله فيما بعد.

٢/ - أجمل الله الميراث في هذه الآية توطئة ومقدمة لحكم تشريع الميراث ومقاديره وأنصبتة المختلفة ، وإبطالا لذلك الحكم المعكوس والرأي الفاسد - من استبداد الكبار الأقوياء بالمال دون الصغار الضعاف - ، وتهيئة للنفوس لإنفاذ حق الميراث للنساء على حد سواء مع الرجال مما قلّ منه أو كثر نصيبا مفروضا.

٣/ - عدم تحديد الأنصبة وتفصيل أحكامها في بداية تشريع الميراث، يربي في النفس الشوق إلى الحكم وإلى التكليف، فالشيء الذي تستشرفه النفس وتطلبه تكون مهية لاستقباله، أما إن عرض عليها دون طلب أو شوق فقد تقبله مرة وتعرض عنه مرة أخرى، فلاجل تنمية هذا الشوق لفريضة الميراث أجمل الله حكمه في بداية تشريعه.

٤/ - إن العلاقة بين المورث والوارث، وخاصة ذريته، ليست مقصورة على المال فحسب .. إذ أن الوالدين والأجداد والأقرباء عامة لا يورثون أبناءهم وأحفادهم المال وحده، إنما يورثونهم كذلك الاستعدادات الخيرة والشريرة، والاستعداد الوراثية للمرض والصحة، والانحراف والاستقامة، والحسن والقبح، والذكاء والغباء .. فمن العدل إذن أن يورثوهم جميعا المال - بما في ذلك النساء - كما ورثوهم جميعا تلك الاستعداد المختلفة، وهذا مما أوماً الله إليه بهذا الإجمال ، وقوله : ”مما قلّ منه أو كثر“ يدل على عدم اختصاص

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢/٢٥٧-٢٥٨)

بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب والعقار والأراضي فإنّها في نظر البعض مقصورة على الرّجال فقط .. وكذا حلية الميّتة من الذهب والفضة مخصوصة بالنّساء دون الرّجال .. فللرّجال والنّساء الحق في الأخذ من كل ما جلّ ودقّ أو كثر وقلّ ممّا ترك الميّت على حدّ سواء.

• **• وإجمالاً نقول :** إنّ الحكمة تقتضى أن الضعيف أولى بالميراث من الغنى، وهذا عكس ما كان عليه الحال على عهد الجاهلية العمياء، فجاء نور الإسلام فأعطى كلّ ذي حقّ حقه بصورة عادلة لا يشوبها أدنى ظلم أو ضيم، وعليه أجمل الله - عز وجل - الكلام عن الميراث في هذه الآية تمهيداً وتهيئةً لنفوس أولئك الصّفوة من المؤمنين حتّى يكونوا على أتمّ استعداد لما سيشرعه من أحكام جزئية وتفصيلية في هذه المنظومة العادلة للرّجال والنّساء، وللكبار، وللصّغار، وللأقوياء والضعفاء، على حدّ سواء.. تنفيذاً لقاعدة شعار الإسلام في ذلك قوله - جلّ في علاه - : ”مّمّا قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً“، وتنفيداً لقاعدة شعار الجاهليّة : ”لا يرث أموالنا إلّا من طاعن بالرّمح وضرب بالسيف“ .. نعم ! ذاك هو بيان الله الشافي، وكلمته الماضية، وحكمه النافذ .. في عباده وخلقه إلى يوم بعثهم

الفرع الثالث: الحكمة في مجيء آيات الميراث الثلاث بهذا الترتيب وهذا التوالي

اقتضت حكمة الله - عز وجل - أن رتب آيات الميراث في سورة النساء وفق ترتيب الورثة ، وذلك باعتبار مدى القرب أو البعد من مورثهم ، فبدأ بالقریب وانتهى بالبعيد ، وقد ذكر العلماء عدة لطائف في ذلك منها :

- قال ابن العربي : « قال قتادة : وذكر لنا أن أبا بكر قال : ألا إن الآية التي نزلت في أول سورة النساء من شأن الفرائض نزلت في الولد والوالد ، والآية الثانية أنزلها الله سبحانه في الزوج والزوجة والإخوة من الأم ، والآية التي ختم بها سورة النساء في الإخوة والأخوات من الأب والأم ، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها الله سبحانه في ذوي الأرحام ، وما جرت الرحم من العصبية . »^(١)

- وقال الرازي : « اعلم أنه تعالى أورد أقسام الورثة في هذه الآيات على أحسن الترتيبات ، وذلك لأن الوارث إما أن يكون متصلاً بالميت بغير واسطة أو بواسطة ، فإن اتصل به بغير واسطة فسبب الاتصال إما أن يكون هو النسب أو الزوجية ، فحصل هاهنا أقسام ثلاثة ، أشرفها وأعلاها الاتصال الحاصل ابتداء من جهة النسب ، وذلك هو قرابة الولادة ، ويدخل فيها الأولاد والوالدان فالله تعالى قدم حكم هذا القسم . وثانيها : الاتصال الحاصل ابتداء من جهة الزوجية ، وهذا القسم متأخر في الشرف عن القسم الأول لأن الأول ذاتي وهذا الثاني عرضي ، والذاتي أشرف من العرضي ، وثالثها : الاتصال الحاصل بواسطة الغير وهو المسمى بالكلالة ، وهذا القسم متأخر عن القسمين الأولين لوجوه : أحدها : أن الأولاد والوالدين والأزواج والزوجات لا يعرض لهم السقوط بالكلية ، وأما الكلالة فقد يعرض لهم السقوط بالكلية . وثانيها : أن القسمين الأولين ينسب كل واحد منهما إلى الميت بغير واسطة ، والكلالة تنسب إلى الميت بواسطة والثابت ابتداء أشرف من الثابت بواسطة .

(١) ابن العربي : أحكام القرآن (١ / ٥١٩) .

وثالثها : أن مخالطة الانسان بالوالدين والأولاد والزوج والزوجة أكثر وأتم من مخالطته بالكلالة. وكثرة المخالطة مظنة الألفة والشفقة ، وذلك يوجب شدة الاهتمام بأحوالهم ، فلهذه الأسباب الثلاثة وأشبابها أخر الله تعالى ذكر مواريث الكلالة عن ذكر القسمين الأولين فما أحسن هذا الترتيب وما أشد انطباقه على قوانين المعقولات ”(١)

- وقال ابن حجر : «... قال المازري مراتب التعصيب البنوة ثم الأبوة ثم الجدودة ، فالابن أولى من الأب وان فرض له معه السدس وهو أولى من الإخوة وبنيتهم لأنهم ينتسبون بالمشاركة في الأبوة والجدودة ، والأب أولى من الإخوة ومن الجد لأنهم به ينتسبون فيسقطون مع وجوده ، والجد أولى من بني الإخوة لأنه كالأب معهم ومن العمومة لأنهم به ينتسبون ، والإخوة وبنوهم أولى من العمومة وبنيتهم لأن تعصيب الإخوة بالأبوة ، والعمومة بالجدودة .. هذا ترتيبهم وهم يختلفون في القرب فالأقرب أولى. ”(٢)

وبهذا يتجلى أن ترتيب الورثة كان مبنياً على أساس حكمة بالغة ونظر دقيق : فالقريب إلى الميت أولى بالميراث من البعيد عنه، ومن انتسب إلى القريب من الميت كان أولى بالميراث ممن انتسب إلى البعيد منه، وكل من أدلى إلى الميت بواسطة فإن تلك الوسطة أولى بالميراث منه.. فالوارث يتصل بالميت من ثلاث جهات : أشرفها وأعلاها جهة النسب والقربة ويدخل فيها الأولاد والوالدان، وثانيها : جهة الزوجية، وهي متأخرة عن الجهة السابقة في الشرف والعلو، لأن الأولى ذاتية، أما هذه فهي عرضية ، والذاتي أشرف من العرضي .. وثالثها : جهة الوسطة بالغير والمسماة بالكلالة .. وقد جاءت بهذا الترتيب : لأن الأولاد والوالدين والأزواج لا يعرض لهم السقوط بالكلية، وينتسبون إلى الميت بغير واسطة، بخلاف الكلالة فإنه يعرض لها السقوط بالكلية، وتنسب إلى الميت بواسطة .. وزيادة على هذا أن مخالطة الإنسان بالأولاد والوالدين والأزواج أكثر وأتم من مخالطته بالغير وهم الكلالة .. وكما هو معلوم أن كثرة المخالطة مظنة الألفة والشفقة، فكان اهتمام الشارع الحكيم بأحوال القسم الأول والثاني أكثر من القسم الثالث، وهكذا يجري ترتيب الورثة والعصبة حسب هذا التسلسل العادل وفق هذه القواعد المنضبطة التي لا تحايي أحداً على حساب آخر.

(١) الرازي: التفسير الكبير (٥/٢٢٧).

(٢) ابن حجر : فتح الباري (١٢/٣٥).

الفرع الرابع : الحكمة في مجيء الحقوق المتعلقة بالتركة بهذا الترتيب

كانت من حكمة الله - عز وجل - أن رتب الحقوق المتعلقة بالتركة ترتيباً بديعاً أيضاً، حسب المنوال الآتي :

١/ التجهيز، ٢/ الدين، ٣/ الوصية، ٤/ الميراث . وقد جمع بعضهم هذه الأربعة حسب ترتيب حروف لفظة «تدوم»، وقد استنبط علماءنا الأفاضل عدّة حكم تشريعية لهذا الترتيب:

- قال ابن العربي: « قوله: { مَنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ } قال علماءنا: هذا فصل عظيم من فصول الفرائض، وأصل عظيم من أصول الشريعة؛ وذلك أن الله سبحانه جعل المال قواماً للخلق؛ ويسر لهم السبب إلى جمعه بوجه متعبة، ومعان عسيرة، وركب في جبلاتهم الإكثار منه والزيادة على القوت الكافي المبلغ إلى المقصود، وهو تاركه بالموت يقينا، ومخلفه لغيره، فمن رفق الخالق بالخلق صرفه عند فراق الدنيا؛ إبقاء على العبد وتخفيفاً من حسرته على أربعة أوجه :

الأول : ما يحتاج إليه من كفنه وجهازه إلى قبره .

الثاني : ما تبرأ به ذمته من دينه .

الثالث : ما يتقرب به إلى الله من خير ليس تدرّك به ما فات في أيام مهلته .

الرابع : ما يصير إلى ذوي قرابته الدانية وأنسابه المشتبكة المشتركة .

فأما الأول فإنما قدم؛ لأنه أولى به من غيره، ولأن حاجته الماسة في الحال متقدمة على دينه، وقد كان في حياته لا سبيل لقرابته إلى قوته ولباسه، وكذلك في كفنه .

وأما تقديم الدين فلأن ذمته مرتبهة بدينه، وفرض الدين أولى من فعل الخير الذي يتقرب به .

فأما تقديم الصدقة على الميراث في بعض المال ففيه مصلحة شرعية وإيالة دينية؛ لأنه

لو منع جميعه لفاته باب من البر عظيم ، ولو سلط عليه لما أبقى لورثته بالصدقة منه شيئاً لأكثر الوارثين أو بعضهم ؛ فقسم الله سبحانه بحكمته المال وأعطى الخلق ثلث أموالهم في آخر أعمارهم ، وأبقى سائر المال للورثة... فظهرت المسألة قولاً ومعنى وتبينت حكمة وحكماً. « (١) »

- وقال ابن القيم : ” أن الكفنَ مقدّم على الميراث، وعلى الدّين... فكما أن كسوته في الحياة مقدّمة على قضاء دينه، فكذلك بعد الممات، هذا كلامُ الجمهور، وفيه خلاف شاذ لا يُعوّل عليه. « (٢) »

- فالحكمة من تقديم حقّ الكفن والتّجهيز لأنّه أولى بهاله من غيره، ومادامت حاجته ماسّة إليه، فهي متقدّمة على الدّين بعد وفاته كما كانت متقدّمة عليه حال حياته، ثمّ قدّم الدّين على الوصيّة لأنّه قد تعلقت به ذمّته، وصرف المال للمداينين مقدّم على صرفه في أبواب الخير الأخرى، رعاية لحقّ الأدميين في استرجاع ما لهم، ثمّ قدّمت الوصيّة على الميراث حتّى يستدرك ما فاته من الخير والبرّ حال حياته بشرط أن تكون في حدود ثلث المال، حتى ينفع نفسه ولا يؤذي غيره.. وما بقي من مال فهو حقّ خالص للورثة يقسّم بينهم كما أراد الله وحكم ، قال ابن العربي : « ... فتولى الله سبحانه قسمها بعلمه ، وأنفذ فيها حكمته بحكمه ، وكشف لكل ذي حق حقه، وعبر لكم ربكم عن ولاية ما جهلتم ، وتولى لكم بيان ما فيه نفعكم ومصالحكم ، والله أعلم . « (٣) »

- بقي أن نشير إلى أن القرآن الكريم عند كلامه عن الدّين والوصيّة، قد قدّم الوصيّة وأخر الدّين، فقال تعالى : { مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ } - وقد تقرّر أن الدّين مقدّم على الوصيّة كما مرّ عرضه - فما السرّ في ذلك ؟ ذكر العلماء عدّة حكم بالغة في هذا التقديم، نذكر منها الآتي :

(١) ابن العربي : أحكام القرآن (١/ ٣٤١-٣٤٢)

(٢) ابن القيم : زاد المعاد (٢/ ٢٤٠-٢٤١)

(٣) ابن العربي : أحكام القرآن (١/ ٣٤٥)

- قال ابن العربي: ” فإن قيل : فما الحكمة في تقديم ذكر الوصية على ذكر الدين ، والدين مقدم عليها ؟ قلنا ؛ في ذلك خمسة أوجه :

الأول : أن ” أو ” لا توجب ترتيبا ، إنما توجب تفصيلا ، فكأنه قال : من بعد أحدهما أو من بعدهما ، ولو ذكرهما بحرف الواو لأوهم الجمع والتشريك ؛ فكان ذكرهما بحرف ” أو ” المقتضي التفصيل أولى .

الثاني : أنه قدم الوصية ؛ لأن تسببها من قبل نفسه ، والدين ثابت مؤدى ذكره أم لم يذكره
الثالث : أن وجود الوصية أكثر من وجود الدين ؛ فقدم في الذكر ما يقع غالبا في الوجود .

الرابع : أنه ذكر الوصية ، لأنه أمر مشكل ، هل يقصد ذلك ويلزم امتثاله أم لا ؟ لأن الدين كان ابتداء تاما مشهورا أنه لا بد منه ، فقدم المشكل ؛ لأنه أهم في البيان .

الخامس : أن الوصية كانت مشروعة ثم نسخت في بعض الصور ، فلما ضعفها النسخ قويت بتقديم الذكر ؛ وذكرهما معا كان يقتضي أن تتعلق الوصية بجميع المال تعلق الدين . لكن الوصية خصصت ببعض المال ؛ لأنها لو جازت في جميع المال لاستغرقتة ولم يوجد ميراث ؛ فخصصها الشرع ببعض المال ؛ بخلاف الدين ، فإنه أمر ينشئه بمقاصد صحيحة في الصحة والمرض ، بينة المناحي في كل حال ؛ يعم تعلقها بالمال كله . ولما قام الدليل وظهر المعنى في تخصيص الوصية ببعض المال قدرت ذلك الشريعة بالثلث ، وبينت المعنى المشار إليه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سعد ؛ قال سعد للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، لي مال ولا يرثني إلا ابنة لي ، أفأصدق بثلثي مالي ، إلى أن قال له النبي صلى الله عليه وسلم : {الثلث والثلث كثير ، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس } فظهرت المسألة قولا ومعنى وتبينت حكمة وحكما .“ (١)

- وقال الجصاص : « الدين مؤخر في اللفظ وهو مبتدأ به في المعنى على الوصية لأن ” أو “ لا توجب الترتيب وإنما هي لأحد شيئين فكأنه قيل من بعد أحد هذين وقد روي عن

(١) الجصاص : أحكام القرآن (٢/٨٢)

على كرم الله وجهه أنه قال ذكر الله الوصية قبل الدين وهي بعده يعني أنها مقدمة في اللفظ مؤخرة في المعنى ” (١)

- وقال ابن كثير : « وقوله: { مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ } أجمع العلماء سلفاً وخلفاً: أن الدَّيْنِ مقدم على الوصية، وذلك عند إمعان النظر يفهم من فَحْوَى الآية الكريمة. وقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وأصحاب التفاسير، من حديث أبي إسحاق، عن الحارث بن عبد الله الأعور، عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - قال: إنكم تقرءون { مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ } وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية ” (٢)

وقال السهيلي : « وقوله: { مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ } وإخراج الدين لا شك قبل إخراج الوصية وبعد الكفن لأن الغرماء في حياته لم يكن لهم سبيل على كفته وما يجhez به وبدئ به في العمل قبل الوصية لأن أداءه فرض والفرض مقدم على الندب .. فإن قيل: لم بدأ الله بالوصية قبل ذكر الدين ؟ قلنا : في حكم البلاغة أن يقدم ما يجب الاعتناء بشرحه وبيانه ، وأداء الدين معلوم وأمره بين لأنه حق للغرماء ومنعهم منه ظلم ظاهر فبدأ بما يحتاج إلى بيانه . ووجه آخر وهو : أن الوصية طاعة وخير وبر يفعلها الميت والدين إنما هو لمنفعة نفسه وهو مذموم في غالب أحواله وقد تعود رسول الله صلى الله عليه و سلم من الكفر والدين فبدأ بالأفضل وما يقدم في ترتيب الكلام فقد يكون لقبلية الفضل نحو قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ونحو قوله من النبيين والصدقيين وقد يكون لقبلية الزمان نحو قوله نوحا وإبراهيم وقد يكون لقبلية الترتيب نحو تقديم اليهود على النصارى في الذكر لأنهم كانوا مجاورين للمسلمين في الدار وقد يكون تقديمهم في اللفظ لقبلية الزمان لأن التوراة قبل الإنجيل وموسى قبل عيسى وقد يكون تقديم الصلاة قبل الزكاة من قبلية الرتبة لأنها حق البدن والزكاة حق المال والبدن في الرتبة قبل المال .. فاجعل هذه القبليات أصلا في معرفة الحكمة والإعجاز في كتاب الله فإنه لا تقدم فيه صفة على أخرى ولا شيء على شيء

(١) ابن العربي : أحكام القرآن (١/ ٣٤٤)

(٢) ابن كثير : تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٥)

إلا بقبلية من هذه القبليات فترتب الألفاظ في اللسان على حسب ترتيب المعاني في الجنان فتدبره والله المستعان» (١)

- وقال ابن عاشور: « والمقصد هنا التنبيه على أهمية الوصية وتقدمها. وإنما ذكر الدين بعدها تميماً لما يتعين تقديمه على الميراث مع علم السامعين أن الدين يتقدم على الوصية أيضاً لأنه حق سابق في مال الميت، لأن المدين

لا يملك من ماله إلا ما هو فاضل عن دين دائنه. فموقع عطف {أو دين} موقع الاحتراس، ولأجل هذا الاهتمام كرر الله هذا القيد أربع مرات في هذه الآيات.» (٢)

- وقال الزرقاني: « وأجاب من آخرها بأنها قدمت لئلا يتهاون بها» (٣)

مما سبق عرضه يتبين أن حرف: « أو » في قوله: {أو دين} لا يفيد الترتيب وإنما يفيد التفصيل والاحتراس، وقد قدمت الوصية على الدين في هذا السياق القرآني لفظاً لا معنى للتنبيه على أهميتها والتأكيد على تنفيذها وبيانها وإصلاحها لأهلها.. ففي حكم البلاغة أنه يقدم ما يجب الاعتناء بشرحه وبيانه على غيره، فالوصية في حاجة إلى شرح وبيان وتفصيل، أما الدين فمعلوم ويين.. فبدأ بها يحتاج إلى بيان وتفصيل.. وكذا أن الباري -عز وجل- علم أن أداء الوصية سيكون شاقاً على الورثة، لأنها تؤخذ من غير عوض، فأولاهها الاهتمام بهذا التقديم، ولأن الدين عادة له أصحابه يطالبون به، بخلاف الوصية فقد لا يسمع بها أصحابها.. فجاء هذا التقديم ليقرع أسماع الورثة على وجوب تأدية وصية مبيتهم على الوجه الذي سمعوه منه، تأدية للأمانة ووفاء للعهد والميثاق.

(١) السهيلي: الفرائض (٥٠)

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٤/٣٦١).

(٣) الزرقاني: شرح الزرقاني (١٤/٤١٤).

الفرع الخامس : الحكمة من تصدير آيات الميراث بلفظ : « يوصيكم » و لفظ : « أولادكم »

صدّر الله - عز وجل - آية الموارث الأولى بقوله (يوصيكم) .. وهي المرّة الوحيدة في القرآن الكريم كلّهُ أنّه سبحانه وتعالى يوصي الآباء بالأبناء، إذ الغالب أنّه يوصي الأبناء بالآباء وقد كرّر ذلك مراراً في العديد من آيات القرآن .. وقد استنبط العلماء كثيراً من الحكم لهذا التصدير :

- قال ابن كثير : «قوله تعالى: { يُوصِيكُمُ اللَّهُ } أي: يأمركم بالعدل فيهم، فإن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث، فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث... وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى: { يُوصِيكُمُ اللَّهُ } أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، حيث أوصى الوالدين بأولادهم، فعلم أنه أرحم بهم منهم، كما جاء في الحديث الصحيح : وقد رأى - عليه السلام - امرأة من السَّبِيّ تدور على ولدها، فلما وجدته أخذته فألصقته بصدورها وأرضعته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: « أترُونَ هذه طارحةً ولدها في النار وهي تقدّر على ذلك؟ » قالوا: لا يا رسول الله: قال: «فَوَاللَّهِ لَأَرْحَمَ بعبادِهِ من هذه بولدها...» (١)

- وقال ابن حجر : «... وأضاف الفعل إلى اسم المظهر تنويها بالحكم وتعظيماً له وقال [في أولادكم] ولم يقل بأولادكم إشارة إلى الأمر بالعدل فيهم... وأضاف الأولاد إليهم مع أنه الذي أوصى بهم إشارة إلى أنه أرحم بهم من آبائهم» (٢)

- وقال الألويسي : «قوله { يوصيكم } فالمراد يأمركم الله ويفرض عليكم ... وعدل عن الأمر إلى الإيضاء لأنه أبلغ وأدل على الاهتمام وطلب الحصول بسرعة .» (٣)

(١) ابن كثير : تفسير ابن كثير (٢/٢١٣)

(٢) ابن حجر : فتح الباري (١٢/٣-٤)

(٣) الألويسي : تفسير الألويسي (٤/٢١١)

- وقال ابن عاشور: "ومن الاهتمام بهذه الأحكام تصدير تشريعها بقوله: {يُوصِيكُمُ} لأن الوصاية هي الأمر بما فيه المأمور وفيه اهتمام الأمر لشدة صلاحه ولذلك سمي ما يعهد به الإنسان فيما يصنع بأبنائه وبماله وبذاته بعد الموت وصية." (١)

- وقال الشعراوي: "... ونعم الرب خالقنا؛ إنه يوصينا في أولادنا ، سبحانه رب العرش العظيم ، كأننا عند ربنا أحب منا عند آبائنا . وقوله الكريم : { يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ } توضح أنه رحيم بنا ويحب لنا الخير . ومادة الوصية إذا ما استقرأنها في القرآن نجد - بالاستقراء - أن مادة الوصية مصحوبة بالباء ، فقال سبحانه : { ذَلِكَ وَصَّاكُمُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام : ١٥٣] وقال سبحانه : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا } [الشورى : ١٣] وقال الحق أيضا : { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ } [لقمان : ١٤] كل هذه الآيات جاءت الوصية فيها مصحوبة بالباء التي تأتي للإلصاق . لكن عندما وصَّى الآباء على الأبناء قال : { يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ } فكأن الوصية مغروسة ومثبتة في الأولاد ، فكلما رأيت الظرف وهو الولد ذكرت الوصية " (٢)

- وقال سيد قطب : «... والآن نجيء إلى نظام التوارث . حيث يبدأ بوصية الله للوالدين في أولادهم؛ فتدل هذه الوصية على أنه - سبحانه - أرحم وأبر وأعدل من الوالدين مع أولادهم؛ كما تدل على أن هذا النظام كله مرده إلى الله سبحانه؛ فهو الذي يحكم بين الوالدين وأولادهم وبين الأقرباء وأقاربهم . وليس لهم إلا أن يتلقوا منه سبحانه وأن ينفذوا وصيته وحكمه . . وأن هذا هو معنى « الدين »... إن الله هو الذي يوصي وهو الذي يفرض وهو الذي يقسم الميراث بين الناس - كما أنه هو الذي يوصي ويفرض في كل شيء وكما أنه هو الذي يقسم الأرزاق جملة - ومن عند الله ترد التنظيمات والشرائع والقوانين وعن الله يتلقى الناس في أخص شؤون حياتهم - وهو توزيع أموالهم وتركاتهم بين ذريتهم وأولادهم - وهذا هو الدين . فليس هناك دين للناس إذا لم يتلقوا في شؤون حياتهم كلها

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٤/٢٥٦)

(٢) الشعراوي: تفسير الشعراوي (١/١٣٨٠)

من الله وحده؛ وليس هناك إسلام إذا هم تلقوا في أي أمر من هذه الأمور - جل أو حقر - من مصدر آخر... وإن ما يوصي به الله ويفرضه ويحكم به في حياة الناس... هو أبر بالناس وأنفع لهم مما يقسمونه هم لأنفسهم ويختارونه لذرياتهم.. فليس للناس أن يقولوا: إنما نختار لأنفسنا. وإنما نحن أعرف بمصالحنا.. فهذا - فوق أنه باطل - هو في الوقت ذاته توقع وتبجح وتعاليم على الله وادعاء لا يزعمه إلا متوقع جهول!“(١)

• مما سبق عرضه يتبين أن الحكمة من تصدير آيات الميراث بلفظ: «يوصيكم» تتمثل في الآتي:

١/ - أن قوله: { يوصيكم } يدل على أن الله هو الذي يوصي ويفرض ويقسم الأرزاق والميراث.. فمنه ترد التنظيمات والشرائع والقوانين، فهو مصدر التلقي في أي أمر من أمور الحياة جل أو حقر.

٢/ - أن الله تعالى يريد أن يبين أنه أرحم وأبر وأعدل بخلقه من الوالد بولده، ولذلك أوصى الوالدين بأولادهم، فعلم أنه أرحم بهم منهم، وأنه يجب لهم الخير.

٣/ - أنه عدل عن “الأمر” إلى “الإيضاء”، لأنه أبلغ وأدل على الاهتمام، وطلب الحصول بسرعة.

٤/ - لفظة الوصية بالاستقراء في القرآن الكريم كله وردت مصحوبة “بالباء” التي تفيد الإلصاق، لكن عندما وصى الله الآباء على الأبناء في هذه الآية جاء بلفظ الوصية دون “باء”، وهذا يدل على أن الوصية مغروسة ومثبتة في الأبناء ابتداء، فكلما رأيت أي ولد ذكرت الوصية به مباشرة.

• وإجمالاً نقول: الحكمة من تصدير أحكام الميراث بلفظ { يوصيكم } لبيان أن الله أعدل وأرحم بخلقه، حتى من الوالدين بأولادهم.. فهو الذي يوصي وهو الذي يفرض وهو الذي يقسم، فليس لأحد أن يتعالى على الله ويقول: قسمتي أعدل وأنفع، وأنا أعرف بمصالح وشؤون أبنائي من غيري... فلفت الله قلوب المؤمنين

بهذا اللفظ "يوصيكم" ليتيقنوا أن ما أوصى به الله من قسمة في المال هو الخير كله والتفكك، وما وراءه من قسمة فهي باطلة مرجوحة، لا تفي بالعدل الذي ارتضاه المولى - عز وجل - لعباده المؤمنين في أموالهم وأرزاقهم.

- أما فيما يخص حكمة الله - عز وجل - في التعبير بلفظ: «أولادكم» دون لفظ «أبنائكم» فقد بينها العلماء على النحو الآتي:

- قال ابن حجر: «... ولكن بين التعبير بالولد والابن فرق ولذلك قال تعالى: {يوصيكم الله في أولادكم ولم يقل في أبنائكم} - ولفظ الولد يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع بخلاف الابن، وأيضا فلفظ الولد يليق بالميراث بخلاف الابن تقول ابن فلان من الرضاعة ولا تقول ولده وكذا كان من يتبنى ولد غيره قال له ابني وتبناه ولا يقول ولدي ولا ولده ومن ثم قال في آية التحريم: {وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم} إذ لو قال وحلائل أولادكم لم يحتاج إلى أن يقول من أصلابكم لأن الولد لا يكون إلا من صلب أو بطن»^(١)

- وقال السهيلي: «{وقال في أولادكم} ولم يقل في أبنائكم لأن لفظ الولادة هو الذي يليق بمسألة الميراث... فإن الأبناء من الرضاعة لا يرثون لأنهم ليسوا بأولاد وكذلك الابن المتبنى فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبني زيدا قبل النسخ للتبني فكان يقول أنا ابن محمد ولا يقول أنا ولد محمد ولذلك قال سبحانه: {وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم} لأن الولد لا يكون إلا من صلب أو بطن، غير أن لفظ الأولاد يقع على الذكور والإناث حقيقة فلذلك عدل عنه إلى لفظ الأبناء في آية التحريم، وأما في آية الموارث فجاء بلفظ الأولاد تنبيها على المعنى الذي يتعلق به حكم الميراث؛ وهو التولد فالماء حياة البشر... وهو يسري من الأصل إلى الفرع المتولد منه أشد من سريان الماء من الفرع إلى الأصل، ولذلك كان سبب الولد في الميراث أقوى من سبب الوالد لأن الولد فرع متولد فإليه يسري المال أقوى من سريانه إلى الأب، والولد يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع بخلاف الابن.»^(٢)

(١) ابن حجر: فتح الباري (٢٦/١٢)

(٢) السهيلي: الفرائض (٣٤)

- وقال ابن عاشور: "والولد اسم للابن ذكرا كان أو أنثى ويطلق على الواحد وعلى الجماعة من الأولاد" (١)

- مما سبق تفصيله يتبين أن الحكمة من التعبير بلفظ: "أولادكم" دون لفظ "أبنائكم" تتمثل في الآتي:

١/ - أن لفظ "الولد" أعمّ من لفظ "الابن"، فهو يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع بخلاف لفظ "الابن".

٢/ - لفظ "الولد" أليق بالميراث من لفظ "الابن"، لأن الميراث لا يثبت إلا إذا كان الولد من صلب أبيه، أما لفظ "الابن" فإنه يقع على الابن من الرضاع، والابن المتبنى.. وكما هو معلوم أن الميراث لا يثبت لمثل هؤلاء لأنهم ليسوا من صلب الرجل..

٣/ - أن لفظ "الولد" فيه معنى "التولد" الذي يتعلّق به حكم الميراث.. فالماء - مثلا - يسري من الأصل إلى الفرع المتولد منه أشدّ من سريانه من الفرع إلى الأصل، وكذا المال فإنه يسري إلى الولد أقوى من سريانه إلى الأب، لأن الولد فرع متولد من والده.. ولهذا كان سبب الولد في الميراث أقوى من سبب الوالد.

الفرع السادس : الحكمة من مضاعفة حظ الذكر لحظ الأنثى في الميراث

إن الله - عز وجل - في منظومة الموارث حكم أنّ للذكر مثل حظّ الأنثيين إذا كان من نفس الدرجة وقد بين العلماء في هذه المسألة أمرين :

- **الأمر الأول :** أن الباري - عز وجل - جعل ميراث الذكر مساوياً لميراث انثيين من نفس درجته، وهذا يقتضي وكأن ميراث الأنثى معلوم ومعروف ، ولذلك أخذ كوحدة في التقدير، بخلاف ميراث الذكر، إذ لم يقل الباري : ميراث الأنثى مساوٍ لنصف ميراث الذكر.. فما الحكمة في هذا التقديم ؟ :

- قال ابن عاشور : ” وقوله { للذكر مثل حظ الأنثيين } جعل حظ الأنثيين هو المقدار الذي يقدر به حظ الذكر ولم يكن قد تقدم تعيين حظ للأنثيين حتى يقدر به فعلم أن المراد تضعيف حظ الذكر من الأولاد على حظ الأنثى منهم ، وقد كان هذا المراد صالحاً لأن يؤدي بنحو : للأنثى نصف حظ ذكر أو للأنثيين مثل حظ ذكر إذ ليس المقصود إلا بيان المضاعفة . ولكن قد أوتر هذا التعبير لنكتة لطيفة وهي الإيمان إلى أن حظ الأنثى صار في اعتبار الشرع أهم من حظ الذكر إذ كانت مهضومة الجانب عند أهل الجاهلية فصار الإسلام ينادي بحفظها في أول ما يقرع الأسماع قد علم أن قسمة المال تكون باعتبار عدد البنين والبنات ”^(١)

- وقال محمد رشيد رضا : ” قوله : { لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ } واختير فيها هذا التعبير للإشعار بإبطال ما كانت عليه الجاهلية من منع توريث النساء كما تقدم ، فكأنه جعل إرث الأنثى مقررًا معروفاً ، وأخبر أن للذكر مثله مرتين ، أو جعله هو الأصل في التشريع ، وجعل إرث الذكر محمولاً عليه يعرف بالإضافة إليه ، ولولا ذلك لقال : للأنثى نصف حظ الذكر ، وإذا لا يفيد هذا المعنى ، ولا يلتئم السياق بعده كما ترى ؛ أقول : ويؤيد هذا ما تراه في بقية

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٤/ ٢٥٧)

الفرائض في الآيتين من تقديم بيان ما للإناث بالمنطوق الصريح مطلقا ، أو مع مقابلته بما للذكور كما ترى في فرائض الوالدين ، والأخوات ، والإخوة ”^(١)

- فالحكمة من جعل حظّ الأنثيين هو المقدار الذي يعرف به حظّ الذّكر هو إبطال لما كانت عليه الجاهليّة من منع توريث النّساء، وذلك أنّه جعل مقدار ميراث الأنثى معروفا مقرّرا بل اعتبر الأصل في تشريع هو مقدار ميراث الذّكر بخلاف ما كان عليه الحال في الجاهلية إذ كانت لا تأخذ من التركة شيئا، فلتعلية شأنها جعل حظّها هو المعيار في تقدير ميراث الذّكر، وهذا فيه دلالة واضحة أن شريعة الإسلام أعطت للمرأة حقها في الميراث، بل جعلت ميراث الذّكر محمولاً على ميراث الأنثى ولا يعرف إلاّ بالإضافة إليه .. وفي هذا كلّ بيان للنّاس أن المال هو قسمة بين الذكور والإناث حسب قاعدة: ”للذّكر مثل حظّ الأنثيين“.

- **الأمر الثاني** : أنّه لما أعطى الذّكر مثل حظّ الأنثيين، هذا لا يعني أن في هذا عدم مساواة بين جنس الذّكر و جنس الأنثى، بل راعى الشّرع في ذلك عدّة حكم ومقاصد بيّنها العلماء منها :

- قال الرازي: “ لا شك أن المرأة أعجز من الرجل ... وإذا ثبت أن عجزها أكمل وجب أن يكون نصيبها من الميراث أكثر ، فان لم يكن أكثر فلا أقل من المساواة ، فما الحكمة في أنه تعالى جعل نصيبها نصف نصيب الرجل والجواب عنه...: أن خرج المرأة أقل ، لأن زوجها ينفق عليها ، وخرج الرجل أكثر لأنه هو المنفق على زوجته ، ومن كان خرج أكثر فهو إلى المال أحوج. ”^(٢)

- وقال ابن كثير : ” فجعل للذّكر مثل حظّ الأنثيين؛ وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب وتجشّم المشقة، فناسب أن يُعطى ضعفَي ما تأخذه الأنثى. ”^(٣)

(١) محمد رشيد رضا : تفسير المنار (٤/٤٠٦)

(٢) الرازي : تفسير الرازي (٥/٢١٤)

(٣) ابن كثير : تفسير ابن كثير (٢/٢١٣)

- وقال ابن القيم: "وقد أعطى الله سبحانه الزوج ضعف ما أعطى الزوجة تفضيلاً لجانب الذكورية." (١)

- وقال الرازي: "أنه تعالى لما جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين كذلك جعل في الموجب السببي حظ الرجل مثل حظ الانثيين" (٢)

- وقال الشنقيطي: "قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ}، لم يبين هنا حكمة تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث مع أنها سواء في القرابة. ولكنه أشار إلى ذلك في موضع آخر وهو قوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} [النساء: ٣٤]؛ لأن القائم على غيره المنفق ماله عليه مترقب للنقص دائماً، والمقوم عليه المنفق عليه المال مترقب للزيادة دائماً، والحكمة في إثارة مترقب النقص على مترقب الزيادة جبراً لنقصه المترقبه ظاهرة جداً." (٣)

- وقال الدهلوي: "الذكر يفضل على الأنثى إذا كانا في منزلة واحدة أبداً لاختصاص الذكور بحماية البيضة والذب عن الذمار، ولأن الرجال عليهم انفاقات كثيرة، فهم أحق ما يكون شبه المجان، بخلاف النساء فإنهن كل على أزواجهن أو آبائهن أو أبنائهن" (٤)

- وقال الشعراوي: «لقد أراد الله أن يكون المقياس، أو المكيال هو حظ الأنثى، ويكون حظ الرجل هنا منسوباً إلى الأنثى... والذين يقولون: هذا ظلم يصيب المرأة، نريد المساواة. نقول لهم: انظروا إلى العدالة هنا. فالذكر مطلوب له زوجة ينفق عليها، والأنثى مطلوب لها ذكر ينفق عليها، إذن فنصف حظ الذكر يكفيها إن عاشت دون زواج، وإن تزوجت فإن النصف الذي يخصها سيبقى لها، وسيكون لها زوج يعولها. إذن فأيهما أكثر حظاً في القسمة؟ إنها الأنثى. ولذلك جعلها الله الأصل والمقياس حينها قال: {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ} فهل في هذا القول جور أو فيه محاباة للمرأة؟ والجواب: أن في هذا القول

(١) ابن القيم: أعلام الموقعين (١/٣٦٣)

(٢) الرازي: التفسير الكبير (٥/٢٢٧)

(٣) الشنقيطي: أضواء البيان (١/٣٠٨)

(٤) الدهلوي: حجة الله البالغة (٢١٧)

محابة للمرأة؛ لأنه جعل نصيبها المكيال الذي يُرد إليه الأمر؛ ثم طلب من الرجل أن ينفق على الأنثى... إذن فما تأخذه من نصف الذكر يكون خالصا لها، وكان يجب أن تقولوا: لماذا حابى الله المرأة؟ لقد حابى الله المرأة لأنها عرض، فصانها، فإن لم تتزوج تجد ما تنفقه، وإن تزوجت فهذا فضل من الله»^(١)

- وقال سيد قطب " قوله : { للذكر مثل حظ الأنثيين } ... وليس الأمر في هذا أمر محابة لجنس على حساب جنس . إنما الأمر أمر توازن وعدل بين أعباء الذكر وأعباء الأنثى في التكوين العائلي وفي النظام الاجتماعي الإسلامي : فالرجل يتزوج امرأة ويكلف إعالتها وإعالة أبنائها منه في كل حالة وهي معه وهي مطلقة منه . . . أما هي فيما أن تقوم بنفسها فقط وإما أن يقوم بها رجل قبل الزواج وبعده سواء . وليست مكلفة نفقة للزوج ولا للأبناء في أي حال . . فالرجل مكلف - على الأقل - ضعف أعباء المرأة في التكوين العائلي وفي النظام الاجتماعي الإسلامي . ومن ثم يبدو العدل كما يبدو التناسق بين الغنم والغرم في هذا التوزيع الحكيم . ويبدو كل كلام في هذا التوزيع جهالة من ناحية ، وسوء أدب مع الله من ناحية أخرى ، وزعزعة للنظام الاجتماعي والأسري ."^(٢)

• فمن خلال ما سبق يتبين أن لهذا التفضيل عدة أسرار وحكم :

١/ - الرجل محتاج إلى مؤنة النفقة والكلفة، فناسب أن يعطى ضعف ما تأخذه الأنثى .. فالذكر مطلوب له زوجة ينفق عليها، والأنثى مطلوب لها زوج ينفق عليها ويعولها .. وبالتالي يظهر أن الأنثى أكثر حظاً في القسمة من الذكر.

٢/ - الرجل منفق والمرأة منفق عليها، والمنفق مترقب للنقص دائماً، والمنفق عليه مترقب للزيادة دائماً، فراع الشارع الحكيم في إثارة مترقب النقص على مترقب الزيادة، فأعطى الرجل ضعف ما أعطى الأنثى، ومن هنا يبدو العدل الرباني جلياً، كما يبدو التناسق البديع بين الغنم والغرم في هذا التوزيع الحكيم العادل.

٣/ - أن خرج المرأة أقل لأن زوجها ينفق عليها، وخرج الرجل أكثر لأنه هو المنفق على

(١) الشعراوي: تفسير الشعراوي (١/١٣٨٠)

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن (٢/٢٦٠-٢٦٢)

زوجته، وعليه من كان خرج أكثر فهو إلى المال أحوج على من كان خرج أقل.

٤/ - أخذ الذكر ضعف ما تأخذه الأنثى ليس فيه محاباة لجنس على حساب جنس، وإنما هي حالة توازن وعدل بين أعباء الذكر المتعددة، وأعباء الأنثى المحدودة... كما هو مقرر في النظام الاجتماعي الإسلامي، والمتتبع لأحوال الرجل والمرأة في الحياة يدرك أنّ الرجل أحوج من المرأة إلى المال لما عليه من أعباء ومسؤوليات ومهام.

٥/ - أعطى الله الزوج ضعف ما أعطى الزوجة تفضيلاً لجانب الذكورية.

٦/ - إن الله تعالى لما جعل في الموجب النسبي حظّ الذكر مثل حظّ الأنثيين، كذلك جعل في الموجب السببي (الزوجية) حظّ الزوج ضعف حظّ زوجته.

٧/ - أن الرجل أقدر من المرأة على تنمية المال والإفادة منه، وذلك أمر مطلوب في الإسلام.

٨/ - أن مال الرجل مستهلك ومال المرأة موفور.

الرد على الذين يزعمون أن الإسلام ظلم المرأة بتفضيل الرجل عليها في الميراث.

تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث من القضايا التي تثار للنيل من التشريع الإسلامي، بدعوى أنه ظلم المرأة، ولم ينصفها، وفضل الرجل عليها، وهي دعوى مغرصة وحجة واهية وذلك: أن الإسلام أنصف المرأة ورفع من شأنها، فقد عانت قبل الإسلام حيث كانت لا تنال شيئاً من الإرث بل تورث كما يورث المتاع. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا } [النساء: ١٩]: [كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجها، وإن شاءوا لم يزوجوها، وهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية] (١)

فلما جاء الإسلام أنصفها ورفع الظلم عنها، وجعلها تراحم الرجل في الميراث بنصيب مفروض، كما قال تعالى: { لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا }... (٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب «ولكم نصف ما ترك أزواجكم» ٣/ ٢١٦

(٢) عبد الكريم اللاحم: الفرائض (٢-٣).

بقي أن نشير إلى أن المقرر في علم الميراث أن الفروض تتعدد بتعدد البنات أو الأخوات، ولكن لا تتعدد بتعدد الزوجات : - قال الرازي: « قوله : { وَهَنَّ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ } وقوله { فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ }... اعلم أن الواحد والجماعة سواء في الربع والثلث»^(١) - وقال السهيلي - في حكمة التعبير بضمير الجمع في " وهن " :- " وقوله في الزوجات : { وهن الربع }.. { وهن الثلث } أيضا يقتضي أن الثلث مشترك بين الزوجات وهن كن أربعا كما اقتضى اشتراك إخوة الكلالة في الثلث في قوله : { فهم شركاء في الثلث } لأنه لفظ جمع ولو ذكر الزوجة على انفرادها لكان الثلث لها ثم يكون للزوجة الأخرى ثمن آخر هكذا إلى الأرباع ، ولكنه جاء بلفظ الجمع فلأربع زوجات الثلث بينهن .^(٢)

- وقال ابن عاشور : " ... قوله : { ماترك أزواجكم }... والمعنى : ولكل واحد منكم نصف ما تركت كل زوجة من أزواجه ، وكذلك قوله : { فلكم الربع مما تركن } ، وقوله : { وهن الربع مما تركتم } أي : لمجموعهن الربع مما ترك زوجهن وكذلك قوله : { فلهن الثلث مما تركتم } وهذا حذق يدل عليه إيجاز الكلام ."^(٣)

والسر في عدم تعدد فرض الزوجية بتعدد الزوجات ، ما بينه ابن عاشور حيث قال : " قد اتفقت الأمة على أن الرجل إذا كانت له زوجات ، يشتركن في الربع أو في الثلث من غير زيادة لمن لأن : تعدد الزوجات بيد صاحب المال فكان تعددهن وسيلة لإدخال المضرة على الورثة الآخرين ، بخلاف تعدد البنات والأخوات فإنه لا خيار فيه لرب المال"^(٤)

(١) الرازي: التفسير الكبير (٥/٢٢٧) .

(٢) السهيلي: الفرائض (٦٨) .

(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٤/٢٦٣)

(٤) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٤/٢٦٣)

الفرع السابع : الحكمة من تقديم البنوة على الأبوة في الميراث

عند توزيع التركة على الورثة وجدنا الشارع الحكيم قد فضل فروع الميت وقدمهم على أصوله وذلك لعدة حكم بينها علماؤنا الأفاضل نذكر منها الآتي :

- قال ابن العربي : « إذا اجتمع الآباء والأولاد قدم الله الأولاد ؛ لأن الأب كان يقدم ولده على نفسه ، ويود أنه يراه فوقه ويكتسب له ؛ فليل له ؛ حال حفيدك مع ولدك كحالك مع ولدك . »^(١)

- وقال الرازي : " اعلم أنه تعالى بدأ بذكر ميراث الأولاد وإنما فعل ذلك لأن تعلق الإنسان بولده أشد التعلقات ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : " فاطمة بضعة مني " فلهذا السبب قدم الله ذكر ميراثهم... ولا شك أن حق الوالدين على الإنسان أعظم من حق ولده عليه ، وقد بلغ حق الوالدين إلى أن قرن الله طاعته بطاعتها فقال :

{ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء : ٢٣] وإذا كان كذلك فما السبب في أنه تعالى جعل نصيب الأولاد أكثر ونصيب الوالدين أقل ؟

والجواب عن هذا في نهاية الحسن والحكمة : وذلك لأن الوالدين ما بقي من عمرهما إلا القليل فكان احتياجهما إلى المال قليلا ، أما الأولاد فهم في زمن الصبا فكان احتياجهم إلى المال كثيرا فظهر الفرق .^(٢)

- وقال الجصاص : " وإن كان الولد ذكرا فللأبوين السدسان بحكم النص والباقي للابن لأنه أقرب تعصبا من الأب " ^(٣)

(١) ابن العربي : أحكام القرآن (١/٣٣٨)

(٢) الرازي: التفسير الكبير (٥/٢١٩ - ٢٢٠)

(٣) الجصاص: أحكام القرآن (١/٨١)

- وقال السهيلي : «... لأنه يقال للأب كما كنت تحب لابنك من الغنى والخير أكثر مما تحب لأبيك فكذلك حال ابنك مع ولده كحالك مع ولدك لأن الوالد أحب الناس غنى لابنه وأعزهم فقرا عليه ، كما قال الصديق لابنته عائشة رضي الله عنهما عند موته وكان أبوه حيا فقال لها : [ما من أحد أحب إلي غنى منك ولا أعز فقرا على بعدي منك] ، ولم يستثن أباه ولا غيره ، ثم إن الولد يؤملون من النكاح والحياة وغيرها لحداثة سنهم ما لا يؤمله الأبوان ثم قيل للأب إن فريضتك لا تنقص بكثرة الورثة وإن كان الولد عشرين وفريضة ولد ابنك الهالك قد تنقص بكثرة الأولاد حتى تكون أقل من العشر فيرضى الأبوان بقسم الله تعالى لهما ، ويريان العدل من الله بينا فيما قسم فإنه لم يحجب بالبني فيعطي الأب نصفاً ولا ثلثاً ولا حجب بالأب فأعطاه عشرة ولا تسعاً بل جعل له أوسط الفرائض وهو السدس ولا يزداد بقلة الولد ولا ينقص بكثرتهم والحمد لله»^(١)

- وقال ابن حجر : « الابن أقوى من الأب ، لأن الابن ينفرد بالمال ويرد الأب إلى السدس ولا كذلك الأب... فالبنوة أقوى من الأبوة في الإرث»^(٢)

- وقال محمد رشيد رضا : ” وإنما كان حظ الوالدين من الإرث أقل من حظ الأولاد مع معظم حقهما على الولد ؛ لأنهما يكونان في الغالب أقل حاجة من الأولاد إما لكبرهما ، وقلة ما بقي من عمرهما ، وإما لاستقلالهما ، وتمولهما ، وإما لوجود من تجب عليه نفقتهما من أولادهما الأحياء ، وأما الأولاد فإما أن يكونوا صغاراً لا يقدرّون على الكسب ، وإما أن يكونوا على كبرهم محتاجين إلى نفقة الزواج ، وتربية الأطفال ، فلهذا ، وذاك كان حظهم من الإرث أكثر من حظ الوالدين .“^(٣)

- وقال سيد قطب : «... وهو نظام يراعي طبيعة الفطرة الحية بصفة عامة وفطرة الإنسان بصفة خاصة، فيقدم الذرية في الإرث على الأصول وعلى بقية القرابة . لأن

(١) السهيلي: الفرائض (٥٣)

(٢) ابن حجر: فتح الباري (٢٩/١٢)

(٣) محمد رشيد رضا : تفسير المنار (٤/٣٤٠)

الجيل الناشئ هو أداة الامتداد وحفظ النوع . فهو أولى بالرعاية - من وجهة نظر الفطرة الحية - ومع هذا فلم يحرم الأصول ولم يحرم بقية القربات . بل جعل لكل نصيبه . مع مراعاة منطق الفطرة الأصل . «^(١)

• وقد بين علماءنا السّرّ في تساوي الوالدين في الميراث عند وجود الفرع الوارث، إذ يأخذ كلّ منهما السدس:

- قال ابن العربي : « قال علماءنا : سوى الله سبحانه وتعالى بين الأبوين مع وجود الولد، وفاضل بينهما مع عدمه في أن جعل سهميهما للذكر مثل حظ الأنثيين، والمعنى فيه أنها يدلان بقربة واحدة وهي الأبوة ، فاستويا مع وجود الولد . «^(٢)

- وقال القرطبي : ” والذي يظهر أنه إنما حرم السدس في حياته إرفاقاً بالصبي وحياطة على ماله؛ إذ قد يكون إخراج جزء من مال إجحافاً به . أو أن ذلك تعبد، وهو أولى ما يقال . والله الموفق . «^(٣)

- وقال محمد رشيد رضا : { وَالْأَبَوِيَّةُ لِلْكَوْنِ وَالْأَبَوِيَّةُ لِلْكَوْنِ وَالْأَبَوِيَّةُ لِلْكَوْنِ ... } فيها سواء في هذه الفريضة لا يتفاضلان فيها كما يتفاضل الذكور والإناث من الأولاد ، والأخوات ، والأزواج ، وذلك لعظم مقام الأم بحيث تساوي الأب بالنسبة إلى ولدهما... وإنما تساويا مع وجود الأولاد ليكون احترامهم لها على السواء ، على أن الأب لا يفضل الأم هنا بالفريضة بل له السدس فرضاً ويأخذ الباقي بالتعصيب إذ لا عصبة هنا سواء^(٤)

- وقال المراغي : « والسّر في تساوي الوالدين في الميراث مع وجود الأولاد الإشارة إلى وجوب احترامهما على السواء . «^(٥) .. فحتّى مع وجود الفرع الوارث المؤنث فحسب، فله السدس فرضاً، مثله مثل الأم، ويأخذ الباقي - إن وجد - بالتعصيب، إذ لا عصبة غيره،

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢/ ٢٦٠-٢٦٢)

(٢) ابن العربي : أحكام القرآن (١/ ٣٣٨) .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧١)

(٤) محمد رشيد رضا : تفسير المنار (٤/ ٤١٥)

(٥) المراغي : تفسير المراغي (٤/ ١٩٧)

لقوله صلى الله عليه وسلم: «ألقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر».

- ثم بينوا أيضاً السر في مضاعفة حظ الأب لحظ الأم عند عدم وجود الأبناء :

- قال ابن العربي: «فإن عدم الولد فضل الأب الأم بالذكورة والنصرة ووجوب المؤنة عليه، وثبتت الأم على سهم لأجل القرابة»^(١).

- وقال القرطبي: «إن قيل: ما فائدة زيادة الواو في قوله: { وَوَرَثَهُ أَبَوَاهُ }، وكان ظاهر الكلام أن يقول: فإن لم يكن له ولد - ورثه أبواه - قيل له: أراد بزيادتها الإخبار، ليبين أنه أمر مستقر ثابت فيخبر عن ثبوته واستقراره، فيكون حال الوالدين عند انفردهما كحال الولدين، للذكر مثل حظ الأنثيين. ويجتمع للأب بذلك فرضان السهم والتعصيب إذ يحجب الإخوة كالولد. وهذا عدل في الحكم، ظاهر في الحكمة والله أعلم.»^(٢)

- وقال ابن تيمية: «ومحض القياس أن الأب مع الأم؛ كالبنات من الابن والأخت مع الأخ لأنها ذكر وأنثى من جنس واحد هما عصبه. وقد أعطيت الزوجة نصف ما يعطاه الزوج؛ لأنها ذكر وأنثى من جنس... فدل القرآن على أنه إذا لم يرثه إلا الأم والأب... فلأمه الثلث؛ وهذا من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى؛ وأما الابن فإنه أقوى من الأب؛ فلها معه السُدس»^(٣)

- مما سبق عرضه يتبين أن حكمة الباري - عز وجل - في تقديم البنوة على الأبوة، وفي التسوية بين الوالدين حال وجود الأولاد، وفي مضاعفة حظ الأب لحظ الأم عند عدم وجود الأبناء، تتمثل في الآتي :

١/ - قدّم الله ميراث الأولاد على ميراث الوالدين، لأنّ تعلق الإنسان بولده أشدّ من تعلقه بوالديه من ناحية المال لا من ناحية البرّ.

(١) ابن العربي: أحكام القرآن (١/٣٣٨)

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٥/٧٢)

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣١/٣٤٤)

٢/ - إذا اجتمع الوالدين مع الأولاد في التركة، قدم الله - عز وجل - الأولاد، لأن العادة والعرف جرى بأن الأب يودّ لابنه من الغنى والخير أكثر مما يحبه لوالده، فلذلك قيل للأب: إنّ حال حفيدك مع والده كحالك مع ولدك.. فالأب أحبّ الناس غنى لابنه وأعزهم فقراً عليه.

٣/ - جعل الله - عز وجل - نصيب الأولاد أكثر من نصيب الوالدين، لأننا إذا قارنا مدى احتياج كلّ واحد منهما إلى المال، فإننا سنجد أنّ الأبناء قد يكونون في زمن الصّبا ويحتاجون إلى النفقة من كسوة وتعليم.. فإذا اشتدّ عودهم وشبّوا فإنهم يؤملون إلى نكاح وتكوين أسرة.. فاحتياجهم إلى المال أشدّ وأكثر.. بخلاف الوالدين فهما أقل حاجة لهذا المال، إمّا لكبرهما وقلة ما بقي من عمرهما، وإمّا لاستقلالهما وتمولها من قبل أولادهم الأحياء.. فالمقارنة تقتضي أن حاجة الأولاد للمال أكثر من حاجة الوالدين، والجيل الناشئ أولى بالرعاية من غيره من وجهة منطق الفطرة الأصيل.

٤/ - شعور الفرد بأنّ جهده الشخصي سيعود أثره على ذوي قرابته - وبخاصة ذريته - يحفزّه إلى مضاعفة الجهد.. وهذا من أبرز مظاهر التكافل في محيط الأسرة خاصة، والجماعة عامّة.

٥/ - وحكمة الله - عز وجل - في التسوية بين الوالدين بوجود الفرع الوارث؛ وذلك إرفاقاً بحال الأبناء وزيادة إشفاق عليهم لمسيب حاجتهم إلى المال - كما نصّ على ذلك القرطبي - والذي يظهر لي في هذه الحالة أيضاً - والله أعلم - أنّه لما تقرّر في أصول علم الميراث: أنّ البنوة أقوى من الأبوة وتفضل عليها.. فإنه لو فرضنا جدلاً أننا أعطينا الأب مثلاً ضعف ما تأخذه الأم بوجود الولد، لأخذ الأبوان: السدس [للأم] + الثلث [للأب] = نصف التركة. وبقي نصف التركة [للأبناء].. ومنه: يتساوى ميراث الأبوة مع البنوة.. وهذا خلاف الأصل الذي تقرّر سابقاً.. ولأجل إبقاء القاعدة على اطرداها وهي: تقديم البنوة على الأبوة.. أعطى الشارع الحكيم الأب السدس وسواها بالأم التي أعطيت السدس أيضاً.. وقد صدق حين قال - جلّ في علاه - : { والله يعلم وأنتم لا تعلمون }.

٦/ - والسرّ في مضاعفة حظّ الأب لحظّ الأم عند عدم وجود الأبناء أنّ حالهما : كحال الولدين، أو الأخويين، أو الزوجين .. فهما من جنس واحد، فللذكر مثل حظّ الأنثيين .. وهذا عدل في الحكم، ظاهر في الحكمة - كما قال القرطبي -، وهو محض القياس، ومن باب التّنبية بالأدنى [يعني : الولدين أو الأخوين أو الزوجين]. على الأعلى [يعني : الوالدين] - كما صرّح بذلك ابن تيمية -.

إجمالاً نقول : السرّ في تقديم الأبناء على الآباء في الميراث، أن البنوة أقوى من الأبوة، لأننا إذا نظرنا إلى معيار الحياة ومدى احتياج الطرفين إلى المال، وجدنا : أنّ الأبناء جاءوا إلى هذه الدّنيا وهم يستقبلون الحياة ومن ثمّ فاحتياجهم إلى المال كبير، بخلاف الآباء فإنهم في الغالب يستدبرون الحياة ومن ثمّ فحاجتهم إلى المال أقل من حاجة أبنائهم .. هذا هو سرّ التقديم والتّفضيل وهو في نهاية الحسّن والحكمة، كما قال ذلك الرازي سابقاً

الفرع الثامن : الحكمة في حجب الأب للإخوة دون الأم

- إذا اجتمع الأب مع الإخوة - مطلقا - فإنه يحجبهم ، ويأخذ الباقي بعد أخذ الأم نصيبها ، لحكمة بينها العلماء :
- قال ابن حجر : « عن قتادة عن بعض أهل العلم أن الأب حجب الإخوة وأخذ سهامهم لأنه يتولى إنكاحهم والإنفاق عليهم دون الأم . وفضل الأب على الأم عند عدم الولد والإخوة لما للأب من الامتياز بالإنفاق والنصرة ونحو ذلك ، وعوضت الأم عن ذلك بأمر الولد بتفضيلها على الأب في البر في حال حياة الولد »^(١)
- وبين العلماء أيضا السري في أخذ الأب السدس الذي كان نتيجة حجب الإخوة الأم عنه ، إذ كان من باب النظر والقياس أن يكون من نصيبهم . كما ذهب إلى ذلك ابن عباس في إحدى الروايتين عنه . :
- قال الرازي : « الإخوة إذا حجبا الأم من الثلث إلى السدس فهم لا يرثون شيئا البتة ، بل يأخذ الأب كل الباقي وهو خمسة أسداس ، سدس بالفرض ، والباقي بالتعصيب ، وقال ابن عباس : الإخوة يأخذون السدس الذي حجبا الأم عنه ، وما بقي فللأب ، وحجته أن الاستقراء دل على أن من لا يرث لا يحجب ، فهؤلاء الإخوة لما حجبا وجب أن يرثوا ، وحجة الجمهور أن عند عدم الإخوة كان المال ملكا للأبوين ، وعند وجود الإخوة لم يذكرهم الله تعالى إلا بأنهم يحجبون الأم من الثلث إلى السدس ، ولا يلزم من كونه حاجبا كونه وارثا ، فوجب أن يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الأبوين ، كما كان قبل ذلك والله أعلم . »^(٢)

(١) ابن حجر : فتح الباري (١٢ / ٣٠)

(٢) الرازي : التفسير الكبير (٥ / ٢٢٣)

- وقال ابن رشد: "واختلفوا من هذا الباب فيمن يرث السدس الذي تحجب عنه الأم بالإخوة، وذلك إذا ترك المتوفى أبوين وإخوة فقال الجمهور ذلك السدس للأب مع الأربعة الأسداس. وروي عن ابن عباس أن ذلك السدس للإخوة الذين حجبا وللأب الثلثان لأنه ليس في الأصول من يحجب ولا يأخذ ما حجب إلا الإخوة مع الآباء وضعف قوم الإسناد بذلك عن ابن عباس وقول ابن عباس هو القياس." (١)
 - وقال القرطبي: "قوله تعالى: { فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ } الإخوة يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس، وهذا هو حجب النقصان، وسواء كان الإخوة أشقاء أو للأب أو للأم، ولا سهم لهم. وروي عن ابن عباس أنه كان يقول: "السدس الذي حجب الإخوة الأم عنه هو للإخوة". وروي عنه مثل قول الناس "إنه للأب". قال قتادة: وإنما أخذ الأب دونهم؛ لأنه يموئهم ويولي نكاحهم والنفقة عليهم." (٢)
 - وقال ابن كثير: "من أحوال الأبوين: اجتماعهما مع الإخوة، وسواء كانوا من الأبوين، أو من الأب، أو من الأم، فإنهم لا يرثون مع الأب شيئاً، ولكنهم مع ذلك يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس، فيفرض لها مع وجودهم السدس فإن لم يكن وارث سواها وسوى الأب أخذ الأب الباقي لقوله: { فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ } أضروا بالأم ولا يرثون... وكان أهل العلم يرون أنهم إنما حجبا أمهم من الثلث أن: أباهم يلي إنكاحهم والنفقة عليهم دون أمهم، وهذا كلام حسن." (٣)
- وقد أضاف ابن القيم حكمة أخرى - عند عدم وجود الأب معهم - فقال: "فإن الإخوة إنما حجبوها إلى السدس لزيادة ميراثهم على ميراث الواحد ولهذا لو كانت واحدة أو أخا واحدا لكان لها الثلث معه" (٤)
- وقال ابن عاشور: "ولو كان الإخوة مع الأم ولم يكن أب لكان للأم السدس

(١) ابن رشد: بداية المجتهد (٣٩٧/٢)

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٧٢/٥)

(٣) ابن كثير: تفسير ابن كثير (٢١٥/٢)

(٤) ابن القيم: أعلام الموقعين (٣٥٩/٣)

وللأخوة بقية المال باتفاق، وربما كان في هذا تعضيد لابن عباس. (١)

فالسرّ في تفضيل الأب عن الأم عند عدم الولد والإخوة وحجبه لهم [الإخوة] لامتياز ترتب النفقة ووجوبها على الأب دون الأم، وهذا من عدل الشريعة وقسطها، فالأب مأمور بالنفقة وتجهيز أخوات الميت الإناث خاصة وكذا الإخوة الذكور فيما جرى به العرف عند احتياجهم له وقدرته على ذلك، بخلاف الأم، إذ قد يصرف ما في يد الأب ويبقى نصيب الأم كما هو، وهذا فيه من حسن الشريعة ما فيه، كما بيّنه ابن كثير -رحمه الله- سابقا بقوله: "وهذا كلام حسن"، وأضاف ابن القيم إلى أن الإخوة حجّبوا الأم من الثلث إلى السدس لزيادة ميراثهم وتكثيره حال عدم وجود الأب .. فهم أولى بالميراث وأولى بهذه الزيادة في هذه الحالة.

• وقد بين العلماء نكتة عدم بيان مقدار ميراث الأب عند أخذ الأم لسدس أو

ثلث التركة :

- قال ابن العربي : « قوله : { فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ } ... تقدير الكلام : فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ، والباقي للأب ، وإن كان له إخوة فلأمه السدس ، والباقي للأب ، وهكذا يزدوج الكلام ويصح الاشتراك الذي يقتضيه العطف . » (٢)

- وقال القرطبي : " فأخبر جل ذكره أن الأبوين إذا ورثاه أن للأم الثلث. ودل بقوله: { وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ } وإخباره أن للأم الثلث، أن الباقي وهو الثلثان للأب. وهذا كما تقول لرجلين: هذا المال بينكما، ثم تقول لأحدهما: أنت يا فلان لك منه ثلث؛ فإنك حددت للآخر منه الثلثين بنص كلامك؛ ولأن قوة الكلام في قوله: { وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ } يدل على أنها منفردان عن جميع أهل السهام من ولد وغيره، وليس في هذا اختلاف. " (٣)

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٤/ ٢٦١)

(٢) ابن العربي : أحكام القرآن (١/ ٣٣٨)

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧١)

- وقال ابن عاشور: " وقد علم أن للأب مع الأم الثلثين وترك ذكره لأن مبنى الفرائض على أن ما بقي بدون فرض يرجع إلى أصل العصابة عند العرب " (١) .
النكته هنا أن الباقي بعد أصحاب السهام يكون لأقرب عاصب وهو للأب في هذه الحالة اسنادا لقوله - عليه السلام - : [ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر]

الفرع التاسع : الحكمة في أن الإخوة لأم يتساوى ذكرهم وأنتاهم في الميراث

الإخوة لأم يخالفون بقية الورثة من وجوه عديدة ، قال ابن كثير : ” وإخوة الأم يخالفون بقية الورثة من وجوه :

أحدها : أنهم يرثون مع من أدلوا به وهي الأم.

الثاني : أن ذكرهم وأنتاهم سواء.

الثالث : أنهم لا يرثون إلا إذا كان ميتهم يورث كلالته ، فلا يرثون مع أب ، ولا جد ، ولا ولد .

الرابع : أنهم لا يزدون على الثلث، وإن كثرت ذكورهم وإنتاهم. “ (١)

- وقال القرطبي : ” قوله : { وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ } ... فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الإخوة فيها عني بها الإخوة للأم ... وكان سعد بن أبي وقاص يقرأ ” وله أخ أو أخت من أمه “ ... فدل إجماعهم على أن الإخوة المذكورين في آخر السورة هم إخوة المتوفى لأبيه وأمّه أو لأبيه ... وأن الإخوة كلهم جميعا كلالته . “ (٢)

- وقال محمد رشيد رضا : ” وقالوا : إن القراءة الشاذة أي غير المتواترة تخصص ؛ لأن حكمها حكم أحاديث الآحاد . “ (٣)

- وقال ابن عاشور - مبينا بالدليل العقلي أن الإخوة هنا مراد بهم الإخوة لأم - : «وقوله : { وله أخ أو أخت } يتعين على قول الجمهور في معنى الكلالته أن يكون المراد بهما الأخ والأخت للأم خاصة لأنه إذا كان الميت لا ولد له ولا والد وقلنا له أخ أو أخت وجعلنا لكل واحد منهما السدس نعلم بحكم ما يشبه دلالة الاقتضاء أنها الأخ للأم لأنها

(١) ابن كثير : تفسير ابن كثير (٢/٢١٧-٢١٨)

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٥/٧٨)

(٣) محمد رشيد رضا : تفسير المنار (٤/٤٢٤)

لما كانت نهاية حظها الثلث فقد بقي الثلثان فلو كان الأخ والأخت هما الشقيقين أو الذين للأب لاقتضى أنها أخذت أقل المال وترك الباقي لغيرهما وهل يكون غيرهما أقرب منها فتعين أن الأخ والأخت مراد بهما اللذان للأم خاصة ليكون الثلثان للإخوة الأشقاء أو الأعمام أو بني الأعمام . «^(١)»

- وقد ذكر العلماء حكماً عديدة في تمييز الإخوة للأم عن بقية الورثة في تساوي ذكورهم وأنتاهم في الميراث، خلافاً لما عليه الحكم في باب البنوة والأبوة والأخوة والزوجية، إذ للذكر مثل حظ الأنثيين :

- قال القرطبي : « قوله : { فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلْثِ } هذا التشريك يقتضي التسوية بين الذكر والأنثى وإن كثروا. وإذا كانوا يأخذون بالأم فلا يفضل الذكر على الأنثى. وهذا إجماع من العلماء، وليس في الفرائض موضع يكون فيه الذكر والأنثى سواء إلا في ميراث الإخوة للأم. »^(٢)

- وقال السهيلي : « وقوله تعالى : { فهم شركاء في الثلث } يدل على تساوي الذكر والأنثى في الحظ لأن لفظ الشركة إذا أطلق فإنما يتضمن التساوي حتى يقيد بنصيب مخصوص لو أن رجلاً ابتاع سلعة فسأله رجل آخر أن يشركه فيها فقال له قد أشركتك فيها ثم قال بعد ذلك لم أرد نصفاً وإنما أردت ثلثاً أو ربعاً لم ينفعه ذلك إلا أن يقيد لفظه في حين الشركة، وإنما أخذ الفقهاء هذا من قوله تعالى : { فهم شركاء في الثلث } أي للذكر مثل حظ الأنثى ونكتة المسألة والله أعلم أن الأخوة للأم إنما ورثوا الميت بالرحم وحرمة الأم، وأن الأم تحب لولدها ما تحب لنفسها، ويشق عليها أن يجرموا من أخيهم وقد ارتكضوا معه في رحم واحدة فأعطوا الثلث، ولم يزدوا عليه لأن الأم التي بها ورثوا لا تزداد عن الثلث وكأن هذه الفريضة من باب الصلة والبر والصدقة فمن ثم سوي الذكر مع الأنثى كما لو وصى بصدقة أو صلة لأهل بيت لشركوا فيها على السواء ذكورهم وإنثهم ألا ترى أن الثلث

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٤/ ٢٦٥)

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧٩)

مشروع في الوصية التي يبتغي فيها ثواب الله العظيم قال النبي عليه السلام لسعد حين أراد أن يوصي بأكثر من الثلث والثلث كثير الحديث كأنه نظر عليه السلام إلى فرض الله تعالى للأخوة بسبب الرحم وحرمة الأم وأنه لم يزداهم على الثلث وإن كثروا فكيف يزداد من هو أبعد منهم في حكم الوصية بل الثلث في حقهم كثير والقرآن والسنة نوران من مشكاة واحدة فينظر بعضه إلى بعض ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا. ^(١)

- وقال ابن القيم: « وقد أعطى الله سبحانه الزوج ضعف ما أعطى الزوجة تفضيلاً لجانب الذكورية وإنما عدل عن هذا في ولد الأم لأنهم يدلون بالرحم المجرد ويدلون بغيرهم وهو الأم وليس لهم تعصيب بخلاف الزوجين والأبوين والأولاد فإنهم يدلون بأنفسهم وسائر العصبية يدلون بذكر كولد البنين وكالأخوة للأبوين أو للأب فإعطاء الذكر مثل حظ الأنثيين معتبر فيمن يدي بنفسه أو بعصبية وأما من يدي بالأمومة كولد الأم فإنه لا يفضل ذكرهم على أنثاهم وكان الذكر كالأنثى في الأخذ وليس الذكر كالأنثى في باب الزوجية ولا في باب الأبوة ولا البنوة ولا الأخوة. ^(٢)

- وقال ابن عاشور « وقد أثبت الله هذا فرضاً للأخوة للأم إبطالاً لما كان عليه أهل الجاهلية من إلغاء جانب الأمومة أصلاً لأنه جانب نساء. ^(٣)

- وقال محمد رشيد رضا: « قوله: { فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلْثِ } ... يدل على أنهم إنما يأخذون فرض الأم، فإنه إما السدس، وإما الثلث.... والحاصل أن الأخ من الأم يأخذ في الكلاله السدس، وكذلك الأخت لا فرق فيه بين الذكر والأنثى؛ لأن كلا منهما حل محل أمه فأخذ نصيبها. وإذا كانوا متعددين أخذوا الثلث وكانوا فيه سواء لا فرق بين ذكرهم، وأنثاهم لما ذكرنا من العلة ^(٤)

(١) السهيلي: الفرائض (٧٤)

(٢) ابن القيم: أعلام الموقعين (٣/٣٦٣)

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٤/٢٦٥)

(٤) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (٤/٤٢٤)

بهذا هذا العرض تبين، أن حكمة الشارع الحكيم في جعل مقدار ما يأخذه الذكر يتساوى مع ما تأخذه الأنثى من الإخوة لأم تمثلت في الآتي :

١/ - أن الإخوة لأم يدلون إلى الميت بواسطة الأمومة - الأنوثة - فلم يفضل ذكرهم على أنثاهم، بخلاف غيرهم من الأبناء والأبوين والزوجين والإخوة، فإنهم يدلون إلى الميت بأنفسهم أو بالذكورة، فكان عطاؤهم للذكر مثل حظ الأنثيين باعتبار إدلائهم إلى الميت إما بأنفسهم أو بعصبتهم.

٢/ - إن الإخوة لأم ما داموا أنهم ورثوا من ميتهم باعتبار واسطة الأمومة لذلك أخذوا مثل ما أخذت الأم وهو : السدس عند الانفراد، والثلث عند التعدد، وقال الألويسي : "والحكمة في تسوية الشارع بينهما تساويهما في الإدلاء إلى الميت بمحض الأنوثة".

٣/ - لما لم يضاعف الله حظ الذكر عن حظ الأنثى في الإخوة لأم حال الانفراد حيث قال : { فإن كان له أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس } ... فكذا حال الاجتماع، فبقي حظهما متساوياً على الأصل الأول، وفي هذا يقول سيد قطب : " ... والقول المعمول به هو أنهم يرثون في الثلث على التساوي ... لأنه يتفق مع المبدأ الذي قرّره الآية نفسها في تسوية الذكر بالأنثى : { فلكل واحد منهما السدس } .

- **وإجمالاً نقول :** إن توريث الإخوة لأم بشكل عام فيه انتصار لجانب الأمومة التي كانت ملغاة على العهد الجاهلي قبل الإسلام، وهذا يدل على مدى اهتمام الشريعة الإسلامية، بجانب المرأة والحرص على إعلاء شأنها وتثبيت حقها المالي في الميراث .. وكذا أن الإخوة لأم في الغالب محتاجون بالنسبة لوضعهم في الأسرة الجديدة خاصة عند وفاة والدهم، فجعل الله لهم هذا الميراث من إخوانهم من طريق أهمهم حتى يتقووا على مصاعب الحياة .. وفي هذا إعجاز تشريعي لمنظومة الميراث التي لم تهمل هذه الفئة الضعيفة الجانب، فضمنت لهم هذا الحق من المال حتى يعيشوا كرماء، إذ يعتبر الإخوة لأم أضعف الورثة : فهم يُحجّبون ولا يُحجّبون غيرهم حجب حرمان وفي هذا يبين ابن القيم الحكمة من عدم إيراد قوله: { غير

مضار} في قوله: { مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ } عند كلامه عن ميراث الأبناء والآباء وإيرادها عند كلامه عن ميراث الزوجين والإخوة لأم في قوله: { مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍ } فقال -رحمه الله- : ”... قال في آية الإخوة من الأم، والزَّوجين“ : ”غير مضار“ ، ولم يقل ذلك في آية العمودين [الأبناء والآباء]، فإنَّ الإنسان كثيراً ما يقصد ضرار الزوج وولد الأم، لأنَّهم ليسوا من عصبته، بخلاف أولاده وآبائه، فإنَّه لا يضارهم في العادة“^(١) ، وقال في موضع آخر : ” وتأمل كيف ذكر سبحانه وتعالى الضَّرَّار في هذه الآية دون التي قبلها، لأنَّ الأولى تضمَّنت ميراث العمودين، والثانية تضمَّنت ميراث الأطراف من الزوجين، والإخوة، والعادة أن الميت قد يضار زوجته وإخوته لا يكاد يضارَّ والده وولده“^(٢) .. وحمداً لله الذي أسدى إليهم هذا الحق وهذا المعروف !.

(١) ابن القيم : إعلام الموقعين (١/٣٥٦) .

(٢) ابن القيم : الضوء المنير على التفسير (٢/١٨-١٨٢) .

الفرع العاشر : الحكمة من تذييل آيات المواريث الثلاث بأسماء الله الحسنى

ختم الباري - عز وجل - آية المواريث الأولى [الآية : ١١] بقوله : { أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } .. والثانية [الآية : ١٢] بقوله : { وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ } .. والثالثة [الآية : ١٧٦] بقوله : { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } ، وقد ذكر العلماء لهذا التذييل عدة لمسات ومقاصد ولطائف نذكر منها الآتي :

١ / [الآية : ١١] : { أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } :

- قال الرازي : « إنه تعالى لما ذكر أنصباء الأولاد وأنصباء الأبوين ، وكانت تلك الأنصباء مختلفة والعقول لا تهتدي إلى كمية تلك التقديرات ، والإنسان ربما خطر بباله أن القسمة لو وقعت على غير هذا الوجه كانت أنفع له وأصلح ، لا سيما وقد كانت قسمة العرب للمواريث على هذا الوجه ، وانهم كانوا يورثون الرجال الأقوياء ، وما كانوا يورثون الصبيان والنسوان والضعفاء ، فالله تعالى أزال هذه الشبهة بأن قال : إنكم تعلمون أن عقولكم لا تحيط بمصالحكم ، وربما اعتقدتم في شيء أنه صالح لكم وهو عين المضرة وربما اعتقدتم فيه أنه عين المضرة ويكون عين المصلحة ، وأما الإله الحكيم الرحيم فهو العالم بمغيبات الأمور وعواقبها ، فكأنه قيل : أيها الناس اتركوا تقدير المواريث بالمقادير التي تستحسنها عقولكم ، وكونوا مطيعين لأمر الله في هذه التقديرات التي قدرها لكم ، فقوله : { وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ } إشارة إلى ترك ما يميل إليه الطبع من قسمة المواريث على الورثة ، وقوله : { فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ } إشارة إلى وجوب الانقياد لهذه القسمة التي قدرها الشرع وقضى بها ... وقوله تعالى : { فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ } ... أي فرض ذلك فرضاً ، وقوله تعالى : { إن الله كان عليماً حكيماً } ، والمعنى : أن قسمة الله لهذه المواريث

أولى من القسمة التي تميل إليها طباعكم ، لأنه تعالى عالم بجميع المعلومات ، فيكون عالماً بما في قسمة الموارث من المصالح والمفاسد ، وأنه حكيم لا يأمر إلا بما هو الأصلح الأحسن ، ومتى كان الأمر كذلك كانت قسمته لهذه الموارث أولى من القسمة التي تريدونها ، وهذا نظير قوله للملائكة : { إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة : ٣٠] .^(١)

- وقال محمد رشيد رضا : ” قوله : { أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا } جاءت هذه الجملة بين بيان ما فرض الله للأولاد ، والوالدين من تركة الميت ، وما اشترط فيه من كونه فاضلاً عن الوصية ، والدين وبين قوله : { فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ } ، أي فرض ما ذكر من الأحكام فريضة من الله لا هوادة في وجوب العمل بها ، ومعنى هذه الجملة المعترضة : إنكم لا تدرّون أي الفريقين أقرب نفعاً لكم . آباءؤكم أم أبناءؤكم فلا تتبعوا في قسمة تركة الميت ما كانت عليه الجاهلية من إعطائها للأقوياء الذين يجارون الأعداء ، وحرمان الأطفال والنساء لأنهم من الضعفاء . بل اتبعوا ما أمركم الله به فهو أعلم منكم بما هو أقرب نفعاً لكم ، مما تقوم به في الدنيا مصالحكم ، وتعظم به في الآخرة أجوركم وقوله : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } فهو لعلمه المحيط بشؤونكم ، ولحكيمته البالغة التي يقدر بها الأشياء قدرها ، ويضعها في مواضعها اللائقة بها ، لا يشرع لكم من الأحكام إلا ما فيه المصلحة ، والمنفعة لكم ؛ إذ لا يخفى عليه شيء من وجوه المصالح ، والمنافع ، وهو منزّه عن الغرض ، والهوى اللذين من شأنهما أن يمنعا من وضع الشيء في موضعه ، وإعطاء الحق لمستحقه .“^(٢)

- وقال الشعراوي : ” ويذيل الحق هذه الآية : { أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } فإياك أن تحدد الأنصاء على قدر ما تظن من النفعية في الآباء أو من النفعية في الأبناء ، فالنفعية في الآباء تتضح عندما يقول الإنسان : « لقد رباني أبي وهو الذي صنع لي فرص المستقبل » . والنفعية في الأبناء تتضح عندما يقول الإنسان : إن أبي راحل وأبنائي هم الذين سيحملون ذكري واسمي والحياة مقبلة عليهم .

(١) الرازي: التفسير الكبير (٥/٢٢٣)

(٢) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (٤/٤١٩-٤٢٠)

فيوضح الحق : إياك أن تحكم بمثل هذا الحكم؛ فليس لك شأن بهذا الأمر : { لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا } . وما دمت لا تدري أيهم أقرب لك نفعاً فالتزم حكم الله الذي يعلم المصلحة وتوجيهها في الأنصبة، كما يجب أن تكون . ونحن حين نسمع : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } أو نسمع : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } .

فنحن نسمعها في إطار أن الله لا يتغير ، وما دام كان في الأزل عليهما حكيمًا وغفورًا رحيمًا فهو لا يزال كذلك إلى الأبد فالأغيار لا تأتي إلى الله ، وثبت له العلم والحكمة والخبرة والمغفرة والرحمة أزلا وهو غير متغير ، وهذه صفات ثابتة لا تتغير . لذلك فعندما تقرأ : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } أو { إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } ، فالمسلم منا يقول بينه وبين نفسه : ولا يزال كذلك « (١)

- وقال سيد قطب : ” وفي نهاية الآية تحيء هذا اللمسات المتنوعة المقاصد : { أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } .

والمسألة الأولى : لفظة قرآنية لتطبيب النفوس تجاه هذه الفرائض . فهناك من تدفعهم عاطفتهم الأبوية إلى إثارة الأبناء على الآباء لأن الضعف الفطري تجاه الابناء أكبر . وفيهم من يغالب هذا الضعف بالمشاعر الأدبية والأخلاقية فيميل إلى إثارة الآباء . وفيهم من يختار ويتأرجح بين الضعف الفطري والشعور الأدبي . . كذلك قد تفرض البيئة بمنطقها العرفي اتجاهات معينة كتلك التي واجه بها بعضهم تشريع الإرث يوم نزل وقد أشرنا إلى بعضها من قبل . . فأراد الله سبحانه أن يسكب في القلوب كلها راحة الرضى والتسليم لأمر الله ولما يفرضه الله؛ بإشعارها أن العلم كله لله؛ وأنهم لا يدرون أي الأقرباء أقرب لهم نفعاً ولا أي القسم أقرب لهم مصلحة : { أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا } . .

والمسألة الثانية : لتقرير أصل القضية . فالمسألة ليست مسألة هوى أو مصلحة قريبة، إنما هي مسألة الدين ومسألة الشريعة : { فريضة من الله } . . فالله هو الذي خلق الآباء والأبناء . والله هو الذي أعطى الأرزاق والأموال . والله هو الذي يفرض وهو الذي يقسم

وهو الذي يشرع . وليس للبشر أن يشرعوا لأنفسهم ولا أن يحكموا هواهم كما أنهم لا يعرفون مصلحتهم! { إن الله كان عليماً حكيماً } وهي اللمسة الثالثة : في هذا التعقيب . تحيء لتشعر القلوب بأن قضاء الله للناس - مع أنه هو الأصل الذي لا يحل لهم غيره - فهو كذلك المصلحة المبنية على العلم والحكمة . فالله يحكم لأنه عليم - وهم لا يعلمون - والله يفرض لأنه حكيم - وهم يتبعون الهوى .

وهكذا تتوالى هذه التعقيبات قبل الانتهاء من أحكام الميراث لرد الأمر إلى محوره الأصل ، محوره الاعتقادي الذي يحدد معنى « الدين » فهو الاحتكام إلى الله ، وتلقي الفرائض منه ، والرضى بحكمه : { فريضة من الله . إن الله كان عليماً حكيماً } .^(١)

٢ / [الآية : ١٢ : { وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ } .

- قال الرازي : "... { وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ } : أنه مصدر مؤكد أي : يوصيكم الله بذلك وصية ، كقوله : { فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ } ... ثم قال : { وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ } أي عليم بمن جار أو عدل في وصيته { حَلِيمٌ } على الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد والله أعلم ."^(٢)

- وقال محمد رشيد رضا : " قوله : { وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ } أي يوصيكم بذلك ، وصية منه - عز وجل - فهي جديرة بالإذعان لها ، والعمل بموجبها والله عليم بمصالحكم ، ومنافعكم وبنيات الموصين منكم حلیم لا يسمح لكم بأن تعجلوا بعقوبة من تستاءون منه ، ومضارته بالوصية... وإذا كنا نعلم أنه - تعالى شأنه - أعلم منا بمصالحنا ، ومنافعنا فما علينا إلا أن ندعن لوصاياهم ، وفرائضهم ، ونعمل بما ينزله علينا من هدايته ، وكما يشير اسم " العليم " هنا إلى وضع تلك الأحكام على قواعد العلم بمصلحة العباد ومنفعتهم يشير أيضا إلى وجوب مراقبة الوارثين ، والقوام على التركات لله - تعالى - في علمهم بتلك الأحكام ؛ لأنه عليم لا يخفى عليه حال من يلتزم الحق في ذلك ، ويقف عند حدود الله - عز وجل - ، وحال من يتعدى تلك الحدود بأكل شيء من الوصايا ، أو الدين ، أو حق صغار الوارثين ، أو النساء

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢/ ٢٦٥ - ٢٦٧)

(٢) الرازي: التفسير الكبير (٥/ ٢٣٤)

الذي فرضه الله لهم كما كانت تفعل الجاهلية؛ ولذلك قال في الآية السابقة: إن الله كان عليماً حكيماً فللتذكير بعلمه - تعالى - هنا فائدتان: فائدة تتعلق بحكمة التشريع، وفائدة تتعلق بكيفية التنفيذ. وقد يحظر في البال أن المناسب الظاهر في هذه الآية أن يقرن وصف العلم بوصف الحكمة كالأية الأخرى، فيقال: { والله عليم حكيم }، فما هي النكتة في إثارة الوصف بالحلم على الوصف بالحكمة، والمقام مقام تشريع، وحث على اتباع الشريعة؛ لا مقام حث على التوبة فيؤتى فيه بالحلم الذي يناسب العفو والرحمة؟ والجواب عن ذلك: أن التذكير بعلم الله - تعالى - لما كان متضمناً لإصدار من يتعدى حدوده تعالى فيما تقدم من الوصية، والدين، والفرائض، ووعيده، وكان تحقق الإنذار، والوعيد بعقاب معتدي الحدود وهاضم الحقوق قد يتأخر عن الذنب، وكان ذلك مدعاة غرور الغافل، ذكرنا - تعالى - هنا بحلمه لنعلم أن تأخر نزول العقاب لا ينافي ذلك الوعيد والإنذار، ولا يصح أن يكون سبباً للجراءة، والاعتداء، فإن الحلِيم هو الذي لا تستغفره المعصية إلى التعجيل بالعقوبة، وليس في الحلم شيء من معنى العفو والرحمة، فكأنه يقول: لا يغرن الطامع في الاعتداء، وأكل الحقوق تمتع بعض المعتدين بما أكلوا بالباطل، فينسى علم الله - تعالى - بحقيقة حالهم، ووعيده لأمثالهم، فيظن أنهم بمفازة من العذاب فيتجرأ على مثل ما تجرأوا عليه من الاعتداء، ولا يغرن المعتدي نفسه تأخر نزول الوعيد به، فيتهدى في المعصية بدلا من المبادرة إلى التوبة، لا يغرن هذا ولا ذاك تأخير العقوبة، فإنه إهمال يقتضيه الحلم، لا إهمال من العجز أو عدم العلم، وفائدة المذنب من حلم الحلِيم القادر أنه يترك له وقتاً للتوبة والإنابة بالتأمل في بشاعة الذنب وسوء عاقبته، فإذا أصر المذنب على ذنبه، ولم يبق للحلم فائدة في إصلاح شأنه، يوشك أن يكون عقاب الحلِيم له أشد من عقاب السفهية على البادرة عند حدوثها، ومن الأمثال في ذلك: "اتقوا غيظ الحلِيم" ذلك بأن غيظه لا يكون إلا عند آخر درجات الحلم إذا لم تبق الذنوب منه شيئاً، وعند ذلك يكون انتقامه عظيماً. نعم إن حلم الله لا يزول، ولكنه يعامل به كل أحد بقدر معلوم: { وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ } [الرعد: ٨] فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بحلمه - تعالى -، كما أنه لا ينبغي له أن يغتر بكرمه. ^(١)

- قال سيد قطب :“ ثم يجيء التعقيب في الآية الثانية - كما جاء في الآية الأولى - : {وصية من الله والله عليم حليم} .. وهكذا يتكرر مدلول هذا التعقيب لتوكيده وتقريره . فهذه الفرائض {وصية من الله} صادرة منه; ومردها إليه . لا تنبع من هوى، ولا تتبع الهوى . صادرة عن علم . . فهي واجبة الطاعة لأنها صادرة من المصدر الوحيد الذي له حق التشريع والتوزيع . وهي واجبة القبول لأنها صادرة من المصدر الوحيد الذي عنده العلم الأكيد . توكيد بعد توكيد للقاعدة الأساسية في هذه العقيدة . قاعدة التلقي من الله وحده .“ (١) .

وقد بين الرازي النكتة من تذييل الآية الأولى بقوله : {فريضة من الله} ، والآية الثانية بقوله : {وصية من الله} .. فقال : ” لم جعل خاتمة الآية الأولى : {فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ} وخاتمة هذه الآية {وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ} ؟ الجواب : أن لفظ الفرض أقوى وأكد من لفظ الوصية، فختم شرح ميراث الأولاد بذكر الفريضة ، وختم شرح ميراث الكلاله بالوصية ليدل بذلك على أن الكل ، وان كان واجب الرعاية إلا أن القسم الأول وهو رعاية حال الأولاد أولى.“ (٢)

٣ / [الآية : ١٧٦ : } يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنَّ تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } .

- قال الرازي :“ قال تعالى : {يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنَّ تَضَلُّوا} وفيه وجوه : الأول : قال البصريون : المضاف ههنا محذوف وتقديره : يبين الله لكم كراهة أن تضلوا... وقال الكوفيون : حرف النفي محذوف ، والتقدير : يبين الله لكم لثلا تضلوا... الثالث : قال الجرجاني... يبين الله لكم الضلالة لتعلموا أنها ضلالة فتجنبوها .

ثم قال تعالى : { وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } فيكون بيانه حقاً وتعريفه صدقاً .

واعلم أن في هذه الصورة لطيفة عجيبة ، وهي أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى فإنه قال : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ } [النساء : ١] وهذا دال على سعة القدرة ، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم وهو قوله { وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبية والإلهية والجلالة والعزة ، وبهما

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢/ ٢٦٩)

(٢) الرازي: التفسير الكبير (٥/ ٢٣٤)

يجب على العبد أن يكون مطيعاً للأوامر والنواهي منقاداً لكل التكاليف.^(١)

- قال محمد رشيد رضا : ” قوله : { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا } أي يبين الله لكم أمور دينكم ، ومن أهمها تفصيل هذه الفرائض وأحكامها ، كراهة أن تضلوا ، أو تفاديا منها من أن تضلوا ، والمراد لتتقوا بمعرفتها والإذعان لها الضلال في قسمة التركات وغيرها ، هذا هو التوجيه المشهور زدناه بيانا بالتصرف في التقدير ، وهو على هذا مفعول لأجله . وقدم البيضاوي عليه وجها آخر ، فقال : ” أي يبين الله لكم ضلالكم الذي من شأنكم ، إذا خليتكم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه ”... وتكرر في القرآن { والله بكل شيء عليم } فما شرع لكم هذه الأحكام وسواها ، إلا عن علم بأن فيها الخير لكم وحفظ مصالحكم ، وصلاح ذات بينكم ، كما هو شأنه في جميع أحكامه وأفعاله ، كلها موافقة للحكمة الدالة على إحاطة العلم وسعة الرحمة.^(٢)

- قال سيد قطب : ”... وتختم آية الميراث ، وتختم معها السورة ، بذلك التعقيب القرآني الذي يرد الأمور كلها لله ، ويربط تنظيم الحقوق والواجبات والأموال وغير الأموال بشريعة الله : { يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم } . صيغة جامعة شاملة { بكل شيء } من الميراث وغير الميراث . من علاقات الأسر وعلاقات الجماعات . من الأحكام والتشريعات . . فإما إتباع بيان الله في كل شيء ، وإما الضلال . . طريقان اثنان لحياة الناس لا ثالث لهما : طريق بيان الله فهو الهدى . وطريق من عداه فهو الضلال . ”^(٣)

- **الملاحظ على التنديبات الثلاثة التي ختمت بها آيات المواريث، أن :**
الآيات الثلاثة اشتملت على اسم الله : «العليم»، وأيضا : اشتملت الآية الأولى على اسم الله : «الحكيم»، والثانية على اسم الله : «الحليم» .. وحكمة الباري في ذلك كأنه يريد أن يقول لعباده بعد تشريعه لمنظومة الميراث أن الله : «عليم»

(١) الرازي: التفسير الكبير (٦/١٢٣-١٢٤)

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير المنار (٦/ ١١١)

(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢/ ٦٢١-٦٢٢)

بمصالحكم المالية التي من أجلها جمعتم هذا المال ونميتموه سواء في محياكم أم في مماتكم، وإذا كان الأمر كذلك فاعلموا أن قسمته لهذا المال على مستحقيه من ورثتكم بعد هلاككم كانت وفق اسمه : «الحكيم» الذي لا يجابي به أحداً على أحدٍ فلكل نصيبه -سواء كان رجلاً أو امرأة- مقدرًا تقديرًا بالغًا لا يمكن أن يبلغه علمكم.. الذي لا يقال عنه علم ابتداء إذا ما قورن بعلم الله ! وقرأ معي إن شئت قوله : { وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة : (٢١٦)] فإذا علمت أيها المخلوق أن هذا هو قدر علمك إلى علم الله وحكمته ، فسلم له بالقسمة التي اختارها فيما تملك من مال سمعا وطاعة له فيما شرع .. ورضا وقبولا بما قسم وقدر .. لأنه حقاً هو : « العليم » ، « الحكيم » ، « الحلیم » .

الفرع الحادي عشر : الحكمة من ترتب الوعد والوعيد بعد بيان مقادير الميراث

ختم الله - عز وجل - مقادير وأنصبة الورثة بأيتين تضمنت الأولى وعدا بالجنة وفوزا عظيما لمن رضي بقسمة الله في مال كل ميت، وتضمنت الثانية وعيدا بالنار والعذاب المهين لمن اعترض على قسمة الله وعصى وتعدي على ما حد وحكم به فقال : - جل في علاه - :
{ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ } [النساء : ١٣ - ١٤] .

وفي هاتين الآيتين إعجاز تشريعي بديع نبينه بعدما نعرض لما ذكره علماءنا من لطائف ولمسات تضمنها هذا الوعد وهذا الوعيد :

- قال الرازي : ” ذكر الوعد والوعيد ترغيبا في الطاعة وترهيبا عن المعصية فقال : { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ } ... وقوله : { تِلْكَ } ... إشارة إلى أحوال الموارث... وأن المراد بحدود الله : المقدرات التي ذكرها وبينها . ” الرازي: التفسير الكبير (٥ / ٢٣٥) .

- وقال ابن كثير : « أي : هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم إليه وفقدهم له عند عدمه، هي حدود الله فلا تعتدوها ولا تتجاوزوها؛ ولهذا قال : { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } أي : فيها، فلم يزد بعض الورثة ولم ينقص بعضا بحيلة ووسيلة، بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته { يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ } أي، لكونه غير ما حكم الله به وضاد الله في حكمه. وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به، ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم. »^(١)

- قال سيد قطب : ” القاعدة الأساسية في هذه العقيدة ، قاعدة التلقي من الله وحده ...

(١) ابن كثير : تفسير ابن كثير (٢ / ٢٢٠)

وهذا ما تقرره الآيتان التاليتان في السورة تعقيباً نهائياً على تلك الوصايا والفرائض، حيث يسميها الله بالحدود: **(تلك حدود الله . ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)**.

تلك الفرائض وتلك التشريعات التي شرعها الله لتقسيم التركات وفق علمه وحكمته ولتنظيم العلاقات العائلية في الأسرة والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع **(تلك حدود الله)** . . حدود الله التي أقامها لتكون هي الفيصل في تلك العلاقات ولتكون هي الحكم في التوزيع والتقسيم، ويترتب على طاعة الله ورسوله فيها الجنة والخلود والفوز العظيم، كما يترتب على تعديها وعصيان الله ورسوله فيها النار والخلود والعذاب المهين.

هذه هي الحقيقة الكبيرة التي يشير إليها هذا التعقيب الذي يربط بين توزيع أنصبة من التركة على الورثة وبين طاعة الله ورسوله أو معصية الله ورسوله . وبين جنة تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها؛ ونار خالدة وعذاب مهين! وهذه هي الحقيقة الكبيرة التي تتكئ عليها نصوص كثيرة في هذه السورة وتعرضها عرضاً صريحاً حاسماً لا يقبل المماحكة ولا يقبل التأويل. وهذه هي الحقيقة التي ينبغي أن يتبينها الذين ينسبون أنفسهم إلى الإسلام في هذه الأرض ليروا أين هم من هذا الإسلام وأين حياتهم من هذا الدين!... وهذه هي الحقيقة التي ينبغي أن يتبينها الذين ينسبون أنفسهم إلى الإسلام في هذه الأرض ليروا أين هم من هذا الإسلام وأين حياتهم من هذا الدين!

إن هذا النظام في التوريث هو النظام العادل المتناسق مع الفطرة ابتداءً؛ ومع واقعيات الحياة العائلية والإنسانية في كل حال . يبدو هذا واضحاً حين نوازنه بأي نظام آخر عرفته البشرية في جاهليتها القديمة أو جاهليتها الحديثة في أية بقعة من بقاع الأرض على الإطلاق. إنه نظام يراعي معنى التكافل العائلي كاملاً ويوزع الأنصبة على قدر واجب كل فرد في الأسرة في هذا التكافل . فعصبة الميت هم أولى من يرثه - بعد أصحاب الفروض كالوالد والوالدة - لأنهم هم كذلك أقرب من يتكفل به ومن يؤدي عنه في الديات والمغارم . فهو نظام متناسق ومتكامل.

وهو نظام يراعي أصل تكوين الأسرة البشرية من نفس واحدة . فلا يحرم امرأة ولا صغيراً لمجرد أنه امرأة أو صغير . لأنه مع رعايته للمصالح العملية - كما بينا في الفقرة الأولى - يرمى كذلك مبدأ الوحدة في النفس الواحدة . فلا يميز جنساً على جنس إلا بقدر أعبائه في التكافل العائلي والاجتماعي .

وهو نظام يراعي طبيعة الفطرة الحية بصفة عامة وفطرة الإنسان بصفة خاصة . فيقدم الذرية في الإرث على الأصول وعلى بقية القرابة . لأن الجيل الناشئ هو أداة الامتداد وحفظ النوع . فهو أولى بالرعاية - من وجهة نظر الفطرة الحية - وهو نظام يتمشى مع طبيعة الفطرة كذلك في تلبية رغبة الكائن الحي - وبخاصة الإنسان - في أن لا تنقطع صلته بنسله وأن يمتد في هذا النسل . ومن ثم هذا النظام الذي يلبي هذه الرغبة ويضمن للإنسان الذي بذل جهده في ادخار شيء من ثمرة عمله إلى أن نسله لن يحرم من ثمرة هذا العمل وأن جهده سيرثه أهله من بعده . مما يدعوه إلى مضاعفة الجهد ومما يضمن للأمة النفع والفائدة - في مجموعها - من هذا الجهد المضاعف . مع عدم الإخلال بمبدأ التكافل الاجتماعي العام الصريح القوي في هذا النظام . وأخيراً فهو نظام يضمن تفتيت الثروة المتجمعة على رأس كل جيل وإعادة توزيعها من جديد . فلا يدع مجالاً لتضخم الثروة وتكدسها في أيدي قليلة ثابتة ... وهذا التفتيت المستمر والتوزيع المتجدد؛ فيتم والنفس به راضية لأنه يماشى فطرتها وحرصها وشحها! وهذا هو الفارق الأصيل بين تشريع الله لهذه النفس وتشريع الناس!!!^(١) .

وبعد تأمل طويل ... هداانا الله بحكمته وعلمه إلى أن هاتين الآيتين تضمّنتا إعجازاً تشريعياً بديعاً وحكمة بالغة من الله الحكيم العليم .. فيما نرى -والله أعلم-، وهو : أن الذين خوطبوا بهاتين الآيتين أساساً على عهد زمن نزول الوحي : هم الرّجال خاصّة، لأنّ الأحكام التي تضمّنتها آيات الموارث كانت لصالح النّساء ... ولذلك لم يكن الاعتراض منهنّ، بل كان الاعتراض من الرّجال لأنّهم رأوا أن حظهم من الميراث قد نقص .. لذلك

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن (٢/ ٢٦٩، ٢٧١-٢٧٣)

كانت عليهم شديدة، فخطبهم الباري - عز وجل - بهذا الوعد وهذا الوعيد .. وهذا ما بيّنه ابن عباس - رضي الله عنه - : قال ابن كثير : ” وقال العوفي عن ابن عباس ... وذلك أنه لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين، كرهها الناس أو بعضهم، وقالوا : تعطى المرأة الربع أو الثمن، وتعطى الابنة النصف، ويعطى الغلام الصغير، [الاعتراض على فئة النساء والصغار] وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم، ولا يجوز الغنيمة، اسكتوا عن هذا الحديث لعلّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينساه، أو نقول له فيغيره، فقالوا : يارسول الله : تعطى الجارية نصف ما ترك أبوها، وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم، ويعطى الصبي الميراث وليس يغني شيئاً، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم ويعطونه الأكبر فالأكبر ” رواه ابن أبي حاتم وابن جرير أيضاً^(١)

ولما استقرت الأحكام وثبتت المقادير والأنصبة للورثة من الرجال والنساء .. رضي الرجال بهذه الأحكام باعتبار أنّ قسمتها وتفصيلها كان من الباري - عز وجل - لأنّ شعار المؤمن من أحكام الله - عز وجل - هو : القبول والتسليم، لقوله تعالى : { سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [البقرة / ٨٥]، وقوله : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } [الأحزاب : ٣٦] .

ولكن يستدار الزمان كهيئة يوم جاء هذا الدين .. ويصبح الاعتراض من جهة النساء لا الرجال .. حيث نادت كثير من الجمعيات النسوية في البلاد العربية والإسلامية بتغيير منظومة الميراث بدعوى أن الله - عز وجل - ظلم المرأة بعدم تسوية ميراثها بميراث الرجل .. فيكون هذا الوعد والوعيد موجه بصورة أدق في هذا الزمان إلى هؤلاء النسوة اللاتي أنكرن جميل خالقهنّ عندما سوى بينهن في أصل الميراث، فقال : { لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا }، ولعلّ هذا من الإعجاز التشريعي في توالي هاتين الآيتين المتضمنتين للوعد والوعيد لآيتي الميراث - والله أعلم بالصواب -

(١) ابن كثير : تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٣)

• وفي الأخير نختم بهذه الكلمات التي تخص هذا الفن :

- قال الماوردي ” حقيق بمن علم أن الدنيا منقرضة وأن الرزايا قبل الغايات معترضة، وأن المال متروك لوارث ، أو مصاب بحادث ، أن يكون زهده فيه أقوى من رغبته ، وتركه له أكثر من طلبته ، فإن النجاة منها فوز ، والاسترسال فيها عجز ، أعاننا الله على العمل بما نقول ، ووقفنا لحسن القبول إن شاء الله.“ الماوردي : الحاوي (٢/٢١٣)

الخاتمة

بعد رحلتنا مع هذا البحث انتهينا إلى النتائج الآتية

١/ فريضة الميراث وإن كان الأصل فيها والغالب عليها التبعّد المحض، إلا أن فيها ما هو معقول المعنى، ظاهر القصد، جليّ الحكمة .. وذلك لدورانها حول موضوع المال الذي قننته الشريعة أحسن تقنين .

٢/ أجمل الله - عز وجل - الكلام عن الميراث تمهيدا وتهيئة لنفوس المؤمنين حتى يكونوا على أتم استعداد لما سيشرعه من أحكام جزئية وتفصيلية في هذه المنظومة العادلة للرجال وللنساء، وللأقوياء والضعفاء، على حدّ سواء .

٣/ ترتيب الورثة كان مبنيًا على أساس حكمة بالغة ونظر دقيق : فالقريب إلى الميت أولى بالميراث من البعيد عنه فجاء ترتيب الورثة حسب هذا التسلسل العادل وفق هذه القواعد المنضبطة التي لا تحابي أحدًا على حساب آخر .

٤/ رتب الله الحقوق المتعلقة بالتركة ترتيبا بديعا ، فقدم حقّ التّجهيز لأنّ الميت أولى به من غيره، ثمّ قدّم الدّين على الوصيّة لأنّه قد تعلقت به ذمّته، ثمّ قدّمت الوصيّة على الميراث حتّى يستدرك ما فاته من الخير والبرّ .

٥/ صدر الله أحكام الميراث بلفظ «يوصيكم» لبيان أن الله أعدل وأرحم بخلقه حتى من الوالدين بأولادهم ، فلفت الله قلوب المؤمنين ليتيقنوا أن ما أوصى به الله من قسمة في

المال هو الخير كله والتّنع كله، وما وراءه من قسمة فهي باطلة مرجوحة، وجاء التّعير بلفظ: «أولادكم» دون لفظ «أبنائكم» لأن لفظ «الولد» أعمّ من لفظ «الابن».

٦/ أخذ الذّكر ضعف ما تأخذه الأنثى ليس فيه محاباة لجنس على حساب جنس، وإنّما هي حالة توازن وعدل بين أعباء الذّكر المتعدّدة، وأعباء الأنثى المحدودة، ولأن المنفق مترقب للنقص دائماً، والمنفق عليه مترقب للزيادة دائماً، فراع الشّارع الحكيم في إثارة مترقب النقص على مترقب الزيادة، ومن هنا يبدو العدل الرباني جلياً، كما يبدو التناسق البديع بين الغنم والعزم في هذا التّوزيع الحكيم العادل.

٧/ قدم الله الأبناء على الآباء في الميراث، لأن البنوة أقوى من الأبوة، بالنسبة إلى مدى احتياج الطرفين إلى المال: فالأبناء جاءوا إلى هذه الدّنيا وهم يستقبلون الحياة ومن ثمّ فاحتياجهم إلى المال كبير، بخلاف الآباء فإنهم في الغالب يستدبرون الحياة ومن ثمّ فحاجتهم إلى المال أقل من حاجة أبنائهم.

٨/ فضل الله الأب عن الأم لامتياز ترتب النفقة ووجوبها على الأب دون الأم، وهذا من عدل الشريعة وقسطها، إذ قد يصرف ما في يد الأب ويبقى نصيب الأم كما هو، وهذا فيه من حسن الشريعة ما فيه.

٩/ جعل الشّارع الحكيم مقدار ما يأخذه الذّكر يتساوى مع ما تأخذه الأنثى من الإخوة لأم لأنهم يدلون إلى الميت بواسطة الأمومة - الأنوثة - فلم يفضل ذكرهم على أنثاهم، بخلاف غيرهم من الأبناء والأبوين والزّوجين والإخوة، فإنهم يدلون إلى الميت بأنفسهم أو بالذّكورة.

١٠/ ختمت آيات المواريث باسماء الله الحسنى، وحكمة الباري في ذلك كأنه يريد أن يقول لعباده بعد تشريعه لمنظومة الميراث أن الله: عليم بمصالحكم المالية التي من أجلها جمعتم هذا المال ونميتموه، وإذا كان الأمر كذلك فاعلموا أن قسمته لهذا المال على مستحقّيه من ورثتكم بعد هلاككم كانت وفق حلمه البالغ وحكمته العادلة، فسلم له بالقسمة التي اختارها فيها تملك من مال سمعا وطاعة له فيما شرّع لأنّه هو: «العليم»، «الحكيم»، «الحليم».

قائمة المصادر والمراجع

رتبنا قائمة المصادر والمراجع وفق الحروف الهجائية دون مراعاة "ال" التعريف في البداية مبتدئين بعنوان الكتاب.

- ١ - / أحكام القرآن : محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٥٤٢هـ)، دار المعرفة - بيروت -.
- ٢ - / أحكام القرآن : أحمد بن علي الرازي الجصاص ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - (١٤٠٥ هـ)
- ٣ - / أضواء البيان : محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، عالم الكتب - بيروت -
- ٤ - / إعلام الموقعين: محمد أبو عبد الله ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق : طه عبد الرؤوف، دار الجيل - بيروت - (١٩٧٣)
- ٥ - / بداية المجتهد ونهاية المقتصد : محمد بن أحمد بن رشد الحفيد (٥٩٥هـ)، دار الكتب الحديثة - القاهرة -
- ٦ - / التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): محمد بن عمر الرازي (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت -
- ٧ - / تفسير ابن كثير : الحافظ إسماعيل بن كثير (٧٧٤هـ)، دار الأندلس ، ط (٣) : (١٤٠١هـ)
- ٨ - / تفسير التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور (١٢٨٤هـ)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر - (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- ٩ - / تفسير المنار : محمد رشيد رضا (١٣٥٥هـ)، مطبعة القاهرة ط (٤) : (١٣٨٠هـ)
- ١٠ - / تفسير الألوسي (روح المعاني) : شهاب الدين محمود بن الله الحسيني الألوسي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت -
- ١١ - / تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت -
- ١٢ - / تفسير الشعراوي : مأخوذ من المكتبة الشاملة .
- ١٣ - / الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت - ط (٢) : (١٣٧٢هـ).
- ١٤ - / الحاوي الكبير : أبو الحسن علي الماوردي (٤٥٠هـ)، تحقيق : د/ محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت - (١٤١٤هـ).
- ١٥ - / حجة الله البالغة : الشيخ أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ)، دار التراث - القاهرة -.
- ١٦ - / زاد المعاد في هدي خير العباد : محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط :

- ٧ (١٤١٥هـ) /١٧ - شرح الزرقاني على موطأ مالك : محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت: ١١٢٢)، دار الكتب العلمية - بيروت -
- ١٨ / - صحيح البخاري : أبو عبد الله إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، - مطبوع مع فتح الباري - دار المعرفة - بيروت -
- ١٩ / - صحيح مسلم : أبو الحسن مسلم النيسابوري (٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ٢٠ / - فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد على بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار المعرفة - بيروت -
- ٢١ / - الفقه الإسلامي وأدلته : د/ وهبة الزحيلي، دار الفكر - سوريا - ط (١) : (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- ٢٢ / - الفرائض : عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت: ٥٨١)، تحقيق : د. محمد إبراهيم البنا المكتبة الفيصلية ط: (٢) : ١٤٠٥هـ
- ٢٣ / - الفرائض : عبد الكريم اللاحم ، وزارة الشؤون الإسلامية - المملكة السعودية - ط : (١) : (١٤٢١هـ).
- ٢٤ / - في ظلال القرآن : سيد قطب دار المعرفة - بيروت - ط : (٧) : (١٣٩١هـ).
- ٢٥ / - مجموع الفتاوى : تقي الدين أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة المعارف - الرباط -



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

إعجاز القرآن في دلالة الفطرة على الإيمان

د. سعد بن علي الشهراني

عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة جامعة أم القرى



المقدمة

الحمد لله فاطر السموات والأرض، فطر عباده على توحيده ومعرفته، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة لعلمهم يشكرون، والصلاة والسلام على من أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد:-

فقد عظم الإسلام أمر الفطرة وأعلى شأنها، حيث وصف الله تعالى في القرآن الكريم الدين بها، وأمر باتباعها وحذر العباد من تغييرها مبيهاً أن اتباعها هو سلوك للدين الذي ارتضاه الله وجعله مستقيماً قيماً لجميع ما يحتاجه البشر في أمر دينهم ودنياهم، قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠] ومن تعظيم الإسلام للفطرة أنه جعلها الأساس السابق لأي دليل شرعي أو عقلي. فرسالة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وشرائعهم مكتملة للفطرة ومذكرة بها، وهذا ما بينه الله تعالى في كتابه الكريم في مواضع عدّة، منها قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية: ٢١] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [نق: ٣٧]

قال الإمام ابن تيمية ~ في هذا المعنى: « الرسل إنما تأتي بتذكير الفطرة ما هو معلوم لها، وتقويته وإمداده، ونفي المغير للفطرة، فالرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها، لا بتغيير الفطرة وتحويلها، والكمال يحصل بالفطرة المكتملة بالشرعة المنزلة »^(١).

إن معرفة الله تعالى فطرية، والمراد بهذا أن كل إنسان يولد على صفة تقتضي إقراره بأن له خالقاً مدبراً، وتستوجب معرفته إياه، وتأله له. وهذه الصفة ذاتها هي القوة المغرزة في

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٣٤٨/١٦).

الإنسان، التي تقتضي اعتقاده للحق دون الباطل، وإرادته للنافع دون الضار، وإذا كان قد عُلم بالبراهين اليقينية القاطعة، أن وجود الخالق هو أعظم الحقائق، وأن معرفته والتأله له أعظم المنافع، فإنه يتعين بذلك أن يكون في الفطرة ما يقتضيه معرفة الصانع والإيمان به^(١).

والقرآن الكريم كلام رب العالمين يجلي هذه الحقيقة ويقررها بأبداع البيان، وأوضح البرهان، غير أنه مما يؤسف له إعراض بعض المسلمين عن هذه الحقائق الربانية، وإنكارهم لهذه المعرفة الفطرية. فجماهير المتكلمين على اختلاف طوائفهم يقررون أن معرفة الله نظرية، وأنها إنما تدرك بالنظر والاستدلال، ويجعلون الطريق إلى معرفته تعالى النظر، فأوجبوه على كل مكلف وجعلوا لهذا النظر طرقاً وأدلة كلامية وفلسفية صعبت على نُظارهم فضلاً عن عامة المسلمين، وقولهم يتناقض مع القول بفطرية معرفة الله، لأن المعارف الفطرية لا تحتاج إلى نظر واستدلال، وإنما تكون معلومة بالبداهة والفطرة.

إن حديث القرآن الكريم عن هذه المعرفة الفطرية كافٍ شافٍ شامل لحقيقتها وبيان المراد منها، ولو رجعنا للقرآن الكريم بفهم سلفنا الصالح لوجدنا فيه غنية عن المناهج والمدارس الكلامية والفلسفية التي أشغلت المسلمين بمسائل لا تبني اليقين والإيمان بل تؤسس للشك والحيرة والاضطراب، ومما يؤسف له أن هذه المسائل والدلائل البدعية لا تزال تشغل حيزاً في مناهجنا التعليمية معرضة عن المنهج القرآني الرباني ذلكم الوحي المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة التي أجريت على فئات مختلفة من الناس في مناطق متعددة وبواسطة علماء من جامعات أكاديمية مشهورة: (أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هي إحدى النزعات العالمية الخالدة)، وقد سبقهم القرآن العظيم بتقرير هذه الحقيقة التي لا ينازع فيها إلا مكابر!

والله تعالى أسأل أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء همومنا وهادينا إلى الصراط المستقيم.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: (٤٥٨/٨)، وشفاء العليل لابن القيم: ص (٥٠٠).

المطلب الأول : الفطرة في لغة العرب

الفطرة في لغة العرب تطلق على معانٍ متعددة تدور حول: الشق، والخلقة، والابتداء، والاختراع، والخلق، والقبول. وشواهد هذه المعاني متوافرة في معاجم اللغة العربية^(١)، وكتب غريب القرآن والحديث^(٢)، كما يشهد لبعض معان الفطرة آيات كثيرة في القرآن الكريم. فالفطرة بمعنى الشق، مثل قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: ٥]، والفطرة بمعنى الابتداء والاختراع والخلق، مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]، وجاءت أيضًا بمعنى القبول في قوله تعالى: (السماء منفطر به) [المزمل: ١٨]، فقوله: (منفطر به) إشارة إلى قبولها ما اقتضاه خلقه وإبداعه لها^(٣).

أما كلمة "فطرة" على وزن "فِعْلة" فلم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في سورة الروم في قوله تعالى: (فطرت الله التي فطر الناس عليها) [الروم: ٣].

ويذكر المطهري^(٤) إلى أن أحدًا لم يستعمل هذه الكلمة قبل ورودها في القرآن، واستدل بحادثة ابن عباس { مع الأعرابيين وفيه: "أنا فطرتها"، وذلك أن ابن عباس وهو حبر الأمة وهو العربي القرشي لم يعرف معنى هذه الكلمة من قبل سماع الأعرابي، فدل ذلك على أن هذه الكلمة لم يسبق لها أن استعملت قبل القرآن الكريم، ويمكن الاعتراض عليه بقول عنتره:

وسيفي كالعقيقة وهو كمعي . . . سلاحي لا أفل ولا فطار^(٥)

(١) انظر: مادة (ف ط ر) في كتاب العين للفراهيدي: (٤١٧/٧-٤١٨)، تهذيب اللغة للأزهري: (٣٢٥-٣٣٠)، الصحاح للجوهري: (٧٨١/٢)، لسان العرب: (٥٩-٥٥/٥).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن للأصبهاني: ص (٥٧٥)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (٤٥٧/٣)، غريب الحديث لأبي عبيد: (٣٠٠-٢٩٩/٣).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن للأصبهاني: ص (٥٧٥).

(٤) الفطرة للمطهري: ص (٥).

(٥) انظر: لسان العرب (٣١٣/٨).

المطلب الثاني: أقوال علماء أهل السنة والجماعة في معنى الفطرة

تعددت أقوال العلماء في بيان معنى الفطرة، وسأجمل ذكر أبرز هذه الأقوال دون ذكر أدلتها ومناقشتها طلباً للاختصار.

القول الأول: أنّ الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود من المعرفة بربه إذا بلغ مبلغ المعرفة، وهي السلامة من المعرفة والإنكار أو الكفر والإيمان، وأبزر من نصر هذا القول ابن عبد البر^(١)، وبه قال ابن الأثير^(٢)، وتقي الدين السبكي^(٣)، وغيرهم من العلماء.

القول الثاني: الفطرة هي البداءة التي ابتداءً الله الخلق عليها من الحياة والموت والشقاء والسعادة، وكل ما سبق في علم الله مما يصيرون إليه عند البلوغ أو عند العاقبة^(٤). ومن قال بذلك من السلف: عبدالله بن المبارك^(٥)، والإمام أحمد في إحدى الروايات عنه^(٦).

القول الثالث: بأن الفطرة هي ما فطر الله عليه بني آدم من الإنكار والمعرفة والكفر والإيمان، وذلك حين أخذ من ذرية آدم الميثاق، ومن قال به: إسحاق بن راهويه، وصححه الأزهري^(٧).

القول الرابع: القول بأن الفطرة هي الميثاق، الذي أخذه الله تعالى من ذرية آدم قبل أن يخرجوا إلى الدنيا، فأقروا له جميعاً بالربوبية، ونسب هذا القول إلى الأوزاعي، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وغيرهم^(٨).

(١) انظر: التمهيد: (١٨/٦٨-٦٩)، وعقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان، للغصن: ص (٤٢٦-٤٤٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث: (٣/٤٥٧).

(٣) كل مولود يولد على الفطرة، للسبكي: ص (١٦).

(٤) انظر: التمهيد: (١٨/٧٨).

(٥) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد: (٢/٢٢).

(٦) انظر: شفاء العليل لابن القيم: ص (٤٩٩)، وقد ذكر أن للإمام أحمد ثلاث روايات في الفطرة، لكن هذا القول قد تركه الإمام، انظر: درء التعارض: (٨/٣٨٩)، التمهيد: (١٨/٧٦).

(٧) انظر: التمهيد: (١٨/٨٣)، تهذيب اللغة للأزهري: (١٣/٣٢٨).

(٨) انظر: التمهيد: (١٨/٩٠-٩١)، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ص (٩٥).

وقد ذكر ابن عبد البر أن أصحاب هذا القول يفسرون الفطرة بمجموع أمرين: أخذ الميثاق يوم استخراج ذرية آدم من ظهره، ثم إخراجهم من أصلاب آبائهم مخلوقين مطبوعين على معرفة الله والإقرار بربوبيته، وحينئذ يكون هذا عين مذهب السلف، لا قولاً مستقلاً، كما ذكره أثناء عرض الأقوال في الفطرة^(١).

القول الخامس: وهو أن المراد بالفطرة: الإسلام، وهذا الذي عليه أكثر الصحابة والتابعين، وغيره من علماء السلف، ومنهم: معاذ بن جبل، وعمر بن الخطاب، وأبو هريرة، وابن عباس، والقاضي شريح، وسعيد بن جبیر، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، والحسن البصري، والباقر، وقتادة، وابن شهاب، وجعفر الصادق، والأوزاعي، وحامد بن زيد^(٢)، وأحمد بن حنبل، والبخاري^(٣)، وابن جرير، وأبو بكر الخلال، وأصحاب أبي حنيفة، وابن حزم^(٤)، والبيهقي^(٥)، وابن تيمية^(٦)، وابن القيم^(٧)، وابن كثير^(٨)، وابن حجر^(٩)، والشوكاني^(١٠) وغيرهم.

قال ابن عبد البر: خلق الطفل سليماً من الكفر مؤمناً مسلماً، على الميثاق الذي أخذه الله

(١) انظر: التمهيد: (١٨/٩٠-٩٤)، وميثاق الإيمان، د. عيسى السعيد، ص (٣٩)..

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: (١٠/١٨٣-١٨٤)، وصحيح البخاري كتاب الجنائز: (١/٤٥٤)، والدرء لابن تيمية: (٨/٣٦٧-٣٧٧)، والتمهيد لابن عبد البر: (١٨/٧٢)، وأحكام أهل الملل للخلال: ص (١٤-١٥)، والنكت والعيون للماوردي: (٤/٣١٢).

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصل عليه: (١/٤٥٤)، وكتاب التفسير/سورة الروم، باب لا تبديل لخلق الله: (٤/١٧٩٢)، تفسير ابن جرير: (١٠/١٨٣-١٨٤)، و الدرء لابن تيمية: (٨/٣٦٧-٣٧٧)، وأحكام أهل الملل للخلال: ص (١٤-٢٥).

(٤) انظر: الإحكام لابن حزم: (٥/١٠٤).

(٥) انظر: الاعتقاد للبيهقي: ص (١٠٧).

(٦) انظر: مؤلفاته مثل: درء التعارض: (٨/٣٥٩-٤٦٨)، ومجموع الفتاوى: (٤/٢٤٣-٢٤٩)، ومجموعة الرسائل الكبرى: (٢/٣٣٣-٣٤٩) وغيرها.

(٧) انظر: مؤلفاته: كشفاء العليل: ص (٤٨٦-٥٢٠)، وأحكام أهل الذمة: (٢/٥٢٣-٦٠٩) وغيرها.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير: (٦/٣٢٠-٣٢٣).

(٩) انظر: فتح الباري، لابن حجر: (٣/٢٩٤).

(١٠) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (٤/٢٢٤).

على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم^(١).

وهذه الخلقة على الإسلام والتوحيد هي الفطرة بمعناها الشرعي، ولهذا فسرها أئمة السلف بالإسلام، قال ابن عبد البر: هو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل، وقد أجمعوا في قول الله عز وجل:

(فطرت الله التي فطر الناس عليها) [الروم: ٣] على أن قالوا: فطرة الله دين الإسلام... وذكروا عن عكرمة ومجاهد والحسن وإبراهيم والضحاك وقتادة في قول الله عز وجل: **فطرت الله التي فطر الناس عليها** [الروم: ٣]، قالوا: دين الله الإسلام^(٢)

وقال ابن حجر: الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام^(٣). ولهذا قال البخاري: الفطرة: الإسلام. قال ابن حجر: جزم المصنف بأن الفطرة الإسلام^(٤). وجزم به أيضاً كثير من الأئمة، كالطبري والبيهقي وأبي العباس القرطبي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن رجب وابن أبي العز الحنفي وابن حجر والشوكاني وغيرهم^(٥).

ولا بدّ من تقرير أنه ليس المراد بقول السلف: ولد المولود على فطرة الإسلام: أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله تعالى يقول: **(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً)** [النحل: ٧٨]، ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام، لمعرفته ومحبته. فنفس فطرة المولود تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض^(٦).

(١) التمهيد (١٨/٧٧).

(٢) التمهيد (١٨/٧٢).

(٣) فتح الباري (٣/٢٥٠).

(٤) فتح الباري (٣/٢٤٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢١/٤٠)، الاعتقاد للبيهقي ص (٨٨)، المفهم للقرطبي (٦/٦٧٦)، درء تعارض العقل والنقل (٨/٣٧١)، أحكام أهل الذمة (٢/٥٣١)، تفسير ابن كثير (٣/٤٣٢)، جامع العلوم والحكم ص (٢١٣)، شرح الطحاوية ص (٨٣)، فتح الباري (٣/٢٤٨)، فتح القدير للشوكاني (٤/٢٢٤).

(٦) انظر: درء التعارض: (٨/٣٨٣-٣٨٤، ٤٦٠-٤٦١).

وذهب ابن تيمية وابن القيم إلى أن المراد بالفطرة على الإسلام خلق الطفل على معرفة الحق وإرادته بالقوة لا بالفعل، فكما يولد وفيه قوة النطق والعقل والفعل والمعرفة والإرادة حتى إذا قدر نطق بالفعل وعقل وفعل وعرف ما يلائمه من الأغذية والأشربة والمنافع وطلبه بمقتضى طبعه إلا المانع من مرض ونحوه، فإنه كذلك يولد وفيه قوة معرفة الحق وإرادته، ثم تنمو فطرته بنموه حتى يعرف الإسلام ويريده بالفعل، ويطلبه ويؤثره بمقتضى طبعه وجبلته بحيث لو سلم المانع والمعارض وخلي وفطرته لكان بمقتضاها عارفاً بربه، موحداً له محبباً له، ولا يحتاج في معرفة ربه ومحبته لسبب من خارج فطرته إلا في التذكير بما أودعه الله فيها من الحق أو تفصيله وتقويته وتكميله.

قال ابن القيم: المعرفة والمحبة لا يشترط فيهما وجود شخص منفصل وإن كان وجوده قد يذكر ويحرك، كما إذا خوطب الجائع بوصف الطعام والمغتلم بوصف النساء، فإن هذا مما يذكر ويحرك لكن لا يشترط ذلك لوجود الشهوة، فكذلك الأسباب الخارجة لا يتوقف عليها وجود ما في الفطرة من الشعور بالخالق والذل له ومحبته وإن كان ذلك مذكراً ومحرراً ومزيلاً للمعارض المانع^(١).

ومما يؤكد أن الله تعالى فطر عباده على توحيده ومعرفته قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] ، وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] قال ابن القيم: هذا كثير في القرآن يخبر أن كتابه ورسوله مذكر لهم بما هو مركز في فطرهم من معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله والخضوع له والإخلاص له، ومحبة شرعه الذي هو العدل والمحض، وإيثاره على ما سواه^(٢).

وستتضح أدلة رجحان هذا القول في بيان معنى الفطرة من خلال الأدلة التالية.

(١) أحكام أهل الذمة (٢/٦٠٧)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٣٨٣).

(٢) شفاء العليل ص (٤٩٧)، وميثاق الإيمان ص (٥٢-٥٣).

المطلب الثالث: حقيقة الفطرة من خلال الأدلة القرآنية

تقرر كثير من الأدلة الشرعية حقيقة معنى الفطرة وسأذكر أبرز وأجلى هذه الأدلة مركزاً على أدلة القرآن الكريم:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]

وهذه الآية الكريمة تبين بكل مفرداتها على أن مقتضى الفطرة التي أمر الله تعالى بإقامة الوجه لها ولزومها هي الدين الحنيف الإسلام، وأن خلق الناس على هذا المقتضى سنة مطردة لا تتبدل ولا تتغير.

وسأذكر فيما يلي تفسير مفردات هذه الآية الكريمة.

* قوله: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ ﴾ قال ابن كثير ~ في تفسير هذه الآية: «فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفة ملة إبراهيم الذي هداك لها وكملها له غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره» (١).

* قوله: ﴿ لِلدِّينِ ﴾ المقصود به دينٌ معيّن فأل فيه للعهد، وهو دين الإسلام (٢).

* قوله: ﴿ حَنِيفًا ﴾: الحنف هو الميل، «وغلّب استعمال هذا الوصف في الميل عن الباطل أي العدول عنه بالتوجه إلى الحق، أي عادلاً ومنقطعاً عن الشرك، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥]» (٣).

ومن الآيات التي تشهد أن الحنيفة هي الإسلام قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥] ، وقوله: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ

(١) تفسير ابن كثير: (٦/ ٣٢٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: (٢١/ ٨٩).

(٣) المصدر السابق: (٢١/ ٨٩).

وَجِهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا ﴿١﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ١٦١] ومن الأحاديث الدالة على ذلك أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم: ((بعثت بالحنيفية السمحة)) (١)

* قوله: (فطرت الله) أي: إن إقامة الوجه للدين حنيفًا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وذلك مأمور باتباعه إما صراحةً وإما تلميحًا، لأنها جاءت مضافة إلى الله إضافة مدح لا إضافة ذم، وفي هذا ما فيه من تشریفها وتوكيد تمامها وكمالها وتمام الدين المعبر بها عنه وكماله، وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام (٢).

وقد جاء التنزيل بنحو هذا في قوله تعالى: (صبغت الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) [البقرة: ١٣٨]، قال مجاهد: «فطرة الله» (٣).

* قوله: (فطر الناس عليها): بيان لمعنى الإضافة في قوله: (فطرت الله)، وتصريح بأن الله خلق الناس سالمة عقولهم مما ينافي الفطرة، وكون الإسلام هو الفطرة وملازمة أحكامه لمقتضيات الفطرة صفة اختص بها الإسلام من بين سائر الأديان في تفاريحه أما أصوله فاشتركت فيها الأديان الإلهية (٤).

وقد ذكر ابن عبد البر إجماع أهل التأويل من السلف على أن المراد بـ (فطرت الله) في الآية دين الإسلام (٥). قوله: (لا تبديل لخلق الله): ذكر ابن كثير في تفسيره قولين هما:

أنه خبر بمعنى الطلب، ومعناه: لا تبدلوا خلق الله بإفساد الفطرة، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها. أنه خبر على بابه، ومعناه: أن الله تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلية المستقيمة، فلا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٢٣٤٥، ٢٤٨٩٩، ٢٦٠٠٤)، والطبراني في الكبير برقم (٧٧١٥، ٧٨٦٨، ٧٨٨٣).

(٢) انظر: الدرء لابن تيمية: (٣٧٢/٨)، وفتح الباري لابن حجر: (٢٩٣/٣)، وتفسير القرطبي: (٢٤/١٤)، والمحرم الوجيز لابن عطية: (٤٥٣/١١)، ومنهج الاستدلال عثمان حسن: (٢٠٠/١).

(٣) انظر: تفسير البغوي: (١٢١/١).

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: (٩٠/٢١)، والمعرفة في الإسلام للقرني: ص (٢٣٢-٢٣٣).

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر: (٧٢/١٨)، وعقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان، للغصن: ص (٤٢٨).

في ذلك^(١). ولهذا قال ابن عباس، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، في قوله: **(لا تبديل لخلق الله)** أي لدين الله^(٢).

وقال البخاري: «قوله: **(لا تبديل لخلق الله)**: لدين الله، **(خلق الأولين)**: دين الأولين. والفطرة الإسلام»^(٣).

ولا تعارض بين القول بأن (لا) في قوله: **(لا تبديل)** للنفي أو للنهي، فالنفي صحيح فلا يولد مولود إلا وهو على الفطرة لا يستطيع أحد أن يبدل ذلك، فيجعل بعضهم يولد على الفطرة، وبعضهم يولد على غير الفطرة، والنهي أيضًا صحيح فمعناه: لا تُغيروا ولا تبدلوا دين الله وفطرته التي فطر الله الناس عليها.

قوله: **(ذلك الدين القيم)**: اسم إشارة هنا يدل على زيادة تمييز هذا الدين مع تعظيمه كالإشارة في قوله: **(ذلك الكتاب لا ريب فيه)** [البقرة: ٢]، والقيّم يعني: المستقيم الذي لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثه^(٤).

- وبهذا يظهر أن الفطرة في الآية تقتضي التوحيد، ولو أن الله قد خلق الناس خلقة قد تقتضي التوحيد، وقد لا تقتضيه لم يأمر بلزوم مقتضاها بإطلاق. فدلّ على أن الفطرة لا بدّ أن تقتضي التوحيد، وأن ذلك سنة لا يمكن أن تتبدل، وهذا مطابق للعموم في حديث الفطرة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: **((كل مولود يولد على الفطرة))**.

ولذا أخبر تعالى أن الاستقامة على الدين الحنيف الذي هو مقتضى الفطرة هو الدين القيم. فلا يكون تحقيق التوحيد والدين القيم إلا بتحقيق مقتضى الفطرة^(٥).

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٦/٣٢٠).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: (١٠/١٨٣-١٨٤)، وتفسير ابن كثير: (٦/٣٢٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير/ سورة الروم، باب لا تبديل لخلق الله.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير: (١٠/١٨٤)، والإسلام فطرة الخلق وشريعة الوجود لتولي: ص (١٨).

(٥) المعرفة في الإسلام للقرني: ص (٢٣٣).

ثانياً: آية الإشهاد وهي قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنفَهُكَنَا بِمَا فَعَلَ الْمُتَّبِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣]

وهذه الآية آية مشككة كما قال القرطبي^(١) وأبو المظفر السمعاني^(٢) والكلام في تفسيرها مرتبط بالروايات الواردة في الميثاق من حيث حقيقته وأقوال أهل العلم فيه^(٣)، وقد اختلف أهل العلم في حقيقة استخراج ذرية آدم من صلبه إلى عدة أقوال:

• القول الأول:

أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام مسح على ظهره، فأخرج منه ذريته كأمثال الذر، فئة بيضاء نقية، وأخرى سوداء كالحمم، وهذا الإخراج كان لجميع الذرية، وجعل لهم عقولاً يعقلون بها ما يعرض عليهم، ثم كلمهم الباري تعالى عياناً، وأخذ عليهم العهد والميثاق بأنه ربهم المعبود، الذي لا إله غيره، وأنهم عبيده المربوبيون، فأقروا بذلك، ووقعت الشهادة عليهم بذلك، قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] حيث كان إقرارهم له سبحانه وتعالى بلسان المقال، وهذا هو مذهب جمهور الصحابة والتابعين وجمهور المفسرين، وعامة أهل الأثر والحديث، والصوفية.

ومن قال بذلك من الصحابة رضي الله عنهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو سريحة الغفاري، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وذو اللحية الكلابي، وعمران بن حصين، وأم المؤمنين عائشة، وأنس بن مالك، وسراقة بن جعشم، وأبو موسى

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٧/ ٣١٤).

(٢) انظر: تفسير أبي المظفر: سورة الأعراف: ٤٠٥.

(٣) انظر للتوسع في تخريج هذه الروايات ونقدها: أخذ الميثاق في قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم)، لعبد العزيز العثيمين. وفطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها، لأحمد سعد حمدان: ص (٣٤-١٣٥).

الأشعري، وعبادة بن الصامت، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، وجابر بن عبدالله، وأبو ذر الغفاري، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبو عبدالله -رجل من الأنصار-، وعبدالله بن سلام، وسلمان الفارسي، وأبو الدرداء، وعمرو بن العاص، وعبدالله بن الزبير، وأبو أمامة الباهلي، وأبو الطفيل، وعبدالرحمن بن عوف -رضي الله تعالى عنهم أجمعين- .

وأما من بعدهم فمنهم: محمد بن كعب، والضحاك بن مزاحم، والحسن البصري، وفتادة، وسعيد بن جبير والسدي، والكلبي، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، والطبري، والقرطبي، وفاطمة بنت الحسين، وأبو جعفر الباقر، وأبو حنيفة، والطحاوي، وابن الأنباري، وأبو جعفر النحاس، وابن الجوزي، وابن رشد، والألوسي، والشوكاني، والفتنوجي، وملا علي قاري، والمغنيساوي، والخازن، وابن المنير، والثعالبي، وابن الوزير، وغيرهم كثير^(١) -رحمهم الله تعالى أجمعين- .

وأدلة هذا القول كثيرة جداً، حتى قال عنها ابن القيم ~ : « الأثار في إخراج الذرية من ظهر آدم، وحصولهم في القبضتين، كثيرة لا سبيل إلى ردها وإنكارها، ويكفي وصولها إلى التابعين، فكيف بالصحابة؟ ومثلها لا يقال بالرأي والتخمين »^(٢).

وقد حكم بعض أهل العلم على هذه الروايات بالتواتر ومنهم:

المقبلي القائل: « ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات الواردة في ذلك »^(٣). وقال ابن عطية: « وتواترت الأحاديث في تفسير هذه الآية عن النبي صلى الله عليه وسلم »^(٤). وقال الألباني: « وجملة القول أن الحديث صحيح، بل هو متواتر المعنى »^(٥)

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي: (٤٦/١٥)، وروح المعاني للألوسي: (١٠٣/٩)، وفتح البيان للفتنوجي: (٧٠/٥)، والتمهيد لابن عبدالبر: (٧٢/١٨)، وشفاء العليل لابن القيم: ص (٣٤-٣٥)، وفطرية المعرفة لحمدان: ص (١٠٥-١٠٦)، والسلسلة الصحيحة للألباني: (١٥٩/٤).

(٢) أحكام أهل الذمة لابن القيم: (١٥٩/٢-١٦٠).

(٣) فتح البيان للفتنوجي: (٧١/٥).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية: (١٣٤/٦).

(٥) السلسلة الصحيحة للألباني: (١٦٢/٤).

وقال ابن رشد: غير مستنكر في لطيف قدرة الله تعالى أن يجيئهم حينئذٍ، ويجعل لهم مع كونهم أمثال الذر عقولاً يعقلون بها خطابه، ويعلمون بها أنه ربهم وخالقهم، ويطلق ألسنتهم بالإقرار له بذلك^(١).

ومن الأدلة التي استشهدوا بها في إثبات وقوع هذا الاستخراج إضافة إلى الأحاديث الواردة في بيان معنى الآية ما يلي:

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧] قال مجاهد: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ أي في ظهر آدم عليه السلام^(٢). وقال ابن كثير: «وقيل المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة الذر من صلب آدم عليه السلام».

(٢) قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢] قال أبي بن كعب ومجاهد في تفسير هذه الآية: عهده الذي أخذه من بني آدم في ظهر آدم ولم يفوا به^(٣).

(٣) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١] .

قال القرطبي: «وقيل المعنى: خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم حيث أخذنا عليكم الميثاق هذا قول مجاهد رواه عنه ابن جريج وابن أبي نجيح. قال النحاس: وهذا أحسن الأقوال "ثم ذكر قول مجاهد"»^(٤). وقال بهذا أيضًا: قتادة، والربيع، والضحاك^(٥).

(٤) قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

(١) انظر: فتاوى ابن رشد: (١/٦٦١).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري: (١٠/٢٦٢).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري: (٦/١٤).

(٤) جامع أحكام القرآن للقرطبي: (٧/١٦٩). وانظر: معاني القرآن: (٣/١٣).

(٥) العواصم والقواصم لابن الوزير: (٧/٢٦٩).

فإنهم فسّروا إسلام الخلق كلهم بذلك، وقالوا: إن الله تعالى لما قال لهم: "ألست بربكم" قالوا كلهم "بلى" فأما أهل السعادة، فقالوا عن معرفة له طوعاً، وأما أهل الشقاوة فقالوه كرهاً^(١).

• القول الثاني:

هو ما ذهب إليه بعض المفسرين ونصره -منهم خاصة- المتسبون إلى التفسير بالرأي، وهو أن لا إخراج، ولا قول، ولا شهادة بالفعل، وإنما ذلك كله على سبيل المجاز، أو التمثيل، فيكون المراد بأخذ الميثاق أحد أمرين:

(أ) ما فطرهم الله تعالى عليه من التوحيد، كما قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِي لِيَخْلُقَ اللَّهُ﴾ [الروم: ٣٠]. وكما قال صلى الله عليه وسلم: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة ...)) الحديث، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم))، وقال بهذا القول طائفة من علماء السلف، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن أبي العز الحنفي، والسعدي، وغيرهم -رحمهم الله تعالى أجمعين-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ~ : « وهذا الأخذ المعلوم المشهود الذي لا ريب فيه، هو أخذ النبي من أصلاب الآباء ونزوله في أرحام الأمهات ... فهو يقول: اذكر حين أخذوا من أصلاب الآباء فخلقوا حين ولدوا على الفطرة مقرين بالخالق شاهدين على أنفسهم بأن الله ربهم، فهذا الإقرار حجة الله عليهم يوم القيامة، فهو يذكر أخذه لهم، وإشهادهم إياهم على أنفسهم، إذ كان سبحانه خلق فسوى، وقدر فهدى. فالأخذ يتضمن خلقهم، والإشهاد يتضمن هداه لهم إلى هذا الإقرار »^(٢).

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر: (١٨/٨٣)، والعواصم والقواصم لابن الوزير: (٧/٢٦٩).

(٢) الدرء لابن تيمية: (٨/٤٨٧). وانظر: جامع الرسائل والمسائل لابن تيمية: (١/١١)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم: (٢/٥٢٧)، وتفسير ابن كثير: (٣/٥٠٦)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: ص (٣٠٢)، وتفسير ابن سعدي: (٢/١٧٠).

ب) أن المراد من أخذ الميثاق الأخذ من ظهور بني آدم على الترتيب الذي مضت به السنة، من لدن آدم إلى فناء العالم، ونصب الأدلة لهم في أنفسهم أو في الكون.

ومعنى ذلك أن الله عزوجل نصب هذه الدلائل، وأظهرها للعقول، لئلا يقولوا إنما أشركنا على سبيل التقليد لأبائنا، لأن نصب أدلة التوحيد قائم معهم، فلا عذر لهم في الإعراض عنه، والإقبال على تقليد الآباء في الشرك.

قال الرازي حاكياً هذا القول: «أخرج الذرية - وهم الأولاد - من أصلاب آبائهم وذلك الإخراج: بأنهم كانوا نطفة، فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمهات، وجعلها علقة، ثم مضغة ثم جعلها بشراً سوياً، وخلقاً كاملاً، ثم أشهدهم على أنفسهم، بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته، وعجائب خلقه، وغرائب صنعه، فبالإشهاد صاروا كأنهم قالوا: بلى، وإن لم يكن هناك قول باللسان، ولذلك نظائر منها:

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] (١). وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب. فحين شهدت بهذه الأدلة عقولهم وبصائرهم صاروا بمنزلة من قيل لهم: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى. وهذه الشهادة منهم بالحال لا بالمقال. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] وعلى هذا القول يكون معنى الآية الكريمة: وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، ويشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف، الذي به يترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة (٢).

وهذا القول هو مذهب المعتزلة كالزنجشري والقاضي عبد الجبار، ومن وافقهم من المفسرين كأبي السعود والزجاج وأبي حيان والنسفي وغيرهم. سو كلا الأمرين - الفطرة

(١) التفسير الكبير للرازي: (٥٠/١٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٣١٤/٤)، والنكت للهاوردي: (٢٧٨/٢)، والروح لابن القيم: (٥٤٩/٢-٥٥١)، وتفسير أبي المظفر السمعاني: ص (٤١٠)، وتفسير السعدي: (١٧٠/٢)، وتفسير القاسمي: (٢٨٩٧/٧)، والكشاف للزنجشري: (١٧٧/٢)، وروح المعاني للألوسي: (١٠٢/٩)، والبحر المحيط لأبي حيان: (٤٢٠/٤)، وتفسير النسفي: (١٥٩/٢)، وتفسير أبي السعود: (٢٩٠/٣)، والبسيط للواحدي: (٩١٥-٩١٧/٣)، وغيرها.

أو نصب الأدلة- يشتركان في إنكار الإخراج من ظهر آدم والإشهاد بلسان المقال. وقد انتقد الشيخ الألباني ابن كثير وابن القيم في قولهما بهذا القول ووصفهما بأنهما شابها المعطلة والمبتدعة في تأويل هذه الآية، وردّهم للأحاديث الواردة في الميثاق^(١).

ويمكن الجواب عن كلام الشيخ الألباني بأجوبة منها:

(١) أن ابن القيم وابن كثير لم يردا الحديث، بل ذكروا عدم صحته بنقد سنده ولم يخرجوا في ذلك عما قرره علماء الحديث في منهج النقد وعدم ثبوت الحديث كاف في رده. فهو لم يصح عندهما ومثل هذا لا يقال أنه رد للحديث.

(٢) أنهما لم يؤولا الآية تأويلاً لا تحتمله وإنما ذكروا معنى تحتمله الآية.

(٣) ابن القيم وابن كثير لم ينفردا بهذا الفهم وإنما قد سبقهما غيرهما ومن أشهرهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله والذي قد تقدم نقل بعض كلامه في الآية. ولعل الشيخ الألباني لم يقف عليه.

(٤) أن موافقة بعض المبتدعة في بعض آرائهم لا يعني موافقتهم في بدعهم إذ أن أصل عقائدهم عقائد إسلامية فليس غريباً أن تكون هناك موافقات بين ما ذهبوا إليه وما ذهب إليه علماء السلف، إذ الالتقاء في الجزئيات لا يعني الاتفاق في الكلّيات، كما أنه ليس كل ما يقول به المبتدعة يلزمنا أن نخالفه إلا إذا اتضح بطلانه بالدليل^(٢).

وبتأمل أقوال العلماء في آية الميثاق سواء الذين قالوا بإخراج الذرية وتحقق الإشهاد بلسان المقال أو الذين أنكروا ذلك وقالوا: إنه بلسان الحال، نجد أنهم متفقون على دلالة الآية على فطرية التوحيد.

ووجه دلالة الآية على فطرية التوحيد وأن المعرفة به ضرورة أن الله تعالى قد أخبر بأنه قد أشهد جميع بني آدم على أنفسهم أنه هو ربهم، وأنهم قد أقرّوا وشهدوا جميعاً على أنفسهم بذلك، كما أخبر تعالى أن هذا الإشهاد حجة على الناس جميعاً، فلا يمكن لأحد

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٤/١٥٩-١٦٢).

(٢) هذه الأجوبة منقولة من: فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها، لشيخنا أ.د/ أحمد سعد حمدان: ص (١٣٧-١٣٨).

يوم القيامة أن يعتذر بالجهل بالتوحيد، وأنه لم تبلغه فيه حجة، لأن الحجة فيه قد قامت على كل أحد بذلك الإشهاد، وأنه لا يمكن لأحد تبعاً لذلك أن يعتذر إذا كان قد وقع في الشرك بمتابعة الآباء عليه، لأن عنده من العلم بالتوحيد وبطلان ما عليه الآباء من الشرك ما يدفع به ذلك، بحيث لا يقع في الشرك إلا بإرادته واختياره، مع العلم ببطلان الشرك، لا لمجرد متابعة الآباء عليه.

ويلزم من ذلك أن يكون العلم بتوحيد الله تعالى من المعارف الضرورية التي لا يحتاج أحد أن يتعلمها، بل يكون ذلك الإشهاد على التوحيد وإقراره به كافيًا في العلم به وعدم الوقوع في الشرك^(١).

وفي بيان وجه دلالة الآية على فطرية التوحيد وكونه من العلوم الضرورية يقول الإمام ابن تيمية: «... هذا الإشهاد من لوازم الإنسان، فكل إنسان قد جعله الله مقراً بربوبيته، شاهداً على نفسه بأنه مخلوق والله خالقه، ولهذا جميع بني آدم مقرون بهذا شاهدون به على أنفسهم، وهذا أمر ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق، وهذا مما خلقوا عليه وجبلوا عليه، وجعل علماً ضرورياً لهم لا يمكن أحداً جحده.

ثم قال بعد ذلك: (أن تقولوا) أي: كراهة أن تقولوا، ولثلاثا تقولوا: (إنا كنا عن هذا غافلين) عن الإقرار لله بالربوبية، وعلى أنفسنا بالعبودية، فإنهم ما كانوا غافلين عن هذا، بل كان هذا من العلوم الضرورية اللازمة لهم التي لم يخل منها بشر قط... وقوله:

﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنفَهُلْ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

[الأعراف] وهم آباؤنا المشركون، وتعاقبنا بذنوب غيرنا؟ وذلك لأنه لو قدر أنهم لم يكونوا عارفين بأن الله ربهم، ووجدوا آباءهم مشركين وهم ذرية من بعدهم... قالوا: نحن معذورون، وآباؤنا هم الذين أشركوا ونحن كنا ذرية لهم بعدهم، اتبعناهم بموجب الطبيعة المعتادة، ولم يكن عندنا ما يبين خطأهم.

(١) المعرفة في الإسلام للقرني: ص(٢٣٦).

فإذا كان في فطرتهم ما شهدوا به من أن الله وحده هو ربهم، كان معهم ما يبين بطلان هذا الشرك، وهو التوحيد الذي شهدوا به على أنفسهم، فإذا احتجوا بالعادة الطبيعية من اتباع الآباء كانت الحجة عليهم الفطرة الطبيعية العقلية السابقة لهذه العادة الأبوية» (١)

ثالثاً: ما جاء في جواب الرسل للكفار لما قالوا لهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ﴿٩﴾ **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴿إبراهيم: ٩-١٠﴾.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن قول الرسل: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ يحتمل أمرين:

الأول: أي في وجوده شك؟

الثاني: أي تفرده باستحقاق العبادة دون غيره شك؟ (٢)

ورغم أن السياق القرآني يدل على الثاني - لأن الشك متوجه فيه لمضمون دعوة الرسل، ومعلوم أن مضمون دعوتهم توحيد العبادة - إلا أن اللفظ يتناول الشك في الله تعالى من كل وجه، بما في ذلك الشك في وجوده، والعبرة بعموم اللفظ كما هو معروف (٣).

فيكون الرسل قد احتجوا على الكفار بحجتين:

- **الفطرة، فإن قولهم:** ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ : استفهام تقرير مفاده النفي (٤)، أي أن الله تعالى فوق الشك، وأن الشك في إلهيته مما تنكره الفطرة، وهذه الحجة داخلية، نابعة من نفس الإنسان.
- **العقل، وذلك في قولهم:** ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، فإن هذا استدلال بالخلق على الخالق، وهذه الحجة خارجية، مأخوذة من دلالة الأثر على المؤثر.

(١) در التعارض، لابن تيمية: (٨/٤٨٨-٤٩١).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/٥٧٧).

(٣) انظر: الرسالة للشافعي: ص (٥١) فقرة (١٧٣) وما بعدها.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١٦/٣٣٩).

رابعاً: ما ورد من ذكر استيقاظ الفطرة عند الشدائد، وظهور أثرها، وبروز مقتضاها على النفوس، من اللجوء بالدعاء إلى الله تعالى، والتوجه إليه دون غيره بالاستغاثة، فهي تُقبل عليه إقبال العارف بمن يملك نجاته، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨]

وما في معناها من الآيات^(١) التي تنبه إلى عودة الناس عند الشدائد إلى مقتضى الفطرة التي فطروا عليها، وهذا من أعظم الشواهد الحسية على وجود المعرفة الفطرية واستقرارها في النفس.

خامساً: استufeامات التقرير بالربوبية، نحو قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَنْ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠) ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَادًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا كُفَرْتُمْ ۚ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١) ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا نذَكَّرُونَ﴾ (٦٢) ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تُشْرِكُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَكْفُرُونَ﴾ (٦٤) ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل]

فهذه الآيات وما شابهها تتضمن تقريراً للناس بأمر تعرفه فطرهم، وهو ما غرسه الله فيها من معرفته^(٢).

سادساً: وقد دلت السنة النبوية على ما دل عليه القرآن، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من مولود إلا يولد على فطرة))

(١) انظر مثلاً: (الأنعام: ٤٠-٤١)، و(يونس: ١٢-٢٢)، و(الإسراء: ٦٧)، و(العنكبوت: ٦٥)، و(الروم: ٣٣)، و(فصلت: ٥١).

(٢) انظر: دلائل التوحيد للقاسمي: ص (٢٥-٢٦).

الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء)). ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية (١).
وروى مسلم بسنده عن عياض بن حمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - فيما يرويه عن ربه أنه قال: ((وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)) (٢).

المطلب الرابع: أسباب تغير الفطرة

الأصل في الإنسان هو التوحيد ومن أنكر وجحد الله تعالى فإنما أنكره لفساد فطرته بطارئ ما، حال بينها وبين مقتضاها، وقد جاء التصريح في القرآن بأن الكفار في قرارة أنفسهم يعرفون الحق، وإن لم يدعوا له، كما قال تعالى في شأن فرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال في أهل النار: ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يَخْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وقال عن كفار قريش: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنْ الظَّالِمِينَ بَيَّأَتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

بل إن نفس كلمة "كفر" مأخوذة من الستر والتغطية، وهذا أصل معناها في اللغة (٣)، وأطلقت على الكافر؛ لأنه يستر ويغطي مقتضيات فطرته بحُجُب الشبهات والشهوات، فإذا زالت هذه الحجب بالحجج والبيانات ظهرت مقتضيات الفطرة، كما حصل لسحرة فرعون، حيث قالوا: ﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ [طه: ٧٢]، فكان أسلوب القرآن في الاستدلال بالخلق على الخالق كثيراً ما يأتي في صورة التذكير، لا في صورة إنشاء معرفة جديدة لم تكن مغروزة في النفس، وهذا هو شأن المعارف الأولية.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز (١/ ٤٥٦) برقم (١٢٩٢). ومسلم، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة (٤/ ١٦٢٤) برقم (٢٦٥٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة ... ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار: (٤/ ١٧٤١) برقم (٢٨٦٥).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (٥/ ١٩١).

والفطرة على الحق لا يمكن تبديلها، ولكن يمكن تغييرها بأسباب تطرأ على الخلقة حتى تعوقها أو تمنعها من الإذعان لما تعرفه من الحق، وهي كثيرة أهمها ثلاثة أسباب:

١ - الغفلة والنسيان:

وقد دلت النصوص على أن الغفلة والنسيان من أهم ما يطرأ على الفطرة حتى يترك العبد مقتضى الميثاق الأول والآخر.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥]، وقال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة: ١٤]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩]، روى مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: (قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ .. الحديث، إلى قوله: فيلقى العبد، فيقول: أي فل، ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. قال: فيقول: أفظنت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني)^(١)، قال الترمذي: (ومعنى قوله: اليوم أنساك؛ يقول: اليوم أتركك في العذاب. هكذا فسروه)^(٢).

٢ - التربية على العقائد الباطلة وتقليد الأسلاف في الشرك والضلال.

وقد حكى الله عن المشركين أنهم يتبعون آثار آبائهم، وأنهم متمسكون بدينهم وعاداتهم بلا حجة ولا برهان.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ

(١) صحيح مسلم: كتاب الزهد، ح (٥٢٧٠).

(٢) جامع الترمذي: صفة القيامة، ح (٢٣٥٢).

ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءِثْرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ [الزخرف: ٢٣]: ﴿إِنَّهُمْ أَفْوَاءٌ ءَابَاءُهُمْ ضَالِّينَ ﴿١٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ ءِثْرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ [الصفات: ٦٩-٧٠]؛ أي يسارعون في تقليد آبائهم، واتباع آثارهم وضلالاتهم، والاستمساك بدينهم وعاداتهم بلا حجة من كتاب أو أئمة من علم إلا اتباع أعوائهم، وإلف باطلهم^(١).

٣- اجتيال الشياطين.

قال تعالى: ﴿يَبْنَىٰءَ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا إِنَّهُ يَبْرِنُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٣٨﴾ [البقرة: ١٦٨].

روى الإمام مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)^(٢). والاجتيال هو الذهاب بالشيء وسوقه وإزالته عن مكانه وتحويله عن قصده^(٣)، فالشيطان يجول بالعبد في مسالك الضلالة.

فاجتيال الشياطين وإضلالهم، والتربية على العقائد الباطلة، وتقليد الأسلاف في الشرك والضلال، والغفلة عن الحق ونسيانه كل ذلك وإن كان لا يبدل أثر الميثاق في الفطرة إلا أنه يغشاه ويغيره؛ لأن الأصل هو التوحيد وبقاء الفطرة على سلامتها^(٤).

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٥/٨٨)، تفسير ابن كثير (٤/١١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/٥٢٤)، النهاية لابن الأثير (١/٣١٧).

(٤) انظر: ميثاق الإيمان، د. عيسى السعدي، ص (٧٠-٧٢).

أما إنكار بعض المتكلمين والنظار، أو كثير منهم لدلالة الفطرة، فإن أول من عُرف به في الإسلام هم أهل الكلام، الذي اتفق السلف على ذمه وتضليل أهله، ومع ذلك فإن إنكارهم لها لا يعني أبداً انتفاءها لديهم؛ فإن الإنسان قد يقوم بنفسه من العلوم والإرادات وغيرها من الصفات ما لا يعلم أنه قائم بنفسه، وقيام الصفة بالنفس غير شعور صاحبها بأنها قامت به، كما أن وجود الشيء في الإنسان غير علم الإنسان به، ومثال ذلك: صفات بدنه؛ فإن منها ما لا يراه مطلقاً، ومنها ما لا يراه إلا إذا تعمد، ومنها ما لا يراه لمانع في بصره، فكذا صفات نفسه^(١).

ويذكر ابن تيمية أن مما يبين ذلك أن الأفعال الاختيارية لا تُتصور إلا بإرادة تقوم بالفاعل، ويمتنع أن يفعلها وهو غير ناوٍ لها مرید، كالصلاة والصيام والحج والوضوء، ومع ذلك نجد كثيراً من العلماء، فضلاً عن العامة، يستدعون النية بألفاظ يتكلفونها، ويشكون في وجودها مرة بعد مرة، حتى يخرجوا إلى ضرب من الوسوسة يشبه الجنون، وكذلك حب الله تعالى في قلب كل مؤمن، لا يندفع ذلك حتى يزول الإيمان بالكلية، ومع هذا فكثير من أهل الكلام أنكروا محبة الله، وقالوا: يمتنع أن يكون محباً، أو محبوباً، وجعلوا هذا من أصول الدين، فكذا أنكروها، وقالوا: لا تحصل إلا بالنظر، كما قالوا في المحبة، ثم قد يكون ذلك الإنكار سبباً لامتناع معرفة ذلك في نفوسهم؛ فإن الفطرة قد تفسد وتزول، كما أنها قد تكون موجودة ولا ترى^(٢).

وقد اعتذر بعض العلماء عن المتكلمين في موقفهم هذا من الفطرة؛ بأنهم إنما سلكوا طريق النظر مبالغة في تقرير الربوبية، وقطعاً لأطماع الملاحدة^(٣)، وظاهر أن هذا الاعتذار إنما هو في حق من أقر منهم بكفاية المعرفة الفطرية، أما من أنكروا كفايتها فلا يصلح الاعتذار عنه.

والتكلمون مع تعويلهم التام على النظر العقلي في إثبات الربوبية لم يستطيعوا تجاهل شهادة الفطرة بها كلية، فوجد في كلام بعض أئمتهم من الاعتراف بها وتقرير حجيتها ما يخالف موقفهم العام منها.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١٦ / ٣٤٠، ٣٤١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١٦ / ٣٤١-٣٤٤).

(٣) ذكر هذا القاسمي عن القزويني كما في دلائل التوحيد: ص (٢٥).

فهذا الراغب الأصفهاني يقول: « معرفة الله تعالى العامة -أي الإجمالية- مركوزة في النفس، وهي معرفة كل أحد أنه مفعول، وأن له فاعلاً فعله، ونقله من الأحوال المختلفة»^(١) وهذا الشهرستاني يصرح بشهادة الفطرة على وجود الله تعالى، ويفضل دلالتها على دلالة الحدوث والإمكان، فيقول:

« ما شهد به الحدوث، أو دلّ عليه الإمكان بعد تقديم المقدمات، دون ما شهدت به الفطرة الإنسانية من احتياج في ذاته إلى مدبر هو منتهى الحاجات، فيُربغ إليه ولا يرغب عنه، ويُفزع إليه في الشدايد والمهمات؛ فإن احتياج نفسه أوضح له من احتياج الممكن الخارج إلى الواجب، والحادث إلى المحدث»^(٢).

وهذا الفخر الرازي -أكثر المتكلمين إغراقاً في المعقولات- يذكر في تفسيره عند قوله تعالى: (**أَيُّ اللَّهِ شَكٌّ**) وجوه دلالة الفطرة على وجود الله تعالى، فيذكر لطمة الصبي، وما قال بعض العقلاء، من أنها تدلّ على وجود الصانع؛ لأن الصبي يصيح سائلاً عمّن ضربه، فدلّ على أنه مفطور على أن كل حادث لا بدّ له من محدث، فإذا شهدت الفطرة بهذا فشهادتها بافتقار جميع الحوادث إلى الفاعل أولى، ثم ذكر دلالة هذه اللطمة على التكليف ووجوب الجزاء ووجود الرسول.

وذكر ثانياً شهادة الفطرة باستحالة حدوث دار منقوشة متقنة البناء محكمة التركيب، إلا بوجود نقاش عالم، وبن حكيم، فمن باب أولى أن تشهد الفطرة بافتقار العالم إلى الفاعل المختار الحكيم، ثم ذكر ظهور مقتضى الفطرة عند الشدائد، وغير ذلك مما جعله وجوهاً لشهادة الفطرة بوجود الله تعالى^(٣).

بل وهذا الفيلسوف ابن رشد يقول بعد أن قرر دليلي الاختراع والعناية من القرآن على وجود الله تعالى: « فهذه الطريق هي الصراط المستقيم، التي دعا الله الناس منها إلى معرفة وجوده، ونبههم عليه بما جعل في فطرتهم من إدراك هذا المعنى، وإلى هذه الفطرة الأولى

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص (١٩٩).

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام: ص (١٢٥).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب: (٩١-٩٣).

المغروزة في طباع البشر الإشارة بقوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾^(١).

وقد نقل القاسمي عن القزويني أنه أقر بالمعرفة الفطرية، وأن أهل الكلام يعلمون أن شهادة الفطرة أقرب إلى الخلق، وأسرع تعقلاً من دلالة الإمكان والحدوث^(٢).

المطلب الخامس: فطرية التدين في الدراسات الحديثة

وتؤكد الدراسات الحديثة هذه المعرفة الفطرية، فقد توصل الباحثون الغربيون إلى وجود عقيدة الخالق العظيم عند سائر الأمم والشعوب في القديم والحديث، وأن وثنية تلك الأمم ما هي إلا أمر طارئ على تلك العقيدة.

فقد وجد هؤلاء الباحثون عقيدة الإقرار بخالق عظيم موجودة عند القبائل الهمجية في أستراليا وأفريقيا وأمريكا، ووجدوها عند الأجناس الآرية القديمة وعند الساميين قبل الإسلام، وعند قبائل البوشمان في جنوب أفريقيا، وعند الأقزام المنتشرين في أواسط أفريقيا الاستوائية وهم على درجة كبيرة من التخلف والهمجية ويعتقدون بوجود كائن أعلا يدعى "كانج" بمعنى السيد، ويسمى أيضًا "كوبه كاكنج تنج" بمعنى حامي الموجودات وهو عندهم يسكن السماء ولا يرى وقادر على كل شيء، وعند قبائل "الهوتنتوت" الإفريقية ويسمونه "أبا الآباء"، وعند قبائل البانتو والهنود الحمر في الشمال الغربي للمحيط الهادي وفي أمريكا الجنوبية، وقد توصل هؤلاء الباحثون إلى أن فكرة -الإله الأعظم- توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية^(٣).

ويقول ماكس مولر في كتابه "أصل الدين وارتقاؤه" من خلال « النصوص الدينية

(١) مناهج الأدلة: ص(٦٢).

(٢) انظر: دلائل التوحيد: ص(٢٤-٢٥).

(٣) انظر: الدين، لدراز: ص(١٠٧-١٠٨)، والفطرة ووظائفها، لفرج: ص(١٤٢-١٤٧).

السنسكربتية، وهي أبعد الديانات عهدًا وأقدمها تاريخًا بأن الإنسان أول ما عبّد عبد الخالق -جل وعلا- على صفته غير المحدودة، وأما هذه الأوثان والأصنام فليست إلا بنات الخيال استدعتها محبة الإنسان للمس كل ما يشعر به في نفسه»^(١).

لقد خلق الله النفس البشرية على مقتضى هذه الضرورة النفسية، بحيث لا يمكن أن تطمئن إلا بمعرفة الله ومحبهه والتقرب إليه، وهذا دليل من واقع النفس البشرية يمكن لكل إنسان أن يدركه، ولهذا كان الأصل في كل إنسان وفي كل مجتمع هو السعي في طلب الطمأنينة الدينية تحت أي ظرف وفي كل زمان ومكان.

وقد جاء في معجم لاروس للقرن العشرين: « إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هي إحدى النزعات العالمية الخالدة»^(٢).

وتطالعنا حديثاً بعض الأبحاث الطبية التجريبية على مخ الإنسان لتؤكد وجود مناطق في المخ هي بمثابة مراكز للإيمان، فقبل الثورة في مجال العلوم التجريبية وتوفر الأدوات اللازمة حديثاً لم يكن الإنسان على معرفة بألية الوظائف العقلية العليا التي تميز الإنسان وتحديد مواقعها بالمخ، وشيئاً فشيئاً اكتشفت المناطق المتعلقة بالحواس والكلام والحركة، وبدأت تتضح معالم المنظومة العاطفية ومنظومة الأنشطة اللاإرادية والأساس الكيميائي والكهربي للنشاط العصبي، وأصبح في الإمكان تسجيل كهربية المخ من الخارج لتمييز مختلف الأنشطة الذهنية والتصوير الإشعاعي لتراكيبه، وعرفت بعض الفوارق التشريحية والوظيفية مع الحيوان، وأمكن تصور آلية بعض الوظائف العليا كالتذكر والتعلم، واليوم ونحن في مستهل قرن جديد يبشر بغزو المجال الفكري واكتشاف إمكانات المخ في التوجيه الفطري تفاجئنا تلك الأبحاث العلمية باكتشاف يجعل الإيمان بالله تعالى وعبادته نزوعاً فطرياً وملكاً مغروسة بالمخ لها آلياتها ومراكزها، وإذا لم يحسن الإنسان توظيفها فقد أهم ما يميزه عن الحيوان وتعرض لفقدان التوازن النفسي والبدني.

(١) مجلة الأزهر، الجزء (٧)، المجلد (٩)، موضوع: العالم كله يتلمس دين الفطرة، لمحمد وجدي: ص (٤٣٤).

(٢) الدين: لدراز: ص (٨٣).

وخلاصة الأبحاث التي أجريت على المخّ بتقنية جديدة لأشعة إكس ونشرت عام ٢٠٠١م، وقام بها فريق علمي على رأس البروفيسور أندرو نيوبيرج^(١) أستاذ علم الأشعة Radiology بكلية الطب بجامعة بنسلفانيا في فلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية هي أن "الإيمان بالله مقصد مصمم داخلياً Built-in Design في المخ"، وبهذا لا يمكن لأحد التخلص منه إلا تعامياً عن الفطرة السوية التي جعلت الإنسان ينزع للتدين على طول التاريخ وتعطيلاً لقدرات هائلة وإمكانات بالغة التعقيد والتطور تمكنه من العلم بالله بالاستقراء والتفكير والتحليل والاستنتاج.

وكما أعلن البروفيسور نيوبيرج بأنه يمكن وصف الإنسان بأنه "محبول على التدين -Hard wired for religion" وأن "التجربة العملية لا يمكنها أن تجربنا بطريقة مباشرة عن ذات الله ولكنها تجربنا كيف أعد الله الإنسان لكي يعرفه"، وهي تجربنا أن "عبادة الله ووظيفة الإيمان به مطلب طبيعي يماثل الطعام والشراب"، و"المخ البشري ليس معداً تشریحياً ووظيفياً فحسب للإيمان بالله وعبادته وإنما هو أيضاً مهياً عند قيامه بوظيفة العبادة لحفظ سلامة النفس والبدن بتوجيه العمليات الحيوية خلال منظومة عصبية وهورمونية متشابكة".

يقول البروفيسور بليتريني من جامعة بيزا في إيطاليا: « إن كل شيء نفعله أو نستشعره من نشاط بسيط كحركة إصبع إلى أعمق الانفعالات العاطفية الخبيئة بالنفس أو البادية مثل الغضب والحب يرسم خريطة مميزة المعالم للمراكز المتأثرة بالمخ ويصاحب كل شعور نموذج محدد يمكن تسجيله وتحليله كالتحاليل الطبية العضوية تماماً»، وهذا المجال الجديد لاستطلاع دخيلة الإنسان من عواطف ومشاعر وأفكار ومدى تأثره بالاعتقاد الديني يدخل فيه الباحثون اليوم بحذر حريصين على المنهج العلمي في البحث والتحليل كبقية مجالات العلوم التجريبية.

(١) انظر موقعه على الانترنت: <http://www.andrewnewberg.com/default.asp>

ولمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع الذي كُتبت عنه مئات الصفحات على الإنترنت انظر مثلاً:

http://www.thenarrow.org/archives/report_children.html/٠١/٢٠٠٥

http://dir.salon.com/books/feature_god_part/index.html/٠١/٠٢/٢٠٠١

ويقول البروفيسور "مايكل ماكلوف" من جامعة دالاس بالولايات المتحدة الأمريكية: « يتأثر الوجدان النفسي الروحي بالعالم الخارجي ويؤثر في الجسد العضوي ويمثل الإيمان والعبادات صمام أمان لتلك التأثيرات الطبيعية »، وقد أفضت دراسته إلى أن الطبيعة البشرية مصممة بحيث تحفظها العبادات في توازن تام وتقيها الاضطراب، وفي تحليل شمل ٤٢ دراسة ميدانية واسعة وجد بروفيسور ماكلوف أن « معدل الوفيات يقل بالاستغراق في الصلاة وبقية العبادات، وهذا التأثير مستقل عن عوامل أخرى مضرّة بالصحة كتناول الخمر والتدخين »، ولم يفت البروفيسور نيوبيرج أن يعلق على تلك النتيجة بقوله: « نحن لا ندري حتى الآن على وجه اليقين كيف يؤدي الإيمان العميق والاستغراق في العبادة إلى الحفاظ على سلامة النفس والبدن ومكافحة المرض وتأخير الموت، ولكن معرفتنا لآليات عمل الجسم وخاصة المخ تؤهلنا لتلمس آفاق جديدة من البحث لنثبت بحياد يوماً ما وجود تأثيرات عضوية للإيمان والعبادة، وندرك منها اليوم الحفاظ على معدل طبيعي لضربات القلب وضغط الدم وتغير الهورمونات كمّاً ونوعاً والميل العصبي لتحقيق حالة من الهدوء نتيجة الخشوع.

وإذا كان البروفيسور نيوبيرج يقرر بأنه لا يدري كيف يؤدي الإيمان العميق إلى الحفاظ على سلامة النفس والبدن، فإننا نحن أهل الإسلام ندرك إدراكاً يقينياً السبيل إلى الطمأنينة والاستقرار النفسي والبدني، إذا لم تتبدل فطرتنا وسرنا وفق ما أمرنا به خالقنا وفاطرنا ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾

وفي الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((يا بلال أرحنا بالصلاة)) .

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أبين وجه الإعجاز وأهم ما توصلت إليه من نتائج سائلًا الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا صوابًا، فأقول مستعينًا بالله:

لقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة التي أجريت على فئات مختلفة من الناس في مناطق متعددة وبواسطة علماء من جامعات أكاديمية مشهورة: (أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هي إحدى النزعات العالمية الخالدة).

وتلك النتائج العلمية الباهرة تتوافق مع ما جاء به الإسلام، وقرره علماء الإسلام قبل ألف وأربعمائة سنة!! وفي ذلك دليل قاطع على صدق القرآن ومبلغه الذي هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، كما أنه دليل صريح على صحة عقيدة الإسلام، وانسجام ذلك مع طبيعة الإنسان وتكوينه الفطري.

وأنه حينما ينسجم عقديًا مع تلك الفطرة المركوزة فإن آثار ذلك لا ينعكس على مستقبله الأخرى فحسب، بل إن ذلك ينفعه في دنياه من الناحية النفسية والصحية.

وصدق الله القائل: **(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)** والقائل: **(أَفَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)**، والقائل: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

والآن أجمل في هذه الخاتمة أهم ما توصلت إليه من نتائج:

١. أن الفطرة في اللغة لها معانٍ عديدة، كالشق والخلقة والابتداء والاختراع وغيرها.
٢. أن العلماء اختلفوا في بيان معنى الفطرة إلى عدة أقوال، بيد أن الذي عليه أكثر السلف وجماهير العلماء هو تفسيرها بالإسلام.
٣. أنه ليس المراد بالقول أن المولود يولد على فطرة الإسلام: أنه يولد وهو يعلم هذا الدين ويريده، ولكن المراد أن فطرة المولود تستلزم الإقرار بالخالق ومحبه،

- وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض.
٤. أن في نصوص الكتاب والسنة غنية بالأدلة العقلية اليقينية على أصول الاعتقاد، خلافاً لمن زعم أنها مجرد أدلة سمعية تحتاج إلى براهين خارجية.
٥. أن معرفة الله تعالى فطرية خلافاً للمتكلمين الذين يقررون بأنها نظرية.
٦. أن الأدلة القرآنية قد جلت المراد بحقيقة الفطرة موضحة لمعناها وجاءت السنة النبوية مكملة لهذا المعنى مؤكدة عليه.
٧. إثبات الفطرة وتأصيلها فيه رد على العلمانيين الذين يريدون فصل الدين عن شتى مجالات الحياة، ذلك أن هذه الفطرة السليمة تجمع بين الأخذ بأسباب الحضارة دون إخلال بالقيم والمقاصد النبيلة.
٨. توجد أبحاث تجريبية يجريها علماء الغرب على المخ البشري تقرر أن الإيمان له مواضعه في المخ، وهذه الدراسات لا تزال نظريات ولعله يظهر لنا بعض ما كنا نجهله عن "المخ البشري" (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً). والدلائل النقلية والعقلية والحسية تؤكد لنا فطرية المعرفة من قبل هذه الدراسات التجريبية الطبية.

وأوصي في ختام البحث:

٩. الاعتماد على المنهج القرآني في ترسيخ الإيمان واليقين.
١٠. إبراز الأدلة القرآنية في مخاطبة العقول، فإنه ما من أصل من أصول الاعتقاد يمكن الاستدلال عليه عقلاً، إلا وفي النقل التنبيه على ذلك، علمه من علمه وجهله من جهله.
١١. تنقية المناهج الدراسية مما علق بها من مسائل ودلائل المتكلمين والفلاسفة التي عطلت الفكر الإسلامي وأخرت المسلمين وأشغلتهم بالمسائل التي لا ينبغي عليها علم نافع وعمل صالح.

١٢ . المزيد من الدراسات المؤصلة التي تبرز عظمة وإعجاز القرآن التشريعي في مختلف المجالات، والملاحظ هو انشغال كثير من الباحثين بالإعجاز العلمي، وعدم إعطاء هذا المجال حقه الكافي من الدراسات.

١٣ . دراسة "آية الميثاق" دراسة موضوعية مفصلة تجمع أقوال المفسرين فيها، والروايات الحديثية وتمييز صحيحها من ضعيفها.

والله تعالى أعلم وأحكم والهادي إلى سواء السبيل
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المراجع

- أخذ الميثاق في قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم): لعبدالعزیز بن عبدالرحمن العثیم، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٤م.
- تفسير الطبري المسمى "جامع البيان في تأويل القرآن": لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرين، دار الشعب، القاهرة، نسخة دار ابن حزم، تحقيق محمد البنا، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- التفسير الكبير: لفخر الدين أبي بكر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.
- تفسير النسفي المسمى "مدارك التنزيل وحقائق التأويل": للإمام أبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي.
- حاشية الشهاب المساة "عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي"، دار صادر، بيروت.
- درء تعارض العقل والنقل: لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- دلائل التوحيد: للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- الدين: بحوث مهمة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبدالله دراز، دار القلم، الكويت، ١٤١٠هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، طبعة منقحة، ١٤١٥هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: خالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها: لأحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- كل مولود يولد على الفطرة: لتقي الدين أبي الحسن السبكي، تحقيق: محمد السيد أبو عمه، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- المعرفة في الإسلام مصادرهما ومجالاتها: عبدالله محمد القرني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

البحث في العلوم الإنسانية
شهادة الأناجيل بصدق الرسول محمد
صلى الله عليه وسلم

المقدم من الباحثة
أسماء عبد المجيد الزنداني



ملخص البحث

هذا البحث يثبت ما أخبر به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عن حقيقة المسيح عليه السلام ، من أن الله أرسل معه الإنجيل وأنه رسول خاص ببني إسرائيل ، وأنه ليس الإله كما يزعم النصارى بل إنه عبد الله ورسوله ، فقد جاء في الأناجيل ما يثبت صدق ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم ويكذب ما تدعيه الكنيسة . ولأنه في السنوات الأخيرة زادت الدعوة إلى الحوار الإسلامي المسيحي ؛ لكن المسلمين لا يعرفون إلا الشيء القليل عن الدين النصراني ، بينما النصارى يدرّسون أبناءهم الإسلام في مدارسهم منذ الصغر ؛ ولكن بطريقة تشويه الإسلام ، مما جعل هذه الثقافة تنعكس على الرأي العام الغربي ؛ فترى المقالات والرسوم المهينة لديننا الإسلامي ، ولبنينا محمد صلى الله عليه وسلم قد انتشرت بينهم ، استخدموا فيها أبشع العبارات ، وأقبح الصور، ثم ألصقوها بأعظم دين، وأفضل بشر، قد شهد له بالعظمة المنصفون من الغرب غير المسلمين .

باختصار هذا هو الوضع الشائع ؛ لذا شاركت بهذا الكتيب المدعم بالأدلة من الأناجيل التي تشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم ، مساهمة من المعهد في تقديم خدمة متواضعة لمن يراد أن يجاور، أو حتيلمن يريد أن يفهم شيئاً عن الحقيقة .

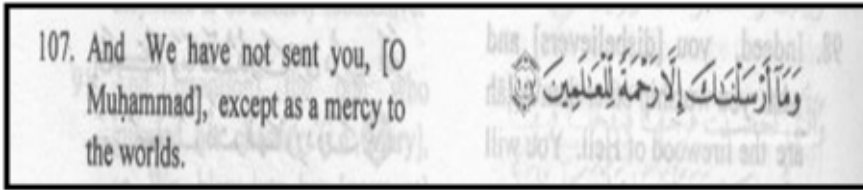
كتب الأنبياء ومعجزاتهم

نجد أن كثيراً من كتب الأنبياء السابقين قد ضاعت واندرست ، فلم يبق لها أثر ، فمثلاً: كتاب النبي نوح ، وإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب عليهم السلام..... الخ.

ضاعت ، ولا وجود لها ، أما بعض كتب الأنبياء المنزلة من عند الله والتي بقيت ، فقد حدث لها تغيير متعمد في محتواها ، فلم تعد كما أنزلت ، وهذه الكتب هي : [التوراة والإنجيل] وهذا ليس ادعاء مني ، بل بشهادة علماء النصارى أنفسهم .

هذا بالنسبة للكتب السماوية السابقة ، أما بالنسبة لمعجزات الأنبياء السابقين ، فلا يستطيع أحد من الناس بعد ممات الأنبياء أن يرى معجزاتهم. فلو سألت يهودياً مثلاً أن يريك تحوّل عصا موسى عليه السلام إلى حية ، أو يريك البحر الذي شقه الله لموسى عليه السلام طريقاً له ولقومه ، لأجابك اليهودي لا وجود لها. ولو سألت نصرانياً بأنك تريد أن ترى معجزات المسيح عليه السلام التي قام بها من شفائه للمرضى ، وإحيائه للموتى ، لما استطاع أن يريك إياها أيضاً ، ولكن الله عز وجل جعل معجزات آخر أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم قابلة بأن يشاهدها جميع الناس ، ليصلهم الدليل ، والبرهان وتقوم عليهم الحجة .

وكما حفظ الله معجزات آخر أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم ، حفظ الله كتابه المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك لأن الله ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم الرسالات والكتب جميعاً ، وأرسله إلى جميع البشر ، قال تعالى :



(الأنبياء/ ١٠٧)

لذا حفظ الله كتاب ومعجزات آخر نبي أرسله لتشهدها الأجيال المتعاقبة بعده ، وإلى يوم القيامة. فمثلاً نحن الذين نعيش في هذا العصر ، نستطيع أن نشاهد كثيراً من معجزات محمد صلى الله عليه وسلم التي أيده الله بها ، والتي يستطيع مشاهدتها أهل هذا العصر ،

والأجيال القادمة إلى يوم القيامة ، فالسماء تشهد، والأرض تشهد، والبحار، والشمس ، والقمر، والنجوم ، وأعضاء الإنسان، والحيوان، والنبات ، بل إن الذرة والمجرة وما بينهما تشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو أنصف العلماء لكانت مراكز البحث العلمي في العالم تشهد بصدقه صلى الله عليه وسلم . ونحن في هذا الكتاب نقدم نوعاً جديداً من معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ، ألا وهي :

شهادة الأنجيل بصدق محمد صلى الله عليه وسلم

وإن كنا نعتقد بأن الأنجيل اليوم ليست هي الإنجيل الصحيح الذي كان مع المسيح عليه السلام ، بل وليست حتى الأنجيل التي كانت موجودة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا بشهادة علماء النصارى أنفسهم، فضلاً عن وجود ما فيها من التناقضات مما ينفي أن ما فيها لا يزال كله من كلام الله ، وإنك تجد بعض الأنجيل الموجودة اليوم بها تعليقات في الهامش على بعض النصوص ، تقول :هذا النص لم يكن موجوداً في النسخ القديمة ، أو تقول : هذا النص لا يوجد في نسخته كذا وكذا . ومع ذلك التغيير فإن الله عز وجل أبقى فيها بعض النصوص ذات المعاني الصحيحة ، والتي منها هذه النصوص التي تشهد بصدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

فعندما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالم جاء واليهود يقولون عن عيسى عليه السلام : بأنه ابن زنى ، حيث كانت أمه متزوجة برجل طاعن في السن اسمه يوسف النجار، فخانتته واضطجعت مع جندي روماني حملت منه بعيسى ، ثم بعد الولادة ذهبت به إلى مصر ، وعلمته فنون السحر ، فرجع إلى أورشليم مدّعياً أنه المسيح عليه السلام يخذع الناس بسحره ، فقتله اليهود وتخلصوا منه ، وما زال هذا معتقد اليهود في عيسى عليه السلام وأمه إلى يومنا هذا . ويقولون بأن المسيح عليه السلام المذكور في التوراة لم يأت بعد .

أما النصارى فجاء محمد صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: بأن المسيح عليه السلام هو الله، وما زال هذا هو معتقد النصارى إلى يومنا هذا. فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم ليس رسولاً من عند الله لأقرّ اليهود على ما يقولونه ؛ لكي يقبلوه ، ولأقرّ النصارى على

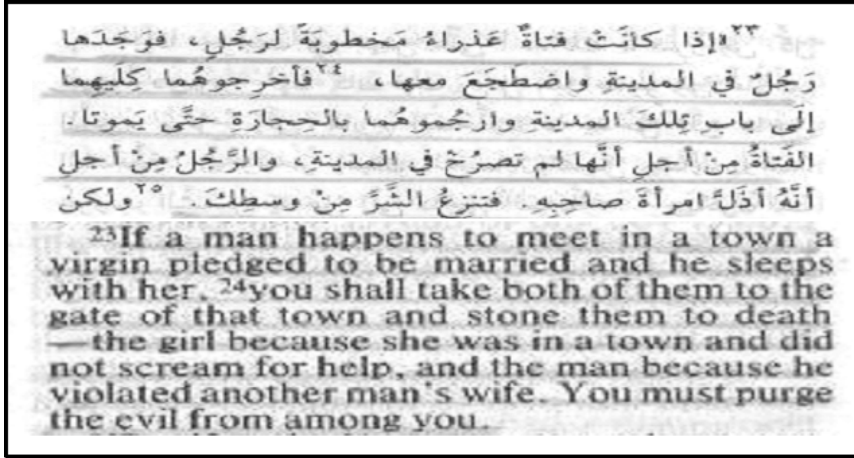
ما يعتقدونه ؛ لكي يتبعوه ، لكنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى بل هو وحى يوحى إليه من الله ، لذا رفض قذف اليهود لمريم عليها السلام ، ورفض القبول بما يدعيه النصارى ، وقال القول الفصل والحق في مريم وعيسى عليهما السلام ، فأخبر محمد صلى الله عليه وسلم اليهود بأن مريم بريئة مما اتهموها به ، وأخبر بأن الله قد أقام دليل براءتها في حينه ؛ وذلك بأن جعل وليدها ينطق ببراءة أمه وهو مازال في مهده . وأكد محمد صلى الله عليه وسلم لليهود بأن عيسى عليه السلام هو المسيح عليه السلام نبي الله . قال تعالى :

27. Then she brought him to her people, carrying him. They said, "O -Mary, you have certainly done a thing unprecedented.	قَالَتْ يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُبْتَلَيْنِ فَوَقَّعْتُهَا فِي السَّنَةِ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَنبَأَتْنَا بِهَا الْبُرْجَانَ فَأَنبَأَتْنَا بِهَا الْبُرْجَانَ فَأَنبَأَتْنَا بِهَا الْبُرْجَانَ
28. O sister of Aaron, your father was not a man of evil, nor was your mother unchaste."	يَا أُخْتُ آدَمَ بْنَ سُلَيْمَانَ إِنَّكَ أُمَّةٌ بَرِيَّةٌ فَأَنبَأَتْنَا بِهَا الْبُرْجَانَ فَأَنبَأَتْنَا بِهَا الْبُرْجَانَ فَأَنبَأَتْنَا بِهَا الْبُرْجَانَ
29. So she pointed to him. They said, "How can we speak to one who is in the cradle a child?"	فَأَنبَأَتْنَا بِهَا الْبُرْجَانَ فَأَنبَأَتْنَا بِهَا الْبُرْجَانَ فَأَنبَأَتْنَا بِهَا الْبُرْجَانَ فَأَنبَأَتْنَا بِهَا الْبُرْجَانَ فَأَنبَأَتْنَا بِهَا الْبُرْجَانَ
30. [Jesus] said, "Indeed, I am the servant of Allah. He has given me the Scripture and made me a prophet.	قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا
31. And He has made me blessed wherever I am and has enjoined upon me prayer and zakāh as long as I remain alive	

(سورة مريم ٢٧-٣١)

فترك بنو إسرائيل مريم ولم يستطيعوا إقامة حد الزنا عليها ، لأن الله قد أثبت براءتها بمعجزة نطق وليدها عيسى عليه السلام ، ولو لم تثبت براءة مريم بهذه المعجزة لأقام قومها عليها الحد وهو القتل ، لأن حد الزنا عند اليهود هو القتل ، وهذا منصوص عليه في توراتهم ، ومازال هذا النص باقياً إلى يومنا هذا ، جاء في سفر التثنية من توراة موسى عليه السلام :

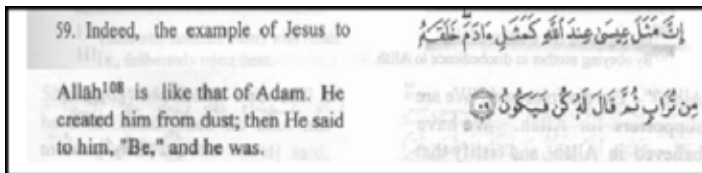
سفر التثنية (٢٢/٢٣-٢٤)



أما إن كانت ابنة كاهن (عالم) مثل مريم عليها السلام فإن الحكم في التوراة هي أن تحرق، لأنها جلبت العار لأبيها، جاء في سفر اللاويين من توراة موسى عليه السلام:



وهكذا برأ القرآن مريم وعيسى عليهما السلام بمعجزة يتلوها المسلمون ليلاً ونهاراً، بينما النصراني لا يملكون مثل هذا الدليل المعجز، فهذا ما رده صلى الله عليه وسلم على اليهود. أما ما قاله للنصارى: فهو أن المسيح عليه السلام ليس إلا إنساناً ولد بمعجزة من الله، مثله في ذلك مثل آدم عليه السلام، فإن كان المسيح عليه السلام ولد من أم بلا أب، فأدم أوجده الله من دون أم ولا أب. قال تعالى في سورة (آل عمران / ٥٩)

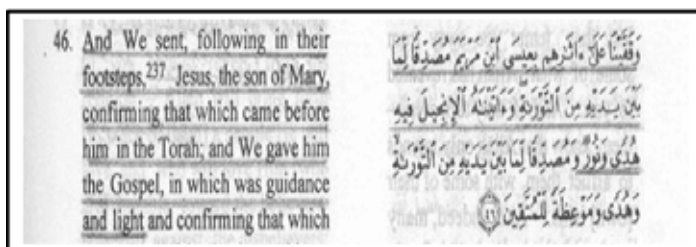


وفي الصفحات الآتية نقرأ شهادة الأنجيل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم.

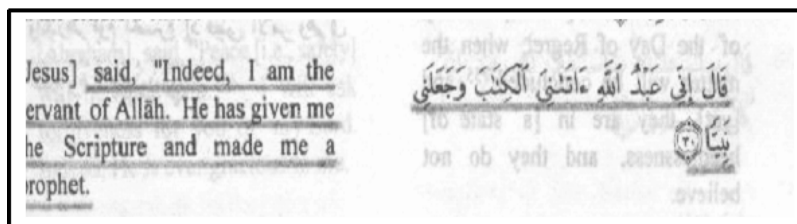
الأنجيل تشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم

أولاً: يخبر محمد صلى الله عليه وسلم بوجود إنجيل كان مع المسيح عليه السلام

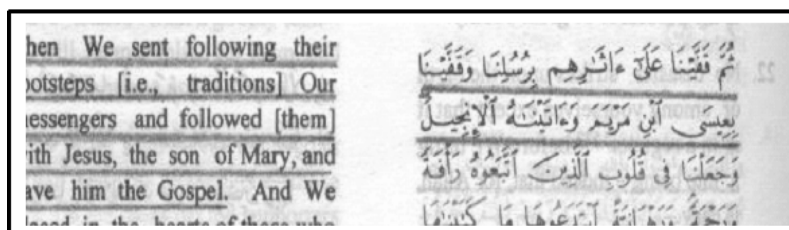
قال تعالى في سورة (المائدة/ ٤٦)



وقال سبحانه في سورة (مريم/ ٣٠)



وقال سبحانه في سورة (الحديد/ ٢٧)



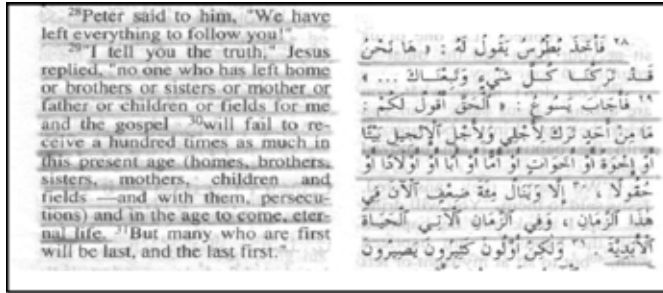
والكنيسة تنكر ذلك وتقول بأن الأنجيل وجدت بعد رفع المسيح عليه السلام بسنوات عدة، والأنجيل تشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم

* إن المسيح عليه السلام حين بعثه الله نبيا ورسولا إلى بني إسرائيل ، استهل دعوته لهم ، بطلب التوبة إلى الله ، والإيمان بالإنجيل الذي أنزله الله إليه .

انظر إنجيل مرقس (١ / ١٤)

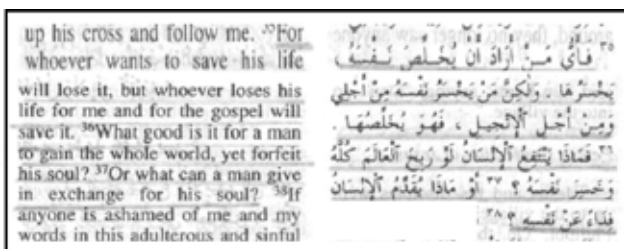


* في النص التالي يسأل بطرس رئيس الحواريين المسيح عليه السلام عما ينتظرهم من أجر ، فقد تركوا بيوتهم ، وحقولهم ، وأهلهم ؛ لأجل عيسى عليه السلام ، ولأجل الإنجيل الذي كان مع المسيح عليه السلام انظر إنجيل مرقس (١٠ / ٢٨-٣١)



* وفي النص التالي أيضاً يؤكد فيه المسيح عليه السلام بأن الخلاص الحقيقي للنفس هو الإيمان بالمسيح عليه السلام ، وبإنجيله ، ولكن النصارى لا يؤمنون بإنجيل المسيح عليه السلام ، لذا فإن خلاصهم غير محقق ، أما المسلمون فيؤمنون بالمسيح عليه السلام ، وبإنجيله .

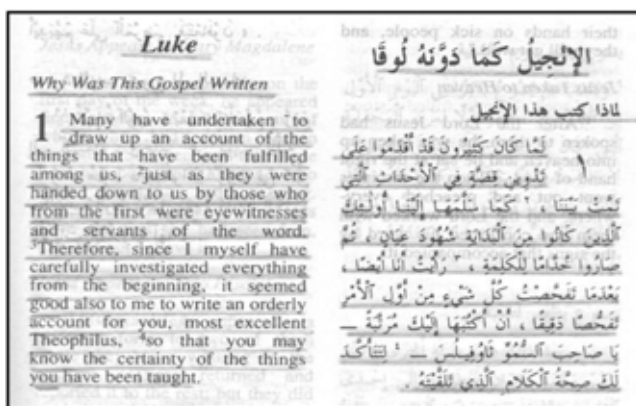
انظر إنجيل مرقس أيضاً (٨ / ٣٥)



* في النص الأتي لوقا يعترف بأن إنجيله ليس كلام الله الذي أوحاه الله إليه كما يعتقد النصرارى ، بل يقول هو سيرة المسيح عليه السلام.

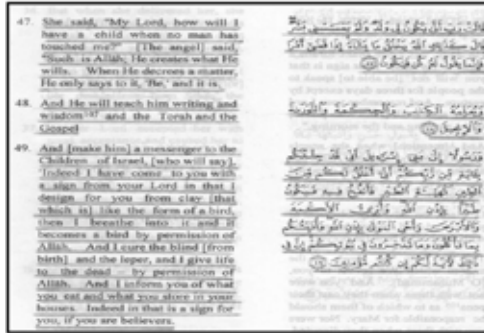
فحين رأى لوقا أن كثيراً من الناس يكتبون سيرة المسيح عليه السلام، قرر هو أيضاً أن يؤلف كتابا في سيرة المسيح عليه السلام، ليرسلها إلى صديقه المبجل ثاوفيلس ، ليعرف ثاوفيلس من هو المسيح عليه السلام. ولأن لوقا لم ير المسيح عليه السلام في حياته ، فقد تحرى كتابة الأحداث من الذين شاهدوا المسيح عليه السلام، وآمنوا به، وبإنجيله ، وكانوا خادمين لكلام الله .

(انظر لوقا (١/١-٤))

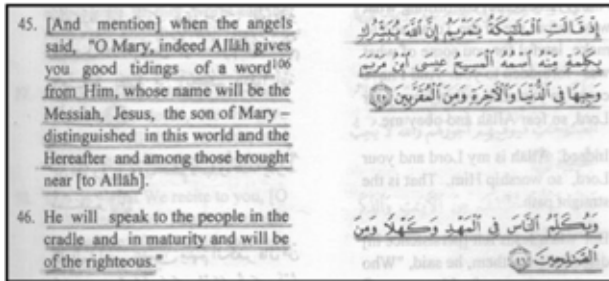


ثانياً : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرنا بأن المسيح عليه السلام رسول إلى بني إسرائيل فقط

قال تعالى في سورة (آل عمران/ ٤٧-٤٩)



و قال تعالى في سورة (آل عمران/ ٤٥-٤٦)



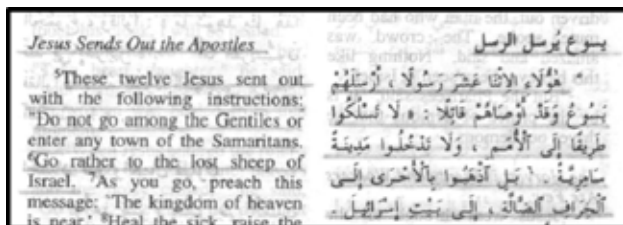
والكنيسة تقول بأن المسيح جاء إلى العلم، ولكن الأناجيل الموجودة الآن تشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم

يقول عيسى في إنجيل متى (٢٤/١٥)

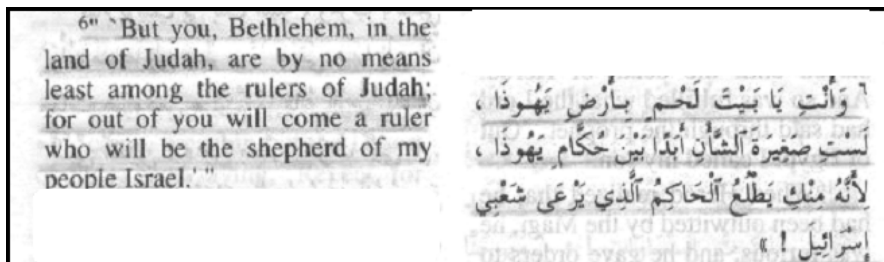


فهو يؤكد بأنه رسول خاص ببني إسرائيل.

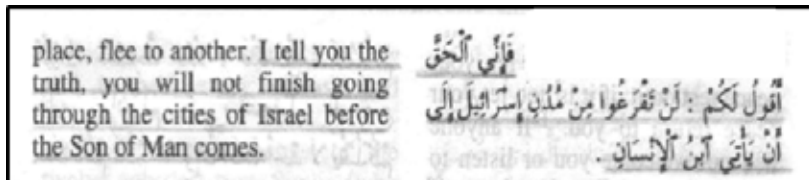
* والمسيح عليه السلام يوصي حواربيه (تلاميذه) في النص التالي بعدم الذهاب إلى المدن غير الإسرائيلية ، فقط إلى بيت إسرائيل .
أنظر متى (١٠ / ٥-٦)



* ذكر تحقق نبوءة العهد القديم ، بأن المسيح عليه السلام سيولد في بيت لحم ، ويحكم على بني إسرائيل فقط .
جاء في (متى ٢ / ٦)



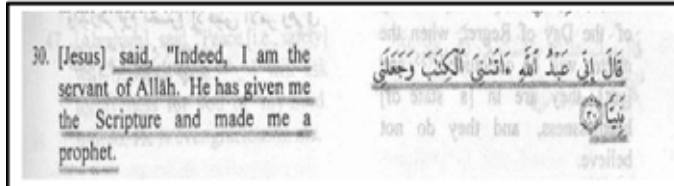
* يخبر المسيح عليه السلام في النص التالي بأنه سيعود مرة ثانية ، والنصارى لم ينتهوا من تبليغ رسالة المسيح عليه السلام الخاصة في مدن بني إسرائيل .
جاء في إنجيل متى (١٠ / ٢٣)



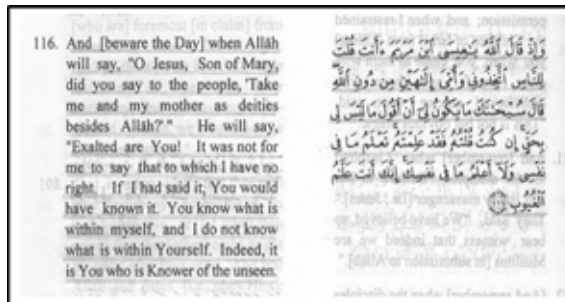
فرسالة عيسى فقط لبني إسرائيل حتى يعود المسيح عليه السلام .

ثالثاً: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر بأن المسيح عليه السلام لم يدع الألوهية أبداً

قال تعالى في سورة (مريم / ٣٠)



وقال سبحانه وتعالى في سورة (المائدة ١١٦)



والكنيسة تعلم وتكرس الإدعاء بأن المسيح هو الله ولكن الأناجيل تشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم

١- يخبر المسيح عليه السلام أن أعظم وصية جاء بها إلى بني إسرائيل هي التي جاء بها موسى عليه السلام، وهي أن الله واحد وليس آخر سواه. مرقس (٢٩/١٢)

<p>The Greatest Commandment</p> <p>²⁸One of the teachers of the law came and heard them debating. Noticing that Jesus had given them a good answer, he asked him, "Of all the commandments, which is the most important?"</p> <p>²⁹"The most important one," answered Jesus, "is this: 'Hear, O Israel, the Lord our God, the Lord is one. ³⁰Love the Lord your God with all your heart and with all your soul and with all your mind and with all your strength.' ³¹The second is this: 'Love your</p>	<p>الوصية العظمى</p> <p>^{٢٨} وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ كَانَ قَدْ سَمِعَهُمْ يَتَحَادَثُونَ ، وَرَأَى أَنَّهُ أَحْسَنَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ ، فَسَأَلَهُ : « أ أَيُّهُ وَصِيَّةٌ هِيَ أَوْلَى الرِّصَالِ كُلِّهَا جَمِيعًا ؟ » ^{٢٩} فَأَجَابَهُ يَسُوعُ : « أ أَوْلَى الرِّصَالِ كُلِّهَا جَمِيعًا هِيَ : اسْمَعِ يَا إِسْرَائِيلَ ، الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ . ^{٣٠} فَأَحِبِّ الرَّبَّ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ وَبِكُلِّ قُوَّتِكَ وَبِكُلِّ هُدْيِهِ هِيَ الرِّصِيَّةُ الْأَوْلَى . ^{٣١} وَهَذَا ثَانِيَةٌ</p>
--	--

٢- يؤكد عيسى عليه السلام لبني إسرائيل بأن التعاليم التي يأمرهم بها ليست من عنده، بل من عند الله الذي أرسله ، ويقدم الدليل على صدق كلامه . يوحنا (١٦/٧-١٧)

<p>learning without having studied?"</p> <p>¹⁶Jesus answered, "My teaching is not my own. It comes from him who sent me." ¹⁷If anyone chooses to do God's will, he will find out whether my teaching comes from</p> <p>God or whether I speak on my own. ¹⁸He who speaks on his own does so to gain honor for himself, but he who works for the honor of the one who sent him is a man of truth; there is nothing false about</p>	<p>هَذَا الْكُتْبِ وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ ؟ » ^{١٦} فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ : « لَيْسَ تَعْلِيمِي مِنْ عِنْدِي ، بَلْ مِنْ عِنْدِ الَّذِي أُرْسَلَنِي . ^{١٧} وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ مَشِيئَةَ اللَّهِ يَتَرَفَّقُ مَا إِذَا كَانَ تَعْلِيمِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، أَوْ أَنِّي أَتَكَلَّمُ مِنْ عِنْدِي . ^{١٨} مَنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ عِنْدِهِ يَطْلُبُ الْمَجْدَ لِنَفْسِهِ ، أَمَّا الَّذِي يَطْلُبُ الْمَجْدَ لِمَنْ أُرْسَلَهُ فَهُوَ صَادِقٌ لَا يُنَمُّ بِهِ . ^{١٩} أَمَا أَهْطَأْكُمْ يَسُوعَى</p>
--	--

٣- المسيح عليه السلام يعمل ما يرضي الله، وليس هو الله. يقول عيسى عليه السلام في إنجيل يوحنا: يوحنا (٢٩/٨)

<p>²⁹The one who sent me is with me; he has not left me alone, for I always do what pleases him."</p>	<p>^{٢٩} الَّذِي أُرْسَلَنِي هُوَ مَعِي ، وَلَمْ يَتْرُكْنِي وَحْدِي ، لِأَنِّي دَائِمًا أَفْعَلُ مَا يَرْضِيهِ .</p>
--	---

انظر إنجيل مرقس (١٠/٢٨-٣١)

<p>²⁸Peter said to him, "We have left everything to follow you!"</p> <p>²⁹"I tell you the truth," Jesus replied, "no one who has left home or brothers or sisters or mother or father or children or fields for me and the gospel ³⁰will fail to receive a hundred times as much in this present age (homes, brothers, sisters, mothers, children and fields—and with them, persecutions) and in the age to come, eternal life. ³¹But many who are first will be last, and the last first."</p>	<p>٢٨ فَأَخَذَ پطرسُ يَقُولُ لَهُ : « مَا بَدَعْنَا قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ ... » ٢٩ فَأَجَابَ يَسُوعُ : « الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : مَا مِنْ أَحَدٍ تَرَكَ لِأَخِيهِ وَلَا لِأَخِيهِ الْإِنجِيلَ يَتَّقَا أَوْ لِأَخِيهِ أَوْ لِأَخِيهِ أَوْ لِأَخِيهِ أَوْ لِأَخِيهِ أَوْ لِأَخِيهِ أَوْ لِأَخِيهِ لِحَقْلٍ ، إِلَّا وَيَتَّالِ بِفِعْلِ عَشْرِينَ أَلْفًا فِي هَذَا الزَّمَانِ ، وَفِي الزَّمَانِ الْآخِرِ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ . وَلَكِنْ أُولُو كَثِيرٍ يَصِيرُونَ</p>
---	--

٤- المسيح عليه السلام يعلم الناس طريق الله ، وهذا يعني بوضوح أنه ليس الله.

متى (١٦/٢٢)

<p>"Teacher," they said, "we know you are a man of integrity and that you teach the way of God in accordance with the truth. You aren't swayed by men, because you pay no attention to who they are."</p>	<p>« يَا مُعَلِّمُ ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتُعَلِّمُ النَّاسَ طَرِيقَ اللَّهِ فِي الْحَقِّ ، وَلَا تُتَابِعِي بِأَخِي لَأَنَّكَ لَا تُرَاجِعِي مَقَامَاتِ النَّاسِ ، ^{١٧} فَقُلْنَا لَنَا إِذْنٌ مَا رَأَيْكَ ؟</p>
---	---

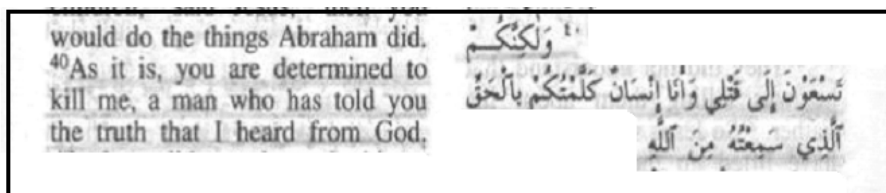
٥- المسيح عليه السلام يقول بأن الصلاح الكامل لله وحده ، وليس له (أي

المسيح) فالمسيح عليه السلام غير الله. جاء: في لوقا: لوقا (١٨/١٨)

<p><i>Inheriting Eternal Life</i> <small>which all the also prayed</small></p> <p>¹⁸A certain ruler asked him, "Good teacher, what must I do to inherit eternal life?"</p> <p>¹⁹"Why do you call me good?" Jesus answered. "No one is good—except God alone. ²⁰</p>	<p>ماذا تعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ ١٨ وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ قَائِلًا : « أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ ، مَاذَا أَعْمَلُ لِأُرِثَ الْحَيَاةَ الْآبَدِيَّةَ ؟ » لَهُ : « لِمَاذَا تَدْعُونِي الصَّالِحَ ؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ ، وَهُوَ اللَّهُ . »</p>
--	---

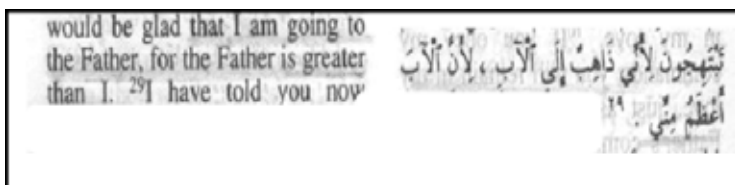
٦- المسيح عليه السلام إنسان يتلقى الوحي من الله ، يقول المسيح عليه السلام مؤنباً بني

إسرائيل لإرادتهم قتله : يوحنا (٨/٤٠)



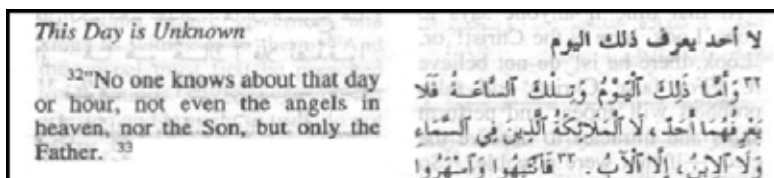
فأخبر المسيح عليه السلام بني إسرائيل بأنه إنسان يتلقى ما يقوله لهم بوحى من الله ،
فليماذا يريدون قتله؟!

٧- كما يخبر المسيح عليه السلام بني إسرائيل بأن الله أعظم منه ، جاء في إنجيل مرقس
قول المسيح عليه السلام. مرقس (٢٨ / ١٤)



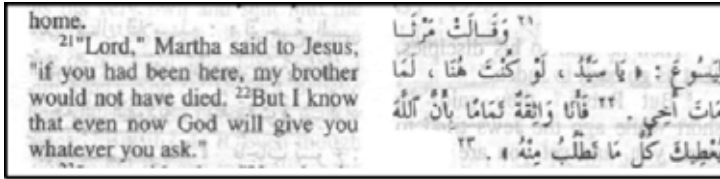
فكيف يكون هو الله وهو يقول بأن الله أعظم منه.

٨- يقول المسيح عليه السلام بأن الله وحده الذي يعرف متى موعد رجوع المسيح عليه
السلام. جاء في إنجيل مرقس: مرقس (٣٢ / ١٣)



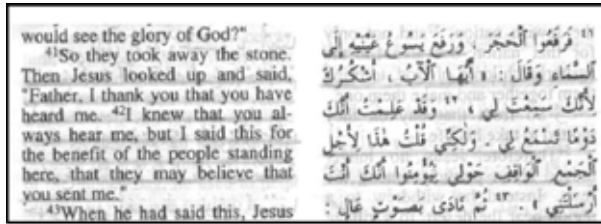
فكيف يكون المسيح عليه السلام هو الله ، وهو لا يعرف متى موعد رجوعه الى الأرض
مرة أخرى؟!!!!

٩- الله يعطي المسيح عليه السلام ما يطلبه منه : يوحنا (١١/ ٢١- ٢٢)



١٠- المسيح عليه السلام يدعو الله ويشكره ، لأنه يسمع دعاءه ، ويمده بالمعجزات .

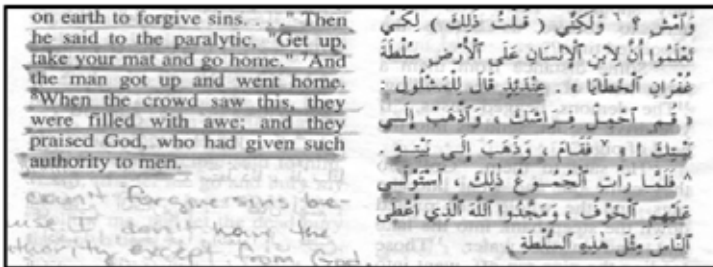
يوحنا (١١/ ٤١- ٤٢)



فالمسيح عليه السلام، رسول الله إلى بني إسرائيل ، أمدّه الله بمعجزات كبقية الأنبياء والرسول .

١١- الناس الذين رأوا المعجزة التي قام بها المسيح عليه السلام آمنوا بأن الله أمدّ المسيح عليه السلام بهذه المعجزة . جاء في إنجيل متى :

متى (٩/ ٦- ٧)



فالمسيح عليه السلام، لا يأتي بالمعجزات من تلقاء ذاته ، بل الله يمده بها .

١٢- الإنجيل يقرّ بأن المسيح عليه السلام رجل أيده الله بالمعجزات، جاء في أعمال الرسل يقول بطرس رئيس الحواريين: أعمال الرسل (٢/ ٢٢)

<p>22"Men of Israel, listen to this: Jesus of Nazareth was a man accredited by God to you by miracles, wonders and signs, which God did among you through him, as you yourselves know. 23This man was handed over to you by God's set purpose and foreknowledge; and you, with the help of wicked men, put him to</p>	<p>أَقْمَرُ إِلَى لَوْنِ الدَّمِ. ٢٢ وَلَكِنْ كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ! ٢٣ وَقَبْلَ تَبِيِّ إِسْرَائِيلَ، أَسْتَمِعُوا هَذَا الْكَلَامَ: إِنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ رَجُلٌ أَيَّدَهُ اللَّهُ بِمُعْجَزَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَعَلَامَاتٍ أُخْرَاقًا عَلَى يَدَيْ تَبْنِكُمْ، كَمَا تَعْلَمُونَ. ٢٣ وَمَعَ ذَلِكَ</p>
---	--

١٣- نعمة الله كانت على المسيح عليه السلام منذ طفولته. لوقا (٢/ ٤٠)

<p>Nazareth. 40And the child grew and became strong; he was filled with wisdom, and the grace of God was upon him.</p>	<p>بِالْجَلِيلِ. ٤٠ وَكَانَ الطُّفْلُ تَمُو وَيَتَقَوَّى، مُتَمَلِّئًا حِكْمَةً، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ</p>
--	--

وجاء في لوقا (٢/ ٥٢):

<p>52And Jesus grew in wisdom and stature, and in favor with God and men.</p>	<p>٥٢ يَسُوعُ، فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ، وَفِي النِّعْمَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ.</p>
---	---

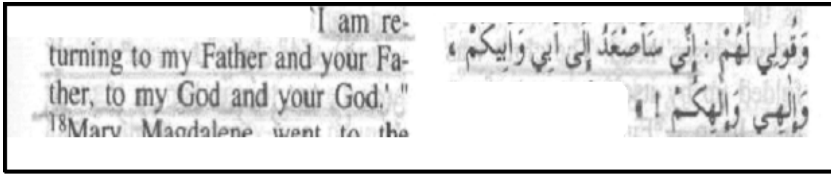
فالمسيح عليه السلام الطفل، غير الله المنعم على المسيح عليه السلام.

١٤- المسيح عليه السلام يقول إن الله ليس لحما ودما، بينما المسيح عليه السلام إنسان من لحم ودم. جاء في إنجيل متى: متى (١٦/ ١٧).

<p>17 Jesus replied, "Blessed are you, Simon son of Jonah, for this was not revealed to you by man, but by my Father in heaven.</p>	<p>١٧ قَالَتْ لَهُ يَسُوعُ: طوبى لَكَ يَا سُبْحَانَ بْنِ يُونَا. فَمَا أُعْلِنُ لَكَ هَذَا لِحْمٍ وَدَمٍ، بَلْ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.</p>
---	---

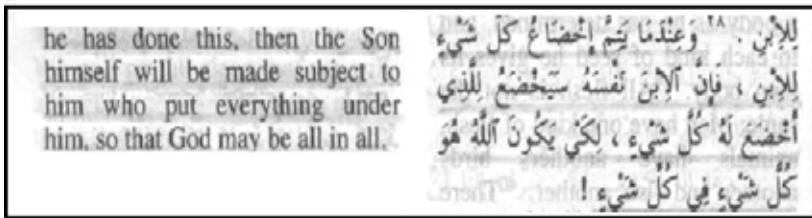
فكيف يكون المسيح عليه السلامالذي هو من لحم ودم هو الله؟!!! والمسيح عليه السلام في الإنجيل يؤكد بأن الله ليس لحما ودما.

١٥- المسيح عليه السلام سيصعد إلى الله في السماء، إلهه وإله الحواريين . جاء في إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام :يوحنا (١٧/٢٠)



فالله الحق هو الذي في السماء ، وهو إله جميع البشر بما فيهم المسيح عليه السلام، كما يقول ويقتر ويعترف بقوله (إلهي وإلهكم).

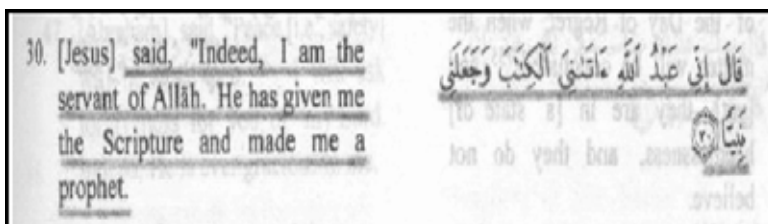
١٦- عند عودة المسيح عليه السلام إلى الأرض ، سيخضع الله له العالم ، فيحكم المسيح عليه السلام العالم ، ولكن المسيح عليه السلام نفسه سيكون خاضعا لله الذي أخضع العالم له . جاء في رسالة كورنثوس الأولى: كورنثوس (٢٨/١٥) .



رابعا: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر بأن عيسى عليه السلام نبي الله

إلى بني إسرائيل

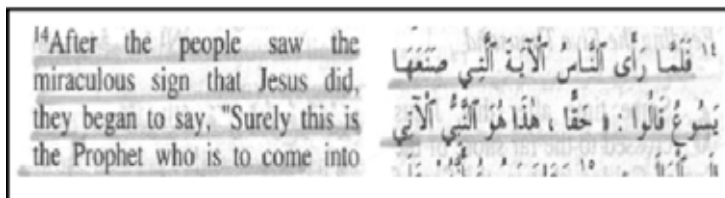
قال تعالى على لسان المسيح عليه السلام في سورة مريم (٣٠)



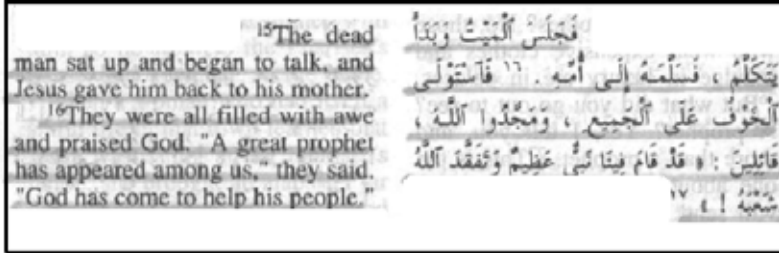
والكنيسة تنفي نبوة المسيح عليه السلام وتزعم ألوهيته، ولكن الأناجيل تشهد

بصدق محمد صلى الله عليه وسلم

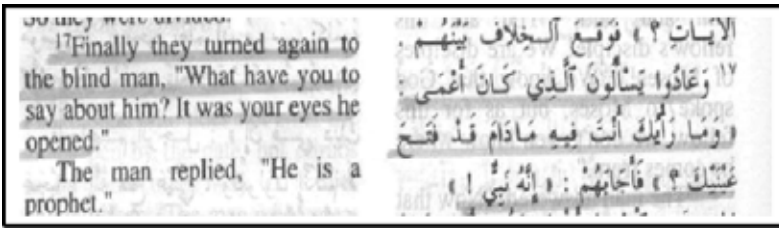
جاء في إنجيل يوحنا عيسى نبي يوحنا (١٤ / ٦)



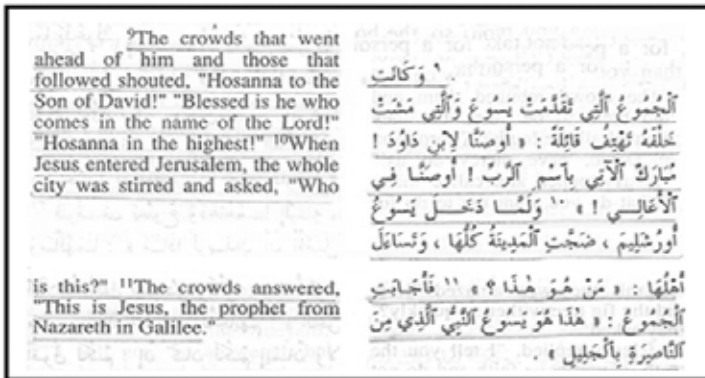
فالناس الذين رأوا المعجزة أقرّوا بأن المسيح عليه السلام نبي الله ، وهذا ما كان يطلبه منهم المسيح عليه السلام أن يؤمنوا به ، فبعد أن رأوا المعجزة آمنوا بأن المسيح عليه السلام نبي . في النص التالي نقرأ في الإنجيل بأن الناس الذين شاهدوا المسيح عليه السلام يحيي الميت، آمنوا بالمسيح عليه السلام بأنه نبي عظيم تفضل الله على بني إسرائيل بإرساله إليهم، جاء في إنجيل لوقا: لوقا (٧ / ١٥-١٦)



الأعمى الذي شفاه عيسى عليه السلام ، يقرُّ بأن المسيح عليه السلام نبيٌّ .
جاء في إنجيل يوحنا: يوحنا (١٧ / ٩)



الجموع التي شاهدت المسيح عليه السلام و عاشرته تهتفت خلف المسيح عليه السلام بأنه
النبي الذي من الناصرة. متى (٩ / ٢١ - ١١)



* عيسى عليه السلام يشك فيه قومه بني إسرائيل في كونه نبي مرسل من عند الله ،
فيعزي نفسه بأن الأنبياء عليهم السلام لا يحترمون في أوطانهم. متى (١٣ / ٥٧).

37 And they took offense at him.
 But Jesus said to them, "Only in his hometown and in his own house is a prophet without honor."
 وَكَانُوا يَشْكُرُونَ فِيهِ . أَمَّا هُوَ فَقَالَ لَهُمْ : ! لَا يَكُونُ النَّبِيُّ بِأَرْضِ كَرَامَتِهِ إِلَّا فِي بَلَدَتِهِ وَبَيْتِهِ ! ٥٨

خامسا : محمد صلى الله عليه وسلم يخبر بأن المسيح عليه السلام عبد الله

قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام في سورة مريم (٣٠)

30. [Jesus] said, "Indeed, I am the servant of Allah. He has given me the Scripture and made me a prophet."
 قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ مَدَنِي الْأَكْثَرُ وَعَمَلِي نَبِيًّا

وقال تعالى: سورة النساء (١٧٢)

172. Never would the Messiah disdain to be a servant of Allah, nor would the angels near [to Him]. And
 أَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ

فهو عبد الله. قالها بصراحة، ولم يستح من ذلك، ولكن الكنيسة تنكر عبودية المسيح عليه السلام وتقول: بل هو المعبود، ومع ذلك فإن الأناجيل تشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم، وترد ما تدعيه الكنيسة.

جاء في إنجيل (متى) ذكر للنبوءة التي جاءت على لسان النبي أشعيا ، والتي تحققت في المسيح عليه السلام العبد الذي اختاره الله . يقول متى في إنجيله: متى (١٢ / ١٧-١٨)

their sick, warning them not to tell who he was. ¹⁷ This was to fulfill what was spoken through	أَنْ يُدْعُوا أُمَّةً ، لَيْسَ مَا قِيلَ بِلسَانِ النَّبِيِّ إِشْعِيَاءَ الْقَائِلِ :
the prophet Isaiah: ¹⁸ "Here is my servant whom I have chosen, the one I love, in whom I delight; I will put my Spirit on him, and he will proclaim justice to the nations	١٨ هَا هُوَ فَتَايَ الَّذِي أَحْتَرُّهُ ، حَبِيبِي الَّذِي سَرَّتْ بِهِ نَفْسِي ! سَأَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ ، فَيُعْلِنُ الْعَدْلَ لِلْأُمَمِ . ١٩

إن كلمة فتاه تعني في اللغة العربية عبده ، و قد استخدمها المترجم للتمويه على عامة الناس ، ولكنها في الترجمة الإنجليزية تركت كما هي (عبدي).

وقد جاءت هذه النبوءة التي استشهد بها متى في إنجيله؛ ليثبت لليهود بأن المسيح عليه السلام هو تحقق النبوءة التي وردت في سفر النبي أشعيا . وتقرأ في الإصحاح الثاني والأربعون العدد واحد ، من أشعيا الترجمة العربية تركت كما هي : (عبدي).

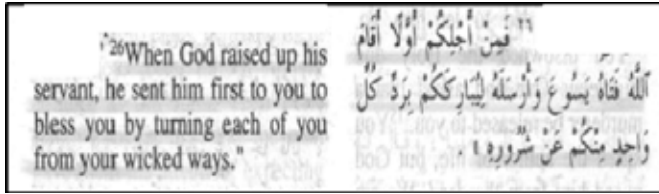
والذي نصه كالتالي : سفر النبي أشعيا (٤٢ / ١)

42 "Here is my servant, whom I uphold, my chosen one in whom I delight; I will put my Spirit on him and he will bring justice to the nations	٤٢ هَاهُوَ عَبْدِي الَّذِي أُعْطِدُ ، مَخْزِي الَّذِي سَرَّتْ بِهِ نَفْسِي . وَفَعَلْتُ رُوحِي عَلَيْهِ لِيُعْلِنَ الْعَدْلَ لِلْأُمَمِ .
--	---

* بطرس رئيس الحواريين يؤكد في العهد الجديد عبودية المسيح عليه السلام لله بعد أن رفع إلى السماء . فقد جاء في أعمال الرسل على لسان بطرس بأن الله مجّد عبده يسوع وهذا نصه: أعمال الرسل (٣ / ١٣)

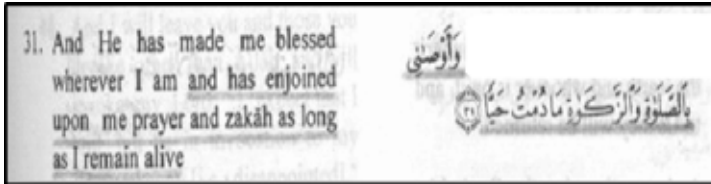
¹³ The God of Abraham, Isaac and Jacob, the God of our fathers, has glorified his servant Jesus over to be kill	١٣ إِنَّ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، إِلَهَ آبَائِنَا ، قَدْ مَجَّدَ فَتَاهُ يَسُوعَ ، فَجَاءَ لِيُقْتَلَ .
--	---

وجاء أيضاً على لسان بطرس رئيس الحواريين بأن الله بعث عبده عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل. أعمال الرسل (٢٦/٣)



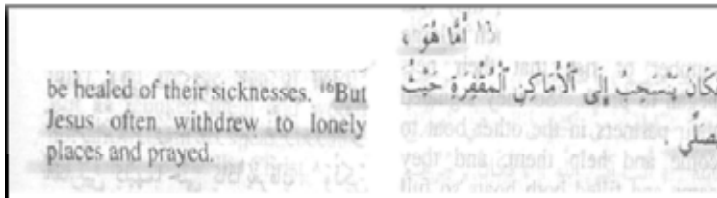
سادساً : محمد صلى الله عليه وسلم يخبر : بأن المسيح عليه السلام قال : إن الله أوصاه بالصلاة والزكاة طوال حياته

قال تعالى: سورة مريم (٣١)

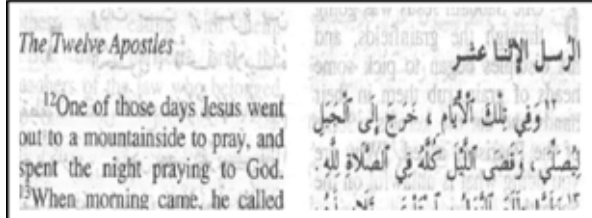


والكنيسة تأمر المسيحيين بأن يتوجهوا بصلاتهم للمسيح عليه السلام ولكن الأناجيل تشهد بكثرة صلاة المسيح لله وأمره للنصارى بالصلاة لله

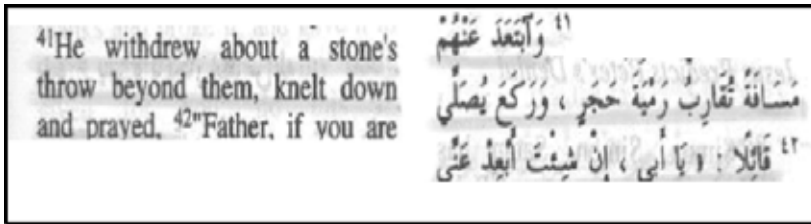
* عيسى عليه السلام يصلي لله في القفار وحده. جاء في إنجيل لوقا : (لوقا ١٦/٥)



المسيح عليه السلام يقضي الليل كاملاً في الصلاة لله . جاء في إنجيل متى : متى (٢٣ / ١٤)

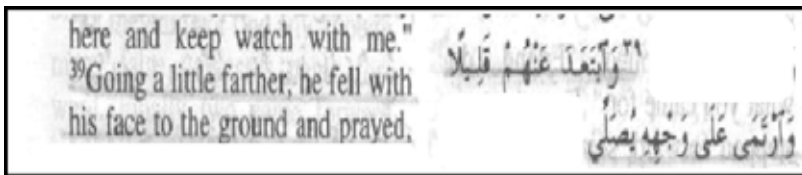


المسيح عليه السلام يتعد عن الأنظار ليصلي لله . جاء في إنجيل لوقا : لوقا (٤١ / ٢٢)



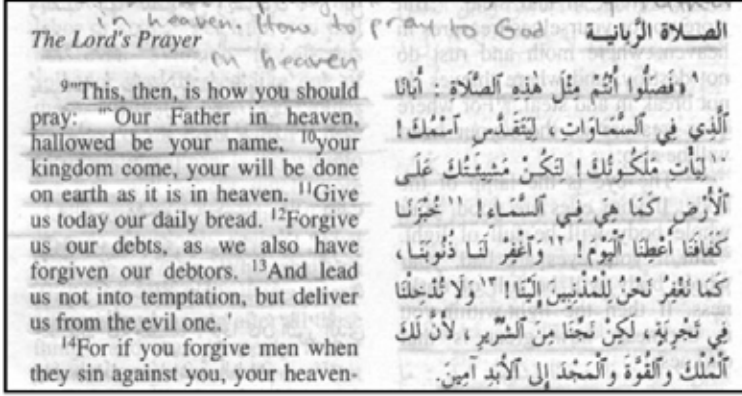
المسيح عليه السلام يتعد عن أنظار حواريهه، ويسجد لله مصلياً . جاء في إنجيل متى :

متى (٣٩ / ٢٦)



-ملحوظة: يعترف النصراني بأن المسيح عليه السلام كان يصلي ، ولكنهم يقولون بأنه كان يعلم الناس كيفية الصلاة له ، ولم يكن يصلي لله ولكني اخترت النصوص التي كان المسيح عليه السلام يصلي فيها لله وحده ولم يكن معه أحد ، أضف إلى أن المسيح عليه السلام كان يعلم أتباعه كيف يصلون ، وأمرهم بأن يصلوا لله وليس له . جاء في إنجيل

متى قول المسيح عليه السلام: متى (٦/٩-١٣)



فلماذا لا يصدق النصارى تعاليم المسيح ؟!!!

هل كان المسيح يكذب عليهم والكنيسة هي الصادقة ؟!!!!

وهل جاء مضللاً لهم ؟!!!

الجواب .. لا لا لا ، وهذا هو جواب النصارى أنفسهم .

إذاً يجب عليهم أن يصدقوا تعاليم المسيح عليه السلام إن كانوا أتباعه ويحبونه حقاً ، كما يجب عليهم أن يرفضوا كل التعاليم المناقضة لما جاء به المسيح عليه السلام .

أما المسلمون فهم المصدّقون لما جاء به المسيح عليه السلام من حق أفما قاله المسيح عليه السلام أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم ، فمحمد و المسيح عليهما الصلاة والسلام أرسلوا من عند الله العلي العظيم ، و جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

- ملحوظة أخرى :

قد يلحظ القارئ مصطلح « ابن الله » ومصطلح « الأب » وهذان المصطلحان وجدا في كتب النصارى المقدسة ، كما في جميع كتاباتهم العادية ، وذلك انعكاساً لثقافة بني إسرائيل في زعمهم بأنهم شعب الله المختار وأبناء الله وأحباؤه ولذا فإن القارئ لكتاب النصارى

المقدس سيقراً هذين المصطلحين بكثرة، كما سيلحظ أن كتابهم المقدس لا يخص هذين المصطلحين بالمسيح عليه السلام فقط، بل إن الأنبياء هم أبناء الله، فمثلاً:

* (آدم ابن الله) لوقا (٣٨ / ٣)

* (وسليمان ابن الله) أخبار الأيام الأول (٦ / ٢٨)

* (وداود ابن الله) المزمور (٧ / ٢)

* (وإسرائيل (يعقوب) ابن الله البكر الخروج (٢٢ / ٤)

* (وإفرايم ابن الله) « وهو ابن النبي يوسف عليه السلام الأصغر ”ابن الله البكر أيضا ”إرميا (٩ / ٣١)

* وبني إسرائيل أبناء الله التثنية (١ / ١٤)

* وهي وصف لكل مؤمن نصراني يوحنا (١٢ / ١-١٣) و...و... الخ كثير.

* بل وجميع النصارى أولاد الله، وشركاء المسيح عليه السلام في الآلام والإرث «الرسالة الأولى إلى روما» (١٧ / ٨)

فهو مصطلح مجازي عندهم، والله لم يلد ولم يولد حتى في عقيدة النصارى أنفسهم.

والمسيح عليه السلام لم يدع في الإنجيل أنه الله، ولم يقل اعبدوني إطلاقاً، بل أثبت عكس ذلك تماماً، وقد تحدى الشيخ أحمد ديدات رحمه الله تعالى النصارى بأن يخرجوا له نصاً واحداً واضحاً من الإنجيل يقول المسيح عليه السلام فيه ذلك. وأنا أضم صوتي إلى أحمد ديدات، وأنا واثقة كل الثقة بما أ طرح.

أسأل الله العلي العظيم أن يري جميع الناس الحق حقاً ويرزقهم إتباعه ويريمهم الباطل باطلاً ويرزقهم اجتنابه.

آمين



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الإعجاز التشريعي في الطلاق

أ.د. محمد نبيل غنايم

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه وبعد ،،،
فهذا بحث عن الإعجاز التشريعي في الطلاق .. جاءت كتابته بناء على دعوة كريمة من
هيئة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية . التابعة لرابطة العالم الإسلامي في
مكة المكرمة ومكتب الهيئة في القاهرة.

والبحث يكشف عن جوانب الإعجاز في تشريع الطلاق من خلال آيات القرآن
الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال الأئمة الفقهاء وذلك بياناً وتصحيحاً لما يظنه أو
يدعيه بعض الناس من المسلمين وغير المسلمين من أن تشريع الطلاق شر وظلم للمرأة
والأسرة والمجتمع فيبين أنه خير وصالح لجميع الأطراف لأنه تشريع الحكيم الخبير الذي
لا يشرع إلا الخير ولا يدعو إلا إلى الرحمة والمصلحة لجميع الأطراف فالتشريع الإسلامي
كله خير وصالح لكل الأحوال ويلبي احتياجات جميع الأطراف ويلتئم جميع الظروف
والبيئات ولولاه لوقع الناس في حرج عظيم وعاشوا في مشقة بالغة .

وليس ذلك دعوة للطلاق وإذناً فيه على الإطلاق؛ بل في ذلك بيان لحلول وعلاج يحتاجه
الناس في بعض الأحوال وتقتضيه الضرورة في بعض الظروف فيكون الحل التشريعي
أحسن الحلول وأطيهاً ومحققاً لمصالح جميع الأطراف ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون
في فقرات متسلسلة تكشف كل فقرة منها عن جانب من جوانب الإعجاز التشريعي من
خلال الآيات ذات الصلة أو الحديث المتصل بها .

والله أسأل أن ينفع به المسلمين في كل مكان ، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم نلقاه (يوم
لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم إنه نعم المولى ونعم النصير)

أولاً : لفظ الطلاق ومشتقاته ومعناه :

وردت كلمة الطلاق ومشتقاتها في القرآن الكريم ٢٤ مرة ^(١) بلفظ الفعل والمصدر أو نحو ذلك كما وردت في السنة أيضاً بنحو ذلك وفي هذا دلالة على أهمية الأمر والحاجة إليه، ففي كل موضع من هذه المواضع نجد دلالات هامة وتوجيهات مفيدة لصالح هؤلاء المخاطبين بهذا التشريع مما يجعلنا أمام دستور للطلاق متعدد المواد، واضح الدلالات فمن أخذ بها فهو في خير، ومن حاد عنها كان في ضلال مبين فمن ذلك مثلاً قوله تعالى «الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ..» ^(٢) فانظر إلى هذا البيان الواضح لعدد الطلاق فلا يكون دفعة واحدة، ولكن مرة بعد مرة ولا يزيد عن ذلك فليس دفعة واحدة يجيء بعدها الندم والحسرة، وليس كثيراً يجنح إلى الفوضى والإيذاء ولكنه مقيد وضيق، مرة ثم مراجعة ولمدة ثم إذا اقتضت الحال مرة ثم الندم والمراجعة والإمساك بالمعروف، فإن لم يتحقق وكانت الثالثة فالتفرقة التامة ولا مراجعة، وقد أثبتت التجارب أن الإنسان يمكن أن يخطئ مرة أو مرتين ويتسرع مرة أو مرتين ويخدع مرة أو مرتين، ويندم مرة أو مرتين، أما أن يستمر على الخطأ أو الندم أو الخداع فلا، فسبحان من هذا كلامه وبيانه، وانظر إلى هذين القيدين في المرة الثالثة والأخيرة فإمساك بمعروف وهو الأولى بعد تجربتين مريرتين من النكد والحزن فليكن المعروف هو السائد بين الطرفين، حتى لا يعودا إلى الشقاق، أو تسريح وطلاق وفراق بإحسان ومعروف حيث أثبتت التجربة والتكرار أن لا فائدة وأن الأمور ستسير إلى الأسوأ والأخطر حيث لم تتم العبرة ولم يتحقق الهدف من المراتين السالفتين وإلا وقع ما لا تحمد عقباه ولا يطاق، ومن هذا يتبين الإعجاز التشريعي، لأن الطلاق ليس هدفاً في ذاته ولكنه دواء مر مرة ثم مرة فإن تحقق الشفاء والعلاج فيها ونعمت وإلا فقد ثبت أن الدواء غير صالح فليكن البتر والفراق قبل أن يستشري المرض في جميع الأعضاء وتصير الحياة بين الزوجين عبثاً وهلاكاً يومياً، فليكن الطلاق بالإحسان حتى تبقى بعض المصالح قائمة كالأبناء والرحم .. وهكذا مما سيأتي بيانه في الفقرات القادمة .

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي ص ٥٤٢، ٤٥٣ .

(٢) البقرة ٢٢٩ .

ثانياً : تعبير الطلاق أقوى من غيره :

في التعبير عن الفرقة بين الزوجين وإنهاء العلاقة الخاصة بينهما بهذا اللفظ القرآني النبوي (الطلاق) إعجاز لغوي كبير لا يقوم به إلا هذا اللفظ ونظائره «كالسراح والفراق» إلا أنه أقواها وأظهرها ولذا فهو الذي تردد في القرآن أكثر من اللفظين الآخرين لأنه الأقوى في التعبير عن هدم العلاقة وإنهاؤها ، فالطلاق في اللغة الحل ورفع القيد وهو اسم مصدره التطلق ويستعمل استعمال المصدر .. ويرادفه الإطلاق ، يقال : طلقت وأطلقت بمعنى سرحت ، وقيل الطلاق للمرأة إذا طلقت ، والإطلاق لغيرها إذا سرح فيقال : طلقت المرأة ، وأطلقت الأسير^(١) ، وقد اعتمد الفقهاء هذا الفرق فقالوا بلفظ (الطلاق) يكون صريحاً ولفظ (الإطلاق) يكون كناية ، والطلاق في عرف الفقهاء هو : رفع قيد النكاح في الحال أو المأل بلفظ مخصوص أو ما يقوم مقامه^(٢) ومن هذا نعلم مدى دقة القرآن الكريم وإعجازه في استعمال لفظ الطلاق وتكراره ومشتقاته في جميع المواضع وليس غيره ، ومدى عناية الفقهاء في اتباع أسلوب القرآن واستعماله ووقوفهم عند ذلك لأنه الأولى والأوضح في الدلالة على المقصود ، وإذا كان في هذا الاستعمال (الطلاق) إعجاز لغوي فهو أيضاً إعجاز تشريعي لأنه يفرق بين ما هو صريح وما هو كناية فالطلاق لفظ صريح يدل على المقصود مباشرة والكناية (الإطلاق) لفظ غير صريح فلا يدل على المقصود (الطلاق) إلا بنية^(٣) .

كذلك هذا اللفظ (الطلاق) الذي استعمله القرآن يختلف عن ألفاظ أخرى تنهي العلاقة الزوجية كالفسخ والإيلاء والظهار والخلع. ذلك أن هذه الألفاظ قد تنهيها نهاية كلية وبلا تكرار ، وبلا رجعة ، أما الطلاق فتنتهيها نهاية مؤقتة ، ويرفع قيدها إلى أجل وبضوابط معينة أو إلى رجعة بشرطها وهكذا ، من هنا كان في لفظ الطلاق واستعماله للدلالة على المقصود منه إعجاز لغوي وتشريعي واضح .

(١) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ص ٥٦٣ ، والمصباح المنير وغيرهما .

(٢) المغني لأبن قدامة ٢٩٦/٧ ومغني المحتاج ٢٧٩/٣ ، الدر المختار ٣/٢٦٦ .

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية ج ٤٩ ص ٥ .

ثالثاً : حكمة مشروعيتها :

قد يقول قائل ولماذا شرع الإسلام الطلاق ؟ أليست الحياة الزوجية والأسرة أولى بالبقاء من الهدم ؟

بلى إن العلاقة الزوجية والأسرة أولى من الهدم وأحق بالبقاء ، لكن حين تكون العلاقة سوية تحقق أغراض الزواج من السكن والمودة والرحمة وتنتج البنين والبنات وتحقق التواصل بين الأسرة الوليدة وأصولها وفروعها من الأُسرتين ، لكن حين تتحول العلاقة الزوجية إلى جحيم وتصبح الأسرة والأسر أعداء وتتحوّل السكينة إلى اضطراب وقلق والمودة إلى بغضاء وكراهية ، والرحمة إلى عنف وقسوة حينئذ يكون البحث عن العلاج ضرورياً وتكون البدائل الأخرى حيوية فإما طلاق بالمعروف وتسريح بإحسان ، وإما شقاء وهلاك وتربص وقتل وكذب ومصائب ومتاعب بلا حدود ومن هنا يكون الطلاق أخف الأضرار وأنجع الحلول والأدوية لتلك الأمراض المستعصية وليبان حكمة ومشروعية الطلاق وبيان وجوه الإعجاز التشريعي فيها جاء في الموسوعة الفقهية ما يلي :

(لقد نبه الإسلام الرجال والنساء إلى حسن اختيار الشريك والشريكة في الزواج عند الخطبة ، فقال النبي e «تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم»^(١) . «وقال : لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل»^(٢) . وقال : «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» متفق عليه . وقال للمغيرة بن شعبة عندما خطب امرأة : «أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»^(٣) . وقال : «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»^(٤) . وقال لأولياء النساء :

(١) أخرجه ابن ماجة ١/٦٣٣ من حديث عائشة ، وأورده ابن حجر في الفتح ٩/١٢٥ وأشار إلى أن فيه مقالاً ثم عزاه إلى أبي نعيم من حديث عمر ثم قال : ويقوى أحد الإسنادين بالآخر .

(٢) ابن ماجة ١/٥٩٧ وفي إسناده راو ضعيف .

(٣) أخرجه الترمذي ٣/٣٨٨ وقال حديث حسن .

(٤) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٢٥٨ وإسناده حسن .

«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساداً»^(١).

إلا أن ذلك كله على أهميته قد لا يضمن استمرار السعادة والاستقرار بين الزوجين ، فربما قصر أحد الزوجين في الأخذ بما تقدم ، وربما أخذها به ، ولكن جد في الحياة الزوجين الهانئة ما يثير بينهما القلائل والشقاق كمرض أحدهما أو عجزه .. وربما كان ذلك من عناصر خارجة عن الزوجين أصلاً كالأهل والجيران وما إلى ذلك ، وربما كان سبب ذلك انصراف القلب وتغيره فيبدأ بنصح الزوجين وإرشادهما إلى الصبر والاحتفال وبخاصة إذا كان التقصير من الزوجة قال تعالى «**وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً**» سورة النساء ١٩، إلا أن مثل هذا الصبر قد لا يتيسر للزوجين ولا يستطيعانه ، فربما كانت أسباب الشقاق فوق الاحتمال أو كانا في حالة نفسية لا تساعدهما على الصبر وفي هذه الحال : إما أن يأمر الشرع بالإبقاء على الزوجية مع استمرار الشقاق الذي قد يتضاعف وينتج عنه فتنة أو جريمة أو تقصير في حقوق الله تعالى ، أو على الأقل تفويت الغاية التي من أجلها شرع النكاح وهي المودة والألفة والنسل الصالح ، وإما أن يأذن بالطلاق والفراق وهو ما توجه إليه التشريع الإسلامي ، وبذلك عُلِمَ أن الطلاق قد يتمحض طريقاً لإنهاء الشقاق والخلاف بين الزوجين ليستأنف الزوجان بعده حياتهما منفردين أو مرتبطين بروابط زوجية أخرى حيث يجد كل منهما من يألفه ويحتمله قال تعالى «**وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيماً**» النساء ١٣٠ . ولهذا قال الفقهاء بوجوب الطلاق في أحوال أخرى على ما فيه من الضرر ، وذلك تقديماً للضرر الأخف على الضرر الأشد ، وفقاً للقاعدة الفقهية الكلية (يختار أهون الشرين)^(٢) والقاعدة الفقهية القائلة (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف)^(٣) .

وقال الشيخ أبو زهرة رحمه الله : (قد تتنافر القلوب ثم تستحكم النفرة بحيث لا يمكن أن تعود المودة بتحكيم أو بغير تحكيم وفي هذه الحال لا بد من اختيار واحد من أمور ثلاثة :

(١) أخرجه الترمذي ٣/٣٨٦ وقال حديث حسن غريب .

(٢) مجلة الأحكام العدلية مادة ٢٩ .

(٣) السابق مادة ٢٧ .

أولهما : البقاء مع النفرة فيعيشان معاً ، والضغينة والبغض والحقد بينهما ، وهذه حال لا يمكن اختيارها ، وإن اختيرت لا يمكن بقاؤها ، وإن بقيت فليست من صالح الأسرة في شيء .

ثانيهما : الفراق الجسدي والزوجية قائمة فتصير المرأة كالمعلقة لا هي زوجة ولا هي مسرحة بالمعروف فيغنيها الله من سعته .

ثالثهما : الطلاق برفع قيد الزواج وقد صار غلا ونقمة وهو في أصله النعمة ، ولا شك أن المنطق السليم يوجب أن يسلك في هذه الحال طريق الطلاق ، والطلاق حينئذ ضرورة لا بد منها^(١) .

وذكر بنتام في كتاب أصول الشرائع ضرورة الطلاق فقال : «إن الزواج الأبدي هو الأليق بالإنسان والملائم لحاجته ، والأوفق لأحوال الأسرة ، والأولى بالأخذ لحفظ النوع الإنساني ، ولكن إن اشترطت المرأة على الرجل ألا تنفصل عنه ولو حلت قلوبها الكراهة محل الحب لكان ذلك أمراً منكرًا ، لا يصدقه أحد من الناس ، على أن هذا موجود دون أن تطلبه المرأة إذ القانون يحكم به فيتدخل بين العاقدين حال التعاقد ويقول لهما : أنتما تقرنان لتكونا سعداء فلتعلما أنكما تدخلان سجنًا سيحكم غلق بابه .. ولن اسمح بخروجكما وإن تقاثلتما بسلاح العداوة والبغضاء .. إن أقبح الأمور وأفظعها عدم انحلال ذلك الاتفاق لأن الأمر بعدم الخروج في حالة أمر بعدم الدخول فيها لا فرق في ذلك بين زواج وخدمة وبلد وصناعة وغيرها ، ولو كان الموت وحده هو المخلص من الزواج لتنوعت صنوف القتل واتسعت مذاهبه^(٢) » وأضاف أستاذنا الشيخ على حسب الله قوله عن بنتام المشرع الإنجليزي «لو ألزم القانون الزوجين بالبقاء على ما بينهما من جفاء لأكلت الضغينة قلوبهما ، وقد يهمل أحدهما صاحبه ويلتمس متعة الحياة عند غيره ، وبهذا يفتح باب الدعارة والفسوق ويضيع النسل وتفسد البيوت» ثم ذكر أستاذنا وقائع تثبت ذلك فقال : نشرت صحيفة الأهرام في الصفحة العاشرة من عدد يوم الاثنين ٧ / ٢ / ١٩٦٦ أن البواب نصر عزيز استعان بآخرين على قتل امرأته نجية غبريال في بدروم العمارة رقم ١٦ بشارع سيالة الروضة بالمنيل بالقاهرة لأنه

(١) الأحوال الشخصية / محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي القاهرة ١٩٥٠ ص ٢٨٠ .

(٢) السابق ص ٢٨١ .

تزوجها منذ ثمان سنوات وأنجبت منه طفلين ماتا ، ثم أصابها مرض منعها من الإنجاب ، واتسعت شقة الخلاف بينهما ، ولما كانت ديانتها تمنع الطلاق رأى أن أحسن طريقة للتخلص منها قتلها ، ونفذ ما أراد .

ونشرت صحيفة الأهرام في الصفحة العاشرة من عدد يوم الثلاثاء ٢٢/١١/١٩٦٦ أن جمعية إباحة الطلاق المؤلفة من خمسة آلاف عضو في إيطاليا أعلنت أن خطر الطلاق في إيطاليا يؤدي كل سنة إلى انفصال عشرة آلاف زوج عن أزواجهم بسبب استحالة الحياة الزوجية بينهم ، وقالت إن حرمان هؤلاء الأزواج من الزواج مرة ثانية يضطرهم إلى العيش في الخطيئة^(١) .

وهذا الذي قاله بنتام وشهدت به الوقائع الحياتية خير دليل على عظمة التشريع الإسلامي وسبقه لإيجاد الحلول الضرورية الناجمة لمشكلات الناس . ومن هنا فإن كثيراً من البلاد الأجنبية التي كانت ترفض الطلاق اعترفت بمشروعيتها والحاجة إليه فهو - الطلاق - بمثابة أبواب الطوارئ التي يسرع الناس إليها للنجاة عند الخطر ، فالطلاق لا يستخدم إلا عند الضرورة القصوى وحين تنسد سائر الأبواب الشرعية الطبيعية لأنه أبغض الحلال فمن يقع فيه بلا سبب أو يكرره بلا ضرورة فهو ملعون ومطرود من رحمة الله تعالى .

وقال ابن سينا في كتاب (الشفاء) ينبغي أن يكون إلى الفرقة سبيل ما وألا يسد ذلك من كل وجه ، لأن حسم أسباب التوصل إلى الفرقة بالكلية يقتضي وجوهاً من الضرر والخلل ، منها أن من الطبائع ما لا يألف بعض الطبائع ، فكلما اجتهد في الجمع بينهما زاد الشر والنبو - الخلاف - وتنغصت المعايش ، ومنها : أن من الناس من يمني - يصاب - بزواج غير كفاء ولا حسن المذاهب في العشرة ، أو بغيض تعافه الطبيعة ، فيصير ذلك داعية إلى الرغبة في غيره ، إذ الشهوة طبيعية ، ربما أدى ذلك إلى وجوه من الفساد ، وربما كان المتزوجان لا يتعاونان على النسل ، فإذا بدلا بزوجين آخرين تعاوننا فيه ، فيجب أن يكون إلى المفارقة - الطلاق - سبيل ، ولكنه يجب أن يكون مشدداً فيه^(٢) .

إلى غير ذلك من الأقوال التي تدل على أن تشريع الطلاق وجه من وجوه الإعجاز في

(١) الفرقة بين الزوجين أ/ على حسب الله وأنظر كتابنا : من فقه الأسرة في الإسلام ج ١ ص ١٠٦ .

(٢) أنظر : فقه السنة - السيد سابق - الفتح للإعلام العربي القاهرة ٢٠٠٤ ص ٦٢٧ .

القرآن الكريم والسنة النبوية لأنه يلبي ضرورات كثيرة ، ويرفع حرجاً كبيراً عن بعض الأزواج ، ويكون باباً من أبواب العلاج والإصلاح في المجتمع ، ووقاية من الوقوع في كثير من المخاطر والأضرار .

رابعاً : التدابير الشرعية للحد من الطلاق :

ومن وجوه الإعجاز التشريعي في تشريع الطلاق ما وضعه الإسلام من تدابير وإجراءات قبل الوصول إليه ، وهذه التدابير أنواع ، منها ما يسبقه ليحول دون اللجوء إليه ، ومنها ما يراعى عند اللجوء إليه ، وحتى يتضح الإعجاز في ذلك نبين تفاصيل هذه التدابير في إيجاز :

أ - التدابير السابقة :

[١] عناية التشريع الإسلامي بإنشاء العلاقة الزوجية على أسس متينة ، لأن استقرار الحياة الزوجية غاية من الغايات التي يحرص عليها الإسلام ، وعقد الزواج إنما يعقد للدوام والتأيد إلى أن تنتهي الحياة ليتسنى للزوجين أن يجعلوا من البيت مهدياً وأماناً إليه ، وينعمان في ظلاله الوارفة ، وليتمكنوا من تنشئة أولادهما تنشئةً صالحةً ، لذلك شرعت الخطبة والاختيار على أساس الدين وحسن الخلق حتى تكون الصلة بين الزوجين قوية لأنها من أقدس الصلات وأوثقها ، وليس أدل على ذلك من أن الله سبحانه سمى العهد والعقد بين الزوجين « ميثاقاً غليظاً » فقال : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » لنساء ٢١ .

[٢] وأباح التشريع الإسلامي فسخ الخطبة إذا تبين لأحدهما أن الاختيار غير صحيح قبل أن تستفحل المخالقات وتقوم العلاقة الزوجية .

[٣] بل إنه إذا تم العقد بينهما ولم يحدث دخول - زفاف - ولا خلوة فإنه جوز حل قيد الزوجية وهدم هذا العقد قبل أن تتعقد الأمور بالعلاقة الأقوى ووقوع الحمل أو الولادة ، فكان الطلاق قبل الدخول أو الخلوة مشروعاً لتدارك الأمر وإنهاء الخلافات .

[٤] وحين يتم ذلك الطلاق قبل الدخول تأخذ المرأة نصف المهر المسمى ولا عدة عليها ولا رجعة لها ويجب أن يتم ذلك كله بالإحسان والتسامح فما زال الطرفان على البر وذلك

أولى من التأجيل إلى أن تتأزم الأمور وتتضح بهم المشكلات قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات - أي عقدتم عليهن - ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن - الزفاف والدخول - فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعهن وسرحوهن - طلقوهن - سراحاً جميلاً »^(١) ، وقال تعالى : « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضا لهن فريضة - مهراً - ومتعهن - عوضوهن - على الموسع قدره وعلى المقتر - الفقير - قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين . وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير »^(٢).

[٥] وعند تسمية المهر وتقديره ينبغي أن يكون خفيفاً يسيراً حتى لا تتأزم العلاقة وتنفض قبل أن تتم فأيسرهن مهراً أكثرهن بركة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) وتبين قيمة هذا التيسير والتخفيف عند حدوث المشكلات والرغبة في الطلاق فيكون العبء خفيفاً والمشكلات أقل .

وهكذا نرى نماذج لتهيئة الزوجين لعلاقة زوجية سعيدة تحقق السكينة والمودة والرحمة وكل تدبير منها يعتبر وجهاً من وجوه الإعجاز التي لم يسبق إليها إلا التشريع الإسلامي ، وكلها تدابير للحيلولة دون الوقوع في الطلاق أو مجرد التفكير فيه .

ب- التدابير الزوجية :

إذا تمت التدابير السابقة وتم زفاف الزوجين فإن التشريع الإسلامي يضع لهذه العلاقة الجديدة مجموعة من الأسس تحقق لها السعادة والاستمرار وتصونها من الهدم والانهايار والتفكير في الطلاق والفرق وتسمى هذه التدابير الحقوق الزوجية وهي ثلاثة فروع نجملها فيما يلي :

[١] حقوق مشتركة بين الزوجين وهي المعاشرة بالمعروف ، والاستمتاع والنسب ،

(١) الأحزاب ٤٩ .

(٢) البقرة ٢٣٦-٢٣٧ .

(٣) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي e قال : « إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة » رواه الإمام أحمد ٦ / ١٤٥ .

والتوارث ، وحرمة المصاهرة ، فإذا قام كل زوج بحق الآخر فيها كانت السكينة والمودة والرحمة واستمرت العلاقة الزوجية ولم يقع بينهما طلاق.

[٢] حقوق للزوجة يجب على الزوج أن يقوم بها وان يحافظ عليها وهي : المهر ، النفقة ، الإعفاف ، الرعاية والقسم أو العدل فإذا قام الزوج بذلك استقرت العلاقة واستمرت الحياة في سلام وأمان ولم يقع بينهما طلاق أو تفكير فيه .

[٣] حقوق للزوج يجب على الزوجة القيام بها والمحافظة عليها ، وإذا تم ذلك نجحت العلاقة الزوجية وكان الطلاق والشقاق بعيداً عنها وهذه الحقوق هي : طاعة الزوج في غير معصية الله عز وجل ، والقرار في البيت وعدم الخروج من غير إذنه ، والقوامة وعدم المنازعة فيها .

[٤] فإذا اختل أمر من تلك الأمور أو قصر أحد الطرفين في حق الآخر ودبت الخلافات بينهما لسبب أو لآخر فإن الأمر يتطلب الحكمة والتحكيم وليس الإسراع إلى الطلاق فهو آخر الدواء أما الحكمة فمن الزوج وتتمثل فيما أمر الله تعالى به وبينه الرسول e من الكلام الطيب والموعظة الحسنة والنصيحة الهادئة ، فإن لم تستجب كان الهجر في المضاجع داخل حجرة النوم دون أن يحس ذلك أحد، فإن لم تستجب كان الضرب الخفيف الذي لا يكسر ولا يسيل دما ولا يتلف عضواً في غير الوجه والرأس والمقاتل وصدق الله العظيم « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله .واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً النساء ٣٤ .

[٥] وتتابع التدابير الشرعية والإعجاز التشريعي في إصلاح ذات البين في العلاقة الزوجية حرصاً على بقائها واستمرارها وبعيداً عن الطلاق والفراق فيدعو أهل الزوجين إلى التدخل بينهما بالحكمة والهدوء لإصلاحهما ومعاونتهما على استمرار العلاقة الزوجية بينهما وعدم اللجوء إلى الطلاق فيأمر باجتماع حكيمين من الأسرتين للاستماع إليهما وتوجيههما إلى الخير وإبعادهما عن الشقاق والطلاق ، وفي ذلك يقول الله عز وجل : « وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن

اللَّهُ كَانَ عَلِيماً خَبيراً» النساء ٣٥ ويقول سبحانه: « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو أضراراً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعلمون خبيراً» النساء ١٢٨.

ج- التدابير الإجرائية :

إذا نفذت كل الوسائل السابقة وفشلت في إصلاح ذات البين وانسدت جميع الأبواب والطرق أمام استمرار العلاقة الزوجية وأصبح الحل محصوراً في الطلاق فإن التشريع الإسلامي في إجراءاته وإيقاعه يقدم جملة من الشروط والضوابط التي تدل على الإعجاز وتقلل من كثرة الطلاق وبيان ذلك فيما يلي :

[١] أن تشريع الإسلام للطلاق وسط بين القوانين والمجتمعات الأخرى فهو لم يرخص فيه لأي سبب كما فعلت اليهود ، ولم يمنعه منعاً باتاً كما فعلت المسيحية ولم يجعله بلا حدود كما كانت الجاهلية ، ولم يضيقه إلى حد المنع كما تفعل المذاهب المسيحية وإنما جعله ثلاث مرات متفرقات ، تمكن المراجعة بعد الأولى والثانية وتكون بائناً بينونة كبرى بعد الثالثة .

قال الشيخ السيد سابق^(١) عن الطلاق عند اليهود : « الذي دون في الشريعة عند اليهود وجرى عليه العمل أن الطلاق يباح بغير عذر كرجبة الرجل بالتزوج بأجمل من امرأته ، ولكنه لا يحسن بدون عذر ، والأعذار عندهم قسمان: الأولى عيوب الخلقة ومنها : العمش والحول والبخر والحدب والعرج والعقم ، والثاني عيوب الأخلاق وذكرها منها : الوقاحة والثثرة والوساخة ، الشكاسة والعناد والإسراف والنهمة والبطنة ، والتأنق في المطاعم والفخفة ، والزنى أقوى الأعذار عندهم ، فيكفي فيه الإشاعة وإن لم تثبت ، إلا أن المسيح عليه السلام لم يقر منها إلا علة الزنى ، وأما المرأة فليس لها أن تطلب الطلاق مهما تكن عيوب زوجها ولو ثبت عليه الزنى ثبوتاً... وقال عن الطلاق في المذاهب المسيحية : ترجع جميع المذاهب المسيحية التي تعتنقها أمم الغرب المسيحي إلى ثلاثة مذاهب :

المذهب الكاثوليكي : يحرم الطلاق تحريماً باتاً ، ولا يبيح فصم الزواج لأي سبب مهما

(١) فقه السنة ص ٦٢٨.

عظم شأنه وحتى الخيانة الزوجية نفسها لا تعد في نظره مبرراً للطلاق ، وكل ما يبوحه في حالة الخيانة الزوجية هو التفرقة الجسمية بين شخصي الزوجين ، مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية .

والمذهبان الآخران الأرثوذكسي والبروتستانتي يبجحان الطلاق في حالات محدودة أهمها الخيانة الزوجية ولكنها يجرمان على كل من الرجل والمرأة أن يتزوج مرة أخرى ، وتعتمد المذاهب المسيحية التي تبيح الطلاق في حالة الخيانة الزوجية على ما ورد في إنجيل متى على لسان المسيح إذ يقول « من طلق امرأته إلا لعله الزنى يجعلها تزني^(١) » ، وتعتمد المذاهب المسيحية في تحريمها الزواج على المطلق والمطلقة على ما ورد في إنجيل مرقس « من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها ، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بأخر تزني^(٢) .

وقال عن الطلاق في الجاهلية : « قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها ، وهي امرأته إذا راجعها وهي في العدة ، وإن طلقها مائة مرة أو أكثر حتى قال رجل لامرأته : والله لا أطلقك فتبيني مني ، ولا أويك أبداً ، قالت وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك فكلما همت عدتك ، أن تنقضي راجعتك ، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها فسكتت حتى جاء النبي e فأخبرته ، فسكت النبي e حتى نزل القرآن « **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** » البقرة ٢٢٩ قالت عائشة : فاستأنف الناس الطلاق مستقبلاً من كان طلق ، ومن لم يكن طلق^(٣) .

ومن هذا العرض تبين ميزة التشريع الإسلامي في الوسطية والاعتدال ومراعاة الفطرة وملاءمة الأحوال والظروف وهذا احد وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق.

[٢] ومن وجوه الإعجاز أيضاً أن التشريع الإسلامي جعل الطلاق من حق الرجل وحده لأنه أحرص على بقاء الزوجية حيث أنفق في سبيلها من المال ما يحتاج إلى إنفاق مثله أو أكثر إذا طلق وأراد زواجاً آخر حيث سيتحمل أعباء الزواج الأول والطلاق وآثاره ثم

(١) إنجيل متى الإصحاح الخامس ٢٢/٢٣

(٢) إنجيل مرقس ، الإصحاح العاشر ١١

(٣) رواه الترمذي رقم ١١٩٢ . بإسناد لين .

أعباء إنشاء الزواج الثاني ، فهو بمقتضى عقله ومزاجه يكون أصبر على ما يكره من المرأة فلا يسارع إلى الطلاق لكل غضبة يغضبها أو سيئة منها يشق عليه احتمالها ، والمرأة أسرع منه غضباً وأقل احتمالاً ، وليس عليها من تبعات الطلاق ونفقات البيت والزواج مثل ما عليه ، فهي أجدر بالمبادرة إلى حل عقدة الزوجية لأدنى الأسباب أو لما لا يعد سبباً صحيحاً إن أعطى لها هذا الحق ، والدليل على صحة هذا التعليل الأخير أن الأفرنج لما جعلوا طلب الطلاق حقاً للرجال والنساء على السواء كثر الطلاق عندهم فصار أضعاف ما عند المسلمين .

ولا يعني ذلك أن الإسلام ظلم المرأة بجعل الطلاق في يد الرجل وحده لأن الإسلام أعطى المرأة حقاً آخر تتحمل فيه جانباً مالياً وهو حق الخلع فهو بالنسبة للمرأة كالطلاق بالنسبة للرجل وكما أن الرجل في الطلاق يتحمل أعباء مالية لذلك قد يتراجع عنه فإن المرأة في الخلع تتحمل أعباء مالية تعويضاً للرجل لذلك يمكن أن تتراجع عنه ، وبهذا يكون التشريع الإسلامي أعدل التشريعات وأعظمها مساواة بين الرجل والمرأة وهذا وجه آخر من وجوه الإعجاز التشريعي .

[٣] ومن وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق أنه لا يقع من أي رجل وفي أي حال وبأي لفظ إنما يقع بضوابط معينة وبشروط محددة وفي أحوال خاصة ، فقد اتفق العلماء على أن الذي يصح طلاقه هو الزوج البالغ العاقل المختار أما غير الزوج أو الزوج غير البالغ أو غير العاقل أو المكره فلا يصح طلاقه ويعتبر لغوا: فعن علي كرم الله وجهه عن النبي e أنه قال: « رفع القلم عن ثلاثة ، عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل^(١) .

وعن أبي هريرة عن النبي e قال : « كل طلاق جائز إلا طلاق المغلوب على عقله^(٢) » ، ولا يقع الطلاق إلا على زوجة .

[٤] ومن وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق إنه لا يقع إلا بألفاظ معينة منها ما هو صريح لا يحتاج إلى نية وهي ألفاظ : الطلاق والفراق والسراح . ومنها ما هو كناية لا يقع

(١) رواه أحمد ٦/١٠٠ ، وأبو داود ٤٤٠٣ ، والترمذي ١٤٢٣ . وقال حديث حسن غريب

(٢) الترمذي ١١٩١ ، ضعيف .

إلا بنية الطلاق وهي الألفاظ التي تحتمل أكثر من معنى فيرجع فيها إلى الزوج لبيان نيته فإن قصد الطلاق كان طلاقاً وإلا لم يكن وفي هذا تضييق لفرص الطلاق، ويلحق بالألفاظ الصريحة الكتابة الواضحة والإشارة من الأخرس والوكالة، ومما يلحق بالكناية تعليق الطلاق على شرط أو زمن على تفصيل في ذلك.

[٥] ومن وجوه الإعجاز التشريعي في إجراء الطلاق أنه لا يصح في كل حال بل هو نوعان: سني وهو الذي يتم وفقاً للسنة لفظاً ومعنى ومصالحة وذلك بأن يكون طلقة واحدة بلفظ صريح بعد الدخول على زوجة في طهر لم يجامعها فيه وليست حاملاً. وإنما كان ذلك سنياً لأنه موافق للسنة لا يظلم المرأة ولا يطيل عليها العدة وهو معنى قوله تعالى: «**يأيها النبي، إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**» الطلاق ١، أي لا ابتداء العدة مباشرة ولأن هذا الطلاق هو الموافق لقوله تعالى: «الطلاق مرتان» أي مرة واحدة تعقبها رجعة، ثم مرة ثانية تعقبها رجعة.

والنوع الثاني هو البدعي أي المخالف للشرع، وذلك بأن يكون ثلاثاً دفعة واحدة، أو في حيض، أو في طهر جامعها فيه؛ لأن الدفعة الواحدة مخالف لقوله تعالى: «الطلاق مرتان» ولأن الطلاق في الحيض مخالف لقوله تعالى «فطلقوهن لعدتهن» لأن الحائض لا تبدأ العدة إلا في الحيضة القادمة فتطول عدتها وهذا إضرار بها، ولأن الطلاق الثلاث لا رجعة فيه فيخالف الشرع، وقد أجمع العلماء على تحريمه، واختلفوا في وقوعه لما روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله e، فسأل عمر ابن الخطاب رسول الله e عن ذلك فقال رسول الله e: «مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد ذلك، وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله - سبحانه - أن تطلق لها النساء»، وفي رواية أن ابن عمر رضي الله عنه طلق امرأة له وهي حائض تطليقه، فذكر ذلك عمر للنبي e فقال: «مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهراً»^(١)، وإنما كان هذا التنوع من وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق لما فيه من تقييد للطلاق وتحجيم لإيقاعه وكثرته.

(١) انظر صحيح البخاري ٣/٣١٢ برقم ٤٩٠٨، وصحيح مسلم ٢/١٩٥

[٦] ومن وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق أيضاً أنه نوعان :

رجعي وبائن ، أما الرجعي فهو الطلاق السني السابق الذي يكون طليقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه ، وقد اتفق الفقهاء على أنه يحرم على الزوج أن يطلقها ثلاثاً بلفظ واحد أو بألفاظ متتابعة في طهر واحد ، وعللوا ذلك بأنه إذا وقع الطلقات الثلاث ، فقد سد باب التلاقي والتدارك عند الندم والرغبة في المراجعة لأن الشارع جعل الطلاق متعدد المعنى التدارك عند الندم ، فضلاً عن ذلك فإن المطلق ثلاثاً قد أضر بالمرأة من حيث أبطل محلقتها بطلاقه هذا ، وأما الثاني وهو البائن فهو عبارة عن الطلاق الذي لا رجعة بعده وهو الطلاق قبل الدخول أو الطلاق على مال أو خلع ، والطلاق الثالث ، والبائن نوعان بينونة صغرى وهي خلاف الثلاث ويمكن تداركها بعقد جديد ومهر جديد أما الطلاق الثالث فلا تدارك بعده إلا بزواج رجل آخر زواجاً شرعياً مع دخول بلا قيد ولا شرط ثم انتهاء ذلك الزواج نهاية شرعية حينئذ يجوز للزوج السابق الأول أن يتقدم إليها بشكل جديد كسائر الرجال وإذا تزوجها كان له عليها ثلاث طلقات جديدة لأن العلاقة السابقة تم هدمها .

[٧] والرجعة أو المراجعة بعد الطليقة الأولى أو الثانية وجه من وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق لأنها تعيد المياه إلى مجاريها وتعيد إلى العلاقة الزوجية ما تهدف إليه من سكن ومودة ورحمة ، وفيها درس عظيم لكلا الزوجين أن يندم على ما حدث وإن يعزم على ألا يعود ، وبهذا يكون الطلاق فرصة للإصلاح والعلاج قال تعالى « **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم** » البقرة: ٢٢٨ .

[٨] ومن وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق الرجعي أن المرأة المطلقة تبقى في بيت الزوجية وتمارس كل نشاطها وحقوقها بل وتترين لزوجها لعله يراجعها وتبدي له الأسف والندم حتى ولو كانت صاحبة حق لأن ذلك من المعاشرة بالمعروف ومن العفو والتسامح وبذلك يراجع الزوج نفسه ويندم على ما حدث فيراجعها قولاً أو فعلاً ، وفي ذلك من الستر ما فيه ومن المحافظة على العلاقة الزوجية حتى في المحن والشدائد ورب ضارة نافعة

فيخرج الزوجان بعد الطلقة الأولى أو الثانية ثم المراجعة أكثر حباً وأصلب عوداً وأشد حفاظاً على العلاقة الزوجية وبخاصة لو كان بينهما أولاد ، قال تعالى : « **يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً** » الطلاق : ١ ومن هذا نعلم أن الطلاق الرجعي - في فترة العدة - لا يمنع سائر الحقوق الزوجية التي سبقت الإشارة إليها لأن عدة الطلاق الرجعي استمرار للعلاقة الزوجية وباب لاستئنافها في أي لحظة قبل انتهاء العدة ولو مات أحد الزوجين في العدة ورثه الآخر .. وهكذا ولا تتوقف المراجعة على موافقة الزوجة أو علمها لأنها مازالت في فترة الزوجية وبيت الزوجية بل ويستحب لها أن تسعى إلى المراجعة بكل الوسائل .

[٩] وأحياناً يكون الطلاق عن طريق القضاء رفعاً للظلم عن المرأة وهذا وجه آخر من وجوه الإعجاز التشريعي حيث الهدف من الطلاق هنا عن طريق القاضي هو إنقاذ المرأة من ضرر اكبر وقع عليها ولا حيلة لها في رفعه لأن الطلاق بيد الرجل وهو رفض الطلاق فلو بقى الأمر لرغبته لاستمر الظلم ولو رفع الأمر إلى القضاء كان العدل عن طريق الطلاق ولما كان الطلاق حقاً للرجل وحده في الأحوال العادية فإنه لا ينتقل إلى القاضي إلا في حالات خاصة وهي حالات الضرورة التي لا تستطيع المرأة إزاءها شيئاً وهذه الحالات خمس : العجز عن النفقة ، والضرر الذي يتناقض مع المعاشرة بالمعروف كالضرب الشديد أو السب القبيح أمام الناس أو أي إيذاء آخر لا يطاق أو إكراهها على ارتكاب المنكرات .. والحالة الثالثة التخليق بسبب غيبة طويلة كالمسافر مجهول العنوان أو المحبوس بحكم سنة أو أكثر لأن هذا يضر المرأة ويمنع النفقة ويعرضها للخطر والانحراف فكان من العدل إنقاذها ولا مجال إلا للقضاء ، والحالة الرابعة التخليق لمرض الرجل مرضاً يمنعه من المعاشرة أو ينقل العدوى بمرض إليها ، والخامسة طلاق المولى الذي حلف ألا يجامع زوجته فإن القاضي يحدد له أربعة أشهر للرجوع عن يمينه ومعاشرة زوجته وإلا طلقها القاضي رفعاً للضرر الذي لحق بها ووقع عليها .

وجميع الحالات كما رأينا ترجع إلى ضابط واحد عام وهو زوال الضرر النازل بالمرأة ويكون التطلق رفعا وإزالة لهذا الضرر وهذا أيضاً يؤكد جمال التشريع الإسلامي واهتمامه برفع الظلم عن المرأة ولو كان ذلك بالطلاق .

فليس الطلاق إذن سيئاً في كل الأحوال بل إنه دواء ناجع وإصلاح كامل وعدل وضروري في كثير من الأحوال وبهذا يكون تشريع الطلاق أو التطلق عن طريق القضاء وجهاً من وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق ومن هذا القبيل أيضاً طلاق الحكّمين ، فإذا اتفق الحكّمان المختاران للإصلاح بين الزوجين على الطلاق لأن أبواب الصلح مغلقة كان الطلاق واجباً وقام به القاضي أو ألزم الزوج به .

خامساً : ومن وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق :

أن حكمه التكليفي ليس واحداً للجميع بل يتراوح حكمه بين الأحكام التكليفية الخمسة ليناسب كل حكم منها أحوال الأزواج والبيئات فالأصل فيه الحظر والمنع لما روي عن الرسول e أنه قال : «ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق»^(١) وقد ذهب الجمهور إلى أن الأصل في الطلاق الإباحة وقد يخرج عنها في أحوال وذهب آخرون إلى أن الأصل فيه الحظر ، ويخرج عن الحظر في أحوال ، وعلى كل فالفقهاء متفقون في النهاية على أنه تعتريه الأحكام الخمسة فيكون مباحاً أو مندوباً أو واجباً كما يكون مكروهاً أو حراماً ، وذلك بحسب الظروف والأحوال التي ترافقه بحسب ما يلي :

١ . فيكون واجباً كالمولي إذا أبى الفيئة إلى زوجته بعد التربص على مذهب الجمهور ، أما الحنفية فإنهم يوقعون الفرقة بانتهاء المدة حكماً وكطلاق الحكّمين في الشقاق إذا تعذر عليهما التوفيق بين الزوجين ورأيا الطلاق عند من يقول بالتفريق لذلك .

٢ . ويكون مندوباً إليه إذا فرطت الزوجة في حقوق الله الواجبة عليها - مثل الصلاة ونحوها - وكذلك يندب الطلاق للزوج إذا طالبت زوجته ذلك للشقاق .

(١) أخرجه أبو داود ٦٣١ / ٢ مرسلًا ، ثم ذكره موصولاً ورجح غير واحد من العلماء إرساله كما في التلخيص الجيد لابن حجه ٢٠٥ / ٣ .

٣. ويكون مباحاً عند الحاجة إليه لدفع سوء خلق المرأة وسوء عشرتها أو لأنه لا يجبها .
٤. ويكون مكروهاً إذا لم يكن ثمة من داع إليه مما تقدم ، وقيل : هو حرام في هذه الحال لما فيه من الإضرار بالزوجة من غير داع إليه .
٥. ويكون حراماً حين يتم في الحيض أو في طهر جامعها فيه ، وهو الطلاق البدعي .
- قال الدردير : وأعلم أن الطلاق من حيث هو جائز ، وقد تعتره الأحكام الأربعة من حرمة وكراهة ووجوب وندب^(١) .
- ومن هذه الأحكام المتعددة يعرف كل زوج مسؤوليته إزاء هذا الوضع إذا طراً أما إذا لم تطراً حاجة فالأصل هو استقرار الحياة الزوجية واستمرار السكن والمودة والرحمة وعدم اللجوء إلى هذا الطارئ إلا عند الحاجة إليه والعجز عن دفعه بأي شكل .

سادساً : العناية بالمرأة للوقاية من آثار الطلاق :

ومن وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق العناية الفائقة بالمرأة المطلقة للوقاية من أضرار الطلاق وذلك لما يلي :

- ١- وجوب وحلول مؤخر الصداق للمرأة الذي كان مؤجلاً لأقرب الأجلين الطلاق أو الوفاة .
- ٢- وجوب العدة وهي فترة انتقال من الزوج السابق إلى الزوج الجديد إن وجد وهي تتفاوت بين المرأة التي تحيض والمرأة التي لا تحيض فعدة الحائض ثلاث حيضات لقوله تعالى : «والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا» البقرة ٢٢٨ وهي فترة للمراجعة بعد الطلقتين الأولى والثانية ، ولمعرفة براءة الرحم من الحمل حتى لا يسقى ماء الزوج الجديد زرع الزوج السابق ، كما أنها فترة ضرورية طبية لتهيئة الرحم

(١) الدر المختار ٣/٢٢٧ ، الشرح الكبير ٢/٣٦١ مغني المحتاج ٣/٣٠٧ ، المغني ٧/٢٩٦ ، ٢٩٧ والموسوعة الفقهية ج ٢٩ ص ٩/٨ .

لزواج جديد حيث ثبت علمياً وطبياً حاجة الرحم إلى ذلك . أما إن كانت لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر لقوله تعالى : « واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن » الطلاق ٤ أما الحوامل فعدتهن وضع الحمل لقوله تعالى : « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن .. » الطلاق ٤ .

٣- وجوب نفقة العدة إذا كان الطلاق رجعياً لقوله تعالى : « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » الطلاق ٦ ولقوله في الحوامل : « وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن .. » الطلاق ٦ أما المطلقة طلاقاً بائناً فقد اختلف الفقهاء في وجوب نفقتها على ثلاثة أقوال : (١) لا نفقة لها ولا سكنى . (٢) لها السكنى والنفقة . (٣) لها السكنى فقط . والراجع أن لها السكنى والنفقة .

٤- وجوب المتعة تعويضاً لها عن الطلاق قال تعالى : « وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » البقرة ٢٤١ وقوله « ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقا على المحسنين » البقرة ٢٣٦ . .

٥- وجوب الحضانة لها إن كان لها أبناء وما يتبع ذلك من نفقات هؤلاء الأبناء وأجرة الحضانة والسكن ، قال تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والده بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك .. » البقرة ٢٣٣

٦- وجوب أجرة الرضاعة للمولود دون الحولين لقوله تعالى : « فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى .. » الطلاق ٦ وقوله « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف .. » البقرة ٢٣٣ .

فأين نجد مثل هذه التشريعات العادلة الرحيمة الفاضلة في غير التشريع الإسلامي الذي أعجز بجماله وعدله ورحمته وفضله وتكريمه للمرأة جميع التشريعات .

سابعاً : كفالة الله عز وجل :

تكفل الله تعالى - وهو الغني الحميد - لكلا الزوجين المستقيمين على شريعته إن تفرقا بعد كل المحاولات الشرعية للإصلاح واندساد جميع الأبواب إلا الطلاق أن يغني كلاً منها وأن يعوضه خيراً عما فاته فقال : «وان يتضرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيماً» النساء ١٣٠ إما إن كانا ظالمين أو كان أحدهما ظالماً فعلى الباغي تدور الدوائر ، لأن العلاقة الزوجية موثقة مؤكدة فلا يجوز الإخلال بها لغير عذر ولا يجوز التهوين من شأنها بغير سبب وكل أمر من شأنه أن يوهن من هذه الصلة ويضعف من شأنها فهو بغض إلى الإسلام لفوات المنافع وذهاب مصالح كل من الزوجين فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»^(١) وأي إنسان أراد أن يفسد ما بين الزوجين من علاقة فهو في نظر الإسلام خارج عنه ، وليس له شرف الانتساب إليه لقول الرسول e : «ليس منا من خيب امرأة على زوجها»^(٢) أي أفسدها ، وقد يحدث أن بعض النسوة تحاول أن تستأثر بالزوج وتحل محل زوجته ، والإسلام ينهى عن ذلك أشد النهي ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله e قال : «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها - تحظى بزوجها - ولتنكح فإنها لها ما قدر لها»^(٣) والزوجة التي تطلب الطلاق من غير سبب ولا مقتض حرام عليها رائحة الجنة فعن ثوبان أن رسول الله e قال : أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس حرام عليها رائحة الجنة»^(٤) وهذا وجه آخر من وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق حيث حمل كلاً من الزوجين مسؤوليته في هذا الخطر الجسيم .

(١) أخرجه أبو داود ٢١٧٨ . والصحيح أنه مرسل .

(٢) أبو داود ٢١٧٥ . بإسناد حسن

(٣) البخاري ٦٦٠١ .

(٤) مسند أحمد ٥/ ٢٧٧ . بإسناد حسن

الخاتمة

تبين لنا من فقرات هذا البحث جملة من وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق نجملها فيما يلي :

- ١ . أن الأصل هو استمرار الحياة الزوجية في جو من السكينة والمودة والرحمة والحفاظ عليها بكل الوسائل .
- ٢ . أن الأصل في الطلاق الحظر والمنع إلا للضرورة وتتنوع هذه الضرورة فتجعل الحكم يتفاوت بين الوجوب والتحريم والكرهية والندب والإباحة .
- ٣ . أن الفطرة والظروف تستدعي أن يكون إلى الفرقة سبيل وقاية من ضرر أكبر وخطر أعظم .
- ٤ . أن التشريع الإسلامي بتشريع الطلاق تميز على سائر التشريعات والبيئات بالوسطية والاعتدال والتكريم والمساواة .
- ٥ . أن التشريع الإسلامي سن من التدابير الواقية من الطلاق ما يحول دون وقوعه إلا في أضيق الحدود فتدابير قبل الزواج ، وتدابير أثناء الزواج ، وتدابير للحيلولة دون الوصول إلى باب الطلاق، وتدابير عند ضرورة إيقاع الطلاق وكل تدبير منها يحمل وجهاً من وجوه الإعجاز .
- ٦ . أن التشريع الإسلامي قيد الطلاق بقيود عديدة للحد من إيقاعه فجعل منه السني والبدعي والرجعي والبائن .
- ٧ . أن التشريع الإسلامي جعل الطلاق للرجال لحكمة واضحة وأعطى المرأة البديل في الخلع .
- ٨ . أن التشريع الإسلامي قيد الطلاق بألفاظ معينة وصيغ محددة حتى يفوت على المتلاعبين الأعييبهم

٩. أن التشريع الإسلامي أهتم بحقوق المرأة بعد الطلاق بما يكفل لها حياة كريمة وتعويضاً كافياً .
١٠. أن الله تعالى تكفل للمتقين المستقيمين من الأزواج ذكوراً وإناثاً بالخير والسعة وتوعد الظالمين بالعقاب الأليم وهكذا تعددت وجوه الإعجاز التشريعي في الطلاق بما يلجم الأفواه البغيضة والأفكار المسمومة ضد التشريع الإسلامي بعامة والطلاق بخاصة .
- والحمد لله رب العالمين ،،،،،

المراجع

- [١] القرآن الكريم .
- [٢] إنجيل متى ومرقص .
- [٣] الأحوال الشخصية للإمام محمد أبو زهرة .
- [٤] التلخيص الحبير لابن حجر .
- [٥] الدر المختار لابن عابدين .
- [٦] سنن أبي داود .
- [٧] سنن الترمذي .
- [٨] الشرح الكبير للدردير .
- [٩] صحيح البخاري .
- [١٠] صحيح ابن ماجه .
- [١١] فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر .
- [١٢] الفرقة بين الزوجين للشيخ على حسب الله .
- [١٣] فقه السنة للسيد سابق .
- [١٤] من فقه الأسرة في الإسلام . د. / محمد نبيل غنايم
- [١٥] مجلة الأحكام العدلية . على حيدر

- [١٦] مجمع الزوائد للهيثمى .
- [١٧] المسند للإمام أحمد بن حنبل .
- [١٨] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي
- [١٩] المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية
- [٢٠] المغني لابن قدامه .
- [٢١] مغني المحتاج للخطيب الشربيني .
- [٢٢] الموسوعة الفقهية وزارة الأوقاف - الكويت



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الإعجاز التشريعي في الحقوق الاقتصادية المشتركة بين الرجل والمرأة كدليل على تكريم المرأة

إعداد

دكتورة / شيرين فتحي عبد الحميد



تهييد

لما كان الدين الإسلامي دين عقيدة وشريعة ونظام مجتمع، يقوم على سلسلة من الشرائع والأحكام التي تنظم حياة المسلم في علاقته بربه وبنفسه وبأخيه الإنسان، فإن القرآن الكريم - وهو دستور المسلمين - يخاطب النساء كما يخاطب الرجال، حتى شملت أحكامه الجنسين معاً.

ولأن المرأة في نظر الشرع الإسلامي إنسان مكلف يتمتع بكامل الأهلية، فهي تمثل نصف المجتمع البشري، ولا بد لهذا النصف إلا أن يشارك نصفه الثاني، ليساهم النصفان معاً في بناء المجتمع الجديد، الذي بنى أساسه على قواعد ثابتة من الحرية والعدالة والمساواة من غير محاباة جنس على حساب جنس آخر.

هذا يعنى في عرف التشريع الإسلامي أن المرأة صنو الرجل في إنسانيته، لها ما له، وعليها ما عليه من الحقوق والواجبات مراعيًا في ذلك طبيعة كل منهما وإمكاناته.

من هذا المنطلق نجد هناك حقوقاً خص الإسلام بها المرأة فيما يتعلق بجميع مراحل الحياة الزوجية، وحقوقاً أخرى يشترك فيها الرجال والنساء.

أما عن الحقوق التي خص بها الإسلام المرأة فيما يتعلق بجميع مراحل الحياة الزوجية فهي:

١- حق المرأة في المهر عند الزواج.

٢- حق المرأة في النفقة بموجب الزوجية.

٣- حق المرأة في أجره الرضاع.

٤- حق المرأة في أجره الحضانة.

٥- حق المرأة في المتعة.

وأما عن الحقوق الاقتصادية المشتركة بين الرجل والمرأة فهي:

- ١- حق المرأة في التصرفات المالية.
- ٢- حق المرأة في النفقة بموجب درجة القرابة.
- ٣- حق المرأة في الميراث.
- ٤- حق المرأة في العمل والكسب واستقلالها الاقتصادي.
- ٥- حق المرأة في التعليم والتعلم.

وسوف نخص بالدراسة والتفصيل في هذا البحث حق المرأة في الميراث، وحالات ميراث المرأة في الشريعة الإسلامية، ثم نعقد مقارنة سريعة بين ما أعطى الإسلام للمرأة من حقوق، وما استطاعت الجهود البشرية المبذولة أن تقدمه لها، وعلى رأسها اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة CEDAW حيث تعتبر بياناً عالمياً بحقوق المرأة الإنسانية.

أولاً: حق المرأة في الميراث

لقد ظل وضع المرأة على حال من الحرمان حتى جاء الإسلام وغير نظرتة إلى الإنسان، وفك الحصار المفروض على المرأة، وكسر طوق الحرمان، وقرر حقها في الميراث من والديها وأقربائها، ولم يعد قرار انتقال الملكية بعد الوفاة مرهوناً برغبة الأب أو زعيم الأسرة حيث يورث من يشاء ويحرم من يشاء!

وإنما أصبح الإسلام نظاماً تشريعياً اجتماعياً بقانون إلهي يعتمد أساساً على صلة القرابة من الميت سواء من الذكور أو الإناث، ضعفاء وأقوياء، كبار وصغار، حتى الأجنة في بطون أمهاتهم نصيبهم كاملاً عند الولادة (٤).

وجاءت الآية الكريمة تقرر حق المرأة والرجل في الميراث على السواء. قال تعالى:

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء/ ٧].

نزلت هذه الآية لتقرر حق المرأة في كل تركة يتركها الوالدان والأقربون، سواء كانت قليلة أو كثيرة.. وأصبح هذا الحق طبع بطابع الوحي الرباني الذي لا قبل لأحد بنسخه أو تعديله أو تغيير شيء من أحكامه.

وبهذا يكون الشرع الإسلامي «هو أول تشريع في العالم كله تناول بالتفصيل حق المرأة في تركة الميت لا يأكل منها شيئاً إلا (كل باغ أثيم).

ثانياً: حالات ميراث المرأة في الشريعة الإسلامية

لعل من أبرز الانتقادات التقليدية التي مازالت تتكرر في مجال الحديث عن المساواة بين الرجل والمرأة وضرورتها، هي الوقوف عند قول الله تعالى في سورة النساء: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (النساء/ ١١).

واعتبارها وثيقة إدانة للشريعة الإسلامية الغراء، واتهامها بتهمه التمييز ضد المرأة، في أهم ما يجب أن تحصل عليه من حقوق، ألا وهو حق الميراث.

ويؤخذ على ذلك أنه مهما تبين الظلم البين في هذا الانتقاد، والظلم الأكبر في فهم المعنى الحقيقي لهذه الآية من كتاب الله الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ..﴾ (فصلت/ ٤٢) ومهما ظهر تجاهلهم للمعنى العلمي السليم لكلمة المساواة المنشودة، فإنهم لا يزالون يرددون هذه الاتهامات بشكل تقليدي مجرد دون أي نظر إلى ما قد قيل ويقال في الرد عن هذه الشبهة.

هؤلاء المتحاملون على الشرع الإسلامي يأخذون من قاعدة التصنيف هذه في الميراث المنصوص عليها في القرآن الكريم حجة على أنها تمثل «صورة غير مقبولة!» وغير مشرفة للمرأة وأنها مظهر من مظاهر عبوديتها وقهرها في تراثها وفي مجتمعها وفي مستقبلها(٥).

ومما يؤكد الظلم البين الذي يرتكبه أصحاب هذا الانتقاد أنهم يفهمون قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ قانوناً عاماً يسرى في جميع أحكام الميراث. بل أن كلمة ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ أصبحت دستوراً اجتماعياً مطلقاً تفرضه الشريعة في سائر

الأحوال والقضايا والمشكلات في حين أن الآية رسمت هذا الحكم في ميراث الأولاد دون غيرهم..ولباقي الورثة - ذكوراً وإناثاً - أحكامهم الخاصة بهم، والأعجب أن نصيب الذكور والإناث واحد في أكثر هذه الأحكام، بل قد يفوق نصيب الإناث نصيب الذكور في بعض الأحيان(٩).

من هنا كان من الضروري بيان حالات ميراث المرأة في التشريع الإسلامي لكي يتضح أن نصيب المرأة في الميراث وضع على قاعدة محكمة تحقق لها الكفاية والحياة الكريمة وليس كما هو معلوم عند العامة من الناس أنها على النصف من الرجل فهذه القاعدة ليست مضطربة وإنما هي حسب النظام الإلهي لحكمة بالغة يعلمها علام الغيوب ونعلم منها بقدر ما توصلنا إليه من دراسات في هذا العلم.

فإذا كانت حكمة التشريع الإسلامي في هذا التفاوت المذكور بين أنصبة الوارثين والوارثات قد غفل عنها الكثيرون ممن يحسبون أن هذا التفاوت الجزئي ينتقص من أهلية المرأة في الإسلام، وكما يزعم العلمانيون جعل منها نصف إنسان!

فإن استقراء حالات ومسائل الميراث - المنصوص عليها في علم الفرائض (الموارث) تكشف عن حقيقة مذهلة غفل عنها أصحاب هذه الأفكار وهي:

- ١- إن هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل.
 - ٢- إن هناك أضعاف هذه الحالات الأربعة التي ترث فيها المرأة مثل الرجل تماماً.
 - ٣- إن هناك عشر حالات أو أكثر ترث فيها المرأة أكثر من الرجل.
 - ٤- إن هناك حالات تنفرد فيها المرأة بالميراث ولا يرث نظيرها من الرجال.
- أي أنه بمقارنة بسيطة نجد أن هناك أكثر من ثلاثين حالة ترث فيها مثل الرجل، أو أكثر منه، أو تنفرد هي بالميراث دون نظيرها من الرجال، كل هذا في مقابل أربع حالات محددة ترث فيها المرأة نصف الرجل!!(٦).

وإليك هذه الأمثلة :

١. الحالات التي ترث فيها المرأة نصف الرجل (وهي أربع حالات فقط) نذكر منها

المثال التالي :

* عند وجود أولاد للمتوفى ذكور وإناث، تأخذ البنت نصف ما يأخذه أخوها.
فإذا مات أب أو أم وتركا:

تقسم التركة أثلاثاً	ابن	بنت
	٢	١

٢. الحالات التي ترث فيها المرأة مثل الرجل :

هناك حالات عديدة للمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث نذكر منها المثال التالي:
* حالة من توفي وترك أمًا وأبًا وابنا:

ففي هذه الحالة يرث كل منهم السدس بالتساوي (١٠) ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (النساء / ١١).

ابن	أم	أب
الباقي تعصياً	١ / ٦	١ / ٦

فقد ورثت الأم كما ورث الأب، وتساوى هنا الذكر والأنثى، دون وجود أي سلطان للدستور الوهمي المطلق ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى﴾.

٣. الحالات التي ترث فيها المرأة أكثر من الرجل :

* من الأمثلة المشهورة أنه إذا توفيت المرأة وتركت زوجاً وبنثاً، فإن البنت ترث النصف والدها - أي زوج المتوفاة - يرث الربع أي أن الأنثى هنا ترث ضعف الذكر.

* كذلك إذا توفي رجل وترك زوجة وابنتين وأخاً له، فإن الزوجة ترث الثمن، والابنتان الثلثان وما بقي فهو لعمهما، وهو شقيق الميت، وبذلك ترث كل من البنتين أكثر من عمهما، إذ أن نصيب كل منهما يساوي بينما نصيب عمهما (٩).

٢٤	أخ شقيق	ابنتان	زوجة
	الباقي تعصياً	٢/٣	١/٨
	٥	١٦	٣

٤- الحالات التي ترث فيها المرأة ولا يرث نظيرها من الرجال، كما في المثال التالي:

	زوج	أب	أم	بنت	بنت ابن
١	١/٤	١/٦ + الباقي تعصياً	١/٦	١/٢	١/٦
٢				تكملة الثلثين	
١٥ =	٣	٢	٢	٦	٢

	زوج	أب	أم	بنت	ابن ابن
١	١/٤	١/٦	١/٦	١/٢	الباقي تعصياً
٢					
١٣ =	٣	٢	٢	٦	-

هنا أخذت بنت الابن نصيبها من الميراث ولم يأخذ ابن الابن شيئاً، فأيهما أحظى في هذه الحالة؟ هذا هو وضع المرأة في ظل التشريع الإسلامي بعد أن كانت محرومة من أبسط حقوقها في الوجود وكانت كالماتع تورث للغير فجاء الإسلام ليكرمها أرقى آيات التكريم.

ثالثاً: مقارنة بين ما أعطى الإسلام للمرأة من حقوق وما استطاعت الجهود البشرية المبذولة أن تقدمها لها

إن اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو- CEDAW) تعتبر من أهم الجهود البشرية المبذولة في مجال حقوق المرأة، وهي بمثابة بياناً عالمياً بحقوق المرأة الإنسانية، تدعو إلى المساواة في الحقوق بين المرأة والرجل، بغض النظر عن حالتها الزوجية، في جميع الميادين: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية.

تتألف هذه الاتفاقية من مقدمة وثلاثين مادة، وقد فتح باب التوقيع عليها من قبل الدول في أول مارس ١٩٨٠م، وأصبحت سارية المفعول ابتداء من ٣ سبتمبر ١٩٨١م. وحتى ٣١ مايو سنة ١٩٨٧م كان ٩٣ بلداً قد وافق على الالتزام بأحكامها.

وسوف ينحصر هذا البحث في بيان بعض بنود هذه الاتفاقية ونبين كيف أن الإسلام كان له السبق في تقرير حقوق المرأة في كافة المجالات (٧).

المادة (١) عرّفت هذه المادة التمييز على أنه (أية تفرقة أو استبعاد أو تقييد يتم على أساس الجنس ويكون من آثاره أو أغراضه النيل من الاعتراف للمرأة - على أساس تساوى الرجل والمرأة - بحقوق الإنسان، والحريات الأساسية في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية، أو في أي ميدان آخر، أو إبطال الاعتراف للمرأة بهذه الحقوق أو تمتعها بها وممارستها لها بغض النظر عن حالتها الزوجية).

الملاحظات: يلاحظ على هذه المادة أن (التمييز) مصطلح قانوني له تداعياته وآثاره الاجتماعية، وإن كان لفظ Discrimination يعبر عن الظلم والإجحاف أكثر مما يعبر عن التفرقة والاختلاف.

وليست كل تفرقة ظلماً، بل إن العدل - كل العدل - يكون في التفرقة بين المختلفين، كما أن الظلم - كل الظلم - في المساواة بين المختلفين والتفرقة بين المتماثلين، فالمساواة ليست بعدل إذا قضت بمساواة الناس في الحقوق على تفاوت واجباتهم وكفائاتهم وأعمالهم.

فهذه المادة تنص على التماثل والتطابق التام بين الرجل والمرأة، وهي مخالفة لحقائق كونية وشرعية في آن واحد، فالله لم يخلق زوجاً واحداً، بل زوجين: ذكراً وأنثى، وهي حقيقة

كونية أكدت عليها الشريعة الإسلامية، إذ قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ...﴾ (الذاريات/٤٩). وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ (آل عمران/٣٦).

لذلك كانت وحدة الأصل والخلقة أساساً في وحدة الحقوق والواجبات، ووحدة المسؤولية والجزاء لكل بما عمل في الدنيا والآخرة. وقد وردت في ذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ (آل عمران/١٩٥).

كما بين النبي خ الأصل العام الذي ينبغي أن تصدر عنه هذه القضية في الحديث الذي رواه السيدة عائشة ل قالت: قال رسول الله خ: «إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ». وفي رواية: «إِنَّهَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ» (١)، (٢)، (٣). بأسلوب الحصر.

إذن فالأصل هو وحدة البشر، والأصل هو المساواة بين المرأة والرجل، ومع ذلك فإن تحقيق إرادة الله في الكون اقتضى أن تختلف الأدوار ويتفاوت توزيع الأعباء بين الرجل والمرأة، ومن ثم كان بينهما من الفروق الخلقية ما يتناسب مع الدور الذي أعد كل منهما للقيام به، والأعباء التي خلقت ليتحملها لتحقيق عمارة الأرض واستثمارها (٤).

إذن فإن مقولة (المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء) هي خدعة كبيرة للمرأة، بل إنه من المكابرة ما يحاوله البعض من إلغاء جميع الفوارق الطبيعية والاجتماعية بين الرجل والمرأة وجعلها متساويين في كل شيء.

إذن فقد سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية في تقرير المساواة بين الذكر والأنثى بأربعة عشر قرناً ولم تأت القوانين الوضعية بجديد حين قررت المساواة وإنما سارت في أثر الشريعة واهتدت بها.

المادة (٦) (تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة، بما في ذلك التشريع، لمكافحة جميع أشكال الاتجار بالمرأة واستغلال دعارة المرأة).

الملاحظات: هذه المادة رغم حرصها على صيانة المرأة، إلا أن الشريعة الإسلامية قد تجاوزت الاتفاقية فيما يتعلق بالعمل على منع الاستغلال الجسدي للمرأة، بل عملت على منع استغلال أئوثة الأنثى في وسائل الإعلام وامتثالها للمرأة.

وتحقيقاً لهذا الهدف عملت الشريعة على توفير سبل العيش الكريم للمرأة إلى حد إلزام أدنى أقاربها بالإنفاق عليها إذا لم يكن لها مال أو عمل.

المادة (١٠) (تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة لكي تكفل للمرأة حقوقاً مساوية لحقوق الرجل في ميدان التعليم).

الملاحظات: كما يتضح فإن هذه المادة تنص على حق التعليم، إلا أن مبادئ الإسلام العام وقواعده الكلية لا تراه مجرد (حق) بل هو (واجب) أيضاً، وشتان بين الأمرين: فالحق هو إمكانية أو ميزة، يمكن لصاحبها التخلي عنها طواعيةً واختياراً إن شاء. أما الواجب فهو التزام ينبغى عليه القيام به، كما في ميدان العلم والتعليم.

فقد فرض الله طلب العلم على كل مسلم بما تستقيم به دنياه، وتصلح به آخرته، وحكم المسلمة في ذلك حكم المسلم، فكان خطاب المولى سبحانه في جميع النصوص موجهاً للمؤمنين عامة رجالاً ونساءً، لا للرجال فحسب قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة/ ١١).

وقد روى عن أنس بن مالك ط عن النبي خ أنه قال: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**» (٢). ولفظ (المسلم) يراد به كل من اتصف بالإسلام رجلاً كان أو امرأة.

المادة (١١)

- (تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير للقضاء على التمييز ضد المرأة في ميدان العمل لكي تكفل لها نفس الحقوق على أساس تساوى الرجل والمرأة).

- (كما تتخذ الدول الأطراف التدابير المناسبة لمنع التمييز ضد المرأة بسبب الزواج أو الأمومة وضمنان حقها الفعلي في العمل).

الملاحظات: تنزلت آيات القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً تحدد مشروعية عمل المرأة وكسبها واستقلالها المالي والمساواة الاقتصادية بينها وبين الرجل.

قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَإِلِلِّنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا﴾ (النساء/ ٣٢)

إذن فمن وجهة نظر الشريعة الإسلامية فإن عمل المرأة مباح كما هو مباح للرجل، ولكن

يختلف من امرأة إلى أخرى حسب ضرورتها أو ضرورة العمل لها واحتياجها له، ونوع العمل، والظروف المحيطة به، ومدى تعارضه مع مصلحة الأسرة.

وحيث إنه توجد بعض الأعمال التي لا تتفق بطبيعتها مع احتمال المرأة ولا تلائم تكوينها كأثني، فإن الشريعة الإسلامية لم تتناول تشريعاً يختص «بعمل المرأة» عامة والأجر الذي تتقاضاه عن عملها إذا عملت، ولكنها لم تغفل حرية المرأة في ممارسة العمل أو المهنة التي تراها، بل إنها لم توجد أية قيود على أهلية المرأة في إبرام عقد العمل، فالمساواة بين الرجل والمرأة، زوجة كانت أو غير زوجة، تامة من حيث الأهلية في التعاقد على العمل أو الاستخدام من صاحب العمل.

المادة (١٣) (تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في المجالات الأخرى للحياة الاقتصادية والاجتماعية لكي تكفل لها - على أساس تساوي الرجل والمرأة - نفس الحقوق، ولاسيما: «الحق في الاستحقاقات الأسرية»).

الملاحظات: سوف نخص بالتعليق على الجانب الاقتصادي من هذه المادة وبالتحديد البند الخاص بالاستحقاقات الأسرية، وهو ما يشمل قضية الميراث التي تعرضنا لها في بداية البحث وما يثار حول الشريعة الإسلامية من أنها تعطي الرجل في بعض الأحوال ضعف المرأة وهو ما يدل على دونية المرأة.

والباحث المنصف في أحكام وقواعد الميراث يتبين له أن أنصبة الميراث لا يتحكم في توزيعها بين المستحقين عامل الذكورة والأنوثة وإنما ثلاثة عوامل:

١- درجة القرابة بين الوارث - ذكراً كان أو أنثى - وبين المورث.

٢- موقع الجيل الوارث من التتابع الزمني للأجيال.

٣- العبد المالي الذي يوجبه الشرع على الرجل دون المرأة.

فالإسلام يلزم الرجل بالإنفاق على المرأة: زوجة ويلزمه بالإنفاق عليها أمماً وبتناً وأختاً عند حاجتهن، ولا يلزم الزوجة بالإنفاق على نفسها أو أسرتها، ولو كانت غنية، فجميع ما تملك لها وحدها، وهي غير مكلفة بالإنفاق على أحد.

وبإلقاء نظرة سريعة على وجوه وجوب الإنفاق المكلف بها الرجل شرعاً مقابل هذا السهم الزائد في الميراث يمكن إدراك أن المرأة هي الرابحة مادياً لأن الرجل مطلوب منه:

١- أن يتكفل أمه وأباه، وأخته وأخاه، وأقاربه الأدنى فالأدنى إن كانوا معسرين والمرأة معفاة من ذلك.

٢- أن يعول زوجته وأولاده ويؤمن لهم المسكن والمأكل والمشرب والملبس وسائر تكاليف الحياة المعيشية من تطيب وتعليم وترفيه، والمرأة معفاة من ذلك.

٣- أن يؤمن نفقة الزوجة إذا ما طلقت حتى تنتهي مدة عدتها، وقد تمتد نفقة إذا ما كانت حاملاً إلى أن تضع حملها. كما يطلب من الرجل أن يؤمن أجره الرضاعة إذا امتنعت الأم عن إرضاع رضيعها، والمرأة معفاة من ذلك.

٤- أن يقدم المهر لعروسه قل أو كثر ولا تتكلف المرأة شيئاً.

إذن يمكن القول أن الشرع الإسلامي إذ قرر للمرأة حقها في الإرث منذ ١٤٠٠ سنة ونيف قد خطا خطوة كبيرة في مجال القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة ومنحها من الحقوق المالية أكثر بكثير مما تطمح إليه (المرأة العالمية) اليوم في تحقيق ما تصبو إليه في مجال المساواة في الحقوق المالية والاقتصادية والأسرية، وأن ما ترثه المرأة المسلمة تدخره لتنفق على نفسها في حالة عدم زواجها أو في حالة وفاة الزوج، إذا لم يترك لها ما يكفيها، فيكون المال الذي ورثته بمثابة مال احتياطي تنفقه عند الضرورة على نفسها أو على أسرتها (٨).

خلاصة القول: أن الرجل والمرأة متعاكسان في الملك والمصرف، فليس هناك من غبن أو ظلم في قضية الميراث عند المسلمين بتطبيق قاعدة التنصيف.

ونختتم بحثنا هذا بعمل مقارنة سريعة وبسيطة بين ما يمكن أن تملكه النساء المسلمات عن طريق الإرث، وما يمكن أن تحصل عليه النساء غير المسلمات في العالم من أموال، معتمدين في ذلك على ما جاء في تقرير برنامج خطة العمل العالمية للنصف الثاني من عقد الأمم المتحدة للمرأة العالمية عام ١٩٨٠م **يقول التقرير:**

«فيينا تمثل المرأة ٥٠٪ من سكان العالم الراشدين وثلاث قوة العمل الرسمية فإنها تعمل تقريباً ثلثي ساعات العمل ولا تتلقى إلا عشر الدخل العالمي، وتمتلك أقل من واحد بالمائة من الممتلكات في العالم» (١١)، بينا مقدار أو نسبة ما تملكه المرأة المسلمة عن طريق الإرث

يمثل ٣٣, ٣٣٪ رغم قاعدة التصنيف.

ثم يورد في التقرير:

«إن هذه النسب والتحليلات الاقتصادية تظهر بشكل كاف القهر والاستغلال والاضطهاد والسيطرة من جانب الرجل للمرأة التي لا يقتصر التمييز الممارس ضدها على النظم الإنتاجية، بل تخضع للتمييز بحكم كونها قوة الإنجاب فقط».

إذن فالدعوة إلى تغيير «قاعدة التصنيف» في قضية الإرث دعوة لا يمكن أن تعطى ثماراً مقنعة للداعين لها. هذا فضلاً عن أنها حكم شرعي إلهي لا يقبل التعديل ولا التبديل، ومن أعلم بمصلحة الخلق إلا الخالق سبحانه؟!!

أما المواثيق الدولية والاتفاقات الوضعية التي تصدر عن البشر وتطالب بها جمعية الأمم المتحدة يمكن أن تتبدل وتتغير مع أهواء واضعيتها إذا ما تعارضت مع مصالحهم.

لذا فإننا نوصي في ختام هذا البحث بالتمسك بأحكام الشريعة الإسلامية الغراء، ونحذر بما حذر الله تعالى منه من استبدال هذه الأحكام الشرعية بأخرى وضعية تتبدل مع أهواء واضعيتها من الرجال ومصالحهم كلما دعت الحاجة إلى ذلك، فنكون - إن فعلنا ذلك - قد ضللنا ضلالاً كبيراً كما ورد في نص الآية الكريمة:

﴿ أَغْيِرَ اللَّهُ أٰبْنَعِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِن تُطَعْ أَكْثَرُ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام/ ١١٤ - ١١٦).

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* كتب الحديث الشريف:

(١) أبي داود بن سليمان بن الأشعث الجسستاني (ت ٢٧٥هـ): سنن أبي داود. دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت. دار

الجنان للطباعة والنشر والتوزيع. مؤسسة الكتب الثقافية. الطبعة الأولى. ١٤٠٩هـ - ١٩٩٨م.

كتاب الطهارة، باب الرجل يجد البلة في منامه، ج ١، ص ٢٩٩.

- (٢) أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ). سنن ابن ماجة. دار الحديث. ١٩٩٨م. مصر.
 كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. ج ١، ص ٤٤.
 (٣) محمد ناصر الدين الألباني. صحيح سنن الترمذي (باختصار السنة). الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
 الرياض. الطبعة الأولى. ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
 كتاب الطهارة عن رسول الله خ، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللا: ج ١، ص ١٨٩.

كتب معاصرة:

- (٤) أمينة فنتت مسيكة بر. واقع المرأة الحضاري في ظل الإسلام/ منذ البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الراشدية. الشركة العالمية للكتاب. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. ١٩٩٦م. ص ٢٨، ص ٢٩٩.
 (٥) خليل أحمد خليل. المرأة العربية وقضايا التغيير. ص ٥٣.
 (٦) صلاح الدين سلطان. ميراث المرأة وقضية المساواة. سلسلة التنوير الإسلامي. دار النهضة. مصر. طبعة أولى. ١٩٩٩م. ص ١٠-٤٦.
 (٧) اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل (CEDAW). رؤية نقدية لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة. المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة. الأمانة العامة. ٢٠٠٠م. إعداد لجنة الصياغة المنبثقة عن الاجتماع العام لمناقشة الاتفاقية: الأستاذ الدكتور/ جمال الدين عطية، الأستاذ الدكتور/ محمد كمال الدين إمام، الأستاذ الدكتور/ سعاد صالح، دكتور/ فتحى لاشين، الشيخ/ جمال قطب، الأستاذ/ عمرو عبد الكريم سعداوى، ص ٢٣.
 (٨) محمد رشيد رضا. حقوق النساء في الإسلام/ نداء للجنس اللطيف. مكتبة التراث الإسلامي. القاهرة. ١٩٨٨م. ص ١٣.
 (٩) محمد سعيد رمضان البوطي. المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني. الطبعة الأولى. دار الفكر المعاصر. بيروت. لبنان. دار الفكر. دمشق- سوريا. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. ص ١٠٦، ١٠٧.
 (١٠) وهبة الزحيلي، محمد رأفت عثمان، رمضان على الشربناصي. فقه المواريث في الشريعة الإسلامية. ص ١٢٦.
 (١١) منشورات الأمم المتحدة:

A Conf. 94/CW/CRP1/Add.1.24 July 1980



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الإعجاز في أحاديث الخمر

دكتور / محمد علي البار



ملخص الإعجاز العلمي في أحاديث منع التداوي بالخمر

لقد كان الأطباء يزعمون في الأزمنة الغابرة وعلى زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبعده، وحتى عهد قريب أن الخمر دواء وأن شربها باعتدال معين على الصحة. وسندهل للمفارقات العجيبة

فارسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إنها داء وإنما ليست بشفاء) .

والأطباء يصرون في زمنه والأزمنة التي قبله والتي بعده أنها دواء! حتى جاء الطب في العصر الحديث وأبان زيف ما كان الأطباء يقولونه؛ إن في الخمر منافع شتى وعديدة للبدن وإنما تهضم الطعام وتشحذ الأذهان وتصفى الكبد وإنما معين عظيم على الصحة!!

الأحاديث الشريفة في منع التداوي بالخمر :

١ . (عن وائل بن حُجر أن طارق بن سُويد الخضري سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخمر يجعل في الدواء فقال - صلى الله عليه وسلم (إنها داء وليست دواء) أخرجه مسلم وغيره

٢ . عن طارق بن سويد قال : يا رسول الله إن بأرضنا أعنابا نعصرها فنشرب قال: لا فراجعته قلت: إنا نستشفى للمريض. قال: إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء). أخرجه مسلم وابن حبان في صحيحه.

٣. جاء ديلم الحميري مع وفد اليمن وسأل النبي - صلى الله عليه وسلم (إنا بأرض باردة نعالج فيها عملاً شديداً، وإنا نتخذ شراباً من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وبرد بلادنا؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: هل يسكر؟ قال: نعم، قال: فاجتنبوه. قال: إن الناس غير تاركيه. قال: فإن لم يتركوه فقاتلوهم) رواه أبو داود

ولا تزال الخمر تشرب حتى اليوم بناء على وهم أنها تدفع الإنسان من البرد. وهي توسع الأوعية الدموية تحت الجلد فيشعر بالدفء ويفقد حرارة جسمه، كما أنها تمنع المناطق المخية المسؤولة عن تنظيم حرارة الجسم فيما يسمى تحت المهاد (Hypothalamus) فيؤدي ذلك إلى فقدان حرارة الجسم... ومن المأسى التي تحدث كل عام في أعياد الميلاد ورأس السنة أن يتوفى المئات في روسيا والولايات المتحدة وأوروبا من فقدان حرارة أجسامهم بعد شرب الخمر والانغماس فيها، والبقاء في الحدائق والأماكن المفتوحة فيموتون من البرد وهو يتمتعون بالدفء الكاذب وقد نشرت المجلة الطبية لأمریکا الشمالية (Medical clinics of North America) عدد يناير ١٩٨٤م أن شرب الخمر هو أهم سبب لحدوث الوفيات الناتجة عن انخفاض درجة حرارة جسم الإنسان.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم**).
أخرجه البخاري

وقال الله تعالى: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا**) البقرة ٢١٩

وقد اتفق أهل التفسير في معنى الإثم الكبير أنه في الدين، وفي ضياع العقل بشرب الخمر، وما يحدث في شربها من النزاع والخصام، وحدوث الجرائم وارتكاب الموبقات. والخمر أم الخبائث كما قال - صلى الله عليه وسلم - وجماع الإثم.

قال ابن كثير: (وأما المنافع الدنيوية من حيث إن فيها نفع البدن، وتهضم الطعام وإخراج الفضلات، وتشحيد بعض الأذهان، ولذة الشدة المطربة). ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين، ولهذا قال الله تعالى: (**وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا**)

إن الخمر لا تقوي الضعيف عكس ما زعمه الأقدمون بل تزيده ضعفًا وهزالاً، ولا تهضم الطعام بل تسبب التهاب الجهاز الهضمي ابتداءً من الفم وانتهاءً بالأعضاء مروراً بالبلعوم والمريء والمعدة والبنكرياس والكبد. ولا تعين على الباه بل تفقد المرء عقله، فيقدم على الجرائم الجنسية ويعتدي على أمه وأخته، ونصف جرائم الاغتصاب على الأقل في العالم تقع تحت تأثير الخمر، وهي لا تسلي المحزون إذ إن تسليتها إذا حدثت وقتية سريعة الزوال وتعقبها الحسرات وتكثر المعارك والعداوات والبغضاء بين من يشربونها. وأما تشجيعها الجبان فهو ناتج عن فقدان العقل وحدوث التهور، وتقول الإحصائيات الحديثة إن ٨٦ بالمئة من جرائم القتل تمت تحت تأثير الخمر فأبي شجاعة هذه؟؟ وإن ما لا يقل عن ٥٠ بالمئة من حوادث المرور ناتجة عن شربها.

وأما تصنيفاتها اللون فهو ما يحدث من الحمرة في وجه شارب الخمر وذلك بسبب تمدد الأوعية الدموية تحت الجلد، وبسبب إصابة الكبد وتليفها، فيحدث ذلك الاحتقان، وهو علامة المرض لا علامة الصحة.

المنظمات الصحية العالمية والأبحاث العلمية تحذر من مخاطر شرب الخمر:

يقول تقرير منظمة الصحة العالمية رقم ٦٥٠ لعام ١٩٨٠م عن الكحول ومشكلاتها (إن شرب الخمر يؤثر على الصحة ويؤدي إلى مشكلات تفوق المشكلات الناتجة عن الأفيون ومشتقاته)

ويقول تقرير الكلية الملكية للأطباء النفسيين بالمملكة المتحدة (١٩٨٦م) عن مشكلة تعاطي الخمر: (إن الكحول مادة تسبب تحطيم الصحة بما لا يقاس معها الخطر على الصحة الذي تسببه المخدرات مجتمعة. وإن معظم المخاطر على الصحة العامة من العدد الكبير الذي يتناول كميات معتدلة من الكحول). ويؤكد هذا المعنى تقرير الكلية الملكية للأطباء بالمملكة المتحدة والصادر عام ١٩٨٧م وعنوانه: (العواقب والمخاطر الصحية لتعاطي الكحول وباء خطير وشر مستطير)

حيث يقول: إن المخاطر الصحية المتعلقة بتعاطي الكحول ليست ناتجة بالدرجة الأولى من العدد القليل الذي يتناول كميات كبيرة من الكحول، ولكن الخطر الأعظم على الصحة العامة هو من العدد القليل الذي يتناول كميات كبيرة من الكحول باعتدال وانتظام. إن تعاطي ٦٠ جراماً من الكحول يومياً يؤدي إلى زيادة كبيرة في حدوث ضغط الدم والسكتات الدماغية (Stroke)، وأمراض الكبد، والعقم، وضعف الباءة، وأمراض الجهاز العصبي أما بالنسبة للمرأة فإن نصف هذه الكمية كفيلة بإحداث هذه الأمراض الوبيلة) ويذكر كتاب (ألف باء الكحول) الصادر عن المجلة الطبية البريطانية الشهيرة (BMJ) عام ١٩٨٨م:

(أن ما بين خمسٍ وثلث جميع الحالات التي أدخلت إلى الأقسام الباطنية في بريطانيا كانت بسبب الكحول. وفي إنجلترا وحدها دون ويلز واسكتلندا وإيرلندا الشمالية) يدخل إلى الأقسام الباطنية كل عام ما بين ثلاثمائة ألف ونصف مليون شخص بسبب أمراض متعلقة بتعاطي الخمر. وفي السويد أثبتت دراسة مالمو أن ٢٩٪ من جميع أيام دخول المستشفيات في السويد كانت بسبب تعاطي الخمر). ويقول الدكتور برنت في كتاب (مواضيع في العلاج) (إصدار الكلية الملكية للأطباء بلندن عام ١٩٧٨م)

(لم يكتشف الإنسان شيئاً شبيهاً بالخمر في كونها باعثة على السرور الوقتي وفي نفس الوقت ليس لها نظير في تحطيم حياته وصحته، ولا يوجد لها مثل في كونها مادة للإدمان وسماً ناقعاً، وشرّاً اجتماعياً خطيراً) وقد أثبتت الدراسات الحديثة في بريطانيا والولايات المتحدة وأوروبا أن ٤٠٪ من نزلاء المستشفيات العامة يعانون من مشكلات متعلقة بالخمر، وأن ما بين ثلث ونصف نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية في الأمريكيتين وأوروبا يعانون من مشكلات متعلقة بالخمر، وأن سبب دخولهم إليها هو تعاطيهم الكحول بكثافة. ويذكر تقرير منظمة الصحة العالمية في الاجتماع الثالث والستين لعام ١٩٧٩م (الدورة ٣٢) أن تعاطي الخمر هي إحدى المشكلات الصحية الكبرى في العالم، وأن الاستمرار في تعاطيها يعيق التقدم الصحي والاجتماعي والاقتصادي في معظم المجتمعات بل وتشكل

عائماً كبيراً في المجال الصحي، وتعتبر أحد العوامل الهامة جداً التي تؤدي إلى تحطيم الصحة العامة والتي لا يوجد حل لها.

وتقول مجلة اللانست (lancet) الطبية، المقال الافتتاحي (العدد الثاني لعام ١٩٨٧ م) إن على الأطباء تبليغ رسالة واحدة للناس وهي: **أن الخمر ضارة بالصحة، وتؤدي إلى حدوث الذبحات الصدرية وجلطات القلب واضطراب نظمية القلب وموت الفجأة.**

وقد ثبت علمياً تأثير الخمر الضار على وظائف أعضاء الجسم المختلفة ابتداء من الجهاز الهضمي والجهاز الدوري والتنفسي والجهاز البولي والغدد الصماء والكفاءة الجنسية والتمثيل الغذائي داخل الجسم وقد بينا ذلك بالدليل العلمي القاطع في ثنايا البحث مما يؤكد كلام النبي صلى الله عليه وسلم أن الخمر داء وليست بدواء كما زعم الأطباء.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الإعجاز التشريعي في تحريم الربا

دكتورة / كوثر عبدالفتاح الأبيجي



مقدمة

من الله تعالى على البشرية بالرسالة التي أتى بها خير البشر للبشر فكانت خير هدى للناس تناولت العقيدة السوية والتشريع الحكيم الذي تناول كل ما يصلح حياة الأمة وبيعت فيها الحياة والنهضة والترقي والعزة ، تهدي من اتبعها الى صراط مستقيم ويهلك من تركها في ظلمات الضلال ، ولذلك كان الهدي القرآني هو المنارة التي يجب أن تضيء حياة الأمة بتشريعاتها وحقا على أبنائها أن يتدارسوا هذا الهدي بالاستنباط العلمي ليضعوا أساسه ومنهجه أمام العالم نبراسا تهتدي به البشرية دوما إلى يوم القيامة .

ويتناول هذا البحث وجه جديد من أوجه اعجاز التشريع الإسلامي الحنيف وهو تحريم الربا الذي ورد في خمسة مواضع من سور القرآن الكريم ، تناولت فيها تحريم الربا بتهديدات شديدة للمجتمع المسلم إن لم ينتهي عن التعامل بالربا " فإن لم تنتهوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله " وهو ما لم يذكر في أي كبيرة أخرى حتى الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وهما أشد الكبائر . كما تناولت الأحاديث الشريفة تحريم الربا وتفضيحه ، وهو ما يؤكد أهمية إلقاء الضوء على أسباب التحريم القاطعة وتأثير الربا من خلال المنهج العلمي ، ومن خلال نتائجه وأثره السلبي على المال ، والاقتصاد ، والتي تمثل إعجازا تشريعا للمجتمعات البشرية التي ما فتأت تنقطع في كل مراحل الحضارة عن التعامل بهذه المعاملة التي تخالف كافة الشرائع السماوية ، وهو في عصرنا الحاضر المعروف باسم الفائدة المشروطة مقدما على الأموال النقدية سواء في شكل قروض وسندات ، أو في الحسابات المصرفية المعروفة باسم الودائع لأجل أو بإخطار .. الخ .

هدف البحث :

إثبات الإعجاز في تشريع تحريم الربا عن طريق تحقيق الأهداف الفرعية التالية :

- ١- إثبات السبق في التحريم مع تقنين بدائل متكاملة ، تقوم بالوظائف الاقتصادية والمالية التي تغني المجتمع عن الحاجة للربا .
- ٢- صلاحية المنهج المالي الإسلامي للتطبيق في كل زمان ومكان .
- ٣- إثبات توافق تشريع تحريم الربا مع المنهج العلمي الموضوعي وعلى العكس تعارض الربا مع المنهج العلمي .
- ٤- إثبات الأضرار الجسيمة التي تنال المجتمع من التعامل بالفائدة الربوية للمجتمعات البشرية كافة.

حدود البحث :

لا يتطرق البحث لمناقشة تحريم الربا فقها وعلاقته بسعر الفائدة باعتبار أن هذا الموضوع سبق بحثه من العلماء المعاصرين ، وتم الاستقرار على تحريم الفائدة المصرفية في الودائع والقروض المصرفية باعتبارها ربا محرم .

منهج البحث : ينهج البحث منهجين :

استنباطي : يهدف للوصول إلى المنهج العلمي للاستثمار وتوظيف الأموال بما يتوافق مع كل من التشريع الإسلامي الحنيف ، والمنهجية العلمية الرشيدة ، لتحقيق سلامة وأمن المجتمع البشري.

إستقرائي : من خلال :

- ١- دراسة علمية للحجج التي تبرر سعر الفائدة باعتباره حتمية لا مناص من إستخدامها
- ٢- دراسة علمية وتطبيقية لتأثير الربا على الإقتصاد المعاصر من ناحية الإنتاج والإستثمار والتوزيع على مستوى محلي ودولي .

فروض البحث :

- ١- حرمت الشريعة الإسلامية الربا واستبدلته بكل من القرض الحسن والشركة ، ليقوما بالوظائف الاقتصادية والاجتماعية ، التي يحتاجها المجتمع وكذلك نظمت أحكام النقود بما يتناسب مع وظائفها ويحقق العدل وسلامة وأمن المجتمع .
- ٢- ينبني نظام سعر الفائدة على فروض نظرية لم يثبت صحتها ولا تتبع المنهج العلمي السليم.
- ٣- ينقص نظام سعر الفائدة من حقوق أحد طرفي العقد ، المدين أو الدائن لحساب الطرف الآخر بدون مقابل عادل .
- ٤- سعر الفائدة له تأثير سلبي شديد الأثر على الإنتاج والاستثمار والتوزيع .
- ٥- تعتبر السياسة المالية هي المسئول الأول عن تطبيق نظام سعر الفائدة ، بإصدار الأذون والسندات الحكومية لتمويل الحكومة بالعجز .
- ٦- الفائدة سبب رئيسي في الفساد المالي والإداري على المستوى المحلي والدولي .

خطة البحث :

- لتحقيق هدف البحث يتم تغطية موضوعاته من خلال ثلاثة فصول تتناول ما يلي :
- الفصل الأول : مقومات المنهج المالي الإسلامي في تحريم الربا .
 - الفصل الثاني : دراسة تحليلية لتبرير سعر الفائدة (الربا) في ضوء المنهج العلمي ، وتتضمن دراسة تطبيقية للبنوك التجارية ؛ لاختبار فروض البحث .
 - الفصل الثالث : دراسة تحليلية لتأثير سعر الفائدة (الربا) على الاقتصاد المعاصر .
 - وتتضمن دراسة تطبيقية على كل من : مصر ، الولايات المتحدة الأمريكية .
 - نتائج الدراسة
 - المراجع

نتائج الفصل الأول

مقومات المنهج المالي الإسلامي في تحريم الربا

تبين من استعراض المنهج المالي الإسلامي أنه قدم منهجا متكاملا لتنظيم جانب من جوانب المال شمل تحريم الربا ووضع بدائل تحقق العدل والتوازن والاستقرار وهو ما يتضح فيما يلي :

١- **الربا** : هي الزيادة على أصل المال في كل من القرض والدين الذي يكون نتيجة لمعاملة مثل السلم أو الشراء ، والربا محرم تحريما قاطعا لأنه : يتنافى مع سنة الله في خلقه التي جبل عليها النشاط الاقتصادي بكل أنواعه والتي يتردد عائدها بين أقصى ربح يمكن أن يتحقق أو خسارة ، كما أنه يتضمن استحقاق المرابي كل من الزيادة المسماة بالربا أو الفائدة ، كذلك من يقدم الضمان يستحق الربح ومن يأخذ الضمان لا يستحق سواه وأي زيادة تكون محرمة .

٢- **البيع معاملة حلال** : في كل الأنشطة الاقتصادية ، ويعتبر المصدر الأساسي للربح وبالتالي فهو يضمن استمرار الأنشطة النافعة للمجتمع ، وسبب الحل أن رب المال يتحمل النتائج الفعلية من ربح وخسارة وهي مقابلة عادلة تتفق مع قوانين الحياة الاقتصادية وسنة الله في الأرض .

٣- **أبدل التشريع الإسلامي الحنيف الربا بالقرض الحسن** ، وحبب إليه وواعد فاعله بالأجر الكبير، على أن يتم توثيق الديون كتابة وشهادة ، وأوصى المدين برد دينه وفاءً لصاحبه وبحسن القضاء ، وأوصى الدائن بإمهال المعسر والتصدق عليه ، وفوق ذلك جعل للمعسرین حظا من زكاة المال لسداد ديونهم ، عملا على استقرار وسلامة المنهج المالي في المجتمع، وحرم بيع الدين بالدين .

٤- **قدم الفقه الإسلامي الشركة ونظم قواعدها حتى تكون مخرجا آخر للتعامل بدلا** من معاملة الربا المحرم لمن يريد أن يقترض للنشاط الاقتصادي ومنها شركة المضاربة الشرعية التي تصلح بدلا من علاقة الربا ، وقد طبقت هذه الشركة بديلا عن نظام الفائدة في

المصارف الإسلامية، والفرق الجوهرية بينها وبين عقد الربا؛ يكمن في حصول المتعاقدين على عائد فعلي غير مشروط مقدماً على أحد المتعاقدين، وقد نجحت هذه الشركة في البنوك الإسلامية بين البنك باعتباره شخصية اعتبارية وبين المودعين أصحاب الأموال بما يؤكد صلاحيتها عوضاً عن استخدام سعر الفائدة المعاصرة.

٥- **تناول فقه الشركات قواعد قياس الربح وتوزيعه** بما يتناسب مع قدر حصص عناصر الإنتاج بما يحقق العدل للشركاء، وبذلك يخص رأس المال النصيب الفعلي من العائد سواء كان ربحاً أو خسارة، ويوزع بنسب حصص الشركاء في رأس المال، أما العمل فيتم تحديد حصته من الربح طبقاً للتعاقد بالتراضي بين الشركاء لتفاوتهم في المقدرة والكفاءة وفي حالة شركة المضاربة الشرعية يخص العامل (الشريك بالعمل) حصته المتفق عليها من الربح ولا يتحمل الخسارة إلا إذا قصر أو خالف شرط من شروط العقد، كما لا يصح الربح نهائياً بين الشريكين إلا إذا تحاسبا ووافق رب المال على نتيجة الأعمال باعتبارها شركة بين الطرفين.

٦- **تناول التشريع والفقه الإسلامي؛** النقود باعتبارها أداة للتداول ومعياراً لقياس القيمة ومخزناً لها، وتناول المعدنين الذهب والفضة؛ باعتبارهما النقود الشرعية، فحرم ربا الفضل في كل من الذهب والفضة في البيع الآجل وبنفس القدر "سواءً بسواءً ويدا بيد" حتى لا يتم الاتجار بهما وتضيع وظيفة النقد بتذبذب قيمتهما، كما حرم استخدام المعدنين الثمينين في غير النقد - عدا ما تتحلى به النساء - وفرض عليها الزكاة حتى يتم دفعهما للاستثمار ووضعهما القواعد التي تكفل حسن الاستخدام في الوظيفة الشرعية لهما.

٧- **تعتبر القواعد السابقة ضوابط تربوية**، تقوم بعلاج الفطرة الإنسانية التي جبلت على حب المال، فهذب هذه الفطرة بتدريبيها بالاكْتساب من حلال دون الحرام، من خلال النشاط الإيجابي المثمر، وتقديم القرض الحسن، والحث على الشركة، وبذلك يث التشريعي الإسلامي روح الإيجابية والتعاون والتكافل بين أبناء المجتمع.

وبذلك يكون التشريع الإسلامي قد وضع قواعد واضحة ومتكاملة لتداول المال وتملكه طبقت بمنهجية ناجحة خلال عقود زمنية طويلة ثبت فيها تفوق النموذج المالي

الإسلامي طيلة العصور السابقة ، أما بالنسبة للعصر الحديث فقد أثبتت البنوك الإسلامية التي تعتمد على تطبيق قواعد شركة المضاربة الشرعية ، بدلا من الربا بين البنك وبين المودعين ، وعقود البيوع والإجارة ، بدلا من الربا بين البنك والمستثمرين ، وبذلك يكون المنهج الإسلامي مؤهلا للتطبيق في كل زمان ومكان ، بل أن الحقبة الأخيرة من المشكلات المالية في المجتمع الغربي أدت إلى رغبته في تطبيق العقود الإسلامية بدلا من الربا المحرم وإنشاء البنوك الإسلامية .

وبذلك يثبت الفرض الأول للبحث وهو :

وضعت الشريعة الإسلامية قواعد متكاملة لتنظيم المال ، وحفظ الحقوق ، تشمل : تحريم الربا واستبدلته بكل من القرض الحسن والشركة ، ليقوما بالوظائف الاقتصادية والاجتماعية التي يحتاجها المجتمع ، وتحريم بيع الدين بالدين ، وكذلك تنظيم وظيفة النقد من خلال تحريم ربا الفضل في النقود ، واعتباره معيارا ومخزنا للقيمة ، ووسيلة للتبادل ، وتحريم استخدامها باعتبارها سلعة حتى لا يتفشى الفساد والإضرار بحقوق الناس ، ويتحقق العدل وسلامة وأمن المجتمع .

كما يتحقق الهدف الأول والثاني من البحث وهما :

- إثبات سبق الإسلامي في تحريم الربا مع تقنين بدائل متكاملة ، تقوم بالوظائف الاقتصادية والمالية التي تغني المجتمع عن الحاجة له .

- صلاحية المنهج المالي الإسلامي للتطبيق في كل زمان ومكان .

نتائج الفصل الثاني

دراسة تحليلية لتبرير سعر الفائدة (الربا) في ضوء المنهج العلمي

أولاً : عقد الربا أو سعر الفائدة هو عقد لا يتوافق مع المنهج العلمي السليم ، بل ويتعارض مع القوانين الرياضية والإحصائية ، ويتنافى مع واقع الأعمال للأسباب الآتية :

١- عقد الربا يأخذ احتمال الربح فقط دون احتمالين قائمين هما : احتمال حدوث خسائر، واحتمال تعادل الإيرادات ، مع التكلفة بدون تحقق ربح أو خسارة .

٢- اختيار احتمال نسبة معينة من الربح لا يقوم عليه دليل موضوعي ، إذ قد تتحقق أضعافها أو أقل منها ؛ لأن احتمال الربح ذاته ينقسم إلى احتمالات أخرى عديدة تم اختيار أحدها دون باقي الاحتمالات باعتباره حقيقة يقينية مع أنه مجرد احتمال يقبل الحدوث بنسبة لا تبلغ درجة التأكد .

٣- وبذلك يستحيل في أي عقد للربا أو الفائدة ؛ أن يتوافق سعرها بالصدفة مع معدل العائد الفعلي العادل الذي يجب أن يحصل عليه صاحب القرض أو الوديعة ، وفي هذه الحالة يكون قد حدث غبنا لأحد الطرفين ، إما المقرض الذي يستثمر المال ويكون قد دفع الفائدة ولم يتحقق له العائد المجزي الذي يستحقه ، وإما المقرض الذي شارك ماله في الاستثمار الذي حقق أرباحاً كبيرة لم يحصل منها إلا على القليل .

٤- يتعارض عقد الربا مع المنهج الإحصائي الرياضي الذي أخضع نتائج أعمال القطاعات الاقتصادية لقانون الاحتمالات، وبذلك يكون العائد المقدر نسبة محتملة لا تصل درجة التأكد فيها أبداً لنسبة ١٠٠٪ وفي نفس الوقت يؤدي هذا العقد إلى وقوع التزام مالي يقيني على المدين .

ويتبين لنا مما سبق قدر التعارض بين منهج سعر الفائدة وبين المنهج العلمي القائم على أساس القوانين الإحصائية والرياضية بينما يتوافق هذا المنهج مع المنهج الإسلامي بتحريم سعر الفائدة توافقاً تاماً .

ثانياً : استعرض البحث حجج عديدة تبرر سعر الفائدة Rate of Interest وهي :

- الحجة الأولى : سعر الفائدة هو ثمن استخدام النقود .

-الحجة الثانية : ضرورة الفصل بين رأس المال والمخاطرة .

-الحجة الثالثة : ضرورة سعر الفائدة لعمل دراسة الجدوى الاقتصادية Feasibility Study عند إنشاء المشروعات الجديدة .

-الحجة الرابعة : أن سعر الفائدة يتم تحديده بالاعتماد على العائد المحقق من أرباح المشروعات التي يشارك فيها المال المقترض .

وبمناقشة كل أسانيد هذه الحجج في ضوء المنهج العلمي ؛ لم يثبت صحتها وتم إثبات مخالفتها للقواعد المستقرة في الدراسات الإحصائية والرياضية.

ثالثاً : طرق تقدير سعر الفائدة : تعرض البحث لطرق تقدير سعر الفائدة تحديداً للمسؤولين عن تقنينها وتقديرها فتيين وجود سببين :

السبب الأول : تدخل السلطات المالية في تحديد سعر الفائدة عن طريق التمويل بالعجز:

بمعنى أن السياسة المالية التي تضعها الدولة هي المسئول الأول عن تقنين نظام سعر الفائدة ؛ لأنها المدين الأول والأساسي المهيمن على النشاط من ناحية ، كذلك باعتبارها المسئولة عن إصدار أذون الخزانة قصيرة الأجل ؛ والسندات طويلة الأجل بفائدة ثابتة من ناحية أخرى ، وبذلك تعتبر السياسة المالية المعاصرة ؛ هي المسئولة عن استحداث مفهوم " احتمال الربح في حالة التأكد " اعتماداً على قدرة الدولة على ضمان رد القرض أو السندات بفوائدها ولو عن طريق التمويل بالعجز أو فرض ضرائب جديدة ، وبذلك يكون التأكد " مفهوم مصطنع " لا يتوافق مع آلية النشاط الاقتصادي والمنهج العلمي .

السبب الثاني : العرض والطلب على النقود : ويقصد بهم المستثمرين في السوق المالي وتقع عليهم مسئولية ثانوية في عرض وطلب النقود ، إذ أن السلطة النقدية يمكنها إعادة توجيههم طبقاً للسياسات المالية المتبعة .

رابعاً : مثالب وعيوب استخدام نظام سعر الفائدة :

١- يؤثر سعر الفائدة على تكلفة إنتاج السلع ، والخدمات بالزيادة باعتباره تكلفة ثابتة fixed cost تمثل عبئاً لا يستطيع المشروع تخفيضه خاصة في حالة خفض الإنتاج أو الركود وبالتالي يرفع من تكلفة الإنتاج وقد تناول البحث دراسة تطبيقية على عينة من البنوك التجارية أثبتت ارتفاع التكلفة الثابتة نتيجة لسعر الفائدة ب ٢٥٪ إلى ٨٠٪ ، وهو ما يؤثر على:

أ- ارتفاع تكلفة المنتج أو الخدمة وخاصة في أحوال الركود والانكماش لصعوبة تخفيض التكلفة الثابتة .

ب- مما يؤدي إلى ارتفاع سعر المنتج أو الخدمة ، وبالتالي صعوبة حصول ذوي الدخل المحدود والفقراء عليها .

ج- وما يؤدي إليه ذلك في النهاية من التأثير على الدخل والتوظيف .. الخ .

٢- يؤدي ارتفاع سعر الفائدة إلى التأثير السلبي على الإنفاق على الاستثمار نظراً لإمكانية توجيه الأموال للاستثمار المضمون في السندات والودائع دون الاستثمارات الحقيقية التي يحتاجها المجتمع وهو أيضاً ما ينشر الفكر السلبي تجاه الاستثمار إذ يحافظ على وجود فئة كل همها أن تنتظر جني الفوائد بدون تحمل مخاطر الاستثمار الفعلية .

٣- يؤثر سعر الفائدة على قياس كفاءة استخدام الموارد المتاحة للمنشأة وتقييم أداء الإدارة Evaluating a Firm's Performance .

٤- يؤدي سعر الفائدة إلى عدم تحقق العدالة في توزيع العائد على عناصر الإنتاج في القطاع المصرفي وفي الإدارة ، وقد أثبتت الدراسة التطبيقية على عينة من البنوك التجارية أن حقوق المساهمين في المتوسط أقل من ٨٪ والمودعين ما يزيد عن ٩٢٪ ، ومع ذلك فللمساهمين حق الإدارة ولكنهم لا يسألوا أو يحاسبوا عن تجاوزات إدارة البنك مهما أثرت على النشاط المالي المحلي والدولي . كما يجني المساهمون أرباحاً ضعف ما يتحقق للمودعين من فوائد في حالة الرواج من استثمار أموال المودعين وأنشطة المقترضين ، ويتحمل المقترضون أصحاب الأعمال كافة المخاطر التي قد تؤدي إلى حدوث الخسائر أو إفلاسهم ولا يتحمل المساهمين

الخصائر إلا بقدر أسهمهم ، وبالتالي يؤثر نظام سعر الفائدة على عدالة التوزيع ، وعدالة حق الإدارة ، وقد وضحت الدراسة التطبيقية أن متوسط ما يحصل عليه المساهم في البنوك يزيد عن ضعف معدل العائد الذي يحصل عليه المودع مع أن كلاهما قدم المال الذي اشترك في نفس الاستثمارات عن نفس الفترة الزمنية ولم يقدم أحدهما عنصر العمل .

٥- يوجه نظام الفائدة الأموال لتمويل المشروعات المغطاة بأكبر ضمانات متاحة بغض النظر عن دورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٦- يوجه نظام الفائدة الموارد المتاحة للمشروعات ذات الربحية السريعة ، بغض النظر عن دورها في توفير الإنتاج الحقيقي .

وبذلك يكون الفصل الثاني قد أثبت فروض البحث التالية :

١- يبنّي نظام سعر الفائدة على فروض نظرية لم يثبت صحتها ولا تتبع المنهج العلمي السليم .

٢- يبرر الاقتصاديون سعر الفائدة بحجج لا تعتمد على منهج علمي سليم .

٣- أثبت البحث أن السياسة المالية التي تنتجها الحكومات عن طريق التمويل بالعجز هي المسئول الأول عن تطبيق نظام سعر الفائدة بإصدار الأذون ، والسندات الحكومية لتغطية ارتفاع النفقات عن الإيرادات ، ويستند إليها البعض في تصنيف الاستثمارات إلى استثمارات بدون مخاطر - بما يتعارض مع واقع الأعمال - باعتبار أن الحكومات تضمن رد القروض وفوائدها .

٤- ينقص نظام سعر الفائدة من حقوق أحد طرفي العقد ، المدين أو الدائن لحساب الطرف الآخر بدون مقابل عادل .

٥- سعر الفائدة له تأثير سلبي شديد الأثر على الإنتاج والاستثمار والتوزيع .

ويكون الهدف الثالث قد تحقق وهو :

إثبات توافق تشريع تحريم الربا مع المنهج العلمي الموضوعي وعلى العكس تعارض عقد الربا مع المنهج العلمي .

الفصل الثالث

دراسة تحليلية لتأثير سعر الفائدة / الربا على الاقتصاد المعاصر

حالة مصر - حالة الولايات المتحدة الأمريكية

أثر الربا أو نظام سعر الفائدة تأثيراً سلبياً كبيراً على البشرية منذ مهد الحضارة الإنسانية، ولكن في الواقع حمل العصر الحديث كثيراً من ويلات وسوءات هذا النظام بما نعتقد انه لم يسبق حدوثة على مر الأحقاب السابقة، وهو ما سيتضح من الدراسة المعاصرة لتأثير نظام الفائدة على نموذجي الدراسة: مصر والولايات المتحدة الأمريكية كما يلي .

الحالة الأولى : دراسة أثر الربا على مصرف العصر الحديث

لعب الربا أو سعر الفائدة دوراً محورياً سالباً في مستقبل مصر في العصر الحديث بدءاً من سنة ١٨٦٠ حتى عصرنا الحاضر، واختيار مصر في الدراسة معني لأنها أكبر بلد عربي إسلامي سكاني من ناحية ولأنها كانت مهد الخير والعطاء عندما كانت ظروفها الاقتصادية والمالية تسمح بذلك من ناحية ثانية ولأنها كانت القوة العسكرية والسياسية التي تتصدى لأعداء الأمة من ناحية ثالثة، وذلك من خلال التقسيم التاريخي إلى جزئين كما يلي .

الجزء الأول : أثر النظام الربوي على مصر من سنة ١٨٦٠ حتى سنة ١٩٤٢ :

استعرضت الدراسة بالأرقام ما آل إليه وضع مصر في هذه الحقبة وتطور الديون، وبإيجاز شديد تم استعراض ما يلي :

أ- قروض الخديوي سعيد : بدأت بمبلغ ٣,٥ مليون جم وقيمتها الحقيقية ٢,٤ مليون جم نظراً لإصداره بخصم إصدار حتى تكون قيمته الاسمية أعلى من قيمته الحقيقية، وهو ما طبق في كل القروض التي عقدتها الجهات الأجنبية الدائنة .

ب- قروض الخديوي إسماعيل : عقد الخديوي إسماعيل قروضا شخصية حولها الدائنين إلى قروض على الدولة، وقروض أخرى لتمويل مشروعات عامة، وقد ساهمت كل تلك القروض وفوائدها في تفاقم مديونية مصر وأدت إلى ما يلي :

١- سداد مصر فوائد في الفترة من ١٨٧٦-١٩٤٢ أكثر من ٢٤٥ مليوناً لمبلغ ٧٦ مليوناً، صدرت هذه الفوائد للبلاد الأوروبية ، مما تسبب في نزيف دائم للاقتصاد المصري ، مع أن إيرادات مصر كانت ٨,٥ مليون جم سنة ١٨٨٠ ، والفوائد المدفوعة ٣,٩ مليون جم أي بلغت نسبة الفائدة ٤٦٪ من الإيرادات ، وفي سنة ١٩٠٠ كانت مصروفات مصر ٩,٧ مليون جم منها ٣,٨ مليون جم فوائد أي أنها بنسبة ٣٩٪ ، مع أن تكلفة إنشاء سد أسوان بلغت ٢ مليون جم ، وبذلك كانت الفوائد تكفي لإنشاء أكثر من ١٢٢ مشروعاً بهذا الحجم الضخم .

٢- إنشاء صندوق الدين سنة ١٨٧٦ لتحصيل حقوق الدائنين الذي سحب اختصاصات وزارة المالية ، وأطلقت يده في جمع الإيرادات ، وحرمت الحكومة المصرية من عقد معاهدات دون موافقة إدارته الأجنبية ، ورفضه كثير من مصالح مصر مثل إنشاء سد أسوان .

٣- إنشاء المحاكم المختلطة التي عملت على نهب الأجانب لأموال المصريين والحكومة المصرية بأحكام قضائية صارخة ابتزت أموال مصر، كما ساندت هذه المحاكم صندوق الدين بغير حق ، حتى أن بعض أحكامها استنفذ اللورد كرومر الذي هاجمها سنة ١٨٨٤ .

٤- أدى تدخل القوى الأجنبية نتيجة للديون وضعف الدولة إلى احتلال بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢ مما أدى إلى إنشاء الامتيازات الأجنبية التي حملت مزيداً من الظلم ، ونهب موارد الدولة ، والتدخل السافر في مصالحها ، وأسفرت مديونية مصر عن تكالب كل من بريطانيا وفرنسا على الاحتلال المالي والاقتصادي والثقافي إلى جانب السياسي .

ج - أثر النظام الربوي على الدولة العثمانية :

اتجهت الدولة العثمانية أيضاً إلى أوروبا للاقتراض بضمان الإيرادات التي كانت تحصلها من ولاياتها ، فعقدت ثلاثة قروض بفوائد تحملتها الحكومة المصرية وهي ، الأول : ١٨٥٥ بمبلغ ٥ مليون جنيه إسترليني ، الثاني : قرض الدفاع العثماني سنة ١٨٩١ ، الثالث : ١٨٩٠ - ١٨٩١ بمبلغ ٥ مليون جنيه إسترليني ، وقد أدت هذه القروض لزيادة ضعف الدولة العثمانية ، ووضعت - للأسف- النهاية الحزينة للخلافة الإسلامية ربما لأجل غير مسمى وأصبحت وثيقة على تخلف الأمة الإسلامية وانتهاء دورها .

الآثار السلبية التي جنتها مصر من الديون الربوية على الجوانب الاقتصادية والسياسية :

١- أسفرت الديون بالربا التي عقدتها مصر مع الدائنين الأجانب عن ضياع استقلال البلاد سياسيا وعسكريا ، لمدة تزيد عن نصف قرن .

٢- أدت هذه الديون لنهب موارد البلاد ، وتراكم الفوائد المركبة ؛حتى تضاعف حجم الدين عدة مرات ، وحرمت البلاد من الاستفادة من مواردها التي سخرت للوفاء بديون الدائنين دون أبنائها.

٣- أثقلت الديون ميزانية مصر حتى أصبحت غير قادرة على الإنفاق على الصحة والتعليم والمشروعات العامة ، وإحداث أي تنمية اقتصادية ومنها حرمان مصر من الاحتياطي النقدي لدى صندوق الدين لإقامة سد أسوان مثلا على ذلك .

٤- سادت مشاعر الإحباط والكرهية لدى المصريين للحكام والرأسمالية الوطنية مما أشاع أحاسيس اليأس واحتقار ما هو مصري ، حتى قال الزعيم مصطفى كامل قوله الشهيرة لرفع معنويات الشباب المصري " لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا " وهو ما انتهى بالبلاد إلى ثورة يوليو ١٩٥٢ .

٥- كما لا يخفى على أحد أن القروض بالربا المحرم كانت أيضا سببا رئيسيا من أسباب تدهور الدولة العثمانية ، وانتهاء دولة الخلافة الإسلامية ، نهاية لا يتصور قيام لها ، مما نتج عنه ضياع الاستقلال السياسي والاقتصادي لباقي الدول العربية والإسلامية ، وهو ما انتهى ببلاد الأمة إلى تقطيعها لمستعمرات تخضع للحكم الغربي طبقا لاتفاقية " سايكس بيكو " التي وزعت الدول العربية إلى إقطاعات تحت الحكم الإنجليزي والفرنسي والإيطالي ، وأيضا تم إنشاء " وعد بلفور " بإقامة دولة إسرائيل في فلسطين العربية ، وبالتالي أصبحت سببا مباشرا للزيف المستمر لشباب الأمة ، ومواردها المالية وتهديدا مروعا لمستقبلها .

ولا يتصور المعاصرون أن شعوب الأمة الإسلامية قد تحررت في العصر الحاضر من الاستعمار الغربي ، فما زالت مجتمعاتنا مبهورة بالفكر، والثقافة الغربية ، وتعتبره النموذج الأمثل الذي يستطيع أن يوفر لأبنائه ما يتطلع إليه من الحياة الكريمة والتشريعات المتكاملة رغم بعدها عما ورد بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

الجزء الثاني : تأثير الاقتراض بالربا في الفترة المعاصرة من سنة ١٩٦٠م حتى تاريخه: ويتمثل في التمويل بالعجز عن طريق القروض :

أولاً : الاقتراض بالفائدة من القطاع المصرفي :

١- قدم القطاع المصرفي المصري من خلال ودائع المجتمع قروضا ميسرة لمنشآت القطاع العام وقطاع الأعمال العام التي فشل كثيرا منها في الالتزام بسداد مديونيته ، وكان لتراكم هذه المديونية تأثيره السلبي على ربحية هذه الشركات ، وحقق الكثير منها خسائر متوالية مما كان له تأثيره في الإسراع بخصخصة هذه الشركات وتقييمها بأقل كثيرا من قيمتها ، تأثرا بالقروض والفوائد التي تعرقل نموها وربحيتها ، وهو ما سبب ضياع ممتلكات الدولة لأهم عناصر الإنتاج بها ، نظرا للمآخذ التي ارتبطت بعدم الرشد الاقتصادي في استخدام الموارد المالية المتاحة .

٢- امتد الإسراف في استخدام القروض المصرفية إلى كثير من رجال السلطة ، مثل نواب القروض وكثيراً من كبار المسؤولين الذين استثمروا مراكزهم في الحصول على قروض بضمانات ضعيفة أو شخصية ، وما يزال بعضها حتى الآن .

ثانياً : التمويل بالعجز عن طريق إصدار الأذون والسندات :

بلغت الديون نتيجة للتمويل بالعجز مبلغاً يؤثر سلبيًا على التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وينقسم دين الدولة إلى دين داخلي ودين خارجي كما يلي :

أ- الدين الداخلي : ويتكون الدين الداخلي من عناصر شتى (تم الاستعانة بالبيانات المنشورة للبنك المركزي المصري) فتطور بدءاً من ٤٣٤٨٤٦ مليون جم سنة ٢٠٠٤ حتى بلغ ٨٦٣٢٩٧ سنة ٢٠١٠ .

ب- موارد بنك الاستثمار القومي : (موارد البنك جميعاً ديون على الدولة لصالح أصحاب الأموال) وقد تطورت من ٢٠٠٤-٢٠١٠ بدءاً من ٢٩٤٥٥ مليون جم سنة ٢٠٠٤ حتى بلغت ٢١١٢٩٤ مليون جم سنة ٢٠١٠ .

وبذلك يكون متوسط نصيب الفرد من الدين الداخلي سنة ٢٠١٠ (على أساس عدد السكان ٨٠ مليون نسمة) = ٣٨٨, ١٣٤٣٢ جم .

ج - الدين الخارجي : تطور من ٢٩٨٧٢ مليون \$ سنة ٢٠٠٤ حتى بلغ ١, ٣٢٢٧٧ مليون \$ سنة ٢٠١٠ .

وبذلك يكون نصيب الفرد من اجمالي الديون = ٣, ١٥٧٥٢ جم .

د- خدمة الدين المحلي والخارجي سنة ٢٠٠٩ / ٢٠١٠ :

إجمالي المصروفات : ٣٩١٠٥٠ جم . إجمالي الإيرادات ٢٩٧٦٣٩ مليون جم .

بلغت الفوائد المحلية : ٥٩٨٠٤ مليون جم والفوائد الخارجية : ٢٨٣٩ مليون \$، وهي تساوي ٢٥, ١٦٣٢٤ مليون جم (بسعر ٥,٧٥ جم للدولار) الإجمالي = ٧٦١٢٨٢٥٠٠٠٠ جم

فتكون نسبة الفوائد إلى إجمالي المصروفات = ١٩,٥ % .

نسبة الفوائد إلى إجمالي الإيرادات = ٢٥,٥٧ % .

نتائج الديون على اقتصاد مصر :

١- أثقلت الديون كاهل الميزانية بعبء الفوائد المركبة المتراكمة من سنة لأخرى حتى بلغت حصة الفرد منها مبلغ ٣, ١٥٧٥٢ جم .

٢- تشير هذه الديون وتزايدها عاما بعد عام إلى عدم الرشد الاقتصادي في الإنفاق العام

٣- كما تؤكد نتائج استغلال هذه الديون ضعف قدرة الدولة على استثمار الموارد الطبيعية والبشرية المتاحة بما يحقق أعلى جدوى اقتصادية ومالية منها .

٤- تؤثر هذه الديون وفوائدها على خطط التنمية الاقتصادية ، والإنفاق على الخدمات العامة ، وخاصة الصحة والتعليم وتطوير الزراعة والبحث العلمي مما أدى إلى معاناة المجتمع المصري خلال الحقبة الأخيرة من أمراض صحية واجتماعية لم تكن موجودة من قبل ، وهي تهدد أمن وسلامة المجتمع المصري .

٥- يتدخل البنك الدولي بكثير من التوصيات الأمرة للحكومة المصرية لحفظ حقوق الدائنين والتي تؤثر سلبا على كثير من مصالح المجتمع على غرار صندوق الدين فترة الخديوي إسماعيل

٦- تلقي هذه الديون أعبائها الثقيلة على الأجيال القادمة ، التي قطعاً ستعاني الكثير حتى يتم سدادها وفوائدها ؛ بالإضافة إلى التدخل الأجنبي السافر من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في كثير من أمور الدولة سياسياً واقتصادياً على غرار ما كان يحدث في ظل الاحتلال الإنجليزي لمصر .

الحالة الثانية : دراسة أثر الربا على الولايات المتحدة الأمريكية

سبب اختيار الولايات المتحدة الأمريكية :

يعتبر اختيار الولايات المتحدة في الدراسة مقصوداً باعتبار ما يلي :

١- تعتبر الولايات المتحدة من أكبر وأعنى دول العالم اقتصادياً وعسكرياً وحضارياً، فهي النموذج الحضاري الذي يحتذي به معظم دول العالم ، وخاصة الدول الإسلامية والعربية .

٢- كما أن الولايات المتحدة دولة محورية ، فهي من أكثر دول العالم تأثيراً في النظام الاقتصادي والمالي العالمي .

٣- أن نظامها المالي قد أثر تأثيراً مدمراً في الحقبة الأخيرة على النظام المالي العالمي ، من خلال سعر الفائدة بحدوث الأزمة المالية العالمية التي بدأت من قطاعها المصرفي ، لتمتد منه إلى معظم أنحاء العالم .

وقد تناول البحث تأثير سعر الفائدة ودورها من خلال الجوانب الآتية :

- ١- خصائص النظام المصرفي الأمريكي وقوة تأثيره على العالم .
 - ٢- دور نظام سعر الفائدة في تمويل النظام المالي في الولايات المتحدة .
 - ٣- تأثير سعر الفائدة على صنع الأزمات المالية في الولايات المتحدة ، وكثير من دول العالم .
- وسيتم استعراض النتائج التي توصل لها البحث في كل منها باختصار كما يلي :

الجانب الأول : خصائص النظام المصرفي الأمريكي القائم على سعر الفائدة :

١- يختص النظام المصرفي الأمريكي بخصائص معينة ، حيث تمتعت عملته النقدية

-الدولار الأمريكي - بقبول واسع طيلة الأحقاب السابقة ، وهو ما شجع النظام على رفع غطاء العملة الذهبي ، وفقا لاتفاقية بريتون وودز في القرن الماضي، وأصبح له الحق في الإصدار النقدي وقتها شاءت أجهزة الدولة .

٢- نتج عن ذلك إيداع مدخرات ضخمة من قبل كثير من المؤسسات الاقتصادية والأفراد ، من كبار الرأسماليين في العالم ، وكبار رجال الدول النامية، والأثرياء من الساسة، وحكومات بعض الدول المتعاملة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، مما ضخم قدر الهيمنة النقدية والمصرفية للقطاع المصرفي الأمريكي على العالم .

٣- ربطت بعض الدول العربية قيمة عملاتها بالدولار الأمريكي بعلاقة ثابتة ، وهو ما يؤثر على قيمة عملاتها في حالة انخفاض قيمة الدولار، ويؤثر على قيمة ودائعها في البنوك الأمريكية من ناحية ، ويؤثر على مستحقات هذه الدول التي تستحق وتدفع بالدولار من ناحية أخرى .

٤ - كان نتيجة كل ما سبق أن تؤثر فائدة رأس مال البنوك الأمريكية ، ليس على اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية فقط بل يمتد تأثيرها حتما إلى باقي دول العالم ، كل بحسب مدى معاملاته معها وقدر ارتباط عملته بها .

الجانب الثاني : دور نظام سعر الفائدة في تمويل النظام المالي في الولايات المتحدة :

أولا : تمويل النفقات العامة عن طريق الاقتراض :

عندما تصبح إيرادات الدولة قاصرة عن الوفاء بتمويل البرامج الحكومية الأمريكية ، يعتمد الكونجرس بشدة على خزانة الدولة ، وقدرتها على الاقتراض، وعلى أسواق المال لتمويل هذه البرامج وهو ما يحدث بشكل مستمر ويسمى بالسياسة المالية Policy Fiscal حتى لقد بلغ الدين القومي ٨٨١٩٢٧٨٨٥٧٦٥٢ \$ في مايو ٢٠٠٧ بإصدار السندات وأذون الخزانة .

ثانيا : تحكم الدولة في سعر الفائدة عن طريق تحديد فوائد أذون الخزانة والسندات الحكومية المصدرة من الدولة :

تتحكم الدولة في سعر الفائدة عند إصدار أذون الخزانة ، أو السندات الحكومية لمدة سنوية

بأسعار فائدة معينة ، وهي من أهم دعائم نظام الفائدة حيث تعتبر استثمارات خالية من المخاطر لأنها مضمونة من قبل الدولة . ويعتبر مستوى سعر الفائدة أداة منظمة للتحكم والسيطرة في التدفق النقدي بين الطرفين ، كما تضع السلطة النقدية الفيدرالية القواعد الملائمة للسيطرة في حالة الضرورة لرفع أو خفض سعر الفائدة للتحكم في التضخم أو الانكماش .

ثالثا : تدخل حكومة الولايات المتحدة المباشر في تنظيم القطاع المصرفي :

يعتبر مجلس الاحتياطي الفيدرالي - المصرف المركزي الأمريكي - Federal Reserve Board أحد أهم عناصر السيطرة على القطاع المصرفي الأمريكي ، وتضع الدولة السياسات العامة للقطاع المصرفي في كل من :

- ١- تحديد سقف الائتمان : مثلما تدخلت سنة ٢٠٠٣ برفع سقف الائتمان في التمويل العقاري .
- ٢- وضع الحد الأقصى أو الأدنى للفائدة المصرفية : مثلما فعلت من سنة ٢٠٠١ وما بعدها بتخفيض سعر الفائدة على القروض العقارية ، ثم رفعها مما ضاعف الفوائد المستحقة ، ومن ثم بدأ تعثر المدينين .. الخ .
- ٣- تدخل الدولة في تغيير سعر الفائدة في ظروف معينة ، كما تدخلت مثلا الولايات المتحدة الأمريكية خلال الأزمة المالية .

وتوضح الدراسة دور الإقراض بالفائدة عن طريق السندات والبنوك بما يشير لأهميتها القصوى في تمويل النشاط ؛ إذ يزيد مجموعها على ٩٠٪ من مصادر التمويل وتشغل الأسهم ١٠٪ فقط في السوق الأمريكي .

رابعا : تأثير التدخل غير المباشر في التحكم في سياسة الائتمان :

- ١- تؤدي زيادة أو خفض الإنفاق الحكومي لزيادة أو خفض الأعمال ودخول الأفراد بما يؤثر على طلب مجتمع الأعمال على الائتمان .
- ٢- عندما يتم تمويل زيادة الإنفاق الحكومي عن طريق العجز (بالاقتراض) وعن طريق السندات الحكومية تتأثر أسعار الفائدة .
- ٣- قد تتخذ قرارات برفع الضرائب ، وخفض الإنفاق تؤدي إلى تخفيض الاقتراض

الحكومي وتدفع أسعار الفائدة للانخفاض مما يؤثر على إيرادات البنوك من القروض وسائر الخدمات المصرفية الأخرى تأثراً بحركة أسعار الفائدة .

٤- يستخدم كل من سعر الفائدة وسعر الخصم كأداة لتحريك الائتمان في السوق النقدية

٥- وبالتالي يؤثر سعر الفائدة المطروح من كل من الدولة ، والمؤسسات المصرفية ، وغير المصرفية ، على حجم التمويل المطروح للاقتراض ، والمطلوب من المقترضين والمستثمرين .

٦- السماح بممارسة الأنشطة المالية عالية المخاطر مثل التوريق والمشتقات .

الجزء الثالث: أثر سعر الفائدة في صنع الأزمات المالية في أمريكا وتأثيرها على

باقي دول العالم :

١- تسبب سعر الفائدة في صنع الأزمات المالية خلال القرنين الماضيين في الولايات المتحدة الأمريكية ، كما سبب حدوث أزمات مالية مرت بدول العالم الأخرى مثل : أزمة المكسيك سنة ١٩٩٤ ، أزمة دول شرق آسيا بدأت في يولية ١٩٩٧ (تايلاند - ماليزيا - اندونيسيا - الفلبين - كوريا الشمالية) أزمة الأرجنتين ٢٠٠١ .

٢- أثبتت الدراسة دور سعر الفائدة في صنع الأزمة المالية العالمية سنة ٢٠٠٧ عن طريق الفوائد المصرفية في القروض والتوريق والمشتقات من خلال :

- دراسة أسباب انهيار القطاع المصرفي الأمريكي .

- تم إجراء دراسة تطبيقية على بعض البنوك الأمريكية : تناول البحث بدراسة تطبيقية لتقارير مكتب المفتش العام Office of Inspector General وتمثل عينة من البنوك الأميركية المنهارة لتوضيح مسئولية نظام سعر الفائدة عن إنهار هذه البنوك .

٣- حصر الآثار السلبية للأزمة من ٢٠٠٧-٢٠١٠ على كل من : الولايات المتحدة الأميركية ، دول أوروبا الغربية ، دول جنوب شرق آسيا ، الدول العربية ، وذلك بالنسبة لمجالات : البورصات ، أسواق الطاقة والمواد الأولية ، السياحة والاقتصاد .

٤- فشل الضوابط المالية والمحاسبية في حفظ النظام المصرفي الأمريكي نتيجة للفساد

المالي والإداري :

خلال العشرين سنة السابقة على الأزمة انشغلت كثيرا من المجالس العلمية المرموقة، وسلطات ذات مكانة مالية واقتصادية رفيعة بوضع ضوابط قانونية وعرفية وأخلاقية؛ لتنظيم وحماية الاقتصاد الأمريكي والدولي في نشاط الأعمال والمصارف ومن أمثلة هذه الضوابط: تطوير أدوات النظام المحاسبي الداخلي، تطوير دور ومسئولية مراقب الحسابات، مقررات بازل ١١، قواعد الحوكمة، قانون سيربانس أوكسلي Sarbanes Oxley، المعايير المحاسبية الدولية I A S، وكالات التصنيف الائتماني، التقييم باستخدام القيمة العادلة Fair Value .. الخ.

وبذلك فقد أثبت البحث أن كل هذه الضوابط لم تفلح في منع حدوث كارثة مالية، بدأت من أعظم الدول اهتماما بهذه الضوابط، بل إن معظمها تابع من البيئة العلمية والمهنية الأمريكية، لتصنع كارثة دولية يحصد نتائجها الجميع، حتى الأبرياء من العاملين الذين فقدوا وظائفهم نتيجة لهذه الأزمة، ومن المستثمرين في أفاصي الدنيا في البورصات المحلية التي تأثرت.. والكثير جدا مما لا يمكن حصره وقياسه حتى تاريخه، وصدق الله العظيم في قوله تعالى: " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " الأنفال / ٢٥.

فقد كانت هذه الضوابط تطبق شكلا دون مضمون، بما يؤكد سوء النية المبيتة من كثير من المسؤولين عن تطبيقها، والملفت للانتباه انه على عظم نتائج الأزمة المالية على جميع الأصعدة، إلا أنه لم يتم محاسبة مراقبي حسابات البنوك المنهارة الذين قدموا تقاريرهم المالية السنوية باعتبارها " تقارير نظيفة " قبل انهيار البنوك الأمريكية مباشرة، أي أنه لم يتم التحفظ فيها على أعمال الإدارة بالإشارة صراحة أو ضمنا، على الرغم من مسئوليتهم القانونية عن نتائج هذه التقارير، وتجريم القانون الأمريكي لها، وهو ما سبق حدوثه لواحدة من أكبر شركات المحاسبة في العالم وهي شركة آرثر أندرسون Arthur Anderson التي كانت تراجع حسابات شركة " إنرون للطاقة " وانهارت سنة ٢٠٠١ وقضى بعض مسئوليتها سنوات في السجون الأمريكية جزاءً لهم على تقصيرهم أو تواطؤهم مع الإدارة على إخفاء حقائق عن أعمال الشركة كانت يمكن أن تفيد المساهمين والجهات الإشرافية لو نشرت في الوقت المناسب.

فهل كان انهيار شركة إنرون أسوأ أثرا من نتائج الأزمة المالية؟ ولماذا لم نسمع منذ ٢٠٠٧

حتى تاريخه عن مساءلة شركات المحاسبة والتدقيق التي كانت مسئولة عن البنوك المنهارة ؟
وبذلك يثبت البحث عدم جدوى الضوابط التي وضعتها أعلى المجالس العلمية
والسلطات العليا وهو ما نضمره بسببين :

١- أن مفهوم سعر الفائدة يعمق هدف تعظيم المال بما يدفع النفوس الضعيفة للتجاوز
عن كثير من القيم الأخلاقية .

٢- أن ضوابط التشريع الوضعي الأمريكي لم تصل إلى عمق الضمير الإنساني المرتبط
بخشية الله سبحانه وتعالى في السر والعلن وهو ما أدى لحدوث الأزمة .

وهذا على خلاف المنظومة التشريعية الإسلامية التي وضعت الضوابط التربوية
للمجتمع الإسلامي -التي سبق بيانها في الفصل الأول- بالنسبة لإكتساب المال وتنظيم
تداوله بما يربي الفطرة الإنسانية السليمة على الخيرية والتعاون والتراحم ، حيث شرعت
ضوابط متكاملة من الحل والتحرير والمندوب وترتبط بالعقيدة التي تكون سياجا مانعا
للنفس من الانحراف ومحفزا لها على العمل الصالح .

وبذلك يكون البحث قد أثبت الفرضية السادسة والأخيرة وهي :

أن نظام سعر الفائدة هو السبب الرئيسي في الفساد المالي والإداري والسياسي في كل من
مصر والولايات المتحدة الأمريكية والذي امتد منها لسائر دول العالم وتم إثباته من خلال
استعراض نظام الربا في النظم المالية في العصر الحديث في مصر ، ونهاية القرن العشرين
والقرن الحالي في أمريكا وامتد تأثير النظام لصنع الأزمات المالية التي أطاحت بثروات
عظيمة ومصالح ضخمة لملايين البشر على كل من المستوى المحلي والدولي .

ويكون البحث قد حقق الهدف الرابع والأخير وهو :

إثبات الأضرار الجسيمة التي يسببها التعامل بالربا لكافة المجتمعات البشرية .

وبذلك يكون تحريم الربا معجز بكل ما تحمله الكلمة من معان ، وبرهانا لا جدال فيه
على أن هذا التشريع المحكم من لدن حكيم عليم ، ويكون البحث قد قدم دليلا جديدا على
آيات الله المعجزة ، تصديقا لكتابه الكريم وقوله تعالى: " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
حتى يتبين لهم أنه الحق " (فصلت: ٥٣) صدق الله العظيم .



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى

دكتوة / مها عبد الرحمن أحمد نتو



ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

أما بعد : ففي نظري أن مثل هذا الموضوع مهم جداً في عصر افتتن الناس فيه بالعلم
الحديث ، وظنوا أنه شيء فوق التصورات العقائدية والشرايع السماوية، وأنه مبتوت الصلة
بدين الله -تعالى- .

ولا شك أن هذا ظن عقيم ، وتصور خاطيء ، فمن المفروض أن يهتدي الإنسان بهذه
القدرات العلمية ، لاسيما وقد تمخضت تلك القدرات العلمية الحديثة عن نتائج مذهلة
دعت إليها نصوص الإسلام كتاباً وسنة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان أو أشارت إليه
يتصريح أو تلميح .

وليس لشك في تلك النصوص يُستدل لها بالعلم التجريبي ، لاسيما قد تكون تلك النتائج
اجتهداً أو نظرية فليس معنى أن تكون النظرية أو الاجتهاد خطأ أن نخطيء النص الشرعي ،
وفي كل ما أوردته هنا لم أحمل نصاً فوق ما يحتمل أو أتكلف في فهمه وفق تلك النتيجة
التي تمخض عنها العلم الحديث ، بل أوردت ما لا يمكن أن يُهمل أو يترك أو يُنظر إليه بعين
الارتياب ، **ومن ذلك :**

١ . كشفت الدراسات الحديثة التي قام بها مجموعة من العلماء المتخصصين في دراسة
الظواهر الأرضية أن هناك علاقة بين الزلازل والبراكين ، وأنه يسبق ظهور البراكين
حدوث الزلازل وهو ما حدث في عام (٦٥٤هـ) .

٢ . خروج نار من أرض الحجاز هي من علامات الساعة الصغرى التي وقعت ولا
زال مستمرة .

٣. هذه النار ليست هي النار التي تخرج في آخر الزمان ، تحشر الناس إلى محشرهم ، والتي تكون من علامات الساعة الكبرى .
٤. تُشير الدراسات العلمية التي أجريت على منطقة الحجاز إلى أن الثورات البركانية التي كونت حرة رهط قد بدأت منذ عشر ملايين من السنين على الأقل ، وأنها تميزت بتتابع عدد من الثورات البركانية التي تخللتها فترات من الهدوء النسبي ، ونحن نحيا اليوم في ظل إحدى هذه الفترات الهادئة نسبياً .
٥. بعد رسم خريطة الحرارة الأرضية في العالم تبين أن أعلى قدر من الحرارة الأرضية كانت تحت الحجاز وبخاصة تحت حرة خيبر .
٦. تم تسجيل زلزالين كبيرين وقعا في حرة خيبر ، أحدهما في سنة (٤٦٠هـ) (١٠٥٧م) ، والآخر في سنة (٦٥٤هـ) (١٢٥٦م) ، وقد سبقت الزلزال الأخير أصوات انفجارات عالية ، تلتها ثورة بركانية كبيرة ، وصاحبها هزات أرضية ، وقد كونت هذه الثورة البركانية الأخيرة عدداً من المخاريط البركانية ، ودفعت بملايين الأطنان من الحمم في اتجاه الجنوب ، ولا تزال تلك المخاريط البركانية تتعرض لأعداد كبيرة من الرجفات الاهتزازية الخفيفة التي توحى بأن الصهارات الصخرية تحت هذه المخاريط البركانية لا تزال نشطة ، مما يؤكد حتمية وقوع ثورات بركانية عارمة تخرج من أرض الحجاز في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله .
- فسبحان الله الذي أعطانا هذا العلم الصحيح الذي لم تصل إليه مدارك الإنسان إلا منذ سنوات قليلة ، ونطق به المصطفى صلى الله عليه وسلم منذ حوالي (١٤٢٩) سنة مؤكداً على صدق نبوته ورسالته وصدق اتصاله بوحى السماء الذي وصفه الله - تبارك وتعالى - في كتابه .



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

عدة المطلقة . . الحكمة الإلهية والمعجزة العلمية

دكتور / فوزي رمضان



خلق الله سبحانه و تعالى سيدنا آدم عليه السلام و خلق من ضلعه أمنا حواء و جعل من نسلها ذرية و خلائف في الأرض .

قال تعالى : (واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)

قال تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة ورحمة) . الروم (آية ٢١) .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) النساء (آية ١)

أصل العلاقة بين الرجل و المرأة و هو النسل و الذرية و لذلك شدد الله عز و جل على هذه العلاقة و جعل لها مكانة كبيرة في الإسلام و وضع لها أحكاماً تخص النسل و تضبط هذه العلاقة من كل زيغ أو خروج على الفطرة ف جعل الله الزواج ميثاقاً غليظاً كما ورد في كلامه جل و علا و وضع أسس بناء هذه العلاقة التي تبدأ بالزواج أو عقد القران و تنتهي بالطلاق أو بالموت، و جعل لكلتا الحالتين تشريعاً محكماً و هو ما يسمى بالعدة أو تربص المرأة المطلقة ثلاث دورات شهرية، لقوله تعالى : « وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ » البقرة (آية ٢٢٨)

و شدد الله سبحانه و تعالى على إحصاء العدة و التدقيق في الزمن و لو بلبيلة قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ » الطلاق (الآية ١) و عدة المرأة التي توفي عنها زوجها بأربعة أشهر و ١٠ أيام .

لقوله تعالى : « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » . البقرة (آية ٢٣٤)

عندما كنا في السودان في مؤتمر للإعجاز العلمي في القرآن و السنة و بعد صلاة الصبح و على مائدة الإفطار تناقشت مع شيخنا الدكتور عبد الله بن عبد العزيز المصلح في الشفرة الوراثية لمني الرجل و ما ذكرته في البحث الذي قدمته هناك و الذي أشرت فيه إلى تفسير

حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول: « يا معشر الشباب من أراد منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء». (رواه مسلم في النكاح حديث ١) فأثبت أن الله عز وجل حصن فرج المرأة بغدة برثولين (Bartholin) التي تفرز سائلا لزجا يحتوي على مادة الجلوكوز وتحوله البكتيريا المهبلية المسماة بكتيريا دردولان Dardolin إلى حمض اللبن Lactic acid لقتل البكتيريا والفيروسات الداخلة إلى مهبل المرأة والحيوانات المنوية التي لا تحمل شفرة الزوج. وجهاز إنذارها هو التغير PH. أما العدة فبثلاث حيضات تفقد المرأة شفرة الزوج الأول.

فسألني الشيخ المصلح لماذا أحصيت عدة المرأة المطلقة بثلاثة قروء أما المتوفى عنها زوجها فبأربعة أشهر وعشرة أيام. فقلت له إن الحيض يتبع الجهاز العصبي الودي لذلك عندما تفرح المرأة ممكن أن تحيض وكذلك عندما تحزن وفي حالة موت الزوج فقد تفتقد المرأة العادة الشهرية للأسباب نفسها. لذلك شرع الله عز وجل العدة بالشهر واليوم، وفي ذلك حكمة بالغة.

ولقد كنت متأكدا أن هناك سر في عدة المرأة المطلقة والمتوفى عنها زوجها وهو سبب فسيولوجي في خلق البويضات لأن مدة العدة متعلقة بخلق البويضات ولكن لم يكن عندي الدليل العلمي الصحيح للإفصاح عن هذه الحقيقة.

كان الأخ مصطفى رمهوني في فرنسا فطلبت منه كتاباً في علم الغدد الصماء للمرأة الحامل للتأكد من الفكرة التي كنت أعلمها ولكن لم يكن لدي الدليل العلمي الكافي للإفصاح عنها، فأحضر لي الأخ مصطفى كتاب علم الغدد الصماء والاتصال الخلوي ENDOCRINOLOGIE ET COMMUNICATION CELLULAIRES للكاتبين: د.

سيمون إدلمان وجان فردي SIMON IDELMAN et JEAN VERDETTI

ولتأكيد الفكرة والنظرية التي كنت أحملها أسرعت مباشرة للبحث على العنوان وهو مراحل خلق البويضة أو ما يسمى بالفرنسية Ovogenèse أو بالإنجليزية oogenesis تحت عنوان « الأوجه الديناميكية لخلق البويضات Aspect dynamiques de la folliculogénise ».

الترجمة لمقال مراحل خلق البويضات؛ وتجردون النص كاملا باللغة الفرنسية لاحقا.

تبدأ مرحلة البلوغ عند المرأة بين ١٢ و ١٤ عام من العمر بخروج البويضات من المبيض في كل شهر واحدة ويستمر هذا حتى سن اليأس. وهذا الكلام متعارف عليه، ولكن الحقيقة العلمية أن بداية خلق البويضات يتم والمرأة لا تزال جنينا في بطن أمها حيث يخلق الجرّيب الذي يبدأ في المرحلة الجنينية بين الشهر الثاني والسابع (فينتج مبيض الجنين حوالي ٦ إلى ٧ مليون جريب في الشهر الخامس من الحمل).

عند الولادة، المبيض يكون في حوزته حوالي ٢ مليون بويضة أولية. مع بداية الطفولة ٩٠٪ من هذه البويضات الأولية تتلاشى Dégénérer ويبقى فقط حوالي ٤٠٠ بويضة «Ovocytes» أولية قد تصبح بويضة ناضجة قابلة للتلقيح في كل شهر خلال فترة خصوبة المرأة.

في الصفحة المقابلة

صورة للكتاب مع النص الذي يتحدث عن هذه الحقيقة العلمية.

■ ENDOCRINOLOGIE ET COMMUNICATIONS CELLULAIRES

Cet ouvrage d'endocrinologie générale, sexuelle et moléculaire présente aussi bien les données fondamentales qu'il est indispensable de posséder que les apports plus récents de l'endocrinologie moderne : rythme biologique, physiologie des récepteurs, modes d'action des hormones.

L'ouvrage est destiné tant aux étudiants de médecine qu'à ceux de biologie. Il permet aux enseignants et professionnels de la santé d'actualiser leurs connaissances.

■ LES AUTEURS



Après une double formation de médecin et de scientifique, **Simon Idelman** (à gauche) obtint une thèse sur la cytophysiologie de la surrénale au laboratoire d'évolution des êtres organisés de P.P. Grassé. Ses recherches concernent la glande surrénale puis l'action des hormones sur le système immunitaire (thymus, ganglions lymphatiques). Simon Idelman est professeur honoraire de physiologie à l'Université Joseph Fourier.



Professeur à l'Université Joseph Fourier, **Jean Verdetti** (à droite) anime le groupe d'électrophysiologie moléculaire (GEM) où il étudie les mécanismes de l'homéostasie calcique intracellulaire. Il enseigne dans les différents cycles de l'enseignement supérieur et participe au jury de l'agrégation des sciences de la vie et de la terre.

Ont également contribué à la réalisation de l'ouvrage Ivan Bachelot et Serge Halimi, professeurs à l'Université de Grenoble (CHU), Claude Cochet, directeur de recherches à l'INSERM, et des médecins spécialistes : Robert Elkaim, Philippe Léger et Daniëlle Pallo.

Pendant le cycle, en début de phase folliculaire, dix à quarante follicules sortent de la réserve, seule une cohorte de cinq à dix follicules tertiaires sont recrutés, un seul, dit follicule dominant¹, va ovuler, terminer la division réductionnelle de la méiose, émettre le premier globule polaire et engendrer l'ovocyte de deuxième ordre, haploïde, en attente d'une éventuelle fécondation. Ainsi, seulement 500 ovocytes ont le privilège de terminer leur ultime évolution pendant les 40 ans que dure la vie de reproduction. Seuls ces 500 ovocytes auront la possibilité de décondenser le noyau spermatique lors de la fécondation. Si l'on considère l'importance du stock initial et le résultat final, la disparition de la plupart des cellules germinales (99% des follicules qui entrent en croissance dégèrent au cours de leur développement) apparaît comme un gaspillage phénoménal. On sait qu'il faut 25 jours pour passer du follicule secondaire au follicule antral, que 60 jours sont nécessaires à celui-ci pour mûrir et devenir "pre-ovulatoire". Ainsi, le follicule qui ovule à un cycle donné a commencé son ultime évolution au moins trois cycles auparavant (fig. 17.2). Ceci laisse escompter que les résultats d'une thérapeutique sur le follicule seront complets seulement 3 mois après son administration.

ترجمة حرفية للنص الفرنسي:

1. البويضة التي تخرج من المبيض اليوم قد بدأت رحلتها قبل ثلاث حيضات
2. إذا أردنا أن نحقق الجريب الأول بدواء فيجب علينا الانتظار ثلاث حيضات

ترجمة حرفية للنص الفرنسي:

1. البويضة التي تخرج من المبيض اليوم قد بدأت رحلتها قبل ثلاث حيضات .
2. إذا أردنا أن نحقق الجريب الأول بدواء فيجب علينا الانتظار ثلاث حيضات .

المبيض هو العضو التناسل الأولي عند المرأة، شكله يشبه حبة اللوز أو الفاصوليا، ويختلف حجمه من امرأة إلى أخرى، بل وعند نفس المرأة، يتراوح حجمه ما بين ٥، ٣ - ٥ سم طولاً، و ٥، ٢ سم عرضاً، و ١ - ٥، ١ سم سمكاً، ووزنه من ٥ - ١٠ غم قبل البلوغ يكون سطح المبيض أملس ناعماً، ولكن بعد البلوغ، وتكرار عملية الإباضة يصبح سطح المبيض مجعداً بسبب الندب التي تخلفها حوصلات دوغراف بعد انفجارها. وبعد سن اليأس ينكمش ويضمحل حجم المبيض.

تركيب المبيض

يتكون المبيض من عدد كبير جداً من الخلايا البيضية الأولية الموضوعية وسط مادة أساسية مؤلفة من نسيج ضام، وسطحه الخارجي مغطى بطبقة واحدة من الخلايا الطلائية المكعبة تعرف بـ «الطلاء الجرثومي Germinal epithelium»، وغالبا ما تزول هذه الطبقة عند المرأة بعد البلوغ.

أسفل القشرة توجد محفظة ليفية تتكون من ألياف من النسيج الضام، تدعى «الغلالة المبيضية البيضاء» Theca Albuginea.

المبيض يتكون من طبقتين هما :

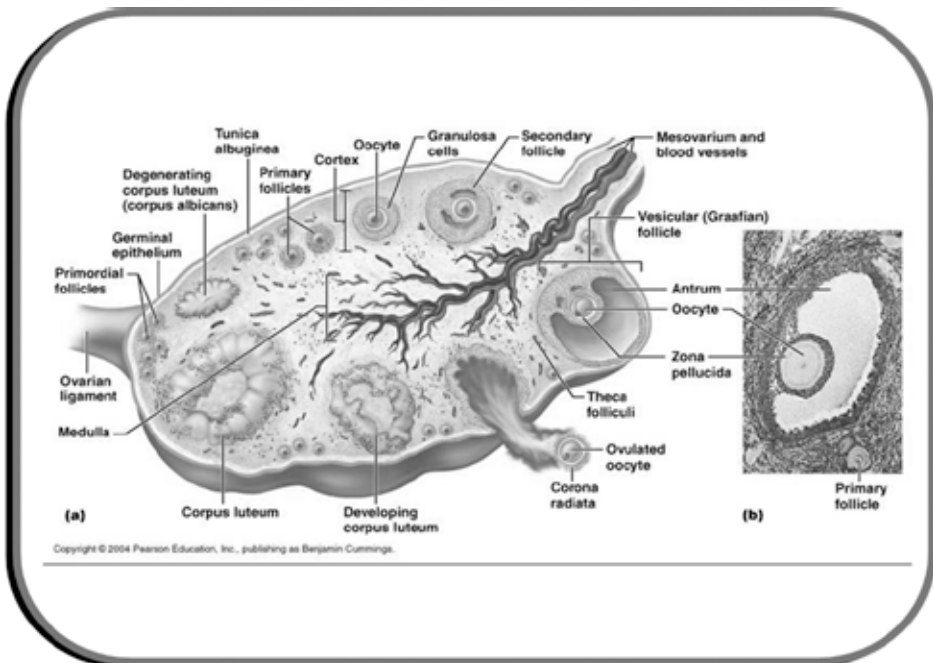
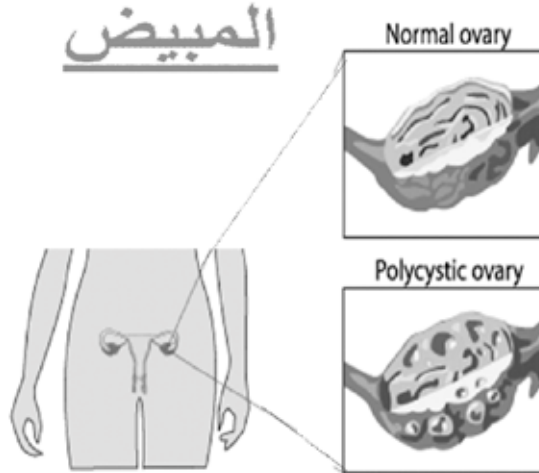
١ - اللب Medulla

عبارة عن نواة مركزية غنية بالأوعية الدموية التي تتوسط بين النسيج الضام العضلي والجزء الأكبر من المبيض، تحيط به الغلالة البيضاء.

٢ - القشرة Cortex

طبقة رقيقة سطحية، مولدة للبويضات، بيضاء اللون، تحتوي على آلاف الحويصلات الأولية primordial follicles، حجمها ٠, ٢٥ - ١ ملم، تتألف الواحدة منها من بويضة تتكون من طبقة واحدة من الخلايا المحيية، وبينها خلايا متطورة تفرز هرمونات. تقع القشرة بين الطلاء الجرثومي المتكون من خلايا طلائية مكعبة من الخارج، والغلالة البيضاء من الداخل، وهي تحيط باللب

المبيض



Copyright © 2004 Pearson Education, Inc., publishing as Benjamin Cummings.

تعريف العدة

لغة: بكسر العين جمع (عدد) وهو إحصاء الشيء يقال عدت الشيء أي أحصيته إحصاءاً.

اصطلاحاً: اسم لمدة تتربصها المرأة وتمتنع فيها عن التزويج . وتبدأ بعد وفاة زوجها أو فراقه لها بالولادة أو الإقراء أو الأشهر، وهذا التربص المحدود شرعاً مأخوذ من العدد لأن أزمته العدة محصورة مقدورة، وسبب وجود العدة أمران وهما: الطلاق أو الموت .

والطلاق ينقسم إلى قسمين:

طلاق سني: وهو أن يطلق الرجل زوجته طليقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه (حديث عبد الله بن عمر) رواه البخاري عند تفسير سورة الطلاق حديث رقم ٤٩٠٨ .

طلاق بدعي: كأن يطلقها طليقة وهي حائض أو في طهر جامعها فيه، أو أن يجمع الطلقات الثلاثة بلفظ واحد أو في مجلس واحد .

يقول الإمام ابن تيمية في كتاب أحكام العدة في تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ) الطلاق (الآية ١)

وذلك بأن يطلقها بعدما تطهر وقبل أن يمسه فإن قيل إن الأقراء هي الأطهار فإنها تبدأ ذلك الطهر وتعد قرءاً وإلا تعد الحيضة التي بعدها، وتكون الحيضة التي بعده هي أول القروء الثلاثة هذا معنى « وطلقوهن لعدتهن » .

ويقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: (وَأَمَّا طُلُقَاتٌ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) البقرة (الآية ٢٢٨)

وقد اختلف السلف والخلف والأئمة على قولين: في المراد بالأقراء ما هو؟

أحدهما : أن المراد بها : الأطهار وقال مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها قالت : انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة، فذكرت ذلك لعمره بنت عبد الرحمن فقالت صدق عروة . وقد جادلها في ذلك ناس فقالوا إن الله تعالى يقول في كتابه « ثلاثة قروء ، فقالت عائشة صدقتم وتدرن ما الإقراء ؟ إنما الإقراء: الأطهار....) (انظر ابن كثير ١ / ٣٧٨، ٣٧٧) ، موطأ ٢ / ٥٧٦ .

وهو ما ذهب إليه مالك والشافعي وهذا القول هو الأقرب من الناحية العلمية لأن البويضة تكتمل في الطهر بعد الحيضة بحوالي ٨-٩ أيام.

الخلاصة العلمية :

إن البويضة تبدأ رحلتها في بداية الحيض رقم ١- وتنتهي في طهر الحيض رقم ٣.
عملية حسابية $٧٠ = ١٤ + ٢٨ + ٢٨$.

ومدة حياة البويضة في الرحم حوالي يومي ($٧٠ + ٢ = ٧٢$ يوماً) حياة البويضة.

تبسيط المفهوم: مثال الدجاجة

الدجاج تبيض كل يوم بيضة، ولكن هذه البيضة التي تخرج اليوم قد بدأت رحلة تكوينها منذ أكثر من ٢٠ يوماً ومرت بمراحل عديدة)

إذا اشترت دجاجة من مالك رقم (١) وكانت هذه الدجاجة تأكل طعاماً ملوثاً أو غير صحي وكذلك لقحت بويضتها بديك ذي أصل غير جيد فيجب على المالك الجديد رقم (٢) الانتظار ٢٠ يوماً حتى تعطي هذه الدجاجة بيضة هي ملك للرجل الثاني ومغذاة بطعام صحي ولقحت بيوضها بديك ذي أصل جيد وإذا أردنا أن نعطي مدة لعدة الدجاجة فنقول ٢٠ يوماً.

وكذلك فإن هذه البويضات تلقح من طرف الديك الذي ألهمه الله تعالى التوقيت المناسب للتلقيح بعد التبويض وقبل خروج البيضة حتى لا تكون البيضة عائقا لدخول الحيوانات المنوية فسبحان الذي قدر كل شيء و تبقى هذه الحيوانات المنوية بضعة أيام لتلقيح البويضات وهنا حكمة ثانية أن الدجاجة هي المسؤولة عن تحديد الجنس وليس الذكر والله في خلقه شؤون .

حكمة الأحكام لابن تيمية

ما شرع الله سبحانه وتعالى أحكام العدة إلا لحكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها، وعدم العلم بها لا ينفيها.

حكمة العدة

قال العلماء الذين سبقونا: حكمة العدة هي براءة الرحم من الحمل، إذن السبب هو الحمل، ولكن يأتي العلم في هذا العصر ليثبت أن المرأة إذا حملت فإنه في اليوم التاسع تتكون المشيمة Placenta فتفرز هرمون الحمل HCG الذي نجده في الدم أولاً ثم في البول بالنسب الآتية:

نسبة هرمون الحمل... اتش.سى.جى

• ٩ أيام بعد التلقيح = (عادة حوالى ٢٥ وحدة دولية)

• اسبوع ٢ = ٥-٥٠

• اسبوع ٣ = ٥-٥٠

• اسبوع ٤ = ١٠-٤٢٥

• اسبوع ٥ = ١٩-٧٣٤٠

• اسبوع ٦ = ١٠٨٠-٥٦٥٠٠

• اسبوع ٧-٨ = ٧٦٥٠-٢٢٩٠٠٠

• اسبوع ٩-١٢ = ٢٥٠٠٠-٢٨٨٠٠٠

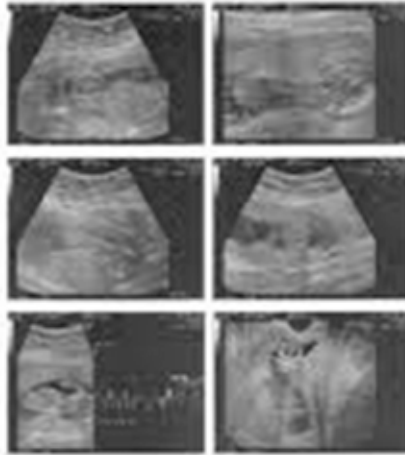
• اسبوع ١٣-١٦ = ١٣٣٠٠٠-٢٥٤٠٠٠

• اسبوع ١٤-١٧ = ٤٠٦٠-١٦٥٤٠٠

• اسبوع ٢٥-٤٠ = ٣٦٤٠-١١٧٠٠٠

بإمكاننا معرفة المرأة هل هي حامل أم لا ؟

وكذلك إذا غم علينا ذلك ؛ فإننا نقوم بفحص المرأة عن طريق جهاز التصوير بالموجات الصوتية Echographie لتتأكد بحمل المرأة أو لا .



الخلاصة

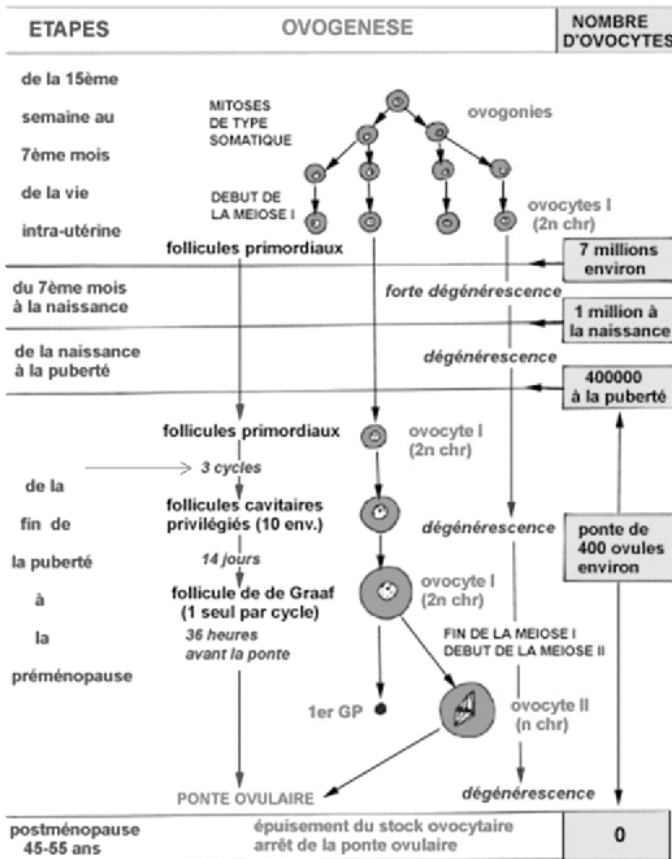
بعدما تأكدنا من أن المرأة غير حامل عن طريق تحليل الدم والبول والفحص الطبي، تكون قد زالت العلة والسبب إذن تستطيع المرأة أن تتزوج ولكن في الشريعة الإسلامية تتربص المرأة ثلاثة قروء كما قال تعالى: (**وَأَمْطَلَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**) البقرة (آية ٢٢٨) .

الحقيقة العلمية رقم الأولى

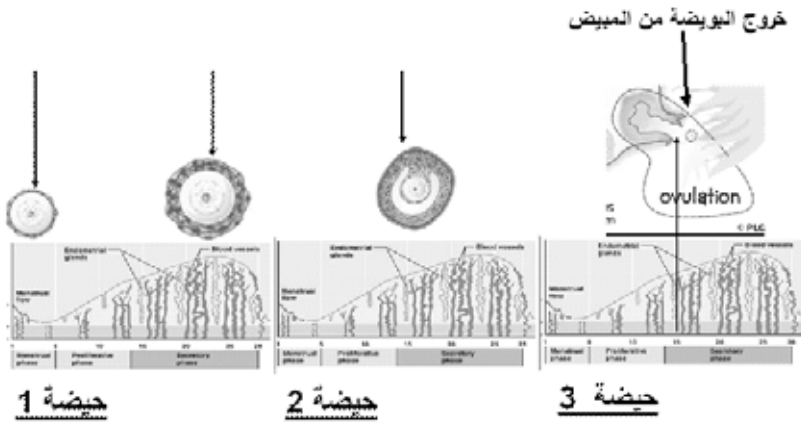
يكشف العلم الحديث في علم الأجنة في مراحل تخليق البويضات أن مدة تكوين البويضة هي ثلاثة قروء.

أنظر الدليل العلمي في الجدول العالمي لمراحل خلق البويضات، حيث يقول العلماء ٣ حيضات (cycls) + ١٤ يوما أي الطهر .

الجدول العالمي المتعارف عليه
الذي يدرس في كل الجامعات الطبية



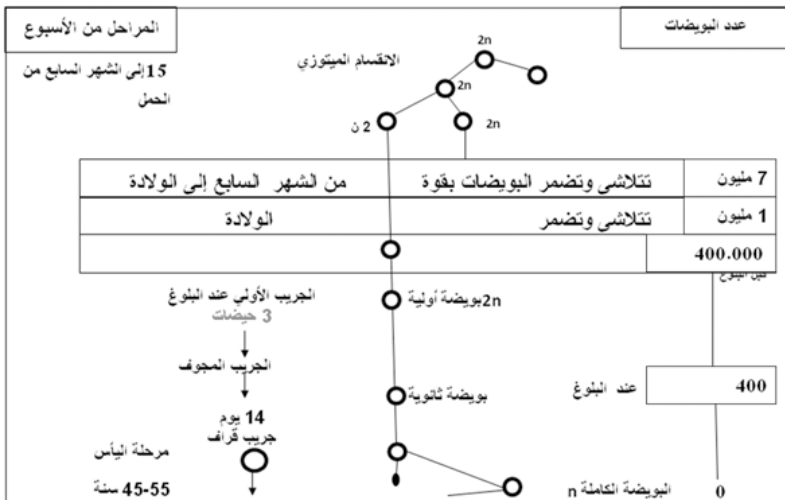
مراحل تكوين البويضات



مراحل تكوين البويضة داخل المبيض = 3 حيضات و تظهر

الجدول العالمي المترجم للغة العربية ترجمة شخصية

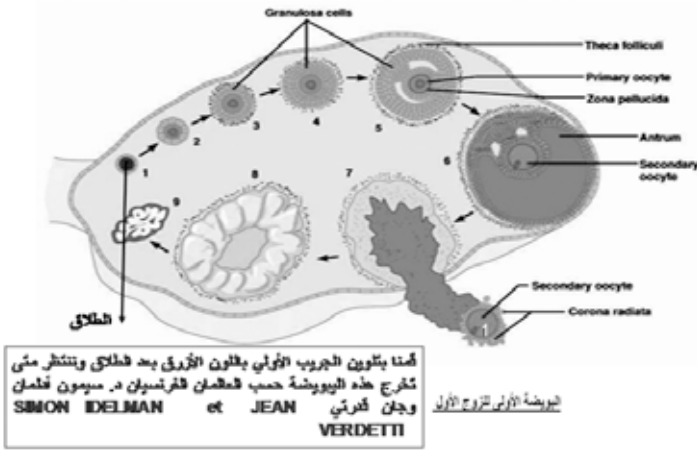
OOVOGENESIS



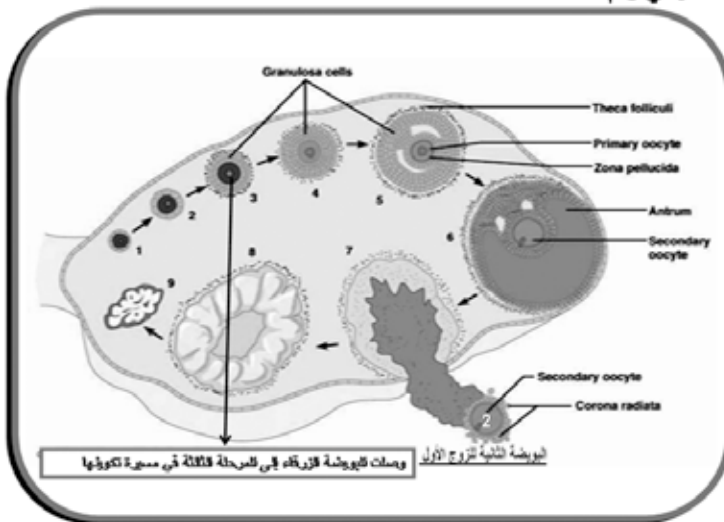
الحقيقة العلمية الثانية:

إذا طلق الرجل زوجته في طهره لم يجامعها فيه (الطلاق السني)، يكون في المبيض ثلاثة بويضات في مراحل التخليق والتكوين هذه البويضات هي تابعة للزوج الأول

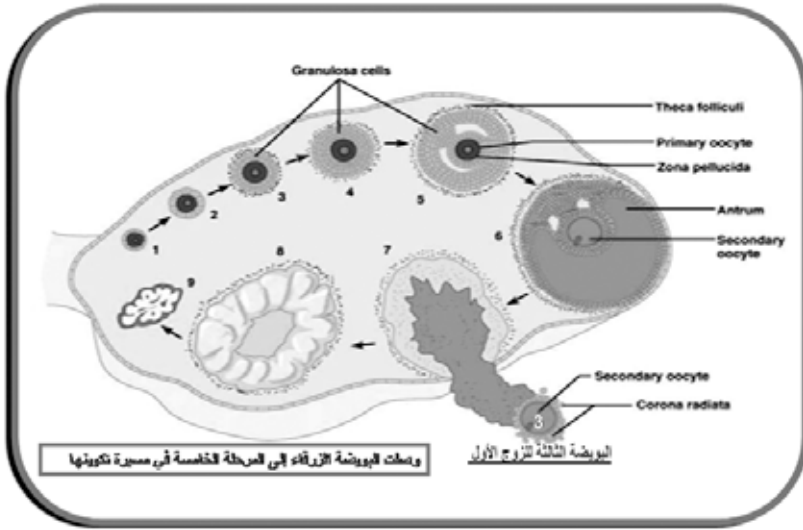
فلبويضة الأولى - تخرج بعد الحيضة الأولى بعد الطلاق
وهي رقم 1



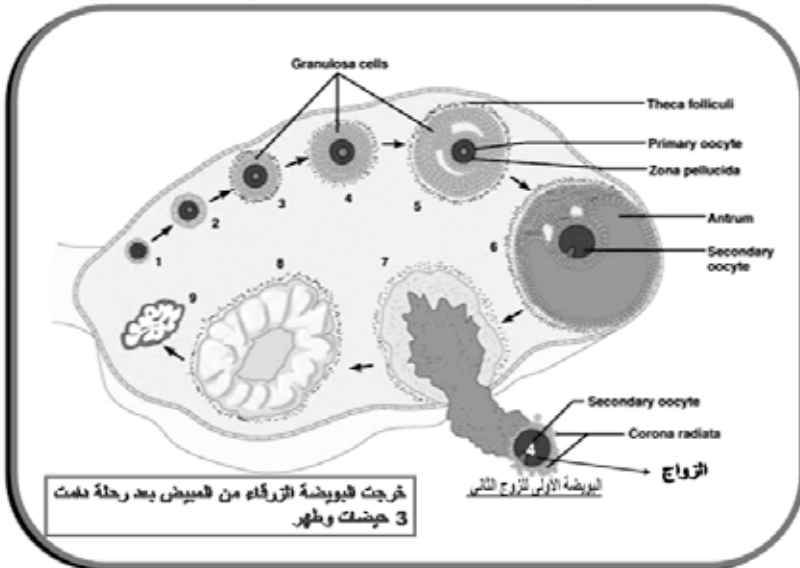
فالبويضة الثانية - تخرج بعد الحيضة الثانية بعد الطلاق
وهي رقم 2



البويضة الثالثة - تخرج بعد الحيضة الثالثة بعد الطلاق وهي رقم 3
الرحم يتخلص من كل البويضات الزوج الأول الملونة باللون الأحمر .



البويضة الرابعة - تخرج بعد الحيضة الرابعة بعد الطلاق وهي رقم 4



أما البويضة رقم ٤ لا علاقة بالزوج الأول لأنها كانت في المخزن كما يقول العلماء و المرأة في بطن أمها وبدأت رحلتها في التخليق بعد الطلاق لأن عمرها ثلاث قروء كما قال تعالى، إذن هذه البويضة لا علاقة بالزوج الأول وإذا تزوجت المرأة بعد العدة كانت هذه البويضة خالصة للزوج الثاني و إذا لقحت هذه البويضة بحيوان مني الرجل الثاني كان الولد خالصا للزوج الثاني.

وهذه الحقيقة العلمية توافق ما قاله فقهاؤنا الأوائل في حكمة العدة وهو استبراء الرحم، لئلا تختلط المياه وتشتبه الأنساب.

وهذا هو الإلهام الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى لعلمائنا الأوائل، وصدق رسوله الكريم في الحديث الشريف ١٨٤٤: حَدَّثَنَا النَّفِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَقَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ أَبِي مَرْزُوقٍ عَنْ حَشِّ الصَّنَعَانِيِّ عَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَامَ فِينَا خَطِيبًا قَالَ أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَالَ « لَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاءَهُ زُرْعَ غَيْرِهِ » (رواه أبو داود برقم ٢١٥٨) بإسناد لا بأس به

هناك رواية يسقي مائه ولد غيره ولكن بعد البحث تأكدنا أن الرواية الصحيحة هي زرع غيره. لذلك نقول إن المقصود هنا ليس الولد كما ذكر بعض المفسرين لأن الولد قد يكون جنينا. والمقصود هنا بالزرع والله أعلم هي البويضات، لأن الولد هو ثمرة الزرع والبويضة هي الزرع الحقيقي قبل النضج.

فمن أخبر محمد بن عبد الله بأن هناك زرعاً للرجل الأول وهو البويضات؟

إن الذي أخبره هو الذي أرسله وهو الذي خلق هذه البويضة وهذه المرأة.

وكذلك تبين لنا غيرة الله سبحانه وتعالى ورسوله على بنات حواء. حيث يخلصها الله سبحانه وتعالى بالعدة مما يربطها بالزوج الأول حتى لا تختلط الأنساب. وهناك دراسة قام بها دكتور جزائري بفرنسا تؤكد أن النساء اللاتي يتزوجن في مدة العدة يصبن بانبيارات عصبية والله في خلقه شؤون.

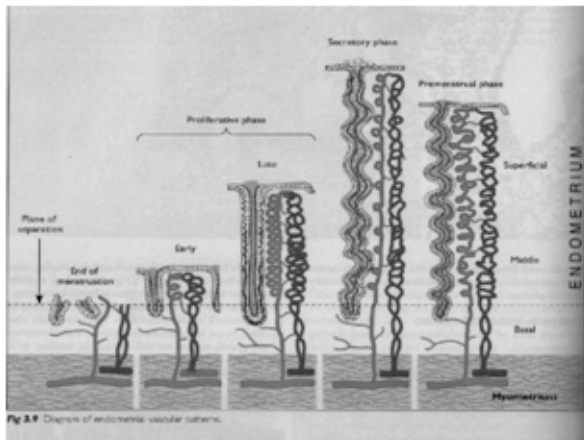
حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث رقم ٦٣٧٣ صحيح البخاري في الحدود رقم ٤٠) ردا على بعض الصحابة وذلك حين قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « **أتعجبون من غيرة سعد لأننا أغيرمنه والله أغيرمني** » صدق رسول الله .

فأين المدافعين على حقوق المرأة من هذه الحكمة الإلهية والحقيقة العلمية ؟

تحريم الطلاق في الحيض

تعريف الحيض : هو نزيف في الرحم من ٦٠ إلى ٢٤٠ ملل من ٣ إلى ٥ أيام مع انسلاخ قطع من بطانة الرحم . والجديد علمياً: أن دم الحيض ٢٥ ٪ وريدي والباقي دم شرياني .

وآخر ما توصل إليه العلم أنه عند تحليل دم الحيض وجد فيه كمية من مادة prostaglandin وهي المسؤولة عن تثبيط الألام عند الإنسان، لذلك ففي هذه المرحلة يزداد إحساس المرأة بالألم لأنها تفقد هذه المادة مع الحيض . علماً أن المرأة تستقبل هذه المادة prostaglandin عند الوقاع لأنها في مني الرجل، فسبحان الله في هذا التوازن العجيب .



كما أن الحيض هو تغييرات هرمونية كبيرة تلعب فيها الغدة الصنوبرية والغدة النخامية الدور الأساسي في هذه العملية في إفراز هرمون FSH وهرمون LH ويفرز المبيض مادة البروجسترون والإستروجين وفقدان كمية معتبرة من الدم كلها تجعل المرأة في حالة صحية ونفسية غير عادية مما يؤدي بها إلى تغيير مزاجها ونفسياتها وكذلك تكون في هذه المرحلة أضعف مما كانت عليه. والطلاق قد يضاعف هذه الأعراض مما يؤدي بها إلى ما لا يحمد عقباه.

وكذلك من ناحية خلق البويضات فإن البويضة تبدأ رحلتها في بداية الحيض وهنا إذا تعرضت المرأة إلى ضغط نفسي قد يؤدي بها إلى اضطراب هرموني مما يؤثر سلباً على تكوين البويضة التي بدأت رحلتها وهذا قد يؤثر في الصيغة الجينية لهذه البويضة وإذا لقحت هذه البويضة قد يصاب الجنين بتشوهات معتبرة.

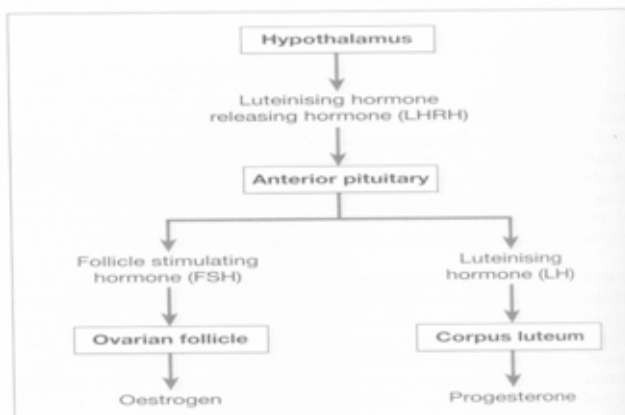


Figure 19.8 Female reproductive hormones and target tissues.

تحريم الطلاق في طهر جامعها فيه :

إذا جامع الرجل زوجته في طهر ثم طلقها فإن الحيوانات المنوية تعيش في رحم المرأة من ٠٣ إلى ٠٥ أيام وهي مدة لا بأس بها لتلقيح البويضة إذا كان الوطء بعد الحيضة مباشرة وهكذا إلى ما بعد اليوم الرابع عشر لأن البويضة تعيش يومين وهي مدة إمكانية أن تلحق

هذه البويضة لتصبح إنساناً؛ ولكن إذا طلق الرجل زوجته في هذه المرحلة ولقحت البويضة ((هذه المرحلة تسمى البويضة الملقحة Zygote)) تكون الصيغة الجينية قبل مرحلة التمايز أي خلايا جذعية وهي أكثر عرضة للتشوهات الجينية بحسب الأزمات النفسية وقد يكون هذا الولد طفلاً مشوهاً ويولد بدون أب ويكون حملاً ثقيلاً على المرأة ولذلك حرم الشارع الحكيم الطلاق في الطهر إذا جامعها فيه والله أعلم.

البصمة أو العلامة الوراثية : code

نعلم أن الحيوانات البحرية المعروفة التي يزيد عددها على ٤٠٠,٠٠٠ نوع كلها تضع حيواناتها المنوية في الماء وتضع الإناث أيضاً البيض في الماء وكل حيوان منوي يلحق نفس البيض من نفس النوع ولا يخطئ أبداً وكذلك الشأن بالنسبة للنبات والحيوان، حيث حاول بعض أنصار الدروينية أن يلحقوا بويضة إنسان بحيوان منوي للقرد ولكن لم يفلحوا وكذلك خلطوا في زجاجة عدداً من أنواع من البويضات والحيوانات المنوية فكانت النتيجة أن كل بويضة لقحت بنفس الحيمين من نفس النوع وهي حقيقة علمية وحكمة ربانية حتى لا تختلط الأنواع ويظهر في كل جيل حيوان يخالف الأصل { سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا } الأحزاب ٦٢.

وراح العلماء يبحثون عن السر في ذلك، وأخيراً توصلوا إلى السر العلمي، فإذا هو سر عجيب .. وجدوا في قلنسوة كل حيوان منوي مادة بروتينية معقدة التركيب جداً، تختلف من نوع من الخلق إلى نوع آخر، تعمل عمل البطاقة الشخصية أو الباسبور تسمى علمياً (المادة المخصبة المضادة) antifertilizin ، مضادة لماذا؟

وجدوا أنها مضادة مادة مخصبة أخرى قرينة لها فقط - أي من نفس نوعها - وهذه « المادة المخصبة » القرينة لها موجودة على جدار بويضة الأنثى من نفس النوع وتسمى fertilizin وكلا المادتين تعملان كالمفتاح والقفل. لذلك تسمح أي بويضة من أنثى، بحيوان منوي من نفس نوعها باختراقها، كما أن الحيوان المنوي لا يخترق بويضة إلا إذا كان على جدارها (المادة المخصبة) القرينة (للمادة المخصبة المضادة) التي على غطاء رأسه (القلنسوة) ..

ولولا هذا الإعجاز في الخلق لاضطربت صفات الوراثة في المخلوقات، ولعمت فوضى هائلة في المخلوقات جميعا.

وتوصل أخيرا الباحث سعدي كشبان من المعهد الفرنسي للبحوث لمعرفة هذه المادة والتفصيل يأتي لاحقا، فقد قمت بترجمة النص الفرنسي إلى اللغة العربية.

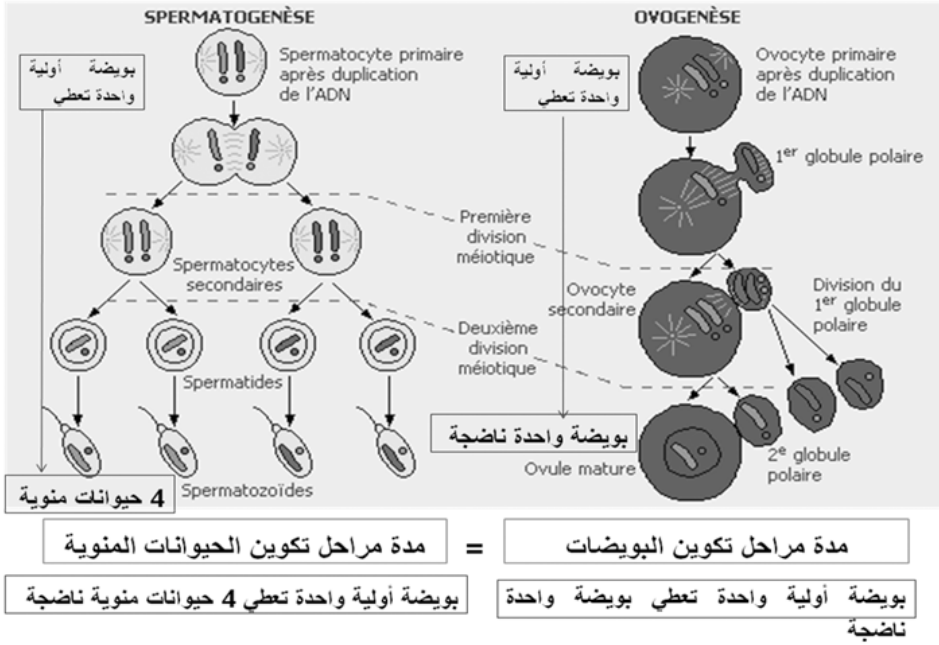
البصمة أو العلامة الوراثية code بالنسبة للإنسان :

نحن نعلم أن الرجل يقذف من ١٥٠ مليون إلى ٤٥٠ مليون حيوان منوي في قذفة واحدة. ولكن المعجزة الإلهية أن هناك واحد فقط يدخل البويضة. وهناك عندنا فيلم حقيقي يصور مرحلة اختراق الحيوان المنوي للبويضة. بعد ذلك تغلق البويضة ولن يدخلها آخر وتموت البقية كمدا وحسرة على جدارها.

وهي الظاهرة التي أطلق عليها العلماء - علاقة القفل والمفتاح - أي عند هذا الحيوان المنوي المفتاح الذي يفتح به ونحن عندما شاهدنا الفيلم السابق لاحظنا أن الحيوان المنوي الذي دخل البويضة لم يكن من الأوائل الذين وصلوا إلى جدارها.

هذا (الكود) code يصنع والبويضة في رحم الزوجة والحيوان المنوي في خصية الرجل مع العلم أن مدة تخليق الحيوانات المنوية هي نفسها مدة تخليق البويضة - ف سبحانه الله.

لذلك أقول أن البويضات الثلاثة الموجودة في مبيض المرأة أثناء الطلاق تحمل بصمة الزوج الأول لذلك يعلم الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم حين تكلم على الزرع « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر لا يسقي ماءه زرع غيره » ومن هنا كانت العدة ثلاث أطهار حتى يتخلص المبيض من البويضات الثلاثة بثلاث حيضات .



وهنا نعطي الدليل العلمي المتفق عليه عالميا من طرف كل الأطباء بأن كل بويضة أولية للمرأة تعطي بويضة واحدة ناضجة قابلة للتلقيح.

أما بالنسبة للرجل فبويضة واحدة أولية تعطي ٤ أربعة حيوانات منوية قابلة للتلقيح. وهو دليل على أن الذي شرع حكمة تعدد الزوجات بأربعة هو الذي خلق أصل الإنسان وهي البويضات.

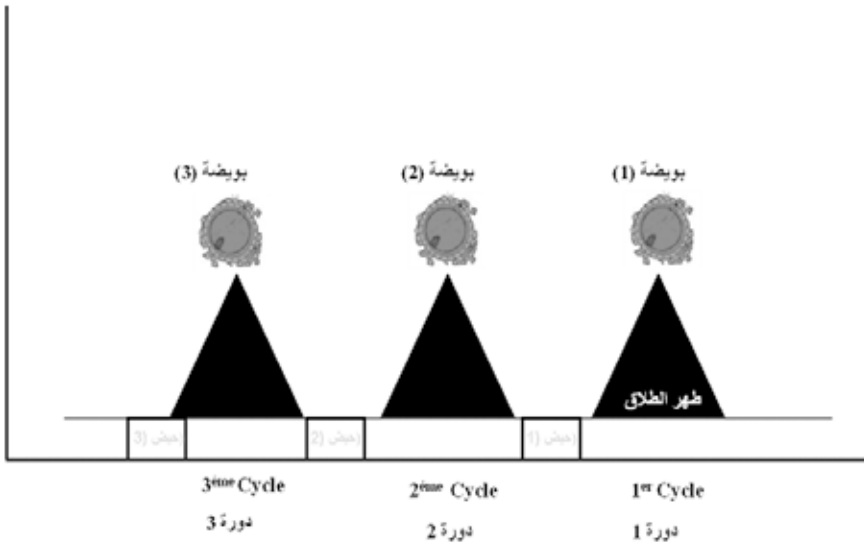
فأربعة بويضات أولية للمرأة تلحق ببويضة أولية واحدة للرجل لأنها تعطي أربع حيوانات منوية. وهنا يحق للرجل الزواج بأربع. والذين يريدون تغيير سنة الله في تعدد الزوجات ويسنون قوانين تحرم ذلك نقول لهم هل تستطيعون تغيير خلق الله؟

فبهت الذي كفر.

ولم نسأل أنفسنا لماذا أكبر عدد الطلقات هو ثلاثة. والإجابة لأن للمرأة ثلاث بويضات في مراحل التخليق.

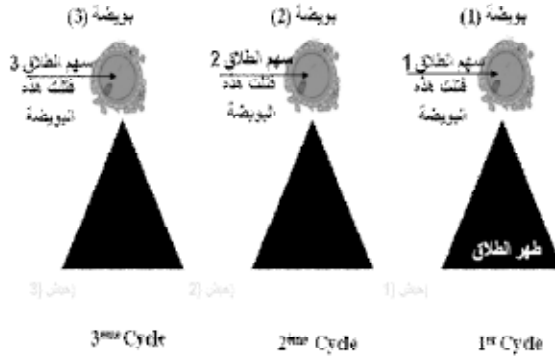
عن مالك أنه بلغه أن رجلاً قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إني طلقت امرأتي مائة تطليقة، فماذا ترى علي؟ فقال له ابن عباس: طلقتُ منك لثلاث، وسبع وتسعون اتخذت بها آيات الله هُزُؤًا. (قال محقق الاستذكار: وأخرجه عبد الرزاق في المصنف، والبيهقي في السنن، وانظر المحلى).

عن مالك أنه بلغه أن رجلاً جاء إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: إني طلقت امرأتي ثمانين تطليقات، فقال ابن مسعود: فإذا قيل لك؟ قال: قيل لي إنها قد بانت مني، فقال ابن مسعود: صدقوا؛ من طلق كما أمره الله فقد بين الله له، ومن لبس على نفسه لبسًا جعلنا لبسه مُلصقًا به، لا تلبسوا على أنفسكم وتتحمله عنكم، هو كما يقولون. (انظر تخريج الأثر السابق فإن هذا مثله).



توجد في المبيض ثلاث بويضات أثناء الطلاق

قول الجمهور من فقهاء الأمة: وهو وقوع الطلاق الثلاث في « فم واحد » أي بلفظ: طالق ثلاثاً أو في مجلس واحد أي يلفظ (أنت طالق ، أنت طالق، أنت طالق). وهنا قد قتل الرجل البويضات الثلاثة التابعة له بأسهم الطلاق الثلاثة.



الطلاق الغير رجعي يتم بثلاث طلاقات

السؤال الذي قد طرحه حول المرأة اليائسة من الحمل أوالتي لم تحض؛ لماذا مدة عدتها ٠٣ أشهر؟ .

الإجابة : عدة المطلقة اليائسة التي لا تحيض لكبر سنها أو لصغره هي ثلاثة أشهر لقوله تعالى: « وَاللَّائِي يَتَسَنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ » الطلاق آية ٤

الدورة الشهرية تنقسم إلى ثلاثة أقسام حسب المرأة :

- دورة قصيرة - ٢٤ يوما - خروج البويضة يكون ١٠ يوما حسب الطريقة الفرنسية لحساب يوم التبييض أي خروج البويضة من المبيض .
- دورة عادية - ٢٨ يوما - خروج البويضة يكون ١٤ يوما
- دورة طويلة - ٣٥ يوما - خروج البويضة يكون ٢٠ يوما

والشرع هو مبني على جلب المصلحة ودرء للمفسدة. والتشريع الحكيم يأخذ كل الاحتياطات لأطول مدة وهي ٣٥ يوما.

$$٩٠ = ٣٥ + ٢٠ + ٣٥$$

ويوما وهي ثلاثة أشهر وصدق الله العظيم

إذا حل لغز ثلاثة أشهر علميا :

يبقى سؤال ثاني، المرأة لا تحيض أي لا يوجد هناك بويضات لماذا ٠٣ أشهر .

يحب العلم هنا أن هناك بعض الحالات الخاصة :

فمثلا لدينا نحن في الجزائر منطقة تسمى تمنراست التي أجرت فيها فرنسا تجربتها النووية وفجرت فيها القنبلة النووية. ولا زال الإشعاع النووي في هذه المنطقة إلى حد الآن حيث نجد هناك نساء ولدن بعد سن اليأس. وبالتالي يكون هناك خلل في النظام الهرموني فتبقى بويضة بعد سن اليأس وتحمل المرأة وهناك حالات كثيرة تطرق إليها العلم.

وبالتالي فالتشريع عمد إلى إبعاد كل الاحتمالات حتى لا تكون المفسدة لذلك كان تشريعا احتياطيا بـ ٠٣ أشهر.

المرأة التي لم تحض :

هذه المرأة قد يكون في مبيضها بيوضات ولكن يحدث حملها لأسباب مرضية هرمونية وحتى لا تخلط المياه والأنساب شرع الله عز وجل عدتها ثلاثة أشهر وهو وقاية كافية لعدة المرأة.

تداخل العدة : حتى فقهائنا انتبهوا إلى هذه الحقيقة وشرعوا لها.

مطلقة اعتدت بالحيض فحاضت حيضة أو حيضتين ثم أيست من الحيض فإنها تنتقل إلى الاعتماد بالأشهر فتعدت ثلاثة أشهر.

مطلقة صغيرة لم تحض بعد أو كبيرة أيست اعتدت بالأشهر فلما مضى شهر أو شهران من عدتها رأت الدم تنتقل من الاعتماد بالأشهر إلى الاعتماد بالحيض هذا فيما إذا لم تتم العدة بالأشهر. أما إذا تمت العدة ثم جاءها الحيض فلا عبرة به

الحقيقة العلمية الثالثة :

كنت متأكدا من حقيقة علمية ثالثة وهي أن هذا الكود أو الشفرة التي يتعرف بها الحيمن على البويضة مدته ٠٣ أشهر على الأقل لماذا ؟
لأنه عندما تتزوج المرأة في طهر هناك ثلاثة بويضات في مبيضها هذه البويضات لا تحمل هذه الشفرة.

أما التي تحمل شفرة الزوج وهي البويضة التي تبدأ رحلتها بعد النكاح.
بحث في كل الكتب العلمية لأجد الدليل على هذه النظرية فلم أجد فبدأت بعملية إحصائية لمئات النساء حيث أطلب من المرأة

عمر المرأة أثناء الزواج يوم الزفاف ويوم ولادة الولد الأول، والتي نوضحها في الجدول التالي:

عمر المرأة	يوم الدخول بها	يوم ولادة الإبن الأول
٢٠ سنة	٢٠٠٩-٠١-١٠	٢٠٠٩-١٢-٠٨

وكانت النتيجة كما توقعت وهي دراسة إحصائية وهي بالتقريب ثلاثة أشهر وأخيرا وجدت الدليل من طرف الدكتورة DR. Anne de Kervadone gynécologue (هي مختصة في أمراض النساء والولادة بفرنسا) التي تقول بالصورة والصوت أن مدة تلقيح البويضة بعد الزواج في المتوسط (ونحن نؤكد متوسط المدة وهي دراسة حسابية إحصائية) وهي ثلاثة أشهر.

آخر ما توصل إليه العلم في مسألة العلامة CODE :

البحث موجود في مجلة INSEM المعهد الوطني للصحة والبحوث الطبية بفرنسا بتاريخ ٢٠٠٩ / ٠٩ / ٣٠ في مجلة الطبيعة.

قمت بترجمة البحث وهو مجهود شخصي لأخص لكم زبدة ما قاله الباحثون وتجدون النص كاملا باللغة الفرنسية مع أسماء الباحثين وهواتفهم وكذلك البريد الإلكتروني.

فقد وجد الباحثون طريقة جديدة لقراءات الرمز Code في الهستونات الموجودة في الحمض المنوي ADN للحيوانات المنوية .

باحثون في المخبر الأوروبي للبيولوجيا الجزئية (EMBC) في مدينة هندبارق (Hindeberg) وفي مدينة قرونوبل الفرنسية ومعهد (Albert BONNIOT) في مدينة قرونوبل الفرنسية توصلوا إلى سر سرعة الحيوانات المنوية وتوجيهها.

الترجمة الحرفية للنص الفرنسي :

الحمض المنوي DNA يتكون جزئيًا طويل ومعقد يسمى (كرماتين) « Chromatine » أي يكون جزئي الحمض المنوي المكون من شرطين بين الواحد والآخر تربطهما بروتينات تسمى (الهستون) (Histone) في الحيمن، وهي المسؤولة على توجيه و سرعة الحيوان المنوي. هذه (الهستون) هي بمثابة علامة مشفرة بـ Etiquette (علامة) كيميائية توجد بعدد كبير في كل هستون والتي تتحكم في تسيير رمز « Code » وتمييز التركيب البياني للكروماتين.

هذا الرمز « Code » تتعرف عليه بعض البروتونات وتلصق بها.

هذه البروتينات أعطي لها اسم « BRDT » تحمل علامة « Etiquette » خاصة ومن مجموعة أستيل (Acetyl) .

وهذا البحث تحت إشراف الدكتور سعدي كشبان مدير البحوث العلمية بمعهد Albert Bonniot البريد الإلكتروني saadi.khochbin@ujf-grenoble.fr

ونشر بحث ثاني للدكتور سعدي كشبان بتاريخ ٢٠١٠/٠٨/٠٦ ويثبت أن من أسباب العقم عند الرجال ضعف الحيوانات المنوية وهذا راجع إلى حمضها المنوي المحطم Endommagé مما يؤدي إلى عدم التلقيح . حتى الجنين لا يكون سليماً نتيجة فقدان مادة الهستون الموجودة في كروماتومات الحيوان المنوي .

إذن مادة الهستون هي المسؤولة على الشفرة (Code) وتوجيه الحيوان المنوي لتلقيح البويضة وطبقت هذه التجربة على الفئران حيث نزلت هذه المادة من DNA فأصبحت

الحيوانات المنوية غير ملقحة، وهذه التجربة قام بها الدكتور سعيد كشبان .

هذا هو الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهو حجة علينا نحن المسلمين وخاصة الأطباء المتخصصين منا. وصدق الله العظيم في قوله تعالى: «سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم» حتى يتبين لهم أنه الحق.

وهو حجة على اللذين ينكرون هذا الدين ويتناولون على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

لثبت للعالمين أننا على حق وكتابنا حق. ورسولنا حق. ونتحداهم أن يأتوا بحقيقة علمية واحدة جلية ذكرت في كتبهم وأثبتها العلم الحديث، ثبوتاً واضحاً لا غبار عليه .

لذلك فإن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة هو السد المنيع والدرع الواقى لشبابنا المتعلم، ضد كل التيارات الإلحادية والتشكيكية منها، و اليهودية التي تريد النيل من عقيدتنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بدعوى العلم والعولمة. ولكن كما جل وعلا: (يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين).

وإن هذا القرآن لا تنقضي عجائبه فسبحان الذي قدر فهدى، سبحان الذي خلق الإنسان من نطفة تمنى، سبحان الذي خلق فسوى، سبحان الذي ما شرع إلا لحكمة وما حكم إلا لغاية.

سبحان الذى قدر مدة العدة للمطلقة فكانت هى مدة تكوين البويضة فى مبيض المرأة. والله أعلى و أعلم وبارك الله فيكم وجعلكم ذخراً للإسلام والمسلمين، ومدافعين عن سنة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.



MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH



بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

٤



محور الفلك وعلوم الفضاء
محور الأرض وعلوم البحار

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH



الفلك وعلوم الفضاء
الأرض وعلوم البحار



MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

بحوث
المؤتمر العالمي العاشر
للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

محور الفلك وعلوم الفضاء
محور الأرض وعلوم البحار

دار جياذ للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

٧	مقدمة
١٥	ظاهرة السراب بين العلم وحقائق الكتاب
٣١	مرور البرق: بين العلم والإيمان
٦٥	مصايح الكون
٨١	إثبات توسط مكة المكرمة لليابسة
١٠٥	كثرة حوادث الزلازل وخسف الأرض
١٣١	الإعجاز في تقسيم الرياح البحرية
١٥٥	الفساد البيئي برأ.. وبحراً.. وجواً..
١٧٣	أسس علم الجيولوجيا من الآية (٧٤) في سورة البقرة
٢٠١	القرآن وأنظمة الأرض الديناميكية

مقدمة

كلمة فضيلة الدكتور / عبد الله بن عبد العزيز المصلح
الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأخواتي :

جمهور الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .. في العالم أجمع ..

أحييكم بتحية الإسلام؛ فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فقد تداعى أهل الاهتمام بشأن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في عالمنا من المشارق
والمغرب والتقوا في حمى الكعبة وتحت ظلال الحرم المكي الشريف وضمتهم أروقة رابطة
الإسلامي لتنبثق من هذا اللقاء الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

إنها العلم؛ وهل يردُّ العلم إلا من سفه نفسه.

إنها اليقين؛ وهل يصد عن اليقين إلا من رضي الجهل له قريناً.

إنها النظر المتأمل في الآيتين المتألفتين الثابتتين :

الآية المنظورة والآية المسطورة.

آية في الكون والإنسان والحياة في دقتها المذهلة وانتظامها في هذا الملكوت الرحب .. المسبح بحمد ربه، وآية في هذا الكتاب.

والسنة حدثنا عن هذه الحقائق في توافق تام وانسجام بديع مع كونه قد تنزل في زمن لم يكن في مقدور البشر ولا في علمهم معرفة به ولا إحاطة بتلك الحقائق.

إنها الحججة البالغة الدالة على أن من خلق الأكوان هو من أنزل القرآن.

إن رسالة هذه الهيئة أن تبين هذه الحقيقة الناصعة وأن تكون قنطرة للتواصل العلمي نحقق من خلالها خدمة الإنسانية في البحث عما ينفع الناس ويمكث في الأرض ولتثبت للعالم أن ديننا دين علم ومعرفة يبحث عن الحق ويدعو إلى الإبداع والتقدم والأخذ بأسباب الرقي المادي وصناعة الحضارة من أجل حياة إنسانية كريمة يسودها العدل ويصير العلم فيها خادماً للناس معيناً لهم لا معول هدم وسبب دمار وبذلك يصحح الناس جميعاً في أمن وأمان ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩).

أما أنتم معاشر العلماء والباحثين..

يا من تحرصون على التواصل مع الهيئة التي هي بكم ولكم ومنكم وإليكم؛ لكم مني ومن إخوتي العلماء والباحثين والإداريين في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة الشكر والعرفان بالفضل ولم لا يكون ذلك كذلك وأنتم شهود الله على ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وعظيم نعمائه ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨).

إن هذه الهيئة التي هي جامعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة التي تجمع من العلماء صفوتهم ومن الباحثين أعلاهم رتبة في بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وعندها وفي رحابها تلتقي الكفاءات العلمية العاملة بهذا الشأن المهم من شؤون قرآننا وسنة نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم لندعو كل قادر على السير في هذا المنهج السوي والمنهل الروي إعلاءً للحق وإظهاراً للحقيقة واكتشافاً لما أودع الله في الكون والحياة والأحياء مما ينفع الناس ويكشف نعماء الله علينا التي استودعها في ملكوته الرحب (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٩).

لقد ألزمت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة نفسها بمقتضى المنهج العلمي وضوابط البحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ما يمكن أن نجمه في الآتي:

١. تجاوز الفرضية والنظرية وتخطى هذه المرحلة إلى مرحلة الحقيقة العلمية التي لا تقبل النقض ولا التغيير.
 ٢. وجود الدلالة الظاهرة على تلك الحقيقة في كتاب الله أو ما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
 ٣. الربط بين هذه الحقيقة ودلالة النص بأسلوب ميسر وسهل.
 ٤. أن تكون تلك الدلالة وفق مفهوم العرب الذين نزل القرآن بلغتهم.
 ٥. أن لا نبحت في الأمور الغيبية التي اختص الله نفسه بعلمها والتي آمنا بها وصدقنا بمقتضاها.
 ٦. أن يكون تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة الصحيحة ثم بالآثار التي صحت عن سلف هذه الأمة ثم بدلالة اللغة العربية التي تنزل بها القرآن الكريم.
- ونود أن نبين هنا أن الشبهات التي أثرت حول التفسير العلمي - وكذلك ما سبق من التردد بشأن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - إنما هي عند التحقيق منصبّة في مجملها على البحوث غير المنضبطة بضوابط البحث في الإعجاز المذكورة آنفاً؛ حيث وقع أصحابها

في التسرع أو الغفلة عن بعض الضوابط المقررة؛ علماً بأن مثل تلك البحوث لا تمثل إلا حالات قليلة ومرفوضة، لذلك فإن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة عندما تنظر في بحث من البحوث تضعه في مكانه على حسب قربه من تحقيق ما يشترط في البحوث أو بُعده عن تلك الشروط والقواعد..

إن معاناة البحث في هذا المجال وما نلاقه من صعوبات ومتاعب وعوائق لنشر تلك القضايا يذهب أثرها وينقش غبارها عندما نرى عياناً آثار وثمار بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وجدير بنا أن نذكر بعضاً منها تحفيزاً لهمم الباحثين كي يسلكوا هذا الطريق وينصروا دين الله من خلاله؛ ومن أهمها:

١. الأثر البالغ الذي تتركه في قلوب المسلمين، والذي يترجم بزيادة اليقين عندهم لدى معرفتهم بهذه الحقائق الباهرة؛ لأنها وردت في القرآن الكريم وعلى لسان النبي الأمي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وهكذا فإنها خير محرض للتمسك بالقرآن والسنة والاهتداء بهما.

٢. الرد العلمي الدامغ على الأفكار التشكيكية بصحة الرسالة المحمدية؛ حيث إن عرض تلك الحقائق التي جاءت في القرآن الكريم أو أخبر عنها نبي أمي في زمن لا يوجد فيه تقدم علمي كما أنه لا توجد في المجتمع وكذا البيئة التي عاش فيها أية إثارة من علم في تلك الميادين الكونية؛ ولذلك فهذا الإعجاز العلمي يعتبر مجالاً خصباً لإقناع المنصفين من العلماء بربانية القرآن الكريم وصدق رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

٣. الرد العملي المقترن بالبرهان الساطع على أن الدين الإسلامي هو دين العلم حقاً؛ فمع إشادة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم - والترغيب في تحصيله والتنويه بفضل العلماء - فقد ذكر كثيراً من الحقائق العلمية وأشار إلى كثير من الأسرار الكونية مما هو موضوع العديد من التخصصات في آفاق الكون ولم يستطع أحد إلى

الآن أن يثبت وجود تعارض بين أي دلالة كونية واردة في القرآن الكريم أو حديث شريف صحيح مع ما استقر من الحقائق العلمية اليوم وأنى له ذلك.

٤. الإعجاز العلمي يعتبر خير محرض لهمم المسلمين كي يتابعوا مسيرة البحث والتجريب والمقارنة وغير ذلك من وسائل الكشوف العلمية والتقدم المعرفي، وفي الوقت نفسه فإن ذلك يفضي إلى توسيع دائرة شواهد الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٥. هذا الإعجاز العلمي يعتبر قناة آمنة ترفد بقية قنوات الدعوة إلى الله في هذا العصر الذي هو عصر العلم؛ والذي يتتبع أسباب دخول كثير من الناس في الإسلام - ممن كانوا نصارى أو بوذيين أو يهود - يجد بحق أن فريقاً منهم قد ابتدأ سيره في الطريق إلى الحق من خلال معاينة لطائف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٦. ولا شك أن ظاهرة الرجوع إلى دين الإسلام من قبل الذين كانوا قدماً من الشاردين الغافلين، وأيضاً إسلام غير المسلمين؛ كل ذلك أثمر مع ازدياد يقين المسلمين بدينهم رجوعاً لحالة العزة في نفوس أبناء الأمة الإسلامية بعد الكبوّة التي حصلت لهم عقب سقوط الخلافة الإسلامية وهيمنة الدوائر الاستعمارية عليهم.

٧. وهذا كله يذكرنا بالحقيقة التي لا تتخلف أبداً؛ والتي أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال لا يضرهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتي أمر الله).

إننا في هذه الهيئة العالمية نعلنها دعوة عالية عالمية جادة للعلماء والباحثين والمهتمين بمجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة أن يشاركونا بعلمهم وبرأيهم وبنصحتهم فنحن وإياهم شركاء في هذا الطريق، ولإخواننا الذين يسكنون ديار الغربة خارج العالم الإسلامي دعوة

خاصة أن يكونوا دعاة لله في تلك الديار باستخدام هذه الوسيلة الدعوية المؤثرة مستفيدين من أبحاث محققة مدققة، آملين أن نصل مع الجميع إلى أن تكون الهيئة العالمية درة العاملين في هذا المجال وجوهره ...

هذه دعوة لأن نجعل من الهيئة العالمية للإعجاز العلمي التي تأسست في موطن تنزل الوحي مكاناً رحباً يجمعنا بكم على مائدة كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ..

فيا معشر الإخوة والأخوات كونوا أنصار الله في هذه المسؤولية ..
والله ولي التوفيق ،،،

أولاً :

محور الفلك وعلوم الفضاء



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

ظاهرة السراب بين العلم وحقائق الكتاب

بقلم: حسن يوسف شهاب الدين



قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ {٣٩} ﴾ . [سورة النور].

السراب عند المفسرين الأوائل

هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات. فمثلهم في ذلك كالسراب.

والسراب: ما يرى نصف النهار في اشتداد الحر، كالماء في المفاوز يلتصق بالأرض. والآل الذي يكون ضحلاً كالماء إلا أنه يرتفع عن الأرض حتى يصير كأنه بين الأرض والسماء. وسمي السراب سراباً لأنه يسرب سروباً، أي يجري كالماء {١}، ولانسرابه في مرأى العين. {٢}. ويقال: سرب الفحل أي مضى وسار في الأرض. ولا يكون السراب إلا في الأرض القiecie والحر فيغتر به العطشان.

قال الشاعر:

فلما كففنا الحرب كانت عهودهم *** لمع سراب بالفلا متألق

وقال ذوالرمة يصف السراب:

يَجْرِي، فَيْرَقْدُ أَحْيَانًا، وَيَطْرُدُهُ *** نَكْبَاءُ ظَمَأَى، مِنَ الْقَيْظِيَّةِ الْهَوْجِ

والقiecie جمع القاع، مثل جيرة وجار، والقاع ما انبسط من الأرض واتسع، ولم يكن فيه نبت، وفيه يكون السراب. وأصل القاع الموضع المنخفض الذي يستقر فيه الماء، وجمعه

قيعان. وقال الجوهري: القاع المستوي من الأرض.

وقال الشاعر عدنان مردم:

والناس أحلامُ السرابِ بقيةٍ *** تطوى كرجعِ صدىِّ يرُنُّ بوادِ {٣}.

وفي معنى: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ﴾، فعل (حسب): يدل على أن الشيء الذي تحسبه موجود، هوفي الحقيقة ليس كذلك، فهو غير موجود حقيقة. وبالتالي فهو مناقض لما ترى. والظمان: أي العطشان. وقال الزجاج: هو أشده. والظمان: العطشان. وقد ظمى فلان يظماً ظمماً إذا اشتد عطشه. وهو ظمى وظمان، والأنثى ظمأى وقوم ظمأ أي عطاش، ورجل مظماً معطاش، وظمى إلى لقاءه: اشتاق. {٤}.

قال الكميت:

إلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعَتْ *** نَوَازِعُ، مِنْ قَلْبِي، ظِمَاءٌ، وَأَلْبُبُ

استعار الظماء للنوازع، وأظمأته: أعطشته.

فيكون المعنى: إذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء، سيقصده ليشرب منه؛ لأنه على حد علمه ماء يشرب، فلما انتهى إليه {لم يجده شيئاً}، فكذلك الكفار، يعولون على ثواب أعمالهم، فإذا حاسبهم الله سبحانه وتعالى يوم القيامة عليها لم يجدوا منها شيئاً، كما قال الله تعالى:

﴿وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾. [الفرقان: ٢٣]. كما لم يجد صاحب السراب إلا أرضاً لا ماء فيها. {٦، ٥}.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الطويل: ﴿.. فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار

كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار... ﴿٧﴾. ومنه فالسراب كما فهمه السلف الصالح ، وعلماء اللغة العربية أنه فيما لا حقيقة له. وكان يضرب به المثل ليدل على الكذب فيقال: السَّرَابُ أَكْذَبُ مِنْ يَلْمَعِ. ﴿٨﴾. وقال الشاعر:

وإنك والتماس الأجر بعدي *** كباغي الماء يتبع السرابا. ﴿٩﴾.
فالسراب في الحقيقة خدعة بصرية ، يحسبه الرائي ماء لا وجود له.

السبق العلمي لدراسة ظاهرة السراب:

كان السبق في دراسة هذه الظاهرة إلى علمائنا المسلمين الكبار وعلى رأسهم صاحب كتاب المناظر في البصريات العالم المسلم الحسن ابن الهيثم البصري الذي كان رائداً في هذا المجال وكان أول من أعطى تفسيراً لهذه الظاهرة بشكل علمي وفيزيائي.

تفسير السراب من الناحية العلمية

يعتبر انتشار الضوء على هيئة خطوط مستقيمة ، ومتوحدة الخواص إحدى المسلمات الأساسية في علم البصريات، حيث ينتشر الضوء بالوسط الشفاف والمتجانس، وموحد الخواص على هيئة خطوط مستقيمة طالما لم يعترضه عائق ، ويتميز الوسط البصري بوجود معامل يطلق عليه معامل الانكسار الذي يقيس سرعة الضوء بهذا الوسط، فكلما زاد هذا المعامل كلما كانت سرعة انتشار الضوء بالوسط صغيرة. ويتوقف معامل الانكسار للهواء على كثافته وبالتالي على درجة حرارته، فكلما زادت كثافة الهواء كلما انخفض معامل الانكسار، ويتكون السراب نتيجة لانكسار الضوء في الهواء. وهو يحدث عندما تكون طبقات الهواء القريبة من سطح الأرض أقل كثافة من طبقات الهواء الأعلى. فعندما تسطع الشمس في أيام الصيف في الصحراء أو على الطرق المرصوفة ترتفع درجة حرارة سطح الأرض ، وترتفع درجة حرارة طبقة الهواء الملاصقة والقريبة من سطح الأرض فتتمدد،

وتقل كثافتها وكذلك كثافتها الضوئية ومعامل انكسارها، وبذلك يزداد معامل انكسار الهواء تدريجياً كلما ارتفعنا إلى أعلى حيث يبرد الهواء.

تعريف ظاهرة السراب :

هي خدعة بصرية (ضوئية) تحدث نتيجة ظروف البيئة المحيطة من اشتداد درجة الحرارة، والأرض المستوية، واختلاف في معامل الانكسار، مما يجعلها في حالة توهج شديد حيث تبدو كالماء الذي يلتصق بالأرض ليعكس صوراً وهمية للأجسام وكأنها منعكسة عن سطح مرآة كبير، وترجع تسمية السراب عند العرب إلى سرب الماء أي جرى وسار، أما التسمية الإنكليزية لهذه الظاهرة فتعود إلى كلمة mirage وتعني المرآة باللغة الفرنسية.

أنواع السراب :

(١) - السراب السفلي

السراب الصحراوي :



يحدث هذا النوع في الصحراء نتيجة الحرارة الشديدة التي تنعكس عن رمالها مما يجعلها في حالة توهج شديد ليأخذ شكل سطح مائي أمام عين الناظر (المسافر) فيعكس صوراً عديدة وهمية تمثل انعكاساً للمسافة الممتدة أمامه، ويفسر ذلك بأن كثافة طبقة الهواء الساخنة

القريبة من الأرض تكون أقل من الطبقات الأعلى منها مما يجعل الضوء المنعكس عن هذه المنطقة يصاب بدرجة من التقوس ، والانحناء تجعله يرتد عنها إلى أعلى فيبدولعين الناظر وكأنه سطح مرآة ينعكس عليه صفحة الماء الهادئ يمتد أمامه إلى مالا نهاية بسبب شدة الحرارة بدليل أنه كلما اقترب منه ابتعد عنه. {١٠}.

السراب في المدن :



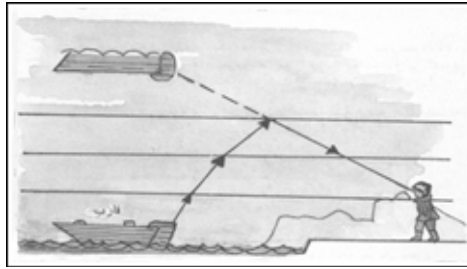
يحدث هذا النوع من السراب في المدن وخاصة على الطرق المبلطة ، والمعبدة بالإسفلت التي تسخن بشدة تحت تأثير أشعة الشمس ، وبفضل لونها الأسود فيبدو سطح الطريق من بعيد وكأنه مغطى ببركة من المياه ، ويعكس الأجسام البعيدة ، وبذلك يدرك الناظر أن هذه الظاهرة خدعة بصرية ؛ لأنه كلما اقترب منها ابتعدت عنه ، وتبقى المسافة ثابتة بين البركة الخادعة وعينه.

(٢) - السراب الجانبي :

وهو انعكاس لأحد الجدران العمودية الساخنة بتأثير الشمس، وقد أتى على وصفه أحد المؤلفين الفرنسيين حين لاحظ عند اقترابه من سور القلعة أن الجدار المسطح للسور بدأ يلعب فجأة مثل المرآة وقد انعكس فيه المنظر الطبيعي بما فيه الأرض ، والسماء ، وعند اقترابه عدة خطوات إلى الأمام لاحظ نفس التغيير قد طرأ على الجدار الآخر للسور ، وبداله وكأن السطح الرمادي غير المنتظم قد تحول إلى سطح لماع ، وكان يوماً شديداً الحر أدى إلى تسخين الجدار بشدة واختلقت الكثافة بين طبقات الهواء وبالتالي اختلاف معاملات الانكسار، وهذا السبب الفيزيائي لرؤية الجدار يلعب.

والسبب الفيزيائي للسراب السفلي والجانبى : يكون الهواء بالحالات الثلاث السابقة أسخن بالقرب من الأرض ، ومعامل الانكسار ضعيفاً مما يجعل الضوء يسير بسرعة أكبر، وتنحني أشعة الضوء إلى الأعلى ، لذا نرى انعكاس السماء أو جسم بعيد على الأرض كما لو كان هناك ماء ، وما يحدث في هذه الحالة ليس مجرد انعكاس بل ما يسمى بلغة الفيزياء (الانعكاس الكلي)، ولكي يحدث هذا الانعكاس يجب أن يكون الشعاع الداخلى في طبقات الهواء مائلاً أكثر من الميل الذي هو عليه ، وفيما عدا ذلك لا تتكون لديه (الزاوية الحرجة) لسقوط الشعاع التي لا يحدث بدونها انعكاس كلي ، ولكي يحدث هذا الانعكاس يجب أن تكون طبقات الهواء الكثيفة أعلى من الطبقات التي تقل عنها كثافة، وتتحقق هذه الحالة بوجود الهواء المتحرك حيث لا تتحقق بدونه، وعند الاقتراب من السراب تزداد قيمة الزاوية المنحصرة بين الأشعة والأرض فيقل انحناء الأشعة فيختفي الماء الخادع. {١١}.

(٣) - السراب القطبي :



وهو ظاهرة مألوفة لسكان الشواطئ خاصة في المناطق الباردة ، وفيه تبدو الأجسام الموجودة على سطح الأرض وكأنها مقلوبة ومعلقة في السماء.

وتحدث هذه الظاهرة عندما تكون طبقات الهواء السفلي باردة ، بينما تهب في الطبقات العليا تيارات ساخنة، وبذلك تقل كثافة طبقات الهواء بزيادة بعدها عن سطح الأرض، وبالتالي تقل معاملات انكسار طبقات الهواء المتتالية صعوداً.

لذلك إذا تتبععت شعاعاً ضوئياً صادراً من مركب شراعي تجده ينكسر في طبقات الهواء

المتتالية بعداً عن العمود ، و متخذاً مساراً منحنياً حتى تصبح زاوية سقوطه في إحدى الطبقات أكبر من الزاوية الحرجة لهذه الطبقة بالنسبة للطبقة التي تعلوها ، فينعكس انعكاساً كلياً ليتخذ مساراً منحنياً في الاتجاه المضاد ليصل إلى العين فيبدو المركب معلق في الهواء وهو مقلوب.

تفسير حدوثه :

- عندما تكون طبقات الهواء السفلي باردة ، وطبقات الهواء العليا دافئة، فإنه كلما ارتفعنا إلى أعلى تقل كثافة الهواء؛ وبالتالي تقل معاملات الانكسار لطبقات الهواء المتتالية.
- الشعاع الصادر من مركب شراعي ينتقل من طبقة معامل انكسارها كبير إلى طبقة أخرى معامل انكسارها صغير؛ لذا ينكسر الشعاع مبتعداً عن العمود المقام على الحد الفاصل.
- يستمر انكسار الأشعة الضوئية بين طبقات الهواء المتتالية مبتعدة عن العمود المقام حتى تصبح زاوية السقوط في إحدى الطبقات أكبر من الزاوية الحرجة لهذه الطبقة بالنسبة للطبقة التي تليها ، فينعكس الشعاع انعكاساً كلياً داخلياً متخذاً مساراً منحنياً إلى أسفل.
- عندما يصل الشعاع إلى العين تُرى صورة المركب على امتداد الشعاع فتبدو الصورة مقلوبة، وكأنها معلقة في السماء. {١٢}.

وجه الإعجاز العلمي:

عبر القرآن الكريم عن ظاهرة السراب تعبيراً رائعاً ، ووصفاً علمياً دقيقاً يضاهي تعريف العلماء ، وأصحاب الاختصاص ، كما جاء وصفها أيضاً بكلام نبيه المصطفى عليه صلوات الله وسلامه بالحديث الشريف، وقبل شرح أوجه الإعجاز دعونا نتذكر صفات السراب لنبين الإيجاز في تعبير آيات القرآن الكريم ، والوصف العلمي الدقيق لها.

صفات ظاهرة السراب :

- ١ - المكان المناسب لحدوثها.
- ٢ - اشتداد الحرارة.
- ٣ - السراب يشبه سطح الماء.
- ٤ - وجود الهواء المتحرك.
- ٥ - كلما اقتربنا منه ابتعد عنا، (ثبات المسافة بين عين الناظر والسراب).

قال الله تعالى في محكم تنزيله في سورة النور:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُهَا الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ {٣٩} ﴾ . [سورة النور].

أما في قوله سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ ﴾ . فهذا يعني أن السراب لا يحدث إلا في الأرض القيعية ، والتي تعني الأرض المستوية ، أو ما انبسط من الأرض ، ولا يتكون السراب إلا بوجود هذا المكان الخاص .

ولكن الكفار ليسوا فقط من أهل الصحراء الذين ألقوا السراب وعرفوه، بل هم في كل مكان مأهول، فمنهم من يعيش في المدن ذات الطرقات المرصوفة والأبنية الشاهقة، ومنهم من يعيش في المناطق الساحلية، وهنا يكمن إعجاز القرآن الكريم في أن السراب يحدث في كل الأماكن التي تكون فيها الأرض منبسطة ومستوية، وهذه المعلومات عن أنواع السراب سابقة الذكر لم تكن معروفة في زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأنها اقتضت على السراب الصحراوي.

وفي قوله عزّ من قائل ﴿ يُحْسِبُهَا الظَّمَانُ مَاءً ﴾ . أما الظمان فهو ما اشتد عطشه ، ويصبح كذلك تحت ظروف الجوالحر، وهذا يدل على الشرط الثاني.

والإعجاز المبهر والذي لا جدال فيه عند أصحاب الاختصاص، تشبيه السراب بالماء، وليس بالمرآة مثلما قال العلماء الغربيون ، فشتان ما بين الانعكاس عن سطح الماء وسطح

المرأة؛ لأن حادثة السراب لا تحدث إلا بوجود الهواء المتحرك (تيارات الحمل)، فتظهر طبقات الهواء متموجة مثل الماء، وهذا هو الشرط الثالث والرابع. والمعادلة الفيزيائية لظاهرة السراب تكمن بقوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾، نستنبط من هذه الكلمات الربانية أنه كلما اقتربنا من السراب ابتعد عنا، وبالتالي فإن المسافة بين عين الناظر والسراب ثابتة، وهذا هو الشرط الخامس.

وجه الإعجاز البياني [١٣]:

التمثيل البياني في آية السراب:

وهو تمثيل يصور أعمال الذين كفروا في بطلانها، وعدم انتفاعهم بها، عند موقف هم في أشد الحاجة إلى هذه الأعمال، بصورة السراب، الذي يحسبه الظمآن ماء، فيتعلق به قلبه، ويسعى إليه جاهداً يطلبه بكل ما أوتي من قوة، وكلما اقترب منه رآه يبتعد عنه، ويستمر على هذا الحال إلى أن تخور قواه، وبالرغم من هذا الجهد المتواصل، والمعاناة الشاقة، يصل إلى المكان الذي كان يحيل له أنه ماء، فلا يجد شيئاً، لتغلي مراحل ظمئه، ويشتد يأسه وقنوطه، ويكون هلاكه فيه.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾ هذه جملة استثنائية، والموصول، وصلته مبتدأ، خبره جملة ﴿ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ ﴾ من المشبه والمشبه به.

فالحالة المشبهة هي: ﴿ أَعْمَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾، وهي مركبة من حالة محسوسة، وأخرى معقولة، والحالة المشبه بها، وهي: ﴿ سَرَابٌ بِقِيعَةٍ ﴾، وهي حالة محسوسة، داخلية تحت إدراك الحواس.

(والذين كفروا): يتدنى الكلام بصفة الناس التي تكون أعمالهم محبطة، كالسراب الذي لا حقيقة فيه، فالكفر يبطل العمل، ويجعله فاسداً عديم النفع، فالأعمال ليست باطلة في ذاتها، بل تكون فاسدة عندما يفعلها من كفر، فهي كذلك لأنها أعمال الذين كفروا بالله سبحانه وضلوا عن السبيل، وهذا ما يشير إليه تعالى بقوله: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ

أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿محمد: ١-٣﴾.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾. أي: جعلها ضالة. أي: ضائعة محبطة بالكفر، لا ثواب لها، ولا جزاء. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿محمد: ٨-٩﴾. أي: لأجل ذلك أحبب الله تعالى أعمالهم، التي لو كانوا عملوها مع الإيمان، لأثابهم عليها.

وقوله تعالى: ﴿أَعْمَالَهُمْ كَسْرَابٍ﴾

جاء السراب نكرة، وهذا يفيد أنه سراب ضئيل تافه، بخلاف ما لوجيء به معرفاً، وهو كذلك لاقتران السراب بتعلق نفس الظمان بالأمل، ولو كان ضعيفاً تافهاً.

كسراب . . . لماذا استعمل حرف الكاف دون غيره من أدوات التشبيه؟

استعمال الكاف، يجعل الأعمال في حقيقتها وصورتها مهما كانت جيدة دون مرتبة السراب في حقيقتها وصورته، ويدل ذلك على الاستخفاف بأصحابها، ومن الأمثلة المشابهة في القرآن الكريم تشبيه أعمال الذين كفروا بالرماد، في قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البُعِيدُ﴾ [إبراهيم ١٨].

وصورة السراب تشترك في الموضوع مع صورة الرماد بالشكل، من حيث المشبه (أعمال الذين كفروا)، واقتران حرف الكاف بالمشبه به (كسراب)، (كرماد).

ولكن يظهر بين الصورتين اختلافاً دقيقاً واضحاً ومهماً في المضمون، والمغزى ولب الغرض. وبيان ذلك:

أن عناصر صورة السراب هي: الظمان، والسراب. وهاتين الكلمتين لهما دلالة قوية على تصوير اللهفة، بل إن لفظ السراب يكاد يكون رمزاً حياً معبراً عن خيبة الأمل.

أما استعمال كلمة الظمآن في سياق الكلام دون الرائي، فهذا من البلاغة، لأنها تعبر عن الموقف، وتكسب الصورة بعداً وعمقاً في تكوينها في عقل القارئ والمتدبر، ويجعلها أقدر على التعبير والإيحاء، فلفظ الظمآن ينطوي عليه معنى المبالغة، لشدة حرصه على الماء من الرائي، وتعلق قلبه به أكثر، ولما توحى هذه الكلمة من معنى اللهفة والتحرُّق وشدة الحاجة، وما يتبعها من خيبة الأمل بعد شدة التعب والإعياء.

فصورة السراب تهتم بتصوير اللهفة، والحاجة الماسّة إلى الانتفاع بالأعمال التي عملها الذين كفروا، ثم تعبر عن المفاجأة بخيبة الأمل، وأن المنظور وهماً لا وجود له.

أما عناصر صورة الرماد فهي: الرماد، والريح، واليوم العاصف، وهي كلمات تعبر عن الضياع الذي يتبعه الهلاك، فهي تؤكد هذا المعنى، والرماد إنما ينطوي على معنى الاحتراق والخفة وقلة الشأن.

فصورة الرماد إنما تهتم ببيان عدم النفع بالأعمال، التي تتبعثر وتبتدد ليكون مآلها الضياع، دون التركيز على معنى اللهفة والتعلق، الذي ركزت عليه صورة السراب.

﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾ تشير هذه الكلمات الربانية إلى أمر جليل يستوجب الوقوف عنده لما يحمل من معنى عظيم يدل على دور الحالة النفسية، وأثرها على أعضاء الحواس. عندما يرى الظمآن السراب، تُخدع النفس قبل البصر، لأن لهفته، وحرارة شوقه إلى الماء، الذي من شأنه إشباع حاجته وضمان ما بقي له من حياته، تطغى على نفسه التي تحسب السراب ماءً، فيكون أولاً قد أضمر أن السراب ماء، فرآه كذلك بحاسة البصر التي أكدت لها النفس صدق ما تراه.

ومثال ذلك: من يمشي في غابة يكللها سواد الليل ووحشته، خائفاً مذعوراً، فتمثل له أغصان الأشجار أشباحاً تحاول الانقضاض عليه، ويحسب صوتها وحشاً كاسراً متربصاً له يريد الفتك به، وهذا مثل من خدعته نفسه، وأثرت على أعضاء جسمه.

وما هذه إلا إشارة تعبر عن دور الحالة النفسية، وتأثيرها على الأعضاء الجسمية.

استعمال الفعل (يحسب) دون الفعل (يظن).

نستدل على دقة اللفظ القرآني في هذه الآية الكريمة من سر اختيار الله سبحانه وتعالى للتعبير عن أعمال الذين كفروا كالسراب بفعل ﴿يَحْسَبُهُ﴾، دون الفعل (يظنُّه)، لأن الفرق في المعنى بينهما دقيق جداً، وكل فعل منهما له معنى مختلف عن الآخر. وجيء به على صيغة المضارع، ليفيد معنى التجدد والاستمرار.

فالفعل (حسب): حسب، يحسب، حساباً من الحساب بكسر الحاء. والحساب هو أن يحكم الحاسب لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله.

وهذا واضح في قول الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُعبًا {١٨}﴾ الكهف.

قال أهل التفسير في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾: كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون، فكذلك كان الرائي يحسبهم أيقاظاً. وقيل: تحسبهم أيقاظاً لكثرة تقلبهم كالمستيقظ في مضجعه. {١٢}. إذا تحسبهم أيقاظاً دون أن يخطر ببالك أنهم نائمون، فغلب على حسابك اليقظة، مع إهمال احتمال رقادهم.

وفي نفس المعنى قال الله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {٤٤}﴾ [سورة النمل ٢٧].

فعندما رأت ملكة سبأ الصرح حسبته ماء وهوليس ماء، بل كان صرح ممرّد من قوارير زجاجية، فغلب عليها الأول وأهملت الثاني، ومنه يأتي الفعل (حسب) مناقض لما ترى. فالسراب في الحقيقة خدعة بصرية يحسبه الرائي ماء لا وجود له.

أما فعل (يظنُّ) فهو من الظنِّ. والظنُّ هو أن يخطر النقيضان ببال الظانِّ، فيُغلب أحدهما على الآخر. فالظنُّ: التردُّدُ الراجحُ بين طَرَفَيِ الاعتقادِ غيرِ الجازمِ.

فأصل الظن وقاعدته الشك مع ميل إلى أحد معتقديه وقد يوقع موقع اليقين، كما في قول الله

تعالى: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقورهم وأنهم إليه راجعون {٤٦}﴾. [سورة البقرة]. لكنه لا يوقع فيما قد خرج إلى الحس فلا تقول العرب في رجل مرئي حاضر: أظن هذا إنساناً.

قال أبو بكر الأنباري في الظن: حدثنا أحمد بن يحيى النحوي أن العرب تجعل الظن علماً وشكاً وكذباً، وقال: إذا قامت براهين العلم فكانت أكثر من براهين الشك فالظن يقين، وإذا اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك، وإذا زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب، قال الله عز وجل (وإن هم إلا يظنون) أراد إلا يكذبون.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله﴾. صحيح أخرجه مسلم.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يَجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ {١٢}﴾. [الحجرات].

الظن في الشريعة قسمان: محمود ومذموم، فالمحمود منه ما سلم معه دين الظان والمظنون به عند بلوغه. والمذموم ضده، بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

قال خزيمة بن مالك بن نهد:

إذا الجوزاء أردفت الشريا *** ظننت بآل فاطمة الظنوننا. {١٣}.

ويكمن الإعجاز البياني في استعمال الفعل (حسب) دون الفعل (ظن)، لأنه يستعمل لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر ببال الحاكم.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾

هذه جملة شرطية مؤلفة من عبارتين: الأولى شرطية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ في هذه العبارة دخلت ﴿حَتَّىٰ﴾ على ﴿إِذَا﴾، وهذا يفيد نهاية الرحلة الشاقفة، والمعاناة الطويلة التي بدأها الظمان، الذي أجهدته ظمأه، وحفزته إليها نفسه، واستعملت ﴿إِذَا﴾ بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، لتفيد أن الشرط قد تحقق في نهاية الرحلة.

والثانية جوابية: ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾. جاء في هذه العبارة لفظ ﴿شَيْئًا﴾، وهو مفعولاً به ثاني لقوله: ﴿لَمْ يَجِدْهُ﴾، الذي يفيد معنى العدم المحض، لأنه كان من الممكن أن يقال: (لم يجده ماء) **والفائدة أن الشرط** ربط بين عدم محض بسعي دؤوب فيه اللهفة، وشوق النفس، لتكون النهاية خسران مبين.

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾: يدل على أن المجيء قد وقع على شيء لا وجود له.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾: يدل على أن المجيء قد وقع على شيء موجود.

والسؤال هنا: من أخبر النبي المصطفى عليه صلوات الله وسلامه قبل ١٤ قرناً عن ظاهرة السراب وشروطها وتفسيرها العلمي والفيزيائي؟

ومن علمه أسرار اللغة العربية وفنونها، وهو النبي الأمي؟

إنه بلا شك الله العليم التواب والذي نرجو برحمته لنا ولكم ولكافة المسلمين الأجر والثواب. **هذا والله أعلم**

المراجع

القرآن الكريم

- ١١٠٣٠١٢٠٣٠١٦]. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.
٢ - مفردات ألفاظ القرآن الكريم كتاب السنين. سرب.
٤ - لسان العرب لابن منظور.
٥ - مختصر تفسير ابن كثير. اختصار الصابوني، المجلد الثاني، تفسير سورة النور.
٧ - صحيح مسلم ١ / ١٦٨
٨ - مجمع الأمثال الجزء الثاني. - الباب الثاني والعشرون ٣١٩٣.
٩ - الإصابة، لابن حجر الجزء الأول. [ص: ١٥].
١٠ - الفيزياء المسلية

المواقع:

١١. مجلة الكنانة لتكنولوجيا المعلومات <http://www.kenanah.com> .
١٢ - منتدى الفيزياء <http://www.hazemsakeek.com> . وموقع اكتشف بنفسك.
١٣ - مقال بعنوان (والذين كفروا أعمالهم كسراب) للأستاذ محمد اسماعيل عتوك، منشور على موقع موسوعة الإعجاز العلمي.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

مرور البرق: بين العلم والإيمان

المهندس / عبد الدائم الكحيل

باحث في الإعجاز العلمي والرقمي في القرآن والسنة



ملخص البحث

يتضمن هذا البحث كشفًا جديدًا في الإعجاز العلمي في السنّة النبويّة المطهّرة، وذلك في حديث المرور على الصراط يوم القيامة.

هذا الحديث الشريف ينطوي على معجزة علمية في قول الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه: (ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟) [رواه مسلم في حديث رقم ٣٢٩ من كتاب الإيمان]. حيث تبين التطابق الكامل بين الكلام النبوي الشريف، وبين ما كشفه العلماء مؤخرًا من عمليات معقدة ودقيقة تحدث في ومضة البرق.

في هذا البحث سوف نرى أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد تحدّث عن أطوار البرق بدقة مذهلة، بل وحدّد زمنها أيضًا، وربما نذهل إذا علمنا أن الزمن اللازم لضربة البرق هو الزمن ذاته اللازم لطرفة العين!

فالزمن اللازم لكل طور من أطوار البرق يقدر بأجزاء من الألف من الثانية، وبالطبع لا تستطيع العين أن تحلّل المعلومات القادمة إليها خلال زمن كهذا، وهذا يثبت أن الرسول الكريم يحدثنا عن أشياء لم نتمكّن من رؤيتها إلا بأجهزة التصوير المتطورة والتي تلتقط أكثر من ألف صورة في كل ثانية، وهنا يتساءل المرء: لولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً من عند الله تعالى، فمن أين جاء بهذه المعلومات الدقيقة التي تطلب اكتشافها من العلماء أكثر من قرنين من البحث والدراسة؟

لذلك يمكن القول: بما أن حقيقة أطوار البرق لم تُعلم إلا منذ سنوات قليلة، فإن هذا الحديث يمثل معجزة نبوية تشهد لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على صدق رسالته وأنه رسول من عند الله تعالى.

مقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بنعمة الإيمان، ومنّ علينا بهذا النبيّ الكريم عليه وعلى آله وصحابه أفضل الصلاة والتسليم، وبعد:

فقد بينت التجارب الجديدة أن أي ومضة برق ليست مستمرة كما نراها، بل تتألف من عدة أطوار، أهمها طور المرور، وهو الشعاع الذي يمرّ ويخطو من الغيمة باتجاه الأرض، وطور الرجوع، وهو الشرارة التي ترجع باتجاه الغيمة. وهذا يعني أن شعاع البرق يمرّ ثم يرجع خلال زمن غير مدرك بالعين المجردة، وهذا الزمن يقدر وسطياً بعشرات الأجزاء من الألف من الثانية.

يقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام متحدثاً عن ظاهرة البرق: (ألم تروا إلى البرق كيف يمرّ ويرجع في طرفة عين؟)^(١). ففي هذه الكلمات معجزة علمية شديدة الوضوح، خصوصاً إذا علمنا أن العلماء يستخدمون الكلمة ذاتها التي استخدمها النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وذلك من خلال تعبيرهم عن طوري المرور والرجوع، وأن هذين الطورين يستغرقان مدة من الزمن تساوي الزمن اللازم لطرفة العين!

سوف نرى أيضاً معجزة نبوية في هذا الحديث تتمثل في إشارة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام إلى سرعة البرق، وأنه يستغرق زمناً ليمرّ ويرجع، وليس كما كان الاعتقاد السائد أن البرق يقطع أي مسافة بلمح البصر دون الحاجة إلى زمن.

وهذا يدلّ على أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يوافق الناس في ذلك الزمن على معتقداتهم العلمية الخاطئة، بل صحّح لهم هذه المعتقدات بكل صراحة ووضوح. ولولم

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب: «أدنى أهل الجنة منزلةً فيها»، رقم ٣٢٩ / ١٩٥، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٥.

يكن النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً من عند الله ، لا متزج حديثه بخرافات عصره . ويمكن القول إن كل كلمة نطق بها سيد البشر وخير الخلق هي وحي من عند خالق البرق سبحانه وتعالى، وأن الرسول على حق ، وأن الإسلام دين العلم. وأن هذا الحديث الشريف من دلائل نبوة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وأنه حقاً كما وصفه الله تبارك وتعالى بقوله: (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) [النجم: ٣-٤].

ظاهرة البرق

إن الحديث عن ظاهرة البرق ظلّ مرتبطاً بالخرافات والأساطير لآلاف السنين، وفي الزمن الذي عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي في القرن السابع الميلادي، لم يكن لأحد وقتها أي علم عن العمليات التي تحدث داخل البرق.

فقد أثبتت التجارب أن هنالك عمليات فيزيائية وكيميائية دقيقة تحدث داخل شعاع البرق، وهي اليوم محلّ اتفاق من قبل جميع العلماء. ويمكن رؤية هذه العمليات اليوم بفضل الكاميرات الرقمية المتطورة، كما يمكن اعتبار وجود هذه العمليات كحقائق يقينية لا شكّ فيها. وعلى الرغم من التطور التقني الكبير لهذه الأجهزة تبقى المراحل الدقيقة جداً للبرق لغزاً محيراً للعلماء.

ففي ظل الظروف السائدة داخل شعاع البرق لا يمكن لأي جهاز أن يتحمل الحرارة الهائلة، والتوتر الكهربائي العالي جداً. فدرجة الحرارة في مركز شعاع البرق تصل إلى ٣٠ ألف درجة مئوية، أي خمسة أضعاف حرارة سطح الشمس!

إن التوتر الكهربائي الذي تولده ومضة البرق الواحدة يصل إلى ملايين الفولتات، وبالتالي تُعتبر دراسة البرق من أصعب أنواع الدراسة التجريبية وأكثرها تعقيداً، وذلك لأن زمن المراحل التي تشكل ومضة البرق من مرتبة المايكروثانية، أي من مرتبة الجزء من المليون من الثانية، وهذا الزمن ضئيل جداً وصعب الإدراك.



شكل (١) إن درجة الحرارة داخل شعاع البرق أكثر من خمسة أضعاف حرارة سطح الشمس! كما أن شدة التيار الكهربائي الذي تولده ومضة البرق الواحدة يصل إلى أكثر من ٢٠٠ ألف أمبير، وهذا ما يجعل دراسة البرق معقدة جداً.

حقائق تاريخية

ظلت ظاهرة البرق حدثاً محيراً للعلماء على مدى قرون طويلة، ونُسجت الأساطير الكثيرة حول البرق وتأثيراته، فكلّ حضارة كانت تنظر إلى هذه الظاهرة على أنها حدث مقدس يرتبط بالآلهة، وكل حضارة كانت تحاول إعطاء تفسير لهذا الحدث المرعب.

ففي الأساطير الإغريقية مثلاً كان التفسير المقبول وقتها لدى علماء القرن السابع هو: أن البرق كان سلاحاً للإله «زيوس Zeus» الذي استخدمه لتخويف أعدائه والانتقام منهم. وحتى عهد قريب كان الناس يعتقدون في أوروبا بوجود هذا الإله الذي يسمونه «صانع البرق»^(١). كما كانت بعض الشعوب تعتقد بوجود ثور يركب عربة، ويحترق الغيوم، وفي يده مطرقة كلما طرق بها تولد البرق! أو أن هنالك طائراً كلما رفر ف بجناحيه تولد صوت الرعد! أما البرق فهو عبارة عن الريش اللامع لهذا الطائر. وهكذا بقيت الخرافات مسيطرة على عقول البشر آلاف السنين^(٢).

وعندما جاء العصر الحديث، قام العلماء بتجارب علمية متعددة منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي وحتى يومنا هذا، أي على مدى أكثر من قرنين ونصف، وخلال هذه الفترة قام العلماء بآلاف التجارب في سبيل فهم هذه الظاهرة المحيرة، والتي لا تزال تفاصيلها الدقيقة مجهولة تماماً.

(1) Zeus and his Lightning Bolt, www.atheism.about.com

(2) Steve Goodman, A Lightning Primer, www.nasa.gov



شكل (٢) صورة تمثل المعتقدات القديمة عند الإغريق، حيث كانوا ينسبون البرق للآلهة وليس كظاهرة طبيعية لها قوانينها. ففي أساطير الحضارة الإغريقية كان التفسير المقبول للبرق هو أنه سلاح للاله «زيوس» الذي كان يحرق فيه كل من يعصيه أو يخالف أو امره^(١).

البرق في العصر الحديث

في عام ١٧٤٦ بدأ العالم «بنيامين فرانكلين» تجاربه حول الكهرباء، ثم اقترح أول تجربة علمية منظمة أثبت من خلالها الطبيعة الكهربائية للبرق، وأن البرق ما هو إلا شرارة كهربائية ناتجة عن التقاء شحنتين كهربائيتين متعاكستين.

ففي عام ١٧٥٠ كتب هذا العالم ما معناه:

«لكي نحدّد ما إذا كان البرق عبارة عن كهرباء أم لا، نقوم بالوقوف في غرفة صغيرة على برج عال، ثم نرسل سلكاً من الحديد عالياً في الجوّ أثناء وجود غيوم كثيفة وممطرة، أي أثناء وجود عاصفة رعدية، إن الكهرباء الموجودة في الغيوم سوف تنتقل عبر القضيب المعدني من نهايته العليا إلى نهايته السفلى، وسوف تنطلق شرارة كهربائية، وينبغي عزل هذا القضيب بالشمع لكي لا تنتقل الكهرباء عبر الجسم وتسبب الأذى»^(٢).

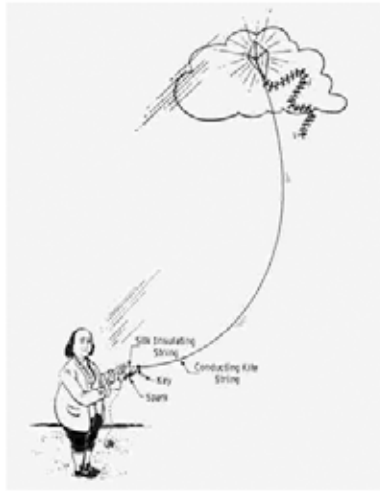
لقد نفذ هذا العالم تجربته عام ١٧٥٢ م باستخدام طائرة ورقية هي الأشهر في التاريخ وخرج بنتيجة لأول مرة يقول من خلالها إن البرق هو عبارة عن شرارة كهربائية نتيجة التقاء شحنتين متعاكستين.

(1) Zeus, www.wikipedia.org

(2) Martin A Uman, All About Lightning, Courier Dover Publications, 1987.

وفي العام ذاته أي ١٧٥٢ م، قام العالم الفرنسي «توماس فرانسوا» بتطبيق هذه التجربة، فصنع طائرة ورقية وربطها بسلك معدني ثم أرسلها عالياً في يوم ممطر، وعندما قرّب نهاية القضيب من الأرض انطلقت شرارة قوية تشبه شرارة البرق، فأثبت بذلك أن الغيوم تحتوي على شحنات كهربائية. ولكن النتائج التي حصل عليها كانت متواضعة جداً ولم يستطع إدراك العمليات الفيزيائية التي تسبب هذه الشرارة القوية.

في عام ١٧٥٣ قام الفيزيائي السويدي «رتشمان» بتجربة حول البرق أثبت فيها أن الغيوم الرعدية تحوي شحنات كهربائية، وقد قُتل بسبب صدمة البرق التي تعرض لها عندما قام بتطبيق تجربة «فرانكلين» فأرسل طائرة ورقية عالياً لتلامس الغيوم ولكنه نسي أن يعزل السلك المعدني فتسببت الشرارة الكهربائية القوية بقتله على الفور^(١).



شكل (٣) «فرانكلين» هو أول من اقترح تجربة علمية لكشف طبيعة البرق التي كانت مجهولة تماماً من قبل، وقد أثبت من خلال تجربته أن الغيوم تحوي شحنات كهربائية.

واستمرت التجارب، ولكن المعرفة بالبرق بقيت متواضعة حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عندما أصبح التصوير الفوتوغرافي ممكناً، وعندها أصبح بإمكان العلماء التقاط صور لومضات البرق، ومن ثم تحليلها، ومعرفة بعض تفاصيلها التي لا تدركها عين الإنسان.

(1) Martin A Uman. All About Lightning. Courier Dover Publications, 1987.

لقد بدأ التصوير الفوتوغرافي للبرق عام ١٩٣٥ في الولايات المتحدة الأمريكية^(١)، ولكن أجهزة التصوير كانت بطيئة، وبقيت العمليات الدقيقة التي ترافق ظاهرة البرق مجهولة حتى الستينات من القرن العشرين، حيث تطورت التجارب، وازداد الاهتمام بها؛ لتجنب صدمات البرق التي تتعرض لها المراكب الفضائية، والطائرات، والمنشآت الصناعية.



شكل (٤) قبل مجيء القرن التاسع عشر لم يكن بالإمكان معرفة أي شيء عن طبيعة هذه الومضة الخاطفة من البرق، لقد استمرت التجارب طيلة قرنين كاملين حتى تمكن العلماء من معرفة آلية حدوث البرق والعمليات التي تحدث داخله.

وقد أمكن استخدام التصوير السريع، والمراكب الفضائية، والرادارات، والحاسوب لمعالجة، ودراسة البيانات التي قدمتها مختبرات مراقبة البرق.

وهكذا استطاع العلماء أخيراً بفضل التصوير فائق السرعة والمعالجة الرقمية للبيانات أن يثبتوا أن ومضة البرق الواحدة قد تتألف من عدة ضربات، وكل ضربة تتألف من عدة مراحل أو أطوار^(٢). وقد تم قياس الأزمنة لكل مرحلة بدقة كبيرة، ورؤية هذه المراحل، ولم يتحقق هذا إلا في نهاية القرن العشرين، وبداية القرن الحادي والعشرين.

(1) Martin A Uman. Lightning. Courier Dover Publications, 1984.

(2) Martin A Uman. Lightning. Courier Dover Publications, 1984.



شكل (٥) هكذا تظهر ومضة البرق لمن يراها على بعد عدة أمتار فقط، مع العلم أن هذه الومضة قد حدثت في منتصف الليل. ويقول مصور هذه اللقطة إنه أحس وكأن بصره قد خُطف فأحس بالعمى المؤقت^(١)! وتبارك الله الذي وصف لنا هذا الإحساس قبل أربعة عشر قرناً فقال: (يكاد البرق يخطف أبصارهم) [البقرة: ٢٠].

أنواع البرق

قبل البدء بالتعرف على أسرار البرق وتفصيله الدقيقة، نود أن نعرّف القارئ الكريم بأهم أنواع البرق والتي قد لا تخطر بباله، وذلك لبيان مدى تعقيد هذه الظاهرة، والتنوع الكبير في ضربات البرق، فالبرق يمكن أن يضرب في أي مكان على الأرض أو في السماء.

يحدث البرق على عدة أنواع حسب مكان وجود الشحنتين الموجبة والسالبة. وأكثر الأنواع شيوعاً وأهمية هو البرق الناتج من التقاء شحنتين متعاكستين بين الغيمة والأرض. فغالباً ما تكون الغيمة ذات شحنة سالبة عند الجهة القريبة من الأرض، أما سطح الأرض فيكون ذا شحنة موجبة، ويسمي العلماء هذا النوع «برق غيمة-أرض».

(1) Lightning, www.chaseday.com



شكل (٦) تحدث ومضات البرق نتيجة التقاء الشحنة الكهربائية السالبة في أسفل الغيمة مع الشحنة الكهربائية الموجبة الموجودة على سطح الأرض. ويسمى هذا النوع «برق غيمة-أرض»، وهو النوع الأكثر ملاحظة بالنسبة لنا.

أما النوع الثاني : فهو ما يحدث بين غيمة وغيمة أخرى، وبما أن الوسط الذي تتجمع فيه الغيوم يمتلئ بالحقول الكهربائية فإن احتمال تلامس الشحنات المتعاكسة والتقاءها كبير جداً، ولذلك فإن البرق الذي يحدث بين الغيوم يمثل ثلاثة أرباع ومضات البرق، والتي تقدر كما قلنا بمئة ومضة في كل ثانية ، وذلك في مختلف أنحاء العالم. ويعرف هذا النوع بـ «برق غيمة - غيمة».



شكل (٧) نماذج للبرق الذي يحدث بين غيمة وأخرى، حيث تلتقي الشحنات الموجبة الموجودة في أحد أطراف الغيمة مع شحنات سالبة قريبة وموجودة على أطراف غيمة مجاورة وتحدث ومضات البرق التي تشكل ٧٥ % تقريباً من مجموع ضربات البرق على سطح الكرة الأرضية^(١).

(1) www.lightningphotography.com

أما النوع الثالث : فهو ما يحدث بين الغيمة والهواء. حيث تكون الغيمة محملة بشحنة كهربائية، والهواء المحيط بها من أحد جوانبها يحمل شحنة معاكسة. وعندما تكون كمية الشحنات الكهربائية في الغيمة وفي الهواء كافية ينطلق شعاع البرق، ويحدث هذا النوع الذي يعرف بـ «برق غيمة - هواء». وهذا النوع من أنواع البرق قليل الملاحظة، وعلى الرغم من ذلك فقد تم حديثاً التقاط صور واضحة للبرق الحاصل بين الغيوم والهواء المحيط بها.



شكل (٨) برق من نوع «غيمة-هواء»، حيث تلتقي الشحنات الموجبة في أعلى الغيمة مع الشحنات السالبة في الهواء المحيط بها. وقد تكون الغيمة محملة بشحنات سالبة في الأعلى ويكون الهواء القريب منها مشحوناً بشحنة كهربائية موجبة، وعندما تكون كمية الشحنة الكهربائية كافية يحدث هذا النوع من أنواع البرق^(١).

هنالك نوع آخر وهو البرق بين الغيمة وطبقات الجو العليا، ويحدث هذا البرق بين الطبقات العليا في الغيوم الركامية وبين طبقة الأيونوسفير والتي تحوي حقلاً كهربائياً بشكل دائم^(٢). وقد أمكن رؤية برق كهذا بواسطة أجهزة التصوير المثبتة على الأقمار الاصطناعية، مع العلم

(1) <http://www.lightningphotography.com>

(2) Leslie Mullen, Three bolts from the blue. www.nasa.gov, June 8, 1999.

أن جميع أنواع البرق تحدث نتيجة التقاء شحنات متعاكسة. وسوف نرى في الفقرات القادمة أن الآلية الهندسية لحدوث البرق متشابهة في جميع أنواعه.



شكل (٩) البرق الذي يحدث بين الغيمة وطبقة الجو «الأيونوسفير»، وهذه الومضة تستمر عادة حتى عشرة أجزاء من الألف من الثانية^(١).

وهناك أنواع أخرى كثيرة نذكر منها ما يحدث داخل الغيمة ذاتها، وإذا علمنا بأن أية غيمة تحمل شحنة موجبة في أحد طرفيها، فلا بد أن تحمل شحنة سالبة في طرفها المقابل، وهكذا وفي ظروف العواصف الرعدية يحدث التلامس ويتحقق البرق الذي يضيء الأرض ولكنه لا يصل إليها.

كذلك هنالك برق يحدث في أشهر الصيف وآخر في الشتاء، وهنالك برق على شكل كرة، وبرق صفائحي وغير ذلك كثير. كما أن العلماء رصدوا برقاً على بعض الكواكب مثل المشتري أشد بمئة مرة من تلك الضربات على الأرض^(٢).

واليوم ومنذ عدة سنوات يعمل العلماء على دراسة ومراقبة البرق من الفضاء باستخدام تقنيات متطورة جداً^(٣)، وقد توصلوا لحقائق كثيرة عن هذه الظاهرة، ولذلك يمكن القول إن الحديث عن آلية البرق في هذا البحث هو حديث عن حقائق قطعية الثبوت. لأنه لا يجوز لنا أن نبني تفسيراً علمياً لآية كريمة أو حديث نبوي شريف إلا على الحقائق اليقينية.

(1) Leslie Mullen, Spirits of Another Sort, www.nasa.gov, June 10, 1999.

(2) Lightning, www.wikipedia.org

(3) Hugh Christian, Steven Goodman, Observing Lightning from Space, www.nasa.gov, 1998.

الغيوم الرعدية

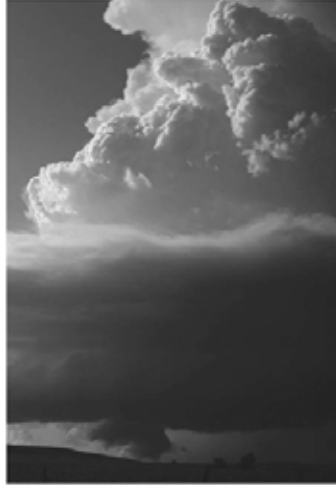
إن البرق لا يحدث في أية غيوم، بل هنالك غيوم محددة يسمّيها العلماء بالغيوم الرعدية، وهي البيئة المناسبة لحدوث البرق، وقد تكون هنالك غيمة واحدة أو عدة غيوم، وهو الأغلب. وهذه الغيوم تكون عادة ممتلئة بالحقول الكهربائية؛ بسبب الرياح التي تسوق جزيئات بخار الماء، وتدفعه للأعلى، وتسبب احتكاك هذه الجزيئات بعضها ببعض مما يولد هذه الحقول الكهربائية. في الوقت نفسه تتجمع شحنات سالبة، وأخرى موجبة في الغيمة، وغالباً ما ترتفع الشحنات الموجبة للأعلى، وتبقى السالبة في أسفل الغيمة من الجهة القريبة من الأرض^(١)، ولقد دلّت الدراسات أيضاً أن هنالك فرقاً في الجهد الكهربائي بين سطح الأرض، وطبقة الأيونوسفير يبلغ ٥٠٠ ألف فولت، وهذا الفرق ينتج بسبب التوزيع العالمي للعواصف الرعدية، والتي تعتبر ضرورية للحفاظ على هذا الفرق^(٢).



شكل (١٠) يحتاج حدوث البرق لغيوم كثيفة وثقيلة تزن ملايين الأطنان. ولذلك فقد ربط البيان الإلهي بين السحاب الثقيل والبرق فقال (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقيل) [الرعد: ١٢].

(1) Steve Goodman, A Lightning Primer, www.nasa.gov

(2) Steve Goodman, Lightning Investigation, www.nasa.gov



شكل (١١) تسمى هذه الغيوم بالغيوم الرعدية، لأنها تتشكل في العواصف الرعدية، وفيها يحدث البرق.

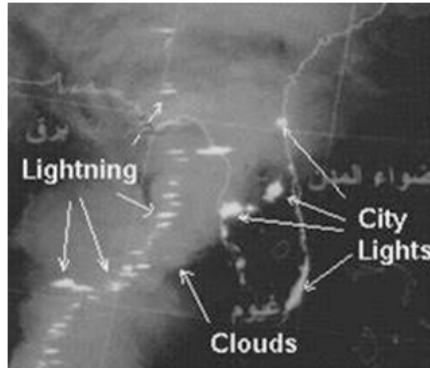
من أين تأتي هذه الشحنات؟

إن الحديث عن الغيوم يعني الحديث عن الماء الذي تحمله هذه الغيوم، ونحن نعلم أن كل جزيئة ماء تتركب من ذرة أكسجين، وذرتين من الهيدروجين، إن الشحنات السالبة تنتشر على ذرة الأوكسجين، أما الشحنات الموجبة، فتنشر على ذرتي الهيدروجين نتيجة لما يسمى الرابطة الهيدروجينية الموجودة في جزيئات الماء، وهذه الرابطة تشكل مصدراً مهماً من مصادر الشحنات السالبة والموجبة، والتي تنتشر في أجزاء الغيمة والهواء، والله تعالى أعلم، ولكي نأخذ فكرة أوسع عن البرق الذي يحدث على الأرض، نتأمل بعض الإحصائيات الحديثة عن ومضات البرق على سطح الكرة الأرضية.

حقائق وأرقام

- في كل ثانية هنالك مئة ومضة برق في العالم.
- وفي كل يوم هنالك ٦, ٨ مليون ومضة برق.

- وفي سنة واحدة يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ٢٠ مليون ومضة برق.
- كل ومضة برق تولد توتراً كهربائياً يتراوح من ١٠٠ مليون وحتى ١٠٠٠٠ مليون فولت.
- كل ومضة برق تنتج تياراً كهربائياً من ١٠ آلاف أمبير وحتى ٢٠٠ ألف أمبير.
- إذا نظرنا للككرة الأرضية في أية لحظة فإننا نرى فيها ٢٠٠٠ عاصفة رعدية تحدث في اللحظة ذاتها.
- إن البرق لا ينحصر في العواصف الرعدية، بل تمت مشاهدة بعض أنواع البرق في الأعاصير الكبيرة، وفي البراكين، وفي العواصف الثلجية الضخمة^(١).
- يمكن أن تمتد شرارة البرق إلى أكثر من عشرة كيلومترات أفقياً^(٢).
- تخبرنا الإحصائيات الدقيقة أن البرق قد قتل في الولايات المتحدة الأمريكية ٣٦٩٦ شخصاً، وذلك بين عامي ١٩٥٩ و٢٠٠٣ أي خلال ٤٥ عاماً^(٣).



شكل (١٢) صورة لومضات البرق ملتقطة بواسطة قمر صناعي، ونلاحظ ضربات البرق المتعددة بشكل دائم وعلى مدار الساعة، الومضات المتدرجة على يسار الصورة هي ضربات برق متعددة تحدث في اللحظة نفسها^(٤).

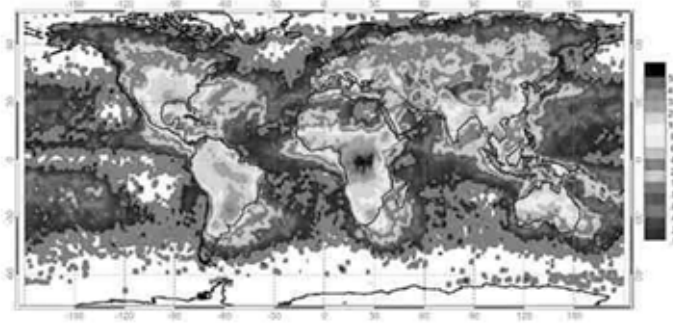
وهنا نتذكر قول الحق تعالى: (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) [الرعد: ١٢].

(1) Flash Facts About Lightning, National Geographic News, June 24, 2005.

(2) Uman MA. All about lightning. New York: Dover, 1986.

(3) How Lightning Forms, www.weatherimagery.com

(4) <http://thunder.nsstc.nasa.gov/primer/primer3.html>



شكل (١٣) يمثل توزيع ومضات البرق على سطح الكرة الأرضية حسب وكالة ناسا للفضاء، وحدة القياس هي ومضة لكل كيلومتر مربع في السنة. وقد دلت الإحصائيات أن كل ثانية هنالك مئة ومضة برق على سطح الكرة الأرضية. مع العلم أنه في أقل من نصف ثانية تحدث ٣-٤ ضربات برق كلها تراها في ومضة واحدة^(١).

كيف يحدث البرق

نعلم من قوانين الكهرباء أنه عندما تلتقي الشحنات المتعاكسة ينتج عنها ومضة أو شرارة كهربائية، وهذا ما يحدث في البرق.

فالغيوم تتكون نتيجة تجمع جزيئات البخار المرتفع من الأرض، هذه الجزيئات تكون محملة بشحنات كهربائية موجبة وسالبة؛ نتيجة تفاعلها واحتكاكها واصطدامها، وكما قلنا غالباً ما تكون الشحنات السالبة في أسفل الغيمة من الجهة القريبة من الأرض.

وسبب ذلك هو تأثير الجاذبية التي تقوم بدورها في توزيع الشحنات، وتكون الشحنة الموجبة في أعلى الغيمة، وهذا يحدث ما يسمى بالغيوم الرعدية التي تسبب البرق دائماً.

إن الشحنة الكهربائية، أو ما يسمى بالكهرباء الساكنة، هي تماماً ما نحسّ به عندما نلمس قبضة الباب بعد احتكاك أقدامنا بالسجادة، أو عندما نلمس شاشة الكمبيوتر أحياناً،

(1) Steve Price, Patrick Barry, Tony Phillips, Where Lightning Strikes, www.nasa.gov, Dec. 5, 2001.

فنحسّ بلدغة كهرباء خفيفة، وما هي إلا عبارة عن شرارة كهربائية مصغرة!
وكذلك عندما نجري تلامساً بين سلكين كهربائيين أحدهما موجب ، والآخر سالب
موصولين ببطارية صغيرة فإننا نرى شرارة تتولد بينهما.

عندما يكون هنالك زيادة في عدد الإلكترونات في أسفل الغيمة يتولد عن ذلك حقل
كهربائي سالب، ويقابل هذه الزيادة في أعلى الغيمة نقص للإلكترونات ، ولذلك يتولد
الحقل الكهربائي الموجب.

وعندما تتجمع كميات مناسبة من الإلكترونات في أسفل الغيمة ، تنتقل هذه الشحنات
السالبة بواسطة الهواء الرطب الموجود بين الغيمة وسطح الأرض، وتقرب من سطح
الأرض ذي الشحنة الموجبة، عند ذلك تتشكل قناة دقيقة جداً في قاعدة الغيمة.

وينطلق بعد ذلك عبر هذه القناة ما يسميه العلماء الشعاع القائد Leader من الغيمة
باتجاه الأرض، وهذا الشعاع الذي يمرّ ويخطوبخطوات متتالية هو أول مرحلة من
مراحل البرق.

وعندما يصل هذا القائد إلى الأرض ، وبفعل الحقل السالب الذي يحيط به يجذب إليه
الشحنات الموجبة الموجودة بالقرب من سطح الأرض، وتتحرك هذه الشحنات الموجبة
باتجاه الشعاع القائد ، وتصطدم به على ارتفاع عشرات الأمتار عن سطح الأرض، وتتشكل
قناة اتصال بين الغيمة والأرض.

وعندها تنهار عازلية الهواء ويصبح ناقلاً للكهرباء ، ويتولد تيار كهربائي قوي ينير على
شكل ومضة باتجاه الأعلى، ويدعى طور الرجوع Return Stroke، وهذه الضربة الراجعة
هي ما نراه فعلاً لأن معظم الضوء يتولد عنها.

وتصل سرعة شعاع البرق في هذه الضربة الراجعة إلى ١٦٠ ألف كيلومتر في الثانية،
وتستغرق وسطياً بحدود ٤٠ مايكروثانية، وتنتج التيار الراجع والذي يقدر من ١٠ إلى ٢٠
ألف أمبير. وبعد ذلك تمر فترة توقف مدتها من ٣ وحتى ١٠٠ ميلي ثانية ثم تتكرر العملية

من جديد باستخدام القناة ذاتها والتي تم تأسيسها من قبل، وهكذا عدة ضربات^(١).



شكل (١٤) قد تكون ومضة البرق مفردة أو متعددة حسب كمية الشحنات المتوفرة بين الغيمة والأرض، وحسب الظروف الجوية السائدة. وقد يصل عددها إلى عشر ضربات متتالية وسريعة ولكننا نراها ومضة برق واحدة، ولا يمكننا أن ندرك مرور ورجوع البرق بأعيننا.

البرق خطوة خطوة

لكي نسهل رؤية ما يحدث تماماً في البرق نستعين بالرسوم التوضيحية. وهذه الرسوم هي تقريب لما يحدث، والواقع أن ضخامة العمليات، وسرعتها الفائقة في شرارة البرق لا يمكن إدراكها أبداً.

(1) Martin A Uman. Lightning, Courier Dover Publications, 1984.

- ١- يبدأ البرق بالخطوة الأولى المتمثلة بانطلاق الشعاع القائد Leader وهذا الشعاع لا ينزل دفعة واحدة، بل يمرّ مروراً على شكل خطوات. وغالباً ما تكون شحنة هذا الشعاع سالبة.
 - ٢- ثم تأتي الخطوة الثانية ليصل هذا الشعاع إلى هدفه على الأرض، ويصطدم مع شحنتها الموجبة، ويحدث التصادم عادة فوق سطح الأرض على ارتفاع عشرات الأمتار.
 - ٣- أما الخطوة الثالثة ففيها يبدأ تدفق الشحنة السالبة من الغيمة باتجاه الأرض، وذلك على طول القناة التي أسسها الشعاع القائد.
 - ٤- فيما بعد تتم أهم خطوة وهي الضربة الراجعة من الأرض باتجاه الغيمة، ومع أننا نظن بأن البرق يتجه من الغيمة إلى الأرض، إلا أن الحقيقة هي أن الشعاع يتجه من الأرض راجعاً باتجاه الغيمة، ولكن سرعة العملية تجعلنا نرى العكس.
 - ٥- وأخيراً تنتهي ضربة البرق بصعود الشعاع الراجع إلى الغيمة، وتكون هنالك فترة توقف تقدر بعشرات الأجزاء من الألف من الثانية، ثم ترجع الضربة لتتكرر من جديد وفق الخطوات ذاتها، وهكذا يمكن أن تتكرر ضربة البرق عدداً من المرات لتعطي ومضة واحدة. وقد تم تسجيل ٤٧ ضربة برق في ومضة واحدة^(١)، وتجدر الإشارة إلى أن أطول ومضة برق تم تسجيلها لا تتجاوز ٥, ١ ثانية^(٢).
- إن العلماء لم يكونوا ليستيقنوا بهذه الحقائق العلمية لولا أنهم تمكنوا من اختراع أجهزة للتصوير السريع، وكذلك اختراع أجهزة للقياسات الدقيقة، وكذلك اختراع الكمبيوتر الذي بواسطته يتم تحليل البيانات القادمة من أجهزة القياس بشكل رقمي.
- ويمكن تلخيص مراحل ومضة البرق النموذجية من خلال اللوحات الآتية^(٣):

(1) Lightning and Thunder. www.fma-research.com

(2) Martin A Uman. Lightning. Courier Dover Publications, 1984.

(3) The Lightning Process: Keeping in Step. www.noaa.gov. March 9, 2004.



شكل (١٥) الخطوة الأولى: تبدأ شحنة سالبة دقيقة بالانطلاق من الغيمة باتجاه الأرض على خطوات طول كل منها ٥٠ متراً بزمن ١ مايكروثانية، ويتفرع هذا الشعاع إلى عدة فروع ويحمل بحدود ١٠٠ مليون فولت، ويأخذ فترة توقف بين الخطوة والأخرى مقدارها ٥٠ مايكروثانية ويبقى يتقدم حتى يجد هدفاً ليصطدم به، ولا فيرجع ويعيد الكرة. ويتألف الشعاع الواحد من عشرة آلاف خطوة!



شكل (١٦) الخطوة الثانية: حالما يصل الشعاع القائد إلى الأرض يبدأ بجذب الشحنة الموجبة على سطح الأرض، ويسبب الشحنة الضخمة التي يحملها هذا الشعاع فإنه يؤسس قناة من الأرض للغيمة والتي ستجري داخلها الشحنات، ويحدث اللقاء بين الشحنتين على ارتفاع من ٣٠ إلى ١٠٠ متر فوق سطح الأرض.



شكل (١٧) الخطوة الثالثة : وفيها تبدأ الشحنة السالبة بالتدفق إلى الأرض، وتجذب إليها الشحنة الموجبة من الأرض وتلتقي الشحنات السالبة القادمة من الغيمة مع الشحنات الموجبة المتوضعة على سطح الأرض.



شكل (١٨) الخطوة الرابعة : تبدأ الضربة الراجعة على شكل موجة موجبة بسرعة أكثر من ١٠٠ ألف كيلومتر في الثانية، بالتوجه نحو الأعلى وينتج تيار كهربائي الذي يستغرق ١ مايكروثانية للوصول إلى ٣٠ ألف أمبير وسطياً وينتج هذا البرق الراجع أكثر من ٩٩% من إضاءة البرق وهوما نراه فعلاً أي نرى رجوع البرق.



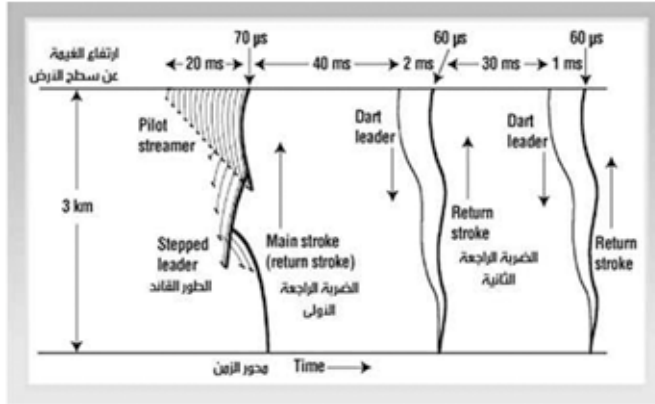
شكل (١٩) الخطوة الخامسة : بعد عودة الشعاع الراجع هنالك فترة توقف ٢٠-٥٠ ميلي ثانية، فإذا توفرت شحنات كهربائية كافية في الغيمة، فإن هذه الضربة ترجع وتتكسر وتستخدم القناة ذاتها والتي تم تأسيسها من قبل، وهذا ما يحدث في معظم ومضات البرق.

مخطط ضربات البرق

لقد قام العلماء برسم العديد من المخططات حول البرق وأطواره، ومثلوا العمليات التي تحدث على رسوم متنوعة بهدف تسهيل فهم هذه الظاهرة المعقدة. ولذلك يمكننا أن نتأمل المخطط الآتي والذي نلاحظ فيه أطوار البرق، وزمن كل طور، وهذه الدراسة قد تمت من أجل غيمة نموذجية ترتفع عن سطح الأرض ٣ كيلومتر، وطولها يصل إلى ١٠ كيلومتر.



شكل (٢٠) رسم يمثل غيمة نموذجية ترتفع ٣ كيلومتر عن سطح الأرض ويبلغ طولها من ٢ إلى ١٠ كيلومتر وارتفاعها بحدود ١٠ كيلومتر، ونلاحظ الشحنات السالبة في أسفل الغيمة أما الشحنات الموجبة فتتوضع في أعلى الغيمة. وتنخفض درجة الحرارة في قلب الغيمة إلى ما دون ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر.



شكل (٢١) مخطط يمثل أشواط ومضة البرق وزمن كل شوط. حيث نلاحظ في هذا المخطط ثلاث ضربات برق تشكل مجموعها ومضة واحدة. يمثل المحور السفلي سطح الأرض واتجاه الزمن، أما المحور الشاقولي فيمثل ارتفاع الغيمة عن سطح الأرض. ونلاحظ وجود فترات توقف بين الضربة والأخرى تقدر كل فترة بحدود ٧٠ ميلي ثانية، ويختلف هذا الزمن طبعاً من غيمة لأخرى^(١).

(1) Niels Jonassen, Environmental ESD, www.ce-mag.com

حديث يفيض بالمعجزات

بعدما رأينا نتائج لأبحاث وتجارب استمرت قرنين ونصف من الزمن، وبعدما رأينا علماء أفنوا حياتهم، ومنهم من مات في سبيل معرفة هوية البرق وأطواره ومراحلها، وكم من الأموال قد صرفت في سبيل التعرف على ضربة برق لا يتجاوز زمنها أجزاء من الملي ثانية أي عمليات تحدث في طرفة عين!

نأتي بعد هذه الحقائق العلمية لنرى الحقائق النبوية الشريفة، ونأتي لنعيش رحلة ممتعة مع كلام النبي الأمي عليه صلوات الله وسلامه والذي علم العلماء، ونقارن ونتدبر دون أن نحمل الحديث ما لا يحتمل من التأويل أو التفسير، ونتساءل: أليس هذا الحديث الشريف يطابق ويوافق مئة بالمئة ما توصل إليه العلماء اليوم؟!

تحدث الرسول الأعظم عليه صلوات الله وسلامه عن يوم القيامة، ومرور الناس على الصراط، وعن سرعة مرور كل منهم حسب عمله في الدنيا. فأحسنهم عملاً هو أسرعهم مروراً.

فقد روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه في وصف الصراط، ومرور الناس عليه يوم القيامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَتُرْسَلُ الأمانة والرَّحْمُ فتقومان جنبتى الصراط يميناً وشمالاً، فيمُرُّ أولكم كالبرق)، قال: قلت بأبي أنت وأمي، أي شيء كمرّ البرق؟ قال: (ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمرّ الرِّيح، ثم كمرّ الطير وشِدُّ الرِّجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصَّراط يقول ربِّ سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرَّجل فلا يستطيع السَّير إلا زحفاً^(١)).

إذن هذا هو سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم يقول: (فيمرُّ أولكم كالبرق)! فيقول له سيدنا أبوهريرة: (بأبي أنت وأمي أي شيء كمرّ البرق؟) فيقول عليه الصلاة والسلام: (ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟).

في هذا الحديث العظيم إشارات إلى حقائق علمية حديثة الاكتشاف. فمن الواضح من خلال هذا الحديث أن الصحابي راوي الحديث رضوان الله عليه استغرب من تعبير الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حول مرور البرق وحركته وسرعته.

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب: «أدنى أهل الجنة منزلته فيها»، رقم ٣٢٩ / ١٩٥، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٥.

إشارة إلى سرعة البرق

إذا تساءلنا ما الذي جعل سيدنا أبا هريرة يستغرب، ولماذا سأل عن مرور البرق؟ والجواب نجده بسهولة إذا علمنا أن الناس في ذلك الزمن كانوا يظنون أن البرق، أو الضوء لا يحتاج إلى زمن ليمرّ! بل لم يكن أحد يتخيل أن للضوء سرعة! إنما كان الاعتقاد السائد أن الضوء يسير بلمح البصر، ولذلك قال هذا الصحابي الجليل: (بأي أنت وأمي أي شيء كمرّ البرق؟)!

فقد تعجب هذا الصحابي الجليل من قوله عليه الصلاة والسلام «كمرّ البرق» إذ لم يكن يتصوّر أن البرق يمرّ ويتحرك ويسير! وهذه هي أول إشارة نلمسها في الحديث الشريف إلى أن البرق يسير بسرعة محددة. ففي قوله صلى الله عليه وسلم: (فيمرُّ أولُكُمْ كالبرق) إشارة واضحة جداً إلى وجود زمن لمرور وتحرك البرق!

وكما رأينا فإن الضربة الراجعة تسير بسرعة أكبر من مئة ألف كيلومتر في الثانية. ومع أننا لا ندرك هذه السرعة بأبصارنا إلا أن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام حدثنا عنها وأشار إليها في قوله: (كيف يمرُّ ويرجع).

إشارة إلى أطوار البرق

إذا تأملنا قوله عليه الصلاة والسلام: (ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟)، نلاحظ أنه يتطابق مئة بالمئة مع ما كشفه العلم مؤخراً.

فقد انتهى العلماء كما رأينا من خلال الحقائق الواردة في فقرات هذا البحث إلى أن البرق ما هو إلا شرارة كهربائية ضخمة، تحدث نتيجة تلامس الشحنة الكهربائية السالبة الموجودة في الغيمة مع الشحنة الكهربائية الموجبة الموجودة في الأرض، وأن هنالك طورين رئيسيين لا يمكن لومضة البرق أن تحدث من دونها أبداً، وهما طور المرور، وطور الرجوع.

وتأمل معي هذه المصطلحات العلمية، فكلمة «Step» التي يستخدمها العلماء للتعبير عن المرحلة الأولى تعني «ينخطو أو يمر»، أما كلمة «Return» والتي يستخدمها العلماء للتعبير عن طور الرجوع تعني «يرجع»، بما يتطابق مع التعابير النبوية الشريفة!

ووجدتُ بأن زمن ضربة البرق يختلف من غيمة لأخرى حسب بعدها عن الأرض ، وحسب الظروف الجوية المحيطة، وحسب كثافة الغيوم ومدى تشبعها ببخار الماء، ولكن هذا الزمن يبقى مقدراً بعدة عشرات من الملي ثانية^(١)، وكذلك وجدتُ أن الزمن اللازم لطرفة العين يختلف من إنسان لآخر حسب الحالة النفسية والفيزيولوجية والسنّ، ولكنه أيضاً يبقى مقدراً بعدة عشرات من الملي ثانية^(٢).

وسبحان الله! ما هذه الدقة في تحديد الأزمنة؟ أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الزمن ، والمجال الذي يتراوح ضمنه هذا الزمن، فهل بعد هذا الإعجاز كلام لأحد بأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ليست معجزة من الناحية العلمية؟



شكل (٢٢) بعد إجراء العديد من الأبحاث والدراسات والتجارب على ومضة البرق تبين أن الزمن اللازم لحدوث ومضة برق واحدة يقدر بعدة عشرات من الملي ثانية، وكذلك تبين بأن الزمن اللازم لطرفة العين يقدر بعدة عشرات من الملي ثانية، وهذا يعني أن البرق يمر ويرجع في طرفة عين، أليس هذا هو ما أخبرنا به البيان النبوي الشريف قبل أربعة عشر قرناً؟

(1) Martin A Uman. Lightning. Courier Dover Publications, 1984.

(2) Susan Chollar. In the blink of an eye. Psychology Today. March, 1988.

تشبيه علمي دقيق

إن العين لا يمكن أبداً أن تلاحظ الأحداث التي تتم في أجزاء من الألف من الثانية إلا بواسطة أجهزة دقيقة ، ومتطورة.

فعلى الرغم من أننا نرى وميض البرق يبدو وكأنه مستمر، ولكن الحقيقة وكما رأينا في هذا البحث، هنالك عمليات ، ومراحل متتالية ، تتم خلال زمن قصير جداً لا يمكن إدراكها بالعين أبداً.

كذلك في تشبيه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام للبرق بطرفة العين كل الدقة العلمية، وليس غريباً أن نجد أن العلماء اليوم يستخدمون التعبير النبوي ذاته!!

إن الذي يتأمل المقالات الصادرة حول البرق ، يجد أن الباحثين حديثاً يقارنون الزمن اللازم لضربة البرق بطرفة العين، وهذا تعريف ميسر لضربة البرق يقدمه علماء الغرب في مقالاتهم ، ودروسهم التعليمية، حيث يقولون⁽¹⁾:

A lightning strike can heat the air in a fraction of a second. When air is heated that quickly, it expands violently and then contracts, like an explosion that happens in the blink of an eye

وهذا يعني بالحرف الواحد :

«ضربة البرق تسخن الهواء في جزء من الثانية. عندما يسخن الهواء بسرعة، يتمدد بعنف ثم يتقلص، مثل انفجار يحدث في طرفة عين».

وتأمل معي كيف يستخدم العلماء عبارة « في طرفة عين» ليصفوا بها الأحداث التي تتم في شعاع البرق، هذه العبارة هي ذاتها استخدمها النبي الكريم عليه الصلاة والسلام!

إذن علماء عصر الفضاء والذرة والكمبيوتر يستخدمون التشبيه النبوي ذاته، ألا يعني ذلك أن العلم النبوي أعظم وأكبر من علوم البشر؟

(1) <http://weathereye.kgan.com/cadet/lightning/thunder.html>

والسؤال الذي نودّ توجيهه لكل مشكّك: ألا يعني هذا أن الكلام الذي جاء به رسول الله لا يمكن أن يكون من عنده، بل هو من عند الله تعالى؟

لقد أكرم الله حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بالمعجزات في كلامه أثناء حياته وبعد موته وإلى يوم القيامة، لتكون أحاديث الرسول الكريم شاهدة على صدق رسالته للناس جميعاً.

المعنى اللغوي للكلمتين

جاء في القاموس المحيط في معنى كلمة (مرّ): «مَرَّ مَرّاً وَمُروراً: جازَ وَذَهَبَ. مَرَّهٌ، وَمَرَّ به: جازَ عليه. وَاسْتَمَرَّ: مَضَى على طَرِيقَةٍ واحِدَةٍ»^(١).

أما كلمة (رَجَعَ) فنجد معناها في القاموس المحيط كما يلي: «رَجَعَ يَرْجِعُ رُجوعاً وَمَرْجِعاً، وَرَجَعَ الشَّيْءُ صَرَفَهُ وَرَدَّهُ، الرَّجِيعُ مِنَ الْكَلَامِ: الْمُرْدُودُ إلى صَاحِبِهِ، وَرَاجَعَهُ الْكَلَامَ: عَاوَدَهُ»^(٢).

ونلاحظ المعنى الواضح لمرور البرق، أي ذهابه ثم رجوعه أي رده، ومعاودته، وسلوكه للطريق ذاتها، أي استخدام القناة ذاتها التي تم تأسيسها من قبل. وفي كلتا الكلمتين نلاحظ إشارة للتكرار والمعاودة، وهذا ما يحدث تماماً في ومضة البرق من تعدد لضربات البرق، وتكرارها، ورجوعها، ومعاودتها المراحل ذاتها.

(١) الفيروز آبادي، معجم القاموس المحيط، ص ١٢١٦، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٥.

(٢) الفيروز آبادي، معجم القاموس المحيط، ص ٤٩٣، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٥.

نتائج البحث ووجوه الإعجاز

لنلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث والتي تمثل معجزات علمية في مجال هندسة الكهرباء والبرق، جميعها في كلمات لا يتجاوز عددها السطر الواحد:

١- تضمّن الحديث الشريف إشارة واضحة لتحرك البرق ومروره وأنه يسير بسرعة محددة، وليس كما كان يُظن ويعتقد بأن البرق يسير بلمح البصر ولا وجود لأي زمن.

٢- تضمّن الحديث إشارة إلى أطوار البرق التي اكتشفها العلماء حديثاً، وأن البرق يحدث على مراحل وليس كما كان يعتقد أنه يحدث دفعة واحدة، أي أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حدد المراحل الأساسية التي يحدث خلالها البرق، ومن دونها لا يمكن لضربة البرق أن تحدث أبداً.

٣- حدّد الحديث الشريف اسم كل مرحلة (يمرّ ويرجع)، باسمها الحقيقي والفعل، وبما يتناسب مع الاسم العلمي لها.

٤- إن الرسول الكريم هو أول من تحدث عن حقيقة علمية ألا وهي رجوع البرق أو طور الرجوع، وهذا سبق علمي في الحديث النبوي الشريف.

٥- حدّد الحديث النبوي زمن ضربة البرق الواحدة بطرفة عين، وقد رأينا كيف تساوى هذان الزمان، أي أن التشبيه النبوي للبرق بطرفة عين هو تشبيه دقيق جداً من الناحية العلمية.

٦- نستطيع اليوم أن نعلم من خلال القياسات الدقيقة أن كمية هائلة من الشحنات السالبة تصل من الغيمة إلى الأرض في أقل من جزء من الألف من الثانية، وتتولد بعد ذلك الضربة الراجعة والتي تسير عبر قناة محددة بسرعة تصل إلى أكثر من نصف سرعة الضوء كما رأينا والتي تعطي البرق الوميض الذي نراه.

إن القناة التي تسلكها الضربة الراجعة تُستخدم من جديد لضربات أخرى، أي هنالك مرور ورجوع لشعاع البرق، أي هنالك تكرار لضربات البرق يمكن أن يكون عددها ٣ أو ٤ أو أكثر، وجميعها يُرى على أنه ومضة واحدة.

وإذا تأملنا الحديث من زاوية أخرى نجد بأنه يشير إلى هذا التكرار في الضربات من خلال قوله عليه الصلاة والسلام: (يمرّ ويرجع). وهنا يتجلى الإعجاز أيضاً حيث إن المدة الفاصلة بين الضربة والأخرى هي بحدود ٤٠ ميلي ثانية^(١)، وهذا الزمن قريب جداً للزمن اللازم لطرفة العين، فسبحان الله!

٧- من شروط المعجزة في السنة النبوية أن يستحيل معرفة الحقيقة العلمية التي حدثنا عنها الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام في زمنه.

ولوتأملنا التطور العلمي لتجارب البرق نجد أن الدراسة الدقيقة لهذه الظاهرة بدأت في السبعينات من القرن العشرين في أمريكا وأوروبا وأستراليا، ثم في عام ١٩٩٥ بدأت دراسة البرق من الفضاء من خلال الأقمار الاصطناعية التابعة لوكالة الفضاء الأمريكية ناسا^(٢).

ولذلك نستطيع القول إن الحديث يمثل معجزة علمية لا ريب فيها، لأنه أخبرنا بحقيقة علمية لم يتم التأكد منها يقيناً وبالصور الحقيقية إلا في نهاية القرن العشرين، أي بعد أربعة عشر قرناً من الزمان.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث لا بدّ من الإجابة عن سؤال قد يخطر ببال من يقرأ هذا البحث للمرة الأولى: إذا كان هذا الحديث يتضمن كل هذه الدقة العلمية والتفاصيل حول عملية البرق المعقدة، فلماذا لم يكتشف علماء المسلمين هذه المراحل؟ بل على العكس نرى علماء الغرب وهم من غير المسلمين يكتشفون هذه العمليات وهم لم يقرءوا هذا الحديث ولم يطلعوا عليه؟

والجواب ببساطة أن المسلمين يصدّقون كل ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن

(1) Martin A Uman, Lightning, Courier Dover Publications, 1984.

(2) Dan Breed, Bob Henson, Lightning:FAQ, UCAR Communications, <http://www.ucar.edu/communications>.

غير المسلم هو من سيستفيد من هذه الحقائق وهذه المعجزات لتكون برهاناً ملموساً له على صدق رسالة الإسلام.

فالنبِيُّ عليه الصلاة والسلام عندما يخاطب الملحدِين بحقائق علمية هم من سيكتشفها فإن هذا قَمَّةُ التفوق والإقناع بأن الرسول على حق!

والشيء المعجز حقاً أن الرسول الأعظم استخدم هذه المعجزة العلمية أثناء الحديث عن القيامة التي ينكرها الملحدون، وكأنه يريد أن يخاطبهم بلغة العلم التي يفهمونها جيداً ويؤكد لهم: كما أنهم رأوا حقيقة مرور البرق ورجوعه وهي حقيقة يقينية، فكذلك سوف يرون حقيقة يوم القيامة والمرور على الصراط. والسؤال أليس الإسلام يخاطب أعداءه بلغة العلم؟

فالمؤمن يزداد إيماناً عندما يرى هذه المعجزة النبوية، وإذا لم تتيسر له رؤية هذه المعجزة أو غيرها فلن يختل إيمانه أبداً! أما الملحد فلا تقنعه إلا البراهين العلمية المادية، وهذا الحديث هو واحد منها.

نسأل الله تعالى أن يجعل في هذا البحث الخير والهداية والإقناع لكل من يشك برسالة الإسلام ونبوة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام.

وندعو كل مؤمن محبّ لكتاب الله وسنة رسوله أن يتأمل أقوال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ويتفكر في إعجازها العلمي واللغوي والغيبى.

فنحن أمام بحر يزخر بالعجائب والأسرار! والكنوز النبوية لم يُستخرج منها إلا القليل، وهناك الكثير من الأحاديث التي لم تُدرس بعد، وهي بانتظار من يستخرج إعجازها.

كما نسأله تعالى أن يلهمنا التعاون على البر والتقوى كل حسب اختصاصه لنصل إلى مرضاة الله جلّ وعلا. وعسى أن نكون جميعاً من هؤلاء الذين مدحهم الله تعالى في كتابه الكريم فقال: (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) [آل عمران: ١٩١].

المراجع العربية

- ١- القرآن الكريم - مصحف المدينة المنورة.
 ٢- صحيح الإمام مسلم - المكتبة العصرية - بيروت ٢٠٠٥.
 ٣- الفيروز آبادي، معجم القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٥.

المراجع الأجنبية

- [1] Martin A Uman, All About Lightning, Courier Dover Publications, 1987.
 [2] G V Cooray, Vernon Cooray, The Lightning Flash, IET, 2003.
 [3] Richard Kithil, Fundamentals of Lightning Protection, National Lightning Safety Institute, www.lightningsafety.com
 [4] Martin A Uman, Lightning, Courier Dover Publications, 1984.
 [5] Hugh Christian, Steven Goodman, Observing Lightning from Space, www.nasa.gov, 1998.
 [6] The Lightning Process: Keeping in Step, www.noaa.gov, March 9, 2004.
 [7] Dan Breed, Bob Henson, Lightning: FAQ, UCAR Communications, www.ucar.edu
 [8] Niels Jonassen, Environmental ESD, http://www.ce-mag.com
 [9] Steve Price, Patrick Barry, Tony Phillips, Where Lightning Strikes, www.nasa.gov, Dec. 5, 2001.
 [10] Zeus, www.wikipedia.org
 [11] www.weathereye.kgan.com /cadet/lightning/thunder.html
 [12] Time Converter, www.csgnetwork.com.
 [13] Lightning, www.wikipedia.org
 [14] Lightning and Thunder, www.fma-research.com
 [15] Leslie Mullen, Spirits of Another Sort, www.thunder.msfc.nasa.gov, June 10, 1999.
 [16] How Lightning Forms, www.weatherimagery.com
 [17] Flash Facts About Lightning, National Geographic News, June 24, 2005.
 [18] Steve Goodman, A Lightning Primer, www.nasa.gov
 [19] Zeus and his Lightning Bolt, www.atheism.about.com
 [20] Susan Chollar, In the blink of an eye, Psychology Today, March, 1988.
 [21] Dean R. Koontz, Lightning, Berkley Publishing Group, 2003.

[22] www.csgnetwork.com/timemath.html

[23] www.home.earthlink.net/~jimlux/lfacts.htm

[24] lightning glossary, www.lightningeliminators.com

[25] Leslie Mullen, Three bolts from the blue, www.nasa.gov, June 8, 1999.



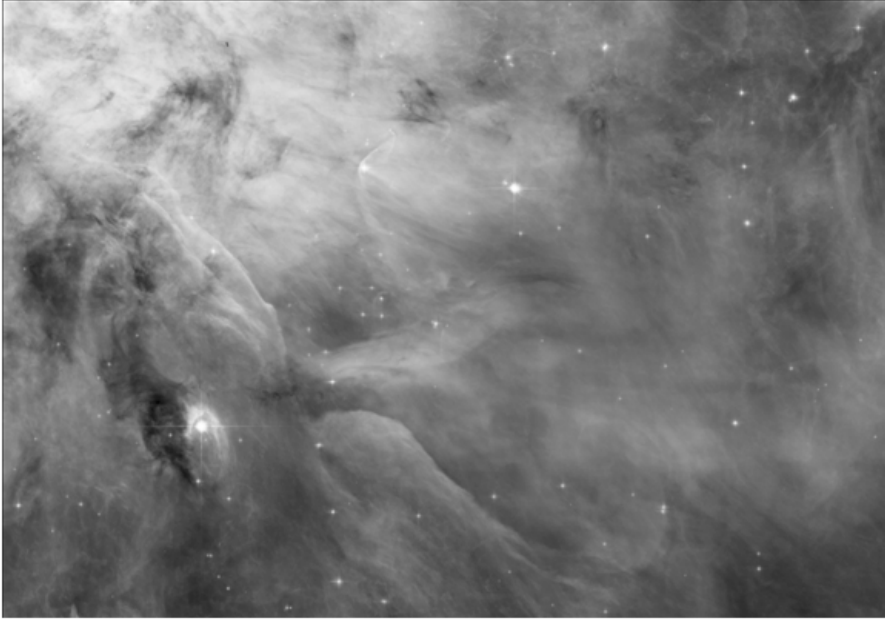
المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

مصايح الكون

د. يس بن محمد المليكي

الفضاء وعلوم الفضاء - جامعة الملك عبد العزيز





يقول المولى تبارك وتعالى :

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزِينَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

ستتناول في بحثنا هذا مصابيح السماء الدنيا، وجديد ما اكتشفته أحدث السفن الفضائية والمناظير بشقيها الأرضي والفضائي من النجوم المنتشرة في أرجاء الكون بدءاً من اقربها لنا وهي شمسنا حيث أنها أوضح وأقرب المصابيح الينا موضحين خواصها الفيزيائية معرجين على انواع شتى تختلف في الحجم والطاقة ثم نتناول الأبعد وهي ما تسمى بالنجوم المحلية ثم الأبعد في مجرات بعيدة وسنرى من عجائب صنيع الخالق تبارك وتعالى ما يجلي بعضاً من دلائل عظمته وقدرته وإتقانه في كونه العظيم فتبارك الله أحسن الخالقين.

تعريف المصاييح :

هي السرج المنيرة المتألأة المضيئة بذاتها والتي تمدنا بالضوء والحرارة وهي النجوم المنتشرة في أرجاء الكون العظيم - وهي مفاعلات نووية كروية الشكل بلازمية الحالة ، هائلة الكتلة ، عظيمة الحجم ، عالية الحرارة. ومعظم عناصرها الهيدروجين والهليوم ترصد مجتمعة بالمجرات كحشود نجمية ثنائية أو فردية أو أكثر ، متماسكة بقوة الجاذبية علي الرغم من بنائها البلازمي ، وتشع كلا من الضوء المرئي وغير المرئي بجميع موجاته . ويمكن من خلال المطاييف دراسة ضوء النجم الواصل إلينا والتعرف على العديد من صفاته الطبيعية مثل درجة لمعانه ، شدة إضاءته ، درجة حرارته ، حجمه ، كتلته ، موقعه منا ، سرعة دورانه حول محوره ، وسرعة حركته في مداره ، تركيبه الكيميائي ، ومستوي التفاعلات النووية فيه الي غير ذلك من صفات فيزيائية.

وقد أمكن تصنيف النجوم العادية على أساس درجة حرارة سطحها إلي نجوم حمراء (٣٢٠٠ درجة مطلقة) وهي أقلها حرارة ، إلي نجوم برتقالية ، وصفراء ، وبيضاء مائلة إلي الصفرة، وبيضاء ، وبيضاء مائلة إلي الزرقة ، وزرقاء (٣٠،٠٠٠ درجة مطلقة) وأشدها حرارة السوداء وتعد شمسنا من النجوم القزمة الصفراء متوسطة الحرارة إذ تبلغ درجة حرارة سطحها حوالي ستة آلاف درجة مطلقة.

وعن المصاييح يقول الحق تبارك وتعالى

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام : ٩٧] ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل : ١٦] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر : ١٦] ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر : ١٧] .

مصايح الكون

من المسلم به أن الكون مليء بالدخان والدخان به الغاز والتراب التي تشكل النجوم والتراب عبارة عن ذرات من الكربون والسيليكون وقد صورت كسدم وسحب منتشرة في جميع أرجاء الكون والسدم هي أجنة لنجوم جديدة. وجميع علماء الفضاء يقررون أن الكون كان وما زال مليئاً بغاز حار ثم تبرد وأول ما تشكل منها هو النجوم. والقرآن يقرر بأن السماء أو الكون كان دخاناً ثم زين الله السماء بالنجوم وسماها المصايح كما ذكر تبارك وتعالى.

وتنتج الطاقة الهائلة في المصايح بواسطة التفاعلات النووية وهي العملية التي يتم فيها اندماج نوى ذرات الهيدروجين (أخف العناصر المعروفة) لتكون نوى الذرات الأثقل بالتدريج وتنطلق الطاقة التي تزيد من درجة حرارة النجم حتي يتحول الي ما يعرف باسم النجم المستعر (Nova) والعملاق الأحمر Red Giant، أو النجم العملاق الأعظم (Supergiant) وفوق العملاق الأعظم Hypergiant وحينما يتحول قلب النجم المستعر إلى حديد تستهلك طاقة النجم، وتتوقف عملية الاندماج النووي فيه، وينفجر النجم فيتحول إما إلى قزم ابيض، أو إلى نجم نيوتروني أو إلى ثقب اسود حسب كتلته الابتدائية فينكدر النجم أو يطمس ضوءه طمسا كاملا. وعند انفجار النجوم تتناثر أشلاؤها - ومنها الحديد - في صفحة السماء. ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأساً شديداً سورة الحديد﴾ - الآية (٢٥)

أن الغالبية الساحقة من النجوم (٩٠٪) تتبع النجوم العادية التي تعرف باسم نجوم النسق الأساسي (Main Sequence Stars)، والباقي هي نجوم في مراحل الانكدار أو الطمس أو في مراحل الانفجار والتلاشي، من مثل الأقزام البيضاء، النجوم النيوترونية (النابضة وغير النابضة) والثقوب السوداء في المجموعة الأولى، والعمالقة الحمراء، والعمالقة العظام،

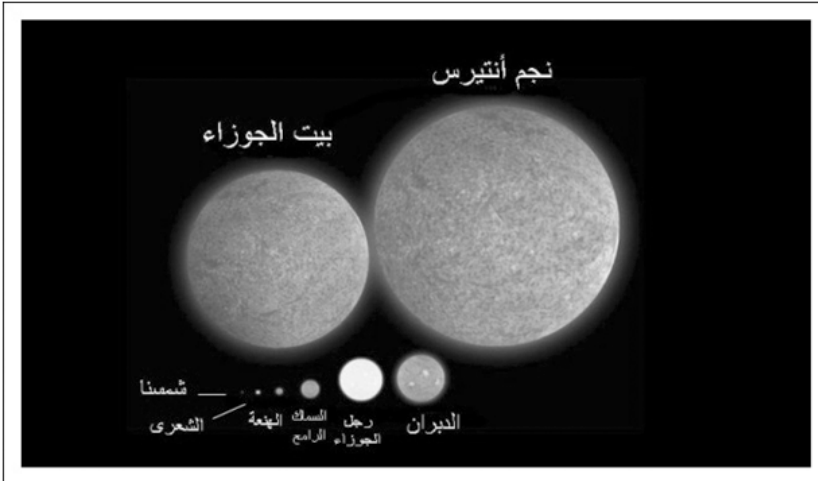
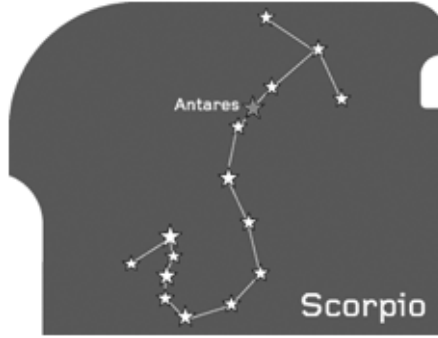
والنجوم المستعرة ، وفوق المستعرات في المجموعة الثانية . وأكثر النجوم العادية لمعانا هي أعلاها كثافة، وبعضها يصل في كتلته إلى ٣٥٠ مرة قدر كتلة الشمس، وتشع قدر إشعاع الشمس ملايين المرات.

مراحل المصايح

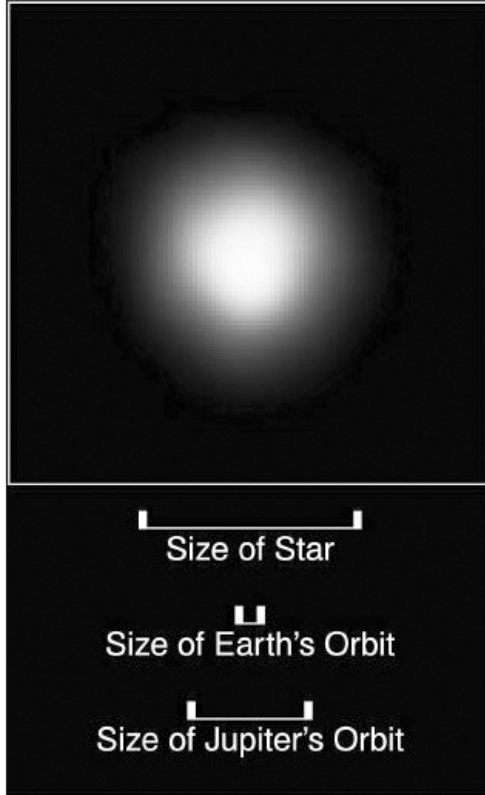
تمر النجوم بمراحل من الميلاد والشباب والشيخوخة قبل أن تنفجر أو تتكدس على ذاتها فتطمس طمسا كاملا، فهي تولد من الدخان الكوني بتكدس هذا الدخان على ذاته وبفعل الجاذبية تتكون نجوم ابتدائية (Prostars)، ثم تتحول هذه النجوم الابتدائية إلى النجوم العادية (Stars Sequence Main)، ثم تنتفخ متحوّلة إلى العماليق الحمر (Giants Red)، فإذا فقدت العماليق الحمر هالاتها الغازية تحوّلت إلى السدم الكوكبية (Planetary Nebulae)، ثم تنكمش على هيئة ما يعرف باسم الأقزام البيض (Dwarfs White) وقد تتكرر عملية انتفاخ القزم الأبيض إلى عملاق أحمر ثم العودة إلى القزم الأبيض عدة مرات، وتنتهي هذه الدورة بالانفجار على هيئة فوق مستعر من الطراز الأول (I Type Explosion nova Super) أما إذا كانت الكتلة الابتدائية للنجم العادي كبيرة (عدة مرات قدر كتلة الشمس) فإنه ينتفخ في آخر عمره على هيئة العملاقة الكبار (giants Super)، ثم ينفجر على هيئة فوق مستعر من الطراز الثاني (Explosion nova Super II Type)، فينتج عن هذا الانفجار النجوم النيوترونية (Stars Neutron) النابضة (Pulsars)، وغير النابضة (Stars Neutron Pulsating-Non)، أو الثقوب السود (Holes Black) أو ما نسميه باسم النجوم الخانسة الكانسة وذلك حسب الكتلة الابتدائية للنجم.

بعض انواع المصاييح

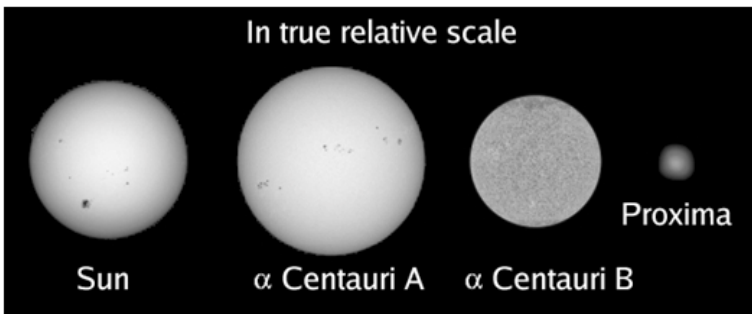
قلب العقرب وهوفوق عملاق أحمر



أبط الجوزاء المستعر القادم



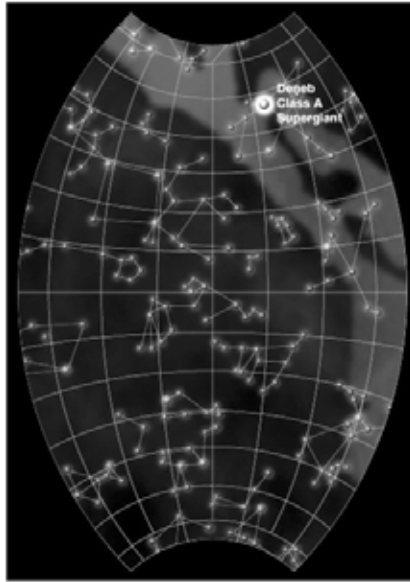
الفا قنطورس توأم الشمس



نجم عملاق أحمر قيفاوي



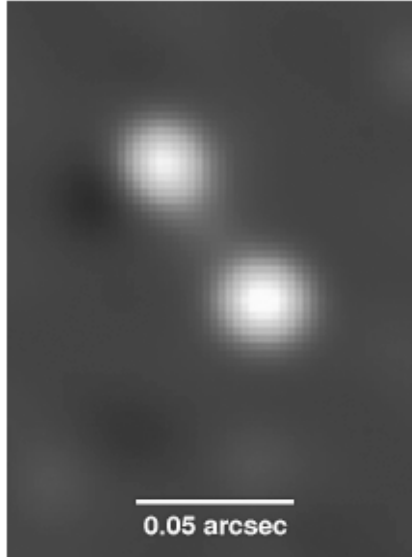
الذئب - أبيض فوق عملاق حار جدا



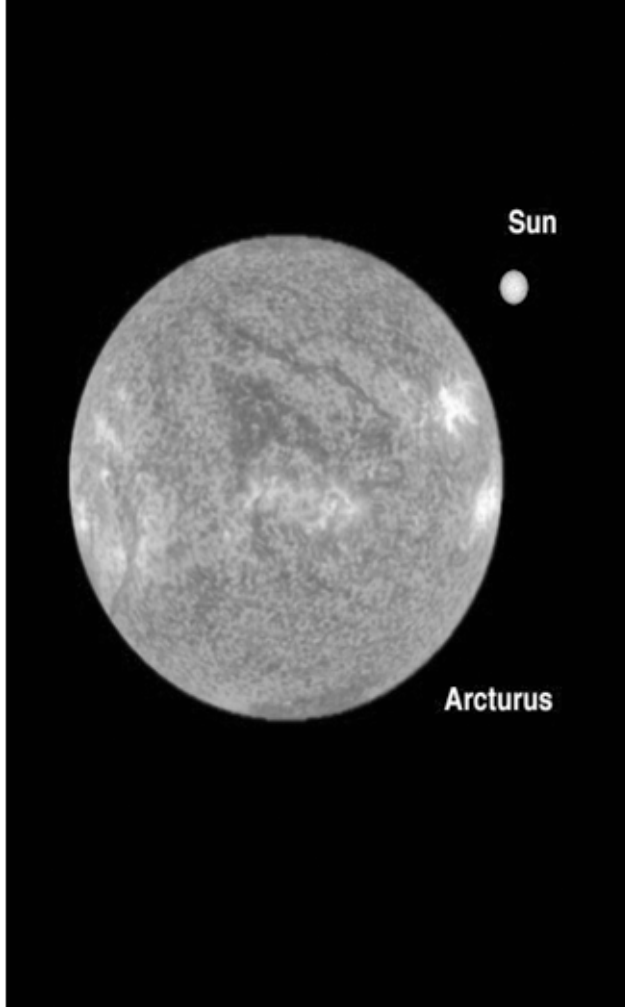
ميرا - عملاق أحمر



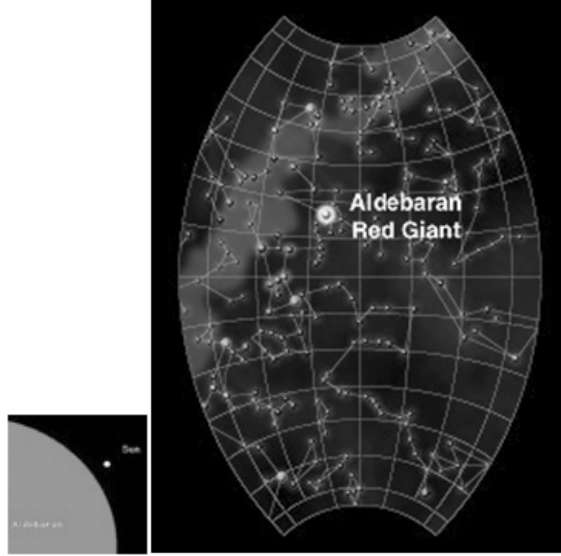
كابيلا - نجم ثنائي أصفر عملاق



أرکتوروس - برتقالي عملاق



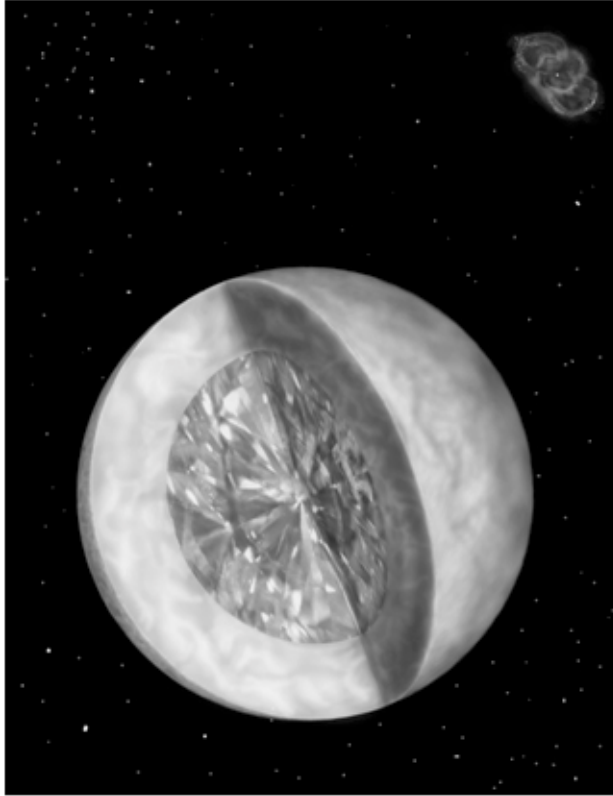
الدبران - نجم عملاق أحمر

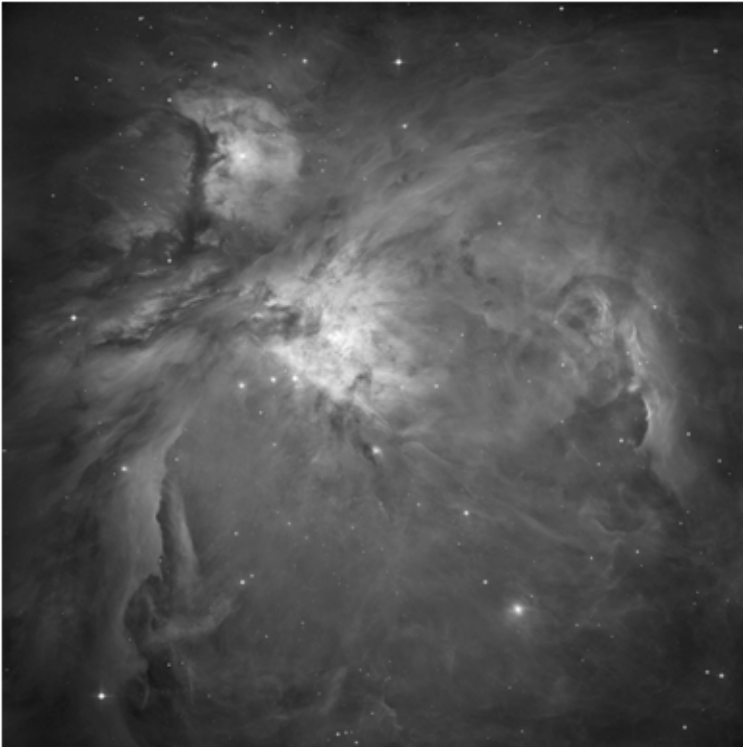


أريداني - قزم أبيض



الأخاس - MPB- ٣٩٠٧٣ -





ثانياً :

محور الأرض وعلوم البحار



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)

إثبات توسط مكة المكرمة لليابسة

دراسة باستخدام القياسات وصور الأقمار الصناعية

الدكتور المهندس / يحيى وزيرى



مقدمة

منذ أن نبه الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين رحمه الله الى أن مكة تتوسط اليابسة، فقد انقسم الناس حول هذا الاكتشاف الى فريقين أساسيين مابين مؤيد ومعارض، وكان وجه الاعتراض قائما نظرا لأن اكتشاف الدكتور حسين كمال الدين لم يتم اثباته بالقياسات العلمية الدقيقة.

لذلك فقد حاول بعض علماء المسلمين المعاصرين اثبات ذلك، وكان منهم الأستاذ الدكتور مسلم شلتوت وذلك عن طريق استخدام برنامج للحاسب الآلي، لاثبات توسط مكة المكرمة لليابسة، وبالرغم من هذا الجهد المشكور ظلت العديد من الاعتراضات قائمة ورافضة لهذه الفكرة، لعدم تقديم القياسات العلمية الدقيقة من واقع المسافات الحقيقية بين مكة وحدود اليابسة، باستخدام وسيلة علمية صحيحة ويمكن الاتفاق عليها في الأوساط العلمية في نفس الوقت.

لذلك فقد بدأت منذ عدة سنوات في بحث ودراسة متواصلة من أجل اثبات حقيقة توسط مكة المكرمة لحدود اليابسة، من خلال القياسات الدقيقة والتي تحدد المسافات الصحيحة مابين مكة المكرمة ونقاط معينة مختارة على حدود قارات العالمين القديم (آسيا وأفريقيا وأوروبا) والجديد (الأمريكتين وأستراليا والقارة الجنوبية المتجمدة).

وقد وجدنا أنه من اللازم قبل عرض ماتوصلنا اليه من نتائج تثبت توسط مكة المكرمة لليابسة، أن نوضح فكرة توسط مكة المكرمة عند علماء اللغة والتفسير والجغرافيين المسلمين القدماء، مع الاشارة الى الآيات القرآنية التي تضمنت هذه الحقيقة.

أولاً: توسط مكة لليابسة عند علماء اللغة والتفسير والجغرافيا :

ذهب عدد من علماء اللغة إلى أن سبب تسمية مكة بهذا الاسم هو أنها وسط الأرض، يقول الزبيدي في كتابه «تاج العروس» (١): (وقيل: إن مكة مأخوذة من المكاكة وهي اللبّ والمخّ الذي في وسط العظم، سميت بها لأنها وسط الدنيا ولبها وخالصها)، ويقول في موضع آخر مبيناً سبب تسمية مكة بأمة القرى: (وأم القرى مكة - زيدت شرفاً-؛ لأنها توسطت الأرض فيها زعموا).

وقال ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان (٢): «أول ما خلق الله في الأرض مكان الكعبة، ثم دحا الأرض من تحتها، فهي سرة الأرض ووسط الدنيا، وأم القرى أولها الكعبة، وبكة حول مكة، وحول مكة الحرام، وحول الحرام الدنيا».

وفي ثنايا حديث علماء التفسير المسلمين قديماً عن فضل مكة على سائر البلدان جاءت الإشارة إلى أن مكة المكرمة تقع في وسط العالم، يقول القرطبي (٣): (قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، المعنى: وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطاً، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم، والوسط: العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها)، ويقول ابن عطية في تفسيره (٤): (وأم القرى مكة سميت بذلك لوجوه أربعة، منها أنها منشأ الدين والشرع، ومنها ما روي أن الأرض منها دحيت، ومنها أنها وسط الأرض وكالقطعة للقرى، ومنه ما لحق عن الشرع من أنها قبلة كل قرية، فهي لهذا كله أم وسائر القرى بنات).

ومن ذلك أيضاً ما قاله أبو حيان في تفسيره (٥): ﴿وَلْتُنذِرْ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢] أم القرى مكة وسميت بذلك لأنها منشأ الدين، ودحو الأرض منها، ولأنها وسط الأرض، ولكونها قبلة وموضع الحج ومكان أول بيت وضع للناس)، ويقول النسفي في تفسيره (٦): (وسميت أم القرى لأنها سرة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنًا والناس يؤمنونها).

مما سبق يتضح لنا أن بعض علماء اللغة والتفسير، قد فهموا أن مكة المكرمة تتوسط الأرض اما من المعنى اللغوي لاسمها «مكة» أو الوصف القرآني لها بأنها «أم القرى»، أو من خلال فهم وتفسير ماورد في بعض الآيات القرآنية التي وردت في سور البقرة والأنعام والشورى.

لقد حظيت مكة المكرمة باهتمام العلماء والباحثين والفلكيين والجغرافيين المسلمين باعتبارها قبلتهم التي أمر الله سبحانه وتعالى بالتوجه إليها في صلاتهم لقوله تعالى: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) (البقرة: ١٥٠)، كذلك فالحج إلى بيت الله الحرام هو تمام أركان الإسلام، وهو الركن الخامس، لقوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) (آل عمران: ٩٧).

ومن هنا كان اهتمام المسلمين بتحديد الاتجاه الصحيح نحو بيت الله الحرام قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، كما اهتموا بتحديد المسارات لرسم الطرق المؤدية إليه خدمة للإسلام وتيسيراً على المسلمين، وكان العالم الجغرافي المسلم (الجيهازي) الذي عاش في القرن الرابع الهجري قد اهتدى إلى رسم الكرة الأرضية وتحديد موقع مكة المكرمة عليها، وقام برسم المساقط لأقطار الدائرة، فإذا بها تلتقي جميعها في موقع البيت الحرام، وإذا به يشكل مركز العالم (اليابسة).

وفي القرن العاشر الهجري قام الجغرافي المسلم (الصفاسي) (٩٥٨ هـ / ١٥٥١ م) بتطوير الأبحاث الجغرافية ورسم الكرة الأرضية حسب أبحاثه مستهدفاً من ذلك تحديد موقع القبلة لخدمة المسلمين الذين بلغوا أقاصي الصين وأعلي أوروبا، والذي توصل أيضاً إلى أن البيت العتيق في مكة المكرمة هو مركز الكرة الأرضية بعد أن رسم خريطة تمثل علاقة مكة المكرمة بالعالم الإسلامي، وخريطة أخرى توضح موقع مكة المكرمة بالنسبة للكرة الأرضية.

لقد اعتمدت أوروبا في أبحاثها وكشوفها الجغرافية على خرائط علماء المسلمين باعتبارها أدق وأفضل الخرائط، وهومن العلوم التي أوجدها المسلمون، وقد أصبحت المصدر الرئيس للعلوم الجغرافية وحفظها «ميللر» باعتبارها أهم الوثائق العلمية (٧).

ثانياً : توسط مكة لليابسة عند علماء العصر الحديث :

توجد دراستان هامتان أجريتا في القرن العشرين حول توسط مكة لليابسة، أما أغلب المقالات والدراسات المنشورة فلا تعدو أكثر من نقل أو تكرار لما ورد بهاتين الدراستين.

الدراسة الأولى: أجريت في منتصف السبعينيات من القرن العشرين، حيث لاحظ الدكتور حسين كمال الدين رحمه الله، (الذي شغل درجة الأستاذية لمادة المساحة في عدد من الجامعات والمعاهد العليا في مصر والرياض) تمرکز مكة المكرمة في قلب دائرة تمر بأطراف جميع القارات، أي أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة المكرمة توزيعاً منتظماً، وأن هذه المدينة المقدسة تعتبر مركزاً لليابسة (٨).

ويروي العالم المصري الدكتور حسين كمال الدين قصة الاكتشاف الغريب، فيذكر أنه بدأ البحث وكان هدفه مختلف تماماً، حيث كان يجري بحثاً ليعد وسيلة تساعد كل شخص في أي مكان من العالم على معرفة وتحديد مكان القبلة، لذلك فكر في عمل خريطة للكرة الأرضية لتحديد اتجاهات القبلة عليها، وبعد أن وضع الخطوط الأولى في البحث التمهيدي لإعداد هذه الخريطة ورسم عليها القارات الخمس، ظهر له فجأة هذا الاكتشاف الذي أثار دهشته، فقد وجد أن موقع مكة المكرمة في وسط العالم، وأمسك بيده برجلاً وضع طرفه على سطح الكرة الأرضية ومر بالطرف الآخر على أطراف جميع القارات، فتأكد له أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة المكرمة توزيعاً منتظماً، ووجد مكة - في هذه الحالة - هي مركز الأرض اليابسة (٩).

وبالرغم من هذه الملاحظة العلمية الهامة فإن الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين لم يقدم الدليل العلمي، عن طريق القياسات العلمية الدقيقة التي تثبت هذه الملاحظة بشكل قطعي في ذلك الوقت، ولكن يرجع فضل إبراز هذا الاكتشاف الرائع في العصر الحديث لهذا العالم المسلم رحمه الله.

أما الدراسة الثانية: فكانت على يد العالم الأستاذ الدكتور مسلم شلتوت في التسعينيات من القرن العشرين، وقد كان يعمل أستاذاً لبحوث الشمس والفضاء بمعهد

البحوث الفلكية والجيوفيزيائية بمصر، وقد اقتصرته دراسته على استخدام برنامج أعد خصيصاً لذلك باستخدام الحاسب الآلي، لحساب المسافة بين مكة المكرمة ونقاط قياس محددة على أطراف اليابسة بالنسبة للعالمين القديم والجديد (١٠).

وبالرغم من أهمية هذه الدراسة لاستخدامها منهجاً علمياً واضحاً، ولكنها اقتصرته على دراسة بالحاسب الآلي ولم تعتمد على قياسات حقيقية هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد اقتصرته على اختيار نقاط قليلة للقياس خاصة بالنسبة لقارات العالم الجديد، كما أن بعض القياسات كانت غير دقيقة، ولكن تظل هذه الدراسة علامة هامة في طريق إثبات توسط مكة لليابسة، وقد استفدت منها كثيراً أثناء إجراء دراستي في ذلك المضمار.

ثالثاً : إثبات توسط مكة لليابسة من خلال القياسات وصور الأقمار الصناعية :

١ - وسائل القياس :

من المعروف لكل الخبراء والمتخصصين أنه لا يمكن الاعتماد على الخرائط الجغرافية المعروفة، لتحديد قياسات علمية ودقيقة بين موقعين أو مدينتين على تلك الخرائط، لأن هذه الخرائط ما هي الا عبارة عن رسم يمثل اسقاط لقارات العالم، ولا يمكن أن يعبر عن المسافات والاتجاهات الحقيقية في آن واحد.

لذلك فقد استخدمت في بحثي لإثبات توسط مكة المكرمة لليابسة على برنامجين يعتمدان على صور الأقمار الصناعية الحقيقية للكرة الأرضية، كما أن بهما إمكانية عمل قياسات دقيقة للمسافات القوسية والاتجاهات بين أي نقطتين على سطح الكرة الأرضية، وهذه البرامج هي (١١):

- **جوجل إيرث Google Earth (١٢):** وهو برنامج معروف بإمكانياته العالية لتحديد المسافات بين أي نقطتين على سطح الكرة الأرضية بدقة متناهية، من خلال الصور الحقيقية للكرة الأرضية الملتقطة عن طريق الأقمار الصناعية.

• Qibla locator (١٣): وهو برنامج مصمم خصيصا لتحديد اتجاه القبلة بدقة متناهية من أي نقطة على سطح الكرة الأرضية، كما يحدد المسافة بين أي نقطة على الكرة الأرضية ومكة المكرمة (القبلة) بدقة متناهية أيضا، باستخدام صور الأقمار الصناعية.

كما استخدمت برنامجا مساعدا باسم Geomidpoint calculator، وهو برنامج يمكن عن طريقه تحديد النقطة المتوسطة بين نقطتين أو أكثر على سطح الكرة الأرضية بدقة متناهية، ويحدد مكان النقطة المتوسطة عن طريق الخرائط التفصيلية الحقيقية للأرض أو صور الأقمار الصناعية حسب الطلب.

وهذه البرامج السابقة معروفة ومعتمدة لدى المتخصصين والخبراء في أنحاء العالم من الناحية العلمية، ويتم الاعتماد على نتائجها من الناحية العلمية لدقتها المتناهية، وكلها تدار بمعرفة شركة «جوجل» Google ومتاحة على الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنت).

٢- معايير اختيار نقاط القياس:

بناء على دراسة شكل الحدود الخارجية للقارات السبع المعروفة ومساحتها، فقد تم اختيار أربع مجموعات من النقاط لقياس بعدها عن مكة المكرمة، وهذه المجموعات هي:

- مجموعة النقاط التي تمثل أبعد مسافات عن مكة المكرمة من حدود قارات العالم القديم.
- مجموعة النقاط التي تمثل أقرب مسافات لمكة المكرمة من حدود قارات العالم الجديد.
- مجموعة النقاط التي تمثل أبعد مسافات عن مكة المكرمة من حدود قارات العالم الجديد.
- النقاط التي تمثل المراكز الجغرافية التي تتوسط قارات العالم الجديد.

وباستخدام البرامج التي سبق ذكرها فقد تم تحديد المسافات ما بين مكة المكرمة ومجموعات النقاط السابقة، بدقة متناهية، وتأكد ذلك لتطابق النتائج ما بين برنامج «جوجل إيرث» وبرنامج Qibla locator، الخاصين بتحديد المسافات والاتجاهات الحقيقية على سطح الكرة الأرضية.

٣- نتائج الدراسة العلمية ومناقشتها :

أ- بالنسبة لتوسط مكة للعالم القديم (أفريقيا وأوروبا وآسيا) :

تم اختيار مواقع محددة (ممثلة بخطوط الطول والعرض) والتي تمثل أبعد مسافات عن مكة المكرمة في قارتي أفريقيا وأوروبا وآسيا، وتم توضيح نتائج القياسات في جدول رقم (١). وقد اتضح أن المسافة المتوسطة ما بين أبعد حدود في قارة أفريقيا وأوروبا (جزيرة أيسلندا) وآسيا تساوي حوالي ٦٤٤٢ كم، مع وجود جزء من قارة آسيا لم يدخل في حدود المسافة السابقة لاتساع لكبر مساحة هذه القارة، انظر شكل (١).

وسوف يتضح لنا أن الجزء المتبقي من قارة آسيا سوف يدخل في قياسات الحدود القريبة من قارات العالم الجديد، وذلك لأن أبعد نقطة في قارة آسيا تلتقي مع أبعد نقطة من الحدود الشمالية لقارة أمريكا الشمالية عند مضيق برنج، وهو ما لم يكن معروفاً إلا بعد اكتشاف الأمريكتين ورسم خريطة العالم التي تحتوي على سبع قارات، ارجع لشكل (٢).

جدول رقم (١) : المسافة بين مكة المكرمة وأبعد النقاط في قارات العالم القديم

(من عمل ودراسة الباحث)

القارة	البلد (الموقع)	خط الطول	خط العرض	المسافة القوسية كم	مقدار الانحراف
١- أفريقيا	جنوب أفريقيا	١٩,٣٨	٣٤,٥٠	٦٥٦٩	٢٪
٢- أفريقيا	الساحل الغربي	١٧,٣٦	١٤,٣٩	٦٠٨٦	٥,٥٪
٣- أوروبا	جزيرة أيسلندا	٢٣,٥٦ -	٦٥,٤٠	٦٦٧٢	٣,٤٥٪
المسافة المتوسطة	---	---	---	٦٤٤٢	٠٪



شكل (١) : مكة المكرمة تقع في مركز دائرة تمس أبعد نقاط قارات العالم القديم
(من دراسة وعمل الباحث).

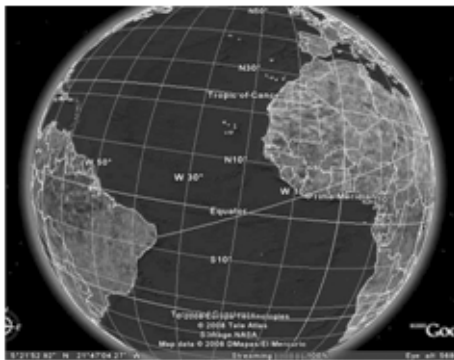
ب- بالنسبة لتوسط مكة لحدود قارات العالم الجديد القريبة :

تم اختيار مواقع محددة (مثلة بخطوط الطول والعرض) والتي تمثل المسافات ما بين مكة المكرمة والحدود القريبة من قارات العالم الجديد (استراليا والأمريكيتين والقارة الجنوبية المتجمدة) ويدخل فيها نقطة التقاء قارة آسيا مع قارة أمريكا الشمالية عند مضيق «برنج»، وقد تم توضيح نتائج القياسات في جدول رقم (٢).

وقد أتضح أن المسافة المتوسطة ما بين أقرب حدود في قارات العالم الجديد (استراليا والأمريكيتين والقارة الجنوبية المتجمدة) بالإضافة الى نقطة التقاء قارة آسيا مع قارة أمريكا الشمالية عند مضيق «برنج» تساوي حوالي ٩٣٠٦ كم.

جدول رقم (٢) : المسافة بين مكة المكرمة وأقرب النقاط في قارات العالم الجديد ويدخل فيها أبعد نقطة في آسيا. (من عمل ودراسة الباحث)

القارة	البلد الموقع	خط الطول	خط العرض	المسافة القوسية كم.	مقدار الانحراف
١- استراليا	الساحل الغربي	١١٣,٥٥	٢١,٥٨-	٩٣٦٠	٠,٦%
٢- القارة الجنوبية المتجمدة	الساحل الشمالي	٥٣,٧٨	-٦٥,٥١	٩٧٥٠	٥,٥%
٣- أمريكا الجنوبية	الساحل الشرقي	٣٥,١٥-	٥,٢٩-	٨٦٩٣	٦,٦%
٤- أمريكا الشمالية	الساحل الشرقي (نيوفونديلاند)	٥٢,٧٣	٤٧,٨٧	٨٤٥٣	٩,١%
٥- مضيق برنج	التقاء آسيا وأمريكا الشمالية	١٦٨,٤٦	٦٦,٠٠	١٠٠٠٠	٦%
٦- آسيا	الساحل الشرقي لليابان	١٤٠,٥٢	٣٥,٤٢	٩٥٧٨	٣%
المسافة المتوسطة	---	---	---	٩٣٠٦	٠%



لقطات حقيقية بالقمر الصناعي توضح خطوط القياس بين مكة والساحل الغربي لقارة استراليا، والساحل الغربي لقارة أمريكا الجنوبية.



شكل (٢): رسم يوضح حدود الدائرة التي مركزها مكة المكرمة وتمس الحدود القريبة لقارات العالم الجديد ومضيق برنج. مكة المكرمة تقع في مركز دائرة تمس أقرب نقاط قارات العالم الجديد، بالإضافة لنقطة التقاء آسيا وأمريكا الشمالية عند مضيق برنج، وكذلك اليابان (من دراسة وعمل الباحث).

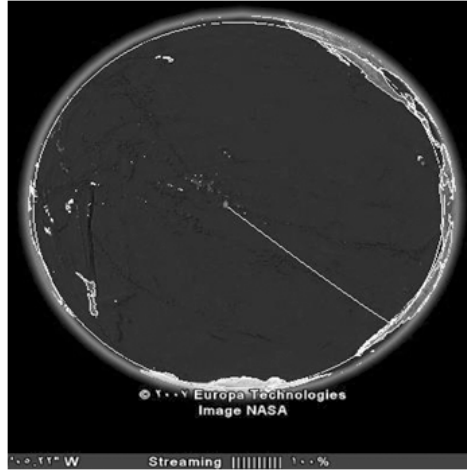
ج- بالنسبة لتوسط مكة لحدود قارات العالم الجديد البعيدة:

تم اختيار مواقع محددة (نقاط ممثلة بخطوط الطول والعرض) تمثل أبعد المسافات ما بين مكة المكرمة والحدود البعيدة من قارات العالم الجديد (أستراليا والأمريكتين والقارة الجنوبية المتجمدة)، وقد تم توضيح نتائج القياسات في جدول رقم (٣).

وقد اتضح أن المسافة المتوسطة ما بين مكة المكرمة وأبعد حدود في قارات العالم الجديد (أستراليا والأمريكتين والقارة الجنوبية المتجمدة) تساوي حوالي ١٣٦٠٠ كم، شكل (٣).

جدول رقم (٣) : المسافة بين مكة المكرمة وأبعد النقاط في قارات العالم الجديد .
(من عمل ودراسة الباحث)

القارة	البلد الموقع	خط الطول	خط العرض	المسافة القوسية كم	مقدار الانحراف
١- استراليا	الساحل الشرقي	١٥٣,٣٦	٢٨,٥٠-	١٣٣٧٠	٪١,٧
٢- القارة الجنوبية المتجمدة.	الساحل الجنوبي	١٢٨,٢٠-	٧٣,٢١-	١٤١٦٥	٪٤
٣- أمريكا الجنوبية.	الساحل الجنوبي	٦٧,٩٣-	٥٥,٧٢-	١٣٠٨٠	٪٤
٤- أمريكا الجنوبية.	الساحل الغربي	٨١,٤٧-	٦-	١٣٤٥٠	٪١,١
٥- أمريكا الوسطى.	الساحل الغربي	٩١,٢٣-	١٤,٢٢	١٣٤٣٣	٪١,٢
٦- أمريكا الشمالية.	الساحل الغربي	١٠٩,٥٩-	٢٢,٥٢	١٤١٠٢	٪٣,٥٦
المسافة المتوسطة.	---	---	---	١٣٦٠٠	٪٠



شكل (٣-أ): لقطة حقيقية بالأقمار الصناعية الصناعية توضح الدائرة التي مركزها مكة المكرمة، والتي تمس الحدود البعيدة لقارات العالم الجديد، والقطب مأخوذة من جهة المحيط الهادي حيث يظهر الموقع المناظر مكة بالنصف الآخر من الكرة الأرضية ويسمى نظير القبلة أوقطب مكة حيث يبعد من كل الجهات عن مكة بنفس المسافة (من دراسة وعمل الباحث).



شكل (٣-ب): مكة المكرمة تقع في مركز دائرة تمس أبعد نقاط تقع على حدود قارات العالم الجديد. (من دراسة وعمل الباحث).

د- بالنسبة للمسافة ما بين مكة والمراكز الجغرافية لقارات العالم الجديد :

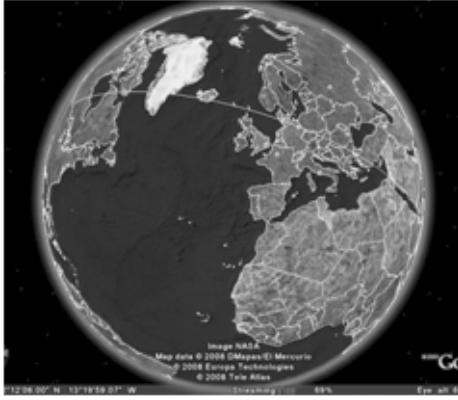
يقصد بالمركز الجغرافي لأي قارة أي النقطة التي تمثل المركز المتوسط لهذه القارة من حيث المساحة، وقد تم توضيح نتائج القياسات ما بين المراكز الجغرافية لقارات العالم الجديد ومكة المكرمة في جدول رقم (٤)، وقد اتضح أن المسافة المتوسطة ما بين مكة المكرمة والمراكز الجغرافية لقارات العالم الجديد (استراليا والأمريكتين والقارة الجنوبية المتجمدة) تساوي حوالي ١١٥٢٩ كم، شكل (٤).

جدول رقم (٤) : المسافة بين مكة المكرمة وأبعد النقاط في قارات العالم القديم
(من عمل ودراسة الباحث)

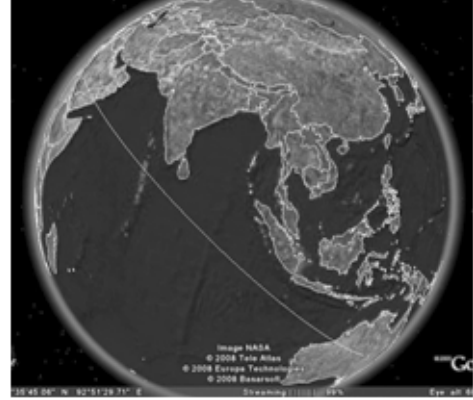
القارة	النقطة المتوسطة	خط الطول	خط العرض	المسافة القوسية (كم)	مقدار الانحراف
١- استراليا (١٤).	المركز الجغرافي	١٣٤, ٢١	٢٥, ٣٦-	١١٤٢٤	٪١
٢- الجنوبية المتجمدة (١٥).	المركز الجغرافي	٧٩, ٨١	٨٥, ٩٠-	١٢٠٠٠	٪٣, ٧
٣- أمريكا الجنوبية (١٦).	المركز الجغرافي	٥٨, ٤٢-	١٣, ٤٥-	١١٤٢١	٪١
٤- أمريكا الشمالية (وجرينلاندا) (١٧).	المركز الجغرافي	٩٩, ٣٥-	٤٨, ١٢	١١٣٠٢	٪٢
المسافة المتوسطة.	---	---	---	١١٥٢٩	٪٠

ان النتائج السابقة توضح أن توسط مكة لليابسة يظهر من خلال عدة مستويات وليس مستوى واحد فقط، حيث أنها تتوسط أبعد حدود لقارتي أفريقيا واوروبا معا، كما أنها تتوسط الحدود القريبة لقارات العالم الجديد مع الجزء الباقي من قارة آسيا حيث يلتقي مع الحدود الشمالية لقارة

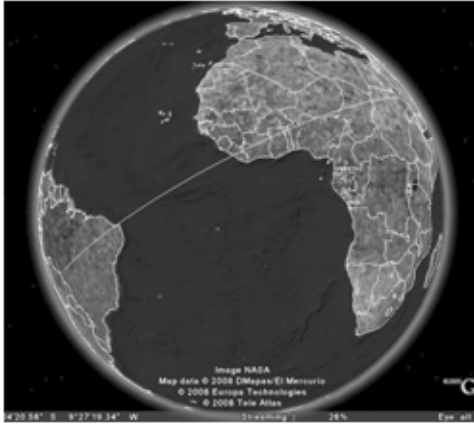
أمريكا الشمالية عند مضيق برنج، كما أنها تحقق التوسط بالنسبة لحدود قارات العالم الجديد البعيدة والتي تمثل حدود اليابسة من الخارج، وأخيرا فان مكة المكرمة تبعد تقريبا بنفس المسافة عن النقاط التي تتوسط قارات العالم الجديد أي عن مراكزها الجغرافية، شكل (٥).



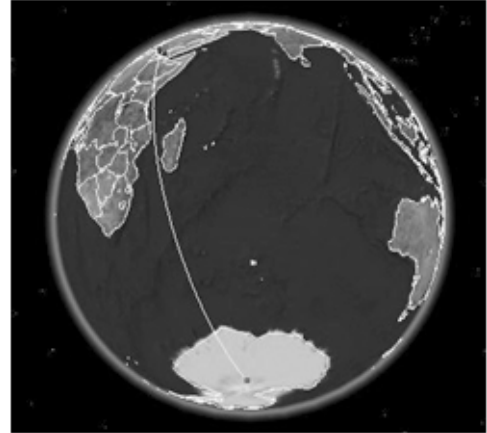
خط القياس بين مكة ومركز أمريكا الشمالية.



خط القياس بين مكة ومركز استراليا.



خط القياس بين مكة ومركز أمريكا الجنوبية.



خط القياس بين مكة ومركز القارة الجنوبية المتجمدة.

شكل (٤ - أ): صور حقيقية باستخدام الأقمار الصناعية، موضحة عليها خطوط القياس بين مكة المكرمة والمراكز الجغرافية لقارات العالم الجديد (من دراسة وعمل الباحث).



شكل (٤- ب) : مكة المكرمة مركز لدائرة يمر محيطها بالمراكز الجغرافية لقارات العالم الجديد.



شكل (٥) : مكة المكرمة مركز لعدة دوائر تمس حدود اليابسة للعالم القديم والحديث.

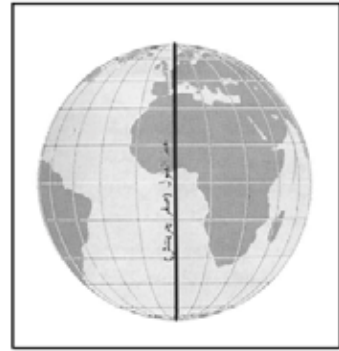
وعند إجراء كل القياسات السابقة على مواقع (نقاط) أخرى ترجح بعض الدراسات أنها تتوسط اليابسة، لم نجد أن أي من هذه المواقع قد حقق ما حققه موقع مكة المتميز من قياسات سابقة، وهذا يعني أن مكة المكرمة هي الموقع الوحيد على سطح الكرة الأرضية الذي يمكن أن يتوسط حدود اليابسة المتمثلة في القارات السبع المعروفة.

رابعاً : الشواهد المادية على أن خط طول مكة المكرمة هو خط التوقيت الأساسي للعالم :

ان ما توصلت إليه هذه الدراسة من اثبات توسط مكة المكرمة لحدود اليابسة، له دلالات ونتائج هامة، من أهمها أن خط التوقيت العالمي يجب أن يكون هو خط طول مكة المكرمة وليس خط جرينتش.

فمن المعروف أن خط جرينتش قد تم اختياره ليكون هو خط التوقيت الأساسي لحساب الوقت عام ١٨٨٤م، أي في نهاية القرن التاسع عشر عندما كانت انجلترا هي الامبراطورية التي كانت لا تغيب عنها الشمس، لذلك فان هذا الخط يمر بالقرب من العاصمة الانجليزية لندن، كما تم عمل علامة مصطنعة لتحديد مكان هذا الخط بوضع شريط معدني على الأرض يحدد مكان مروره بالضبط، شكل (٦).

ان اختيار خط جرينتش ليس له أي أفضلية علمية أو منطقية على غيره من خطوط الطول، وقد كان من المنطقي أن يكون خط الطول الأساسي هو الخط الذي يمر بالموقع الذي يتوسط حدود اليابسة، أي مكة المكرمة كما أثبتنا في هذه الدراسة.



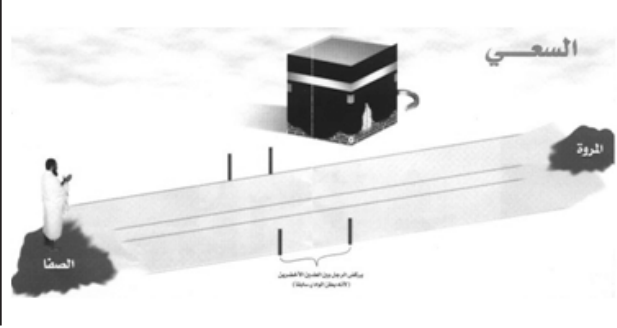
شكل (٦) : خريطة توضح موضع خط جرينتش المار بلندن، وصورة توضح الخط المصطنع الذي يدل على مكان مرور خط جرينتش الوهمي في لندن.

ان وجود بعض الشواهد المادية التي تحدد بوضوح لاليس فيه اتجاه الشمال والجنوب الحقيقيين، في أماكن ومواقع مرتبطة بخط طول مكة، ترجح أيضا ان يكون خط طول مكة المكرمة هوخط التوقيت الأساسي، وذلك بالإضافة إلى توسطها لليابسة، وهو ما سوف نوضحه فيما يلي:

١- المسعى الواصل بين جبلي الصفا والمروة يشير الى الشمال والجنوب الحقيقيين:

قامت بدراسة التوجيه الفلكي للمسعى بين جبلي الصفا والمروة بالمسجد الحرام، وذلك باستخدام صور الأقمار الصناعية الحقيقية لبرنامج «جوجل إيرث»، شكل (٧)، فأتضح أن الخط الواصل بين المسعى المغطى يشير الى اتجاه الشمال الحقيقي مع انحراف ضئيل يقدر بحوالي خمس درجات الى جهة الغرب، وهو انحراف بسيط يمكن اهماله.

ان هذه النتيجة تعني أن الخط الواصل بين جبلي الصفا والمروة، يشير تقريبا الى اتجاه الشمال -الجنوب الحقيقي، كأول شاهد مادي طبيعي يرتبط بخط طول مكة المكرمة (١٨).

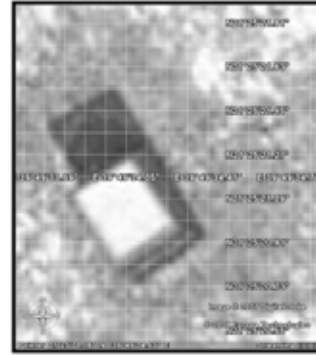
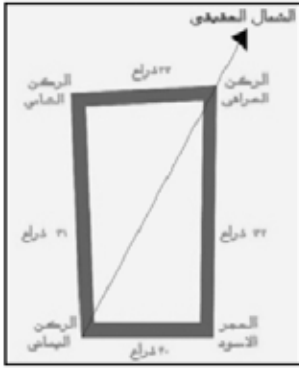


شكل (٧): الخط الواصل بين جبلي الصفا والمروة يشير الى اتجاه الشمال- الجنوب الحقيقي.

٢- قطر الكعبة الأصلي يشير الى الشمال والجنوب الحقيقيين:

قام مقدم البحث بدراسة الصورة الجوية الملتقطة بالأقمار الصناعية باستخدام برنامج «جوجل إيرث» Google earth، وبمقارنة توجيه المسقط الأفقي للكعبة حاليا بالنسبة

لخطوط الطول، اتضح من ذلك أن قطر الكعبة الواصل بين الركن اليماني والركن العراقي الحالي يميل بحوالي ٧ درجات جهة الشرق عن اتجاه الشمال الحقيقي، وبعد استكمال رسم الجزء الناقص من مقاسات الكعبة بطولها الأصلي، وجد أن الخط الواصل بين الركن اليماني الحالي الأصلي والركن العراقي الأصلي، يشير تماما الى اتجاه الشمال الحقيقي (١٩)، شكل (٨). وهذا يعني أن القطر الأصلي المار بركني الكعبة اليماني والعراقي يشير الى اتجاه الشمال- الجنوب الحقيقي، كثاني شاهد مادي ارتبط بالكعبة المشرفة الموجودة بمكة المكرمة.



شكل (٨) : الخط الواصل ما بين ركني الكعبة العراقي واليماني الأصليين
يشير الى اتجاه الشمال- الجنوب الحقيقي.

٣- الخط الواصل بين الحرمين الشريفين يشير الى الشمال والجنوب الحقيقيين :

بدراسة الموقع الجغرافي لكل من الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة، يتضح لنا ما يلي:

- أ- تقع مكة المكرمة على خط عرض ٢١ درجة و ٢٥ دقيقة شمالا، وخط طول ٣٩ درجة و ٤٩ دقيقة شرقا (٢٠).
- ب- تقع المدينة المنورة تقع على خط عرض ٢٤ درجة و ٢٩ دقيقة شمالا، وخط

طول ٣٩ درجة و ٣٦ دقيقة شرقا (٢١)، أي أن مكة المكرمة والمدينة المنورة تقعان تقريبا على نفس خط الطول، شكل (٩)، أي أن خط طول مكة المكرمة- المدينة المنورة يشير الى اتجاه الشمال- الجنوب الحقيقي.



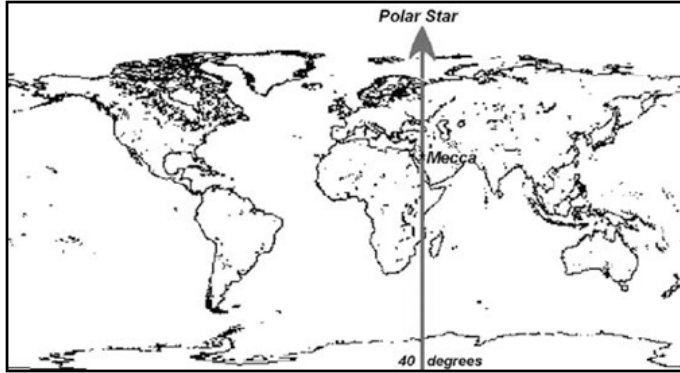
شكل (٩) : صور الأقمار الصناعية توضح ان الحرمين الشريفين يقعان تقريبا على نفس خط الطول.

ان الشواهد المادية السابقة بالاضافة الى توسط مكة المكرمة لليابسة، توضح أن خط طولها هو خط الطول الوحيد الذي يصلح لأن يبدأ منه قياس التوقيت العالمي للأرض، لذلك فقد طالب أحد علماء الغرب المنصفين وهو البروفيسور «أرنولد كيسرلنج»، والذي كان يعمل أستاذا بجامعة فيينا لأكثر من ثلاثين سنة، بأن يكون خط طول مكة هو خط التوقيت الأساسي بدلا من جرينتش، حيث صرح بذلك في قوله (٢٢):

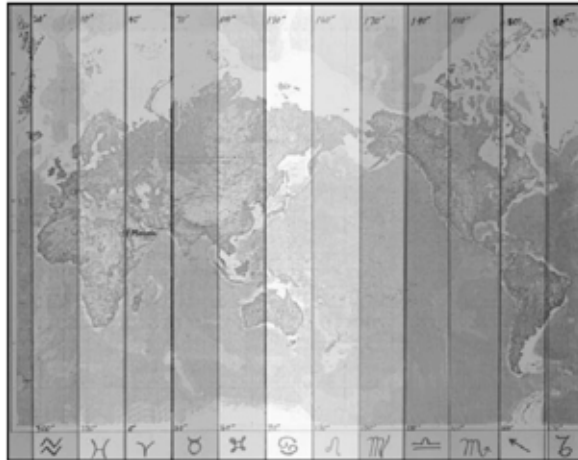
» The real meridian is not in Greenwic but in Mecca;40 degrees longitude; with the cube of the Kaaba. The sacred center of Mecca marks the exact point of orientation.»

ولم يكتف بذلك بل قام برسم خريطة العالم وعليها خط يمر بمكة المكرمة مشيرا الى النجم القطبي، دلالة على توسط مكة لليابسة، شكل (١٠)، كما قام برسم خريطة أخرى للعالم موضحا عليها المناطق الزمنية المختلفة جاعلا من خط طول مكة المكرمة هوبداية للتوقيت

العالمي (صفر درجة)، شكل (١١)، مما يدل أيضا على أن بعض المنصفين من علماء الغرب قد شهد بحقيقة توسط مكة المكرمة لليابسة.



شكل (١٠): الخريطة التي رسمها البروفيسور «أرنولد كيسرلنج» وعليها الخط الذي يمر بموقع مكة مشيرا للنجم القطبي، دلالة على توسط مكة المكرمة لليابسة.



شكل (١١): خريطة من رسم البروفيسور «أرنولد كيسرلنج» يحدد فيها بدء التوقيع من عند خط طول مكة (صفر درجة).

خامساً : نتائج وتوصيات البحث:

أثبتت الدراسة العلمية التي قمنا باجرائها عن طريق القياسات الدقيقة وصور الأقمار الصناعية، باستخدام برامج معروفة يتم الاعتماد على نتائجها في الأبحاث العلمية، أن مكة المكرمة تتوسط اليابسة، ويظهر ذلك من خلال توسطها لأربعة دوائر تمر بحدود اليابسة لقارات العالم السبع وكذلك المراكز الجغرافية لقارات العالم الجديد.

وقد تأكد الباحث من أن مكة المكرمة - الموقع الوحيد على الكرة الأرضية، والذي يمكن ان يحقق تلك القياسات والنتائج، مما يؤكد على أن لمكة المكرمة موقعا فريدا و متميزا لا ينافسها في ذلك موقع أو مدينة اخرى، من هنا وصفت في القرآن الكريم بأنها أم القرى.

كما أوضحت الدراسة العديد من الشواهد المادية المرتبطة بخط طول مكة المكرمة، والتي تؤكد على امكانية الاستدلال عن طريقها على اتجاه الشمال - الجنوب الحقيقي، حيث أن الخط الذي يربط ما بين جبلي الصفا والمروة (جبلان) وكذلك قطر الكعبة الأصلي (الخط المار بين الركنين اليماني والعراقي الأصلي)، وكذلك الخط المار ما بين الحرمين الشريفين (مكة والمدينة)، كل هذه الخطوط تشير الى اتجاه الشمال - الجنوب الحقيقي.

وحيث أن البحث قد أوضح أن مكة المكرمة والمدينة المنورة تقعان على نفس خط الطول (حوالي ٥٠, ٣٩ درجة شرق جرينتش)، فان الدراسة توصي بأن يكون خط طول «مكة - المدينة»، هو خط الطول الأساسي لحساب التوقيت العالمي بدلا من خط جرينتش الذي تم فرضه على العالم دون أي سبب علمي أو منطقي واضح.

سادساً : هوامش البحث:

- (١) انظر الزبيدي (تاج العروس).
- (٢) محمد علي سلامة (٢٠٠٣). الكعبة المشرفة.. التاريخ والوصف. البروج للنشر والتوزيع، القاهرة، ص ١٤٧.
- (٣) انظر تفسير الآية (١٤٣) من سورة البقرة في تفسير القرطبي.
- (٤) انظر تفسير الآية (٩٢) من سورة الأنعام في تفسير ابن عطية.
- (٥) انظر تفسير الآية (٩٢) من سورة الأنعام في تفسير أبو حيان.
- (٦) انظر تفسير الآية (٩٢) من سورة الأنعام في تفسير النسفي.
- (٧) خالد أبوراس (٢٠٠٥). مجلة عالم السعودية، عدد أكتوبر ٢٠٠٥، تصدرها الخطوط الجوية السعودية، جدة.
- (٨) زغلول النجار (٢٠٠٢). من أسرار القرآن، جريدة الأهرام (٢٨/١٠/٢٠٠٢م)، القاهرة، ص ١٢.
- (٩) محمد علي سلامة، مرجع سابق، ص ١٤٥ وما بعدها.
- (10) see: Saad El-Marsefi (2000). The Ka'ba is the center of the World. Dar Al-Manarah, El-Mansoura, Egypt, pp. 142,143.
- (١١) يحيى وزيري (٢٠٠٨). اثبات توسط مكة لليباسة. بحث ألقى في المؤتمر العلمي الأول: « مكة المكرمة مركزا لليباسة بين النظرية والتطبيق»، تحت رعاية شركة ساعة مكة العالمية، الدوحة - قطر، ابريل ٢٠٠٨م.
- (12) see: www.google.earth.com
- (13) see: www.qiblalocator.com
- (١٤) في عام ١٩٨٨م قامت الجمعية الجغرافية الملكية الاسترالية بتحديد المركز الجغرافي لآستراليا، ارجع الى: www.waymarking.com
- (١٥)، (١٦) قام الباحث «جوماكوم» Joe McCollum بتحديد المراكز الجغرافية لكل قارات العالم السبع المعروفة، ومنها القارة الجنوبية القطبية المتجمدة وقارة أمريكا الجنوبية، ارجع الى:
- Joe McCollum (٢٠٠٢). The center seat. U. s. s. Alaric, Asheville, U.S.A, May. ٢٠٠٢. in: <http://www.ussalaric.org/cc/cc٠٢٠٥>
- (١٧) المركز الجغرافي لقارة أمريكا الشمالية وجزيرة جرنلاندا معا هو مدينة «رجبي» Rugby، ارجع الى: www.wikimipia.org

(١٨) انظر بحثنا: «الآيات البيّنات في مكة المكرمة والكعبة المشرفة». تم القاؤه في الندوة الدولية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب ٢٠٠٧م، وكذلك ألقى في الندوة الدولية الأولى للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بجامعة فرحات عباس بسطيف، الجزائر ٢٠٠٨م، تنظيم الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة. (يمكن رؤية المحاضرة مصورة ومسموعة على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: www.nooran.org).

(١٩) يحيى وزيري (٢٠٠٧). الكعبة المشرفة.. دراسة تحليلية للخصائص التصميمية. سجل بحوث مؤتمر «انتربيلد» الدولي الرابع عشر، القاهرة.

(٢٠) محمد بن عبد الله صالح (١٩٩٩). الحرمان الشريفان: توطئة لنشئتهما وتوسعهما وتأثيرهما على محيطهما العمراني على مر العصور. أبحاث ندوة عمارة المساجد (ج١)، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض، ص٧.

(٢١) عدنان عبد المنعم قاضي (٢٠٠٤). اختلاف المطالع: تحليل فلكي لحديث كريب. كتاب أبحاث المؤتمر السابع للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (ج٢)، دبي، ص١٨.

(٢٢) انظر الموقع الإلكتروني التالي: www.chanceandchoice.com



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

كثرة حوادث الزلازل وخسف الأرض

دراسة مقارنة بين القرآن والسنة وعلم الجيولوجية الحديثة

أنيس الرحمن الندوي

باحث في علوم القرآن والسنة ومعارفهما، بنجلور (الهند)



ذكرت أشرط وعلامات متنوعة ليوم القيامة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهي تشتمل على كل من الأشرط الاجتماعية والتاريخية والأرضية (أحوال الأرض الجيولوجية الطبيعية) والكونية (الحوادث الفلكية). إن العلامات التي ذكرت في أحوال الأرض الجيولوجية فهي تحتوي على الحوادث المختلفة الكبرى لكثرة الزلازل والبراكين وخسف الأرض على وجه المعمورة.

كثرة الزلازل

إن الحديث الوارد في شأن كثرة الزلازل الذي روي في معظم كتب الحديث هو كما يلي:
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، حتى يكثروا فيكم المال فيفيض»^(١).

إن الحديث الآخر الذي ورد في هذا الصدد هو كالتالي:

عن سلمة بن نفيل السكوني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...بين يدي الساعة مؤتان شديد وبعده سنوات الزلازل»^(٢).

إن العلامات الخمسة من أشرط الساعة الستة التي ذكرت في الحديث الأول تتعلق بالأمور الاجتماعية، وهي تصور حالة المجتمع الإنساني قرب القيامة بينها العلامة الواحدة (كثرة الزلازل) تتصل بالأمور العلمية، وتبين الصورة الطبيعية (الجيولوجية) للكرة الأرضية. وكذلك فإن العلامتين الطبيعيتين ليوم القيامة ذكرتا في الحديث الثاني. أما إحداهما فهي: انتشار الأمراض الخطيرة على وجه الأرض^(٣). وأما العلامة الثانية فهي

(١) - صحيح البخاري مع الفتح: ٥٢١/٢، رقم: ١٠٣٦؛ ومسند أحمد: ٥٣٠/٢، رقم: ١٠٨٦٣؛ ومسند الشاميين: ٨٩/١، رقم: ١٢٧؛ السنن الواردة في الفتن، أبو عمرو والداني، ٥٥٥/٣، رقم: ٢٤٣.

(٢) - صحيح ابن حبان: ١٨٠/١٥، رقم: ٦٧٧٧؛ ومستدرک الحاكم: ٤٩٤/٤، رقم: ٨٣٨٣؛ وسنن الدارمي: ٤٣/١، رقم: ٥٥؛ ومسند أحمد: ١٠٤/٤، رقم: ١٧٠٠٥؛ ومسند أبي يعلى: ٢٧٠/١٢، رقم: ٦٨٦١؛ والمعجم الكبير للطبراني: ٥١/٧، رقم: ٦٣٥٦؛ الفتن: نعيم بن حماد: ٣٩/١، رقم: ٤١.

(٣) - قام المؤلف بدراسة هذا الموضوع بالتفصيل في كتابه «التغير المناخي والقيامة» (تحت الطباعة).

كثرة الزلازل. وإن الدراسة في هذا البحث تقصد هذه العلامة بالذات، وإن ظهورها تعد من أهم المظاهر الطبيعية في القرن العشرين، وإنما لتزداد يوماً فيوماً.

ظاهرة الاحترار العالمي وصلتها بالزلازل

إن الاكتشاف المدهش جداً في هذا الصدد هو أن آثار التغييرات المناخية على الكرة الأرضية بسبب الاحترار العالمي global warming الحالية لم تقتصر على موسم الكرة الأرضية وبيئتها ونشاطاتها الطبيعية فحسب، بل وإنما تحدث أثراً بالغاً في توازن طبقات الأرض والقشرة الأرضية الثابت isostasy أيضاً بصورة خطيرة. ولذلك فإن الخبراء يعترفون بأن الآفات الأرضية المهيبة والمرعبة لتزداد بسببها زيادة هائلة.

إن الدراسات العلمية الحديثة لتطلعنا على أن حوادث الزلازل والبراكين لتزداد زيادة بالغة بسبب الارتفاع في شدة الحرارة العالمية، وأنه لمن المتوقع ارتفاع إضافي في شدتها وكثرتها معاً بسبب الارتفاع الإضافي في شدة الحرارة. وإن ذوبان الصفائح الجليدية ice sheets للأرض على النطاق الواسع ليعتبر المسئول عن ظهور مثل هذه الحوادث الخطيرة على وجه الأرض، وإن الصفائح الجليدية هذه بدأت تذوب بدرجة عالية اليوم بسبب التصاعد في الاحترار العالمي. وإن العلماء يرون أن النوعين من النشاطات الجيولوجية على وجه الأرض ليتفاقمان بسبب ذوبان الصفائح الجليدية على الأرض وهما، النوع الأول: المحلي، والنوع الثاني: العالمي، وإليك تفاصيلهما كالتالي:

إن المراد من الزلازل المحلية: الزلازل التي تحدث في المناطق التي توجد فيها الصفائح الجليدية، وتحدث الارتجاج (الرجفة) tremor في الأرض بسبب تساقط هذه الجبال الجليدية العملاقة وسيلانها، وتدعى مثل هذه الزلازل «الزلازل الجليدية» أيضاً:

»Glacial earthquakes“ caused when the rivers of ice lurch unexpectedly and produce temblors as strong as magnitude 5.1 on the moment-magnitude scale.⁽¹⁾

«إن الزلازل الجليدية تحدث عندما تنحدر الأنهار الجليدية فجأة، وتسبب الزلازل التي

(1) Greenland's Glacial Earthquakes Increasing In Frequency. <http://www.terraily.com>.

تقدر بـ ١, ٥ درجة من مقياس مومنت ميكني تيود^(١).

إن ١٨٢ زلزلة متوسطة حدثت في جرينلاند Greenland في الفترة من ١٩٩٣ إلى ٢٠٠٥ م وبلغت درجتها ما بين ٥, ٤ و ٥, ٥ درجة، وإن معظم هذه الزلازل حدثت بسبب حركة الصفائح الجليدية وفق الدراسة العلمية التي أجريت لهذا الغرض. وبالتالي فإن حدوث الزلازل الجليدية في جرينلاند يزداد سنويا بسبب ذوبان الصفائح الجليدية الذي هو نتيجة مباشرة لارتفاع الحرارة العالمية باستمرار. فبناء على ذلك العلماء سجلوا حدوث الزلازل الجليدية هناك منذ ٢٠٠٢ م حتى الآن أكثر من ضعفين^(١).

وفقا للمنظمة الفضائية الأمريكية NASA والمنظمة الجيولوجية الأمريكية USGS، إن هذه الزلازل الجليدية تحدث في كل مكان في المناطق الجليدية الموجودة على الكرة الأرضية، وإنها تشمل جرينلاند وأنتاركتيكا وألاسكا والمناطق الجليدية الجبلية الأخرى الواقعة على الأرض^(٢).

وإن نوعية الزلازل التي تحدث إثر ذوبان الصفائح الجليدية للأرض لم تكن محليا فحسب بل إن الكرة الأرضية بأكملها تتأثر بآثارها، وفي عبارة أخرى يمكن أن نقول: إن حدوث الزلازل لا ينحصر في المناطق التي تنكسر فيها الصفائح الجليدية فقط ؛ بل ارتفعت وتضاعفت احتمالات حدوث الزلازل عالميا بسبب ذوبان الصفائح الجليدية.

إن العديد من خبراء الأرض يعتقدون أن الضغط يقل بدرجة كبيرة على القشرة الأرضية بسبب ذوبان الصفائح الجليدية نتيجة لتضاعف شدة الحرارة العالمية، وبذلك سيكثر وقوع الحوادث الجيولوجية الخطيرة مثل: البراكين والزلازل وتسونامي وغيرها.

فوفقا للدراسة التي أجراها خبير علم الأرض بيترك وو Patrick Wu بجامعة البرتا فإنه بذوبان الصفائح الجليدية بجرينلاند وأنتاركتيكا والصفائح الجليدية القارية الأخرى على النطاق الواسع وانتقال ماءها إلى البحر يقل وزن هذه القارات الحالي بدرجة كبيرة من ناحية، وينتقل هذا الوزن إلى القشرة المحيطية من ناحية أخرى في صورة تضاعف مستوى

(١) - المرجع السابق.

(2) <http://www.nasa.gov/centers/goddard/news/topstory/2004/0715glacierquakes.html>.

البحر. وإن القشرة الأرضية crust التي تقع عليها القارات والمحيطات حساسة للغاية في حقيقة الأمر. وإن بعض السجلات الزلزالية تدل على حدوث الزلازل بسبب تخزين المياه في السدود dam بمقدار كبير وتتصاعد ثقل الماء هنا. وإن وزن ثلج متر مكعب واحد تعادل طنا واحدا (ألف كيلوجرام) تقريبا، بينما مجموع حجم الصفائح الجليدية على وجه الأرض يقدر بـ ٢, ١٠ مليون كيلومتر مكعب (٩ مليون ميل مكعب). فمن هنا إن ذوبان هذه الصفائح الجليدية بسبب الاحترار العالمي الحالي على النطاق الضيق أيضا يحتمل أن يسبب دمارا هائلا، يقول بيترك:

What happens is the weight of this thick ice puts a lot of stress on the earth. The weight suppresses the earthquakes but when you melt the ice the earthquakes get triggered.⁽¹⁾

«إن ثقل هذا الجليد السميك يضغط كثيرا على الأرض، وإن هذا الضغط يدفع الزلازل، ولكن لو أذبت هذا الجليد لتثير هذه الزلازل.»

إن حوادث الزلازل والانزلاقات الأرضية landslide الخطيرة تحت الماء بدأت تحدث بسبب ذوبان الصفائح الجليدية لأنتاركتيكا حسب الدراسة ليترك، وإن حدوث الزلازل ليتضاعف، وإن شدتها لتتفاقم في المستقبل نتيجة لارتفاع الحرارة العالمية المتزايدة وفق رأيه.^(٢)

إن منظمة الفضاء الأمريكية ناسا NASA والمنظمة الجيولوجية الأمريكية USGS صدقتا على أن النشاطات الزلزالية الأرضية لتتصاعد بسبب ذوبان الصفائح الجليدية نتيجة للتقلبات الموسمية، وقدمت تلك المؤسسات المذكورة بعد دراسة الحوادث الجيولوجية التي تظهر في ألاسكا نتيجة لذوبان صفائحها الجليدية التقرير التالي:

In a new study, NASA and United States Geological Survey (USGS) scientists found that retreating glaciers in southern Alaska may be opening

(1) - Climate change could cause earthquakes and volcanic eruptions. Dennis Bueckert, Canadian Press, Jul. 4 2006.

the way for future earthquakes. The study examined the likelihood of increased earthquake activity in southern Alaska as a result of rapidly melting glaciers. As glaciers melt they lighten the load on the Earth's crust. Tectonic plates, that are mobile pieces of the Earth's crust, can then move more freely.⁽¹⁾

«إن علماء المنظمة الفضائية الأمريكية والمنظمة الجيولوجية الأمريكية اكتشفوا في الدراسة الحديثة وقالوا: إن ذوبان الصفائح الجليدية بجنوب ألاسكا يمهد إمكانية حدوث الزلازل في المستقبل، وإن هذه الدراسة قامت بالفحص ووصلت إلى أن إمكانية تصاعد النشاطات الزلزالية في جنوب ألاسكا قد قويت واشتدت نتيجة لسرعة ذوبان الصفائح الجليدية المتواجدة فيها. وكلما تذوب الصفائح الجليدية فإنها تقلل الثقل من على القشرة الأرضية، ومن هنا فإنه من المحتمل أن تتحرك الألواح التكتونية للأرض التي هي أجزاء متحركة للقشرة الأرضية بحرية أكثر لتلك العلة.

تصاعد النشاطات البركانية للأرض

إن حوادث انفجار البراكين لتزايد أيضا نتيجة لذوبان الصفائح الجليدية وفق آراء الخبير الآخر لعلم الأرض وهو ايلن كلازير Alan Glazner، وهاهي دراساتها فيما يلي:

When you melt glacial ice, several hundred meters to a kilometer thick ... you've decreased the load on the crust and so you've decreased the pressure holding the volcanic conduits closed. They're cracks, that's how magmas gets to the surface ... and where they hit the surface, that's where you get a volcano.⁽²⁾

«ولما تذيب الصفائح الجليدية من عدة مئات من المترات إلى كيلومتر واحد ... فقد قلت الثقل من على القشرة الأرضية، وبالإضافة إلى ذلك قلت ذلك الضغط الذي كان يسد ممرات conduits البراكين، وهذه هي التصدعات والتشققات التي تتدفق بها الصهارة

(1)Source:<http://www.nasa.gov/centers/goddard/newstopstory/2004/0715glacierquakes.html>.

(2) - Climate change could cause earthquakes and volcanic eruptions. Dennis Bueckert.

magma على وجه الأرض ... وأينما تخرج تلك الصهارة إلى وجه الأرض فإنك تجد البراكين تحدث هناك". وإن الخبير البريطاني لعلم الأرض بل ميك كير Bill McGuire يصور هذه الحالة المتولدة على وجه الأرض كالتالي:

All over the world evidence is stacking up that changes in global climate can and do affect the frequencies of earthquakes, volcanic eruptions and catastrophic sea-floor landslides.⁽¹⁾

«إن الشواهد والأدلة تتجمع من جميع أنحاء العالم على أن حوادث الزلازل والبراكين والانزلاق الأرضي الخطير على قاع البحر تحمل أن تتزايد بل ستكون بالفعل نتيجة للتغيرات الموسمية العالمية».

والجدير بالذكر هنا أنه كلما ذكرت الزلازل والبراكين في القرآن الكريم والحديث الشريف فإنه وردت البراكين ضمن الزلازل، وليست علاحة، ومعنى ذلك أن الزلازل هي التي ذكرت فقط لبيان حدوثها وليست البراكين. وتكمن فيها الإعجاز العلمي العظيم ألا وهو: أن جميع النشاطات الزلزالية للكورة الأرضية ليست إلا مقدمة للنشاطات البركانية للكورة الأرضية في حقيقة الأمر، أي كلما تحدث زلزلة على وجه الأرض، فهي لا تقع إلا كنتيجة لانفجار البركان تحت الأرض. وكأنها شيئان لازمان لا ينفكان، وهذه الحكمة لم تذكر البراكين مستقلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.⁽²⁾

سجلات الزلازل للقرن العشرين

إن الاستعراض لسجلات الزلازل التي حدثت في القرن العشرين لذو أهمية بالغة وشأن كبير في هذا الصدد، لأنه يظهر جليا من إحصائياتها أن مظهر كثرة الحوادث الزلزالية بدأ يحدث من القرن العشرين في الواقع، وما زال يُنكر حتى الآن بكل قوة في الأوساط العلمية، وما زال يُؤكد على أن النشاطات الزلزالية للكورة الأرضية على ما يرام، ولم يحدث فيها أي تغيير كبير، ومن هنا فإنه من المستحسن أن تلاحظ إحصائية الزلازل التي حدثت

(١) - المرجع السابق.

(2) Islamic Concept of Earthquakes: A Comparative Study of Qur'an, Hadith and Modern Science

خلال القرن العشرين. والتي حصلنا عليها من قاعدة بيانات database للمؤسسة الفرعية ANSS بالمنظمة الجيولوجية الأمريكية USGS^(١) ، وإليك تلك الإحصائيات في الجدول التالي:

الجدول رقم: ١ إحصائية الزلازل التي حدثت في القرن العشرين

العقد	الجمامة من ٤ إلى ٩، ٤	الجمامة من ٥ إلى ٩، ٥	الجمامة من ٦ إلى ٩، ٦	الجمامة من ٧ إلى ٩، ٩	مجموع العقد
١٩٠٠	٠	٠	٣	١٨	٢١
١٩١٠	٠	٠	١٢	١٥	٢٧
١٩٢٠	٢	٢	١٧	١١	٣٢
١٩٣٠	٥١٩	٥٩	٥٥	٩	٦٤٢
١٩٤٠	٥٧٣	٨٩	٤٣	١٧	٧٢٢
١٩٥٠	١٠٤٠	١٣٠	١١٧	١٥	١٣٠٢
١٩٦٠	٢١٥٨٦	٨٣٠٦	٥٣١	٥٧	٣٠٤٨٠
١٩٧٠	٢٦٦١٠	١٤٢٢٤	٨٨٤	١١٣	٤١٨٣١
١٩٨٠	٣٨٣٥٥	١٤٦٥١	٧٤٣	٣٣	٥٣٧٨٢
١٩٩٠	٦٣٢١٥	١٣٠٤١	١١٣٩	١١٥	٧٧٥١٠
٢٠٠٠ (إلى ٢٠٠٨)	٨٩٠٤٧	١٣١٦٥	١٢٦٧	١٢٤	١٠٣٦٠٣

يلاحظ الفرق البين في هذا الجدول بين عدد الزلازل التي حدثت قبل سنة ١٩٦٠م وبعدها، ولكن وفق التصريح للمؤسسة المذكورة أعلاه فإن عملية تأسيس مراكز المرجفات أو مسجلات الزلازل لم تتم على النطاق الواسع إلا في الستينيات من القرن العشرين، ولذلك لم تسجل معظم الزلازل التي حدثت قبل هذا العقد من الزمان، وبالرغم من هذا لوتلاحظ إحصائيات الزلازل التي حدثت بعد الستينات ليثبت منها جليا أن التضاعف والارتفاع حصل بدرجة عالية للغاية في كل الزلازل ذات كل حجم

(١) - اعتمدنا لهذه المعلومات على موقع هذه المؤسسة: <http://www.ncedc.org//anss/catalog-search.html>

magnitude من الأحجام المختلفة بعد الستينيات على الأقل، خاصة وقع ارتفاع محير للعقول في الزلازل ذات ٤ إلى ٥ وحدات.

أما ما يتعلق بأسباب كثرة الزلازل في النصف الأخير من القرن العشرين فإنه من الممكن أن تكون التقلبات الموسمية وذوبان الصفائح الجليدية نتيجة لها سببا مهما لهذا التصاعد الزلزالي حسب التوجيه المذكور أعلاه، لأن مظهر ذوبان الصفائح الجليدية للكرة الأرضية على النطاق الواسع بدأ من النصف الأول للقرن العشرين نتيجة لتزايد الحرارة العالمية.

على كل فإن نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف عن كثرة الزلازل عند قرب القيامة أصبحت قاعدة علمية مسلمة، وبدأ حدوثها من النصف الأخير للقرن العشرين في واقع الأمر، وإن الدراسات الحديثة تخبرنا أن الزيادة الكبرى والارتفاع العالي ستحدث فعلا في كثرة الزلازل وشدتها في الأيام المقبلة، وإنما ستكون مدمرة للغاية لسكان الأرض.

الوضع الزلزالي الرهيب في العقود القادمة

إن الكثرة التي وقعت في حوادث الزلازل والبراكين حتى الآن - كما شاهدنا في الجدول السابق - إنما وقعت بسبب زيادة معدل درجة الحرارة للأرض بـ ٨٠ درجة. فوفق التقرير الحالي الذي قدمته الهيئة الحكومية الدولية المعنية لتغير المناخ بالأمم المتحدة، من المحتمل إضافة أكثر من ٨ درجات في معدل درجة الحرارة للكرة الأرضية إلى نهاية هذا القرن. وحسب خبراء الأرض، إنه لمن الممكن جدا أن تنعدم الجبال الجليدية في أنتاركتيكا وجرينلاند والجبال الجليدية الأخرى بالذوبان نتيجة لزيادة ٥, ٣ درجات فقط في معدل درجة الحرارة للكرة الأرضية حسب خبراء الأرض^(١) فمن الممكن لنا إذا أن نتصور الوضع الرهيب المرتقب أن يحدث على الأرض في السنوات القادمة في صورة كثرة حوادث الزلازل والبراكين وما سيلحق بها وبسكانها من دمار شامل وخراب رهيب. لذلك فإن خبراء الأرض

(1) - Asimov's Guide to Science, Vol.1, Issac Asimov, P.161, Penguin Books, 1979.

بدؤ ويحذرون جهرا أن هذا القرن سيكون مدمرا وخطيرا لسكان الأرض في ضوء النشاطات الزلزالية والبركانية. فقد ورد حديث آخر في هذا الشأن يصف مدى الخطورة والدمار الذي سيلحق بسكان الأرض في الوقت اللاحق نتيجة للنشاطات الزلزالية، ونصه كما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: { يوشك أن لا تجدوا بيوتا تكنكم، تهلكها الرواجف. ولا دواب تبلغوا عليها في أسفاركم، تهلكها الصواعق }^(١).

قد أصبح سهلا لكل منا أن نفهم مدى خطورة الزلازل التي ستلحق بالأرض في المستقبل في ضوء الجدول السابق الذي يظهر الارتفاع في تردد الزلازل عبر العقود في القرن الماضي، وفي ضوء الارتفاع المتنبأ في درجة حرارة الأرض.

وبناء على ذلك فإن النبوءة التي وردت في الحديث الشريف أثناء أشرط الساعة وعلامات القيامة أصبحت حقيقة ثابتة وأمر مسلما في ضوء التقلبات الموسمية الحالية. إن علم الجيولوجيا الحديثة قام بالتصديق على سائر بيانات الأحاديث النبوية بصدد الوضع الزلازل الماضي والحالي والمستقبلي لكرة الأرض. فيثبت منها التوافق والانسجام التام بين الحديث النبوي الشريف وبين الدراسات العلمية الحديثة من ناحية، ويستشف منها إحاء وتلويح لقرب القيامة من ناحية أخرى، ويمكن أن نقول في عبارة أخرى: إن التقلبات الموسمية الحالية هي القيامة في حقيقة الأمر.^(٢)

يعيد تاريخ الكرة الأرضية نفسه مرة أخرى

إن هناك اكتشافا آخر مهما جدا في هذا الصدد، وهو أن الكثرة المفاجئة في حوادث الزلازل والبراكين قد حدثت مرات في تاريخ الكرة الأرضية الطويل، لأن حرارة الكرة الأرضية ارتفعت وانخفضت مرارا وتكرارا في تاريخ الأرض، وظهرت بسببها التقلبات الموسمية بين فينة وأخرى على وجه الأرض.^(٣) وإن هذه الصفائح الجليدية للأرض تتكون بالتجمد،

(١) - الفتن: نعيم بن حماد، ١/٣٧٢، رقم: ١٦٩٥.

(٢) - أنظر للتفصيل كتاب: «التغير المناخي والقيامة» للمؤلف (تحت الطباعة).

(٣) - أنظر لأسباب هذه الحوادث كتاب: «التغير المناخي والقيامة» للمؤلف (المجلد الثاني) (تحت الطباعة).

وتفنى بالذوبان باستمرار. ولذلك كلما فنيت هذه الصفائح الجليدية نتيجة لتزايد الحرارة العالمية ظهرت كثرة الحوادث للزلازل والبراكين، وإن العلماء ادعوا وجود الشواهد الجيولوجية على هذا الأمر، وبالتالي فإن ميك كير يقول:

Not only has this happened several times throughout Earth's history. (but) the evidence suggests it is happening again.⁽¹⁾

«إن هذا المظهر (كثرة حدوث الزلازل والبراكين) لم يحدث في التاريخ مرات فحسب بل إن الشواهد تدل على أن هذا المظهر يعيد نفسه ويظهر مرة أخرى على وجه الأرض.»

إن مطالعة هذه الحوادث العظيمة والرهيبية (التغيرات المناخية) التي وقعت في التاريخ الجيولوجي القديم للأرض لتحتل أهمية قصوى من نواحي كثيرة. قام المؤلف بمطالعة مقارنة لأسباب هذه الحوادث في ضوء القرآن والسنة في كتاب له «التغير المناخي والقيامة».

حوادث خسف الأرض

إننا نجد مظهرا جيولوجيا آخر في الأحاديث الشريفة يشارك مع الارتفاع والتصاعد في حوادث الزلازل والبراكين نتيجة لذوبان الصفائح الجليدية للكرة الأرضية وهو: مظهر كثرة حوادث خسف الأرض في المناطق المتعددة للكرة الأرضية. فقد وردت أحاديث متعددة في هذا الشأن وكلها تصرح بأنه تكثر حوادث الخسف قرب القيامة:

فعن طارق بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف».⁽²⁾

وروى الحاكم في مستدركه أنه سأل سائل رسول الله صلى الله عليه عن أشرط الساعة، فأجابته رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القذف والخسف والرجف».⁽³⁾

(1)- Climate change could cause earthquakes and volcanic eruptions. Dennis Bueckert; Global Catastrophes. Bill McGuire. Oxford University Press, 2002. ISBN: 0-19-280493-6

(2) - سنن ابن ماجه، رقم الحديث: ٤٠٥٩.

(3) - مستدرک الحاكم ٤/٤٦٥ رقم الحديث: ٨٢٩٣.

إن هذه الحوادث المذكورة في الأحاديث هي عامة لوقوع الخسف على وجه الأرض. وقد ذكرت أيضا الحوادث الثلاثة الأخرى الكبرى للخسف في الأحاديث الشريفة ضمن عشرة أشراف كبرى للساعة، وهي كما يلي:

عن حذيفة بن أسيد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب...»^(١)

ومن هنا يتحتم علينا أن نعرف ما معنى خسف الأرض وما توجيهه؟ وكيف ومتى يحدث؟ أما المعنى اللغوي للخسف فهو كما يلي:

• لسان العرب: «الخسف: سؤوخ الأرض بما عليها.»^(٢)

• تاج العروس: «خسف المكان يخسف خسوفا: ذهب في الأرض.»^(٣)

ما هو تعريف الخسف علميا؟ إن الاكتشافات الجيولوجية الحديثة لتظهر لنا من أن ظاهرة الخسف هي من الظواهر المهمة التي تحدث من جراء الاحترار العالمي المتصاعد. كما سبق أن بيننا بأن الاحترار العالمي يتسبب في ذوبان الصفائح الجليدية على النطاق الواسع، ومن ثم يُلحق الأخطار الكبيرة الضخمة في الاتزان الثابت isostasy للقشرة الأرضية. في الحقيقة، وإن ظاهرة كثرة وقوع الزلازل وانفجار البراكين أيضا تتسبب من جراء هذه الظاهرة كما سبق تفصيلها في ما مضى. إن ظاهرة الخسف هي أيضا من ظواهر الخلل في الاتزان الثابت للقشرة الأرضية. وإن الاكتشافات الجيولوجية وعلم البحار قد قامتا بتصديق نظرية «الخسف» الواردة في الأحاديث النبوية بوجوه مختلفة. فوفق هذه التوجيهات يمكن وقوع

(١) - صحيح مسلم، ١٧٨/٨، الرقم: ٢٩٠١؛ ومسند أحمد: ٦٣/٢٦، الرقم: ١٦١٤١؛ وسنن الترمذي، ٤/٤٧٧، الرقم: ٢١٨٣؛ وصحيح ابن حبان، ١٥/٢٥٧، الرقم: ٦٨٤٣؛ وسنن النسائي الكبرى، ٦/٤٢٦، رقم: ١١٣٨٠؛ مستدرک حاکم، ٤/٤٧٤، رقم: ٨٣١٧؛ وسنن ابن ماجه، ٢/١٣٤٧، الرقم: ٤٠٥٥؛ مسند ابن أبي شيبة، ٣/٦٨، الرقم: ٨٢٠؛ المعجم الكبير، طبراني، ٣/١٧٠، الرقم: ٣٠٢٩؛ السنن الواردة في الفتن، أبو عمر والداني، ٥/٩٧٦، رقم: ٥٢٠ وغير ذلك

(٢) - لسان العرب: ٦٧/٩.

(٣) - تاج العروس: ص ٥٧٩٨.

حوادث الخسف لأحد الأسباب الثلاثة التالية، وهي كما يلي:

١. خسف الجزء القاري بسبب ارتفاع مستوى البحر landslides

٢. خسف الجزء القاري بسبب خروج غاز هيدرات gas hydrates

٣. خسف القشرة الأرضية subsidence

يرى علماء الأرض أن نوعية كل من هذه الظواهر لخسف الأرض تكون عالمية في تأثيرها. وفيما يلي نقوم باستعراض كل من هذه التعريفات الثلاثة على وجه الاختصار.

١ - خسف الجزء القاري بسبب ارتفاع مستوى البحر

كما سبق أن أسلفنا بأن الاحترار العالمي سيؤدي إلى ذوبان الصفائح الجليدية وبالتالي فإنه يسبب أيضا ارتفاع سطح البحر في النهاية. ومن ثم فإن هذه الظاهرة نفسها تتسبب في إلحاق الأخطار الكبيرة الضخمة في الاتزان الثابت isostacy لقشرة الأرض. فمن بين الحوادث المهمة التي تقع من جراء حدوث هذا الوضع هي خسف الجزء القاري (الانزلاق الأرضي) landslides أيضا. وإنما تقع حوادث الخسف للجزء القاري لأنه يتأثر بتأثيرا كبيرا بارتفاع مستوى البحر وحدوث الضغط هناك. ويظهر ذلك في صورة الخسف للجزء القاري تحت ضغط الماء المتولد (أنظر شكل: ١). إن الخبر البريطاني لعلم الأرض بل ميك كير Bill McGuire قد صور هذه الحالة المتولدة على وجه الأرض كالتالي:

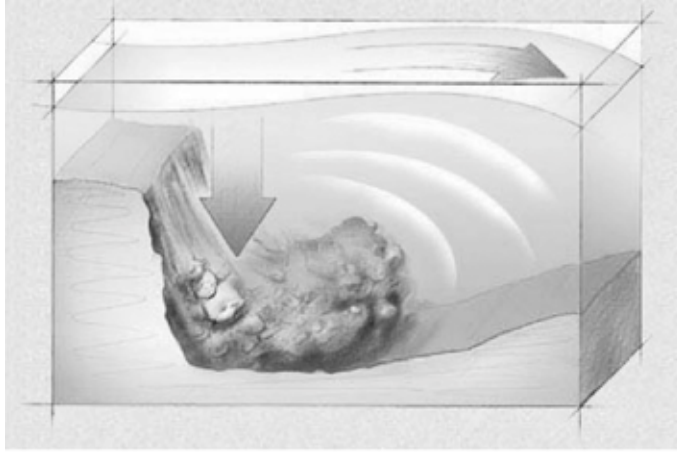
All over the world, evidence is stacking up that changes in global climate can and do affect the frequencies of earthquakes, volcanic eruptions and catastrophic sea-floor landslides.⁽¹⁾

«إن الشواهد والأدلة تتجمع من جميع أنحاء العالم على أن حوادث الزلازل والبراكين والانزلاق الأرضي الخطير على قاع البحر تشمل أن تتزايد بل ستكون بالفعل نتيجة للتغيرات الموسمية العالمية».

وإن هذه الحوادث قد بدأت تحدث على نطاق كبير بسبب ارتفاع سطح البحر على مقياس

(1)- Climate change could cause earthquakes and volcanic eruptions, Dennis Bueckert.

متدنى. فحسب الخبراء إن الارتفاع في الاحترار العالمي سيؤدي إلى ازدياد وقوع هذه الحوادث على درجة رهيبية في السنوات القادمة.^(١)



شكل ١: خسف الجزء القاري بسبب ارتفاع مستوى البحر

٢ - خسف الجزء القاري بسبب خروج غاز هيدرات

إن المظهر الآخر لخسف الجزء القاري قد اكتشف في ضوء التغييرات الجيولوجية البارزة نتيجة للحرارة العالمية المتزايدة، وإنه يؤدي إلى انحدار الحافة القارية continental shelf ونشأت موجات تسونامي مفاجئة وخطيرة تحت الماء نتيجة لخروج الغازات السامة المدفونة تحت القاع البحري، فيمكن بيانه مفصلاً كالتالي:

إن غاز ميتهن methane يوجد تحت محيطات الأرض بكمية هائلة، ويعرف بغاز هيدرات gas hydrates، وإنه غاز دفيء قوي للغاية، يوجد هذا الغاز في شكل الغاز المتجلد frozen gas في كميات هائلة على حافة القارات. فحسب خبراء الجيولوجيا، قد يخرج هذا الغاز إلى جوار الأرض من تحت المحيطات لسببين:

الأول: إنه من المحتمل جداً أن يخرج هذا الغاز حينها يذوب هذا الغاز المتجمد بسبب

(1) - Landslides Could Worsen with Global Warming – UN (<http://www.planetark.com/dailynewsstory.cfm/newsid/34540/story.htm>)

التصاعد في درجات الحرارة المحيطية نتيجة لتزايد الحرارة العالمية الشديدة وارتفاعها إلى درجة مخصوصة في الحدة. والثاني: من المحتمل أيضا أن يكون اضطراب وزحزحة التوازن الثابت للأرض سببا لخروج هذا الغاز المدمر، لأن أنتاركتيكا وجرينلاند والمناطق الجليدية الأخرى التي كانت منكبسة ومدفونة تحت ثقل الجليد ستبرز rebound على القاع البحري على النطاق الواسع بعد ذوبان الصفائح الجليدية من فوقها نتيجة لتزايد الحرارة العالمية. فيتسبب هذا التبدل في التوازن الثابت للأرض أيضا في خروج هذا الغاز المدمر.^(١)

وإن الخطران سيلحقان بالكرة الأرضية بخروج هذا الغاز، الأول: الارتفاع المفاجئ الكبير في شدة الحرارة العالمية نتيجة لخروج هذا الغاز، لأنه غاز دفيء قوي للغاية، وتتضاعف طاقته من ثاني أكسيد الكربون ٢١ مرة، والخطر الثاني: أن السطح القاري يتأثر به تأثيرا سيئا للغاية، ويحتمل أن تنحدر أجزاءه إلى المحيطات نتيجة لخروجها منفجرة متدفقة من القاع البحري:

Catastrophic release of methane from the decomposition of such deposits may lead to a global climate change, because CH₄ is more efficient greenhouse gas even than CO₂. On its turn, the fast decomposition of such deposits is considered a geohazard, due to its potential to trigger landslides, earthquakes and tsunamis.⁽²⁾

«إن الخروج المفجع لغاز الميثان من انحلال هذه الترسبات سيؤدي إلى تغير المناخ على المستوى العالمي، لأن الميثان هو غاز دفيء أقوى بكثير من غاز ثاني أكسيد الكربون. وبالتالي إن الانحلال السريع لهذه الترسبات يعد من المخاطر الجيولوجية بسبب قدرته على إثارة حوادث الانزلاق الأرضي، والزلازل وستونامي.»

There is another secondary effect of gas hydrate release, because when it breaks down it can do so explosively. There is clear evidence in the past that violent gas hydrates releases have caused massive slumping of the continental shelf and associated tsunamis...Hence, we cannot rule out

(1) - Global Warming: A Very Short Introduction, Mark Maslin, p. 113.

(2) - http://en.wikipedia.org/wiki/Gas_hydrate

the fact that global warming could lead to an increased frequency of gas hydrate-generated submarine landslides and thus tsunamis of over 15 m in height hitting our coasts.⁽¹⁾

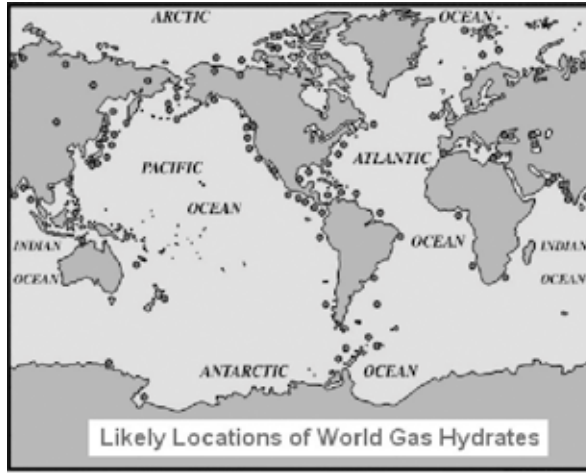
«إن هناك أثرا ثانويا لخروج غاز هيدرات، لأنه لما ينفجر ينفجر مع الفرقة والانفجار القوي، وقد توجد شواهد وأدلة (جيولوجية) واضحة على ذلك، لأنه لما خرج هذا الغاز الهيدرات المدمر في الماضي فكان سببا لتكون تسونامي وانحدار الجزء الكبير للسطح القاري، ولذلك لا يمكن لنا أن نرد احتمال كثرة وتصاعد حوادث الانزلاق الأرضي تحت الماء وتسونامي الخطير الذي يرتفع ١٥ مترا أعلى، ويتصادم مع سواحلنا نتيجة لهذا الغاز الخطير الذي استطاع عمله بسبب تزايد الحرارة العالمية المتزايدة.

يتضح لنا جليا من هذه العبارة أن الشواهد والأدلة العلمية والتاريخية متوفرة لحوادث انحدار السطح القاري أو خسفه بسبب خروج غاز هيدرات في تاريخ الأرض، والتي حدثت مرات متعددة في تاريخ الكرة الأرضية نتيجة لتزايد الحرارة العالمية المتصاعدة والتقلبات الموسمية^(٢)، وإن دراسة هذه الحوادث البارزة في تاريخ الكرة الأرضية سهلت لنا جدا فهم إمكانيات واحتمالات حدوث هذه الحوادث في المستقبل أيضا.

وليكن ملحوظا هنا بأن الذخائر لغاز هيدرات أينما توجد على وجه الأرض إنما توجد على هافة القارت continental shelf (انظر شكل : ٢). فيتجلى من هذا مدى المخاطرة المباشرة التي ستعرض لها القارات وسواحلها بسبب خروج هذا الغاز المدمر.

(١) - المرجع السابق.

(٢) - أنظر للتفصيل على هذا الموضوع كتاب المؤلف تحت الطباعة: «التغير المناخي والقيامة: دراسة مقارنة بين القرآن، والحديث والعلم الحديث» (المجلد الثاني).



شكل ٢: الذخائر المحتملة لغاز هيدرات على الأرض
والخطر اللاحق للقارات بانفجارها.

٣- خسف القشرة الأرضية / sinking of the crust/ subsidence

يجب علينا أن نفهم أولاً نظرية علم الأرض ليسهل علينا فهم هذا المظهر. تُعرف هذه النظرية بتوازن القشرة الأرضية isostasy of the crust. فوفقاً لهذه النظرية، إن القشرة الأرضية crust تقع على طبقة لدنة أكثر كثافة متواجدة تحتها، وتدعى الوشاح mantle في صورة الألواح التكتونية حسب النظرية المذكورة أعلاه، فمن هنا أينما يوجد الثقل أكثر على وجه الكرة الأرضية فتندفع الصخور القشرية إلى داخل الأرض أكثر وأعمق، مثل جبال الكرة الأرضية القائمة على القشرة الأرضية، فإنها كلما ترتفع أكثر على سطح الأرض، وكلما يزيد وزنها فيغوص أكثر جزءه في وشاح الأرض بسبب أثقالها. وإن حالة الصفائح الجليدية مثلها كذلك. لذلك فالقشرة الأرضية الواقعة تحت الصفائح الجليدية غائرة في أعماق الأرض أكثر بسبب تواجد تلك الصفائح الجليدية الثقيلة على القشرة الأرضية. فمثلاً إن تواجد الصفائح الجليدية على أرضية جرينلاند تسبب إلى خسف القشرة الأرضية تحتها بـ ٣٠٠ متر تقريباً:

The weight of the massive Greenlandic ice cap has depressed the central land area to form a basin lying more than 300 m (1,000 ft) below sea level.⁽¹⁾

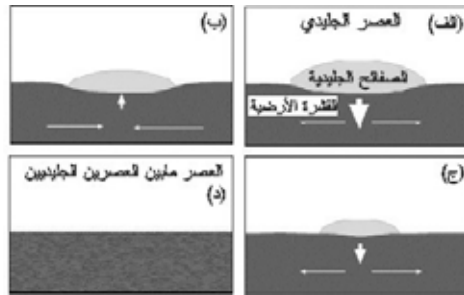
(1) - DK Atlas, 2001.

إن ثقل الصفائح الجليدية العملاقة على جرينلاند تسبب إلى خسف الأرضية المركزية وتكوين حوض غائر في أعماق الأرض بـ ٣٠٠ متر (١,٠٠٠ قدم) تحت سطح البحر. هذا هو حال القارة الجنوبية أيضا - أي إن قارة أنتاركتيكا كلها وجدت أيضا مخسوفة بسبب الثقل الجليدي العملاق عليها بمئات الأمتار تحت سطح البحر:

The weight of the ice holds the underlying continent down, depressing the continental shelf some 300-400 m lower than that of any other continents.⁽¹⁾

إن ثقل الصفائح الجليدية يدفع القارة تحتها ضاغطا على الهافة القارية بـ ٣٠٠-٤٠٠ متر تقريبا أسفل بالنسبة للقارات الأخرى. وإن هذه الصفائح الجليدية عندما تذوب نتيجة للتقلبات الموسمية والاحترار العالمي فإن الثقل يقل من على القشرة الأرضية ، ويبدأ الجزء الغائص في وشاح الأرض mantle تحت أثقالها في العودة إلى الظهور فوق سطح البحر على النطاق الواسع (أنظر الشكل رقم: ٣):

شكل ٣ : إن القشرة الأرضية تنتدفع إلى داخل الأرض أكثر بسبب تواجد الصفائح الجليدية الثقيلة عليها. ولكن لما تذوب هذه الصفائح الجليدية نتيجة للتقلبات الموسمية والاحترار العالمي فإن الثقل يقل على القشرة الأرضية ويبدأ الجزء الغائص في وشاح الأرض تحت أثقالها في العودة إلى الظهور فوق سطح البحر.



The formation of ice-sheets can cause the Earth's surface to sink. Conversely, isostatic post-glacial rebound is observed in areas once covered by ice-sheets, which have now melted, such as around the Baltic Sea and Hudson Bay. As the ice retreats, the load on the lithosphere and asthenosphere is reduced and they rebound back towards their equilibrium levels. In this way, it is possible to find former sea-cliffs and associated wave-cut platforms hundreds of metres above present-day sea level.

(1) - Encyclopaedia of Antartical and Souther Oceans, Bernard Stonehouse, P. 13, John Wiley and Sons, 2002.

«إن تجمد الصفائح الجليدية يحتتمل أن يكون سببا لحسف سطح الأرض، وبالعكس لوحظ القذف والوثب الجليدي عقبه (أي عقب ذوبان تجمد الصفائح الجليدية) في المناطق التي كانت مغطاة بالصفائح الجليدية، وقد ذابت الآن تماما. كما لوحظ حول خليج بالتك وخليج هدرسن، وعندما يذوب الجليد يخف الثقل من على الغلاف الصخري والغلاف الوهن الملتهب ويعودان إلى مستوى سطحهما التوازني، ومن هنا فإنه أصبح من الممكن مشاهدة الصخور المحيطية والأرصفة المتصلة بها (التي كانت غائصة في الأرض في زمن ما) على ارتفاع مئات من المترات من مستوى سطح البحر الحالي».^(١)

لما أن الصفائح الجليدية على الأرض تحيط بـ ١٦,٣٦١,٣٧٠ كيلومتر مربع تقريبا من الكرة الأرضية، وإن معدل سمكها يتراوح بين ٢ و٤ كيلومترات، وكأنها السلاسل الجليدية الجبلية العملاقة في نفسها، وإن مجموع حجمها يقدر بـ ٢, ١٠ مليون كيلومتر مربع (٩ مليون ميل مربع)، ومن هنا فإنه لوتذوب هذه الجبال الجليدية لكرة الأرض تماما - وهذا يمكن بارتفاع حرارة الكرة الأرضية إلى ٥, ٣ درجات فقط^(٢) - لتنتقل أثقالها الضخمة إلى مناطق الأرض الأخرى من المناطق المتجمدة في صورة الزيادة في سطح البحر، ويقدر أنه يقع ارتفاع أكثر من ١٣٠ متر (٤٢٥ قدم) تقريبا في مستوى سطح البحر الحالي، وتستغرق بها جميع المناطق والمدن الساحلية^(٣)، ويقع أربعون في المائة من اليابسة الحالية من الكرة الأرضية تحت الماء تقريبا، ومن ثم تلحق الأخطار الجديدة الكبيرة الضخمة في الاتزان الثابت isostatic equilibrium المتوفر حاليا للكرة الأرضية، ومعنى ذلك: أن الجزء الذي كان غائرا في الأرض حتى الآن بسبب الصفائح الجليدية هو يظهر جليا على سطح البحر، ولكن ستقع الآن المناطق الأخرى للكرة الأرضية تحت أثقالها، ولذلك يوجد احتمال قوي أن تبرز حوادث خسف الأرض على هذه القارات بسبب انتقال ذلك الثقل إلى تلك المناطق القارية.

إن ظاهرة ارتفاع سطح البحر وخسف القشرة الأرضية تحت أثقال الماء تسمى بالانخساف subsidence في الاصطلاح الجيولوجي الحديث. إن علماء الجيولوجيا يرون أنه يوجد خطر

(1) - <http://en.wikipedia.org/wiki/Isostasy>

(2) - Asimov's Guide to Science, Vol.1, Issac Asimov, P. 161. Penguin Books, 1979.

(3) - Oceanography: Inagmanson & Wallace, p. 83.

الانخساف على القارات بوجه كبير. إن الشواهد والأدلة تتجمع من جميع أنحاء العالم على أن ظاهرة الانخساف بدأت تظهر من جراء الارتفاع المنخفض في سطح البحر. إن البحوث الجيوفيزيائية من مناطق خليج ميكسيكو، وإنكلترا، وياپان والبلاد الجنوب الشرقية من قارة آسيا كلها تدل على بروز هذه الظاهرة.

إن علماء الجيوفيزيائية في إنجلترا اكتشفوا أن شرق إنجلترا -منطقة لوندون ومصب نهر تهمس- تتسبب للخسف في غلاف الأرض mantle بسبب ارتفاع سطح البحر هنا. إن الارتفاع في سطح البحر سجل هنا بـ ١ ملي متر سنويا بينما شوهد الانخساف تحت ضغط الماء هنا ما بين ١-٢ ملي متر سنويا.^(١)

وكذلك إن خبراء الأرض يتنبأون بأن منطقة لويسيانا وخليج ميكسيكو تواجهان خسف قشرتها الأرضية ما بين ١-٨ ملي متر سنويا بسبب ارتفاع مستوى البحر هنا.^(٢)

إن البحوث الجيوفيزيائية من مناطق اليابان وآسيا الجنوبية والجنوب الشرقية أيضا تشير إلى ظهور مثل هذه الظاهرة بسبب ارتفاع سطح البحر هنا. إنما يتجلى من هذه الاكتشافات كلها أن نسبة انخساف القشرة الأرضية هي أكثر بكثير من نسبة اغتثار اليابسة نفسها. لذلك إن خبراء الأرض يتنبأون بأن خطر انخساف القشرة الأرضية هو أخطر بكثير من خطر ارتفاع سطح البحر نفسه.

الحوادث الثلاثة الكبيرة للخسف

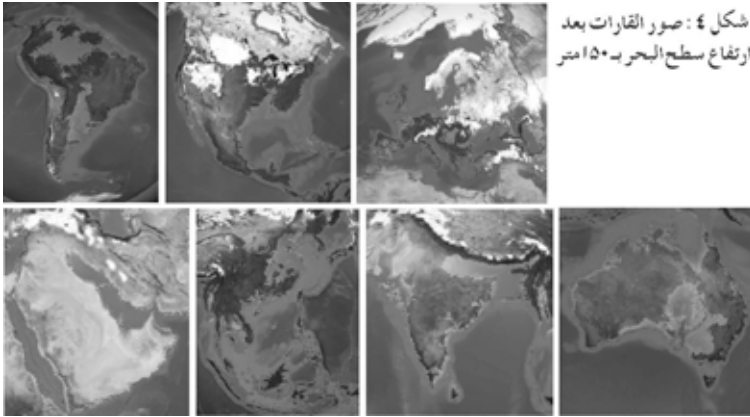
ينشأ هنا سؤال بأنه ما هو تفسير ثلاث حوادث الخسف الكبيرة التي وصفتها الأحاديث بثلاث حوادث من بين عشرة حوادث كبيرة للقيامة؟ فيمكن توجيهها في ضوء ظاهرة الانخساف المذكور أعلاه على النحو التالي: إن خبراء الأرض قد قاموا برسيم خارطة لمرتفعات ومنخفضات وجه الأرض، يمكن من خلالها الإطلاع على الأماكن والمواقع لكرة الأرض التي ستقع فريسة للاغتثار على النطاق الواسع بسبب ارتفاع سطح البحر.

(1) - <http://news.bbc.co.uk/2/hi/science/nature/6231334.stm>.

(2) - Sea-Level Rise and Subsidence: Implications for Flooding in New Orleans, Louisiana. By Virginia R. Burkett, David B. Zilkoski, and David A. Hart.

فقد أعدت برامج الحاسوبية المتعددة لفهم هذه الظاهرة ؛ والتي تظهر الوضع الجيولوجي المتولد على وجه الأرض بارتفاع سطح البحر بـ ١٥٠ متر. استعملنا برنامج «ليونغ غلوب» Living Globe لفهم هذه الظاهرة، وبإعانة هذا البرنامج قمنا بإعداد البحث التالي.

إن هذا البرنامج يظهر بأن الارتفاع في سطح البحر بـ ١٥٠ متر سيؤدي إلى إغتمار مناطق كبيرة من اليابسة على وجه الأرض. فإن المناطق التي ستقع فريسة للاغتمار على وجه الأرض تشمل على: الحزام الشرقي لقارة آسيا كلها، ودول آسيا الجنوبية والجنوب الشرقية، وثلثا قارة أوروبا، ونصف قارة أمريكا الجنوبية، والمناطق الجنوبية الشرقية والجنوب الغربية الواسعة من قارة أمريكا الشمالية ومناطق شرق جزيرة العرب. إن هذه المناطق كلها ستغمر بمائة متر تحت الماء. ولوجدولنا هذه المناطق كلها حسب الجهات المذكورة في الأحاديث - الشرق والغرب وجزيرة العرب - يمكن ترتيبها على النحو التالي (انظر شكل : ٤):



شكل ٤ : صور القارات بعد ارتفاع سطح البحر بـ ١٥٠ متر

١. **الشرق:** (أ) الحزام الشرقي من قارة آسيا (ب) ثلث قارة أستراليا (ج) دول قارة آسيا الجنوبية والجنوب الشرقية
٢. **الغرب:** (أ) ثلثا قارة أوروبا (ب) نصف قارة أمريكا الجنوبية تقريبا (ج) المناطق الجنوبية الشرقية والجنوب الغربية من قارة أمريكا الشمالية
٣. **جزيرة العرب:** الحزام الشرقي من جزيرة العرب

يتضح من هذه الاحصائيات مدى الخطر الذي سيواجهه كرة الأرض وسكانها في صورة اغتثار اليابسة، ومخاطر انخساف القشرة الأرضية تحت أثقال الماء هنا.

إن كلمة «الخسف» الواردة في الأحاديث هي اسم مصدر والذي يفيد معنى اسم الجنس. فيمكن من هذه الوجهة وقوع حوادث متعددة للخسف في كل من الجهات المذكورة في الأحاديث، كما يبدو من البحوث الجيولوجية.

إن النسبة المذكورة لاغتثار اليابسة إنما تكون بهذه النسبة إذا كان هناك ارتفاع سطح البحر بـ ١٥٠ متر. بينما يحذر الخبراء بأنه قد يحدث ارتفاع ما بين ٢٢٥ - ٢٥٠ متر في سطح البحر بسبب بعض عوامل جيولوجية عديدة ورهيبية. ففي هذا الوضع تكون نسبة اليابسة المغمورة أيضا أكثر بكثير من النسبة المذكورة.

كما سبق أن أسلفنا أن النسبة المنخسفة لقشرة الأرض تكون أكثر بكثير من نسبة ارتفاع سطح البحر، كما أن أكثر المناطق المذكورة ستغمر بمائة متر، فمن ثم تكون النسبة المنخسفة لقشرة الأرض أكثر من تلك النسبة المغمورة بكثير. إن نسبة إنخساف القشرة الأرضية في إنجلترا، وخليج ميكسيكو، واليابان وغيرها من المناطق بطيء فهو ما بين ١ - ٨ ملليمتر سنويا، إلا أن الخبراء يحذرون بأن الصفائح الجليدية على الكرة الأرضية قد تذوب بغطته في مدة قليلة (أقل من سنتين) لعوامل جيولوجية عديدة ورهيبية. فيتسبب هذا الوضع إلى ارتفاع سطح البحر وظهور حوادث الخسف مفاجأة كما ذكرنا تفاصيلها فيما مضى، ويوجد هناك سبب جيولوجي آخر يزيد في شدة هذه الظاهرة في المناطق المذكورة فجأة ورهبة، وهو أن أكثر هذه المناطق المغمورة إنما تقع على حدود الألواح التكتونية ونقطة تلاقي القارات والمحيطات. كما تعد هذه المناطق نشطة جيولوجية *geologically active areas*، وتسمى أيضا بالمناطق المنخسفة *subduction zones* في الاصطلاح الجيولوجي. لأن عملية الخسف دائما ما تحدث في هذه المناطق. فإن اللوح التكتوني المحيطي *oceanic plate* ينخسف تحت اللوح التكتوني القاري *continental plate* في هذه المناطق على وجه الاستمرار في وشاح الأرض *mantle*. ويؤدي هذا الوضع إلى وقوع حوادث رهيبية مثل حدوث الزلازل، وانفجار البراكين وتكوين الجبال في هذه المناطق. لأن الاختلال في توازن القشرة الأرضية في هذه المناطق يحدث في صورة ارتفاع سطح البحر ويفضي إلى نتائج وخيمة ورهيبية.

على كل، إن الدراسة المقارنة الدقيقة بين القرآن والسنة والجيولوجيا الحديثة أثبتت لنا صدق

دعاوى الأحاديث النبوية بصدد الخسف. وإن حوادث الخسف الكبيرة على وجه الأرض أصبحت حقيقة علمية. إن إنغمار مثل هذه المناطق الواسعة من يابسة الأرض وانخساف القشرة الأرضية تحت أثقال الماء تعد من الحوادث العظيمة والرهيبه على وجه الأرض. لذلك الأحاديث عدتها من علامات الساعة الكبرى.

الوضع الرهيب لحوادث الخسف في العقود القادمة

فخلاصة البحث، أن توازن القشرة الأرضية يتأثر تأثراً سيئاً من آثار الحرارة العالمية المتزايدة الخطيرة، وتنتج عنه حوادث الزلازل والبراكين وتسونامي والانزلاق الأرضي تحت الماء وخسف القشرة الأرضية على هذا النطاق الواسع، وإنما لتضاعف أكثر مع ارتفاع الحرارة العالمية، وتؤدي إلى دمار شامل للككرة الأرضية وسكانها كما يرى العلماء في هذا الشأن. قد وصف هذا الوضع الجيولوجي الرهيب المتولد على الأرض أحد من علماء الأرض على النحو التالي:

Yes, the Earth is geologically very dangerous, and the more we study our planet the more potentially serious the tectonic threat to the survival of our civilization appears to be.⁽¹⁾

«نعم، إن الأرض مهلكة جدا جيولوجيا. وكلما أمعنا النظر في مطالعة كرتنا الأرضية على نحو أدق لوجدنا الخطر التكتوني (الجيولوجي) في بقاء حضارتنا أشد وأقوى.»

فقد ورد وصف هذا الوضع الجيولوجي الرهيب قرب يوم القيامة في الحديث الشريف أيضا، وهو كما يلي:

عن أبي زيد الأنصاري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده ليأتين على هذه الأمة يوم يمسون فيه يتساءلون فيه بمن خسف الليلة. كما يتساءل أهل الموتى من بقي من آل فلان.^(٢)

(1) - Global Catastrophes, Bill McGuire, P.87, Oxford University Press, 2002.

(٢) - مسند الحارث: ٢/٢٧٨ رقم الحديث: ٧٨٠؛ وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، لأبي بكر الهيثمي، رقم الحديث: ٧٨٠.

«الخسف» في ضوء آية قرآنية

ولتكن ملحوظة هنا بأن المناطق التي ستقع فريسة لخطر الانغمار وخسف الأرض على وجه مباشر هي مناطق سواحل القارات. لأن هذه المناطق هي التي تقع فريسة لضغط الارتفاع في سطح البحر والأحداث الجيولوجية الأخرى. ولوطالعنا في ضوء هذه الدراسة الآية التالية للقرآن الكريم، لظهر لنا أهميتها القصوى نظرا إلى هذه الحقيقة الجيولوجية التي اكتشفها العلم الحديث حيث يقول الله تبارك وتعالى متحديا للإنسان:

﴿أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ [الاسراء: ٦٨]

وهكذا يتضح لنا جليا في ضوء البحوث الجديدة أن التهديدات القرآنية هي ليست مجرد تهديدات بل هي تنبيهات للحوادث المتوقعة وقوعها حتماً في المستقبل.

الإسلام دين الفطرة

وخلاصة القول، إن العلم الحديث قد قام بالتصديق على سائر بيانات القرآن والسنة بصدد حدوث ظاهرة الخسف على وجه شامل. كما أن هذه الاكتشافات قد سهلت لنا فهم الظواهر الكونية المذكورة في القرآن والسنة. ومن هنا فإنه كما يسطع إعجاز معارف القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حرفياً في ضوء الدراسات العلمية الحديثة، كذلك يتحقق علم قرب القيامة في نفس الوقت، ويعلم منها وجود الإله العليم الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

المصادر والمراجع

المصادر العربية :

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة، بيروت.
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- مستدرک الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار الفكر، بيروت.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
- الفتن: نعيم بن حماد، نعيم بن حماد المروزي، مكتبة التوحيد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت.

تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي.
مسند الحارث

بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، لأبي بكر الهيثمي، نور الدين الهيثمي، مركز خدمة السنة
والسيرة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
المطالب العالية: ابن حجر العسقلاني، بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، إدارة الشؤون
الإسلامية بالكويت، ١٣٩٣هـ.
«ظاهرة الزلزال: بين الأحاديث والعلم الحديث» (باللغة الأردية)، أنيس الرحمن الندوي،
الأكاديمية الفرقانية، بنغلور (الهند)، ٢٠٠٦م، الرقم الدولي: ٨١-٨٨٤٩٧-١٦-٩.
«التغير المناخي والقيامة»، أنيس الرحمن الندوي، (تحت الطباعة).

English Book:

Oceanography: Dale E. Ingmanson, William J. Wallace, Wadsworth Pub. Co., 1989. ISBN 0534095526, 9780534095529

Global Warming: A Very Short Introduction, Mark Maslin, Oxford University Press, 2004.

Global Catastrophes: A Very Short Introduction, Bill McGuire, Oxford University Press, 2002.

Asimov's Guide to Science, Issac Asimov, Penguin Books, 1979.

IPCC, WGI Fourth Assessment Report.

DK Atlas, 2001.

Encyclopaedia of Antartical and Souther Oceans, Bernard Stonehouse, John Wiley and Sons, 2002, ISBN 0471986658, 9780471986652.

Islamic Concept of Earthquakes, Aneesur Rahman Nadvi, Furqania Academy Trust, Bangalore, 2007, ISBN: 978-81-88497-22-5

Internet Source:

Greenlands Glacial Earthquakes Increasing In Frequency, <http://www.terradaily.com>.

<http://www.nasa.gov/centers/goddard/news/topstory/2004/0715glacierquakes.html>.

Climate change could cause earthquakes and volcanic eruptions, Dennis Bueckert, Canadian Press, Jul. 4 2006.

Source: <http://www.nasa.gov/centers/goddard/news/topstory/2004/0715glacierquakes.html>.

<http://www.ncedc.org/anss/catalog-search.html>

<http://en.wikipedia.org/wiki/Isostasy>

<http://www.planetark.com/dailynewsstory.cfm/newsid/34540/story.htm>



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الإعجاز في تقسيم الرياح البحرية

د. صالح بن عبد القوي السنباني

رئيس قسم الإعجاز العلمي - كلية الإيمان - جامعة الإيمان



إِن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ أَنْفُسَنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مِنْ يَدِهِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ١٠٢]، وقال تعالى: (لَكِنَّ اللَّهَ يُشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) النساء: ١٦٦، وقال تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت: ٥٣]

ويقول تعالى: (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [الشورى: ٣٣]. وقال تعالى (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ النَّجْمُ بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ وَقَرَحُوا بِهَا جَوَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) يونس: ٢٢، وقال تعالى (أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغَرِّقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) [الإسراء: ٦٩]

أقوال المفسرين في تفسير هذه الآيات:

أولاً قوله تعالى (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [الشورى: ٣٣] (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ : أي التي تسير في البحر بالسفن لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى راكدة لا تحيىء ولا تذهب بل واقفة على ظهره أي على وجه الماء)^(١). (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ : التي جعلها الله سببا لسيورها ، (فيظللن) : أي الجواري ، أي السفن على اختلاف أنواعها (رواكِد) على ظهر البحر لا تتقدم ولا تتأخر ولا ينتقص هذا بالمراكب البخارية فإن من شرط مشيها وجود الريح)^(٢).

(١) تفسير ابن كثير ج ٤/ ص ١١٨

(٢) تفسير السعدي ج ١/ ص ٧٥٩

(والجوارى جمع جارية وهي السائرة في البحر، عن مجاهد والسدي قوله (الجوارى في البحر) قال: السفن، وقوله: (كالأعلام) يعني كالجبال واحدها علم ومنه قول الشاعر: كأنه علم في رأسه نار. يعني: جبل، وعن مجاهد والسدي كالأعلام قالوا: كالجبال، وقوله: (إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره): إن يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحر أن لا تجري فيه، أسكن الريح التي تجري بها فيه فثبتن في موضع واحد ووقفن على ظهر الماء لا تجري فلا تتقدم ولا تتأخر، وعن قتادة: سفن هذا البحر تجري بالريح فإذا أمسكت عنها الريح ركبت، وعن السدي: (فيظللن رواكد على ظهره): لا تجري، وعن ابن عباس: (وقوفا)^(١).

ثانياً قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [يونس: ٢٢].

(قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم): (أي بسبب كفركم فالباء سببية وما مصدرية والقاصف ريح البحار الشديدة التي تكسر المراكب وغيرها ومنه قول أبي تمام:

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت
عيدان نجد ولا يعبان بالترتم

يعني إذا ما هبت بشدة كسرت عيدان شجر نجد ربما كان أو غيره)^(٢). (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها): (أي بسرعة سيرهم رافقين فيبيناهم كذلك إذ جاءتها أي تلك السفن ريح عاصف أي شديدة (وجاءهم الموج من كل مكان): أي اغتلم البحر عليهم (وظنوا أنهم أحيط بهم): أي هلكوا، (دعوا الله مخلصين له الدين) أي لا يدعون معه صنما ولا وثناً بل يفردون بالدعاء والإبتهال، (فلما أنجاهم): أي من تلك الورطة إذا هم يبعثون في الأرض بغير الحق أي كأن لم يكن من ذلك شيء)^(٣).

(١) تفسير الطبري ج ٢٥ / ص ٣٣

(٢) أضواء البيان ج ٣ / ص ١٧٢

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ / ص ٤١٣-٤١٤

(جاءت الفلك ريح عاصف وهي الشديدة ، والعرب تقول ريح عاصف وعاصفة وقد أعصفت الريح وعصفت وأعصفت في بني أسد فيما ذكر قال بعض بني دبير:

و(لما ذكر تعالى القاعدة العامة في أحوال الناس عند إصابة الرحمة لهم بعد الضراء واليسر بعد العسر ذكر حالة تؤيد ذلك وهي حالهم في البحر عند اشتداده والخوف من عواقبه فقال (هو الذي يسيركم في البر والبحر)، بما يسر من الأسباب الميسرة لكم فيها وهداكم إليها ، (حتى إذا كنتم في الفلك) أي السفن البحرية ، (وجرين بهم بريح طيبة) ، موافقة لما يهونه من غير انزعاج ولا مشقة ، (وفرحوا بها) : واطمأنوا إليها، فبينما هم كذلك إذ (جاءتها ريح عاصف) : شديدة الهبوب ، (وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم) : أي عرفوا أنه الهلاك فانقطع حينئذ تعلقهم بالمخلوقين وعرفوا أنه لا ينجيهم من هذه الشدة إلا الله وحده، وحينئذ (دعوا الله مخلصين له الدين)، ووعدوا أنفسهم على وجه الإلزام فقالوا : لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)^(١).

حتى إذا أعصفت ريح مزعزة فيها قطار ورعد صوته زجل (وجاءهم الموج من كل مكان): وجاء ركبان السفينة الموج من كل مكان ، (وظنوا أنهم أحيط بهم) يقول وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحرق ، دعوا الله مخلصين له الدين)^(٢).

(جاءتها ريح عاصف : الضمير في جاءتها للسفينة ، وقيل للريح الطيبة، والعاصف الشديدة، وقال عاصف بالتذكير لأن لفظ الريح مذكر وهي القاصف أيضا والطيبة غير عاصف ولا بطيئة ، والموج ما ارتفع من الماء ، (وظنوا): أي أيقنوا ، (أنهم أحيط بهم) : أي احاط بهم البلاء، يقال لمن وقع في بلية قد أحيط به كأن البلاء قد أحاط به وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بموضع فقد هلك أهله)^(٣).

قوله تعالى : (ولسليمان الريح عاصفة) : أي وسخرنا لسليمان الريح شديدة الهبوب، يقال منه عصفت الريح أي اشتدت ، فهي ريح عاصف وعصوف، وفي لغة بني أسد أعصفت الريح

(١) تفسير السعدي ج ١/ص ٣٦١

(٢) تفسير الطبري ج ١١/ص ٩٩-١٠٠

(٣) تفسير القرطبي ج ٨/ص ٣٢٥

فهي معصف ومعصفة، والعصف التبن فسمي به شدة الريح لأنها تعصفه بشده تطيرها^(١).
(فيغرقكم بما كفرتم : أي بسبب كفركم فالباء سببية وما مصدرية والقاصف ربح البحار
الشديدة التي تكسر المراكب وغيرها)^(٢).

قوله تعالى: (أَمْ أَمَنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا
كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) الإسراء: ٦٩.

يقول تبارك وتعالى: (أَمْ أَمَنْتُمْ أَيْهَا الْمَعْرُضُونَ عِنَّا بَعْدَ مَا اعْتَرَفُوا بِتَوْحِيدِنَا فِي الْبَحْرِ وَخَرَجُوا
إِلَى الْبَرِّ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِي الْبَحْرِ مَرَّةً ثَانِيَةً فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ) أي يقصف الصواري
ويغرق المراكب قال ابن عباس وغيره القاصف: ربح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها
.. (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) قال ابن عباس: نصيرا وقال مجاهد: نصيرا ثائرا أي يأخذ
بثأركم بعدكم وقال قتادة: ولا نخاف أحدا يتبعنا بشيء من ذلك)^(٣).

(فلا تظنوا أن الهلاك لا يكون إلا في البحر، وإن ظننتم ذلك فلستم آمنين من أن يعيدكم فيه تارة
أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح : أي ريحا شديدة جدا تقصف ما أتت عليه، (فيغرقكم
بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) : أي تبعة ومطالبة فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة)^(٤).

(تبيعا : فعيل بمعنى فاعل أي تابعا يتبعنا بالمطالبة بثأركم .. أي لا يخاف عاقبة تبعة تلحقه
بذلك، وكل مطالب بدين أو ثأر أو غير ذلك تسميه العرب تبيعا ومنه قول الشماخ يصف عقابا:

تلوذ ثعالب الشرفين منها كما لاذ الغريم من التبيع

وهذا هو معنى قول ابن عباس وغيره (تبيعا) أي نصيرا وقول مجاهد نصيرا ثائرا)^(٥).

(تارة أخرى : مرة أخرى والهاء التي في قوله فيه من ذكر البحر ، عن قتادة (أن يعيدكم فيه

(١) تفسير القرطبي ج ١١ / ص ٣٢١-٣٢٢

(٢) أضواء البيان ج ٣ / ص ١٧٢

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٥٢

(٤) تفسير السعدي ج ١ / ص ٤٦٣

(٥) أضواء البيان ج ٣ / ص ١٧٣

تارة أخرى): أي في البحر مرة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح وهي التي تقصف ما مرت به فتحطمه وتدقه، من قولهم قصف فلان ظهر فلان إذا كسره، (فيغرقكم بما كفرتم): فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف، (بما كفر): بكفركم به، (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا): ثم لا تجدوا لكم علينا تابعا يتبعنا بما فعلنا بكم ولا نائرا يئارنا بإهلاكنا إياكم، وقيل تبيعا في موضع التابع كما قيل عليهم في موضع عالم، والعرب تقول لكل طالب بدم أودين أو غيره تبع، ومنه قول الشاعر:

عدوا وعدت غزلائهم فكأنها ضوامن غرم لزهن تبع

قال بن عباس قاصفا التي تغرق، وعن بن عباس (تبيعا): نصيرا، وعن مجاهد: نائرا، وعن قتادة: (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) أي لا نخاف أن نتبع بشيء من ذلك^(١).

(القاصف: الريح الشديدة التي تكسر بشدة من قصف الشيء يقصفه أي كسره بشدة، والقصف: الكسر يقال قصفت الريح السفينة وريح قاصف شديدة ورعد قاصف شديد الصوت، يقال قصف الرعد وغيره قصيفا، والقصيف هشيم الشجر والتقصيف التكسر والقصف أيضا اللهو واللعب (فيغرقكم بما كفرتم) أي بكفركم... وقيل إن القاصف المهلكة في البر والعاصف المغرقة في البحر)^(٢).

الرياح المؤثرة على البحر:

ظل الناس عبر التاريخ إلى العصر الحديث يتصورون معتقدات خرافية عن الرياح، وكان الإغريق يظنون أن هناك آلهة عديدة للعواصف والرياح مسئولة عن الطقس، كما كانت كثير من الخرافات عن البحر والرياح لدى سكان استراليا الأصليين، والصينيين والمغوليين، والهنود، وقبائل المكسيك القديمة، وآخرين يصعب حصرهم...^(٣)، وعند

(١) تفسير الطبري ج ١٥ / ص ١٢٤

(٢) تفسير القرطبي ج ١٠ / ص ٢٩٢-٢٩٣

(٣) أنظر إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر، هيئة الإعجاز العلمي ص ١٣.

النظر إلى البحر ورياحه وأمواجه نرى فيه أمواجاً ورياحاً مختلفة بعض هذه الرياح عاصفة، وبعضها رياح هادئة، وبعضها ساكنة، ويختفي الموج حتى تتوقف حركة البحر تماماً فيصبح البحر كأنه قطعة من السمن الجامد، فما هو سبب هذا الموج؟ وما أنواع هذه الرياح؟ وهل هناك علاقة بين هذه الرياح وتلك الأمواج؟ وهل يمكن قياسها وتحديدتها وتصنيفها؟ .

لقد قام علماء البحار باستقصاء جميع أنواع الرياح فوق سطح البحر ومعرفة أصنافها وأنواعها وبعد الجهود الطويلة في البحث العلمي والرحلات العلمية الشاقة تمكنوا من وضع جدول دولي لأنواع الرياح المؤثرة على البحر ودرجاتها ومدى تأثيرها وقد اعتمدته المنظمة العالمية للأرصاد الجوية (World Meteorological Organization)^(١)، هذا الجدول يعتبر محل إقرار عالمي وقد قام الشيخ عبد المجيد الزنداني بمقارنة هذه الأنواع من الرياح فوق سطح البحر . مع الوصف القرآني لهذه الرياح التي جاء ذكرها في عدة مواضع وتوصل في عام ١٩٨٢ إلى أن الرياح التي ذكرت في القرآن، هي نفس الرياح التي في هذا الجدول العالمي، وكانت المعجزة أن وصف القرآن الكريم للرياح انطبق تماماً ليغطي جميع أنواع الرياح التي في الجدول بل وتصف حالة البحر مع حالة راكب البحر، وقد قمنا بمراجعة الجدول العلمي للرياح البحرية، وترجمته إلى اللغة العربية، ثم قمنا بوضع خلاصة له لجميع هذه الأنواع من الرياح المختلفة، بجمع كل صنف منها في نوع واحد لتضر المعجزة العلمية المذهلة في تطابق هذه الأنواع مع الوصف القرآني، المعجز.

جدول (١) حالات البحر المختلفة وعلاقتها بالبحر

(١) مجلة الإعجاز العلمي، العدد (٢٢) رمضان (١٤٢٦هـ) ص ٥١.

متوسط ارتفاع الموج بالمتر	وصف حالة البحر	رقم الشفرة	حالة البحر	اسم الريح	السرعة بالعقدة	قوة الريح بالبيفورت
صفر	الصورة ١٧	صفر	ساكن	ساكنة	أقل من ١	صفر
٠, ١-٠	الصورة ١٨	١	ساكن مرتعش	هواء خفيف	٣-١	١
٠, ٥-٠, ١	الصورة ١٩	٢	هادئ	نسيم خفيف	٦-٤	٢
١, ٢٥-٠, ٥	الصورة ٢٠	٣	خفيف	نسيم لطيف	١٠-٧	٣
١, ٥-١, ٢٥	الصورة ٢١	٤	معتدل	نسيم معتدل	١٦-١١	٤
٢, ٥-١, ٥	الصورة ٢٢	٥	معتدل	نسيم ناهض نشط	٢١-١٧	٥
٤-٢, ٥	الصورة ٢٣		مضطرب	نسيم ناهض شديد	٢٧-٢٢	٦
٦-٤	الصورة ٢٤	٦	مضطرب جداً	عاصفة معتدلة	٣٣-٢٨	٧
٩-٦	الصورة ٢٥	٧	عالي	عاصفة ناهضة	٤٠-٣٤	٨
١٤-٩	الصورة ٢٦	٨	عالي جداً	عاصفة شديدة	٤٧-٤١	٩
	الصورة ٢٧			عاصفة هوجاء	٥٥-٤٨	١٠
أكثر من ١٤ م	الصورة ٢٨	٩	شاهق يصحبه ظواهر غير عادية	زوبعة	٦٥-٥٦	١١
				إعصار	أكثر من ٦٥	١٢

وبالنظر إلى الجدول الدولي نجد أن الرياح هي العامل المؤثر فيما يحدث على سطح

البحر من ظواهر وتقاس قوة الريح بـ « البيفورت »^(١)، وتقاس سرعة الريح بـ « العقدة » وقد قسمت الرياح في الجدول بحسب قوتها من الرقم صفر إلى الرقم ١٢ (بيفورت) ومقابل كل رقم في القوة حساب سرعة الريح ث واسم الريح وارتفاع الموج بالمترورقم الشفرة الذي كان يدل على حالة البحر لطمأنة السفن ، وأفضل تصنيف للرياح أن تصنف بحسب قوتها لأن ارتفاع الأمواج في البحر تكون بسبب قوة الريح وشدة ضغطها على سطح البحر ، وهذا التصنيف لم يتم إلا بعد دراسة جميع الظواهر البحرية ومعرفة جميع حالات البحر والإحاطة بجميع الخصائص لكل نوع من أنواع هذه الرياح، وقد استغرق هذا فترة زمنية طويلة بحيث تم ركوب البحار والمحيطات في جميع فصول السنة، والجدول الدولي يغرق في التفاصيل التي يمكن إجمالها في وصف شامل بتفاصيل الرياح لأنها تتشابه في كثير من صفاتها بما لا يحدث تأثيراً على سطح البحر وراكبه كما هو الحال في تقسيمهم لمجموعة النسيم إلى ستة أقسام وهو تقسيم زائد عن حاجة راكب البحر فالكل بالنسبة له نسيم ورياح طيبة ليس فيها أي ضرر عليه، لذلك يمكن أن تجمع هذه الأقسام الستة في نوع واحد هو **الرياح الطيبة** .

كذلك تقسيماتهم لمجموعة العاصفة فيه تفصيل زائد عن الحاجة فكلها رياح تعصف بالسفينة ولها سمات متشابهة يمكن جمعها في نوع واحد من الرياح وهي « الرياح العاصفة » مع اختلاف في درجاتها . ورياح الزوبعة والإعصار تشترك في إحداث ظواهر غير عادية، ولأنها تؤدي إلى غرق السفينة، يمكن تسميتها **بالرياح القاصفة** .

(١) نسبة إلى فرانسيس بيوفورت (١٧٧٤م-١٨٥٧م)، مجلة الإعجاز، العدد (٢٢) رمضان (١٤٢٦هـ)، ص ٥١.

جدول (٢) ملخص حالات الرياح المختلفة وعلاقتها بالبحر

متوسط ارتفاع الموج بالمتر	وصف حالة البحر	رقم الشفرة	حالة البحر	المصطلح القرآني	اسم الرياح	السرعة بالعقدة	قوة الرياح بالبيفورت
صفر	الصورة ١٧	صفر	ساكن	ساكنة	ساكنة	أقل من ١	صفر
١, ٠-٤	الصو ر ١٨-٢٣	١-٥	ساكن مرتعش- مضطرب	طيبة	هواء خفيف + مجموعة النسيم	١-٢٧	١-٦
٤-١٤	الصور ٢٧-٢٤	٦-٨	مضطرب جداً- عالي جداً	عاصفة	مجموعة العاصفة	٢٨-٥٥	٧-١٠
١٤-٢٠	الصورة ٢٨	٨, ٩	شاهق يصحبه ظواهر غير عادية	قاصف	زوبعة + إعصار	٥٦-أكثر من ٦٥	١١-١٢

وبناء على ما سبق يمكننا أن نقسم الرياح على سطح البحر إلى أربعة أنواع رئيسة، بحيث يكون هذا التقسيم واضحاً بسيطاً ومعبراً عن الفروق الأساسية بين أنواع هذه الرياح، ودالاً على أثر الرياح على البحر وراكبه، وهو المقصود الأساسي لتصنيف الرياح في البحار وهذه الأنواع هي:

أولاً: الرياح الساكنة. ثانياً: الرياح الطيبة.

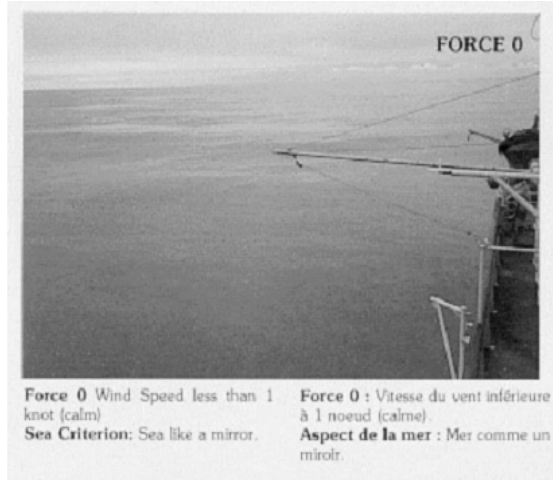
ثالثاً: الرياح العاصفة. رابعاً: الرياح القاصفة.

وبذلك نصل إلى جدول شامل بسيط ومعبر عن كل أنواع الرياح وآثارها على البحر وراكبه أنظر الجدول رقم (٢). وسنذكر باختصار خصائص كل نوع منها، مع الصور الموضحة لها:

الرياح الساكنة:

هي التي لا ينتج عنها أي أثر على السفن التي تطفو فوق سطح البحر فتكون قوة الرياح «صفرًا» وسرعتها أقل من عقدة، واسم الرياح «ساكنة» وحالة البحر «ساكن» حيث لا توجد أي رياح لأن الموج لا يوجد له حركة رأسية إلى أعلى فلا يخفض السفينة ولا يرفعها وأما حركة السفينة وانزياحها من مكان لآخر فليس من الموج وإنما سببه حركة التيار السطحي للماء فعندما تكون قوة الرياح «صفرًا» فإن هذا يعني أن الموج لا يحدث حركة رأسية للسفينة ولا التيار السطحي يحدث إزاحة أفقية فتكون حالة البحر «ساكن» ويصبح كأنه قطعة من السمن الجامد وأما حالة السفينة فهو «الركود» فلا حركة رأسية ولا حركة سطحية. انظر الصورة «١»

الصورة رقم
(١٧): تظهر
فيها الرياح
الساكنة وارتفاع
الموج فيها "
صفر "
وتظهر صورة
السفينة في البحر



وهذه الحالة وصفها القرآن الكريم بأدق لفظ قال تعالى : (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [الشورى: ٣٣].

الرياح الطيبة :

عندما تكون قوة الرياح من « ١-٦ بيفورت » توصف حسب قوتها بالتدرّيج: هواء خفيف، ثم نسيم خفيف، ثم نسيم لطيف، ثم نسيم معتدل، ثم نسيم ناهض نشط، ثم نسيم ناهض شديد، فكل هذه الأصناف تجمعها أنها ريح طيبة حيث لا ينشأ عنها أمواج ضارة، فيكون أثرها طيباً يدخل البهجة والسرور والفرح على راكب البحر وتأتيه بنسيم لطيف وهواء نقي، انظر الصور من ١٩-٢٤. وهذه هي الرياح هي التي وصفها القرآن الكريم بأنها ريح طيبة في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا ...) [يونس: ٢٢]، فوصف السفينة بأنها تجري بسبب الريح الطيبة ووصف راكب السفينة بأنه في حالة فرح .

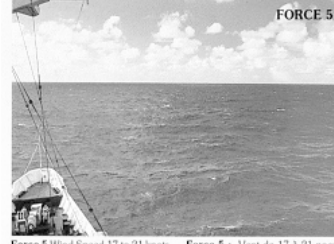


الصورة (٢٣): حالة البحر مضطرب ، اسم الرياح
تسيم ناهض شديد ، ارتفاع الأمواج (٢.٥-٤ م)



Force 6 Wind Speed 22 to 27 knots, (strong breeze)
Sea Criterion: Large waves begin to form; the white foam crests are more extensive everywhere (probably some spray).
Probable Wave Height: 3 to 4 m (9.5 to 13 ft)
Force 6 : Vent de 22 à 27 noeuds (vent frais).
Aspect de la mer : De grosses vagues (lames) commencent à se former; les crêtes d'écume blanche sont plus étendues; habituellement quelques embruns.
Hauteur probable des vagues : 3 à 4 m (9,5 à 13 pi).

الصورة (٢٢): حالة البحر معتدل ، اسم الرياح تسيم
ناهض نشط ، ارتفاع الأمواج (١.٥-٢.٥ م)



Force 5 Wind Speed 17 to 21 knots, (fresh breeze)
Sea Criterion: Moderate waves, taking a more pronounced long form; many white horses are formed (chance of some spray).
Probable Wave Height: 2 to 2.5 m (6 to 8.5 ft)
Force 5 : Vent de 17 à 21 noeuds (bonne brise).
Aspect de la mer : Vagues modérées prenant une forme plus nettement allongée; formation de nombreux moutons; parfois quelques embruns.
Hauteur probable des vagues : 2 à 2.5 m (6 à 8,5 pi).

الرياح العاصفة:

حين تكون قوة الرياح من «٧-١٠ بيفورت» وتكون سرعتها من «٢٨-٥٥ عقدة» يكون اسم هذه الرياح «العاصفة» وتتدرج حسب قوتها من (عاصفة معتدلة ثم عاصفة ناهضة ثم عاصفة شديدة ثم عاصفة هوجاء) وكل هذه الأوصاف يجمع بينها وصف «عاصفة» ويكون ارتفاع موج البحر عالياً جداً قد يصل إلى «١٤ متراً» أي أنه يغطي السفينة ويكون ركاب البحر في حالة خوف شديد وعلى يقين بالهلاك، لأن قوة الرياح تضغط على سطح البحر فتحدث شكلاً مقعراً يجعل الموج يرتفع من كل مكان ويحيط بالسفينة من كل الجهات وقد تغرق السفينة وقد تنجو، (انظر الصور ٢٤-٢٧). وهذه الرياح سماها القرآن الكريم بالعاصفة في قوله تعالى: (... جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [يونس: من الآية ٢٢]



FORCE 8
Force 8 Wind Speed 34 to 40 knots, (gale)
Sea Criterion: Moderately high waves of greater length; edges of crests begin to break into the spindrift; the foam is blown in well marked streaks along the direction of the wind.
Probable Wave Height: 5.5 to 7.5 m (18 to 25 ft)
Force 8 : Vent de 34 à 40 noeuds (coup de vent).
Aspect de la mer : Lames de hauteur moyenne et plus allongées; au bord supérieur leurs crêtes commencent à se détacher des tourbillons d'embruns; l'écume est soufflée en traînées très nettes orientées dans le lit du vent.
Hauteur probable des vagues : 5,5 à 7,5 m (18 à 25 pi).

الصورة (٢٥): حالة البحر عالي، اسم الريح عاصفة تاهضة، ارتفاع الأمواج (٦ - ٩ م)



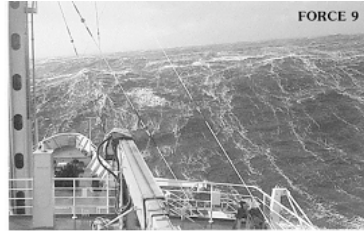
FORCE 7
Force 7 Wind Speed 28 to 33 knots, (fresh gale)
Sea Criterion: Sea heaps up and white foam from breaking waves begins to be blown in streaks along the direction of the wind.
Probable Wave Height: 4 to 5.5 m (13.5 to 19 ft)
Force 7 : Vent de 28 à 33 noeuds (grand frais).
Aspect de la mer : La mer grossit; l'écume blanche qui provient des lames déferlantes commence à être soufflée en traînées qui s'orientent dans le lit du vent.
Hauteur probable des vagues : 4 à 5,5 m (13,5 à 19 pi).

الصورة (٢٤): حالة البحر مضطرب جداً، اسم الريح عاصفة معتدلة، ارتفاع الأمواج (٤ - ٦ م)



FORCE 10
Force 10 Wind Speed 48 to 55 knots, (storm)
Sea Criterion: Very high waves with long overhanging crests; the resulting foam, in great patches is blown in dense white streaks along the direction of the wind; on the whole, the surface of the sea takes a white appearance, the tumbling of the sea becomes heavy and shock-like; visibility affected.
Probable Wave Height: 9 to 12.5 m (29 to 41 ft)
Force 10 : Vent de 48 à 55 noeuds (tempête).
Aspect de la mer : Très grosses lames à longues crêtes en panache; l'écume produite s'agglomère en larges bancs et est soufflée dans le lit du vent en épaisses traînées blanches; dans son ensemble, la surface des eaux semble blanche; le déferlement en rouleaux devient intense et brutal; la visibilité est réduite.
Hauteur probable des vagues : 9 à 12,5 m (29 à 41 pi).

الصورة (٢٧): حالة البحر عالي جداً، عاصفة هوجاء، ارتفاع الأمواج (٩ - ١٤ م)



FORCE 9
Force 9 Wind Speed 41 to 47 knots, (strong gale)
Sea Criterion: High waves; dense streaks of foam along the direction of the wind; crests of waves begin to topple, tumble and roll over; spray may affect visibility.
Probable Wave Height: 7 to 10 m (23 to 32 ft)
Force 9 : Vent de 41 à 47 noeuds (fort coup de vent).
Aspect de la mer : Grandes lames, épaisses traînées d'écume dans le lit du vent; la crête des lames commence à vaciller, s'écrouler et déferler en rouleaux; les embruns peuvent réduire la visibilité.
Hauteur probable des vagues : 7 à 10 m (23 à 32 pi).

الصورة (٢٦): حالة البحر عالي جداً، اسم الريح عاصفة شديدة، ارتفاع الأمواج (٩ - ١٤ م)



FORCE 11
Force 11 Wind Speed 56 to 63 knots, (violent storm)
Sea Criterion: Exceptionally high waves (small and medium-sized ships might be for a time lost to view behind the waves); the sea is completely covered with long white patches of foam lying along the direction of the wind; everywhere the edges of the wave crests are blown into froth; visibility affected.
Probable Wave Height: 11.5 to 16 m (37 to 52 ft)
Force 11 : Vent de 56 à 63 noeuds (violente tempête).
Aspect de la mer : Lames exceptionnellement hautes (les navires de petit et de moyen tonnage peuvent disparaître quelques secondes derrière les lames); la mer est complètement recouverte de longs bancs d'écume dans le lit du vent; le bord des crêtes est soufflé et donne de la mousse; visibilité réduite.
Hauteur probable des vagues : 11,5 à 16 m (37 à 52 pi).

الصورة (٢٨): حالة البحر عالي جداً، اسم الريح عاصفة شديدة جداً، ارتفاع الأمواج (١١,٥ - ١٦ م)

الرياح القاصف :

حين تكون قوة الريح « ١١ بيفورت » وسرعتها « ٥٦-٦٥ عقدة » يكون اسمها « إعصار » ويكون البحر شاهقاً يصاحبه ظواهر غير عادية وعندما تكون قوة الريح « ١١ أو ١٢ بيفورت » فإنها تدمر السفن وتغرقها وخاصة ريح « الهاريكن Hurricane » التي تعصف بالسفن وتؤدي إلى تكسير سواريتها وأعمدتها وتدمرها حيث تصل سرعة الريح إلى أكثر من « ٦٥ عقدة » وهذه السرعة هائلة جداً ترفع أمواج البحر من « ١٨ - ٢٠ متراً » .

وعندما يرتفع الموج يرفع معه مقدمة السفينة إلى أعلى ثم ترتطم بشدة على سطح البحر، ثم ترتفع مؤخرتها إلى أعلى ثم ترتطم بشدة على سطح البحر، محدثة فجوات تحت جسم السفينة أثناء صعودها وهبوطها بهذه القوة، وتتخلخل أجزاء السفينة بالإضافة إلى تحطيم الأعمدة والسواري، هذه الرياح القاصف التي تقصف السفينة وتدمرها لا أمل معها للنجاة وقد وصفها القرآن الكريم في قوله تعالى : (أَمْ أَمْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيَرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) الإسراء: ٦٩ .

أوجه الإعجاز العلمي:

لقد جاءت التسميات في الجدول تعبر عن كل حالة وعن كل نوع من أنواع الرياح فأطلقوا على الحالة الأولى اسم ساكنة كما وصفها القرآن الكريم بأنها ساكنة ، وذلك في قوله تعالى: (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [الشورى: ٣٣].

وأطلقوا على الريح الثانية: مجموعة النسيم والتي يمكن أن نسميها بالريح الطيبة كما وصفها القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرٍ مَّيْمَنٍ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا) [يونس: من الآية ٢٢].

وأطلقوا على الريح الثالثة: مجموعة العاصفة والتي وصفها القرآن الكريم بأنها « ريح عاصف » وذلك في قوله تعالى: (جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا

أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ [يونس: من الآية ٢٢].

وأطلقوا على الريح الرابعة مجموعة الزوبعة والإعصار والتي تقصف السفينة فتدمرها وقد وصفها القرآن الكريم بأنها « ريح قاصف » وذلك في قوله تعالى: (أَمْ أَمْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) [الإسراء: ٦٩].

ولكن من ضبط هذه التسميات الدقيقة؟ ومن وضع هذه المصطلحات لمحمد صلى الله عليه وسلم؟ قال تعالى (لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) [النساء: ١٦٦].

فقد وصفت الآيات القرآنية نوع الريح وحالة البحر وحالة راكب البحر في كل هذه الأنواع: ففي الأولى « الساكنة »: وصف السفينة بأنها في حالة ركود « فيظللن رواكد على ظهره » فالسفينة متوقفة وليس لها حركة أفقية ولا رأسية.

وفي الريح الثانية: « الطيبة » يصف لنا القرآن الكريم بأن الريح طيبة تجري بالسفينة «وجرين بهم بريح طيبة» وأن راكب السفينة في حالة بهجة وسرور وفرح « وفرحوا بها ». وفي الريح الثالثة: « العاصفة » فقد اشتدت الريح وأصبحت من النوع العاصف « جاءتها ريح عاصف ». وهنا جاء وصف جديد « وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ »، لأن هذا النوع من الموج يحيط بالسفينة من كل الاتجاهات، فالقرآن الكريم وصفها بأوضح عبارة وأدق لفظ وأحسن تعبير، ليدلنا ذلك على أنه من عند الحكيم الخبير. ووصف حالة راكب البحر بأنه يعيش في حالة خوف شديد عند مواجهة الريح العاصف في قوله تعالى: « دعوا الله مخلصين له الدين ... » وهذا بسبب ما رأوه من إحاطة الموج واشتداد الريح والحالة المضطربة للبحر، ولما كان هناك أمل للنجاة من هذه العاصفة وصف القرآن الكريم حالتهم بعد النجاة « فلما نجاهم إلى البر إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق ... ».

وفي الريح الرابعة: « القاصفة » يصف القرآن الكريم ريحاً فيها تهديد لأولئك الذين أنجاهم الله من الريح العاصف، يهددهم بنوع جديد من الريح لا أمل معها للنجاة، ولذلك لم يذكر

في وصفهم بأنهم لجئوا إلى الله بل أتبعها بحرف التعقيب « الفاء » (فيغرقكم) ليفيد السرعة وعدم احتمال النجاة لأن الريح القاصف لا تنزل إلا عقوبة من الله عز وجل فتنزل بالهلاك للكافرين (بما كفرتم) والباء هنا للسببية وقد يكون الكفر كفر النعمة قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا، أَفَأَمَنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا، أَمْ أَمَنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) الإسراء: ٦٧-٦٩ .

إن هذه الآيات الثلاث تصف لنا قوماً أنجاهم الله من خطر البحر بعد أن دعوا الله عز وجل ولم يدعوا غيره فلما أنجاهم إلى البر أعرضوا فيقول الله لهم : إن الذي خفتم أن يغرقكم في البحر قادر على أن يغرقكم في البر، وذلك بأن يخسف بكم جانب البر ، وقد وجد علماء البحار أن أكثر الخسف يحصل بجانب البر أي في السواحل وما جاورها ، ثم يذكرهم سبحانه بأنه قادر على أن يرسل عليهم حاصباً من السماء، فلماذا تخافونه في البحر ولا تخافونه في البر ؟. إن هذا الوصف العجيب بهذه العبارات السهلة الواضحة والمعبرة عن الحقائق ليدلنا على أنه وحيٌّ أنزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم .

إن القرآن الكريم قد جاء بترتيب الرياح بحسب قوتها وأثرها ولم يطلقها مجرد أوصاف متناثرة، فبدأ بالساكنة فهي أضعف نوع « إن يشأ يسكن الريح » . ثم ذكر الأقسام الأخرى التالية :

- الريح الطيبة « وجرين بهم بريح طيبة » .

- الريح العاصفة « جاءتها ريح عاصف » . وفيها أمل للنجاة .

- الريح القاصفة والمدمرة « فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم » .

فمن أوجه الإعجاز القرآني ترتيبه هذه الأنواع بحسب قوتها ونتائجها ، وهذا هو كلام الله عز وجل الذي جعل البحر علماً لمحمد صلى الله عليه وسلم .

إن تأثير الرياح على البحر لم تكن ظاهرة ولا جلية ولم تعرف إلا بعد الاستقصاء والدراسات المستفيضة، والقرآن يبين أن السبب المباشر لحالة البحر وتغير أحواله هي الرياح، وأن

العلاقة بين البحر والرياح هي العلاقة الرئيسية التي تحكم حالة البحر وما ينشأ عنه من ظواهر ، ولم يتمكن الإنسان من معرفة ذلك بدقة إلا بعد أن ركب البحر وخاض أمواجه بأحدث الأجهزة والسفن فهذا وجه من أوجه الإعجاز القرآني.

إن تعبير القرآن الكريم عن أعقد الظواهر وأدقها قد جاء في أبسط صورة وأحسن عبارة، لتضمنه الحقائق العلمية بأدق تفاصيلها، وقدرته على التعبير عنها بأبسط الألفاظ والعبارات، فلوتكلم عالم من علماء البحار وحدثك عن علاقة الرياح بالبحار فسيقول كلاماً علمياً طويلاً مزدحماً بالمعلومات التي ربما لا تستوعبها إلا بصعوبة ، أما القرآن الكريم فيصف لنا هذه الحالات ويسوقها بعبارات سهلة ، دقيقة ، وبألفاظ مضبوطة تغطي الأمر كله وتشرح لنا أعقد القضايا والظواهر بأبسط أسلوب قال تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) [القمر: ١٧]، وإن هذا التبسيط للحقائق العلمية في القرآن مع الإحاطة الدقيقة والألفاظ المعبرة عن الحقائق بكفاءة عالية قد أثار البروفسور « ألفرد كرونر » فقال : « إن القرآن الكريم هو الكتاب العلمي المبسط »^(١) « Sempel teks book » فتعبير القرآن الكريم عن أعقد الظواهر بعبارات سهلة وقليلة وواضحة وجه من أوجه الإعجاز القرآني .

إن المعلومات عن الرياح والبحر لم تتجمع للإنسان ولم تيسر له إلا بعد رحلات طويلة وواسعة في البحار كلها ، وبعد إن رأى أنها تسير في البحار وفق سنة وقواعد ثابتة، وقام عبر عدة أجيال من الباحثين برصد لجميع حالات البحر وتوصل إلى تقسيمها وترتيبها في الجدول العالمي ، وهذا لا يتأتى إلا بركوب جميع البحار وعبر فصول السنة كلها ومشاهدة جميع الحالات ، ودراسة كل حالة من الحالات ، ووضع فوارق وفواصل وعلامات تدل عليها ، ولم يتم هذا إلا بعد أن تمكن الإنسان من ركوب البحر بأحدث الأجهزة والتقنيات، واستخدام القياسات الدقيقة، لأن الجدول يحدثنا عن ارتفاع الموج بالمتر وقوة الرياح بالبيفورت وسرعتها بالعقدة. ومن المستحيل أن يكون ذلك معروفاً في عهد محمد صلى الله عليه وسلم، أو بعده بقرون .

بل إن هذا التقسيم لم يكن موجوداً في كتب البحار قبل عصر النهضة الحديثة في القرنين

(١) أنظر شريط انه الحق إصدار هيئة الإعجاز العلمي، وكتاب إنه الحق (٢٠٠٤)، الشيخ عبد المجيد الزنداني، ط دار وحي القلم الأولى، ص ١٤٣ ..

الثامن عشر والتاسع عشر ، فإذا ما رجعنا إلى تاريخ البحار كله لا نجد مثل هذا التقسيم ولا هذا التصنيف مما يدل على أن هذا التقسيم لم يكن في مقدور البشر قبل ١٤٠٠ عام ، فهذا العلم المحيط بالبحر وأحواله ، والرياح فيه ، والظواهر المصاحبة له ، والأحوال الدقيقة لكل حالة من أحواله ، لا يمكن أن يكون معلوماً عند أحد من البشر في زمن محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى: (لَكِنَّ اللَّهَ يُشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) النساء: ١٦٦ ، ليدلنا هذا على أنه من عند العليم الحكيم الخبير سبحانه ، وليكون معجزة قاطعة وحجة واضحة ومستمرة لمحمد صلى الله عليه وسلم تشهد بأنه الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم .

موج كالظلل



Photo Researchers, Inc. /S. Cazenave/© Microsoft Corporation. All Rights Reserved.

وقد ذكر القرآن الكريم أيضاً نوعاً من أنواع الأمواج يتكون على شكل ظلل ، وسبب هذا الموج أن تيار البحر يسير في اتجاه معين فتأتي الرياح بالاتجاه المعاكس تماماً ، فيحصل تصادم بين تيار البحر واتجاه الرياح ، فتنشأ موجة تشبه الظلة ، ثم يستمر هذا التصادم فتنشأ موجة أخرى فوقها ، ثم موجة ثالثة ، ثم موجة رابعة بسبب سرعة الرياح القوية ، فيكون الموج على شكل موجة واحدة لكنها متراكبة فوق بعضها كما قال تعالى: (وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) [لقمان: ٣٢].

أوجه الإعجاز في الآية:

١- يكون هذا الموج ذو القمم المتراكمة على بعضها مع وجود فجوات تحتها على شكل ظلل، والقرآن الكريم أتى معبراً عن هذا النوع بأدق الألفاظ الموضحة لذلك فعبر عن الموج «غشيهم موج» ووصف شكله «كالظلل» ولم يقل ظلة لأنها عبارة عن عدة ظلل متتابعة.

٢- إن لفظ «غشيهم» يدل على أن هذا الموج غطاهم من فوقهم لكنه لم يحط بهم من كل الاتجاهات فهو موج بارتفاع هائل يغطي السفينة كما رأيناه في الصورة فهو يختلف عن الموج الذي رأيناه في الريح العاصف من حيث سبب التكوين والشكل وتأثيره على السفينة وراكب البحر.

٣- هدّد الله عز وجل الكافرين بالريح القاصف وأخبر بأنها تغرق السفينة ولم يهدد بهذا النوع من الموج مع أنه بشكل مخيف وبارتفاع هائل، لأن هذا الموج وإن كان بشكل مخيف وبارتفاع هائل وقد يغطي السفينة كما وصفت الآية «يغشاهم»، إلا أن هذا الموج لا تصل خطورته إلى خطورة الموج الذي ينشأ عن الريح القاصف فالسفينة تستطيع اختراق هذا الموج الذي يتشكل كالظلل ولا يصيبها أي ضرر ولذلك فقد جعل الله عز وجل الأمل للنجاة من هذا النوع فبين حالة راكب البحر عند مواجهة هذه الأمواج قال تعالى: (وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) [لقمان: ٣٢].

وجعل التهديد بالغرق بالريح القاصف لأن الظواهر المصاحبة لها تدمر السفينة وتقصفها ولا يبقى أمل للنجاة وهذا أيضاً وجه من أوجه الإعجاز القرآني، قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَيَوْمَ أَنْزُسُهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت ٥٣].

المرجع :

١. اتجاه التفسير في العصر الحديث، (١٩٧٥)، مصطفى الطير الحديدي، طبعة مجمع البحوث الإسلامية، سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة.
٢. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة لندن ١٩٠٦ م، شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي .
٣. دور المسلمين في الجغرافيا (١٩٧٩ م)، ترجمة: فتحي عثمان، الكويت.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٥. الإسلام في عصر العلم، (١٩٧٣)، محمد أحمد الغمراوي، ط١ دار السعادة .
٦. الإسلام هو الحق « الأدلة القاطعة »، مجدي عبد الباقي شريف .
٧. الإسلام وتحديات العصر، (١٩٧٧)، عبد الغني عبود، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي
٨. الإسلام يتحدى (١٩٧٠)، وحيد الدين خان، ط١، تحقيق ومراجعة د. عبد الصبور شاهين، المختار الإسلامي، القاهرة .
٩. الإسلام يتحدى (١٩٧٠)، وحيد الدين خان، ط١، دار البحوث العلمية.
١٠. إسهام علماء المسلمين الأوائل في تطوير علوم الأرض (١٩٨٨)، د. زغلول راغب النجار، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.
١١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٤١٥هـ-١٩٩٥)، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر بيروت - لبنان.
١٢. أضواء على الثقافة الإسلامية للعالم الإسلامي (١٩٧٩)، نادية العمري، دار الاعتصام، القاهرة.
١٣. الإعجاز العلمي تأصيلاً ومنهجاً، (١٩٩٥)، عبد المجيد الزنداني مجلة الإعجاز العلمي، العدد الأول، صفر ١٤١٦ هـ - يوليو ١٩٩٥ م، ص ١٠-١٧.
١٤. الإعجاز العلمي في السنة النبوية، (١٩٩٣)، محمد كامل عبد الصمد، ط٢، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية .
١٥. الإعجاز العلمي في السنة النبوية، (٢٠٠٥)، زغلول النجار، ط٧: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة.
١٦. الإعجاز العلمي في القرآن، (٢٠٠٥)، عابد طه ناصف، ط١، مؤسسة للنشر والتوزيع بالقاهرة .
١٧. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (١٩٩٦)، حسن أبو العينين، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.
١٨. إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر (١٩٩٧)، الشيخ عبد المجيد الزنداني وآخرون، إصدار هيئة الإعجاز العلمي.
١٩. الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ط١. دار الكتب العلمية، بيروت .
٢٠. الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، (د.ت)، عبد الرحيم عبد القادر، ط١. دار الأنصار، القاهرة .
٢١. إنه الحق (٢٠٠٤)، للشيخ/ عبد المجيد الزنداني، ط دار وحي القلم الأولى، هيئة الإعجاز العلمي بمكة المكرمة.
٢٢. أوجه من إعجاز القرآن الكريم في وصف تحركات الرياح، د. أحمد عبد الله مكّي - جامعة الملك عبد العزيز، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - مكة المكرمة.
٢٣. بينات الرسول ٢ ومعجزاته، (٢٠٠٤)، عبد المجيد الزنداني، وآخرون، ط٥: مطبعة الآفاق صنعاء.
٢٤. بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته- (٢٠٠٤)، عبد المجيد بن عزيز الزنداني، ط٢، صنعاء، دار المجد .
٢٥. تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، (٢٠٠٣)، عبد المجيد الزنداني وآخرون، ط٣: دار المجد - صنعاء.

٢٦. التحرير والتنوير من التفسير، (١٩٨٤)، محمد الطاهر بن عاشور، طبعة الدار التونسية للنشر.
٢٧. تغيرات المناخ في العالم تحول صحاري أفريقيا إلى مزارع خضراء « جريد الأخبار عدد ١ / ١ / ١٩٩٠م
٢٨. تفسير ابن كثير، ابن كثير القرشي (٧٠٠ - ٧٧٤هـ). عماد الدين إسماعيل بن عمر والبصري ثم الدمشقي.
٢٩. تفسير التحرير والتنوير (١٩٨٤)، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.
٣٠. تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥.
٣١. التفسير العلمي للقرآن في الميزان، (١٩٩٩)، أحمد عمر ابوحجر، رسالة دكتوراه، ط ١، دار قتيبة، بيروت.
٣٢. تفسير القرطبي الجامع لإحكام القرآن، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (٦٠٠ - ٦٧١هـ، ١٢٠٤ - ١٢٧٣م) دار الشعب القاهرة.
٣٣. تفسير المراغي، (١٩٨٥)، محمد المراغي، ج ١، ط ٢، دار إحياء التراث العربي.
٣٤. تفسير بن باديس، (١٩٦٤)، عبد الحميد ابن باديس، ط الكيلاني الصغير.
٣٥. تفسير سفيان الثوري (١٤٠٣)، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى.
٣٦. تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، دار النشر: المنشورات العلمية - بيروت، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي.
٣٧. التفسير والمفسرون، (د.ت)، محمد حسين الذهبي، ج ٢، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٨. تكنولوجيا الفضاء الكوني والإعجاز العلمي، (١٩٩٣)، عبد العليم عبد الرحمن خضر، ط ٢: الدار السعودية للنشر والتوزيع.
٣٩. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث، موريس بوكاي، (١٩٧٢)، ترجمة نخبة من الدعاة - ط الأولى، دار الكندي، بيروت.
٤٠. جواهر القرآن ودرره، (١٩٨٣)، الإمام محمد الغزالي، ط. الخامسة، دار الآفاق الجديدة.
٤١. الجواهر في تفسير القرآن، (د.ت)، طنطاوي جوهرى، ط دارالهلال - القاهرة.
٤٢. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (٢٠٠٣)، د. موريس بوكاي، طباعة دار الملتقى للطباعة والنشر، ص ١٤٥.
٤٣. شمس العرب تسطع على الغرب، (١٩٩٣)، زغريد هونكة، ط ٨، دار الآفاق الجديدة - بيروت.
٤٤. صراع مع الملاحظة حتى العظم (١٤٠٠)، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار العلم، بيروت.
٤٥. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (١٩٩٦م)، زكريا بن محمد القزويني، ط. طبعة القاهرة.
٤٦. علم وبيان (١٩٨٣)، عبد الرزاق نوفل، دراسة عن آثار الصيام على الإنسان.
٤٧. العلمانية والإسلام (١٩٧٦)، محمد البهي، القاهرة.

٤٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج٩، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت.
٤٩. الفيزياء ووجود الخالق، (٢٠٠١)، جعفر شيخ إدريس، ط١، الرياض، المنتدى الإسلامي.
٥٠. القرآن محاولة لفهم عصري، (د.ت)، مصطفى محمود، ط٣، دار المعارف.
٥١. القرآن والعلم، (١٩٦٨)، محمد جمال الدين الفندي، ط١.
٥٢. كتاب صورة الأرض (١٩٦٢م) ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، طبعة بيروت، .
٥٣. الكون والأرض والإنسان (١٤١٥-١٩٩٤)، رجاء عبد الحميد عرابي، دار الخير-دمشق، ط الأولى،
٥٤. الكون والإعجاز العلمي للقرآن، (١٩٩٦)، منصور حسب النبي، ط٣: دار الفكر العربي القاهرة.
٥٥. الله والعلم الحديث، (١٩٧٧)، عبد الرزاق نوفل، ط دار الشعب بالقاهرة .
٥٦. لسان العرب، ابن منظور الأفرريقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.
٥٧. الله يتجلى في عصر العلم (١٩٧٩)، جون كلوفر مونساما، مترجم، ط٢ بيروت لبنان.
٥٨. مباحث في إعجاز القرآن الكريم، (١٩٩٦م)، مصطفى مسلم، ط٢: دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض.
٥٩. مباحث في إعجاز القرآن، (١٩٩٦)، مصطفى مسلم، ط٢، الرياض، دار المسلم.
٦٠. مباحث في الثقافة الإسلامية (١٤٠٤-١٩٨٤)، نعيان السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض.
٦١. مباحث في علوم القرآن (١٤٢٠-١٩٩٩)، مناع القطان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ص٢١.
٦٢. مبادئ تاريخ الأرض، وليام لي ستوكوس أستاذ الجيولوجيا في جامعة أوتا William Lee Stokes، صفحة ١٨٨.
٦٣. مجلة الإعجاز العلمي، العدد الأول، صفر ١٤١٦هـ - يوليو ١٩٩٥م، ص١٠-١٧.
٦٤. مجلة الإعجاز العلمي، العدد (٢٢) رمضان (١٤٢٦هـ) ص٥١.
٦٥. المحمديون يقفون على جبال العلم، مجلة الإرشاد: ص٣٤، العدد الخامس، السنة التاسعة، جمادى الأولى ١٤٠٧هـ.
٦٦. مدخل إلى القرآن الكريم، (١٩٧١)، محمد مصطفى المراغي، ط١.
٦٧. مروج الذهب ومعادن الجواهر، أربعة أجزاء، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، القاهرة ١٩٥٨م.
٦٨. المسالك والممالك (١٩٦١م)، تحقيق: د/ محمد جابر الحيني، القاهرة.
٦٩. مظاهر كونية في معالم قرآنية، (١٩٩٦م)، محمد محمود عبد الله، ط١: مؤسسة الإيمان - بيروت.
٧٠. مع الله في الأرض، (ط.ت)، أحمد زكي، ط: دار الكلمة بيروت.
٧١. معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم، (١٩٨٣)، عبد الرزاق نوفل، ط دار الكتاب العربي بيروت.
٧٢. معجزة العصر، (١٩٩٨)، عبد المجيد الزنداني، ط دار الوفاء بيروت.
٧٣. معجزة القرآن، (١٩٧٨)، محمد متولي الشعراوي، ط١، المختار الإسلامي.

٧٤. المعجزة القرآنية الإعجاز العلمي والغيبى (٢٠٠٤)، محمد حسن هيتو، ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة .
٧٥. معجم البلدان ٢ / ٢٥، ياقوت الحموي، بيروت، ١٩٥٥ م .
٧٦. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، طهران، بدون تاريخ، ٣ / ١٩ .
٧٧. المقدمات في الجغرافيا الطبيعية، عبد العزيز طريح شرف ص ١٥٨، ١٩٩٥ م .
٧٨. من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢٠٠٥)، أ.د. حسن أبو العينين، طبعة ثانية، مكتبة العبيكان-الرياض.
٧٩. من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مع آيات الله السماء والأرض في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية، (٢٠٠٥)، حسن أبو العينين، ط ٢: مكتبة العبيكان الرياض.
٨٠. من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، (١٩٦٩)، محمد جمال الدين الفندى، ط ١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة .
٨١. موجز تاريخ الزمان، العالم الفيزيائي ستيفن هاوكنج STEPHEN HAWKING، ..
٨٢. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، (٢٠٠٥)، يوسف الحاج أحمد، ط ٢، دار ابن حجر - دمشق.
٨٣. الموسوعة البريطانية.
٨٤. الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال.
٨٥. الموسوعة العلمية إنسايكلوبيديا امريكانا ٧١. p. 194 .
٨٦. الموسوعة العلمية إنسايكلوبيديا انترناشنال ٧.2 p. 165-167 .
٨٧. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، شمس الدين الأنصاري الدمشقي، طبعة القاهرة ١٩٩٦ م .
٨٨. نظرات جديدة في القرآن المعجز، (١٩٩٧)، محمد عادل القليل، ط ١، دار الجليل، بيروت .
٨٩. وثائق المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (١٩٨٧)، البحوث المقدمة للمؤتمر، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة .
٩٠. ولادة العلوم الجيولوجية وتطورها، فرانك دي آدمز، نيويورك، دوفر، ١٩٣٨ م.

والحمد لله رب العالمين



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

الفساد البيئي براً .. وبحراً .. وجواً ..

أحمد مليجي

استاذ الجيولوجيا والبيئة المشارك بالمركز القومي للبحوث - القاهرة

وعضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة



النص المعجز

قال تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ
بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [سورة الروم: ٤١].

ملخص البحث:

إن من أشد الأسلحة الفتاكة التي تستخدم في قتل الإنسان وبصورة جماعية ، ولا ترجمه قوياً أو ضعيفاً ، أو غنياً أو فقيراً ، ألا وهو سلاح الفساد البيئي ، وكأن ذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سورة الروم: ٤١]. وتشير الآية الكريمة بجلاء ووضوح إلى الفساد الذي يدمر البر والبحر نتيجة لتدخل الإنسان في قوانين المنظومة البيئية المتزنة. كما توضح الآية الكريمة الضرر البالغ الذي يحل بالإنسان من جراء عمله هذا ، قال تعالى: {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا}. فإذا فسد الناس تركهم الله - سبحانه وتعالى - وشأنهم حتى يذوقوا بعض نتائج أعمالهم ، لعلهم يرجعون وينتبهون إلى الله - عز وجل . أما من الناحية العلمية فقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن التلوث البيئي يؤدي إلى إختلال المنظومة البيئية ، وبالتالي يسبب الأمراض القاتلة التي تؤدي بحياة البشر وباقي الكائنات الحية التي تعيش في البر والبحر. ومشكلة الفساد البيئي وإن بدت في أول الأمر مشكلة إقليمية تعاني منها بعض الدول ، إلا أنها تحولت إلى مشكلة عالمية وعائق من عوائق تقدم الحضارة البشرية. والتلوث ليس له وطن واحد لأنه ينتقل بواسطة الرياح والأمواج والطيور عبر القارات حاملاً معه الملوثات الخطرة لتصيب البلدان التي تمر بها. ولقد تصاعدت ملوثات الغازات المنبعثة مثل غازات الصوبة الخضراء «greenhouse gases» مسببة حدوث ظاهرة الاحتباس الحراري «Global Warming» ، كما تصاعدت معدلات الغازات الملوثة المنبعثة من البر والبحر لتتفاعل مع طبقة الأوزون محدثة الثقوب

السماوية في هذه الطبقة «Ozone Hole» ومسببة اضطراباً بالغة في الحياة على اليابسة نتيجة تسرب الأشعة فوق البنفسجية من خلال طبقة الأوزون.

ولقد أشارت الآية الكريمة إلى ظهور الفساد في البر والبحر والتي جاءت بصيغة الماضي في كلمة {ظَهَرَ}، وذلك لأن المستقبل عند الله هو حقيقة واقعة لا بد منها وكأنها وقعت حتماً بالنسبة لله تعالى ولا مفر من حدوثها. وقد حدث التلوث وأصبح في يومنا هذا أخطر مشكلات العصر وأكثرها تعقيداً وأصعبها حلاً. ولقد اقتضت الآية الكريمة على ذكر الفساد الناتج عن الإنسان في البر والبحر ولم تذكر في الجو، وهذا من أسرار البيان في التعبير القرآني حيث إنه يأتي بأمور تتناسب مع فهم المعاصرين آنذاك عند نزول الآية دون أن يتعارض مع المستقبل الذي حدث فيه هذا الفساد جواً بسبب الإنسان. كما أن فساد الجومر تبط ارتباطاً وثيقاً بفساد الإنسان براً وبحراً، وكل ما أصاب الجومر ملوثات وتغيرات مناخية تؤثر تأثيراً مباشراً بالضرر مرة أخرى على البر والبحر بفعل الجاذبية الأرضية.

إن الهدف من هذا البحث المتواضع الذي ارتكز أساساً على الآية المعجزة، آية حدوث ظاهرة الفساد في البر والبحر، هودق ناقوس الإنذار على أن تحقيق التنمية التي هي ضالة كل مجتمع، لا ينبغي أبداً أن تتم على حساب التوازن الإيكولوجي. كما أظهر البحث الحلول التي أشار لها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان، فالإسلام حقيقة يتمتع بنظرة أعمق وأوسع للبيئة، حيث طالب الإنسان بأن يتعامل معها من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها حتى يستمر الوجود، قال تعالى: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين} [سورة الأعراف: ٨٥].

من أقوال المفسرين:

جاء في تفسير الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} يقول تعالى ذكره: ظَهَرَتْ الْمَعَاصِي فِي بَرِّ الْأَرْضِ وَبَحْرِهَا بِكَسْبِ أَيْدِي النَّاسِ مَا نَهَاهُمْ اللَّهُ عَنْهُ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمُرَادِ مِنْ قَوْلِهِ: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} فَقَالَ

بَعْضَهُمْ: عُنِيَ بِالْبَرِّ: الْفَلَوَاتُ ، وَبِالْبَحْرِ: الْأَمْصَارُ وَالْقُرَى الَّتِي عَلَى الْمِيَاهِ وَالْأَنْهَارِ.. حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ: ثنا أَبِي ، عَنْ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيِّ ، عَنْ عِكْرَمَةَ {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} قَالَ: أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ بِحَرْكُمُ هَذَا ، وَلَكِنْ كُلُّ قَرْيَةٍ عَلَى مَاءٍ جَارٍ. قَالَ: ثنا يزيدُ بْنُ هَارُونَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ فَرْوَحٍ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} قَالَ: إِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الْأَمْصَارَ بَحْرًا - حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ: ثنا يزيدُ ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلَهُ {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} قَالَ: هَذَا قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، امْتَلَأَتْ ضَلَالَةٌ وَظُلْمٌ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ، رَجَعَ رَاجِعُونَ مِنَ النَّاسِ . قَوْلُهُ: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} أَمَا الْبَرُّ فَأَهْلُ الْعُمُودِ ، وَأَمَا الْبَحْرُ فَأَهْلُ الْقُرَى وَالرِّيفِ . حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} قَالَ: الذُّنُوبُ ، وَقَرَأَ {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ: ثنا أَبُو عَامِرٍ ، قَالَ: ثنا قُرَّةٌ ، عَنْ الْحَسَنِ ، فِي قَوْلِهِ {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} قَالَ: أَفْسَدَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، فِي بَحْرِ الْأَرْضِ وَبَرِّهَا ، بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةَ . وَقَالَ آخِرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِالْبَرِّ: ظَهَرَ الْأَرْضُ ، الْأَمْصَارُ وَغَيْرَهَا ، وَبِالْبَحْرِ الْبَحْرُ الْمَعْرُوفُ . وَقَوْلُهُ: {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لِيُصِيبَهُمْ بِعُقُوبَةٍ بَعْضُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوا ، وَمَعْصِيَتِهِمُ الَّتِي عَصَوْا {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} يَقُولُ: كَيْ يَنْبِئُوا إِلَى الْحَقِّ ، وَيَرْجِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ ، وَيَتْرَكُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

وجاء في تفسير القرطبي: اختلف العلماء في معنى الفساد والبر والبحر؛ فقال قتادة والسدي: الفساد الشرك، وهو أعظم الفساد. وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: فساد البر قتل ابن آدم أخاه؛ قابيل قتل هابيل. وفي البحر بالملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا. وقيل: الفساد القحط وقلة النبات وذهاب البركة. وقيل: الفساد كساد الأسعار وقلة المعاش. وقيل: الفساد المعاصي وقطع السبيل والظلم؛ أي صار هذا العمل مانعا من الزرع والعمارات والتجارات؛ والمعنى كله متقارب.. بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض أي عقاب بعض (الذين عملوا) ثم حذف. والقول الآخر: أنه ظهرت المعاصي من قطع السبيل والظلم، فهذا هو الفساد على الحقيقة، والأول مجاز إلا أنه على الجواب الثاني، فيكون في الكلام حذف واختصار دل عليه ما بعده، ويكون المعنى: ظهرت المعاصي في البر

وَالْبَحْرَ فَحَبَسَ اللَّهُ عَنْهَا الْعَيْثَ وَأَعْلَى سَعْرَهُمْ لِيُذِيقَهُمْ عِقَابَ بَعْضِ الَّذِي عَمِلُوا. {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ. وَقَالَ: {بَعْضِ الَّذِي عَمِلُوا} لِأَنَّ مُعْظَمَ الْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ. وَالْقِرَاءَةُ {لِيُذِيقَهُمْ} بِالْيَاءِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالنُّونِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ السُّلَمِيِّ وَابْنِ مُحَيِّصِنٍ وَفُقَيْبٍ وَيَعْقُوبَ عَلَى التَّعْظِيمِ؛ أَيُّ نُذِيقَهُمْ عُقُوبَةَ بَعْضِ مَا عَمِلُوا.

وجاء في تفسير ابن كثير: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرَمَةُ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمُ الْمُرَادُ بِالْبَرِّ هَهُنَا الْفَيَافِي وَبِالْبَحْرِ الْأَمْصَارُ وَالْقَرَى وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرَمَةَ: الْبَحْرُ الْأَمْصَارُ وَالْقَرَى مَا كَانَ مِنْهَا عَلَى جَانِبِ نَهْرٍ وَقَالَ آخَرُونَ بَلِ الْمُرَادُ بِالْبَرِّ هُوَ الْمَعْرُوفُ وَبِالْبَحْرِ هُوَ الْبَحْرُ الْمَعْرُوفُ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ رُفَيْعٍ {ظَهَرَ الْفَسَادُ} يَعْنِي انْقِطَاعَ الْمَطَرِ عَنِ الْبَرِّ يَعْقِبُهُ الْقَحْطُ وَعَنِ الْبَحْرِ يَعْنِي دَوَابَّهُ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَقَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْمُقْرِي عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسِ الْأَعْرَجِ عَنْ مُجَاهِدٍ {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} قَالَ فَسَادَ الْبَرِّ قَتْلَ ابْنِ آدَمَ وَفَسَادَ الْبَحْرِ أَخْذَ السَّفِينَةَ غَضَبًا وَقَالَ عَطَاءُ الْخِرَاسَانِيِّ الْمُرَادُ بِالْبَرِّ مَا فِيهِ مِنَ الْمَدَائِنِ وَالْقَرَى وَبِالْبَحْرِ جَزَائِرُهُ. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَظْهَرَ وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ وَيُؤَيِّدُهُ مَا قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيَرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَلَّمَ صَالِحَ مَلِكٍ أَيْلَةَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِبَحْرِهِ يَعْنِي بِلَدِهِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ أَيُّ بَانَ النَّقْصُ فِي الزُّرُوعِ وَالثَّارِ بِسَبَبِ الْمَعَاصِي. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: مَنْ عَصَى اللَّهَ فِي الْأَرْضِ فَقَدْ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ لِأَنَّ صَلَاحَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ بِالطَّاعَةِ وَهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ «لِحْدِ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَى أَهْلِهَا مِنْ أَنْ يُمَطَّرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا» وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّ الْحُدُودَ إِذَا أُقِيمَتْ كَفَّ النَّاسُ أَوْ أَكْثَرَهُمْ أَوْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ تَعَاطِيِ الْمُحْرَمَاتِ وَإِذَا تَرَكْتَ الْمَعَاصِي كَانَ سَبَبًا فِي حُصُولِ الْبَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} الْآيَةُ أَيُّ يَتَلِيهِمْ بِنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ اخْتِبَارًا مِنْهُ لِهَمِّ وَجَزَاةً عَلَى صَنِيعِهِمْ {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أَيُّ عَنِ الْمَعَاصِي.

وجاء في تفسير الجلالين: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ} أَيُّ الْقِفَارُ بِقَحْطِ الْمَطَرِ وَقِلَّةِ النَّبَاتِ {وَالْبَحْرِ} أَيُّ الْبِلَادِ الَّتِي عَلَى الْأَنْهَارِ بِقِلَّةِ مَائِهَا «بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» مِنَ الْمَعَاصِي {لِيُذِيقَهُمْ} بِالْيَاءِ وَالنُّونِ {بَعْضِ الَّذِي عَمِلُوا} أَيُّ عُقُوبَتَهُ {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} يَتُوبُونَ.

خلاصة أقوال المفسرين: الفساد في دلالة القرآن والسنة هو الخروج عن حد الاعتدال بالكفر والشرك، والتعويق عن الإيمان، وبالمعاصي وإهلاك الحرث والنسل، وقتل النفس بغير حق، والسعي إلى قطع الطريق، والنهب والبغي والتخريب والعتو، والعودة إلى حياة الجاهلية بكل مظاهرها. تلکم الفساد والإفساد، والقائمون عليه مفسدون. وتشير الآية السابقة بجلاء ووضوح الي ظهور الفساد براً وبحراً بما كسبت أيدي الناس مسبباً للضرر البالغ الذي يجل بالإنسان من جراء عمله الفاسد {ليذيقهم بعض الذي عملوا}، فإذا فسد الناس تركهم الله - سبحانه - وتعالى وشأنهم حتى يذوقوا بعض نتائج أعمالهم، لعلهم يرجعون ويتنبهون.

الفساد كمصطلح لغوي: قال ابن منظور في «لسان العرب»: الفساد: نقيض الصلاح، فسَدَ يفسُدُ ويفسُدُ، وفسُدَ فساداً وفسوداً... المفسدة خلاف المصلحة، والاستفسادُ خلاف الاستصلاح. وقال ابن سيدة في «المحكم»، والراغب الأصفهاني في «المفردات»: «الفساد خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج أو كثيراً، ويضاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن».

التعريف اللغوي للبيئة: البيئة هي كلمة عربية مصدرها بَوَّءَ، ومنه باء بيوء، وبوَّء بتضعيف الواو من باب التفعيل بمعنى سدّد، ولذا يقولون بوَّء الرُّمَح، أي: سدده نحو هدفه وقابله به. ويقال: تبوَّء بمعنى نزل وأقام، وأستعمل في القرآن الكريم، فقال سبحانه وتعالى: {أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بِيوتًا} [سورة يونس: ٨٧] أي: اتخذوا بيوتاً. وقد يستعمل بباب الأفعال من أباؤه منزلاً، أي: هيئ له وأنزله فيه، قال سبحانه وتعالى: {والذين تبوَّءوا الدار والإيمان} [سورة الحشر: ٩]، أي: الذين سكنوا في المدينة واستقرت قلوبهم على الإيمان بالله. فالدار منزل مادي، والإيمان منزل معنوي. ويقال: بوأته منزلاً أي: جعلته ذا منزل. ومن هذا الاستعراض اللغوي يتضح معنى كلمة البيئة بأنها: «النزول والحلول في المكان»، ويمكن أن تطلق مجازاً على المكان الذي يتخذه الإنسان مستقراً للنزول وحلوله.

من الدلالات العلمية

التعريف العلمي للبيئة: البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان من جماد مثل السموات والأرض والجبال والوديان والبحار والتربة والماء والهواء والغازات ، وما يحيط بالإنسان من حيوان وطيور ونبات. كما تعرف البيئة كذلك بأنها «هي المحيط الذي يعتمد عليه الكائن الحي في حياته- فيئة الإنسان تشمل ما يحيط به من أرض وهواء وماء ونبات وحيوان وتربة وخامات وطاقة». أما البيئة في المعاجم الإنجليزية (Environment) فهي تعنى: مجموعة الظروف والمؤثرات الخارجية التي لها تأثير في حياة الكائنات (بما فيها الإنسان).

والفساد البيئي الذي صنعه الانسان في البر والبحر والجو حير العالم أجمع وعقدت من أجله العديد من الندوات والمؤتمرات على مستوى العالم لوضع الحلول المناسبة. وسنحاول -ان شاء الله- من خلال السطور القادمة إلقاء الضوء على بعض من صور الفساد البيئي في البر والبحر والجو وأثره على الانسان والكائنات الحية.

أولاً: الفساد البيئي..براً..

قد يتدخل الإنسان في إفساد بيئته بالاعتداء على اليابسة ، مما يؤدي إلى إصابته بأنواع مختلفة من حالات التسمم التي تصيبه بالعديد من الأمراض ؛ والتي قد تؤدي في النهاية إلى الوفاة. وتعتبر المعادن الثقيلة الناتجة عن مخلفات المصانع مثل الرصاص والزرنيق والزرنيخ والكاديوم والسيلينيوم وغيرهم ، من أخطر المواد التي تلوث التربة ؛ حيث تكون مركبات سامة يمتصها النبات فتصيب الإنسان والحيوان بالأضرار الصحية عند أكلها. ولقد أشار المولى عز وجل إلى أن البلد الطيب الذي أنعم الله عليه بالأرض الطيبة يخرج نباته جميلاً حسناً، أما البلد الخبيث الذي تغيرت تربته فخبثت وردت وملحت مشاربه فلا خير فيه ولا يخرج نباته إلا نكداً، قال تعالى {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا} [سورة الأعراف: ٥٨]. ولقد أصبح لا يخفى على أحد

زيادة حالات التسمم الغذائي نتيجة لتلوث المنتجات الزراعية ، ويعتبر الإنسان مصدر هذا النوع من التلوث. كما تعاني معظم الدول العربية من مشاكل تدهور التربة نتيجة ازدياد استخدام الأسمدة والمبيدات بصورة كبيرة في العقدين الماضيين بالدول العربية ، وخاصة في السعودية ومصر والعراق ودول المغرب العربي والسودان. ومما لا شك فيه أن استخدام المبيدات الحشرية والتي من أشهرها مادة الـ د. د. ت تسرب إلى جسم الإنسان خلال الغذاء الذي يأتيه من النباتات والخضروات مما يؤدي إلى التسمم بهذا المبيد ، ولهذا ازدادت الصيحات والنداءات في الآونة الأخيرة بضرورة عدم استعمال هذه المادة كمبيد حشري. وتظهر أعراض التسمم الغذائي على الإنسان نتيجة تلوث طعامه فيصاب بحالة من الغثيان والإسهال ، وتقلصات في المعدة والأمعاء ، وفي بعض حالات التسمم الغذائي تظهر الأعراض على هيئة شلل في الجهاز العصبي بجانب الاضطرابات المعوية. وهناك أنواع من البكتيريا تسبب حدوث تسمم الغذاء منها (ستافيلوكوكس والباسيلس والكوليرا والبروسيللا والسالمونيلا والكلوستريديوم)، وتكمن خطورة بعض هذه الميكروبات في أنها تفرز سموماً مقاومة للحرارة ، ولا يقضى عليها إلا بالتسخين لمدة طويلة ومن أمثلة هذا النوع أمراض السالمونيلوزيس ، وهي تنشأ عن تلوث الغذاء بميكروبات السالمونيلا والتي توجد في أمعاء كثير من الحيوانات الأليفة والبرية مما ينتج عنه تلوث التربة ومصادر المياه والصرف بالمناطق المحيطة ، وبالتالي زيادة فرص وصولها للغذاء والماء، وبصفة خاصة اللحوم والدواجن والبيض والألبان ومنتجاتها ، والمثال الآخر هو التلوث بميكروب الفريوبارا هيموليتكس ، وهو موجود على سواحل بحار العالم وبخاصة في المناطق الاستوائية والمعتدلة أثناء شهور الدفء ، وتصاب الأسماك والمحاريات بهذا الميكروب في البيئة المائية ، وتصبح وعاء لانتقال المرض.

ثانياً: الفساد البيئي..بحراً..

يقصد بتلوث الماء هو إحداث تلف أو إفساد لنوعية الماء حيث تصبح ضارة مؤذية وغير صالحة للإنسان وسائر الأحياء الأخرى. والفساد في البحر تشير إلى فساد جميع أنواع المياه (العذبة وغير العذبة)، كما أشار المولى عز وجل إلى ذلك فقال تعالى: {وهو الذي مَرَجَ البحرين هذا عذبٌ وهذا مِلْحٌ أُجَاجٌ وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً} [سورة الفرقان: ٥٣]. فالمقصود بالبحرين هنا: الماءان الكثيران الواسعان. وليس البحر المعروف في المصطلح الجغرافي الحديث ، ولذا بين المولى عز وجل نوعية هذه المياه ، فقال-عز من قائل- {هذا عذبٌ فُرَاتٌ وهذا مِلْحٌ أُجَاجٌ. فالفساد في البحر يشمل المياه العذبة (الأنهار والبحيرات) وغير العذبة (البحار والمحيطات). ويتلوث الماء عن طريق المخلفات الإنسانية أو النباتية أو الحيوانية أو المعدنية أو الصناعية أو الكيماوية التي تُلقي أو تُصبَّب في الماء سواء كان الإلقاء في البحار أو البحيرات أو الأنهار أو المياه الجوفية أو ما أشبه ذلك. ومن الآثار الضارة الناجمة عن تلوث المسطحات المائية بمياه الصرف الصحي أنها تحتوي بكتريا ضارة بالصحة وتسبب أمراضاً خطيرة منها: بكتريا السالمونيلا (Salmonella): التي تسبب مرض التيفود والحمى المعوية ، بكتريا الشيغلا (Shigella): التي تسبب الإسهال، بكتريا الإشريشيا كولاي (Escherichia coli): التي تسبب القيء والإسهال وتؤدي إلى الجفاف خاصة عند الأطفال، بكتريا اللبتوسيرا: (leptospira) التي تسبب التهابات الكلى والكبد والجهاز العصبي المركزي ، بكتريا الكوليرا: (Colera) التي تسبب مرض الكوليرا. وبذلك يتم انتقال الكثير من الأمراض الخطيرة بواسطة مياه المجارى إلى المسطحات المائية وتصبح مصدراً للعدوى ، وتعيش أنواع من هذه البكتريا في مياه هذه المسطحات حيث تجذ الغذاء متوافراً في الفضلات وتنفس من الأكسجين الذائب في الماء وتنعم بضوء الشمس الساقط على هذه المسطحات المائية ، ثم تنتقل هذه البكتريا المعدية إلى الإنسان إما عن طريق الجلد والجروح والقم عند السباحة في هذه المياه أو عند تناول الأسماك والكائنات البحرية المصابة بها. كما يحتوي زيت النفط على العديد من المواد العضوية الكثير منها يعتبر ساماً للكائنات الحية ومن أخطر تلك المركبات مركب البنزوبيرين (Benzopyrene) وهو من

الهيدروكربونات المسببة للسرطان ، ويؤدي إلى موت الكائنات الحية المائية. ولأن كثافة النفط أقل من كثافة الماء فهو يطفو على سطحه مكوناً طبقة رقيقة عازلة بين الماء والهواء الجوي، وهذه الطبقة تنتشر فوق مساحة كبيرة من سطح الماء (التر الواحد من النفط المتسرب في البحر يغطي بانتشاره مساحة تزيد عن ٤٠٠٠ م^٢ من المياه السطحية) تمنع التبادل الغازي بين الهواء والماء فتمنع ذوبان الأوكسجين في مياه البحر مما يؤثر على التوازن الغازي كما تمنع وصول الضوء إلى الأحياء المائية فتعيق عمليات التمثيل الضوئي التي تعتبر المصدر الرئيسي للأوكسجين والتنقية الذاتية للماء ، مما يؤدي إلى موت كثير من الكائنات البحرية واختلال في السلسلة الغذائية للكائنات الحية .

وتتعرض المسطحات المائية للتلوث بالعناصر الثقيلة السامة التي تؤثر سلباً على صحة الانسان وذلك نتيجة صرف المصانع علة هذه المسطحات ويوضح شكل (١) تراكم ورد النيل نتيجة صرف المصانع مما يدل على تراكم العناصر الثقيلة عند مصارف المصانع.



شكل (١) تجمعات من ورد النيل على المسطحات المائية نتيجة صرف مخلفات المصانع - مصر.

كذلك قد تتلوث المياه بالرصاص وذلك بسبب غرق السفن التي تحمل منتجات كيميائية يدخل في تكوينها الرصاص ، أو عندما تقوم المعامل الكيميائية بإلقاء نفاياتها وفضلاتها إلى هذه المسطحات المائية ، ثم تقوم التيارات المائية بنقل هذه السموم والمياه الملوثة بالرصاص من مكان إلى آخر ، ثم يتركز الرصاص في لحوم الأسماك والأحياء المائية ، ثم ينتقل إلى الإنسان مسبباً التسمم بالرصاص التي تسبب هلاك خلايا المخ والموت البطيء. كما تعد المنظفات الصناعية إحدى المواد الكيميائية المسؤولة عن تلوث مياه الأنهار والبحار ، وخاصة إذا كانت من نوع (المنظفات العسرة) التي تقاوم التحلل والتفكك وتبقى آثارها مدة طويلة مهما خففت بمياه الأنهار أو البحيرات وهي تعمل على عزل مياه النهر عن أوكسجين الهواء فيؤدى ذلك إلى خفض نسبة الأوكسجين الذائب في الماء مما يترتب عليه قتل كثير من الأسماك والأحياء المائية.

ثالثاً: الفساد البيئي..جواً..

إذا تأملنا قدرة الله سبحانه وتعالى في تكوين عناصر الغلاف الجوي نجد أنه متكون في غاية الدقة والتوازن. وتعتبر طبقة الأستراتوسفير « طبقة الأوزون» أحد الطبقات الحافظة والدرع الواقي للبيئة ضد مخاطر الأشعة فوق البنفسجية الضارة التي لو وصلت إلى سطح الأرض بكامل قوتها المنبعثة بها من الشمس لدمرت كل مظاهر الحياة ، ومن ثم تجلت قدرة الخالق العليم في بناء هذه الطبقة وأودع فيها كميات هائلة من غاز الأوزون O_3 الذي تتمثل إحدى وظائفه في ضبط وتقنين وصول الأشعة فوق البنفسجية إلى الأرض حيث لا تسمح إلا بمرور كميات محددة ومقدرة من قبل الخالق العليم يراها بعلمه أنها مفيدة وضرورية للحياة . ولعل أهمية هذه الطبقة كدرع واق يفسر لنا القلق والخوف الذي بدأ يساور البشرية بعد اكتشاف وجود ثقب في طبقة الأوزون في منطقة القطب الجنوبي (١٩٨٥).

ومن ثم بدأ العالم يتحرك كله في الوقت الحاضر ليتعرف على أسباب تدهور هذه الطبقة

الاستراتيجية الواقية وبحث الإجراءات الكفيلة بحمايتها من أجل مستقبل البشرية وفي سبيل تحقيق ذلك أبرمت في سبتمبر ١٩٨٧ اتفاقية دولية لحماية طبقة الأوزون نصت على ضرورة إيجاد بديل غير ملوث لغازات الكلوروفلوروكربون (CFCs) التي تبين أنها المسئول الرئيسي عن تدهور طبقة الأوزون. إذ عندما يصل غاز الكلوروفلوروكربون إلى طبقات الجو العليا يتحلل بفعل الأشعة فوق البنفسجية وينطلق ما فيه من «كلور مدمر الأوزون» إذ أن كل ذرة من الكلور قادرة على تحطيم (تحليل) ١٠٠,٠٠٠ جزيء أوزون. ومما يدل على خطورة ما أصاب طبقة الأوزون من تدهور متزايد ، عقد مؤتمر دولي في ١٨ مارس ١٩٨٩ في مدينة لاهاي حضره ٢٤ رئيس دولة وحكومة لمناقشة مشكلة طبقة الأوزون والإجراءات الكفيلة بحمايتها من خطر الملوثات الهوائية ومنها سرعة الحد من استخدام الكلوروفلوروكربون.

وقد أشارت الأنباء مؤخراً (يوليو ١٩٨٩) إلى اكتشاف ثقب صغير نسبياً أيضاً في منطقة القطب الشمالي مما يشير إلى أن تدمير الطبقة مستمر ، وما يحمله هذا الأمر من مخاطر لا طاقة لنا بها. إذ يؤدي تزايد وصول الأشعة فوق البنفسجية إلى الأرض إلى مخاطر كثيرة منها سرطان الجلد ، والتأثير في جهاز المناعة في الجسم ، والتأثير في المقدرة الإنتاجية للحيوانات والنباتات والتأثير في المادة الوراثية لخلايا الحمض النووي (DNA) إضافة إلى التغيرات المناخية المتوقعة. كما إن زيادة الأشعة فوق البنفسجية ستؤدي أيضاً إلى الإصابة بالحروق الشمسية والعمى الجليدي (Snow Blindness) والشيخوخة المبكرة وتجعد الجلد وأمراض العيون وبخاصة مرض السد العيني (Cataract) (وهو عبارة عن عتمة تصيب عدسة العين البلورية)، وتؤدي أيضاً إلى تشوه الأجنة وإضعاف جهاز المناعة في جسم الإنسان.

كما أن مياه الأمطار عندما تسقط على الأرض تتخلل مسام التربة حتى تصل إلى المياه الجوفية. وقد يحمل الماء الذي يجري من سطح التربة إلى المياه الجوفية الكثير من الملوثات التي توجد في التربة أو الهواء مثل مخلفات المواد الصناعية التي أشرنا إليها سابقاً ، أو المبيدات الحشرية ، أو الأسمدة الكيماوية التي تستخدم في الزراعة الحديثة.

رابعاً: علاقة الجو.. بالبر والبحر

تعتبر مشكلة تلوث الهواء من أكثر المشاكل التي تواجه العالم بحددة، كما أنها تحتاج إلى جهود جبارة للتقليل من آثار التلوث الهوائي، فضلاً عن الحاجة الماسة لمساهمة العديد من العلوم والاختصاصات المختلفة في عمل برامج لتساهم في شتى مجالات الصناعة بدءاً بالسيارات وانتهاءً بالمصانع على اختلاف أنواعها.

ويعرف التلوث (الفساد) الجوي بأنه نتيجة وجود أي مواد صلبة أو سائلة أو غازية بهواء بكميات تؤدي إلى أضرار فسيولوجية واقتصادية وحيوية بالإنسان والحيوان والنباتات والكائنات البحرية. يتضح لنا من هذا التعريف أن الفساد الجوي له علاقة مباشرة بتأثيره الضار على المحتوى الحيوي في البر والبحر. ولقد برزت مشكلة الفساد الجوي مع ظهور الثورة الصناعية في العالم، ثم مع ازدياد عدد وسائل المواصلات وتطورها، فهي تنفث كميات كبيرة من الغازات التي تلوث الجو، كغاز أول أكسيد الكربون السام، وثنائي أكسيد الكبريت والأوزون. كما تسبب المفاعلات النووية تلوثاً حرارياً للماء مما يؤثر تأثيراً ضاراً على البيئة وعلى الإنسان وبقية الكائنات الحية. فالملوثات الجوية تتساقط بفعل الجاذبية الأرضية، أو بواسطة الأمطار فتلوث كل شيء، وتتلف كل شيء في البر والبحر.

ولقد اقتضت الآية الكريمة (آية: ٤١) من سورة الروم على ذكر الفساد الناتج عن الانسان في البر والبحر، كما قال تعالى {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} ولم تذكر الفساد الناتج عن الجو، وهذا من أسرار بلاغة القرآن حيث انه يأتي بأمور تتناسب مع فهم المعاصرين آنذاك دون أن يتعارض مع المستقبل الذي سيتم فيه الفساد جواً بسبب الإنسان، بل لو أخبروا بذلك في ذلك الوقت لكذبوا به، لبعده عن الواقع الذي يعيشونه في ذلك التاريخ. ونجد في ذلك أروع نماذج الدقة والمصدقية في التعبير، وهو أمر لا يمكن تذوقه إلا لمن أخذ بجانب من معرفة دلالات الألفاظ وأساليب العربية. ويشابه ذلك تماماً اللمسة البيانية الرائعة التي جاءت في عدم ذكر (الجو) وذلك في قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [سورة الإسراء: ٧٠]، ونلاحظ أن الله عز وجل قد استعمل صيغة الماضي في الآية (كرمنا، حملناهم) لأنه عند نزول هذه الآية الكريمة لم يكن في وقتها طائرات أو صواريخ تحمل الناس في الجو، بل لو أنهم أخبروا بذلك في ذلك الوقت لكذبوا به. فليس من المناسب

الامتنان عليهم بشيء لم يقع. ولكن الله عز وجل يعلم أنه سوف يأتي زمان يستخدم فيه الطائرات والصواريخ ، ولذا أشار المولى عز وجل في موضع آخر من كتابه العزيز إلى المستقبل فقال تعالى: {وَالْحَيْلَ وَالْبُغَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرَكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [سورة النحل: ٨]. فقد اشتمل قوله تعالى: {وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} على كل ما يصل إليه تطور العلم الحديث في الحاضر والمستقبل من الطائرات وغيرها ، وأن لفظ (يخلق) فعل مضارع ، ودلالته الأصلية على الزمان المستقبل.

المنظور الإسلامي للفساد البيئي

لقد خلق الله -عز وجل- كل شيء بمقدار وميزان وترتيب وحساب لكي يتلاءم مع مكانه وزمانه ، وبحيث يتم هذا التوازن المتكامل الشامل مع جميع المخلوقات مما يحقق النفع ولا يضر غيره ، كما بين المولى -عز وجل- {وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيًّا، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} [سورة الحجر/ ١٩]. ويعتبر هذا التقدير الدقيق هو الأصل في خلق الله -عز وجل- لجميع مخلوقاته، وهو الظاهرة العامة في روعة وتكامل المنظومة البيئية المتزنة كما بين المولى -سبحانه وتعالى- {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [سورة الرعد: ٨]، وقال عز من قائل {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا} [سورة الفرقان: ٢]، وقال أيضا {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [سورة القمر: ٤٩]، وقال -عز وجل- {وَأَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خِزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ} [سورة الحجر: ٢١]. وتدل الآيات السابقة دلالة واضحة على أن الأرض بما فيها من مكونات بيئية خلقها الله -عز وجل- في منظومة متكاملة ، وكل مواردها البيئية الحية كالحیوان والنبات ، وغير الحية كالهواء والماء والتربة ، تخضع جميعا لقانون التوازن الدقيق ، حيث بين سبحانه وتعالى أن كل ما على الأرض وما فيها من مكونات مختلفة إنما هو بمقدار محدد ونسب ثابتة. وأي اعتداء على عنصر من عناصر الأرض هو اعتداء على جميع ما فيها لأنه سيؤدي لا محالة إلى اضطراب في وظائف هذه العناصر مما يؤدي إلى اختلال العلاقات التفاعلية التبادلية بينهم مسببة الكثير من الأخطار التي تهدد المحتوى الحيوي بما فيه الإنسان. فالإسلام حقيقة يتمتع بنظرة أعمق وأوسع للبيئة ، حيث طالب الإنسان أن يتعامل معها من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها حتى يستمر

الوجود، قال تعالى: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين} [سورة الأعراف: ٨٥].

كما أن هناك العديد من الأحاديث التي تحثنا على مراعاة بيئتنا ، فلقد منع الإسلام تلويث الماء الراكد أو الجاري حتى من قبل الأفراد ، وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: « اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظلّ »، ففي هذه المواضع يكون البراز أكثر تلويثا للبيئة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضا: « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه » (انظر البخاري مع الفتح ١/ ٣٤٦) ، وذلك لما يتسبب فيه هذا الصنيع من تلوث المياه ونقل الأمراض . كما جعلت الشريعة الإسلامية زرع الزروع وغرس الأشجار بابا عظيما من أبواب الأجر لا ينقطع ، فقد قال صلى الله عليه وسلم: « ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سُرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولا يزرؤه أحد إلا كان له صدقة » (صحيح مسلم ٣/ ١١٨٨ ح ١٥٥٢) ، وكفى بذلك دافعا إلى التنمية البيئية في المجال النباتي .

ولقد حمل هذا المنهج العظيم أبوبكر - رضي الله عنه - كما جاء في وصيته لأسامة بن زيد رضي الله عنه عندما قال : «إني موصيك بعشر ؛ لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هراماً ، ولا تقطع شجراً مثمراً ، ولا تحربن عامراً ، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لماكله ، ولا تغرقن نخلاً ولا تحرقنه ، ولا تغلوا ولا تجبنوا وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له» (في الموطأ ، ولكن ليزيد بن أبي سفيان ٢/ ٤٤٧) . وقد ظل هذا القانون لصيانة البيئة من التلّف سنّة جرت عليها الحضارة الإسلامية منفردة من بين الحضارات الأخرى .

وجه الإعجاز

أشارت الآية السابقة - آية ٤١ من سورة الروم - إلى إعجاز علمي بالغ الدقة إلى ثلاث حقائق أساسية لقضية الفساد البيئي والتي اتفق عليها علماء اليوم ، وهي كما يلي:

أن السبب الحقيقي للفساد في البر والبحر هو الإنسان ، فالإنسان هو العامل الأساسي في إفساد البيئة ، كما أقرته جميع المؤتمرات والندوات والمنظمات العالمية ، وكما حدثنا القرآن الكريم عنه قبل أكثر من ألف وأربع مائة سنة.

اقتصرت الآية الكريمة على ذكر الفساد الناتج عن الإنسان براً وبحراً ، ولم تذكر جواً ، وهذا من أسرار بيان القرآن الكريم (بلاغة القرآن) حيث إنه يأتي بأمور تتناسب مع فهم المعاصرين آنذاك دون أن يتعارض مع المستقبل الذي سيتم فيه الفساد جواً بسبب الإنسان. كما أن فساد الجو متعلق أساساً بفساد الإنسان براً وبحراً ، وكل ما أصاب الجو من ملوثات وتغيرات مناخية تؤثر تأثيراً مباشراً بالضرر ، أو السقوط مرة أخرى على البر والبحر.

أطلقت الآية تحذيراً خطيراً بأن فساد الإنسان في البر والبحر سوف يصيب البشرية بالأذى ، ولن يتوقف هذا الأذى حتى يتوقف الإنسان عن هذا الفساد. وهذه الحقيقة أوصت بها جميع الهيئات والمنظمات والندوات والمؤتمرات العالمية بضرورة عدم إفساد الإنسان في الأرض من أجل حمايتها من هذا الفساد.

وأخيراً: ما ذكرناه كان عبارة عن قبسات من القرآن الكريم أردنا أن يطلع العلماء والباحثون من خلالها على هذه الكنوز والحقائق العلمية حول بيئتنا والتي أشار إليها المولى - عز وجل - حتى يعيش العالم في سعادة وهناء. والحقيقة أنه لا يمكن لعاقل أن يتصور أن يكون مصدر تلك الإشارة القرآنية الباهرة غير الله الخالق القدير.

المراجع العلمية:-

أولاً: المراجع العربية :

القرآن الكريم

- تفسير الطبري - للإمام العلامة أبو جعفر محمد بن جرير.
- تفسير القرطبي - للإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري.
- تفسير ابن كثير - للإمام العلامة الحافظ إسماعيل بن عمر أبو الفداء بن كثير.
- تفسير الجلالين - للإمامين الجلالين: العلامة جلال الدين المحلي والعلامة جلال الدين السيوطي.
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان عدنان داودي - دار القلم، دمشق - الطبعة الأولى ١٩٩٢ م. وتحقيق: محمد سيد كيلاني - طبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٩٦١ م.
- معجم لسان العرب لابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى.
- مواقع الإنترنت المختلفة.
- الكون والإعجاز العلمي في القرآن - ١. منصور حسب النبي - دار الفكر - ١٩٩٦ م.
- معجزة القرآن - فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي - مكتبة التراث الإسلامي - ١٤٠٨ هـ.
- محمد عبد القادر الفقي - البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث - مكتبة الأسرة - ١٩٩٩ م.
- د. محمد صبري محسوب سليم - البيئة الطبيعية خصائصها وتفاعل الإنسان معها - دار الفكر العربي - ١٩٩٦ م.
- د. أحمد عبد العزيز مليجي - المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - المجلد الثالث - المحور الثالث - ٢٠٠٤ م.
- د. أحمد عبد العزيز مليجي - المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - تحت عنوان الإعجاز القرآني في قوله تعالى: « وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا » - بالكويت ٢٠٠٦ م.
- د. أحمد عبد العزيز مليجي - بحث منشور في مجلة الإعجاز العلمي تحت عنوان «تسكين المياه في الأرض» - العدد الحادي والعشرون ١٤٢٦ هـ.
- د. أحمد عبد العزيز مليجي - كتاب منشور ٢٠٠٨ م في جائزة دبي العالمية تحت عنوان: «التوازن البيئي بين العلم والإيمان».

ثانياً : المراجع الأجنبية

- Ahmed Melegy and Paces, T. (1996): »Anthropogenic Impact on Weathering Processes“ ENVIWEATH96, IGCP Project No.405 Books of Abstract, Brno, The Czech Republic.
- Ahmed Melegy, Mohamed, A. And Gamal, M (2002): »Environmental studies on the River Nile and sediments in highly polluted area in Greater Cairo (South Helwan City)“ A.M.S.E Journal, vol.63 p.41-53.
- Ahmed Melegy and Paces, T. (2004): »Critical loads of heavy metals in a highly polluted catchment area in Egypt“, Chinese Journal of Geochemistry, Vol.23, No.2,pp.156-162.
- Ahmed Melegy, Usama, El-Bialy and Abdel Aziz El Shafie (2005): »Heavy metal retention and mobility in small catchments as influenced by industrial and agricultural activities“ Journal of Conference Abstracts of the 7th International Conference on Acid Deposition held in Prague 12th – 17th June 2005.
- Ahmed Melegy, Usama, El-Bialy and Abdel Aziz El Shafie (2005):»Geochemical mobilization of trace elements through soil profile depths at Bahtim Permanent Fertilization Experiment“ Egyptian Journal of Applied Sciences, Vol. 20 (11), p364-377.
- Melegy et al., (2003): Influence of acidification and agricultural activities on weathering rates and biogeochemical mass balance of soil in Shoubra El-Khima, Egypt. Academic project (cooperation between the Academic of Science in Egypt and Academic of Science in Prague).
- Claridge, G.G.C., (1970): Studies in elemental balances in a small catchment at Taita, New Zealand. Proc. IASH, UNESCO Symp. On Results of Research on Representative and Experimental Basins, p.23-540, Wellington.
- Hodges, L., (1977): Environmental Pollution, 2nd Ed. Holt, Rinehart and Winston, New York,U.S.A
- Nriagu, J.O., (1990): Global Metal Pollution. Environment, Vol. 32, No.7, p.7-33.
- Reuss, J.O., Cosby, B.J. and Wright, R.F., (1987): Chemical processes governing soil and water acidifications, Nature vol.329, p.27-32.



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

أسس علم الجيولوجيا من الآية (٧٤) في سورة البقرة

د / شريف على صادق

قسم الجيولوجيا - كلية العلوم - جامعة القاهرة



مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً يليق بجلاله وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيد الخلق أجمعين نبينا محمد عبد الله ورسوله وعلى آله وصحبه أجمعين - أما بعد ...

يقول الله عز وجل... بسم الله الرحمن الرحيم « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب (١٩٠) الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحناك فقنا عذاب النار (١٩١) » آل عمران.

وفي مواضع عديدة أخرى من القرآن الكريم نجد آيات تحثنا على البحث والتأمل ومنها قوله جل وعلا: « وفي الأرض آيات للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٢١) » الذاريات.

ومن ذلك قوله: « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت (١٧) وإلى السماء كيف رفعت (١٨) وإلى الجبال كيف نصبت (١٩) وإلى الأرض كيف سطحت (٢٠) » الغاشية.

ومن هنا قال الإمام الجليل ابن القيم - رحمه الله - (كلما ازددت علماً ازددت يقيناً)، لذا فإن كل ما نصل إليه من حقائق - أذن الله لها أن تتجلى - إن هو إلا فضل من الله كي نزداد يقيناً بقدرته عز وجل وابداعه في كونه العظيم كما أنه حجة علينا وأمانة وجب نشرها. فالله عز وجل غني عن أي أدلة لعظمة وإعجاز هذا القرآن الكريم، وما اجتهاداتنا للوصول إلى تلك الحقائق إلا دعوة للتفكير والبحث، كما أمرنا الله وأيضاً هي وقفة أمام المستشرقين الذين يحاولون تشويه جمال القرآن، وإظهار تضارب كلماته ومعانيه بسبب جهلهم وظلمة أفئدتهم ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وفي موضوع هذا البحث أتناول أمرين، أما أولهما فهو التفسير العلمي لمعنى الآية (٧٤)

من سورة البقرة ، وأما الثاني فهو الإعجاز العلمي الذي تتضمنته الآية من حيث الحقائق الكامنة في معانى الكلمات التي وردت بدقة بالغة وبلاغة تامة تجلّت في الاختيار الأمثل للألفاظ والكلمات التي أنزلها الله - تبارك وتعالى - والتي تتطابق مع الحقائق والثوابت العلمية في علم الجيولوجيا ، بحيث أنه لو اختلف أي حرف أو كلمة لتغير المعنى بالكامل والذي بدوره يؤدي إلى تناقض ما بين معانى جمل القرآن وتلك الحقائق والثوابت العلمية. وصدق المولى عز وجل اذ يقول : « تنزيلٌ من لدن حكيمٍ عليمٍ » .

وقبل وضع الرؤية العلمية نجد تفسير وشرح الآية ، كما ورد نصاً من علماء وأئمة التفسير.

الآية موضوع البحث :

« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » (٧٤ - البقرة)

تفسير ابن كثير :

يقول الله تعالى توبيخاً لبني إسرائيل ، وتقريعا لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى، وإحيائه الموتى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) كله فهي كالحجارة التي لا تلين أبداً، ولهذا نهي الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس لما ضرب المقتول ببعض البقرة جلس أحيما ما كان قط فقيل له من قتلك قال بنو أخي قتلوني ، ثم قبض فقال بنو أخيه حين قبضه الله، والله ما قتلناه فكذبوا بالحق بعد أن رأوه ، فقال الله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك يعنى أبناء أخي الشيخ فهي كالحجارة ، أو أشد قسوة فصارت قلوب بنى إسرائيل مع طول الأمد قاسية بعيدة عن الموعدة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج ليلينها أو أشد قسوة من الحجارة فإن من الحجارة ما يتفجر منها العيون بالأنهار الجارية ، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن لم يكن جاريا ، ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية الله وفيه إدراك لذلك بحسبه ، كما قال (تسبح له السموات السبع والأرض ومن

فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً) وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه كان يقول كل حجر يتفجر منه الماء أو يتشقق عن ماء أو يتردى من رأس جبل لمن خشية الله نزل بذلك القرآن .

وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) أي : وإن من الحجارة لألين من قلوبكم عما تدعون إليه من الحق) وما الله بغافل عما تعملون).

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا الحكم بن هشام الثقفي حدثني يحيى ابن أبي طالب يعنى ويحيى بن يعقوب في قوله تعالى : (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) قال كثرة البكاء (وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء) قال قليل البكاء (وإن منها لما يهبط من خشية الله) قال بكاء القلب من غير دموع العين وقال بعضهم أن هذا من باب المجاز وهو إسناد الخشوع إلى الحجارة كما أسندت الإرادة إلى الجدار في قوله (يريد أن ينقض).

قال الرازي والقرطبي وغيرهما من الأئمة ولا حاجة إلى هذا فإن الله تعالى يخلق فيها هذه الصفة كما في قوله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) وقال : (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) الآية وقال : (والنجم والشجر يسجدان* أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلاله) الآية (قالتا أتينا طائعين* لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) الآية (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله) الآية ، وفي الصحيح : << هذا جبل يحبنا ونحبه >> (صحيح البخاري، الجهاد، ح ٢٨٨٩)، وكحنين الجذع المتواتر خبره ، وفي صحيح مسلم ح ٢٢٧٧ >> إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن >> ، وفي صفة الحجر الأسود أنه يشهد لمن استلم بحق يوم القيامة ، وغير ذلك مما في معناه ، وحكى القرطبي قولاً أنها للتخيير أي : مثلاً لهذا وهذا وهذا مثل : جالس الحسن أو ابن سيرين .

تفسير سيد قطب :

إن هذا الجزء هو وقفة على المشهد الأخير من قصة ذبح البقرة التي فيها اختبار للطاعة والاستجابة والتسليم لأوامر الله بدون مجادلة ، ولكنهم عصوا الله ، وقاموا بذبح البقرة فكانت تلك الخاتمة ...

فالحجارة التي يقيس قلوبهم إليها - فإذا قلوبهم منها أجذب وأقصى - هي حجارة لهم بها سابق عهد . فقد رأوا الحجر تتفجر منه اثنتا عشرة عينا ، ورأوا الجبل يندك حين تجلى عليه الله وخر موسى صعقا . ولكن قلوبهم جاسية مجذبة كافرة ومن ثم هذا التهديد « وما الله بغافل عما تعملون » .

رؤية الباحث العلمية :

إن الآية التي بين أيدينا مقسمة إلى مقطعين . ففي المقطع الأول نجد هجاء إلى بنى إسرائيل لشدة إنكارهم للحق فيذمهم الله - عز وجل - فيه بمدى قسوة قلوبهم ويقارنها بالحجارة .
« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة »

وفي المقطع الثاني يخبرهم الله أن الحجارة القاسية هي أشد منهم خشية الله وتضرعا .
« وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون »

وبتحليل ودراسة تلك الكلمات نرى أنها تناولت في معانيها بصورة مباشرة وغير مباشرة الحديث في أبداع إيجاز ، وأعظم شمول لبعض الأفرع الأساسية لعلم الجيولوجيا والتي تلقى الضوء على جوانب عدة من هذا العلم الكبير ، كما وصفه الله - عز وجل - في سورة غافر إذ يقول تعالى :

« لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٥٧ - سورة غافر) . وفي تلك الآية إشارة لعظم علم الجيولوجيا بالمقارنة بعلم الطب .

ونظراً لتنوع المعلومات التي تم استخلاصها من الآية - موضوع البحث - وكبر حجمها، فقد تم تقسيم المقطع الثاني من الآية إلى ثلاثة جمل ...

• الجملة الأولى « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار »

• الجملة الثانية « وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء »

• الجملة الثالثة « وإن منها لما يهبط من خشية الله »

وفي كل جملة سوف أتناول الفرع أو الفروع العلمية (الجيولوجية) المتضمنة بها ، ويمكن إيجاز تلك الأفرع العلمية في الجمل الثلاث كالتالي :

الجملتان الأولى والثانية تضمنتا :

١- علم تصنيف الصخور

٢- علم الصخور الرسوبية Sedimentary Rocks

٣- علم الطبقات Stratigraphy

٤- علم الجيولوجيا الهندسية Engineering Geology

٥- علم المياه و جيولوجيا المياه Hydrogeology & Hydrology

٧- علم كيمياء الصخور Geochemistry

أما الجملة الثالثة فتضمنت :

٦- علم الجيولوجيا التركيبية Structural Geology

الجملة الأولى : (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار)

الإعجاز العلمي :

إذا نظرنا إلى هذه الجملة القرآنية بتمعن نرى أنها تحمل معنيين ، أولهما حينما تخاطب العقل غير المتخصص في علوم الأرض (عقل العوام من الناس)، حيث يفهم أن المياه المنبثقة من أي عين تخرج من وسط أو من داخل الحجارة المحيطة بهذه العين أي أن الحرف «من» أُستخدِم كإشارة للمكان ، وهذا ما تراه أعين الناس ، وبالتالي فهذا أمر مفهوم ومقبول .

أما المعنى الثاني (التفسير العلمي) - وهو ما يراه ويفهمه المتخصص - ففيه أُستخدِم الحرف «من» كحرف للتمييز بين أنواع الصخور ، فمن بين أنواع الصخور العديدة يوجد نوع واحد وواحد فقط - وإن تعددت أسماءه في العلم الحديث - ولكن توحدت صفاته ، وهو الذي يتفجر فتندفع منه كميات كبيرة من المياه العذبة .

وكما هو مثبت في علم الجيولوجيا فإن الصخور جميعها مقسمة إلى ثلاثة مجموعات رئيسية وهي:

- ١ . مجموعة الصخور النارية : ذات الأصل البركاني والتي تكونت في باطن الأرض وهي صخور شديدة الصلابة والقوة .
- ٢ . مجموعة الصخور الرسوبية : وهي التي تكونت عن طريق الترسيب كطبقات متراكبة فوق بعضها البعض عبر ملايين السنين .
- ٣ . مجموعة الصخور المتحولة : وهي التي نشأت كنتيجة لتغير صفات أحد النوعين السابقين وذلك إما لتعرضه لحرارة شديدة أو ضغط أو الإثنين معاً .

وكلاً من هذه المجموعات الصخرية مقسمة في ذاتها إلى أنواع أخرى عديدة . فعلى سبيل المثال الصخور الرسوبية مقسمة إلى ثلاثة أنواع هي الأكثر شيوعاً وانتشاراً على وجه الأرض ألا وهي الحجر الرملي ، الحجر الجيري ، وأخيراً الحجر الطيني ، ويوجد نوع رابع يسمى بالمتبخرات (الصخور الملحية). (الطفلي) .

وتبعاً لما سبق تظهر بعض التساؤلات.....

- س ١ : أي من المجموعات الصخرية السابقة هي التي يدور عنها الحديث (النارية أم الرسوبية أم المتحولة) ؟ ولماذا ؟
- س ٢ : ما هو نوع الصخر المشار اليه ؟
- س ٣ : لماذا هذا الصخر بعينه دون غيره ؟
- وتكون الإجابة كالتالي :
- ج ١ : المجموعة الصخرية هي الرسوبية . وذلك لأنه بناءً على النص القراءاني فالله - عز وجل - يتحدث عن صخور لها علاقة وطيدة بالماء - كما سيتضح لاحقاً. فصخور هذه المجموعة تعتبر أضعف الصخور مقاومة للمياه. وحيث أنها تتميز بكونها صخور مسامية تحتوي على كثير من المسام والفجوات ، وأحياناً الكثير من الشقوق فإن ذلك يزيد من قدرتها على تخزين المياه بدرجات متفاوتة وذلك على النقيض من صخور المجموعتين النارية والمتحولة ؛ فهي صخور شديدة الصلابة مصممة لا تحتوي مطلقاً على أية مسام أو فجوات ، وشديدة المقاومة لفعل الرياح والأمطار.
- ج ٢ : الصخر المشار إليه هو الحجر الرملي . وهذا الحجر يتكون من حبيبات دقيقة من الكوارتز (حبيبات الرمل) والتي تماسكت ببعضها البعض عن طريق بعض أكاسيد الحديد ومادة السيليكا اللذان يعملان كمواد لاصقة.
- ج ٣ : نرى في الجملة التي بين أيدينا أن الحجر الذي يدور حوله الحديث يجب أن يتمتع بصفات ثلاث مجتمعة ألا وهي :
- ١ . يسمح للمياه أن تتحرك بداخله بسهولة ويسر ، كما أنها تندفع منه إلى سطح الأرض ذاتياً.
- ٢ . يسمح بتخزين كميات هائلة من المياه في جوف الأرض بحيث يمكن استردادها مرة أخرى.
- ٣ . تخرج المياه منه عذبة صالحة للشرب مكونة عيوناً عذبة.

هذه الشروط السابقة تشير إليها الآية ضمناً عن طريق كلمتين تؤكدان المعنى العلمي وهما :

- «يتفجر» : فهذا الفعل يدل على الخروج والاندفاع بقوة (الشرط الأول)
- « الأنهار » : التي تدل على كثرة المياه وعذوبتها (الشرطين الثاني والثالث) .

وبالتالى فإنه بناءً على الدراسات الجيولوجية - التي لا حصر لها - لجميع الظواهر الطبيعية المتمثلة في تكون العيون في جميع أنحاء العالم تولدت الحقيقة العلمية التي تنص على أن الحجر الرملي هو الحجر الوحيد الذى تتوافر فيه تلك الشروط الثلاثة (وفي بعض الأحيان إذا وجدت صخور نارية مشققة أو مفتتة فإنها تتطابق في صفاتها مع الحجر الرملي ، حيث تكون حينئذ في المرحلة الأولى من تكوين الحجر الرملي).

وعلى سبيل المثال - لا الحصر - نستهل ببئر زمزم بمكة المكرمة والذي مازال ينضح بالمياه حتى هذه الساعة وإلى ما شاء الله فإن مياهه مصدرها خزان جوفي يتكون من طبقات من الحجر الرملي ، والصخور النارية المفتتة (بحيث تتطابق صفاتها مع الحجر الرملي) ولوأن تلك المياه التي خرجت منه - منذ مولد سيدنا إسماعيل وحتى الآن - ووضعت في مجرى نهر لملائته .

وفي مصر وبالتحديد في منطقة واحة سيوة الواقعة في شمال الصحراء الغربية- حيث يوجد أكبر تجمع لشركات تعبئة زجاجات المياه المعدنية - نجد أن المياه الجوفية الصاعدة في جميع الآبار آتية من خزان جوفي ضخم يتكون من طبقات هائلة من الحجر الرملي الممتلئ بالمياه حتى وقتنا هذا .

وفي استراليا - وكما هو معلن على شبكة المعلومات الدولية - يوجد خزان جوفي ضخم يقع شرق تلك القارة الصغيرة ويمثل ٢٠ ٪ من مساحتها. هذا الخزان الطبيعي يتكون من طبقات هائلة من الحجر الرملي ، وتندفع منه كميات كبيرة من المياه العذبة مكونة العديد من العيون.

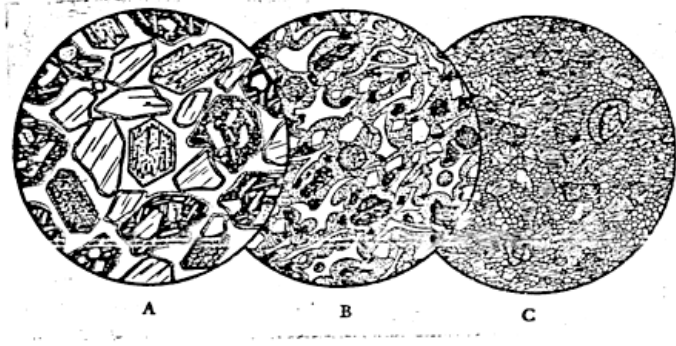
وفي الولايات المتحدة الأمريكية - وبناءً على تقرير هيئة المساحة الجيولوجية بولاية

وايومنج والمعلن على موقعها بشبكة المعلومات الدولية - تعتبر كل من مناطق وادي سان جوكين بولاية كاليفورنيا ، مدينة لاس فيجاس بولاية نيفادا ، مدينة نيواورليانز بولاية لويزيانا، ومدينة هيوستن بولاية تكساس أفضل المواقع التي تربطها علاقة جيولوجية واحدة ألا وهي أن المياه الأولية لتلك المدن والتي تعتمد عليها في مختلف مجالات الحياة موجودة بكميات كبيرة كمياه جوفية عذبة - أسفل تلك المدن - ومخترزة داخل طبقات من الحجر الرملي .

وفي شتى بقاع الأرض ما من بئر ينضح بالمياه العذبة إلا وكان مصدر تلك المياه طبقات من الحجر الرملي . وهنا يظهر تساؤل لماذا لا يكون أي من الحجر الجيري أو الحجر الطفلي هو المقصود؟ ذلك لأن كلاً منهما يفتقد إلى الخواص والصفات الصخرية التي يتمتع بها الحجر الرملي من حيث حجم الحبيبات المكونة للصخر ، التركيب الكيميائي والمعدني لتلك الحبيبات وكذلك المادة اللاصقة لها .

ذلك الاختلاف الكبير في الصفات الصخرية ينشأ عنه تباين في تعامل المياه وتفاعلها مع كل صخر؛ فالحجر الجيري إذا تجمعت عليه المياه بكميات كبيرة فإنها تتسرب بداخله ويمتصها الحجر ببطء شديد ودون حركة للمياه بداخله نتيجة لشدة وضيق المسام وحجم الحبيبات المتناهي في الصغر (شكل - ١) مما يؤدي إلى ركود المياه داخله ثم تبدأ في إذابته تدريجياً ، ونتيجة لهذا الذوبان فإن المياه تصبح مالحة ، وهو ما يتنافى مع المعنى في لفظ « الأنهار » الدال على عذوبة الماء ، وبالتالي فإن الحجر الجيري يفتقد إلى الشروط الثلاثة السابقة جميعها. لذا لا يمكن أن يكون هو المقصود في الجملة .

وبالنسبة إلى الحجر الطفلي فإنه بالرغم من مساميته العالية وقدرته على امتصاص المياه إلا انه لا يسمح للمياه بالمرور بين المسام والفتحات لأنه لا توجد نفاذية (قنوات أو مسارات) بين المسام - على النقيض من الحجر الرملي والذي يتمتع بنفاذية عالية جداً تسمح بمرور المياه من خلاله (شكل - ١) . هذا بالإضافة إلى أن الحجر الطفلي إذا امتلىء بكميات كبيرة من المياه فإنه سوف يتحول إلى طين لزج (الوحل)، وبالتالي فإن الحجر الطفلي يفتقد هو أيضاً إلى الشروط الثلاثة.



شكل (١) :

- A - الحجر الرملي : وتظهر فيه المسافات البينية المتصلة بين حبيبات الرمل والتي تسمح بتخزين المياه.
 - B - الحجر الطيني : وتظهر فيه المسافات البينية أقل اتساعاً وغير متصلة لذلك لا يسمح بنفاذ المياه.
 - C - الحجر الجيري : وتظهر فيه المسافات البينية أصغر ما يمكن أن تكون بالإضافة إلى عدم اتصالها.
- ومن ذلك الاختلاف بين أنواع الصخور تتجلى حكمة المولى - عز وجل - في خلقها بهذه الكيفية حيث جعل لكل واحد منها وظيفته التي خلق من أجلها. فمثلاً الحجر الطفلي وظيفته في أن يحتفظ بالمياه داخله فقط من أجل أن يمتصها النبات (الزراعة) وليس لكي تسترجع منه كما هو الحال مع الحجر الرملي .
- وبناءً على كل ما سبق من الأدلة والحقائق العلمية الدامغة فإنه لا مجال للشك على أن الحجر المشار إليه في الجملة هو الحجر الرملي - والله تعالى أعلى وأعلم .

الإعجاز العلمي:

تجلى روعة الإعجاز العلمي في هذه الجملة في أن الله - عز وجل - في وصفه لما يحدث استخدم فعل « يتفجر » بالرغم من ثراء اللغة العربية بأفعال قد تصف أو تعطى معنى مقارب لخروج المياه. وإضافة إلى ذلك نجد أنه ما من موضع في القرآن العظيم يتحدث عن العيون أو الينابيع أو الأنهار إلا وقد ذكر فيه فعل « التفجر » فنجد

• « فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » (٦٠ - البقرة)

• « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا » (٩٠ - الإسراء)

• « أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا » (٩١ - الإسراء)

• « كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا » (٣٣ - الكهف)

• « وجعلنا لهم جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون » (٣٤ - يس)

• « وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر » (١٢ - القمر)

وهنا يأتي السؤال ... ولماذا ورد هذا الفعل في تلك الجملة من الآية علماً بأنه في الجملة التي تليها ورد فعلين « يشقق » و « فيخرج »؟؟

نبدأ باللغة العربية وأصل ذلك الفعل ... ففي المعجم الوجيز نجد....

(فَجَرَ) فَجَرُ فَجْرًا ، وَفُجُورًا:

فيقال: فَجَرَ القَنَاةَ أَي شَقَّهَا ، وَيُقَالُ : فَجَرَ المَاءَ أَي شَقَّ لَهُ طَرِيقًا.

(فَجَرَ) : بِالغِ فِي الشَّقِّ.

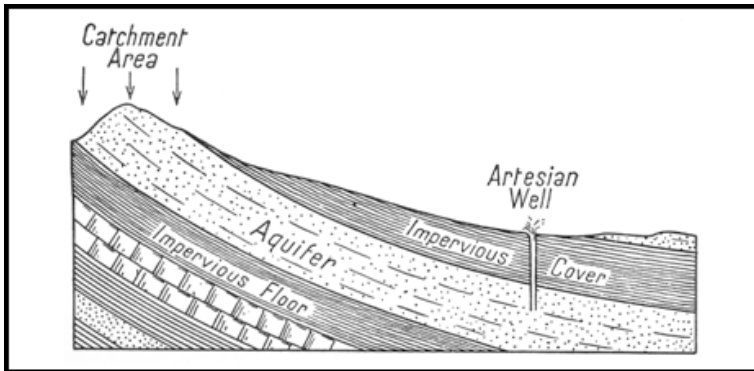
(انْفَجَرَ) المَاءُ وَنَحْوَهُ : انْبَعَثَ سَائِلًا وَيُقَالُ : انْفَجَرَ فُلَانٌ بَاكِيًا

مما سبق يتضح لنا من معنى « يتفجر » أن الحجر يتشقق بسبب الماء الذي يشق لنفسه طريقاً في الصخر. وبما أننا أثبتنا أن الحجر المقصود في الجملة هو الحجر الرملي فهذا يعني أن عملية « التَّفَجَّر » تحدث مع هذا الحجر بصفة خاصة.

ومن هنا قد تطرح أسئلة كثيرة منها :

- س ١ : لماذا يقترن هذا الفعل دائماً مع الأنهار والعيون (المياه العذبة) ؟
- س ٢ : هل يحدث حقيقة أن المياه تشق لنفسها طريقاً خلال الحجر الرملي إلى سطح الأرض وهي مخزنة في مسامه ؟
- س ٣ : متى يُؤذن بذلك وكيف يتم ؟
- قبل الإجابة على تلك التساؤلات يجب علينا أن نتعرف على الوضع الجيولوجي للطبقات الصخرية تحت سطح الأرض والظروف اللازمة لتكوين خزان جوفي يسمح بتواجد كميات كبيرة من المياه بداخله.

بالنظر إلي الشكل (٢) نجد أن الطبقات الصخرية بإختلاف أنواعها تكون متراسة - غالباً - فوق بعضها بصورة أفقية فإذا تراصت الطبقات بحيث تكون طبقة الحجر الرملي تعلو مباشرة طبقة صخرية غير مسامية (لا تمتص المياه) وليست ذات نفاذية (لا تسمح بمرور المياه Impervious) أي أنها مانعة للتسرب فعندئذ تكون الأرض مهيئة لاستقبال المياه وتكوين خزان جوفي. وإذا كانت طبقة الحجر الرملي محاطة من الجوانب بصخور مماثلة لتلك التي توجد بأسفل فإن الخزان في هذه الحالة يكون مثالياً.



شكل (٢) : رسم توضيحي يبين الطبقات الصخرية المكونة لخزان مياه جوفية.

ومع نزول الأمطار على سطح الأرض تبدأ المياه رحلتها إلى باطن الأرض عبر الشقوق والفجوات لمسافة قد تصل إلى ألف متر إلى أن تصل إلى مستقرها النهائي في مسام الحجر الرملي بين حبيباته وتحتزن بداخله لآلاف السنوات.

والآن تأتي الإجابة على الأسئلة السابقة.....

عندما يأذن الله - عز وجل - فإن عملية التفجر تبدأ بوقوع قوى شد للصخور التي تحيط بالصخر الممتلئ بالماء (الحجر الرملي) فتتحول قوى الشد تلك إلى قوى ضاغطة واقعة على الحجر الرملي.

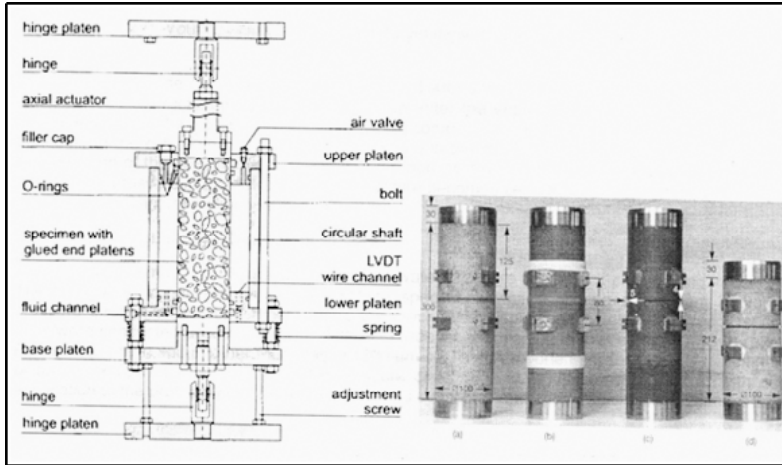
هذا الضغط ينتقل تدريجياً للمياه المختزنة داخل مسام الحجر ومع ازدياد هذا الضغط الواقع على المياه والذي يفوق وزن الصخور التي تعلو الحجر الرملي فإن المياه لا تجد لها مفرّاً من تأثير هذا الضغط المستمر عليها ، غير أن تبدأ في عمل شقوق لها داخل الحجر الرملي متجهة إلى أعلى، حيث يقل الضغط العلوي تدريجياً إلى أن تصل إلى سطح الأرض مكونة ينبوعاً أو ينابيع من المياه العذبة تعرف باسم الآبار الارتوازية (Artesian Wells). وتلك الآبار هي المعروفة بأن مياهها تخرج ذاتياً إلى سطح الأرض دون عمليات سحب بواسطة الماكينات.

الجدير بالذكر هنا أنه خلال رحلة العودة إلى السطح فإن المياه تمر بعملية تصفية وتنقية ، وتحلية من جميع الشوائب والأملاح ، وتحدث عملية التصفية هذه لأن التكوين الصخري للحجر الرملي (عبارة عن حبيبات دقيقة من الكوارتز) لا يسمح مطلقاً بتفاعل المياه معه أو حدوث أي تغيير في طعم أولون أو رائحة المياه بل يزيدا صفاءً وعذوبة.

ومن هنا نرى الجانب الثاني من الإعجاز والذي يتمثل في كلمة « الأنهار » حيث يتضح منها دلالتان الأولى : الدلالة على الكم الكبير من المياه المتدفقة . والثانية : الدلالة على أن تلك المياه صالحة للاستخدام المباشر من حيث الزراعة والسقاية دون أي معالجة أو تطهير أو تحلية ، كما هو واقع لنا كحقائق ملموسة في شتى بقاع العالم كالمناطق السابق ذكرها على سبيل المثال.

ومن فضل الله - عز وجل - أنه تم الإثبات بالتجربة - العلمية والعملية - أن السبب الرئيسي في تكوين الشقوق في داخل الحجر الرملي وتحديدًا إلى أعلى - في مثل تلك الظروف - هو الماء، كما ورد باللفظ القرآني. وكان التوصل إلى تلك الحقيقة العلمية في عام (١٩٩٨) - والمعلنة على شبكة المعلومات الدولية - عن طريق الباحثة « فيسر » من خلال الدراسات والتجارب العملية والنتائج التي توصلت إليها والتي منحت على آثارها درجة الدكتوراه من جامعة دلفت بهولندا. وكان موضوع الرسالة « **التشقق المائي المتمدد للمواد المسامية المشبعة بالمياه** ».

حيث قامت الباحثة بالعديد من التجارب المتنوعة من حيث توقيع الضغط بطرق ومقادير مختلفة على عينات أيضاً مختلفة من الحجر الرملي المشبعة؛ والممتلئة بالماء، وقامت بقياسات عديدة، ودراسة تفصيلية لدور ضغط الماء المخترن بداخل تلك العينات في تكوين الشقوق في ظروف مماثلة لتلك الكائنة تحت سطح الأرض حيث يكون الصخر مشبعاً بالماء، ومحاطاً بضغط من جميع الجوانب إضافة إلى الضغط العلوي والسفلي.



شكل (٣): الجهاز الاختباري لتوقيع الضغط على الحجر الرملي الممتلئ بالماء.

ولقد توصلت الباحثة إلى أنه في جميع الحالات - التي تم اختبارها - قد تضمنت بالفعل حدوث تشققات داخل الصخر في اتجاه وطريق محدد لأعلى ، وأن السبب في ذلك هو ضغط المياه المحيطة والمخزنة في مسام الحجر الرملي بين حبيباته ؛ والذي جاء نتيجة لانتقال الضغط من الصخور التي حول صخر الخزان إلى المياه التي بداخله.

ليس ذلك فحسب - بل إن هذه التشققات تتكون بطريقة بطيئة بحيث تسمح وتضمن اختراق فوري للماء إلى داخل تلك الشقوق. إضافة إلى ذلك فلقد توصلت الباحثة إلى أنه ليس بالضروري أن يكون الضغط الرأسي الموقع على العينات كبيراً بل القليل منه يكفي كعامل مساعد لتكوين الشقوق . وهذا يعني أنه ليس بالضروري أن يكون الحجر الرملي المكون للخزان الجوفي والمشبع بالماء موجوداً على أعماق كبيرة تحت سطح الأرض، ويأتي تساؤل آخر ...

س : لماذا لم تتم مثل هذه التجارب على الحجر الطفلي والحجر الجيري ؟

ج : فنجيب بإيجاز : إن التجربة التي تمت تتناول تأثير وعمل المياه المخزنة بين حبيبات الحجر الرملي حين وقوع ضغط على الحجر . فوجد أن هذا الضغط ينتقل بدوره إلى المياه في داخل المسام ومن ثم يحدث التشقق بسبب المياه وهو ما لا يمكن دراسته أو اختباره في الحجر الطفلي أو الحجر الجيري حيث أن الحجر الطفلي يستجيب لقوى الضغط فيعتصر مخرجاً الماء دون أي تشقق أما الحجر الجيري فلا يسمح بانتقال الضغط إلى المياه في مسامه وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الجملة الثانية من الآية.

الجملة الثانية (وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء)

ففي هذا الجزء من الآية نرى تكراراً ظاهرياً من حيث المعنى ، ويتمثل ذلك في وجود كل من الفعل « يشقق » و« انهاء » في « منه » للإشارة إلى أن الحديث هنا عن نوع صخري آخر ، كما ورد في الجزء الأول سابقاً .

وبناءً على ذلك تتكرر الأسئلة

س ١ : أي من المجموعات الصخرية هي التي يدور عنها الحديث ؟ ولماذا ؟

س ٢ : ما هو نوع الصخر المشار إليه ؟

س ٣ : لماذا هذا الصخر بعينه دون غيره ؟

وتكون الإجابة كالتالي :

ج ١ : المجموعة الصخرية هي : مجموعة الصخور الرسوبية ولقد أشرنا آنفاً إلى السبب في تلك الإجابة .

ج ٢ : الصخر المشار إليه هو : الحجر الجيري .

ج ٣ : أولاً وقبل الإجابة على السؤال علينا أن نتعرف على أهم ما يميز الحجر الجيري عن الحجرين الرملي والطيني وهو أنه الأقل قدرة على امتصاص الماء وذلك لضيق المسام الشديد بين الحبيبات (شكل -١) هذا بالإضافة إلى أن الحجر إذا تجمع عليه الماء لفترات طويلة فإنه يعمل على إذابة المادة اللاصقة لحبيبات الصخر تدريجياً فيصبح الصخر كالرماد أو التراب الأبيض .

ومن حيث القدرة على التشقق فإنه الأكثر قابلية للتشقق عند تعرضه لأي قوى مؤثره عليه مقارنة بالحجرين الآخرين وهذا يرجع أيضاً لطبيعته تكوينه . لذلك يعتبر هذا الحجر أكثر الصخور امتلاءً بالشقوق في الطبيعة .

وبالنظر لكلمات الجملة يتمعن من حيث المعنى والترتيب نرى أن الله يخبرنا بأنه يوجد من أنواع الصخور ما إن تشقق - لسبب أو لآخر - فإن ما به من مياه تخرج بسرعة والدليل حرف « الفاء » ، كما أن فعل « الخروج » يدل ضمناً على أنه قد سبقه فعل « الدخول » وبالتالي

فإن هذا يعني أن الماء استطاع الدخول في جوف الحجر ولم يستطع الخروج فاخترن بداخله، أي أن الماء في انتظار التشقق حتى يخرج... فكيف تمكن الماء من الدخول وهو بعد ذلك لا يستطيع الخروج؟

بناءً على الدراسات والأبحاث الجيولوجية العديدة في كثير من الجبال وجد أن هذه الظاهرة تتواجد في جبال الحجر الجيري مخلقة ورائها العديد من الكهوف والمغارات. وتم التعرف على تلك الظاهرة من دراسة تلك الظواهر عن كثب.

فبداية وعند دخول الكهف نجد تجمعات كبيرة من المياه على أرض الكهف مكونة بركة متسعة وأحياناً قد نجد نهراً من المياه يجري في اتجاه ميل أرض الكهف حتى يخرج منه أو إلى أن يصل إلى شق عميق فينزل فيه.

فتساءل.. كيف تكون هذا الكهف في أعلى الجبل وكيف دخلت إليه المياه ولم تخرج؟؟ (شكل - ٤)

وجد أنه في بادئ الأمر كان هذا الكهف مصمماً لتكون من طبقات متراصة من الحجر الجيري، ومع نزول الأمطار لفترات طويلة بكميات غزيرة استطاع الماء من خلال الطبقات والشقوق التي تعلو ذلك الكهف أن يصل إلى أولى طبقات الحجر الجيري والتي تمثل سقف ذلك الكهف. ومع مرور آلاف السنين على تواجد الماء على ذلك السقف فانه يبدأ في الذوبان تدريجياً طبقة تلو الأخرى حتى تتآكل الطبقات مكونة تجويف الكهف.

ومن الدراسة التفصيلية لتلك الكهوف والمغارات الجبلية وجد أن أسقف هذه المغارات والكهوف تتكون في بعض الأحيان من طبقات الحجر الجيري، وتحتوي على عدد كبير جداً من الشقوق التي كانت سبباً في تحلل الماء في وسط طبقات ذلك الحجر الجيري. وعند دخول الكهف ومع استمرار تلك العملية نجد تساقط قطرات المياه من سقف الكهف على أرضه مكونة بركاً من المياه الراكدة. فإذا ما تشققت أرض الكهف بفعل المياه وتكرار عملية الاذابة البطيئة والتي وصفت بكلمة «يشقق» فسرعان ما تبدأ هذه المياه بالحركة متخللة الحجر الجيري لأسفل كما ورد بالآية.

ومن هنا يتضح لنا كيف أن الماء احتبس داخل تجاويف الحجر والتي قد تصل في حجمها إلى الكهوف ولا يخرج الا بعد التشقق.



شكل ٤ : صورة حقيقية لأحد كهوف الحجر الجيري التي تكونت عن طريق التشقق البطيء واذابة الحجر بفعل المياه عبر ملايين السنين.

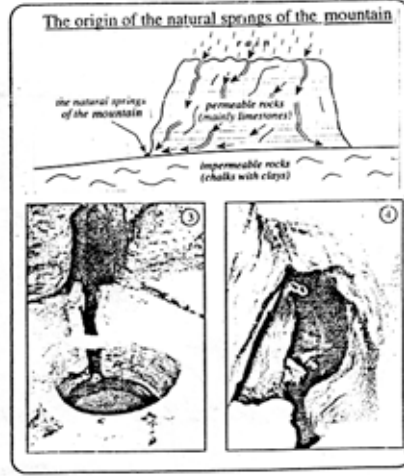
هذا بالإضافة إلى أن الماء المنساب من هذا الحجر لن يكون عذباً بأي حال من الأحوال؛ وذلك لتفاعله مع الحجر فيصبح مالحاً وممتلئاً بالتراب الأبيض. وهذا يتطابق مع كلمة «ماء» التي وردت في الجملة والتي تعني أنه ليس من المؤكد أن هذا الماء عذب ولكنه قد يكون غير ذلك .

ربما يسأل سائل...

س : ولكن أليس الحجر الرمي قابل للتشقق أيضاً وخروج الماء منه ؟ فلماذا لا يكون هو المقصود؟

ج : بلى ولكن خروج الماء من الحجر الرمي لا يستلزم تشققه وذلك لما يتمتع به الحجر الرمي من نفاذية عالية تسمح للماء بالحركة دون الحاجة للتشقق أو إلى شقوق حيث أنه

مليء بالمسارات بين الحبيبات. وذلك على عكس ما اشترط عليه في الآية لخروج الماء وهو تشقق الحجر.



شكل ٥ : رسم توضيحي لحركة مياه الأمطار داخل جبل من الحجر الجيري بصحراء مصر الشرقية يبين نفاذ المياه من أعلى إلى أسفل من خلال الشقوق العديدة بالجبل وخروجها من أحد الشقوق بأسفل الجبل.

الإعجاز البلاغي واللفظي:

بناءً على ما سبق فإنه يتضح لنا مدى الإعجاز البلاغي واللفظي في الآية ؛ والذي يؤكد أيضاً الإعجاز العلمي فيها. هذا الإعجاز يتمثل في أنه لم يتم استخدام الفعل « يخرج » بما في ذلك حرف « الفاء » - الدال على سرعة الحدث - بعد الفعل « يتفجر » في الجملة الأولى.

ففي الجملة الأولى فإن الفعل « يتفجر » يتضمن في ذاته حدثين في آن واحد ، أولهما حدوث التشققات داخل الحجر ، والثاني - في نفس الحين - خروج الماء من الصخر ليس ذلك فحسب بل بقوة واندفاع.

لذا وجب عدم ذكر الفعل « يخرج » أو عدم الإتيان به لعدم الحاجة إليه ، وللبعد عن

التكرار؛ حيث يجب استخدامه في الجملة الثانية من الآية. وهذه اللطيفة من أسرار البلاغة في الشمول والإيجاز. وحيث إن مجيء فعلين متتاليين في الجملة يعني حدثين منفصلين متعاقبين متزامنين، ويكون الأخير مبنياً أو مشروطاً على حدوث الأول. ففي الجملة الثانية نجد الفعل « يشقق » (الشين مشددة) الدال على البطء والروية في الفعل وهو **أبلغ وصف لفعل المياه مع الصخر عبر ملايين السنين** وهو بدوره يسمح للمياه بالمرور من خلال الحجر شكل (٣)، وبدون حدوث ذلك التشقق لن يسمح للماء بالمرور أو الحركة. لذا وجب ذكر « فيخرج » بعد التشقق، ومن هنا يتضح لنا كيف أن البلاغة اللفظية تتفق مع البحث العلمي.

وبالمقارنة بين الجملتين في الآية يتضح لنا مدى روعة الإعجاز في دقة الألفاظ والكلمات بل والحروف فيما يتناسب مع الحقيقة العلمية البحتة. كما أننا نرى السبق العلمي والإيجاز الخفي لتصنيف الصخور الرسوبية وبيان ما تتمتع به من صفات. هذا بالإضافة إلى إظهار دور المياه المتباين في شق الصخور تارة بقوة واندفاع وتارة أخرى ببطء وانسياب.

الجملة الثالثة : (وإن منها لما يهبط من خشية الله)

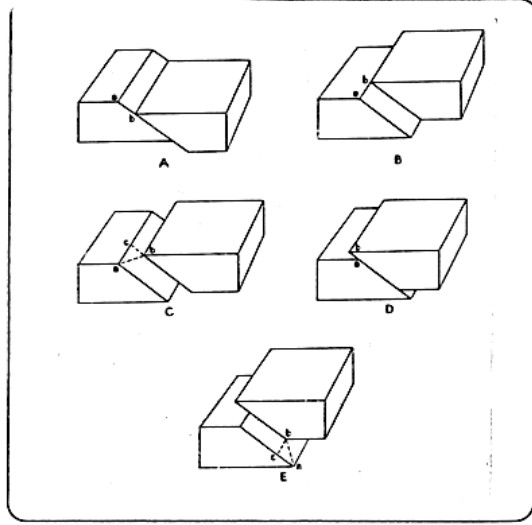
هذا الجزء من الآية يتناول بإيجاز شديد فرعاً آخر من أفرع علم الجيولوجيا ، خفي بين طيات معاني كلمات القرآن المعجزة ، ممتزجاً مع آيات الخشوع والرهبة . هذا العلم هو المعروف باسم علم الجيولوجيا التركيبية Structural Geology .

ففي البداية أود توضيح بعض المفاهيم لأحد الظواهر الجيولوجية المسماة « بالفوالق ».

تعريف الفالق :

الفالق عبارة عن شرخ في الصخور أو الجبال الموجودة على سطح الأرض وهو ثنائي الأبعاد فله امتداد وعمق قد يصل طول أحدهما أو كلاهما إلى عدة كيلومترات . هذا المستوى ثنائي الأبعاد له أيضاً مقدار ميل محدد ، فاما أن يكون مستوى الفالق رأسياً تماماً ، وفي هذه الحالة يكون مقدار الميل يساوي صفر أو أن يكون أفقياً ؛ وبالتالي فإن مقدار الميل يساوي ٩٠ درجة - وهونادر الحدوث - أو أن يكون مائلاً بقيمة متفاوتة ما بين الصفر و ٩٠ ، شكل (٦) .

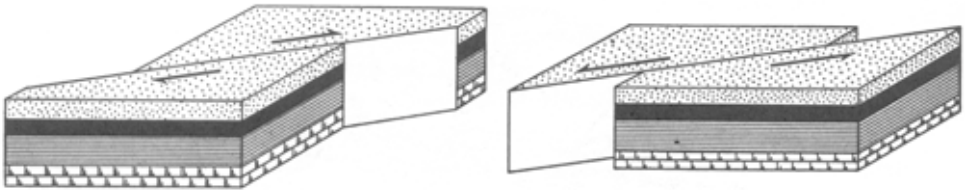
وعادة ما يصاحب هذا الفالق انفصال بين كتلتين كبيرتين من الصخر يؤدي إلى ازاحة إما رأسية أو أفقية أو الاثنين معاً مما ينتج عنه هبوط إحدى الكتلتين لأسفل وصعود الأخرى لأعلى وهو ما يعرف باسم « الهبوط الصخري أو الإزاحة الصخرية Rock Displacement » ، وتعتبر عملية الإزاحة الصخرية أو الهبوط ذات أهمية كبيرة جداً في علم الجيولوجيا التركيبية ، لذلك فإنه يتم دراستها ، وتسجيل العديد من القراءات والقياسات لمعدل ذلك الهبوط وكميته واتجاهه ومقدار ميله .



شكل ٦ : رسم توضيحي يبين أوضاع وحركات مختلفة لكتل صخرية نتيجة حدوث الفوالق الصخرية.

أسباب الفالق :

يحدث الفالق الصخري نتيجة وقوع الصخر تحت قوى شد كبيرة جدا ينتج عنها تشقق الصخر ، ومثال على ذلك لو أن شيئاً ما جُذِبَ من أطرافه فلا بد أن يتمزق وكذلك هو الحال في الصخور.



الإعجاز العلمي واللفظي في الآية :

س : نرى في الآية مجيء الفعل « يهبط » ولم يرد الفعل « يسقط » فلماذا ؟

ج : وذلك لأن الفعل « يهبط » يستخدم لوصف حركة جسم ما لأسفل في اتجاه معين وبمقدار وسرعة ميل محددين ، فمثلاً يقال « هبوط الطائرة » أي أن الطائرة مقيدة في حركتها لأسفل - عن طريق القائد - باتجاه معين ومقدار محدد للهبوط وكذلك زاوية ميل مقاسة. أما إذا قلنا « سقوط الطائرة » فهذا يعني حركة عشوائية لأسفل غير معلومة الكيفية والاتجاه والميل .

وبالتالي فإن الفعل « يهبط » يتناسب تماماً في المعنى مع ظاهرة الهبوط الصخري - التي تم شرحها - من حيث تحديد اتجاه الحركة ومقدارها ، وأيضاً زاوية الميل ، كما توصل إلى ذلك العلم الحديث . والله تعالى أعلى وأعلم .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يأت بعد الفعل « يهبط » أي أفعال أو صفات قد تفيد التخصيص لحجر محدد - كما ورد في الجزأين الأول والثاني - بل جاء قبله ما يفيد العموم وهو « منها » لأن هذه الظاهرة يمكن حدوثها لجميع أنواع الصخور التي لا حصر لها ، هذا بالإضافة إلى إمكانية حدوث ظواهر أخرى كالسقوط أو الانهيار الكامل .

جانب آخر من الإعجاز في الآية ألا وهو الترتيب في ذكر ووصف تلك الظواهر الطبيعية الثلاثة على النحو الذي وردت به وليس بترتيب آخر (ظاهرة التفجر يليها التشقق ثم الهبوط) وهو ما يعد وصفاً مطابقاً لما يحدث في الطبيعة بالفعل .

ففي الولايات المتحدة الأمريكية وتحديدًا في مدينة مكسيكوبولاية وايومنغ قام بعض علماء الجيولوجيا العاملين بهيئة المساحة الجيولوجية التابعة للولاية بنشر بحث على شبكة المعلومات الدولية تحت عنوان «الهبوط الكامن والمرتببط بعمليات سحب المياه الجوفية في حوض نهر بودر» . هذا البحث يناقش المشكلة التي تعاني منها المدينة والتي تتمثل في هبوط الطبقات الأرضية نتيجة للسحب المستمر للمياه الجوفية المخترنة في طبقات الحجر الرملي تحت المدينة. وأن هذه المشكلة تتكرر في مناطق ومدن أخرى في أمريكا.

والمهم في ذلك البحث هو ترتيب الأحداث التي أدت إلى تلك المشكلة ...
 فالبداية انفجار للمياه الجوفية المختزنة بباطن الأرض
 يليه تشقق للصخور المحيطة بطبقات الخزان الجوفي
 ثم هبوط للكتل الصخرية المقام عليها المدينة.

ويحدث ذلك الهبوط نتيجة لكونه مترافقاً مع عمليات السحب المستمر للمياه من الخزان الجوفي للمدينة ، ولذلك فإن طبقات الحجر الطفلي (المقامة عليها المدينة) والتي تعلو طبقات الحجر الرملي المليئة بالماء (الخزان الجوفي) تجف تدريجياً نتيجة لتسرب جزء من المياه التي بداخلها إلى الحجر الرملي أسفلها فيحدث جفاف وتشقق لطبقات الحجر الطفلي واتساع للفجوات ومسام الحجر وتصبح تلك المسام مليئة بالهواء لا بالماء. ومن ثم ونتيجة للأعمال التي فوق الطبقات فانها تنضغط ويحدث الهبوط.

وآخرأ ...

الإعجاز العلمي في جملة ... " من خشية الله »

من هذه الجملة يتجلى لنا التفسير العظيم لظاهرة « الهبوط الصخري » ليس ذلك فحسب بل وكلاً من ظاهرتي « التفجر » و« التشقق ». فكل ما يحدث للصخور من عمليات تفجر أو تشقق أو هبوط سببه العلمي واحد ، وهو تعرضها لقوى جذب « شد » كبيرة جداً ينشأ عنها ردود أفعال متفاوتة ومختلفة - التي ذكرها الله عز وجل - وذلك بناءً على طبيعة وتكوين كل نوع من أنواع الصخور. تلك القوى والحركات الصخرية هي أثر الخوف والخشوع من الله عز وجل.

فإذا تأملنا كلمة « خشية » نرى أنها تعني « الخوف ». والخوف هو ظاهرة نفسية معروفة لدى البشر تحدث نتيجة وقوع الإنسان تحت عامل مؤثر يثير الخوف والرعب لديه فيتولد من تلك العملية - كلما اشتد الخوف - قوى شد في جسم الإنسان تسري في عضلاته وأوصاله، وهي معروفة باسم « الشد العصبي » .

وكلما زاد ذلك الخوف زادت تلك القوى بداخله لدرجة قد تؤدي إلى انفجار بعض الشرايين أو توقف عضلة القلب نتيجة الانقباض المفاجئ لها . وكما يحدث مع الإنسان فإنه يحدث مع الصخور والجبال إذ أنها تتأثر من شدة خوفها من الله - عز وجل - بقوى شد كبيرة جداً تؤدي إلى تفلقها وتصدعها (الفوالق) والتي تؤدي بدورها إلى عملية الهبوط التي سبق شرحها .

ولقد ورد هذا المعنى بصورة واضحة في سورة الحشر إذ يقول الله عز وجل ...

بسم الله الرحمن الرحيم

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » (٢١ - الحشر) .

وفي بعض الأحيان إذا زادت كمية الفوالق بدرجة كبيرة فإنها تؤدي إلى انهيار الجبل ونرى هذا المعنى جلياً في سورة الأعراف إذ يقول الله عز وجل .. بسم الله الرحمن الرحيم « فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً » (١٤٣ - الأعراف) .

فهذه الآيات توضح لنا ، وتؤكد أسباب التصدع والتي يتبعها إما عمليات الهبوط أو الانهيار الكامل للصخور والجبال .

ويأتي السؤال الأخير ... أما أن لنا أن نخشع كخشوع الجبال والصخور؟؟

وإيجازاً لما سبق نجد أن الآية تناولت في أجزاءها الثلاثة وصفاً بديعاً للعديد من الظواهر الجيولوجية وإظهاراً للعلاقة بين المياه وأنواع الصخور الرئيسية المكونة لمجموعة الصخور الرسوبية ألا وهي الحجر الرملي ، الحجر الجيري وأخيراً الحجر الطفلي .

إنه حقاً لقرآن كريم وعظيم . عظيمٌ في كل ما يحتويه وسيظل عظيماً ، وسنظل عاجزين أمامه ولكنه سيبقى في عظمته هادياً إلى أن يشاء الله رب العالمين .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين

المراجع العربية

- القرآن الكريم
- المعجم الوجيز
- تفسير ابن كثير
- تفسير سيد قطب

المراجع الأجنبية

- Billings, M. P. (1979) : Structural Geology, Third Edition, Pub.: Prentice-Hall of India Private Limited, New Delhi.
- Greensmith, J. T.; Hatch, F. H. and Rastall, R. H. (1971) : Petrology of the Sedimentary Rocks, Fifth Edition, Pub.: George Allen and Unwin Ltd.
- Holmes, A. (1975) : Principles of Physical Geology, Second Edition, Pub.: ELBS.
- Sawkins, F. J.; Chase, C. G.; Darby, D. G. and Rapp, G. J. (1978) : The Evolving Earth: a text in physical geology, Second Edition, Pub.: Collier Macmillan.

المواقع على شبكة المعلومات الدولية

- موقع ملخص رسالة الدكتوراة الخاصة بالباحثة « فيسر » .
<http://nw-ialad.uibk.ac.at/Wp2/Tg3/Se2/Ss5/Sss2>
- موقع المياه الجوفية في قارة استراليا.
- موقع بحث المياه الجوفية الخاص بهيئة المساحة الجيولوجية لولاية وايومنغ - أمريكا.
<http://www.wsgs.uwyo.edu/oilandgas/Subsidence.aspx>



المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

القرآن وأنظمة الأرض الديناميكية

أ.د. زكريا هميمي، أ.د. محمد هداية الله قاري، د. محمد إبراهيم متساه

قسم الجيولوجيا البنائية والاستشعار عن بُعد، كلية علوم الأرض،

جامعة الملك عبد العزيز



المُلخَص

ثمّة فرعٌ من أفرعِ عِلْمِ الجيوفيزياء، يُعرَفُ بِاسْمِ «الجيو ديناميكا» (ديناميكا الأرض) Geodynamics، يَهْدَفُ إلى دراسةِ تَطَوُّرِ الغلافِ الصَّخْرِيِّ ووشاحِ الأرض (السُّتار- اللِّحَاف) Mantle ولُبِّها الدَّاخِلِيِّ Core، وَيَقُومُ على استخدامِ البياناتِ المُتاحةِ مِنْ أنظمةِ تحديدِ المواقعِ العالميةِ الجيوديسيةِ Geodetic GPS، وَعِلْمِ الزلازل، والنماذجِ الرِّقْمِيَّةِ Numerical models، بجانبِ تقنياتِ الاستشعارِ عن بُعدِ بأنظمةِ الرِّادارِ المُستخدمةِ في الجيوديسيا والمجالاتِ العلميةِ المُختلفةِ InSAR or IfSAR.. ولقد تَبَيَّنَ مِنْ خِلالِ هذا الفرعِ وغيره من أفرعِ عُلُومِ الأرض، وبخاصةِ «الجيو تكتونيكًا» (تكتونية الأرض) Geotectonics، أَنَّ الغلافَ الصَّخْرِيَّ للأرضِ ونُطقَ الأرضِ المُختلفةِ (القشرة-الوشاح- اللُّب) في حالةِ حركةٍ دائِبةٍ، وَمِنْ ثَمَّ خَرَجَتْ إلى حَيِّزِ الوجودِ نظريةُ «بنائيةِ الألواح» (تكتونيةِ الألواح- تكتونيةِ الصَّفائح) Plate Tectonics التي تَنْصُ على أَنَّ الغلافَ الصَّخْرِيَّ للأرضِ (الليثوسفير) Lithosphere يتألفُ مِنْ مجموعةٍ مِنَ الألواحِ التكتونيةِ (الصفائح التكتونية)، تَطُوفُ فَوْقَ نِطاقٍ لَدُنِ يُعرَفُ بِاسْمِ «نِطاقِ المَوْر» (الريوسفير Rheosphere- الأثينوسفير Asthenosphere-نِطاقِ السُّرعاتِ الضعيفةِ Low velocity zone)، وهذهِ الألواحُ تَتَحَرَّكُ مُتباعِدَةً عن بعضها في مناطق، ومُتقاربةً في مناطقٍ أُخرى.. وتُعَدُّ نظريةُ «بنائيةِ الألواح» واحدةً مِنْ أَشْهَرِ وأكْبَرِ خَمْسِ نظرياتِ في المجالاتِ العلميةِ على الإِطْلَاقِ عِبْرَ التاريخِ؛ بجانبِ النَّظْريَةِ النَّسْبِيَةِ Relativity لـ «ألبرت أينشتاين»، ونظريَةِ الانفجارِ العظيمِ Big Bang التي أُرْسِي أُسُسُها «جورج ليمتريه»، والجدولِ الدَّوْرِيِّ Periodic Table لـ «ديمتري مندليف» ونظريَةِ التَّطَوُّرِ والنُّشوءِ Evolution لـ «شارلز دارون»، معِ ضرورةِ التأكيدِ على أَنَّ الفِكرَةَ التي تَقُومُ عليها نظريةُ التَّطَوُّرِ والنُّشوءِ تَبَّتْ عِندَ صِحَّتِها وَتَمَّ دَحْضُها عِلْمِيًّا، كما أَنَّها تَتَنافَى معِ ما جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالَاتُ السَّمَاوِيَّةُ، وبخاصةِ شريعةِ

الإسلام العَرَاء.. وفي كُلِّ يوم تتراكم الأدلة العلمية المؤكدة لصحة نظرية «بنائية الألواح» من خلال سبر قيعان البحار والمحيطات بأجهزة عالية الدقة، ومن خلال مشروع الحفر في البحار العميقة، ومن خلال المستشعرات الفضائية وأجهزة المسح الجيوديسي التي ترصد تحركات الكتل القارية.

وإذا كان الغلاف الصخري للأرض في حالة حركة مستمرة وديناميكية، لكنها تتم ببطء شديد للغاية يصعب إدراكها بالعين المجردة، إذ يتراوح معدل الحركة الجانبية للألواح التكتونية من ٦٦، ٠ إلى ٨، ٥٠ سنتيمتر في العام، فإن هنالك دورة أخرى أسرع حركة وأقوى ديناميكية تعرف باسم «الدورة المائية» أو «الدورة الهيدرولوجية» Hydrologic cycle تقوم على تتبع ووصف حركة المياه فيما بين الغلافين المائي والهوائي وداخل المسامات الصخرية.. وإزاء هذا يصنف العلماء أنظمة الأرض الديناميكية إلى نظامين رئيسين، هما: النظام التكتوني (النظام الحركي) Tectonic System، والنظام المائي (النظام الهيدرولوجي) Hydrologic System.. وترتبط حركة النظام الأول بطاقة حرارية كامنة في باطن الأرض وبتيارات حمل كامنة في نطاق المور (الريوسفير-الأينوسفير-نطاق السرعات الضعيفة)، بينما ترتبط حركة النظام الثاني بالطاقة الشمسية وبالجاذبية الأرضية.

وبإمعان النظر في كتاب الله، عز وجل، نجد أن هناك إيماءات كثيرة تشير إلى النظام التكتوني (النظام الحركي)، من ضمنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل : ٨٨)، وقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ (النازعات : ٣٢)، وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (الطارق : ١٢)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (الأنبياء : ٣٠).

وهناك إيماءات قرآنية كثيرة أيضا إلى النظام المائي (النظام الهيدرولوجي)، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ

لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ (الأعراف : ٥٧)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (السجدة : ٢٧)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّا تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لُمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت : ٣٩)، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعَبْنَا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (عبس : ٢٤-٣٢)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون : ١٨).. والآيات سالفة الذكر، وغيرها الكثير، تشير إلى طلاقة القدرة الإلهية التي أبدعت أيما ابداع حين جعلت الدورة المائية (الدورة الهيدرولوجية) تتم وفق ناموس مُحكم، لا يعتريه الخلل، ولا يمكن أن يُصيبه العوار؛ فعندما تسقط أشعة الشمس على صفحات البحار والمحيطات يتبخر جزء من المياه، ثم يتكاثف، ثم يتساقط فوق سطح الأرض في صورة مطر أو برد ليستفيد منه الإنسان والحيوان والنبات، وبعض الماء يأخذ طريقه ويستقر في مكان مناسب في جوف الأرض لتتشكل بذلك المياه الجوفية (المياه الباطنية) Groundwater، ومنه ما ينساب ويجري في الأودية حتى يصل إلى البحار والمحيطات مرة أخرى.

الأنظمة الديناميكية للأرض في إطار العلوم الحديثة

تتألف الأرض من ثلاثة أغلفة رئيسية، هي (من الداخل إلى الخارج): الغلاف الصخريّ Lithosphere، والغلاف المائيّ Hydrosphere، والغلاف الجويّ (الغلاف الهوائيّ - الغلاف الغازيّ) Atmosphere، ويضاف إلى هذه الأغلفة الثلاثة ما يُعرف بالغلاف الحيويّ Biosphere، وهو يشغل الحيز الهائل الذي تعيش فيه الكائنات الحيّة (بما فيها الإنسان) فوق سطح اليابسة، وفي الماء والهواء (شكل ١).. ويتشكّل الغلاف الصخريّ للأرض في حدّ ذاته من مجموعة من النطاقات المتتالية (شكل ٢)، التي تطبقت وانفصلت عن بعضها البعض بتأثير التغير النسبي في الكثافة Density layering، وذلك بعيد انفصال بعض أجزاء من السحابة السديمية Gaseous nebula التي كانت تُحيط بالشمس الأولية Proto-Sun في بداية تكوين كواكب المجموعة الشمسية، حيث تراكمت الجسيمات الأكبر كثافة في الداخل ثم الأقل، فالأقل، وهكذا.. أمّا الغلاف الجويّ فيتشكّل من خليط من غازات النيتروجين والأكسجين وثنائي أكسيد الكربون وغازات أخرى، فضلاً عن بخار الماء.. ويصل سُمْك هذا الغلاف إلى مئات الكيلومترات، وهو يقوم بمهمة أخرى، غير توفير الهواء اللازم للتنفس، في أنه يحمي الإنسان والحيوانات والنباتات من تأثير الأشعة الكونية بما فيها أشعة جاما وأشعة إكس والأشعة فوق البنفسجية الضارة، كما أنه يمثّل حائط صد أمام آلاف القطع النيزكية والمذنبات التي تُحاول الوصول والولوج إلى سطح الأرض.. وهناك اعتقادٌ سائدٌ لدى جمهرة العلماء في أن يكون الغلاف الجويّ قد تكوّن في فترة تالية لنشأة الأرض، حيث خرجت غازته مع الأنشطة والثورات البركانية، التي قذفت الهيدروجين وبخار الماء وكلوريد الهيدروجين والنيتروجين وأول وثنائي أكسيد الكربون..

وقد ازدادت نسبة الأكسجين في الغلاف الجوي مع مرور الوقت؛ بسبب قيام النباتات بعملية التمثيل الضوئي Photosynthesis.. ويتضمن الغلاف المائي للأرض المستودعات المائية الضخمة الموجودة بالمحيطات والبحار والبحيرات، والأنهار والفرش الجليدية المترامية في المناطق القطبية، كما يتضمن أيضاً المياه الجوفية المخزنة في مسامات التربة وفي شقوق وفواصل الصخور المختلفة.. وأهم العناصر الموجودة في الغلاف المائي هي: الأكسجين، والهيدروجين، والكلور، والصوديوم، مع نسبة لا تزيد عن ٠,٥١ من عناصر أخرى.. وكما هو الحال بالنسبة للغلاف الجوي فإن العلماء يعتقدون في النشأة المتأخرة للغلاف المائي، أي أنه تكون بعد اكتمال نشأة الأرض بفترة.. ومن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن الغلاف الجوي والغلاف المائي من ضرورات الحياة على سطح الأرض، ولولاهما لما عاش إنسان أو حيوان أو نبات فوق سطح الأرض، ولاندثرت واستحالت كل صور الحياة تماماً، كما هو الحال في بعض كواكب المجموعة الشمسية.

وبالنظر إلى العلاقة فيما بين الغلاف الصخري للأرض من جهة والغلاف المائي والهوائي من جهة أخرى، لاحظ العلماء والباحثون أنها علاقة ديناميكية، حيث تتفاعل هذه الأغلفة وتحرك حركة مستمرة بالنسبة لبعضها البعض.. ومن جهة أخرى فلقد أثبتت الدراسات الجيولوجية والجيوفيزيكية بما لا يدع مجالاً للشك أن النطق المتتالية المكونة للغلاف الصخري في حالة حركة متواصلة أيضاً بالنسبة لبعضها البعض.. وترتبط حركة الغلاف المائي والهوائي بالطاقة الشمسية Solar energy، بينما ترتبط حركة نطق الغلاف الصخري بطاقة حرارية كامنة في باطن الأرض وبتيارات حمل كامنة في بعض النطق؛ مثل نطاق المور (الأثينوسفير Asthenosphere-الرئوسفير Rheosphere-نطاق السُرعات الضعيفة).. وفي ضوء ما تقدم، وبسبب طبيعة وتداخل العلاقة بين الغلاف المائي والجوي، تُصنّف الأنظمة الديناميكية للأرض إلى نظامين كبيرين، هما: النظام التكتوني (الحركي)، والنظام المائي (الهيدرولوجي).

أولاً: النظام التكتوني Tectonic System

يختلف النظام التكتوني عن النظام المائي في أنه يصعب إدراك ديناميكيته وحركته لأسباب متعددة، من أهمها: أن هذا النظام يتم في أعوار الأرض السحيقة، كما أن التحركات السطحية المصاحبة له لا تتعدى مليمترات معدودة في العام؛ ومن ثم فإنه يصعب ملاحظتها بالعين المجردة في فترات زمنية محدودة.. والأدلة على ديناميكية النظام التكتوني يمكن التحقق منها من خلال فحص ودراسة بعض الظواهرات الجيولوجية؛ مثل: الزلازل، والبراكين، والصدوع الكبرى التي تقطع الغلاف الصخري، والأحزمة التجلية المنطوية، بالإضافة إلى العديد من الظواهرات الجيولوجية المورفوتكتونية Morphotectonic features الموجودة في قيعان البحار والمحيطات، وبخاصة الأعراف (الحيود) المحيطية Mid-Ocean ridges، والخنادق البحرية العميقة Deep Sea Trenches، والصدوع الناقلة للحركة (صدوع التحويل) Transform faults، وأقواس الجزر البركانية، والبقع الساخنة Hot spots.

ولقد افترحت عدة نظريات للوقوف على كيفية تطور وديناميكية الغلاف الصخري للأرض، ولتبيان ميكانيكية عمل النظام التكتوني؛ من أبرزها: نظرية الانكماش Contraction Theory، ونظرية التمدد Expansion Theory، ونظرية الزوارق الأرضية Geosynclinal Theory، ونظرية «بنائية الألواح» (تكتونية الألواح - تكتونية الصفائح) Plate Tectonics.. وتعدُّ نظرية بنائية الألواح في وقتنا الحاضر إطاراً مرجعياً لتفسير الظواهرات الجيولوجية على اختلاف أنماطها وضروبها وأحجامها؛ لكونها واحدة من أشهر وأكبر خمس نظريات في المجالات العلمية على الإطلاق عبر التاريخ، ولوجود براهين ومُشاهدات وأدلة كثيرة مؤكدة ومؤيدة لها.. وتقوم هذه النظرية على فكرة أن الغلاف الصخري للأرض (الليثوسفير) في حالة حركة وتفاعل Interaction، وأنه يتألف من مجموعة من الألواح التكتونية (الصفائح التكتونية)، تطفو فوق نطاق لدن يُعرف باسم «نطاق المور» (الريوسفير-الأينوسفير-نطاق السرعات الضعيفة)، وتتألف هذه الألواح من قشرة قارية فقط، أو من قشرة محيطية فقط، أو من قشرة قارية ومحيطية في آن واحد، وتتحرك متباعدة عن بعضها في مناطق، ومُتقاربة في مناطق أخرى، بمعدل حركة يتراوح

فيما بين ٦٦, ٠ و ٨, ٥٠ سنتيمتر في العام.. وتتبعاً لطبيعة الحركة، تُصنّف حواف الألواح التكتونية إلى ثلاثة أنواع: حواف تباعدية (بنّاءة-تمدّدية) Divergent boundaries، وحواف تقاربية (هدّامة-تضاغطية) Convergent boundaries، وحواف ناقلة للحركة (مُحافظة) Transforms.

وفي ظلّ وجود أجهزة عالية الدقة تقوم بمراقبة ورصد حركة الألواح التكتونية- التي تُشكّل في مجملها الغلاف الصخري للأرض- أضحت الحركة في حدّ ذاتها من الأمور المقبولة لدى جبهة علماء الأرض، بل وأصبحت من الحقائق العلمية الثابتة والرّاسخة التي لا يُختلف عليها (شكل ٣).. وربما يكون الشيء الوحيد الذي يدور حوله نقاش عميق بين العلماء، يصل إلى مرحلة الجدال في بعض الأحيان، هو نوع وطبيعة «القوى المسببة لحركة هذه الكتل الصخرية الضخمة (Driving force (driving mechanism)؛ فواضعو اللبّات الأولى للنظرية يعتقدون بوجود تيارات حمل داخل نطاق المور (الرئيسفير-الأثينوسفير- نطاق السرعات الضعيفة)، والمعارضون لفكرة تيارات الحمل يرون أنه لا توجد ثمة أدلة على وجود نطاق لدن متصل تحت الغلاف الصخري يحيط الأرض بكاملها، ويعتقدون بدور فاعل لـ «بقع وشاحية حارة» Mantle Superplumes أول «قنوات دفق» Surge channels في حركة الألواح التكتونية، وهو ما حداً بطائفة من العلماء إلى اقتراح نظرية جديدة قبل نحو عقدي من الزمان عُرفت باسم «نظرية بنائية الدفق» Surge Tectonics، عوضاً عن «نظرية بنائية الألواح» Plate Tectonics.. ونظرية «بنائية الألواح» ونظرية «بنائية الدفق» (وغيرها من النظريات والفرضيات، مثل: نظرية بنائية التّحرّف العالميّة Global Wrench Tectonics) تتفق جميعها في نقطة جوهرية، وهي أنّ الغلاف الصخري للأرض، يتشكّل من مجموعة من الأجزاء أو القطع أو الألواح أو الصفائح التي تتحرك بالنسبة لبعضها البعض، وتختلف النظريات- كما سبق أن ذكرنا- في تفسير مسببات الحركة أو القوى الكامنة وراءها.

ثانيا : النظام المائي Hydrologic System

يتمثل النظام المائي بدورة المياه خلال الغلاف الجوي والبحار والمحيطات، وفوق سطح الأرض وتحت سطحها، وتلعب الشمس دوراً مهماً كمصدر للطاقة بالنسبة لهذا النظام، كما ترتبط حركة وانسيابية المياه فيه ارتباطاً وثيقاً بقوى الجاذبية الأرضية، ولهذا فإنه يُعرف باسم «نظام الانسياب الثقالي» أو «نظام التدفق الثقالي» Gravity flow system؛ لأنه بفعل قوى الجاذبية يتساقط المطر فوق سطح الأرض، وتسرّب المياه وتتغلغل إلى جوف الأرض، وبفعل قوى الجاذبية تتدفق المياه خلال الأنهار والقنوات والمجاري، وتقوم بحمل الترسبات من المناطق المرتفعة إلى المناطق المنخفضة، فتتشكل الدلتاوات والنطاقات الحصبة.. وبتدقيق النظر في أية صورة فضائية ملتقطة للأرض ككل يُلاحظ أن هنالك مساحات شاسعة مغطاه بالبحار والمحيطات مقارنةً بالمناطق التي تشغلها اليابسة، كما أن السحب تظهر في بعض المناطق في صورة أنماط دوامية Swirling patterns، وتحتوي مثل السحب على كميات هائلة من الطاقة، وبعضها يظهر في صورة أعاصير Hurricanes تكون مضحوبةً بمطارٍ عزيزة ورعد وبرق.. ويُقدّر العلماء الطاقة الناشئة Kinetic energy عن إعصار واحد بما مقداره ١٠٠ بليون كيلوات-ساعة يومياً، وهي طاقة تزيد عن إجمالي الطاقة المستخدمة على مستوى العالم في اليوم الواحد!! ويتألف النظام المائي في مجمله من مجموعة من الأنظمة الفرعية؛ منها: الأنظمة النهريّة، والأنظمة الجليدية، وأنظمة المياه الجوفية (المياه الباطنية)، والأنظمة الريحية (الرياحية).. وفيما يلي وصف موجز لهذه الأنظمة.

(١) الأنظمة النهريّة River Systems

تتكوّن الأنظمة النهريّة نتيجة لسقوط الودق أو المطر فوق اليابسة، وجريان وتدّفق المياه خلال قنوات ومجارٍ من مناطق مرتفعة شديدة التّضرس (منابع الأنهار) إلى مناطق منخفضة تُوجد في العادة على تخوم وحواف المحيطات والبحار والبحيرات (مصبات الأنهار)، ويتألف كلُّ نظام من مجرى رئيس Main Stream ومجموعة كبيرة من الرّوافد Tributaries المتصلة به.. وعند منطقة المصبّ تقوم الأنظمة النهريّة بترسيب كميات كبيرة من الرّمال والغرين Silt والطين؛ فتتشكّل بذلك دلتا ذات أشكال مُتعددة؛ مثل: دلتا نهر المسيسيبي

Mississippi Delta، وهي أكبر دلتا على مستوى العالم، ودلتا نهر النيل Nile Delta، وهي أشهر دلتا على مستوى العالم (شكل ٤).

(٢) الأنظمة الجليدية Glacial Systems

في العروض والمناطق الباردة يتساقط المطر في صورة «برد» أوقطع ثلجية صغيرة، تتراكم فوق بعضها البعض مكونة مجالد Glaciers، من أشهرها على مستوى العالم «مجلدة القارة القطبية الجنوبية» التي يصل سُمكها ٢,٥ كيلومتراً، وتُغطي مساحة قدرها ١٣,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً.

(٣) أنظمة المياه الجوفية (المياه الباطنية) Ground-Water Systems

تمثل المياه المتسربة إلى باطن الأرض، عبر المسامات الموجودة في التربة والصخور، جزءاً مهماً من النظام المائي، وهذه المياه تستقر فيها يُعرف باسم الخزانات الجوفية Aquifers، وهي عبارة عن طبقات صخرية مُنفذة حاملة للمياه Water-bearing permeable rocks، تتشكل عادةً من الحصى والرّمال والغرين والطمي، تُوجد تحتها وعلى جنباتها طبقات أخرى غير مُنفذة بالمرّة.

(٤) الأنظمة الريحية (الرياحية) Eolian Systems

تُغطي المناطق الصحراوية الجافة وشبه الجافة حوالي ثلث مساحة سطح الكرة الأرضية (٤٨ مليون كيلومتراً مربعاً تقريباً)، وفيها تلعب الرياح دوراً رئيساً في عملية نقل الرّمال والفتات الصخري غير المتناسك من منطقة وترسيبها في منطقة أخرى.. وبنظرة شمولية يُمكن اعتبار الرياح في حد ذاتها جزءاً لا يتجزأ من النظام المائي؛ لأنها تتسبب في تشكيل السحاب.

الأنظمة الديناميكية للأرض في القرآن الكريم

ثُمَّ آيَاتٌ مُتَعَدَّةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تُشِيرُ صِرَاحَةً إِلَى النَّظَامِ التَّكْتُونِيِّ (النَّظَامِ الْحَرَكَِيِّ) الَّذِي يَقُومُ عَلَى حَرَكَةِ كُتَلِ الْغِلَافِ الصَّخْرِيِّ الضَّخْمَةِ، الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْأَرْضِ بِاسْمِ «الْأَلْوِاحِ التَّكْتُونِيَّةِ» أَوْ «الْصَّفَائِحِ التَّكْتُونِيَّةِ»، وَعِنْدَ عَامَةِ النَّاسِ بِاسْمِ «الْجِبَالِ».. وَمِنْ ضَمَنِ هَذِهِ الْآيَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النَّمْلُ : ٨٨)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا﴾ (النَّازِعَاتُ : ٣٢)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (الطَّارِقُ : ١٢)، ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الْأَنْبِيَاءُ : ٣٠)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (الْقَصَصُ : ٨١).

فِي الْآيَةِ (٨٨) مِنْ سُورَةِ النَّمْلِ يُشِيرُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى أَنَّ الْجِبَالَ لَيْسَتْ جَامِدَةً وَلَا هَامِدَةً، وَلَكِنَّهَا تَتَحَرَّكُ، وَحَرَكَتُهَا أَشْبَهُ مَا تَكُونُ بِحَرَكََةِ السَّحَابِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ؛ وَالسَّحَابُ كَمَا أَخْبَرَنَا الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَكَمَا نَرَى بِأَمْرٍ رَوْسِنًا عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى صَفْحَةِ السَّمَاءِ، يَكُونُ مَبْسُوطًا وَكِسْفًا (أَيَ قِطْعًا مُتَفَرِّقَةً مُعْزَلَةً عَنِ بَعْضِهَا الْبَعْضُ) وَمَرْكُومًا فَوْقَ بَعْضِهِ الْبَعْضُ.. وَفِي الْآيَةِ (٣٢) مِنْ سُورَةِ النَّازِعَاتِ يُشِيرُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى ثَلَاثِ حَقَائِقَ عِلْمِيَّةٍ مُهِمَّةٍ؛ أَوَّلَاهَا: أَنَّ الْجِبَالَ تَتَحَرَّكُ؛ لِأَنَّ «الرُّسُوءَ» لَا يَكُونُ إِلَّا لِشَيْءٍ مُتَحَرِّكٍ مِثْلِ الْمَوَاحِرِ عَلَى الْمَاءِ، وَثَانِيهَا: أَنَّ حَرَكَتَهَا حَرَكََةٌ أَفْقِيَّةٌ (وَهَذَا مَا تَقُولُ بِهِ النِّظَرِيَّاتُ الْعِلْمِيَّةُ الْحَدِيثَةُ الْمَطْرُوحَةُ لِتَبْيَانِ جَيُودِيْنَامِيكِيَّةِ الْأَرْضِ)، وَثَالِثُهَا: أَنَّهَا تَتَحَرَّكُ فَوْقَ وَسْطِ سَائِلٍ أَوْ مُنْصَهَرٍ أَوْ مَائِعٍ مِثْلِ حَرَكََةِ السُّفْنِ عَلَى الْمَاءِ.. وَفِي الْآيَةِ (١٢) مِنْ سُورَةِ الطَّارِقِ تُوصَفُ الْأَرْضُ بِأَنَّهَا مُتَّصِدَّةَةٌ؛ وَالتَّعْرِيفُ الْعِلْمِيُّ لِلصَّدْعِ Fault: هُوَ كَسْرٌ أَوْ شَقٌّ فِي الْغِلَافِ الصَّخْرِيِّ لِلأَرْضِ يَكُونُ مَصْحُوبًا بِحَرَكََةٍ ظَاهِرَةٍ عَلَى

جانبيه.. وفي الآية (٣٠) من سورة الأنبياء إشارة واضحة إلى أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ومُلتحمتين في بداية الخلق، ثُمَّ فَتَقْنَا وَانْفَصَلْنَا عَنْ بَعْضِهَا بَعْضًا (وشبهه هذا تشرحه نظرية الانفجار العظيم Big Bang Theory)، وتَحْتَمِلُ الْآيَةُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ احْتِوَاءَ الْأَرْضِ عَلَى بَعْضِ نِطَاقَاتِ الْفَتْقِ أَوِ التَّخَدُّدِ Rift zones.. وفي الآية (٨١) من سورة القصص تبيان لحادثة الخسف التي تعرّض لها قارون، بدعوة من سيدنا موسى، عليه السّلام، كما تقول الروايات.س

وكما أشار القرآن الكريم إلى النظام التكتوني (النظام الحركي)، فقد أورد الكثير من الإشارات إلى الأنظمة النهرية، والأنظمة الجليدية، وأنظمة المياه الجوفية (المياه الباطنية)، والأنظمة الريحية (الرياحية)، وهذه الأنظمة تُشكّل في مجملها ما يُعرف بالنظام المائي (الهيدرولوجي).. ولأنّ الأنهار حاملة خير وناء، وتعدّ من شرايين الحياة فوق سطح الأرض، ولأنّ ماءها عذب فرات سائغ للشاربين، ولأنّ النظر إليها يبعث على الأمل، ويهدئ النفس، ويُصفيها من أكارها، ويذهب أحزانها، وينزع الغلّ من الصدور، فقد وردت كلمة «الأنهار» نحو سبع وأربعين مرة، جُلّها مَقْرُونَةٌ بجنات النعيم أوبيجات عدن، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (يونس: ٩)، وقوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (البينة: ٨)، أومَقْرُونَةٌ بالجنات التي أعدها الله تعالى للمتقين على إطلاقها، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (النساء: ١٢٢)، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ (الأعراف: ٤٣).. وفي الآية الثانية والثلاثين من سورة إبراهيم يوضح القرآن الكريم أنّ الأنهار في حالة حركة وديناميكية، وأنّ حركتها وجريانها بأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾.. وفي الآية الواحدة والستين من سورة النمل تأكيد على أنّ الذي خلق الأنهار وجعلها هو الخالق سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.. ومن الأشياء المبهرة التي

وَضَحَّهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بخصوص الأنهار الطرائق المختلفة التي تَشَكَّل من خلالها؛ فمن الآية السابعة عشرة من سورة الرَّعْد نَتَبَّن أن الأنهار تَشَكَّل نتيجة لتساقط الأمطار من السماء، ثُمَّ جريانها في صورة سُبُول في بَطُون الأودية ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾، ومن الآية الرابعة والسبعين من سورة البقرة نَتَبَّن أن المياه الجارية في الأنهار تكون أحياناً باطنية أو جوفية المصدر، إذ تتدفق وتتفجر من الحجاره الصماء والحجاره المتشققة ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾، وهو ما يُمكن الوقوف عليه أيضاً من الآية الثالثة والثلاثين من سورة الكهف ﴿كَلْنَا الْجَبْتِينِ أَتَىٰ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَافَهَا نَهْرًا﴾.. والآية الأخيرة واحدة من أربع آيات وَرَدَ فيها ذِكْر كلمة «نهر» بصيغة الإفراد.. وإذا كان علماء الأرض في عصرنا الحديث قد أثبتوا بالأدلة والبراهين أن دلتنا نهر النيل كانت تتألف في سالف الأيام من مجموعة من الأفرع، بالإضافة إلى فرعي دمياط ورشيد الموجودين حالياً، فقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة العلمية في الآية الواحدة والخمسين من سورة الزخرف في معرض حديث فرعون مع قومه: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

وفي الوقت الذي أشار فيه القرآن الكريم مرات عديدة إلى الأنهار، نلاحظ أنه أَوْجَز الحديث عن الأنظمة الجليدية، حيث أشار إليها مرة واحدة في الآية الثالثة والأربعين من سورة النور في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾.. والايجاز ربما يكون معزواً إلا أن المجالد بالرغم من أنها تمثل أكبر مُستودعات وخزانات للمياه العذبة فوق سطح الأرض Largest reservoir of freshwater on Earth، إلا أنها تتركز في المناطق القطبية غير المأهولة بالسكان وتوجد كذلك فوق قمم الجبال السامقة غير المأهولة أيضاً في جميع القارات باستثناء قارة أستراليا.. وفي الآية إشارة إلى التيارات الهوائية وإلى دورها في دفع السحاب باتجاه الأعلى، وإشارة إلى تجميع السحاب وإلى تشكيل الغيوم الركامية، وإشارة

إلى الشكل الهندسي للغيوم الركامية بأنه يكون مثل شكل الجبال، وإشارةً إلى أماكن تشكيل وتجميع البرد (الثلج) في نطاقات محدّدة من الغيوم وليس في جميع أجزائها، وإشارةً إلى وصول جزء من البرد إلى الأرض وذوبان جزء آخر.

وفي معرض الحديث عن المياه الجوفية (المياه الباطنية)، أشار القرآن الكريم إلى أنّ أصل هذه المياه هي الأمطار المتساقطة من صفحة السماء التي تسلك ينابيع في الأرض ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الزمر: ٢١)، ووضّح أنّ المياه تسكن وتتجمع في مكان مناسب ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١٨)، وأنّ هذه المكان في ممتناول الأيدي ويسهل الولوج إليها؛ لأنها لو غارت في باطن الأرض لما استطاع الإنسان الاستفادة منها، ولما استطاع سكان المدن شاهقة الارتفاع عن سطح البحر الحصول على قطرة ماءٍ مهها حفروا من الآبار ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (الملك: ٣٠)، أو من العيون التي ربما تتدفق بصورة تلقائية ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ (يس: ٣٣-٣٤).

وفي القرآن الكريم وردت كلمة «الريّح» بصيغة الأفراد في ثمانية مواضع، ووردت كلمة «الريّاح» بصيغة الجمع في عشر مواضع.. في الحالة الأولى تكون الريّح في بعض المواضع عقياً وقاصفاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (الذاريات: ٤١)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ أَمْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (الإسراء: ٦٩).. وفي الحالة الثانية تكون الريّاح بُشراً وواقعاً؛ لارتباطها بتشكيل السحاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الحاثية: ٥)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿ (الحجر: ٢٢)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر: ٩).. وتبين من هذه الآيات وغيرها أن الرِّيحَ جزءٌ لا يتجزأ من النظام المائي؛ لدورها الفاعل في تشكيل السَّحاب.. والآية الخامسة والأربعون من سورة الكَهْفِ تُشيرُ إلى دور الرِّيحِ في عمليات التَّنْذِيرِ والتَّعْرِيةِ التي تتم فوق سطح الأرض ﴿وَأَضْرَبُ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾.

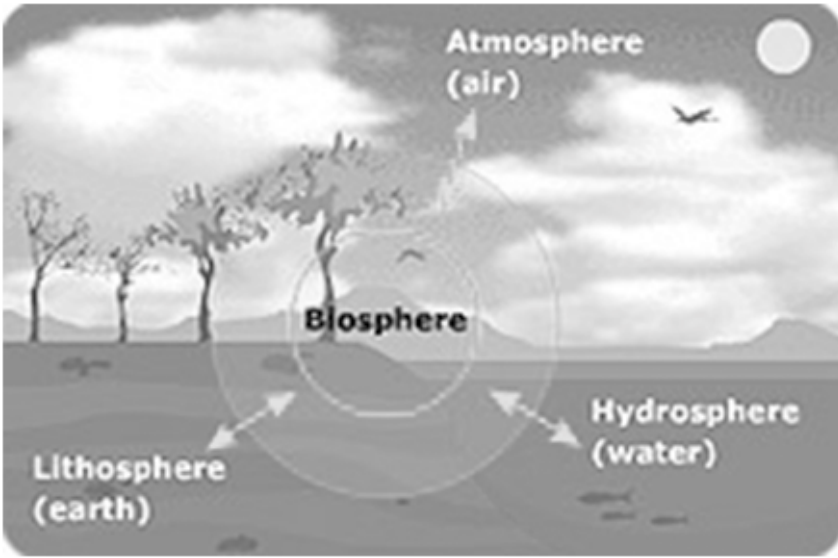
وفي الختام يَبْقَى سُؤَالَ مُهِمٍّ..

مَنْ الَّذِي أَخْبَرَ رَسُولَنَا الْأُمِّيَّ، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه، بهذه الحقائق العلمية التي لم تكن مَعْرُوفَةً على الإطلاق زَمَنَ نَزُولِ الوَحْيِ، والتي كان الحديدُ عنها، والوُلُوجُ فيها، يُعَدُّ ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الخِيَالِ (بل الخَبَلِ) العلميِّ حتى عَقُودَ قَرِيبةٍ؟! !! إنَّ الَّذِي أَخْبَرَهُ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، وَالَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، سبحانه وتعالى.

المراجع

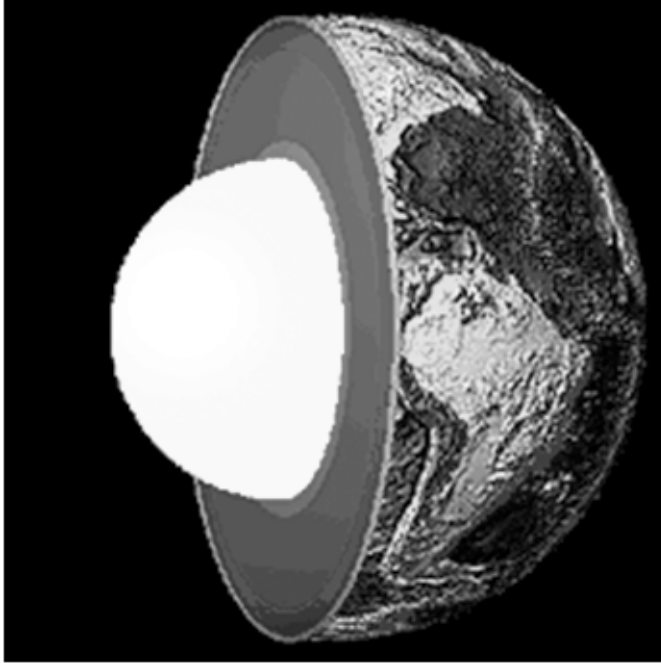
- القرآن الكريم

- Chatterjee, S., and Hotton, N. (Eds.). (1992). *New Concepts in Global Tectonics*. Lubbock, TX: Texas Tech University Press.
- Condie, K.C. (1997). *Plate tectonics and crustal evolution* (4 ed.). Butterworth-Heinemann. pp. 282.
- Fetter, C.W. *Applied Hydrogeology Fourth Edition*. Prentice Hall.
- Meyerhoff, A. A., Taner, I., Moms, A. E. L., Agocs, W. B., Kaymen-Kaye, M., Bhat, M. I., Smoot, N. C., & Choi, D. R. (1996). *Surge Tectonics: A New Hypothesis of Global Geodynamics*. D. Meyerhoff Hull, Ed. Dordrecht, The Netherlands: Kluwer.
- Ollier, C., & Pain, C. (2000). *The Origin of Mountains*. London: Routledge.
- Storetvedt, K. M. (2003). *Global Wrench Tectonics: Theory of Earth Evolution*. Bergen, Norway: Fagbokforlaget.
- Sverdrup, H. U., Johnson, M. W. and Fleming, R. H. (1942). *The Oceans: Their physics, chemistry and general biology*. Englewood Cliffs: Prentice-Hall. pp. 1087.
- Turcotte, D.L.; Schubert, G. (2002). „Plate Tectonics». *Geodynamics* (2 ed.). Cambridge University Press. pp. 1–21
- Wegener, A. (1966). *The origin of continents and oceans*. Biram John (translator). Courier Dover. pp. 246.
- Wilson, J.T. (1965) „A new class of faults and their bearing on continental drift». *Nature* 207: 343–347.
- Wilson, J. Tuzo (1966) „Did the Atlantic close and then re-open?». *Nature* 211: 676–681.
- Wilson, J.T. (1963) „Hypothesis on the Earth's behavior». *Nature* 198: 849–865.
- Zhen Shao, H. (1997). „Speed of the Continental Plates». *The Physics Factbook*. <http://hypertextbook.com/facts/ZhenHuang.shtml>.



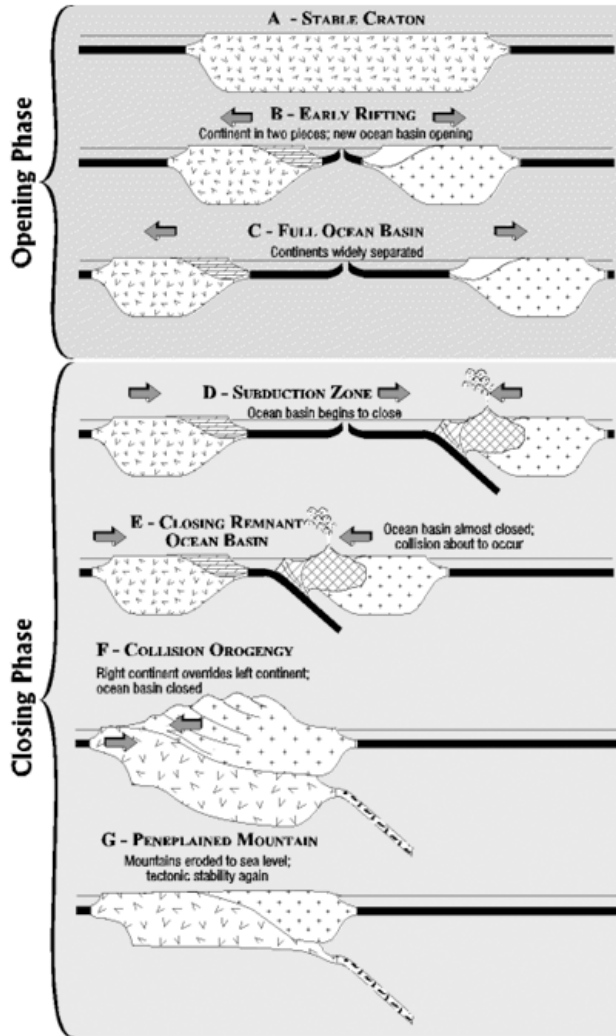
شكل (١) يوضح الأغلفة الرئيسية للأرض

<http://www.ukspaceagency.bis.gov.uk/8235.aspx>



شكل (٢) يوضح البناء الداخلي للأرض والنطاقات التي يتألف منها الغلاف الصخري، وهي من الخارج إلى الداخل: القشرة والوشاح واللب.

<http://www.cotf.edu/ete/modules/mse/earthsysflr/spheres.html>



شكل (٣) دورة ويلسون (دورة القارات العملاقة تنص على حركة الكتل القارية وانفتاح وانغلاق المحيطات عدة مرات خلال تاريخ الأرض).

<http://csmres.jmu.edu/geollab/Fichter/Wilson/wilsonsimp.html>



شكل (٤) : صورة فضائية توضح دلتا نهر النيل.

<http://neonized.net/blog/general/nile-delta>



MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH